


M. KÖPRÜLÜ K.
44
ASIM BY.



فهرست الجزء الاول من شرح الشفا للعلامة منلا على القارى



44



الحمد لله الذي انزل القرءان شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين ✱ وشفى به من كان اشفى على شفا نار جهنم من الكافرين ✱ والصلاة والسلام على سيد المرسلين ✱ وسيد الاولين والاخرين ✱ وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين واتباعه واشياعه اجمعين الى يوم الدين (اما بعد) فيقول افقر العباد الى كرم ربه البارى ✱ على بن سلطان محمد القارى ✱ لما رايت كتاب الشفاء ✱ في شمائل صاحب الاصطفاء ✱ اجمع ما صنف في بابه مجملا في الاستيفاء ✱ لعدم امكان الوصول الى انتهاء الاستقصاء ✱ قصدت ان اخدمه بشرح يشرح بعض ما يتعلق به من تحقيق الاعراب والبناء ✱ رجاء ان اسلك في سلك مسالك العلماء يوم الجزآء ✱ فاقول وبالله التوفيق ✱ وبتأييده ظهور التحقيق ✱ ان المصنف رحمه الله تعالى كان وحيد زمانه ✱ وفريد اوانه ✱ متقنا لعلوم الحديث واللغة والنحو والآداب ✱ وعالما بايام العرب والانساب ✱ ومن تصانيفه المفيدة الاكمال في شرح مسلم كمل به المعلم ✱ في شرح مسلم ✱ للمازرى ومنها مشارق الانوار فسر به غريب الحديث ومنها الشفا في حقوق المصطفى ومنها شرح حديث ام زرع الى غير ذلك وله اشعار لطيفة متضمنة لمضامين منيفة مولده منتصف شعبان سنة ست وسبعين واربعمائة وتوفى يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة وقيل في شهر رمضان سنة اربع واربعين وخمسمائة قال (بسم الله الرحمن الرحيم) اقتدآء بالكلام المجيد واقتفاء بالحديث الحميد ثم قال (اللهم صل على محمد وآله) اى واتباعه المتضمنين لاصحابه (وسلم) وهذا طريق المغاربة حيث يأتون بالتصلية والتحية بين البسملة والحمدلة كما في الشاطبية ولعل فيه اشعارا بان البسملة المشتملة على نعت الالوهية وصفات الرحمانية والرحيمية بمنزلة شطر الشهادتين من كلمة التوحيد فلابد من انضمام الشطر الاخر لاتمام معنى التمجيد ليترتب على توفيق تحصيل هذا المقام مقال التحميد ثم في بعض النسخ المصححة قبل قوله الحمد لله (قال الفقيه) وفي نسخة الشيخ الفقيه (القاضى الامام الحافظ ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض) بكسر العين (اليحصبى) بتثليث الصاد والفتح اخف وبه ثبتت رواية الشاطبى وهو نسبة الى يحصب بن مالك قبيلة من حمير باليمن (رحمة الله تعالى عليه) ولا شك ان هذا الادخال من المقال صدر من بعض ارباب الكمال من تلاميذ المصنف او من بعده ولكن اللائق في فعله ان يأتى به قبل البسملة ليقع الكل من مقوله ولعله تحاشى من تقديم ذكره فوقع وهم في حقه فالاولى ان يفعل مثل هذا العنوان ورآء الكتاب على قصد التبيان او بقلم آخر اولون مغاير في هذا المكان ثم تحقيق مباحث البسملة والحمدلة وما يتعلق بهما من وجوه التكملة قد كثر في تصانيف العلماء وتآليف الفضلاء وقد ذكرنا طرفا منها في بعض تصانيفنا كما هو دأب البلغاء والمقصود بعون الملك المعبود هو ان المصنف قال (الحمد لله) بالجملة الاسمية لافادة الديمومية لان الفعل دال على اقتران مدلوله بزمان والزمان لا ثبات له فكذا ما قارنه واللام فيه للاستغراق عند اهل السنة خلافا للمعتزلة اذ كل كمال انما هو لله سبحانه

في حقيقة الحال او طريقة المآل (المنفرد باسمه الاسمى) وفي نسخة المتفرد من باب التفعل بمعنى المتوحد الممتاز عن المشاركة فانهما واحد في المعنى وان اختلفا في المبنى والاسمى افعل تفضيل من السمو وهو الارتفاع اى الممتاز عن المشاركة في اسمه الاعلى والاضافة للتعميم فان لله الاسماء الحسنى وكل واحد منها في مرتبته هو الاعلى واغرب الشمنى في تفسير الاسمى بالعالى (المختص) صفة لله كالمنفرد ويجوز قطعهما بنصبهما او رفعهما اى المخصوص (بالملك الاعز الاحمى) اى الموصوف باختصاص الاستيلاء على البلاد والعباد باطنا وظاهرا على وجه الاعزية الذى لا يحوم حوله ذل ومغلوبية لانه في غاية المنعة ونهاية الحماية لا يقربه احد اولا وآخرا والملك بضم الميم فانه ابلغ من كسرها وعليه النسخ المصححة والاصول المعتمدة وقال التلمسانى هو بضم الميم وكسرها (الذى ليس دونه) اى قريب منه (منتهى) اى موضع غاية ومحل نهاية فيفيد معنى البقاء فانه اول قديم بلا ابتدآء وآخر كريم بلا انتهاء او المراد انه ليس للقرب منه نهاية يدركها احد ولو كان من اهل العناية وبلاغة قوله (ولا ورآءه مرمى) مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم ليس ورآء الله مرمى ولا منتهى اى ليس غيره او بعده مقصد للورى واصل المرمى بفتح الميمين موضع الرمى شبه بالغرض والهدف الذى ينتهى اليه سهم الرامى قال النابغة ✱ وليس ورآء الله للمرء مذهب ✱ وفي النهاية اى ليس بعد الله لطالب مطلب فاليه انتهت العقول ووقفت فليس ورآء معرفته والايمان به غاية تقصد وحاصل الجملتين انه تعالى ليس في جهة ولا حيز مسافة ليكون للقرب غاية وللبعد منه نهاية واما القرب والبعد الثابت في نحو حديث ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت فانما هو القرب والبعد المعنوى لا الصورى والحسى وانما كمال القرب في الحب بحيث لا يشهد السالك الا الله ويفنى عن شهود ما سواه حتى يفنى عن نفسه ويبقى ببقاه ونهاية البعد هو الغفلة عن الله على وجه يشاركه ما خلقه وسوآه (الظاهر) اى بالادلة الدالة على وجوده وكمال كرمه وجوده لعين الحقيقة في شهوده يقينا وقطعا (لا تخيلا) اى لا ظنا بالقوة الخيالية (ووهما) بسكون الهاء اى ولا وهما كما في نسخة مصححة ولا غلطا بالقوة الوهمية والمراد ان الله تعالى ظاهر بصفاته لدلالة مصنوعاته وظهوره لنا ليس على جهة ظن ووهم منا بل ظهورا يغلب نورا ادركناه بعيون بصائرنا في الدنيا وسيرونه الاحباء بعيون ابصارهم في العقبى والحاصل ان جميع المخلوقات دالة على وجود الوهيته وتحقيق وحدانيته

فغى كل شئ له آية ✱ تدل على انه الواحد

(الباطن) وفي نسخة والباطن اى باعتبار ذاته دون صفاته (تقدسا) اى تنزها فانه كما قال الغزالى وغيره كل ما خطر ببالك فالله ورآء ذلك (لا عدما) بضم فسكون لغة في المفتوحين اى لا فقدا وعدما اذ لا يقتضى عدم ظهوره نفى وجوده ونوره لانه قد ثبت بالدليل القطعى قدمه وما ثبت قدمه استحال عدمه والتحقيق المتضمن للتدقيق على وجه التوفيق انه باطن لا يدرك احد حقيقة ذاته ولا يحيط احد بكنه صفاته وهذا بالنسبة الى ما سواه فانه لا يعرف الله الا الله ونصبهما على التمييز واما قول الدلجى تمييزا وتعليل لكونه باطنا فهو وان كان صحيحا في هذا المبنى لكن التعليل لا يصح بحسب المعنى في قوله (وسع كل شئ رحمة وعلما) اى احاط بكل شئ رحمته وعلمه فان كل شئ لا يستغنى عن رحمته ايجادا وامدادا وعلمه شامل للجزئيات والكليات احصاء واعدادا والجملة مقتبسة من قوله تعالى ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما والاقتباس ان يتضمن الكلام شيأ من القرءآن او الحديث على وجه لا يكون فيه اشعار بانه منه (واسبغ) اى اكمل بالرحمة الخاصة والعلم المختص بالهداية (على اوليائه) اى المؤمنين على قدر كمالاتهم ومراتب حالاتهم (نعما) بكسر ففتح جمع نعمة وفي نسخة بضم فسكون مقصورا لغة في النعمة لكنه يكتب بالياء مع انه غير ملائم لقوله (عمما) بضم المهملة وتشديد الميم جمع عميمة وهى العامة الشاملة التامة ووهم من قال من المحشين انها جمع عمة فانه يقال نخل عم ونخلة عميمة والحاصل ان رحمته وسعت كل شئ في امر الدنيا لكن له رحمة خاصة بارباب العقبى كما قال ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون الآية وكذا علمه بكل شئ محيط بمعنى المعية كما قال وهو معكم اينما كنتم ونحن اقرب اليه من حبل الوريد لكن لارباب الخصوص معية خاصة كما يدل عليه قول موسى عليه الصلاة والسلام ان معى ربى وقول نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم للصديق الاكبر رضى الله تعالى عنه لا تحزن ان الله معنا وتأمل التفرقة بين الكلامين فان الثانى مشير الى مقام جمع الجمع والاول مشير الى مقام التفرقة والمنع واما ما ذكره الدلجى من ان تصدير هذه الفقرة بالواو الموضوعة للجمع دون ما قبلها مع ان اجزآء الصفات المتعاقبة على موصوف واحد مشعرة به يلوح بزيادة جمعية وارتباط معية ففيه مناقشة خفية لان اجزآء الصفات المفردة يؤتى بها من غير واو والجمعية في الجمل الاسمية كقوله تعالى وهو الغفور الودود مع جواز اتيان العاطف بخلاف الجمل الفعلية ولهذا قال (وبعث) اى ارسل الله (فيهم) اى في اوليائه ولاجل احبائه ولذا قيل انه لم يرسل في الحقيقة الى اعدآئه ثم المؤمنون هم المراد باوليائه لقوله سبحانه وتعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم (رسولا) اى نبيا مرسلا امر بتبليغ الرسالة موصوفا بكونه (من

(انفسهم) بضم الفاء اى من جنسهم العربى او البشرى دون الملكى للحكم الالهى (انفسهم) بفتح الفاء ونصب السين اى
اشرفهم واعظمهم فى نفوسهم فالاول جمع النفس بسكون الفاء والثانى افعل من النفيس و جمع بينهما كما قرئ فى الاية
بهما ونصب انفسهم الثانى على انه صفة رسولا اوبدل اوحال وفى بعض الحواشى ضبط بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
اى هو انفسهم من نفس بالضم صار مرغوبا فيه لشرفه (عربا وعجما) بضم فسكون فيهما وهو ولغة فى فتحيهما والمراد
بالعرب هنا اعم من سكان القرية والبادية كما ان المراد بالعجم ضد العرب الشامل لاهل فارس والترك والهند وغيرهم
ونصبهما على التمييز وقال الدلجى حالان لازمان من ضمير انفسهم وردا بيانا لنوعى المنفوسين واما قول بعضهم فى
حاشيته وانفسهم بفتح الفاء اى اعلاهم وخيارهم وهو من النفاسة ولا يجوز ضمها لان الضمير عائد الى الاولياء فخطأ ولعله
مبنى على ان لفظ انفسهم لم يكن مكررا عنده والا فان اراد عدم جواز الضم فى انفسهم الثانى فلا كلام فيه الا ان تعليله
لا يصح وان اراد مطلقا فغلط محض (وازكاهم) اى اطهرهم وانماهم (محتدا) بفتح الميم وكسر الفوقية اى اصلا وطبعا
(ومنمى) بفتح الميمين مصدر ميمى اى نموا وزيادة وارتقاء وقد ذكر الحلبى وغيره انه اذا كان الفعل معتل اللام مثل رمى
فقياس المصدر منه مفعل مثل نمى منمى ورمى مرمى وسرى مسرى انتهى وفيه ان مصدر الثلاثى المجرد مطلقا يجيء
على مفعل بفتح العين قياسا مطردا كمقتل ومضرب ومشرب كما فى الشافية فلا وجه لقيده بالمعتل نعم هذا القيد يعتبر فى
اسمى الزمان والمكان منه والله اعلم واختار الدلجى انهما اسما مكان فمحتد من حتد اذا اقام والمراد بهما مكة المشرفة
فان للامكنة دخلا ما فى شرف الاخلاق وطهارتها وحسن الافعال ونجابتها (وارجحهم) بالنصب عطفا على انفسهم
الثانى اى ارزنهم (عقلا) اى تعقلا (وحلما) اى تحلما (واوفرهم) اى اتمهم (علما وفهما) وفى نسخة بالعكس رعاية للحلما
والفهم هو العلم وسرعة ادراك الشئ فالحمل على المعنى الثانى اولى واختلف فى حقيقة العقل والاقرب قول القاضى ابى
بكر العقل علم ضرورى بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ولعله اراد به تعريف العقل الكامل
والله تعالى اعلم وقيل الفهم ازالة الوهم (واقواهم) اى اشدهم وفى نسخة اوفاهم اى ازيدهم (يقينا) اى علما زال فيه
الريب تحقيقا (وعزما) اى اهتماما بالغاليس فيه رخصة ما فقيل جدا وقيل صبرا (واشدهم) اى بهم كما فى نسخة صحيحة
(رافة) اى زيادة رحمة (ورحما) بضم فسكون اى رحمة وعطفا قال تعالى واقرب رحما قرأ الشامى بضم الحاء والباقون
بسكونها وفى نسخة مقصورة وهو تعميم بعد تخصيص لا مجرد تغاير لفظى كما ذكره الحلبى وفيه ايماء الى قوله تعالى بالمؤمنين
رؤف رحيم ثم من قوله لا تحيلا وهما الى هنا منصوبات على التمييز خلافا لما بعده ولذا فصله بقوله (زكاه) بتشديد
الكاف اى طهره (روحا وجسما) فهما بدلان من الضمير فانه عينهما لا غيرهما على خلاف التمييز وقال الدلجى مميزان
حولا عن كونهما مفعولين وايراد هذه الفقرة بلا عاطف دون ما قبلها لكمال انقطاع بينهم الاختلافهما ثبوتا وسلبا
انتهى وهو وهم منه وغفلة صدرت عنه لان هذا الكلام انما يصح لو عطف فى زكاه وترك العطف فى حاشاه ثم المراد
بالجسم الجسد وهو جسم كثيف ظاهرى بخلاف الروح فانه جسم لطيف باطنى اما تزكية روحه صلى الله عليه
وسلم فلكونه اشرف الارواح المطهرة لا من اشرفها كما قال المحشى فانه كما قال صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله
روحى وسائر الارواح انما خلق ببركة روحه ونور وجوده كما روى لولاك لما خلقت الافلاك فانه صحيح معنى ولو ضعف
مبنى واما تزكية جسده فلشق جبريل عليه السلام صدره واستخراج حظ الشيطان منه وغسله بماء زمزم لا بماء الجنة
كما قاله المحشى الا انه ان صح رواية يجمع بينهما دراية ويمكن ان يكون الروح والجسم كنايتين عن الخلق والخلق فانهما
مزكيان من جانب الحق واغرب المحشى حيث قال فى رأفة ورحما اشترط من اجاز العطف ان لا بد من زيادة معنى فى
المعطوف وقال هنا فيه دلالة على جواز العطف وان تغاير اللفظان والمعنى واحد من غير زيادة وابعد الحلبى حيث تبعه
فى الموضعين وقال هنا وهذا الازآئد ولا مساوى ولعله فعل ذلك للسجع انتهى وقد بينت لك الفرق بين الرافة والرحمة
واما الفصل بين الروح والجسد فظاهر للعامة فضلا عن الفضلاء الخاصة (وحاشاه) اى نزهه الله وبرأه (عيبا ووصما)
اى عارا على ما صرح به فى القاموس فهو تخصيص بعد تعميم خلافا لمن زعم انهما متساويان وتبعه الحلبى والدلجى
ثم نصبهما بنزع الخافض اى من عيب ووصم (وآتاه) بالمد اى اعطاه الله تعالى (حكمة) وهى فى الاصل ما يمنع من
الجهالة فانها مأخوذة من الحكمة بفتحتين وهى اللجام المانع من النفور اى علما بالشرائع المشتملة على الحكم المبنية
على الاتقان والاحكام (وحكما) بضم فسكون اى قضاء بالاحكام قال المحشى وتبعه الدلجى فيه تجنيس التحريف
وهو تحريف من احدهما والصواب التطريف وهو ان يختلف المتجانسان فى اعداد الحروف وتكون الزياد
فى الاخر على ما فى شرح مختصر التلخيص ثم هما منصوبان على المفعولية الثانية واغرب التلمسانى بقوله هما مترادفان
وجمعهما للتاكيد (وفتح به) اى فتح الله تعالى بسبب نبينا صلى الله عليه وسلم (اعينا عميا) اى عن رؤية الحق وهو بضم

فسكون جمع عمياء بفتح فسكون ممدودا وابعد التلمسانى حيث قال عميا صفة للاعين وهو جمع اعمى وقال المحشى كان
الاولى ان يأتى بجمع كثرة لكن قد يأتى جمع القلة بمعنى الكثرة كقوله تعالى جنات عدن بمعنى جنان وقد تأتى الكثرة
بمعنى القلة كقوله تعالى ثلاثة قروء اى اقراء و تبعه الحلبى وقال الاولى ان يأتى به جمع كثرة لكنه تبع الحديث الصحيح
والمراد به هنا وبالحديث الكثرة انتهى وقال الحافظ العسقلانى الكثرة العددية من الامور النسبية فيحتمل ان يكون
العدول عن جمع الكثرة فى الحديث الى جمع القلة للاشارة الى ان الكفار اكثر من المسلمين (وقلوبا) جمع قلب وسمى به
لتقلبه فى ايدى مقلب القلوب كما قال الشاعر

وما سمى الانسان الا لنسية * ولا القلب الا انه يتقلب

(غلفا) بضم فسكون جمع اغلف كانه جعل فى غلاف فهو لا يعى وقالوا قلوبنا غلف اى ذوات غلف لا تعى كلمة الحق
ولا تفهمها لانها لا تصل اليها (وآذانا) بمد الهمزة جمع اذن (صما) بضم فتشديد ميم جمع صماء لا اصم كما سبق اى
لا تسمع النصيحة والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتاهم بايات واضحة ومعجزات لائحة فاجتلت ابصارهم
ووعت قلوبهم وقبلت اسماعهم (فآمن به) اى صدق بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما جاء به (وعزره) اى عظمه
ووقره وهو بتشديد الزاى ووهم التلمسانى حيث قال تخفف وتشدد ففى القاموس العزر اللوم والتعزير التعظيم
او المعنى منعه من عدوه اذ اصل العزر المنع ومنه التعزير لانه يمنع من معاودة القبيح (ونصره) اى ايده واعانه ايماء
الى قوله تعالى ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه والضمير فى الاية يجوز ان يكون لكل منهما والاظهر ان يكون
الى الاخير فان الايمان به متضمن للاول فتأمل ثم الفاعل قوله (من) اى الذى (جعل الله تعالى له فى مغنم السعادة)
اى فى غنائم السعادة الايمانية والسيادة الايقانية (قسما) بكسر فسكون اى حظا ونصيبا مقسوما واما بفتح القاف
فهو مصدر (وكذب به) اى كفر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وصدف عن آياته) اى اعرض عن معجزاته البرهانية
او مال عن قبول آياته القرآنية (من كتب الله) اى قدر وقضى واوجب (عليه الشقاء) بالمد مفتوحا وبكسر اى
الشقاوة كما فى نسخة وهى اولى من الاولى كما لا يخفى وقال التلمسانى الشقاء العذاب وهو ممدود انتهى ولا يخفى
عدم الملائمة بالمقابلة للسعادة مع ان صاحب القاموس قال الشقا الشدة والعسر ويمد والظاهر ان معناه التعب
كما فسر به قوله تعالى فتشقى وقوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى لا بمعنى العذاب المتعارف والله اعلم (حتما) اى حتما
مقضيا يعنى وجوبا استحتاما لازما لا بد له من فعله ولا تبديل ولا تحويل فيه اصلا وقطعا (ومن كان فى هذه) اى الدنيا
الدنية التى هى محل تحصيل الكمالات الدينية (اعمى) اى عن الامور العلمية والعملية او عن طريق الحق وبصيرة
الصدق (فهو فى الآخرة اعمى) فاعل او خبر اى فهو فيها اعمى اى بالطريق الاولى او اشد عمى مما كان فى الدنيا او اعمى
عن النجاة ورؤية سبيل اهل الهدى والحاصل ان اعمى فى الموضعين افعل وصف والمعنى من كان فى الدنيا لا يبصر
طريق هدايته لا يرى فى العقبى سبيل عنايته وقيل اعمى الثانى للتفضيل كاجهل وابله ولهذا عطف عليه فى الآية
واضل سبيلا ولم يمله ابو عمرو ويعقوب لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم المتوسط كما فى اعمالكم ولا يبعد
ان يراد بالعمى فى الدنيا الجهالة والضلالة فى الامور الدينية وكون اعمى فى الآخرة بالطريق الصورية والمعنوية
(صلى الله تعالى عليه صلاة تنمو) بفتح فسكون فضم من النمو اى تزيد عددا دائما (وتنمى) بصيغة المجهول من الانماء
اى وينميها الله او يزيد ثوابها ابدا والمعنى تزيد فى نفسها او يزاد فيها وفى نسخة صحيحة بدل الاولى تنمى كترمى بالياء
بدل الواو وهو الاولى من جهة صنيع الجناس المستحسن فى المبنى مع انه اللغة الاشهر عند الاكثر ففى الصحاح نمى المال
وغيره ينمى نماء وربما قالوا ينمو نموا وانماه الله تعالى انماء انتهى وفى غالب النسخ المصححة تنمو بالواو وعن الخليل انه الافصح
وبهذا يتبين ان قول الحلبى وفى لغة ينمو وهو ضعيف هو الضعيف لمخالفة الجمهور ولمعارضة شيخه مجد الدين الفيروزابادى
صاحب القاموس حيث قال نما ينمو زاد كنمى ينمى واما ما نقل عن الكسائى لم اسمعه بالواو الا من اخوين من بنى
سليم ثم سألت بنى سليم فلم يعرفوه فالجواب عنه انه على تسليم صحته يكون لغة لغيرهم ومن حفظ حجة على من لم يحفظ
(وعلى آله) اى اتباعه ولذا لم يقل واصحابه وفى نسخة وصحبه على انه تخصيص بعد تعميم او المراد بالآل اقاربه والعطف
لزيادة التشريف والتكريم (وسلم) بفتح اللام عطف على صلى (تسليما) اى تسليما عظيما ووقع فى بعض النسخ زيادة كثيرا
وهو مخل بالسجع المرعى فى الفواصل ثم ظاهر آية يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما دال على وجوب الصلاة
والسلام عليه كلما ذكر وكذا حديث من ذكرت عنده فلم يصل على دخل النار فابعده الله تعالى وحديث
رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل على وبه قال الطحاوى من الحنفية والحليمى من الشافعية واللخمى من المالكية
وابن بطة من الحنابلة والجمهور على انها فى العمر فرض مرة والمحققون على انها فرض فى كل مجلس ذكر صلى الله

تعالى عليه وسلم والله تعالى اعلم (امابعد) بضم الدال مبنيا لحذف المضاف اليه وكونه منويا وقال الحلبي وبفتحها اجازه هشام وقال النحاس انه غير معروف ورفعها منونة وكذا نصبها انتهى وذكر النووى فى باب الجمعة من شرح مسلم انه اختلف العلماء فى اول من تكلم باما بعد فقيل داود عليه الصلاة والسلام وقيل يعرب بن قحطان وقيل قس بن ساعدة وقال بعض المفسرين او كثير منهم انه فصل الخطاب الذى اوتيه داود وقال المحققون فصل الخطاب الفصل بين الحق والباطل انتهى وفى الكشاف ويدخل فيه يعنى فى فصل الخطاب اما بعد فان المتكلم اذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله اما بعد انتهى وفى غريب مالك للدارقطنى بسند ضعيف ان يعقوب عليه الصلاة والسلام لما جاءه ملك الموت قال من جملة كلامه اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء وهذا يدل على ان اول من تكلم به يعقوب لا داود عليهما الصلاة والسلام ونظير فصل الخطاب كلمة هذا فانه يفصل بها بين الكلامين كقوله تعالى هذا وان للطاغين لشر مآب اى الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا او هذا المعد للمتقين واما تنظير المحشى بقوله تعالى هذا وان للمتقين لحسن مآب فغفلة عن لفظة التنزيل وهو قوله تعالى هذا ذكر وهو ليس من هذا الباب نعم نظيره ما قال الشاعر

هذا وكم لى بالجنينة سكرة * انا من بقايا خمرها مخمور

فانه اشار بهذا الى كلام تقدم ثم استأنف كلاما ثانيا والله تعالى اعلم ثم اعلم ان قس بن ساعدة الايادى بضم القاف وتشديد المهملة بليغ حكيم ومنه الحديث يرحم الله قسا انى لارجو يوم القيامة ان يبعث امة وحده) قيل هو اول من كتب من فلان الى فلان وفيه نظر لقوله تعالى انه من سليمان واول من خطب بعصا واول من اقر بالبعث من غير سماع قيل انه عاش ستمائة سنة وقد رآه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسوق عكاظ وهو راكب جملا له احمر وورد رحم الله قسا انه كان على دين ابى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام رواه الطبرانى عن غالب بن ابجر وفى رواية رحم الله قسا كأنى انظر اليه على جمل اورق تكلم بكلام له حلاوة لا احفظه رواه الازدى فى الضعفاء وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه من قوله ايها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ثم هو من اهل الفترة واما يعرب بن قحطان فهو ابو اليمن وقيل هو اول من تكلم بالعربية وههنا قولان آخران فى اول من قال اما بعد فقيل كعب بن لؤى وقيل سحبان وهو بليغ يضرب به المثل لكن هذا القول غير صحيح لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقولها فى خطبته وهو قبل سحبان اجماعا لانه كان فى زمن معاوية وما اجيب عنه بانه اول من قالها بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الاسلام لا يخفى بعده لانى ما اظن ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا يتركونها فى خطبهم بعدما سمعوها منه صلى الله تعالى عليه وسلم فى خطبته والله تعالى اعلم (اشرق الله) اى اضاء ونور (قلبى وقلبك بانوار اليقين) اى بانواع انواره من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين على قدر مراتب العارفين فى ميادين الدين والاصل فى النور الظهور واعلم ان مقتضى القواعد العربية واستعمال الفضلاء الادبية ايراد الفاء بعد اما بعد بل بعد بعد ايضا لما التقدير اما واما التوهم اما مع رفع توهم الاضافة وافادة الدلالة التعقيبية وقد قال سيبويه ان معنى اما بعد مهما يكن من شئ بعد فتعين اتيان الفاء الجزائية وسيأتى فى قوله فانك فالجمل المذكورة دعائية اعتراضية واما قول التلمسانى فى قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فليس فى محله لان اما هذه تفصيلية لا شرطية (والطف لى ولك) باللام فيهما على الاصول المصححة لا بالباء الموحدة (بما) اى بمثل ما وفى نسخة كما (لطف باوليائه) فما مصدرية وفى نسخة صحيحة بما لطف لاوليائه فما موصولة وفى نسخة بعباده (المتقين) بالباء جمعا بين اللغتين وتفننا فى العبارتين فمن الاولى قوله تعالى ان ربى لطيف لما يشاء ومن الثانية الله لطيف بعباده يرزق من يشاء ولطف بفتح الطاء من اللطف وهو على ما فى المجمل بمعنى الرفق والرأفة وعلى ما فى الصحاح بمعنى التوفيق والعصمة وقيل بمعنى الهداية واما بالضم فمعناه دق وصغر والا لطف ما قال بعضهم من ان اللطف فى اللغة الرفق وهو من الله تعالى زيادة بره للانام بامور تدق عن الافهام منها هدايتهم للايمان والاسلام وتوفيقهم لطاعاته ومراعاة الاحكام وكفهم عن المعاصى والآثام وتيسير اسباب الراحات الدنيوية والاخروية عليهم ودفع المضار الملائمة عنهم وجلب المنافع اليهم ثم التقوى هو التوقى عن مخالفة المولى (الذين شرفهم) اى الله تعالى كما فى نسخة (بنزل قدسه) بضمتين ويسكن الثانى فيهما الا ان السكون فى الثانى اقل وفى الاول اكثر ثم النزل ما يهيأ للضيف من الكرامة لانسه وقيل النزل المنزل وبه فسر قوله تعالى جنات الفردوس نزلا وقد جزم المحشى بانه مراد المصنف هنا والظاهر انه لا منع من الجمع كما اشار اليه صاحب القاموس النزل بضمتين المنزل وما هيئ للضيف ان ينزل عليه كالنزل والمعنى بالنزل الحال المقدس عن الدنس وفى نسخة بنور قدسه وهو اظهر معنى لان المراد به

وبما بعده مقامات العارفين فى الدنيا وان كانت سبب درجات فى العقبى فلا بلائم تفسير نزل قدسه بالجنة لنزاهتها عن الكدورات الدنيوية كما اختاره الدلجى ثم قال ويجوز ان يريد به ما يهيأ لهم من الطعام اذا دخلوها الوارد به نزل اهل الجنة زيادة كبد الحوت واما ماهو فى ولكم فيها ما تدعون نزلا فحال من ضمير تدعون تلويحا بان ما يتمنونه بدعائهم بالنسبة الى عطائهم مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف (واوحشهم) من الوحشة ضد الانسة يقال اوحشه فاستوحش اى جعلهم ذوى وحشة (من الخليقة) وفى نسخة من بين الخليقة (بانسه) لان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس ولا يمكن دفع العوائق الا بقطع العلائق فالمعنى ابعدهم الله تعالى عن الخليقة وقربهم منه على مراعاة الشريعة والطريقة والحقيقة فيكونون كائنين بائنين قريبين غريبين عرشيين فرشيين مع الخلق فى الصورة ومع الحق فى السريرة كما هو دأب الانبياء وعادة الاولياء به آنسون ومن غيره آيسون (وخصهم من معرفته) اى جعلهم اهل الخصوص من اجل معرفته وفى نسخة بمعرفته اى جعلهم مخصوصين بها بحيث لا يلتفتون الى معرفة غيره اصلا (ومشاهدة عجائب ملكوته) فعلوت من الملك بزيادة الواو والتاء للمبالغة وفرق بين الملك والملكوت اذا اجتمعا بان يخص الاول بظاهر الملك والثانى بباطنه او الاول بالعالم السفلى والاخر بالعالم العلوى قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وقال عز وجل فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ ومعنى المشاهدة المعاينة واغرب التلمسانى حيث فسرها بالحضور مع قوله مصدر شاهد بمعنى رأى ثم العجائب جمع عجيب وهو ما يتعجب فيه من الامر الغريب (وآثار قدرته) اى من مطالعة مصنوعاته (بما ملأ قلوبهم حبرة) بفتح المهملة وسكون الموحدة اى مسرة من الحبور وهو السرور وقيل معناها النعم والكرامة ومنه قوله تعالى فهم فى روضة يحبرون اى ينعمون ويسرون ويكرمون ثم الجار متعلق بخص او بالمشاهدة وما مصدرية او موصولة وقلوبهم مفعول به وحبرة مفعول ثان كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حق الكفار يوم الاحزاب ملأ الله قبورهم نارا او منصوب بنزع الخافض وايصال الفعل كقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة وقيل منصوب على التميز واما ما ذكره التلمسانى من انه يقال بفتح الباء الموحدة وتسكينها فوهم لان الفتح انما جاء بدون التاء على ما فى القاموس او بضم الحبرة وهى سرور ظهر حبره اى اثره على وجوههم فكساها بهاء وجمالا ففى الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره بكسرهما وقد يفتحان اى بهاؤه وجماله (وولّه) بالتشديد (عقولهم) اى جعلها والهة بتدبرها وتفكرها (فى عظمته) وفى نسخة من عظمته (حيرة) اى ذوات تحير بما غشاها من ضياء جمال وبهاء كمال وفى نسخة ووزع عقولهم اى تركها متحيرة ولا يخفى صنعة التجنيس بين حبرة وحيرة (فجعلوا همهم به) اى بالله ودينه قائمين بحقوق الوهيته ووظائف عبوديته (واحدا) اى هما واحدا اشارة الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله تعالى هم الدنيا والآخرة والمراد بالهم هنا القصد والهمة والعزم والجزم التام ولا يبعد ان يكون بمعنى الحزن الموجب للاهتمام فى سبيل الله او بسبب دينه فالضمير له سبحانه وابعد التلمسانى فى جعل الضمير للوله المفهوم من وله (ولم يروا) اى لم يعتقدوا او لم يبصروا (فى الدارين غيره مشاهدا) بضم الميم وفتح الهاء اى مشهودا الا انه كما قال بعض العارفين من ارباب الاسرار ليس فى الدار غيره ديار وقال آخر من اصحاب الشهود سوى الله والله ما فى الوجود وزاد ابو يزيد على من سواه وقال ليس فى جبتى غير الله ومن هذا المقام المحقق منصور الحلاج نطق وقال انا الحق وقال مجنون بنى عامر فى هذا المعنى

انا من اهوى ومن اهوى انا * نحن روحان حللنا بدنا

فهذا مقام وحال لارباب الكمال بلا حلول ولا اتحاد ولا اتصال ولا انفصال ويؤيد هذا المقال قول الملك المتعال كل شئ هالك الا وجهه ويقويه ما ورد عن النبى النبيه عليه الصلاة والسلام اصدق كلمة قالها لبيد ألا كل شئ ما خلا الله باطل وفى نسخة بكسر الهاء وهو لطيف جدا موافق للفظ واحدا فانه يفيد بانضمام الفتح لارباب الفتوح انه شاهد ومشهود كما انه حامد ومحمود وقد علم كل اناس مشربهم وفهم كل طائفة مذهبهم وكل حزب بما لديهم فرحون ولعل بعض ارباب النسخ استنكر لفظ مشاهدا فاسقطه مع انه لم يتم بدونه التسجيع بقوله واحدا وكانهم اكتفوا بلفظ غيره حالة وقفه (فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون) وفى اصل التلمسانى يتمتعون اى يتعيشون والمعنى انهم بمطالعة صفات انعامه ولائه ونعوت بلائه وابتلائه يتلذذون فاستوى عندهم المنحة والمحنة فى ثبوت كمال المحبة خلافا للناقصين فى المودة على ما اخبر الله تعالى فى حقهم من الحرف بقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه وفى هذا الحال قال بعض ارباب الكمال

وليس لى فى سواك حظ * فكيف ما شئت فاختبرنى

وفى القضية اشارة خفية الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن اى بين صفتى الجمال والجلال ونعتى البسط والقبض المعبر عنهما بالبقاء والفناء والتفرقة والجمع وامثال ذلك من اصطلاحات الصوفية والسادات السنية وفى كثير من النسخ المصححة كماله بدل جماله وهو غير ملائم لمقابله لان الكمال هو الجمع بين الجمال والجلال وقد يوجه باتيان الاخص بعد الاعم والله تعالى اعلم ثم لما ترقى الى اعلى المقامات وهو مشاهدة الذات تنزل الى ملاحظة الصفات فان تلك الحالة العالية قد تكون لحظة ولمحة لا تستمر فى الازمنة الماضية فقال (وبين آثار قدرته) اى من صفات الافعال (وعجائب عظمته) اى من صفات الذات ولو قال وانوار عظمته لكان له وجه حسن فى بلاغته (يترددون) اى تارة الى هذا ينظرون واخرى بهذا ينتظرون بخلاف اهل الحجب والغفلة فهم فى ريبهم يتحيرون (وبالانقطاع اليه) لقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا (والتوكل عليه) لقوله عز وعلا فاتخذه وكيلا (يتعززون) وفيه اشارة لطيفة الى انهم الى غيره ما يتذللون لانهم بما آتاهم الله تعالى يرضون ويقنعون (لهجين) بفتح فكسر اى حال كونهم مولعين ملازمين ومواظبين مداومين متمسكين (بصادق قوله) من اضافة الصفة الى الموصوف اى بقوله الصادق المطابق (قل الله) اى موجودا ومعبودا ومشهودا وقل الله وليس فى الكون سواه (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) اى اترك اهل الغفلة واللعب والاشتغال بما لا يعنيهم فى دينهم وما لا يحملهم على الحضور مع ربهم حال كونهم فى شروعهم فى الباطل وهو ما سوى الحق يضيعون اعمارهم ويخربون آثارهم عبثا بلا فائدة عائدة فى امر اولاهم وفى حال آخرهم وهذا المعنى الذى اومى اليه الشيخ من الاشارات الصوفية لا ينافى ما ذكره المفسرون وارباب العربية من ان لفظ الجلالة فاعل لفعل مقدر او مبتدأ خبره محذوف لما يدل عليه السياق والسباق بالاتفاق لانه جواب عن سؤال تقدم فى قوله تعالى فى حق اليهود وما قدروا الله حق قدره اى ما عظموه حق عظمته او ما عرفوه حق معرفته اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس الى ان قال قل الله اى ان امتنعوا عن الجواب وعجزوا عن الكلام الصواب قل الله اى انزل الكتاب وفى هذا كفاية لاولى الالباب (فانك) سبق انه جواب اما والجملة الدعائية معترضة بينهما (كررت على السؤال) اى راجعته واكثرته (فى مجموع) اى فى مصنف جمع فيه صنف من الشمائل النبوية ومؤلف اجتمع فيه نوع من الفضائل المصطفوية (يتضمن التعريف) اى يحتوى الاعلام (بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام) اى بتعظيمه كقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره وتوهم الحلبى بان المراد بالقدر هو المقدار فقال لو قال ببعض قدره لكان احسن والمراد بالمصطفى المختار المجتبى المرتضى لحديث مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وهذا بحسب النسب واما بطريق الحسب فلقوله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ولقوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ولا شك انه الفرد الاكمل فى هذا المعنى (وما يجب له من توقير) اى ويتضمن بيان ما يجب له من تعظيم واحترام (واكرام وما) اى وبيان اى شئ (حكم من لم يوف) بالتخفيف ويجوز التشديد اى من لم يكمل ولم يوفر (واجب عظيم ذلك القدر) الاضافة بيانية اى القدر الواجب من تعظيم ذلك القدر العظيم (او قصر) اى او ما حكم من فرط (فى حق منصبه) بفتح الميم وكسر الصاد اى مقامه (الجليل) بالجيم وهو الشريف المنيف (قلامة ظفر) بضم فسكون واختير للسجع والا فبضمتين هو الافصح ويجوز كسر الظاء وسكون الفاء ايضا وقد قرئ بهن فى الاية لكن السكون مطلقا شاذ والقلامة بالضم ما سقط من الظفر وهو كناية عن الشئ الحقير والامر اليسير (وان اجمع لك ما لاسلافنا) اى لعلمائنا المتقدمين (وائمتنا) اى لمشايخنا المتأخرين (فى ذلك من مقال) اى فيما ذكر من وجوب تعظيم قدره والحكم فيمن صدر عنه بخلافه من الاقوال (وابينه) اى المقال (بتنزيل صور وامثال) اى بتصوير صور وامثال وتقرير محامل يزول به الاشكال ايضاحا للمعنى وايصالا الى الذهن فى المبنى (فاعلم) اى ايقن وتنبه ايها المخاطب (اكرمك الله تعالى) اى كما قصدت اكرام النبى المكرم (انك حملتنى) بتشديد الميم اى كلفتنى بالحمل (من ذلك) اى الامر الذى سألتنى (امرا امرا) بفتح الهمزة فى الاول وكسرها فى الثانى اى امرا شاقا او شيئا عظيما واما قوله تعالى لقد جئت شيئا امرا اى عجبا او منكرا (وارهقتنى) اى اوقعتنى (فيما ندبتنى) اى دعوتنى (اليه عسرا) بضم فسكون وبضم اى امرا عسيرا لا اقدر عليه من التحفظ عن السهو والتيسير كما قيل فى قوله تعالى حكاية عن موسى ولا ترهقنى من امرى عسرا (وارقيتنى) اى اصعدتنى واطلعتنى من الترقى بمعنى الصعود وهو يائى ففى القاموس رقى اليه كرضى رقيا صعد كارتقى وترقى او مهموز حيث قال ورقأ فى الدرجة صعد لكن النسخ المصححة بالمركز تؤيد الاول فتأمل والحاصل انهما لغتان والاول هو الاشهر فى البيان واما قول التلمسانى بهمز ويسهل والهمز افصح وقيل التسهيل فيتوهم منه ان الاصل هو الهمز وهو غير صحيح لان التسهيل بمعنى الابدال غير مطابق لقواعد الاعلال فانه انما يكون على طبق ما قبله من

الحركة كما لا يخفى على ارباب الكمال والله تعالى اعلم بالحال (بما كلفتنى مرتقى) بضم الميم مصدر اى ارتقاء (صعبا) اى شديدا وليس كما توهم التلمسانى بقوله وكان المعنى ارقيتنى فارتقيت مرتقى صعبا اى محلا عسيرا حيث جعل المرتقى اسم مكان فاحتاج الى تقدير فارتقيت والله تعالى اعلم (ملأ قلبى رعبا) بضم فسكون وبضم اى خوفا وفزعا ووقع فى اصل التلمسانى خوفا ورعبا فقال معناهما واحد لكنه مخالف لسائر الاصول من النسخ المصححة ثم الضمير فى ملأ راجع الى ما او المرتقى والثانى اقرب لكن يؤيد الاول قوله (فان الكلام فى ذلك) اى المكلف (يستدعى تقرير اصول) اى تمهيد قواعد مقررة (وتحرير فصول) اى وتشييد فروع محررة مما يجب له صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ويمتنع كما سيأتى (والكشف) اى ويستدعى البيان (عن غوامض) جمع غامضة وهى ما لا يدرك الا بعد روية (ودقائق) جمع دقيقة وهى ادق مما قبلها مما يدق فهمه فى كل قضية (من علم الحقائق) بيان لما قبلها وهى جمع الحقيقة وهى الامور الثابتة من الادلة النقلية والعقلية وقد ابعد الحلبى والتلمسانى فى عطف الكشف على الكلام مع عدم ظهور خبره فى المقام (مما يجب) اى اثباته (للنبى عليه السلام ويضاف اليه) اى وجوبا (او يمتنع او يجوز) اى اطلاقه (عليه ومعرفة النبى والرسول) اى بالحدود الفارقة بينهما ومعرفة مجرورة معطوفة على مدخول عن او من او منصوبة على انها معمولة ليستدعى ايضا (والرسالة والنبوة) بالجر لا غير والمراد بهما الحالان فهما مغايران لما قبلهما (والمحبة والخلة) بضم الخاء وهما نعمتان كاملتان ما اجتمعتا فى غير نبينا صلى الله عليه وسلم (وخصائص هذه الدرجة العلية) بالجر جمع خصيصة وهى ما يختص به الشخص والدرجة المنزلة والمرتبة والرفعة ودرجات الجنة ارفع منازلها والدرجات ضد الدركات وقد سومح فى التسجيع بين العلية وما قبلها فانه من الامور الرسمية ثم رايت ابن السكيت قال العلية بفتح العين وكسر اللام وكسر العين وسكون اللام فتعين الثانى لموافقة المرام (وههنا) اى وفى هذه المواضع المذكورة فيها للتنبيه وهنا اسم اشارة للمكان القريب (مهامه فيح) اى مفازات واسعة ومهامه بفتح الميم الاولى وكسر الثانية جمع مهمه بفتحتين مفازة بعيدة وخلاء ليس فيه ماء والفيح بكسر الفاء جمع فيحاء بفتح ومد لا جمع افيح كما توهمه التلمسانى اى الارض الواسعة (تحار) بفتح التاء اى تتحير (فيها) اى فى سبيل معرفتها افهام ذوى النهى كما قد تحار فى سير المفازة المحسوسة اذا سلكتها (القطا) وهو بفتح القاف مقصورا طير يضرب به المثل فى كمال الهداية فيقال هو اهدى من القطا سمى بصوته وقد قيل انه يترك فراخه ويطلب الماء مسيرة عشرة ايام واكثر فيرده ويرجع فيما بين طلوع الفجر وظهور الشمس ولا يخطئ صادرا ولا واردا وهو اسم جنس وقول الجوهرى على ما نقله الحلبى وغيره انه جمع قطاة فيه تجوز والحاصل ان القطا يعرف فى المجاهل مظان المياه فلا يكاد يخطئها فاذا رأت الماء قالت قطا قطا فتعرف العرب دنو الماء ولهذا يقال فلان اصدق من القطا (وتقصر) بضم الصاد (بها) وفى نسخة فيها (الخطى) بضم ففتح جمع الخطوة بضم وفتح اى تعجز فى تلك المفازة او سيرها الخطوات من الاعياء (ومجاهل) بفتح الميم وكسر الهاء عطفا على مهامه وهو جمع مجهل للمكان الذى لا علم فيه يهتدى به (تضل) بفتح فكسر اى تضيع وتهلك (فيها الاحلام) بالفتح جمع الحلم بالكسر اى العقول (ان لم تهتد) اى الاحلام (بعلم علم) بفتح العين واللام فى الاول وبكسر فسكون فى الثانى اى بعلامة يعلم بها فالعلم بمعنى العلوم او المراد به نوع من العلوم واغرب الحلبى بقوله الظاهر ان المراد بالعلم الجبل وابعد محشى آخر بقوله المراد به الراية ولعل محمل كلامهما قصد الاستعارة بهما وقال الدلجى من اضافة المشبه به الى المشبه من التشبيه المؤكد اى بعلم كالعلم (ونظر سديد) بسين مهملة اى وتأمل على صوب صواب (ومداحض) بالرفع اى مزالق (تزل) بفتح فكسر فتشديد (بها) اى بسببها او فيها (الاقدام ان لم تعتمد) اى الاقدام مجازا او اصحابها (على توفيق من الله وتأييد) بيائين اى تقوية واعانة على نيل المراد من التحقيق (لكنى) اى مع هذا كله من صعوبة الحال ومزلة اقدام الرجال بحيث كاد قبولها ان يكون من المحال تحملت المقال وقبلت السؤال (لما ارجوه) بكسر اللام وتخفيف الميم على ان اللام للعلة وما موصوفة او موصولة وهو بصيغة المتكلم وفى نسخة بالخطاب وهو بعيد ولا يبعد ان يضبط لما بفتح اللام وتشديد الميم على الظرفية كما عليه جمهور القراء فى قوله تعالى لما صبروا الا انه يمنعه وجود من البيانية بعده والحاصل ان خبر لكن مقدر كما اشرنا اليه وقوله (لى ولك) متعلق برجوته (فى هذا السؤال والجواب) اى بسببهما لف ونشر غير مرتب وقدم نفسه فى الدعاء لانه الادب المستحب وقدم السؤال لان وجوده مقدم على الجواب وشهوده (من نوال) بيان لما اى حصول حسن منال وطيب حال ومآل فى الدنيا (وثواب) اى وتحصيل جزاء وعطاء فى العقبى (بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم) بضمتين ويسكن الثانى اى بسبب تبيينهما (وبيان خصائصه) اى فضائله المختصة (التى لم تجتمع قبل) اى قبل خلقه (فى مخلوق) ومن المعلوم استحالة وجود مثله بعده (وما يدان) اى وبيان ما يطاع (الله تعالى به) اى ويتخذ

دينا (من حقه الذى هو ارفع الحقوق) اى بعد حق الحق (ليستيقن) متعلق بتعريف اى ليثبت او يتيقن (الذين اوتوا الكتاب) اى نبوته ايقانا يريد العلماء به (ويزداد) اى بذلك (الذين آمنوا ايمانا) يريد العوام او الاعم والله اعلم ثم قوله ليستيقن علة لقوله بتعريف قدره وبيان خصائصه واما قول التلمسانى اى اكنى افعل لما رجوته وليستيقن فمخالف للنسخ المصححة حيث لم يوجد فيها الواو العاطفة (ولما) عطف على لما رجوته اى ولاجل ما (اخذ الله على الذين اوتوا الكتاب) اى من الميثاق وفى نسخة ميثاق الذين اوتوا الكتاب اى من العلماء (لتبيننه) بفتح اللام على انه جواب للقسم الذى ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين اى استحلفهم والمعنى ليظهرن امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جميعه (للناس ولا يكتمونه) اى شيأ منه وهو المناسب للمقام اراد الضمير للكتاب وهو مشتمل على المرام وفى بعض النسخ بالخطاب فيهما وهو صحيح وقد قرأ بهما السبعة فى الكتاب فالياء لغيبتهم والتاء حكاية لمخاطبتهم وتتمة الاية المقتبس منها فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون وعن على كرم الله تعالى وجهه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا (ولما) اى وللحديث الذى (حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله تعالى بقراءتى عليه) وهو هشام بن احمد بن هشام ابن خالد الاندلسى الوقشى بفتح الواو والقاف وبالشين المعجمة نسبة الى وقش قرية من قرى طليطلة بالاندلس الكنانى الفقيه الحافظ ولد سنة ثمان واربعمائة واشتغل بالفنون وقرأ على المشايخ ومهر فى النحو والعربية واللغة وفنون الادب واعتنى بالحديث قال القاضى عياض كان غاية فى الضبط والاتقان وله تنبيهات وردود على كبار المصنفين فى بعضها يقال وكان له نظر فى الاصول واتهم بالاعتزال وكان من المتسعين فى ضروب المعارف وكان يعرف الفرائض والهندسة وغيرهما ومات فى جمادى الاخرة سنة تسع وثمانين واربعمائة كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى هو هشام بن احمد بن هشام الهلالى يعرف بابن بقوة بالباء الموحدة المفتوحة والقاف الساكنة بعدها واو مفتوحة وتاء مقلوبة فى الوقف هاء وهو امام حافظ وشيخ من الشيوخ الذين اعتمد على النقل عنهم فى هذا الكتاب وغيره وكثرت الروايات عنه فى اسانيد القاضى رحمه الله تعالى وتكرر السماع عليه ذكره الحافظ ابو محمد بن عبيد الله الحجرى وابو العباس احمد بن الزبير الثقفى وللقاضى رحمه الله شيخ آخر على نحو هذا الاسم وهو القاضى ابو الوليد هشام بن احمد بن سعيد الكنانى الوقشى الضابط صاحب كتاب غريب الموطأ جليل النفع كثير القدر والله تعالى اعلم (قال) اى هشام (حدثنا الحسين بن محمد) زاد فى نسخة الجيانى بجيم مفتوحة فسكون تحتية فهمزة ممدودة فنون فياء نسبة وهو الحافظ ابو على الغسانى وستأتى ترجمته مبسوطة كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى له كتب مفيدة جدا توفى سنة ثمان وتسعين واربعمائة (حدثنا ابو عمر) بضم العين (النمرى) بفتح النون والميم نسبة الى نمر بكسر الميم وهو ابو قبيلة وانما فتح فى النسب استيحاشا لتوالى الكسرات وهو حافظ الغرب وشيخ الاسلام ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى الاندلسى الشاطبى ولد فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة وترجمته شهيرة وتصانيفه كثيرة توفى بشاطبة ليلة الجمعة سلخ شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين واربعمائة واستكمل خمسا وتسعين سنة وخمسة ايام واعلم انه وقع فى اصل التلمسانى زيادة حدثنا ابو بكر احمد بن على بن ثابت الخطيب الشيبانى التبريزى البغدادى مات فى ذى الحجة سنة ثمان وستين واربعمائة حتى قال الناس مات فى هذه السنة حافظ المشرق وحافظ المغرب يعنون ابا بكر الخطيب وابا عمر رحمهما الله (حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن) اى القرطبى من قدماء شيوخ ابن عبد البر قال الذهبى فى الميزان كان تاجرا صدوقا لقى ابن داسه والنجار كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى يعرف بابن الزيات شيخ ابى عمر ابن عبد البر روى عنه فى المسند الكبير (حدثنا ابو بكر محمد بن بكر) اى ابن محمد بن عبد الرزاق بن داسه بمهملتين وتخفيف الثانية عند الجمهور بصرى وهو احد رواة ابى داود وعنه مشهور الترجمة وقد روى عنه بالاجازة ابو نعيم الاصبهانى (حدثنا سليمان ابن الاشعث) وهو الامام الحافظ صاحب السنن ابو داود السجستانى قال ابو عبيد الآجرى سمعته يقول ولدت سنة ثنتين ومائتين وكتب عنه شيخه احمد بن حنبل حديث العتيرة واراه كتابه فاستحسنه ومناقبه معروفة قيل الين الحديث لابى داود كما الين الحديد لداود عليه السلام مات فى سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة (حدثنا موسى بن اسمعيل) وهو ابو سلمة التبوذكى نسبة الى تبوذك لدار اشتراها الحافظ روى عن شعبة وهمام وخلق وروى عنه البخارى وابو داود وقال عباس الدورى كتبنا عنه خمسة وثلاثين الف حديث توفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ثقة ثبت اخرج له الجماعة اصحاب الكتب الستة (حدثنا حماد) وهو ابن سلمة بن دينار الامام ابو سلمة احد الاعلام روى عن ابى عمران الجونى وغيره وروى عنه شعبة ومالك وغيرهما صدوق يغلط وليس هو فى قوة مالك واخرج له مسلم والاربعة كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى هو حماد بن زيد بن درهم يكنى ابا اسماعيل الازرق مولى جرير بن حازم

البصرى الازدى اخو سعيد مات سنة تسع وتسعين ومائة (اخبرنا على بن الحكم) اى البنانى البصرى روى عن انس وابى عثمان النهدى وطائفة منهم نافع وعنه الحمادان وعبد الوارث وعدة اخرج له البخارى والاربعة (عن عطاء) اى ابن ابى رباح ابو محمد القرشى مولاهم المكى احد الاعلام يروى عن عائشة وابى هريرة وخلق وعنه الاوزاعى وابن جريج وابو حنيفة والليث وامم توفى وله ثمانون سنة اخرج له الائمة الستة كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى هو ابن يسار ابو محمد مولى ميمونة بنت الحارث زوج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو هلالى مدنى توفى سنة ثلاث ومائة (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) وهو عبد الرحمن بن صخر على الاصح من بين نيف وثلاثين قولا وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى كمه هرة فقال يا ابا هريرة فاشتهر به وقد بسطنا ترجمته فى المرقاة شرح المشكاة والاوجه فى وجه عدم انصراف هريرة فى ابى هريرة هو ان هريرة صارت علما فالتلك العلمية ونقل التلمسانى فى كنيته انه هل يجر اولا قال ابو الفضل قاسم بن سعيد العقبانى انه يجر ورواه عن الائمة المشارقة منهم ابن حجر يعنى العسقلانى ونصره الشيخ ابو عبد الله ابن مرزوق وقال هريرة اسم جنس مصروف اضيف اليه فهو على ما هو عليه وهو جزء اسم وجزء الاسم يجر وذكر لى بعض اصحابنا ان ابا الفضل هو الذى افاد المشارقة صرفه فانهم كانوا لا يجرونه فابدى لهم علة الجر واستحسنوها وصوبوها وقال قوم انه لا يجر وبه قال الشمنى المشرقى وابو عبد الله من شيوخنا والف فيه وقال انه بعد التركيب حدث فيه المنع لانه علم وفيه تأنيث وهما مانعان ومنه قوله فى ابى خراشة

اباخراشة اما انت ذا نفر * فان قومى لم تأكلهم الضبع

وروى ابو شاة فى قوله فقال رجل يقال له ابو شاة واكتبوا لابى شاة بالوجهين وهو كابى هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) هو سيد العالمين وسند العالمين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان على هذا النسب وقع اجماع الامة وقد ضبطت هذه الاسماء فى رسالتى المسماة بالمورد فى المولد وقد ولد صلى الله تعالى عليه وسلم بالشعب وقيل بالدار التى عند الصفا التى بنتها زبيدة مسجدا (من سئل عن علم) اى مما يتعين تعليمه وقيل الحديث ورد فى الشهادة وقيل فى تبليغ الرسالة عند الحاجة والاظهر ان المراد به العلم الشرعى كما قال به الحليمى وكثيرون ويؤيده حديث ابن ماجه من كتم علما مما ينفع الله به الناس فى الدين الجمه الله بلجام من نار والعلوم الشرعية ما يستفيدون من الكتاب والسنة من اصولها وفروعها ومقدماتها التى تتوقف على معرفتها بقدر الحاجة اليها دون التوغل فيها (فكتمه) اى بعد ما علمه (الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة) اى عند قيامهم من قبورهم واللجام بالكسر ما تلجم به الدابة لمنعها عن النفور شبه ما يوضع فى فيه من نار بلجام فى فم الدابة وهو انما كان جزاء امساكه عن القول الحق وخص اللجام بالذكر تشبيها له بالحيوان الذى يسخر ويمنع من قصد ما يريده فان العلم من شانه ان يدعو الناس الى الحق القويم ويرشدهم الى الطريق المستقيم وقد اخرجه ابو داود والترمذى وابن ماجه والنسائى وقال الترمذى حسن واخرجه ايضا احمد وابن حبان والحاكم وصححه وفى حديث ابن مسعود فكتمه عن اهله وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كتم علما علمه الله او اخذ عليه اجرا جيء به يوم القيامة ملجما بلجام من نار وقال الشافعى

ومن منح الجهال علما اضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وسئل بشر عن هذا الحديث فقال اياى تعنى دع هذا اللجاج هنا حتى يأتى اهله فان نشره فى غير اهله كمنعه عن اهله وروى عن انس مرفوعا قال لا تطرحوا الدر فى افواه الكلاب يعنى الفقه والعلم فى ايدى الظالمين والمرائين وطالبى الدنيا وعن انس ايضا مرفوعا طلب العلم فريضة وواضع العلم فى غير اهله كمعلق الجوهر واللؤلؤ على الخنزير وروى مرفوعا ان عيسى عليه السلام قام خطيبا فى بنى اسرائيل وقال لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم ومما ينسب لعلى كرم الله تعالى وجهه

وناشر العلم بين الجاهلين به * كموقد الشمع فى بيت لعميان

(فبادرت) عطف على الخبر المقدر اى وله لكنى قبلت وما تأخرت بل اقبلت فبادرت (الى نكت) بضم ففتح جمع نكتة وهى ما خفى ادراكه حتى يفتقر الى تفكر ونكت فى الارض واما قول بعض هى كل نقطة من بياض فى سواد وعكسه فليس فى محله المراد اى الى بيان لطائف (مسفرة) بكسر الفاء اى مضيئة ومنيرة وموضحة ومبينة وفى نسخة سافرة اى كاشفة (عن وجه الغرض) اى المطلب والمقصد (مؤديا من ذلك) اى حال كونى مؤديا من اجل ما ذكر (الحق المفترض) بفتح الراء (اختلستها على استعجال) وكان الاولى ان يقول الاستعجال ليلائم تعريف البال وفى نسخة اختلسها

بالمضارع المتكلم ووقع فى نسخة اختلسوها بالواو اى المفروض من نشر العلم واظهاره لاسيما بعد السؤال وتكراره وهو خطأ ظاهر ثم الاختلاس بالخاء المعجمة اختطاف الشئ بسرعة فى الكلام تأكيد او تجريد (لما) بكسر اللام علة للمبادرة او الاختلاس وما موصولة اى للامر الذى (المرء بصدده) اى فى سبيله مما استقبله (من شغل البدن والبال) اى من الاشتغال المتعلق بالقالب والقلب والمال والحال وحسن المآل ثم الشغل بضمتين وبضم فسكون وقرئ بهما فى السبع وبفتح فسكون وقيل بفتحتين ضد الفراغ والبال بالموحدة القلب والحال ويصح ارادة كل منهما خلافا لما قاله الحلبى من ان المراد به الاول لذكر البدن (بما طوقه) اى الانسان كما فى نسخة صحيحة هو بضم طاء وكسر واو مشددة اى بسبب ما حمله الله وكلفه وفى نسخة صحيحة بما قلده الانسان اى الزمه كالطوق فى عنقه (من مقاليد المحنة) اى مفاتيح المشقة والبلية (التى ابتلى بها) بصيغة المجهول والظاهر انه اراد بالمحنة جميع الامور التكليفية والحوادث الكونية النازلة على الافراد الانسانية والحلبى حملها على محنة مباشرة الاحكام والقضاء واورد حديث من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين رواه اصحاب السنن الاربعة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وقال الترمذى حسن غريب وقال الحاكم صحيح الاسناد وفى رواية للنسائى من استعمل على القضاء فكانما ذبح بالسكين وقال التلمسانى اراد المصنف بذلك كونه فى خطة القضاء التى هى محنة وبلية كما قاله بعضهم (فكادت) اى قربت مقاليد المحنة (تشغل) اى الانسان (عن كل فرض ونفل) وهو بفتح التاء والغين واما اشغل فهو لغة جيدة او قليلة او رديئة على ما فى القاموس (وترد) اى وكادت ترد السالك (بعد حسن التقويم) اى باستقامته على الطريق القويم (الى اسفل سفل) وهو بضم السين وكسرها ضد العلو والمعنى الى قبح التنزل بارتكاب الفعل الذميم ايماء الى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم اى من الفطرة المستقيمة ثم رددناه اسفل سافلين اى من ارتكاب المعصية الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون يعنى وهم فى اعلى عليين وثوابهم غير مقطوع فى كل زمان وحين (ولو اراد الله بالانسان) اى بفرد من هذا الجنس وفى نسخة بعبده (خيرا) اى فى تحصيل كماله وتحسين مآله (لجعل شغله) اى جعل اشتغال خاطره (وهمه) اى ما يهتم به الانسان ويروى ووهمه اى باله يعنى اهتمام باله (كله فيما يحمد) بصيغة المعلوم اى فى فعل مامور وترك منهى مما يمدحه الانسان (غدا) اى يوم القيامة (او يذم) اى مما يكرهه السالك (محله) بفتح الحاء ويجوز كسرها والحاصل ان يكون شغله وهمه فى بيان الامر الممدوح والمذموم بان يرتكب الاول ويجتنب الثانى وقال الشمنى اى فيما يحمد بفعله واجبا كان او نفلا او فيما يذم بتركه وهو الواجب انتهى وبعده لا يخفى وفى نسخة صحيحة ولا يذم بصيغة المجهول فيه وفيما قبله وهو ظاهر جدا ومحله مفعول ليحمد ويذم على التنازع خلافا للتلمسانى حيث جعل العائد على الموصول فيما يحمد منصوبا محذوفا واما بناء الفعلين على صيغة المجهول ورفع محله كما قاله الدلجى فمخل للتسجيع بقوله كله (فليس ثم) بفتح وتشديد ويوقف عليه بلا هاء السكت كما فى قوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت وقال التلمسانى ولك الاتيان بهاء السكت وهو الاكثر اى هنالك غدا (سوى حضرة النعيم) اى حضوره وفيه اشارة الى قوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا وفى نسخة صحيحة نضرة النعيم واقتصر عليه التلمسانى اشعارا الى قوله تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم اى بهجته وحسنه وابعد من قال انه من اضافة الشئ الى نفسه ومنعه البصرى ويجوزه الكوفى على ما ذكره التلمسانى (او عذاب الجحيم) اى لانحصار المرتبتين كما قال الله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم (ولكان) عطف على لجعل (عليه) اى لوجب عليه الاشتغال (بخويصته) بضم ففتح فسكون فشددة تصغير خاصة والمراد بها نفسه او الامر الذى يختص به من المهمات الدينية والدنيوية وروى بخويصة نفسه وقد قيل المراد بها الموت وفيه ايماء الى قوله تعالى عليكم انفسكم والى ما ورد عليك بخاصة نفسك ودع عنك امر العامة ومن غريب ما وقع ان بعض الناصحين قال لمن كان فى صدد ان يكون من السلاطين عليك بخويصة نفسك فلما تولى بعد مدة من الزمان قال اقتلوه فان صفير صاده فى اذنى الى الآن (واستنقاذ مهجته) بضم الميم اى استخلاص روحه مما يرديه (وعمل صالح يستزيده) اى الانسان بان يجعل ذلك العمل سببا لزيادة درجته (وعلم نافع) اى شرعى (يفيده) اى لغيره فيكون معلما (او يستفيده) اى بنفسه بان يكون عالما او من غيره فيكون متعلما (جبر الله صدع قلوبنا) اى اصلح الله كسرها بما اعتراها من طوارق محن وبوارق احن (وغفر عظيم ذنوبنا) اى ومحا عيوبنا العظيمة وسترها (وجعل جميع استعدادنا) اى عدتنا فى امر زادنا (لمعادنا) اى ليعود نفعه لنا فى مرجعنا آخر امرنا (وتوفر دواعينا) اى وجعل تكثير مكاسب بواعث مطالبنا (فيما ينجينا) من الانجاء او التنجية اى فيما يخلصنا وفيه ايماء الى الدعاء المأثور لا تجعل الدنيا اكبر همنا وفى نسخة بفتح الفاء فى توفر على انه جملة دعائية معطوفة على ما قبلها من الجمل ولو روى بصيغة المضارع المعلوم لناسب قوله (ويقربنا الى الله زلفى) اى تقريبا خاصا وفى التنزيل ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال البيضاوى

زلفى مصدر او حال واغرب التلمسانى فى قوله انه جمع مفرده زلفة اذ الصواب ان جمع زلفة زلف ككاف جمع كلفة (ويحظينا) بضم اوله وكسر الظاء المعجمة اى يرفع قدرنا ويخصنا بالمنزلة العلية والمرتبة الحظية (بمنه) اى بسبب امتنانه وهو متعلق بيحظينا ويقربنا ايضا وابعد التلمسانى فى قوله اى متوسلين بمنه (ورحمته) اى باحسانه والمعنى انه لا يعاملنا باعمالنا ولعل الجمل المضارعية احوال من الجمل الدعائية (ولما نويت تقريبه) اى وحين اردت تقريب التصنيف الى عالم وجوده بفضل الله وجوده (ودرجت تبويبه) بتشديد الراء اى جعلت تبويبه مرتبا ومدرجا بمعنى درجة درجة فى التأليف (ومهدت تأصيله) بتشديد الهاء اى صيرت اصوله ممهدة مؤسسة واغرب التلمسانى حيث قال مهدت اى فرشت وتأصيله اى تفريقه (وخلصت تفصيله) اى وجعلت فصوله مبينة معينة (وانتحيت) اى وقصدت (حصره وتحصيله) اى تثبيته فى الامور التى ذكرها قال التلمسانى وفى رواية بالخاء المعجمة والباء الموحدة من الانتخاب وهو التصفية الا ان الرواية الاولى اظهر من الثانية قلت بل لا يظهر له معنى اصلا لقوله انتخبت حصره فهو تصحيف وتحريف بلا شبهة (ترجمته) جواب لما اى سميته (بالشفا) وهو بكسر الشين ممدودا وقصر وقفا ومراعاة للسجع بقوله (بتعريف حقوق المصطفى) وقد اجازوا للناثر ما يجوز للشاعر من الضرائر وقصر الممدود سائغ اتفاقا واجاز عكسه الكوفيون ومنعه البصريون بحجة الاولين فلا فقر يدوم ولا غناء ورد بان الرواية الصحيحة فلا فقر يدوم ولا غنا كما اغرب الحلبى فى نقل كلام ابن مرزوق بقوله ويقال انه قصره لان هذا الكتاب يقصر عن حقوقه صلى الله تعالى عليه وسلم والله اعلم (وحصرت الكلام فيه) اى فى هذا الكتاب (فى اقسام اربعة) وفى نسخة اربعة اقسام وهذا بيان بعد الاجمال والله اعلم بالحال (القسم الاول) بكسر القاف وهو النصيب والجزء واما بالفتح فهو مصدر قسمت الشئ (فى تعظيم العلى الاعلى) من باب اضافة المصدر الى فاعله اى الله سبحانه وتعالى (لقدر هذا النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم زيد فى نسخة الكريم والاولى وجود المصطفى (قولا وفعلا) كما سيأتى كذلك (وتوجه الكلام) بصيغة الماضى اى انحصر (فيه) اى فى القسم الاول ولا يبعد ان يكون مصدرا مبتدأ خبره قوله (فى اربعة ابواب الباب الاول) اى من القسم الاول (فى ثنائه تعالى) اى حسن ذكره (عليه واظهاره عظيم قدره) اى مرتبته (لديه) وهو مع مراعاته للسجع اخص من عنده على ما قاله النحويون من ان عنده يجوز ان يكون بحضرته وفى ملكه واما لديه فمختص بالحضرة (وفيه عشرة فصول) سيأتى تفصيلها (الباب الثانى) اى من القسم الاول (فى تكميله تعالى له المحاسن) اى المناقب الصورية والمعنوية جمع حسن على غير قياس وكانه جمع محسن (خلقا) بالفتح (وخلقا) بضمتين وبسكون الثانى وقدم الاول لسبق وجوده الناشئ منه اظهار كرمه وجوده (وقرانه) بكسر القاف اى وفى مقارنته وجمعه (جميع الفضائل الدينية والدنيوية) بحذف الالف عند مباشرة ياء النسبة والمراد بها الفضائل الدنيوية التى تنفع فى الامور الاخروية والا فقد قال انتم اعلم بامور دنياكم ثم الدنيا على ما قاله المصنف فى مشارق الانوار اسم لهذه الحياة لدنوها من اهلها او بعد الاخرة عنها انتهى وقيل لدناءتها (فيه) اى فى حقه (نسقا) بفتحتين اى جمعا متتابعا ولا معنى لقول التلمسانى هنا اى عطفا وتبعا وقد اجاد الدلجى حيث افاد اى متناسبا بعضها بعضا مستوية فى كمالها كجواهر منتظمة فى نظام واحد زيادة لجمالها (وفيه سبعة وعشرون فصلا) قال التلمسانى بل هى ستة وعشرون فصلا اقول ولعله اتى بالسابع فضلا (الباب الثالث) اى من القسم الاول من الكتاب (فيما ورد من صحيح الاخبار) اى الاحاديث والآثار (ومشهورها) اى مشهور الاخبار عند الاخيار (بعظيم قدره عند ربه ومنزلته) اى مكانته وهو عطف تفسير لعظيم قدره (وما خصه) اى الله تعالى كما فى نسخة يعنى وبما جعله مخصوصا (به فى الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا) هكذا فى النسخ كلها التى عليها الرواية والتصحيح والمقابلة والذى فى هذا الباب من الفصول خمسة عشر ولعله اراد بالاثنى عشر فصولا مهمة وبزيادة الثلاثة مكملة ومتممة وهذا ملخص كلام التلمسانى (الباب الرابع) اى من القسم الاول (فيما اظهره الله تعالى على يديه) اى بسببه (من الآيات) اى العلامات التى هى خوارق العادات (والمعجزات) وهى تختص بالتحدى (وشرفه به من الخصائص والكرامات) تعميم بعد تخصيص وايماء الى ان كرامات اولياء امته بمنزلة معجزاته وفى مرتبة كراماته (وفيه ثلاثون فصلا) قال التلمسانى الذى فيه من الفصول تسعة وعشرون ولعله عد ما صدر من الباب الى الفصل فصلا (القسم الثانى فيما يجب على الانام) قال محش فيه اقوال فقيل كل من يعتريه النوم وقيل الانام الاناس وقيل الانام المخلوقات قلت يرد القول الاول انه مهموز لا معتل العين ففى القاموس الانام كسحاب الخلق او الجن والانس او جميع ما على وجه الارض انتهى ولعل الحلق خصه بالحيوانات اولا ولا يخفى ان المعانى الثلاثة محتملة فى قوله تعالى والارض وضعها للانام واما هنا فيراد به الانس والجن او جميع الخلق على القول بانه بعث الى الخلق كافة كما فى رواية مسلم فيجب على كل فرد من

المخلوقات ما يناسبه فى كل مقام (من حقوقه عليه الصلاة والسلام ويترتب القول) قال التلمسانى اى يتمكن
والظاهر ان المعنى يجيء الكلام مرتبا (فيه) اى فى هذا القسم (فى اربعة ابواب الباب الاول) اى من القسم
الثانى (فى فرض الايمان به) اى فى بيان كون الايمان به فرضا عينيا على جميع الاعيان (ووجوب طاعته) اى
فى سائر ما امر به ونهى عنه (واتباع سنته) اى متابعة طريقته اى قولا وفعلا وتخلقا (وفيه خمسة فصول) قال
التلمسانى بل هى اربعة والعذر تقدم (الباب الثانى) اى من القسم الثانى (فى لزوم محبته ومناصحته) اى مصادقته
وموافقته ومخالصته (وفيه ستة فصول) بل هى خمسة (الباب الثالث) اى من القسم الثانى (فى تعظيم امره)
اى شأنه او حكمه (ولزوم توقيره) اى تعظيمه ونصره (وبره) اى زيادة احسانه وعدم مخالفته فانه فوق منزلة الاب
وفى قرآءة شاذة وهو اب لهم فيجب بره ويحرم عقوقه ولو فى امر مباح فى حده وقيل طاعته (وفيه سبعة فصول) بل
ستة (الباب الرابع) اى من القسم الثانى (فى حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك) بالجراى وفى بيان فرض
ماذكر (وفضيلته) اى وفى ثواب ماذكر وزيادة فضله (وفيه عشرة فصول) بل تسعة (القسم الثالث فيما يستحيل)
اى لا يمكن وجوده (فى حقه) اى عقلا ونقلا (ومايجوز عليه شرعا) اى قولا وفعلا (ومايمتنع) اى فى الجملة اومالا يجوز
عليه شرعا (ويصح) اى ومايصح (من الامور البشرية ان يضاف) اى ينسب خلاصة فائدتها (اليه وهذا
القسم) اى الثالث (اكرمك الله) جملة اعتراضية بين المبتدأ وخبره وردت دعاء لمن خوطب به كما فى قوله

ان الثمانين وبلغتها ✱ قد احوجت سمعى الى ترجمان

وقد يرد الاعتراض للتنزيه كما فى قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون او للتنبيه فى مثل

واعلم فعلم المرء ينفعه ✱ ان سوف يأتى كل ماقدرا

(هو سر الكتاب) اى خلاصته (ولباب ثمرة هذه الابواب) اى ابواب هذا القسم كما ذكره الدلجى والصواب ابواب
هذا الكتاب والمعنى انه زبدة نتيجتها وخلاصة فائدتها (وماقبله) اى من القسمين (له كالقواعد) جمع القاعدة وهى
الاساس فى المنقولات والمعقولات من قوانين كلية مشتملة على مسائل جزئية (والتمهيدات) اى التوطئات
(والدلائل) اى وكالدلائل العقلية والنقلية (على مانورده فيه) اى فى حقه مايجب ويستحب ويباح ويحرم وغير ذلك
مما يعز رفائله اويؤدب (من النكت البينات) اى اللطائف الواضحات (وهو) اى هذا القسم الثالث ايضا (الحاكم
على مابعده) اى من القسم الاخير (والمنجز) بصيغة الفاعل مخففا اى وهو الموفى (من غرض هذا التاليف وعده)
اى الذى سبق وحده (وعند التقصى) بالقاف بمعنى الاستقصاء والتتبع اى وعند بلوغ المقصد الاقصى (الموعدته) بفتح
الميم وكسر العين والتاء فيه للوحدة وهو بمعنى الموعد والمراد به المصدر وان كان يصلح ان يكون زمانا اومكانا وقيل
الموعدة اسم للعدة (والتفصى) بالفاء اى التخلص والتفلت (عن عهدته) اى التزامه وتحمله (يشرق) بفتح الياء والراء
اى يضيق (صدر العدو) اى قلبه واغرب التلمسانى بقوله هو مقدم كل شئ واوله (اللعين) اى الملعون حسدا منه
والمراد بالعدو الجنس اوابليس واقتصر عليه التلمسانى والاول اظهر واتم لشموله كل كافر كما يدل عليه مقابلته
بالمؤمن فى قوله (ويشرق) بضم اوله وكسر الراء اى يضيء ويستنير (قلب المؤمن باليقين) قيد مخرج للمنافقين وفى
الكلام تجنيس تحريف (وتملأ انواره) اى انوار يقينه (جوانح صدره) بفتح الجيم وكسر النون جمع جانحة اى
اضلاعه التى تحت الترائب مما يلى الصدر كالضلوع مما يلى الظهر والمراد الاحاطة بجميع جوانب صدره (ويقدر)
بضم الدال وقول التلمسانى بضم وبكسر ليس فى محله اى يعظم اويعرف (العاقل) بالمهملة والقاف وفى نسخة
بالمعجمة والفاء (النبى حق قدره) اى حق عظمته اوحق معرفته

اذ مبلغ العلم فيه انه بشر ✱ وانه خير خلق الله كلهم

ولذا قال بعض العارفين الخلق عرفوا الله تعالى وما عرفوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (ويتحرر) اى يتخلص
ويتخلص (الكلام فيه فى بابين الباب الاول) اى من القسم الثالث (فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث) اى يتعلق
(به القول فى العصمة) وهى خلق الله تعالى الامتناع من المعصية والامور الدنية (وفيه ستة عشر فصلا) هذا صحيح
ليس فيه اعتراض اصلا (الباب الثانى) اى من القسم الثالث (فى احواله الدنيوية ومايجوز) طروءه بضمتين فسكون
واو فهمز وفى نسخة بالادغام اى وقوعه وحدوثه (عليه من الاعراض البشرية) اى من العوارض الانسانية
فان الاعراض جمع عرض بفتحتين وهو مايعرض للانسان من مرض ونحوه من السهو والنسيان ثم اعلم ان
صاحب القاموس ذكر مادة طرأ مهموزا ومعتلا وعلى تقدير الهمز يجوز الابدال والادغام (وفيه تسعة فصول) بل
ثمانية (القسم الرابع فى تصرف وجوه الاحكام) اى تنوع انواعها من مسائلها ونوازلها (على من تنقصه) اى

من عد فيه نقصا اوتكلم بما يتضمن نقصه (اوسبه) تخصيص بعد تعميم اى شتمه (عليه الصلاة والسلام) وفى معناه
سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وينقسم الكلام فيه فى بابين الباب الاول) اى من القسم الرابع (فى بيان ماهو فى
حقه سب ونقص) تعميم بعد تخصيص (من تعريض) اى كناية وتلويح (اونص) اى ظاهر وتصريح وقال محش نص
عليه اذا عينه وعرض اذا لم يذكره منصوصا عليه بل يفهم الغرض بقرينة الحال (وفيه عشرة فصول) بل تسعة
(الباب الثانى) اى من القسم الرابع (فى حكم شانئه) بهمز بعد النون اى مبغضه ومنه قوله تعالى ان شانئك
هو الابتر (ومؤذيه) بالهمز ويجوز ابداله اى مضره وهو اخص مما قبله وبعده وهو قوله (ومنتقصه) وفى نسخة
متنقصه (وعقوبته) اى وفى بيان عقابه وجزائه فى الدنيا (وذكر استتابته) اى طلب توبته (والصلاة) اى وذكر
صلاة الجنازة (عليه ووراثته) اى من المسلم او المسلم منه (وفيه عشرة فصول) قال الحلبى هكذا فى الاصول لكن بخط
مغلطا اى ان صوابه خمسة يعنى عوض عشرة (وختمناه) اى القسم الرابع (بباب ثالث جعلناه تكملة) اى تكميلا
(لهذه المسئلة ووصلة) بضم الواو اى توصيلا (للبابين اللذين قبله) اى من القسم الرابع (فى حكم من سب الله تعالى
ورسله) وكذا حكم انبيائه (وملائكته وكتبه) اى المنزلة (وآل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وصحبه) عموما وخصوصا (واختصر الكلام) بصيغة المجهول الماضى وفى نسخة بصيغة المتكلم وفى اخرى واختصرنا
الكلام اى بالاقتصار على المقصود (فيه) اى فى هذا الباب (فى خمسة فصول) بل فى عشرة فصول على ماذكره
التلمسانى وقال الحلبى هكذا وقع ايضا فى الاصول وصوابه عشرة فصول لانه فيما يأتى ذكره عشرة (وبتمامها) اى باتمام
فصول هذا الباب الثالث من القسم الرابع (ينتجز الكتاب) اى ينقضى وينتهى (وتتم) اى وتكمل (الاقسام)
اى الاربعة (والابواب) اى الثلاثة عشر جميعها وهو كالتفسير لما قبله (وتلوح) اى تضيء وتظهر به (فى غرة الايمان)
اى بياض جبهته ومقدمة طلعته (لمعة) بالضم اى قطعة (منيرة) اى منورة لمن اطلع عليها وقد يقال الغرة استعيرت
للشرف والشهرة (وفى تاج التراجم) بكسر الجيم اى ويلوح فى تاج تراجم الايقان (درة خطيرة) اى ذات خطر وقدر
ويعنى بها جوهرة نفيسة اولؤلؤة ليس لها قيمة لمن وقع يده عليها ثم كل من لمعة ودرة مرفوعة على الفاعلية لان لاح فعل
لازم ففى القاموس لاح بدا والبرق اومض كلاح وجعل التلمسانى ضمير يلوح الى الكتاب المتقدم ذكره وانتصابهما
على الحال (تزيح) استئناف مبين اوجملة حالية من الازاحة اى تزيل اللمعة وفى معناها الدرة (كل لبس) بفتح فسكون
اى اشكال وخلط وشبهة وخبط (وتوضح) اى تكشف وتظهر (كل تخمين) اى قول من غير تحقيق (وحدس)
اى صادر عن ظن ووهم وهو قد سقط من اصل المؤلف على ماقاله بعضهم لكن لابد من ذكره لتمام السجع وهما
بمعنى واحد (وتشفى صدور قوم مؤمنين) عطف على تلوح وفى نسخة بحذف الياء ولعله قصد التلاوة لكنه مع مابعده
بصيغة التأنيث فى نسخة صحيحة (وتصدع بالحق) اى تجهر به وتظهره (وتعرض عن الجاهلين) اى تتركهم ايماء الى
قوله سبحانه وتعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين (وبالله تعالى لا اله) اى لنا كلنا ولا معبود بحق موجود
(سواه) اى غيره والجملة معترضة حالية (استعين) اى اطلب المعونة به لا بغيره من المخلوقين بقوله تعالى اياك نستعين
اى نخصك بالاستعانة لان غيرك عاجز عن الاعانة وفى نسخة وبالله لا سواه استعين لا اله الا هو الملك الحق المبين

(القسم الاول)

(فى تعظيم العلى الاعلى) اى رفعة ورتبة (لقدر النبى المصطفى) وفى نسخة بحذف النبى ووجوده اولى كما لا يخفى
(قولا) ورد به القرآن الكريم والفرقان القديم (وفعلا) من معجزات باهرة وآيات ظاهرة ونصبهما بنزع الخافض
(قال الفقيه) على مافى نسخة (القاضى الامام) على مافى اخرى (ابو الفضل رحمه الله تعالى) ففيه اشعار بانه ملحق من
كلام غيره وفى نسخة صحيحة وفقه الله وسدده ففيه تصريح بانه من كلام نفسه لكن لا يلائمه حينئذ وصف الامام
(لا خفاء) بفتح الخاء اى لا يخفى (على من مارس) اى لازم ودارس (شيأ) اى قليلا (من العلم اوخص) بصيغة
المجهول اى خصه الله تعالى من بين العوام (بادنى لمحة) بفتح اللام وهى النظرة الخفية ويروى لحظة واما قول
التلمسانى هى بضم اوله اى شئ قليل من النظر واصله من لمح البصر وهو نظر لا تردد فيه واللمحة بالفتح المرة وهو الاولى
ههنا لانه اذا كان يفهم ذلك مرة فيظهر فذ والمراد اولى واشهر فهو كلام غير محرر اذ ضم اللام غير مشتهر فتدبر
(من فهم) ويروى من الفهم وهو اظهر (بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه الصلاة والسلام) الباء ظرفية متعلقة
بخفاء وقدر منصوب على المفعولية (وخصوصه اياه) اى وتخصيص الله تعالى نبينا (بفضائل) اى بزوائد من
الكرامات (ومحاسن) اى ومستحسنات من الاخلاق المكرمات (ومناقب) اى ونعوت وصفات كثيرات
من الكمالات العلمية والعملية التى اسناها معرفة الله سبحانه وتعالى من حيث الذات والصفات (لا تنضبط) اى لا
تجتمع لكثرتها ولا تنحصر ولا تدخل تحت ضبط (لزمام) بكسر الزاى قال التلمسانى يروى بالباء واللام انتهى لكنه

فى النسخ المصححة باللام فقط اى اضابط يريد ضبطها ويقصد ربطها ويجتهد فى احصائها ويتوهم امكان استقصائها وهو مستعار من زمام الناقة وهو ما يجعل فى حلقة مسلوكة فى انفها لحصول انقيادها (وتنويهه) اى وبرفع ذكره ومن تبعيضية وابعد الدلجى فى قوله من زائدة (من عظيم قدره) اى من قدره العظيم وفى نسخة صحيحة من عظم قدره وفى اخرى بعظيم قدره (بما تكل) بفتح فكسر فتشديد اى بما تعجز وتعيى (عنه الالسنة) اى السنة الانسان فى البيان (والاقلام) اى وتبيان البنان (فمنها ما صرح به تعالى فى كتابه ونبه به على جليل نصابه) اى عظيم منصبه (واثنى) اى وما اثنى (به عليه) اى فى كتابه (من اخلاقه) اى احواله الباطنة (وآدابه) اى افعاله الظاهرة ثم كما اخبر به عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ادبنى ربى فاحسن تأديبى (وحض) بتشديد المعجمة اى ورغب وحث (العباد على التزامه) اى حملهم على قبول تكليفه بوصف دوامه (وتقلد ايجابه) اى باطاعة جنابه فيما اوجبه فى كتابه (فكان جل جلاله) اى عظمت عظمته وعز جماله (هو الذى تفضل) اى اعطاه من فضله (واولى) اى انعم عليه بما علم المولى بانه الاولى وهذا قبل ظهور وجوده لما تعلق به من كرمه وجوده (ثم طهر وزكى) اى طهره بالتخلية وزكاه بالتحلية فى عالم دنياه بما ينفعه فى عقباه من التحلية واما قول الدلجى ثم طهره من عبادة الاصنام فلا يناسب لمقامه عليه السلام (ثم مدح) اى مدحه (بذلك واثنى) اى عليه مع انه من آثار فعله وانوار فضله فهو الحامد والمحمود كما انه هو الشاهد والمشهود فى جميع ميادين الوجود فليس فى الدار غيره موجود (ثم اثاب) اى جازاه (عليه الجزاء الاوفى) اى بالجزاء الاوفر والحظ الاكبر اونصبه على المصدر من غير فعله (فله الفضل بدأ وعودا) اى فله الاحسان على وجه الزيادة فى الابتداء والاعادة (والحمد لله اولى واخرى) اى فى الدنيا والعقبى وفى نسخة والحمد اولى واخرى عطفا على الفضل اى وله الحمد كما فى قوله تعالى وله الحمد فى الاولى والآخرة فهذه النسخة اولى من الاولى كما لا يخفى ويجوز ان يكونا اسمى تفضيل اى وله أولى الحمد واخراه والمراد استيعابه كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا واما قول بعضهم ان اسم التفضيل لا يستعمل الا مضافا او موصولا بمن او معرفا باللام فمنقوض بقوله سبحانه ولعذاب الآخرة اخزى كانوا هم اظلم واطغى اللهم الا ان يعتبر من المقدرة فى حكم المذكورة (ومنها ما ابرزه) اى اظهره (للعيان) بكسر العين اى للمعاينة (من خلقه) بفتح الخاء خلافا لمن توهم وضبطه بالضم اذ المراد هنا شمائله الظاهرة ومن لبيان ما الموصولة (على اتم وجوه الكمال) اى اكمل انواع وجوه كمال الجمال وهى صفات اللطف والاكرام (والجلال) وهى صفات القهر والانتقام او المراد بالكمال النعوت الثبوتية وبالجلال الصفات السلبية وهى قولنا فى حقه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا فى زمان ولا فى مكان وسائر الامور الحدوثية فحينئذ يقال معناه المنزه عن شوآئب النقصان فى نظر ارباب الحال وفى نسخة بكسر الخاء المعجمة بمعنى الخصال (وتخصيصه) اى ومن جعله مخصوصا (بالمحاسن الجميلة) اى الحسنة من الافعال (والاخلاق الحميدة) اى المحمودة من الاحوال (والمواهب الكريمة) اى المرضية من الاقوال (والفضائل العديدة) اى الكثيرة التى عدها من المحال فهو من العد ومعناه الكثير لا من العدد فيتوهم انها حصرت واحصيت ويروى السديدة اى الفضائل الواقعة على سنن السداد (وتأييده) اى ومن تقويته (بالمعجزات الباهرة) اى البارعة الفائقة الغالبة القاهرة (والبراهين الواضحة) اى وبالادلة الظاهرة (والكرامات البينة) اى الخوارق اللائحة وهى اعم من المعجزات فانها مقرونة بالتحدى مع عدم المعارضة مما يصدق الله تعالى بها انبياءه فى دعوى النبوة سميت معجزة للاعجاز عن الاتيان بمثلها وسميت آية لكونها علامة دالة على تصديق الله تعالى لهم مع ان المقام مقام يذم فيه الايجاز ويمدح الاطناب سيما فى خطاب الاحباب (التى شاهدها) اى عاينها واغرب التلمسانى بقوله اى حضرلها ففاعل بمعنى فعل اى شهدها (من عاصره) اى من ادرك عصره وزمانه ويروى من عاصرها اى البراهين والكرامات (ورآها من ادركه) اى صادف اوانه ويروى من ادركها (وعلمها علم اليقين) وفى نسخة علم يقين اى من غير شك وتخمين قال بعض العارفين علم اليقين ما كان بشرط البرهان وعينه بحكم البيان وحقه بنعت العيان فعلم اليقين لاصحاب العقول وعينه لاصحاب العلوم وحقه لاصحاب المعارف (من جاء بعده) اى من التابعين واتباعهم (حتى انتهى) اى الى ان وصل (علم حقيقة ذلك) اى بلغ حقيقة ما هنالك (الينا وفاضت انواره) اى ظهرت آثاره وكثرت انواره ويروى انوارها (علينا صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا حدثنا) وفى بعض النسخ اخبرنا (القاضى الشهيد ابو على الحسين بن محمد الحافظ) رحمه الله تعالى وهو الاندلسى المعروف بابن سكرة بضم فتشديد ترجمته معروفة استشهد بثغر الاندلس سنة اربع عشرة وخمسمائة وكان من اهل العلم بالحديث (قراءة منى عليه) نصب قراءة على نزع الخافض او على انه تمييز او حال اى حدثنا بقراءة او من جهة قراءة او حال قراءة منى عليه لا بقراءته ولا بقراءة غيره وهذا على مذهب من لا يرى بين حدثنا واخبرنا وانبأنا فرقا كالبخارى

ومن تبعه (قال حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار) اى ابن احمد الحمامى بفتح مهملة وتخفيف وهو من اهل الخير والصلاح على ما ذكره ابن ماكولا فى اكماله (وابو الفضل احمد بن خيرون) بفتح معجمة فسكون تحتية ممنوعا وقد يصرف ثقة عدل متقن له ترجمة فى الميزان توفى سنة ثمان وثمانين واربعمائة قال الحلبى رأيت عن المزى ان الاصل فى خيرون الصرف ولكن المحدثون لا يصرفونه اشبهه بالجمع المذكر السالم انتهى والاظهر انه بناء على اعتبار المزيدتين مطلقا عند بعضهم كالفارسى كما قالوا فى سيرين وغلبون (قالا) اى كلاهما (حدثنا ابو يعلى البغدادى) بالمعجمة فى الثانية وهو الاصح والافصح بمهملتين ومعجمتين وباهمال احداهما واعجام الاخرى وهو احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر يعرف بابن زوج الحرة (قال حدثنا ابو على السنجى) بكسر مهملة وسكون نون فجيم نسبة الى بلدة تسمى سنج مرو (حدثنا محمد ابن احمد بن محبوب) هو ابو العباس المحبوبى المروزى التاجر الامين راوى جامع الترمذى عنه مشهور (قال حدثنا ابو عيسى بن سورة) بفتح مهملة وسكون واو وفتح راء (الحافظ) اى الترمذى وهو صاحب الجامع الضرير قيل ولد اكمه قال الذهبى ثقة مجمع عليه ولا التفات الى قول ابى محمد ابن حزم انه مجهول فانه ما عرفه ولا ادرى بوجود الجامع ولا الى علل الدين انتهى ولا شك ان تجهيل الترمذى يضر ابن حزم بلا عكس كما لا يخفى (قال حدثنا اسحق بن منصور) هذا هو الكوسج الحافظ روى عن ابن عيينة فمن بعده وعنه الشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه (حدثنا عبد الرزاق) اى ابن همام بن نافع ابو بكر الصغانى الحافظ احد الاعلام روى عن ابن جريج ومعمر وابى ثور وعنه احمد واسحق صنف الكتب اخرج له اصحاب الكتب الستة (انبأنا معمر) بفتح الميمين ابن راشد ابو عروة البصرى عالم اليمن اخرج له الجماعة قال معمر طلبت العلم سنة مات الحسن ولى اربع عشرة سنة (عن قتادة) هو ابن دعامة ابو الخطاب السدوسى الاعمى الحافظ المفسر روى عن عبد الله بن سرجس وانس وخلق وعنه ايوب وشعبة وخلق (عن انس رضى الله عنه) اى ابن مالك خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وترجمته شهيرة ومناقبه كثيرة (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتى) اى جيء (بالبراق) بضم الموحدة وتخفيف الراء سمى به لسرعة سيره كالبرق او لشدة بريقه وقيل لكونه ابيض وقال المصنف لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء اذا كان فى خلال صوفها الابيض طاقات سود وقد وصف فى الحديث بانه ابيض وقد يكون من نوع الشاة البرقاء وهى معدودة فى البيض انتهى وهو دابة دون البغل وفوق الحمار يضع حافره عند منتهى طرفه كما فى الصحيح وفى رواية على ما نقله ابن ابى خالد فى كتاب الاحتفال فى اسماء خيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان وجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال لا ذكر ولا انثى وفى تفسير الثعلبى جسده كجسد الانسان وذنبه كذنب البعير وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كقوائم الابل واظلافه كاظلاف البقر وصدره كانه ياقوتة وظهره كانه درة بيضاء وله جناحان فى فخذيه يمر كالبرق (ليلة اسرى به) ظرف بنى على الفتح لاضافته الى الجملة الفعلية الماضوية المبنية للمجهول (ملجما مسرجا) اسما مفعول من الالجام والاسراج وهما حالان مترادفان او متداخلان (فاستصعب) اى استعسر البراق (عليه) اى لبعد عهده بالانبياء من جهة طول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام على ما ذكره ابن بطال فى شرح البخارى وهى ستمائة سنة على ما ذكره التلمسانى اولانه لم يركبه احد قبل نبينا صلى الله عليه وسلم بناء على خلاف سيأتى فى ذلك وقيل استصعب تيها وزهوا بركوبه عليه السلام (فقال له جبريل) وفيه ثلاث عشرة لغة والمتواتر منها اربع معروفة (أبمحمد تفعل هذا) اى يا براق كما فى رواية وضبط تفعل بالخطاب المذكور ولو روى بصيغة المجهول الغائب لكان له وجه والهمزة للانكار التوبيخى والاشارة الى الاستصعاب المفهوم من استصعب (فما ركبك) بالخطاب المذكر تعظيما له (احد اكرم) بالرفع والنصب (على الله تعالى منه) وفى رواية فوالله ما ركبك ملك مقرب ولا نبى مرسل افضل ولا اكرم على الله منه فقال قد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة وانى احب ان اكون فى شفاعته فقال انت فى شفاعتى (قال) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او انس رواية عنه (فارفض) بتشديد الضاد المعجمة اى فسال البراق (عرقا) نصب على التمييز المحول من الفاعل اى تبدد عرقه حياء وخجالة مما صدر عنه بمقتضى طبعه فهذا يؤيد القول الاول فتأمل وقد قال الزبيدى فى مختصر كتاب العين فى اللغة وصاحب التحرير وهى دابة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والثناء قال النووى وهذا الذى قالاه من اشتراك جميع الانبياء معه يحتاج الى نقل صحيح انتهى وقد قال ابن بطال ما معناه ركبها الانبياء واقره السهيلى على ذلك وفى سيرة ابن هشام انه بلغه عن عبد الله يعنى ابن الزبير فى حج ابراهيم البيت وفى آخره وكان ابراهيم يحجه كل سنة على البراق انتهى ونقل القرطبى فى تذكرته قبيل ابواب الجنة يسير عن ابن عباس ومقاتل والكلبى فى قوله تعالى خلق الموت والحياة ان الموت والحياة جسمان فيجعل الموت فى هيئة كبش لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الا مات وخلق الحياة فى صورة فرس انثى بلقاء وهى التى كان جبريل والانبياء عليهم الصلاة والسلام يركبونها خطوها مد البصر

فوق الحمار دون البغل لا تمر بشئ يجد ريحها الا حيي الى ان قال حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس والماوردي عن مقاتل والكلبي وفيها ايضا في صفة الجنة ونعيمها ان البراق يركبها الانبياء مخصوصة بذلك في ارضها وهذا من كلام الترمذي الحكيم وحديث فما ركبك احد اكرم على الله من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم صريح في ذلك وكل هذا يرد على النووي كذا قاله الحلبي لكن فيه بحث اذ ليس فيما ذكر نقل صحيح ولا دليل صريح على ان البراق واحد مشترك فيه فعلى تقدير صحة التعدد ينبغي ان يحمل اللام للجنس جمعا بين الروايات وان يكون لكل نبي براق لكن اخرج الطبراني عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا وابعث على البراق فهذا يشير الى اختصاصه يومئذ به واشتراكه قبل ذلك اليوم وقد ذكر السيوطي في البدور السافرة قال معاذ وانت تركب العضباء يا رسول الله قال لا تركبها ابنتي وانا على البراق اختصصت به دون الانبياء يومئذ الحديث فهذا ظاهره اتحاد البراق مع احتمال اختصاصه بركوبه دون الانبياء حينئذ والله تعالى اعلم وقد جاء في بعض الروايات ان جبريل عليه الصلاة والسلام ايضا ركب معه عليه الصلاة والسلام والظاهر انه ركب خلفه بل جاء صريحا فيما رواه الطبراني في الاوسط من رواية محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن ابيه ان جبريل اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالبراق فحمله بين يديه الحديث قال الطبراني لا يروى عن ابن ابي ليلى الا بهذا الاسناد قال الحلبي وهو معضل ويرده قول العسقلاني انه ليس بمعضل بل سقط عليه قوله عن جده وهو ثابت في اصل الطبراني انتهى وفي مسند ابي يعلى عن علقمة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتيت بالبراق فركب خلفي جبريل عليه السلام الحديث قال الحلبي فهذا نقل في المسئلة ولكنه مرسل قلت والمرسل حجة عند الجمهور وقد ذكر ابن حبان في صحيحه ان جبريل عليه السلام حمله على البراق رديفا له قال الحلبي هذا وما تقدم يتعارضان لكن حديث ابي يعلى ضعيف ولو صح لجمع بينهما بانه تارة ركب هذا ذهابا او ايابا والاخر كذلك اذا قلنا ان الاسراء مرة وهو الصحيح على ما قاله بعضهم قلت الصواب في دفع التعارض والجمع بين التناقض ان يجعل رديفا حالا من الفاعل في حمله على ما هو الظاهر ليكون الضميران المستتران لجبريل عليه السلام والبارزان له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المقتضي للادب خصوصا في الرسول بالنسبة الى المطلوب المحبوب ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لابي ذر وقد رآه يمشي امام ابي بكر أتمشي امامه وهو خير منك ثم اعلم انه اختلف في الاسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة اولا وايهما كان قبل الآخر وهل كان ذلك في اليقظة او المنام او بعضه كذا وبعضه كذا او يقال اسري به ولا يتعرض لمنام ولا يقظة على ما في اوائل الهدى لابن القيم فتصير الاقوال خمسة وهل كان المعراج مرة او مرات واختلفوا في زمانه فقيل للسابع والعشرين من شهر ربيع الاول وقيل من الآخر وقيل لسبع عشرة خلت من شهر رمضان وقيل ليلة سبع وعشرين من رجب وبه جزم النووي في الروضة في السير وخالف في الفتاوى فقال انها ليلة السابع والعشرين من شهر ربيع الاول وخالف المكانين المذكورين في شرح مسلم فجزم بانها ليلة السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر تبعا للقاضي عياض وعن الماوردي انها في شوال وسيأتي اقوال سبعة في تعيين السنة

الباب الاول

اى من القسم الاول (في ثناء الله تعالى) اى مدحه (عليه واظهاره عظيم قدره لديه) اى عنده في مقام قربه كما يفهم من الآيات المتلوة واحاديث النبوة وقال الدلجي اى عنده في اللوح المحفوظ لتعلم الملائكة زيادة شرفه وتميزه على غيره اذ هي المرادة هنا فيلتزموا توقيره وتعظيمه انتهى لكنه يحتاج الى نقل كما لا يخفى ثم قال الدلجي الثناء هنا باعتبار غايته فهو اما انعام بانواعه من تكريم وتعظيم فيرجع الى صفات الافعال واما ارادة ذلك فيرجع الى صفات الذات والا فهو في الاصل اما بمعنى الحمد والشكر او المدح او عام فيهما ومورد ذلك كله الجوارح وهو في حقه محال فيكون مجازا مرسلا لكون العلاقة غير المشابهة فقيه بحث ظاهر اذ الثناء من باب الكلام وهو في حقه سبحانه وتعالى ثابت حقيقة على ما عليه اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة فلا يحتاج الى اعتبار مجاز الغاية بخلاف صفتي الغضب والرحمة لما حقق في محلهما والله تعالى اعلم (اعلم) خطاب عام وهو الاحق او خاص بالسائل كما سبق (ان في كتاب الله العزيز) اى النادر في بابه او الغالب على سائر الكتب بنسخه في خطابه (آيات كثيرة مفصحة) اى موضحة مصرحة (بجميل ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم) اى المجتبى في باب الصفاء والوفا (وعد محاسنه) اى وتعداد مكارم اخلاقه (وتعظيم امره وتنويه قدره) اى رفعة شانه وحكمه (اعتمدنا منها) اى من تلك الآيات (على ما ظهر معناه) اى من منطوق الدلالات (وبان فحواه) اى تبين مقتضاه من مفهوم العلامات على ما له من الكمالات (وجمعنا ذلك) اى ما ذكر من الاصول (في عشرة فصول)

الفصل الاول

اى

اى النوع الاول من هذا الباب (فيما جاء) اى في كتابه (من ذلك) اى مما ذكر من الآيات (مجيء المدح والثناء) نصب مجيء على المصدر (وتعداد المحاسن) بفتح التاء اى ومجيء تكرار اخلاقه الحسنة وهو جمع حسن على غير قياس ونصبه على ما في نسخة غير مستقيم (كقوله تعالى) وفي نسخة لقوله تعالى باللام وهو وغير ملائم للمرام (لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية) بدأ بها فانها مشتملة على جملة من امتنانه سبحانه مما يوجب تعظيم رسوله وبعلي شأنه منها القسم المستفاد من اللام المقرونة بقد الدالتين على تحقيق الكلام ومنها الايماء في جاء الى ان رسولنا لو كان في الصين لكان الواجب عليكم المأتى اليه لتعلم علم الدين ومعرفة اليقين فيكون اتيانه فضلا منا عليكم واحسانا منه اليكم فيجب حسن استقباله واطاعة امره واقباله ومنها تنكير رسول فانه يشير الى انه رسول عظيم تفخيما لشأنكم وتأييدا لبرهانكم ومنها انه جعل من جنسكم البشري فانكم لن تطيقوا على التلقين الملكي وليكون ادعى الى متابعته حيث يفعل هو ايضا بمقتضى مقالته ولو كان ملكا لربما قيل ان القوة البشرية ليست كالقدرة الملكية ومنها انه جعل من صنفكم العربي والا لقلتم أمرسل اليه عربي والرسول اليه اعجمي ثم بقية الآية عزيز عليه ما عنتم اى شديد شاق عليه عنتكم وتعبكم ووقوعكم في عذابكم حريص عليكم ان تؤمنوا كلكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم والرأفة اشد الرحمة فذكر الرحيم تذييل او عكس مراعاة للفواصل لا لكونه ابلغ كما توهم الدلجي (قال السمرقندي) بفتح سين مهملة وميم وسكون راء هو المشهور على الالسنة واما ما ضبطه بعض المحشين كالتلمساني وغيره من سكون ميم وفتح راء فهو لحن على ما صرح به القاموس وهو الامام الجليل الحنفي المحدث المفسر نصر بن محمد بن احمد بن ابراهيم السمرقندي الفقيه ابو الليث المعروف بامام الهدى تفقه على الفقيه ابي جعفر الهندواني وهو الامام الكبير صاحب الاقوال المفيدة والتصانيف المشهورة العديدة توفي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة له تفسير القرآن اربع مجلدات والنوازل في الفقه وخزانة الفقه في مجلدة وتنبيه الغافلين وكتاب البستان وذكر التلمساني انه ابو علي واسمه الحسن بن عبد الله منسوب الى بلدة سمرقند من اهل الظاهر روى عن داود بن علي الظاهري لكن المعتمد هو الاول وسيأتي في مواضع من كتاب الشفاء حيث يروي عنه القاضي بواسطة واحدة والله اعلم وابو الليث السمرقندي متقدم يلقب بالحافظ وهو الفرق بينهما ذكره التلمساني (وقرأ بعضهم من انفسكم بفتح الفاء) وهي قراءة شاذة مروية عن فاطمة وعائشة رضي الله تعالى عنهما وقرأ به عكرمة وابن محيص وغيرهما وفي المستدرك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها كذلك (وقراءة الجمهور بالضم) وضبطه بعضهم بالفتح وهو غير مشهور وضبط قراءة بصيغة المصدرية ويمكن قراءته بالجملة الفعلية ثم رأيت في حاشية انهما روايتان والجمهور بالضم معظم الناس (قال القاضي الامام ابو الفضل وفقه الله تعالى) اى المصنف (اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه) اى من الذي وقع له المواجهة من المؤمنين او غيرهم (بهذا الخطاب) يعني جاءكم فمن بفتح الميم موصول وكسر نونه في الوصل لالتقاء الساكنين والمواجه بصيغة المفعول مرفوع ثم الظاهر العموم الشامل لجميع الانس بل والجن ايضا على وجه التغليب اما من اختار المؤمنين فلانهم المرادون في الحقيقة والمنتفعون بمتابعته في الطريقة واما من اختار العرب فلما يدل عليه ظاهر قوله تعالى حريص عليكم ولما يتبادر من قوله انفسكم جنس العرب ولا ينافي ما اخترناه من العموم فتح الفاء لانه اذا كان اشرف جنس العرب فيكون افضل سائر الاجناس فانهم اكرم الناس لما تقرر في محله واما من اختار اهل مكة فلما اشار اليه المصنف بناء على قراءة الضم (انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفون) اى محله ومرتبته بحليته ونعته (ويتحققون مكانه) اى مكان ولادته ونسبه ورتبته او رفعة قدره وعلو شأنه ويؤيده ما في نسخة مكانته وهو مخل بالتسجيع لما قبله ملائم لقوله (ويعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب) في دعوى رسالته اى ولذا كانوا يسمونه محمد الامين لكمال ديانته (وترك النصيحة لهم) اى وترك ارادة الخير لهم (لكونه منهم) وهو ابعد للتهمة في ترك النصيحة في حقهم (وانه) بالفتح عطف على انه السابق الواقع مفعولا ثانيا لاعلم ولا يبعد ان يكون مجرور المحل معطوفا على كونه والحاصل انه (لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) على للمصاحبة كقوله تعالى وآتى المال على حبه اى مع رسول الله (ولادة) اى قرابة قريبة (او قرابة) اى بعيدة (وهو) اى هذا المعنى المستفاد من قوله وانه الخ (عند ابن عباس) كما رواه عنه البخاري والطبراني (وغيره) اى من المفسرين (معنى قوله تعالى الا المودة في القربى) في قوله تعالى قل لا اسألكم عليه اى على التبليغ اجرا الا المودة اى لكن المودة في القرابة لازمة من الجانبين وانا لا اقصر في نصيحتكم وارادة الخير لكم ومحبتكم فيجب عليكم ايضا ان تجتهدوا في متابعتي ونصرتي ودفع الاذى عن اهل ملتي (وكونه) قال الحلبي هو بالرفع لكن الظاهر كما اقتصر عليه الدلجي انه بالجر عطفا على قوله والمعنى وهو معنى كونه (من اشرفهم) اى نسبا (وارفعهم)

اى حسبا (وافضلهم) اى سخاوة ونجادة (على قراءة الفتح) اى بناء عليها (وهذه) اى المنقبة (نهاية المدح) اى من هذه الجهة (ثم وصفه) اى الله سبحانه و(تعالى بعد) بالضم اى بعد قوله من انفسكم (باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد) بالمنع جمع محمدة بمعنى مدحة (كثيرة) اى عديدة (من حرصه على هدايتهم) اى دلالتهم على العقائد الدينية (ورشدهم) اى ارشادهم الى مافيه صلاح امورهم من الاحكام الشرعية (واسلامهم) اى انقيادهم واستسلامهم للحوادث الكونية بقوله حريص عليكم (وشدة مايعنتهم) من الافعال او التفعيل اى مايشق عليهم ولا يطيقونه (ويضربهم) ضبط فى نسخة بضم الباء وكسر الضاد وهو غير صحيح لوجود الباء فى مفعوله وقول الدلجى ان الباء زائدة غير صحيح ففى القاموس ضره وبه واضره والصواب ضبطه بفتح وضم والتقدير ومايضرهم (فى دنياهم واخراهم وعزته عليه) اى ومن غلبة مايعنتهم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله عزيز عليه ماعنتم وكان الاولى مراعاة الترتيب القرآنى كما لايخفى بان يقدم قضية العزة على الشدة ثم يقول (ورأفته ورحمته بمؤمنيهم) اى ومؤمنى غيرهم وفى نسخة بمؤمنهم بصيغة الافراد على ارادة الجنس بطريق الاستغراق بقوله بالمؤمنين رؤف رحيم والرأفة ادق من الرحمة ولعل التفاوت بحسب القابلية والرتبة (قال بعضهم اعطاه) اى الله (اسمين من اسمائه رؤف) بالاشباع ودونه فن الاول قول كعب بن مالك الانصارى

نطيع نبيا ونطيع ربا * هو الرحمن كان بنا رؤوفا

ومن الثانى قول جرير

يرى للمسلمين عليه حقا * كفعل الوالد الرؤف الرحيم

(رحيم) اى على وصف التنكير واما بصيغة التعريف فالظاهر انه لايجوز اطلاقهما على غيره سبحانه (ومثله) اى ومثل معنى الاية الاولى (فى الاية الاخرى فى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين) خصوا لكونهم المنتفعين (اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية وفى آية اخرى هو الذى بعث فى الاميين) اى العرب الذين غالبهم ماقرأوا كتب (رسولا منهم) اى اميا مثلهم لكن الامية فى حقه عليه الصلاة والسلام معجزة ومنقبة وفى حق غيره معيبة ومنقصة (الاية) تمامها يتلو عليهم آياته اى مع كونه اميا فهذا اظهر معجزاته ويزكيهم اى من خبائث الاحوال والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة اى السنة والشريعة (وقوله) اى وفى الاية الاخرى قوله (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم) الاية الى قوله فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالمثوبة (وروى عن على بن ابى طالب كرم الله تعالى وجهه عنه عليه الصلاة والسلام) اى كما رواه ابن ابى عمر العدنى فى مسنده (فى قوله تعالى من انفسكم قال نسبا) اى قرابة مختصة بالآباء على مافى القاموس ونصبه على التمييز وكذا قوله (وصهرا) قال البيضاوى فى قوله تعالى وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا اى قسمه قسمين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن والحاصل انه شريف الجانبين وكريم الطرفين ثم قوله (وحسبا) اريد به مايعده الانسان من مفاخر آبائه من الدين او الكرم او المال وقيل الحسب والكرم قد يكونان بمن لاشرف لآبائهم والشرف والمجد لا يكونان الا بهم (ليس فى آبائى) اى اسلافى من الاب والجد والام والجدة (من لدن آدم) بفتح لام وضم دال وسكون نون ويجوز سكون الدال وكسر النون اى من عند ابتداء زمن آدم عليه الصلاة والسلام الى وجود الخاتم صلى الله تعالى عليه وسلم (سفاح) بكسر السين وهو صب ماء الرجل بلا عقد على ماقاله المحشى والاولى ان يقال المراد به الوطئ من غير مجوز لان السرية لاعقد لها والحاصل ان المراد به الزنى ومالا يجوز وطئه شرعا (كلنا نكاح) اى ذو عقد او كل واحد منا ناكح او قصد به المبالغة كرجل عدل وهو واقع على التغليب والافام اسماعيل عليه الصلاة والسلام سرية اللهم الا ان يقال قد اعتقها وعقد عليها قال المحشى ويروى كلها نكاح وهو كذا فى نسخة ولعل التقدير كل الجامعة ذات نكاح وفى حديث لما خلق الله تعالى آدم اهبطنى فى صلبه الى الارض وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة وقذف بى فى النار فى صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلنى من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة الى ان اخرجنى من بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط (قال ابن الكلبى) وهو محمد بن السائب ابو النضر المفسر النسابة الاخبارى وترجمته معروفة فى الميزان وغيره (كتبت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة ام) لعله اراد به التكثير والا فيحتمل ان يكون بينهما خمسمائة ام اذ بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين عدنان احد وعشرون ابا اجماعا وبين عدنان وادم على ماجنبه ابن اسحق وغيره ستة وعشرون ابا فيكون بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين آدم عليه الصلاة والسلام سبعة واربعون ابا بسبع واربعين اما ولا يبعد انه عد امهاتهم وامهات اعمامه وامهات اعمام آبائه الى آدم والله تعالى اعلم (فما وجدت فيهن سفاحا) اى ذات سفاح (ولا شيأ مما كان عليه الجاهلية) اى من اخذ الاخدان لشهادة حديث ابن عدى والطبرانى خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح وقد نقل عن اكثر

اهل السير كزبير بن بكار وغيره ان كنانة خلف على برة بعد ابيه خزيمة على عادة العرب فى الجاهلية فى ان اكبر ولد الرجل يخلف على زوجته اذا لم يكن منها وهذا مشكل لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول كلنا نكاح ليس فينا سفاح ماولدت من سفاح اهل الجاهلية وذكر السهيلى وغيره فى هذا اعذارا منها ان الله تعالى يقول ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء الا ماقد سلف اى من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة هذا الاستثناء ان لايعاب نسب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وبعده لايخفى وذكر الحافظ ابو عثمان عمرو بن بحر فى كتاب له سماه كتاب الاصنام قال وخلف كنانة بن خزيمة بن مدركة على زوجة ابيه بعد وفاته وهى برة بنت اد بن طابخة تحت كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة وانما غلط كثير من الناس لما سمعوا ان كنانة خلف على زوجة ابيه لاتفاق اسمهما وتقارب نسبهما قال وهذا الذى عليه مشايخنا من اهل العلم بالنسب قال ومعاذ الله ان يكون اصاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقت نكاح وقال من اعتقد غير هذا فقد اخطأ وشك فى الخبر ويؤيد ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم تنقلت فى الاصلاب الزاكية الى الارحام الطاهرة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين) اى كما رواه ابن سعد والبزار وابو نعيم فى دلائله بسند صحيح عنه انه (قال من نبى الى نبى حتى اخرجتك) وفى نسخة صحيحة حتى اخرجتك (نبيا) ولا يخفى ان المراد به ان بعض الاباء كانوا من الانبياء وفى الاية عنه وعن غيره معانى اخر (وقال جعفر بن محمد) اى ابن على بن الحسين بن على بن ابى طالب الهاشمى المدنى المعروف بالصادق امه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق وامها اسماء بنت عبد الرحمن بن ابى بكر وكان يقول ولدت فى الصديق مرتين متفق على امامته وجلالته وسيادته قال البخارى فى تاريخه ولد سنة ثمانين وتوفى سنة ثمان واربعين ومائة انتهى وقد اخرج له مسلم والاربعة وكذا البخارى فى كتابه ادب المفرد (علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته) اى عن معرفة مايطلب منهم فعلا وتركا من طاعته بغير واسطة رسول وبعثه لبيان عبادته (فعرفهم) بتشديد الراء اى فاعلمهم (ذلك) اى العجز (لكى يعلموا انهم لاينالون الصفو من خدمته) اى الخالص من طاعته بل انما ينالون بالواسطة من فضله ورحمته كما قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وفى قضية ابليس ايماء الى ان كثرة الخدمة غير مفيدة مع قلة الرحمة (فاقام الله بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم فى الصورة) اى مباينا لصنفهم فى السيرة (البسه من نعته الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا) اى واظهره مرسلا اليهم حال كونه رسولا مصلحا بينهم (صادقا) اى مطابقا قوله فعله وموافقا حكمه خبره (وجعل طاعته طاعته) بنصبهما اى كطاعة الله تعالى اى فيما يأمره وينهاه وهو تشبيه بليغ مفيد للمبالغة وهو ان طاعته عين طاعته وكذا قوله (وموافقته موافقته) اى فى امر دينه ودنياه فلا تجوز مخالفته فى طريق مولاه كما قال سبحانه وتعالى فى حقه فليحذر الذين يخالفون عن امره (فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله) وقد روى من احبنى فقد احب الله ومن عصانى فقد عصى الله تعالى وكذا قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وكذا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما انا رحمة مهداة على مارواه الحاكم عن ابى هريرة (قال ابو بكر بن طاهر) وفى نسخة محمد بن طاهر اى ابن محمد بن احمد بن طاهر الاشبيلى القيسى وبهذا يعرف ان ليس المراد به عبد الله بن طاهر الابهرى الذى هو من اقران الاشبيلى خلافا لما توهمه التلمسانى قال العسقلانى هو معافرى شاطبى روى عن ابيه وابن على النسائى وغيرهما واجازله ابو الوليد الباجى (زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة) اى بزيادة المرحمة (فكان كونه) اى وجوده (رحمة) واغرب الدلجى فى قوله مكان كونه موصوفا بالرحمة رحمة (وجميع شمائله) جمع شمال بالكسر وهو الخلق بالضم والمراد بها اخلاقه الباطنة (وصفاته) الظاهرة من نحو كرمه وجوده (رحمة) الاولى مرحمة لتغاير الاولى والمعنى محل رحمة نازلة (على الخلق) اى عامة وخاصة (فمن اصابه شئ من رحمته فهو الناجى) قال التلمسانى اى الخالص والصواب المخلص (فى الدارين) اى حالا ومآلا (من كل مكروه) اى ومغضوب (والواصل فيهما) اى وهو الواصل فى الكونين (الى كل محبوب) وفيه ايماء الى ماورد من ان الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصاب من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه فقد ضل وغوى (الا ترى) بصيغة الخطاب المعلوم ويجوز ان يقرأ بصيغة الغائب المجهول اى ألا تعلم (ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة) اى ذا رحمة واريد بها المبالغة (للعالمين) اى من غير تقييد للمؤمنين اولامته دون غيرهم من المخلوقين ويستفاد من نسبة الرحمة الالهية انها ليست من الامور العارضية (فكانت حياته رحمة ومماته رحمة) بل وليس هناك موت ولا فوت بل انتقال من حال الى حال وارتحال من دار الى دار فان المعتقد المحقق انه حى يرزق (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه الحارث ابن ابى اسامة فى مسنده والبزار باسناد صحيح (حياتى خير لكم) وهو ظاهر (وموتى خير لكم) قال الدلجى بشهادة وما

كان الله ليعذبهم وانت فيهم حيا وميتا انتهى وغرابته لا تخفى فالاظهر ان يقال لانه تعرض على اعمالكم فاشفع فى
غفران سيئاتكم وادعو لكم فى تحسين حالاتكم والمعنى انى متوجه اليكم وراحم عليكم وشفيع لكم حيا وميتا
بالنسبة الى حاضركم وغائبكم او التقدير وموتى قبلكم خير لكم فيوافق ما اراده المصنف بقوله (وكما قال) اى على ما رواه
مسلم (اذا اراد الله تعالى رحمة بامة) قال الحافظ المزى المعروف رحمة امة وكذا رواه مسلم كذا ذكره الحجازى قلت
وفى الجامع الكبير ايضا بلفظ ان الله تعالى اذا اراد رحمة امة من عباده (قبض نبيها قبلها) اى قبل موت جميعها
(فجعله لها فرطا وسلفا) اى بين يديها كما فى الصحيح وهما بفتحتين اى متقدما وسابقا فانها ما اصيبت بمصيبة اعظم
من موت نبيها واصل الفرط هو الذى يتقدم الواردين ليهيء لهم ما يحتاجون اليه عند نزولهم فى منازلهم ثم استعمل
للشفيع فيمن خلفه ثم تتمة الحديث على ما فى صحيح مسلم عن ابى موسى مرفوعا واذا اراد هلكة امة عذبها ونبيها حى
فاهلكها وهو ينظر فاقر عينيه بهلاكها حين كذبوه وعصوا امره (وقال السمرقندى) اى ابو الليث امام الهدى الحنفى
كما ذكره الدلجى (رحمة للعالمين) بالنصب على الحكاية (يعنى) اى يريد سبحانه وتعالى بالعالمين (للجن والانس)
اى المؤمنين بقرينة تقابله بقوله (وقيل لجميع الخلق) اى المكلفين لقوله (للمؤمن رحمة) بالنصب ويجوز رفعها
اى رحمة خاصة (بالهداية) وكان الاولى ان يقول رحمة للمؤمن بالهداية ليطابق الاية وليوافق قوله (ورحمة للمنافق
بالامان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب) اى الى العقبى ولا يبعد ان يكون تقديم المؤمن اشارة الى حصر الرحمة
المختصة بالهداية كما قال تعالى هدى للمتقين اى بالدلالة الموصلة التى هى خلق الهداية فى خواص الانسان من اهل
الايمان مع انه هدى للناس باعتبار عموم الهداية بالدلالة المطلقة التى هى بمعنى البيان (قال ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما) اى فيما رواه ابن جرير وابن ابى حاتم فى تفسيرهما والطبرانى والبيهقى فى دلائله (هو رحمة للمؤمنين والكافرين
اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة) اى من انواع العقوبة ومآل هذا القول الى ما قبله ثم الاظهر ان العالمين
يشمل الملائكة ايضا ويدل عليه قوله (وحكى) بصيغة المجهول وقال الحجازى وروى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
قال لجبريل عليه الصلاة والسلام هل اصابك من هذه الرحمة) اى المنقسمة على هذه الامة من نبى الرحمة (شىء) اى من
الرحمة مختص بك فالاشارة الى موجود فى الذهن اذ الرحمة معنى يوجده الله تعالى فيمن يشاء من خلقه وفيها يتفاوتون
(قال نعم كنت اخشى العاقبة) اى آخر امرى من سوء الخاتمة لما وقع لابليس من الزلة (فامنت) بفتح فكسر وضبطه
التلمسانى بصيغة المجهول ففى القاموس الامن ضد الخوف امن كفرح وقد امنه كسمع ائتمنه واستأمنه انتهى ولا يخفى
ان بناء المجهول غير ظاهر فى المعنى اذ المراد فصرت آمنا ببركة القرآن الذى نزل عليك (لثناء الله عز وجل على بقوله
ذى قوة عند ذى العرش مكين) اى صاحب مكانة (مطاع) اى بين الملائكة (ثم) اى فيما هنالك (امين) اى على امر
الوحى وغيره ووجه استدلاله به انه تعالى حيث مدحه فى محكم كتابه العظيم واخبر عن حسن حاله للنبى الكريم لا يتصور
تبدل حاله ولا تغير مآله ولا يبعد ان يجعل قوله امين بمعنى مأمون العاقبة وقد سنح بالبال والله تعالى اعلم بالحال انه
صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم رحمة لجميع خلق الله تعالى فان العالمين لا شك انه حقيقة فيما سواه ولا صارف
بالاتفاق يصرفه عن دلالة الاطلاق ثم من المعلوم انه لولا نور وجوده وظهور كرمه وجوده لما خلق الافلاك ولا اوجد
الاملاك فهو مظهر للرحمة الالهية التى وسعت كل شىء من الحقائق الكونية المحتاج الى نعمة الايجاد ثم الى منحة الامداد
وينصره القول بانه مبعوث الى كافة العالمين من السابقين واللاحقين فهو بمنزلة قلب عسكر المجاهدين والانبياء
مقدمته والاولياء مؤخرته وسائر الخلق من اصحاب الشمال واليمين ويدل عليه قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان
على عبده ليكون للعالمين نذيرا ومن جملة انذاره للملائكة قوله سبحانه وتعالى ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم ويقويه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت الى الخلق كافة وقد بينت وجه ارساله الى الموجودات العلوية
والسفلية فى رسالتى المسماة بالصلات العلية فى الصلاة المحمدية (وروى عن جعفر بن محمد) اى الباقر (الصادق) نعت
لجعفر (فى قوله تعالى فسلام) اى فسلامة من كل ملامة (لك) اى لرحمتك (من اصحاب اليمين) خبر سلام اى حاصل
من اجلهم ولو كان من اعظمهم واجلهم (اى بك) اى بسبب وجودك او بسبب كرمك وجودك (انما وقعت سلامتهم
من اجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بالشفاعة العظمى فانها شاملة للنفوس العليا والسفلى من الاولى
والاخرى فشملت رحمته فى الابتداء والانتهاء فى الدنيا والعقبى وقال التلمسانى لمحمد روى باللام والباء واللام تعليلية
والباء سببية فتكون كرامته مضافة الى ضمير الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى انتهى والنسخ المصححة والاصول المعتمدة
على الاضافة الى المفعول وهو الظاهر فى المعنى قال الدلجى اى من اجل اكرام الله اياه فوضع الظاهر موضع المضمر
والاظهر انه التفات من الخطاب الى الغيبة ثم اغرب الدلجى ان من على هذا زائدة ويجوز ان تكون بمعنى لام التعدية

اى لسببك وقع السلام لاصحاب اليمين من اجل اكرام الله تعالى اياك وما قاله تكلف بعيد انتهى والكل تكلف بل تعسف
والتحقيق انه اراد ان الخطاب فى ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم والتقدير فسلامة عظيمة لاجلك وبسببك حاصلة لاصحاب
اليمين وقوله من اجل توضيح لقوله بك اما بطريق عطف البيان او على سبيل الاستئناف والالتفات فى التبيان وهذا
التأويل خلاف ما قاله اهل التفسير فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اى يقال له سلام لك اى مسلم
لك انك منهم او يا محمد انك لا ترى فيهم الا ما تحب من سلامتهم من العذاب وان منهم من يقول يوم القيامة سلام عليك
(وقال الله تعالى الله نور السموات والارض) اى منورهما كما قرئ به ومظهر ما خلق فيهما او موجد انوارهما (الاية)
بالنصب ويجوز رفعها وخفضها اى اقرأها او هى معلومة او الى آخرها والمراد ما بعدها وهو قوله تعالى مثل نوره
كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا
غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل
شىء عليم وقد اوضحت معنى الاية فى الرسالة المسماة بالصلات العلية فى الصلاة المحمدية عند قوله اللهم صل وسلم على نورك
الاسنى واعلم ان النور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة ويستحيل اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف ونحوه من
نوع تأويل (قال كعب) وفى نسخة كعب الاحبار بالحاء المهملة وهو كعب بن ماتع بالمثناة فوق ادرك زمن النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم ولم يره واسلم فى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقيل فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وقيل
ادرك الجاهلية وصحب عمر واكثر عنه وروى ايضا عن جماعة من الصحابة وروى عنه ايضا جماعة من الصحابة والتابعين
وكان يسكن حمص وكان قبل اسلامه على دين اليهود ويسكن اليمن توفى فى خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين متوجها
للغزو ودفن بحمص ويقال له كعب الحبر ايضا بفتح الحاء وكسرها لكثرة علمه اخرج له البخارى وابو داود والترمذى
والنسائى واغرب شارح حيث قال هو كعب بن مالك الانصارى (وابن جبير) وهو سعيد بن جبير احد اكابر التابعين
والعلماء العاملين روى عن ابن عباس وغيره وعنه امم من المحدثين اخرج له الجماعة فى كتبهم الستة وكان اسود الصورة
وانور السيرة مستجاب الدعوة قتل سنة خمس وتسعين وهو ابن تسع واربعين شهيدا فى شعبان ومما يدل على كماله فى اليقين
وتمكنه فى الدين ما روى انه لما دخل على الحجاج بعد ارساله اليه قام بين يديه فقال له اعوذ منك بما استعاذت مريم اذ
قالت اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فقال له ما اسمك قال سعيد بن جبير قال شقى بن كسير فقال امى اعلم باسمى قال
شقيت وشقيت امك فقال الغيب يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا تلظى فقال لو علمت ان ذلك بيدك ما اتخذت الها
غيرك قال لاوردنك حياض الموت فقال اذا اصابت اسمى امى يعنى اذا كنت شهيدا اكون سعيدا قال فما تقول فى محمد
قال نبى ختم الله تعالى به الرسل وصدق به الوحى وانقذ به من الجهالة امام هدى ونبى رحمة قال فما تقول فى الخلفاء قال
لست عليهم بوكيل وانما استحفظت امر دينى قال فايهم احب اليك فقال احسنهم خلقا وارضاهم لخالقه واشدهم منه
فرقا قال فما تقول فى على وعثمان افى الجنة هما ام فى النار فقال لو دخلت فرأيت اهلهما لاخبرتك فما سؤالك عن امر
غيب عنك قال فما تقول فى عبد الملك بن مروان قال فما لك تسألنى عن امرئ انت واحد من ذنوبه قال فما لك لم تضحك
قط قال لم ار ما يضحكنى وكيف يضحك من خلق من التراب والى التراب يعود قال فانى اضحك من اللهو قال ليست
القلوب سواء قال فهل رأيت من اللهو شيأ قال لا فدعا بالزمر والعود فلما نفخ فيه بكى فقال له الحجاج ما يبكيك قال
ذكرنى يوم ينفخ فى الصور واما هذا العود فمن نبات الارض وعسى ان يكون قطع فى غير حقه واما هذه المثانى
والاوتار فان الله سيبعثها معك يوم القيامة قال فانى قاتلك قال ان الله قد وقت وقتا انا بالغه فان اجلى قد حضر فهو
امر قد فرغ منه ولا محيص ساعة عنه وان تكن العافية فالله اولى بها قال اذهبوا به فاقتلوه قال اشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له استحفظ لها يا حجاج حتى القاك يوم القيامة فامر به ليقتل فلما تولوا به ليقتلوه ضحك فقال
له الحجاج ما اضحكك قال عجبت من جرآءتك على الله وحلم الله عنك ثم استقبل القبلة فقال انى وجهت وجهى للذى
فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين قال فحولوه عن القبلة قال فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله
واسع عليم قال اضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى قال اضربوا عنقه
قال اللهم لا تحل له دمى ولا تمهله بعدى فلما قتله لم يزل دمه يغلى حتى ملأ اثواب الحجاج وفاض حتى دخل تحت
سريره فلما رأى ذلك هاله وافزعه فبعث الى ياذوق المتطبب فسأله عن ذلك فقال لانك قتلته ولم يهله ذلك
ففاض دمه ولم يخمد فى نفسه ولم يخلق الله شيأ اكثر دما من الانسان فلم يزل به ذلك الفزع حتى منع منه النوم
فيقول مالى ولك يا سعيد بن جبير ستة اشهر ثم ان بطنه استسقى حتى انشق فمات فلما دفن لفظته الارض وبقى بعد
سعيد بن جبير ستة اشهر ونقل ان السجون عرضت بعد موته فوجد فيها ثلاثة وثلاثون الفا من المظلومين وقد احصى

من قتله صبرا فوجد مائة الف وعشرين الفا (المراد بالنور) اى بنوره (الثانى هنا) اى فى تتمة هذه الآية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) لقوله (وقوله مثل نوره اى نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) على انه عطف بيان لما قبله وبهذا يندفع ما قاله الدلجى فى قوله هنا اى فى هذه الآية من قوله مثل نوره هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فضميره لله تعالى وقوله مثل نوره اى نور محمد عليه الصلاة والسلام ان كان قولهما فهو مناقض لما قبله الا ان يقال الاضافة بيانية اى مثل محمد الذى هو نور وهو بعيد او لغيرهما فلا تناقض انتهى والاظهر ان يقال المراد بالنور محمد والتقدير مثل نور الله الذى هو مشرق ظهوره ومظهر نوره فى عالم الكون بخلقه وامره حسب قضائه وقدره كمشكاة الخ فان النور عبارة عن الظهور وقد انكشف به الحقائق الالهية والاسرار الاحدية والاستار الصمدية وبه اشرقت الكائنات وخرجت عن حيز الظلمات وبه صلى الله تعالى عليه وسلم فسر بعض المفسرين قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين (وقال) وفى نسخة وقاله وهو غير صحيح (سهل بن عبد الله) هو التسترى منسوب الى تستر قال النووى هو بمثناتين من فوق الاولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما سين مهملة مدينة بخوزستان وقال التلمسانى والتاآن مضمومتان وقيل بضم الثانية وتفتح وقيل بفتح فقط وقيل بفتح الاولى وبضم الثانية ويقال ششتر بشينين معجمتين من عمل الاهواز وقيل بخوزستان انتهى وفى القاموس تستر كجندب بلد وبشينين معجمتين لحن وسورها اول سور بعد الطوفان وقد روى انه كان صاحب الكرامات ولم يكن فى وقته له نظير فى المعاملات ولم يزل يشتغل فى الرياضة العملية الى ان كان يفطر فى كل يوم على اوقية من خبز الشعير بلا ادام فكان يكفيه لقوته درهم واحد فى عام وهو مع ذلك يقوم الليل كله ولا ينام واسلم عند وفاته يهود نيف على التسعين لما رأوا الناس انكبوا على جنازته وشاهدوا اقواما ينزلون من السماء فيتمسحون بجنازته ويصعدون وينزل غيرهم فوجا بعد فوج وقد توفى فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين (المعنى) اى معنى الآية كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ايضا (الله هادى اهل السموات والارض) اى فهم بنوره يهتدون وبظهوره يوحدون فسر النور بالهادى لان النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره وقدر المضاف ليتعلق كمال هدايته بارباب ولايته (ثم قال) اى سهل بن عبد الله (مثل نور محمد) اى صفة نوره العجيبة الشأن الغريبة البرهان (اذ كان) اى حين صار (مستودعا) بفتح الدال اى مودعا (فى الاصلاب) اى اصلاب الآباء اولهم آدم عليه الصلاة والسلام من الانبياء فنوره صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل صلب انتقل اليه (كمشكاة صفتها كذا) اى كصفة كوة غير نافذة موصوفة بكونها فيها مصباح اى سراج او فتيلة المصباح فى زجاجة اى قنديل من الزجاج الزجاجة كانها الى آخرها فشبه مادة جسمه وقالبه فى اصلاب الآباء السالفة بالكوة فى الحائط التى ليست نافذة فصح قوله (واراد بالمصباح قلبه والزجاجة) اى واراد بالزجاجة (صدره اى كانه) يعنى صدره المعبر به عن الزجاجة (كوكب) اى نجم (درى) بضم اوله وتشديد آخره اى مشرق يتلألأ كانه منسوب الى الدر المضيء وبتخفيف يائه فهمز نسبة الى الدرء بمعنى الدفع فكانه يدفع الظلام بنوره ويرفع الحجاب لظهوره وبكسر اوله مع التخفيف والهمز ولعله من تغيرات النسب كما يقال فى بصرى بصرى (لما فيه من الايمان والحكمة) اى من نور الايمان والاتقان والمراد بالحكمة نور النبوة والايقان على وجه العيان (توقد) بصيغة المجهول اى من اوقد مذكرا ومؤنثا وتوقد بصيغة الماضى المعلوم فقراءة التأنيث مرجعها الزجاجة وقراءة التذكير مرجعها مصباح الزجاجة على حذف المضاف (من شجرة مباركة) اى مبتدأة منتشئة من شجرة كثيرة البركة زيتونة لا شرقية ولا غربية (اى من نور ابراهيم عليه الصلاة والسلام) اذ هو اصل شجرة التوحيد وفضل ثمرة التفريد (وضرب) بصيغة المفعول او الفاعل اى بين وعين (المثل بالشجرة المباركة) فطوبى لشجرة لها هذه الثمرة فجعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه معدن اسرار عوارف المنافع وانوار لطائف الشرائع الذين هم اكابر الانبياء واتباعهم الاصفياء اذ غالبهم بل كلهم بعده من ذريته فهو شجرة النبوة مشبهة بشجرة مباركة زيتونة لكثرة نفعها اذ هو فاكهة وادام ودواء ودهن له ضياء والحاصل ان نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انتقل من آبائه الكرام الى ان ظهر ظهورا بينا فى ظهر ابراهيم عليه السلام اذ صار علما فى علم التوحيد ولا سيما فى باب التفويض والاستسلام فهو شجرة كثيرة الخير لان من بعده من الانبياء كلهم من ذريته وكان اكثرهم فى جهة الشأم من الارض التى بارك الله تعالى حولها وكان الزيتونة اشارة اليها وقوله لا شرقية ولا غربية اى حيث لا تقع الشمس عليها حينا دون حين بل حيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة جبل مرتفعة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انمى وزيتها اصفى او لا نابتة فى شرق المعمورة ولا غربها بل فى وسطها وهو توابع الشأم فان زيتونه اجود الزيتون فى غيرها وهذا بطريق العبارة واما بتحقيق الاشارة فايماء الى قبلة اهل التوحيد وكعبة اهل التفريد حيث انها ليست شرقية كقبلة النصارى ولا غربية كقبلة اليهود وبالجملة اشارة الى ان الملة الحنيفية اعدل الملل

الاسلامية فاهلها متوسطون بين الخوف والرجاء فلا خوف لهم يزعجهم الى بعد القنوط ولا رجاء يجرهم الى بساط الانبساط وقال بعضهم لا دنيوية ولا اخروية بل جذبة الهية الى مكانة معنوية (وقوله يكاد زيتها يضيء اى يكاد نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى المقتبسة من شجرة النبوة (تبين) بفتح فوقية وكسر موحدة اى تظهر (للناس قبل كلامه) اى بادعاء النبوة حالة الرسالة لقوة ما فيهما من الانوار الالهية ولكونه مظهر الاسرار الصمدية (كهذا الزيت) اى فى صفاء ظاهره وباطنه حيث يضيء ولو لم تمسسه نار من الانوار الحسية وبعد اجتماع النبوة والرسالة والجمع بين الخلوة والجلوة نوره على نور كما فى اجتماع النار مع ضياء الزيت فى كمال الظهور يهدى الله لنوره اى لاجل نوره وبواسطة ظهوره او الى حضرة نوره واخذ النور من حضوره من يشاء من خواص اوليائه واكابر اصفيائه ويضرب الله الامثال للناس فيه اشعار بان ما قبله انما هو مثل للاستئناس ليدرك المعنى فى قالب المبنى لكن لا يعقلها الا العالمون العاملون المخلصون الكاملون رضى الله تعالى عنهم وجعلنا بفضله منهم (وقد قيل فى هذه الآية) اى على ما ذكره المفسرون وارباب العربية (غير هذا) اى غير ما ذكرنا مما يتعلق بالعبارة والعاقل تكفيه الاشارة لان الزيادة على العلامة ربما تورث الملالة والسآمة (والله تعالى اعلم وقد سماه الله تعالى فى القرآن فى غير هذا الموضع نورا) اى عظيما مطلقا (وسراجا منيرا) اى شمسا مضيئة حقا ولعل وجه التذكير انها كوكب والظاهر انه من باب التشبيه البليغ وكون المشبه به اقوى من حيث شهرته ووضوح دلالته العامة للخاص والعام من عالم الخلق (فقال) اى الله تعالى (قد جاءكم من الله نور) اى لظهور الحق وابطال الباطل واطلق عليه عليه الصلاة والسلام لانه يهتدى به من الظلمات الى النور (وكتاب مبين) بين الاعجاز ومبين الاحكام بالايجاز وهذا شاهد للمدعى الاول وبيانه ان الاصل فى العطف المغايرة وقد حاول بعض المفسرين بانه من باب الجمع بين الوصفين باعتبار تغايرهما اللفظى وان المراد بهما القرآن وقد يقال فى مقابلهم واى مانع من ان يجعل النعتان للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فانه نور عظيم لكمال ظهوره بين الانوار وكتاب مبين حيث انه جامع لجميع الاسرار ومظهر للاحكام والاحوال والاخبار (وقال) اى الله سبحانه مخاطبا له صلى الله تعالى عليه وسلم (يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا) اى على من بعثتك اليهم بتصديقهم وتكذيبهم او شاهدا على جميع الشهداء من الانبياء كما يستفاد من قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وهو وما بعده احوال مقدرة مخبرة بحيازته جميع الجهات المعتبرة (ومبشرا ونذيرا) اى منذرا ولعل وجه العدول رعاية الفواصل او تفنن العبارة فى المحل القابل فهو بشير ونذير ومبشر ومنذر للمطيعين بالجنة والوصلة وللعاصين بالحرقة والفرقة (وداعيا) اى جميع الخلق (الى الله) اى الى دينه وحبه ومقام قربه (باذنه) اى بامره وتيسيره (وسراجا منيرا) يميز بين الحق والباطل فى المعتقدات وبين الحلال والحرام فى المعاملات وبين محاسن الاخلاق ومساويها فى الرياضات فهو الداعى بالشريعة والطريقة والحقيقة الى المراتب الحقية والدرجات العلية عليه افضل الصلاة واكمل التحية (ومن هذا) اى الباب او النوع او القبيل (قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى آخر السورة) استفهام افاد انكار نفى الشرح مبالغة فى اثباته اذ انكار النفى نفى له ونفى النفى اثبات اى قد شرحناه لك ومن ثم عطف عليه قوله ووضعنا عنك وزرك اشارة الى المبنى ورعاية للمعنى (ومعنى قوله شرح وسع) بالتشديد (والمراد بالصدر هنا القلب) لان الصدر غير قابل للتضييق والتوسيع اى وسع قلبه لتجليات ربه وتنزلات حكمه بعد ما كان يضيق صدره لما ينعكس عليه من غبار غيره لقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون اى فينا او فى القرآن او فيك ثم قال تعالى كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه فهذا نهى تكوين كما ان قوله تعالى كن امر تكوين فيكون المأمور ولا يكون المنهى وبه ينتفى التلوين ويتحقق التمكين المعبر عنه بمرتبة جمع الجمع بين مناجاة الحق ومفاداة الخلق بحيث لا يحجبه الكثرة عن الوحدة ولا عكسه (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كما رواه ابن ابى حاتم عن عكرمة وابن مردويه وابن المنذر فى تفسيرهما عنه انه قال (شرحه بنور الاسلام) وفى نسخة بالاسلام وفى اخرى بالايمان والمعانى متقاربة البيان اى فسح قلبه ووسعه بسبب نور الانقياد وتفويض الامر الى المريد المراد العالم بالعباد والعباد فى جميع البلاد وفيه ايماء الى قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه (وقال سهل بنور الرسالة) اى شرحه به خصوصا فلا ينافى ما تقدم عموما (وقال الحسن) اى ابن ابى الحسن البصرى وهو من افاضل التابعين ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ومات بالبصرة سنة عشر ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة وكانت امه خادمة ام سلمة رضى الله تعالى عنها من امهات المؤمنين فكان اذا بكى فى صغره جعلت ثديها فى فمه فاصاب لذلك بركة عظيمة حتى صار عالما زاهدا يضرب به المثل فى كمال العلم والعمل اخرج له الجماعة فى الكتب الستة (ملأه) بالهمز اى ملأ قلبه (حكما) اى ما يحكم من الاحكام (وعلما) اى بجميع ضروريات الانام وفى نسخة بكسر الحاء وفتح الكاف جمع الحكمة فلعله

اراد بها السنة وبالعلم ما يتعلق بالكتاب من جهة دلالة المعنى وقرآءة المبنى (وقيل معناه المطهر قلبك) من الاستئناس بالناس (حتى لا يوذيك) وفى نسخة لا يقبل (الوسواس) اى لا يشوش عليك الموسوسون من الانس والشياطين حالة الحضور فى حضرة العيان وهو اتم واعم من تفسير بعضهم الوسواس بالشيطان والحاصل ان الهمزة للتقرير فى البيان والمعنى قد طهرنا لك صدرك ولذا عطف عليه قوله (ووضعنا عنك وزرك) اى اثمك واصله ما يحمل على الظهر ولذا قال (الذى انقض ظهرك) اى اثقله حتى ظهر نقيضه ونقيض الظهر صوته (وقيل) اى فى المراد من قوله وزرك (ما سلف من ذنبك) يعنى من التقصيرات او اللهوات والغفلات (يعنى) اى يريد صاحب القيل بهذا القول (قبل النبوة) لانه كان بعدها فى مرتبة العصمة (وقيل اراد) اى الله تعالى به (ثقل ايام الجاهلية) وهو بكسر المثلثة وفتح القاف ضد الخفة ويجوز تسكينها تخفيفا وهو لا ينافى ان الثقل بالكسر والسكون واحد الاثقال لانه لاشك ان المراد به نوع من اثقال الاحمال وهو الواقع فى ازمنة الجاهلية من اصحاب الفترة قبل ظهور نور الدولة الاسلامية وقبل اعلاء اعلام العلوم الدينية ولعل فيه ايماء الى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان اى تفاصيل ما يتعلق به على وجه الايقان ومنه قوله تعالى ووجدك ضالا اى جاهلا عن كمال المعرفة فهدى اى فهداك هداية كاملة وهدى بك جميع الامة واما الثقل بفتحتين بمعنى متاع المسافر فلا يبعد ان يكون مرادا هنا اشعارا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم حال سلوكه وسيره كان حاملا لامور ثقيلة على ظهره فرفعها الله تعالى عنه حتى تمكن فى مقام تفويضه وتسليم امره (وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة) اى من اعبائها فانه من باب التوجه من الحق الى الخلق وهو مستثقل عند ارباب الولاية الا بعد حصول مرتبة جمع الجمع الذى يزيل تفرقه بالكلية بحيث لا تشغله الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة (حتى بلغها) بتشديد اللام اى حتى بلغ الرسالة بعد ما بلغ تلك الحالة (حكاه الماوردى) من علماء الظاهر وهو ممن تفقه على ابى حامد الاسفراينى وصنف فى الفقه والتفسير والاصول توفى سنة خمسين واربعمائة وهو ابو الحسن على ابن حبيب الشافعى (والسلمى) من علماء الباطن وهو ابو عبد الرحمن ابن عبد الله بن حبيب الكوفى سمع عليا وابا موسى وغيرهما توفى فى زمن بشر بن مروان بالكوفة سنة اثنتى عشرة واربعمائة وهو بضم السين وفتح اللام منسوب الى سليم كذا ذكره التلمسانى وهو غير صحيح فانه مناقض الاخر والاول فتأمل والصواب ما ذكره الحلبى بقوله هو ابو عبد الرحمن السلمى النيسابورى شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم مولده سنة ثلاثين وثلاثمائة وتوفى فى شعبان سنة اثنتى عشرة واربعمائة له ترجمة فى الميزان (وقيل عصمناك) اى حفظناك من ارتكاب الذنوب فى فعلك (ولولا ذلك) اى عصمتنا لك (لاثقلت الذنوب ظهرك) وهذا معنى بديع (حكاه السمرقندى) اى ابو الليث وبقى قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم) اى ابن سليمان الاموى مولاهم الكوفى احد الاعلام اخرج له اصحاب الكتب الستة توفى سنة ثلاث ومائتين (بالنبوة) اى ورفعنا ذكرك بسبب النبوة بين الملائكة او بالنبوة المقرونة بالرسالة بين جميع الامة او بالنبوة الروحانية المختصة قبل خلقة آدم بين ارواح المرسلين والملائكة المقربين (وقيل) اى فى معناه (اذا ذكرت ذكرت معى) وسيأتى ان هذا حديث مرفوع (قيل فى قوله) كذا بالاضافة الى الضمير اى فى قول القائل والاظهر ان يقال فى قول (لا اله الا الله محمد رسول الله) كما فى نسخة وهو مجرور كما هو ظاهر واغرب الحلبى حيث تبع ضبط بعضهم بالرفع وحاول وجهه بما لا طائل تحته ولعله مبنى على انه وجد فى نسخة قول بلا حرف الجر (وقيل فى الاذان) والاول اعم ولا يبعد ان يقال المراد برفع ذكره ذكره انه جعل ذكره كما جعل طاعته طاعته ولا مقام فوق هذا فى الرتبة وهو تشبيه بليغ بمنع الاتحاد القائل به اهل الالحاد (قال القاضى ابو الفضل الفقيه رحمه الله) اى المصنف (هذا) اى ما ذكر فى هذه السورة من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر (تقرير) اى تثبيت وتمهيد (من الله جل اسمه) اى عظم اسمه فضلا عن مسماه (لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه) اى دال على عظمة نعمه السابقة الظاهرة والباطنة له عنده سبحانه وتعالى (وشريف منزلته) اى قربه ومرتبته (عنده) اى عنديته المعبر بها عن المكانة (وكرامته) اى وعلى شريف اكرامه واعظامه (عليه) سبحانه وتعالى (بان شرح قلبه للايمان) اى الكامل الايقان (والهداية) اى الموصلة الى مقام الاحسان او هداية افراد الانسان الى مراتب حقائق الايمان (ووسعه) بتشديد السين اى وجعل قلبه وسيعا (لوعى العلم) اى حفظه (وحمل الحكمة) اى وتحمل ما يحكم العلم به من امر النبوة (ورفع عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه) بتشديد الغين المعجمة اى جعله مبغوضا (لسيرها) بكسر ففتح جمع سيرة والضمير الى الجاهلية اى لقواعدها وكان الظاهر ان يقول وبغض سيرها له ولعله من باب القلب على قصد المبالغة واما ما ضبط بصيغة المصدر فى بعض النسخ فلا وجه له اصلا لا نوعا ولا فصلا (وما كانت) عطف على سيرها اى ولما كانت الجاهلية (عليه بظهور دينه) متعلق برفع اى بغلبة امر دينه وتعليته (على الدين كله) اى على

الاديان جميعها (وحط) اى وضع الله (عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة) اى تكليف ثقلهما وحملهما وهو الجمع بينهما بالاخذ عن الحق وهو مرتبة النبوة والايصال الى الخلق وهو منزلة الرسالة وهو امر صعب الامن وفقه الله تعالى وقواه ومنه قوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا والاعباء بفتح الهمزة جمع عبء بكسر فسكون فهمز (لتبليغه) باللام وفى نسخة بالباء وما لهما واحد اذ اللام تعليلية والباء سببية اى لابلاغه صلى الله تعالى عليه وسلم (للناس ما نزل اليهم) اى متلوا كان او غيره من امر ونهى ووعد ووعيد وهذا مقتبس من قوله تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم (وتنويهه) اى ولرفعه قدره المشعر (بعظيم مكانه) اى مكانته وشأنه (وجليل رتبته) اى عظيم مرتبته (ورفعه) اى ولرفع الله (ذكره) وفى نسخة ورفعة ذكره وروى ورفيع ذكره (وقرانه) اى وجمع الله اى فى كلامه بامره وحكمه (مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله عز وجل ذكره فى الدنيا والآخرة) اى رفعة حسية ومعنوية (فليس خطيب) اى فوق منبر (ولا متشهد) اى عند ايجاد الايمان او تجديد الايقان (ولا صاحب صلاة) اى فى قعدة اخيرة (الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) او عبده ورسوله وان الاولى مخففة من المثقلة (وروى ابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) كما فى صحيح ابن حبان ومسند ابى يعلى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتانى جبريل) عليه الصلاة والسلام (فقال ان ربى وربك يقول تدرى) اى اتدرى كما فى نسخة صحيحة (كيف رفعت ذكرك قلت) وفى نسخة فقلت (الله ورسوله اعلم) الظاهر ان قوله ورسوله سهو قلم وان وقع فى نسخة زيادة يعنى جبريل فانه لا يلائم المقام (قال) اى الله سبحانه وتعالى (اذا ذكرت ذكرت معى قال ابن عطاء) هو ابو العباس احمد بن محمد بن سهل ابن عطاء الادمى الزاهد البغدادى احد مشايخ الصوفية بالعراق كان قانتا مجتهدا فى العبادة لا ينام من الليل الا ساعتين ويختم القرآن فى كل يوم وله احوال ومعارف وكرامات سنية مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة كذا ذكره الحافظ ابن حجر العسقلانى والحاصل انه قال معنى رفعنا لك ذكرك (جعلت تمام الايمان بذكرى معك) وفى نسخة بذكرك معى وهو الاظهر فلا يصح ولا يعتد به شرعا ما لم يتلفظ بكلمتيه اقرارا بحقية وحدانيته تعالى وحقية رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم بناء على اشتراط التلفظ بهما فى صحته من قادر وبه قال الجمهور والحق ان اشتراطه مع اظهاره انما هو لاجراء احكام الاسلام عليه فى الدنيا من عصمة دمه وماله ونحو ذلك فمن آمن بقلبه ولم يتلفظ بهما نفعه ايمانه عند الله تعالى وكان تاركا للافضل كذا ذكره الدلجى وفيه ابحاث ليس هنا محلها (وقال) اى ابن عطاء (ايضا جعلتك ذكرا من ذكرى) اى نوع ذكر من اذكارى (فمن ذكرك ذكرنى) اى فكانه ذكرنى وهو قريب مما قدمناه (وقال جعفر بن محمد الصادق) بالرفع (لا يذكرك احد بالرسالة) اى بالارسال للعبودية (الا ذكرنى بالربوبية) اى وبتوحيد الالوهية (واشار بعضهم) كالماوردى (بذلك) اى بقوله ورفعنا لك ذكرك (الى مقام الشفاعة) فانه يظهر رفعته فى تلك الحالة على جميع البرية ثم لا منع من ارادة الجمع (ومن ذكره) جار ومجرور ومضاف (معه تعالى) اى مع ذكره (ان قرن) بفتح ان المصدرية (طاعته) صلى الله تعالى عليه وسلم (بطاعته) سبحانه وتعالى (واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول) وكان الاظهر ان يقال واطيعوا الله واطيعوا الرسول كما فى نسخة (وآمنوا بالله ورسوله) وربما يقال الآية الاولى هى الاولى للدلالة على الاتحاد فى المدعى بحسب المعنى (فجمع بينهما) اى من غير اعادة العامل (بواو العطف المشركة) بتشديد الراء وفى نسخة بتخفيفها اى الجاعلة للمعطوف اشتراكا فى المعطوف عليه بالنسبة الى الفعل المسند اليه وهو لا ينافى ان بينهما تفاوتا فى المرتبة حيث ان الايمان بالله يقتضى الاصالة والايمان برسوله يوجب التبعية (ولا يجوز جمع هذا الكلام فى غير حقه) اى فى حق احد غير حقه (عليه الصلاة والسلام) اى ممن لا يكون فى مرتبته من وجوب الايمان والاسلام والا فيقال آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وامثاله وكان الاظهر ان يقال ولا يجوز لاحد غير الله سبحانه وتعالى ان يجمع هذا الجمع فى الكلام كما دل عليه استدلاله بالاحاديث الواردة عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال (حدثنا الشيخ ابو على الحسين بن محمد الجيانى) بفتح الجيم وتشديد التحتية نسبة الى بلدة بالاندلس مات سنة ثمان وتسعين واربعمائة له كتب مفيدة فى تقييد الالفاظ وغيرها (الحافظ) وهو فى اصطلاح المحدثين من احاط علمه بمائة الف حديث (فيما اجازنيه وقرأته على الثقة) بكسر المثلثة وهو المعتمد وهو ابو على ابن سكرة الصدفى او غيره من مشايخه (عنه) اى مرويا عن الجيانى وقد اجاز وكان يمكنه السماع منه (وقال) اى الجيانى فى الاجازة او الراوى عنه فى القرآءة (انبانا ابو عمر النمرى) بفتحتين وقد سبق انه الحافظ ابن عبد البر (قال حدثنا ابو محمد ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر ابن داسه) سبق ذكره (حدثنا ابو داود السجزى) بكسر مهملة وسكون جيم فزاى نسبة الى سجستان بكسر اوله وقيل بفتحه على غير قياس وهو اقليم ذو مدائن بين خراسان والسند وكرمان (حدثنا ابو الوليد) هشام بن عبد الملك الباهلى (الطيالسى) اخرج له الجماعة الستة قال احمد هو اليوم شيخ الاسلام مات سنة

سبع وعشرين ومائتين (حدثنا شعبة) هو ابن الحجاج سمع كثيرا من التابعين ومات سنة مائة وستين (عن منصور) اى ابن المعتمر ابو عتاب السلمى توفى سنة احدى وثلاثين ومائة (عن عبد الله بن يسار) بتحتية مفتوحة وسين مهملة هذا هو الجهنى الكوفى اخرج له ابو داود والنسائى وهو اخو سليمان وسعيد توفى عام احدى وثلاثين ومائة (عن حذيفة) اى ابن اليمان (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اسنده المصنف هنا من طريق ابى داود ورواه ايضا النسائى وابن ابى شيبة (قال لا يقولن احدكم ماشاء الله وشاء فلان) اى مع اعادة الفعل بصريحه فكيف مع حذفه وتقديره لتوهم الاشتراك فى معية المشيئة وان كانت الواو مفيدة لمطلق الجمع والاشتراك لاشك انه من الاشراك وفلان يشمل جميع الخلق ولو من الانبياء والاصفياء (ولكن) اى يجوز له ان يقول (ماشاء الله ثم شاء فلان) على ما فى الاصول المصححة اى متابعة لمشيئته وموافقة لارادته لان للمشيئة ولو تأخرت تاثيرا فى قضيته فان ماشاء الله كان سواء شاء او ابى فلان ومالم يشأ لم يكن سواء شاء او ماشاء فلان مع ان العبد لم يكن له مشيئة الا بعد تعلق مشيئة الله بمشيئته كما قال سبحانه وتعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله (قال الخطابى) بفتح معجمة وتشديد مهملة هو الامام الحافظ ابو سليمان البستى نسبة الى جده ويقال انه من سلالة زيد بن الخطاب كان اماما كبيرا تفقه على القفال وغيره توفى ببست سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة (ارشدهم صلى الله تعالى عليه وسلم الى الادب) اى الواجب مراعاته من جهة الرب (فى تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها) قال الحجازى ويروى واحتازها بمهملة وزاى والظاهر انه تصحيف اى واختار العبارة فى تغييرها التعبيرها (بثم التى هى للنسق) بفتحتين اى للعطف بالترتيب (والتراخى) اى المهلة فى الوجود والرتبة (بخلاف الواو التى هى للاشتراك) وهو قد يكون بالمعية والقبلية والبعدية وبخلاف الفاء التعقيبية (ومثله) اى مثل الحديث المتقدم فى النهى (الحديث الآخر ان خطيبا خطب عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل هو ثابت بن قيس بن شماس (فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد) بفتحهما وبكسر الثانى بمعنى اهتدى (ومن يعصهما) اى فقد غوى كما فى نسخة صحيحة اى ضل عن طريق الهدى (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم) اى من هذا المجلس (او قال اذهب) اى فانك قليل الادب والحديث اخرجه النسائى فى اليوم والليلة وابو داود فى الادب ورواه مسلم ايضا (قال ابو سليمان) اى الخطابى (كره) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (منه) اى من الخطيب (الجمع بين الاسمين بحرف الكناية) مأخوذة من الكن وهو الستر وهو تعبير كوفى بمعنى الضمير المأخوذ من الضمور والضمار الذى هو الخفاء ويقابلهما الظهور والظاهر وهو ضد المضمر وهو تعبير بصرى (لما فيه) اى فى الجمع بينهما بالكناية (من التسوية) اى توهمها المقتضى للشركة بينهما وفيه ان توهم التسوية موجود ظاهرا فى المظهر ايضا مع ان اطاعتهما وعصيانهما متلازمان فى ترتب الهداية والغواية كما يشير اليه قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه بافراد الضمير الشامل لكل منهما وان كانت رتبته تعالى اجل واعظم من ان تقابل بمرتبة مخلوق وان كان تشرف وتكرم ولذا قال النووى الصواب ان سبب النهى والذم هو ان الخطيب شأنه الايضاح واجتناب الرمز والاشارة لا لكراهة الجمع بين الاسمين بالكناية لانه ورد فى مواضع منها قوله عليه الصلاة والسلام ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ومما يقوى كلام النووى ان كلام الخطيب جملتان مستقلتان (وذهب غيره) اى غير الخطابى واراد بعضهم (الى انه انما كره الوقوف) اى التوقف (على يعصهما) لو صح هذا الوقف سواء اتى بعده بقوله فقد غوى او اقتصر اكتفاء بما يعرف من الضد فانه مقصر لا محالة لعدم تمام الكلام ونظام المرام ووجود الايهام (وقول ابى سليمان) اى الخطابى (اصح) اى من قول القائل السابق (لما روى فى الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر) اى فى هذا الحديث (الوقوف على يعصهما) وانت قد عرفت الاحتمالين ومن حفظ حجة على من لم يحفظ والاثبات مقدم على النفى (وقد اختلف المفسرون) للقرآن (واصحاب المعانى) اى من ارباب البيان (فى قوله تعالى ان الله وملائكته) الاكثر على النصب عطفا على اسم ان (يصلون على النبى هل يصلون) اى جملتها باعتبار كنايته العائدة (راجعة الى الله تعالى وملائكته جميعا) وخبر عنهم مشركة بينهم فى ضمير واحد (ام لا) اى بل هى راجعة الى الملائكة فقط ويقدر لله عامل آخر لتغاير الصلاتين (فاجازه بعضهم) اى ممن قال بالجمع بين المعنيين المشتركين فى اطلاق واحد فان الصلاة من الله تعالى انزال الرحمة ومن الملائكة الاستغفار والدعوة ومنهم الشافعى واتباعه (ومنعه آخرون) اى منع رجوعها اليهم (لعلة التشريك) اى بين المعنيين ومنهم ابو حنيفة واشياعه اولاجل توهم الاشتراك فى الفعل واجازه الاولون لظهور المغايرة عند ارباب العقل ونهى الخطيب انما كان لترك الادب الذى هو كمال شأن الخطبة من الايضاح واجتناب الرمز (وخصوا) اى البعض الاخرون (الضمير) اى فى يصلون (بالملائكة وقدروا الآية) اى هكذا (ان الله يصلى وملائكته يصلون) اى وجعلوا خبر الثانى

دليلا على خبر الاول كما فى نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف والمحققون يجعلونه من باب عموم المجاز ويقولون التقدير ان الله وملائكته يعظمون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كل بما يناسبه من انواع التعظيم واصناف التكريم والاولى عندى ان يقال الضمير راجع الى الكل والمعنى يثنون عليه فالله تعالى عند الملائكة المقربين وفى كتابه المبين وعلى لسان جبريل الامين والملائكة فيما بينهم لاسيما اذا قلنا انه ايضا مبعوث اليهم فيجب حينئذ تعظيمه لديهم وثناؤه عليهم وهذا المعنى لغوى حقيقى على ما ذكره صاحب القاموس من ان الصلاة هى الرحمة والدعاء والاستغفار وحسن الثناء هذا وقرآءة ابن عباس ورويت عن ابى عمرو وملائكته بالرفع اما عطفا على محل اسم ان او مبتدأ خبره محذوف وهو مذهب البصريين (وقد روى عن عمر رضى الله تعالى عنه) قال الدلجى ولم ادر من رواه (انه قال) اى مخاطبا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (من فضيلتك عند الله تعالى) اى من جملة فضائلك فى حكمه (ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى) الظاهر انه ليس من قول عمرو عطفه عليه لقربه منه معنى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الايتين) يعنى ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين فالاية الثانية تدل على ما تقدم من ان اطاعة الرسول كاطاعة الله وقوله فان تولوا اى اعرضوا او تعرضوا عن كل من اطاعة الله واطاعة الرسول فان الله لا يحب الكافرين بالاعراض عن طريق المؤمنين المطيعين واما الاية الاولى فهى فى رتبة مقام المحبوبية اولى حيث جعل متابعة حبيبه شرط التحقق محبته ثم رتب على محبته المقرونة باتباعه محبة ثانية مجازاة من الله سبحانه وتعالى على محبتهم فمتابعتهم له محفوفة بمحبتين لله سابقة ولاحقة ازلية وابدية علمية وتنجيزية بل المحبة الاولية هى التى اوجبت المحبة الآخرية كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه والحاصل انه تعالى سد باب المحبة على جميع الخلق الا بملازمة باب الحبيب ومتابعة آداب الطبيب الجامع بين مرتبة المحبة والمحبوبية والمريدية والمرادية والطالبية والمطلوبية والسالكية والمجذوبية فابواب ارباب الهدى سدت السدى ومن جاء هذا الباب لا يخشى الردى ثم المحبة ميل نفس الى ما فيه كمال يحملها على ما يقربه اليه فاذا علم العبد ان الكمال الحقيقى ليس الا لله وان كل كمال فى نفسه او غيره انما هو من الله وبه واليه لم يكن حبه الا لله تعالى وفيه تعالى وذلك يدعو الى طاعته المستلزمة لطاعة رسوله ولكونها بالارادات اشد منها بالادراكات فسرت بارادة طاعته والتحرز عن معصيته ومحبته تعالى لعباده ارادة هدايتهم وتوفيقهم فى الدنيا وحسن ثوابهم فى الاخرى والعقبى (وروى) اى عن جماعة كابن المنذر عن مجاهد وقتادة (انه لما نزلت هذه الاية) اى قل ان كنتم تحبون الله (قالوا) اى بعض الكفار (ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا) اى ربا ذا رحمة (كما اتخذت النصارى عيسى حنانا) ومنه قوله تعالى وحنانا من لدنا وقيل محببا وقيل متمسحا به ومنه قول ورقة بن نوفل حين مر ببلال وهو يعذب والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا اى لاجعلن قبره موضع حنان اى مظنة رحمة من الله فاتمسح به متبركا كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا فى سبيل الله من الامم الماضية فيرجع ذلك عارا عليكم ومسبة عند الناس راجعة اليكم (فانزل الله عز وجل) اى بعد تلك الاية (قل اطيعوا الله والرسول) تأكيدا للمتابعة (فقرن طاعته بطاعته صلى الله عليه وسلم) اى تعظيما لقدره وتشريفا لامره (رغما لهم) بفتح الراء وهو الاشهر اى غيظا لانوفهم وكرها لانوفهم ففى القاموس الرغم الكره ويثلث واصل هذه الكلمة من الرغام وهو التراب يقال رغم انفه بالكسر اذا لصق بالرغام فالمعنى الصاقا لانوفهم بالتراب جزاء لانفتهم من ملازمة هذا الباب ومتابعة هذا الجناب على وفق الكتاب وآداب رب الارباب لاولى الالباب (وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى فى ام الكتاب) اى اصل الكتاب المشتمل على اجمال جميع الابواب من الثناء على الله والتعبد له والاستعانة به وطلب الهداية اليه والوعد والوعيد منه وهو سورة الفاتحة الخاتمة (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم) اى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذا اولى مما قيل فى الاية وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل فيه دخولا اوليا بلا مرية (فقال ابو العالية والحسن البصرى) اما الحسن ابن ابى الحسن البصرى فقد تقدمت ترجمته مجملة واما ابو العالية فهما اثنان تابعيان من اهل البصرة فاحدهما ابو العالية الرياحى بكسر الراء وبالتحتية واسمه رفيع بن مهران اسلم بعد عامين من موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم روى عن عمر وابى وابن عباس رضى الله تعالى عنهم وروى عنه قتادة وغيره اخرج له الجماعة توفى سنة تسعين والثانى ابو العالية البراء بفتح موحدة وتشديد راء بعده همزة واسمه زياد روى عن ابن عباس وغيره وروى عنه ايوب السختيانى وغيره اخرج له الشيخان والنسائى والثانى بالكنية اشهر والمراد هنا الاول وله تفسير وكان ابن عباس رضى الله عنه يعظمه ويجلسه معه على السرير ويفرش تحته (الصراط المستقيم) بالنصب على الحكاية وهو اولى من الرفع المبنى على الاعراب بالابتداء آتية (هو رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه) بشهادة حديث خير القرون قرنى وحديث اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ولا يخفى انه لا يصح الحمل الا بتقدير وهو طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخيار اتباعه او يحمل عليه مبالغة كرجل عدل فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعه لكمال اتباعه عين الطريق فى عالم التحقيق فان من المعلوم انه ليس هنالك صراط حسى فليس المراد الا انه طريق معنوى من تبعه اوصله الى مطلوبه وبلغه الى محبوبه (حكاه) اى روى هذا التفسير (عنهما ابو الحسن الماوردى) تقدم ذكره اى عن ابى العالية والحسن ورواه فى المستدرك عن ابى العالية وصححه (وحكى مكى عنهما نحوه) اى بمعناه لا بلفظه ومكى هذا هو ابو محمد مكى بن ابى طالب القيسى اصله من القيروان وانتقل الى الاندلس وسكن قرطبة وهو من اهل التبحر فى علوم القرآن والعربية كثير التأليف فى علم القرآن توفى سنة سبع وثلاثين واربعمائة بقرطبة (وقال) اى مكى (هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما) ولعل وجه تخصيصهما انهما مما اتفق الامة على حقيتهما وجلالتهما وعلى ثبوت احكامهما بحضر بقية الصحابة فى مجالسهما فكان اقوالهما وافعالهما بمنزلة الاجماع التقريرى او السكوتى بخلاف من بعدهما فانه وقع الاختلاف فى امورهم من حيث تكثر بعض الصحابة وتقرير آخرين منهم فى شأنهم ولا عبرة بطعن كلاب اهل النار من المبتدعة الرافضة طريق الابرار الخارجة عن الصراط المستقيم والدين القويم (وحكى ابو الليث السمرقندى مثله) اى مثل المحكى السابق فى الصراط المستقيم عن المكى راويا له (عن ابى العالية فى قوله عز وجل) اى فى تفسير قوله (صراط الذين انعمت عليهم) اى انه رسول الله وصاحباه ومآلهما واحد لان الثانى بدل او عطف بيان للاول (قال) اى ابو الليث (فبلغ ذلك) اى فوصل تفسير ابى العالية هذا (الحسن) اى البصرى من عاصم (فقال صدق والله) اى فى البيان (ونصح) اى الامة فى هذا التبيان (وحكى الماوردى ذلك) اى القول المذكور (فى تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد) اى ابن اسلم المدنى روى عن ابيه وابن المنكدر وعنه اصبغ وقتيبة وهشام ضعفوه له تفسير وقد اخرج له الترمذى وابن ماجه ووالده زيد يروى عنه البخارى بواسطة (وحكى ابو عبد الرحمن السلمى عن بعضهم) اى بعض العارفين (فى تفسير قوله تعالى فقد استمسك) اى تمسك (بالعروة الوثقى انه) اى العروة الوثقى وتذكيره باعتبار خبره وهو (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ من وثق به نجا ومن تبعه اهتدى (وقيل) اى المراد بالعروة (الاسلام وقيل شهادة التوحيد) والمآل متحد عبارتنا شتى وحسنك واحد (وقال سهل) اى التسترى (فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال) اى سهل (نعمته بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ويروى نعمته محمد عليه الصلاة والسلام والاول هو الصحيح لعدم صحة الحمل فى الثانى اللهم الا ان يقال التقدير نعمته نعمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والاضافة الى الجلالة نظرا الى الحقيقة والاصالة والمراد بنعمته انعامه به علينا اذ انعامه اصل النعم لصدورها عنه فائضة علينا لا يحصى عد انواعها اجمالا فضلا عن افرادها تفصيلا (وقال تعالى والذى جاء بالصدق) اى بالحق المطابق للواقع (وصدق به) اى جمع بين مجيء الصدق واتيان التصديق (اولئك هم المتقون) اى فى التحقيق وجمع المشار اليه بالنظر الى ان معنى الموصول الجنس المفيد للعموم فالمراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام او نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والجمع من حيث انه الفرد الاكمل للتعظيم او المراد هو وامته وهذا اظهر فى باب التكريم (الايتين) فيه ان البقية ليس لها دخل فى القضية (اكثر المفسرين على ان الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لان الكلام فيه فالمراد هو وحده او ومن معه من الانبياء او وامته من الاصفياء (وقال بعضهم وهو الذى صدق به) وهو الظاهر لعدم اعادة الموصول (وقرئ صدق به بالتخفيف) وهو يؤيد انه هو الذى صدق به لان الثانى متعين فيه (وقال غيرهم الذى صدق به المؤمنون) وفيه اشعار بتقدير الموصول وهو جائز عند بعض ارباب الوصول (وقيل هو ابو بكر رضى الله تعالى عنه) اى واتباعه او جمع لتعظيمه (وقيل على رضى الله تعالى عنه) اى واتباعه واشياعه او جمع لتكريمه والاظهر ان تفسير الجمع بينهما الارادة امثالهما وخصا بالذكر لانهما اول من وقع منه التصديق على خلاف بين المرتضى والصديق (وقيل غير هذا من الاقوال) ومن جملتها ما اشرنا اليه فى سابق الحال (وعن مجاهد رضى الله تعالى عنه) اى ابن جبر بفتح جيم فسكون موحدة وقيل جبير بالتصغير وروى عن ابى هريرة وابن عباس وعنه قتادة وابن عون كان اماما فى القراءة والتفسير حجة فى الحديث قال كان ابن عمر يأخذ لى بركابى ويسوى على ثيابى اذا ركبت قيل انه رأى هاروت وماروت وكاد يتلف اخرج له الستة (فى قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه) اى بما يذكر ويروى عنه وعن اصحابه لما يفيد من الدلالات اليقينية والافادات العلمية فى الامور الشرعية مما تطمئن به القلوب وتسكن به النفوس او بمجرد ذكره

وذكر اصحابه فان عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وعند نزول الرحمة يحصل للقلوب الاطمئنان والسكينة

(الفصل الثانى)

(فى وصفه تعالى له) وفى نسخة فى وصفه له تعالى وهو خطأ فاحش (بالشهادة وما يتعلق به من الثناء والمدح والكرامة) المراد بالشهادة شهادته صلى الله تعالى عليه وسلم بالتزكية للامة او بالتبليغ للانبياء فى موقف القيامة بناء على الاحتمالين المفهومين من قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله وما يتعلق به اى بوصفه فهو تعميم بعد تخصيص بعضه وفى نسخة صحيحة وما يتعلق بها والمتبادر انها ترجع الى الشهادة والتحقيق انها المعنى ما المبين بما بعدها (قال الله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا) اى على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم يوم القيامة او شاهدا لله بالوحدانية او مشاهدا له بالصمدانية (ومبشرا) اى للمؤمنين بالجنة والوصلة (ونذيرا) اى منذرا ومخوفا للكافرين بالحرقة والفرقة ولعل وجه العدول عن منذر الى نذير مراعاة للفاصلة او تفنن فى العبارة ولذا لم يقل بشيرا مع انه بمعنى مبشر (الاية) وتمامها وداعيا الى الله اى الى الاقرار به وبتوحيده باذنه اى بتيسيره او بامره وهو قيد لجميع ما تقدم لا للدعوة وحدها كما يستفاد من البيضاوى والله تعالى اعلم وسراجا منيرا اى يستضاء به من ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره ما يتخلص به عن الضلالة (جمع الله تعالى له فى هذه الاية) اى بعد ما تعلق به عين العناية وتحقق له كمال الرعاية (ضروبا) اى انواعا واصنافا (من رتب الاثرة) بضم راء وفتح تاء جمع رتبة بمعنى المنزلة والمرتبة المخصوصة والاثرة محركة وبالضم وبالكسر ما يستأثر به على غيره والاثرة بالضم المكرمة المتوارثة كالمأثرة على ما فى القاموس وقال النووى بالفتحتين هو الافصح (وجملة اوصاف) اى وجمع له نعوتا جميلة او كثيرة (من المدحة) بكسر الميم اى الثناء والذكر الحسن واذا فتحت الميم قلت المدح (فجعله) اى الله (شاهدا على امته لنفسه) اى لذاته الشريفة (بابلاغهم الرسالة) من اضافة المصدر الى مفعوله اى بابلاغه اياهم ما يتعلق بامر الرسالة (وهى) اى هذه الخصلة التى هى الشهادة لنفسه على الامة بدون البينة (من خصائصه عليه الصلاة والسلام) اى حيث لم يجعل غيره شاهدا بنفسه لنفسه على امته فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا جحدت امتهم تبليغهم اياهم فشهدوا لانفسهم به فان الله تعالى يطالبهم بالبينة وهو اعلم فنشهد لهم به فتقول امهم لنا بم عرفتم ذلك فنقول باخبار الله تعالى لنا فى كتابه فيسأل الله تعالى نبينا عنا فيزكينا بشهادة وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية وكفى بها احتجاجا على كون الاجماع حجة (ومبشرا لاهل طاعته) اى بالثواب العظيم (ونذيرا لاهل المعصية) اى بالعقاب الاليم (وداعيا الى توحيده وعبادته) اى من الدين القويم وفى اصل الدلجى وداعيا الى الله باذنه على وفق الاية اى بتيسيره وتسهيله (وسراجا منيرا) اى مضيئا (يهتدى به للحق) بصيغة المجهول اى يهتدى الخلق به الى الحق كما يهتدى بنور السراج نور الابصار والى صراط مستقيم (حدثنا الشيخ ابو محمد ابن عتاب رحمه الله) بفتح مهملة وتشديد فوقية ثم موحدة قال الحجازى ليس للقاضى عياض رواية عن محمد بن عتاب وانما روى عن ابى محمد ابن عبد الرحمن بن محمد بن عتاب انتهى وكذا قال التلمسانى هو عبد الله بن محمد بن عتاب سمع منه القاضى فى رحلته الى الاندلس انتهى وقال العسقلانى هو مسند الاندلس فى زمانه عبد الرحمن بن محمد بن عتاب القرطبى الاندلسى سمع من ابيه وكان واسع الرواية فاكثر عنه وعن حاتم ابن محمد الطرابلسى وغيرهما واجازله جماعة من الكبار منهم مكى بن ابى طالب المقرى وكان ابن عتاب عارفا بالقراآت ذكر الكثير من التفسير والعربية واللغة والفقه كريما متواضعا زاهدا ومات سنة عشرين وخمسمائة (حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) اى ابن عبد الرحمن بن حاتم التميمى المعروف بابن الاطرابلسى وقد قرأ عليه ابو على الغسانى صحيح البخارى مرات (حدثنا ابو الحسن) اى على بن محمد بن خلف المعافرى القروى (القابسى) بكسر الموحدة وانما قيل له القابسى لان عمه كان يشد عمامته شد اهل قابس توفى سنة ثلاث واربعمائة بمدينة القيروان ودفن بباب تونس (حدثنا ابو زيد المروزى) وهو محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد الامام البارع المحقق النحرير المدقق الزاهد العابد المجمع على جلالته وعظمته قال الحاكم جاور بمكة وحدث بها وببغداد بصحيح البخارى عن الفربرى وهو اجل الروايات بجلالة ابى زيد توفى بمرو سنة احدى وسبعين وثلاثمائة (حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف) بتثليث السين وبالهمز والابدال كيونس وهو ابن مطر بن صالح بن بشر بن ابراهيم الفربرى وكان ثقة ورعا توفى سنة عشرين وثلاثمائة قال ابو نصر الكلاباذى كان سماعه لهذا الكتاب يعنى صحيح البخارى من محمد بن اسماعيل البخارى مرتين مرة بفربر سنة ثمان واربعين ومائتين ومرة ببخارى سنة اثنتين وخمسين ومائتين انتهى وروى انه قال سمعت الجامع بفربر فى ثلاث سنين وفربر مدينة بخراسان بكسر الفاء او بفتحها وفتح الراء الاولى فقيل الكسر اكثر وقيل الفتح اشهر (قال حدثنا البخارى) وهو اظهر من ان يذكر وهو ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى وقد روى عنه الترمذى وابن خزيمة وجماعة والصحيح

ان النسائى لم يسمع منه وكان اماما حجة حافظا فى الحديث والفقه مجتهدا من افراد العالم مع دينه وورعه وتألفه ذهب بصره فى صباه فرده الله تعالى عليه بدعاء امه ومات يوم الفطر بعد الظهر سنة خمسين ومائتين (حدثنا محمد بن سنان) بكسر السين مصروف وممنوع وهو ابو بكر العوفى الباهلى البصرى روى عنه البخارى وابو داود والترمذى وابن ماجه (حدثنا فليح) بضم فاء وفتح لام وسكون تحتية تصغير فالح او افلح مرخما وهو ابن سليمان العدوى روى عن نافع وغيره وعنه جماعة واخرج له الائمة الستة (حدثنا هلال) اى ابن على وهو هلال بن ابى ميمونة يروى عن انس وعطاء ابن يسار وابى سلمة وعنه مالك وفليح وغيرهما اخرج له اصحاب الكتب الستة (عن عطاء بن يسار) بفتح تحتية وخفة مهملة وروى عن ميمونة وابى زيد وابى ذر وعدة وعنه زيد بن اسلم وشريك وخلق وكان من كبار التابعين وعلمائهم اخرج له الائمة الستة (قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصى) اختلف فى كتابته والجمهور كما قاله النووى على كتابته بالياء وهو الفصيح عند اهل العربية ويقع فى كثير من كتب الحديث والفقه واكثرها بخلاف الياء وهى لغة انتهى وقال ابن الصلاح فى الاملاء على المسلسل بالاولية يقول كثير من اهل الضبط فى حالة الوصل بالياء مجرا على الجادة والمتداول على الالسنة والمشهور حذف الياء وهو مشكل على من استطرف من العربية ولم يوغل ور بما انكره ولا وجه لانكاره فانه لغة لبعض العرب شبه ما فيه الالف واللام بالمنون لما بينهما من التعاقب وبه اقرأ عدة من القراء السبعة كما فى قوله تعالى الكبير المتعال وشبهه انتهى وقد اثبت ابن كثير ياء المتعال وصلا ووقفا والجمهور على حذفها فى الحالين واراد بشبهه التلاق والتناد فان قالون بخلاف عنه وورشا وافقا ابن كثير فى اثبات الياء وصلا لا وقفا والحاصل ان المنقوص لا خلاف فى جواز حذف لامه فى اسم الفاعل واثباته وانما الكلام على ان العاص هل هو اسم الفاعل من عصى بمعنى مرتكب العصيان او حامل العصا او الضارب بها او هو معتل العين فلا يكون من هذا الباب وحينئذ اثبات الياء فيه خلاف الصواب وهو الذى اقتصر عليه صاحب القاموس حيث قال فى الاجوف والاعياص من قريش اولاد امية بن عبد شمس الاكبر وهم العاص وابو العاص والعيص وابو العيص هذا وترجمة عبد الله مشهورة وفى الكتب المطولة مسطورة قيل بينه وبين ابيه عمرو فى السن اثنتا عشرة وقيل احدى عشرة سنة وقد اسلم قبل ابيه واخرج البخارى هذا الحديث منفردا عن بقية اصحاب الكتب الستة فى موضعين احدهما فى التفسير وثانيهما فى البيوع وهو الذى ساقه القاضى ابو الفضل منه حيث قال (فقلت) وفى نسخة قلت (اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الحلبى وقع فى روايتنا اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة ولم يذكره هنا القاضى يعنى بل ذكره فيما سيأتى (قال) اى ابن عمرو (اجل) اى نعم اخبرك فكان قوله اخبرنى متضمنا المعنى أتخبرنى او ألا تخبرنى على ما هو مقتضى حسن الادب فى العبارة وان كان الامر ايضا هنا محمولا على الالتماس دون التحكم والاجبار (والله) قسم ورد ردا للمكذبين من اليهود والنصارى والمشركين (انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرءآن) وفيه اشعار بانه حافظ للكتابين وان ما يوجد فى القرءآن مع ايجازه واعجازه اكثر مما يوجد فى غيره من التوراة ونحوه او ايماء الى ان اليهود حذفوا بعض صفاته من التوراة او غيروا مبانيه او معانيه قال الحلبى فان قيل ما الحكمة فى سؤال عطاء بن يسار لعبد الله بن عمرو عن صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة وهو قرشى سهمى قيل لانه كان يحفظها وقد روى البزار من حديث ابن لهيعة عن وهب عنه انه رأى فى المنام كان فى احدى يديه عسلا وفى الاخرى سمنا وكانه يلعقهما فاصبح فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تقرأ الكتابين التوراة والقرءآن فكان يقرأهما انتهى والظاهر ان العسل معبر بالقرءآن حيث فيه شفاء للناس وايماء الى حلاوة الايمان واشعار بانه اعلى واغلى من الادهان وان الجمع بينهما نور فى عالم الاتقان بالنسبة الى اهل الايقان (يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا) حال مقدرة من الكاف (ومبشرا ونذيرا) وهذا منصوص فى القرءآن ولعل معناه مذكور فى التوراة (وحرزا) اى حفظا او حافظا (للاميين) اى يمنعهم بهدايته اياهم من كل مكروه والاميون جمع الامى وهو من لا يحسن الكتابة والقراءة نسبة الى امة العرب حيث كانوا لا يحسنونهما غالبا او الى الام بمعنى انه كما ولدته امه وهذا المعنى مستفاد من القرءآن حيث قال هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم الاية وفى تخصيصهم تشريف لهم (انت عبدى ورسولى) وهذا ايضا موجود فى القرءآن حيث اضافه بوصف العبدية والرسالة اليه سبحانه وتعالى (سميتك المتوكل) حيث قال وتوكل على الله او لكونه رئيس المتوكلين فى قوله سبحانه وتعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون (ليس بفظ) فيه التفات تنشيطا للسامع والمعنى ليس هو سيئ الخلق قليل التودة (ولا غليظ) اى قاسى القلب قليل الرحمة كما قال سبحانه وتعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك واما تفسير الحلبى وغيره الغليظ بالشديد القول فلا يلائم مبنى الاية وان كان شدة القول والجفاوة متفرعة على غلظ القلب والقساوة

(ولا صخاب) بصاد وتشديد معجمة وهو وسخاب بالسين المهملة من السخب وهو لغة ربيعة بمعنى رفع الصوت وصيغته فعال للنسبة كتمار لان المراد به نفيه مطلقا من غير قيد قليل وكثير وقوله (فى الاسواق) قيد واقعى لان الغالب ان يقع فيها ارتفاع الصوت للمخاصمة والمشاجرة على وفق المشاهدة او احترازى فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرفع صوته فى التلاوة حال الامامة وفى الموعظة حال الخطبة (ولا يدفع بالسيئة) اى منه (السيئة) اى الواصلة اليه من غيره مع انه جائز لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وسميت الثانية سيئة للمشاكلة والمقابلة او بالاضافة الى التحمل والصبر كما اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله فمن عفا واصلح فاجره على الله وهى مقابلة السيئة بالحسنة لكن الافضل والاكمل ما قاله سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ادفع بالتى هى احسن وهى المقابلة بالاحسان وهذا طريق اهل العرفان (ولكن يعفو) اى ولكن يدفعها بالتى هى احسن فكان يعفو اى عن الخاطئين فى الباطن (ويغفر) اى فى الظاهر وكان حقه ان يقول ثم ويحسن اليهم على ما هو المتبادر مما سبق ومما يفهم من قوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ولذا حكى ان بعض الاكابر دخل عليه خادم بطعام حار فانكب على بدنه فقرأ الخادم والكاظمين الغيظ قال كظمت فقرأ والعافين عن الناس قال عفوت فقرأ والله يحب المحسنين قال اعتقتك وقد وقع مثل هذا كثيرا فى نعته صلى الله تعالى عليه وسلم حيث حلم على جفاة الاعراب فيما اغلظوا له بالقول والفعل واحسن اليهم بالمال الكثير (ولن يقبضه الله حتى يقيم) اى الله (به) اى بسببه وبركته (الملة العوجاء) اى غير المستقيمة لان العرب غيرتها عن استقامتها فصارت كالعوجاء والمراد بها ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهى العادلة المائلة عن الاديان الباطلة الى دين الحق الذى هو التوحيد المطلق كما اشار اليه بقوله (بان يقولوا لا اله الا الله) اى ومحمد رسول الله فهو من باب الاكتفاء او من اطلاق الجزء وارادة الكل او على ان الكلمة المذكورة هى علم للشهادتين ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة اذ من المعلوم ان اليهود والنصارى وامثالهم يقولون لا اله الا الله ولا تفيدهم هذه الكلمة من دون اقرارهم بان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الحديث ايماء الى قوله تعالى هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (ويفتح) بالنصب عطفا على يقيم او يقولوا (به اعينا) جمع عين (عميا) جمع اعمى (وآذانا) بالمد جمع اذن (صما) جمع اصم (وقلوبا غلفا) جمع اغلف والغلف غشاء القلب وغلافه المانع من قبول الحق ووصول الصدق وتعقل امر المبدأ والمعاد كما اخبر الله تعالى عن احوالهم بقوله صم بكم عمى اى عن سماع الحق والنطق به وادراكه ببصرهم فهم لا يعقلون اى الحق ولا يعلمون الصدق ولعله لم يقل والسنة بكما لانه يلزم من الصمم الاصلى البكم الفرعى والله اعلم (وذكر مثله) بصيغة المجهول واعل مثله مروى لابن عمرو ولعطاء بن يسار كما فى البخارى تعليقا واسنده الدارمى (عن عبد الله بن سلام) بتخفيف اللام وقيل تشديد لابن الحارث الاسرائيلى ثم الانصارى الخزرجى الصحابى كان حليفا لبنى الخزرج كنيته ابو يوسف بابنه وهو من ولد يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وكان اسمه فى الجاهلية حصينا فسماه عليه الصلاة والسلام عبد الله اسلم اول قدومه عليه الصلاة والسلام المدينة ونزل فى فضله قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله وكذا قوله سبحانه وتعالى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب شهد مع عمر فتح بيت المقدس وشهد له صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة روى عنه ابناه محمد ويوسف وغيرهما توفى سنة ثلاث واربعين اخرج له اصحاب الكتب الستة (وكعب الاحبار) بالحاء المهملة وسبق بعض ترجمته والمعنى وذكر مثله ايضا عن كعب الاحبار فيما رواه الدارمى من طريق ابى واقد الليثى (وفى بعض طرقه) اى طرق هذا الحديث (عن ابن اسحق) كما رواه ابن ابى حاتم فى تفسير سورة الفتح عن وهب بن منبه وفى بعض النسخ ابى اسحق بالياء وهو تصحيف وصوابه بالنون وهو الامام صاحب المغازى رأى عليا واسامة والمغيرة بن شعبة وانسا وروى عن عطاء والزهرى وطبقته وعنه شعبة والحمادان والسفيانان وخلق وكان من بحور العلم صدوقا وله غرائب فى سعة ما روى تستنكر واختلف فى الاحتجاج به وحديثه حسن بل وفوق الحسن وقد صححه جماعة مات سنة احدى وخمسين ومائة اخرج له البخارى فى التاريخ ومسلم والاربعة فى سننهم (ولا صخب) بفتح فكسر على الوصف وسبق معناه ويفهم من بعض الحواشى انه رفع الصوت فى السوق فقوله (فى الاسواق) للتأكيد او لقصد التجريد (ولا متزين بالفحش) بالضم اى ولا متجمل ولا متخلق ولا متصف بالقول الفاحش والفعل الفاحش قال الحجازى وروى ولا متدين وكذا قال التلمسانى بالدال من الدين وبالزاى من الزينة والظاهر انه مصحف وان تكلف له السيد قطب الدين عيسى بان معناه لا يجعله دينا وطريقة انتهى ولا يخفى انه لا يفيد نفى الفحش عنه بالكلية وهو المطلوب فى المدحة الجلية وفى حاشية الحجازى ولا متزى بالفحش اى متصف به والزى غالبا انما يكون فى الاوصاف الحسنة وقد يجيء فى خلافها وقرئ قوله تعالى هم احسن اثاثا ورئيا بالراء والزاى

وعين زى واو وانما قلبت واوها ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وفيما تصرف منه من الافعال لطلب الخفة والفحش البذآء بالمنطق واصل الفحش فى كل شئ الخروج عن المقدار والحد حتى يقبح وقيل نفى تزينه به عنه مع كونه لا يراه زينة انما هو باعتبار كون اهله يرونه زينة ويفخر بشهادة أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فزين لهم الشيطان اعمالهم (ولا قوال) بتشديد الواو (للخنا) بفتح الخاء المعجمة مقصورا الكلام القبيح ومنه قول زهير شعر

اذا انت لم تقصر عن الجهل والخنا * اصبت حليما او اصابك جاهل

فهو من باب التخصيص بعد التعميم وفعال ليس للمبالغة بل للنسبة كما فى قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد واللام فى الحديث والاية لمجرد التقوية (اسدده) قطعه عما قبله لكمال انقطاع بينهما لانه حكاية عن صفات نفسية سلبية وهذا عن هبات الهية ثبوتية اى اقيمه واوفقه (لكل جميل) اى نعت جزيل (واهب له) بفتح الهاء اى اعطيه من فضلى (كل خلق كريم) اى من مكارم الاخلاق المتعلقة بالخالق والمخلوق ولذا قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم (ثم اجعل) ويروى واجعل (السكينة) اى سكون القلب واطمئنانه ورزانة القالب ووقاره فهى فعيلة من السكون والكاف منها مخففة عند الكافة الا ما حكاه القاضى فى مشارق الانوار عن الكسائى والفرآء من جواز تشديدها قال الحجازى وهو نقل غريب وتدفع غرابته بجعل التشديد للمبالغة كما فى السكيت والسكين ثم رأيت صاحب القاموس قال السكينة والسكينة بالكسر مشددة الطمأنينة وقرئ بهما فى قوله تعالى فيه سكينة من ربكم اى ما تسكنون به اذا اتاكم (لباسه) اى دثاره وهو مما يظهر آثاره (والبر) اى الطاعة لله او الاحسان بخلق الله (شعاره) بكسر اوله اى دأبه وعادته (والتقوى ضميره) اى فى صدره كما فى الحديث التقوى ههنا وفيه ايماء الى ان كمال التقوى محصور فيه (والحكمة) اى العلمية والعملية (معقوله) اى بحيث يظهر وجه منقوله فى معقوله وقال التلمسانى الحكمة النبوة والعلم ومعقوله مكتومه وسره ولا يخفى خفاء امره (والصدق) اى فى النطق (والوفاء) اى بالوعد (طبيعته) اى غريزته وجبلته التى لا يمكنه مخالفتها (والعفو) اى عن الاساءة (والمعروف) اى الاحسان فى محله شرعا وعرفا (خلقه) بالضم اى دأبه وعادته (والعدل) اى فى حكمه او الاعتدال فى حاله (سيرته) اى طريقته (والحق) اى اظهاره (شريعته) اى دينه وملته (والهدى) بضم الهاء اى الهداية (امامه) بكسر الهمزة اى قدوته مما يقتدى به فى جميع حالاته وفى نسخة معتمدة بالفتح اى قدامه ونصب عينيه لا يتعدى منه ولا يميل عنه (والاسلام) اى الاسلام الظاهر والباطن (ملته) اى دينه الذى يمليه ويقرره (واحمد اسمه) اى فى التوراة والانجيل وهو لا ينافى ان يكون له اسماء اخر بل فيه ايماء بانه ابلغ الاسماء وذلك لافادة المبالغة الزائدة التى لا توجد فى غيره من الابنية ولو كانت من هذه المادة كمحمد ومحمود فانه بمعنى احمد كل من حمد وحمد فله النسبة الجامعة بين كمال صفتى الحامدية والمحمودية المترتبة على جمال نعتى المحبية والمحبوبية فتأمل فانها من الاسرار الخفية والانوار الجلية (اهدى به) بفتح الهمزة اى ارشد الخلق بسببه (بعد الضلالة) اى بعد تحقق حضور حصولها منهم او بعد تعلق ثبوت وصولها بهم وفيه ايماء الى ان ظلمة ضلالتهم لا ترتفع الا بنور هدايته لهم مشيرا الى الحديث القدسى والكلام الانسى ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه فقد غوى وارتدى ولا يبعد ان يكون المراد بعد ضلالته مشيرا الى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اى جاهلا بالطريق او عاشقا بالتحقيق (واعلم) بتشديد اللام المكسورة اى اجعل الناس ذوى معرفة (به) اى بالوحى اليه وانزال القرءآن عليه (بعد الجهالة) اى بعد ظهور زمان الجاهلية ايام الفترة او بعد جهالته لقوله سبحانه وتعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان يعنى تفصيله (وارفع به) اى ببركته رتبة هذه الامة (بعد الخمالة) بفتح الخاء المعجمة بمعنى الخمول اى بعد ان لم يكن لهم ذكر وقدر وشأن وبرهان فى الظاهر وان كانوا فى علم الله تعالى وفى اللوح خير امة او ارفع شأنه بتعليمنا اياه بيانه بعد خمول ذكره وخفاء امره كقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك (واسمى به) بتشديد الميم المكسورة كذا ضبطه الشراح ولا يبعد ان يجوز بتخفيف الميم اى اشهره بالمعرفة (بعد النكرة) بضم النون (واكثر به) من التكثير ويجوز من الاكثار اى اجعل الكثرة ببركته (بعد القلة) اى فى ماله او فى عدد اتباعه (واغنى) من الاغناء اى اجعله غنيا او امته اغنياء (به) اى بنبوته وجهاده ورياضته وصبره على فاقته (بعد العيلة) بفتح العين وهى الفقر ومنه قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء (واجمع به بعد الفرقة) ايماء الى قوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعدآء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وهذا معنى قوله (والف) اى اوقع الالفة والمودة (به بين قلوب مختلفة) اى فى اغراض فاسدة (واهوآء متشتتة) اى ارآء مبتدعة غير مجتمعة (وامم متفرقة) وجماعات من قبائل متباينة قال التلمسانى وقع هنا بخط المصنف بتقديم التاء على الفاء من التفرق وبتقديم الفاء على التاء من الافتراق وهى

نسخة العوفى (واجعل امته خير امة اخرجت للناس) كان حقه ان يقول به هنا ايضا لان خيرية امته انما هى لاجل افضلية نبوته بناء على الملازمة العادية لكن جعله سببا اولى من عكس القضية كما اشار صاحب البردة الى هذه الزبدة بقوله

لما دعا الله داعينا لطاعته * بافضل الرسل كنا افضل الامم

(وفى حديث آخر) رواه الدارمى عن كعب موقوفا والطبرانى وابو نعيم فى دلائله عن ابن مسعود (اخبرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفته فى التوراة عبدى) اى المخصوص عندى (احمد المختار) اى على سائر الاخيار وفى نسخة بالجر فاللام للجنس الاستغراقى اى احمد كل من اخترته واصطفيته من الانبياء والملائكة والاصفياء (مولده) اى مكان ولادته وظهور رسالته (بمكة ومهاجره) بضم الميم وفتح الجيم اى موضع هجرته ومحل نقلته (بالمدينة) ليحصل للحرمين الشريفين بركته اولا وآخرا او باطنا وظاهرا وليكون زيارة البقعتين بمنزلة ابدآء الشهادتين (او قال طيبة) بفتح الطاء وهو اسم من اسماء المدينة كطابة والتقدير انه قال بالمدينة او بطيبة كما فى نسخة فاو للشك فى الاسم لا فى المسمى وقد روى ان لها فى التوراة احد عشر اسما هذان منها وكانت قبل الاسلام تسمى يثرب باسم رجل من العماليق قبيلة منسوبة الى عملاق كان يسكنها فلما جاء الاسلام وسكنها عليه الصلاة والسلام كره لها هذا الاسم لما فيه من لفظ التثريب فسماها طيبة وقد جاء فى القرءآن لفظ يثرب ولكن الله سبحانه وتعالى لم يسمها بذلك وانما قاله حكاية عن الكفار والمنافقين واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا فنبه سبحانه وتعالى بما حكى عنهم انهم قد رغبوا عن اسم سماها به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابوا الا ما كانوا عليه من جاهليتهم وقد سماها الله سبحانه وتعالى المدينة بقوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله وقد روى فى معنى قوله تعالى وقل رب ادخلنى مدخل صدق انه المدينة وان مخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار وقد ورد من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هى طابة هى طابة رواه احمد فى مسنده عن البرآء (امته الحمادون لله) اى المبالغون فى حمده سبحانه وتعالى تبعا لنبيهم احمد فكما انه احمد الخلق فهم احمد الامم ومما يدل على كثرة حمدهم ودوام شكرهم تقييده بقوله (على كل حال) اى من السرآء والضرآء وفى حاشية الحجازى امته الحمادون يحمدون الله على كل حال وفى رواية حماد بن سلمة عن كعب انه قال وجدت فى التوراة زيادة على هذا وهى يوضئون اطرافهم ويتزرون على انصافهم فى قلوبهم اناجيلهم يصلون الصلاة لوقتها رهبان بالليل ليوث بالنهار ولم تزل اليهود بعد ما غيرت من صفات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تغار على ظهور شئ مما بقى فيها وتكتم اشد الكتم وقد اخرج ابن ابى شيبة عن عبد الله بن مسعود فى مسنده انه قال ان الله تعالى عز وجل ابتعث نبيه لادخال رجل الجنة وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دخل كنيسة فاذا هو بيهود فاذا يهودى يقرأ التوراة فلما اتوا على صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امسكوا وكان فى ناحيتها رجل مريض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم امسكتم فقال المريض انهم اتوا على صفة نبى فامسكوا يعنى على عادتهم اولا جل حضورك عندهم قال ثم جاء المريض يحبو حتى اخذ التوراة وقال للقارئ ارفع يدك فرفع يده فقرأ حتى اتى على صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى بكمالها فقال هذه صفتك وصفة امتك ثم قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لولا اخاكم واخرج الواقدى فى مصنفه مما يتعلق بصفات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان النعمان السابى حبرا من احبار اليهود فلما سمع بذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قدم عليه فسأله عن اشياء ثم قال ان ابى كان يختم على سفر ويقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبى قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه ما يحل وما يحرم واذا فيه انك خير الانبياء وان امتك خير الامم واسمك احمد وامتك الحمادون قربانهم دماؤهم واناجيلهم فى صدورهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن عليهم تحنن الطير على فراخه ثم قال اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب ان يسمع اصحابه حديثه فاتاه يوما فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من اوله فرؤى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم وقال اشهد انى رسول الله والنعمان هذا هو الذى قتله الاسود العبسى وقطعه عضوا عضوا وهو يقول اشهد ان محمدا رسول الله وانك مفتر كذاب على الله (وقال تعالى) اى فى حق المتقين من المؤمنين (الذين يتبعون الرسول النبى) اى الجامع بين مرتبة النبوة وهى اخذ الفيض من الحضرة بالحق المسمى بالولاية وبين مرتبة الرسالة وهى تبليغ الاحكام الشرعية الى الخلق فهو برزخ جامع بين الاستفادة والافادة وبين الكمال والتكميل الذى هو اعلى مقامات ارباب السعادة ولعل وجه تقديم الرسالة فى الذكر مع تأخر تحققها فى الوجود هو الاهتمام ببعث الرسالة او الترتيب بحسب التدلى لا الترقى فى المرتبة

(الامى) اى مع كونه عاريا عن الكتابة والقرآءة السابقة الدالة على ان معارفه كلها من العلوم اللدنية والفتوحات العندية (الاية) اى الى آخر الايتين الدالتين على نعوته الجلية وصفاته البهية وهو الذى يجدونه اى يصادفون نعته ويعلمون صفته مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل وهما زبدة الكتب المنزلة على اليهود والنصارى يأمرهم بالمعروف استئناف مبين لاوصافه المزبورة عندهم او مطلقا اى يأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بما يعرفه جميع ارباب المعرفة بالمنقولات ويستحسنه ارباب الطبيعة المستقيمة من اصحاب المعقولات حيث يأمرهم بمكارم الاخلاق ومحاسن الصفات وينهاهم عن المنكر اى جنس المنكرات شرعا وعرفا نقلا وعقلا ويحل لهم الطيبات اى الحلالات والمستلذات ويحرم عليهم الخبائث اى المحرمات والمضرات ويضع عنهم اى عن من تبعه من اليهود والنصارى خصوصا اصرهم اى عهودهم الثقيلة التى اخذ عليهم العمل بها فى التوراة من العبادات والرياضات والسياحات والاغلال التى كانت عليهم من التكاليف الشاقات كقطع الاعضاء الخاطئة وقرض مواضع النجاسات وتعين القصاص فى العمد والخطأ واحراق الغنائم وظهور الذنوب على ابواب فالذين آمنوا به وعزروه اى عظموه فى نفسه ونصروه على عدوه واتبعوا النور الذى انزل معه اى مع رسالته وهو القرآن او الوحى الشامل للكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية قل يا ايها الناس اى الشامل لليهود والنصارى وغيرهم عامة انى رسول الله اليكم جميعا اى كافة بخلاف موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فانهما كانا مبعوثين الى بنى اسرآئيل خاصة ولعله من هذا قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى يعنى لما كان هو وغيره كعيسى الا اتباعى الذى له ملك السموات والارض اى حيث يعم ملكه العلويات والسفليات شملت رسالته جميع الموجودات على ما بيناه فى بعض المصنفات لا اله الا هو فكانه لا رسول له الا هو فانه لولاه لما خلق غيره ولما وجد من يعرف معنى هو لا من حيثية مبناه ولا من طريقة معناه يحيى ويميت بالابقاء والافناء وبالهداية والاغوآء فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى تأكيد وتثبيت او تبكيت لتوقفهم عن الايمان بمثل هذا النبى الذى يؤمن بالله ايمان مشاهدة وعيان ومراقبة وايقان وكلماته وبجميع كلمات الله المنزلة على الانبياء مجملة ومفصلة واتبعوه لان متابعته تورث المحبة لعلكم تهتدون لكى تهتدوا ببركة متابعته الى طريق محبته وآداب مودته (وقد قال تعالى فبما رحمة) قيل ما مزيدة للمبالغة والاظهر انها مبهمة مفسرها رحمة والمعنى فبرحمة عظيمة ونعمة جسيمة كائنة (من الله لنت لهم) اى تلطفت للخلق وتوجهت اليهم من الحق حيث وفقك للرفق وفيه اشارة خفية الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يريد الثبات على النبوة التى هى الولاية الخاصة الموجبة ان لا يغفل صاحبها عن الحضرة لحظة ولا لمحة مما يوجب التفرقة المانعة عن مقام الجمعية واراد الله سبحانه وتعالى له الترقى الى مقام جمع الجمع بحيث لا يحجبه الكثرة عن الوحدة ولا تمنعه الوحدة عن الكثرة وبهذا تبين ان مقام الرسالة اعلى مرتبة من ولاية الرسول المعبر عنها بالنبوة خلافا لمن توهم خلاف ذلك فقال الولاية خير من الرسالة وان اول كلامه بان المراد بالولاية ولاية النبوة لا جنس الولاية معللا بان الولاية هى اخذ الفيض اللازم منه توجه صاحبه الى الحق وان الرسالة هى الافادة بالافاضة المستلزمة للاقبال على الخلق فانا نقول اذا استغرق فى عين الجمع بحيث انه فنى عن الجميع ولم يوجد فى عين الشهود غيره موجود ولا فى الدار غيره ديار فانى يتصور منه الاقبال والادبار وهذا بحر بلا قعر فيرجع الى الساحل بلا دعر (الاية) وتمامها قوله ولو كنت فظا اى سيء الخلق مع الخلق بناء على ان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس غليظ القلب اى شديده بالعزلة عنهم لانفضوا من حولك اى تفرقوا عن مجلسك ولم يحصل لهم حظ من انسك فاعف عنهم ما صدر من الغفلة منهم واستغفر لهم فيما يختص بحق الله تعالى اتماما للشفقة عليهم وشاورهم فى الامر تلطفا بهم فاذا عزمت بعد المشاورة والاستخارة فتوكل على الله ولا تعتمد على ما سواه ان الله يحب المتوكلين المعتمدين على ما قدره وقضاه فيهديهم الى الصلاح وينصرهم بالنجاح والفلاح (قال السمرقندى ذكرهم الله تعالى) وفى نسخة ذكر الله تعالى بتشديد الكاف (منته) اى امتنانه وفى نسخة بنونين على صيغة الجمع لاشتمال هذه المنة على منن كثيرة (انه) اى سبحانه وتعالى (جعل) ويروى ان جعل (رسوله رحيما بالمؤمنين رؤوفا) اى للمتقين فان الرأفة ارق من الرحمة (لين الجانب) اى مع الاقارب والاجانب فى جميع المراتب (ولو كان) اى بالفرض (فظا) اى سيء الخلق فى الفعل (خشنا) اى غليظا (فى القول لتفرقوا من حوله) اى ولم ينتفعوا بفعله وقوله (ولكن جعله) اى الله سبحانه وتعالى (سمحا) اى جوادا زيادة على ما طلب منه فى معاملاتهم او مسامحا لهم فى فرطاتهم وزاد فى نسخة سهلا اى لينا (طلقا) بفتح فسكون اى منبسط الوجه (برا) بفتح الباء اى بارا كثير الاحسان الى امته كالولد البار بابويه وقرابته او جامعا للخير كله فانه من البر الذى هو وسيع القضاء (لطيفا) اى رفيقا شريفا يراعى قويا وضعيفا (هكذا) اى مثل ما سبق لفظا ومعنى (قاله الضحاك)

وهو ابن مزاحم الهلالى الخراسانى يروى عن ابى هريرة وابن عباس وابن عمر وانس رضى الله تعالى عنهم وعنه خلق وثقه احمد وابن معين وضعفه شعبة اخرج له اصحاب السنن الاربع وتوفى سنة خمس ومائة (وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا) اى خيارا او عدولا او معتدلين فى الاخلاق غير واقعين فى طرفى الافراط والتفريط من التشبيه والتعطيل والاسراف والتقتير والتهور والجبن وامثال ذلك (لتكونوا شهدآء على الناس) اى بتبليغ رسالة انبيائهم اليهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اى مطلعا ومشاهدا ومشرفا (قال ابو الحسن القابسى) بكسر الموحدة وسبق ذكره (ابان الله تعالى) اى اظهر ظهورا بينا (فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية) اى بسببها وفيها بقوله (وفى قوله) اى سبحانه وتعالى (فى الاية الاخرى وفى هذا) متعلق بما قبله وهو اى الله سبحانه وتعالى سماكم المسلمين من قبل يعنى فى الكتب المتقدمة وفى هذا اى القرآن (ليكون الرسول شهيدا عليكم) بالتبليغ اليكم (وتكونوا شهدآء على الناس) بتبليغ رسلهم اليهم (وكذلك) اى ومثل هذا المعنى يفيده (قوله فكيف) اى كيف حال الكفرة يوم الحسرة (اذا جئنا من كل امة بشهيد) اى بنبى يشهد على امته (الاية) وفى بعض النسخ بتمامها وجئنا بك على هؤلاء اى على الشهدآء من الانبياء او على امتك من الاصفياء والاولياء شهيدا حين يشهدون على الامم المكذبة بتبليغ الانبياء اليهم الرسالة (وقوله وسطا) اى (عدولا) وفى نسخة عدلا اى موصوفين بالعدالة والديانة (خيارا) اى مختارين من هذه الامة ان كان الخطاب للصحابة وان كان الخطاب لجميع الامة فهم خيار الامم السالفة (ومعنى هذه الاية) اى بناء على مبنى هذه العاطفة على الجملة المقدرة المعبر عنها بقوله (وكما هديناكم) اى المستفاد من قوله تعالى يهدى من يشاء الى صراط مستقيم فالمعنى كما هديناكم الى الصراط المستقيم والدين القويم المشترك بين عامة اهل التوحيد والتسليم (فكذلك خصصناكم) بتشديد الصاد ويجوز تخفيفها (وفضلناكم) اى على عامة الامم الماضية (بان جعلناكم امة) اى جماعة مجتمعة غير متفرقة بل متفقة على حقيقة واحدة (خيارا) اى مختارين بخير الرسل (عدولا) عادلين عاملين بافضل الكتب (لتشهدوا للانبياء) اى الرسل (على اممهم) اى بتبليغ الرسالة يوم القيامة (ويشهد لكم الرسول بالصدق) اى بصدق القول وحق الامانة والديانة (قيل) قد ثبت بطرق متكاثرة كادت ان تكون متواترة فكان حقه ان يقول صح ونحوه ولا يعبر بقيل المشعر بضعفه اذ رواه البخارى وغيره (ان الله جل جلاله) اى عظم كبرياؤه (اذا سال الانبياء هل بلغتم) اى اممكم فيما ارسلتكم به اليهم (فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء ويزكيهم النبى عليه الصلاة والسلام) اى ويجيز الله تعالى شهادتهم بتزكيته لهم (وقيل معنى الاية انكم) بالفتح ويجوز الكسر اى ايها الامة (حجة) اى ذو شهادة ثابتة (على كل من خالفكم) اى من الامم المكذبة (والرسول حجة) اى بينة واضحة دالة (عليكم) اى على صدقكم وصدق من وافقكم (حكاه السمرقندى) اى نقل هذا القول عن بعض المفسرين (وقال الله تعالى) اى فيما اثنى عليه وبين اكرامه لديه (وبشر الذين آمنوا) اى من امتك لا من غيرهم (ان لهم قدم صدق عند ربهم) اى ما قدموه من الاعمال الصالحة كما قاله الخطابى وغيره من المفسرين وقال بعضهم ما قدم لهم عند ربهم من السعادة السابقة فى اللوح المحفوظ وقد قال حسان بن ثابت

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا * لاولنا فى طاعة الله تابع

(وقال قتادة والحسن) تقدم ذكرهما (وزيد بن اسلم) هو ابو اسامة مولى عمر بن الخطاب توفى سنة ست وثلاثين ومائة (قدم صدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا) اى فى رواية اخرى (هى) اى قدم صدق وانث الضمير لتأنيث خبره وهو قوله (مصيبتهم بنبيهم) سوآء ادركوا وقت الموت او حصل لهم جملة الفوت فانه صلى الله عليه وسلم حينئذ يكون لهم فرط حق وقدم صدق عند ربهم وقال الحجازى يروى هى فضيلتهم بنبيهم اى فيما بينهم ولا يخفى عدم ملائمته للمقام ولعله تصحيف او تحريف ولو كان فضيلتهم بنبيهم لكان وجها وجيها فانه حينئذ لهم سبق حال صدق وتقدم مقام حق عند ربهم وهذا معنى نسخة هى محبتهم لنبيهم (وعن ابى سعيد الخدرى) نسبة الى خدرة بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة قبيلة (هى شفاعة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم) ولعل التعبير بها عن القدم لاقدامه عليها وتقدمه على سائر اهلها (وقال سهل بن عبد الله التسترى هى سابقة رحمة اودعها فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى وفى امته ببركة متابعته على وفق محبته ووجه الاختصاص مع ان الرحمة بكل امة لاحقة على وفق سابقة لان سبق وجوده واثر كرمه وجوده وظهور نوره ونشر سروره مما لا يلحقه احد من اخوانه كما اشار اليه بقوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ثم قوله اودعها بصيغة الفاعل وهى نسخة المصنف وفى نسخة العوفى على بناء المفعول وجعله التلمسانى مضارعا وهو مستقيم باسناد الفعل اليه سبحانه وتعالى واما قوله ويتجه اذا اسقط فى من الكلام ومحمد مرفوع اذ هو النائب عن الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى فكلام

ساقط الاعتبار كما لا يخفى على المعربين الاخيار (وقال محمد بن على الترمذى) هو من كبار المشايخ له تصانيف فى علوم القوم ومن تأليفه نوادر الاصول فى الحديث باسانيده وهو ابو عبد الله محمد بن على بن الحسن بن بشر الزاهد المؤذن روى عن ابيه وقتيبة بن سعيد وغيرهما واعتنى بهذا الشأن ورحل فيه وروى عنه يحيى بن منصور وخلق كثير من علماء نيسابور فانه قدمها سنة خمس وثمانين ومائتين وعاش نحوا من ثمانين سنة وهو معظم جليل علما وعملا واعتقادا عند اكابر ماوراء النهر من العلماء والسادة الصوفية لاسيما الطائفة السادة النقشبندية وتكلم على اعتقاده ابو العباس ابن تيمية من اجل كتابه ختم الولاية ولعله ما فهم مقصوده من الاشارات الخفية وقد سبق تحقيق الترمذى مبنى ومعنى ومنها ابو عيسى الحافظ الترمذى كما تقدم والله اعلم (هو) اى قدم صدق (امام الصادقين والصديقين) بكسر الهمزة اى قدوتهم ومقتداهم او بفتحها اى مقدمهم خلقة ورتبة وقدامهم فى مقام الشفاعة كما اشار اليه بقوله (الشفيع المطاع) اى المقبول الشفاعة ولعله عدل عن الشفيع المشفع للايماء الى قوله سبحانه وتعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعنى بخلاف المؤمنين فانه لهم شفيع مطاع مع ان النفى فى الاية منصب على القيد والمقيد جميعا (والسائل المجاب) اى المستجاب فى سؤاله الاعم من الشفاعة وبقية احواله (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه عنه السلمى)

الفصل الثالث

فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة) اى فى عتابه المنزل فى كتابه والمورد بفتح الميم وكسر الراء محل ورود الكلام ومقصد المرام والمبرة بفتحتين وتشديد الراء بمعنى البر وهو الاتساع فى الاحسان على ما فى القاموس (من ذلك) اى من هذا القبيل (قوله تعالى عفا الله عنك) معاتبة على وجه الملاطفة (لم اذنت لهم) اى للمنافقين حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين (قال ابو محمد المكى) من الكلام عليه وفى نسخة مكى (قيل هذا) اى قوله عفا الله عنك (افتتاح كلام) اى ابتداء كلام الله سبحانه له فى كتابه عند خطابه (بمنزلة اصلحك الله) وما صنعت فى حاجتى (واعزك الله) هلا شرفتنى بزيارتك لى ونحو ذلك فيما يخاطب به الملوك والعظماء بتقديم الدعاء والثناء على انباء الانباء ونظيره ما ورد فى الحديث لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترطت ان يخرجونى والحاصل ان العادة جارية فى مقام التبجيل والاكرام لمخاطبة الكرام بنحو هذا الكلام وان لم يكن هنا لشئ من الاثام ثم التشبيه لا يقتضى المشابهة من جميع الوجوه فلا يرد ان مثل هذا الكلام انما يكون بين المتساويين فى الاقدام او من الادنى فى مخاطبة الاعلى لا بالعكس كما لا يخفى (وقال عون ابن عبد الله) اى ابن عتبة بن مسعود الهذلى الكوفى الزاهد الفقيه اخو عبيد الله الذى هو احد الفقهاء السبعة بمدينة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقيل روايته عن الصحابة مرسلة لكن حديثه عن ابن عمر فى مسلم ولم يلحقه وعنه الزهرى وابو حنيفة وقد اخرج له مسلم والاربعة توفى فى حدود ستين ومائة (اخبره الله بالعفو قبل ان يخبره بالذنب) تسلية له فى هذا الباب وملاطفة معه فى مقام العتاب وقوله يخبره من باب الافعال او التفعيل وهما بمعنى واحد واما قول الحلبى وكانه اراد التنويع فى الكلام ليس له نتيجة فى المرام لان التشديد فى هذا المقام ليس للتنويع المتفرع على التكثير بل للتعدية كما صرح به صاحب القاموس والجوهرى فى التقرير (وحكى السمرقندى) اى ابو الليث (عن بعضهم ان معناه عافاك الله تعالى يا سليم القلب) اى عن غير ذكر الرب كما فسر به قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم (لم اذنت لهم قال) اى السمرقندى او بعضهم المنقول عنه ما تقدم (ولو بدأ) بالهمز اى ابتدأ الله (النبى) اى له صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة ولو بدأه (بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه) اى ينصدع وينقطع (من هيبة هذا الكلام) اى المشعر بانه وقع فى الاثام (لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو) اى مبتدئا بالمسامحة عن اجازته (حتى سكن قلبه) اى وسلم من الدهش لديه وفى نسخة يسكن قلبه وفى بعض النسخ بتشديد الكاف فقلبه منصوب (ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف) اى عن غزوة تبوك (حتى يتبين لك الصادق فى عذره من الكاذب) اى فى عذره لما حكى عن مجاهد ان بعضهم قالوا فى غزوة تبوك نستأذنه فى الاقامة ان اذن لنا اقمنا وان لم يأذن لنا اقمنا واعتذرنا له بعد ذلك بعذر يقبله منا (وفى هذا) اى الخطاب فى مقام العتاب وفى نسخة وهذا (من عظيم منزلته عند الله تعالى ما لا يخفى على ذى لب) اى صاحب عقل سليم من وهم سقيم (ومن اكرامه اياه وبره به) اى انعامه له (ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب) بكسر النون عرق من الوتين ينوط القلب به من جانب الصلب اذا قطع مات صاحبه وقال بعض المفسرين هو الوريد ويروى فى غير الشفاء مناط القلب (قال نفطويه) بكسر نون وسكون فاء وفتح طاء مهملة وواو وسكون تحتية فهاء

مكسورة

مكسورة وفى نسخة بضم الطاء وسكون الواو وفتح الياء والتاء المنقلبة عنها الهاء وقفا على وفق القياس وقيل بسكون الهاء وصلا ايضا ويؤيده ما ذكره ابن الصلاح ان اهل العربية يقولون فيه وفى نظائره بواو مفتوحة مفتوح ما قبلها ساكن ما بعدها ومن ينحو بها نحو الفارسية يقولها بواو ساكنة مضموم ما قبلها مفتوح ما بعدها وآخرها هاء على كل قول والتاء خطأ وسمعت الحافظ ابا محمد عبد القادر بن عبد الله يقول سمعت الحافظ ابا العلاء يقول اهل الحديث لا يحبون ويه اى يقولون نفطويه مثلا بواو ساكنة تفاديا من ان يقع فى آخر الكلام ويه انتهى وهو ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد بن عرفة الازدى النحوى الواسطى ظاهرى المذهب له التصانيف الحسان فى الآداب توفى سنة ثلاث وثلاثمائة ببغداد ودفن بباب الكوفة (ذهب ناس) اى من المفسرين (الى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم معاتب بهذه الآية) بصيغة المفعول (وحاشاه من ذلك) اى هو منزه عن ان يعاتب او ينسب اليه ذنب (بل كان مخيرا) ضبط بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الموحدة فى حاشية الحلبى وهو تصحيف وتحريف والصواب انه بتشديد التحتية المفتوحة اى مختارا بين الاذن وعدمه اذ لم يتقدم له فى ذلك نهى من الله سبحانه كما ذكره الزمخشرى واقول بل التخيير مصرح به فى قوله تعالى فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم (فلما اذن لهم) اى فى هذه القضية وفى نسخة فلما ان اذن (اعلمه الله) بما اضمروه مما هو من دأبهم (انه لو) وفى نسخة ان (لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم) اى وظهر خلافهم وتحقق شقاقهم (وانه لا حرج) اى لا اثم (عليه فى الاذن لهم) زاد القشيرى بعد ذكره هذا المعنى فى تبيين المبنى ان عفا ههنا ليس بمعنى غفر بل كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق وهى لم تجب عليهم قط فكذلك قوله تعالى عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنب او انما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب انتهى ولعل الاولى ان يقال وقع العتاب ولا يلزم من العتاب تحقق العقاب المحتاج الى العفو وانما هو بيان ان عدم اذنهم كان اصلح بخصوص شأنهم لفضاحة حالهم وخزية ما لهم خلاف ما اختاره صلى الله تعالى عليه وسلم من الاخذ برضاهم بدناءة افعالهم استبقاء لهم على احوالهم واعتمادا على الله فى ادبارهم واقبالهم (قال الفقيه القاضى ابو الفضل) اى المصنف (يجب على المسلم) اى الكامل (المجاهد نفسه) اى فى مرضاة ربه (الرائض بزمام الشريعة خلقه) بضمتين ويسكن الثانى وهو منصوب والمراد به تدريبه وتمرينه بما شرعه الله لنا من انواع تهذيبه والرائض بهمزة مكسورة اسم فاعل من رضت المهر اروضه رياضة ذللته وجعلته طوع ارادتك والزمام بالكسر بمعنى اللجام وهو مستعار للاحكام (ان يتأدب بآداب القرآن) اى من المستحسنات كما قال الله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وفى نسخة بأدب القرآن فهو مصدر بمعنى المفعول اى بما يتأدب به منه (فى قوله وفعله) اى مع الحق فيتسم بالعدل والصدق فى معاملاته (ومعاطاته) اى عطائه واخذه ومناولاته (ومحاوراته) بالحاء المهملة اى مخاطباته ومجاوباته ومراجعاته ومعارضاته مع الخلق فان الصالح من قام بحقوق الله وحقوق العباد وكلها مستفاد من القرآن على احسن البيان ولذا لما قيل لعائشة رضى الله تعالى عنها عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن تعنى كان يمتثل لمأموراته ويجتنب عن منهياته وفيه ايماء الى انه لا يكون كمن قال لاخيه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا مفتخرا بذلك متغررا به كافر النعمة ربه معرضا نفسه لسخطه مستوليا عليه حرصه متماديا فى غفلته تاركا نظره فى عاقبته ولعمرى ان اكثر الاغنياء وان لم يلهجوا بنحوه فالسنة احوالهم ناطقة مع شهود افعالهم (فهو) اى القرآن (عنصر المعارف الحقيقية) اى اساسها ومنبعها من الامور العلمية والاحوال العملية بضم العين والصاد وبفتح الاصل (وروضة الآداب الدينية والدنيوية) اى المحتاج اليها فى امور الدين والدنيا مما له تعلق بامر العقبى وطريق المولى لقوله تعالى ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ما فرطنا فى الكتاب من شئ اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم والعجب كل العجب من المؤمن بالكتاب والسنة المبينة للخطاب ان يعدل عن تعلمهما والعمل بهما مع ان بعضهما فرض عين خاصة ومنهما فرض كفاية عامة وهو يقدم عليهما اكتساب العلوم المذمومة او المباحة من المنطق والكلام والهيئة والحساب والفلسفة ودقائق العربية وغيرها مما كان السلف لم يتداولوها ولم يتناولوها بل طعنوا فيها وفى من اقبل عليها (وليتأمل) اى وليتدبر المسلم المذكور (هذه الملاطفة العجيبة) اى والمخاطبة الغريبة الكائنة (فى السؤال) اى فى سؤاله سبحانه وتعالى بصورة الاستفهام عنه عليه الصلاة والسلام (من رب الارباب) اى المنزه عن المناسبة بينه وبين ما خلق من التراب (المنعم على الكل) اى عموما وخصوصا (المستغنى عن الجميع) اى جميع العباد من السعداء والاشقياء او عن عبادة جميعهم هذا وقال الجوهرى كل وبعض معرفتان ولم يجيئا عن العرب بالالف واللام وهو جائز لان فيهما معنى الاضافة اضيفت او لم تضف انتهى وقال ابن فارس كل اسم موضوع للاحاطة يكون مضافا ابدا الى ما بعده

وقد صرح الزجاج بقوله بدل البعض من الكل كما حكاه عنه ابو حيان (ويستثير) بفتح التحتية وسكون المهملة وفتح الفوقية وكسر المثلثة من ثار الشئ اذا ارتفع وانتشر واستثاره طلب ظهوره ويروى ويتبين وجعله الحجازى اصلا كما فى نسخة والظاهر ان يكون مجزوما العطف على يتأمل كما جزم به الدلجى ويجوز رفعه كما فى نسخة اى يظهر و ينشر ويبحث ويستخرج (مافيها) اى فى هذه الملاطفة العجيبة (من الفوائد) اى المنافع الغريبة (وكيف) اى ومن جملتها ان يعلم انه سبحانه وتعالى كيف (ابتدأ) اى فى الخطاب (بالاكرام) اى بتعظيمه بقوله عفا الله عنك مصدرا فى الكتاب (قبل العتب) بفتح وسكون اى قبل بيان العتاب (وآنس) بالمد وفى نسخة بالفتح والشد واصل الايناس ضد الايحاش فالمعنى كيف اذهب وحشة الانس واظهر لذة الانس من حضرة القدس (بالعفو) اى بذكره (قبل ذكر الذنب) من اضافة المصدر الى مفعوله وفى نسخة قبل ذكره الذنب وجعله الحجازى اصلا والاخر رواية والمراد الذنب باعتبار الصورة الظاهرة المأخوذة من المعاتبة المعبر عنها بخلاف الاولى لما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين من حيث الغفلة فى تلك الحالة عن مشاهدة المولى ولذا استدركه المصنف بقوله (ان كان) اى بالفرض والتقدير (ثم) بالفتح فتشديد اى هنالك (ذنب) والمعنى انه لا ذنب هنالك حقيقة وانما وقع فى صورة المعتبة (وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا) المعنى ولولا ثبوت تثبيتنا اياك لقد قاربت ان تميل اليهم شيأ يسيرا من ادنى الميل اذ ذاك لكن امتنع قرب ميلك وهو الذى لوجود تثبيتنا اياك ونظيره لولاك لما خلقت الافلاك وهذا لان لولا حرف امتناع للشئ لوجود غيره وان مع الفعل فى تأويل المصدر والجملة فى محل الرفع على الابتداء والخبر محذوف لعلم السامع به واللام جواب لو كقولهم لولا زيد اى موجود لهلك عمرو والمحققون يقدرون مضافا قبل المبتدأ ليستغنى به عن تقدير الخبر مع قيام لو مقامه واختلفوا فى سبب نزول الآية فقيل وهو المحكى عن مجاهد وابن جبير ان قريشا قالوا لا ندعك تستلم الحجر الاسود حتى تمس اوثاننا فخطر فى باله انه يفعل ليتمكن من استلام الحجر فى مآله وقيل فى استدعاء الاغنياء طرد الفقراء وقيل غير ذلك وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين (قال بعض المتكلمين) اى من جملة المفسرين (عاتب الله الانبياء) اى كآدم ونوح وداود عليهم السلام (بعد الزلات) اى العثرات الصورية والخطرات البشرية الضرورية فان الزلة ما صدر من سالك الطريقة من غير قصد المخالفة (وعاتب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه) اى قبل وقوع الزلل وحصول الخلل (ليكون) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بذلك) اى بسبب ذلك العتاب على وجه الاهتمام (اشد انتهاء) اى عن المخالفة (ومحافظة لشرائط المحبة) اى واكثر مراعاة لشرائط المودة من الموافقة والمتابعة فى الطاعة (وهذه) اى الحالة (غاية العناية) اى ونهاية الرعاية فى الحماية فان المعاتبة انما تكون على حسب المكانة اما ترى ان الله تعالى آخذ الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمثاقيل الذر لقربهم عنده وحضورهم وتجاوز عن العامة امثال الجبال لمكان بعدهم وغيبتهم فان الزلة على بساط الاداب ليست كالذنب على الباب كما لا يخفى على اولى الالباب (ثم انظر) اى ايها الناظر بعين الاعتبار وتفكر فيما يشار اليه من علو المقدار لاحمد المختار صلى الله عليه وسلم (كيف بدأ) اى الله (بتبانه) اى على الموافقة (وسلامته) اى من المخالفة (قبل ذكر ما عتبه عليه) وفى نسخة عاتبه عليه (وخيف ان يركن اليه ففى اثناء عتبه برآته وفى طى تخويفه) اى فى ضمن اخافته (تأمينه) اى جعله مأمونا من المخالفة (وكرامته) اى بالثبات على الموافقة (ومثله) اى فى هذا المعنى (قوله تعالى قد نعلم انه) اى الشان (ليحزنك الذى يقولون) قرأ نافع من احزنه يحزنه والباقون من حزنه يحزنه بفتح الزاى فى الماضى وضمها فى الغابر وكلاهما متعديان بمعنى واحد واما حزن يحزن من باب علم فهو لازم فاعلم والزم والمعنى بالتحقيق او فى بعض اوقاتك من التضييق نعلم ان الشان ليوقعك فى الحزن ما يقولون فى شأننا او فى حق القرآن او فى حقك كقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون (فانهم لا يكذبونك) بالتشديد للجمهور وبالتخفيف لنافع والكسائى والمعنى لا ينسبونك الى الكذب ولا يتهمونك به ولا ينكرون امانتك وديانتك او لا يكذبونك فى الحقيقة (الآية) اى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون يعنى ينكرونها او ينكرون عليك بسبب اتيان آياتنا فقط وفى هذا نوع تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم وتهديد لهم ولكن لم يظهر لايرادها وجه مناسبة ولا جهة ملائمة لما نحن فيه من مرتبة المعاتبة وقضية الملامة (قال على كرم الله تعالى وجهه) كما رواه الترمذى وصححه الحاكم (قال ابو جهل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك) اى فى الصدق والامانة (ولكن نكذب بما جئت به) اى من القرآن الدال على التوحيد والديانة (فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية) وفى نسخة فنزلت وانما هو شهادة من الله تعالى له بالصدق والديانة وبيان ان هذا مما اتفق عليه الامة عامة (وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبه) وفى نسخة اكذبه

(قومه حزن) بكسر الزاى اى اغتم (فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ما يحزنك) بالوجهين السابقين (فقال كذبنى قومى فقال انهم يعلمون انك صادق) يعنى لكن جئت بشئ ليس لغرضهم موافقا (فانزل الله تعالى الآية) اى المتقدمة قال الدلجى وحديث جبريل هذا اورده بصيغة روى ولم اعرف من رواه (ففى هذه الآية منزع) بفتح ميم فسكون نون وفتح زاى اى مأخذ ومشرع (لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه الصلاة والسلام) اى باذهاب حزنه وجلب انسه (والطافه به) بكسر الهمزة اى اكرامه (فى القول) اى فى قوله (بان قرر عنده) اى بما طاب به نفسه (انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له) اى فى الحقيقة بل مكذبين لنا او غير مكذبين فى الباطن (لانهم معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا) اى عامة المشركين (يسمونه) سماه واسماه بمعنى والمراد هنا يصفونه ويعدونه (قبل النبوة الامين) اى من الامانة فى القول والفعل والعهد والوعد ضد الخيانة (فدفع) اى الله سبحانه وتعالى (بهذا التقرير) اى المذكور فى الآية بالتحرير وهو فى اصل المصنف بالرآء وجعل التلمسانى اصله بالدال بعد القاف بمعنى الفرض والتصوير قال وبالرآء بمعنى تبيينه وتمهيده وكل منهما قريب من الآخر فتدبر (ارغاض نفسه) اى اقلاقها واحراقها (بسمة الكذب) بكسر السين اى بوسمته وعلامته من الوسم واصلها فى المحكى للامارة والكذب بفتح فكسر هو الافصح ويجوز بكسر فسكون وهو انسب اذا قوبل بالصدق للمشاكلة اللفظية كما قال به بعض ارباب العربية فى الابواب الادبية (ثم جعل) اى الله سبحانه وتعالى (الذم لهم بتسميتهم) اى بتسميته اياهم (جاحدين) اى منكرين عنادا (ظالمين) اى بوضع التكذيب موضع التصديق (فقال الله تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه) اى نزهه سبحانه وتعالى (من الوصم) اى العيب وهو بسكون الصاد وضبط فى حاشية بكسر الصاد وهو وهم لانه حينئذ وصف لا مصدر ولا وجه له هنا (وطوقهم) اى الزم اطواقهم فى اعناقهم (بالمعاندة) اى بسبب المناظرة على وجه العناد (بتكذيب الآيات) متعلق بالمعاندة (حقيقة المعاندة) منصوب على المفعول الثانى لطوق وفى بعض النسخ حقيقة للظلم اى تحقيقا للظلم (اذ الجحد انما يكون ممن علم الشئ ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا) اى تعديا وتكبرا ونصبهما على العلة لجحدوا والجملة بينهما معترضة بالحالية لا يقال ان الجحد بمعنى الانكار فى الماضى مطلقا كما هو مقرر فى علم التصريف فوجود العلم يؤخذ من جملة واستيقنتها لانا نقول الجحد فى اللغة هو الانكار مع العلم كما صرح به صاحب القاموس ففى الآية تجريد او تأكيد ثم حاصل كلام المصنف رحمه الله تعالى ان الجمع بين الامرين وهو نفى تكذيبهم واثبات جحدهم انهم كانوا غير مكذبين له بقلوبهم فانهم يعلمون صدقه فى كل قضية ولكنهم جحدوا بناء على عنادهم كما تدل عليه الآية الثانية وهذا تأويل حسن ومسلك مستحسن ويصححه ما روى ان الاخنس بن شريف لقى ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم اخبرنى عن محمد أصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا غيرى وغيرك فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصى باللوآء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش وقيل وجه ثان فى الجمع بينهما وهو ان يكون معنى الآية ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم انهم لما اصروا على تكذيبك مع ظهور المعجزات الخارقة على وفق دعواك لم يكذبوك وانما كذبونى انا وهذا كما يقول القائل لرجل اهان عبده انك لم تهن عبدى وانما اهنتنى وهنا وجه ثالث وهو ان الظالمين ما خصوك بالتكذيب بل عم تكذيبهم لسائر المرسلين ويلائمه ما ذكره المصنف بقوله (ثم عزاه) بتشديد الزاى اى سلاه وصبره (وآنسه) بالضبطين اى سكنه وازال وحشته (بما ذكره عمن قبله) اى من الانبياء (ووعده النصر) اى على الاعداء (بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الآية) يعنى فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين (فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف) وهو نافع والكسائى (فمعناه لا يجدونك كاذبا) فهو من باب ابخلته وجدته بخيلا (وقال الفرآء) بتشديد الرآء وهو الامام النحوى اللغوى الكوفى مات سنة سبع ومائتين فى طريق مكة ولم يكن يعمل الفرو ولا يبيعها وانما قيل له ذلك لانه يفرى الكلام اى يصنعه ويأتى بالعجب منه (والكسائى) بكسر الكاف لانه كان ملتفا بكساء عند قرآءته على حمزة وقيل لانه احرم بكساء وهذا القول جزم به ابو عمرو الدانى فى التيسير ونظمه الشاطبى فى كتابه وهو احد القرآء السبعة والامام فى النحو واللغة من اهل الكوفة روى عن ابى بكر بن عياش وحمزة الزيات وابن عيينة وغيرهم وعنه الفرآء وابو عبيد القاسم بن سلام وغيرهما توفى سنة تسع وثمانين ومائة بالرى وقيل بطوس والحاصل انهما قالا فى معنى لا يكذبونك بالتخفيف (لا يقولون انك كاذب) فيكون معناه النسبة كالاكفار والتكفير وهو انسب للجمع فى المعنى بين القرآءتين (وقيل لا يحتجون) اى لا يستدلون (على كذبك ولا يثبتونه) اى شبهة فضلا عن حجة وهو راجع الى قولهما فى المعنى وان اختلف فى المبنى (ومن قرأ بالتشديد) وهم الباقون (فمعناه لا ينسبونك

الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك) وهو خلاصة المعنيين وزبدة القرآتين (ومما ذكر من خصائصه) اى الدالة على زيادة قدره (وبر الله تعالى به) اى اكرامه له من بين اصفيائه (ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام) اى المذكورين فى القرآن (باسمائهم) اى باعلامهم دون اوصافهم الدالة على اعظامهم (فقال يا آدم) انبئهم باسمائهم (يانوح) اهبط بسلام (ياابراهيم) قد صدقت الرؤيا (ياموسى) انى انا الله (ياداود) انا جعلناك خليفة (ياعيسى) انى متوفيك (يازكريا) انا نبشرك (يايحيى) خذ الكتاب بقوة وامثال ذلك (ولم يخاطب) بفتح الطاء ويروى ولم يخاطبه كذا ذكره الحجازى لكن لا يلائمه قوله (هو) ولعله غير موجود فى تلك الرواية (الا يا ايها النبى يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها المدثر) يعنى فهذا كله دال على رفعة منزلته عنده فان السيد اذا دعا احد عبيده باوصافه المرضية واخلاقه العلية ودعا غيره باسمه العلم الذى لا يشعر بوصف من الاوصاف الجلية دل على ان عزته عنده اكثر من غيره كما فى عرف المخاطبة وآداب المحاورة ومعنى المزمل واصله المتزمل المتغطى بالثوب وكذا المدثر لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لخديجة رضى الله تعالى عنها حين رجع من غار حراء بعد ما حاوره الملك زملونى زملونى وفى رواية اخرى دثرونى دثرونى على ما ورد فى الصحيح وانما خوطب بالمزمل والمدثر فى هذا المقام للملاطفة والتأنيس اذ من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة ان تسمى المخاطب باسم تشتقه من الحالة التى هو فيها كقوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة قم يا نومان ولعلى بن ابى طالب وقد نام فى التراب قم يا ابا تراب هذا بحسب دلالة الخطاب ومن ذلك انه تعالى منع الخلق صريحا ايضا فى الكتاب لسد هذا الباب حيث قال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقد قال كثير من العلماء اى لا تقولوا يا محمد يا احمد ونحوهما ولكن قولوا يا رسول الله يا نبى الله وان منادانه عليه الصلاة والسلام باسمائه الاعلام من نوع الحرام فى الاحكام

الفصل الرابع

(فى قسمه تعالى بعظيم قدره) القسم بفتحتين الحلف (قال الله تعالى لعمرك) اى قسمى يا محمد لعمرك (انهم لفى سكرتهم) اى فى غمرتهم وغفلتهم (يعمهون) اى يتحيرون ويترددون والضمير لقوم لوط وقيل راجع الى قريش وهو بعيد جدا غير ملائم للسابق واللاحق على ما ذكروه والاظهر ان الجملة قسمية معترضة فيما بين القصة فلا يبعد ان يكون الضمير راجعا الى كفار قومه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الملائم لخطابه وحكاية غفلتهم عن جنابه ثم رأيت الطبرى جزم بان ضمير يعمهون لقريش والجملة اعتراض بين الاخبار بقبائح قوم لوط وبين الاخبار بهلاكهم تنبيها على ان من كان هذا دأبه فجدير ان لا ينفعه تأديب ولا يؤثر فيه تأنيب وتنفيرا للسامع عن هذه القبائح المورثة للفضائح (اتفق اهل التفسير فى هذا) اى فى قوله لعمرك (انه قسم من الله تعالى بمدة حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وقيل المراد به لوط كما ذكره البيضاوى فالمراد باهل التفسير اكثرهم وجمهورهم مع ان البغوى ايضا اقتصر على الاول ثم اذا كان المراد به لوطا فالقائل الملك لا ينافى ما رواه البيهقى وابن ابى شيبة وابن جرير عن ابن عباس ما حلف الله تعالى بحياة احد الا بحياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمرك بل اخرج ابن مردويه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا قال ما حلف الله بحياة احد الا بحياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمرك (واصله) اى اصل الاستعمال لعمرك (بضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال) والاظهر ان يقال العمر بضمتين وهو الافصح الوارد فى القرآن وبالضم والفتح ايضا على ما فى القاموس الا انه لا يستعمل فى القسم الا بالفتح لخفة لفظه وكثرة دورانه كما فى البيضاوى وغيره (ومعناه) اى كما رواه ابو الجوزاء عن ابن عباس (وبقائك) اى ومدة بقائك فى الدنيا (يا محمد) كقوله تعالى والعصر اى عصر نبوته فى قول او بقائك بتابعد فنائك فينا (وقيل) اى كما رواه ابن ابى طلحة عن ابن عباس ايضا وعزى الى الاخفش (وعيشك) اى وطيب معيشتك فى الكونين لقوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة اى فى الدنيا بالزهد فيها والتقليل منها والصبر على مرها والشكر على حلوها (وقيل وحياتك) اى باسماء المحى والتخصيص للتشريف والكل بمعنى واحد وانما ذكرها لاختلاف الفاظها (وهذه) اى المعانى كلها (نهاية التعظيم وغاية البر) اى التكريم والتشريف قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى فيما رواه البيهقى فى دلائله وابو نعيم وابو يعلى (ما خلق الله) اى ما قدر (وما ذرأ) اى خلق وكأنه مختص بالذرية وفى الحديث انهم ذرء النار اى انهم خلقوا لها (وما برأ) اى خلق الخلق من البرا وهو التراب او مختص بذات الروح ولذا يقال يا بارئ النسمة او معناه خلق خلقا بريئا من التفاوت او اريد بالثلاثة معنى واحد وكرره للتأكيد كما فى الحديث نعوذ بالله الذى يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه من شر ما خلق وذرأ وبرأ والمراد ما اوجد من العدم (نفسا) اى شخصا ذا نفس (اكرم عليه) اى انفس عنده وافضل لديه (من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ثم كان كالدليل عليه (وما سمعت الله عز وجل) اى ما علمته (اقسم بحياة احد

غيره وقال ابو الجوزاء) بجيم وزاى مفتوحتين بينهما واو وساكنة فالف بعده همزة اوس بن عبد الله الربعى البصرى يروى عن عائشة وغيرها وعنه قتادة وعدة اخرج له الجماعة الستة واما ابو الحوراء بالحاء المهملة والراء فراوى حديث القنوت (ما اقسم الله عز وجل بحياة احد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده) والبرية بالهمز والتشديد بمعنى الخليقة ومنه قوله تعالى اولئك هم خير البرية وهى فعيلة بمعنى مفعولة وانثت لانها خرجت عن الصفة واستعملت استعمال الاسماء المحضة واما ما جزم به المنجانى من انها غير مهموزة ففعله عن القرآءة لان نافعا وابن ذكوان قرآ فى الآية بالهمزة (وقال تعالى يس والقرآن الحكيم) عطف على يس ان جعل مقسما به والا فواوه للقسم واسند اليه الحكمة لانه صاحبها او ناطق بها (الآية) اى انك لمن المرسلين على صراط مستقيم (اختلف المفسرون فى معنى يس على اقوال) اى صدرت من بعض المتأخرين اقوال فالجمهور من السلف وجمع من الخلف على ان الحروف المقطعة فى اوائل السور مما استأثر الله به علما ويقولون الله اعلم بمراده بذلك (فحكى ابو محمد مكى) وقد مر ذكره (انه روى) اى فى دلائل ابى نعيم وتفسير ابن ابى مردويه من طريق ابى يحيى التيمى قيل وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابى الطفيل (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لى عند ربى عشرة اسماء) وهو لا ينافى الزيادة لانها قاربت الخمسمائة (وذكر) اى ابو محمد مكى ويحتمل ان يكون مرفوعا لكن عبارته تأبى عنه وهى (ان منها طه ويس اسمان له) ومع هذا ليس الحديث المذكور بصحيح وقد ضعفه القاضى ابو بكر بن العربى على ما ذكره المنجانى ثم قال واما هذا القول وهو انه اسم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذهب اليه سعيد بن جبير وقد جاء فى الشعر ما يعضده وذلك قول السيد الحميرى

يا نفس لا تمحضى بالنصح جاهدة * على المودة الا آل ياسينا

يريد الا آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويكون حرف النداء على هذا محذوفا من الآية وكان الاصل ان يكتب ياسين على اصل هجائها ولكن اتبعت فى كتبها على ما هى عليه المصاحف الاصلية والعثمانية لما فيها من الحكمة البديعية وذلك انهم رسموها مطلقة دون هجاء لتبقى تحت حجاب الاخفاء ولا يقطع عليها بمعنى من المعانى المحتملة ومما يؤيد هذا المعنى قوله تعالى سلام على آل ياسين بمد الهمزة على قرآءة نافع وابن عامر فقد قال بعض المفسرين معناه آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قيل اصل طه معناه طاء من الوطئ فابدل الهمزة هاء واجرى الوصل مجرى الوقف وقيل معناه يا رجل بالحبشية او العبرانية او القبطية او اليمانية (وحكى ابو عبد الرحمن السلمى عن جعفر الصادق انه اراد) اى بقوله يس (ياسيد) اى بطريق الرمز (مخاطبة لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ملاطفة ومطايبة ومخافتة وهذا مختصر مما نقله السلمى عنه بقوله قال الصادق فى قوله يس ياسيد مخاطبا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولم يمدح بذلك نفسه ولكنه اخبر عن مخاطبة الحق اياه بقوله يس وهذا شبيه بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قرأ على المنبر ونادوا يا مال فلما اخبر الله تعالى عنه بالسيادة وامره بتصريحه صرح بذلك فقال ان الله تعالى دعانى سيدا وانا سيد ولد آدم ولا فخر اى ولا فخر لى بالسيادة لان افتخارى بالعبودية اجل من اخبارى عن نفسى بالسيادة انتهى والحاصل ان الياء منها للنداء والسين اشارة الى لفظ سيدا كتفاء ببقاء الكلمة لدلالتها على باقيها وهذا مذهب العرب يستعملونه فى كلامهم واشعارهم وقد حكى سيبويه ان الرجل منهم يقول للآخر الا تا اى الا تفعل فيقول الاخر بلى فا اى بلى فافعل ويكتفون بذلك عن ذكر الكلمتين بكمالهما وقد ورد فى الحديث كفى بالسيف شا واستغنى بذلك عن ان يقول شاهدا (وعن ابن عباس) اى على ما رواه ابن ابى حاتم (يس) اى معناه (يا انسان) ولما كان الانسان اسما للعموم افراد الانس قال (اراد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لانه الفرد الاكمل والمقصود من الخلق الاول (وقال) اى ابن عباس كما رواه ابن جرير (هو) اى يس (قسم) اى اقسم به سبحانه وتعالى بحذف حرف القسم فالواو فى قوله والقرآن الحكيم عاطفة او معادة (وهو) اى يس اسم على ما رواه ابن ابى طلحة عنه (ايضا من اسماء الله تعالى) اى تصريحا او تلويحا وهو لا ينافى ان يكون من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الاسماء بمعنى الاوصاف لا بمعنى الاعلام وقد اطلق بعض صفات الله تعالى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كالرؤوف والرحيم وامثالهما مع الفرق بين اوصافه سبحانه وتعالى ووصفه صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره (وقال الزجاج) هو ابو اسحق ابراهيم النحوى نسبة الى الزجاج لصنعته مات سنة عشر وثلاثمائة ببغداد (قيل معناه يا محمد) اى بطريق الايماء كما سبق فى يا سيد وغيره (وقيل يا رجل) اى بالحبشية كما روى عن الحسن وسعيد بن جبير ومقاتل انها لغة حبشية يعنى انهم يسمون الانسان سين (وقيل يا انسان) اى بلغة طى كما رواه الكشاف وعن ابن عباس على ان اصله يا انيسين بالتصغير فاقتصر على شطره لكثرة النداء به (وعن

ابن الحنفية) كما رواه البيهقي في دلائله وهو محمد بن علي بن ابي طالب نسبة الى امه وهي خولة بنت جعفر بن قيس ابن مسلم من سبي بني حنيفة واشتهر بها وهو من كبار التابعين دخل على عمر بن الخطاب وسمع عثمان بن عفان وغيره واخرج له الجماعة مات سنة ثمانين وولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر (يس يا محمد) اى باحد التأويلات السابقة (وعن كعب) اى كعب الاحبار (يس قسم اقسم الله تعالى عز وجل به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام) الظاهر ان المراد به الكثرة الخارجة عن التعديد لا التحديد وان المقصود به هو انه سبحانه وتعالى اقسم برسوله الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم في كلامه القديم (يا محمد انك لمن المرسلين) فكانه اراد ان التقدير اقسم بك يا محمد انك لمن المرسلين (ثم قال تعالى) اى اظهارا بعد ذكره اضمارا وتأكيدا بعد اقسامه تأييدا (والقرءآن الحكيم انك لمن المرسلين) على انه لابدع انه سبحانه اقسم به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل خلق الكائنات بالفي عام عند ابداع روحه الشريف وابدآء نوره اللطيف صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال في كتابه القديم مطابقة لما اقسم برسوله العظيم صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا يندفع ما ذكره الحجازي من ان هذا القول عندي في غاية الاشكال لان القرءآن كلام الله وكلامه صفة من صفاته القديمة فلا يصح ان يذكر في تقدمه عن خلق الارض مقدارا معينا الا ان خلقهما محدث فالاولى ان تضعف الروايات الواردة عن كعب بهذا ما امكن فان صح ذلك عنده فليترك علمه الى الله سبحانه وتعالى اذ لا يقول كعب هذا الا بتوقيف وليس ذلك مما يدرك بالاجتهاد والرأي انتهى وفيه ان كعبا ممن ينقل عن الكتب السالفة والعلماء الماضية فلا يقال في حقه انه لا يقول الا بتوقيف فان هذا الحكم مختص بالاقوال الموقوفة المروية عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم ممن ليس لهم رواية عن غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فموقوفهم حينئذ حكم مرفوعهم كما هو مقرر في علم اصول الحديث حتى لم يعدوا عمرو بن العاص ممن لا يقول الا بالتوقيف فافرق بين القول الصحيح والضعيف وقد يجاب بان المراد به انه ابرزه في ام الكتاب اى اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه ثم قال المصنف (فان قدر) اى فرض وفي نسخة قرر (انه) اى يس (من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وصح فيه) اى في القول (انه قسم) اى ايضا (كان فيه من التعظيم ما تقدم) اى من ان الله تعالى ما اقسم بحياة احد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (ويؤكد فيه القسم) اى المستفاد من المقدر المرموز (عطف القسم الآخر) بالفتح ويجوز الكسر وهو المذكور المصرح (عليه) اى على ذلك القسم فتكون الواو الثانية عاطفة او مؤكدة كما اشرنا اليه (وان كان) اى مجموع يس (بمعنى النداء) يعني وليس المراد به انه من الاسماء وان كان يس بمعنى المنادى (فقد جاء قسم آخر فيه) اى قسم آخر ليس وجهه مما يظهر (بعده) اى بعد ندائه (لتحقيق رسالته) اى بقوله انك لمن المرسلين (والشهادة بهدايته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حيث قال على صراط مستقيم (اقسم الله تعالى باسمه) اى بناء على القول الاول في يس (وكتابه) اى في قوله والقرءآن الحكيم (انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه) اى الموجب لايقانه والمقتضي لاكمال اعمال اركانه (اى) يعني معنى صراط مستقيم انه من الثابتين (على طريق لا اعوجاج فيه) اى لا ميل الى طرفي الافراط والتفريط من تشبيه وتعطيل وجبر وقدر (ولا عدول عن الحق) اى عن الحكم الثابت بالوجه الصدق او عن الوصول اليه سبحانه وتعالى والحصول على رضاه عز شانه (قال النقاش) ابو بكر محمد ابن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي البغدادي المفسر المقري توفي سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وقد اثنى عليه ابو عمرو الداني وقد طعنوا في رواية حديثه (لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه عليهم الصلاة والسلام بالرسالة في كتابه) اى القرءآن لعدم علم النقاش بسائر خطابه ولا يبعد ان يراد به جنس كتابه (الا له) صلى الله تعالى عليه وسلم (وفيه) اى وفي هذا التخصيص (من تعظيمه وتمجيده) اى تكريمه صلى الله تعالى عليه وسلم (على تاويل من قال) اى في يس (انه يا سيد ما فيه) اى الذي فيه من غاية التفخيم الذي يعجز عن بيانه نطاق التكليم (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر) قال الحجازي واكثر الروايات في هذا الحديث انا سيد ولد آدم يوم القيامة وهكذا رواه مسلم والترمذي قلت وفي الجامع الصغير انا سيد ولد آدم يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع رواه مسلم وابو داود عن ابي هريرة ورواه احمد والترمذي وابن ماجه عن ابي سعيد ولفظه انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لوآء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوآئي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر انتهى ولا شك ان زيادة الثقة مقبولة والمعنى لا اقوله افتخارا لمقامي بل تحدثا بنعمة ربي او المعنى لا افخر بهذا بل بما فوقه مما لا يعبر ثم السيد في اللغة الشريف الذي فاق قومه في الخير وهو فعيل بكسر العين من ساد يسود وهو المعتمد الذي عليه البصريون ونظيره صيب وثيب والحاصل ان المصنف اتى بهذا الحديث عاضدا للقول بان المراد في الآية يا سيد كما بيناه سابقا (وقال جل جلاله) اى عظم شانه وعز سلطانه

لاقسم

(لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد) ادخال النافية للتأكيد شائع في كلام العرب وسائغ عند علماء الادب فالمعنى انه سبحانه وتعالى اقسم بالبلد الحرام وقيده بحلول رسوله عليه الصلاة والسلام به اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وهذا المعنى باعتبار مفهومه يفيد ما عبر عنه المصنف بقوله (قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي) اى هذا القول عن بعضهم وبما قررناه وبيناه وحررناه اندفع ما قاله الحجازي من ان هذا الذي حكاه عن مكي لا يستقيم تنزيله على الآية لانه عكس مقتضاها الا ترى ان الواو من قوله تعالى وانت حل واو الحال واذا كانت كذلك فيكون معنى الآية لا اقسم بهذا البلد اذا كنت فيه وهو ضد ما قال مكي وانما تتأول الآية على ان تكون لا زائدة فيها اى اقسم بهذا البلد وانت حل به ساكن فيه والى هذا ذهب الزجاج انتهى ولعل منشأ هذا الاعتراض هو المقابلة بقوله (وقيل لا زائدة) وليس كذلك فان مراده مستقيم على تقدير عدم زيادة لا ايضا كما قال مجاهد انها رد لكلام تقدم والمعنى ليس الامر كما توهم من توهم واقسم بعدها اثبات للقسم ويؤيده قرآءة الحسن البصري لأقسم بدون الالف وعلى التنزل يمكن ان يكون مراده المغايرة في معنى حل على القول بزيادة لا ايضا ولذا قال (اى اقسم به وانت به يا محمد حلال لك) اى من دخول الحرم بغير احرام والمعنى انت به حلال حال كونه خالصا لك (او حل لك ما فعلت فيه) اى من قتل بعض المشركين في عام الفتح حيث قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان مكة حرمها الله تعالى يوم خلق السموات والارض لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس (على التفسيرين) اى على القولين للمفسرين في معنى الحل انه من الحلول او من الحلال لا تفسيري كونها زائدة ونافية كما ذكره الدلجي (والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة) وهو المشهور عند الجمهور (وقال الواسطي اى نحلف) كان الاولى احلف (لك) وقال الحجازي يروى بحلولك (بهذا البلد الذي شرفته بمكانك) اى بكونك واقامتك (فيه حيا وبركتك ميتا يعني المدينة) فيه بحث لانه يحتمل انه اراد به مكة ايضا لانه شرفها بمكانه فيها حيا ويصل اليها بركاته مماتا وان بعد عنها دفنا بل هذا هو الاظهر معنى والاوفق مبنى فلا يحتاج الى قوله (والاول) اى من قولي البلد أهي مكة ام المدينة (اصح لان السورة مكية) اى اتفاقا (وما بعده يصححه) اى يؤيده ويوضحه (قوله تعالى) بدل مما بعده (وانت حل بهذا البلد) وفيه انه لا يظهر وجه تصحيحه ولا بيان توضيحه لان حلوله في المدينة اظهر لشموله حيا وميتا ولا بدع ان الآية نزلت بمكة اشارة الى ما سيقع من القضية (ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين) اى الآمن او المأمون فيه يأمن فيه من دخله (قال) اى ابن عطاء (آمنها الله تعالى) بهمزة ممدودة ويجوز بالقصر والتشديد ففي القاموس آمنه وامنه فاندفع به اعتراض الحلبي اى جعل مكة ذات امن (بمقامه) اى بسكناه (فيها وكونه بها فان كونه) اى وجوده فيها (امان حيث كان) صلى الله تعالى عليه وسلم واغرب التلمساني حيث قال والامين فعيل كفعل او مفعول وهذا على زيادة لا وعلى نفيها فالقسم به دونها انتهى ووجه غرابته لا يخفى لان البلد الامين في سورة التين وليست هي مصدرة بلا اقسم حتى يستقيم هذا القسم والله اعلم وفي نسخة زيادة ثم هذا القول من ابن عطاء لا يخلو عن نوع غطاء فان الله سبحانه وتعالى جعله بلدا آمنا قبل ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم والمراد بالبلد الامين مكة باتفاق المفسرين وهذه جملة معترضة بين المتعاطفين بقوله (ثم قال عز وجل ووالد وما ولد من قال) اى كمجاهد (اراد آدم) اى بقوله تعالى ووالد (فهو عام) اى في جميع ولده ولا يبعد ان يراد به خلاصة افراد الاولاد وسلالة العباد وسيد الانبياء وسند الاصفياء الذي قيل فيه لولا وجود الخاتم ما كان ذكر لآدم صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن قال هو ابراهيم وما ولد) اى من اولاده الصلبية يعني اسماعيل واسحق واسباطه من انبياء بني اسرائيل من نسل يعقوب وسبطه الاعظم وحافده الافخم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل اسماعيل الجميل باني البيت الجليل مع والده الخليل وربما قال هو المقصود بالذات من ابراهيم وولده الكريم كما انه زبدة الكائنات وخلاصة الموجودات ولذا قال المصنف (فهي) اى الآية المذكورة (ان شاء الله تعالى اشارة الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتضمنت السورة) اى المسطورة (القسم به صلى الله تعالى عليه وسلم في موضعين) اى بحسب المتعاطفين من حيث كونه ولد الابراهيم وكونه والدا بشهادة ما في الكشاف ونقله ابن الجوزي عن ابن عمران الجوني انه صلى الله تعالى عليه وسلم هو المراد بالوالد ونصره القرطبي بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما انا لكم بمنزلة الوالد وقد ذكر البيضاوي القولين حيث قال ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابراهيم وما ولد ذريته او محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله والله اعلم بما وضعت اى باي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشان غريب البرهان فاندفع ما قاله الحجازي من ان ما تقع على ذوي العقول عند النحويين على ان كثيرا منهم قالوا

ان من يختص بذوى العقول وماعام ويؤيده قوله تعالى والسماء ومابناها والارض وماطحاها ونفس وما سوّاها
وان قال بعضهم ان المراد بها معنى الوصفية المنبئة عن العظمة كانه قيل والشئ القادر الذى بناها ودل على وجوده
وكمال قدرته وجوده بناؤها وانت ترى ان هذا تكلف مستغنى عنه اذ جوّزان ماترد بمعنى من على مافى القاموس كقوله
تعالى ولاتنكحوا مانكح آباؤكم فانكحوا ماطاب لكم ثم وقع التناقض بين قولى المنجانى حيث قال فيلزم على قول
القاضى ان تكون مافى الاية واقعة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك خروج بها عما قرر النحويون انها والذى
يظهر فى الاية والله تعالى اعلم ان الوالد والولد اسما جنس عامان لكل والد ومولود وهو قول ابن عباس فيكون
قوله سبحانه وتعالى وماولد على هذا التأويل جامعهما على العاقل الذى لم يلد اذ لواقتصر فى الاية على ذكر الوالد لخرج
منهما من لم يلد ولدا البتة انتهى ووجه التناقض لايخفى اذ جنس المولود من قبيل ذوى العقول فى المعنى فيؤول
الى قول القاضى فى المبنى غايته انه اراد الفرد الاكمل من الجنس الثانى بل لواريد به الفرد الافضل من النوعين لايبعد
اصدق الوالدية والولدية عليه ثم التنبيه الذى ذكره لايخفى على الفقيه النبيه حيث ان المراد بما ولد ماولده الوالد
من آدم اوابراهيم اوجنس الوالد (وقال تعالى الم ذلك الكتاب) قيل فيه صنعة التبديل من علم المعمى فى استخراج
الاسما والتقدير الف لام الحمد ميم فيبقى محمد فهو نداء اومبتدأ خبره ذلك الكتاب اى هو النسخة الجامعة فى الرتبة
اللامعة والمرتبة الساطعة واسطة بين الخالق والخليقة (لاريب فيه) وسيأتى الكلام فيه (قال ابن عباس رضى الله
عنه) اى فيما رواه ابن جرير وابن ابى حاتم (هذه الحروف) اى المقطعة فى اول هذه السورة وامثالها من سائر السور
المسطورة (اقسام) جمع قسم بمعنى مقسم به (اقسم الله تعالى بها) وفى نسخة بهذا اى بما ذكر على طريق الاشارة والرمز
الى اسماء الله سبحانه وتعالى واوصاف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بان يكون الالف رمزا الى ما اوله الهمز وكذا
اللام وكذا الميم وكذا سائر الحروف وحرف القسم حينئذ محذوف (وعنه) اى ابن عباس (وعن غيره فيها غير ذلك)
حتى قيل فيها سبعون قولا منها ماعليه العشرة وغيرهم ومنهم ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ان الله تعالى اعلم بمراده
بذلك وقيل معنى الم انا الله اعلم وعن ابن عباس ان الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وقيل هى اسماء الله بشهادة
قول على يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل اسماء للقرءآن اوللسور وقيل الالف من اقصى الحلق
وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهى اخرها فجمع بينها تلويحا بان العبد
ينبغى ان يكون اول كلامه ووسطه وآخره ذكر الله تعالى (وقال سهل بن عبد الله التسترى) وروى عن ابن عباس
ايضا (الالف هو الله سبحانه وتعالى) اى اشارة الى لفظة الله بناء على الحرف الاول منه فى المبنى اوالى وحدانيته
بحسب المعنى لكن يؤيد الاول قوله (واللام جبريل) اى بناء على الحرف الآخير (والميم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم)
نظرا الى اوله واوسطه كذلك ومانسبه حيث كرر مسمى الميم فى الاسم والمسمى (وحكى هذا القول السمرقندى)
اى مطلقا (ولم ينسبه الى سهل) وهذا امر سهل اذ لامنافاة بين الاطلاق والتقييد مع احتمال التوارد فى مقام
التأييد فلا ينافيه ماعزاه السجاوندى الى ابن عباس ايضا (وجعل) اى السمرقندى (معناه) اى معنى هذا القول
المستفاد من الاشارة الى الاسماء المستورة بحسب التراكيب المفيدة المأثورة (الله انزل جبريل على محمد صلى الله
عليه وسلم بهذا القرءآن لاريب فيه) اى فى المنزل اوالمنزل اوالمنزل به اوالمنزل عليه اوفى كل واحد منها وهو نفى عند
ارباب التحقيق ومعناه نهى بالنسبة الى اهل التقليد والتضييق والله ولى التوفيق اوالمعنى لاريب فيه وتوضيحه
ان يقال من حيث انه لوضوح شانه وسطوع برهانه لايرتاب فيه عاقل بعد النظر الصحيح فى كونه وحيا بالغا حد
الاعجاز لامن حيث انه لايرتاب فيه احد لكثرة المرتابين بشهادة وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة
من مثله فانه لم ينفه عنهم بل عرفه بما يزيله عنهم وهو ان يبذلوا قواهم فى معارضة سورة منه وغاية جهدهم فاذا عجزوا
تيقنوا ان لاشبهة فيه ولاريبة ثم بهذا لايزول وجه اشكال تقديم جبريل على النبى الجليل (وعلى الوجه الاول) اى
من قول ابن عباس وهو ان المراد بها القسم (يحتمل القسم) اى المقسم عليه (ان هذا الكتاب حق لاريب فيه ثم فيه)
اى فى القسم اوالكتاب على الاحتمال الثانى (من فضيلة قران اسمه باسمه) وفى نسخة من فضيلته قران اسمه باسمه
وهو بكسر القاف بمعنى مقارنته (نحو ماتقدم) اى فى التشهد والخطبة كما قال حسان

وضم الاله اسم النبى الى اسمه ❋ اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد

(وقال ابن عطاء فى قوله تعالى ق والقرءآن المجيد اقسم) اى الله تعالى (بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
اى التى هو من حروفها اكتفى به عنها (حيث حمل الخطاب) اى من ربه (والمشاهدة) اى له ليلة الاسراء (ولم يؤثر ذلك
فيه لعلو حاله) اى مع وجود المجاهدة ويناسبه قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك الاية (وقيل هو) اى ق (اسم

للقرءآن) اى بطريق الاشارة واما بطريق العبارة فهو اسم للسورة (وقيل هو اسم الله تعالى) اى بناء على رمزه الى
الاسماء التى اولها القاف كالقادر والقاهر والقوى والقريب (وقيل هو اسم جبل محيط بالارض) اى فوقع القسم
به لعظمته وهذا قول مجاهد ان ق اسم جبل محيط بالدنيا وانه من زمردة خضراء منها خضرة السماء والبحر لكنه
ضعيف جدا (وقيل غير هذا) اى غير ما ذكر اى ايماء الى قيام الساعة وقال سهل رضى الله عنه اقسم بقدرته وقوته
كما حكى عنه السلمى وقيل معناه قضى الامر من رسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اواخبار بقهر الكفرة اوتنبيه
على قيام الموتى من القبور فكلها منقولة عن المفسرين وجميعها داخل فى قول من قال هى حروف اخذت من
اسماء وافعال واستغنى بها عن ذكر مابقى منها والله تعالى اعلم ولايبعد ان يكون ايماء الى الامر بالوقوف على الاحكام
والتوقف فيما اشكل من المرام ككقول الشاعر قلت لها قفى فقالت لى قاف (وقال جعفر بن محمد) اى الصادق
(فى تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه النجم الاكبر والكوكب الانور وقوله اذا هوى اى
اذا صعد الى مقام دنا فتدلى اواذا احب المولى وترك السوى فكان قاب قوسين اوادنى (وقال) اى الصادق (النجم
قلب محمد صلى الله عليه وسلم وهوى انشرح من الانوار) اى لما انبسط وانبث فيه من الاسرار واغرب المنجانى حيث
انكر على العالم الربانى بقوله هذا تحامل على اللغة فى تفسير الهوى وتحكم فيها والمنقول عن جعفر انه انما فسر الهوى
هنا بالنزول ليلة المعراج كما حكى عنه ذلك فى تفسير الغزنوى وهو اقرب الى الاشتقاق اللغوى (وقال انقطع عن
غير الله) اى عن التعلق بما سواه (وقال ابن عطاء فى قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم
لان منه تفجر الايمان) اى تبين منه الايقان وظهر منه العرفان بنزول القرءآن وحينئذ يناسب ان يفسر ليال
عشر بالعشرة المبشرة لان الكواكب السيارة المنيرة فى ميدان الولاية تختفى فى زمان النبوة واوان الرسالة لان
احوال الاصفياء بالنسبة الى احوال الانبياء لاتخلو عن ظلمة الكدورات النفسانية والحجابات الشهوانية فناسب
ان يعبر عنهم بالليالى العشر كما يلائم ان يومى الى مرتبة النبوة والرسالة بطلوع الصبح وظهور نور الفجر وبهذا اندفع
ماقاله المنجانى من ان هذا التاويل بعيد لان الفجر فى الاية مردف بالليالى العشر وفى حمله على ماذكر تنافر فى النظم
وعدم تناسب فى اللفظ انتهى واما اقوال المفسرين فى معنى الفجر وليال عشر فمشهورة لاتخفى والمشهور ان الفجر هو
الصبح والليالى العشر عشر ذى الحجة ومن ثم فسر الفجر بفجر عرفة اوالفجر والعشر الاول من المحرم اوالاواخر من
شهر رمضان ونكرت لزيادة فضلها والله تعالى اعلم

(الفصل الخامس فى قسمه)

اى فى حلفه فى كلامه (تعالى جده) اى عظمته لقوله تعالى وانه تعالى جد ربنا ولما فى الحديث كان الرجل منا اذا قرأ
البقرة وآل عمران جد بدال مهملة فى انفسنا اى عظم وجل وعن انس والحسن رضى الله تعالى عنهما غناه بشهادة
حديث ولاينفع ذا الجد منك الجد اى لاينفع ذا الغنى منك غناه وانما ينفعه ايمانه واحسانه (له) صلى الله تعالى عليه
وسلم (لتحقق مكانته) اى منزلته الرفيعة (عنده) بكسر العين افصح ويجوز فتحها وضمها ففى القاموس عند مثلثة
الاول ظرف فى الزمان والمكان غير متمكن (قال الله جل اسمه) اى عظم وصفه ونعته فكيف مسماه وذاته (والضحى) اى
اقسم بضوء الشمس اذ هو المراد بقوله وضحاها اوبوقته حين ارتفاعها وخص بالقسم لانه تعالى كلم فيه موسى عليه
الصلاة والسلام والقى السحرة فيه سجدا بشهادة وان يحشر الناس ضحى ولعل هذا هو المأخذ فى فضيلة صلاة الضحى
اوبالنهار كله بدلالة ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا اومقابلة قوله تعالى (والليل اذا سجى) اى ركد ظلامه اوسكن
اهله وقدم الليل فى السورة قبلها لانه الاصل بدليل قوله تعالى نسلخ منه النهار ولما ورد من ان الله خلق الخلق فى
ظلمة ثم رش عليهم من نوره الحديث وعكس هنا لشرف النهار بحسن ضوئه ونوره وكمال ظهوره والانسب بهذا المقام
فى تحقيق المرام ان يقال ان فى الضحى ايماء الى وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ان فى الليل اشعارا الى شعره عليه
الصلاة والسلام اوالى حاليه اشارة فيهما الى صبح الوصال وليل الفراق اوايماء بهما الى حاليه من مقامى القبض والبسط
اوالفناء والبقاء كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه ليغان على قلبى الحديث (السورة) وفى شرح الدلجى
السورة منصوب بفعل كاعنى قلت اواقرأ ويجوز رفعها على ان تقديره السورة معروفة وجرها على نزع الخافض
كما فى النسخة المشهورة والسورة طائفة من القرءآن مترجمة اقلها ثلاث آيات منقولة من سور المدينة لانها محيطة
بطائفة منه اومحتوية على مافيها من العلوم كاحتواء سور المدينة على مافيها هذا ان كانت واوها اصلية وان كانت
مبدلة من همزة فلكونها قطعة من القرءآن من السؤر الذى هو بقية الشئ وهذا المعنى هو الاولى كما لايخفى
اذ المعنى الاول يدل على المغايرة بين السورة وماهى مشتملة عليه وليس كذلك فى السورة (اختلف فى سبب نزول هذه

(السورة) اى سورة والضحى (فقيل كان ترك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة فى ذلك بكلام) اى بما لا يليق ذكره لاهل الاسلام ويؤيده ما رواه البخارى اشتكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فقالت له امرأة انى لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لما رأيت من عدم قيامك (فانزل) اى الله تعالى (والضحى) وروى مسلم نحوه وحديث الثعلبى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اصيب فى اصبعه فدميت فقال هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت فمكث ليلتين او ثلاثا لا يقوم الليل فقالت له ام جميل امرأة ابى لهب ما ارى شيطانك الا قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاث فنزلت وروى ابن السكن انها احدى عماته صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابن عساكر وكانت عماته صلى الله تعالى عليه وسلم ستا وجميعهن متن مشركات الا صفية بنت عبد المطلب ام الزبير ويؤيد الاول رواية الحاكم انها امرأة ابى لهب ولعلهما قالتاه ذلك ثم قيل هى اخت ابى جهل زوج ابى لهب وكان اسمها ام جميل وكان ابو بكر ابن العربى لا يكنيها الا بام قبيح وقد اجاد فيما افاد وقيل هى اخت ابى سفيان ابن حرب وهى زوج ابى لهب ايضا وكانت عوراء وكان احول والقول الاخير ذكره الحاكم فى مستدركه فى تفسير سورة والضحى وقال اسناده صحيح (وقيل) وعليه جمهور المفسرين على ما قيل (بل تكلم به المشركون) اى بمثل ذلك الكلام (عند فترة الوحى) اى عند انقطاعه وعدم اتصاله من الفتور بمعنى القصور وكانت المدة سنتين ونصفا وقيل بل كان ذلك بضعة عشر يوما (فنزلت السورة) اى والضحى وفى نسخة هذه السورة ويدل عليه حديث مسلم والترمذى ابطأ جبريل عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال المشركون قد ودع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله سبحانه وتعالى ما ودعك ربك وما قلى ويمكن الجمع بين القولين بانه لما فتر الوحى اتفق اذ ذاك انه اشتكى فلم يقم فقالت المرأة ما قالت وقال المشركون من الرجال ما قالوا وقال البيضاوى روى ان الوحى تأخر اياما لتركه الاستثناء كما مر فى سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره او غير ذلك فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه اى تركه وابغضه فنزلت ردا عليهم (قال الفقيه القاضى ابو الفضل رحمه الله) كذا فى بعض النسخ وهو متروك فى بعضها (تضمنت هذه السورة) اى سورة والضحى (من كرامات الله تعالى) اى من انواع اكرامه سبحانه (له صلى الله عليه وسلم) قال الدلجى من مزيدة او للتعظيم اى تضمنت شيأ عظيما اكرمه الله به انتهى ولا يخفى ان كونها مزيدة لا يناسب المقام لان الزائدة انما تكون للتنصيص على العموم فى النفى نحو ما جاءنى من رجل او لتأكيد العموم نحو ما جاءنى من احد وكونها للتعظيم غير معروف فالصواب انها للتبعيض فانه لا شك ان ما تضمنت هذه السورة من بعض كرامات الله له (وتنويهه به) من نوه بالشئ اى رفعه ونوهت باسمه اى رفعت ذكره والمقصود رفعة شانه وسطوع برهانه (وتعظيمه اياه) اى بما خصه الله تعالى واستثناه مما سواه (ستة وجوه) بالنصب على انه مفعول تضمنت وفى نسخة بستة وجوه وكان الوجه ان يقول ستة اوجه الا انه اوقع جمع الكثرة فى موضع جمع القلة توسعا اذ قد يكثر استعمال احدهما فى الآخر (الاول) اى الوجه الاول من الستة (القسم له) اى لاجله صلى الله عليه وسلم (عما اخبره به) اى فى هذه السورة (من حاله) اى مما يدل على عظيم جاهه وكريم كماله فى بيان ما اقسم له على نفيه (بقوله والضحى والليل اذا سجى اى ورب الضحى) اى على حذف مضاف يكون هو المقسم به وذلك لانه لا يقسم بمخلوق لان فيه تعظيم غير الله تعالى ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم من حلف بغير الله فقد اشرك والاظهر ان النهى فى ذلك بالنسبة الى المخلوق واما الخالق سبحانه وتعالى فيقسم بما شاء من خلقه تشريفا له وتعظيما لشأنه (وهذا) اى القسم له على ذلك (من اعظم درجات المبرة) بفتحات وتشديد الراء من البر بمعنى الخير (الثانى) اى من الستة (بيان مكانته عنده) تقدم بيانه (وحظوته لديه) بكسر اوله وبضم على ما فى الصحاح والقاموس وبسكون الظاء المعجمة بمعنى المنزلة والفضيلة والمحبة وقيل الحاء مثلثة لان كل اسم على فعلة ولامه واو وبعدها هاء التأنيث فانه مثلث الفاء واصله من حظيت المرأة عند زوجها اذا كانت ذات حظ ونصيب منه وفى المثل ان لا حظية فلا الية يقول ان اخطأتك الحظوة فلا تأل ان تتودد الى الناس لعلك تدرك بعض ما تريد ذكره الجوهرى (لقوله) متعلق بقوله بيان مكانته (ما ودعك ربك) بتشديد الدال وتخفف (وما قلى) حذف مفعول قلى لظهوره او اكتفاء بسبق ذكره مع كونه مراعاة للفاصلة (اى ما تركك) تفسير لودعك (وما ابغضك) تفسير لما قلى على طريق اللف والنشر المرتب والمعنى ما قطعك قطع المودع اذ التوديع مبالغة فى الودع اى الترك اذ من ودعك فقد بالغ فى تركك وفى الحديث غير مودع ربى اى غير قاطع طاعته ولا مفارق لعبادته وقرأ عروة وابنه هشام ودعك مخففا مع استغناء اكثر العرب عنه بترك فلم ينطق به ماضيا لكن قد جاء فى الحديث شر الناس من ودعه الناس اتقاء فحشه وفى الشعر ايضا كقوله

وكان ما قدموا لانفسهم * اعظم نفعا من الذى ودعوا

ومن التشديد قوله

ليت شعرى من خليلى ما الذى * رابه فى الحب حتى ودعه

ثم قلى يائى وقيل واوى وعلى الاول يقال فى مضارعه يقلى ويقلى بالياء والالف الا ان الالف شاذ كما فى ابى يأبى (وقيل ما اهملك) اى ما تركك هملا (بعد ان اصطفاك) اى كملا قال ابن عباس رضى الله عنه ما خلاك ولا قطعك منذ اصطفاك ورفعك (الثالث) اى من الستة (قوله) اى عز قائلا (وللآخرة) اى والدار الآخرة (خير لك من الاولى) اى من الدنيا او الحال الآخرة خير لك من الاولى ايماء الى انه دائما فى الترقى الى الدرجات العلى (قال ابن اسحق) تقدم انه امام اهل المغازى (اى مآلك) بفتح ميم وهمز ممدود ورفع لام اى ما تؤول اليه ومصيرك (فى مرجعك) اى معادك باقيا خالصا من الشوائب مما اعد لك من المراتب (عند الله) فى العقبى (اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا) ويروى كما فى بعض النسخ مالك على ان ما موصول والعائد محذوف بمعنى الذى اعطاكه فى الاخرى خير لك من الذى اعطاكه فى الاولى (وقال سهل اى ما ادخرت) بتشديد الدال المهملة وقيل بالمعجمة من الذخيرة وهى الشئ النفيس يخبأ للنوائب وذاله معجمة ويقال ادخرته على افتعل بمهمل وبمعجم والمعنى واحد وقيل بالمعجمة ما يكون للاخرة وبالمهملة ما يكون للدنيا ونسب الى ائمة اللغة وهى غير مشهورة ودلالة قوله تعالى تدخرون فى بيوتكم عليه غير صحيحة والمعنى الذى خبأته (لك من الشفاعة) اى العظمى او الخاصة بهذه الامة (والمقام المحمود) اى المرتبة العلية الشاملة للشفاعة الكاملة لجميع الافراد البشرية (خير لك مما اعطيتك فى الدنيا) اى من الرفعة وعلو المرتبة ونفاذ الحكومة ويؤيده ما ورد فى الحديث القدسى والكلام الانسى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يراد بالمقام المحمود كما هو ظاهر الاية كل مقام يتضمن كرامة وان كان الاكثرون على انه مقام الشفاعة الكبرى الذى يحمده فيه الاولون والآخرون بشهادة حديث هو المقام الذى اشفع فيه لامتى اى خصوصا او سائر الامم عموما (الرابع) اى من الستة (قوله ولسوف) خبر مبتدأ محذوف دخله بعد حذفه لام الابتداء لتأكيد مضمون الجملة اى ولانت سوف (يعطيك ربك) اى ما يرضيك ويقربه عينك (فترضى) اى غاية الرضى والجمع بين حرفى التأكيد والتأخير للايماء بان العطاء كائن لا محالة وفى مصحف ابن مسعود ولسيعطيك ثم اكثر المفسرين على ان هذا العطاء فى الاخرى وعن بعض العلماء انه اشارة الى فتح مكة فى الدنيا (وهذه الاية) اى ولسوف وفى بعض النسخ وهذه آية (جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة) اى ما اعطيه فى الدنيا وما وعده فى العقبى (وشتات الانعام) بكسر الهمزة من انعم اذا زاد على الاحسان بفتحتين اى متفرقات انواع الاكرام مما لا يعلم كنهه احد من الانام (فى الدارين والزيادة) بالجر اى وجامعة للزيادة على ما اعطاه فى الدنيا ووعده فى العقبى من انواع الكرامة والدرجات العلى (قال ابن اسحق) تقدم ذكره وقال التلمسانى هو صاحب السير والمقدم فيها والمشهور بالمغازى والتاريخ توفى ببغداد سنة احدى وخمسين ومائة وكان بينه وبين مالك كلام ومحاورة وذلك ان الائمة اتفقوا على ان مالكا عربى صريح النسب من ذى اصبح حميرى يمانى وذهب ابن اسحق الى انه من الموالى وقوله شاذ رواه الائمة والله سبحانه وتعالى اعلم والحاصل انه قال فى سيرته (يرضيه) اى الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام (بالفلج) وهو على ما فى الصحاح بفتح الفاء واللام وبالجيم والاسم بضم الفاء وسكون اللام اى الفوز باحبائه والظفر باعدائه ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى وصف القرآن من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج قال ابن هشام معناه ظهر وغلب وظفر والحاصل ان فى الاصل نسختين مضبوطتين وفى المثل من يأت الحكم وحده يفلج اى يظهر على خصمه (فى الدنيا) كيوم بدر وقريظة والنضير وفتح مكة (والثواب فى الآخرة) اى مما اخفى له من قرة اعين وهذا القول من ابن اسحق ليس كقول سهل بل هو قول ثالث يشير الى ان الاية مقتضية رضاه فى الدنيا والعقبى معا قيل وهو الصواب فى معنى الاية (وقيل يعطيه الحوض) اى المورود (والشفاعة) اى المقام المحمود وهو داخل فيما قبله بلا مرا وكل الصيد فى جوف الفرا وفسر عطاء وغيره الحوض بالخير الكثير تمسكا بما فى رواية البخارى ومسلم اى عن انس بن مالك بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه فقال نزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال أتدرون ما الكوثر هو نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوض ترده امتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء وفى رواية لهما الكوثر نهر فى الجنة عليه حوضى اى يمد ماؤه منه وفى مسلم ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والآخر من ورق ويغت بغين معجمة مضمومة فتاء فوقية مشددة ومعناه يجرى جريا متتابعا له صوت (وروى عن بعض آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو على بن ابى طالب كرم الله وجهه على ما ذكره الثعلبى

فى تفسيره (انه قال ليس آية فى القرآن ارجى منها) اى من آية ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم بين وجهه بقوله
(ولا يرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار) ورواه عنه ايضا ابونعيم فى الحلية
موقوفا والديلمى فى مسند الفردوس مرفوعا فبطل بهذا قول الحلبى قد ظهر لى والله تعالى اعلم ان هذا الرجل
هو الحسن بن محمد ابن الحنفية وذلك انه اول المرجئة وله فيه تصنيف انتهى وروى انه لما نزلت قال اذن لا ارضى
ان يكون واحد من امتى فى النار قال الدلجى وهذا ان صح فيشكل بما ورد مؤذنا بدخول بعض عصاتهم فيها ومن
ثم قال ابن عبد السلام وغيره لا يجوز الدعاء لجميع المؤمنين بمغفرة جميع ذنوبهم اذ لا بد من دخول بعض منهم فيه
ويعارضه رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات انتهى ولا يخفى ان المعارضة مدفوعة
اذ ليس فى الآية لفظ الجميع الشامل للافراد كلها والاشكال السابق ايضا مدفوع بانه صلى الله عليه وسلم لا يرضى
رضى كاملا الا اذا وقع شفاعته لجميع امته كاملا وهذا امر فى المستقبل فلا ينافى دخول بعض الامة النار فى الماضى
فتأمل هذا وفى حديث الترمذى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال ما فى القرآن آية احب الى من قوله سبحانه
وتعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل ارجى آية فى القرآن لاهل التوحيد قوله تعالى
وهل يجازى الا الكفور وقيل قوله تعالى انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى وقيل قوله تعالى
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقيل قل كل يعمل على شاكلته وقيل قوله تعالى
قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وقيل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين
الآية ووجهه انه سبحانه وتعالى امرنا بالاحتياط لدنيانا الفانية التى نهانا عن الاغترار بها والركون اليها والاعتناء بها
وامرنا بالاعراض عنها والزهادة فيها فاذا لطف بنا فيها بما ارشدنا اليه مع حقارتها فى طول آية من كلامه فكيف
بالدار الباقية دار الخلد فى النعيم والالتذاذ الذى لا يساوى بل لا يدانى بالنظر الى وجهه الكريم وفيه قول آخر وهو
ما فى صحيح مسلم من حديث الافك فانزل الله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى الى قوله
تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكم قال حبان بن موسى قال عبد الله بن المبارك هذه ارجى آية فى
كتاب الله عز وجل انتهى وقد اخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس رضى الله عنه ان ارجى آية فى القرآن لهذه الامة
قوله تعالى ولكن ليطمئن قلبى هذا واخوف آية فى القرآن قيل ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم ايه الثقلان
وقيل قوله تعالى فاين تذهبون وقيل ان بطش ربك لشديد وقيل قوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات وعن ابى
حنيفة واتقوا النار التى اعدت للكافرين وعن الشافعى انها قوله تعالى ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات انتهى واجتمعت الآيات سبعة فى الخوف وعشرة فى الرجاء ايماء الى انه سبقت رحمته غضبه وغلب رجاء ثوابه
خوف عقابه (الخامس) اى من الستة (ما عده الله تعالى عليه) اى ذكره (من نعمه) اى نعمائه وهو انسب الى قوله
(وقرره من آلائه) وهما مترادفان على ما قيل والاظهر ان وقت اجتماعهما يراد بهما نعمه الظاهرة والباطنة
واختلف فى مفرد الآلاء فقيل الى بالفتح والتنوين كرحى وقيل بالكسر والتنوين كمعى وقيل بفتحها وسكون اللام
وبالواو كدلو وقيل بكسرها وسكون اللام وبالياء كنحى وقيل بالفتح وترك التنوين وقوله (قبله) بكسر القاف وفتح
الموحدة اى عنده وجهته ونحوه (فى بقية السورة) من الم يجدك يتيما الى فاما اليتيم تلويحا بانه تعالى كما احسن
اليه سابقا يحسن اليه لاحقا كما قيل

لقد احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى

فما عدو قرر مورداله على خلاف ترتيب السورة ما اشار اليه بقوله (من هدايته) مصدر مضاف الى فاعله اى
من هداية الله اياه (الى ما هداه له) اى المستفادة بقوله تعالى ووجدك ضالا اى جاهلا بتفاصيل احكام الشريعة
فهدى اى فهداك اليها ودلك عليها (او هداية الناس به) اى فهدى الناس بك زيادة على هدايتك فى نفسك فجمع الله
له بين الهداية القاصرة والمتعدية المعبر عنهما بالكمال والتكميل اللذين يصل بهما العبد الى مقام التعظيم ومرتبة
التبجيل كما ورد عن عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم يدعى فى الملكوت عظيما (على اختلاف التفاسير) اى فى هدى
من التقادير على ما اشرنا اليها فى ضمن التصاوير فهدى اما بمعنى هداه الله او بمعنى هدى به الناس (ولا مال له) جملة
حالية او التقدير ومن كونه لا مال له (فاغناه الله بما آتاه) اى اعطاه من مال خديجة او من الغنائم (او بما جعله
فى قلبه من القناعة والغنى) اى غنى القلب كما اشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ليس الغنى عن كثرة العرض
انما الغنى غنى النفس وبقوله القناعة كنز لا ينفد وهو من قنع بكسر النون فى الماضى قناعة اذا رضى
بما اعطاه الله تعالى وبفتحه قنوعا اذا سأل بما سواه ومنه القانع والمعتر اى السائل تصريحا والمتعرض تلويحا وما

احسن ما قال من قال من اهل الحال

العبد حر ان قنع * والحر عبد ان قنع * فاقنع ولا تقنع فما * شئ اضر من الطمع

وهذا المعنى مستفاد من قوله ووجدك عائلا اى فقيرا او محتاجا الى الخلق فاغناك عنهم بغناه بل احوج اليك
كل من سواه كما اشار اليه بقوله آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة (ويتيما) ومن كونه يتيما اى لا اب له لموت ابيه قبل
ولادته فآواه الى عمه ابى طالب (لحدب) بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين اى رق له ورحمه وعطف (عليه عمه) واذهب
عنه غمه وهمه حتى قال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد فى التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة * فابشر وقر بذاك منك عيونا

وفى نسخة عمه منصوب ولا يستقيم الا اذا كان الدال مشددا (وآواه اليه) واحسن فى تربيته عليه حيث ضمه
الى نفسه فى جملة حاله وجعله من عمدة عياله وآوى متعد ممدودا ومقصورا لكن التعدية فى المد اكثر كما ان اللزوم
فى القصر اشهر (وقيل آواه الله) اى ملحوظا بعين عنايته وكفايته محفوظا فى ظل حمايته ورعايته وفى نسخة اواه
الى الله اى اغناه بذاته عما سواه وروى اوى الى الله مقصورا ومعناه لجأ اليه وتوكل عليه واسلم الامر لديه وهذه المعانى
الاخيرة انسب الى ما حكى عن جعفر الصادق انه سئل لم افرد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ابويه فكان يتيما
فى صغره فقال لئلا يكون عليه حق للمخلوق انتهى ويمكن ان يقال لئلا يكون له تعلق بغير الحق فان الاستئناس بالناس
من علامة الافلاس او لئلا يتعلق قلبه الشريف بايمانهما لو وجدهما غير مسلمين فى ايامهما وليس الخبر كالمعاينة
فى تحققهما (وقيل يتيما لا مثال لك) اى لا نظير يماثلك وهذا مراد من قال هو درة يتيمة عصماء اى محفوظة ممنوعة
معصومة عن ان يكون لها نظير فى الصورة والسيرة وفى الكشاف انه من بدع التفاسير ومعناه الم يجدك واحدا فى قريش
عديم النظير (فآواك اليه) والوجود فى السورة بمعنى العلم فيتيما وضالا وعائلا مفاعيل ثوانى له او بمعنى المصادفة فهى
احوال من المفعول الاول ولعل وجه تقديم الهداية فى كلام المصنف ايماء الى رعاية العناية واشارة الى ان الواو لا تفيد
الترتيب فى العبارة واما الترتيب الذكرى فى السورة فهو على وفق الوجود الوقوعى حيث يوجد اليتم قبل البلوغ وبعده
تتحقق الهداية الكاملة العلمية ثم رعاية القناعة العملية (وقيل المعنى ألم يجدك) اى والناس فى ضلال (فهدى بك ضالا
واغنى بك عائلا) اى فقيرا حين وجدك وفيهم عيلة (وآوى بك يتيما) اذ وجدك وفيهم ايتام وهذا من بدع التفاسير
ايضا وان كان يلائمه فى الجملة ما بعده من بقية السورة وهى قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر وتذكر حال يتمك واما
السائل لكونه فقيرا فلا تنهر فلا تزجر ولا تقهر وتذكر حال فقرك واما بنعمة ربك فحدث باظهار الهداية والعلم بالبداية
والنهاية وتذكر حال جهلك فيكون اللف والنشر مشوشا اعتمادا على فهم السامع ويمكن ان يكون مرتبا بان يكون
المراد سؤال العلم كما هو قول ابى الدرداء وغيره وان التحدث بنعمة الرب هو الاحسان الى الفقير المنكسر القلب لقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم التحدث بالنعم شكر ويمكن ان يحمل على المعنى الاعم ويستفاد منه المراد الاخص والله تعالى
اعلم بمراده فى كتابه (ذكره) بتشديد الكاف اى ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم ربه تذكيرا متنانا لا ناشئا عن
نسيان (بهذه المنن) جمع المنة بمعنى النعمة والعطية (وانه) بكسر الهمزة والواو للحال اى الشأن او والله سبحانه او هو
صلى الله تعالى عليه وسلم (على المعلوم من التفسير) اى بناء على ما علم من انواع التفسير على ما سبق من التحرير (لم يهمله)
من الاهمال اى لم يتركه ربه تعالى (فى حال صغره) اى جهله (وعيلته) اى فقره (ويتمه) اى فقد ابيه (وقبل معرفته)
اى وفيما قبل معرفته الكاملة (به) تعالى (ولا ودعه) عطف على لم يهمله اى ولا تركه ولا دفعه (ولا قلاه) اى ولا ابغضه
ولا قطعه (فكيف) اى حاله (بعد اختصاصه) بالكرامات السنية (واصطفائه) بالمقامات البهية والمعنى بعد ارساله
واعلامه انه اصطفاه واجتباه على خليقته لكرامته عنده ومنزلته والا فقد كان اصطفاه فى ازليته قبل ظهور ابديته
بدليل قوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وفى رواية وآدم منجدل فى طينته اى وآدم مراد ايجاده منهما
فى وقته فلا ينبئه ولا انجدال حال نبوته ثم اعلم ان ملخص الاقوال فى تفسير قوله سبحانه وتعالى ووجدك ضالا فهدى
ستة اقاويل اولها انه وجدك ضالا عن الشريعة واحكامها فارشدك اليها بتمامها وثانيها انه وجدك منسوبا
الى الضلالة عند الاعداء فبين امرك بالبراهين القاطعة للاحباء وثالثها انه وجدك بين قوم ضلال فارشدك الى ما تميزت به
عنهم الى مقام الوصال ورابعها انه وجدك ضالا بتزويج بنتك فى الجاهلية لبعض الكفرة فبين لك ان المشرك لا يتزوج
المسلمة قال ثعلب وهذا هو قول اهل السنة فى هذه الآية وخامسها انه وجدك ضالا بين مكة والمدينة فاراك الطريق
ودلك عليه وبينه او اشارة الى ضلالته وهو صغير فى شعاب مكة حيث وجده ورقة بن نوفل ورجل من قريش فرداه

الى جده عبد المطلب وسادسها انه وجدك ضالا اى عاشقا ومحبا فهداك الى محبوبك والقول الاول فى تفسير الاية هو المعول كما يبينه قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما (السادس) اى من الستة (امره) فعل ماض على ما صرح به الحلبى والاظهر انه مصدر مضاف الى مفعوله (باظهار نعمته عليه) مصدر مضاف الى الفاعل عام فى جميع ما انعم به عليه اذ اضافة المفرد قد تفيد العموم (وشكر ما شرفه به) اى ما احسنه اليه وعظمه لديه (بنشره) اى ببسط ما شرفه به واظهاره تبجحا بالنعمة وقياما بشكر المنعم لا افتخارا بالعطية والحال الملم (واشادة ذكره) اى وتشهير ذكر ما شرفه به ورفع قدره وتعظيم شانه واعلاء امره وبيانه وتعريف حاله (بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة التحدث بها) لحديث التحدث بالنعمة شكر وفى نسخة التحديث وفى اخرى الحديث ومن التحدث بها اظهارها فى الملبس والمركب ونحوهما لحديث اذا انعم الله على عبد احب ان يرى اثر نعمته عليه (وهذا) اى امره باظهارها (خاص له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عام لامته) لانه امامهم فامره كامرهم وقال مجاهد معنى قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث بث الشرائع والقرآن المشتمل على البدائع والاولى حمل الاية على عموم النعمة ولعل هذا منشأ ما كان بعض الصالحين يخبر بجميع ما يفعله من الطاعات للسالكين كانه ينحو الى انها نعمة انعم الله سبحانه وتعالى بها عليه فيجب عليه التحدث بها مع انه قد يقصد ان الناس يقتدون به فى فعلها (وقال تعالى) حال لازمة من ضمير قال اى متعاليا عما لا يليق بجنابه الكريم (والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون فى قوله تعالى والنجم) اى فى المراد به اختلافا مصحوبا (باقاويل معروفة منها) اى من جملة الاقاويل قولهم (النجم على ظاهره) فالمراد به اما جنس النجوم او الثريا لغلبته عليها وهى سبعة كواكب على ما ذكره السهيلى ولا يكاد يرى السابع منها لخفائه وفى الحقيقة انها اثنا عشر كوكبا فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يراها كلها بقوة جعلها الله تعالى فى بصره كما ذكر ابن خيثمة من طريق ثابت عن العباس عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او الزهرة لانهم كانوا يعبدونها فاقسم او على انتقالها وزوالها كما ذكره الغزنوى فى تفسيره او الذى يرجم به فهويه غروبه او انتثاره وانكداره يوم القيامة او انقضاضه او طلوعه اذ يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وبالضم اذا علا وصعد (ومنها) اى من جملة الاقاويل ان النجم هو (القرآن) لانه نزل منجما فى دفعات متعددة واوقات مختلفة فالهوى بمعنى النزول ويؤيده قوله فلا اقسم بمواقع النجوم الآيات على ما اختاره بعض المفسرين وقيل انه اسم جنس للصحابة ولعلماء هذه الامة كما ورد عن سيد الائمة اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ذكره فى عين المعانى قال الدلجى فالهوى على هذا كناية عن الموت يعنى موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى ولا يخفى بعده فان الاقتداء بهم والاهتداء اعم من زمن حياته وبعد وفاته فالهوى بمعنى الظهور والعلو (وعن جعفر بن محمد) اى الصادق (انه) اى النجم المقسم به (محمد عليه السلام) قال الدلجى وكثيرا ما يذكر المصنف السلام بدون الصلاة مع كون افراد احدهما مكروها وقالت المحققون كالجزرى وغيره على انه لا يكره وانما الجمع افضل (وقال) اى جعفر (هو قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اقول بل هو صلى الله تعالى عليه وسلم بقلبه وقالبه نور يستنار منه الانوار ويستضاء منه الاسرار وقد ورد اللهم اجعلنى نورا وقد سماه الله تعالى نورا على ما تقدم والله تعالى اعلم فالهوى بمعنى الظهور كما هو ظاهر فى معنى النور واما على ارادة قلبه فلعل المراد به ميله الى ربه وغيبته عن غيره واستغراقه فى حبه ويؤيد ما قلناه من ارادة كله قوله (وقد قيل فى قوله تعالى والسماء والطارق) اى البادى ليلا واصله لسالك الطريق وخص عرفا بالآتى ليلا ثم استعمل فى البادى فيه (وما ادراك ما الطارق) اى اى شىء اعلمك انه ما هو يعنى انه شىء عظيم لا يعرفه احد ثم بينه انه (النجم الثاقب) اى المضىء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه اى (ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) عبر عنه اولا بوصف عام ثم بين بما يخصه تفخيما لشانه وتعظيما لبرهانه بجامع ان كلا يهتدى به وان كان بينهما بون بين (حكاه السلمى) اى نقله فى تفسير الحقائق (تضمنت) اى فقد جمعت (هذه الآيات) اى من قوله والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى (من فضله وشرفه) اى الزائد على غيره (العد) بكسر العين وتشديد الدال المهملتين اى الشىء الكثير الذى لا تنقطع مادته واصله فى الماء يقال ماء عد اذا كانت له مادة غير منقطعة كماء العين والبئر (ما يقف) اى العد الذى يقف (دونه) اى ينقطع قبله والضمير للعد وقال الدلجى اى يقف دون كل منهما (العد) بالفتح اى الاحصاء والاستقصاء والعد ايضا العد هذا ولما نسب الكفار المسمى بالهدى الى الضلال والردى وان ما ينطق به انما هو عن الرأى والهوى رد الله عليهم وكذبهم (فاقسم جل اسمه) اى عظم كسماه (على هداية المصطفى وتنزيهه) اى براءة ساحته واغرب التلمسانى حيث قال اى تعظيمه (عن الهوى) اى فيما اخبر به للورى

وصدقه

(وصدقه فيما تلا) اى قرأ (وانه) اى متلوه (وحى يوحى اوصله اليه عن الله جبريل) اى علمه شديد القوى على خلاف فى مرجع الضمير المنصوب هل هو القرآن او النبى صلى الله عليه وسلم (وهو) اى جبريل (الشديد القوى) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اى شديد قواه لانه هو الواسطة فى ابتداء خوارق العادة كاقتلاع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصياحه صيحة واحدة لقوم ثمود فاصبحوا جاثمين وقيل المراد به الحق جل جلاله يعنى شديد القوة والقدرة والحكمة ونسب هذا القول الى الحسن (ثم اخبر) اى بعد قسمه وبراءة ساحته (عن فضيلته بقصة الاسراء) اى بقضية المعراج المبتدأ بعد الاسراء الى المسجد الاقصى كما اشار اليه بقوله (وانتهائه الى سدرة المنتهى) اى بقوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى وهى عند اكثر المفسرين شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ينتهى اليها علم الخلائق (وتصديق بصره فيما رأى) اى بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى يعنى ما رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببصره من صورة جبريل او من ذاته سبحانه اى ما كذب قلبه بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم بالبصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قاله لكذب لانه عرفه بفؤاده كاراءة بصره يقينا لا تخييلا اذ قد سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى والجمع بين روايات المحدثين وقول المفسرين واختلاف الصحابة والتابعين انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره واخرى ببصيرته هذا وقيل الضمير فى رأى عائد على الفؤاد نفسه اى ما كذب الفؤاد ما رآه بل صدقه وتحققه والرؤية ههنا حينئذ بمعنى العلم وكذب بالتخفيف ككذب بالتشديد كما قرئ بهما (وانه رأى من آيات ربه الكبرى) اى بقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اى رأى ليلة الاسراء عند عروجه الى السماء بعض آياته الملكية والملكوتية او كلها فمن مزيدة والكبرى صفة للآيات (وقد نبه) اى الله سبحانه وتعالى (على مثل هذا) اى رؤيته من آيات ربه (فى سورة الاسرا) اى بقوله لنريه من آياتنا والاظهر ان قوله لنريه من آياتنا فى المسجد الاقصى وقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فى السموات العلى (ولما كان ما كاشفه) اى الذى رآه (عليه السلام) اى برؤيته بمعنى اطلع عليه ورآه ابتداء لا بمعنى رفع غطاءه وان زعم لانه لو اراد هذا المعنى لقال وكشفه ولعدم مناسبته للمقام اذ لا يقال رفع غطاء ما هنالك (من ذلك الجبروت) بفتحتين فعلوت مبالغة من الجبر بمعنى القهر كالعظموت من العظمة والمراد انه رأى ما يدل عليه اذ هو معنى والمعنى لا يشاهد بالبصر الظاهر الا ان تحمل الرؤية على رؤية البصيرة فالمراد بها العلم والمعرفة (وشاهده من عجائب الملكوت) مبالغة من الملك كالرهبوت من الرهبة والرحموت من الرحمة والمحققون على ان الملك ظاهر السلطنة والملكوت باطنها وقيل المراد بالملك العالم السفلى وبالملكوت العلوى (لا تحيط به العبارات) اى لا تشمله انواع التعبيرات ولا تحويه اصناف التفسيرات لقصور الافهام عن ادراكه على وجه الحقيقة والجملة خبر كان (ولا تستقل) بتشديد اللام اى لا تستبد (بحمل سماع ادناه) اى اقله (العقول) لعجزها عن حمل اقله فضلا عن حمل اكثره (رمز) جواب لما اى اشار الله سبحانه وتعالى (عنه) اى عما كاشفه صلى الله تعالى عليه وسلم واطلع عليه (بالايماء) متعلق برمز ولعل الايماء اغمض من الرمز فى الانباء من جهة الاخفاء كالاشارة بالعين والحاجب ونحوهما (والكناية) عطف على الايماء والمراد بهما التلويح وترك التصريح بدليل قوله (الدال على التعظيم) والحاصل انه سبحانه وتعالى رمز واومأ وكنى عما كاشفه بما المبهمة الدالة على الفخامة والعظمة (فقال فاوحى) اى جبريل او الله تعالى (الى عبده) اى عبده الخاص الواصل الى مقام الاختصاص صلى الله تعالى عليه وسلم (ما اوحى) اى شيأ عظيما لا يعلم كنهه سواه ففى ابهامه من التفخيم ما ليس فى ايضاحه وقيل المعنى فاوحى الله الى عبده جبريل ما اوحاه جبريل الى محمد عليه الصلاة والسلام وقد قال بعضهم اوحى الى عبده ان لا يدخل احد من الامم الجنة قبل امته ولعل المعنى ان هذا من جملة ما اوحى (وهذا النوع) اى الرمز بالكناية والايماء (من الكلام) اى من انواعه (يسميه اهل النقد) اى النظر السديد (والبلاغة) اى الفصاحة والمراد العارفون بجيد الكلام وبهرجه تشبيها لهم بصيارفة الذهب والفضة (بالوحى والاشارة) اى هنا لعدم الصراحة بالموحى به والمشار اليه فهما اسمان لمعنى واحد اذ هما احد ما صدقاته كالكناية والالهام والكلام الخفى قد يتفاوت وضوحا وخفاء (وهو) اى النوع المسمى بهما (عندهم ابلغ ابواب الايجاز) اى من حيث انه جوامع الكلام المشابهة لكونها مبهمة للالغاز حيث فيها مبان يسيرة ومعان كثيرة يذهب فيها الفكر كل مذهب يمكن الانصراف اليها هذا وقيل كل كلام اما ناقص عن معناه او مساوله او زائد عليه ايجازا ومساواة او اطنابا واعلاها الاول من حيث ان المعانى هى المقاصد والعبارات طرق لها فكلما قلت العبارة كان ذلك كالقرب فى الطريق فكان احق بالسلوك ويليه المساواة فى الاستحسان لاقتفائها له فى القرب واكثر صياغة العبارات مصوغة عليها والاطناب كالبعد فى الطريق فتراه متروكا غالبا الا فيما يحتاج اليه من باب الخطب والمواعظ ومقام التوكيد ولكل مقام مقال

بحسب اختلاف الاحوال كما قال قائلهم　　يومون بالخطب الطوال وتارة * وحى الملاحظ خيفة الرقباء
(وقال تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) اى الدالات على عظمته تعالى (انحسرت الافهام) جمع فهم وهو عبارة
عن ازالة الوهم المستولى على القلب يقال فهم كذا اذا عقله والمدرك العقول (عن تفصيل ما اوحى) اى اليه اذلا
يحيط به حد ولا يحصيه عدوالمراد بتفصيل الشئ بيان اجزائه مفصلة واغرب التلمسانى حيث فسره بالتميز (وتاهت
الاحلام) اى وذهبت العقول متحيرة (فى تعيين تلك الآيات الكبرى) فلم تهتد الى معرفة شئ منها لكثرتها وفى نسخة
فى تعبير تلك الآيات اى تبيينها وتفسيرها والعقل محله القلب لقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها (قال القاضى
ابوالفضل) كذا فى نسخة (واشتملت) اى دلت (هذه الآيات) اى السابقة (على اعلام الله) مصدر مضاف الى فاعله
اى على اخباره سبحانه وتعالى (بتزكية جملته) اى بتطهير ذاته وتنقية صفاته عليه السلام (وعصمتها) اى وبحفظ الله
جملته (من الآفات) اى التى تجرى فى الذوات (فى هذا المسرى) بفتح الميم والراء مصدر ميمى او اسم مكان (فزكى فؤاده)
اى مدح الله قلبه (ولسانه وجوارحه) اى اعضاءه التى يكتسب العمل بها و ينتسب الفعل اليها والمراد هنا بصره لما
سيجئ فى بيان حصره (فقلبه) وهو تفصيل لما اجمله والظاهر كما فى اصل الدلجى وغيره فزكى قلبه (بقوله تعالى ما كذب
الفؤاد ما رأى) وتقدم ما تعلق به من المعنى (ولسانه بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى) اى لا يصدر نطقه عن هواه بل
بوحى من الاله جليا كالكتاب او خفيا كالسنة وقد تعلق بظاهر الاية من لم يجوز له الاجتهاد وهو بعيد عن طريق السداد
وعن استنباط المعنى المراد واما ما ذكره ابن عطية من ان ضمير ينطق عائد الى القرآن وان لم يجر ذكره لدلالة الكلام عليه
اى لا ينطق هذا القرآن بشهوتكم ومرادكم ونسب النطق اليه من حيث يفهم منه الامور كما قال تعالى هذا كتابنا
ينطق عليكم بالحق فغير ملائم لمقام المرام (وبصره بقوله تعالى مازاغ البصر) اى ما مال عما رآه الى ما سواه وعن ابن
عباس رضى الله عنه لم يحول بصره عما رآه الى جهة من الجهات (وما طغى) اى ما تجاوز وما تعدى عن رؤية ما امر
برؤيته غيره فى المقام الاعلى بل تثبت فيه ورآه رؤية صحيحة مستقيمة من غير وجل ودهشة وحيرة هذا وقد بقى الكلام
على بقية الآيات فيما بين ذلك وهو قوله سبحانه وتعالى ذومرة فاستوى فظاهره ان الضمير فى استوى لجبريل عليه
الصلاة والسلام والكناية بقوله تعالى وهو بالافق الاعلى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مانع من عكس الترتيب
فى هذا التركيب ولا يبعدان يكون الضميران يرجعان الى احدهما والجملة حالية واما جعل الضميرين لله سبحانه وتعالى
فهو غير ظاهر كما لا يخفى ثم قوله تعالى دنا فتدلى اى دنا جبريل من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى وزاد فى القرب
وقيل اى دنا محمد من ربه فتدلى واما قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى اى مقدارهما بل ادنى فهو كناية عن كمال
القرب فان كان بين الرسولين فلا اشكال وان كان بين الله ورسوله فهو كناية عن المكانة وهو من الآيات المتشابهات وقد
ذكرت بعض الفوائد المتعلقة باوائل سورة النجم فى رسالتى المعمولة للمعراج (وقال تعالى فلا اقسم بالخنس) اى
بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ما عدا النيرين وهو زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد ومجموع
السبعة السيارة نظمت فى قوله　　زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت بعطارد اقمار
(الجوار الكنس) اى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه اى بيته (الى قوله
تعالى وما هو بقول شيطان) وهو كل متمرد من الجن والانس والدواب قاله ابن عباس رضى الله عنه (رجيم)
اى مرجوم ومطرود ومبعد وما بينهما هو قوله سبحانه وتعالى والليل اذا عسعس اى اقبل او ادبر والاول انسب
بقوله تعالى والصبح اذا تنفس اى اسفر قال المصنف (لا اقسم اى اقسم) يعنى على القول بزيادة لا والا فالمعنى فلا عبرة بما
قالوا فى حق القرآن وفى شأن المنزل عليه بل اقسم اى بما ذكر (انه) اى القرآن (لقول رسول) اى قاله عن ربه (كريم)
اى مكرم معظم (عند مرسله) وهو الله سبحانه وتعالى (ذى قوة) اى صاحب قوة وقدرة (على تبليغ ما حمله) بتخفيف
الميم على صيغة الفاعل وكذا يجوز بصيغة المفعول مشددا وكذا بصيغة الفاعل على ما ضبطه فى بعض النسخ (من
الوحى) اى مما اوحى اليه من الحق الى الخلق (مكين) اى ذى مكانة ومنزلة علية عارية عن المنقصة فى مرتبته (اى متمكن
المنزلة) اى الجاه ولكون المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذى العرش مكين تلويحا بعظم مكانته ومنزلته وعلو
مرتبته كما اشار اليه المصنف بقوله (من ربه رفيع المحل) بفتح الحاء وجوز كسرها اى على الشان (عنده) اى عنده
سبحانه وتعالى عندية منزهة عن المكان والزمان وقوله تعالى عند ذى العرش متعلق بقوله تعالى ذى قوة او بمكين
(مطاع) اى ذى اطاعة مع كونه صاحب طاعة (ثم) بفتح المثلثة (اى فى السماء) اذ قد بلغ فيها ليلة الاسرآء ملائكة
السماء فاطاعوه اجمع فى ذلك الانباء وقرئ بضم المثلثة فالمراد بها التراخى فى الرتبة (امين) اى مأمون على تحمل
ما اوحى اليه وتبليغ ما انزل عليه ومقبول القول لديه والظرف يحتمل وصله بما بعده وما قبله (قال على بن عيسى)

اى الرمانى النحوى المنسوب الى رمان الفاكهة وبيعه او لقصر الرمان موضع معروف بواسط وهو من اصحاب ابن
دريد مات سنة اربع وثمانين وثلاثمائة وهو صاحب كتاب النكت فى اعجاز القرآن امام مشهور فى سائر العلوم وعن
ابن السراج انه تمذهب الى الاعتزال والله تعالى اعلم بالحال (وغيره) اى من ارباب المقال (الرسول الكريم) كان الاولى
ان يقول رسول كريم (هنا) اى فى هذا المقام العظيم (محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف) اى المذكورة هنا (بعد)
اى بعد ذكره وفى نسخة تعد بضم منقوطة بنقطتين وفتح عين وتشديد مهملة اى تذكر (على هذا) اى على هذا القول
(له) اى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال غيره) اى غير على بن عيسى وهم الاكثرون من العلماء (هو) اى الرسول
الكريم (جبريل عليه السلام فترجع الاوصاف اليه) اى بخلاف وما صاحبكم بمجنون فان المراد به محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم باجماع المفسرين وذلك ان المشركين قالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون فنفى الله سبحانه
وتعالى عنه ذلك بهذه الاية وبقوله سبحانه وتعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون وقد تمسك بعض المعتزلة وطائفة من اهل
السنة فى تفضيل الملائكة بعده فضائل جبريل عليه الصلاة والسلام واقتصاره على نفى الجنون عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم وضعف بان المقصود منه نفى قولهم انما يعلمه بشر أفترى على الله كذبا ام به جنة لا عد فضلهما والموازنة
بينهما (ولقد رآه) اى بالافق المبين (يعنى) اى يريد الحق سبحانه وتعالى بالرائى (محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم قيل)
اى نقل عن ابن مسعود وغيره (رأى) اى محمد (ربه) وقدم هذا القول لانه اوفى بالغرض الذى هو مدح الرسول
(وقيل رأى) اى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل فى صورته) اى التى خلق عليها فقيل ان ذلك اشارة الى رؤيته
اياه عند سدرة المنتهى وقيل انه اشارة الى رؤيته اياه فى غار حراء حين رآه على كرسى بين السماء والارض حسبما ثبت
فى الصحيح (وما هو) اى ليس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (على الغيب) اى على ما يخبر به مما اوحى اليه وغيره من
الامور الغيبية (بظنين) بالظاء المشالة وهو قرآءة ابن كثير وابى عمرو والكسائى (اى بمتهم) يعنى من الظنة وهى التهمة
(ومن قرأه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل) اى فى تبليغ رسالته الى عموم امته من الضنة وهى البخل (بالدعاء به) متعلق
ببخيل اى بدعائه الخلق الى الحق وفى رواية كما فى نسخة بالدعاية بالتحتية كالبداية وقيل هى من الادعاء اذا قال فى الحرب
انا فلان كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة حنين انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب (والتذكير بحكمه) اى
وبتذكيرهم باحكام ربهم (وبعلمه) يحتمل ان يعود ضميره الى الحكم اى وليس ببخيل بعلم كونه واجبا او مندوبا او حراما
او مكروها او مباحا لهم ويحتمل عوده اليه صلى الله تعالى عليه وسلم اى ولا يبخل ان يعلمهم اياه كما علمه ولا يكتم شيأ
(وهذه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وهذه الآية وهى وما هو على الغيب بظنين على القرآءتين صفة لمحمد صلى الله
عليه وسلم (باتفاق) اى من المفسرين اذ لم يقل احد بعود ضميرهو الى جبريل عليه الصلاة والسلام (وقال تعالى ن)
اسم للحرف او الحوت واريد به الجنس او للحوت الذى عليه الارض او للدواة فان بعض الحيتان يخرج منه شئ اشد
سوادا من الحبر يكتب به وينصر الاول سكونه ورسمه بصورة مسماه ويؤيد الثانى قوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت
وحينئذ فالانسب ان يراد به ذلك الحوت بعينه او المراد جنسه الداخل فيه ويقوى الثالث قوله تعالى (والقلم) وهو
ما كتب به اللوح المحفوظ او ما يكتب به مطلقا (وما يسطرون) اى يكتبون والكتبة هم الحفظة كراما كاتبين او الاعم
والله اعلم (الآيات) اى الواردة فى اول السورة فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم من حسن السيرة والصورة (اقسم
الله تعالى بما اقسم به) لكثرة فوائده (من عظيم قسمه) اى تعظيما له وتكريما فى تخصيص ذكره (على تنزيه المصطفى) اى
تبرئته وتبعيده (مما غمصته) بمعجمة ومهملة بينهما ميم اى عابه واحتقره (الكفرة به وتكذيبهم له) اى وعلى تكذيبهم
للمعتبى فى قولهم له انه كذاب وساحر ومجنون (وآنسه) من باب الافعال او التفعيل اى جعله ذا انس بقربه ومستانسا
بحبه (وبسط امله) اى نشر مأموله ومقصوده واكثر له رجاءه فيما شاءه (بقوله محسنا) من باب التفعيل او الافعال
حال من ضمير ما قبله اى مزينا (خطابه) فى كتابه بقوله (ما انت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم فى الاية ومقول القول
فى الاصل اى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وغيرها والمعنى انهم مجانين حيث قالوا انك لمجنون والحال انك اعقل
العقلاء وافضل العلماء واكمل العرفاء وسيد الانبياء وسند الاصفياء والاولياء (وهذه) اى الحالة العظيمة او المنقبة الجسيمة
المأخوذة من قوله آنسه وبسط امله او التأنيث باعتبار الخبر وهو قوله (نهاية المبرة فى المخاطبة) اى غاية الاحسان
والمطاوعة فى المكالمة والمجاوبة (واعلى درجات الآداب فى المحاورة) اى المراجعة والمرادة (ثم) اى بعد ان نزهه وبرأه
عما لا يليق به مما نسبوا اليه (اعلمه بما له عنده من نعيم دائم) اى ابد الآبدين (وثواب غير منقطع) اى غير ممتنع فى زمان
وحين (لا يأخذه عد) اى لا يضبطه عد ولا يحيط به حد (ولا يمتن به عليه) من الامتنان اى ولا يجعله تحت الامتنان
مع ان له المنة فى الاحسان افتعال من المن وهو الاحسان الذى تمن به على غيرك وفى نسخة ولا يمن به عليه يقال من

وامتن عليه اذا عدّ عليه بمعروف اسداه اليه صنعه وقيل الامتنان عدّ الصنيع لاظهار الفضل (فقال وان لك لاجرا غير ممنون) اى غير منقطع او غير ممنون به عليك فانه يعطيك بلا واسطة (ثم اثنى عليه بما منحه) اى اعطاه (من هباته) جمع هبة اى موهوباته وتفضلاته (وهداه اليه) اى ودله عليه والحاصل ان المصنف رحمه الله تعالى جمع بين اقوال المفسرين فى معنى قوله غير ممنون اى غير منقطع وهو قول الاكثر او غير محسوب ولا معدود وهو قول طائفة او غير ممتن به وهو قول ضعيف ذكره الهروى فى غريبه (واكد ذلك) اى الذى يدل على ما منحه (تتميما للتمجيد) من المجد وهو الكرم والعظمة اى تكميلا للتعظيم والتكريم بنسبته اليه (بحرفى التأكيد) وهما ان واللام (فقال وانك لعلى خلق عظيم) قيل استعظمه لفرط احتماله اذى قومه مع مبالغتهم فى عداوتهم وهو يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (قيل) اى فى تفسير خلقه العظيم (القرآن) اى ما فيه من مكارم الاخلاق ومن ثم قيل هو ما امره الله بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى تفسيره صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك وهذا القول هو المروى عن عائشة رضى الله عنها انها لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه (وقيل الاسلام) وهو المنقول عن ابن عباس والمراد بالاسلام ههنا هو التوحيد الحقيقى والانقياد الظاهرى والباطنى لاوامر الله واحكامه وقضائه وقدره كما قال تعالى لابراهيم عليه الصلاة والسلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين (وقيل الطبع الكريم) ولذا كان يخالق الناس بمكارم الاخلاق ويخالطهم بلطفه وارفاقه وهو المنقول عن الماوردى (وقيل ليس لك همة) اى مقصود ونهمة (الا الله) اى الذى بيده كل رحمة ونعمة فكان مع الخلق بقالبه مباينا لهم بقلبه وهذا منسوب الى الجنيد (قال الواسطى اثنى عليه بحسن قبوله) اى اثنى الله على نبيه بقبوله الحسن (وحسن اقباله) اى ذى المنن (لما اسداه اليه من نعمه) اى لما اوصله اليه واولاه من نعمه الظاهرة والباطنة فى دنياه واخراه (وفضله بذلك) اى بما ذكر (على غيره) اى من جميع خلقه (لانه جبله) اى طبعه وخلقه (على ذلك الخلق) وفى نسخة على تلك الخلق فالخلق بمعنى الخصلة او السجية (فسبحان اللطيف) اى بعباده يرزق من يشاء (الكريم) اى الذى وسع كرمه كل شئ (المحسن) اى الذى لا يستغنى احد عن احسانه وبره وامتنانه (الجواد) اى الكثير العطاء والجود بالنسبة الى كل موجود (الحميد) الذى يحمده كل احد من مخلوقاته وهو حامد لانبيائه واصفيائه القائمين بوظائف طاعاته وعباداته وفى اصل الدلجى المجيد اى ذى المجد والكرم ففى الحديث القدسى والكلام الانسى وذلك انى جواد ماجد رواه الترمذى والبيهقى (الذى يسر الخير) اى سهله وفى نسخة للخير اى هيأ اهلا له كما قال تعالى فسنيسره لليسرى (وهدى اليه) اى ودله عليه كما قال تعالى وهديناه الى صراط مستقيم (ثم اثنى على فاعله) اى فاعل الخير نحو قوله تعالى انه من عبادنا المخلصين (وجزاه عليه) اى اثابه بما منحه عليه فى الدنيا ووعده بالمزيد فى العقبى بنحو قوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم هذا (سبحانه) اسم للتسبيح بمعنى التنزيه وقد يجعل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف ثم نصبه بفعل ترك اظهاره ويصدر به الكلام للتنزيه عن السوء والملام فهذا ايضا معنى قوله (سبحانه) بدلا عما قبله (ما اغمر) بالغين المعجمة فميم وراء وفى نسخة ما اعم (نواله) بفتح النون والصيغة للتعجب اى ما اكثر عطاءه (واوسع افضاله) بكسر الهمزة اى بره واحسانه (ثم سلاه) من التسلية وهى التعزية والتهنئة والمعنى ازال عنه ما حزنه من الغم وكربه من الهم (بعد هذا) اى بعد هذا المدح والثناء ووعد البر والعطاء وابعد الدلجى حيث قال اى بعد ما قالوه (عن قولهم) متعلق بسلاه اى عن مقول الكفار فى حقه مما لا يليق بجنابه وهو فى اصل الدلجى متصل بسلاه وقوله بعد هذا (بما وعده به من عقباهم) بضم العين اى من سوء عاقبتهم الذى هو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وفى نسخة من عقابهم اى عذابهم وحجابهم (وتوعدهم) اى وبما اوعدهم وخوفهم (بقوله تعالى فستبصر ويبصرون الثلاث آيات) اى الى قوله تعالى وهو اعلم بالمهتدين وهو منصوب بأعنى او اقرأ ويجوز رفعه وخفضه كما تقدم والضمير فى فستبصر للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى ويبصرون للكفار وهذا الابصار اما فى هذه الدار واما فى دار القرار للابرار وفى دار البوار للفجار والمعنى فسترى او فستعلم ويبصرون بأيكم المفتون اى ايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة او بأيكم الجنون على ان المفتون مصدر بمعنى الفتنة كما قالوا ليس له معقول اى عقل فالمعنى بأيكم الفتنة وهى كناية عن الفساد والجنون الذى رموه به او بأى الفريقين الجنون أبفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم فالباء على هذا ظرفية وخلاصته فى اى فريق منكم الرجل المفتون ثم ختم الله سبحانه وتعالى الآية بوعيدهم ووعد نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فاوعدهم بقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل

عن سبيله ووعده بقوله تعالى وهو اعلم بالمهتدين فكأنه قال هو اعلم بالمجانين على الحقيقة واليقين وهو اعلم بالمهتدين بحيازتهم كمال العقل فى الدين (ثم) اى بعد ان مدحه الله وسلاه متوعدا اياهم (عطف) اى التفت وكر (بعد مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم على ذم عدوه) قيل هو الاخنس بن شريق وكان ثقفيا ملصقا فى قريش والاظهر انه الوليد بن المغيرة ونقل الثعلبى فى تفسيره انه ابو جهل ونسب هذا الى ابن عباس رضى الله عنه ايضا وقيل هو عتبة ابن ربيعة وكثير من المفسرين على ان جميع الصفات التى فى هذه الآيات انما جاءت اجناسا ولم يرد بها رجل بعينه بل المراد ان كل من يكون متصفا بوصف منها فلا تطعه فيها (وذكر سوء خلقه) اى وعلى ذكر سوء خلق عدوه (وعدد معايبه) اى وعلى تعداد قبائح مبغضه (متوليا) اى مباشرا بنفسه (ذلك بفضله) اى من غير وجوب شئ عليه (ومنتصرا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى منتقما لاجله من اعدائه (فذكر) اى الله سبحانه وتعالى فى كلامه بعد ذلك (بضع عشرة) بسكون الشين وتكسر وروى بضعة عشر (خصلة) بفتح الخاء اى خصلة قبيحة وخلة ذميمة والبضع بفتح الموحدة ويكسر ما بين الثلاث الى التسع وهذا هو المشهور واراد المصنف احدى عشرة خصلة وهذا على قول من يقول بدؤه الواحد ومنتهاه العشرة لانه قطعة من العدد ويجرى فى التذكير والتأنيث مجرى العدد المركب (من خصال الذم فيه) اى من بعض الخصال المذمومة فى عدوه (بقوله فلا تطع المكذبين) تهييج لتصميمه على معاصاتهم (الى قوله تعالى اساطير الاولين) وهو قوله ودوا لو تدهن فيدهنون اى لو تلين فتدع نهيهم عن الشرك فيميلون ايضا اليك فى بعض ما تدعوهم اليه وذلك ان قريشا قالوا فى بعض الاوقات لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو عظمت آلهتنا لعبدنا الهك وعظمناه فنهاه الله عن ذلك بقوله تعالى فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف اى كثير الحلف حقا وباطلا وكفى به زاجرا لمن اعتاد الحلف حيث يخاف عليه من الكذب كما ورد كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع مهين اى ذى مهانة وحقارة وحاصله انه ضعيف وحقير ووزنه فعيل لا مفعول والميم اصلية لا زائدة هماز عياب فى اعراض الناس مشاهدة مغتاب فى حقهم غيبة مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية للفساد والنم مصدر كالنميمة وهو نقل القبائح مناع للخير اى كثير المنع منه فقيل المراد بالخير هو المال فعلى هذا هو وصف بالشح وقيل بل هو على عمومه فى المال وجميع افعال الخير والخصال معتد متجاوز فى الظلم اثيم كثير الاثم عتل جاف غليظ من عتله اى دفعه بعنف وشدة بعد ذلك اى بعد ما عد من مثالبه ومعايبه زنيم اى دعى كالوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده قيل ان الله سبحانه وتعالى لا يعيب احدا بالانساب ولكن ذكره ليعرف بذلك وما احسن قول حسان

وانت زنيم نيط فى آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

ان كان ذا مال وبنين علة لما بعده وقرأ حمزة وشعبة بهمزتين فالتقدير أ ألأن كان ذا مال كثير وبنين متعددة قيل كانوا عشرة وقيل اثنى عشر اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين اى قال ذلك حين تليت عليه والاساطير جمع اسطورة بضم الهمزة كاحدوثة واحاديث وقيل الاساطير جمع اسطار والاسطار جمع سطر بفتح الطاء كذا فى حاشية التفتازانى وفى القاموس السطر الصف من الشئ كالكتاب والشجر وغيره وجمعه اسطر وسطور واسطار وجمع الجمع اساطير والخط والكتابة ويحرك فى الكل انتهى واراد الكافر به الاباطيل المنسوبة الى المتقدمين وقائله النضر بن الحارث وسببه انه دخل بلاد فارس وتعلم اخبار رستم وغيره (ثم ختم) اى الله سبحانه (ذلك) اى ما ذكره من مثالب ذلك الشقى (بالوعيد الصادق) وفى نسخة بالوعيد الصدق (بتمام شقائه) اى تعبه او كمال شقاوته (وخاتمة بواره) اى هلاكه ودماره بقوله تعالى (سنسمه على الخرطوم) اى سنكويه على انفه اهانة له وخص الانف لان السمة عليه ابشع وظهورها اشنع واشيع وقيل اى نجعل على وجهه يوم القيامة سمة سواد تكون منبهة عليه ومعرفة به قبل دخوله النار كما قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم او معناه انه يعذب اذ ذاك بنار تجعل على انفه فتكون فيه كالسمة وقيل هذا فى الدنيا وهى كناية عن ضربة يضرب بها وجهه وانفه فتبقى فيه كالسمة قالوا وقد حل ذلك يوم بدر على انف الوليد جراحة ظاهرة وعلامة باهرة وقيل ليس السمة هنا على حقيقتها وانما هى كناية عن شهرته بما يبقى له مذموما ولا يمكنه اخفاؤه كالموسوم بسمة على انفه والخرطوم فى الاصل انما هو للسباع كالفيل واستعمل فى الآية للانسان استعارة واشارة الى انه شبيه بالحيوان صورة وسيرة كما قال تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون اى الكاملون فى الغفلة عن الحضرة وقيل انما عدل عن الانف الى الخرطوم لان الانف محل العز والانفة ولا كذلك الخرطوم لانه محل المذلة والاهانة ولذا قيل الانف فى الانف وقيل الخرطوم الوجه كله وهذا فى الانسان وربما قيل له فى الانف كغيره ومحل الكلام وزبدة المرام فى هذا المقام اى سنجعل له سمة اى علامة على الخرطوم اى انفه اما حسا كضرب انفه بالسيف يوم بدر وبقيت

علامة فى انفه حتى يأنف من انفه او يكون سوادا فى وجهه زائدا عن غيره من الكفار فى القيامة لشدة عناده وعتوه واما معنى كونه مذكره بالذم والمقت والاشتهار بالشر بحيث لا يخفى ذلك بوجه فيكون ذلك كوسمة على انفه ويمكن تحقق الجميع فى حقه (فكانت نصرة الله له) اى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم على عدوه (اتم من نصرته) عليه الصلاة والسلام بنفسه (لنفسه) اى فان من كان الله كان الله له (ورده) اى كان رده (تعالى على عدوه ابلغ من رده) صلى الله تعالى عليه وسلم (واثبت فى ديوان مجده) اى فى ديوان كرمه وشرفه وهو بكسر الدال وتفتح والجمع دواوين ودياوين واصله ديوانه بالفارسية وذلك ان كسرى امر كتابه ان يجتمعوا فى دار واحدة ويعملوا حساب السواد فى ثلاثة ايام واعجلهم فيه واطلع عليهم لينظر ما يصنعون فنظر اليهم فرأهم يحسبون باسرع ما يمكن و ينسخون كذلك فعجب من كثرة حركتهم فقال ابن ديوانه اى هؤلاء مجانين وقيل شياطين ثم قيل فى كل محفل ديوان واول من دون فى الاسلام عمر رضى الله تعالى عنه

(الفصل السادس)

(فيما ورد من قوله تعالى فى جهته) اى فى حقه (عليه الصلاة والسلام مورد الشفقة والاكرام) اى مورد الرحمة والكرامة وهو منصوب على المصدرية (قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القرءآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه الصلاة والسلام) اى لحديث تقدم لى عند ربى عشرة اسماء وذكر منها طه وهو فى حساب العدد المرموز فى ابجد اربعة عشر ايماء الى انه بدر وجهه فى غاية من النور ونهاية من الظهور (وقيل هو اسم لله تعالى) قاله ابن عباس رضى الله عنه ولعله اشارة الى الطاهر والهادى والمعنيان صادقان فى حق الله تعالى ورسوله حقيقة ومجازا وقد قيل المعنى طوبى لمن اهتدى بك (وقيل معناه يارجل) اى فى لغة عك ولعل اصله ياهذا فقلبوا ياء طاء واقتصروا على ها (وقيل) اى فى معناه (ياانسان) قلبوا او اتوا بهاء السكت كذا ذكره الدلجى ووجهه غير ظاهر مع ان هاء السكت انما يكون ساكنا والاظهر ان اصله ياهذا المراد به الرجل او الانسان (وقيل هى حروف مقطعة) اى يراد بها حروف هجائية بنائية (لمعان) اى موضوعة لمعان ايمانية والله اعلم بمراده بالطريقة القطعية (قال الواسطى اراد ياطاهر) وفى معناه ياطيب (ياهادى) اى اراد بالطاء افتتاح اسم وبالهاء ابتداء اسم (وقيل هو امر من الوطئ) اى بالهمز والهاء كناية عن الارض فامر بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه واصله طأ قلبت همزته هاء او طأها قلبت همزته الفا واورد عليه كتابتهما على صورة الحرف وكذا على القول بان اصله ياهذا واجيب بانه اكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسميهما على صورة مسماها فى رسمهما (اى اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة) اى فانه شاق عليك (وهو قوله) تعالى (ما انزلنا عليك القرءآن لتشقى) اى لتتعب فى امر العبادة بل المراد به انك تعبد على وجه الراحة فانك انما بعثت بالحنيفية السمحة ثم الشقا شائع بمعنى التعب ومنه سيد القوم اشقاهم ولعل الحكمة فى عدوله عن تتعب للاشعار بانه انزل عليه ليسعد بحكم الضد ولمراعاة الفواصل الآتية (نزلت) وفى نسخة ونزلت (الاية) اى اول سورة طه (فيما كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل) اى حتى تورمت قدماه وذلك لانه قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باية من القرءآن ليلة كما رواه الترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وروى ايضا عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى حتى تورم قدماه قال فقيل له أتفعل هذا وقد جاءك ان الله تعالى قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا اكون عبدا شكورا (حدثنا) وفى نسخة اخبرنا (القاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن) اى ابن على ابن شبرى بشين معجمة مكسورة وباء موحدة ساكنة وبعد الراء مثناة من اسفل احد العلماء الصالحين من رجال الاندلس مات سنة ثلاث وخمسمائة باشبيلية (وغير واحد) اى وكلنا حدثنا جمع كثير (عن القاضى ابى الوليد الباجى) بموحدة وجيم هو سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب بن وارث المصيبى القرطبى الذهبى صاحب التصانيف نسب الى باجة مدينة بقرب اشبيلية وقيل هو من باجة القيروان التى ينسب اليها ابو محمد الباجى الحافظ مات بالمدينة سنة اربع وسبعين واربعمائة قيل كان يحضر مجالسه اربعون الف فقيه روى عنه الخطيب وابن عبد البر وهما اكبر منه والحميدى وابو على الصدفى وغيرهم (اجازة) اى من طريق الاجازة (ومن اصله) اى كتابه الذى قرأ فيه على مشايخه (نقلت) فكان فى سنده اجازة ومناولة (قال حدثنا ابو ذر الحافظ) اى المشهور بحفظ الحديث يعنى به الهروى واسمه عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن عبد الله بن غفير بغين معجمة بن خليفة بن ابراهيم المالكى توفى فى ذى القعدة سنة خمس وثلاثين واربعمائة فى الحرم مجاورا فيه وهو منسوب الى الهرة بفتح الهاء والراء مع تخفيفه وبدون همزة موضع بين مكة

والطائف واما الهرات فموضع بين مكة وعسفان كذا ذكره التلمسانى واما هراة بالكسر بلا همزة فبلدة عظيمة بخراسان قال الحلبى وسمع منه جماعة وروى عنه بالاجازة جماعة منهم الخطيب وابن عبد البر وغيرهما (قال حدثنا ابو محمد الحموى) بفتح المهملة وضم الميم المشددة وكسر الواو وياء نسبة الى جده حمويه وهو عبد الله بن محمد بن حمويه السرخسى توفى سنة احدى وثمانين وثلاثمائة (حدثنا ابراهيم بن خزيم) بضم خاء معجمة وفتح زاى قال التلمسانى هو ابو اسحق ابراهيم بن عثمان بن خزيم (الشاشى) بشينين معجمتين واما الشامى على ما فى بعض النسخ فتصحيف (حدثنا عبد بن حميد) بالتصغير اى ابن نصر القرشى الكشى بكاف وشين له تأليف فى كتاب الله العزيز ومعانيه توفى سنة تسع واربعين ومائتين قال الحلبى هو مصنف المسند وقد قرأت منتخبه بالقاهرة سمع يزيد بن هارون ومحمد بن بشر العبدى وعلى بن عاصم وابن ابى فديك وغيرهم روى عنه مسلم والترمذى وعلق عنه البخارى فى دلائل النبوة من صحيحه فسماه عبد الحميد (حدثنا هاشم بن القاسم) هو ابو النضر يعرف بقيصر التميمى روى عن ابن ابى ذئب وعكرمة وعنه احمد والحارث بن ابى اسامة اخرج له الجماعة توفى سنة سبع ومائتين (عن ابى جعفر) هو محمد بن على بن الحسين بن على ابن ابى طالب هو والد جعفر بن محمد الصادق توفى عام عشرة ومائة وقال الحلبى ابو جعفر هذا اختلف فى اسمه فقيل عيسى بن ابى عيسى بن هامان مروزى كان يتجر الى الرى روى عن عطاء وابن المنكدر وعنه جماعة اخرج له الاربعة (عن الربيع بن انس) هو ولد انس بن مالك صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخديمه رضى الله تعالى عنه قال الحلبى الربيع تابعى وهو بفتح الراء بصرى نزل خراسان وروى عن انس وابى العالية وعنه الثورى وابن المبارك قال ابو حاتم صدوق توفى سنة تسع وثلاثين ومائة اخرج له الجماعة (قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعنى طأ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرءآن لتشقى الاية) اى الا تذكرة لمن يخشى اى لكن انزلناه موعظة لمن يخاف مخالفة المولى ويتبعه بالطريق الاولى فهذا الحديث اسنده المصنف هنا من تفسير عبد بن حميد عن الربيع بن انس مرسلا ورواه ابن مردويه عن على كرم الله تعالى وجهه موصولا بلفظ لما نزل يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا لاقامه كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع اخرى فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام فقال طه اى طأ الارض بقدميك ما انزلنا عليك القرءآن لتشقى والحاصل ان هذا التأويل فى طه هو مختار الربيع بن انس ويعزى الى مقاتل ايضا وله تأويلان احدهما ان يريد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعتمد اذا صلى على احدى رجليه ويرفع الاخرى تحريا منه صلى الله تعالى عليه وسلم للامور الشاقة ونفورا من الراحة فقيل له طأ الارض برجليك معا ولا تعتمد على قدم واحدة فتتعب بذلك نفسك وهذا التأويل هو الذى تأوله المصنف وثانيهما ان يريد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانت تدعوه مشقة الصلاة الى ان يتروح برفع احدى قدميه وحط الاخرى فقيل له طأ الارض بمعنى لا تلزم نفسك من القيام ما تتعب معه فتضطر الى التروح باحدى قدميك قال المنجانى وهذا التأويل احسن من التأويل الذى تأوله القاضى والا فالقيام على رجل واحدة لم يثبت فى الشرع انه من جملة التطوعات فيفعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اختيارا دون ان يوجب ذلك موجب من تعب او تورم قدم بل لم يبح ذلك الفقهاء الا للضرورة قلت لا مانع من انه كان فى الشرع من التطوع ثم نسخ ثم قال ومما يستغرب فى هذه الاية ما رواه الفراء فى كتاب معانى القرءآن له مسندا عن عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان رجلا قرأ بحضرته طه ما انزلنا عليك القرءآن لتشقى فقال ابن مسعود اقرأ طه بكسر الطاء والهاء فقال له الرجل يا ابا عبد الرحمن أليس امرا من الوطئ فقال له عبد الله اقرأ طه بالكسر فهكذا اقرأنيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قلت لعل روايته كانت بالامالة فيهما وهى لا تنافى كونها من الوطئ والله اعلم (ولا خفاء بما فى هذا كله) الباء بمعنى فى وعدل اليه حذرا عن التكرار اى فيما ذكر من الاية والحديث (من الاكرام) اى اكرام النبى صلى الله تعالى وسلم (وحسن المعاملة) اى له صلى الله تعالى عليه وسلم باعلام حسن القيام وهذا ان جعلنا معنى طه طأ الارض كما تقدم فيه الكلام (وان جعلنا طه من اسمائه عليه الصلاة والسلام كما قيل) اى وقد سبق (او جعلت) اى هذه الكلمة (قسما) اى اقسم الله تعالى به (لحق الفصل بما قبله) اى اتصل هذا الفصل بالفصل الذى قبله لانبائه بما اقسم به تعالى تحقيقا لمكانته وافاد نهاية المبرة فى مخاطبته واعلاء درجات الاداب فى محاورته (ومثل هذا) اى ما ذكر من كون طه من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم او مقسما به او هما وما قبلهما (من نمط الشفقة) اى من نوع المرحمة (والمبرة) لمناسبة بينهما قال الدلجى اذ النمط فى الاصل الجماعة من الناس امرهم واحد وفى الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط يلحقهم التالى ويرجع اليهم العالى انتهى ولا يخفى بعد هذا المعنى فى مقام المرام بل النمط بفتح النون والميم جاء بمعنى الطريق والنوع من الشئ ايضا على ما فى القاموس ويمكن

حل الحديث الذى ذكره عليه ايضا كما لا يخفى وقد قال الحلبى النمط الضرب من الضروب والنوع من الانواع يقال ليس هذا من ذلك النمط اى من ذلك النوع قاله الهروى فى غريبه واخذ منه ابن الاثير وحذف منه بعض شئ (قوله تعالى) خبر لقوله مثل هذا (فلعلك) اى لفرط اعراضهم وتباعدهم عن ما فيه تحصيل جميع اغراضهم (باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) اى الجدد انزاله (اسفا) اى حزنا وتأسفا وتلهفا (اى قاتل نفسك) ويجوز بالاضافة كما قرئ فى الآيه (لذلك) اى لعدم ايمانهم بالقرءآن (غضبا) اى عليهم (اوغيظا) اى فى نفسه (اوجزعا) اى قلة صبر وتحمل والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم شبه لما تداخله من الوجد اسفا على توليهم وتباعدهم عن الايمان بمن فارق اعزته فذهبت نفسه حسرات على آثارهم باخعها وجدا عليهم متلهفا على فراقهم (ومثله) اى مثل فلعلك باخع نفسك مما ورد مورد الشفقة والاكرام بشهادة لعل فانها للاشفاق (قوله تعالى ايضا لعلك باخع نفسك) وقرئ بالاضافة هنا اى اشفق على نفسك ان تقتلها غما (ان لا يكونوا مؤمنين) اى مخافة ان لا يؤمنوا اولئلا يؤمنوا (ثم قال) اى الله سبحانه وتعالى تسلية لشأنه (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) اى دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاصرة على اهل الكفران والطغيان (فظلت) اى صارت (اعناقهم) اى جماعاتهم واشرافهم وساداتهم (لها خاضعين) اى لتلك الآيه منقادين ولاقتضائها خاشعين اولتلك البلية ذليلين خاسئين وهو عطف على الجزاء اعنى ننزل اذلوقيل انزلنا مكانه لصح وقيل اصل الكلام فظلوا لها منقادين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع لان الاعناق لما وصفت بصفة لا تكون حقيقة الالمن يعقل عوملت معاملة من يعقل فجمعت جمعه (ومن هذا الباب) اى باب الشفقة والاكرام (قوله تعالى فاصدع بما تؤمر) اى فاجهر به واظهره من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهرا اوافرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما موصولة وعائدها محذوف اى بما تؤمر به وجوز الدلجى كون ما مصدرية هنا وهو بعيد عن المعنى كما لا يخفى (واعرض عن المشركين) اى اهانة لهم ولا تلتفت الى ما يقولون واغرب التلمسانى حيث فسر اعرض بقوله اترك واغ (الى قوله) تعالى (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) اى فينا اوفى القرءآن اوفيك (الى آخر السورة) وهو قوله سبحانه وتعالى انا كفيناك المستهزئين اى دفعنا عنك شرهم بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة نفر فمات كل واحد منهم بنوع من عذابه الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون اى عاقبة امرهم ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك اى فافزع اليه بالتسبيح والتحميد وقل سبحانه مقرونا بالحمد جمعا بين الصفات السلبية والنعوت الثبوتية اوفنزهه عما يقولون من الباطل واحمده على انه هداك الى الحق وكن من الساجدين اى المصلين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اى الموت باتفاق المفسرين وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم عند موت عثمان بن مظعون اما هو فقد رأى اليقين قال الحجازى ويحتمل ان يكون اشارة الى النصر الذى وعده الله سبحانه وتعالى على الكفار قلت هذا مع مخالفته للاجماع غير مناسب ان تكون النصرة غاية العبادة فان العبادة لا يجوز انفكاكها عن العباد ما دامت الارواح فى الاجساد (وقوله) اى ومنه ايضا قوله (تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية له عما كان يرى من قومه ليقتدى بالرسل المتقدمين عن وقته حيث صبروا على ما كذبوا واوذوا وقد قال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل (الآية) يعنى فحاق بالذين سخروا منهم اى من المستهزئين وقيل من المرسلين ما كانوا به يستهزئون اى فاحاط بهم الذى كانوا به يستهزئون حيث اهلكوا الاجله اوفنزل بهم جزاء استهزائهم قيل يجوز ان يكون ضميره به راجعا الى الشرع وما ترتب عليه من الثواب وان يكون راجعا الى العذاب والله تعالى اعلم بالصواب واما ما جوزه الحجازى من رجعه الى القرءآن فلا يناسبه المقام كما لا يخفى على ارباب المعانى والبيان (قال مكى) سبق ذكره (سلاه) اى الله (تعالى بما ذكره) اى من قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك (وهون عليه ما يلقى) وفى رواية ما يلقاه (من المشركين) اى من فرط الايذاء (واعلمه ان) وفى نسخة انه (من تمادى) اى اصر واستمر (على ذلك يحل به) بضم الحاء اى ينزل به ومنه قوله تعالى اوتحل قريبا من دارهم واما يحل بكسر الحاء فمعناه يجب لكن لا يناسب المقام وان قرئ بهما قوله تعالى فيحل عليكم غضبى (ما حل) اى شئ عظيم نزل او الذى حل (بمن قبله) اى من اعداء الانبياء (ومن هذا) اى الباب وفى نسخة ومثل هذه التسلية (قوله تعالى وان يكذبوك) اى قومك فلا يحزنك تكذيبهم لك (فقد كذبت رسل من قبلك) فكان الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم تأس بمن قبلك من الانبياء فان هذه الانواع التى يعاملك بها قومك من التكذيب وغيره قد كانت موجودة فى سائر الامم قبلك مع انبيائهم عليهم الصلاة والسلام فلست منفردا بهذا وحدك وفيه ايماء الى ان البلية اذا عمت طابت فان اجل ما يخفف عن الانسان حزنه مشاركة غيره له فيه كما قالت الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولى ✱ على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل اخى ولكن ✱ اعزى النفس منى بالتأسى

(ومن هذا) اى الباب او القبيل (قوله تعالى كذلك) اى مثل تكذيب قومك لك وقولهم افتراء عليك معلم مجنون (ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا) اى ما جاءهم رسول الا قالوا فى حقه هو (ساحر) اى خداع (او مجنون) اى به جنون واو للتنويع باعتبار قوم دون قوم اووقت دون وقت ولا يبعد ان تكون للشك مشيرا الى تحيرهم فى امره مع الايماء الى المناقضة بين اقوالهم فان الساحر هو العالم وهو لا يكون الا فى كمال العقل والمجنون لا يكون الا خاليا عنه (عزاه الله تعالى) بتشديد الزاى اى حمله على الصبر وسلاه (بما اخبر به عن الامم السالفة) اى عن الجماعات السابقة (ومقالها) اى واقاويل تلك الامم وفى نسخة ومقالتها (لانبيائهم قبله ومحنتهم) اى ابتلائهم وفى نسخة ومحنهم بفتح فسكون وهو مجرور ورووه الحجازى حيث قال بفتح النون اى وبامتحان انبيائهم واختبارهم فى ولائهم عند بلائهم وابتلائهم (بهم) اى بقومهم واقوالهم (وسلاه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بذلك) اى بما ذكر من ابتلاء الانبياء (عن محنته) اى بليته عليه الصلاة والسلام (بمثله) اى بنظير ما فعل الامم بالانبياء (من كفار مكة) فى تأذيتهم له (وانه) اى وبانه (ليس اول من لقى ذلك) اى الايذاء من قومه (ثم) اى بعد ان سلاه (طيب نفسه) اى ارضاه (وابان عذره) اى اظهره (بقوله فتول عنهم) اشفاقا عليه بترك مجادلتهم (اى اعرض عنهم) اى بعد ما بذلت جهدك فى الدعوة والزمت عليهم الحجة (فما انت بملوم) فى مكالمتهم (اى) حينئذ (فى اداء ما بلغت) اى من الاعلام (وابلاغ ما حملت) بضم حاء وتشديد ميم مكسورة اى كلفت من الاحكام والمعنى فلا تلام فى اعراضك عنهم بعد ما كررت عليهم مبالغا فى تبليغ ما امرت به لهم (ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) اى بمرأى منا (اى اصبر على اذاهم) اى وبقائك فى عناهم (فانك بحيث نراك ونحفظك) وجمع العين لجمع الضمير مبالغة فى كثرة اسباب الحفظ والعصمة (سلاه الله تعالى بهذا) اى بما ذكر (فى آى كثيرة من هذا المعنى) اى كما لا يخفى على حفاظ المبنى

(الفصل السابع)

(فيما اخبره الله تعالى به فى كتابه العزيز) اى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه او الغالب على سائر الكتب بنسخه اياها او النادر فى الوجود لبقائه على صفحات الدهر الى اليوم الموعود (من عظيم قدره) اى مرتبته (وشريف منزلته) اى يشهدان بفضيلته (على الانبياء وحظوة رتبته) بكسر الحاء وضمها وسكون الظاء المعجمة وقد تقدمت ومن بيان لما (فى قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين) وكما اختاره المصنف على ظاهره من اخذ الميثاق عليهم بما ذكر اوميثاقهم الذى وثقوه على اممهم (لما آتيتكم) وفى قراءة نافع آتيناكم واللام موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما شرطية والتقدير لمهما آتيتكم وهو ظاهر قول سيبويه ودخلت اللام عليها كما تدخل على ان اذا كان جوابها قسما نحو قوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك اوموصولة صلتها ما بعدها والعائد محذوف اى الذى آتيتكموه (من كتاب وحكمة) من لبيان ما (الى قوله) تعالى (من الشاهدين) يعنى ثم جاءكم وهو عطف على صلتها وعائدها محذوف اى جاءكم به رسول مصدق وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم مجئ رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اى الله تعالى للنبيين ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصرى اى قبلتم عهدى قالوا اقررنا قال فاشهدوا اى بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم من الشاهدين على اقراركم وتشاهدكم وفى هذا توكيد عظيم وتعظيم جسيم مع علمه تعالى بانهم لا يدركون زمانه ولا يلحقون مكانه (قال ابو الحسن القابسى) سبق ذكره (اختص الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بفضل) اى بزيادة فضيلة (لم يؤته غيره) اى من فضلاء انبيائه (ابانه به) جملة استئناف اى اظهره الله تعالى بما آتاه من فضله وفى نسخة ضبط ابانة بالمصدر على انه منصوب على العلة اى اظهارا بفضله وكماله واشعارا بعلو شانه وتمام جماله (وهو ما ذكره فى هذه الآية) اى مما يدل على تلك الابانة (قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحى) اى الى انبيائه (فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته) اى وذكر له صفته كما فى التوراة والانجيل وغيرهما على ما مر (واخذ عليه) اى على كل نبى (ميثاقه) اى الخاص به وهو (ان ادركه ليؤمنن به) بفتح النونين واليه اشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله حين رأى عمر انه ينظر فى صحيفة من التوراة لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى اى لاجل اخذ الميثاق بذلك والا فكان الامر يقتضى عكس ما هنالك لان اللاحق يكون تابعا للسابق (وقيل ان يبينه) اى اخذ عليه ان يبينه (لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم) وفى نسخة لمن بعده اى وهكذا الى ان يبعث فيؤمنوا به كما بينه سبحانه

وتعالى بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه الآية (وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد) اللام للتقوية وفى نسخة المعاصرين محمدا (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى الذين كانوا فى زمانه ولا يخفى ان هذا المعنى لا يصح على القول بانه تعالى اخذ ميثاق النبيين بذلك اذ من قاله لا يجعل الخطاب الالهم وانما يصح عند من قال ميثاق معاصريهم واضافته فى الآية الى النبيين نظر الى انهم هم الذين اخذوه على اممهم وانهم يأخذونه على من بعدهم وهكذا الى ان يبعث فتقدير الآية واذ اخذ الله الميثاق الذى اخذه النبيون على اممهم (قال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن جرير فى تفسيره عنه انه قال موقوفا بكون فى الحكم مرفوعا (لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده) اى نبيا بعد نبى (الا اخذ عليه العهد فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه) بفتح ما قبل النون الثقيلة فيهما لافراد الضمير بهما (وياخذ) بالنصب بفتح الذال عطف على ما دخله اللام ونون التوكيد مرادة كما رادتها فى قوله

لا تهين الفقير علك ان تر * كع يوما والدهر قد رفعه

حيث اراد لا تهينن فحذفت لما استقبلها ساكن اى وليأخذن (العهد بذلك على قومه) وفى نسخة برفع باخذ (ونحوه عن السدى) اى ونحو هذا القول المروى عن على منقول عن السدى (وقتادة) تقدم الكلام على قتادة وانه من اجلاء التابعين وعظماء المفسرين واما السدى فهو بضم السين وتشديد المهملتين كان يجلس فى سدة باب الجامع وهما اثنان كبير وصغير فالكبير هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن ابى كريمة السدى الكوفى يروى عن ابن عباس وانس وطائفة وعنه زائدة واسرائيل وابو بكر بن عياش وخلق وهو حسن الحديث اخرج له مسلم والاربعة واما الصغير فهو محمد بن مروان الكوفى روى عن هشام بن عروة والاعمش تركوه واتهمه بعضهم وهو صاحب الكلبى والظاهر ان المراد هنا الاول والله اعلم (فى آى) اى حال كون هذه الآية مندرجة فى ضمن آيات كثيرة (تضمنت فضله) اى فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم (من غير وجه واحد) اى بل من وجوه متعددة (قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) اى بتبليغ الرسالة وتحمل الدعوة الى الامة (ومنك ومن نوح الآية) اى وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وهو تخصيص بعد تعميم تلويحا ببيان فضلهم وزيادة شرفهم فانهم اولوا العزم من الرسل ومشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيما وتكريما وايماء الى تقديم نبوته فى عالم الارواح المشار اليه بقوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عظيما شانه ومؤكدا باليمين برهانه وكرر لبيان وصفه تعظيم المقامه (وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله تعالى وكيلا) وفى نسخة صحيحة شهيدا وهو الصواب وفيه تلويح الى فضله حيث قدمه على رسله اذ كان يمكن ان يقال كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده اوحينا اليك على نحوه والحاصل انه قدم من جهة الفضل والشان لا من جهة التقدم فى الزمان والواو وان لم تقتض الترتيب لكن العرب تؤثر تقديم المتقدم فى الذكر على المتأخر فى اللفظ واليه اشار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال عند الصفا ابدأ بما بدأ الله به وحكى الحافظ فى كتاب البيان والتبيين ان عبد بنى الحسحاس لما انشد عمر رضى الله تعالى عنه قوله

هريرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال له عمر لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك (روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) وهو بعض خبر هنا ذكره الرشاطى كله فى اقتباس الانوار (انه قال) اى عمر (فى كلام بكى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بنصب النبى على انه مفعول والمعنى رثاه بعد موته من بكيته مخففا ومشددا اى بكيت عليه وذلك حين افاق من غشيته وتحقق عنده موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بخطبة ابى بكر وموعظته قائلا بابى انت وامى يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم عليه فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم (فقال) اى عمر (بابى انت وامى) متعلق بمقدر وحذفه ابدل من ضميره المتصل ضمير منفصل وحذفت الجملة لظهور المعنى حتى قبل الباء للتعدية وقد يذكر الفعل كقول الصديق فدينا لذبا آبائنا وامهاتنا اى افديك بابى وامى (يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء) اى فى مقام الوجود (وذكرك فى اولهم) اى فى اول بعضهم عند ذكرهم اجمالا اى فى معرض الكرم والجود (فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية) اى على ما سبق (بابى انت وامى) اى افديك بهما مرة بعد اخرى لانك بذلك اولى واحرى (يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده) اى عند الله سبحانه (ان اهل النار يودون) اى يتمنون ويحبون (ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها) اى طبقات النار (يعذبون يقولون يا ليتنا

اطعنا الله واطعنا الرسولا) اى فلم يصبنا هذا العذاب غدا حيث لا ينفعهم التمنى من جميع الابواب والرسولا بالالف مرسوم والجمهور على اثباتها وقفا ووصلا ومن جملة ما قال عمر رضى الله تعالى عنه بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اخبرك بالعفو قبل ان يخبرك بالذنب فقال عفا الله عنك لم أذنت لهم بابى انت وامى يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران اعطاه الله حجرا يتفجر منه الانهار فاذلك باعجب من اصابعك حين نبع منها الماء صلى الله تعالى عليك وسلم بابى انت وامى يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فاذلك اعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله تعالى وسلم عليك بابى انت وامى يا رسول الله لئن كان عيسى ابن مريم اعطاه الله تعالى احياء الموتى فاذلك باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك فقالت لا تأكلنى فانى مسمومة صلى الله تعالى وسلم عليك بابى انت وامى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا وقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون بابى انت وامى يا رسول الله لقد اتبعك فى قلة سنيك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا فى كثرة سنيه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل بابى انت وامى يا رسول الله لو لم تجالس الا الا كفاء ما جالستنا ولو لم تنكح الا الى الا كفاء ما نكحت الينا ولو لم تواكل الا الا كفاء ما واكلتنا لبست الصوف وركبت الحمار ووضعت طعامك بالارض تواضعا منك صلى الله تعالى عليك وسلم (قال قتادة) اى كما رواه ابن ابى حاتم فى تفسيره وابن لال فى مكارم الاخلاق وابو نعيم فى دلائله عنه مرسلا (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنت اول الانبياء فى الخلق) اى خلق روحه قبل ارواحهم او فى عالم الذر او فى التقدير بكتابته فى اللوح او ظهوره للملائكة (وآخرهم فى البعث) اى لكونه خاتم النبيين (فلذلك) اى فلاجل كونه اولهم خلقا (وقع ذكره مقدما) اى فى الآية السابقة (ههنا قبل نوح وغيره) اى من اولى العزم فضلا عن غيرهم قال السهيلى واسم نوح عبد الغفار وسمى نوحا فيما ذكر لكثرة نوحه على نفسه او على قومه (قال السمرقندى) وهو الامام ابو الليث من ائمتنا الجامع بين التفسير والحديث والفقه والتصوف (فى هذا) اى فى ذكر وقوعه مقدما (تفضيل نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم) اى اظهارا للكرم والجود (وهو آخرهم) اى بعثا كما فى نسخة يعنى اى والحال انه آخرهم من جهة البعث والوجود (المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر) وهو صغار النمل والمعنى ان للانبياء ميثاقا خاصا بعد دخولهم فى الميثاق العام المعنى به قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى بتبليغ الرسالة واخص من هذا الميثاق ميثاق الانبياء اصالة واممهم تبعا انه صلى الله عليه وسلم لو فرض انه وجد فى اى زمان من الازمنة لتبعه جميع الانبياء وجميع اممهم من العلماء والاولياء والاصفياء فكانهم تابعون بالقوة وعلى فرض وقوعه بالفعل والحاصل انه تعالى قال للخلق فى عالم الذر بعد قوله لهم ألست بربكم قالوا بلى اعلموا انه لا اله غيرى وانا ربكم فلا تشركوا بى شيأ فانى سأنتقم ممن اشرك بى وانى مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى ومنزل عليكم كتبا فقالوا شهدنا انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب آجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم فرأى فيهم الغنى والحسن وغيرهما فقال لو سويت بينهم فقال انى احب ان اشكر فلما قررهم بتوحيده واشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلب آدم فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ ميثاقه وكان اعطاء الكافر بن العهد اذ ذاك وهم كارهون على جهة التقية وقد وردت الاحاديث بهذا من طريق عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وغيرهما رضى الله تعالى عنهم وقد ورد انه عليه الصلاة والسلام اول من قال بلى فذلك قوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وفى قراءة ذريتهم اى اخرج ذريته بعضا من صلب بعض على ما يتوالدون واكتفى بذكر ظهورهم عن ذكر ظهره اذ كلهم بنوه واخرجوا من ظهره واشهدهم على انفسهم اى اشهد بعضهم على بعض واغرب الدلجى فى انه بعد ما ذكر الميثاق على الوجه المسطور المطابق لمذهب اهل السنة المؤيد بالاحاديث النبوية والآثار عن الصحابة مال الى مذهب المعتزلة وتبع الزمخشرى وسائر اهل البدعة حيث قالوا وقوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى تخييل وتصوير للمعنى اى نصب لهم ادلة ربوبيته واودع عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها فصاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل انتهى والله يهدى من يشاء الى سواء السبيل وفى كتاب القصص لوثيمة ابن الفرات يرفعه الى ابى موسى الاشعرى انه قال لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام قال له يا آدم فقال نعم يا رب قال من خلقك فقال انت يا رب خلقتنى قال فمن ربك قال انت لا اله الا انت قال فآخذ عليك الميثاق بهذا قال نعم

فاخرج الله سبحانه وتعالى الحجر الاسود من الجنة وهو اذ ذاك ابيض ولولا ما سوّده المشركون بمسهم اياه لما اشتفى به ذوعاهة الاشفى به فقال الله سبحانه وتعالى اسمع يدلك على الحجر بالوفاء ففعل ذلك فامره بالسجود فسجد لله سبحانه وتعالى ثم اخرج من ظهره ذريته فبدأ بالانبياء منهم وبدأ من الانبياء بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذ عليه العهد كما اخذه على آدم ثم اخذ العهد على الانبياء والرسل كذلك وان يؤمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان ينصروه ان ادركهم زمانه فالتزموا ذلك وشهد به بعضهم على بعض وشهد الله سبحانه وتعالى بذلك على جميعهم واخذ بعد ذلك العهد على سائر بنى آدم فسجدوا كلهم الا الكافرين والمنافقين لم يطيقوا ذلك لعصيان خلقت فى اصلابهم ثم امر الله سبحانه وتعالى آدم فرفع رأسه ونظر الى ذريته فرأى الانبياء والعلماء كالسرج والكواكب فقال يارب من هؤلاء قال هم الانبياء والعلماء من ذريتك فقال يارب ومن هؤلاء الذين اراهم بيض الالوان قال هم اصحاب اليمين وقد اعددت لهم الجنة والكرامة وخلقتهم سعداء قال ومن هؤلاء الذين اراهم سودا قال هم اصحاب الشمال وقد اعددت لهم الهوان وجعلتهم اشقياء فقال يارب لو سوّيت بين خلقك اجمعين فقال يا آدم خلقت الجنة وجعلت لها اهلا وخلقت النار وجعلت لها اهلا ثم اختلف العلماء فى محل اخذ هذا العهد ففى كتاب الثعلبى انه كان فى السماء وان الله سبحانه وتعالى اخرج آدم من الجنة ولم يهبط الى الارض فاخذ عليه وعلى ذريته العهد هنالك وفى تاريخ الطبرانى ان الله سبحانه وتعالى اهبط آدم من السماء الى نعمان واخذ عليه وعلى ذريته هذا العهد هنالك ونعمان وادى فى طريق الطائف يخرج الى عرفات وهو مفتوح النون ويقال له نعمان الاراك لكثرته به (وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية) الاشارة الى من ذكرت قصصهم فى السورة اوالى كلهم المعهودين فى العلم واللام استغراقية ثم فصله سبحانه وتعالى بقوله منهم من كلم الله بلا واسطة وهو موسى عليه الصلاة والسلام قيل ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكلم موسى ليلة الحيرة فى الطور ومحمدا ليلة المعراج فى مقام النور حين كان قاب قوسين اوادنى وقرئ كلم الله بالنصب وكالم الله اذ قد كلم الله كما ان الله كلمه ومن ثمة قيل كليم الله بمعنى مكالمه (وقال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى رفعه على سائر الانبياء من وجوه متعددة ومراتب متباعدة ومنها انه خص بالدعوة العامة (لانه بعث) اى بالحجج المتكاثرة والآيات المتعاقبة المتواترة والفضائل العلمية والفواضل العملية (الى الاحمر والاسود) اى العرب والعجم لغلبة الحمرة والبياض على الوان العجم والادمة والسمرة على الوان العرب وقيل الجن والانس (واحلت له الغنائم) اى ولم تحل لاحد قبله (وظهرت على يديه المعجزات) اى الكثيرة (وليس احد من الانبياء اعطى فضيلة) اى خصلة حميدة (اوكرامة) اى خارقة عادة (الا وقد اعطى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها) اى مثل تلك الفضيلة اوالكرامة بل مع الزيادة لكن جنسا لانوعا كانشقاق القمر فى مقابلة انفلاق البحر لموسى عليه السلام وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى قيل وفى ابهام درجات تفخيم لجلال شانه وتعظيم لعلى برهانه اذ هو العلم المعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين عند ارباب اليقين (قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم) اى يا آدم ويا نوح ويا ابراهيم ويا موسى ويا عيسى (وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه) اى كلامه القديم وخطابه العظيم (فقال يا ايها النبى ويا ايها الرسول) بل وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا (وحكى السمرقندى عن الكلبى) هو ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى توفى فى السنة التى مات فيها الشافعى رضى الله تعالى عنه وهى سنة اربع ومائتين كذا ذكره التلمسانى (فى قوله تعالى وان من شيعته) اى اتباعه (لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اى ان من شيعة محمد لابراهيم اى على دينه ومنهاجه) اى طريقه الواضح (واختاره الفراء) بروى واجازه الفراء (وحكاه عنه مكى) ونسبه بعضهم الى الكسائى ايضا فكان الله اخبر ابراهيم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فآمن به وتابعه فى دينه وعود الضمير على غير متقدم لفظا شائع سائغ كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب وانما جعل منها لتقدمه عليه خلقا ونبوة كما يدل عليه حديث انه حيث سئل متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وفى رواية وآدم منجدل فى طينته وهذا اولى مما قيل فى جواب الاشكال الوارد من ان المتعارف هو ان المتأخر فى الزمان هو الذى يكون من شيعة المتقدم لكن قد جاء عن العرب عكس ذلك ومالى الا آل احمد شيعة والسبب فى هذا ان من كنت على منهاجه ودينه فقد كان على منهاجك سواء تقدم اوتقدمت (وقيل المراد نوح) ويروى على نوح (عليه الصلاة والسلام) وهو قول اكثر المفسرين كما هو الظاهر المتبادر من حيث تقدم مرجعه فابراهيم ممن شايع فى دينه لاتفاق شرعهما فى الفروع غالبا وان كان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة ونبيان هود وصالح عليهما الصلاة والسلام كذا ذكره الدلجى

(الفصل الثامن)

(فى اعلام الله تعالى خلقه) اى مخلوقه (بصلاته عليه وولايته) بكسر الواو وقد يفتح وبهما قرئ قوله تعالى ما لكم من ولايتهم من شئ والكسر قراءة حمزة من السبعة فتلحين الاصمعى قراءة الاعمش فى هذه الآية بكسر الواو خطأ ظاهر وقوله ان الولاية بالكسر انما هى فى الامارة والسلطان ونحوهما بصيغة الحصر مدفوع ولو سلم فالكسر مشترك فى المعنيين والله اعلم وقيل بالفتح بمعنى النصرة وبالكسر تولى الامر اى موالاته ونصرته له (ودفعه) مصدر مضاف الى فاعله اى ودفع الله (العذاب بسببه) اى من اجله وجهته وفى نسخة رفعه بالراء واختاره الحلبى وهو تصحيف فى مبناه وتحريف فى معناه اذ الرفع لا يستعمل الا بعد الوقوع ولذا قيل الدفع اهون من الرفع (قال الله تعالى) اى حين قال الكفار مبالغة فى الانكار اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء اوائتنا بعذاب اليم (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) بيان لما كان موجبا لامهالهم مع علم الله سبحانه وتعالى باقوالهم وافعالهم (اى ما كنت بمكة) اى مدة كونك فيها اذ جرت سنته تعالى ان لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم ومن ثمة كان العذاب اذا نزل بقوم امر نبيهم بالخروج بمن امن وفيه تلويح بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر (فلما خرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة) اى مهاجرا الى المدينة (وبقى فيها من بقى من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهو اما بمعنى وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر من المؤمنين ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين اوبمعنى نفى الاستغفار اى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وعن الحسن ان الآية منسوخة بقوله وما لهم ان لا يعذبهم الله والظاهر ان لا تنافى بينهما اذ النفى منصب على عذاب الاستئصال والاثبات محمول على غيره من الاسر والقتل وانواع الخزى والنكال قال المحانى وهذا التأويل قال به جماعة من المفسرين منهم ابن عباس والضحاك ومقتضاه ان الضمير فى قوله سبحانه معذبهم عائد على كفار مكة والضمير فى قوله تعالى وهم يستغفرون عائد على المؤمنين الباقين بمكة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى وما كان الله ليعذب الكافرين والمؤمنون يستغفرون بينهم فتكون الآية على هذا النحو من قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية وقوله تعالى لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا الآية ايضا وعلى هذا التأويل فالمؤمنون مفهومون من سياق الكلام والاظهر بتقدم لهم ذكر فى الآية واما التأويل الثانى الذى ذكره القاضى فى هذه الآية بقوله (وهذا مثل قوله تعالى لو تزيلوا الآية) اى وما ذكر مما دل على امهالهم وتأخير العذاب فى آجالهم لاجل من فيها من المؤمنين وتحسين افعالهم واقوالهم مثل قوله سبحانه وتعالى لو تزيلوا اى لو تفرقوا وتميز المؤمنون من الكافرين لعذبنا الذين كفروا منهم اى من اهل مكة عذابا اليما بالقتل والاسر (وقوله) اى ومثل قوله تعالى (ولولا رجال مؤمنون الآية) اى ونساء مؤمنات بمكة لم تعلموهم اى باعيانهم لاختلاطهم باهل كفرهم وطغيانهم ان تطؤوهم بدل اشتمال من رجال ونساء اومن ضميرهم فى تعلموهم اى ان تدوسوهم فتهلكوهم ومنه الحديث آخر وطأة وطئها الله بوج واد بالطائف فتصيبكم منهم معرة من عره اذا غشيه بمكروه اى فيغشاكم من جهتهم مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار لكم به والاثم بتقصيركم فى البحث عنهم بغير علم حال اى ان تطؤوهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا مؤمنين ومؤمنات بين اظهر الكفار جاهلين بهم فيصيبكم مكروه باهلاكهم لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله فى رحمته من يشاء علة لما دل عليه كف الايدى عنهم صونا لمن فيها من المؤمنين اى كان ذلك لاجل ان يدخل الله فى رحمته من يشاء من مؤمنيهم اومشركيهم او منهما بتوفيقه للاسلام اولزيادة الخير والانعام (فلما هاجر المؤمنون) اى من مكة (نزل وما لهم ان لا يعذبهم الله) اى وما يمنع من تعذيبهم بعد ان فارقتهم والمؤمنون وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون (وهذا) اى ما ذكر من دلالة الآية على تأخير العذاب عنهم وهو فيهم (من ابين ما يظهر مكانته) اى من اظهر دليل يبين علو مرتبته ورفعة شانه وعظمته (صلى الله تعالى عليه وسلم) لكل احد عند ربه (ودرأته) وقع بخط بعض الاكابر هنا درأ به على انه فعل ماض وجار ومجرور اى دفع به والظاهر انه تصحيف والصواب انه بكسر الدال المهملة وسكون الراء وهمزة وتاء اى ومن ابين ما يظهر دافعه سبحانه (العذاب عن اهل مكة بسبب كونه) اى وجوده المتضمن لكرمه وجوده فيهم لانه بعث رحمة للعالمين (ثم كون اصحابه) بجر الكون عطفا على ما تقدم (بعده بين اظهرهم) اى بينهم وفى جوارهم فلفظ اظهرهم مقحم للمبالغة (فلما خلت مكة منهم عذبهم) اى الله كما فى نسخة (بتسليط المؤمنين عليهم) اى بتسليط رسوله اياهم وابعد التلمسانى حيث فسر التسليط بالقهر (وغلبتهم اياهم وحكم

فيهم سيوفهم) بتشديد الكاف المفتوحة اى جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم حكما فيهم حدا وصفحا فقتلا وقطعا واسرا (واورثهم ارضهم) اى مزارعهم (وديارهم) اى بيوتهم وحصونهم ومعاقلهم (واموالهم) اى نقدهم واثاثهم ومواشيهم روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال لهم ان لكم منازلكم وروى انه قال لهم اما ترضون ان الناس يرجعون بالاموال الى بلادهم وانتم ترجعون برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اهليكم وقال عمر رضى الله تعالى عنه اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لى طعمة وهذا صريح بان مكة فتحت عنوة وعليه الامام ابو حنيفة والاكثرون من اهل العلم وعن الامام الشافعى انها فتحت صلحا ومن ثمة كان يجيز اجارة دورها وبيعها بدليل حديث وهل ترك لنا عقيل من رباع لكن لا يخفى بعد وجه الاستدلال به وابعد من قال فتح اعلاها صلحا واسفلها عنوة (وفى الآية) اى آية وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (ايضا تأويل آخر) وهو ان الضميرين راجعان الى الكفار فيحتمل ان يكون وهم يستغفرون فى موضع الحال بتقدير ان لو كان اى وما كان الله معذبهم وهم بحال توبة واستغفار من كفرهم لو وقع منهم واختاره الطبرى وان يكون اشارة الى من سبق فى علم الله انه يؤمن منهم اومن ذريتهم اى وما كان الله معذبهم ومنهم من يخرج فيستغفر الله ويؤمن به واختاره الزجاج وان يكون اشارة الى قولهم فى دعائهم غفرانك اللهم لجعله الله كما قال ابن عطية امانا لهم من عذاب الدنيا كما قرره الدلجى والاظهر ما حرره المنجانى من ان التأويل الآخر الذى ذكره القاضى فى هذه الآية مبنى على ان الضميرين معا عائدان على المؤمنين لما اسنده القاضى من الحديث ايبينه به وهو قوله (حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله بقراءتى عليه) وهو الحافظ ابن سكرة كما سبق (حدثنا ابو الفضل ابن خيرون) بالصرف وعدمه فعلون من الخير ضد الشر وقد تقدم ذكره (وابو الحسين) بالتصغير على الصحيح (الصيرفى) وهو المبارك ابن عبد الجبار وتقدم ترجمته (قالا) اى ابو الفضل وابو الحسين كلاهما (حدثنا ابو يعلى ابن زوج الحرة) بضم حاء مهملة وتشديد راء وقد سبق (حدثنا ابو على السنجى) تقدم انه بكسر السين المهملة وسكون النون فجيم فياء نسبة (حدثنا محمد بن احمد بن محبوب المروزى) بفتح الميم والواو نسبة الى مرو وهو ابو العباس راوى جامع الترمذى كما سبق (حدثنا ابو عيسى الحافظ) اى الترمذى صاحب السنن (حدثنا سفيان بن وكيع) اى ابن الجراح يروى عن ابيه ومطلب بن زياد وعنه الترمذى وابن ماجه شيخ صدوق الا انه ابتلى بوراق سوء كان يدخل عليه فكلم فى ذلك فلم يرجع مات سنة سبع وتسعين ومائة (حدثنا ابن نمير) بضم نون وفتح ميم وسكون ياء فراء يكنى اباعبد الرحمن الهمدانى الكوفى واسمه عبد الله يروى عن هشام بن عروة والاعمش وعنه ابنه واحمد وابن معين حجة اخرج له الجماعة مات سنة اربع وثلاثين ومائتين (عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر) بكسر الجيم وهو ابو بشر الاسدى مولاهم البصرى يروى عن ابيه وعدة وعنه ابو نعيم وطلق بن غنام ضعيف اخرج له الترمذى وابن ماجه (عن عباد بن يوسف) بفتح عين مهملة وتشديد موحدة وهو ابو عثمان الكندى ثقة وقيل ابن سعيد وقيل هو عبادة بن يوسف والاول اصح بصرى ثقة روى عن ابى بردة وروى عنه اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر كذا ذكره التلمسانى واضطرب كلام الحلبى فيه (عن ابى بردة) بضم الموحدة والصحيح ان اسمه عامر وهو قاضى الكوفة (ابن ابى موسى) يروى عن ابيه وعن على والزبير وعنه بنوه عبد الله ويوسف وسعيد وبلال وحفيده بريد ابن عبد الله وكان من النبلاء توفى سنة اربع ومائة اخرج له الجماعة (عن ابيه) وهو ابو موسى الاشعرى عبد الله ابن قيس بن سليم بضم ففتح امير زبيد وعدن للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وامير البصرة والكوفة لعمر رضى الله تعالى عنهما روى عنه بنوه ابو بردة وابو بكر وابراهيم وموسى مناقبه جمة توفى سنة اربع واربعين اخرج له الجماعة والحديث الذى اخرجه المؤلف هنا انفرد الترمذى باخراجه من بين الستة ذكره فى التفسير وقال غريب واسماعيل يضعف فى الحديث انتهى ويقويه انه رواه ابن ابى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا وابو الشيخ نحوه عن ابى هريرة رضى الله عنه موقوفا ايضا (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزل الله على امانين لامتى) يحتمل امة الاجابة وهو ظاهر الآية ويحتمل امة الدعوة وهو الملائم لعموم الرحمة بالامنة (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) وهذه الامنة ظاهرة فى عمومهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهذه الامنة لايحة لخصوصهم ويؤيده قوله (فاذا مضيت) اى انتقلت من دار الاكدار الى دار القرار (تركت فيكم الاستغفار) اى فعليكم بالاكثار منه فى الليل والنهار ولا يبعد ان يكون الاستغفار من الابرار سببا وباعثا لدفع عذاب الاستئصال عن الكفار ويؤيده قوله (ونحو منه) اى من هذا الحديث فى المعنى (قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) لان ما بعث به سبب لاسعادهم وموجب لاصلاح معاشهم ومعادهم وكونه رحمة للكفار واهل فسادهم امنهم به من الخسف والمسخ

وعذاب الاستئصال فى بلادهم (قال عليه الصلاة والسلام انا امان لاصحابى) وفى لفظ انا امنة لاصحابى وهو حديث صحيح رواه مسلم عن سعيد بن بردة عن ابيه عن ابى موسى قال صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء فخرج علينا فقال ما زلتم ههنا قلنا نعم فقال اجدتم او احسنتم قال فرفع رأسه الى السماء وكان كثيرا ما يرفع رأسه الى السماء فقال النجوم امنة للسماء فاذا ذهبت النجوم اتى السماء ما توعد وانا امنة لاصحابى فاذا ذهبت اتى اصحابى وامتى ما يوعدون قال المنجانى وفى لفظ هذا الحديث امنة وفى الحديث الذى ذكره القاضى امان ولعلهما روايتان فى الحديث اقول اونقل القاضى بالمعنى مع قرب المبنى اذ الامنة بضم الهمزة والميم والامن والامان بمعنى واحد على ما ذكره المنجانى والظاهر انه بفتحهما على ما فى القاموس هذا ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم اراد بذهاب النجوم انتثارها لقوله تعالى واذا الكواكب انتثرت وباتيان السماء ما توعد انفطارها وتبديلها كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وباتيان اصحابه ما يوعدون ما انذرهم به من الفتن والارتداد وباتيان امته ما يوعدون ما اخبرهم به من ظهور البدع واختلاف الآراء والهرج وغلبة الروم وتخريب الكعبة وغير ذلك مما وقع اكثره وبقى ما لابد من وقوعه وبكونه امانا لاصحابه (قيل من البدع) فلم يكن منهم من ارتكب بدعة بشهادة حديث اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم (وقيل من الاختلاف والفتن) قال الدلجى وفيه ما فيه لكن يلزمنا الكف عما جرى بينهم بصدوره منهم اجتهادا بتأويلات صحيحة للمصيب اجران على اجتهاده واصابته وللمخطئ اجر على اجتهاده بشهادة حديث الشيخين ان الحاكم اذا اجتهد فاصاب فله اجران واذا اجتهد فاخطأ فله اجر واحد انتهى وفيه ما فيه لان ما جرى بينهم ما جرى منهم الا بعد غيبته صلى الله تعالى عليه وسلم عنهم وارتفاع الامان منهم وليس معنى قوله امان لاصحابى انهم فى امن من الفتنة الى آخر اعمارهم بل مقيد بمدة كونه فيهم ولذا قال واذا ذهبت اتى اصحابى ما يوعدون (قال بعضهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هو الامان الاعظم) اى لا غيره وان كان اصحابه ايضا امانا (ما عاش وما دامت سنته) اى المستمرة المعتادة له (باقية) اى ثابتة موجودة وهى بالنصب خبر دام وما شرطية جزاؤها قوله (فهو باق) اى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم باق حكما لبقاء حكمه فى امته (فاذا اميتت سنته) اى عدمت وفنيت وتركت ولم يعمل بها او عمل بخلافها (فانتظر البلاء والفتن) الخطاب عام لما فى نسخة فانتظروا البلاء وكان الاولى ان يقال فينتظر البلاء والفتن اى المحن الدنيوية والفتن الدينية وقيل المعنى فاذا اميتت سنته بموت اهلها فانتظر والبلاء والفتن بدليل حديث ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عامل اولم يبق عالم اتخذ الناس رؤسا جهالا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا (وقال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية) تقدم بعض الكلام عليها (ابان الله تعالى) اى اظهر وبين (فضل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بصلاته عليه) اى اولا تعظيما (ثم بصلاة ملائكته) اى ثانيا تكريما (وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه) اى بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وفى نسخة وامر عباده بالجر والاضافة عطفا على صلاته اى وبامر عباده بهما عليه ثالثا بان يقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الخ على ما ورد فى حديث الصلاة او بان يقولوا السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته كما فى حديث التشهد وذلك يدل على وجوب الصلاة والسلام عليه فى الجملة كلما ذكر لحديث رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فابعده الله وجوزا الصلاة على غيره ملك ونبى تبعا ويكره استقلالا لكونها فى العرف شعارا لذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن ثمة كره محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا وقيل المراد بالتسليم هو الانقياد لاوامره (فالصلاة) اى مطلقا (من الملائكة ومنا) اى بنى آدم (له دعاء) لحديث اذا دعى احدكم الى طعام فليجب وان كان صائما فليصل اى فليدع ووقع فى شرح الدلجى من الملائكة استغفار وهو الملائم لقوله ويستغفرون للذين آمنوا والظاهر ان الاستغفار على ظاهره وقوله تعالى ويستغفرون لمن فى الارض عام اريد به خصوص المؤمنين اذ لا يجوز الاستغفار للكافرين الا بقصد طلب ايمانهم المستلزم استحقاق المغفرة فى شأنهم وقال الدلجى اى يسعيهم فيما يستدعى المغفرة من شفاعة والهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك فى الجملة يعم المؤمن والكافر وحيث خص به صلى الله عليه وسلم فالمراد به السعى فيما يليق بجنابه (ومن الله تعالى رحمة) اى رحمة عظيمة اورحمة خاصة جسيمة والمراد من الرحمة الاحسان وارادة الانعام لاستحالة معناها الذى هو رقة القلب فى حق الرب سبحانه وتعالى (وقيل يصلون) اى معناه (يباركون) من البركة وهى كثرة الخير اى يكاثرونه ويزايدونه عليه ذكره الدلجى والظاهر ان معنى يباركون يدعون له بالبركة فى ذاته وصفاته واهل بيته واتباعه من امته وحيث كانت المغايرة ظاهرة بين الصلاة والبركة قال المصنف (وقد فرق النبى صلى الله عليه وسلم حين علم) اى اصحابه (الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة) فى حديث

قد امرنا ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد والاظهر ان يراد بقوله يصلون يعظمون و يثنون عليه ليشمل جميع الالفاظ الواردة التي من جملتها الترحم ونحوه (وسنذكر حكم الصلاة عليه) اى هل هو فرض او سنة وهل هو فرض عين او كفاية وما يتعلق بالمسئلة من الفروع والادلة (وقد حكى ابو بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء وهو غير منصرف للعلمية والعجمة وقيل منصرف امام جليل فقها واصولا وكلاما ونحوا وورع عظامع جلالة وورع زائد ومهابة وهو اصبهاني ومات شهيدا بالسم في سنة ست واربعمائة ونقل الى نيسابور ودفن بها قال ابن عبد الغفار يستجاب الدعاء عنده (ان بعض العلماء تأول) اى فسر (قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا) اى على هذا المعنى (اى في صلاة الله علي وملائكته وامره الامة بذلك) اى بالصلاة عليه كما في نسخة (الى يوم القيامة) واعلم ان قوله وقد حكى الى هنا لم يثبت في الاصل الذي هو خط المؤلف القاضي وثبت في الاصل المروي عن ابي العباس الغرفي ثم اعلم ان القرة بمعنى السرور والفرحة واصلها من القر بمعنى البرد يقال اقر الله عينه اى ابرد الله دمعته لان دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة ثم اكثر الاقوال واظهرها انها الصلاة الشرعية لما فيها من المناجاة وكشف المعارف وشرح الصدر وسيأتي الكلام بعد ان شاء الله تعالى (وذكر بعض المتكلمين) اى من المفسرين (في تفسير حروف كهيعص) اى انها مأخوذة من كفاية الله وهدايته وتأييده وعصمته وصلاته عليه فزعم (ان الكاف من كاف) اسم فاعل من كفى يكفي (اى كفاية الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام قال) اى الله سبحانه وتعالى (أليس الله بكاف عبده) واستفهامه لانكار النفي مبالغة في اثبات كفايته له والمراد بعبده عبده الخاص وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فالاضافة شخصية او المراد به الفرد الاكمل والاضافة للجنس او المراد جميع عباده او خواصهم من انبيائه واوليائه و ينصره قراءة حمزة والكسائي عباده بلفظ الجمع وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل فيهم دخولا اوليا وقيل في الكاف اشارة الى انه الكافي في الانعام والانتقام لعموم الانام وقيل الكاف اشارة الى انه الكاتب على نفسه الرحمة (والهاء) بالنصب ويجوز رفعه (هدايته له) اى هداية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وكان الانسب ان يقال والهاء من هادي اى هدايته له (قال ويهديك صراطا مستقيما) اى يدلك بلطفه الى طريق دينه او الى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة (والياء تاييده له قال وايدك بنصره) اى قواك بنصرته على اعدائك والاولى ان يقال الياء اشارة الى قوله تعالى يد الله فوق ايديهم او ايماء الى يسر المنحة بعد عسر المحنة او الى يده المبسوطة بالرحمة على نبي هذه الامة اصالة وعلى اتباعه تبعية لئلا يرد عليه ما ذكره الحجازي من ان صاحب هذا القول ان اراد ان هذه حروف اخذت من اوائل هذه المصادر على ما تقدم من اقتصار العرب على اول حرف من الكلمة فان لفظ التأييد ينقض عليه لان فاءه همزة لا ياء وانما الياء عينها وان اراد انها احرف اخذت من هذه المصادر سواء كان كل حرف منها فاء الكلمة او عينها فهو قول خارج عن القياس الصناعي (والعين عصمته له قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) او اشارة الى علمه بحاله في سره وجهره قال عز وعلا والله عليم بذات الصدور (والصاد صلاته عليه قال ان الله وملائكته يصلون على النبي) اى يثنون شانه و يعظمون برهانه او ايماء الى اسمه الصادق في وعده والصبور في وعيده ثم اعلم ان اوائل السور على القول المعتبر من المتشابه الذي لا يعلم حقيقته والمراد به الا الله سبحانه وتعالى وقيل اشارة للاعجاز بالقرآن وقيل اشارة لاسماء الله وقيل لاسماء رسوله وقيل بيان لمدة الامة المحمدية وجملة ذلك ثلاثون سنة ومائتان واربعة آلاف وان اسقط المكرر فتسعمائة وثلاثة وهو الاقرب لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعث في الالف السابعة وروى جعفر بن عبد الواحد القاضي حديثا يرفعه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان احسنت امتي فبقاؤها يوم من ايام الاخرة وان اساءت فنصف يوم وذلك خمسمائة وروى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها الفا وهو ضعيف وروى موقوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما الدنيا سبعة ايام كل يوم منها الف سنة و بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في آخر يوم منها ويدل عليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين يعني الوسطى والسبابة وقد ورد عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه كان يقول في دعائه اغفر لي يا كهيعص فيحتمل ان يكون كهيعص عند علي رضي الله عنه اسما لله بجملتها ويحتمل ان يريد آيا الله سبحانه وتعالى بجميع اسمائه التي تضمنتها كهيعص من كاف وهاد ونحو ذلك (وقال وان تظاهرا) وقرأ الكوفيون بالتخفيف والخطاب لعائشة وحفصة رضي الله تعالى عنهما اى وان تتعاونا (عليه) اى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمكر والحيلة في قضية مارية والغل لديه و بسائر ما يسوءه فانه ان يضره وان يعدم من ينصره (فان الله هو مولاه الاية اى وليه) يعني ناصره ومتوليه فيما اولاه (وجبريل) هو رسول الحق اليه

بعينه فيما هو عليه (وصالح المؤمنين قيل الانبياء) يعني والمرسلون (وقيل الملائكة) اى المقربون فيكون تعميما بعد تخصيص لكن فيه انه يتكرر مع قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير اى متظاهرون عليه (وقيل ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) اى وامثالهما من اكابر الصحابة لما ذكر لما وردي انهم اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وقيل علي رضي الله عنه) اى ونحوه من اهل البيت واقاربه (وقيل المؤمنون) اى جميعهم (على ظاهره) بناء على ان كل مؤمن بظاهره صالح والاظهر ان يقال المراد وصالح المؤمنين من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين والخلفاء الراشدين وسائر الصحابة من السابقين واللاحقين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وصالح بغير واو وهو مفرد او جمع حذف منه الواو لفظا لحذف رسما واما تعليل التلمساني بقوله وسره دلالة السرعة في النصرة لان مدة الواو تفيد مدا او بعدا ولا كذلك حذفها فهو في غاية البعد هذا وان صح حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال هم ابو بكر وعمر كان بينة صدق لكونهما المراد به في القول الصدق او ذكرهما مثلا والمراد به امثالهما والله تعالى اعلم بكتابه ورسوله ببيان خطابه وقد ورد عن علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه انه كان يقول في دعائه اغفر لي يا كهيعص كما سبق ثم اعلم انه ورد في صحيح البخاري ان ابن عباس رضي الله عنهما قال مكثت اريد ان اسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن اية سنة فما استطيع ان اسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت له يا امير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ازواجه قال تلك حفصة وعائشة رضي الله تعالى عنهما قال فقلت والله اني كنت لاريد ان اسألك عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت ان عندي منه علما فاسألني فان كان لي علم اخبرتك به هذا وذهبت طائفة من العلماء الى ان ذلك كان في قضية مارية القبطية وذلك ان المقوقس اهداها الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سرية فلما كان في بعض الايام وهو يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مارية فواقعها فجاءت حفصة فوجدتهما فاقامت خارج البيت حتى اخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مارية وذهبت فدخلت حفصة غيرى متغيرة فقالت يا رسول الله اما كان في نسائك اهون عليك مني أفي بيتي وفراشي فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرضيا لها ايرضيك ان احرمها فقالت نعم قال فاني قد حرمتها ثم قال لا تخبري بهذا احدا وخرج عنها فقرعت الجدار الذي بينها و بين عائشة واخبرتها بذلك لتسرها ولم ترفي افشائه لها حرجا واستكتمتها ذلك فنزلت الاية وهي قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا الى قوله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه واختلفوا هل حرمها بيمين او لا على قولين فقال قتادة والحسن والشعبي حرمها بيمين وقال غيرهم لم يحرمها بيمين ويروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وذهبت طائفة الى ان تظاهرهما عليه انما كان في قصة شربه صلى الله تعالى عليه وسلم العسل في بيت زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يمكث عندها فتسقيه عسلا قالت عائشة رضي الله عنها فتواطأت او قالت فتواصيت انا وحفصة على ان ايتنا دخل عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلتقل اني اجد منك ريح مغافير أواكلت مغافير وهو شجر كريه الرائحة فدخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على احداهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود له واستكتمها ذلك فاخبرت به عائشة فنزلت يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك يعني العسل لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولن اعود له الى قوله سبحانه ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه الاية والوجه الاول هو قول اكثر العلماء وروى مرسلا عن زيد بن اسلم من طرق صحاح رواه ابن وهب عن مالك رضي الله عنه قال حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ابراهيم رضي الله عنها فقال هي حرام فانزل الله في ذلك سورة التحريم واما الوجه الثاني فبه تواردت الاحاديث الصحيحة واخرجه البخاري عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها بنحو ما سبق وقال فيه انه شرب عند زينب كما تقدم وجاء في صحيح مسلم انه شربه عند حفصة وان اللتين تظاهرتا عليه هما عائشة وسودة رضي الله تعالى عنهن واكثر المحدثين على ما في البخاري والله سبحانه وتعالى اعلم

(الفصل التاسع)

(فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم) اعلم ان سورة الفتح نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منصرفه من الحديبية سنة ست من الهجرة وهو متوجه الى المدينة فهي على هذا في حكم المدني وقد قيل بل نزلت بالمدينة ولعل بعضها نزل بها وقد ثبت في فضلها احاديث لقد انزل الله علي سورة هي احب الي مما طلعت عليه الشمس اى شمس الوجود (قال الله تعالى انا فتحنا) اى بعظمتنا (لك) اى لا لغيرك او لاجلك (فتحا مبينا) اى ظاهرا

(الى قوله يد الله فوق ايديهم) ومعناه قوله سبحانه وهو القاهر فوق عباده وكثير من السلف وبعض الخلف
على ان الله سبحانه وتعالى يدا لا بمعنى الجارحة بل انها صفة له تعالى على وجه يليق بذاته وكذا قالوا فى الاستواء
وسائر آيات المتشابه واحاديث الصفات ثم ما بينهما سيأتى مبينا وفى اثناء الكلام معينا وقد اختلف فى هذا الفتح
فقال كثيران هذا هو ما اتفق له صلى الله تعالى عليه وسلم فى طريق الحديبية من التيسير واللطف وذلك ان
المشركين كانوا اذذاك اقوى من المسلمين فيسر الله سبحانه ان وقعت بينه وبينهم المصالحة ريثما يتقوى صلى الله
تعالى عليه وسلم واتفق له بعد ذلك بيعة الرضوان وهى الفتح الاعظم واستقبل صلى الله تعالى عليه وسلم فتح خيبر
فامتلأت ايدى اصحابه خيرا ولم يشترك فيه مع اهل الحديبية احد ممن تخلف منهم ثم ما وقع فى ذلك الوقت من الملحمة
التى كانت بين الروم وفارس فظهرت فيها الروم وكان ذلك فتحا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه لانهضام
شوكة الكفر العظمى ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم كونه فتحا له من سورة الروم فكانت هذه كلها من جهة
الفتح الذى جاءت الآية منبهة عليه وقد ذكر ابن عقبة انه لما كان صلح الحديبية ونزلت الآية قال رجال من اصحاب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصدهدينا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو اعظم الفتوح قد رضى المشركون ان يدفعوكم بالرواح عن بلادهم
ويرغبوا اليكم فى الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا واظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين وهو اعظم الفتوح
فقال المسلمون صدق الله ورسوله هو اعظم الفتوح يا رسول الله وانت اعلم بالله وبامره منا وذهب بعض المفسرين
الى ان الفتح فى الآية انما هو اشارة الى فتح مكة فمعنى فتحنا على هذا قضينا وقدرنا والاظهر ان فتح الحديبية كان سببا
لفتح مكة وذهب بعضهم الى ان الفتح فى الآية انما هو الهداية الى الاسلام اى على الوجه العام ومال الزجاج اليه
واستحسنه لامكان الجمع بالحمل عليه قال المصنف (تضمنت هذه الآيات) اى الواردة فى صدر السورة (من فضله) اى
من جملة فضائله (والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما) اى الذى او شيأ (يقصر الوصف عن الانتهاء
اليه) اى لقصور احاطة العلم به (فابتدأ جل جلاله باعلامه) اى باعلام الله نبيه (بما قضاه له من القضاء البين) اى بما
حكم له وقدره من الفتح المبين حيث قال انا فتحنا لك فتحا مبينا اى انا قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل عام
الحديبية (بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته) اى طريقته وفى نسخة شيعته اى امته بعد صده بها عنها
وهذا قول آخر للمفسرين مغاير لما سبق من وجه اوهو وعد بفتح مكة كما تقدم وعبر بالماضى لتحققه اولما اتفق له بعد
نزولها كفتح خيبر وفدك اولما ظهر له فى الحديبية من آية عظيمة وهى ان ماءها نضب فلم يبق بها قطرة فتمضمض ثم مج فيها
فدرت ماء حتى رووا كلهم (وانه) عطف على اعلامه اى وبانه صلى الله تعالى عليه وسلم (مغفور له غير مؤاخذ) بالهمز
ويبدل واوا وهو تأكيد لما قبله لتضمنه معناه (بما كان وما يكون) حيث قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
والمعنى لو كان لك ذنب قديم او حديث لغفرناه لك ولا يكون على هذا اثبات لوقوع الذنب ثم غفرانه خلافا لما يتوهم
من كلام المصنف (قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اى انك مغفور لك) اى عما يصح ان يعاتب عليه كما فى قوله
تعالى لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين عبس وتولى ان جاءه الاعمى والاظهر ان فى الآية ايماء الى ان العبد
ولو وصل الى اعلى مرتبة المقدرة لم يحصل له استغناء عن المغفرة لقصور الاطوار البشرية فى القيام بحق العبودية على
ما اقتضته الربوبية وقيل عد الاشتغال بالامور المباحة والتفكر بالهمة فى مهمات الامة سيئات من حيث انها اغفلة
عن مرتبة الحضرة فى الجملة ولذا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين ثم قوله تعالى ليغفر لك الله علة للفتح من حيث
انه مسبب عن جهاد الكفار والسعى فى اعلاء دينه وازاحة شرك الاغيار وتكميل النفوس الناقصة اجبارا او اعتبارا
ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من ايدى الظلمة اختيارا (وقال مكى جعل الله المنة) اى العطية
والامتنان بالفتح او بالهداية الى الاسلام (سببا للمغفرة وكل) اى من المنة والهداية والمغفرة حاصل (من عنده)
اى لقوله سبحانه وتعالى قل كل من عند الله (لا اله غيره) اى حتى يكون قضاء شئ من عنده ويروى لا اله الا هو (منة)
اى عطية وامتنانا حال او مفعول مطلق (بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال) اى الله عز وجل (ويتم نعمته عليك)
اى بجمعه لك النبوة والملك وظهور دينك وفتح البلاد عليك وغير ذلك ومنها قوله (قيل بخضوع من تكبر لك)
متعلق بخضوع والمعنى بتواضع من تكبر عليك لاجلك بالانقياد لك والخضوع والخشوع بين يديك والتذلل اليك
وفى نسخة بخضوع من تكبر عليك (وقيل بفتح مكة والطائف) اى واقبال اهلهما اليك طوعا وكرها (وقيل
برفع ذكرك فى الدنيا وينصرك ويغفر لك) بصيغ الافعال تفسير على وفق المفسر وهو قوله ويتم وهو الاظهر وقال
التلمسانى بياء الجر وكلها مصادر ويجوز الفعل وكذا قال الحجازى ويروى برفع ذكرك ونصرك وغفر لك بالموحدة

وتنوين الاخير انتهى وفيه ان الغفر بمعنى المغفرة قليل الاستعمال ثم هذه اقوال تناولها عموم الآية ولا مرجح لها
فالاولى حملها على عمومها ثم مجمل هذه الاقوال ومحصل هذه الاحوال ما ذكره المصنف بقوله (فاعلمه) اى الله
سبحانه (بتمام نعمته عليه) الاولى باتمام نعمته اى باكمال انعامه واحسانه اليه (بخضوع متكبرى عدوه له)
الباء متعلق بنعمته او بدل مما قبله او بمعنى من البيانية له ولما بعده اى من تواضع اعدائه المتكبرين عليه سابقا غاية
التواضع ولاحقا (وفتح اهم البلاد عليه) لان مكة كانت صقع المشركين وكانت العرب انما تنتظر بالاسلام
ما يكون من اهل مكة مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان اسلموا اسلموا فكانت مكة لهذا المعنى اهم البلاد
لان اسلام اهلها يستلزم اسلام جميع المشركين او اكثرهم ولذا كثر المسلمون بعد فتح مكة ودخلوا فى دين الله افواجا
وفى نسخة اسنى البلاد اى افضلها لكون القبلة فيها ومعدن النبوة بها وهى ام القرى ويتبعها ما حولها (واحبها اليه)
اى على الاطلاق وانما صارت المدينة احب من سائر البلاد اليه بعد خروجه منها كما هو ظاهر حديث اللهم انك
اخرجتنى من احب البقاع الى فاسكنى احب البقاع اليك فاسكنه المدينة كما اخرجه الحاكم فى مستدركه الا ان فى سنده
عبد الله المقبرى وهو ضعيف جدا فلا يصلح لاستدلال المالكية لافضلية المدينة ومما يدل على قول الجمهور فى افضلية
مكة ما رواه الزهرى عن ابى سلمة عن عبد الله بن عدى الحمراء وفى رواية عن ابى هريرة يرفعه ان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم حين خرج الى الهجرة هو وابو بكر رضى الله عنه وقف ينظر الى البيت ثم قال والله انك لاحب ارض الله الى وانك
لاحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجونى ما خرجت وما جاء فى حديث آخر عن ابن عباس رضى الله عنهما ان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لمكة ما اطيبك من بلد واحبك الى ولولا ان قومى اخرجونى منك ما سكنت
غيرك فاندفع بهذا ما قيل من ان الاحب لا يعارض الافضل خصوصا بحسب الجبلة الطبيعية (ورفع ذكره) اى مما نشأ
عليه كله من نصره اياه على عدوه فعمومها شامل له بخصوصه وهو بالجر عطف على ما قبله واما قوله (وهدايته
الصراط المستقيم) وكذا ما بعده فبالجر الا انه عطف على تمام اى واعلمه بهدايته الى الصراط المستقيم اى بقوله
ويهديك صراطا مستقيما وهو بالصاد والسين واشمام الزاى فى السبعة وبالزاى الخالصة فى الشاذة والهداية يتعدى
بنفسه تارة كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وبالى اخرى كقوله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم وباللام ايضا
ومنه قوله سبحانه وتعالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم (المبلغ الجنة والسعادة) بكسر اللام المشددة ويجوز
تخفيفها نعت للصراط اى الموصل الى اسباب الجنة وابواب السعادة واصناف السيادة (ونصره النصر العزيز)
بقوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا اى نصرا غالبا قويا فيه عز ومنعة وقوة وشوكة ظاهرة وباطنة او نصرا يعز به
المنصور فوصف بوصفه للمبالغة وقال المنجانى عزيز فى هذه الآية بمعنى معز كاليم بمعنى مؤلم وحبيب بمعنى محب
فنصر معز وهو المتضمن لغلبة العدو وقهره ونصر لا بهذه الصفة وهو المتضمن لدفع اذى العدو فقط (ومنته)
اى واعلمه بامتنانه (على امته المؤمنين بالسكينة) اى بانزال السكينة (والطمأنينة) عطف تفسير وهو بضم اوله
وبهمز ويسهل فيبدل مصدر اطمأن سكن ويروى الطمأنينة والسكينة وقيل السكينة هى الرحمة وقيل الوقار
والرزانة وقيل الاخلاص والمعرفة (التى جعلها الله فى قلوبهم) بقوله تعالى هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اى يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة او ليزدادوا ايمانا بالشرائع المجددة اللاحقة مع ايمانهم
بالاحكام المقررة السابقة لان حقيقة الايمان وهى التصديق غير قابلة للزيادة والنقصان عند ارباب التحقيق والله
ولى التوفيق (وبشارتهم) بكسر الباء بمعنى ما يسر به اى واعلمه ببشارة امته (بما لهم) اى عند ربهم كما فى رواية (بعد)
بضم الدال اى بعد حالهم (وفوزهم) اى نجاتهم وظفرهم (العظيم) اى فى مآلهم (والعفو عنهم) اى المحو لعيوبهم
(والستر لذنوبهم) اى فيما جرى لهم والستر بالفتح مصدر وبالكسر اسم بقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما واللام علة لما دل
عليه قوله تعالى ولله جنود السموات والارض من التدبير وحسن التقدير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين
على الكافرين ليعرفوا نعمة ربهم ويشكروها فيدخلوا الجنة ويتنعموا بما فيها (وهلاك عدوه) اى اعداء النبى
والمؤمنين (فى الدنيا والآخرة ولعنهم) اى طردهم (وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم) بفتح اللام اى قبح انقلابهم
اى سوء مرجعهم ومصيرهم والمعنى انه اعلمه ذلك بقوله تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وظنهم هو ان لا ينصر الله رسوله
والمؤمنين وعليهم دائرة ما ظنوه وتربصوه بالمؤمنين لا يتجاوزهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو بضم السين فى دائرة السوء
لا فى مطلق السوء على ما فى الجلالين وهما لغتان (ثم قال) اى الله سبحانه وتعالى (انا ارسلناك شاهدا) اى مزكيا

للاصفياء اومشاهد اللقاء فى مقام البقاء (ومبشرا) اى للمؤمنين الاحباء بما يحبونه (ونذيرا) للكافرين الاعداء بما يكرهونه وهى احوال مقدرة وردت بعض ما اوتيه مخبرة (الآية) كما سيأتى (فعد) اى الله تعالى بذلك (محاسنه) اى فضائله الحسنة (وخصائصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغ الرسالة لهم) اى بخلاف سائر الانبياء فانه لا تقبل شهادتهم على اممهم لانفسهم بل يحتاجون الى ان هذه الامة يشهدون على الامم بتبليغ انبيائهم لهم كما تقدم بيانه (وقيل شاهدا) اى يشهد يوم القيامه (لهم بالتوحيد) اى بتوحيدهم لله (ومبشرا لامته) اى و يبشرهم (بالثواب) اى فى دار النجاة (وقيل بالمغفرة) اى يبشر احباءه بحسن المآب (ومنذرا عدوه) اى يخوف اعداءه (بالعذاب وقيل) اى فى معنى منذرا (محذرا) اى يحذر امته (من الضلالات) اى من انواع الضلالة التى هى الكفر والفسق والبدعة (ليؤمن بالله) اى حق الايمان (ثم به) اى برسوله (من سبقت له من الله الحسنى) اى المنزلة الاسنى وهى الجنة العليا او المثوبة الحسنى ويدل عليه قوله تعالى ليؤمنوا بالله ورسوله (ويعزروه) اى يمنعوه ويحرسوه من اعدائه (اى يجلونه) وهو من الاجلال اى يعظمونه واثبات النون بناء على اصله قبل دخول لام الامر على مفسره (وقيل ينصرونه) اى على عدوه فى الجهاد او فى الاجتهاد فى نصرة دينه (وقيل يبالغون فى تعظيمه ويوقروه اى يعظمونه) الاظهر ان يقال يهابونه ويكرمونه ويخدمونه ويعدونه من اهل الوقار (وقرأ بعضهم) اى من قرآء الشواذ وقد نسب الى ابن عباس رضى الله عنهما (وتعززوه بزايين) بالياء بعد الالف وبالهمز وكلاهما صحيح ذكره التلمسانى والثانى غير صحيح لان الفرق المعروف بين الرآء والزاى بالياء فى الثانى وبتركه فى الاول فتأمل ولذا لم يقل بالزاى المعجمة لاستغنائه بالصورة عن القيد ولا رآء مهملة لما تقدم والله تعالى اعلم (من العز) اى العزة والتفعيل للتكثير والمبالغة والمعنى يعزوه غاية العزة واما جمهور القرآء فقرآءتهم بضم اوله وكسر الزاى مشددة وبعدها رآء وقرأ الجحدرى بفتح التاء وضم الزاى وكسرها وهو شاذ (والاكثر) اى القول الاكثر من المفسرين (والاظهر) اى من العلماء المعتبرين (ان هذا) اى قوله تعالى يعزروه ويوقروه انزل (فى حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه اقرب ذكرا فيرجع ضميراهما اليه ومما يدل عليه قوله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه (ثم قال ويسبحوه) اى ينزهوه او يصلوا له (بكرة واصيلا) اى نهارا وليلا (فهذا) اى ضمير يسبحوه (راجع الى الله تعالى) ويؤيده ان ارباب الوقوف القرآنية جعلوا الوقف المطلق فوق قوله سبحانه وتعالى ويوقروه ايماء الى قطع ما قبله عما بعده وقيل الضمائر الثلاثة لله واريد بتعزيره تعالى تقوية دينه وتأييد نبيه ثم اعلم ان ابن كثير وابا عمرو قرآ بالغيبة فى الافعال الاربعة والباقون بالخطاب له ولامته اولهم تنزيلا لخطابه منزلة خطابهم فعلى الاول تقديره الآية انا ارسلناك ليؤمنوا بالله وبك يا محمد وعلى الثانى تقديره ليؤمن بك من آمن (وقال ابن عطاء جمع) بالبناء للمجهول لان فاعله معلوم والمعنى اجتمع (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه السورة) اى سورة الفتح (نعم مختلفة) اى متعددة متكثرة او مختلفة من حيث ذواتها وان كانت من حيث صفاتها مؤتلفة (من الفتح المبين) من بيانية للنعم المتقدمة (وهو) اى الفتح المبين (من اعلام الاجابة) بفتح همزة اعلام على انه جمع علم بفتح اللام اى من علامات قبول اجابة الله (لدعوته) صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قد سأله النصر فى مواطن كثيرة وفى الحديث من فتح له باب الدعاء فتح له باب الاجابة (والمغفرة) اى ومن المغفرة (وهى) اى المغفرة (من اعلام المحبة) لقوله تعالى ردا لاهل الكتاب فى محكم الخطاب وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم والمعنى انكم لو كنتم احباءه لما عذبكم بذنوبكم كما يعذب اعداءه بل غفر لكم واكثر عليكم عطاءه ونعماءه ومن المعلوم ان المحبة من الله تعالى اما ارادة انعام او نفس احسان واكرام لنزاهة ذاته القدسى عن الميل النفسى (وتمام النعمة) اى ومن تمام النعمة (وهى من اعلام الاختصاص) اى منة له بما لم يؤته احدا غيره كما يستفاد من قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى (والهداية) اى ومن الهداية (وهى من اعلام الولاية) اى التأييد والنصرة (فالمغفرة) بالرفع مبتدأ (تبرئة) اى تنزيه منه له (من العيوب) اى عيوب الذنوب وفى نسخة تنزيه من العيوب واما قول الحلبى وهو بكسر الرآء المشددة ثم همزة مضمومة من البرآءة فخطأ ظاهر فى العبارة اذ الصواب انه بفتح التاء وسكون الموحدة وبكسر الرآء المخففة وفتح الهمزة مصدر برأه يبرئه تبرئة على وزن تفعلة والذى ذكره انما هو بضم الرآء مصدر تبرأ منه وهو غير مناسب للمقام كما لا يخفى على العلماء الاعلام (وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة) اى ايصاله تعالى له الى درجة لا درجة فوقها (والهداية وهى الدعوة الى المشاهدة) اى الى الحضرة فى مقعد صدق وقرب مكانة وكرامة لا قرب مكان ومسافة (وقال جعفر بن محمد) اى ابن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم (من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه) اى اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الحبيب عند محبه فالمحبة اصفى وذلك انها من حبة القلب بخلاف الخلة فانها اود تخلل النفس وخالطها (واقسم بحياته)

اى فى قوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون اى وحياتك يا محمد وتقديره لعمرك قسمى والعمر بفتح العين لغة فى العمر بالضم خص به القسم ايثارا لخفته لكثرة دوران القسم على السنتهم (ونسخ به شرائع غيره) لقوله عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى (وعرج) بفتح الرآء اى صعد (به الى المحل الاعلى) اى المنزل الاعلى وهو بفتح الحاء وكسرها والاول اولى والمراد به مقام قاب قوسين او ادنى (وحفظه فى المعراج) اى عن مطالعة السوى والمعراج الدرجة وقيل سلم تعرج فيه الارواح وجاء انه احسن شئ لا تتمالك الروح اذا رأته ان تخرج وان تشخص بصر الميت من حسنه (حتى ما زاغ البصر وما طغى) اى ما مال الى الهوى ولا تجاوز عن المولى (وبعثه الى الاسود والاحمر) اى الى العرب والعجم او الجن والانس لقوله عليه الصلاة والسلام بعثت الى الاحمر والاسود وفى رواية بعثت الى الناس كافة ولقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس اى الا رسالة عامة لهم محيطة بهم من الكف فانها اذا عمتهم كفتهم عن ان يخرج منها احد منهم (واحل له ولامته الغنائم) لقوله عليه الصلاة والسلام احلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وفى رواية احلت لنا الغنائم (وجعله شفيعا) اى يوم الجمع لجميع الخلائق (مشفعا) بتشديد الفاء المفتوحة اى مقبول الشفاعة فى مقام محمود يحمده فيه الاولون والاخرون كما روى عن ابن عباس رضى الله عنه مرفوعا (وسيد ولد آدم) اى وجعله سيد البشر ولما كان بعض اولاد آدم افضل منه فيلزم منه انه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من آدم عليه السلام بطريق البرهان الذى يسمى بالاولى ومنه قوله تعالى فلا تقل لهما اف اى فكيف الضرب بالكف وهو مقتبس من قوله عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر اى ولا اقول فخرا النفسى بل تحدثا بنعمة ربى وتقييد يوم القيامة لانه وقت ظهوره ونظيره والملك يومئذ لله والحديث رواه احمد والترمذى وابن ماجه عن ابى سعيد مع زيادة وما من نبى آدم فمن سواه الا تحت لوآئى ولا فخر وفى رواية لمسلم وابى داود مع زيادة واول شافع واول مشفع ولا فخر وفى البخارى انا سيد الاولين والاخرين ولا فخر (وقرن) اى جمع ووصل (ذكره بذكره) كما يستفاد من قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك ومن قوله سبحانه وتعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول (ورضاه برضاه) لقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه (وجعله احد ركنى التوحيد) اى المعتبر فى الدين (ثم قال ان الذين يبايعونك) اى يعقدون الميثاق معك على قتال اهل الشقاق (انما يبايعون الله) لانه المقصود بالبيعة بالاتفاق (يعنى) اى يريد الله بهذه المبايعة (بيعة الرضوان اى انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم) استئناف مؤكد لما قبله (يريد) اى الله ان يده فوق ايديهم (عند البيعة) اى على طريق الخصوصية قال التلمسانى قوله يريد عند البيعة صوابه معناه عند البيعة والا فالارادة والعناية فى كلام المخلوقين ولا ينبغى ان يقول المفسر يعنى ولا يريد ولكن يقول من معناه او يجوز او يحتمل ونحو ذلك مما يجرى على الالسنة (قيل) اى المراد بيد الله (قوة الله) اى وقدرته والمعنى قوته وقدرته فى نصر رسوله فوق قواهم وقدرهم وقد اشار الهروى فى غريبه الى هذا القول فيكون فى الاية على هذا ذكر نعمة مستقبلة وعد الله بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وهى النصر له وعلى القول الذى بعده يكون فيها ذكر نعمة حاصلة قد شرف الله بها المبايعين واستعمال اليد ايضا فى اللغة بمعنى القوة موجود ومنه قوله تعالى اولى الايدى اى اولى القوى (وقيل ثوابه) اى المترتب على مبايعتهم بايديهم وانقيادهم فى متابعتهم فاليد بمعنى النعمة (وقيل منته) اى عطيته ومنه يقال لفلان على يد وفى الحديث اللهم لا تجعل لفاجر على يدا يحبه قلبى وقد قال الشاطبى رحمه الله اليك يدى منك الايادى تمدها والمعنى منته عليهم ونعمته لديهم ببيعتهم مما منحوه من العز فى الدنيا والثواب فى العقبى فوق منتهم عليك بمبايعتهم لك على ان يبذلوا انفسهم واموالهم قال المنجانى واليه ذهب اكثر المفسرين واستعمال اليد فى اللغة بمعنى النعمة كثير ومنه قول الشاعر

لجودك فى قومى يد يعرفونها * وايدى الندى فى الصالحين فروض

والى هذا المعنى يرجع قول من قال هى من الله سبحانه الثواب اعنى اليد فى الآية المثوبة ومن المبايعين الطاعة فان الثواب من الله تعالى داخل تحت منته والطاعة منهم داخلة تحت ما يمتنون به والا فليس اليد فى اللغة اسما للثواب ولا للطاعة (وقيل) اى المراد بيد الله (عقده) وفى نسخة عقوه وهو تصحيف وتحريف والمعنى انه تعالى اوجد البيعة واتم عقدها فاستعار لايجاد عقدها اسم اليد من حيث كان الادميون انما يفعلونه بايديهم وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب وجاء قوله سبحانه وتعالى فوق ايديهم مرشحا لهذه الاستعارة والايدى من المبايعين على هذا هى الجوارح على حقيقتها ولذا قال المصنف (وهذه) اى هذه الاقوال المختلفة المعانى فى لفظ اليد هل هى على سبيل الاشتراك والحقيقة او على سبيل النقل والمجاز والمختار انها (استعارات) اى اطلاقات مجازية لمناسبات سببية (وتجنيس فى الكلام) اى وتفنن فى العبارات الايمائية ولم يرد به التجنيس الصناعى وهو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى على ما ذكره التلمسانى وغيره بل اللغوى بمعنى المناسبة لان العقد مثلا اذا اطلق عليه اسم اليد فانما اراد التى بمعنى

الجارحة فبينها وبين الايدى فى الآية مناسبة والمناسبة كما ذكره التلمسانى ذكر الشئ مع ما يناسبه على جهة الاستعارة والتشبيه (وتأكيد لعقد بيعتهم اياه) اى من حيث ان بيعتهم معه صلى الله تعالى عليه وسلم كبيعتهم مع الله لا تفاوت بينهما فيده التى تعلو ايديهم هى يد الله تخييلا (وعظم شأن المبايع) بصيغة المفعول والمراد به محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) وقوله عظم بكسر العين وفتح الظاء مجرور عطفا على ما قبله اى وتأكيد لعظمة شأنه وفخامة سلطانه من حيث جعل بيعتهم له بيعتهم لله سبحانه كجعل طاعته طاعته (وقد يكون من هذا) اى من قبيل قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (قوله تعالى فلم تقتلوهم) اى كفار بدر بنصركم وتسليطكم اياه (ولكن الله قتلهم) اى بهما اذ هو الخالق للقتل واسبابه وهم المباشرون له بقوة الله عندا كتسابه (وما رميت) اى رميا يوصل التراب الى اعينهم ولم تقدر عليه (اذ رميت) اى يوم بدر وحنين وجوههم صورة واكتسابا واخذا وارسالا (ولكن الله رمى) اى حقيقة وتبليغا واصابة فبلغ رميه تعالى منهم حدا لم يبلغ رميك من ايصاله التراب الى اعينهم جميعا فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وتمكنتم منهم قتلا واسرا (وان كان الاول) يعنى ان الذين يبايعونك وان وصلية (فى باب المجاز) اى ادخل فى ذلك الباب والاظهر ان يقال من باب المجاز كما فى اصل الدلجى وكذا قوله (وهذا) اى فلم تقتلوهم الآية (فى باب الحقيقة لان القاتل والرامى بالحقيقة) وروى فى الحقيقة (هو الله وهو خالق فعله) اى فعل المباشر من قتله ونحوه (ورميه وقدرته عليه) اى ايجادا وابداعا وهو القاتل مباشرة واكتسابا ومن ثم اسند الفعل اليه حقيقة ايضا كما انه نفاه عنه ايضا لكن بين الحقيقتين بون بين وبيان ظاهر لمذهب اهل السنة والجماعة من ان العبد له نسبة الكسب فى الحقيقة على الجملة والحاصل انه سبحانه وتعالى وصف نفسه فى هذه الآية بالقتل والرمى من حيث كونه هو الذى حصل اثرهما ومنفعتهما وان كان النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه هم الذين قتلوا ورموا فهو على هذا من باب اطلاق السبب الذى هو القتل والرمى على المسبب الذى هو الاثر والمنفعة كما سبق فى الآية المتقدمة واما من يقول ان الله تعالى هو الفاعل لكل شئ على الحقيقة ونسبة الفعل الى غيره مجاز فلا تشبيه فيه لهذه الآية السابقة ولا تفريق بينهما فافهم (ومسببه) اى وهو سبحانه وتعالى مسبب سبب فعل عبده وفى نسخة مشيئته اى ارادته كذا ذكر فى حاشية وليس لها وجه ظاهر بل هو تصحيف كما لا يخفى (ولانه) اى الشأن (ليس فى قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت) اى الى وجوههم فاعمت ابصارهم (حتى لم يبق منهم من لم تملأ) اى تلك الرمية (عينيه) اى ترابا (وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة) اى فى الصورة الكسبية والاضافة النسبية مثل اسناد القتل الى افراد البشرية وانما احتاج الى ذكرهم لئلا يتوهم ان القدرة الملكية ليست كقوى البشرية فى الاحتياج الى القوة الالهية والقدرة السبحانية فان المخلوقات بامرها متساوية فى مرتبة العبودية فاندفع بتحريرنا ما توهم الدلجى خلاف تقريرنا حيث قال وما احق هذا بالتعجب لان القاتل حقيقة ايضا بالنسبة اليهم هو الله وهو خالق فعلهم وقدرهم ايجادا وابداعا وهم القاتلون مباشرة واكتسابا فلا خصوصية لهم بكون قتلهم حقيقة بدون اسناده الى الله حقيقة انتهى وظهر لى وجه آخر انه اراد بقوله حقيقة انه وقع من الملائكة نوع من المباشرة فى قتل الكفرة لانه انما كان نزول المعركة لمجرد وصول البركة وحصول النصرة (وقد قيل فى هذه الآية الاخرى) اى الاخيرة وهى قوله تعالى فلم تقتلوهم الآية (انها على المجاز العربى) بالباء اى اللغوى اعنى استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة بين المعنى المجازى والحقيقى وهى هنا السببية وفى نسخة العرفى بالفاء قال العلامة محمد بن خليل الانطاكى الحنفى فى حاشيته المسماة بزبدة المقتفى اعلم ان المجاز ان تجوز مستعمله عن معنى وضع ذلك اللفظ له واضع اللغة فهو المجاز اللغوى كالاسد للشجاع وان تجوز عما وضعه الشارع له وهو الله ورسوله فهو المجاز الشرعى كالصلاة للدعاء وان تجوز عما وضعه طائفة معينة فهو المجاز العرفى الخاص كالفعل للحدث وان لم تكن معينة فهو المجاز العرفى العام كالدابة للشاة (ومقابلة اللفظ) اى وعلى مقابلة اللفظ (ومناسبته) اى لما بينهما من العلاقة المؤذنة باستعمال ما وضع للسبب من اللفظ فى مسببه (اى ما قتلتموهم) اى ايها الامة حين قتلتموهم بالات القتل (وما رميتهم انت) ايها النبى (اذ رميت وجوههم بالحصباء) بالمد اى بالحصى او بالاحجار الصغار يخالطها التراب (والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع) اى واوقع فى صدورهم الرعب والفزع (اى ان منفعة الرمى) اى وكذا فائدة القتل (كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامى بالمعنى) اى الذى هو ابتلاؤهم بالرعب وادخال التراب فى اعينهم حتى انهزموا (وانت) اى القاتل والرامى (بالاسم) اى من حيث مباشرتهما بالوسم وصورة المبنى وحذف قوله القاتل والرامى فى الجملة الاخيرة للعلم به من الجملة المتقدمة اذ هو من دلائل الاوائل على الاواخر والله اعلم بالظواهر والضمائر والحاصل فيه ما حكى عن المهدوى واوضحه هبة الله بن سلامة ان الرمى اخذ وارسال وتبليغ وايصال فالذى اثبت الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم هو الاخذ

والارسال والذى نفى عنه واثبته لنفسه هو التبليغ والايصال والله تعالى اعلم بالحال ثم اعلم بطريق الانعطاف الى القضية الامنية ان السكينة الواقعة فى الآية المكنية هى كناية عن تسكين نفوس المؤمنين بتحصيل اليقين وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اخبرهم حين توجه للحديبية بانهم يدخلون مكة آمنين ويطوفون بالبيت لرؤيا كان رآها فذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية انه خلق فى نفوسهم ثقة بهذا وجعلها مستقرة فى نفوسهم ومستمرة الى ان يقع ما وعدهم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويشاهدوه معاينة فيزدادوا بذلك ايمانا مع ايمانهم وقد قضى الله ان يكون ما وعدهم به رسوله لان رؤيا الانبياء وحى ولكن فى غير ذلك التوجه ولهذا لما انكشف امر الحديبية عن الصلح قال بعض اصحابه يا رسول الله الم تقل لنا انا ندخل مكة آمنين ونطوف بالبيت فقال لهم بلى أفقلت لكم فى عامى هذا فكان تحقيق هذا فى عام الفتح والى ذلك اشار الله سبحانه وتعالى بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وجاء قوله سبحانه وتعالى فى هذه الآية ولله جنود السموات والارض باثر ذكر السكينة زيادة فى تسكين نفوسهم واشعارا بان الله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء ثم عقب ذلك بوصفه نفسه بالعلم والحكمة اى فلا تستعجلوا ما وعدكم به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان الله يعلم فى تأخير ذلك حكمة وهو معنى قوله تعالى فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وقوله سبحانه وتعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات اريد بهم الذين انزل السكينة فى قلوبهم فصد قوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى حديث الترمذى بسند صحيح من رواية قتادة عن انس رضى الله عنه قال نزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقرأها عليهم فقالوا هنيئا مريئا يا نبى الله قد بين الله لك ما يفعل بك فما يفعل بنا فنزل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم والواو لمطلق الجمع والا فتكفير السيئة قبل ادخالهم الجنة هذا وقد ذكر المفسرون فى قوله تعالى الظانين بالله ظن السوء معنيين احدهما انه كناية عن قولهم ان ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا والاخر انه كناية عما يعتقدونه من صفات الله سبحانه وتعالى على غير ما هى عليه فهو ظن سوء باعتبار انه كذب وموصل اصاحبه الى جهنم ودائرة السوء المصيبة السوء وسميت دائرة من حيث انها تحيط بصاحبها كما تحيط الدائرة بمركزها على السواء من كل الجهات والى هذا مال النقاش فى تفسيره وذهب بعضهم الى انها سميت دائرة لدورانها ابدورات الزمان لان الزمان لما كان يذهب ويجيء على ترتيب واحد صار كانه مستدير ومنه حديث وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فكان الخطوب والحوادث فى طيه تدور بدورانه ثم سميت بيعة الحديبية بيعة الرضوان لقوله سبحانه وتعالى فيها لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهى سمرة من شجرة العضاه وذهبت بعد سنين من الهجرة ومر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته بذلك الموضع فاختلف اصحابه فى موضعها وكثر تشاجرهم فى ذلك فقال عمر هذا هو التكلف سيروا واتركوها وكان الذين بايعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الفا واربعمائة فى احدى الروايتين عن جابر والفا وخمسمائة فى الرواية الاخرى عنه فبايعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان لا يفروا قال جابر ولم يبايعوه على الموت وقال سلمة بن الاكوع فى حديثه بايعناه على الموت وكلا الحديثين صحيح لان بعضهم بايع على ان لا يفر ولم يذكر الموت وبعضهم بايع على الموت ولم يتخلف عن هذه البيعة احد ممن حضر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا الجد بن قيس فانه اختبأ تحت ناقته وكان عثمان رضى الله تعالى عنه غائبا بمكة فبايع عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وقال هذه يد عثمان رضى الله عنه وكانت هذه البيعة بسبب غيبة عثمان عند ما ذكر ان اهل مكة قتلوه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم عند ما توجه الى مكة اراد ان يبعث رجلا الى قريش يخبرهم انه لا يريد حربا وانما جاء معتمرا فبعث اليهم خراش بن امية الخزاعى فلما وصل اليهم ارادوا قتله فمنعته الاحابيش قال ابن قتيبة فى المعارف وهم جماعة اجتمعوا وتحالفوا ان يكونوا كلا على من سواهم والتحبش فى كلام العرب التجمع وخلوا سبيل خراش حتى اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره بذلك فاراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يبعث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اليهم فقال عمر يا رسول الله انى اخاف قريشا على نفسى وليس بمكة من عدى بن كعب من يمنعنى وقد علمت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن ادلك على رجل اعز بها منى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان فبعثه الى ابى سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يأت للحرب وانما جاء زائرا البيت ومعظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه ابان بن سعيد بن العاص قبل ان يدخل مكة فترجل له وحمله على دابته واجاره بالزاى فانطلق عثمان حتى اتى ابا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ارسله به فقالوا له حين فرغ ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لافعل حتى يطوف

به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واحتبسته قريش عندها تبره وتكرمه فاتفق ان خرج صارخ فى عسكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد قتل عثمان فاغتم المؤمنون وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانبرح ان كان هذا حتى نلقى القوم وامر مناديه فدعا الى البيعة وبلغ بعد ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الذى كان من امر عثمان باطل وجاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سالما الحمد لله على ذلك والمبايعة فى الاية مفاعلة من البيع لان الله سبحانه وتعالى باع منهم الجنة بانفسهم واموالهم وباعوه انفسهم واموالهم بالجنة وبقية قضية الحديبية فى المواهب اللدنية

(الفصل العاشر)

(فيما) اى فى ذكر ما (اظهره الله فى كتابه العزيز) اى المنيع الذى لايعترى ساحة عزه ابطال وتحريف او الكثير النفع العديم النظير اللطيف (من كرامته عليه ومكانته عنده) الاولى لديه (وما) اى وفى بيان ما (خصه به من ذلك) اى الاكرام سوى ما انتظم) اى غير ما دخل (فيما ذكرناه قبل) هو مبنى على الضم مقطوع عن الاضافة اى قبل ذلك فى الفصول السابقة من الفضائل المتقدمة (من ذلك) اى الذى اكرم به ولم ينتظم فيما ذكره قبل (ما نصه الله تعالى) اى صرحه وفى نسخة قصه (من قصة الاسراء فى سورة سبحان) وفى نسخة فى قصة الاسراء من سورة سبحان وهى غير صحيحة (والنجم) اى وفى سورته وقد سبق الكلام عليه (وما انطوت) اى ومن ذلك ما اشتملت (عليه القصة) اى القضية (من عظيم منزلته وقربه) اى قرب مكانته المفهوم من قوله تعالى دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى (ومشاهدته) اى مطالعته (ما شاهده من العجائب) اى ما رآه من الغرائب المستفاد من قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى كرؤية الانبياء وتمثيلهم له ووقوفه على مقاماتهم وعجائب الملكوت وغرائب الجبروت ومشاهدة الملائكة المقربين وحملة العرش والكروبيين ورؤية العرش المحيط بالسموات والارضين ورؤية رب العالمين مع كون ذهابه وايابه فى برهة من الليل مسيرة ما لايعلمه احد من المهندسين وقد ورد ان ما بين الارض وسماء الدنيا مسافة خمسمائة عام وكذا ما بين كل سماء وسماء وكذا غلظ كل سماء وجميع السموات والارضين بجنب الكرسى كحلقة فى فلاة وهو بجنب العرش كحلقة فى فلاة وقد تعجب قريش من ذلك واحالوه ولا استحالة فيه عند ارباب العقول اذ ثبت عند الحكماء فى علم الهندسة ان ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ومع ذلك فطرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ساعة وقد حكم علماء الكلام من علماء الانام بان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على جميع الممكنات فلا ينكر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فيه صلى الله عليه وسلم او فى البراق كيف وقد ورد انه يضع حافره عند منتهى طرفه والتعجب من لوازم المعجزات (ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس) اى يحفظك من تعرض اعدائك روى الترمذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فقال يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله ولا ينافيه ما فى البخارى وغيره من شج وجهه وكسر رباعيته يوم احد لخصوص العصمة بالقتل تنبيها على انه يجب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتحمل ما دون النفس لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اشد الناس من جهة البلاء او انهما بعد وقعته قال المنجانى والمراد بالناس فى الاية الكفار بدليل قوله تعالى ان الله لايهدى القوم الكافرين قلت الظاهر هو العموم ولا دلالة فى الاية على قصد الخصوص عند ارباب الفهوم وان كان الخصوص من الخارج هو المعلوم (وقوله) بالجر اى ومن ذلك عصمته منهم قبل نزول تلك الاية بقوله تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا الاية) ذكره سبحانه وتعالى بعد الفتح مكر قريش به بمكة قبل الهجرة ليشكر نعمة ربه بخلاصه من مكرهم به واحتيالهم عليه فالقضية مكية والاية مدنية اى واذكر اذ يمكرون بك فى دار الندوة متشاورين فى امرك بحضور عدو الله ابليس حيث دخل فيهم وقال انا شيخ من نجد سمعت اجتماعكم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا ليثبتوك بوثاق او حبس اشارة الى قول ابى البخترى ارى ان تحبسوه وتشدوا منافذه الى كوة تلقون اليه منها طعامه وشرابه حتى يموت فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من قومه من يخلصه منكم او يقتلوك اشارة الى قول ابى جهل لعنة الله عليه ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما مع كل واحد سيف ويضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوه عقلناه فقال ابليس صدق الفتى او يخرجوك اشارة الى قول هشام بن عمرو ارى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال ابليس بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فتفرقوا على رأى ابى جهل فاخبره جبريل بذلك وقال له لاتنم الليلة فى مكان نومك فامر عليا ان ينام فيه وخرج عليهم وقد اجتمعوا عشاء لقتله واخذ كفا من تراب فنثره على رؤسهم يقرأ يس والقرآن الحكيم الى قوله تعالى لايبصرون وهذا معنى قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فمكر الله من باب المشاكلة

او محمول على المعاملة (وقوله) بالجر اى ومنه عصمته بقوله تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله) اى ان لم تنصروه ولم تخرجوا معه الى غزوة تبوك فسينصره من نصره عند قلة اوليائه وكثرة اعدائه اذ اخرجه الذين كفروا وليس معه الا ابو بكر فحذف الجواب واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه واسند اليهم الاخراج لتسبب اذن الله له فى الخروج عن همهم به فكانهم اخرجوه وقوله ثانى اثنين حال من ضمير اخرجه اى احد اثنين روى ان جبريل لما امره بالخروج قال من يخرج معى قال ابو بكر (وما دفع الله) اى ومنه ما دفعه الله (به) اى بنصره (عنه فى هذه القصة) اى قصة مكرهم به لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله ولما قيل من حفر بئرا لاخيه وقع فيه والمعنى ما حفظ الله له (من اذاهم) اى ليلة عزموا على قتله (بعد تحزبهم) اى تجمعهم ووقع فى نسخة بعد تحريبهم براء مكسورة مشددة فتحتية اى بعد قصدهم (اهلكه) بضم اوله وسكون ثانيه اى هلاكه (وخلوصهم) اى وبعد انفرادهم واعتزالهم خالصين من مخالطة غيرهم (نجيا) مصدرا او وصف اريد به معنى الجمع وقد جاء مفردا فى قوله تعالى وقربناه نجيا وجمعا فى قوله تعالى خلصوا نجيا كما هو المراد هنا اى متناجين ومتشاورين (فى امره) اى على اى صفة يؤذونه ليظفروا بحاجتهم فطوقوا بخيبتهم (والاخذ) بالجر فى اكثر النسخ واقتصر عليه الدلجى حيث قال والظاهر كما فى نسخة مصححة رفعه عطفا على ما دفع لا على اذاهم لفساد المعنى كما لايخفى الا ان الاقرب والاظهر الانسب انه مجرور عطفا على تحزبهم وخلوصهم والمعنى بعد الاخذ (على ابصارهم عند خروجه عليهم) اى مع ابى بكر الى الغار ليلة قصدوا قتله وكذا الكلام من حيث المبنى والمعنى على قوله (وذهولهم) اى غفلتهم (عن طلبه فى الغار) اى مع ترددهم حوله فلم يهتدوا اليه وذلك بآيات اظهرها الله فى الحال من نسج العنكبوت على الغار حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما ارى الا انه قبل ان ولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبعث حمامتين على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت الحمام هناك والمراد بالغار نقب باعلى ثور جبل عن يمين مكة مسيرة ساعة واللام فيه للعهد (وما ظهر) اى لهم (فى ذلك من الآيات) اذ خرج عليهم وهم ببابه فلم يروه بناء على حجاب الله ونقابه تحت قبابه ونثره التراب على رؤسهم فلم يعلموا به حتى قيل لهم الى غير ذلك من الايات والمعجزات (ونزول السكينة عليه) اى ومن نزول الطمأنينة والامن الذى تسكن عنده النفوس على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤيده قوله تعالى وايده بجنود لم تروها او على ابى بكر رضى الله عنه لانه الذى كان منزعجا لقوله تعالى اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه ويؤيده ان بعض القراء جعل عليه وقفا لازما وجعل ما بعده كلاما مستأنفا او عطفا على صدر القصة مما يكون محلا قابلا لئلا يلزم تفكيك الضمير مع تجويز بعضهم ذلك كما فى قوله تعالى ان اقذفيه فى التابوت الاية واما قول الدلجى ان هذا هو الحق فليس فى محله لورود الخلاف عن اكابر المفسرين على ان التحقيق فى مقام الجمع على جهة التدقيق ان يقال المعنى فانزل الله سكينته على كل منهما بناء على ارادة زيادة الاطمئنان والسكون فيهما كما يدل عليه ما فى مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما ولا ينافيه ما ورد فى تسلية الصديق من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما (وقصة سراقة) بالجر عطفا على الايات اى ومن قصة سراقة (ابن مالك) اى ابن جعشم وهو الذى اعطت له قريش الجعائل واخذ فى طلب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين هاجر وساخت قوائم فرسه عند ذلك وهو الذى البس له عمر رضى الله عنه سوارى كسرى وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقد كان اخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فهى معجزة دائمة باقية الى يوم القيامة (حسب) بفتح الحاء والسين وقد يسكن الثانى واقتصر عليه الحلبى وغيره اى على قدر (ما ذكره اهل الحديث والسير) بكسر ففتح جمع سيرة وارباب السير من الشمائل والمغازى (فى قصة الغار وحديث الهجرة) اى مفصلا ومجملا لانه تبعهما حين توجها من الغار مهاجرين الى المدينة ليفتك بهما فرده الله خاسئا ثم اسلم بالجعرانة منصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف قال الحلبى وفى الصحابة من اسمه سراقة ثمانية عشر غيره (ومنه) اى ومن ذلك (قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر) ومعناه سيأتى اى الكثير من انواع التفضيل الا ان فوعل ابلغ من فعيل وفيه تسلية له عن موت ابنه ابراهيم (فصل لربك) فيه التفات من التكلم الى الغيبة اذ مقتضى الظاهر فصل لنا اى فدم على الصلاة كما امرنا او على صلاة العيد خالصا لوجهه وشكرا لانعمه فانها جامعة لانواع شكره لاشتمالها على اصناف ذكره ويؤيد الوجه الثانى قوله تعالى (وانحر) اى ضح بالبدن التى هى خيار اموال العرب وتصدق على المحتاجين من الفقراء والمساكين وقيل المراد بالنحر وضع المصلى يده فى الصلاة عند نحره ويروى هذا عن على كرم الله وجهه (ان شانئك) اى مبغضك (هو الابتر) اى مقطوع الخير والبركة فى الدنيا والاخرة او الذى انقطع عن بلوغ امله فيك (اعلمه الله) اى منة عليه فى هذه السورة (بما اعطاه) اى ببعض ما اولاه والا فعطاؤه لايمكن احصاؤه (والكوثر حوضه) اى لما فى مسلم

اتدرون ما الكوثر قيل الله تعالى ورسوله اعلم قال نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوضى ترده امتى يوم القيامة وضمير هو راجع الى النهر اشعارا بان له نهرا من الجنة منصبا فى حوضه يوم القيامة فلا ينافيه قوله (وقيل نهر) بفتح الهاء ويسكن (فى الجنة) كما يدل عليه حديث الترمذى رأيت فى الجنة نهرا حافتاه قباب اللؤلؤ قلت ما هذا يا جبريل قال الكوثر الذى اعطاك الله وحديثه ايضا اعطانى الله الكوثر نهرا فى الجنة يسيل فى حوضى (وقيل الخير الكثير) وهذا هو الاظهر لانه هو الحق كما عبر به الدلجى لانه فوعل من الكثرة بمعنى المفرط المبالغ فيها ويؤيده خبر ابن عباس رضى الله عنه فى البخارى الكوثر هو الخير الكثير الذى اعطاه الله قيل لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون انه نهر فى الجنة قال هو من الخير الكثير الذى اعطاه (وقيل الشفاعة) اى العظمى الشاملة للخلائق كلها المستفاد منها الكثرة (وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة) اى لاشتمالها على خيرات كثيرة واللام للعهد اى النبوة العظيمة او النبوة المختوم بها ليتميز بها عن غيره بنوع المزية (وقيل المعرفة) اى الكاملة وهذه اقوال حسنة معانيها الا انه لا دلالة على ما فيها (ثم اجاب) اى الله سبحانه وتعالى (عنه) اى بدلا منه صلى الله تعالى عليه وسلم (عدوه) اى العاص بن وائل او ابا جهل ونحوه (ورد عليه) حين مات ابنه القاسم (قوله) اى ان محمدا قد اصبح ابتر اى قليل العدد مقطوعا من الولد اذا مات ذكره لانه لا عقب له (فقال ان شانئك هو الابتر اى عدوك ومبغضك) بالنصب تفسير لشانئك (والابتر الحقير الذليل) اى على ما قيل وهو الذى لا ذكر حسن له ولا ثناء جميل (او المفرد) بفتح الراء اى المنفرد (الوحيد) اى الذى لا ولد له ولا عقب (او الذى لا خير فيه). واما هو صلى الله تعالى عليه وسلم فذكره حسن وثناؤه جميل ونسبه مستمر وآثار انواره باقية الى يوم القيامة وما لا يدخل تحت العبارة فى الآخرة (وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم قيل) وهو المحكى عن ابن عمر وابن مسعود والمنقول عن ابن عباس (السبع المثانى السور الطوال) بكسر الطاء جمع الطويلة كما صرح به الشراح فاندفع به قول الحجازى هكذا وقع فى الكتاب وصوابه الطول مضموم الطاء دون الف فيه لان السورة مؤنثة فهى طولى والجمع طول لا غير وقوله (الاول) بضم همزة وفتح واو مخففة جمع الاولى وهى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع براءة لانهما فى حكم سورة واحدة ومن ثم لم يفصل بينهما بالبسملة وقيل السابعة سورة يونس او يوسف بدل الانفال (والقرآن العظيم) بالنصب على الحكاية ويجوز رفعهما بناء على انه مبتدأ خبره (ام القرآن) اى اصله او بمنزلة امه لاشتمالها على كليات معانيه ومهمات مبانيه اذ اولها تمجد واوسطها تعبد وآخرها وعد ووعيد فكانها هو فى التحقيق دون التعدد وفيه اطلاق الكل على الجزء لا سيما وهو الاكمل فى المعنى ولذا وجبت قراءتها فى الصلاة (وقيل) وهو المحكى عن عمر وعلى والحسن البصرى (السبع المثانى ام القرآن) لحديث البخارى ام القرآن هى السبع المثانى (والقرآن العظيم سائره) اى باقيه او جميعه بناء على انه مأخوذ من السؤر بالهمزة بمعنى البقية او من السور الذى هو الجمع والاحاطة والشمول من سور الحصن فالعطف من باب عطف الخاص على العام (وقيل السبع المثانى ما فى القرآن) اى هو جميع القرآن وتسبيعه لما فى القرآن (من امر) اى ايجابا كاقيموا الصلاة او ندبا كافعلوا الخير (ونهى) اى تحريما كلا تقربوا الزنى او كراهة كلا تيمموا الخبيث منه تنفقون اذ روى انهم كانوا يتصدقون بردى التمر فنزلت والمعنى لا تقصدوا الردى منه حال كونكم تتصدقون (وبشرى) اى ومن بشارة للمؤمنين (وانذار) اى تخويف للمخالفين (وضرب مثل) كقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت (واعداد نعم) بكسر الهمزة على ما فى نسخة مصححة اى تعداد نعم كثيرة وتذكارها غزيرة وهو بالمعنى المصدرى انسب للعطف على ما قبله من المصادر وقال الدلجى تبعا لبعضهم بفتح همزته جمع عدد بمعنى ونعم معدودة واغرب التلمسانى بقوله ولا يصح الكسر هنا لمخالفة المعنى انتهى (وآتيناك نبأ القرآن العظيم) اى اعطيناك العلم بما اشتمل عليه مما ذكر من قصص ومواعظ وبلاغة واعجاز وثناء على الله بما هو اهله وغير ذلك كذا قرره الدلجى والاظهر ان يخص النبأ بالقصص ليكون السابع للسبع المثانى ومع هذا لا يظهر وجه العدول عن نمط السابق من ذكر المصادر الى الجملة الفعلية فى المرتبة التفصيلية (وقيل سميت ام القرآن) اى الفاتحة (مثانى لانها تثنى) بصيغة المجهول مثقلا ومخففا وهو اظهر لان المثانى هو جمع المثنى كالمرامى جمع المرمى ونظيره المعنى والمعانى وقد ابعد التلمسانى فى قوله مثنى المعدول من اثنين اى تكرر (فى كل ركعة) اى صلاة تسمية للشئ باسم جزئه او فى كل قومة باعتبار الركعة بعدها ففى الفائق انها تثنى فى قومات الصلاة اى فى كل قومة او فى مجموع القومات وقيل سميت مثانى لان آياتها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة ثم سميت سبعا لانها سبع آيات بالاتفاق غير ان منهم من عد التسمية آية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس (وقيل بل الله استثناها) اى خصها من بين الآيات (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذخرها) بالخاء المعجمة او ادخرها بالمهملة كما

فى نسخة اى جعلها ذخيرة (له دون الانبياء) لما فى مسلم والنسائى ورواه الحاكم ايضا وصححه من حديث ابن عباس بينا جبريل قاعد عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سمع نقيضا اى صوتا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة الحديث والمعنى انه خص باعطاء معانيهما المأخوذة من مبانيهما فاندفع قول الدلجى تبعا للحجازى وهذا لا يختص بالفاتحة بل جميع السور كذلك (وسمى القرآن مثانى لان القصص) بكسر القاف جمع القصة قيل وهى المراد هنا وبفتحها مصدر ومعناه الخبر والحكاية (تثنى) بالتأنيث او التذكير اى تكرر (فيه) والمثانى جمع مثناة او مثنى من التثنية بمعنى التكرير او من الثنى بمعنى اللين والعطف لما فيه ايضا من تكرير الاوامر والنواهى والوعد والوعيد والاخبار والامثال وغير ذلك او من الثناء لما فيه من كثرة ذكره تعالى بصفاته العظمى واسمائه الحسنى (وقيل) اى عن الامام جعفر الصادق (السبع المثانى) اى معناه فى قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى هو انا (اكرمناك بسبع كرامات الهدى) هو وما بعده مجرور وبدل بعض من كل او مرفوع خبر مبتدأ محذوف اى هى الهدى او منصوب بتقدير اعنى والمراد بالهدى الهداية الكاملة المتعدية المكملة ولا يلائم المقام تفسير التلمسانى له بضد الضلالة (والنبوة) اى المتضمنة للرسالة وقال التلمسانى اى الرفعة ولا يخفى انه احد معانيها اللغوية (والرحمة) اى لجميع الامة (والشفاعة) اى العظمى يوم القيامة (والولاية) وهى النصرة والانتقام من العدو بالغلبة (والتعظيم) اى ظهور العظمة (والسكينة) اى السكون والوقار والطمأنينة قيل فمن اوتى السبع المثانى باعتبار اخذ جميع المعانى امن من الدخول فى سبعة ابواب جهنم (وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر) اى القرآن وسمى ذكرا لانه يذكر به الرحمن وموعظة وتنبيه للكسلان وشرف لاهل العرفان (الآية) يعنى لتبين للناس اى الجن والانس ففيه تغليب وقيل يشملهما ما نزل اليهم اى ما امروا به ونهوا عنه وما اخبروا به وتشابه عليهم حكمه لاجماله والتبيين اعم من ان يكون بنص على المراد به او بالارشاد الى ما يدل عليه كاساس قياس وبرهان عقل وايناس (وقال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس) اى حال كونك تكفهم وتمنعهم بشرعك عن ظلمهم وكفرهم فالتاء للمبالغة كما فى علامة (بشيرا) اى مبشرا للابرار (ونذيرا) اى مخوفا للفجار (وقال تعالى قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) حال من ضمير اليكم فانه مفعول فى المعنى (الآية) وتمامها الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (قال القاضى) اى المصنف (رحمه الله فهذه) اى الآية (من خصائصه) جمع خصيصة اى خصلة لم يشاركه فيها احد لورودها شاهدة باختصاصه برسالة عامة ومشعرة بان كل رسول بعث الى قومه خاصة (وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) اى بلغة قبيلته الذين هو منهم وبعث فيهم (ليبين لهم) ما امروا به وما نهوا عنه فيفهموا عنه بيسر وسهولة امر (لخصوصهم بقومهم) اى لغة ورسالة ودعوة ونذارة وبشارة (وبعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الى الخلق) اى المخلوقين (كافة) اى جميعا من الكف بمعنى الاحاطة والجمع او من الكف بمعنى المنع اى لكفهم بدعوته عن ان يخرج منها احد منهم لاحاطتها بهم (كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود) اى العرب والعجم كما تقدم وفى صحيح مسلم بعثت الى الخلق وفى حديث بعثت الى الناس كافة فان لم يستجيبوا لى فالى العرب فان لم يستجيبوا لى فالى قريش فان لم يستجيبوا لى فالى بنى هاشم فان لم يستجيبوا لى فالى وحدى ذكره السيوطى فى جامعه الصغير عن ابن سعد عن خالد بن معدان مرسلا وفيه كما فى الآية السابقة ايماء الى حكمة انه بعث بلسان العرب وان العجم امروا بتتبع لغتهم مع كمال الادب ولذا قال صلى الله عليه وسلم احبوا العرب لثلاث لانى عربى والقرآن عربى وكلام اهل الجنة عربى رواه الطبرانى والبيهقى والحاكم وغيرهم عن ابن عباس وفيه اشعار بانه صلى الله عليه وسلم لما ارسل الى العرب والعجم وهم مختلفو الالسنة من الفارسية والتركية والهندية وغيرها مما يتعذر فى العادة ان يكون واحد يعرف جميع اللغات المختلفة فى اصناف المخلوقات اختار الله له سبحانه افضل انواعه وامر الغير بتعلمه واتباعه مع انه ايسر اللغات واسهلها واضبطها واجمعها واشملها وايضا كان من انفة العرب وغلاظتهم انه لو نزل القرآن بلسان العجم او لم يتكلم الرسول الا بلغة غير العرب معهم لما آمنوا وتعللوا بما حكى الله تعالى عنهم فى قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمى وعربى وقال فى موضع آخر ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين وفى الآيتين الشريفتين تشريف لطائفة العجم ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم لو كان الدين او العلم فى الثريا لناله رجال من فارس (وقال تعالى النبى اولى بالمؤمنين) اى احق بهم فى جميع امورهم او مقيد بامر دينهم (من انفسهم) اى من ارواحهم فضلا عن آبائهم وابنائهم (وازواجه امهاتهم)

جمع ام اصلها امهة وهى لغة قيل مختصة بالادميات والامات بالحيوانات وقيل الهاء زائدة (قال اهل التفسير
اولى بالمؤمنين من انفسهم اى ما انفذه) بالنون والفاء والذال المعجمة اى اظهره وامضاه (فيهم من امر فهو ماض
عليهم) اى نافذ وماض (كما يمضى حكم السيد على عبده) اذ لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم فقوله
كما يمضى كالنظير لانه دون مرتبته فى التأثير (وقيل اتباع امره اولى من اتباع رأى النفس) وهذا قول صحيح وعلى
طبق ما تقدم صريح فتعبيره بقيل ليس لكونه كلاما غير مرضى بل الجلالة قائله او جهالة حاله وقد روى انه صلى الله
عليه وسلم ندب الى غزوة تبوك فقال اناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت ويدل على هذا المعنى آيات اخر نحو
قوله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره والله لا يهدى القوم
الفاسقين وكما قال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم
او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده
والناس اجمعين رواه الشيخان وغيرهما عن انس رضى الله تعالى عنه وقد ورد فى بعض الاحاديث ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يصلى على ميت وعليه دين وكان يقول صلوا على اخيكم فلما نزلت هذه الآية قال
انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن توفى وعليه دين فعلى قضاؤه ومن ترك مالا فهو لورثته واخرج النسائى فى السنن
نحوه الا انه قال فلما فتح الله الفتوح ولم يقل فلما نزلت الآية (وازواجه امهاتهم اى هن) على ما فى النسخ المصححة وقال
التلمسانى اى هم فى الحرمة وضميرهم عائد الى الازواج وعليه الروايات هنا وعبر بضمير جماعة المذكرين اعتبارا للفظ
الازواج (فى الحرمة) اى الاحترام والتعظيم (كالامهات) اى الحقيقية تنزيلا لهن منزلتهن فى العظمة بل اللائق
ان يكون لهن مزية تعظيما لحضرة النبوة ثم انهن فيما عدا ذلك كالاجنبيات ولذا حجبن ولم يتعد التحريم الى بناتهن
وهذا انما هو فيمن دخل بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النساء واما من تزوجها وفارقها قبل الدخول
فليس لها هذا الحكم وقد كان عمر رضى الله عنه امر برجم امرأة فارقها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل
الدخول فنكحت بعده فقالت له لم وما ضرب الله على حجابا ولا دعيت ام المؤمنين فكف عمر عنها (حرم) بفتح الحاء
وضم الراء ورفع قوله (نكاحهن) ويجوز ضم الحاء وكسر الراء المشددة ايضا وفى نسخة حرام بزيادة الالف وفى
اخرى حرم بصيغة الفاعل من التحريم اى حرم الله او رسوله نكاحهن (عليهم بعده) اى بعد تزوجه لهن قبل ولو طلق
قبل الدخول بعضهن كما يستفاد من اطلاق قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وانما حرمهن عليهم (تكرمة له) اى لتكريمه وتعظيمه المستفاد من الآية
(وخصوصية) اى بها يتميز عن غيره من افراد امته وهى بضم الخاء وقول الحجازى بفتحها سهو (ولانهن له ازواج
فى الآخرة) قال البغوى وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام ازواجهم لهم فى الآخرة وفى نسخة فى الجنة
والظاهر ان هذا مقيد بمن مات منهن فى عصمته او هو توفى عنهن وهن فى عدته لتخرج من اختارت الدنيا حين نزلت
آية قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا الآية فانها كانت فى آخر عمرها تلتقط البعر فى سكك المدينة وايضا لما اراد
صلى الله تعالى عليه وسلم ان يطلق سودة قالت لا تطلقنى يا رسول الله ويومى لعائشة رضى الله تعالى عنها الا انى اريد
ان اكون من نسائك فى الجنة او قولا هذا معناه (وقد قرئ) اى فى الشواذ قيل وهى قراءة مجاهد ونسبت الى ابى
ابن كعب ايضا (وهو اب لهم) اذ كل نبى اب لامته كما قال تعالى ملة ابيكم ابراهيم من حيث ان به حياتهم الابدية
وتعلم الآداب الدينية ومن ثم صار والاخوة فى الدين كما قال تعالى انما المؤمنون اخوة من حيث انتسابهم الى اصل
واحد هو الايمان الناشئ عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا يقرأ به) بصيغة المجهول اى ولا يجوز ان يقرأ به احد
(الآن) اى فى هذا الزمان (لمخالفته المصحف) بتثليث الميم والضم اتم وهو ما جمع فيه القرآن لقول عائشة رضى الله
عنها ما بين دفتى المصحف كلام الله والمراد من المخالفة عدم وجود تلك الجملة من جميع المصاحف العثمانية اذ احد اركان
القراءة هى المطابقة الرسمية وثانيها الموافقة العربية وثالثها النقل المتواتر الاجماعية والعمدة هى الاخيرة والاخريان
تابعتان لها لازمتان لوجودها واختلف فى محل الجملة الشاذة فقيل قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنه قبل قوله
وازواجه امهاتهم وقراءة ابى بعده وروى عن عكرمة انه قال وهو ابوهم وهو اشبه بالتفسير وعلى جميع التقادير
هو من باب التشبيه البليغ نحو زيد اسد اى كالاسد لا على الحقيقة اى الا فمن له الولادة واما ما ذكره الدلجى ان المراد
بالمصحف هو الامام الذى نسخه عثمان وعليه الناس فقد يوهم انه مصحف خاص وليس كذلك بل المراد المصاحف التى
كتبت بامره واختلف فى عددها فارسل واحدا الى مكة وآخر الى الشام وآخر الى الكوفة وآخر الى البصرة وابقى عنده

واحدا فى المدينة والآن لم يتحقق وجود واحد منها فى محالها (وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
الآية) اى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما اى فيما انعم عليك وبما اعلمك من خفيات الامور واسرار الدين
ومعارف اليقين وفى بعض النسخ وانزلنا عليك الكتاب والحكمة وهو لا يصح لمخالفته تنزيل الآية (قيل فضله
العظيم بالنبوة) وفى نسخة النبوة اذ لا فضل اعظم منها اذا قرنت بالرسالة العامة (وقيل بما سبق له فى الازل) اى
من تعلق العناية القديمة العظمى حيث جعل رئيس من سبقت له الحسنى كما يدل عليه خلق نوره اولا وجعله نبيا
فى عالم الارواح قبل ظهور الاشباح (واشار الواسطى الى انها) اى هذه الآية (اشارة الى احتمال الرؤية) اى تحملها
واطاقتها (التى لم يحتملها موسى عليه السلام)

(الباب الثانى)

اى من القسم الاول وفصوله سبعة وعشرون بعد صدر الباب على ما سبق فى اول الكتاب (فى تكميل الله له
المحاسن) جمع حسن على غير قياس والمراد بها الاوصاف المستحسنة (خلقا وخلقا) بفتح الخاء فى الاول وبضمها
وضم اللام وسكونها فى الثانى وهما منصوبان على التمييز اى محاسن خلقه وخلقه من صورته الظاهرة الطاهرة
وسيرته الباطنة الباهرة (وقرانه) اى وفى مقارنة ذاته عليه الصلاة والسلام (جميع الفضائل الدينية والدنيوية
فيه نسقا) بفتحتين اى من جهة كون بعضها تبعا للبعض من الصفات المتوالية والمكارم المتعاقبة (اعلم ايها المحب
لهذا النبى الكريم) خطاب عام فى موضع التفخيم او خاص لمن سأله هذا التأليف المتضمن للتعليم ويؤيده قوله
(الباحث) اى المفتش والمتفحص (عن تفاصيل جمل قدره) اى مجملات مقداره (العظيم) والجملة الندائية معترضة
بين الخطاب وما خوطب به من الجملة الفعلية (ان خصال الجلال والكمال) وفى نسخة الجمال بدل الجلال والجمال
تمام الصورة والجلال ظهور العظمة والاولى على ما عرف فى علم الاخلاق ان يقال ان خصال الجمال والجلال
المقتضية للكمال (فى البشر نوعان ضرورى) اى احدهما ضرورى (دنيوى) اى مما لا بد له منه فيها (اقتضته الجبلة)
بكسر الجيم والموحدة وتشديد اللام اى دعته الخلقة التى خلق عليها وطبيعته التى جبل للميل اليها ومنه قوله
تعالى والجبلة الاولين وقرأها الحسن بالضم وقال التلمسانى وبسكون الباء وفتح اللام مخففة فتثليث الجيم بالهاء
وبدونها والجبل بضم وبشد ومنه قوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا (وضرورة الحياة الدنيا) اى واقتضته
الحاجة الضرورية الكائنة فى الحياة الدنيوية مما ليس اختياريا (ومكتسب) بصيغة المجهول اى وثانيهما مكتسب
(دينى وهو ما يحمد فاعله) اى مما يتوقف اكتسابه على الشرع من الكمالات العلمية التى اعظمها معرفة الله وصفاته
العلية (ويقرب) بكسر الراء المشددة وفى نسخة بصيغة المجهول اى ما يقرب به (الى الله زلفى) اى قربة اسم مصدر
لازلف وفيه ان التقسيم غير جامع لانه غير شامل للوهبى الحاصل بالجذبة دون الخلقة الاصلية ولا بالتعلقات
العارضية (ثم هى) اى الخصال (على فنين) بفتح فاء وتشديد نون (ايضا) اى صنفين (منها) اى من الخصال
(ما يتخلص) اى يتمحض (لاحد الوصفين) اى من الضرورى والكسبى من غير امتزاج وتداخل بحيث لا يصدق
عليه اسم الآخر ضروريا وكسبيا (ومنها ما يتمازج ويتداخل) عطف تفسير اى يتخالط بان يكون ضروريا وكسبيا
كما سيأتى بيانهما ويظهر شأنهما (فاما الضرورى المحض) اى الخالص الذى لا يكون مكتسبا (فما ليس للمرء)
بفتح فسكون فهمز والحسن لا يهمز ويخفف وابن ابى اسحق بضم الميم والهمز والعقيلى بكسر الميم والهمز ومؤنثه
المرأة كذا ذكره التلمسانى والاظهر انه الشخص بالمعنى الاعم والله اعلم (فيه اختيار) اى فى حصوله (ولا اكتساب)
اى فى وصوله اى بل فيه اضطرار واضطراب فى تحصيله (مثل ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته) فيه
من البديع صنعة جناس لاحق بين كمال وجلال (وقوة عقله) اى تعقله قال التلمسانى مذهب اهل اللغة ان العقل
هو العلم وقيل بعض العلوم الضرورية وقيل قوة يميز بها بين حقائق المعلومات ومحله عند اهل السنة القلب بدليل قوله
تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقالت المعتزلة محله الدماغ ووافقهم ابو حنيفة والفضل بن زياد (وصحة فهمه)
اى ادراكه (وفصاحة لسانه) اى طلاقته وطراوة بيانه مع رعاية مطابقته ووضوح دلالته (وقوة حواسه)
اى من سمعه وبصره وشمه وذوقه ولمسه (واعضائه) جمع عضو بضم العين وكسرها اى جوارحه وقد قيل ليس
فى الانسان جارحة احب الى الله عز وجل من اللسان ولذلك انطقه الله بتوحيده فاذا لخش ولم يحل اللسان
فبأى شئ يذكر ويناجى ويدعو ويتلو (واعتدال حركاته) اى وسكناته بسلامتهما من آفتهما فهو من باب الاكتفاء
(وشرف نسبه) اذ فى الغالب ان من تحلى به ربأ بنفسه من سفساف الامور الى اعاليها ومن ذمائم الصفات
الى معاليها (وعزة قومه) اى وغلبة قبيلته اذ المؤمن كثير باخيه كما قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام

واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا (وكرم ارضه)
اى طيب مكانه الذى نشأ فيه بان يكون بلد المسلمين ومنزل الصالحين وابعد التلمسانى فى تخصيص ارضه بارض مكة
اذليس الكلام فى خصوصه عليه الصلاة والسلام (ويلحق به) اى يتصل بالضرورى المحض وفى نسخة بصيغة
المجهول واقتصر عليه الحلبى اى ويوصل به (ماندعوه) اى كل شئ من الامور العادية تدعو المرء (ضرورة حياته)
اى شدة احتياجه فيها (اليه من غذائه) بكسر الغين وبالذال المعجمتين على ما فى الاصول المصححة وعلى ماذكره اهل
الحواشى المعتبرة ما يتغذى به من الطعام والشراب وما به نماء الجسم وقوامه واما الغداء بفتح اوله وبدال مهملة فهو
طعام الغدوة من الطلوع الى الزوال ضد العشاء بالفتح وهو غير ملائم لمقام المرام فتجويز الدلجى الوجهين وتقديم
الثانى على الاول وتفسيره بقوله هو الطعام بعينه ليس فى محله وكذا تقييد المحشى للاول بالقصر والثانى بالمد (ونومه)
اى فى ليله ونهاره (وملبسه) بفتح الموحدة (ومسكنه) بفتح الكاف وكسرها (ومنكحه) بفتح الكاف مصادر او اسماء
لما يلبس ويسكن وينكح (وماله) اى جميع ما ينتفع به من الامور الحسية (وجاهه) اى قدره ومنزلته واعتباره من
الاحوال المعنوية قيل هو والوجه بمعنى قلب منه لانه ان توجه بوجهه قبل منه (وقد تلحق) ضبط معروفا ومجهولا
(هذه الخصال الآخرة) اى الاخيرة المتعلقة بالامور العادية الواقعة فى الاحوال الدنيوية (بالاخروية) اى بالخصال
الاخروية (اذا قصد بها التقوى) مصدر تقوى من باب التفعل اى طلب القوة على الطاعة وفى نسخة التقوى
بالتخفيف اى اذا كانت مقترنة بتقوى الله (ومعونة البدن) اى اذا قصد بها مساعدته ومعاونته (على سلوك طريقها)
اى سبيل الآخرة وابعد الدلجى تبعا للتلمسانى فى قوله اى طريق الخصال الاخروية (وكانت) اى تلك الخصال الملحقة
(على حدود الضرورة) اى على طبق داعية الحاجة وقدر الكفاية من غير الزيادة (وقوانين الشريعة) وفى نسخة
قواعد الشريعة اى وكانت ايضا على وفق الاصول الشرعية مما ابيح وجوز له من ارتكابه وهذا معنى قولهم
فى حديث انما الاعمال بالنيات ان العادات تصير بالنيات عبادات (واما المكتسبة الاخروية) اى الخصال المكتسبة
المستفادة المتعلقة بالامور الاخروية (فسائر الاخلاق العلية) اى جميعها وهى صفات واحوال وافعال واقوال
يحسن بها حالة الاحسان بينه وبين خالقه وابناء جنسه (والآداب الشرعية من الدين) اى الايمان بما يجب تصديقه
والطاعة فيما يجب عمله وتركه (والعلم) اى معرفة النفس وما عليها مما به تمام معاشها ونظام معادها (والحلم) اى الصبر
على الايذاء وعدم العجلة فى العقوبة على الاعداء (والصبر) اى على انواع المصائب واصناف البلاء واجناس القضاء
(والشكر) اى بالثناء على المنعم بما اولاه من النعماء وان يصرف جميع النعم الى ما خلقت لاجله فى مقام رضى المولى
(والعدل) ضد الميل عن الحق بالجور وهو ملكة يقتدر بها على اجتناب ما لا يحل فعله فى باب الحكومة وقد ورد كلكم
راع وكلكم مسؤول عن رعيته وقال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا (والزهد) اى
عفوفة النفس وقلة ميلها الى الدنيا والمشتهيات وترك ما عدا الضرورات من المباحات او ترك ما سوى الله مريدا به وجه
الله وهو زهد المقربين (والتواضع) اى لين الجانب والتذلل للصاحب (والعفو) اى الصفح والمجاوزة وعدم المؤاخذة
(والعفة) وهى قمع النفس عن المعصية او مختصة بالزنى ونحوها واغرب التلمسانى بقوله وهو العفو عما يشين ويعيب
وتركه اختيارا (والجود) وهو الكرم المحمود بان يكون بين طرفى افراط يسمى سرفا وتفريط يسمى بخلافه وقد قيل
لا سرف فى خير ولا خير فى سرف فهو بذل ما ينبغى فيما ينبغى كما ينبغى (والشجاعة) وهى صفة حميدة متوسطة بين
التهور والجبن (والحياء) بالمد وهو انقباض عن القبيح حذرا من الذم متوسط بين وقاحة وجرآءة على القبائح وعدم
المبالاة بها وبين الخجالة والانحصار عن الفعل مطلقا وهو محمود اذا كف عن المعصية وذمائم الخسة ومذموم اذا كف
عن تحصيل الفريضة واكتساب الفضيلة والاول من الرحمن والثانى من الشيطان (والمروءة) بضم الميم والراء وتشديد
الواو وقد يهمز وهو الانسانية وكمال المرء بالاخلاق الزكية والتبعد عن الامور الدنية (والصمت) اى السكوت عن
غير الخير لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت (والتؤدة) بضم ففتح
همزة وقد تبدل واوا وهى بمعنى التأنى وعدم العجلة لما قيل

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وفى نسخة التودد من المودة اى التحبب الى الصلحاء والفقراء والضعفاء فانهم فى الآخرة ملوك وشفعاء (والوقار)
بفتح الواو اى الرزانة والطمأنينة وعدم الطيش والخفة (والرحمة) اى التعطف والرأفة (وحسن الادب) فانه احسن
من الذهب وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم أدبنى ربى فاحسن تأديبى وجعل حسن الادب من جملة الآداب
الشرعية لانه حالة خاصة من عموم الاحوال المرضية لحديث ان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (والمعاشرة) اى

المخالطة بالمخالقة على وجه الموافقة لقوله عليه الصلاة والسلام خالق الناس بخلق حسن وقوله خياركم احسنكم
اخلاقا ومن كلام الشيخ ابى مدين المغربى حسن الخلق معاملة كل شخص بما يؤنسه ولا يوحشه (واخواتها) اى
اشباهها من الاخلاق الحميدة المفصلة فى نحو كتاب الاحياء والعوارف والرسالة (وهى) اى هذه الملكات النفسانية
المكتسبة (التى جماعها) بكسر الجيم اى جمعها واجتماعها كذا قيل وفى الحديث الخمر جماع الاثم لانها تجمع عددا منه
والاظهر ان يقال مجمعها ومجتمعها (حسن الخلق) اى المحمود عند جميع الخلق وقد قال تعالى لنبيه عليه الصلاة
والسلام وانك لعلى خلق عظيم وكان خلقه القرآن يأتمر باوامره وينزجر بزواجره ويرضى برضاه ويسخط بسخطه
ومجمله قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال جبريل عند نزوله هو ان تعفو عمن ظلمك وتصل
من قطعك وتعطى من حرمك (وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو فى الغريزة) اى مخلوق ومودع فى السجية
والطبيعة وهى بفتح غين معجمة وكسر راء مهملة ثم زاى (واصل الجبلة) اى الفطرة (لبعض الناس) اى ممن طبع
عليه فى اول خلقته وابتداء نشأته ومنه قول القائل

كل امرئ راجع يوما لشيمته * وان تخلق اخلاقا الى حين

(وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها) بالرفع اى فهو يحصلها للاقتداء بغيره فيها فتصير له كالغريزة وقال الحلبى هو
بالنصب جواب النفى انتهى وفيه بحث لا يخفى (ولكنه لا بد ان تكون فيه من اصولها فى اصل الجبلة شعبة)
اى شائبة وقطعة خلق عليها ليرجع فيما يكتسبه اليها بميل طبعه الاول فيها (كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون)
اى تصير (هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد) بصيغة المفعول اى لم يقصد (بها وجه الله تعالى والدار الآخرة) اى
بخلاف ما اذا اريد بها ذلك فانها صارت حينئذ قربات عند الله فيثاب عليها (ولكنها) اى الغريزة وان لم يرد بها
ذلك (كلها) بالنصب اى جميعها (محاسن وفضائل) اى باعتبار افرادها (باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا
فى موجب حسنها) بكسر الجيم لا بفتحها كما قال التلمسانى وسبقه الانطاكى لانه بمعنى المقتضى وهو لا يناسب المقام
كما لا يخفى اى سببها وباعثها (وتفضيلها) اى وفى تفضيلها على غيرها او بعضها على بعض اهو ذاتى اقتضته ذواتها
وطبائعها او بخلق الله تعالى له فى ذواتها قولان ثانيهما هو الحق لاستناد جميع الكائنات اليه ابتداء اذ هو الخالق
وحده وهى ملكات محمودة مكملة للانسان وان تفاوتت النفوس بحسب الفطرة فى الكمال باعتبار زيادة اعتدال
الابدان فكلما كان البدن اعدل كانت النفوس الفائضة اكمل والى الخيرات اميل وللكمالات اقبل وعكسه عكسه
كما قيل الظاهر عنوان الباطن ثم لا نزاع فى انها من واجبات العقل لحكمه بها من حيث انها صفات كمال ثم ورد الشرع
مؤيدا له ومقررا لحكمه بها وانما النزاع فى ان العاقل قبل وروده او بعده ولم يبلغه هل يجب عليه بعض الافعال
او يحرم بعضها بمعنى استحقاق الثواب والعقاب فى الآخرة ام لا فعندنا لا اذ لا حكم له ولا اثابة ولا تعذيب قبل وروده
وعند المعتزلة نعم بناء على مسئلة الحسن والقبح كذا حققه العلامة الدلجى وقال المنجانى ذهب بعضهم الى ان جميع
الاخلاق سيئها وحسنها جبلة وغريزة فى العبد ليس فيها اكتساب والى هذا مال الطبرانى وحكاه عن ابن مسعود
والحسن وذهب بعضهم الى ان جميع هذه الاخلاق انما هى من كسب العبد باختياره وليس فى جبلته شئ منها
مخلوقا وهذا مذهب طائفة كثيرة من السلف وذهب الباقون الى ما ذكره القاضى وعليه المحققون وقال الانطاكى
لا شك ان الانسان لا اختيار له فى تغيير خلقتها الاصلية وهيئتها الجبلية فالطويل لا يمكن ان يجعل نفسه قصيرا ولا
القصير طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته ولا على عكس هيئته واما الاخلاق المكتسبة من الجود
والشجاعة والتواضع والعفة فقد تكون فى بعضهم غريزة وجبلة بجود الهى وكمال فطرى بحيث يخلق ويولد كامل
الاخلاق والآداب كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها بالمجاهدة والرياضة بان يحمل
النفس على الاعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يجعل لنفسه خلق الجود فيتكلف تعاطى فعل
الجود ويواظب عليه فانه يصير ذلك عادة له وطبعا فيصير جوادا وكذا من اراد ان يجعل لنفسه خلق التواضع فيواظب
على افعال المتواضع مدة مديدة يصير التواضع له خلقا وكذا جميع الاخلاق المحمودة يمكن تحصيلها بهذا الطريق
فاذا الاخلاق الحسنة قد تكون بالطبع اعنى الفطرة وقد تكون بالتطبع اعنى باعتبار الافعال الجميلة وزعم بعض
من غلبت عليه البطالة واشتغل بالمجاهدة فى تهذيب الاخلاق ان الرياضة لا تؤثر فى تغيير الاخلاق وانها طباع
لا تتغير كالخلقة لكنا نقول لو كانت الاخلاق لا تتغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال صلى الله تعالى
عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا فى حق الآدمى وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش
الى الانس والكلب من الاكل الى التأديب والفرس من الجماح الى السلاسة وكل ذلك تغيير الاخلاق بتوفيق الملك

الخلاق (فصـــــل) اى هذا فصل فى تعداد خصال حميدة اختص بها ذاته السعيدة مجملة وتذكر فيما بعده
من الفصول العديدة مقتبسة من الكتاب والسنة (قال القاضى رحمه الله تعالى) كذا فى نسخة (اذا كانت خصال
الكمال والجلال ماذكرناه) اى فى الفصل السابق (ووجدنا) وفى نسخة ورأينا اى علمنا (الواحد منا يشرف) بضم
الرآء اى يصير شريفا وفى نسخة بصيغة المجهول من التشريف اى يكرم ويعظم وفى اخرى يتشرف اى يفتخر
(بواحدة منها) اى ولو فى اول مراتبها (او اثنتين) اى منها (ان اتفقت) اى هذه الخصلة وفى نسخة ان اتفقتا (له فى كل
عصر) متعلق باتفقت والعصر مثلثة وابعد الدلجى فى تجويز تعلقه بتشرف وتقديمه وفى نسخة زيادة (واوان) عطف
خاص على عام فان العصر الدهر وهو الزمان والاوان زمان مخصوص كزمان الربيع والداعى الى عطفه الخطابة فى ان كل
وقت لا يخلو من احد يشرف بذلك ثم ما يشرف به لا يخلو من ان يكون (اما من نسب) اى رفعة نسب (او جمال) اى
حسن صورة (او قوة) اى بدنية متحملة لمزاولة افعال شاقة والقدرة اخص منها لاشتراط الارادة فيها الذى هى التمكن
من اظهار القوة مع الارادة (او علم او حلم او شجاعة او سماحة) اى جود وعطاء ومسامحة ومساهلة (حتى يعظم
قدره) غاية لوصفه بما ذكر اى يرفع شأنه بين الرجال (ويضرب) بصيغة المجهول اى يبين ويعين (باسمه الامثال) فيقال
اجود من حاتم واعدل من نوشروان او هو حسان زمانه او مجتهد اوانه او اشجع اقرانه او اسخى اخوانه (ويتقرر) اى
يثبت (له بالوصف بذلك) اى بسبب اتصافه اى بما ذكر من الصفات (فى القلوب) اى فى قلوب الخلق من اهل الحق
(اثرة) بضم همزته وكسرها او فتحها وسكون المثلثة وبفتحهما اى مكرمة يتفرد بها (وعظمة) عطف تفسير
فى المعنى (وهو) اى ذلك الواحد منا (منذ) بضم ميم وتكسر بمعنى مذ (عصور خوال) اى والحال انه من ابتداء دهور
خالية وازمنة ماضية (رمم) بكسر راء وفتح ميم اى رميم جمع رمة عظامه (بوال) اى بالية متفتتة اعضاؤه واجزاؤه
فالمغايرة حاصلة بينهما خلاف ما فهمه الدلجى وجعلها عطف بيان كابى حفص عمر ثم اذا كان الامر كما ذكر
(فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال) اى الحميدة العديدة على وجه الكمال وهو استفهام يورث تعجبا
من هذه الحال لاسيما وهى منضمة (الى ما لا يأخذه عد) اى احصاء من خصال لا توجد الا فى الانبياء والاصفياء
وارباب الكمال (ولا يعبر عنه مقال) اى لا يحصره قول (ولا ينال) بضم الياء اى لا يحصل (بكسب ولا حيلة) اى
باكتساب ولا باحتيال (الا بتخصيص الكبير المتعال) اى بطريق التفضل والهبة والجذبة والعناية من العظيم
الشان فى ذاته المستعلى على كل شئ بقدرته او الكبير عن نعت المخلوقين والمتعالى عن مشابهة الامثال (من فضيلة
النبوة) بيان لما وهى بالهمز بناء على انه من النبأ بمعنى الخبر لانباء الله تعالى اياه واخباره عنه سبحانه وتعالى او بتشديد
الواو بناء على ابداله او على انه مأخوذ من النبوة بمعنى الرفعة فان النبى عليه الصلاة والسلام رفيع الشان عظيم
البرهان (والرسالة) وهى كونه واسطة بين الله تعالى وبين عباده والرسالة اخص من النبوة فان الرسول
هو المأمور بتبليغ الاحكام والنبى هو الذى اوحى اليه سواء امر بالتبليغ ام لا (والخلة) بضم الخاء اى الخصلة
التى توجب الاختصاص من صفاء المودة حيث تتخلل النفس وتخالطها (والمحبة) وهى مودة تشق شغاف القلب
وتصل الى سويداء الفؤاد (والاصطفاء) اى بالخصائص الروحانية والجسمانية لقوله تعالى الله يصطفى من الملائكة
رسلا ومن الناس (والاسراء) اى الى السماء (والرؤية) اى رؤية الله تعالى بالبصر او البصيرة او رؤيته من آيات ربه
الكبرى لحديث البخارى رأى رفرفا اخضر فى الجنة قد سد الافق وحديث مسلم رأى جبريل فى صورته له ستمائة
جناح ومع وجود هذه الاحتمالات فى عبارة الرؤية لا يرد ما قاله الحلبى من ان المؤلف لم يترجح عنده انه عليه الصلاة
والسلام رأى ولا ما رأى كما سيأتى ذلك وهنا قد جزم بها فهذا تناقض على انه قد يقال تردد هنالك وجزم هنا والله اعلم
(والقرب والدنو) اى قرب مكانة ودنو رفعة (والوحى) اى فى ذلك المكان الاعلى (والشفاعة) اى العظمى (والوسيلة)
وهى منزلة فى الجنة وهى اعلى العليا (والفضيلة) اى زيادة المرتبة على العامة والخاصة من حسن المنقبة (والدرجة
الرفيعة) اى فى الجنة العالية او يوم القيامة او ليلة الاسراء (والمقام المحمود) لحديث ابى حاتم يبعث الله الناس
يوم القيامة فاكون انا وامتى على تل فيكسونى ربى حلة خضراء فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود
انتهى وبه يحصل الفرق بينه وبين الشفاعة الكبرى (والبراق) اى ركوبه من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
(والمعراج) من الصخرة الى السماء فالى الجنة والعرش وما فوقه من المقام الاعلى وهو بكسر اوله سلم من نور
من السماء الى الارض فيه تصعد الملائكة وهو الذى يمد اليه الميت بصره على ما ذكره التلمسانى وقد سبق ما يتعلق
بالبراق فى اول الكتاب مما يغنى هنا عن الاطناب (والبعث الى الاحمر والاسود) لحديث بعثت الى الاحمر والاسود
اى العجم والعرب او الانس والجن او الخلق كافة لحديث مسلم بعثت الى الخلق كافة (والصلاة بالانبياء) اى

ببيت المقدس عند الصخرة تارة واخرى بالسماء (والشهادة بين الانبياء والامم) اى يوم القيامة كما مر عند قوله تعالى
لتكونوا شهداء على الناس الآية (وسيادة ولد آدم) لحديث انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر بل سيادة جميع العالم
لحديث انا سيد الاولين والآخرين ولا فخر (ولواء الحمد) اى المشار اليه بقوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه
تحت لوائى يوم القيامة وقوله بيدى لواء الحمد يوم القيامة وفى الرياض النضرة انه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عنه
فقال له ثلاث شقق ما بين السماء والارض على الاولى مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم وفاتحة الكتاب وعلى الثانية
لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الثالثة ابو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين على المرتضى (والبشارة
والنذارة) بكسر اولهما لقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (والمكانة عند ذى العرش والطاعة
ثم والامانة) اى كونه مطاعا امينا لقوله تعالى انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين على
قول بعض المفسرين (والهداية) اى القاصرة لقوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما والمتعدية لقوله سبحانه وتعالى
وانك لتهدى الى صراط مستقيم (ورحمة العالمين) لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (واعطاء الرضى) لقوله
تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى (والسؤل) بضم السين وسكون الهمزة ويبدل بمعنى المسؤل ومنه قوله تعالى
اوتيت سؤلك يا موسى ولا شك انه افضل الخلق فهو به احق (والكوثر) وقد مر (وسماع القول) لحديث الشفاعة وقل
تسمع واشفع تشفع (واتمام النعمة) لقوله تعالى ويتم نعمته عليك (والعفو عما تقدم وتأخر) وفى نسخة وما تأخر لقوله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر) لقوله تعالى الم نشرح لك
صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك (وعزة النصر) لقوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا
(ونزول السكينة) وهى الطمأنينة (والتأييد) اى التقوية (بالملائكة) لقوله فانزل الله سكينته عليه وايده
بجنود لم تروها اى بملائكته يوم بدر وحنين والاحزاب وعن كعب قال ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من
الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا
وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج فى سبعين الفا من الملائكة رواه البيهقى فى شعبه
وفى صحيح الدارمى نحوه (وايتاء الكتاب والحكمة) لقوله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة (والسبع المثانى
والقرآن العظيم) لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم (وتزكية الامة) اى امته يوم القيامة
لقوله تعالى ويزكيهم اى اذا شهدوا للانبياء حين انكرت اممهم التبليغ والانباء (والدعاء الى الله) لقوله تعالى
وداعيا الى الله باذنه (وصلاة الله والملائكة) اى وملائكته عليه لقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبى (والحكم بين الناس بما اراه الله) اى بما علمه وبين حكمه والهمه لقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله (ووضع الاصر) بكسر الهمزة قيل وتضم اى حط العهد الثقيل والتكليف
الوبيل وقيل المراد به العقوبة من نحو المسخ (والاغلال) اى العبادات الشاقة (عنهم) اى عن امته لقوله ويضع عنهم
اصرهم والاغلال التى كانت عليهم وهى جمع غل وهو ما يوضع فى العنق شبه ما كان لازما لهم من مشاق الاعمال
بالاغلال (والقسم باسمه) اى الحلف بعمره لقوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون (واجابة دعوته) اى فى
مواطن كثيرة كبدر اذ قال اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم (وتكليم
الجمادات) لحديث البخارى انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قيل هو الحجر الاسود وقيل الحجر المركوز
فى جدار زقاق الحجر (والعجم) بضم فسكون جمع اعجم وهو من الحيوان ما لا يقدر على الكلام ومنه الحديث
اذا ركبتم هذه الدواب العجم وحديث العجماء جبار اى وتكليم البهائم كنطق الضب والظبى والجمل وحماره عليه
الصلاة والسلام الذى قال له اسمى يزيد بن شهاب حين قال له يعفور (واحياء الموتى) اى المعنوية والحسية لما
ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قفل من غزاة فمات بعير بعض اصحابه دعا الله فاحياه حتى ركبه الى المدينة
ثم مات وكما روى فى قصة البنت التى طرحها ابوها فى الوادى فماتت (واسماع الصم) كامره صلى الله تعالى عليه وسلم
الحجارة ان يجتمعن لقضاء حاجته فتعاقدن حتى صرن ركاما على ما فى الصحيح (ونبع الماء من بين اصابعه) لما فى البخارى
عن جابر فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه (وتكثير القليل) لحديثى انس فى قصة ابى طلحة وزاد فى البخارى فانه
امر ابى منه فجئ بقليل منه فدعا وبرك فيه فكثر حتى ملئوا كل وعاء معهم (وانشقاق القمر) قال انس سأله قريش
آية فانشق مرتين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انفلق فلقتين ذهبت فلقة وبقيت فلقة وعن ابن مسعود
رأيت حراء عليه فلقتى القمر (ورد الشمس) اى فى الخندق وصبيحة الاسراء واما ما ذكره التلمسانى من انها وقفت ليلة
الاسراء او زيد فى كمية الليل فلا يصح بل هو من بسط الزمان من غير تغير فى ظاهر العيان (وقلب الاعيان) اى

الذوات الثابتة لحديث عكاشة كان معه صلى الله عليه وسلم يوم بدر عصا فصارت بيده سيفا صارما (والنصر بالرعب) بسكون العين وبضم اى بالخوف لقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب ولحديث نصرت بالرعب (والاطلاع على الغيب) اى اطلاعه على بعض المغيبات لحديث خروج الدجال والدابة وغيرهما فالاطلاع بتشديد الطاء وهو مطاوع الاطلاع بالتخفيف لان الله عز وجل هو الذى اطلعه ويمكن ان يكون هنا بالتخفيف والتقدير باطلاع الله اياه واما قول التلمسانى ولا يشدد لفساد المعنى فغفلة عن تحقيق المبنى (وظل الغمام وتسبيح الحصى) اى فى كفيه الكرام (وابراء الالام) لاحاديث بها رواها الاعلام والالام جمع الالم والله اعلم (والعصمة من الناس) لقوله تعالى والله يعصمك من الناس (الى) اى منتهية هذه الفضائل البهية الى (ما لا يحويه محتفل) بكسر الفاء اى لا يشمله جامع مهتم بجمعه لكثرة افراده (ولا يحيط بعلمه الا مانحه) اى معطيه صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك ومفضله) اى ولا يحيط بعلمه الا مفضله على غيره (به لا اله غيره الى) اى منضمة هذه الى (ما اعدله فى الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس) بضم وبضمتين اى المنزهة عن النقصان والزوال فى الجنة العالية (ومراتب السعادة والحسنى) اى والمثوبة الحسنى مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (والزيادة التى تقف دونها العقول ويحار) بفتح الياء اى يتحير فى معرفتها ويحيل احاطتها (دون ادانيها) اى عند اوائلها فضلا عن اقاصيها وفى نسخة عند ادراكها (الوهم) اى اوهام الخواص والعوام ولعلها رؤية الملك العلام لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقد جاء تفسيرها فى الحديث الصحيح بالرؤية رزقنا الله تعالى تلك السعادة وختم لنا بالشهادة قال التلمسانى وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حاز خصال الانبياء كلها واجتمعت فيه اذ هو عنصرها ومنبعها فاعطى خلق آدم ومعرفة عيسى وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل ورضى اسحق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وجمال يوسف وشدة موسى وصبر ايوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى وانغمس صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع اخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليقتبسوها منه وقد افصح بذلك البوصيرى حيث قال

فكل آى اتى الرسل الكرام بها ✻ فانما اتصلت من نوره بهم

(فصل) اى فى جمل من اوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان قلت اكرمك الله) جملة دعائية معترضة بين القول ومقوله (لا خفاء على القطع بالجملة) اى بطريق الاجمال فى التفضيل لا بطريق التفصيل اذ قد يتوهم عدم القطع بان يوجد فى غيره نعت له بالخصوص يكون اعلى وبهذا تبين ان لا يصح قول الدلجى فضلا عن القطع بالتفصيل (انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلى الناس قدرا) اى مرتبة (واعظمهم محلا) اى منزلة وكان الاحسن كما قال الدلجى ان يقال اعظمهم قدرا واعلاهم محلا اذ العظمة بالقدر اليق والعلو بالمحل اوفق (واكملهم محاسن وفضلا) والمنصوبات كلها تمييزات (وقد ذهبت) خطابا للمصنف من جملة المقول حالية معترضة بين الشرط والجزاء اى وقد سلكت (فى تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا) اى طريقا حسنا من كمال جماله (شوقنى) اى هيجنى واقلقنى (الى ان اقف عليها) اى اطلع على خصال الكمال (من اوصافه) اى شمائله وفضائله (تفصيلا) اى تبيينا وتفريعا فصلا فصلا (فاعلم) خطاب خاص او عام لمن يصلح له (نور الله قلبى وقلبك وضاعف فى هذا النبى الكريم حبى وحبك) جملة دعائية معترضة بين العامل ومعموله وهو (انك اذا نظرت الى خصال الكمال التى هى غير مكتسبة) اى غير مستفادة (وفى جبلة الخلقة) عطف على غير اى فى اصل الخلقة وجبلة الطبيعة والاضافة بيانية (وجدته) اى صادفته (صلى الله تعالى عليه وسلم حائزا) بالحاء اى حاويا وجامعا (لجميعها محيطا بشتات محاسنها) اى متفرقاتها (دون خلاف) اى بلا خلاف بين نقلة الاخبار) اى الاحاديث والآثار (لذلك) اى لما ذكر من حيازته جميع خصال الابرار (بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع) اى بسبب التواتر المعنوى ثم خصال كماله انواع كما فصله المصنف بقوله (اما الصورة) اى الصورة النبوية (وجمالها) اى وجمال تلك الصورة الخلقية (وتناسب اعضائه فى حسنها) اى مما لم يتصور ان تكون كسبية بل هى خلقية وهبية (فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة) اى المستفاضة (الكثيرة) نعت لهما (بذلك من حديث على وانس بن مالك وابى هريرة) واسمه عبد الرحمن على الصحيح من ثلاثين قولا ومنع هريرة من الصرف مع انه ليس فيه من العلل الا التأنيث لان العلم الاضافى قد ينزل منزلة كلمة ويجرى عليه احكام الاعلام (والبراء بن عازب) وهما صحابيان انصاريان (وعائشة ام المؤمنين وابن ابى هالة) اى من خديجة الكبرى رضى الله تعالى عنها فهو ربيبه صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه هند شهد بدرا وقتل مع على كرم الله وجهه يوم الجمل (وابى جحيفة) بضم جيم وفتح حاء (وجابر بن سمرة) بفتح فضم (وام معبد) بفتح الميم والموحدة عاتكة بنت خالد وهى التى نزل عليها النبى صلى الله

تعالى عليه وسلم حين هاجر الى المدينة وكان منزلها بقديد مصغرا (وابن عباس) رضى الله عنه اى عبد الله (ومعرض ابن معيقيب) بتشديد الراء المكسورة والتصغير فى معيقيب وقال التلمسانى معرض بكسر الميم وفتح الراء وهو مخالف للاصول المصححة وللحواشى المصرحة (وابى الطفيل) مصغرا واسمه عامر بن واثلة مات بمكة وهو آخر من مات من الصحابة فى الدنيا شيعى تفضيلى (والعداء بن خالد) بفتح عين وتشديد دال مهملتين ممدودا (وخريم بن فاتك) بكسر التاء وتصغير خريم بالخاء المعجمة والراء (وحكيم بن حزام) بكسر الحاء وبالزاى ولد فى الكعبة قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة ولا يعرف احد ولد فى الكعبة غيره على الاشهر وفى مستدرك الحاكم ان على بن ابى طالب كرم الله وجهه ولد ايضا فى داخل الكعبة عاش مائة وعشرين سنة ستين فى الجاهلية وستين فى الاسلام روى انه لما حج فى الاسلام اهدى مائة بدنة مجللة بالحبر واهدى الف شاة ووقف بمائة وصيف بعرفة فى اعناقهم اطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله (وغيرهم) اى ومن حديث غيرهم (رضى الله تعالى عنهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ازهر اللون) اى نيره او حسنه ومنه زهرة الحياة الدنيا او ابيضه لحديث ابيض مشرب حمرة وهو افضل الوان البياض ومعنى قوله ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم بل هو ازهر وهو بين البياض والحمرة وقيل معنى ازهر ما قابل السمرة وابيض ما سواه ودليله قول عائشة رضى الله تعالى عنها كنت ادخل الخيط فى الابرة حال الظلمة لبياض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومنه قول ابى طالب فى مدحه عليه السلام

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ✻ ثمال اليتامى عصمة للارامل

(ادعج) اى شديد سواد الحدقة (انجل) بالنون والجيم اى ذا نجل بفتحتين وهو سعة شق العين مع حسنها (اشكل) اى فى بياض عينيه يسير حمرة ووهم سماك بن حرب ففسره فى مسلم بانه طويل شق العين (اهدب الاشفار) اى كثير شعر حروف اجفان عينيه وهو الهدب جمع شفر بضم وفتح وهو شفير حرف العين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه مرفوعا ان الله تعالى لا يعذب حسان الوجوه سود الحدق يعنى من المسلمين قال التلمسانى والظاهر انه لا يعذبهم وهم فى تلك الصورة بل يسود وجوههم ويزرق اعينهم كما يدل عليه قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وقوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا (ابلج) بالموحدة والجيم اى ابلج الوجه وهو مشرقه ولم يرد ابلج الحاجبين اى نقى ما بينهما لحديث ام معبد فى دلائل البيهقى وغيره انها وصفته بانه ابلج الوجه اقرن اى متصل الحاجبين (ازج) بالزاى والجيم المشددة اى دقيق شعر الحاجبين طويلهما الى مؤخر العين مع تقوس (اقنى) اى مرتفع قصبة الانف مع احديداب يسير فيها هذا والمشهور انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اشم الانف اى مرتفع قصبته مع استواء اعلاه قال فى الصحاح فان كان فيها احديداب فهو القنى وقد يجمع بينهما بان ارتفاعها كان يسيرا جدا من رآه متاملا عرفه اشم ومن لم يتامله ظنه اقنى (افلج) بالفاء والجيم اى متباعد ما بين ثناياه وقلته ممدوحة (مدور الوجه) اى لكن الى الطول اميل لما ورد فى شمائله ان وجهه لم يكن مدورا وقد يشبه تدوير الوجه بالدينار لاستواء دائرته (واسع الجبين) وهو ما اكتنف الجبهة من يمين وشمال فهما جبينان فيما بين الحاجبين (كث اللحية) بتشديد المثلثة اى كثير شعرها بحيث (تملأ صدره) اى ما يقابلها مع قصر فيها وانبساط اذ كان يأخذ منها ما زاد على القبضة وربما كان يأخذ من اطرافها ايضا والحاصل انه لم يكن كوسجا ولا خفيف اللحية ولا مقصوصها غير نازلة الى صدره وقال التلمسانى روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سعادة المرء خفة عارضيه ويروى لحيته ومعناه انها لا تكون طويلة فوق الطول وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اعتبروا عقل الرجل فى ثلاث فى طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته وعن الحسن بن المثنى انه قال اذا رأيت رجلا ذا لحية طويلة ولم يتخذ لحية بين لحيتين كان فى عقله شئ وقيل ما طالت لحية انسان قط الا ونقص من عقله مقدار ما طال من لحيته ومنه قول الشاعر

اذا كبرت للفتى لحية ✻ فطالت وصارت الى سرته
فنقصان عقل الفتى عندنا ✻ بمقدار ما طال من لحيته

(سواء البطن والصدر) بالاضافة اليهما ونصب سواء اى كان مستويهما تلويحا باعتدالهما خلقا واشعارا بان خروجهما او احدهما عن الاعتدال بروزا او تطامنا ليس بمحمود وروى برفع سواء منونا مع رفع البطن والصدر (واسع الصدر) اى حسا ومعنى اذ وسع كل احد شفقة وحلما (عظيم المنكبين) بكسر الكاف تثنية المنكب وهو مجمع عظم العضد والكتف (ضخم العظام) اى غليظها مطلقا وخصوصا كان (عبل العضدين) مثنى عضد بفتح وضم هو الصحيح وهو الساعد من المرفق الى الكتف والعبل بفتح عين وسكون موحدة اى ضخمها وكذا قوله (والذراعين) وهو ما بين مفصل الكف والمرفق (والاسافل) اى الفخذين والساقين وهذا كله مما يؤذن بكمال قوته لحديث البخارى

انه اعطى قوة ثلاثين رجلا (رحب الكفين) بفتح الراء وسكون الحاء اى واسعهما صورة ومعنى اذ وسع كل احد عطاء
وقال الدلجى فى نوع الترشيح من بديعيته عم الورى بيد سحاء برشحها * عطاؤه ليس يخشى الفقر من عدم
(والقدمين) اى واسعهما طولا وعرضا (سائل الاطراف) اى تام الايدى والارجل والاصابع طويلها وهو بالسين
المهملة وروى بالمعجمة (انور المتجرد) بفتح الراء المشددة اى كان ما تجرد من بدنه اشرف من غيره (دقيق المسربة) بفتح
ميم وسكون سين مهملة وضم راء وقال التلمسانى وبفتحها وهى خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة ودقيق بالدال
قال التلمسانى ويجوز فيه الراء ظاً بينهما فرق دقيق (ربعة القد) بفتح الراء وسكون الموحدة اى مربوع القامة كما رواه
البيهقى وابن ابى خيثمة فى تاريخه (ليس) اى هو او قده (بالطويل البائن) اى المفرط فى الطول من بان بمعنى بعد او ظهر
(ولا بالقصير المتردد) بكسر الدال وهو الذى كانه تردد بعض خلقه على بعض من قصره والجملة بيان لما قبلها (ومع ذلك)
اى مع كونه ربعة (فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله) اى غلبه النبى (عليه الصلاة والسلام) فى الطول
مزية خص بها لئلا يحابانه لم يكن احد عند ربه افضل منه لا صورة ولا معنى (رجل الشعر) بكسر الجيم وبفتح
وقد يسكن وبفتح العين وتسكن اى بين الجعودة والسبوطة (اذا افتر) بتشديد الراء اى اذا ابدى اسنانه حال كونه
(ضاحكا) اى متبسما (افتر) اى انكشف (عن مثل سنا البرق) بقصر سنا وقد يمد وقيل بالقصر النور وبالمد الشرف
والعلو اى يشبه ضوءه (وعن مثل حب الغمام) اى السحاب وهو البرد بفتحتين يعنى مثله فى البياض والصفاء وامتزاج
الماء فهو بهذا الاعتبار العالى اولى من تشبيه الاسنان باللآلى ثم التشبيه الثانى ابلغ من الاول فتأمل وقد ابعد الدلجى
فى تفسير حب الغمام بقطراته ثم قال شبه بياض ثغره فى صفائه ونقائه بضوء البرق وما يطفو على ثناياه من ريقه
بقطرات الغمام تشبيها بليغا انتهى موهما ان التركيب من التشبيه البليغ وليس كذلك كما لا يخفى على ارباب المعانى
والبيان وقيل اول ما يضحك تلألأ كالبرق وان بدت اسنانه فهو كالبرد (اذا تكلم ريئ) بكسر راء وسكون ياء فهمزة
مفتوحة وروى رئى بتقديم الهمز مجهولا من الرؤية وهو ظاهر ولعل الاول من قبيل القلب دخل فيه الاعلال
قال التلمسانى وهو الافصح والمعنى ظهر (كالنور) اى شئ مثل النور (يخرج من ثناياه) اى يبدو منها او من سناها
لكثرة بياضها او شدة صفائها او ايماء الى درر كلماته وغرر بيانها والحديث رواه الترمذى فى شمائله والدارمى والبيهقى
(احسن الناس) بالنصب عطفا على ما سبق ويجوز ان يكون بالرفع على ان التقدير هو احسن الناس (عنقا) اى جيدا
لاعتداله فى كماله (ليس بمطهم) بتشديد الهاء المفتوحة اى لم يكن مدور الوجه على ما فى الصحاح وغيره وقيل
هو السمين الفاحش وقيل المنتفخ الوجه وقيل النحيف الجسم (ولا بمكلثم) بفتح المثلثة اى لا بمجتمع لحم الوجه
بل مسنون الوجه والحاصل انه لم يكن وجهه مفرطا فى الاستدارة واما حديث على وفى وجهه تدوير فمعناه ان فيه
نوع تدوير اى قليلا منه وابعد اليمنى فى قوله يريد عنقه اى ليس بمدور ولا بمجتمع بل انه مستطيل (متماسك البدن)
اى ليس برهل ولا مسترخ لحمه بل يمسك بعضه بعضا ويقويه ويشده (ضرب اللحم) اى خفيفه ولطيفه لا يابسه وكثيفه
وقيل هو اللحم بين اللحمين لا بالناحل ولا بالمطهم (قال البراء) بن عازب اى كما رواه الشيخان وغيرهما (ما رأيت من
ذى لمة) بكسر لام وتشديد ميم وهى من شعر الرأس ما يجاوز شحمة الاذن ويلم بالمنكبين (فى حلة حمراء احسن من
رسول الله صلى الله عليه وسلم) ظاهره انهما ثوب واحد بشهادة وصفها بحمراء مع اتفاق اهل اللغة انها لا تطلق
الا على ثوبين بشهادة حديث وعليه حلة اتزر باحدهما وارتدى بالاخرى ولك ان تجيب بان وصفها باعتبار لفظها
لا باعتبار معناها وكفى به دليلا لمن جوز لبس الاحمر بلا كراهة كالشافعى ومالك رحمهما الله تعالى كذا ذكره
الدلجى وفى القاموس الحلة بالضم ازار ورداء برد او غيره ولا تكون حلة الا من ثوبين او ثوب له بطانة وكذا قال الخليل
وغيره لان كل واحد يحل على الآخر او على الجسم وقيل الثوب الجديد الذى يحل من طيه فاندفع دعوى اتفاق اهل
اللغة على الاطلاق بل قال المنجانى ان هذا الحديث يرد عليهم انتهى وليس فى الحديث الذى استشهد به دلالة الاعلى
احد استعمال الحلة واما كون هذا الحديث دليلا كافيا لتجويز لبس الاحمر فهو كاف مع قطع النظر عما ورد فيه
انواع من الخبر والاثر مما يدل على كراهة لبسه فى الحضر والسفر مع ان الحديث ليس فيه تصريح انه صلى الله تعالى عليه
وسلم لبس الاحمر بل يدل على انه ما رأى من كان صاحب لمة ولابس حلة حمراء مع ان الحسن فى تلك الحالة على غاية
من الصفاء فنفى ان يكون احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اى لبس كان او على تقدير لابسه
ثم على تسليم لبسه يحمل على بيان الجواز وان النهى وارد على سبيل الكراهة لا التحريم او انه قضية واقعة يحتمل
وقوعها قبل النهى مع انه قد يقال للثوب الذى فيه خطوط حمر كثيرة انه احمر فتدبر فان الجمع بين الاحاديث المتعارضة
هو المعتبر وقد قال ابو عبيد الحلل برود اليمن ثم الدليل المبيح والمحرم اذا اجتمعا يقدم دليل المحظور مع انه يكفى فى دليل

امتناعه التشبه بالنساء ولا شك ان تركه احوط فى حق الرجال العقلاء ومع وجود هذه الانواع من الاحتمال كيف يكفى
للاستدلال والله تعالى اعلم بالحال واغرب الانطاكى الحنفى حيث قال فى حاشيته وفى هذا دليل على جواز
لبس الاحمر للرجال وادعى النووى الاجماع على جواز لبسه فى المهذب انتهى ولا يخفى ان دعوى الاجماع باطلة
مع وجود مخالفة الامام الاعظم فى المسئلة وغيره من الائمة ولعله اراد به الاتفاق فى مذهبه والله تعالى اعلم بمقالة
ومشربه هذا وقد قال المنجانى وقد اختلف السلف الماضون فى ذلك فكره بعضهم لبسها هى والمصبوغة بالصفرة
واجازهما قوم آخرون وفرق بعضهم فى هذا بين المشبع فى الصبغ وغير المشبع فاجاز ما لم يكن مشبعا وكره ما اشبع صبغه
ورأى آخرون ان ما اتخذ من هذه الثياب للمهنة جاز مطلقا وما اتخذ للباس كره ودليل الاولين ما ورد فى الحديث
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نهى ان يتعصفر الرجل او يتزعفر وروى فى الصحيح عن ابن عمر قال رأى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال القهما فانهما ثياب الكفار وقال ابراهيم الخزاعى حدثتنى
عجوز قالت كنت ارى عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رأى على الرجل الثوب المعصفر ضربه وقال دعوا هذه الثياب
للنساء واما ما ذكره المنجانى من نسبة عدم الكراهة لابى حنيفة فغير صحيح والله تعالى اعلم (وقال ابو هريرة رضى الله
عنه ما رأيت شيأ احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والمساواة منفية ايضا بالمشاهدة العرفية
(كأن الشمس تجرى فى وجهه) اى يتوهج كتوهج الشمس لحسنه وصفائه وبهاء ضيائه وقال التلمسانى وعن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هبط على جبريل فقال يا محمد ان الله تعالى يقول كسوت
حسن يوسف من نور الكرسى وكسوت نور وجهك من نور عرشى (واذا ضحك يتلألأ) بهمزتين اى تلمع
ثناياه كاللآلى (فى الجدر) بضمتين جمع الجدار وهو حائط الدار رواه احمد والترمذى وابن حبان (وقال جابر بن سمرة)
رضى الله عنه كما رواه الشيخان وغيرهما (وقال) اى والحال انه قال (له رجل كان) وفى رواية أكان (وجهه صلى
الله تعالى عليه وسلم مثل السيف فقال) اى جابر (لا) اى لقصور ضيائه واحتمال فناء صفائه ولتوهم طول بنائه
(بل مثل الشمس والقمر) اى بل كان نظيرهما لاشتمالهما على كمال النور وعلى نوع من الاستدارة فى مقام الظهور ولذا
قال تصريحا بما قدمه تلويحا (وكان) اى وجهه (مستديرا) اى لا مستطيلا فلا ينافى ميلانه الى الطول (وقالت ام
معبد فى بعض ما وصفته به) اى من رواية البيهقى فى دلائله عن اخيها حبيش بن خالد عنها (اجمل الناس) اى اتمهم
جمالا وحسنا صوريا (من بعيد واحلاه) اى احلى الناس وافرد لانه اسم جنس فروعى لفظه دون معناه وكذا قوله
(واحسنه من قريب) اى تبين حلاوة ملاحته وطراوة فصاحته (وفى حديث ابن ابى هالة) اى الآتى (يتلألأ
اى يضيئ (وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر) خص به لانه زمان كماله وسمى بالبدر لمبادرته الشمس للغروب ليلة تمامه
ومبادرتها اياه للطلوع فى صباحه (وقال على رضى الله تعالى عنه) على ما فى جامع الترمذى وشمائله (فى آخر وصفه)
اى نعت على له صلى الله عليه وسلم (من رآه بديهة) اى مفاجأة من غير روية كناية عن اول الوهلة (هابه) اى خافه مخافة
العظمة ووقع فى قلبه منه المهابة (ومن خالطه معرفة) اى من حيث عرف ما كان عليه من حسن العشرة ودوام
البشاشة فنصبها على التمييز وابعد التلمسانى فى جعلها مفعولا له او حالا (احبه يقول ناعته) اى واصفه (لم ار) احدا
من الناس (قبله ولا بعده مثله صلى الله تعالى عليه وسلم) لكرم شمائله وشرف فضائله والمراد من قوله قبله اى قبل
وجوده ولا بعده استيفاء زمانه والا فعلى كرم الله وجهه اصغر سنا منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا اذا كانت الرؤية
بصرية واما اذا كانت علمية فلا اشكال والله اعلم بالحال (والاحاديث فى بسط صفته) اى تفصيل نعوته (مشهورة)
اى عند المحدثين (كثيرة) اى عند المؤرخين (فلا نطيل) اى الكتاب (بسردها) اى بذكرها متصلة مفصلة فى الابواب
(وقد اختصرنا) اى اوردنا على وجه الاختصار (فى وصفه نكت) وفى نسخة على نكت (ما جاء فيها) بضم النون وفتح
الكاف جمع نكتة اى لطائف ودقائق ما ورد فى تلك الاحاديث (وجملة) اى واوردنا جملة مجملة (مما فيه الكفاية) ومن
بيانية او تبعيضية (فى القصد الى المطلوب) اى من وصف المحبوب (وختمنا هذه الفصول) اى الكاملة باعتبار كل
فصل بابراز ما ورد فى وصفه وفضله (بحديث جامع لذلك تقف عليه هنالك ان شاء الله تعالى)

(فصل)

(واما نظافة جسمه) اى لطافة بدنه (وطيب ريحه) اى الخارج منه (وعرقه) اى وطيب عرقه وهو بفتحتين رطوبة
تلحق الانسان بسبب حرارة او غيرها (ونزاهته) اى تباعده وبراءته (عن الاقذار) بالذال المعجمة اى الاوساخ والادناس
الحسية والمعنوية بل كما قيل عن الانجاس الحقيقية (وعورات الجسد) اى ونزاهته عن عيوب توجد فى اجساد الناس
مما يشين الانسان والعورة بسكون الواو ويحرك مأخوذة من العار الذى يلحق الذم بسببه كنقص فيه وخلل فى عضو منه

(فكان قد خصه الله فى ذلك) اى ما ذكر (بخصائص لم توجد فى غيره) الجملة صفة كاشفة لما قبلها (ثم تممها) اى كل تلك الخصائص الحسية (بنظافة الشرع) اى بلطائف الآداب الشرعية والخصائص المعنوية التى من جملتها قوله (وخصال الفطرة) وهى اصل الخلقة فان الله تعالى خلق عباده قابلين للحق حتى لو خلوا وما خلقوا عليه لاهتدوا به كما ورد حديث كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه الحديث وقال تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وقال ابو بكر بن العربى هى عبارة عن اصل الخلقة فان الانسان يخلق سليما من عشرة اقذار ثم نظرا عليه ثم امر بالتنظيف منها والمراد بالفطرة هى الاسلام والمذكورة فى قوله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة ولذلك اتى بالالف واللام للمعهود علما كقوله تعالى اذ هما فى الغار وان لم يتقدم لها ذكر فقد علم ضرورة فالمعنى خصال دينية (العشر) اى خصوصا لما فى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب بن شيبة راويه ونسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة وقال وكيع انتقاص الماء يعنى الاستنجاء وروى ابو داود نحوه الا انه قال بدل انتقاص انتضاح وفى رواية انتقاص بفاء وضاد معجمة وكلها كناية عن الاستنجاء هذا وحلق اللحية منهى عنه واما اذا طالت زيادة على القبضة فله اخذها هذا وقال المؤلف فى شرح مسلم ولعل العاشرة الختان لانه مذكور فى قوله عليه الصلاة والسلام الفطرة خمس او خمس من الفطرة قلت فاذن بعد المضمضة والاستنشاق خصلة واحدة لاتحاد حكمهما والله تعالى اعلم (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والاولى قال بدون واو (بنى الدين على النظافة) اى الطهارة الباطنة والظاهرة وهذا الحديث وان قال العراقى فى تخريج احاديث الاحياء لم اجده هكذا بل فى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة رضى الله عنها تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف من حديث ابن مسعود رضى الله عنه النظافة تدعو الى الاسلام انتهى فقد روى الرافعى فى تاريخه بسنده عن ابى هريرة رضى الله عنه بعض حديث مرفوعا تنظفوا بكل ما استطعتم فان الله تعالى بنى الاسلام على النظافة وان يدخل الجنة الا كل نظيف ويشهد له حديث الترمذى ان الله نظيف يحب النظافة فنظفوا افنيتكم (حدثنا سفيان بن العاص) بتثليث سين سفيان سمع الباجى وابن عبد البر وغيرهما واخذ عنه المصنف واكثر (وغير واحد) اى كثيرون من مشايخنا (قالوا حدثنا احمد بن عمر) صاحب كتاب الاعلام باعلام النبى عليه السلام (حدثنا ابو العباس الرازى) وهو ابن بندار الخراسانى (حدثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم بلا خلاف ذكره الدلجى وغيره وقال التلمسانى بضم الجيم وفتحها منسوب لجلود قرية ببغداد وقيل بالشام وقيل سكة بنيسابور الدارسة وقيل بافريقية وقيل كان يبيع الجلود وكان شيخا صالحا نيسابوريا ينتحل مذهب سفيان الثورى (حدثنا ابن سفيان) اى المروزى او النيسابورى (حدثنا مسلم) اى النيسابورى صاحب الصحيح روى عن احمد بن حنبل وغيره وعنه الترمذى وابن خزيمة وابو عوانة وغيرهم (حدثنا قتيبة) هو ابن سعيد الثقفى البلخى يكنى ابا رجاء سمع الليث ومالكا وابن عيينة وغيرهم (حدثنا جعفر بن سليمان) الضبعى سمع ثابتا البنانى ومالك بن دينار وروى عنه ابن المبارك قيل مع كثرة علمه كان اميا (عن ثابت) هو ثابت كاسمه وهو ابن اسلم البنانى بضم الموحدة روى عن انس وابن عمر وابن الزبير وخلق وعنه الحمادان وامم وكان رأسا فى العلم والعمل يلبس الثياب الفاخرة ويقال لم يكن فى وقته اعبد منه اخرج له الجماعة وهو ثقة بلا مدافعة (عن انس) خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جاوز عمره المائة وكذا اولاده وفى الصحابة من اسمه انس اثنان وعشرون وفيهم انس بن مالك اثنان هذا وهو المشهور وانس بن مالك ابو امية القشيرى وقيل الكعبى وانتقل انس الى البصرة فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ليفقه الناس بها وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة (قال ما شممت) بكسر ثانيه وبفتح (عنبرا) هو شئ يلفظه البحر اى يرمى به ويقال انه روث دابة من دواب البحر ولا يصح واصول الطيب خمسة اصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها تحمل من ارض الهند الا الزعفران والعنبر واجود العنبر هو المدور الابيض كبيض النعام او دون ذلك (قط) اى فيما مضى من عمرى وهو بفتح قاف وتشديد طاء مهملة مضمومة وتنون وهى للابد الماضى وقد تكسر الطاء وبضمان وتخفف الطاء مع ضمها واسكانها (ولا مسكا) واطيب المسك ما خرج من الظباء بعد بلوغ النهاية فى النضج وغزلان المسك نوع خاص من الظباء (ولا شيأ) اى آخر من انواع الطيب (اطيب) اى افوح (من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم) وتتمته ولا مسست قط ديباجا ولا حريرا ولا شيأ الين لمسا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث كما ترى فى مسلم وكذا فى الشمائل (وعن جابر بن سمرة) اى فيما رواه مسلم ايضا عنه قال صليت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

ثم خرج وانا معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدى احدهم واحدا واحدا واما انا فمسح خدى فوجدت ليده بردا او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار كذا فى مسلم او ريحا بالف وكثيرا ما يوجد بدونها فلعله رواية فيه ولهذا رواه بلفظ (انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح خده) اى جانب وجهه مما يلى الوجنة من الاسفل (قال فوجدت ليده بردا او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار) وهو بضم الجيم وسكون الواو وقد تهمز او همزتها اصلية وقد تبدل لانها تحذف كما قاله الدلجى وهى سفط مغشى بجلد يجعل فيه العطار طيبه والعطار فعال نسبة لا مبالغة (قال غيره) اى غير جابر ابن سمرة (مسها بطيب اولم يمسها يصافح) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (المصافح) اى له (فيظل) بفتح ظاء معجمة وتشديد لام يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وفى الكلام تجريد او تأكيد وقد يجيء بمعنى دام وصار والمعنى فيصير ذلك المصافح له (يومه) اى طول نهاره (يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبى) اى مثلا (فيعرف) بصيغة المجهول اى فيميز (من بين الصبيان) بكسر الصاد وبضم جمع الصبى (بريحها) اى بسبب ريح يده صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس ذلك الصبى (ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما رواه مسلم (فى دار انس) اى على فراش امه ام سليم بضم السين بنت ملحان بكسر الميم وقيل بفتحها واما ما وقع فى بعض كتب الشافعية ان ام سليم جدة انس رضى الله عنه فخطأ (فعرق) بكسر الراء (فجاءت امه) اى ام انس (بقارورة) اى باناء من زجاج (تجمع فيها عرقه) اى تبركا وتطيبا (فسألها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك) اى عن جمعها اياه المستفاد من الفعل (فقالت نجعله فى طيبنا وهو) اى طيبه او طيبنا باختلاط طيبه (من اطيب الطيب) بل اطيب الطيب وفى رواية نرجو بركته لصبياننا زاد البخارى فاوصى انس ان يجعل منه فى حنوطه قال الدلجى وانما نام على فراشها لانها واختها ام حرام كما فى اكمال المصنف خالتاه من الرضاعة وانكر فان صح ففى الحديث جواز الخلوة بين بينها وبينه محرمية او النوم عندها لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وهو غريب اذ ليس فى الحديث ما يدل على وقوع الخلوة مع ان جوازها مع المحرم لا يعرف له خلاف وقد ورد لا يخلون رجل بامرأة ثيب الا ان يكون ناكحا او ذا محرم ثم قوله لعصمته ينافى ما استدل به على جوازه لكونها علة لاختصاصه فكان حقه ان يقول والا اى وان لم يصح فالنوم عندها لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وفى صحيح مسلم انه كان يدخل بيت ام سليم وينام على فراشها اذا لم تكن فيه فجاء ذات يوم فنام عليه فاتت فقيل لها هذا النبى نائم على فراشك فجاءت وقد عرق الحديث (وذكر البخارى فى تاريخه الكبير عن جابر) اى ابن عبد الله صحابيان انصاريان آخر من مات بالمدينة من الصحابة وعنه استغفر لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمسا وعشرين استغفارة كل ذلك اعده بيدى يقول اديت عن ابيك دينه فاقول نعم فيقول يغفر الله لك (لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يمر فى طريق) اى من طرق المدينة وغيرها (فيتبعه) بتخفيف التاء وفتح الباء وبتشديد التاء وكسر الباء وبرفع وبنصب اى فيجيء عقبه (احد الا عرف) اى ذلك الاحد (انه) اى النبى صلى الله عليه وسلم (سلكه) اى دخل ذلك الطريق ومر به (من طيبه) متعلق بعرف اى من اجل طيبه وبسببه وروى البزار وابو يعلى بسند جيد عن انس رضى الله عنه كان اذا مر فى الطريق من طرق المدينة وجد فيه رائحة المسك فيقال مر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا الطريق (وذكر اسحق بن راهويه) بضم هاء ثم فتح ياء وتاء على الصحيح وهو مروزى عالم خراسان روى عنه الجماعة الا ابن ماجه (ان تلك) اى الرائحة (كانت رائحته) بالنصب وفى نسخة ان تلك رائحته اى فى اصل خلقته (بلا طيب) اى من غير استعمال طيب فى ثوبه او بدنه وروى ابن ابى بكر فى سيرته ان ام سلمة وضعت يدها على صدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته فمكثت جمعا لا تأكل ولا تتوضأ الا وجدت ريح المسك بين يديها (وروى المزنى) بضم ميم وفتح زاى فنون وياء نسبة مصرى كان ورعا زاهدا مجاب الدعوة متقللا من الدنيا قال الشافعى رحمه الله فى حقه لو ناظر الشيطان لغلبه له تصانيف كالمبسوط والمختصر وغيرهما وصنف كتابا مفردا على مذهبه لا على مذهب الشافعى وهو مدفون بالقرافة بالقرب من قبر الشافعى وفى نسخة صحيحة الحربى وهو بحاء مهملة وباء موحدة وهو ابراهيم بن اسحق حنبلى المذهب اصله من مرو ونسب الى الحربية وهى محلة معروفة ببغداد وهى تنسب الى حرب بن عبد الله صاحب المنصور (عن جابر اردفنى النبى صلى الله عليه وسلم) اى اركبنى (خلفه) الردف بكسر الراء من يركب خلف راكب يقال اردفنى وردفنى (فالتقمت خاتم النبوة) بفتح التاء وكسرها يقال لقمه والتقمه اى ادخله فى فمه كاللقمة والمراد بخاتم النبوة الذى كان كالتفاحة او بيضة الحمامة او كزر الحجلة بين كتفيه وقد اوضحته فى شرح الشمائل (بفمى) وفى نسخة بفى بكسر الفاء وتشديد الياء وذكره من باب التأكيد كقولهم رأيت بعينى وسمعت باذنى (فكان) اى الخاتم (ينم) بكسر النون وتضم وبتشديد الميم اى يجلب الريح ويفوح (على مسكا) اى ريح مسك او كمسك ومنه النميمة والطيب نمام اى يفوح وان لم يرد صاحبه ذلك والزجاج كذلك

لان المرءآة ترى للانسان مافيه من حسن اوقبح ولاتسترشيأ وفى المثل انم من الزجاج وفى رواية ينج بضم مثلثة وقد تكسر اى يسيل تشبيها له بثج دماء الهدى اى سيلانها بسرعة ومعناه ههنا يفوح وتسطع رآئحته بكثرة هذا وقد جمع بعضهم من اردفه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغ نيفا وثلاثين ولم يذكر منهم جابرا (وقد حكى بعض المعتنين) اسم فاعل من الاعتناء اى المهتمين (باخباره وشمائله) اى سيره وآثاره (صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط) اى يريد اخراج الغائط وهو ما يبرز من ثقل الطعام من المحل المعتاد ويطلق على المطمئن من الارض كما فى قوله تعالى او جاء احد منكم من الغائط (انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت) بالفاء وفى نسخة بالباء الموحدة بدل الفاء اى ظهرت (لذلك رآئحة طيبة صلى الله تعالى عليه وسلم) ذكره البيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وقال انه موضوع كما سيأتى (واسند محمد بن سعد) روى عن ابن عيينة وعنه ابن ابى الدنيا (كاتب الواقدى) وهو صاحب الطبقات وله تاليف جيد مفيد فى تعريف رجال الحديث قال ابن جماعة هو ثقة لكنه يروى عن الضعفاء منهم شيخه محمد بن عمر الواقدى والواقدى ولى القضاء ببغداد للمامون وروى عن مالك حديثا كثيرا وروى عنه الشافعى وغيره واستقر الاجماع على ضعفه كما فى الميزان (فى هذا) اى فى ان الارض تبتلع ما يخرج منه وتفوح له رآئحة طيبة (خبرا عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم انك تاتى الخلاء) هو بالمد (فلا نرى منك شيأ) ويروى فلا يرى منك شئ (من الاذى) بالقصر وهو ما يكره ويغتم به (فقال يا عائشة اوما) اى اجهلت وما (علمت ان الارض تبتلع) وفى نسخة تبلع بفتح اللام (ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شئ) وروى الدارقطنى فى افراده عنها قالت قلت يا رسول الله اراك تدخل الخلاء ثم يجيء الرجل يدخل بعدك فما يرى لما تخرج منك اثرا فقال اما علمت ان الله امر الارض ان تبتلع ما خرج من الانبياء (وهذا الخبر) اى الذى اسنده ابن سعد (وان لم يكن مشهورا) اى معروفا بين المحدثين وليس المراد به المشهور المصطلح عندهم نعم قال ابن دحية بعد ان اورده هذا اسند ثابت قيل وهو اقوى ما فى الباب ومع هذا (فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة هذين الحدثين منه صلى الله تعالى عليه وسلم) عبر عن الخارجين بهما استهجانا للتصريح باسمهما (وهو قول بعض اصحاب الشافعى رحمه الله) وعليه كثير من الخراسانيين لكن المعتمد فى المذهب خلافه كما ذكره الدلجى وقال ابو بكر بن العربى بول النبى صلى الله عليه وسلم ونجوه طاهران وهو احد قولى الشافعى وقال النووى فى الروضة ان بوله ودمه وسائر فضلاته طاهرة على احد الوجهين وفيه ان الحديث السابق لا يدل على المدعى كما لا يخفى بل على ضده كما يدل عليه الابتلاع اللهم الا ان يقال الريح الطيبة تدل على الطهارة وفيه بحث ثم قال البغوى بذلك مستدلا بشهادة الاستشفاء ببوله ودمه على ما نقله الدلجى وقرره وفيه نظر ايضا من جهة عدم لزومه اذ وقع الاستشفاء ببول الابل والجمهور ومنهم القائل به على نجاسته (حكاه) اى القول بطهارتهما (الامام ابو نصر ابن الصباغ) بالباء الموحدة المشددة (فى شامله) هو بغدادى شافعى المذهب له تآليف منها الشامل ومنها الكامل (وقد حكى القولين عن العلماء فى ذلك) اى فى كونهما طاهرين او نجسين (ابو بكر) وفى رواية ابو الحسن (ابن سابق) بكسر الموحدة (المالكى فى كتابه البديع فى فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم) اى للمالكية (منها) اى من الفروع التى هى (على مذهبهم) اى ولم يخرجوها وانما خرجت (من تفاريع الشافعية) والظاهر المتبادر ان قوله وتخريج مجرور عطفا على فروع كما اشار اليه التلمسانى وصرح به الانطاكى وابعد الدلجى وجعله منصوبا عطفا على القولين ثم قال والتخريج فى اصطلاحهم ان ينص الشافعى على حكمين مختلفين فى صورتين متشابهتين ولم يظهر لهم ما يصلح فارقا بينهما فينقلوا نصه فى كل صورة منهما الى الاخرى كمسئلتى الاجتهاد فى الاوانى والقبلة اذ قد منع فى الاولى العمل بتغيير الاجتهاد وجوزه فى الثانية فنقلوا منعه فى تلك الى هذه وتجويزه فى هذه الى تلك فصار فى كل قولان منصوص عليهما ومخرج المنصوص فى كل هو المخرج فى الاخرى (وشاهد هذا) اى دليل هذا القول على طهارة ما ذكر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب) وفيه انه منقوض بما صح عن عائشة رضى الله عنها انها كانت تغسل المنى من ثوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبانه كان يستنجى بنحو حجر ومدر وايضا انه لو كان الخارجان منه طاهرين لما كانا حدثين ناقضين كالعرق والدمع والبزاق والمخاط ونحوها والاجماع على انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى نواقض الوضوء كالامة الا ما صح استثناؤه كالنوم بدليل انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ينام عيناه ولا ينام قلبه كما سيأتى (ومنه) اى ومن الشاهد بانه لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب (حديث على رضى الله عنه) اى فيما رواه ابن ماجه وابو داود فى مراسيله انه قال (غسلت النبى عليه السلام) بتشديد السين وتخفيفها وهو اظهر (فذهبت) اى شرعت وقصدت (انظر ما يكون من الميت) اى من خروج دم وغيره من النجاسات عند خروج روحه او حين غسله (فلم اجد شيأ) اى مما خرج منه (فقلت طبت حيا وميتا) ونصبهما على الحال او على نزع الخافض اى فى الحياة

والممات او على التمييز ذكره التلمسانى ولا يخفى بعده ماعدا الاول فتأمل فانه موضع زال ومحل خطل ثم انت ترى ان هذا الحديث لا يصلح ان يكون شاهدا كما لا يخفى وقد روى عن على كرم الله وجهه انه حين غسل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بطنه فلم يجد شيأ فقال طبت حيا وميتا وفى رواية فاح ريح المسك فى البيت لما فى بطنه قيل وانتشر فى المدينة (قال) اى على (وسطعت) اى ارتفعت وانتشرت وفاحت (منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله) اى ومثل قول على طبت حيا وميتا (قال ابو بكر) رضى الله عنه (حين قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته) رواه البزار عن ابن عمر بسند صحيح وهو بعض خبر فى البخارى (ومنه) اى ومن الشاهد (شرب مالك بن سنان) بكسر السين المهملة واما الشرب فبضم المعجمة ويجوز فتحها وكسرها (دمه) اى دم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم احد ومصه اياه) قيل شربه ابتلاعه ومصه اخذه من الجرح بفيه او شربه ابتلاعه دفعة ومصه ابتلاعه قليلا قليلا وروى اذ ذاك مرفوعا من مس دمه دمى لم تصبه النار (وتسويغه صلى الله عليه وسلم) اى تجويزه (ذلك له وقوله له ان تصيبه النار) رواه الطبرانى عن ابى سعيد الخدرى عن ابيه مالك بن سنان قتل يوم احد وهو جبل معروف يخفف ويثقل وقيل يخفف ذكره التلمسانى والتشديد فيه غريب ورواه البيهقى عن عمر بن السائب ثم فى الحديث قد يقال ان الضرورات تبيح المحظورات (ومثله) وفى اصل الدلجى ومنه اى ومن الشاهد كما رواه الحاكم والبزار والبيهقى والبغوى والطبرانى والدارقطنى وغيرهم فالعجب من ابن الصلاح انه قال هذا حديث لم اجد له اصلا بالكلية وهو فى هذه الاصول (شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له عليه الصلاة والسلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه) وفيه ان هذا حكم مسكوت عنه بعد وقوعه ولم يدخل تحت تقريره اذ لم يطلع على شربه حال فعله مع ان فى قوله ويل لك من الناس وويل لهم منك نوع نكير عليه اذ الويل الفضيحة المترتبة على الفتنة وروى الزبير بن بكار انه حين ولدته امه رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هو هو فسمعته امه فامسكت عن ارضاعه فقال ارضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب فى ثياب ليمنعن البيت وليقتلن دونه وهذا مما اخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات اذ قد بويع له بالخلافة سنة خمس وستين بعد وفاة معاوية واطاعه اهل الحجاز واليمن والعراقين وخراسان وحج بالناس ثمانى سنين ثم وقعت الفتنة وعمرو بن سعيد على المدينة نائبا لعبد الملك بن مروان فكان يبعث البعوث اليه منها الى مكة حتى ارسل له عبد الملك الحجاج فابتدأ حصاره غرة ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين وحج تلك السنة الحجاج ووقف بعرفة عليه درع ومغفر ولم يطف الناس بالبيت فى تلك الحجة فحاصره ستة اشهر وسبعة عشر يوما ثم قتل فى نصف جمادى الاخرة سنة ثلاث وسبعين وعمره اثنتان وسبعون سنة واياما على ما ذكره الدلجى وروى الشعبى قال هاج الدم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحجمه ابو طيبة فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اشكموه فاعطوه دينارا وقال لابن الزبير واره يعنى الدم قال فتوارى ابن الزبير فشرب الدم فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعله فقال اما انه لا تصيبه النار او لا تمسه النار قال الشعبى فقيل لابن الزبير كيف وجدت طعم الدم فقال اما الطعم فطعم العسل واما الرآئحة فرآئحة المسك اقول فهذا من باب قلب الاعيان الذى عد من معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبهذا يندفع نزاع الفقهاء ويؤيده ما ذكره التلمسانى عن عائشة رضى الله عنها وذكرت انها لا تجد فى الخلاء شيأ فقال انا معاشر الانبياء تنبت اجسادنا على ارواح الجنة فما خرج منها من شئ ابتلعته الارض ولكن رواه البيهقى فى الدلائل عنها ثم قال هذا من موضوعات الحسين بن علوان لا ينبغى ذكره فى الاحاديث الصحيحة المشهورة من معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان انتهى وروى ان رجلا قال رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد فى المذهب فلما خرج نظرت فلم ار شيأ ورأيت فى ذلك الموضع ثلاثة الاحجار اللاتى استنجى بهن فاخذتهن فاذا بهن يفوح منهن روآئح المسك فكنت اذا جئت يوم الجمعة المسجد اخذتهن فى كمى فتغلب رآئحتهن روآئح من تطيب وتعطر (وقد روى نحو من هذا عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى امرأة شربت بوله) اى من غير علم بانه بول كما سيأتى (فقال لها لن تشتكى) باسكان الياء على ان النون حذفت للناصب (وجع بطنك ابدا) وفى رواية ان تلج النار بطنك والحديث رواه الحاكم واقره الذهبى والدارقطنى (ولم يأمر واحدا منهم) اى احدا ممن شربه وفيه تغليب الرجال على النساء (بغسل فم) لا دلالة فى الاحاديث على الامر ولا على عدمه مع ان غسل الفم من البول كان عندهم من قبيل المعلوم بالضرورة وعلى تسليم عدم الامر لا يثبت طهارته لاحتمال الذهول او للاعتماد على الظهور الا ان يثبت انه رأى احدا منهم يصلى من غير غسل فم مثلا وسكت عليه واقره كما هو مقرر عند ارباب الاصول (ولا نهاه) اى الاحد (عن عوده) اى عن عود شرب بوله وفيه انه لا يحتاج الى النهى عن العود الا اذا وقع ذلك الفعل عن العمد من غير ضرورة ولا حالة جذبة وسيأتى اعتذارها بانها شربته بغير علمها وفى نسخة صحيحة بلفظ عودة بالتاء

للوحدة هذا وروى ابن عبد البر ان سالم بن ابى الحجاج حجمه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ازدرد اى ابتلع دمه
فقال اما علمت ان الدم كله حرام وفى رواية لا تعد فان الدم كله حرام (وحديث هذه المرأة التى شربت بوله صحيح)
اى واصحته (الزم الدارقطنى) بفتح الراء وتسكن نسبة الى دارقطن محلة ببغداد وهو صاحب السنن وروى عنه الحاكم
وابو ذر الهروى وابو نعيم وغيرهم (مسلما والبخارى) اى كلا منهما (اخراجه) اى تخريج الحديث وذكره باسناده
(فى الصحيح) اى فى كل من صحيح البخارى ومسلم اذ رجاله كرجالهما فى الضبط والعدالة وغيرهما لكن انما يتوجه هذا
الالزام عليهما لو التزما تخريج جميع الصحيح ولم يلتزماه والحاصل ان هذا الحديث فى مرتبة الحديث الذى اتفق عليه
الشيخان من كمال الصحة وان لم يخرجاه فى جامعيهما لكن انتقد عليه فانه جاء من جهة ابى مالك النخعى وانه ضعيف وفى
علل الدارقطنى ايضا انه مضطرب من جهة ابى مالك والله تعالى اعلم (واسم هذه المرأة بركة) بالفتحات (واختلف
فى نسبها) فقيل هى بنت يسار مولاة ابى سفيان بن حرب بن امية كانت هى وزوجها قيس بن عبيد الله هاجرا مع
ام حبيبة بنت مولاها ابى سفيان وزوجها عبيد الله بن جحش فلما تنصر زوج ام حبيبة وبقيت على الاسلام خطبها
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزوجها له النجاشى واصدقها عنه اربعمائة دينار او اربعمائة اوقية ذهب
ثم بعثها اليه مع شرحبيل بن حسنة وقدمت بركة هذه معها وكانت تخدمها او تخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وهى اسم لثلاثة منهن ام ايمن (وقيل هى ام ايمن) اى الحبشية مولاته وحاضنته ومرضعته ورثها من ابيه ثم اعتقها
لما تزوج خديجة فتزوجها عبيد بن زيد من بنى الحارث فولدت له ايمن وبه كنيت ثم تزوجها بعد النبوة زيد بن
حارثة فولدت له اسامة حبه صلى الله تعالى عليه وسلم والى هذا القول ذهب ابن عبد البر وغيره وقال الواقدى كانت ام
ايمن عسيرة اللسان فكانت اذا دخلت قالت سلام لا عليكم يعنى سلام الله عليكم فرخص لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان تقول سلام عليكم او السلام عليكم كذا ذكره التلمسانى تبعا للحلبى وفيه ان هذا جائز لغيرها ايضا فلا وجه
للترخيص لها او اهل الرخصة ان تقول سلام بدون عليكم ويؤيده قولهم ان ذلك كان تكرمة لها وروى ان النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم قال هى امى بعد امى (وكانت تخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الدال وتكسر على
ما فى القاموس فاندفع قول التلمسانى ولا يصح الكسر كما تقوله العامة (قالت) اى المرأة (وكان لرسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قدح من عيدان) بفتح عين مهملة ووزنه فعلان او فيعال جمع عيدانة وهى النخلة الطويلة وقيل
بكسرها جمع عود (يوضع) اى القدح (تحت سريره فيبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده) اى طلبه ليصبه
(فلم يجد فيه شيأ فسأل بركة عنه) اى عن بوله الذى كان فى القدح (فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم) اى انه
بول قال الدلجى تبعا لغيره من المحشين الصواب عطشى لانه مؤنث عطشان الا ان تكون لغة قلت الصواب ان
عطشانة جاء فى لغة كما فى القاموس وقيل هى لغة بنى اسد ثم القدح اناء يشرب منه ويقال للصغير الغمر بضم الغين وهو
اول الاقداح وهو الذى لا يبلغ الرى ثم القعب وهو قد يروى الرجل ثم القدح وهو يروى الاثنين والثلاثة ثم غيرها
على ما فى كتب اللغة والسرير مرفع يصنع من خشب ويوضع فى ناحية من البيت او السطح يتخذ للرقاد وقاية من
الارض وما فيها (روى حديثها) اى بكماله (ابن جريج) بالجيمين مصغرا مجمع على كونه ثقة ولد سنة ثمانين ومات
سنة خمسين ومائة روى عن مجاهد وعطاء وطاوس وابن ابى مليكة وعنه ابن عيينة والثورى وغيرهما وهو مجمع
على ثقته وهو اول من صنف الكتب فى الاسلام وقد روى عن حكيمة بنت اميمة بنت ابى صيفى عن امها قالت كان
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره ليبول من الليل فيه فبال فيه ليلة ووضع
تحت سريره ثم افتقده فلم يجد فيه شيأ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدمه ما فعل بالبول الذى كان فى هذا القدح
فقالت يا رسول الله انى شربته وروى عبد الرزاق عنه قال اخبرت ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يبول فى قدح
من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا هو ليس فيه شئ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم ام حبيبة جاءت معها
من ارض الحبشة اين البول الذى كان فى القدح قالت شربته قال صحة يا ام يوسف وكانت تكنى ام يوسف فما مرضت
قط حتى ماتت (وغيره) اى ورواه ايضا غير ابن جريج كابى داود وابن حبان والحاكم عن اميمة عن امها وروى الحاكم
والدارقطنى عن ام ايمن قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة فى جانب البيت فبال فيها فقمت
من الليل وانا عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح قال يا ام ايمن قومى فاهرقى ما فى تلك الفخارة قلت قد والله
شربته فضحك ثم قال اما والله لا يجعن بطنك بعدها ابدا وهذا يدل على انهما واقعتان وقعتا كما قال ابن دحية لبركة
ام يوسف وبركة ام ايمن وينصره ما فى خصائص تدريب البلقينى انهما شربتاه هذا وقد شرب ايضا دمه عليه الصلاة
والسلام ابو طيبة عاش مائة واربعين سنة وسفينة مولى النبى صلى الله عليه وسلم رواه البيهقى عن على بن ابى طالب

كرم الله وجهه ذكره الرافعى فى الشرح الكبير قال ابن الملقن ولم اجده فى كتب الحديث (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم
قد ولد مختونا) اى لا قلفة له (مقطوع السرة) بضم السين رواه ابو نعيم والطبرانى فى الاوسط وفى دلائل البيهقى بسند
ضعيف عن ابن عباس رضى الله عنه عن ابيه انه ولد معذورا مسرورا اى مقطوع السرة مختونا يقال عذره واعذره
ختنه وروى الخطيب عن انس رضى الله عنه مرفوعا وصححه ايضا فى المختار من كرامتى على ربى انى ولدت مختونا
ولم ير احد سوءتى وقال الحاكم تواترت الاخبار بولادته مختونا وتعقبه الذهبى بقوله ما اعلم صحته فكيف يكون متواترا
قلت يجوز ان يكون الشئ متواترا عند بعض دون بعض وقيل ختن لما شق قلبه عند مرضعته حليمة اى ختنته
الملائكة عندها كما ذكره التلمسانى وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته وصنع له مأدبة وسماه محمدا (وروى فى بعض
الروايات عن امه امنة) بالمد على وزن فاعلة وهى بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ولم تلد
غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يتزوج غيرها عبد الله على الاصح فيهما وفى اسم آمنة امان امته وفى حليمة حلم
وفى بركة بركة فتلك امنة من سائر النقم وذكر السهيلى ان الله عز وجل احيى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ابويه فآمنا به
ثم اماتهما وكذلك نقله السيوطى فى خصائص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه حديث موضوع كما صرح به
ابن دحية وقد بينت هذه المسئلة فى رسالة مستقلة (انها قالت ولدته نظيفا) اى نقيا (ما به قذر) بفتحتين اى وسخ
ودرن كذا رواه ابن سعد فى طبقاته وروى انه ولدته امه بغير دم ولا وجع قال المسعودى ولد عليه السلام فى شهر ربيع
الاول من سنة اربعين من ملك كسرى نوشروان فى دار ابن يوسف وهذه الدار بنتها بعد ذلك الخيزران ام الهادى
والرشيد مسجدا (وعن عائشة رضى الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) اى اما حياء منه
او منها او منهما والحديث رواه ابن ماجه والترمذى فى شمائله وروى عنها انها قالت ما رأيت منه ولا رأى منى اى العورة
(وعن على رضى الله عنه اوصانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا) اى بان لا (يغسله غيرى) بتخفيف السين وتشديدها
(فانه لا يرى احد عورتى الا طمست عيناه) بصيغة المجهول وابعد التلمسانى فى قوله بفتح الميم مع انه قال والطمس
المحو والمطموس العين هو الذى لا شق بين جفنيه انتهى والمعنى عميت قال الدلجى قوله فانه علة لترك غسله لغير على
كرم الله وجهه وتحذير من اقدام غيره عليه وخصه بذلك لعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بان له قدرة على غض بصره
انتهى وفيه نظر لان غض البصر من كل احد ممكن اذا اوصاه به وفى السيرة عن يونس بن بكر انه نودى وهو يغسله
ان ارفع طرفك الى السماء وفيه اشكال اذ لا يمكن غسله بكماله مع غض البصر ورفعه وايضا لا يخلو من انه يغسل مجردا
او مصحوبا بما يغطى عورته من سرته الى ركبته او فى قميصه ولا اظن ان الاحتمال الاول يصح اذ لا يجوز لغيره ان يفعل
هذا به فكيف بمثله صلى الله تعالى عليه وسلم مع قوله فانه اى الشأن لا يرى احد عورتى الا طمست عيناه فهو بيان
وتنبيه لعلى وغيره ممن كان يعينه فى غسله من اهل البيت ان لا يقصدوا رؤية عورته ليحترسوا او يحترزوا عن كشفها
ووقوع نظرهم عليها هذا وعن ابن اسحق لما اختلفوا هل يغسلونه فى ثوبه اولا نودوا ان غسلوه فى ثوبه انتهى والمراد
بثوبه قميصه كما بينته فى شرح الشمائل للترمذى (وفى حديث عكرمة) وهو مولى ابن عباس رضى الله عنه واحد
فقهاء مكة وتابعيهم ومفسريهم لكنه اباضى خارجى (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه الشيخان عنه
(انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له) بصيغة المفعول (غطيط) اى صوت يخرج مع نفس النائم (فقام فصلى
ولم يتوضأ قال عكرمة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان محفوظا) اى من ان يخامر قلبه نوم وان خامر عينيه لحديث
انا معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا واما نومه عن صلاة الصبح فى الوادى وعن صلاة التهجد احيانا فالاظهر
انه تجديد للوضوء ويجوز ان يكون عن نقض قبله او بعده وقيل عن مخامرة قلبه مع ندرة ليبين لامته لكنه مردود
لما سبق من عموم الاوقات المفهوم من الحديث الذى تقدم والله اعلم (فصـــل) (واما وفور عقله) اى زيادته
على عقل غيره (وذكاء لبه) بفتح الذال المعجمة ممدودا اى حدة فهمه وسرعة دركه واللب اخص من العقل فانه مختص
بالعقل السليم والفهم القويم من لب الشئ خالصه وسره ومنه قوله تعالى ان فى ذلك لعبرة لاولى الالباب (وقوة حواسه)
بتشديد السين جمع حاسة من حس بمعنى احس وهى اسباب علمه من سمع وبصر وذوق وشم ولمس بهم جميع البدن
(وفصاحة لسانه) اى حسن تعبيره وبيانه (واعتدال حركاته) اى وسكناته من قيام وقعود ومشى ورقود ونحو ذلك
(وحسن شمائله) اى من خلقه وخلقه (فلا مرية) بكسر الميم وتضم كما قرئ بهما فى قوله تعالى فلا تك فى مرية الا ان
الضم شاذ اى فلا شك (انه كان اعقل الناس واذكاهم) بالذال المعجمة اى احدهم طبعا واطيبهم نفعا (ومن تأمل) اى
تفكر (تدبيره) اى نظره باعتبار عاقبته (امر بواطن الخلق وظواهرهم) اى بتصرفه فيهما الى حسن مآلهما (وسياسة
العامة والخاصة) من سست الرعية سياسة امرتها ونهيتها والظاهر انها بكسر السين وابدلت الواو ياء لحركة ما قبلها

كالقيام والصيام فانهما من مادة السوس على ما فى القاموس وقال الحلبى بفتح السين والظاهر انه سبق قلم اوزلة قدم ثم
المراد بالخاصة العالم والمتعلم وبالعامة من عداهم كما ورد الناس اثنان عالم ومتعلم والباقى همج رعاع اتباع لا يعبأ
الله بهم وعن على كرم الله وجهه وقد سئل عن العامة فقال همج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا
الى ركن وثيق واجمع الناس فى تسميتهم على انهم غوغاء وهم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا انتهى
والغوغاء مأخوذ من غوغاء الجراد لانه يركب بعضه بعضا فسميت العامة باسمه لاجل الشبه الحاصل بينهما فى
الارتكاب اى يتبع بعضهم بعضا من غير فائدة ولا منفعة وانما هم يقبلون لا لشئ ويدبرون لا لشئ (مع عجيب شمائله)
اى اخلاقه العجيبة (وبديع سيره) بكسر ففتح جمع سيرة اى سيره الغريبة (فضلا) مصدر لفعل محذوف يقع متوسطا بين
نفى واثبات لفظا ومعنى فالمعنى لم ينل احد عقله بفضل فضلا (عما افاضه) اى زيادة عما ابداه وبينه واذاعه وافشاه
(من العلم) اى اعتقادا وعمليا (وقرره) اى اثبته وحرره (من الشرع) بيان لما افاضه وقرره وذلك كله (دون تعلم سبق)
اى له من غيره (ولا ممارسة) اى ملازمة (تقدمت) اى منه لشئ من ذلك (ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر) من الامتراء
وهو جواب الشرط اى لم يشك (فى رجحان عقله وثقوب فهمه) بضم المثلثة اى فى سرعة دركه (لاول بديهة) اى فى
اول وهلة بدون تفكر وسرعة فكانه يثقب العلم بقوة فهمه كما يثقب النجم الظلام بقوة ضوئه (وهذا) اى ما ذكر (مما لا
يحتاج الى تقريره) اى ذكره وتحريره (لتحقيقه) وفى نسخة لتحققه اى لظهور تحققه وثبوت امره عقلا ونقلا (وقد قال
وهب بن منبه) بتشديد الموحدة المكسورة وهو تابعى جليل من المشهورين بمعرفة الكتب الماضية روى عن ابن
عباس وغيره من الصحابة رضى الله عنهم وروى عنه ابن دينار وعوف الاعرابى وآخرون واتفقوا على توثيقه ويقال
انه ما وضع جنبيه على الارض ثلاثين سنة وكان يقول لان ارى فى بيتى شيطانا احب الى من ان ارى وسادة لانها تدعو
الى النوم وله اخوة منهم همام بن منبه وعمر بن منبه وهم من ابناء الفرس الذين بعث بهم كسرى الى اليمن (قرأت
فى احد وسبعين كتابا) اى من كتب الله المنزلة وفى معارف ابن قتيبة قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتابا (فوجدت
فى جميعها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارجح الناس) اى الخلق (عقلا وافضلهم رأيا) اى تدبيرا ناشئا من العقل
الكامل الذى ينظر فى بدء الامر ودبره واوله وآخره وقيل الرأى رأى القلب وهو ما رآه من حالة حسنة (وفى رواية
اخرى فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى
الله تعالى عليه وسلم الا كحبة) اى لم يعطهم جميعا منه شيأ نسبته الى عقله الا كنسبة حبة (رمل من بين رمال الدنيا)
اى بالنسبة الى رمالها وهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس والظاهر انه كان افضلهم رأيا فى الامور الدينية وكذا
فى الاعمال الدنيوية باعتبار الاكثرية او حالة جزمه بالقضية فلا ينافيه حديث البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم
رأى اهل المدينة يأبرون النخل بكسر الباء وضمها فسألهم عنه فقالوا كنا نفعله فقال لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرا
فتركوه فسد ذلك العام فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر مثلكم فاذا امرتكم بشئ من دينكم فخذوه واذا امرتكم بشئ
من رأيى اى مع تردد فيه وعدم جزم بحسنه فانما انا بشر اخطئ واصيب اى فى غير ما اوحى اليه وحيا جليا او خفيا
كما اشار اليه قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى الآية (وقال مجاهد) اى كما رواه عنه ابن المنذر والبيهقى مرسلا
بلفظ (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام فى الصلاة) وفى نسخة الى الصلاة والاظهر هو الاول فتأمل
(يرى من خلفه كما يرى من بين يديه) من فيهما جارة ويجوز ان تكون موصولة وكذا ما ورد مثلها مما سيأتى (وبه)
اى وبما ذكر من انه يرى من خلفه (فسر) اى مجاهد (قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين) بالنصب عطفا على الضمير
المفعول فى قوله سبحانه وتعالى وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم والمعنى ويرى تردد بصرك فى من وراءك
من المصلين لتصفح احوالهم من الكاملين والغافلين (وفى الموطأ) للامام مالك عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه
(عنه عليه الصلاة والسلام) وصدره أترون قبلتكم هذه فوالله لا يخفى على ركوعكم ولا سجودكم (انى لاراكم من وراء
ظهرى ونحوه) اى نحو حديث الموطأ بحسب المعنى (عن انس) رضى الله عنه (فى الصحيحين) وهو ما روياه عن انس
مرفوعا اقيموا الركوع والسجود فوالله انى لاراكم من بعدى وربما قال من بعد ظهرى اذا ركعتم وسجدتم (وعن
عائشة رضى الله تعالى عنها مثله) اى مثل ما فى الصحيحين لفظا ومعنى (قالت) اى عائشة رضى الله تعالى عنها (زيادة)
على ما سبق اى هذه المعجزة العظيمة والخصلة الكريمة زيادة فضيلة (زاده الله اياها فى حجته) اى لصحة نبوته (وفى بعض
الروايات) اى لعبد الرزاق والحاكم (انى لانظر من ورائى كما انظر الى من بين يدى) فالموصولة متعينة فيهما وفى نسخة
الى ما وفى رواية كما انظر من بين يدى فالاحتمالان فى من جائزان (وفى اخرى) اى وفى رواية اخرى لمسلم (انى لابصر
من قفاى كما ابصر من بين يدى وحكى بقى بن مخلد) بفتح الموحدة وكسر القاف وتشديد التحتية ومخلد بفتح الميم

واللام بينهما خاء معجمة وهو ابو عبد الرحمن القرطبى الحافظ صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذى قال فيه ابن
حزم ما صنف تفسير مثله اصلا سمع ابن ابى شيبة وغيره وكان مجتهدا ثبتا لا يقلد احدا قال ابن حزم كان بقى ذا خاصة من
احمد بن حنبل وجاريا فى مضمار البخارى ومسلم والنسائى انتهى وكان مجاب الدعوة وقيل انه كان يختم القرآن كل
ليلة فى ثلاث عشرة ركعة ويسرد الصوم وحضر سبعين غزوة (عن عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء) وفى رواية كما يرى فى النور وقال البيهقى اسناده ضعيف كما رواه ايضا من
حديث ابن عباس رضى الله عنه كان يرى بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار فى الضوء وقال ليس بقوى وقال ابن
الجوزى لا يصح ولا ينافيه ما فى روضة الهجرة للسهيلى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما تزوج ام سلمة دخل عليها فى
ظلمة فاصاب رجله زينب فبكت ثم فى ليلة اخرى دخل فى ظلمة ايضا فقال انظروا ربائبكم لا امشى عليها لاحتمال حمل
ما سبق على حالة من احواله المسماة بالمعجزة والكرامة وهى لا تستدعى استيفاء الاوقات والمداومة فيحمل احداهما على
الندرة او تخص تلك الحالة بوقت الصلاة هذا وقد ذكر النووى فى شرح مسلم قال العلماء معناه ان الله خلق له صلى الله
تعالى عليه وسلم ادراكا فى قفاه يبصر به من ورائه وقد انخرقت العادة له صلى الله تعالى عليه وسلم باكثر من هذا وليس
يمنع من هذا عقل ولا شرع بل ورد الشرع بظاهره فوجب القول به وذكر المصنف كما سيأتى انه قال احمد بن حنبل
وجمهور العلماء هذه الرؤية رؤية العين حقيقة وذكر مختار بن محمود مصنف القنية الزاهدى من اصحابنا الحنفية وشارح
القدورى فى رسالته الناصرية انه عليه الصلاة والسلام كان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط وكان يبصر بهما
ولا يحجبهما الثياب (والاخبار كثيرة صحيحة فى رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم للملائكة والشياطين) اما الاول
فكرواية البخارى وغيره انه رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح على كرسى بين السماء والارض قد سد الافق
وقد رأى كثيرا منهم ليلة الاسراء وربما قيل انه امر فيهم ونهى واما الثانى فكحديث البخارى ان عفريتا تفلت على
البارحة فى صلاة المغرب وبيده شعلة من نار ليحرق بها وجهى فامكننى الله منه فدفعته ثم اردت ان اربطه بسارية من
سوارى المسجد فذكرت دعوة اخى سليمان وفى رواية لولا دعوة اخى سليمان لاصبح يلعب به ولدان المدينة (ورفع
النجاشى) بفتح النون وتكسر وبتشديد الياء وتخفف وقيل هو اول لقب من ملك الحبشة واسمه كما فى البخارى
اصحمة وقيل صحمة او صمحة كتب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشهد انك رسول الله
صادقا مصدقا قد بايعتك واسلمت لله رب العالمين ورفع بصيغة المجهول والنجاشى وما عطف عليه مرفوع
على نيابة الفاعل كما صرح به الحلبى وابعد الدلجى وجعله مخفوضا حيث قال وجاءت ايضا يعنى الاحاديث فى رفع
النجاشى (له حتى صلى عليه) اى يوم مات فى رجب سنة تسع من الهجرة وقد اخرج ابو داود من طريق يزيد بن
مروان عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه لما مات النجاشى كان يتحدث انه لا يزال يرى على قبره نور واما حديث
صلاته عليه فرواه الشيخان وغيرهما وبه استدل الشافعى على جواز الصلاة على الغائب واما حديث رفعه له فظاهره
ان المرفوع هو على نعشه حتى قيل انه احضر بين يديه فلم تقع الصلاة الا على حاضر وقيل رفع له الحجاب وطويت
له الارض حتى رآه قال الدلجى وجميع ما ذكر وان كان ممكنا وقوعه فدعوى بلا بينة اذ لم يشهد به كتاب ولا سنة
ومن ثمة انكره ابن بحر لعدم وجوده فى خبر وروايته عالم فى اثر وانما الوارد فى رواية ابى على والبيهقى ان معاوية بن
معاوية المزنى رفع له وهو صلى الله تعالى عليه وسلم بتبوك حتى صلى عليه انتهى ولا يخفى ان ثبوت هذه القضية فى الجملة
مع ذلك الاحتمال ينفى التعلق بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقام الاستدلال كيف وقد جاء فى المروى ما يومى
اليه وهو ما رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث عمران بن حصين انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان اخاكم النجاشى
توفى فقوموا وصلوا عليه فقام عليه الصلاة والسلام وصفوا خلفه فكبر اربعا وهم لا يظنون ان جنازته بين يديه فهذا
اللفظ يشير الى ان الواقع خلاف ظنهم لانه هو فائدته المعتد بها فاما ان يكون سمعه منه عليه الصلاة والسلام او كشف
له وقد صرح القسطلانى فى شرح البخارى ناقلا عن اسباب النزول للواحدى عن ابن عباس قال كشف للنبى صلى
الله تعالى عليه وسلم عن سرير النجاشى حتى رآه وصلى عليه وقال التلمسانى ذكر ابن قتيبة فى آداب الكتاب
والكلاعى فى النقاية انه توفى ورفع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صلى عليه حين منصرفه من غزوة
تبوك هذا مع انه قد يقال ان ذلك خص به النجاشى فلا يلحق به غيره ودليل الخصوصية انه لم يصل على غائب الا عليه
وعلى بعض آخر صرح فيه بانه رفع له كما رواه الطبرانى من حديث ابى امامة وابن سعد فى الطبقات عن انس ان معاوية بن
معاوية المزنى ويقال الليثى نزل جبريل عليه السلام بتبوك فقال يا رسول الله ان معاوية بن معاوية المزنى مات بالمدينة
اتحب ان اطوى لك الارض فتصلى عليه قال نعم فضرب بجناحه الارض فرفع له سريره فصلى عليه وخلفه صفان

من الملائكة فى كل صف سبعون الف ملك ثم رجع فقال عليه الصلاة والسلام لجبريل بم ادرك هذا قال بحبه سورة قل هو الله احد وقرآءته اياها جائيا وذاهبا وقائما وقاعدا وعلى كل حال (وبيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال وجوز ضم ميمه وفتح داله المشددة وهو بالرفع اى ورفع له ايضا بيت المقدس كما فى الصحيحين (حين وصفه لقريش) الظاهر حتى وصفه لقريش حين كذبوه فى اخباره انه اسرى به اليه ثم الى ماشاء الله تعالى ثم رجع الى مكة فى ليلة وارتد كثير ممن اسلم واخبروا ابا بكر بذلك فقال لهم والله لقد صدق انه ليخبرنى ان الخبر يأتيه من السماء فى ساعة واحدة من ليل او نهار فاصدقه وهو ابعد مما تعجبون منه ثم قال يانبى الله صفه لى فانى جئته فرفع له حتى نظر اليه فطفق يصفه له ويصدقه وفى مسلم لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن اشياء من بيت المقدس فكربت كربة ما كربت مثلها قط فرفعه الله لى فما سألونى عن شئ منه الا انبأتهم به (والكعبة) اى ورفع الكعبة له ايضا حتى رأها (حين) وفى نسخة حتى (بنى مسجده) اى بالمدينة ليجعل محرابه اليها على مارواه الزبير بن بكار فى تاريخ المدينة عن ابن شهاب ونافع بن جبير بن مطعم مرسلا قال الدلجى وهو غريب والمعروف ان جبريل هو الذى اعلمه بها واراه سمتها لا انها رفعت له حتى رأها بشهادة مافى جامع العتبية من سماع مالك قال سمعت ان جبريل هو الذى اقام له قبلة مسجده انتهى ولايخفى انه يمكن الجمع بينهما بان اخبره جبريل ثم رفع له البيت الجليل او بان يحمل كل قضية على مسجد من مسجد المدينة وقبا فان قيل لا خلاف فى انه اول قدومه المدينة كان يصلى الى بيت المقدس الى ان حولت بعد بنائه مسجده فكيف يجعل محرابه الى الكعبة فالجواب انه يمكن تقديم بناء المسجد وتأخير بيان المحراب الى الكعبة بعد التحويل مع انه قد يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بعض الصلاة اول البناء الى الكعبة ثم حول الى بيت المقدس ثم حول الى الكعبة ويؤيده خبر بعض نساء الانصار كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين بنى مسجده يؤمه جبريل الى الكعبة ويقيم له القبلة وهذا ايضا يؤيد الجمع الاول فتأمل (وقد حكى عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم قال التلمسانى جاء ذلك فى حديث ثابت من طريق العباس عمه عليه الصلاة والسلام ذكره ابن خيثمة (انه كان يرى فى الثريا احد عشر نجما) والثريا تصغير ثروى وهى المرأة الكثيرة المال من الثروة وهى الكثرة والنجم المعروف لكثرة كواكبه مع ضيق المحل وقال السهيلى الثريا اثناعشر كوكبا وكان يراها كلها كما جاء ذلك فى حديث ثابت من طريق العباس وقال القرطبى لا تزيد على تسعة فيما يذكرونه انتهى ولعله بالنسبة الى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبالجملة ذلك لحدة بصره وقوة نظره ويقال لها النجم وهى النجم لانها لاتفترق فهى كالواحد (وهذه) اى الاخبار المذكورة والآثار المسطورة (كلها محمولة على رؤية العين وهو) اى هذا القول او هذا الحمل وابعد الدلجى فى قوله ذكره نظرا الى مابعده وهو (قول احمد بن حنبل وغيره) اى من المحققين وهم الجمهور كما سبق والامام احمد من مرو وسكن ببغداد من صغره ومات بها رحمه الله تعالى وروى عنه الشيخان قال الانطاكى تبعا للحلبى وروى عنه البغوى والظاهر انه وهم (وذهب بعضهم) اى كالنووى فى شرح مسلم (الى ردها الى العلم) اى فهى رؤية علم وكشف قال المنجانى ومعنى ذلك ان الله سبحانه وتعالى خلق له علما بجميع مايفعل وراءه صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك خروج عن ظاهر الحديث وانما تميل اليه المعتزلة لانهم يشترطون فى الادراك بنية مخصوصة تخلق له واغرب الدلجى فى قوله اى خلق الله تعالى له فى قفاه قوة ادراكية يدرك بها من وراءه على طريق خرق العادة انتهى ولايخفى ان مأله الى ان الرؤية بصرية واغرب من ذلك انه لماذكر هذا قال واغرب مختار بن محمود الحنفى حيث قال وكان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط لايحجب بصرهما الثياب والله اعلم بالصواب (والظواهر تخالفه) اى ظواهر هذه الاخبار تخالف ماذهب اليه البعض من العلماء الاخيار وابعد بعضهم على ماذكره المصنف فى مشارق الانوار حيث قال انما هى بالتفاتة يسيرة الى من وراءه معللا بانه لو كان يرى من خلفه لما قال ايكم الذى ركع دون الصف فقال ابو بكرة انا يارسول الله فقال زادك الله حرصا ولا تعد والجواب ان فى نفس الحديث مايدل على مدعانا اذ صرح بانه رأى رجلا ركع قبل دخوله فى الصف وعدم علمه بخصوص فاعله اما لبعده عنه واما لكثرة الصفوف او لاستغراق ونحوه مما يمنع التوجه الى صوبه وتعمقه فى قصده فرأه مجملا لا مفصلا مع ان خوارق العادات لايلزم تحققها فى جميع الاوقات وقال ابن عبد البر هذا قبل ان يمنحه الله بهذه الفضيلة فقد كانت خصائصه تزايد فى كل وقت وحين والله الموفق والمعين (ولا احالة) مصدر احاله والمحال هو الشئ الممتنع فالمعنى لا امتناع شرعا وعقلا وعادة (فى ذلك) اى فى كونه رؤية عين بطريق المعجزة (وهى من خواص الانبياء عليهم السلام وخصالهم) اى المختصة بهم (كما اخبرنا ابو محمد عبدالله بن احمد) اى التميمى الدبيقى (العدل من كتابه حدثنا ابوالحسن المقرى) اى العالم بعلم القرآن وهو نزيل مكة (الفرغانى) نسبة الى فرغانة بالفتح بلد بالمغرب على مافى القاموس وآخر بالمشرق والظاهر انه المراد ههنا لقوله (حدثتنا ام القاسم بنت

ابى بكر عن ابيها) وهو ابو بكر محمد بن اسحق الكلاباذى مؤلف كتاب الاخبار عن فوائد الاخبار وقيل الاخبار بفوائد الاخبار وكان بعد الاربعين والثلثمائة (حدثنا الشريف ابو الحسن على بن محمد الحسنى) قال التلمسانى هو الشريف ابو الحسن على بن محمد بن على بن موسى الرضى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهم قلت ولايصح هذا لان النسخ كلها متفقة على نسبة الحسنى بفتحتين والله سبحانه وتعالى اعلم (حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن احمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق) هو البصرى يروى عن يزيد ابن هرون ومحمد بن عبدالله الانصارى (حدثنا همام) بفتح هاء وتشديد ميم وهو ابن يحيى بن دينار العودى قال الحلبى وغيره وصوابه هانئ بن يحيى وقال التلمسانى هو همام بن الحارث النخعى الكوفى سمع حذيفة وعمارا وروى عنه ابراهيم النخعى انتهى والظاهر انه وهم منه كما لايخفى من مرتبة الاسناد والله اعلم بالصواب والسداد فى المراد (حدثنا الحسن) اى ابن ابى جعفر الجفرى كما سيأتى قريبا وهو بضم الجيم وسكون الفاء نسبة الى مكان بالبصرة وهو احد الضعفاء (عن قتادة) تابعى جليل (عن يحيى بن وثاب) بتشديد المثلثة ثقة مثاله خاشع مقرئ يروى عن ابن عباس وابن عمر وعلقمة وعنه الاعمش وغيره (عن ابى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى) اى ظهر بلا كيف (لموسى عليه الصلاة والسلام) اى فى ضمن تجليه للجبل كما يشير اليه قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلا يحتاج الى ماتكلف له الدلجى تبعا للمنجانى بقوله ولا يعزب عنك ان المتجلى له كما فى الآية انما هو الجبل فالتقدير لما تجلى الله للجبل لاجل سؤال موسى ان يراه وتعسفه ظاهر مع انه يفيد انه لم يقع تجلى لموسى فلم يحصل ترتب بين لما وجوابها وهو قوله (كان يبصر) اى يرى كما فى اصل التلمسانى (النملة على الصفا) بالقصر اى الصخرة الملساء ولا يبعد ان يكون بالمد لمشاكلة قوله (فى الليلة الظلماء) اى شديدة الظلمة (مسيرة عشرة فراسخ) اى مقدارها تحديدا او تقريبا او تكثيرا والفرسخ فارسى معرب وهو ثلاثة اميال والميل منتهى البصر او اربعة آلاف خطوة والخطوة ثلاثة اقدام معتدلة بوضع قدم امام قدم يلصق به قال التلمسانى يصح فى شين عشرة الفتح والكسر والسكون وهو وهم منه لان الوجوه الثلاثة انما تجوز اذا ركبت العشرة مع غيرها من الاعداد المؤنثة المقدمة عليها كاحدى عشرة وامثالها واما عند الانفراد بها فلا يجوز الا الفتح فيها ثم اعلم ان هذا الحديث رواه الطبرانى فى الصغير بنحو هذا الاسناد وقال لم يروه عن قتادة الا الحسن تفرد به هانئ قال الحلبى اما هانئ بن يحيى السلمى فذكره ابن حبان فى الثقات وقال يخطئ واما الحسن بن ابى جعفر الجفرى فضعيف (ولا يبعد على هذا) اى على طبق هذا الحديث ووفقه من المعجزة المترتبة على التجلى الموجب لتجلية الغين وتحلية العين (ان يختص) بصيغة الفاعل او المفعول اى يصير مخصوصا (نبينا بماذكرناه من هذا الباب) يعنى زيادة قوة باصرة ذلك الجناب وادخل الدلجى فى العبارة ماليس فى الكتاب (بعد الاسراء) اى بعد اسرائه الى سدرة المنتهى (والحظوة) بضم الحاء وتكسر اى وبعد الحظ والحظاء (بما رأى من آيات ربه الكبرى) اى من عجائب الملكوت وغرائب الجبروت ورؤية الرب بنظر العين او ببصر القلب على ماتقدم والله اعلم وهذا بالنظر الى القوة البصرية الحسية والمعنوية (وقد جاءت الاخبار) اى الدالة على قوته البدنية كخبر ابى داود والترمذى (بانه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (صرع) اى رمى وضرب على الارض فى حالة المصارعة (ركانة) بضم الراء وهو ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف (اشد اهل وقته) اى اقواهم فى غلبة المصارعة وهو بالنصب بدل ويجوز رفعه (وكان) اى النبى عليه الصلاة والسلام (دعاه الى الاسلام) جملة حالية قال الترمذى اسناده ليس بالقائم وقال البيهقى مرسل جيد وروى باسناد موصولا الا انه ضعيف وفى سيرة ابن اسحق خلا ركانة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض شعاب مكة قبل ان يسلم فقال ياركانة الا تتقى الله وتقبل ما ادعوك اليه فقال لو اعلم ماتقول حقا لاتبعتك فقال ارأيت ان صرعتك تعلم ان ما اقول حق قال نعم فلما بطش به صلى الله تعالى عليه وسلم اضجعه لايملك من امره شيأ ثم قال عد يامحمد فصرعه ايضا فقال يامحمد ان ذا العجب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم واعجب من ذلك ان شئت ان اريكه ان اتقيت الله واتبعت امرى قال ماهو قال ادعو لك هذه الشجرة فدعاها فاقبلت حتى وقفت بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها ارجعى مكانك فرجع ركانة الى قومه فقال يابنى عبد مناف ساحروا بصاحبكم اهل الارض فوالله مارأيت اسحر منه ثم اخبرهم بما رأى قال الحجازى واسلم قبل الفتح قيل توفى بالمدينة سنة اربعين فى زمن معاوية وقيل انه من اجداد الشافعى قال المنجانى ولابنه يزيد ايضا اسلام وصحبة (وصارع) يعنى ايضا (ابا ركانة فى الجاهلية) صفة للملة او الامة او الفترة (وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك) بالنصب على نزع الخافض ويجوز رفعه اى كل ماذكر من المرات (يصرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الدلجى هذا وخبر انه صارع اباجهل

فصرعه فلم يصح بل لا اصل لهما وفيه انه فى مراسيل ابى داود و يزيد بن ركانة او ركانة بن يزيد على الشك لكن الظاهر ان الصحيح ركانة كما قاله الحلبى وغيره لا كما قاله النووى انه الصواب والله اعلم نعم مصارعة ابى جهل لا تصح اتفاقا هذا وقد ذكر السهيلى ان ابا الاشد بن الجمحى واسمه كلدة بفتح اللام وكان بلغ من شدته فيما زعموا انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتخرق الجلد ولا يتزحزح عنه وقد دعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتنى آمنت بك فصرعه صلى الله تعالى عليه وسلم مرارا ولم يؤمن به (وقال ابو هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه الترمذى فى شمائله والبيهقى فى دلائله (ما رأيت احدا اسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مشيه) وفى نسخة مشيته بكسر الميم وزيادة التاء اى فى هيئة مشيه وهى غير ملائمة لاسرع كما قاله الحنفى فتأمل فى تحقيق المبانى والمعانى (كأنما الارض) بالرفع لزيادة ما الكافة المانعة ما قبلها عما بعدها من العمل (تطوى له) بصيغة المجهول اى تنزوى وتجمع وتقرب وتدنو وقيل تطوى كطى الملاءة واما المشى فى الهواء وعلى الماء كما وقع لبعض الاصفياء فانه يصدر باذن رب السماء ثم بين وجهه بقوله (انا) اى معشر الصحابة (لنجهد انفسنا) بفتح النون والهاء وفى نسخة بضم النون وكسر الهاء من جهد دابته واجهدها اذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها فالمعنى لنتعب انفسنا بالجهد فوق طاقتها (وهو غير مكترث) بكسر الراء اى والحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم غير مبال بمشينا ولا متأثر يمشى هونا ورفقا لقوله تعالى الذين يمشون على الارض هونا ولقوله تعالى واقصد فى مشيك ومع ذلك يسبق من شاء كرامة خص بها اذ اعطى قوة زائدة على قوى سائر البشر لحديث كما تحدث انه اعطى قوة ثلاثين رجلا اى فى المشى والبطش والجماع ونحوها وكان يطوف على نسائه فى غسل واحد وكن تسعا (وفى صفته) اى نعته من جهة حسن شمائله (ان ضحكه كان تبسما) لما فى البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم ويشير اليه قوله تعالى فتبسم ضاحكا وفيه ايماء الى ان الاقتصاد فى الضحك هو الذى ينبغى وان كان الضحك جائزا لما ورد فى بعض الروايات انه ضحك حتى بدت نواجذه وعن عبد الرزاق انه سئل ابن عمر أكان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يضحكون اى احيانا قال نعم وان ايمانهم لاعظم من الجبال نعم يكره الاكثار منه كما قال لقمان لابنه اياك وكثرة الضحك فانها تميت القلب وكما يشير اليه قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ولان كثرة الضحك تنبئ عن الغفلة والبكاء ينبئ عن الرحمة وروى عن الحسن انه كان لا يضحك وهذا لما غلب عليه من الخوف والقبض بخلاف من غلب الرجاء والبسط فانه يضحك ولا يبكى والاعدل هو الاعتدال من هذه الخصال على وفق شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم من تفصيل الاحوال (اذا التفت) كذا فى بعض النسخ والظاهر كما فى اصل الدلجى واذا التفت اى الى احد الجانبين (التفت معا) وفى رواية جميعا اى بجميع نظره لا بمؤخر عينيه كما هو دأب سارق النظر ويسمى نظر العداوة ومنه قوله تعالى يعلم خائنة الاعين فاندفع قول الدلجى اى بجميع بدنه وينبغى ان يخص هذا بالتفاته وراءه واما التفاته يمنة ويسرة فالظاهر انه بعنقه (واذا مشى) اى فى مسيره (مشى تقلعا) بضم اللام المشددة اى رفع رجليه رفعا بقوة لا اختيالا لشدة عزمه ولان تقريب الخطى من مشية النساء والاغنياء الاغبياء (كأنما ينحط من صبب) بفتح المهملة والموحدة الاولى اى كأنما ينحدر من مرتفع قاله الدلجى تبعا للشمنى وفى القاموس الصبب محركة تصبب نهر او طريق يكون فى حدوره وما انصب من الرمل وما انحدر من الارض وكل هذه المعانى تشير الى ان الصبب بمعنى المنخفض لا بمعنى المرتفع وقد صرح الحجازى وغيره بانه ما انحدر من الارض واغرب الحلبى حيث قال من موضع مرتفع منحدر فالاولى ان يقال من بمعنى فى كما فى قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة ويؤيده انه جاء فى رواية كأنما يهوى فى صبوب بفتح الصاد وضمها فالمعنى كأنما ينزل من علو الى سفل فانه حينئذ يكون المشى بقوة لكن لا بابطاء ولا بسرعة والمقصود من الحديث هذه الفقرة الدالة على كمال قوته البدنية فى مسيرته الحسية واما مسيرته المعنوية فقد علم فى القضية الاسرائية (فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول) اى فى معرض البيان وخص الفصاحة باللسان لتعلقه بالمفرد والمركب المطابقين لمقتضى الحال وهما يوصفان بهما كالمتكلم والبلاغة بالقول اذ لا يكون الا كلاما ذا اسناد يبلغ به المتكلم ارادته ويوصف بها الكلام كالمتكلم دون الكلمة لانها لا يبلغ بها الغرض فراعى المصنف اصطلاح علماء المعانى والبيان فى تقرير هذا الشان (فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك) اى مما ذكر من الفصاحة والبلاغة (بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل) بصيغة المجهول اى الظاهر بالوجه الاكمل (سلاسة طبع) بفتح السين ونصبت بنزع الخافض اى بسهولة جبلة وانقياد طبيعة وفى نسخة مع سلاسة طبع (وبراعة منزع) بفتح الميم والزاى اى مأخذ ومطلع والبراعة بفتح الموحدة مصدر برع الرجل فاق اقرانه ووصفها

بصفة صاحبها مبالغة اى منزعا بارعا وحاصله جودة لسان ولطافة بيان واما قول التلمسانى انه بكسر الميم وهو السهم الذى نزع به واستعاره القاضى للسان مجازا اذ هو آلة الكلام ففى غاية من البعد مع مخالفته للاصول المعتمدة (وايجاز مقطع) اى ومقطعا موجزا من اوجز اتى بكلام قل مبانيه وكثر معانيه والمقطع بفتح الميم والطاء منتهى المرام كما ان المنزع مبدأ الكلام فالمعنى ان كلامه حسن الابتداء ومستحسن الانتهاء وهو المطلع والمقطع باسلوب الشعراء من الفصحاء والبلغاء واما ما ذكره التلمسانى من انه بكسر الميم وهو فى الاصل شفرة حادة يقطع بها الشئ استعاره للقول مجازا اذ هى آلة فهو مع مخالفته للنسخ المصححة فى غاية من التكلف ونهاية من التعسف (ونصاعة لفظ) بفتح النون اى ولفظا ناصعا اى خالصا من شوائب تنافر الحروف وغرابة الالفاظ وارتكاب الشذوذ (وجزالة قول) اى وقولا جزلا لا ركاكة فيه ولا ضعف تأليف وتركيب ينافيه بل نسجت حبرة الحبرية على منوال تراكيب العربية (وصحة معان) اى ومعانى صحيحة يستفاد منها مقاصد صريحة قال التلمسانى ومعان جمع معنى بالياء وبدونها ولا خفاء لما فيه من ايهام انهما لغتان وليس كذلك بل اختلافهما بحسب تفاوت اعرابهما (وقلة تكلف) اى قلة طلب كلفة فى التأدية بعد تأمل وتفكر وتروية وكان الاولى ان يقال وعدم تكلف لقوله سبحانه وتعالى حكاية عنه وما انا من المتكلفين ولعله اراد بالقلة العدم والله اعلم ومنه قول ابى اوفى كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقل اللغو اى لا يلغو رأسا ومنه ايضا قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون اى لا يؤمنون اصلا (اوتى جوامع الكلم) جملة مستأنفة مبينة ومؤكدة لما قبلها اى اعطى الكلمات الجامعة للمعانى الكثيرة فى المبانى اليسيرة وقد جمعت اربعين حديثا يشتمل كل حديث على كلمتين وهو اقل ما يتركب منه الكلام الاسنادى كقوله الايمان يمان والعدة دين والسماح رباح وامثالها مما ادرجته فى شرح الشمائل للترمذى والكلم بفتح كاف وكسر لام اسم جمع للكلمة ومنه قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب وقيل جمع لها وهو ضعيف (وخص ببدائع الحكم) بكسر ففتح جمع حكمة اى الحكم البديعة المتضمنة للمعانى المنيعة (وعلم السنة العرب) اى وخص بمعرفة لغات طوائف العرب من قومه وغيرهم لانه بعث الى جميعهم فعلمه الله الالسنة ليخاطب كل قوم بما يفهمون لقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وفى نسخة وعلم بصيغة الماضى المعلوم وفى اخرى بصيغة المجهول من التعليم عطفا على اوتى وقيل كان يعلم جميع الالسنة الا انه لم يكن مأمورا باظهارها واراد ان يكون التكلم بالعربية هو السنة لانه افضل انواع اللغة لان كلام الله عربى ولسان اهل الجنة فى الجنة عربى واصل النبى عربى قيل ومن اسلم فهو عربى ولانه ايسر اللغات واضبط للكليات كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى فانما يسرناه بلسانك (يخاطب) وفى نسخة فكان يخاطب (كل امة) اى طائفة (منها) اى من طوائف العرب (بلسانها ويحاورها) بالحاء المهملة اى ويجاوبها (بلغتها) وفى نسخة بلغتها (ويباريها) بالراء والياء اى يعارضها ويروى بدله ويبانها (فى منزع بلاغتها) اى مأخذها ومرجع لغتها (حتى) هى مستأنفة ههنا على ما ذكره الدلجى والاظهر انها للغاية اى الى حد (كان كثير من اصحابه) اى من اتباعه واحبابه (يسألونه فى غير موطن) اى فى مواطن كثيرة (عن شرح كلامه) اى بيان مرامه (وتفسير قوله) عطف تفسير والاول مختص بالجمل والمركبات والثانى بالمفردات او الاعم والله اعلم وقد صرح التلمسانى بان الصحابة كانوا يسألون عن كثير من مفردات اللغة نحو حتى تزهى وتزهو وحتى تشقح وسؤالهم عن لفظ الطاعون ونحو ذلك انتهى ثم هذا الذى ذكرناه امر ظاهر وشأن باهر (من تأمل حديثه وسيره) اى احاديثه فى كتب المحدثين والائمة المجتهدين واقواله فى كتب ارباب السير والمؤرخين وفى نسخة وسيره بالموحدة على انه فعل ماض اى نظر فى صناعة اساليبه وصياغة تراكيبه (علم ذلك) اى تفصيله (وتحققه) اى وثبت عنده وزال الريب عنه (وليس كلامه) اى لم يكن تكلمه (مع قريش) اى من اهل مكة (والانصار) اى من اهل المدينة (واهل الحجاز ونجد) اى ونحو اليهما (ككلامه مع ذى المشعار) بكسر ميم وسكون معجمة فمهملة او معجمة بعدها الف وراء وهو ابو ثور مالك بن نمط (الهمدانى) بميم ساكنة فمهملة نسبة الى همدان قبيلة من اليمن قدم عليه عليه الصلاة والسلام مرجعه من تبوك مع كثير من قومه مسلمين فقال هذا وفد همدان ما اسرعها الى النصر واصبرها على الجهد واما همذان بفتح الميم مع الذال المعجمة او المهملة فبلد بعراق العجم قيل هاجر ذو المشعار فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه الى الشأم ومعه اربعة آلاف عبد فاعتقهم كلهم وانتسبوا الى همدان (وطهفة) بكسر المهملة وسكون هاء ففاء (النهدى) بفتح فسكون قبيلة باليمن قدم عليه بعد فتح مكة كما قال ابن سعد وغيره (وقطن بن حارثة) بقاف ومهملة مفتوحتين وحارثة بالمثلثة (العليمى) بالتصغير نسبة الى بنى عليم قدم عليه فسأله الدعاء له ولقومه فى غيث السماء فى حديث فصيح كثير الغريب على ما رواه ابن شهاب عن عروة (والاشعث بن قيس) قدم عليه مع كثير من قومه وعليهم الحبرات قد كففوها بالحرير فقال لهم

ألم تسلموا قالوا بلى قال فما هذا الحرير فى اعناقكم فرموا به ثم ارتد بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ثم رجع الى الاسلام
وجيء به الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه اسيرا فعقد عليه فعلاته فلم ينكرها ثم قال يا ابا بكر استبقنى لحربك وزوجنى
اختك فزوجه ثم خرج ودخل سوق الابل فلم يلق ذات اربع تؤكل الا عقرها ثم قال يا قوم انحروا وكلوا هذه وليمتى
ولو كنت فى بلدى لاولمت كما يولم مثلى اغدوا على فخذوا اثمان ما عقرت لكم ثم خرج مع سعد الى العراق وشهد معه
مشاهد كثيرة فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وسكن الكوفة الى ان توفى بها بعد على باربعين يوما وصلى عليه
الحسن بن على رضى الله تعالى عنهم اجمعين (ووائل بن حجر) بضم حاء وسكون جيم فراء واما وائل فبهمز كقائل
وقول الحلبى بالمثناة تحت قبل اللام فى غير محله لانه بناء على ما قبل اعلاله (الكندى) بكسر الكاف قال الدلجى تبعا
للمنجانى كذا هنا ولعله تأخير من تقديم اذهى نسبة الاشعث ونسبة وائل هى الحضرمى قلت لا يبعد ان يكون
كنديا حضرميا ثم رأيت الحلبى صرح بان وائل بن حجر كان من ملوك حمير الكندى الصحابى شهد مع على فى صفين
وكانت معه راية حضرموت بشر صلى الله تعالى عليه وسلم به قبل قدومه عليه ثم قدم فاسلم فرحب به وادناه من نفسه
وقرب مجلسه وبسط له رداءه واجلسه عليه ودعا له بالبركة ولولده ولولد ولده وولاه على اقيال حضرموت وارسل معه
معاوية بن ابى سفيان فخرج معه معاوية راجلا ووائل على ناقته راكب فشكا اليه معاوية حر الرمضاء فقال انتعل
ظل الناقة فقال له معاوية وما يغنى ذلك منى لو جعلتنى ردفا فقال له وائل اسكت فلست من ارداف الملوك ثم عاش
وائل بن حجر حتى ولى معاوية فدخل عليه فعرفه معاوية واذكره بذلك ورحب به واجازه لوفوده عليه فابى من قبول
جائزته وقال يأخذه من هو اولى به منى فانا عنه فى غنى (وغيرهم) اى ومع غير المذكورين ايضا (من اقيال
حضرموت) بفتح همزة وسكون قاف فتحتية جمع قيل بفتح فسكون واصله قيل بالتشديد اى المنفذ قوله ويدل عليه
انه يجمع على اقوال بالواو ايضا وقال السهيلى القيالة الامارة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى تسبيحه الذى رواه
الترمذى سبحان من لبس العز وقال به اى ملك به وقهر على ما فسره الهروى وهم بلغة حمير صغار الملوك دون
الملك الاعظم من ملوك اليمن وحضرموت بسكون الضاد وفتح الباقى وبضم الميم بلد وقبيلة ويقال هذا حضرموت
غير مصروف للتركيب والعلمية ويضاف فيقال حضرموت بضم الراء على اعراب الاول بحسب عامله واعراب الثانى
باعراب ما لا ينصرف وان شئت تنون الثانى (وملوك اليمن) تعميم بعد تخصيص (وانظر كتابه) اى مكتوبه الذى بعث
به ذا المشعار بعد قدومه عليه عليه الصلاة والسلام على ما ذكره ابو عبيدة وغيره (الى همدان)
اوله بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من محمد رسول الله لاهل مخلاف خارق ويام واهل خباب الضب وحقاف
الرمل من همدان مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم الى آخره (ان لكم) بكسر
الهمزة وفتحها وفى اصل الدلجى ان لهم وهو الملائم لما سيأتى من قوله ولهم (فراعها) بكسر الفاء اى ما ارتفع من
الارض (ووهاطها) بكسر الواو جمع وهط بالطاء المهملة وهى المواضع المطمئنة منها (وعزازها) بفتح مهملة فزايين
ما خشن وصلب منها وما يكون الا فى اطرافها ومنه قول ابن مسعود للزهرى بعد خدمته وملازمته مدة مديدة
زاعما انه بلغ الغاية ووصل النهاية انك فى العزاز اى فى الاطراف من العلم لم تتوسط بعد وفى الحديث نهى عن البول
فى العزاز اى حذرا عن الرشاش (تأكلون) بالخطاب او الغيبة (علافها) بكسر العين جمع علف وهو ما يعتلف منها
او ما تأكله الماشية (وترعون عفاءها) بفتح مهملة وتخفيف فاء ممدودا وروى بكسر العين وهو ما ليس لاحد فيه ملك
ولا اثر من عفا الشئ اى خلص وصفا وفى الحديث اقطعهم من ارض المدينة ما كان عفاء وهو احد ما فسر به
قوله تعالى خذ العفو (لنا من دفئهم) بكسر مهملة وسكون فاء فهمز ومنه قوله تعالى لكم فيها دفء اى
ما تستدفئون به من اصوافها واوبارها واما فى الحديث فهو كناية عن الانعام وفى المجمل الدفء نتاج
الابل والبانها والانتفاع بها وقيل هى الغنم ذات الدفء وهو الصوف والاظهر ان يراد به الانعام وسميت دفئا
لانها يتخذ من اوبارها واصوافها واشعارها ما يستدفأ به من الاكسية وغيرها قال الدلجى فصله عما قبله ملتفتا
من الغيبة الى التكلم لشبه انقطاع بينهما اذ ذاك مما خصهم به من اراضيهم وما يخرج منها وهذا مما خص به
نفسه او من معه من مواشيهم اى من ابلهم وغنمهم ضأنا ومعزا وما ينتفع به منها سميت دفئا لانه يتخذ منها ما يستدفأ به
انتهى ولا يخفى انه ليس ههنا التفات من الغيبة الى التكلم بل من خطاب فى قوله لكم بناء على الاصول
المصححة الى غيبة فى قوله لنا من دفئهم (وصرامهم) بكسر اوله وبفتح جمع صرمة اى من نخيلهم او من ثمراتهم لانها
تصرم وتقطع (ما سلموا) بتشديد اللام المفتوحة اى استسلموا لنا واطاعونا (بالميثاق) اى العهد والحلف المؤكدة
قيل ولعله اراد الاسلام اى لا تقبل صدقة الا من مسلم وقيل اراد بالميثاق انه لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق

ولا يغر بزكاته ولا يخفى بعض ماله (والامانة) اى من دون الخيانة من المالك او العامل وقيل المراد بالامانة الطاعة
وقيل هى الامان ويؤيده ما سيأتى من قوله عليه الصلاة والسلام لنهد من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة (ولهم من
الصدقة) اى من الاموال التى تجب عليهم فيها الصدقة والزكاة (الثلب) بكسر المثلثة وسكون اللام فموحدة اى
الهرم من ذكور الابل الذى سقطت اسنانه قيل وتناثر هلب ذنبه (والناب) اى ولهم الهرمة من اناثها التى طال
نابها وهى من امارات هرمها (والفصيل) وهو ما فصل عن امه وفطم عنها من اولاد الابل وقد يطلق على اولاد البقر
والمراد صغارها (والفارض) اى المسن من الابل وقيل من البقر ايضا بدليل قوله تعالى لا فارض ولا بكر
وروى العارض بالعين المهملة وهى المريضة او المعيوبة (الداجن) وفى اصل الدلجى بالعطف وهو الظاهر وهو
بكسر الجيم ما يألف البيوت ولا يرسل الى المرعى واغرب الانطاكى فى جعله وصفا للفارض او العارض على
اختلاف الروايتين فى الداجن اعتبارا للعادة لان المنقطع عن السوم يعلف فى الاهل غالبا (والكبش الحورى)
بفتحتين وهو كبش يتخذ من جلده نطع فان جلده احمر وروى الحوارى اى الابيض والمعنى لا يؤخذ منهم فى هذه
الاشياء التى خصوا بها وقيل المعنى لا تؤخذ هذه الاشياء منهم اما لنفاستها كالحورى واما لخساستها كغيره وانما
يؤخذ الوسط العدل (وعليهم فيها) اى فى الصدقة (الصالغ) بكسر لام فمعجمة ما دخل فى السنة السادسة من البقر
والغنم والسين لغة فيه وفى النهاية لابن الاثير وعليهم الضالع بالضاد المعجمة والعين المهملة فليس بتصحيف كما زعمه
المنجانى (والقارح) بالحاء المهملة بعد الراء المكسورة ما دخل من الخيل فى خامس سنة (وقوله) اى وانظر قوله
(لنهد) بفتح فسكون اى لاجل قبيلة من اليمن وهو يحتمل ان يكون مشافهة ومكاتبة فيقال وانظر قوله فى كتابه
لنهد لا كما قال الدلجى وانظر كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه ابو نعيم فى معرفة الصحابة والديلمى فى مسند
الفردوس (اللهم بارك لهم فى محضها) اى لبنها الذى لم يخالطه ماء ذكره المنجانى والظاهر ان المراد به ما لم يخرج منه
زبده حلوا كان او حامضا وهو بميم مفتوحة فحاء مهملة ساكنة وضاد معجمة ومنه الحديث وذلك محض الايمان
(ومخضها) بالخاء المعجمة اى ما مخض من لبنها واخذ زبده مصدر بمعنى المفعول والمخض تحريك سقاء اللبن لاستخراج
زبده وفيه صنعة التجنيس والتصحيف (ومذقها) اى ما خلط من لبنها بالماء من المذق بالذال المعجمة والقاف بمعنى
المزج والخلط وقيل اللبن الرقيق وهو التحقيق وبالله التوفيق (وابعث راعيها) اى مالكها ومربيها وقد يكون
مالكها وهى بمنزلة رعيته كما ورد كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (فى الدثر) بفتح مهملة فسكون مثلثة اى
المال الكثير وقيل المراد به هنا الخصب والنبات (وافجر) بضم الجيم ومنه قوله تعالى حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا قرئ بالتشديد والتخفيف فى السبعة (له الثمد) بفتح مثلثة وميم فدال مهملة وقد تسكن ميمه اى الماء القليل
الذى لا مادة له والمعنى اجره لهم حتى يصير كثيرا (وبارك لهم فى المال) اى الحلال والا فبعض المال وبال فى المآل ولذا
قال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح (والولد) اى الصالح والا فبعض الولد كمد وكبد وفى بعض
النسخ وبارك له بصيغة الافراد والمتبادر منه انه راجع الى الراعى والاظهر انه خطاب عام لهم على الانفراد الذى هو
اتم من الاجتماع فالمعنى بارك لكل منهم فى ماله وولده (من اقام الصلاة) اى واظب عليها وقام بشرائطها واركانها
(كان مسلما) اى منقادا واسلم نفسه من التعرض اليها بفعلها وامرها وقد قيل فى الصلاة جميع العبادات من قيام
وقراءة وركوع وسجود ودعاء وثناء وصبر وهو حبس النفس والحواس والخواطر وزكاة وهو بذل المال فى الماء
واللباس وصيام وهو الامساك عن الاكل والشرب واعتكاف وهو لزوم المكان الواحد لاداء تها وحج وهو التوجه
للكعبة وجهاد وهو مجاهدة النفس ومحاربة الشيطان وشهادة وهى ذكر الله ورسوله (ومن آتى الزكاة) اى اعطاها
مستحقيها (كان محسنا) اى فى اسلامه او ببذله الى اخوانه (ومن شهد) اى بقلبه واقر بلسانه (ان) اى انه
(لا اله الا الله) اى وان محمدا رسول الله (كان مخلصا) اى فى ايمانه واقتصر على احد ركنيه لانهم كانوا عبدة اصنام
فقصد به نفى الهية ما سوى الله مع اشتهاره عندهم بانه رسول الله وايناسه منهم الايمان به بدليل قدوم كبرائهم عليه
مؤمنين فهو من باب الاكتفاء او لان هذه الكلمة علم لمجموع الشهادتين باطلاق البعض وارادة الكل ولذا ورد من
قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة واذا عرفت ذلك فقوله مسلما يراد به المعنى
اللغوى فلا يحتاج الى قول الدلجى كان مسلما ومؤمنا ايضا اذ ما لهما واحد شرعا وان اختلفا مفهوما فان الاسلام
هو الانقياد الظاهرى والايمان هو الاذعان الباطنى ولا يستغنى احدهما عن الآخر لكن تخصيصه باقامة الصلاة
يوهم انها وامثالها جزء الايمان على ما ذهب اليه المعتزلة فالاولى ان يقال المعنى كان مسلما كاملا وان الواو فى
الجمل الشرطية لمجرد الجمعية (لكم يا بنى نهد ودائع الشرك) جمع وديع من قولهم اعطيته وديعا اى عهدا وميثاقا اى

اى اقررتكم على العهود والمواثيق التى كنتم تتعاهدونها مصالحة ومهادنة قبل الاسلام والاظهر انها جمع وديعة والمراد بها ما استودعوه من اموال الكفار الذين لم يسلموا فاحله لهم لانه مال كافر قدر عليه بلا عهد وشرط ويؤيده رواية مالم يكن عهد ولا وعد (ووضائع الملك) بكسر الميم جمع وضيعة وهى الوظيفة التى تلزم المسلمين فى املاكهم من صدقة وزكاة والمعنى ولكم الوظائف التى تلزمكم لا نتجاوزها منكم ولا نزيدها عليكم فصح قوله لكم دون عليكم او بضم الميم اى ولكم ماوظفه ملوككم فى الجاهلية عليكم وما استأثروا به دونكم من مغنم وغيره والمعنى لا نأخذها منكم ثم قول الحلبى بعد الالف مثناة تحت ليس على ظاهره بل باعتبار اصله والا فهو مقلوب بالهمز كنظائره من الودائع والصحائف (لا تلطط) كلام مستأنف وهو بضم مثناة فوق فسكون لام فهملتين نهى لم يرد به واحدا معينا كما رواه البيهقى بل لكل من يأتى منه توجيه الخطاب وتوجه الكتاب (فى الزكاة) اى لا تمنعها من لط الغريم وألط اذا منع الحق اونهى اراد به جنس المخاطب كما رواه غيره بصيغة الجمع وكذا قوله (ولا تلحد) ومابعده وهو من الالحاد اى لا تعدل عن الحق ولا تمل الى الفساد وظلم العباد فى البلاد (فى الحياة) اى فى مدة حياتك فى الدنيا وقيل الفعلان بصيغة النفى مجهولان وروى الزمخشرى بالنون فيهما واغرب التلمسانى فى قوله اى لا تمسك الزكاة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الظوا بياذا الجلال والاكرام اى الزموا هذا القول وتمسكوا به انتهى وهو وهم فان الظوا فى الحديث بالظاء المعجمة (ولا تتثاقل) اى لا تتكاسل (عن الصلاة) وفى نسخة بصيغة الجمع وفى اخرى بصيغة المجهول والمعنى اذها بالقيام بشرائطها واركانها (وكتب لهم) قال الحجازى ويروى لكم ويروى عليكم (فى الوظيفة الفريضة) بالنصب اى الهرمة المسنة وهى الفارض ايضا والمعنى هى لكم لا تؤخذ منكم فى الزكاة كذا قاله الدلجى وغيره وتبعهم الانطاكى الا انه قال الفريضة بالرفع على الحكاية ولا يخفى ان هذا الحكم قد استفيد مما سبق مع انه كان الملائم بسياق الكلام من سباقه ولحاقه ان يقال وكتب لكم فى الوظيفة الفريضة بالرفع على ان الجملة المصدرة بقوله لكم هى المكتوب لهم وفى حاشية الحجازى ان الوظيفة هى ما يقدر كل يوم من رزق او عمل ولا يخفى عدم مناسبته لفحوى الكلام ومقام المرام وقال التلمسانى الفريضة بالرفع على الحكاية انتهى وفى رواية عليكم فى الوظيفة الفريضة اى عليكم فى كل نصاب مافرض فيه وفى نسخة وكتب لهم فى الوظيفة الفريضة بالجر فالمكتوب لهم قوله (ولكم الفارض) بالفاء فى اكثر النسخ المعتمدة وقد سبق انه المسنة من الابل او البقر وروى بالعين المهملة وهو الاظهر لئلا يتكرر فتدبر اى ولكم المريضة التى عرض لها آفة من قولهم بنو فلان اكالون للعوارض تعييرا لهم اى لا يأكلون الا ما عرض له مرض حذر موته والمعنى لا تؤخذ منكم فى الزكاة فهى لكم (والفريش) بفاء مفتوحة ثم شين معجمة اى الحديثة العهد بالنتاج كالنفساء من النساء وفى الصحاح هى كل ذات حافر بعد نتاجها بسبعة ايام وقيل مالا يطيق من الابل حمل الاثقال ويؤيده قوله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا وقد جاء فرش وفريش بمعنى واحد وقيل ما انبسط على الارض من نبات لا ساق له (وذو العنان) بكسر العين المهملة سير اللجام اى والفرس (الركوب) بفتح الراء ورفع الباء وهو الصواب اى الذلول الذى يلجم ويركب بلا كلفة ومشقة لتكرر ركوبه لان فعول من اوزان المبالغة (والفلو) بفتح فاء وضم لام وتشديد واو كعدو وبضم اوله مع التشديد كسمو وقد تكسر فاؤه مع سكون لامه وتخفيف واوه كجرو وهو ولد الفرس المسمى بالمهر بالضم اذا كان صغيرا بلغ السنة اوفطم عن الرضاعة لانه يفلى عن امه اى يعزل عنها قال التلمسانى ويروى الفلو بدون الواو العاطفة انتهى وهو لا يصح (الضبيس) بفتح معجمة فكسر موحدة فتحتية فمهملة اى الصعب العسر الاخلاق الذى لم يرض وقيد الصفة للغلبة لا للاحتراز اذ غالب احوال الخيل الصعوبة واما تخصيص الفلو فللدلالة على ان الخيل فيها الزكاة كما هو مذهب ائمتنا الحنفية والمعنى لا يؤخذ منكم شئ فى المذكورات واما ما روى من ان الله قد عفا لكم عن صدقة الخيل والرقيق فمحمول على الخيل التى تركب كما ان الرقيق يراد به ما يخدم فالخيل السائمة والرقيق للتجارة فيهما الزكاة (لا يمنع سرحكم) بصيغة المفعول نفى بمعنى النهى وفصل عما قبله لعدم مناسبة بينهما ويقال سرحت الماشية مخففا وسرحت هى متعد ولازم واذا رجعت يقال راحت تروح وارحتها انا ومنه قوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون اى حين تردونها من مرعاها الى منازلكم وحين تخرجونها اليه ولعل تقديم الاراحة لما فيها من زيادة افادة الراحة والمعنى لا تمنع ماشيتكم السارحة من مرعى مباح تريده (ولا يعضد) بصيغة المفعول اى لا يقطع (طلحكم) وهو شجر عظام من شجر العضاه له شوك كالسدر وهو شجر حسن اللون لخضرته اى نضرته انوار طيبة الرائحة وكون العرب يستحسنونه لخضرته وحسن لونه وعطره نهى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قطع ما الفوه جبرا لخواطرهم ووعدا لهم ببقاء ما يحبون وهو المراد بقوله تعالى وطلح منضود وهو فى الآية الموز وقيل الطلع وقرئ بالعين (ولا يحبس دركم) بمهملة

مفتوحة فراء مشددة اى لا تمنع ماشيتكم التى هى ذات الدر اى اللبن عن الخروج الى المرعى أن تجتمع بموضع يبعد فيه المصدق لما فيه من الاضرار بها لعدم رعيها وفى رواية لا يحشر دركم اى لا تحشر الى المصدق لبعدها بل انما يعدها عند اصحابها واغرب اليمنى فى تفسيره الدر هنا بمعنى المطر ولعل وجهه انه جعل قوله ولا يحبس خبرا مغيا بقوله مالم تضمروا اوانما على مذهب اليه الجمهور وتتعلق مادام مقدرثم المعنى لكم ما قررو عليكم ماحرر (مالم تضمروا الرماق) من الاضمار ضد الاظهار والرماق بالكسر بمعنى النفاق يقال رامقته رماقا نظرت اليه نظر العداوة او المعنى مالم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيشه رماق اى ضيق قاله ابن الاثير وروى الاماق بفتح الهمزة وكسرها واصله الاماق تخفف همزه قال فى المجمل يقال اماق الرجل اذا دخل فى المأقة وهى الانفة وفى الحديث مالم تضمروا الاماق اى مالم تضمروا الانفة انتهى والانفة التعاظم وقيل هو الغدر وقيل الرمق القطيع من الغنم فارسى معرب فالمعنى لا تخفوا القطيع من الغنم والله اعلم (وتأكلوا الرباق) بالكسر جمع ربقة بكسر فسكون وهى فى الاصل عروة تجعل فى حبل يربط بها ما خيف ضياعه من البهم فشبه ما يلزم الاعناق من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقض العهد فان البهيمة اذا اكلت الربقة خلصت من الرباط والمعنى مالم تنقضوا عهود الاسلام التى الزمها اعناقكم ومالم تخلعوها ومنه حديث حذيفة من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه قال التلمسانى والربقة بكسر وبفتح وفى بعض النسخ الرفاق بالفاء بدل من الباء جمع رفقة اى بحيث لا تقطعون الطرق وتظهرون الحرب اذ كل ذلك يقتضى نقض العهد ونكث البيعة وقد يقع التصحيف فى مثل هذا والله اعلم (من اقر) استئناف آخر اى من ثبت واستقر واعترف مذعنا منقادا بالملة (فله الوفاء بالعهد) اى بما عوهد عليه (والذمة) اى وبالامان او الضمان الحاصل لديه (ومن ابى) اى امتنع عن مقتضيات الملة او تقاعد وتقاصر عن اداء الزكاة والصدقة (فعليه الربوة) بكسر الراء ويجوز ضمه وفتحه اى الزيادة فى الفريضة الواجبة عليه عقوبة له وفى رواية من اقر بالجزية فعليه الربوة اى من امتنع من الاسلام هربا من الزكاة كان عليه من الجزية اكثر مما يجب عليه من الزكاة واعلم انه روى بهز بن حكيم عن ابيه عن جده عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يقول فى كل اربعين بنت لبون من اعطاها مؤتجرا فله اجرها ومن ابى فانا آخذها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا رواه ابو داود وقال احمد هو عندى صالح فقيل يأخذ الامام معها شطر ماله وهو اختيار ابى بكر من الحنابلة وقول قديم للشافعى وعند الجمهور يأخذها من غير زيادة بدليل ان العرب منعت الزكاة ولم ينقل انه اخذ منهم زيادة عليها وقال الحربى غلط بهز فى هذه الرواية وانما قال وشطر ماله يعنى يجعل شطرين فيتخير عليه المصدق فيأخذ الصدقة من خيار الشطرين عقوبة لمنعه الزكاة واما ما لا يلزم فلا (ومن كتابه لوائل بن حجر) اى على ما رواه الطبرانى فى الصغير والخطابى فى الغريب والمعنى من مكتوبه لاجل وائل بن حجر وهو بضم الحاء كما سبق (الى الاقيال) اى الملوك الصغار لحمير وقيل الذين يخلفون الملوك اذا غابوا جمع قيل مخففا وقيل مشددا وقد تقدم (العباهلة) بفتح عين مهملة فموحدة اى ملوك اليمن الذين اقروا على ملكهم فلم يزالوا عنه والتاء فيه لتأكيد الجمع كما فى الملائكة (والارواع) جمع رائع كالانصار والاشهاد جمع ناصر وشاهد او جمع اروع اى الحسان الوجوه والهيئات او الذين يروعون الناس اى يفزعونهم بجمالهم وحسن حالهم وقيل السادة واحدهم اروع (المشابيب) جمع مشبوب اى الرؤس السادة الحسان المناظر الزهر الالوان كأنما وجوههم تتلألأ نورا او تلمع سرورا وقيل الرجال الذين الوانهم بيض وشعورهم سود وقيل الاذكياء واما قول الحجازى والمشيب دخول الرجل فى حد الشيب من الرجال فوهم منه فى الخيال لاختلاف المادة فى ميزان الافعال فالصواب ما قاله غيره من انه من شب من الشباب او شب النار اوقدها (وفيه) اى وفى كتابه لوائل (فى التيعة) بكسر فوقية وسكون تحتية فمهملة اى فى الاربعين من الغنم (شاة لا مقورة الالياط) بفتح الواو والراء المشددة من الاقورار بمعنى الاسترخاء فى الجلد والالياط بفتح الهمزة جمع ليط بالكسر وهو فى الاصل القشر اللازق بعوده اى اللازق به شبه به الجلد لالتزاقه باللحم من الهزال والمعنى لا مسترخية الجلد لهزالها وقيل لا مقطوعة الجلد (ولا ضناك) بكسر المعجمة ثم كاف منونة وقال التلمسانى بفتح الضاد وكسرها والنون الخفيفة وجوز الحجازى ضمها يستوى فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع اى ولا مكثرة اللحم وممتلئة الشحم لكرمها يريد ان هذه الشاة لا سمينة ولا هزيلة بل متوسطة الحال (وانطوا) بهمزة قطع وضم مهملة لغة يمانية اى واعطوا فى الزكاة (الثبجة) بفتح مثلثة وكسر موحدة فجيم مفتوحة بعدها تاء اى الشاة الوسطى التى ليست بادنى ولا اعلى من ثبج كل شئ وسطه والتاء لانتقالها من الاسمية الى الوصفية قال التلمسانى وروى الثجة بالشين والجيم من ثج سار بشدة (وفى السيوب) بضمتين جمع سيب وهو الركاز (الخمس) بضمتين ويسكن الميم لان السيب لغة العطاء والركاز عطاء من الله تعالى وقال الزمخشرى هى المعدن او المال المدفون فى الجاهلية لانه من فضل الله وعطائه لمن اصابه

(ومن زنى مم) بسكون الميم الثانية (بكر) بتنوين فى الرآء خلافا لبعضهم لانها نكرة عامة فى سياق الشرط ثم ابدلت
نون من ميما لكثرة استعمالهم ذلك لفظا فى مثل من ما سيما اذا كان بعدها باء كما هنا ونحو منبر وعنبر ولو كان معرفة
بلغتهم لقيل ومن زنى من امبكر كما قال ليس من امبر امصيام فى امسفر ومن الجارة تبعيضية او بيانية مفسرة للاسم
المبهم الشرطى وترجمة عنه اى ومن زنى من الابكار (فاصقعوه) بهمزة وصل وقاف مفتوحة اى اضربوه كما قاله ابن
الاثير واصل الصقع الضرب ببطن الكف وقيل اى فاضربوه على صوقعته اى فى وسط رأسه قال التلمسانى وعند
الشارح فاصفعوه بالفاء عوض القاف اى فاضربوه (مائة) اى مائة ضربة (واستوفضوه) بالفاء والضاد المعجمة اى
اطردوه وانفوه وغربوه (عاما) اى سنة (ومن زنى مم ثيب) يجرى فيه ما جرى فى مم بكر الا ان هنا لك القلب الحقيقى
لاجل الباء وهنا الاخفاء المتولد من قبل الثاء وقيل القلب فيه للمناسبة والمشاكلة كقولهم ما قدم وحدث بضم دال
حدث لمناسبة قدم وقيل هى لغة يمانية كما يبدلون الميم من لام التعريف اى ومن زنى من ذوى الاحصان (فضرجوه)
بمعجمة مفتوحة وتشديد رآء مكسورة بجيم اى فارجموه حتى تدموه وتضرجوه اى تلطخوه بدمائه (بالاضاميم) اى
برمى الحجارات جمع اضمامة بالضاد المعجمة وهى ما جمع وضم من الحجارة لان بعضها يضم الى بعض كالجماعات من الناس
والكتب قال التلمسانى يريد انه لا يرجم بحجر ههنا وحجر فى موضع آخر لان ذلك تعذيب له ولا فى محل فيه حجارة صغيرة
او قليل الحجارة ولا يرجم بحجر فى وقت ثم بحجر فى وقت آخر وهذا كله يشمله الاضاميم (ولا توصيم) اى لا توانى ولا محاباة
(فى الدين) اى فى اقامة الحدود لقوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله وقيل التوصيم التكسير والمعنى ولا تقصدوا
تكسيره بالحجارة وقيل المعنى لا عيب ولا هوان ولا كسر ولا عار فى الدين (ولا غمة) بضم غين معجمة وتشديد ميم اى
لا ستر ولا غطاء وفى رواية ولا عمه بمهملة فميم مخففة مفتوحتين فهاء اى لا حيرة ولا تردد وفى رواية ولا غمد بكسر معجمة
وسكون ميم فدال مهملة اى لا ستر ولا خفاء او لا تستر ولا التباس (فى فرآئض الله) بل هى واضحة والمعنى لا تستر فرآئض
الله ولا تخفى بل تظهر ويجهر بها وقال التلمسانى لا غمة بضم الغين المعجمة وبفتحها اى لا ضيق ولا كربة وقيل لا ابهام ولا
التباس ولا ستره اى لا تخفى فرآئض الله لانها من اعلام الاسلام وتاركها يستحق الملام فحقها ان يعلن بها اماطة
للتهمة عن تركها بخلاف التطوع فانه لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فحقه ان يخفى (وكل مسكر) خمرا او غيره كثيرا او قليلا
على خلاف فى الاخير فيما عدا الخمر (حرام) اى شربه واغرب التلمسانى فى ذكره قاعدة منطقية بقوله هذه نتيجة وكيفية
تركيب المقدمتين هو ان تقول كل مسكر خمر وكل خمر حرام فينتج كل مسكر حرام انتهى ولم يعرف ان الكبرى ممنوعة
هنا (ووآئل بن حجر) مبتدأ (يترفل) بفاء مشددة اى يتأمر ويترأس (على الاقيال) خبر معناه الامر لقوله بعده
فى آخر كتابه امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاسمعوه وهو معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتاب
الآخر وكان وجه الى المهاجر بن ابى امية مع وآئل هذا فكان فيه من محمد رسول الله الى المهاجر بن ابو امية ان وآئلا
يستسعى ويترفل على الاقيال حيث كانوا من حضرموت اى يستعمل على الصدقات ويصير اميرا على الاقيال
ويفتخر عليهم بكتابه عليه الصلاة والسلام كما قال الشاعر

اذا نحن امرنا امرأ ساد قومه ＊ وان لم يكن من قبل ذلك يذكر

ولما كان ابو امية مشتهرا تركه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على حاله كما يقال على بن ابو طالب كرم الله وجهه
وحكى ابو زيد فى نوادره عن الاصمعى عن يحيى بن عمران قريشا كانت لا تغير الاب فى الكنية تجعله مرفوعا فى كل وجه
من الرفع والجر والنصب والحاصل انه شبه امارته بالثوب لانها تلبسه بها كانها هو واستعير لها ترفيله وهو اطالته
واسباله فكانه يرفل فيها اى يجر ذيلها عليهم زهوا وقول التلمسانى هنا الى وآئل الى كاللام وروى بها فلبس فى محله
ولعله فيما تقدم والله تعالى اعلم ثم جملة (اين هذا) اى كلامه هذا مع ما ذكر من الاقيال وكتابه لهم (من كتابه لانس
رضى الله عنه فى الصدقة المشهور) نعت لكتابه كما رواه ابو داود والترمذى والدارقطنى وختمه ولم يدفعه له فدفعه
ابو بكر بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم له حين وجهه الى البحرين مصدقا فان ذا يعمل من جزالة الفاظ مألوفة
وسلاسة تراكيب مأنوسة وذاك يعمل من غلاقة الفاظ غريبة وقلاقة اساليب عجيبة حتى انها فى النطق عسرة بالنسبة
الى غير اهل تلك اللغة وسبب هذا التغاير ما بينه المصنف بقوله (لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد) اى هذا المقدار غريبا
غير مألوف (وبلاغتهم على هذا النمط) اى هذا النوع وحشيا غير مأنوس (واكثر استعمالهم هذه الالفاظ)
اى التى هى غير مألوفة لغيرهم وان كانت مأنوسة لهم وجواب لما قوله (استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم)
اى مما نشأ به عليهم من امر ونهى ونحوهما بنص او ارشاد اى دال على ذلك كالقياس واستحسان العقل (وليحدث
الناس بما يعلمون) اى بما يفهمون ويعقلون لا بما لا يدركون فينكرون كما سبق من كلامه وكتابه (وكقوله فى حديث

عطية السعدى) اى المنسوب الى قبيلة بنى سعد وهو ابن عروة ويقال ابن عمرو بن عروة على ما رواه الحاكم والبيهقى
وصححه عنه قدمنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لى ما اغناك الله فلا تسأل الناس شيأ (فان اليد العليا
هى المنطية) اى المعطية (واليد السفلى هى المنطاة) اى المعطاة وان مال الله مسئول ومنطى (قال) اى عطية
(فكلمنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلغتنا) اى فى الانطاء بمعنى الاعطاء كما قرئ بالنون فى قوله تعالى
انا انطيناك الكوثر وهذا الحديث فى المعنى نحو حديث مالك والشيخين وابى داود والنسائى عن ابن عمران رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسئلة اليد العليا خير من اليد السفلى
والعليا هى منفقة والسفلى هى سائلة قال ابو داود وقد اختلف عن ايوب عن نافع فى هذا الحديث فقال عبد الوارث
اليد العليا هى المتعففة وكذا قال واقد عن حماد بن زيد عن ايوب وقال اكثرهم عن حماد هى المنفقة قال الخطابى رواية
المتعففة اشبه واصح فى المعنى لان ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر هذا الكلام وهو يذكر
الصدقة والتعفف عنها فعطف الكلام على سببه الذى خرج عليه وعلى ما يطابقه فى معناه اولى وقد توهم بعضهم
ان معنى العليا هو كون يد المعطى مستعلية فوق يد الآخذ من علو الشئ اى فوقه وليس ذلك عندى بالوجه وانما هو
من علو المجد والكرم يريد التعفف عن المسئلة والترفع عنها انتهى كلامه وفى غريب الحديث لابن قتيبة زعم قوم
ان العليا هى الآخذة والسفلى هى المعطية فقال وما ارى هؤلاء الا انهم استطابوا السؤال فاحبوا ان ينصروا
مذهبهم ونسبه فى المشارق للمتصوفة واقول لعل وجه قولهم هذا انه ينبغى للمعطى ان يتواضع لله فى حال عطائه
ويجعل يده تحت يد الفقير الآخذ وان يعلم ان الله تعالى هو الآخذ حقيقة وان كان هو المعطى ايضا لما ورد من انه
يأخذ الصدقة ويربيها وينميها كما يربى احدكم فلوه ولقوله تعالى مخاطبا لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ من اموالهم
صدقة ولان الآخذ هو سبب المراتب العالية للمعطى فلو لم يأخذ احد ذلك لم يحصل له الثواب والله اعلم بالصواب ثم
هنا دقيقة اخرى بالتحقيق احرى وهى انه اذا كانت اليد العليا خيرا من اليد السفلى واليد العليا هى المعطية فيشكل
بما اجمعت عليه السادة الصوفية وجمهور القادة الفقهية من ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر فالجواب
على ما ذكره بعض المحققين ان هذا الحديث بعينه يدل على المدعى فان المعطى لم يحصل له المرتبة العليا الا باخراج شئ
من الدنيا والآخذ لم يتسفل عن مرتبته القصوى الا باخذ شئ منها والحاصل ان الاول قول ظاهرى حسى للفقهاء
والثانى قول باطنى معنوى للاولياء والجامع بينهما هو المحقق والله هو الموفق وقيل ان تفسير اليد العليا بالمعطية
والسفلى بالسائلة مدرج فى الحديث وقيل معنى المتعففة المنقبضة عن الاخذ وروى عن الحسن البصرى انه قال
معنى الحديث يد المعطى خير من اليد المانعة (وقوله) اى وكقوله على ما ذكره ابو نعيم فى دلائله (فى حديث العامرى) اى
مخاطبا له بلغته (حين سأله) اى العامرى (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم سل عنك اى عم شئت) او عما شئت
كما فى نسخة ويجوز سل عن امر لتوشأنك (وهى) وفى نسخة وهو (لغة بنى عامر واما كلامه المعتاد) اى المأنوس لجميع
العباد (وفصاحته المعلومة) اى لسائر البلاد (وجوامع كلمه) اى لمعان كثيرة بالفاظ يسيرة (وحكمه) جمع حكمة
(المأثورة) اى المروية عنه الدالة على اتقان علمه واحكام عمله (فقد الف الناس فيها الدواوين) جمع ديوان بكسر داله وقد
يفتح وهو فارسى معرب واصله دوان اعل اعلال دينار وجمعه دنانير وقد سبق الكلام فيه والاظهر ما قالوا فى وجه
التسمية ان الديوان بالفارسية اسم للشياطين فسمى الكتاب من الحساب باسمهم لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلى
والخفى وجمعهم لما شذ وتفرق وقد يسمى مكانهم باسمهم واول من وضعه فى الاسلام عمر رضى الله تعالى عنه لحفظ
ما يتعلق بالناس والمراد هنا الكتب المؤلفة من الجوامع والمسانيد وامثال ذلك (وقد جمعت فى الفاظها ومعانيها
الكتب) اى فى بيان غرآئبها وجمعت بصيغة المجهول وكان الاولى ان يقال وجمعوا فى مبانيها ومعانيها الكتب (ومنها)
اى ومن جوامع كلمه وحكمه (ما لا يوازى) بهمز ابدل واوا من آزيته بمعنى حاذيته وهو بازآئه اى بحذآئه ولا تقل
وازيته على ما فى الصحاح وهو بصيغة المجهول اى لا يماثل ولا يقابل (فصاحة) تمييز للنسبة اى من جهة الفصاحة
(ولا يبارى) اى ولا يعارض ولا يساوى (بلاغة كقوله) على ما رواه ابو داود والنسائى (المسلمون تتكافأ) بالهمز فى
آخره وفى نسخة بحذف احدى التاءين اى تتماثل وتتساوى (دماؤهم) اى فى العصمة والحرمة خلاف ما فى الجاهلية
فكل مسلم شريفا او وضيعا كبيرا او صغيرا حرا او عبدا فى ذلك سوآء او فى القصاص والدية فيقاد الشريف بالوضيع
والكبير بالصغير والعالم بالجاهل والذكر بالانثى وكذا حكم الدية الا انه يخص منه العبد اذ لا يكافئ حرا فى بعض الصور
على خلاف فى المسئلة (ويسعى بذمتهم) اى بعهدهم وامانهم (ادناهم) اى اقلهم منزلة كعبد وامرأة فانه اذا اعطى
احدهما امانا لاحد او لجيش فليس لاحد منا اخفاره اى نقض امانه لحديث البخارى ذمة المسلمين واحدة يسعى بها

ادناهم فمن اخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولحديث الترمذى ان المرأة لتأخذ على القوم اى تجير على المسلمين ولحديث ابى داود ان كانت المرأة لتجير على المؤمنين ومنه حديث ذمة المسلمين واحدة (وهم) اى المسلمون (يد) اى قوة (على من سواهم) او جماعة يتعاونون على اعدائهم من اهل الملل لا يخذل بعضهم بعضا اوهم مع كثرتهم قد جمعتهم اخوة الاسلام وجعلتهم فى وجوب الاتفاق بينهم تعاونوا وتعاضدوا على من آذاهم وعاداهم كيد واحدة فيجب ان ينصر كل اخاه على من آذاه فهو تشبيه بليغ (وقوله) اى وكقوله فيما رواه ابن لال فى مكارم الاخلاق (الناس) اى فى تساوى اجرآء الاحكام عليهم (كاسنان المشط) بضم الميم وتكسر وقد تفتح وتضم او تكسر وتفتح شينه وهو مثل فى التساوى وهو قريب من قوله تتكافأ دماؤهم وقيل فى تساوى الاخلاق والطباع وتقاربها ويؤيده ما جاء فى رواية اخرى الناس سواسية كاسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا فضل لعجمى على عربى وانما الفضل بالتقوى (والمرء) اى وكقوله فيما رواه الشيخان المرء (مع من احب) اى فى كل موطن خيرا وفى المحشر او فى الجنة وفيه ايماء الى ان الله يتفضل على من احب قوما بان يلحقه بهم فى منازلهم وان لم يكن له مثل اعمالهم وقيل شرطه اتباع عمل محبوبه والا فلا فائدة لهذه المحبة والاظهر انه شرط للكمال وانه يكفى فى اثبات المحبة مجرد التوحيد وثبوت النبوة لما فى صحيح مسلم ان رجلا جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف ترى رجلا احب قوما ولما يلحق بهم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من احب (ولا خير) اى وكقوله فيما رواه ابن عدى فى كامله بسند ضعيف المرء على دين خليله ولا خير (فى صحبة من لا يرى لك) اى من الحق (مثل ما ترى له) اى مثله اغترارا بماله من كثرة المال وسعة الجاه فيتكبر مع جهله على العلماء والصلحاء والفقرآء المتواضعين له وروى يرى له بالياء والتاء للفاعل والمفعول على ما ذكره التلمسانى والظاهر بناء الفاعل على الخطاب بل هو الصواب هذا وروى لا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه فيؤول معناه الى حديث لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (والناس معادن) اى وكقوله على ما رواه الشيخان الناس معادن اى لمكارم الاخلاق كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا بضم القاف اى مارسوا الفقه وضموا الحسب الى النسب وجمعوا بين الشرع والطبع فى الطلب وحكى بكسر القاف وهو متعين اذا كان الفقه بمعنى الفهم وحاصله ان الناس مختلفون بحسب الطباع كالمعادن وانهم من الارض كما ان المعادن منها وفيها الطيب والخبيث فان منها ما يستعد للذهب الابريز ومنها ما يستعد للفضة ومنها ما يستعد لغير ذلك ومنها ما يحصل منه بكد وتعب كثير شئ يسير ومنها ما هو بعكس ذلك ومنها ما لا يحصل منه شئ اصلا فكذلك بنو آدم منهم من لا يعى ولا يفقه ومنهم من يحصل له علم قليل بسعى طويل ومنهم من امره عكس ذلك ومنهم من يفاض عليه من حيث لا يحتسب كما هو معلوم فى كثير من الاولياء والصالحين والعلماء العاملين وروى معادن فى الخير والشر كالذهب والفضة (وما هلك امرؤ عرف قدره) رواه السمعانى فى تاريخه بسند فيه مجهول ويقرب منه ما روى عن على رضى الله عنه ما ضاع امرؤ عرف قدره لان الضائع بمنزلة الهالك (والمستشار مؤتمن) اى على ما استشير فيه استظهارا برأيه والحديث رواه الاربعة والحاكم والترمذى ايضا فى الشمائل فى قضية ابى الهيثم وفى بعض الروايات زيد فيه (وهو بالخيار ما لم يتكلم) وفى رواية احمد وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت فان تكلم فليجتهد رأيه قال الدلجى وهما شاهدا صدق بان الاشارة به بمجرد الاستشارة غير واجبة انتهى والاظهر ان المراد به انه ان لم يكن له رأى يسكت والا فيتكلم ويظهر رأيه لان الدين النصيحة وفى الاخفاء نوع من الخيانة المنافية للامانة وعن عائشة رضى الله تعالى عنها المستشير معان والمستشار مؤتمن وعن على كرم الله وجهه اذا استشير احدكم فليشر بما هو صانع لنفسه (ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم) اى بقوله الخير (او سكت) اى عما لا خير فيه (فسلم) اى عن الشر بسكونه رواه ابو الشيخ فى الثواب والديلمى ومنهم من فضل السكوت لانه اسلم للنفس وآمن من سوء العاقبة ومنهم من فضل الكلام لوجود الغنيمة والاولى ان يقال لكل مقام مقال على ان الاظهر هو الاول لقوله عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليسكت (اسلم) بحذف العاطف وفى نسخة صحيحة وقوله اسلم وهو امر بالاسلام جوابه (تسلم) بفتح اللام من السلامة وهذا القدر من الحديث متفق عليه بين الشيخين فى كتابه عليه الصلاة والسلام لهرقل ولمسلم زيادة (واسلم يؤتك الله اجرك مرتين) وللبخارى فى الجهاد اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين اى ان تسلم يعطك الله اجرك مرتين مرة لايمانه بعيسى عليه الصلاة والسلام ومرة لايمانه بمحمد عليه الصلاة والسلام وهذا الحديث مع ايجازه جامع لمراتب الاسلام وما يترتب عليه من انواع السلامة فى الدنيا والآخرة مع المناسبة اللفظية فى العبارة الزاهرة (وان احبكم) اى وقوله فيما رواه الترمذى ان احبكم (الى) اى فى الدنيا والعقبى (واقربكم منى مجالس) لعل وجه الجمع اعتبار الانواع (يوم القيامة احاسنكم اخلاقا) جمع احسن والمراد بالاخلاق الشمائل

والاحوال واستدل بهذا الحديث على ان افعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة جاز ان يطابق موصوفه وان لا يطابقه لانه عليه السلام افرد احب واقرب وجمع احاسن ففيه جمع بين اللغتين وتفنن فى العبارتين (الموطئون) بصيغة المفعول من التوطئة اى المذللون (اكنافا) جمع كنف بكسر وبفتح وهو الجانب اى الذين جوانبهم وطيئة يتمكن منها من يصاحبهم ولا يتأذى منهم مأخوذ من فراش وطئ لا يؤذى جنب النائم والمراد منهم المتواضعون الليّنون الهيّنون كما ورد فى اوصاف المؤمنين (الذين يألفون) بفتح اللام (ويؤلفون) بصيغة المجهول اى يألفون الناس والناس يألفونهم وذلك لحسن اخلاقهم وسهولة طباعهم وضياء قلوبهم وصفاء صدورهم وروى فى الحديث وان ابغضكم الى وابعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون وروى ابغضكم الى المشاؤون بالنميمة المفرقون للاحبة الملتمسون للبرآء العيب (وقوله) اى وكقوله فيما رواه البيهقى فى شعبه اصيب رجل يوم احد فقالت امه لتهنئك الشهادة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما يدريك (لعله كان يتكلم بما لا يعنيه) بفتح اوله وسكون المهملة وكسر النون اى بما لا يهمه من امر دنياه وعقباه (ويبخل) لعل الواو بمعنى او (بما لا يغنيه) بضم اوله وسكون المعجمة اى من اقوال وافعال وطلب رياسة وحب محمدة وامثال ذلك مما يجلب له شرا ولا يذهب عنه ضرا وقد قال الحسن من علامة اعراض الله عن العبد ان يجعل شغله فيما لا يعنيه وفى رواية للبيهقى كما رواه الترمذى ان رجلا توفى فقالوا ابشر بالجنة فقال فلعله قد تكلم بما لا يعنيه او بخل بما لا ينقصه قال الترمذى وهذا هو المحفوظ اقول لكن لا يخفى حسن صنعة التجنيس بين يعنيه ويغنيه فى الحديث الاول (وقوله) اى وكقوله فيما رواه الشيخان (ذو الوجهين) اى الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه بمعنى انه يأتى كلا بما يحب من خير او شر وهذه هى المداهنة المحرمة وقيل هو الذى يظهر لكل طائفة وجها يرضيها به ويوهمها انه عدو للاخرى ويبدى لها مساويها (لا يكون عند الله وجيها) اى ذا قدر ومنزلة لما يتفرع عليه من الفساد بين العباد بخلاف المصلح بين الناس فى البلاد واصل الوجيه هو المستقبل بالخير والتعظيم وذلك كناية عن المحبة لان من احب احدا يديم النظر الى وجهه ويستقبله بالتكريم وفى رواية الطبرانى عن ابى سعيد ذو الوجهين فى الدنيا يأتى يوم القيامة له وجهان من نار (ونهيه) اى وكنهيه فيما رواه الشيخان (عن قيل وقال) بفتح لاميهما وخفضهما منونا اى عن فضول ما يتحدث به فى المجالس من قولهم قيل كذا وقال كذا ويجوز بناؤهما على انهما ماضيان فى كل منهما ضمير راجع الى مقدر وهو الاشهر الاكثر بناء على الحكاية ويجوز اعرابهما اجرآء لهما مجرى الاسماء ولا ضمير فيهما وعن ابى عبيد انهما مصدران تقول قلت قولا وقيلا وقالا وقد قرئ قال الحق بدل قول الحق والمراد النهى عن نقل اقوال الناس مما لا فائدة فيه وقيل المراد النهى عن كثرة الكلام ابتدآء وجوابا مما يوقع فى الخطأ وما لا يجدى نفعا فيرجع الى حديث كفى بالمرء اثما ان يحدث بكل ما سمع ونسب للشافعى

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
فاقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم او اصلاح حال

(وكثرة السؤال) اى عما بايدى الناس بان يسأل الناس اموالهم او عن اخبارهم مما لا فائدة فيه من التجسس وقيل النهى عن الاغلوطات وفى كثرة السؤال دليل جواز القلة وشرطه الحاجة ولله در القائل

بلوت مرارة الاشياء طعما * فلا شئ امر من السؤال

وقيل السؤال عن المتشابهات وقيل كثرة سؤال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم ينزل ولم تدع الحاجة اليه ومنه قوله تعالى لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم ومنه حديث وسكت عن اشياء غير نسيان فلا تبحثوا عنها والكثرة بالفتح وتكسر (واضاعة المال) اى بصرفه فى غير مرضاة الله عز وجل ويدخل فيه الاسراف فى النفقة والبناء والملبوس والمفروش وامثال ذلك وقيل اهماله وترك القيام عليه وقيل دفعه الى السفهاء وقيل عدم صرفه فى موضعه اللائق به كما قيل

وما ضاع مال اورث المجد اهله * ولكن اموال البخيل تضيع

(ومنع) بالجر منونا وفى نسخة بفتح العين (وهات) بالكسر وفى نسخة بالفتح ويروى على بناء الماضى اى منع ما يجب عليه اعطاؤه وطلب ما ليس له (وعقوق الامهات) اى والآباء فهو من باب الاكتفاء او لان اكثر العقوق يقع بهن لضعفهن ورحمهن ولانهن ما كان عند العرب كثير حرمة لهن او للايماء بان عصيانهن اقبح لانهن اكثر محبة واشد شفقة لقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين الآية ولما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قيل له من احق الناس بحسن صحابتى يا رسول الله قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك (ووأد البنات) بهمزة ساكنة وتبدل اى دفنهن حيات انفة وغيرة ومنهم من وأد تخفيفا لمؤونتهن وخشية الاملاق بهن

ولذا خص من بالذكر والا فالوأد حرام وكثر ذلك الفعل بهن ومنه حديث العزل الوأد الخفى ومع هذا جاء فى الحديث ان دفن البنات من المكرمات ونعم الصهر القبر وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا للمرأة ستران قيل وماهما قال الزوج والقبر قيل فايهما استر قال القبر (وقوله) اى وكقوله فيما رواه احمد والترمذى والحاكم والبيهقى عن ابى ذر (اتق الله حيث كنت) وفى الاصول من كتب الحديث حيثما كنت وكذا فى اصل الدلجى ولذا قال وما زائدة بشهادة رواية حذفها والمعنى اتق الله باكتساب اوامره واجتناب زواجره فى كل مكان وزمان فانه معك اينما كنت وحيثما كنت والخطاب لراويه من صحابته اوعام لكل فرد من افراد امته (واتبع) بفتح الهمزة وكسر الموحدة اى اعقب والحق (السيئة) اى الصادرة منك (الحسنة) اى من صلاة اوصدقة ونحوهما اوروى بحسنة (تمحها) بفتح اوله وضم الحاء مجزوما بجواب الامر وهو مقتبس من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقيل المعنى بالحسنة فى الحديث التوبة ثم المراد بمحوها ازالتها حقيقة بعد كتابتها اومحوها كناية عن عدم المؤاخذة بها والظاهر ان جنس الحسنة يمحو جنس السيئة فلا ينافى ماورد من ان الحسنة تمحو عشر سيئات وخص من عمومها السيئة المتعلقة بالعبد كالغيبة فلا يمحوها الا الاستحلال ولو بعد التوبة نعم قبل وصولها اليه ترتفع بالحسنة لحديث اذا اغتاب احدكم من خلفه فليستغفر له فان ذلك كفارة له وقيل تمحها بحسنة بضاد اثرها اثر السيئة التى ارتكبها فسماع الملاهى يكفر بسماع القرآن ومجالس الذكر وشرب الخمر يكفر بتصدق شراب حلال ونحو ذلك فان المعالجة بالاضداد (وخالق الناس) اى خالطهم وعاشرهم (بخلق حسن) اى بطلاقة وجه وكف اذى وبما تحب ان يعاملوك به فان الموافقة مؤنسة والمخالفة موحشة (وخير الامور اوساطها) هذا حديث مستقل رواه ابن السمعانى فى تاريخه اى المتوسطة بين الافراط والتفريط فى الاخلاق كالكرم بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن وفى الاحوال كالاعتدال بين الخوف والرجاء والقبض والبسط وفى الاعتقاد بين التشبيه والتعطيل وبين القدر والجبر وفى المثل الجاهل اما مفرط واما مفرط وفى التنزيل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا والحاصل ان الانسان مأمور ان يجتنب كل وصف مذموم بالبعد عنه وابعد الجهات والمقادير من كل طرفين وسطهما فاذا كان فى الوسط فقد بعد عن الاطراف المذمومة ولعل هذا معنى قولهم كن وسطا وامش جانبا (وقوله) اى وكقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذى والبيهقى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (احبب) من احبه فان حببته احبه بالكسر شاذ وقوله (حبيبك) بمعنى محبوبك والمعنى احبب الذى تحبه مما سوى الله ورسوله (هونا ما) ما زائدة للمبالغة فى القلة اى حبا يسيرا ولا تسرف فى حبه ولا تبالغ فى تعلق القلب به كثيرا فانه (عسى ان يكون) اى يصير وينقلب (بغيضك) اى مبغوضك (يوما ما) اى حينا من الاحيان وتتمته وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما اذ ربما انقلب ذلك الحب بتغير الاحوال بغضا فتندم عليه اذا ابغضته اوانقلب البغض حبا فتستحيى منه اذا احببته ويقرب من هذا الكلام قول عمر رضى الله تعالى عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وفى معنى هذا الحديث انشد ابو عمرو ابن عبد البر فى بهجة المجالس

واحبب اذا احببت حبا مقاربا * فانك لا تدرى متى انت نازع
وابغض اذا ابغضت بغضا مقاربا * فانك لا تدرى متى انت راجع

والمقارب المقتصد (وقوله) اى وكقوله فيما رواه الشيخان (الظلم) اى على النفس اوعلى الغير (ظلمات) بضم الظاء واللام وقال التلمسانى وبفتح وبضم الثانى اى انواع الظلم القاصر والمتعدى ظلمات حسية على اصحابه فلا يهتدون بسببه الى الخلاص (يوم القيامة) اى فى يوم يسعى نور المؤمنين الكاملين بين ايديهم وبايمانهم بسبب ايمانهم واحسانهم ويحتمل ان يراد بها الشدائد كما فى قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر (وقوله) اى وكقوله فيما رواه الترمذى وغيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (فى بعض دعائه) اى فى بعض دعواته المافرغ من صلاته ليلة الجمعة (اللهم انى اسالك رحمة من عندك) اى من فضلك وكرمك لا بمقابلة عمل من عندى الحديث كذا فى اصل الترمذى وليس فى بعض النسخ لفظ من عندك (تهدى بها قلبى) اى تدله اليك وتقربه لديك (وتجمع بها امرى) اى حالى عليك (وتلم) بضم اللام وتشديد الميم (بها شعثى) بفتحتين اى تجمع بها تفرق خاطرى وتضم بها ما تشتت امرى بمقام جمعى وحضورى (وتصلح بها غائبى) اى قلبى اوباطنى بالاخلاق الرضية والاحوال العلية (وترفع بها شاهدى) اى قالبى اوظاهرى بالاعمال البهية والهيئات السنية اويراد بهما اتباعه الغائبون والحاضرون (وتزكى بها عملى) اى تزيد ثوابه وتنميه او تطهره وتنزهه عن شوائب الرياء والسمعة وسائر ما ينافيه (وتلهمنى بها رشدى) اى صلاح حالى فى حالى ومآلى

(ونرد) اى تجمع (بها الفتى) بضم الهمزة اسم من الائتلاف واما الالفة بالكسر فالمرأة تألفها وتألفك والفه كعلمه الفا بالكسر والفتح على ما فى القاموس فقول الدلجى بضم الهمزة وكسرها مصدر بمعنى المفعول ليس فى محله والمراد بها الالفة فى العبادة اوحسن الصحبة مع ارباب السعادة ومنه حديث المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف على ما رواه الدارقطنى عن جابر مرفوعا ومنه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (وتعصمنى) اى تحفظنى وتمنعنى (بها من كل سوء) اى تصرفنى عنه وتصرفه عنى وهو بضم السين وقد يفتح الضرر الحسى والمعنوى (اللهم انى اسألك الفوز) اى النجاة (فى القضاء) اى فيما قضيته وقدرته على من البلاء وفى نسخة عند القضاء اى حين حلول القضاء وضيق الفضاء بتوفيق الرضى وروى المنجانى فى العطاء ثم قال ويروى فى القضاء كما ذكره المصنف فى الشفاء (ونزل الشهداء) بضمتين وتسكن الزاى واصله ما يعد للضيف اول نزوله والمراد هنا جزيل الثواب وجميل المآب وقيل النزل بمعنى المنزل ويؤيده رواية ومنازل الشهداء (وعيش السعداء) اى الحياة الطيبة المقرونة بالطاعة والقناعة من غير التعب والعناء وفى رواية زيادة ومرافقة الانبياء (والنصر على الاعداء) اى من النفس والشياطين وسائر الكافرين والحديث طويل كما ذكره بعض الشراح وفى هذا الحديث دليل واضح على ان السجع فى الدعاء انما يكون مكروها على ما ذكره ابن عباس رضى الله تعالى عنه وغيره اذا كان عن تكلف وتعسف يمنعه عن حسن الثناء ويشغله عن حضور الدعاء ثم هذه الروايات من الكلمات الجامعات منضمة (الى ما رونه الكافة عن الكافة) اى جميع الرواة عن الثقات وحكى عن سيبويه انه لا يجوز استعمال كافة معرفا بل نكرة منصوبة على الحالية كقاطبة (من مقاماته) بيان لما والمعنى من مقالاته فى اختلاف مقاماته وحالاته ومجالس وعظه ودلالاته (ومحاضراته) اى فى محاوراته (وخطبه) اى فى جمعه وجماعاته (وادعيته) اى وقت مناجاته (ومخاطباته) اى فى مجاوباته (وعهوده) اى فى مبايعاته (مما لا خلاف) اى بين علماء الانام (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (نزل) فعل ماض وقد وهم اليمنى فى ضبطه بضم النون والزاى منونا وذكر معانيه التى هى غير ملائمة للمقام فالمعنى انه تنزل وحل ووصل (من ذلك) اى مما ذكر من علو المقام (مرقبة) بقاف فموحدة اى موضعا مشرفا كما فى الصحاح وفى نسخة بقاف فالف وكلتاهما بمعنى مرتبة كما فى نسخة وقال اليمنى هى الصواب والحاصل ان النسخ كلها بمعنى درجة عالية (لا يقاس) اى عليه (بها غيره) فاين الثريا من يد المتناول فى الثرى ولا يقاس الملوك بالحدادين فى السلوك (وحاز) بالحاء والزاى اى ضم وجمع (فيها سبقا) بفتح فسكون مصدر سبق وهو التقدم فى السير ويستعار لاحراز الفضل والخير وبفتحهما ما يجعل من المال رهنا فى المسابقة واغرب الحلبى من بين الشراح فى قوله انه يتعين ههنا فتح الباء (لا يقدر قدره) بصيغة المجهول اى لا يعرف عظمة شانه ورفعة برهانه (وقد جمعت) بصيغة المتكلم فى اكثر النسخ وضبطه الدلجى بتاء تانيث ساكنة مبنيا للمفعول (من كلماته) من تبعيضية اوزائدة وانث الضمير نظرا الى الكلمات كذا ذكره الدلجى والظاهر كون من تبعيضية لقلة وجودها زائدة فى الكلام الموجب مع ان كلماته لا تستقصى فى مقام الرواية والمفعول اونائب الفاعل قوله (التى لم يسبق اليها) بصيغة المجهول اى ما سبقه واحد الى تلك الكلمات البالغة لاصابتها نهاية البلاغة وغاية الفصاحة (ولا قدر احد ان يفرغ) من الافراغ اى (فى قالبه) بفتح اللام وتكسر ففى القاموس القالب كالمثال يفرغ فيه الجواهر وفتح لامه اكثر والمعنى لم يقدر احد ان يسكب جواهر المعانى فى قوالب زواهر المبانى (عليها) اى على نهج تلك الكلمات التى ليس لها مثانى (كقوله) اى يوم حنين على ما رواه مسلم والبيهقى الآن (حمى الوطيس) بفتح الحاء وكسر الميم اى اشتد الحرب والوطيس فى الاصل التنور شبه به الحرب لاشتعال نارها وشدة ايقادها فاستعار لها اسمه فى ايرادها استعارة تحقيقية لتحقق معناها حسا وقرنها بقوله حمى ترشيحا للمجاز وقيل هو الوطئ الذى يطس الناس اى يدقهم وقال الاصمعى هو حجارة مدورة اذا حميت لم يقدر احد على وطئها عبر به عليه الصلاة والسلام عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق فهو كلام فى غاية الايجاز ومما يشبه الالغاز وكاد ان يكون من باب الاعجاز (ومات حتف انفه) اى وكقوله فيما رواه البيهقى فى شعب الايمان ولفظه من مات حتف انفه فقد وقع اجره على الله يعنى اذا خرج مجاهدا فى سبيل الله والمعنى مات بلا مباشرة قتل ولا ضرب ولا غرق ولا حرق وخص الانف لانه اراد ان روحه تخرج من انفه بتتابع نفسه اولانهم كانوا يتخيلون ان المريض تخرج روحه من انفه والجريح من جراحته (ولا يلدغ المؤمن من جحر) بضم جيم فسكون حاء (مرتين) اى كما رواه البخارى وغيره وروى لا يلسع وهو اما خبر فمعناه ان المؤمن الفطن هو اليقظ الحازم الحافظ الذى لا يؤتى من جهة الغفلة فيخدع وهو لا يشعر مرة بعد مرة واما نهى فمعناه لا يخدعن المؤمن من باب واحد من وجه واحد مرة بعد اخرى فيقع فى مكروه بل فليكن حذرا يقظا فى امر دنياه واخراه وسبب الحديث ان ابا عزة الجمحى اسر يوم بدر فمن عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان لا يهجوه ولا يحرض عليه

فقد درتم اسيرا باحد فقال يارسول الله غلبت اقلنى فقال لا ادعك تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ثم امر بضرب عنقه (والسعيد من وعظ) بصيغة المجهول اى اتعظ (بغيره) كما رواه الديلمى وروى تمامه والشقى من وعظ به غيره (فى اخواتها) اى اشباه هذه الكلمات والمعنى انها جمعت معها كالاعمال بالنيات والمجالس بالامانات والحرب خدعة وامثالها من الكلمات الجامعات منها كل الصيد فى جوف الفرا اى الحمار الوحشى قاله لابى السفيان لما اسلم اى اجتمع كمال خصال الناس فيه واياكم وخضراء الدمن ولا يجنى على المرء الا يده والبلاء موكل بالمنطق وترك الشر صدقة وسيد القوم خادمهم والخيل فى نواصيها الخير وان من الشعر لحكمة ونية المؤمن خير من عمله والدال على الخير كفاعله ونعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ والندم توبة ونحو ذلك (مما يدرك الناظر العجب) اى مما يتصوره وفى نسخة بنصب الناظر ورفع العجب فالمعنى مما يلحقه العجب اذا نظر (فى مضمنها) بفتح الميم المشددة وفى نسخة من ضمنها اى مضمونها وما يتضمنها من المعانى البديعة فى المبانى المنيعة (ويذهب به) اى ومما يذهب بالناظر (الفكر فى ادانى حكمها) بكسر ففتح جمع حكمة والمعنى فيتعجب بتأمله فى فهمها باعتبار ادانيها فما ظنك باقاصيها (وقد قال له اصحابه) اى كما رواه البيهقى فى شعب الايمان (ما رأينا الذى هو افصح منك) الجملة من المبتدأ والخبر صلة الموصول وهو عائد الموصول لا ضمير افصح كما توهم الدلجى فان ضميره راجع الى المبتدأ كما لا يخفى على المبتدى (فقال وما يمنعنى) اى من ان اكون افصح (وانما انزل القرآن) اى الذى هو فى غاية البلاغة ونهاية الفصاحة مع ايجاز المبانى وحسن البيان وللمعانى (بلسانى لسان عربى مبين) اى واضح او موضح ولسان بدل او بيان (وقال مرة اخرى) اى كما رواه اصحاب الغرائب ولم يعرف له سند (انا افصح العرب بيد) اى غير (انى) او على انى (من قريش) فيكون من باب المدح بما يشبه الذم كقول القائل

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ✱ بهن فلول من قراع الكتائب

ومنه قول النابغة

فتى كملت اخلاقه غير انه ✱ جواد فما يبقى من المال باقيا

وفى مشارق الانوار للمصنف ان بيد بمعنى لاجل وفى المعنى هنا بمعنى من اجل انى من قريش (ونشأت) اى تربيت وفى رواية ارضعت (فى بنى سعد) اى وهما طائفتان فصيحتان من العرب العرباء وفيهم البلغاء من الشعراء والخطباء وللطبرانى انا اعرب العرب ولدت فى قريش ونشأت فى بنى سعد فانى يأتينى اللحن واما حديث انا افصح من نطق بالضاد بيد انى من قريش فنقله الحلبى عن ابن هشام لكن لا اصل له كما صرح به جماعة من الحفاظ وان كان معناه صحيحا والله اعلم واغرب التلمسانى فى قوله وتكسر همزة انى على الابتداء وقال روى الحديث محمد ابن ابراهيم التقفى عن ابيه عن جده (فجمع له) بصيغة المجهول اى فاجتمع له بجمع الله له (بذلك) اى بسبب ما ذكر من اصالة قريش وحضانة بنى سعد (صلى الله تعالى عليه وسلم) كان محله بعد له (قوة عارضة البادية) اى حلاوة كلام اهل البادية (وجزالتها) بالرفع وهو ضد الركاكة (ونصاعة الفاظ الحاضرة) اى وخلوص الفاظ اهل الحضور فى القرى من شوائب خلط الخلطة بغيرهم (ورونق كلامها) اى وحسن تعبير اهل الحاضرة المفهومة للعامة والخاصة حال كون ذلك كله منضما (الى التاييد الالهى الذى مدده) بالرفع اى زيادته المتوالية وامداده (الوحى الذى لا يحيط بعلمه بشرى) اى منسوب الى البشر وهم بنوا آدم ولو قال الآدمى بدله كان انسب معنى واقرب مبنى لسجع الالهى والحاصل ان كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم متناهى فى الفصاحة والبلاغة ولكن لا يبلغ مرتبة المعجزة خلافا لبعض المتكلمين حيث قال ان اعجازه دون اعجاز القرآن ولعله اراد باعتبار المعنى دون المبنى (وقالت ام معبد) بفتح ميم وموحدة وهى عاتكة بنت خالد الخزاعية (فى وصفها له) اى للنبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) حين نزل بها فى طريق المدينة سنة الهجرة كما ذكره اصحاب السير واصحاب الشمائل تضمنا للمعجزات وخوارق العادات حينئذ فمن جملة ما وصفت انه (حلو المنطق) اى مستلذه ومستحلاه لاشتماله على حلاوة كلامه وعذوبة مرامه وسلاسة سلامه وحسن بدئه وختامه ونظام تمامه (فصل) اى مفصول مبين ومفهوم معين او فاصل بين الحق والباطل او حق لا باطل ومنه قوله تعالى فى التنزيل انه لقول فصل اى فاصل قاطع (لا نزر) بفتح نون فسكون زاى اى لا يسير فيشير الى خلل (ولا هذر) بفتح هاء وسكون ذال معجمة اى ولا كثير فيميل الى ملل واما الهذر بفتح الذال فمعناه الهذيان واغرب الانطاكى حيث اقتصر فى ضبطه على الفتح (كان منطقه) اى منطوقه (خرزات) اى جواهر متعالية ولآلى متغالية (تنظمن) بصيغة المجهول اى سلكن فى سلك كلماته وضمن عباراته متتابعة متناسقة متناسبة متوافقة والحاصل انه تشبيه بليغ لارادة زيادة المبالغة على ما صرح به الدلجى الا انه مبنى على ان كان منطقه من الافعال الناقصة

وفى بعض النسخ المصححة بتشديد النون على انها من الحروف المشبهة فحينئذ لا يكون تشبيها بليغا كما لا يخفى على البلغاء (وكان جهير الصوت) اى عاليه وهو مما يمدح فى احوال الرجال ولذا مدح ايضا بسعة الفم والله تعالى اعلم (حسن النغمة) بفتح النون وسكون الغين المعجمة اى حسن الصوت حيث تقبله الاسماع وتألفه الطباع كما روى ان الله لم يبعث نبيا الا حسن الصورة وحسن الصوت (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اولا وآخرا والله تعالى اعلم

(فصل) (واما شرف نسبه) اى المنسوب الى قومه (وكرم بلده ومنشأه) اى الذى ولد وتربى فيه وقيل المراد من منشأه محل مرضعته حليمة من بنى سعد (فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفى منه) اى مما ينسب اليه (فانه) اى باعتبار نسبه (نخبة بنى هاشم) اى خيارهم (وسلالة قريش) اى خلاصتهم وصفوتهم سلالة من خالصهم والظاهر انه مرفوع وجعله التلمسانى مجرورا على انه بدل من بنى هاشم (وصميمها) بالرفع اى قوامهم ومدارهم ومحضهم وخالصهم من غير خلطة غيرهم واصل الصميم العظم الذى به قوام العضو وظاهر كلام الدلجى ان صميمها المجرور عطفا على قريش (واشرف العرب) لانه من بنى هاشم وبنوا هاشم من قريش وهم اشرف العرب فى النسب وفى شرح الدلجى افضل العرب من غير عاطفة بالجر صفة لقريش (واعزهم) اى واقواهم واشجعهم واسخاهم (نفرا) اى جماعة وقرابة (من قبل ابيه وامه) اى من قبل قبيلة ابويه (ومن اهل مكة) اى وهو من اهل مكة (اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده) وفى هذا حجة على بعض المالكية فى تفضيلهم المدينة السكينة على مكة المكينة وفى بعض النسخ من اكرم ولعله تصرف من بعضهم والله تعالى اعلم نعم يستثنى ما حوى بدنه الكريم فانه افضل حتى من الكعبة بل من العرش العظيم وعن المحب الطبرى ان بيت خديجة يلى المسجد الحرام فى الفضيلة ولم يذكر المصنف فى هذا الفصل شيأ مما جاء فى فضل مكة لظهوره وكمال وضوح نوره (حدثنا قاضى القضاة) اللام للعهد اذ لا يجوز هذا الاطلاق على سبيل الاستغراق الا على الملك الخلاق نحو ملك الملوك وسلطان السلاطين وامثال ذلك (حسين بن محمد الصدفى) بفتحتين ففاء فياء نسبة (رحمه الله) وقد سبق ترجمته (حدثنا القاضى ابو الوليد سليمان ابن خلف) وهو الباجى (حدثنا ابو ذر عبد بن احمد) اى الهروى وهو عبد من غير اضافة فلا يكتب همزة ابن البتة ولو وقع اول الصفحة (حدثنا ابو محمد السرخسى) هو الحموى وقد سبق ضبطه (وابو اسحق) اى المستملى وكان من الثقات (وابو الهيثم) وهو محمد بن المكى ابن الزراع الكشميهنى بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية وفتح الهاء بعدها النون وياء النسبة نسبة الى قرية قديمة من قرى مرو (حدثنا) اى قالوا حدثنا كما فى نسخة (محمد بن يوسف) وهو الفربرى (قال حدثنا محمد بن اسماعيل) اى الامام البخارى (حدثنا قتيبة بن سعيد) تقدم ذكره (حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن) اى ابن محمد بن عبد الله بن القارى بالتشديد نسبة الى القارة (عن عمرو) بالواو وهو مولى المطلب اخرج له الائمة الستة واختلف فى كونه ثقة (عن سعيد المقبرى) بفتح الميم وضم الموحدة ويجوز فتحها وقال التلمسانى بتثليث الموحدة وقيل له ذلك لانه كان يسكن قرب المقابر وهو سعيد بن ابى سعيد المقبرى واما ما فى بعض النسخ عن ابى سعيد فخطأ على ما ذكره الحلبى وفيه بحث لان الحجازى صرح بان كنيته ابو سعيد وابوه كيسان وكنيته ابو سعيد ايضا (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا) اى خلقت وجعلت من خير طبقاتهم كائنين طبقة بعد طبقة (حتى كنت من القرن الذى كنت منه) اى حتى وجدت من بين الجمع الذى ظهرت منهم والقرن من الاقتران يطلق على اهل كل زمان يقترنون فى اعمارهم واحوالهم وفى مقداره اقوال عشرة عشرون ثلاثون اربعون خمسون ستون سبعون ثمانون مائة سنة مائة وعشرون مطلق من الزمان فتلك عشرة كاملة والاظهر انه من الزمان ما غلب فيه وجود الاقران ولذا قيل

اذا ذهب القرن الذى انت منهم وا ✱ وخلفت فى قرن فانت غريب

والمراد بالبعث تقلبه فى اصلاب آبائه ابا فابا كانتقاله من نابت بالنون بن اسماعيل ثم من النضر بن كنانة ثم من قريش بن النضر ثم من عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ولله در القائل

كم من اب قد علا بابن ذرى شرف ✱ كما علا برسول الله عدنان

(وعن العباس) كما رواه البيهقى فى دلائل النبوة والترمذى وحسنه (قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق) اى الانس والملائكة والجن او يحتمل تخصيصه بالثقلين (فجعلنى من خيرهم) اى فتخيرهم وجعلنى من خيرهم وهم الانس (من خير قرنهم) بصيغة الافراد وهو بدل مما قبله (ثم تخير القبائل) اى اختارهم (فجعلنى من خير قبيلة) اى من العرب وهم قريش (ثم تخير البيوت) اى البطون (فجعلنى من خيرهم بيتا) اى بفضل الله على ونظر لطفه فى سابق

عمله الى (خيرهم نفسا) اى ذاتا اذ خلقنى خاتم النبوة وتمم بى دآئرة الرسالة وجعلنى مدار الوجود ومظهر الكرم والجود
(وخيرهم بيتا) اى مكانا فى النسب والحسب من جهة الام والاب (وعن واثلة) بمثلثة مكسورة (ابن الاسقع) وهو من
ارباب الصفة وضبط بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح قاف فعين مهملة وقال التلمسانى بالسين والصاد ويجوز
الزاى كما رواه مسلم والترمذى واللفظ له (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم) قيل
هو معرب اب رحيم والولد بفتحتين او بضم فسكون اى اختار من اولاده وكانوا ثلاثة عشر (اسماعيل) اذ كان نبيا
رسولا الى جرهم وعماليق الحجاز واغرب التلمسانى حيث قال اسماعيل باللام والنون (واصطفى من ولد اسماعيل)
وكانوا اثنى عشر ولدا على ماذكره ابن اسحق (بنى كنانة) وهو بكسر الكاف ابن نابت وبين كنانة ونابت فيما ذكر ابن
اسحق ثلاثة عشر ابا (واصطفى من بنى كنانة) وكانوا اربعة منهم النضر (قريشا) وهم اولاد النضر روى ان فى الرجل
من قريش قوة اربعين من غيرهم (واصطفى من قريش بنى هاشم) اسمه عمرو وسمى بذلك لانه اول من هشم الثريد لقومه
واضيافه من الحجاج وغيرهم فى سنة القحط (واصطفانى من بنى هاشم) اى ابن عبد المطلب بن هاشم (قال الترمذى
وهذا حديث صحيح) اى اسناده وقال المنجانى وقد خرجه مسلم فى صحيحه (وفى حديث عن ابن عمر رواه الطبرانى) اى
محمد بن جرير احد الاعلام وصاحب التصانيف من اهل طبرستان وسمع خلائق واخذ القرآءة عن جماعة توفى سنة عشر
وثلاثمائة وكذا الطبرانى فى معجميه الكبير والاوسط (انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل اختار خلقه) اى تخيرهم
وقيل اوجدهم لان المختار عند المتكلمين هو الفاعل لا على سبيل الاكراه (فاختار منهم بنى آدم ثم اختار بنى آدم) اى
تفاهم (فاختار منهم العرب ثم اختار العرب) اى انتقدهم (فاختار منهم قريشا) وهم اولاد النضر بن كنانة وسموا
قريشا لان قصيا قرشهم اى جمعهم فى الحرم بعد ما كانوا متفرقين (ثم اختار بنى هاشم فاختارنى) اى منهم (فلم ازل
خيارا من خيار ألا) للتنبيه على تحقيق ما بعده من الامر النبيه (من احب العرب فبحبى) اى فبسبب حبه اياى
(احبهم ومن ابغض العرب فببغضى) اى فبسبب بغضه اياى (ابغضهم) والمعنى انما احبهم لانه احبنى وانما ابغضهم
لانه ابغضنى فثبت بذلك قول بعض المالكية من سبهم وجب قتله لكن قد يقال المعنى فبسبب حبى وبغضى اياهم احبهم
وابغضهم لا بسبب آخر فمن احبهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من اهل الايمان يجب محبتهم ومن ابغضهم من اهل
العدوان يجب عداوتهم واما الطعن فى جنس العرب فهذا محل بحث وسيأتى تحقيقه (وعن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما) على ما رواه ابن ابى عمرو العدنى فى مسنده (ان النبى صلى الله عليه وسلم كانت روحه) وفى اكثر النسخ ان قريشا
اى من حيث هو فيهم كانت (نورا بين يدى الله تعالى) اى مقربا عنده سبحانه وتعالى (قبل ان يخلق آدم بالفى عام يسبح
ذلك النور) اى قبل عالم الظهور (وتسبح الملائكة بتسبيحه) اى بسببه او بما يقوله من تسبيحه على طبقه ووفقه (فلما
خلق الله آدم القى ذلك النور فى صلبه) بضم فسكون وفى القاموس بالضم وبالتحريك عظم من لدن الكاهل الى العجب
وقال التلمسانى هو عمود الظهر ويقال بضم الصاد وفتحها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فاهبطنى
الله عز وجل الى الارض فى صلب آدم وجعلنى فى صلب نوح) اى بعد ما كان فى صلب شيث وادريس (وقذف بى
اى بعد ذلك (فى صلب ابراهيم) اى من صلب سام بن نوح (ثم لم يزل الله تعالى ينقلنى من الاصلاب الكريمة والارحام
الطاهرة حتى اخرجنى) اى اظهرنى (من) وفى نسخة بين (ابوى لم يلتقيا) اى ابواى من آدم وحوآء الى عبد الله
وآمنة (على سفاح) بكسر السين اى على غير نكاح (قط) اى اصلا وقطعا (ويشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس)
وهو قوله من قبلها طبت فى الظلال الخ (المشهور فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما سيأتى فى كلام القاضى
والله اعلم) (فصـــــل) (واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه) اى مما بيناه فيما تقدم اول الباب من فضائله
فيه (فعلى ثلاثة ضروب) وفى بعض النسخ اضرب اى على ثلاثة انواع او اصناف (ضرب الفضل) اى هو الفضل
ويجوز فيه الاضافة (فى قلته) وهو الذى اورده هنا (وضرب الفضل فى كثرته) اورده فى فصل ثان (وضرب
تختلف الاحوال فيه) ذكره فى فصل ثالث (فاما ما) اى ضرب (التمدح والكمال بقلته اتفاقا) اى بين العلماء والحكماء
من العرب والعجم وغيرهم من العقلاء (وعلى كل حال) اى وفى قلته على كل حال باصل الخلقة او بحكم المجاهدة (وعادة
وشريعة) اى عقلا ونقلا او عادة وعبادة (كالغذاء) بكسر المعجمة الاولى ما يتغذى به من الطعام والشراب وهو اعم
من الغدآء بفتح المعجمة والدال المهملة وهو ما يؤكل اول النهار كما ان العشاء بالفتح ما يؤكل بعد الزوال الى العشاء
بالكسر فتجويز الدلجى ضبطه بالمعجمة والمهملة من المهمل الذى ليس فى محله المستعمل وكذا قول الحنفى واما
الغدآء بفتح الغين المعجمة والدال المهملة فهو الطعام بعينه وهو خلاف العشاء انتهى مع ما فيه من التناقض بين
قوله هو الطعام بعينه وبين قوله وهو خلاف العشاء (والنوم) اى وكالنوم (ولم تزل العلماء والعرب) اى من العقلاء

والحكماء

(والحكماء) اى منهم ومن غيرهم من القدماء (تتمادح) اى تتفاخر (بقلتهما وتذم) اى وتتعايب (بكثرتهما)
او التقدير تذم المتقيد بكثرتهما وفى نسخة وتذم كثرتهما (لان كثرة الاكل والشرب) بتثليث الشين والضم
ثم الفتح اشهر واما الكسر ففى معنى النصيب اكثر (دليل على النهم) بفتحتين اى الافراط فى شهوة الطعام (والحرص)
اى على جمع المال لنيل المنال او على طول الحياة لحصول اللذات (والشره) بفتحتين اى غلبة الحرص وقيل هو ان
يأكل نصيبه ويطمع فى نصيب غيره فهما مجروران عطفا على النهم بفتحتين للتفسير والتأكيد ثم قوله (وغلبة الشهوة)
مبتدأ خبره قوله (مسبب) بكسر الباء والمسبب فى الحقيقة هو الله تعالى فكان الاولى ان يقول سبب اى امر
موجب وباعث مجتلب (لمضار الدنيا والآخرة) وفى بعض النسخ ضبط الحرص والشره وغلبة الشهوة كلها بالرفع
فيكون مسبب خبرا ثانيا لان ويؤيده قوله (جالب) بلا عاطف وليس كما قال الدلجى عطف على دليل او مسبب ثم
المعنى جاذب ومكسب (لادوآء الجسد) جمع الدآء بمعنى المرض (وخثارة النفس) بضم الخاء المعجمة اى ثقلها بلا طيب
ونشاط (وامتلاء الدماغ) وهو اعلى الرأس من القحف اى من رطوبات ابخرة متصاعدة تورث استرخاء اعضائه الذى به
النوم الذى يفوت خيرا كثيرا (وقلته) عطف على كثرة الاكل وهو اسم ان او على محلها اى قليل من الاكل (دليل على
القناعة) اى الرضى باليسير والتسليم للقسمة (وملك النفس) بكسر الميم اى وعلى قدرتها وحكمها على قمعها ومنعها من
الميل الى الشهوات واتباعها (وقمع الشهوة) بالرفع مبتدأ خبره (مسبب للصحة) وجوز الدلجى جره عطفا على ما قبله
فيكون مسبب خبرا ثانيا لقلته وهو بعيد لفظا ومعنى وجوز الحجازى رفع ملك النفس ايضا فتامل والمراد من الصحة
صحة الظاهر وهو الجسد من الآلام والاسقام لان التخمة اصل كل علة (وصفاء الخاطر) اى وسبب لخلوص الباطن
من الكدورات المتولدة بانهماك النفس فى المستلذات (وحدة الذهن) اى لذكائه وهى شدة قوة للنفس معدة
لاكتساب الارآء المستقيمة (كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة) بضم الفاء والسين المهملة اى الرذالة وفتور النفس
(والضعف) بالضم والفتح اى ضعف البنية (وعدم الذكاء والفطنة) اى وعلى عدمهما وقوله (مسبب) خبر ثان لان
او عدم الذكاء مبتدأ خبره مسبب (للكسل) اى الملالة فى الطاعة (وعادة العجز) اى وتعود العجز عن القيام بالعبادة
روى ان من خصائصه عليه الصلاة والسلام انه كان لا يتثاءب ولا يتمطى لانهما من عمل الشيطان (وتضييع العمر)
بضمهما ويسكن الثانى (فى غير نفع) اى بلا منفعة حقيقية لان النفس اذا توجهت الى معرفة شئ ومزاولة عمل
ولم تجد لها آلة تساعدها من صدق تخيل وصحة فكر وتأمل وجودة حفظ وتعقل لفقد اعتدال المزاج بسبب كثرة الاكل
والنوم فترت همتها عن العلم والعمل واعتادها الكسل مع حصول عجز البدن عن وصول الامل واضاعة العمر فى غير نفع
مدة الاجل (وقساوة القلب) اى وفى شدته وغلظته (وغفلته) اى اهماله وتركه عن تحصيل منفعته (وموته) اى
وموت قلبه لان حياته بذكر ربه وفكر حبه (والشاهد على هذا) اى والدليل الظاهر على ما ذكرناه من ان كثرة الاكل
والنوم تورث ما قدمناه (ما يعلم ضرورة) اى بديهة باوآئل الفطرة من غير حاجة الى الفكرة كالعلم بجوع النفس
وعطشها او قبضها وبسطها او كالعلم بان الواحد نصف الاثنين والاثنين اكثر من واحد ونصب ضرورة على التمييز (ويوجد
مشاهدة) اى معاينة منا ومن غيرنا وهى منصوبة على المفعولية (وينقل) اى يروى الينا ممن سبق علينا (متواترا)
اى نقلا متتابعا مرة بعد مرة وفى الاصطلاح خبر اقوام عن امر محسوس يستحيل عادة تواطئهم على الكذب (من
كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين) اى السابقة كقول الحارث بن كلدة افضل الدوآء الازم يريد قلة الاكل والحمية
وقول بعض الحكماء خصلتان يقسو بهما القلب كثرة الاكل وكثرة الكلام وقول داود لابنه سليمان عليهما السلام
اياك وكثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج الناس الى اعمالهم (واشعار العرب واخبارها) ومن الاول قول الاعشى

تكفيه حزة لحم ان الم بها * من الشوآء وتروى شربه الغمر

ومن الثانى قول قس بن ساعدة وقد قال له قيصر ما افضل الاكل قال ترك الاكثار منه قال فما افضل الحكمة قال معرفة
الانسان قدره قال فما افضل العقل قال وقوف الانسان عند علمه (وصحيح الحديث) كما سيأتى (وآثار من سلف
وخلف) اى من الصحابة والتابعين كما سيجئ (مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه) اى لكونه مما لا يخفى (وانما تركنا ذكره
هنا اختصارا) اى فى اللفظ (واقتصارا) اى فى المعنى (على اشتهار العلم به) اى بناء واعتمادا على شهرته لكمال كثرته
(وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين) اى النوعين من الغذآء والنوم (بالاقل) اى بالحد
الاقل الذى لا يجوز التجاوز عنه ويجب الانتفاع به حفظا للبنية وقوة على الطاعة (هذا) اى هذا الحد الذى اخذ به
منهما واكتفى فيه عن طلب غيرهما (ما لا يدفع) بصيغة المجهول اى لا ينكر ولا يمنع (من سيرته) لكمال شهرته وكثرة
نقلته (وهو الذى امر به) اى غيره (وحض عليه) اى من وافق سيره (لا سيما) مركبة من لا وسى وما وسى اسم بمنزلة

مثل وزنا ومعنى اى لا مثل ما وتكون ما زائدة او موصولة قال ثعلب من استعمله بلا واو ومخفف الياء اخطأ وليس كما قال بل تحذف واوه ويخفف كقوله

وبالعقود وبالايمان لاسيما * عقد وفاء به من اعظم القرب

كذا قرره الحجازى وفيه بحث لا يخفى (بارتباط احدهما بالآخر) اى خصوصا مع ملاحظة ارتباطهما وانعقادهما فى تلازمهما من حيث ان النفس اذا شبعت تشوقت الى الراحة بالنوم وفترت عن العبادة فتنام كثيرا فتحسر فى حياته كثيرا وتندم عند مماته كثيرا القلة زاده ليوم معاده بدليل ما سيأتى من الاخبار والآثار منها ما قال المصنف رحمه الله تعالى (حدثنا ابو على) اى ابن سكرة (الصدفى) بفتحتين (الحافظ) اى للكتاب والسنة (بقراءتى عليه) اى هذا الحديث دون املائه لى وهذا بيان لاحد نوعى الاخذ ودليل على كمال الحفظ وقد سبقت ترجمته (حدثنا ابو الفضل) وهو احمد ابن خيرون وقد سبق ذكره (الاصفهانى) بفتح الهمزة وتكسر والفاء مفتوحة ويروى بالباء بدل الفاء واما النطق بموحدة بين الباء والفاء فلفظ فارسى قيل واهل المشرق يقولون بالفاء واهل المغرب بالباء وهى مدينة عظيمة من بلاد العجم من نواحى العراق ومن شرف اصبهان انها لا تخلو ابدا من ثلاثين رجلا يستجاب دعاؤهم لدعوة الخليل عليه السلام لما حمل منهم نمرود ثلاثين للحرب فلما رأوا الخليل آمنوا به فدعا لهم بذلك كذا ذكره التلمسانى (حدثنا ابو نعيم الحافظ) قال الحلبى هذا هو الحافظ الكبير محدث العصر ابو نعيم احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحق بن موسى بن مهران الاصبهانى الصوفى الاحول سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وله مصنفات كثيرة (حدثنا سليمان بن احمد) هذا هو الامام الواسطى الحافظ الكبير الثبت مسند الدنيا ابو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير اللخمى بالمعجمة الشامى ولد سنة ستين ومائتين واعتنى به ابوه ورحل به فى حداثته وسمع بمدائن الشام والحرمين واليمن ومصر وبغداد والكوفة والبصرة واصفهان والجزيرة وغير ذلك وحدث عن اكثر من الف شيخ وصنف المعجم الكبير والمعجم الاوسط وهو كتاب جليل تعب عليه وكان يقول هو روحى والمعجم الصغير يذكر فيه عن كل شيخ حديثا وله مصنفات كثيرة مفيدة وعاش مائة سنة (حدثنا ابو بكر بن سهل) اى الدمياطى روى عن عبد الله بن يوسف وكاتب الليث وطائفة وعنه الطحاوى والطبرانى وجماعة توفى سنة تسع وثمانين (حدثنا عبد الله بن صالح) اى الجهمى كاتب الليث على امواله روى عن معاوية بن صالح وموسى بن على وطائفة وعنه البخارى وابن معين وخلق قال الفاضل الشعرانى ما رأيته الا يحدث او يسبح (حدثنى معاوية بن صالح) هو الحضرمى الحمصى قاضى الاندلس روى عن مكحول وغيره وعنه ابن وهب وابن مهدى وجمع (ان يحيى بن جابر) اى الطائى الشامى قاضى حمص (حدثه عن المقدام) بكسر الميم (ابن معدى كرب) بعدم الانصراف وقد يصرف قال الحلبى فيه لغات رفع الباء ممنوعا والاضافة مصروفا وممنوعا انتهى ولا يخفى ان الرفع لا وجه له هنا (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه) ويروى من بطن لما فيه من الضرر الكثير به وسائر الاوعية انما استعملت فيما هى له وهو انما خلق ليتقوم به الصلب من الطعام فامتلاؤه يفضى الى فساد الدين والدنيا فيكون شرا منها فى مقام المرام (حسب ابن آدم) بسكون السين اى كافيه (أكلات) بضمتين وقد تفتح الكاف وتسكن ايضا على ما صرح به بعضهم جمع اكلة بالضم والسكون لما يجعل فى الفم من اللقمة وهو المراد ههنا وفى جمعها للقلة وهو لما دون العشرة ارشاد الى قلة عددها وفى رواية لقيمات اشارة الى قلة قدرها قال التلمسانى وكان ذلك عادة عمر رضى الله تعالى عنه يقتصر على سبع او تسع واما بفتحتين فهو جمع الاكلة بمعنى المرة من الاكل وتجويزه ههنا للدلجى ليس فى محله ويروى حسب المسلم وحسب المؤمن ورواية الترمذى بحسب ابن آدم اكلات (يقمن صلبه) بضم اوله اى يقوين ظهره بالضم وبالتحريك عظم من لدن الكاهل الى العجب كما فى القاموس فقول الدلجى تسمية للكل باسم جزئه اذ كل شئ من الظهر فيه فقار فهو صلب فيه بحث ثم خص الصلب لانه عمود البدن وفيه النخاع الساقى للبدن وهو واصله ولذا من قطع نخاعه مات وهو كناية عن انه لا يتجاوز ما يحفظه من ضعفه ويتقوى على طاعة ربه والاسناد فى الجملة مجازى لان الاقامة صفة آلهية (فان كان لا محالة) بفتح الميم ويضم اى لا بد ولا حيلة ولا فراق من التجاوز عن الاقامة البتة (فثلث) بضمتين وتسكن اللام مبتدأ والتقدير ثلث منه (لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) بفتح الفاء اى لتنفسه وبه يحصل نوع صفاء ورقة وكسر شهوة ورفع غفلة وسهولة مواظبة على الطاعة والعبادة والتخلص من القساوة والبلادة ومحافظة صحة البدن واعتدال المزاج غير المحتاج للمعالجة وقيل التقدير فان كان لا بد ان يملأ بطنه ولم يقنع بما فيه قوة فليملأ ثلث بطنه بالطعام وثلثه بالشراب ويترك ثلثه خاليا لخروج النفس ثم الاصول المعتمدة والنسخ المصححة بضمير الغائب وتوهم الدلجى وذكره بلفظ طعامك وشرابك ونفسك وعلل بانه التفات من الغيبة الى الخطاب والله تعالى اعلم بالصواب وجمع

عمر رضى الله تعالى عنه قول عنترة

ولقد ابيت على الطوى واظله * حتى انال به كريم المأكل

فقال ذاك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتأول كريم المأكل بالجنة ولقد صدق فى تأويله رضى الله عنه وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما وصف لى اعرابى قط فاحببت ان اراه الا عنترة ثم احسن ما قيل فى الحديث ان لا محالة عائد الى ضرورة الاكل وان الثلث فى حيز الاستحسان والاباحة وقيل المستحسن نصفه وهو السدس واقل منه شيأ وهو السبع لقوله فان كان لا بد ولا محالة هذا وقيل لسهل بن عبد الله الرجل يأكل فى اليوم اكلة واحدة قال اكل الصديقين قيل فاكلتين قال اكل المؤمنين قيل فثلاثا قال قل لاهلك يبنوا لك معلفا وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا اراد ان يشترى غلاما وضع بين يديه تمرا فان اكل كثيرا قال ردوه فان كثرة الاكل من الشؤم (ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب) اى انما تنشأ من اجل كثرتهما غالبا والا فقد تكون من الضعف وغيره من العلل (قال سفيان الثورى) نسبة الى ابى قبيلة وهو احد الائمة الاعلام من علماء الانام روى عن ابن المنكدر وغيره وعنه الاوزاعى ومالك وشعبة وامثالهم واخرج له الائمة الستة قال ابن المبارك ما كتبت عن افضل منه ولا عبرة بمن تكلم فيه وفى امثاله اذ قل من لم يتكلم فى حقه (بقلة الطعام يملك سهر الليل) بصيغة المجهول (وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا) اى فتندموا كثيرا النقص العمر الذى هو انفس الجواهر كذا فى الاصول المعتمدة وقال المنجانى زاد الغزالى فتخسروا كثيرا (وقد روى) اى عن جمع كابى يعلى وغيره (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف) بفتح المعجمة والفاء الاولى (اى كثرة الايدى) يعنى على الطعام وفيه حث على ان الاولى ان لا يأكل احد وحده لما فيه من الدلالة على كرم النفس والسخاوة والمساواة والسماحة وحصول الكفاية مع توقع البركة لما فى حديث مسلم طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الاربعة وطعام الاربعة يكفى الثمانية حملا للآكل على الاكتفاء بنصف الشبع قال ابن راهويه عن جرير تأويله شبع الواحد قوت الاثنين وهلم جرا وقد فسر الضفف بعضهم بكثرة العيال وبعضهم بالضيق والشدة واستشهد فى المجمل بان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يشبع من خبز ولحم الا على ضفف اى على كثرة الايدى على الطعام وقال مالك بن دينار سألت رجلا من اهل البادية عن الضفف فقال هو التناول مع الناس وقيل هو ان يكون الاكلة اكثر من مقدار الطعام والحفف بالجيم وقيل بالحاء ان يكونوا بمقداره ويروى على شظف بالشين والظاء المعجمتين بمعنى الضيق والشدة (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها لم يمتلئ جوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا) بكسر ففتح ويسكن (قط) تقدم ضبطه قال الدلجى لم اعرف من رواه ولا يعارضه ما افهم شبعه فى الجملة لحديث مسلم عنها ما شبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وفى رواية من خبز شعير يومين متواليين فان دلالة المفهوم ضعيفة فليست بحجة كما قاله ابو حنيفة ولان الامتلاء صفة زائدة على الشبع (وانه) بالفتح فيكون من جملة رواية عائشة رضى الله تعالى عنها او بالكسر على الاستئناف والضمير للشان اوله صلى الله تعالى عليه وسلم (كان فى اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه) لعدم التفاته الى غير مولاه (ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه) ويجوز اسقوه (شرب) وهذا كان دأبه فى آدابه وغالب حاله فى سائر افعاله كما هو طريق الانبياء والاولياء فى مقام الفناء والبقاء والمصنف لما استشعر اعتراضا واردا على ظاهر الحديث من حيث العموم دفعه بقوله (ولا يعترض) بصيغة المجهول اى ولا يجوز لاحد ان يعترض (على هذا) اى قولها لا يسألهم طعاما (بحديث بريرة) بفتح فكسر اى بحديث وقع فى حق بريرة وهى مولاة لعائشة رضى الله تعالى عنها واختلف انها قبطية او حبشية (وقوله) اى فيما رواه الشيخان عنه (الم ار البرمة) بضم الباء وهى القدر من الحجارة او اعم (فيها لحم) بفتح فسكون ويفتح (اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له) اى ولو بعد ان ملكته (فاراد بيان سنته) وهى انه اذا ملك المتصدق عليه الصدقة حل له اكلها هدية ويؤيد ظنه جهلهم حله له بعد ملكها اياه قوله (اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستأثرون) اى لا يختصون (عليه به فصدق عليهم ظنه) بتشديد الدال وتخفيفها كما قرئ به فى الآية والمعنى فصدق فى ظنه جهلهم ذلك فيكون من باب الحذف والايصال وجوز تعديته بنفسه كما فى صدق وعده على ما ورد وكقوله سبحانه وتعالى ولقد صدقكم الله وعده او حقق ظنه او وجده صادقا فى جهلهم ذلك (وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية) اى ففيه مبادلة معنوية واختلاف من حيثية فان هذا اللحم باهدائها اياه له انتقل من حكم الصدقة الى حكم الهبة كما لو اشتراه منها غنى او ورثه عنها (وفى حكمة لقمان) روى انه كان عبدا حبشيا نجارا وقيل نوبيا فرزق العتق

وكان خياطا وقيل هو ابن اخت داود عليه السلام وقيل ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك
داود واخذ منه العلم والاكثرون على انه كان وليا وذهب الآخرون الى انه كان نبيا وروى عن ابن عمر رضى الله تعالى
عنه انه عليه الصلاة والسلام قال لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين احب الله تعالى فاحبه
فمن عليه بالحكمة وخيره فى ان يجعله خليفته يحكم بالحق فقال يارب ان خيرتنى قبلت العافية وان عزمت على فسمعا
وطاعة فانك ستعصمنى (يابنى) وهو تصغير الشفقة ويجوز فتح بائه وكسرها كما قرئ بهما فى الآية (اذا امتلأت
المعدة) اى طعاما وشرابا وهى بفتح فكسر ويجوز كسرهما واسكان عينها مع فتح الميم وكسرها على مانقله الحلبى
وفى القاموس المعدة ككلمة وبالكسر موضع الطعام قبل انحداره الى الامعاء وهو لنا بمنزلة الكرش لغيرنا (نامت
الفكرة) اى غفلت اوماتت ويؤيده ماورد لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب وقد قالت الصوفية فى قوله تعالى
ان الله لايستحيى ان يضرب مثلا مابعوضة هذا مثل ضربه الله للاولياء ليفهموا الدنيا واهلها وذلك ان البعوضة
تحيى اذا جاعت وتموت اذا شبعت وكذلك اهل الدنيا اذا امتلؤا من الدنيا وركنوا اليها اخذتهم وامات قلبهم واهلكتهم
(وخرست الحكمة) بكسر الراء اى سكنت وماظهرت وهى كمال النفس باقتباس العلوم العقلية واكتساب الحقائق
النقلية ولذا قيل الحكمة اتقان العلم والعمل (وقعدت) وفى رواية وكلت (الاعضاء عن العبادة) اى فترت وثقلت منها
وكسلت عنها بسبب مايعتريها من النوم المانع عنها (وقال سحنون) بفتح السين وضمها قبل نون وهو مصروف
وقيل ممنوع وهو ابو سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخى الملقب بسحنون الفقيه المالكى قرأ على القاسم بن وهب
واشهب ثم انتهت اليه الرياسة فى العلم بالمغرب وادرك مالكا ولم يقرأ عليه وصنف كتاب المدونة فى مذهب مالك
وحصل له مالم يحصل لاحد من اصحاب مالك توفى سنة اربعين ومائتين وقال التلمسانى وعند القرافى ذوالنون وهو
ابو الفيض المصرى العابد مات سنة خمس واربعين ومائتين فيمكن ان يكون احدهما راويا عن الآخر لانهما فى عصر
واحد (لايصلح العلم) اى على الوجه الانفع (لمن يأكل حتى يشبع) قال التلمسانى وتمامه ولالمن يهتم بغسل ثيابه (وفى
صحيح الحديث قوله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما رواه البخارى (اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء) اى المراد منه ههنا
(هو التمكن) على الوطاء (للاكل والتقعدد فى الجلوس له) اى كمال الاعتماد فى القعود والتقعدد المراد منه هو القعود
(كالمتربع وشبهه) اى على اى هيئة (من تمكن الجلسات) بكسر الجيم جمع جلسة للهيئة (التى يعتمد فيها الجالس على
ماتحته) اى من الاوطئة (والجالس على هذه الهيئة يستدعى الاكل) اى الكثير (ويستكثر منه) اى بشهوة نفس
وشره طبع (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز) اى كجلوس المستوفز وهو اسم
فاعل من استوفز فى قعدته انتصب فيها غير مطمئن اووضع ركبتيه ورفع اليتيه او استقل على رجليه ولم يستو قائما
وقد تهيأ للوثوب كذا فى القاموس فقوله (مقعيا) حال مؤكدة فى بعض الوجوه اذ الاقعاء ان يجلس على ركبتيه وهو
الاحتفاز والاستيفاز وقيل اى ملصقا مقعده بالارض ناصبا ساقيه وفخذيه ويضع على الارض يديه (ويقول) اى
كما رواه البزار عن ابن عمر بسند ضعيف وابو بكر الشافعى فى فوائده من حديث البراء انه عليه الصلاة والسلام كان
يقول (انما انا عبد) اى تواضعا منه وارشادا اليه (آكل كما يأكل العبد) لا كما يأكل الملوك والمترفين وزاد ابن سعد
وابو يعلى بسند حسن عن عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعا (وأجلس كما يجلس العبد) وزاد الديلمى وابن ابى شيبة
وابن عدى واشرب كما يشرب العبد (وليس معنى الحديث فى الاتكاء الميل على شق عند المحققين) بل هو المعنى الاعم
الشامل له ولغيره بخلاف مافهم العامة من ان الاتكاء منحصر فى الميل الى احد شقيه او الاستناد الى ماوراءه وبهذا
يجمع بين ماقاله المصنف ههنا وماذكره فى الاكمال من ان الخطابى خالف فى هذا التأويل اكثر الناس وانهم انما حملوا
الاتكاء على انه الميل على احد الجانبين ولذا انكره عليه ابن الجوزى وقال المراد به المائل على جنبه والله سبحانه
وتعالى اعلم (وكذلك) اى ومثل كون اكله قليلا (نومه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قليلا) اى ليصرف اوقاته
النفيسة فى طاعته وعباداته الانيسة (شهدت بذلك الآثار الصحيحة) اى والاخبار الصريحة التى اغنت شهرتها
عن ايراد كثرتها (ومع ذلك) اى مع كون نومه قليلا (فقد قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان عينى تنامان
ولا ينام قلبى) كما رواه الشيخان فنومه كله يقظة ليعى الوحى اذا اوحى اليه فى المنام اذ رؤيا الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وحى بدليل قوله تعالى حكاية عن ابراهيم انى أرى فى المنام انى اذبحك (وكان نومه على جانبه الايمن
استظهارا) اى استعانة بذلك (على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنأ) بفتح نون فهمز اى الذ واشهى ويروى
اهدأ اى اسكن واوفق (لهدوء القلب) بالهمز ويسهل اى سكونه واطمئنانه (ومايتعلق به) اى ولهدوء مايتعلق به
(من الاعضاء الباطنة حينئذ) اى حين اذ ينام على الايسر (لميلها الى الجانب الايسر فيستدعى) بجزاء شرط محذوف

اى اذا كان النوم عليه اهنأ بسبب ماذكرنا فيستدعى (ذلك الاستثقال فيه) اى الاستغراق فى النوم ويروى
الاستقلال ولعله بمعنى الاستبداد (والطول) اى وطول مدته (واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق) بفتح
قاف وكسر لام اى لم يستقر ولم يطمئن (فاسرع) اى ذلك (الافاقة) اى من النوم وسهلت اليقظة (ولم يغمره) بضم
الميم اى لم يستوعبه اولم يعله ولم يغلبه (الاستغراق) اى فى عالم النوم لوضع القلب مائلا طرفه الاسفل الى الايسر لتتوفر
الحرارة عليه فيعتدل الجسم اذ الحرارة كلها مائلة الى الايمن لوضع الكبد فيه ثم هذا التعليل فى بيان حكمة نومه
على الجانب الايمن دون الايسر لاينافى ماثبت فى الحديث الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب التيامن
فى امره كله ولمافى التيامن من اليمن لفظا ومعنى ولثناء الله سبحانه وتعالى على اهل اليمين واعطاء كتبهم بايمانهم
ونحو ذلك (فصل) (والضرب الثانى) اى مما تدعو ضرورة الحياة اليه فهو (مايتفق التمدح بكثرته والفخر
بوفوره) اى الافتخار بزيادته مما حازمنه المصطفى الحظ الاوفى وفاز بالنصيب الاصفى (كالنكاح والجاه) اى
المحمودين (اما النكاح فمتفق فيه) اى فمجمع عليه (شرعا) اى من جهة شرائع الانبياء كافة (وعادة) اى للعقلاء
والحكماء عامة (فانه) اى النكاح مع ذلك (دليل الكمال) اى فى خلقة الرجال خصوصا مع قلة الاكل (وصحة
الذكورية) بالرفع والجر كالتفسير لما قبله (ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة) اى بحيث ان انكاره مكابرة (والتمادح
به سيرة عادية) بتشديد الياء اى طريقة قديمة لاحادثة (واما فى الشرع) اى واما التفاخر بكثرته والتمادح به
فى الشريعة (فسنة مأثورة) اى مروية منقولة كثيرة (وقد قال ابن عباس) كما رواه البخارى (افضل هذه الامة)
اى اكمل افرادها شأنا (اكثرها نساء) حيث ابيح له تسع منهن (مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد تزوج عليه
الصلاة والسلام احدى عشرة توفى قبله اثنتان خديجة وزينب والباقيات بعده (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم)
كما ذكره ابن مردويه فى تفسيره عن ابن عمر مرفوعا (تناكحوا) زيد فى نسخة تناسلوا (فانى مباه بكم) اسم فاعل من
المباهاة اى مفاخر بكثرتكم (الامم) اى السالفة يوم القيامة كما فى نسخة ولفظ الطبرانى فى الاوسط تزوجوا الولود فانى
مكاثر بكم الامم وفى رواية ابى داود والنسائى وابن ماجه فانا مكاثر بكم الامم (ونهى) كما رواه الشيخان (عن التبتل)
قال اليمنى فى حاشيته التبتل الانقطاع عن الدنيا ومنه قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا انتهى وعدم صحته فى المقام لايخفى
فالصواب ان المراد بالتبتل هنا هو انقطاع الرجل عن النساء وعكسه فانه من شريعة النصارى وطريقة الرهابين
وهذا لاينافى قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اذ معناه انقطع عن تعلق القلب بالخلق الى التوجه بالحق انقطاعا خاصا
يعبر عنه بكائن بائن وقريب غريب وعرشى وفرشى على اختلاف عبارات الصوفية نظرا الى الاعمال الصادرة
من الاحوال الباطنة والظاهرة (مع مافيه) اى فى النكاح من فوائد كثيرة كما بينه بقوله (من قمع الشهوة) اى
دفعها للرجل والمرأة (وغض البصر) اى خفضه وغمضه لهما (اللذين نبه عليهما صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله)
اى فيما رواه الطبرانى (من كان ذا طول) بفتح الطاء اى قدرة وسعة على المهر والنفقة ولفظ الشيخين من استطاع
منكم الباءة (فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج) اى امنع واحفظ له وهو مقتبس من قوله تعالى قل
للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن
من ابصارهن ويحفظن فروجهن وباقى الحديث ومن لا فالصوم له وجاء على مارواه النسائى (حتى لم يره العلماء) اى
من الاولياء مع كونه من قضاء الشهوة (مما يقدح فى الزهد) اى فى هذه الدنيا وشهواتها وملذاتها وكان شيخنا
المرحوم على المتقى يقول كل شهوة تظلم القلب الا النكاح فانه ينوره ويصفيه (وقال سهل بن عبد الله) اى التسترى
وهو من اجل الزهاد واكمل العباد (قد حببن) بصيغة المجهول من التحبيب اى جعلت النساء محبوبة (الى سيد
المرسلين فكيف يزهد فيهن) بصيغة المجهول اى فكيف يجوز ويتصور الزهد فى حقهن والميل عنهن (ونحوه لابن
عيينة) وهو من علماء السنة روى عنه احمد وخلق قال ابو نعيم ادرك سفيان ستة وثلاثين من اعلام التابعين وقد قال
سفيان الثورى ايضا ليس فى النساء سرف والله انى لمشتاق الى العرس (وقد كان زهاد الصحابة) كعلى وابنه الحسن
وابن عمر (كثيرى الزوجات والسرارى) بتشديد الياء وتخفف جمع سرية وكل ماكان مفرده مشددا جاز فى جمعه
التشديد والتخفيف كذا قال بعضهم قال الجوهرى وهى الامة التى بوأتها بيتا وهى فعلية منسوبة الى السر
وهو الجماع او الاخفاء لان الانسان كثيرا مايسرها ويسترها عن حرمه وانما ضمت سينه لان الابنية قد تغير فى النسبة
خاصة كما قالوا فى النسبة الى الدهر دهرى والى الارض السهلة سهلى وكان الاخفش يقول انها مشتقة من السرور
لانه يسر بها ويقال تسررت جارية وتسريت ايضا كما قالوا تظننت وتظنيت انتهى (كثيرى النكاح) اى الجماع
ويبعد ان يراد به العقد لانه علم فى ضمن ما تقدم واعاد لفظ الكثير اهتماما بالقضية قال عمر رضى الله تعالى عنه انى اتزوج

المرأة ومالى فيها من ارب واطأها ومالى فيها من شهوة فقيل له فى ذلك فقال حتى يخرج منى من يكاثر به النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم (وحكى فى ذلك عن على) بن ابى طالب روى انه نكح بعد وفاة فاطمة رضى الله تعالى عنها بسبع ليال
فكان لعلى اربع نسوة وتسع عشرة وليدة غير من متن او طلقن (والحسن) اى وعن الحسن الظاهر انه ابن على كرم الله
تعالى وجهه ويحتمل الحسن البصرى بناء على قاعدة المحدثين من انه المراد عند الاطلاق لكنه يبعدهنا لتقديمه
على قوله (وابن عمر) وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم وانه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وروى انه جامع
ثلاثا من جواريه فى شهر رمضان قبل العشاء الاخيرة (وغيرهم) اى وعن غيرهم (غير شئ) اى شئ كثير فكان
الحسن بن على اشد الناس حبا للنساء قيل انه ارخى ستره على مائتى حرة لانه كان مطلاقا وكان ربما عقد على اربع
فى عقد واحد ولما خطب بنت المسيب الفزارى وخطبها اخوه الحسين وابن عمهما عبد الله بن جعفر شاور عليا فقال له
اما الحسن فطلاق والحسين شديد الخلق ولكن عليك بابن جعفر فزوجها له (وقد كره غير واحد) اى من العلماء
(ان يلقى الله عزبا) بفتح الزاى قيل ويسكن من لا اهل له كذا قيل وهو من العزب بمعنى البعد ومنه قوله تعالى لا يعزب
عنه مثقال ذرة فالعزب هو البعيد عن النساء وكأنه اراد ان يلقاه عاملا بجميع ما يرضاه ولذا قيل فى تفسير قوله
تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون اى متزوجون لان من كمال الاسلام القيام بسنته عليه الصلاة والسلام وهذه
الكراهة رويت عن ابن مسعود وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل فى الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجونى
فانى اكره ان القى الله عزبا (فان قيل) وفى نسخة صحيحة فان قلت (كيف يكون النكاح) اى اصله (وكثرته من
الفضائل) اى التى اجمع عليها فى كل شريعة (وهذا يحيى بن زكريا) عليهما الصلاة والسلام (قد اثنى الله تعالى عليه
انه كان حصورا) اى ممنوعا من النساء بالعجز عنهن او لعدم الالتفات اليهن (فكيف يثنى الله عليه بالعجز) او عدم الميل
(عما يعد فضيلة) اى شرعا وعادة (وهذا عيسى) اى ابن مريم كما فى نسخة (عليه الصلاة والسلام قد تبتل من النساء)
اى انقطع عنهن ولم يمل اليهن وابعد الدلجى فى قوله منقطعا الى ربه ومنه وتبتل اليه تبتيلا اى انفرد له بالطاعة ووجه
بعده لا يخفى على ارباب الصناعة مع ما تقدم فى كلامنا اليه من الايماء (ولو كان) اى النكاح فضيلة (كما قررته
لنكح) اى لتزوج كل منهما (فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى عليه الصلاة والسلام بانه كان حصورا ليس كما قال
بعضهم انه كان هيوبا) فعول من الهيبة اى جبانا عن النكاح وخائفا من النساء وفى الحديث الايمان هيوب اى
صاحبه يهاب الذنب فيتقيه (او لا ذكر له) وفى رواية معه اى لا همة له فيه (بل قد انكر هذا) اى ما ذكر من القولين
(حذاق المفسرين) اى مهرتهم (ونقاد العلماء) اى محققوهم (وقالوا هذه نقيصة وعيب) اى لا يوجب الثناء (ولا تليق
بالانبياء) اى لا تضاف اليهم (وانما معناه) اى معنى كونه حصورا (انه كان معصوما من الذنوب اى لا يأتيها كانه
حصر عنها) بصيغة المجهول اى حبس ومنع وحفظ وعصم منها وهذا بناء على انه فعول بمعنى مفعول (وقيل مانعا
نفسه من الشهوات) اى المستلذات من المباحات لا من المستحبات فهو بمعنى فاعل (وقيل ليست له شهوة فى
النساء) اى شهوة كثيرة او مطلقا لكنه يباشر هذه الخصلة لما فيها من الفضيلة كما سبق عن عمر رضى الله تعالى عنه
واحسن الاجوبة اوسطها واما تقييد الدلجى بانه الذى لا يقرب النساء مع القدرة فلا وجه له فى هذه الحالة التى
تفوته الفضيلة هذا وقد ذكر التلمسانى ان عيسى عليه الصلاة والسلام يتزوج فى آخر الزمان بعد نزوله وقتله الدجال
امرأة من جهينة ويولد له ولد ذكر ويتوفى عيسى عليه الصلاة والسلام ويدفن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم بينه وبين ابى بكر واما يحيى فانه لم يمت حتى ملك بضع امرأة لكنه لم يبن عليها فعله هذا انما كان لنيل الفضيلة
واقامة السنة وقيل لغض البصر ودفع الفتنة (فقد بان لك من هذا) اى الذى ذكرناه (ان عدم القدرة على
النكاح نقص) اى للكمل (وانما الفضل فى كونها) اى القدرة (موجودة) اى قائمة بمحلها ثابتة (ثم قمعها) قال
الدلجى مبتدأ والظاهر انه مجرور عطفا على كونها اى ثم الفضل فى قمع القدرة عن النكاح مخالفة للشهوة (اما بمجاهدة)
اى برياضة نفسانية (كعيسى عليه الصلاة والسلام او بكفاية من الله) اى لهذه المؤنة بالعصمة من غير الحاجة
الى المجاهدة (كيحيى عليه الصلاة والسلام فضيلة زائدة) بالنصب على التمييز من قوله موجودة وجعله الدلجى
خبر المبتدأ بناء على اعرابه فى رفع قمعها فاحتاج الى ان يقول زائدة على فضيلة القدرة على قمعها وكان حقه ان
يقول مع عدم قمعها والظاهر ان المصنف اراد ان القوة مع القدرة على قمعها فضيلة زائدة لا خصلة راتبة كما عبر الفقهاء
بالسنن الزوائد والرواتب ولا شك ان الزوائد قد تترك لبعض العوارض الموجبة لكون تركها حينئذ افضل
من فعلها بالنسبة الى بعض الاشخاص والاحوال واوقاتها فهذه الفضيلة زائدة قد تترك (لكونها شاغلة) وفى
رواية مشغلة بضم الميم وكسر الغين او بفتحها (فى كثير من الاوقات) اى عن الطاعات التى تورث الدرجات العاليات

فى روضات الجنات (حاطة) بتشديد الطاء اى واضعة منزلة له عن علو الحالات لكونها مرغبة ومميلة وجارة
(الى الدنيا) اى محبتها او جمعها والاشتغال بها لحصول تلك الفضيلة الزائدة والحاصل ان كل فضيلة لها مضار
ومنافع كالنكاح والتبتل والعزلة والخلطة والغنى والفقر فينظر الى زيادة المنفعة وقلة المضرة بالنسبة الى طالبها
وصاحبها فيحكم بمقتضاه ولا يجوز الاطلاق فيما استقناه ولذا قال المصنف (ثم هى) اى الفضيلة الزائدة (فى حق من
اقدر عليها) بصيغة المجهول من الاقدار اى من اعطى له الاقتدار عليها (وملكها) بان لم يتزلزل فيها وهو بفتح الميم
واللام وقال التلمسانى هو بضم الميم وكسر اللام مشددة على طبق اقدر قلت والاول اولى واظهر ويؤيده قوله (وقام
بالواجب فيها ولم تشغله) بفتح اوله وثالثه وفى لغة بضم اوله وكسر ثالثه اى لم تمنعه (عن ربه) اى طاعته وحضوره
(درجة عليا) بالرفع اى مرتبة قصوى وهى مضبوطة فى النسخ المعتبرة بضم العين مقصورا وضبط محش بفتح العين
والمد (وهى درجة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذى لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه) اى طاعته وحضوره
لوصوله الى مقام جمع الجمع فى كمال حصوله وهو ان لا تحجبه الكثرة عن الوحدة ولا تمنعه الوحدة عن الكثرة فكل من له
حظ فى هذا المقام بمتابعته عليه الصلاة والسلام وله مؤنة القيام فتحصيل هذه الفضيلة الزائدة له من كمال المرام دون
من لم يصل الى هذه المرتبة فان عليه ترك هذه الزيادة والاشتغال بالامور المهمة والفضائل المؤكدة (بل زاده ذلك)
اى ما ذكر من كثرتهن (عبادة لتحصينهن) اى لتحصينه اياهن (وقيامه بحقوقهن) اى من امر المعيشة وحسن العشرة
(واكتسابه لهن) اى ما يتعلق بهن من آدابهن (وهدايته اياهن) اى بالعلوم الدينية لا سيما ما يجب عليهن (بل صرح
انها) اى كثرتهن (ليست من حظوظ دنياه) اى التى تغيبه عن حضور مولاه (هو) اى بخصوصه (وان كانت من
حظوظ دنيا غيره) اى دائما او فى بعض الاوقات لارباب الحالات (فقال) اى كما رواه الحاكم والنسائى (حبب
الى من دنياكم) تمامه النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة وليس زيادة ثلاث فى صحيح الروايات وانما اضاف الدنيا
اليهم اشارة الى تبريه عنها وتقلله منها او عدم مبالاته بها والتفاته اليها لقلة بقائها او كثرة عنائها وسرعة فنائها او خسة
شركائها واورد الفعل بصيغة المجهول ايماء بان حبه لها لم يكن الا لما خلق فى جبلته وميل طبيعته وانه كالمجبور عليه
فى محبته واما قول الدلجى تلويحا بان حبه لها لم يكن من جبلته فهو خلاف موضوع الصيغة كما لا يخفى على ارباب
الصنعة (فدل) اى هذا الحديث على (ان حبه لما ذكر) اى بنفسه (من النساء والطيب اللذين هما) كما فى نسخة التى
هى (من امر) وفى نسخة من امور (دنيا غيره) اى فى الاصالة بحسب العادة (واستعماله لذلك) اى وان استعماله لما
ذكر من النساء والطيب وفى رواية واشتغاله بذلك (ليس لدنياه) اى لمجرد حظها (بل لآخرته) اى قصد مثوبته ورفع
درجته (للفوائد التى ذكرناها فى التزويج وللقاء الملائكة فى الطيب) اى لمحبتهم اياه (ولانه) اى الطيب (ايضا مما يحض)
اى يحث ويحرض (على الجماع ويعين عليه) اى على ذاته او كثرته (ويحرك اسبابه) اى مقدماته كالقبلة والشهوة
(وكان حبه لهاتين الخصلتين) اى مباشرة النساء والطيب (لاجل غيره) كمباهاته بالكثرة مثوبا ولقائه الملائكة
والنساء مطيبا (وقمع شهوته) اى ولاجل قمعها بمنع الخواطر الردية ودفع الوساوس النفسية ولو كان قادرا على قمعها
بمجاهدة رياضية او بكفاية الهية فان هذه السيرة اعلى المراتب البهية واولى بقواعد الملة السمحاء الحنيفية ولما كان
هذا الحب جعليا او عارضيا كسائر محبة الاشياء مما سوى الله تعالى من حيث انها لا تحب الا ابتغاء المرضاة قال
المصنف (وكان حبه الحقيقى المختص بذاته) اى بذات الله (فى مشاهدة جبروت مولاه) اى عظموت قدرته ومطالعة
ملكوت عظمته (ومناجاته) اى فى مقام حضور حضرته بغيبته عن الشعور بذاته المعبر عنه بمقام الفناء والبقاء
والمحو والصحو (ولذلك ميز بين الحبين) اى غيريا وذاتيا (وفصل بين الحالين) اى فرق بين المقامين الجليلين بالجملتين
من الفعلية والاسمية المشير بالاولى الى الحالة الجعلية العارضية وبالثانية الى المستمرة الذاتية كما فى الرواية المشهورة
بلفظ وقرة عينى فى الصلاة واما ما ذكره المصنف بقوله (فقال وجعلت قرة عينى فى الصلاة) ففيه اشارة لتعبيره بالقرة
الى هذه المحبة ايماء الى زيادة هذه المودة وقال الدلجى بين الحالين اى محبة ومناجاة وكأنه قصد بهذا ان المراد بقرة عينى
فى الصلاة الصلاة التى هى معراج المؤمن ومناجاة الموقن خلافا لمن قال المراد بها الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه
وسلم والله اعلم (فقد ساوى) اى المصطفى (يحيى وعيسى فى كفاية فتنتهن وزاد) اى عليهما (فضيلة) اى كاملة (بالقيام
بهن) مع انه لم يشغله ذلك عن قيامه بحقوق مولاه لاجلهن فهذا الحال اكمل لمن قدر عليهن (وكان صلى الله تعالى عليه
وسلم ممن اقدر على القوة) بصيغة المفعول من الاقدار اى ممن اعطى القدرة على قوة الشهوة بكثرة الجماع (فى هذا)
اى الامر الذى حبب اليه مما يتعلق بدنياه وخدمة مولاه (واعطى الكثير منه) اى الحد الكثير الزائد على العادة
من امر الجماع وقوة الباءة (ولهذا ابيح له من عدد الحرائر) وهو التسع (ما لم يبح لغيره) اى من هذه الامة وهو الزائد

على الاربع (وقد روينا) بفتح الرآء والواو مخففة وبضم الرآء وكسر الواو مشددة ولا يبعد ان يكون بضم الرآء وكسر الواو
المخففة بناء على الحذف والايصال اى روى الينا (عن انس) كما فى البخارى والنسائى (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان
يدور على نسائه) اى يجامعهن (فى الساعة) اى الواحدة والمراد بها الزمن القليل لا الساعة النجومية (من الليل)
اى مرة (والنهار) اى تارة (وهن) اى مجموعهن (احدى عشرة) بسكون الشين وتكسر والمعنى منها سريتاه مارية
وريحانة فلا ينافى رواية وهن تسع (قال انس وكنا) اى معشر الصحابة (نتحدث) اى فيما اختص به صاحب النبوة
من القدرة والقوة (انه اعطى قوة ثلاثين رجلا) اى فى الجماع (خرجه النسائى) اى ذكره فى سننه وهو هكذا فى صحيح
البخارى فى كتاب الغسل هذا وليس احد من اصحاب الكتب الستة توفى بعد الثلثمائة الا النسائى فانه توفى فى سنة
ثلاث وثلاثمائة (وروى) بصيغة المجهول (نحوه عن ابى رافع) وهو مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اخرج
الترمذى وابن ماجه فى الطهارة والنسائى فى عشرة النساء عنه انه عليه الصلاة والسلام طاف على نسائه يغتسل
عند هذه وعند هذه الحديث (وعن طاووس) وهو ابن كيسان اليمانى من ابناء الفرس يقرأ بواوين قيل وبهمز قال
ابن معين لقب بذلك لانه كان طاووس القرآء روى عن ابى هريرة وابن عباس وعائشة رضى الله تعالى عنهم وتوفى بمكة
سنة ست ومائة (اعطى عليه الصلاة والسلام قوة اربعين رجلا فى الجماع ومثله عن صفوان بن سليم) بالتصغير امام
كبير قدوة ممن يستشفى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره ويقال لم يضع جنبيه على الارض اربعين سنة وانه مات
وهو ساجد ويقال ان جبهته نقبت من كثرة السجود روى عن ابن عمر وغيره وعنه مالك وطبقته وفى الحلية لابى نعيم
عن مجاهد قوة اربعين رجلا كل رجل من رجال اهل الجنة وروى الترمذى ان رجال اهل الجنة قوة كل رجل منهم
بقوة سبعين رجلا وصححه وروى بقوة مائة رجل وقال صحيح غريب قلت فعلى هذا كان صابرا عنهن غاية الصبر لكثرة
الاشتياق اليهن ثم اعلم ان قوله وعن طاووس الى آخر ماههنا زيادة على ما فى بعض النسخ المصححة والاصول المعتمدة
(وقالت سلمى) بفتح السين المهملة والميم مقصورا (مولاته) وخادمته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هى مولاة صفية
عمته وهى زوج ابى رافع وداية فاطمة الزهرآء وقابلة ابراهيم بن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى الصحابيات من
اسمها سلمى غير هذه خمس عشرة وقد روى ابن سعد وابو داود عنها عن زوجها ابى رافع عن رافع ولده منها (طاف
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة) اى دار (على نسائه التسع) وهو كناية عن جماعهن (وتطهر من كل واحدة) اى
اغتسل من اجل قربان كل واحدة (قبل ان يأتى الاخرى وقال هذا) اى التفريق بالغسل (اطهر) اى انظف
(واطيب) اى الذ وانشط وفى رواية اجدر كى وأطيب فالمراد بازكى انمى واقوى وقيل الطهارة للظاهر والطيب
والتزكية للباطن اى لزيادة الصفاء والضياء لان اولاهما لازالة الاخلاق الذميمة واخراهما للتحلى بالشيم الحميدة كما
ذكره الدلجى فانه لا يناسب بالنسبة الى الشمائل المصطفوية فانها منزهة عن الاخلاق الردية ومتحلية على الدوام
بالشيم الرضية البهية السنية (وقد قال سليمان عليه الصلاة والسلام) على مارواه الشيخان (لاطوفن الليلة) من
الطواف بمعنى الدوران وكذا الاطافة ومن ثمة ورد فى رواية لاطيفن الليلة (على مائة امرأة او تسع وتسعين) على الشك
من الراوى وفى رواية على ستين وفى اخرى على تسعين ولمسلم على سبعين امرأة كلهن تأتى بغلام يقاتل فى سبيل الله
فقال له صاحبه او الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسى فلم تأت واحدة منهن الا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لو قال ان شاء الله لم يحنث اى لم يفته متمناه وكان ادرك لحاجته فيما قضاه (وانه فعل
ذلك) فدل ذلك على كمال قوته ولا تعارض بين هذه الروايات اذ ليس فى اثبات قليلها نفى لكثيرها ومفهوم العدد
ليس بحجة عند جمهور ارباب الاصول مع احتمال تعدد الواقعات والله اعلم بالحالات (قال ابن عباس) كما رواه
ابن جرير فى تفسيره عنه موقوفا (كان فى ظهر سليمان ماء مائة رجل وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وحكى
النقاش) وفى نسخة وغيره كذا رواه الحاكم عن محمد بن كعب بلغنى انه كان له (سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية)
وفى المستدرك للحاكم فى ترجمة عيسى ابن مريم ان سليمان كان له تسعمائة سرية (وقد كان لداود عليه الصلاة والسلام
على زهده) اى مع كمال زهده وورعه المفاد من قوله (وأكله من عمل يده) وروى من يده (تسع وتسعون امرأة)
هذا هو الصواب وفى اصل التلمسانى تسعة وتسعون وفى الكشاف كان لداود ايضا ثلاثمائة سرية (وتمت بزوج اوريا)
بضم همزة وقيل بفتحها فواو ساكنة ورآء مكسورة وتحتية ممدودا اى بزوجته (مائة) بالرفع على انها فاعل تمت اى
من النساء بتزوجه اياها بعد نزول اوريا له عنها بسؤاله على ما كان من عادتهم فى زمانه او بعد ما مات عنها زوجها لما رأها
بغتة واحب جمالها فتنة وطلب ربه مغفرة واناب اليه معذرة هذا وقيل انها ام سليمان عليه الصلاة والسلام (وقد نبه)
اى الله سبحانه وتعالى (على ذلك) اى على ماذكر من العدد (فى الكتاب العزيز بقوله تعالى) اى حكاية عن لسان

احد الملكين اللذين اتياه فى صورة الخصمين (ان هذا اخى) اى فى الدين (له تسع وتسعون نعجة) وهى الانثى من
الضأن ووقعت ههنا كناية عن المرأة فان الكناية ابلغ من الصراحة من حيث التأثير مع ما فيه من مراعاة الادب
فى التعبير لا سيما وهو فى مقام التعيير (وفى حديث انس) بسند جيد للطبرانى (عنه عليه الصلاة والسلام فضلت على
الناس باربع) اى من الخصال (بالسخاء) اى الكرم والجود مع الاحباء (والشجاعة) بالنسبة الى الاعدآء (وكثرة
الجماع) اى للنساء (وقوة البطش) اى الاخذ حال العطاء واما تفسيره بالاخذ الشديد بقوة كما ذكره بعضهم فلا يخفى انه
لا يناسب المقام فانه حينئذ من جزئيات الشجاعة لا خصلة مستقلة من الاربع (واما الجاه) اى الذى يتوسل به الى
مساعدة الضعفاء (فمحمود عند العقلاء) من الحكماء والعلماء (عادة) اى مستمرة لكنها مقيدة بما اذا كانت على وفق
الشريعة حتى تكون معتبرة (وبقدر جاهه) اى جاه الشخص فى العيون (عظمه) بكسر ففتح فضم اى عظمته
(فى القلوب) اى قلوب الخلق او بقدر جاهه صلى الله تعالى عليه وسلم عند الحق كان عظمته فى قلوب الخلق ويدل عليه
انه عليه الصلاة والسلام اخذ من ابى جهل للاراشى ثمن ابله التى اشتراها ابو جهل منه ومطله فقالت قريش لابى
جهل ما رأينا مثل ما صنعت من انقيادك لامر محمد مع فرط اذلالك له وعداوتك اياه فقال ويحكم ما هو الا ان ضرب
بابى وسمعت صوته فلئت رعبا (وقد قال تعالى فى صفة عيسى عليه الصلاة والسلام وجيها) اى ذا جاه ووجاهة
عظيمة (فى الدنيا والآخرة) اى عند اهلهما او فى الدنيا بالرسالة وفى العقبى بالشفاعة (لكن آفاته كثيرة فهو مضر
لبعض الناس) وفى رواية ببعض الناس (لعقبى الآخرة) اى فى الآخرة التى هى عقبى كما قال تعالى تلك الدار الآخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (فلذلك) اى فلكون الجاه مضرا ببعضهم (ذمه
من ذمه ومدح ضده) اى من الخمول وعدم الاعتبار فيما بين الخلق (وورد فى الشرع مدح الخمول) وهو بضم الخاء
المعجمة ضد الشهرة كما ورد فى حديث رب اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وفى الحديث ان الله
يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا (وذم العلو فى الارض) اى وورد فى الشرع ذم
الجاه والشهرة كما فى الحديث ما ذئبان جائعان ارسلا فى غنم بافسد لها من حب المال والجاه لدين المؤمن وفى رواية
من حب الشرف والمال والحاصل ان الجاه والمال مضران لارباب الكمال الجامعين بين العلم والعمل والحال (وكان
صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة) اى الوقار والهيبة (والمكانة) اى التمكن فى مرتبة الجلالة (فى القلوب
والعظمة) اى الاجلال والمهابة فى العيون (قبل النبوة عند الجاهلية) كما مر عن ابى جهل فى تلك القضية وما روى
عنه ايضا انه ساوم رجلا من بنى زبيد ثلاثة ابعرة هى خيرة ابله ثلث ثمنها فامتنع الناس من الزيادة لاجله فاخبر
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فزاده حتى رضى فاشتراها منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع الثالث واعطى
ثمنه ارامل بنى عبد المطلب وابو جهل مخزى ينظره ولا يتكلم ثم قال له صلى الله تعالى عليه وسلم اياك ان تعود لمثل
ما صنعت بهذا الاعرابى فترى منى ما تكره فقال لا اعود يا محمد فقال له امية بن خلف ذللت فى يد محمد فقال ان الذى
رأيتم منى لما رأيت معه رجالا عن يمينه ويساره يشيرون برماحهم الى لو خالفته لكانت اياها اى لاهلكونى (وبعدها)
اى ورزق الجاه بعد النبوة عندهم (وهم يكذبونه) بالتشديد والتخفيف اى والحال ان اهل الجاهلية ينسبونه
الى الكذب (ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه فى نفسه خفية) بضم الخاء وكسرها وسكون الفاء اى مخفيا لما تمكن
من هيبته فى صدورهم وعظمته فى قلوبهم (حتى اذا واجههم) اى قابلهم علانية (اعظموا امره) اى حشموا قدره
(وقضوا حاجته) اى مقصده اليهم فى سيره وهذا باعتبار غالب معاملاتهم معه فلا ينافى ما وقع من وضع ابى جهل
سلا الجزور على ظهره وهو ساجد فى الحجر (واخباره فى ذلك معروفة سيأتى بعضها) اى فى محله ان شاء الله سبحانه
وتعالى (وقد كان يبهت) على صيغة المجهول صورة مع ذكر فاعله كما فى قوله تعالى فبهت الذى كفر من البهت وهو الحيرة
وفعله كعلم ونصر وكرم وعنى وهو افصح فيجوز بناؤه على الفاعل ايضا اى يدهش ويتحير (ويفرق) بفتح الياء والرآء
اى يخاف ويفزع (لرؤيته) وفى نسخة من رؤيته (من لم يره) لما القى عليه من الهيبة والعظمة فى قلوبهم (كما روى عن
قيلة) بفتح قاف فسكون تحتية وهى بنت مخرمة العنبرية وقيل الكندية وقيل التميمية (انها لما رأته ارعدت) بصيغة
المجهول اى اخذتها الرعدة بكسر الرآء وهى اضطراب المفاصل خوفا والمعنى انها ارتعدت (من الفرق) بفتحتين
وهو الخوف ورواية ابى داود والترمذى فى الشمائل عن عبد الله بن حسان عن جدته عنها انها رأته فى المسجد
وهو قاعد القرفصاء قالت فلما رأيته المتخشع فى الجلسة ارتعدت من الفرق وزاد ابن سعد (فقال يا مسكينة عليك
السكينة) بالنصب اى الزمى الطمأنينة وفى رواية بالرفع اى السكينة لازمة عليك ولم يثبت هنا ما ثبت فى بعض
النسخ انما انا ابن امرأة تأكل القديد وذلك غير صحيح على ما ذكره التلمسانى والمسكينة بكسر الميم والسكينة بفتح السين

مخففة هو الفصيح (وفى حديث ابى مسعود) اى عقبة بن عمرو الانصارى كما رواه البيهقى عن قيس عنه مرسلا وقال هو المحفوظ ورواه الحاكم وصححه (ان رجلا قام بين يديه) اى قدامه صلى الله تعالى عليه وسلم (فارعد فقال له هوّن) اى سهل امرك (عليك فانى لست بملك) بكسر اللام قيل وتسكن اى بسلطان من سلاطين الظلمة حتى تفزع منى (الحديث) اى الخ ولم يذكره لطوله (فاما عظيم قدره بالنبوة) وهى اخذ الفيض من الحق (وشريف منزلته بالرسالة) وهى ايصال الفيض الى الخلق (وانافة رتبته) بكسر الهمزة وبالفاء وفى نسخة بالباء والنون اى رفعة رتبته وزيادتها اوظهورها (بالاصطفاء) اى على سائر الانبياء (والكرامة فى الدنيا) اى بانواع المعجزة منها الاسرآء ومقام دنا فتدلى ووصوله الى سدرة المنتهى (فامر هو مبلغ النهاية) من اثر العناية ليس فوقه غاية (ثم هو فى الآخرة سيد ولد آدم) كما فى حديث البخارى انا سيد ولد آدم ولا فخر والمراد انه سيد هذا الجنس وهو نوع البشر الذى هو افضل انواع المخلوقات بدليل حديث البخارى ايضا انا سيد الاولين والآخرين ولا فخر وزيد فى بعض الاصول هنا ولا فخر لكنه لا يصح لان يكون حكاية (وعلى معنى هذا الفصل) اى الاخير (نظمنا هذا القسم) يعنى الاول (باسره) اى جميعه فى سلك مدحه بصفات شريفة وسمات منيفة

(فصــــل)

(واما الضرب الثالث) اى مما تدعو ضرورة الحياة اليه وليست فضيلة ذاتية محتوية عليه (فهو) من هذه الحيثية واختلاف النية (ما تختلف الحالات فى التمدح به) اى بنفسه او بكثرته (والتفاخر بسببه) اى فيما بين العامة (والتفضيل لاجله) اى عند الخاصة (ككثرة المال) فانها تمدح فى بعض الاحوال (فصاحبه على الجملة) اى على الاجمال لا على تفصيل جميع الاحوال (معظم عند العامة) من حيث ان قلوبهم بيد حبه اسيرة (لاعتقادها توصله به) اى توصل صاحب المال بسببه (الى حاجاته) اى قضاء مهمات صاحبه وفى نسخة حاجته (وتمكن اغراضه) بالغين المعجمة وتمكن بالرفع او الجر (بسببه والا) اى وان لم يكن هذا الاعتقاد الموجب لتعظيم صاحب المال عند العامة فى الجملة (فليس) اى المال (فضيلة) وفى نسخة فضيلته (فى نفسه) اى فى حد ذاته وباعتبار جميع جهاته وعموم صفاته (فمتى كان المال بهذه الصورة) اى من قضاء الآمال (وصاحبه منفقا له فى مهماته ومهمات من اعتراه) اى غشيه واعترضه (وامّله) بتشديد الميم اى ومن رجا كرمه ومنه قول القائل

امّلتهم ثم تأملتهم * فلاح لى ان ليس فيهم فلاح

وهو معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر تقله والناس كابل مائتة لا تجد فيها راحلة (وتصريفه) بالجر اى وتصرفه بوضعه (فى مواضعه) اللائقة به (مشتريا به المعالى) جمع معلاة اى مستبدلا به المفاخر العالية ومختارا به الاوصاف المتعالية (والثناء الحسن والمنزلة) اى الجاه والمرتبة (من القلوب) وفى نسخة فى القلوب (كان) اى المال (فضيلة فى صاحبه) اى فى الجملة (عند اهل الدنيا) اى من العامة مع انه لا عبرة بهم عند الخاصة (واذا صرفه فى وجوه البر) اى الطاعة والاحسان (وانفقه فى سبل الخير) وفى نسخة سبيل الخير (وقصد بذلك) اى الصرف (الله تعالى) اى رضاه (والدار الآخرة) اى ثوابا (كان) اى ماله (فضيلة) اى لما يؤدى الى الفضيلة (عند الكل) اى الخاصة والعامة (بكل حال) اى مطلقا لا فى الجملة (ومتى كان صاحبه ممسكا له) من الامساك اى بخيلا به (غير موجهه وجوهه) اى غير منفقه ومصرفه فى وجوه ما ذكر من صرفه فى مهماته ومهمات من تأمل منه قضاء حاجاته او اكتساب محمدة او اجتلاب محبة (حريصا على جمعه) مبالغا فى منعه (عاد كثره) بضم الكاف وتكسر اى رجع كثيره وفى نسخة كثرته بفتح الكاف وتكسر واما قول التلمسانى ويصح بفتح الكاف والراء وضم الثاء فلا يصح (كالعدم) بمنزلة يسيره او شبيها بعدمه حيث لم ينتفع به فيكون كمن لا مال له وقد ورد الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له وجمع من لا عقل له وقد ورد ان الحسن البصرى رحمه الله تعالى رأى رجلا يقلب دنانير فى كفه فقال له الك هى قال نعم قال انها ليست لك حتى تخرجها من يدك يعنى ان حظك منها وحظ غيرك اذا لم تنفقها وتخرجها واحد اذ لا نفع فيها باعيانها وورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت اولبست فابليت يعنى ان المال الذى لم ينفقه ولم يتصدق به قد تساوى فيه مع غيره ممن لا مال بيده اذ لا فائدة فى عين المال بل فيه الوبال فى المآل (وكان منقصة) بفتح القاف وكسرها اى وكان المال نقيصة (فى صاحبه) اى فى حقه دنيا واخرى كما ورد تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وكما ورد ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة (ولم يقف) اى المال (به) اى بصاحبه (على جدد السلامة) بفتح الجيم والدال المهملة الاولى اى طريقها المستوية تقول العرب من ملك الجدد امن العثار وبضم الجيم جمع جدة كمدد اى طرقها من الجادة التى تسلم المارة فيها من العثرة ومنه قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض اى طرآئق واما ما ضبط فى بعض النسخ والحواشى بضمهما فلا مناسبة له هنا فانه جمع جديد

على ما فى القاموس (بل اوقعه) اى ماله عند مآله (فى هوة رذيلة البخل) بضم هاء وتشديد واو مفتوحة اى فى وهدة دناءته وعمق نقيصته والبخل بضم فسكون وبفتحهما قراءتان فى السبع (ومذلة) وفى نسخة ومذمة (النذالة) بفتح النون والذال المعجمة اى الخساسة والسفالة (فاذا) بالتنوين وفى نسخة بالنون والفاء فصيحة معربة عن شرط مقدر اى ومتى كان المال كما وصف كان حينئذ (التمدح) اى تمدح صاحبه لنفسه ويروى التمدح (بالمال) اى على توهم الكمال (وفضيلته) اى وفضيلة المال او صاحبه (عند مفضليه) اى مرجحيه من العامة وفى نسخة بصيغة الافراد (ليست لنفسه) اى ذاته (وانما هو) اى المال او التمدح به (للتوصل به الى غيره وتصريفه) بالجر اى انفاقه (فى متصرفاته) بفتح الرآء اى فى محاله (فجامعه اذا لم يضعه مواضعه) اى من مهماته ومهمات من يرجوه (ولا وجهه وجوهه) اى من انواع البر واصناف الخير (غير ملىء) بفتح الميم وكسر اللام فتحتية فهمزة ويجوز ابدالها وادغامها اى غير ثقة (بالحقيقة) اى فى نفس الامر (ولا غنى بالمعنى) اى بل بمجرد الصورة والمبنى فكأنه فاقد لا واجد (ولا ممتدح) وفى نسخة ولا ممدح بالمفعولين اى ولا ممدوح (عند احد من العقلاء) فضلا عن العلماء والفضلاء (بل هو فقير ابدا) اى بقلبه ولو كان غنيا بيدا قال المتنبى

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

(غير واصل الى غرض من اغراضه) اى لخسته وبخله (اذ ما بيده من المال الموصل) بالتشديد او التخفيف (لها) وفى نسخة اليها اى الذى من شأنه ان يوصل صاحبه الى اغراضه (لم يسلط عليه) بصيغة المجهول اى لم يمكن منه ولم يفوض اليه (فاشبه خازن مال غيره) اى حافظه (ولا مال له) اى الا وديعة عنده (فكأنه ليس فى يده منه شئ) اى من الاشياء (والمنفق) اى فى وجوه البر والخير من صدقة وصلة (ملىء) اى ثقة (غنى) واجد لا فاقد (بتحصيله فوائد المال) من جميل الحال وحسن المآل (وان لم يبق فى يده من المال شئ) حيث يدل على كمال كرمه واعتماده على رزق ربه وقد قال الله تعالى وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وورد اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وهذا المعنى فى حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح (فانظر سيرة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى طريقته (وخلقه) اى سجيته (فى المال) اى فى حق اخذه واعطائه وامتناعه عن التلبس بوجوده وبقائه (تجده) بالجزم اى تعلمه (قد اوتى خزآئن الارض) اى عرضت عليه (ومفاتيح البلاد) اى اعطيت له وفى نسخة ورواية صحيحة مفاتح البلاد ومنه قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب وهو كناية عن فتحها عليه وعلى امته بعده وجباية اموالها اليهم واستخراج كنوزها لديهم وتلويح بالتوصل اليها كما يتوصل بالمفاتيح الى ما اغلق عليه من ابوابها وقد روى مرفوعا فى صحيح مسلم بينما انا نائم اوتيت مفاتيح خزآئن الارض فوضعت فى يدى اى فى تصرفى وتصرف امتى (واحلت له الغنائم) اى لزيادة الفضيلة (ولم تحل) بصيغة المجهول المناسب لاحلت او بفتح اوله وكسر ثانيه اى والحال انه لم تبح (لنبى قبله) اذ جاء فى الآثار انهم كانوا يجمعون الغنائم فتأتى نار من السماء فتأكلها وفى حديث مسلم لم تحل الغنائم لاحد من قبلنا وذلك لان الله تعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا (وفتح عليه فى حياته بلاد الحجاز) سميت بها لحجزها بين نجد والغور (واليمن) بالرفع والجر سمى به لكونه عن يمين الكعبة لمن وقف بالباب ووجهه لخارج وهو المعتبر لكونه بمنزلة المنبر (وجميع جزيرة العرب) وهى ما بين اقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى طرف الشام عرضا وقال مالك هى الحجاز واليمن واليمامة وقيل هى المدينة وقيل مكة والمدينة واليمامة واليمن ولعل هذا معنى قول مالك (وما دانى ذلك) اى ما قارب بلاد الحجاز وجزيرة العرب (من الشأم) بالهمز الساكن وابداله الفا ويقال بفتح الشين والمد وهو من العريش الى الفرات طولا وقيل الى نابلس وعرضا من جبل طى من نحو القبلة الى بحر الروم وما سامت ذلك من البلاد قال ابن عساكر فى تاريخه دخل الشأم عشرة آلاف عين رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واشتقاقه منه لكونه عن شمال الكعبة واما قول الحلبى قد دخله عليه الصلاة والسلام اربع مرات فغير معروف بل لم يدخل دمشق اصلا وانما بلغ الى بصرى مدينة حران (والعراق) اى عراق العرب من الكوفة والبصرة قيل فارسى معرب وقيل سمى المكان عراقا لكثرة عروق اشجاره (وجلبت اليه) ويروى وجاب وروى وجبيت اى وجبى له (من اخماسها) فى الغنيمة (وجزيتها) من اهل الذمة (وصدقاتها) من اغنياء الامة (ما لا يجبى) اى ما لا يؤتى به (للملوك الا بعضه) اى الكثرته مع زيادة بركته روى ان اعظم مال اتى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مال الجزية ما قدم عليه من البحرين وقدره مائة الف درهم وثمانون الفا (وهادنه) اى صالحه وفى نسخة صحيحة هادته بمعنى اهدته (جماعة من ملوك الاقاليم) اى بارسال هدايا اليه فقبلها منهم كما فى كتب السير دلالة عليه (فما استأثر) اى ما انفرد وما استبد وما اختص (بشئ منه) اى مما هادوه (ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه) اى انفقه فى مواضعه من انواع الخير

واصناف البر (واغنى به غيره) اى لغناء بربه واستغنائه بقلبه (وقوى به المسلمين) على مهماتهم وقضاء حاجاتهم ونصرهم على اعدائهم ودفع بلائهم وكان يعطى عطاء من ليس يخشى الفقر انتهاء (وقال) اى كما رواه الشيخان عنه (صلى الله عليه وسلم مايسرنى) اى لم يوقعنى فى السرور ولم يفرحنى (ان لى احدا) بضمتين ووجد بخط المبرد باسكان الحاء جبل عظيم بالمدينة (ذهبا) تمييز لرفع الابهام عن جبل احد (يبيت) اى يبيت ليلة (عندى منه) اى من مقدار احد ذهبا (دينار الا دينارا) بالنصب على الاستثناء وفى نسخة بالرفع على البدل (ارصده لدينى) وفى نسخة لدين وهو بفتح الهمزة وضم الصاد وبضم وكسر من الارصاد اى احفظه منتظرا لقضاء دينى وقال بعضهم رصدته رقبته وارصدت اعددت قال تعالى شهابا رصدا وارصادا لمن حارب الله ولعل التعبير بالبيتوتة لارادة المبالغة لان الليل مظنة فقد الفقير والغيبوبة توهم حصول الذهول والغفلة ووقع فى اصل الدلجى درهم الا دينارا فتكلف وقال نصبه على الاستثناء من عام عبر عنه بالدرهم ورفعه على البدل وكانه قال مايسرنى ان يبيت عندى شئ منه الا ما ارصده لدين لى بفتح الهمزة وضم الصاد وبضم وكسر (واتته دنانير مرة) وهى كثيرة (فقسمها) اى على من استحقها (وبقيت) وفى نسخة بقى (منها ستة) وفى نسخة بقية اى قليلة يسيرة (فدفعها لبعض نسائه) نظرا الى حدوث حاجة لهن اليها وفى رواية فدفعها بعض نسائه بالرآء وهو اما بامره واما على عادة النساء فى حفظ المال لامر المعاش وغيره (فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها) اتكالا على كرم ربه عند الاحتياج اليها (وقال الان) وهو اسم للزمان الحاضر (استرحت) اى حصل الراحة لقلبى المعتمد على رزق ربى وفيه دلالة واضحة على ما كان عليه من التقلل للدنيا وملازمة الفاقة فى ايام حياته الى اوان مماته كما يدل عليه قوله (ومات ودرعه مرهونة) اى عند يهودى هو ابو الشحم وقيل ابو شحمة (فى نفقة عياله) اى الى سنة فى ثلاثين صاعا من شعير على ما فى البخارى والترمذى والنسائى وفى البزار بعشرين وفى مصنف عبد الرزاق وسق شعير وهو ستون صاعا ويمكن الجمع بتعدد الواقعة حقيقة او حكما عند نزول قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا الاية ولعل عدوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الصحابة الى معاملته بيان للجواز او قلة الطعام عند غيره او حذرا من ان يضيق على اصحابه او لانهم لا يأخذون منه رهنا ولا يتقاضون منه ثمنا بل ولا يعطونه دينا وهو لا يريد صنيعة لاحد عليه او ليكون حجة على اليهود فى قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء حيث لم يقتض القرض اصاحبه الافتقار وعدم الاقتدار ولعله كان منعوتا فى كتابهم انه يكون مختار الفقر على الغنى وانه لا يبالى بكلام الاعداء من الاغنياء الاغبياء الذين يدعون الاستغناء (واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه) بفتح الكاف وكسرها اى من اجلها او فى حقها (على ما تدعوه ضرورته اليه) اى على مقدار قليل لا بد له منه مما تقتضيه الحاجة الضرورية اليه (وزهد) بكسر الهاء اى ولم يرغب (فيما سواه) فزهد فعل ماض عطف على اقتصر ووقع فى اصل الدلجى وزهده بالضمير فتحير فى امر مرجعه فقال عطف على الضمير المجرور بالى او على ضرورته اى والى زهده او ويدعوه زهده فيما سواه اليه ذهابا الى الاقتصاد المحمود اذ ما قل وكفى خير مما كثر والهى (فكان يلبس) بفتح الياء والباء معا (ما وجده) اى اصابه وصادفه اى تيسر له من غير كلفة وشهوة (فيلبس فى الغالب الشملة) وهى كساء يشتمل به وقال ابن حماد هى شبه العباء وهى اكسية فيها خطوط سود وكل كساء خشن فهو شملة ثم هى ضبطت فى النسخ بالفتح لكن فى القاموس الشملة هيئة الاشتمال وبالكسر كساء دون القطيفة يشتمل به انتهى والظاهر انه وهم منه فان صيغة الهيئة وهى النوع انما هى بالكسر والفعلة موضوعة للمرة وقد تكون للاسم كما هنا ولذا اطلق صاحب النهاية حيث قال الشملة كساء يتلفف به (والكساء) بكسر الكاف معروف (الخشن) بفتح وكسر اى الغليظ ضد الرفيع (والبرد) اى اليمانى وهو الثوب الذى فيه خطوط (الغليظ) اى الخشن واختار هذا كله زهدا وقناعة وتنزها عما يلبسه من لا خلاق له تفاخرا وعن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا ان الله يحب المتبذل الذى لا يبالى ما لبس (ويقسم) بالتخفيف ويجوز تشديده بقصد التكثير (على من حضره اقبية الديباج) بكسر الدال وقد يفتح وهو نوع من الحرير والاقبية جمع القباء بالمد كالاكسية جمع الكساء وهو صنف من الثياب (المخوصة) بتشديد الواو المفتوحة اى المنسوجة (بالذهب) اى بمثل خوص النخل وهو ورقه وقيل فيه طرائق من ذهب مثل خوص النخل او المكفوفة به وفى رواية المزرورة بالذهب اى التى لها ازرار منه او المطوقة به او التى زينت ازرارها به وفى الحديث مثل المرأة الصالحة مثل التاج المخوص بالذهب (ويرفع) اى منها (لمن لم يحضر) اى يغيب من اصحابه المستحقين لها كمخرمة بن نوفل كما فى حديث الصحيحين عن ابن المسور قال ابى يا بنى بلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم قدمت عليه اقبية فاذهب بنا اليه فذهبنا فوجدناه فى منزله فقال لى ادعه لى فاعظمت ذلك فقال لى يا بنى انه ليس بجبار فدعوته فخرج ومعه قباء من ديباج مزرور بالذهب فقال يا مخرمة خبأت لك هذا وجعل يريه محاسنه ثم اعطاه له واسلم فنظر اليه فقال رضى مخرمة زاد

البخارى

البخارى وكان فى خلق مخرمة شدة هذا وكان يفعل ذلك ايثارا لغيره وتنزها عما يتباهى العوام به (اذ المباهاة) اى المنافسة والمفاخرة (فى الملابس) اى الثمينة (والتزين بها) اى فى المنازل المكينة (ليست من خصال الشرف والجلالة) اى شمائل ارباب الشرافة واصحاب العظمة المعنوية (وهى) اى تلك الملابس (من سمات النساء) بكسر السين اى من خصال النسوة وعلاماتهن المتزينة بالحلى الصورية (والمحمود) اى الممدوح (منها) اى من الملابس المطلقة (نقاوة الثوب) بفتح النون النظافة وفى نسخة بضمها وهى خياره لكنه غير ملائم للمرام فى هذا المقام (والتوسط فى جنسه) لورود الذم عن لبس الشهرتين (وكونه لبس مثله) اى لباس بعض امثاله حال كونه (غير مسقط لمروءة جنسه) اى ابناء جنسه وفى نسخة حسبه بفتحتين فموحدة (مما لا يؤدى) اى يؤول (الى الشهرة فى الطرفين) اى المكتنفين من الاعلى والادنى للتوسط افراطا وتفريطا وخير الامور اوساطها وقد قال الثورى كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقد ورد النهى عن الشهرتين ايضا (وقد ذم الشرع ذلك) اى ما ذكر من الشهرتين ايضا او المباهاة فى الملابس (وغاية الفخر فيه) اى فى ذلك المذموم (فى العادة عند الناس انما تعود) اى ترجع غايته (الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال) اى وسعة الجاه وكثرة المال وقد سبق ان هذا مذموم فى المال (وكذلك التباهى) اى ومثل الفخر حكم الافتخار (بجودة المسكن) اى بتحصينها وتزيينها وتبييضها (وسعة المنزل) بفتح السين اى من جهة طولها وعرضها زيادة على مقدار الحاجة (وتكثير آلاته) اى امتعته وظروفه ومفارشه (وخدمه) اى من عبيده وجواريه (ومركوباته) اى زيادة على مقدار حاجاته (ومن ملك الارض وجبى اليه) بصيغة المجهول اى اتى اليه (ما فيها) من كل زوج كريم وصنف جسيم (فترك ذلك) اى مع القدرة عليه (زهدا وتنزها) اى رفعة للنفس وبعدا لها عما يشينها فان الزهد هو عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها رغبة فى العقبى وهذا فى الحقيقة لا يتصور ممن لا مال له ولا جاه على وجه الكمال ولهذا لما قيل لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيم زهدت والزهد اعلى المقامات واعلى الحالات وقد ورد ازهد فى الدنيا يحبك الله اذ جعله سببا لمحبة الله له (فهو حائز) اى جامع ومشتمل (الفضيلة المالية) التى هى اسباب التلذذ بالاعراض الدنيوية والاغراض الشهوية (ومالك للفخر) اى للافتخار فى العادة بين العامة (بهذه الخصلة) اى الكثرة المالية والوسعة الجاهية (ان كانت فضيلة) بسبب ما مر من كونه وسيلتها والا فليست هى فضيلة فى ذاتها فان شرطية تقديرية وقال التلمسانى هى بفتح الهمزة وهى تفسيرية ولا يخفى بعده ما قاله (زائد عليها فى الفخر ومعرق) بضم الميم وكسر الراء وتفتح اى له عرق اى اصل (فى المدح) والمعنى هو زائد بهما على فضيلة المال (باضرابه) بكسر الهمزة اى بسبب اعراضه (عنها وزهده فى فائتها وبذلها فى مظانها) بفتح ميم وتشديد نون اى محالها من صلة رحم ووجهة بر وهو بالظاء المشالة وقد تصحف على التلمسانى فضبطه بالضاد وقال اراد مواضع البخل

(فصل)

(واما الخصال المكتسبة) وتسمى ملكات نفسانية لانها تخلقات كسبية لا سجية جبلية (من الاخلاق الحميدة) اى المحمودة من الشمائل المعدودة من الاحوال السعيدة (والآداب الشريفة) اى الناشئة من النفوس النفيسة اللطيفة (التى اتفق جميع العقلاء) اى من الفضلاء والعلماء اذ لا عبرة بالجهلاء (على تفضيل صاحبها) اى بالنسبة الى فاقدها (وتعظيم المتصف) بتشديد التاء المثناة اى المتلبس والمتخلق (بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه) اى اكثر منه مما اجمع على حسنها وطوبى لمن جمعها باجمعها (واثنى الشرع على جميعها وامر بها) اى جمعا وافرادا مجملا ومفصلا (ووعد السعادة الدائمة) اى تعلقها (للمتخلق بها) اى للذى اتخذها خلقا كما هو مذكور فى الترغيب والترهيب وكتب الاخلاق من الاحياء وغيره (ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة) كحديث السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من اربع وعشرين جزأ من النبوة وحديث ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين جزأ من النبوة والمعنى ان هذه الخصال منحها الله تعالى انبياءه فهى من شمائلهم وفضائلهم وانها جزء من اجزائها فاقتدوا بهم فيها لا ان النبوة تتجزأ ولا ان من جمعها يكون نبيا اذ النبوة غير مكتسبة بل هى كرامة مختصة بمن تعلقت به المشيئة او المعنى ان هذه الخصال جزء من خمس وعشرين جزأ مما جاءت به النبوة ودعت اليه اصحاب الرسالة وتأنيث اربع وخمس على معنى الخصال او القطعة مع ان الاجزاء تجرى مجرى الكل فى التذكير والتأنيث (وهى) اى الخصال المكتسبة التى ورد باستحسانها الكتاب والسنة هى (المسماة بحسن الخلق) اى فى الجملة (وهو) اى حسن الخلق (الاعتدال فى قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها) فان لها ثلاث قوى نطقية اعتدالها حكمة وشهوية اعتدالها عفة وغضبية اعتدالها شجاعة فللنطق طرف افراط هو الجربزة كاستعمال الفكرة واشتغال الآلة فيما لا ينبغى وتفريط هو الغباوة كتعطيل الفكرة عن اكتساب العلوم وافادتها واستفادتها وللشهوة

طرف افراط هو الفجور كالانهماك فى اللذات وتفريط هو الجمود كترك مارخص شرعا وعقلا من اللذات وللغضب طرف افراط هو التهور كالاقدام على مالا ينبغى وتفريط هو الجبن كترك الاقدام على ماينبغى فما بينهما هو التوسط فى الاخلاق المسماة مثلا بالحكمة والعفة والشجاعة واما قول الدلجى فللحكمة والعفة والشجاعة طرف افراط وتفريط خبط وتخبيط (فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء فى كمالها والاعتدال الى غايتها) يحتمل عطف الاعتدال على الانتهاء وهو الظاهر الانسب فى المعنى والعطف على كمالها وهو خلاف المتبادر لكنه الاقرب فى المبنى (حتى) اى الى حد (اثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم) وقد قيل هو ما امر به من قوله سبحانه وتعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقيل هو ما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم هو ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من منعك والاكمل فى تفسيره ما ذكره المصنف بقوله (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) اى وقد سألها سعيد بن هشام عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان خلقه القرءآن) بالرفع ويجوز نصبه زاد البيهقى فى دلائله على ما هو فى بعض النسخ (يرضى برضاه) اى يرضى ما فيه من الواجب والمندوب والمباح (ويسخط بسخطه) اى ويغضب ويكره ما ينافيه من الحرام والمكروه وخلاف الاولى وزاد فى نسخة يعنى التأدب بادابه والتخلق بمحاسنه والالتزام لاوامره وزواجره (وقال عليه الصلاة والسلام) على ما رواه احمد والبزار (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) ورواه مالك فى الموطأ ولفظه بلغنى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت لاتمم حسن الاخلاق ورواه البغوى فى شرح السنة بلفظ ان الله بعثنى لتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال اى الملكات النفسية والحالات القدسية التى جمعها حسن الخلق المتضمن لاداء حق الحق والخلق مما لا يستحصى ولا يتصور ان يستقصى وفيه ايماء الى ان الانبياء كانوا موسومين بالاخلاق الرضية والشمائل البهية الا انها لم تكن على وجه الكمال الذى لا يكون فوقه كمال وانه صلى الله تعالى عليه وسلم مجمع الاخلاق العلية ومنبع الاحوال السنية بحيث لا يتصور فوقها كمال حتى من تعدى عن ذلك الحد وقع فى النقصان فى المآل ويدل على ما قررنا على وجه حررنا حديث مثلى ومثل الانبياء قبلى كمثل قصر احسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة فكنت انا سددت موضع اللبنة ختم بى النبيون ويشير الى هذا المبنى قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم (قال انس رضى الله عنه) فيما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس) اى من الاولين والآخرين (خلقا) بشهادة الله الكريم وانك لعلى خلق عظيم (وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه مثله وكان) اى النبى صلى الله عليه وسلم (فيما ذكره المحققون مجبولا) اى مخلوقا ومطبوعا (عليها من اصل خلقته) اى من ابتداء نشأته الروحية (واول فطرته) اى خلقته الجسدية وفى بعض النسخ فى اصل خلقته بالظرفية بدلا من من الابتدائية (لم تحصل له باكتساب ولا رياضة) خلافا لما قاله الفلاسفة والحكماء الرياضية (الا بجود الهى) اى لكن حصلت له بجذبة صمدانية (وخصوصية ربانية وهكذا) اى وكذا فعل الله (لسائر الانبياء) وفى رواية سائر الانبياء اى باقى الانبياء الماضية واما وجود الاخلاق الحميدة فى غيرهم فقيل انها جبلية وطبيعية مثل الانبياء وهذا بعيد عن مشرب الاصفياء ولو مال اليه الطبرانى من العلماء وقيل مكتسبة لا جبلية ولا طبيعية وهذا قول ظاهر البطلان لمشاهدة تفاوت الاحوال فى اخلاق الاطفال والصبيان كما يدل عليه حكاية حاتم الطائى واخيه ورواية امهما فى ابتداء ارضاعهما وقيل منها ما هى جبلية طبع عليها فى اول الخلقة وما هى كسبية تحصل بالرياضة وتصير لصاحبها ملكة ويؤيده حديث اشج عبد القيس حيث قال له صلى الله عليه وسلم ان فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله اشئ من قبل نفسى او جبلنى الله عليه فقال جبلك الله عليه فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يرضاهما الله ورسوله والتحقيق ان حال الانسان مركب من الاخلاق المحمودة الملكية ومن الاخلاق المذمومة الشيطانية فان مال الى الاولى فهو خير من الملائكة المقربين وان مال الى الثانية فهو شر من الشياطين وتحقيق هذا المرام لا يسعه الكلام فى هذا المقام وقد صنف فى هذا المبحث كتب الاخلاق منها الناصرية ومنها الدوانية ومنها الكشافية وقد حقق الامام الغزالى فى الاحياء الادلة على وجه الاستقصاء (ومن طالع سيرهم) اى سلوك الانبياء فى سيرهم (منذ صباهم الى مبعثهم) اى من مبدأهم الى منتهاهم (حقق ذلك) اى عرف حقيقة ما ذكر من ان اخلاقهم مرضية وهبية لا رياضية كسبية (كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم بل غرزت) بصيغة المجهول اى طبعت وغرست (فيهم هذه الاخلاق فى الجبلة) اى الطبيعة الاصلية (واودعوا العلم والحكمة فى الفطرة) اى اول الخلقة الانسانية (قال الله تعالى وآتيناه) اى اعطينا يحيى (الحكم) اى النبوة واتقان المعرفة (صبيا) اى صغيرا (قال المفسرون اعطى يحيى العلم) بصيغة المجهول او المعلوم ويؤيده نسخة اعطى الله (بكتاب الله) اى التوراة

او يفهمون كتب الله تعالى مجملة او مفصلة (فى حال صباه) فيه ايماء الى ان صبيا نصب على الحال من المفعول وقد روى انه نبئ وفهم العلم بالكتاب وهو ابن ثلاث او سبع (وقال معمر) بفتح الميمين ابن راشد ابو عروة الازدى مولاهم عالم اليمن روى عن الزهرى وهمام وخلق وعنه ابن المبارك وعبد الرزاق اخرج له الائمة الستة (كان) اى يحيى (ابن سنتين او ثلاث) على ما رواه عنه احمد فى الزهد وابن ابى حاتم فى تفسيره والديلمى عن معاذ ولم يسنده والحاكم فى تاريخه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه بسند واهى والتحقيق ان يحيى عليه الصلاة والسلام اعطى هذا المقام وهو فى بطن امه كما ورد من ان السعيد من سعد فى بطن امه وانما قيده سبحانه وتعالى بحال الصبى لتعلق علم الخلق به حينئذ فاختلاف الروايات مبنى على اختلاف اطلاع الناس على ما به من الحالات (فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال أللعب خلقت) فهمزة الاستفهام للانكار على ما فى الاصول المصححة واللعب فيه لغتان فتح اللام وكسر العين وكسر اوله وسكون ثانيه ووقع فى اصل الدلجى ما للعب خلقت بما النافية ولعله رواية فى المبنى او نقل بالمعنى ثم اغرب واعترض على معمر فى قوله او على المصنف فى اعتماده على نقله حيث قال والذى قاله معمر كان يومئذ ابن ثمان سنين وهو الاصح وما ذكره هنا فغريب فى الرواية عنه بشهادة ما رواه ابن قتيبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص دخل يحيى بيت المقدس وهو ابن ثمان فنظر الى العباد به واجتهادهم فرجع الى ابويه فمر فى طريقه بصبيان يلعبون فقالوا هلم فلنلعب فقال انى لم اخلق للعب فذلك قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا انتهى ووجه الغرابة لا يخفى اذ لا يبعد ان يكون ظهور آثار النبوة عليه كان وهو ابن سنتين او ثلاث ثم وقع له هذا المقال عقب هذا ولو بعد سنين مع الاطفال مع انه لا مانع من تعدد الواقعة ولو بالاحتمال (وقيل فى قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى) اى آمن به (وهو ابن ثلاث سنين) وحكى السهيلى عن ابن قتيبة انه كان ابن ستة اشهر (فشهد) وفى نسخة وشهد (له انه كلمة الله وروحه) فهو اول من آمن به وسمى كلمة لوجوده بامره تعالى بلا اب فشابه المخترعات التى هى عالم الامر المعبر عنه بقول كن كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (وقيل) كما فى تفسير محمد بن جرير الطبرى (صدقه) اى آمن به يحيى (وهو فى بطن امه) حال من ضمير الفاعل (فكانت) بالفاء وفى نسخة وكانت (ام يحيى) اى وهى حامل به (تقول لمريم) اى اختها اذا دخلت عليها وهى حامل بعيسى والله انك لخير النساء وان ما فى بطنك لخير مولود (وانى اجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك تحية له) اى تعظيما وتسليما وتكريما وهذا يدل على ان مريم حملت مدة الحمل كما عليه الاكثر وهو لا ينافى ما تقدم والله اعلم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه حملته ووضعته فى ساعة واحدة فتصديقه انما كان وهو ابن ثلاث كما سبق (وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها الا تحزنى) الاولى ان لا تحزنى (على قراءة من قرأ من تحتها) بفتح الميم والتاء كما قرأ به ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر (وعلى) اى وكذا على (قول من قال ان المنادى عيسى) كابى بن كعب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد لانه خاطبها من تحت ذيلها لما خرج من بطنها وفيه احتراز عن قول ابن عباس رضى الله تعالى عنه وعلقمة والضحاك ان المنادى جبريل لانه كان بمكان منخفض عنها قال الدلجى لا وجه لتخصيص القراءة الاولى بالخلاف فى المنادى مع وقوعه فى الثانية قلت حيث تعارض القولان عن الائمة ولا يتصور الجمع بينهما الا بتعدد القضية اشار المصنف الى ان القراءة الاولى حملها على المعنى الاول اولى وهو ان يكون المنادى عيسى فلا ينافى احتمال وجود آخر فى المعنى على ما لا يخفى (ونص) اى صرح الله سبحانه وتعالى (على كلامه) اى نطق عيسى (فى مهده فقال) اى الله فى كلامه حكاية عنه (انى عبد الله) ردا على اثبات اله سواه وافتخارا بالعبودية واحترازا عن دعوى الربوبية (آتانى الكتاب) اى اعطانى الله من فضله علم الانجيل او جنس الكتاب (وجعلنى نبيا) فى سابق قضائه او تنزيلا للمحقق وقوعه منزلة الواقع به كما فى اتى امر الله كذا ذكره الدلجى والظاهر المتبادر انه جعله نبيا فى ذلك الحال من غير توقف على الاستقبال فلا يحتاج الى تأويله بالمآل ويؤيده ما روى عن الحسن اكمل الله عقله ونبأه طفلا وقضية يحيى صريحة ايضا فى هذا المعنى غايته ان اعطاء النبوة فى سن الاربعين غالب العادة الالهية وعيسى ويحيى خصا بهذه المرتبة الجلية كما ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم خص بما ورد عنه من قوله كنت نبيا وان آدم لمنجدل بين الماء والطين هذا وفى المستدرك عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا لم يتكلم فى المهد الا عيسى وشاهد يوسف وصاحب جريج وابن ماشطة ابنة فرعون ولفظ مسند احمد وابن ماشطة ابنة فرعون وزاد البغوى فى تفسير سورة الانعام ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وممن تكلم صغيرا يحيى بن زكريا ومبارك اليمامة كلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره فى الدلائل ورضيع المتقاعسة ورضيع التى مر عليها راكب فقالت اللهم اجعل ابنى مثل هذا والصبى الذى فى حديث الساحر والراهب الذى قال لامه اصبرى فانك على الحق وهو فى اواخر مسلم وفى كلام السهيلى فى آخر روضته ان اول كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مرضع عند حليمة ان قال الله

اكبر قال السهيلى رأيته كذا فى بعض كتب الواقدى (وقال) اى عز قائله (ففهمناها سليمان) اى الحكومة او الفتيا اذ روى انه تحاكم الى داود صاحب غنم وصاحب زرع اوكرم رعته ليلا فحكم بها لصاحب الحرث لاستوآء قيمتها وقيمة نقصه فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فعزم عليه ليحكمن فدفع الغنم لصاحب الحرث ينتفع بدرها ونتاجها واصوافها والحرث لصاحب الغنم يصلحه فاذا عاد الى ما كان عليه ترادا ولعلهما قالا مقالهما اجتهادا فقال داود اصبت القضاء ثم حكم بذلك والاول نظير قول ابى حنيفة فى العبد الجانى والثانى نظير قول الشافعى بالغرم للعيلولة فى العبد المغصوب اذا ابق اما فى شرعنا فلا ضمان عند ابى حنيفة لحديث جرح العجماء جبار اى هدر الا ان يكون معها حافظ او ارسلت عمدا واوجبه الشافعى ليلا لا نهارا لجرى العادة فى حفظ الدواب بالليل دون النهار لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخلت ناقة البرآء حائطا على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وفى الحديث اشارة لطيفة الى قول ابى حنيفة فى تقييد القضية بحالة العمدية اذ تخلص الدابة ليلا او نهارا واتلافها من غير تقصير من صاحبها لا يوجب الغرامة المنفية فى الملة الحنيفية حيث قال ليس عليكم فى الدين من حرج (وكلا) اى من داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) اى معرفة بموجب الحكومة وعلما بسائر القضايا الشرعية (وقد ذكر) بصيغة المجهول (من حكم سليمان) كذا فى النسخ المتعددة المعتمدة ووقع فى اصل الدلجى وقد ذكر عن سليمان (وهو صبى) اى فى حال صباه (يلعب) اى مع الصبيان (فى قصة المرجومة) اى التى كانوا يريدون ان يرجموها وفى نسخة فى قضية المرجومة وهى ما رواه ابن عساكر فى تاريخه بسنده الى ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان امرأة حسناء فى بنى اسرآئيل راودها عن نفسها اربعة من اكابرهم وقيل من قضاتهم الذين رفعت حكمها اليهم فامتنعت فاتفقوا ان يشهدوا عليها عند داود انها مكنت من نفسها كلبا لها قد عودته ذلك منها فامر برجمها وهم به فلما كان عشية يوم رجمها جلس سليمان واجتمع اليه ولدان فانتصب حاكما وتزيى اربعة منهم بزى اولئك الاربعة وآخر بزى المرأة وشهدوا عليها بان مكنت من نفسها كلبا فسألهم متفرقين عن لونه فقال احدهم اسود وآخر احمر وآخر اغبس وآخر ابيض فامر بقتلهم فبلغ ذلك داود فاستدعى من فوره بالشهود فسألهم متفرقين عن لون كلبها فاختلفوا فقتلهم (وفى قصة الصبى ما اقتدى) اى الذى اقتدى (به) اى بسليمان ورجع الى حكمه (داود ابوه) عطف بيان لدفع توهم ان يكون غيره وهذه القضية رواها الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بينا امرأتان معهما ابنان لهما فاخذ ذئب احدهما فتحاكمتا الى داود فى الآخر فقضى به للكبرى فدعاهما سليمان وقال هاتوا السكين اشقه بينهما فقالت الصغرى يرحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى لها به مستدلا بشفقتها عليه بقولها لا تشقه ورضى الكبرى بشقه لتشاركها فى المصيبة او لما كان بينهما من العداوة ولعل داود عليه السلام حكم به للكبرى لكونه فى يدها او اعتمادا على نوع من الشبه وهو لا يخلو من الشبه فان قيل المجتهد لا ينقض حكم المجتهد فالجواب ان سليمان فعل ذلك وسيلة الى حقيقة القضية فلما اقرت بها الكبرى عمل باقرارها ولعل فى شرعهم يجوز للمجتهد نقض حكم المجتهد وقيل كان بوحى ناسخ للاول قيل وكان قضاؤه وهو ابن اثنتى عشرة سنة ومات وهو ابن اثنتين وخمسين سنة وقيل كان حكم داود باجتهاد وحكم سليمان بوحى والوحى ينقض غيره (وحكى الطبرى) وفى نسخة وقال الطبرى وهو محمد بن جرير (ان عمره) اى سن سليمان (كان حين اوتى الملك اثنى عشر عاما) اى سنة (وكذلك) اى ومثل ما ذكر عن سليمان فى صغره (قصة موسى) قيل وزنه مفعل او فعلل او فعلى (مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل) وقصته ان فرعون كان يرى ان من يأخذ بلحيته ويأخذ منها خصلة هو الذى يقتله ويسلب ملكه فبينا موسى فى حجره اذ تناول لحيته فاخذ منها خصلة فقال هذا عدو لنا فقالت له امرأته المسلمة آسية بنت مزاحم انه صغير فالقى له الدر والجمر فاخذ الجمر وادخله فى فيه فمنه كان فى لسانه عقدة وفرعون هذا هو عدو الله الوليد بن مصعب بن الريان كان من القبط العماليق وعمر اكثر من اربعمائة سنة وقد كتبت رسالة مسماة بفر العون ممن ادعى ايمان فرعون (وقال المفسرون فى قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده) اى كمال هدايته وصلاح حالته (من قبل) اى قبل اوان معرفته (اى هديناه) ووقع فى اصل الدلجى هداه بالاضافة (صغيرا) اى قبل بلوغه (قاله مجاهد وغيره) وقال غيرهم قبل موسى وهرون وقيل قبل محمد عليهم الصلاة والسلام (وقال ابن عطاء) هو ابو العباس احمد بن سهل بن عطاء مات سنة تسع وثلاثمائة (اصطفاه) اى فى سابق قضائه فى عالم الارواح (قبل ابدآء خلقه) اى اظهار جسده من العدم الى الوجود فى عالم الاشباح (وقال بعضهم) كالكواشى وغيره (لما ولد ابراهيم بعث الله تعالى اليه ملكا يأمره عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه) اى المعرفة التامة الشاملة للافعال والصفات والذات الكاملة (ويذكره بلسانه) بوصف المداومة (فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده) اى حيث بالغ فى الامتثال حتى عبر بالماضى عن الحال فكأنه امتثله واخبره ومن هنا قيل النفى ابلغ من النهى (وقيل ان القاء ابراهيم

عليه

عليه السلام فى النار ومحنته) اى بليته من نمرود (كانت وهو ابن ست عشرة سنة) وفى عين المعانى عن ابن جريج ست وعشرين اذ اقسم ليكيدن اصنامهم فالقوه فيها فكانت عليه بردا وسلاما (وان ابتلاء اسحق عليه السلام بالذبح) اى كان كما فى نسخة صحيحة (وهو ابن سبع سنين) وقيل ثلاث عشرة وهذا على احد القولين فى الذبيح مع خلاف فى الترجيح حتى توقف فيه شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى فى رسالة مستقلة بعد ذكره من الطرفين بعض الادلة لكن المشهور بل الصحيح انه اسماعيل لحديث انا ابن الذبيحين اى اسماعيل وعبد الله اذ قد نذر عبد المطلب ان يسر الله حفر زمزم او بلغ بنوه عشرة ذبح احدهم فتم متمناه فاسهم فخرج على عبد الله ففداه بمائة من الابل ومن ثم شرعت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا فى فتنة ابن الزبير ولان بشارته باسحق كانت مقرونة بانه يولد له يعقوب المنافى للامر بذبحه مراهقا وايضا كانت مقرونة بالنبوة فى آية اخرى والغالب فى الانبياء وصولهم الى حد الاربعين ولان اسماعيل كان اول ولده والابتلاء حينئذ اشق على ذبحه وفقده قيل وهذا هو الصواب عند علماء الصحابة والتابعين والقول بانه اسحق باطل منشاه الحسد من اليهود للعرب بان يكون ابوهم هو الذبيح قال ابن قيم الجوزية فى الهدى وهو مردود باكثر من عشرين وجها واما حديث سئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرآئيل ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فاما الذى قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه البخارى وغيره الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فزوآئده مدرجة من الراوى وما روى من ان يعقوب كتب الى يوسف مثله فلم يصح (وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان) اى فى نفسه (وهو ابن خمسة عشر شهرا) فحكاه الله تعالى عنه جهرا ولا بدع انه كان زمان مراهقته واول مقام نبوته تنبيها لقومه على خطأهم بعبادة غيره سبحانه وتعالى وارشادا لهم الى طريق الحق على سبيل النظر والاستدلال على حدوث عالم الخلق وان للشمس والقمر والكواكب وسائر الاشياء النورانية والظلمانية محدثا يدبر طلوعها وسيرها وانتقالها وزوالها من حالها الى حالها بدليل قوله تعالى ياقوم انى برىء مما تشركون (وقيل اوحى) وفى نسخة اوحى الله (الى يوسف) بضم السين وفتحها وكسرها مع الهمز وعدمه وكان بخده الايمن خال اسود وبين عينيه شامة وبقى فى الرق ثلاث عشرة سنة وقيل ثنتى عشرة وقيل عدد حروف اذكرنى عند ربك فان عد المضاعف اثنين فثلاث عشرة والا فثنتا عشرة وعن على كرم الله وجهه ان احسن الحسن الخلق الحسن واحسن ما يكون الخلق الحسن اذا كان معه الوجه الحسن (وهو صبى) او بالغ فمن الحسن وله سبع عشرة سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة ودفن بمصر بالنيل ثم حمله موسى عليهما الصلاة والسلام حين خرجت بنو اسرآئيل من مصر الى الشام (عندما هم اخوته بالقائه فى الجب) اى فى قعر بئر وهى على ثلاثة فراسخ من منزل ابيهم (يقول الله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية) اى الى وهم لا يشعرون ففيه بشارة الى مآل امره اى لتخلصن ولتخبرن اخوتك بما فعلوه وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شأنك ورفعة مكانك وكان الحال كما قال تعالى فعرفهم وهم له منكرون وابعد من جوز تعلق جملة وهم لا يشعرون باوحينا كما لا يخفى لان الوحى لا يكون الا على وجه الخفاء (الى غير ذلك من اخبارهم) ويروى ما ذكر من اخبار غيرهم (وقد حكى اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم حين ولد) اى اول ما ولد (ولد باسطا يديه الى الارض) اى معتمدا بيديه على الارض وقد جاء كذلك مفسرا (رافعا رأسه الى السماء) ايماء الى بسط دينه وملكه على بساط الارض ورفعة شأنه بالاسرآء الى جهة السماء (وقال فى حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على ما رواه ابو نعيم فى الدلائل (لما نشأت) اى انشأت بحيث ميزت بين الخير والشر وفرقت بين الحق والباطل وهو اولى من قول الدلجى تبعا للتلمسانى اى شببت وصرت شابا (بغضت) بالتشديد للمبالغة اى كره الله (الى الاوثان) اى عبادتها والمعنى انه خلق فى جبلته وفطرته بناء على تحقق عصمته محبة الله وبغض عبادة ما سواه (وبغض الى الشعر) لما اراد ان ينزهه عن كونه شاعرا وان يكون كلامه شعرا وهو لا ينافى ان يكون موزونا فى طبعه كما حقق فى موضعه (ولم اهم) بفتح فضم وتشديد ميم مضمومة او مفتوحة اى لم اقصد (بشىء مما كانت الجاهلية تفعله) اى من المعازف وغيرها مما نهى الله عنه (الا مرتين يعصمنى الله منهما) اى من الاستمرار عليهما وفى اكثر النسخ منها اى من افعال الجاهلية بتمامها (ثم لم اعد) اى لم ارجع اليها ابدا وعن على كرم الله وجهه على ما رواه البزار بسند صحيح عنه مرفوعا بلفظ ما هممت بشىء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بينى وبين ما اريد ثم ما هممت بعدهما بشىء حتى اكرمنى الله برسالته ورواه الحاكم فى المستدرك فى التوبة بلفظ ما هممت بقبيح مما هم به اهل الجاهلية الا مرتين من الدهر كلتاهما يعصمنى الله منهما قلت ليلة لفتى من قريش كان باعلى مكة يرعى غنما لاهله ابصر لى غنمى حتى اسمر هذه الليلة كما يسمر الصبيان فجئت ادنى

دار من دور مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقيل فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الغناء وذلك
الصوت حتى غلبتنى عيناى فما ايقظنى الا حر الشمس ثم رجعت الى صاحبى فقال لى ما فعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة
الاخرى مثل ذلك فسمعت كما سمعت حتى غلبتنى عيناى فما ايقظنى الا مس الشمس ثم رجعت الى صاحبى فقال لى
ما فعلت فما قلت شيأ اى وذلك حياء قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله ما هممت غيرهما بسوء مما يعمله اهل
الجاهلية حتى اكرمنى الله بنبوته وفيه تنبيه على ان هذا الهم انما كان حال الصغر دون البلوغ كما يشير اليه قوله
كما يسمر الصبيان وهذا اوفى دليل على قبح سماع اللهو وضرب الدف الا ما شرع له خلافا لما يفعله الجهلة من الصوفية
حيث يجمعون بين الاذكار وضرب الدفوف ونفخ المزمار حتى فى مجالس الموالد ومزار قبور المشايخ الابرار
والحاصل ان الانبياء مخلوقون على المكارم الرضية ومجبولون على الشمائل البهية وانه لا يضر فى ذلك ما وقع لهم حال
الصغر على سبيل الندرة (ثم يتمكن الامر لهم) اى يزداد (وتترادف) اى تتوالى وتتتابع (نفحات الله) جمع نفحة
اى عطياته ومعارفه وجذباته (عليهم وتشرق) من الاشراق اى تضىء (انوار المعارف فى قلوبهم) اى وآثار العوارف
على صدورهم (حتى يصلوا الغاية) وفى نسخة الى الغاية اى نهاية ارباب الهداية واصحاب العناية (ويبلغوا باصطفاء
الله تعالى لهم بالنبوة فى تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية) بالنصب مفعول يبلغوا والمراد بها النهاية التى
ما فوقها نهاية لكن كما قيل النهاية هى الرجوع الى البداية فهم بين فناء وبقاء ومحو وصحو فى مرتبة الكمال بين صفتى
الجلال والجمال (دون ممارسة ولا رياضة) اى من غير معالجة وملازمة رياضة كسبية بل بخلقة جبلية وجذبة الهية
(قال الله تعالى ولما بلغ اشده) اى وصل موسى نهاية قوته وغاية نشأته من ثلاثين الى اربعين سنة (واستوى)
اى استحكم عقله واستقام حاله وبلغ اربعين سنة وهو سن بعث الانبياء غالبا فى سنة الله وعادته سبحانه وتعالى
(آتيناه حكما) اى نبوة (وعلما) اى معرفة تامة وابعد الدلجى فى تفسيره الحكم بعلم الحكماء ثم فى ترجيحه (وقد نجد)
اى نصادف (نحن غيرهم) اى غير الانبياء من العقلاء والحكماء والاولياء (يطبع على بعض هذه الاخلاق) اى الكريمة
المستحسنة (دون جميعها) وفى اصل الدلجى دون بعضها (ويولد عليها) اى يولد بعضهم على تلك الاخلاق (فيسهل
عليه اكتساب تمامها) بواسطة تخلقه واتصافه بها (عناية) اى بعناية (من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض
الصبيان) بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام (على حسن السمت) اى الهيئة والطريقة والتحلية بحلية اهل الحقيقة
كما روى عن بعض ارباب هذا الشأن انه لم يكن يرضع فى نهار رمضان (او الشهامة) بفتح المعجمة اى على الجلادة وذكاء
الفطنة (او صدق اللسان) اى مع نطق البيان (او السماحة) اى الجود والكرم والصبر والحلم وقلة الاكل وكثرة الحياء
وكمال الادب والرضى بما اعطى من المأكل والملبس وغيرهما (وكما نجد بعضهم) اى بعض غير الانبياء او بعض الصبيان
(على ضدها) اى فى الصغر والكبر (فبالاكتساب يكمل) بضم الميم اى يتم (ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب
معدومها) بصيغة المجهول (ويعتدل منحرفها) اى ما ناها المن وفقه الله تعالى على اكمالها واستقامة احوالها
(وباختلاف هذين الحالين) اى الجبلى والكسبى (يتفاوت الناس فيها) اى قلة وكثرة وتحصيلا وتعطيلا (وكل ميسر)
اى معد ومهيأ (لما خلق له) وهو مقتبس من حديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فييسر
لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فييسر لعمل اهل الشقاوة (ولهذا) اى ولتفاوت الناس فيها وفى
اكثر النسخ ولهذا ما اى وثبت لهذا ما (قد اختلف السلف فيها) اى فى الاخلاق (هل هذا الخلق) اى الحسن او جنسه
(جبلة او مكتسبة فحكى الطبرى) اى صاحب التفسير والتاريخ (عن بعض السلف ان الخلق الحسن) اى وكذا ضده
(جبلة وغريزة فى العبد وحكاه) اى بعض السلف او الطبرى (عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه والحسن) اى
البصرى (وبه قال هو) اى ابن جرير الطبرى (والصواب ما اصلناه) اى جعلناه اصلا فيما مر ان منها ما هو جبلة غريزية
ومنها ما هو كسبية رياضية وكان حق المصنف ان يقول والظاهر او الصحيح كما فى نسخة مكان قوله والصواب مراعاة
لما سبق من السلف كما يقتضيه حسن الآداب ثم التحقيق ما قدمناه (وقد روى سعد) اى ابن ابى وقاص كما فى مقدمة
كامل بن عدى وفى مصنف ابن ابى شيبة عن ابى امامة (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل الخلال) بكسر الخاء
جمع خلة بالفتح اى الصفات والخصال (يطبع عليها المؤمن الا الخيانة) ضد الامانة (والكذب) اى فلا يطبع عليهما بل
قد يوجدان فيه ويعرضان ويحدثان تخلقا وتكسبا (وقال عمر رضى الله تعالى عنه) اى ابن الخطاب كما فى اكثر النسخ
(فى حديثه) اى الذى رواه ابن جرير وابن ابى حاتم وسعيد بن منصور عنه موقوفا (الجرأة) على وزن الجرعة
الشجاعة ويقال بفتح الراء وحذف الهمزة كما يقال للمرأة مرة وبفتح الجيم والراء والمد (والجبن) ضدها وهو بضم
الجيم وسكون الباء وقد يضم (غرائز) جمع غريزة اى طبائع وقرائح (يضعهما) وفى نسخة يضعها (الله حيث

يشاء) اى كما قال تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه (وهذه الاخلاق المحمودة
والخصال الجميلة) وفى نسخة الشريفة بدلها وفى نسخة جميعها (كثيرة ولكن) وفى رواية ولكنا وفى اخرى ولكننا
(نذكر اصولها) اى فى فصولها (ونشير الى جميعها) اى باعتبار فروعها (ونحقق) اى نثبت (وصفه صلى الله تعالى
عليه وسلم بها) اى على وجه كمالها (ان شاء الله تعالى) اى اتمام ما قصدنا اليه (فصـــل) اى فى بيان اصول
هذه الاخلاق تصريحا والاشارة الى جميعها تلويحا وتحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها توضيحا (اما اصل
فروعها) اى افرادها من حيث انبعاثها من العقل الذى هو معدنها (وعنصر ينابيعها) بضم العين والصاد وبفتح
اى اصلها الذى كانها تنبع منه حين ظهورها والعطف تفسيرى فى العبارة وتفنن بالاشارة (ونقطة دائرتها)
اى مركزها وقطبها الذى هو مدارها (فالعقل) اى ادراك النفس باشراق ظهوره وافاضة نوره كالشمس بالنسبة
الى الابصار (الذى منه ينبعث العلم) بالكليات (والمعرفة) بالجزئيات (ويتفرع من هذا) اى من كونه اصلا (ثقوب
الرأى) اى نفوذه واحكامه (وجودة الفطنة) بفتح الجيم اى حسن الفهم (والاصابة) بالرفع وفى نسخة بالجر والمراد بها
ادراك الغرض على وجه الصواب (وصدق الظن) بالرفع لا غير والمراد موافقته للواقع فى الخارج او الذهن (والنظر
للعواقب) اى التأمل والتدبر فى عواقب الامور ليتميز محمودها من مذمومها فيكتسب المدائح ويجتنب القبائح
(ومصالح النفس) اى لمصالحها ومنافعها ومحاسن عاقبتها مما لها دون ما عليها (ومجاهدة الشهوة) اى لمدافعتها
وفى بعض النسخ بالرفع اى ويتفرع منه مجاهدة النفس بترك الشهوات واللهوات والغفلات وحملها على الطاعات
والعبادات (وحسن السياسة) بالرفع اى سياسة الناس بالعدالة وصدق اللهجة ووفق النهجة (والتدبير) اى وحسن
التدبير لامورهم معاشا ومعادا (واقتناء الفضائل) بالرفع اى تكسب الشمائل (وتجنب الرذائل) ويحصل الكل
بمخالفة الشهوة والهوى وموافقة الشريعة والهدى (وقد اشرنا) اى فيما سبق (الى مكانه) اى محله (منه صلى الله عليه
وسلم) اى لتمكنه من كمال العقل الذى هو اساس العمل بالعدل فى جميع مراتب القول والفعل (وبلوغه منه) اى والى
وصوله منه على كمال فصوله فى حصوله (ومن العلم) اى وتمكنه من العلم الحاصل المتفرع على العقل الكامل (الغاية)
اى بلوغه للغاية القصوى كما فى نسخة (التى لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك) اى من اجل جلالة محله
من العقل والعلم (ومما تفرع) وفى نسخة ومما يتفرع (منه متحقق) ويروى متحققة اى ثابت مقطوع به فى امره لا ريب
فى علو قدره (عند من تتبع) اى علم بالتتبع وفى نسخة بصيغة المضارع المجرد والاظهر ان يكون بالمضارع المزيد اى
يطالع (مجارى احواله) الجارية على سنن الحق ووفق الصدق (واطراد سيره) جمع سيرة اى ويشاهد استمرار شمائله الرضية
الظاهرية وفق احواله البهية الباطنية فان الظاهر عنوان الباطن والاناء يترشح بما فيه (وطالع) اى علمها بطريق
المطالعة (جوامع كلمه) اليسير المبنى والكثير المعنى (وحسن شمائله وبدائع سيره) اى وطالع ورأى فى الكتب اخلاقه
الحسنة وسيره البديعة وسير سلوكه المنيعة (وحكم حديثه) بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة اى احاديثه المشتملة
على الحكم الكاملة الشاملة لاتقان العلم والعمل (وعلمه) اى طالع احاطة علمه (بما فى التوراة والانجيل) بكسر
الهمزة وبفتح (والكتب المنزلة) اما مفصلة واما مجملة مما يحتاج اليه امر دينه فى الجملة (وحكم الحكماء) اى علمه حكمهم
ومعرفته حكمهم (وسير الامم الخالية) اى الماضية (وايامها) اى وقائعها فى قصص الانبياء السالفة (وضرب
الامثال) اى الواقعة فى الاقوال والافعال (وسياسات الانام) اى انواع زجر العوام كالانعام لتحصيل
تمام النظام فى الليالى والايام (وتقرير الشرائع) اى بيان احكامها اصولا وفروعا (وتأصيل الآداب النفيسة)
اى وتأسيس ابواب الآداب المرغوبة وفى نسخة النفسية والظاهر انه تصحيف (والشيم الحميدة) اى الاخلاق
والعادات المطلوبة (الى فنون العلوم) اى منضمة او منتهية الى غير ذلك من انواع المعارف واصناف العوارف
(التى اتخذ اهلها كلامه عليه الصلاة والسلام فيها قدوة) بتثليث القاف والكسر اشهر ثم الضم اى مقتدى اقتدوا به
(واشاراته حجة) اى واتخذوا اشاراته بها وبغيرها دلالة بينة واستدلوا بها (كالعبارة) بكسر العين مصدر عبر الرؤيا بعبر
بمعنى التعبير والتفسير اى ذكر عاقبتها وآخر امرها ومثله التأويل اى ذكر ما آل اليها وفرجعها (والطب) بتثليث الطاء
وتشديد الباء والكسر اصح وافصح مصدر طب اى عالج ووصف الدواء وازال الداء وصار سبب الشفاء
(والحساب) مصدر حسب اى عد وهو علم يعرف به مقادير العدد بنوع الجمع والتفريق (والفرائض) جمع فريضة من
الفرض بمعنى التقدير وهو علم يعرف به علم الميراث ومراتب الورثة من اصحاب الفرائض والعصبة وحكم سائر القرابة
(والنسب) بفتحتين من نسبت الرجل عزوته الى ابيه ورجل نسابة اى بليغ العلم بالانساب وتاؤه للمبالغة كالعلامة
(وغير ذلك) اى من علوم شتى ظهرت عليه فى متفرقات حالاته (مما سنبينه فى معجزاته) اى فى اواخر الباب الرابع

فى ذكر معجزاته (ان شاء الله تعالى دون تعليم) اى من غير تعليم له من بشر ولا تعلمه من احد (ولا مدارسة) اى بينه وبين من يدرس غيبا (ولا مطالعة كتب من تقدم) ليتعلم منها نظرا فيما لا يعلم (ولا الجلوس الى علمائهم) اى علماء اهل الكتاب ولا عرفاء المشركين فى كل باب (بل نبى امى) اى منسوب الى امه على وصف ما خلق حين تولده من غير قراءة وكتابة ومباشرة شعر وخطابة (لم يعرف) بصيغة المجهول اى لم يشتهر (بشئ من ذلك) اى مما ذكر (حتى شرح الله صدره) اى وسعه ونوره بالايمان والمعرفة والعلم والحكمة (وابان امره) اى واظهر قدره بايات ظاهرة ومعجزات باهرة (وعلمه) اى ما لم يكن يعلم (واقرأه) اى ما لم يكن يقرأ ويتعلم كما قال سبحانه وتعالى فى مبدأ وحيه اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم (يعلم ذلك) بصيغة المجهول اى يعرف جميع ما ذكر (بالمطالعة) فى دلائل نبوته وشمائل سيرته (والبحث عن حاله) اى التفحص عن افعاله (ضرورة) اى علما ضروريا قارب ان يكون بديهيا (وبالبرهان) اى ويعلم ذلك بالدليل (القاطع) مما قام من الارهاصات بعد خلقته والمعجزات (على) دعوى (نبوته نظرا) اى علما نظريا واستدلالا فكريا (فلا نطول بسرد الاقاصيص) اى بايراد قصص الانبياء متتابعة مما يفيده بالطريق الضرورى (وآحاد القضايا) اى ولا بسردها مجتمعة مما يقتضيه على السبيل الفكرى (اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر) يحصيه عددا (ولا يحيط به حفظ جامع) يضبطه علما ابدا (وبحسب عقله) بفتح الحاء والسين على ما فى الاصول المصححة وضبطه الانطاكى بسكون السين وقال اى بعقله فقط والصواب ما قلنا والمعنى وبمقدار كمال عقله (كانت معارفه عليه الصلاة والسلام) فى نهاية لا ترام وغاية لا تسام بل ولا تشام من تقيا ومعتليا (الى سائر ما علمه الله) اى باقيه (واطلعه عليه من علم ما يكون) فى عالم الشهادة (وما كان) فى عالم الغيب من السعادة والشقاوة (وعجائب قدرته وعظيم ملكوته) اى من ظهور قوته ووضوح سلطنته (قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم) من تفاصيل الشريعة وآداب الطريقة واحوال الحقيقة (وكان فضل الله عليك عظيما) حيث انعم عليك انعاما جسيما (حارت العقول) اى دهشت وترددت (فى تقدير فضله عليه) اى فى تقرير علمه لديه وتصوير احسانه اليه (وخرست الالسن) بكسر الراء اى سكتت وبكمت الالسنة (دون وصف يحيط بذلك) اى عجزت عن ان تنطق بما يحصى مما من الله به عليه (او ينتهى اليه) اى دون نعت ينحصر لديه لانه مظهر الاسم الاعظم والله سبحانه وتعالى اعلم (فصــــل) (واما الحلم والاحتمال والعفو مع المقدرة) بفتح الدال وضمها وحكى كسرها بمعنى القوة وفى نسخة مع القدرة (والصبر على ما يكره) بصيغة المجهول اى ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى (وبين هذه الالقاب) اى الاخلاق والآداب (فرق) اى فارق دقيق به يتميز كل عن الآخر فى هذا الباب (فان الحلم حالة توقر وثبات) اى صفة تورث طلب وقار وثبوت فى الامر واستقرار (عند الاسباب المحركات) اى للغضب الباعث على العجلة فى العقوبة (والاحتمال) بالنصب او الرفع (حبس النفس) اى تحملها (عند الالام والمؤذيات) اى عند ورود ما يؤلمه ويوجعه من الامراض ويؤذيه ويتعبه من الاعراض فالالام من المحن الالهية والاذى من جهة الحيوانات والادمية فليس هذا من عطف العام على الخاص كما توهمه الدلجى وفى نسخة المرديات بالراء والدال المهملة اى المهلكات (ومثلها) اى المذكورات (الصبر) فانه حبس النفس على ما تكره الا انه اعم منها فهو كالجنس وكل مما ذكر كالنوع فان الصبر يكون على العبادة وعن المعصية وفى المصيبة وهو فى الله وبالله ومع الله وعن الله والصبر يحمد فى المواطن كلها الا عليك فانه مذموم اى عنك او على بعدك (ومعانيها متقاربة) اى وان كانت حقائق مبانيها متباينة (واما العفو فهو ترك المؤاخذة) واصله المحو ثم استعمل فى معنى المجاوزة عن مجازاة المعصية وهو مصدر وليس كما قال الدلجى انه من ابنية المبالغة (وهذا) اى ما ذكر من الاخلاق الكريمة (كله) اى جميعه على الحالة المستقيمة (مما ادب الله) تعالى (به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم) كما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ادبنى ربى فاحسن تأديبى (فقال) اى من جملة ما ادبه به سبحانه وتعالى (خذ العفو) اى المساهلة والمسامحة (وامر بالعرف) اى بالمعروف من حسن المعاشرة (الآية) اى واعرض عن الجاهلين بالمجاملة وحسن المعاملة وترك المقابلة كما قال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اى سلام الموادعة الذى فيه السلامة من المواقعة وقد قيل ليس فى القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها (وروى) اى كما فى تفسير ابن جرير وابن ابى حاتم وابى الشيخ فى مكارم الاخلاق وابن ابى الدنيا مرسلا ووصله ابن مردويه (ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية) يعنى خذ العفو الى آخرها (سأل جبريل) قيل جبر وميك اسمان اضيفا الى ايل او آل وهما اسمان لله تعالى ومعنى جبر وميك عبد بالسريانية ورده ابو على الفارسى بانهما لا يعرفان من اسماء الله سبحانه وتعالى وبانه لو كان كذلك لم ينصرف آخر الاسم فى وجوه العربية وكان آخره مجرورا ابدا كعبد الله قال النووى وهذا الذى قاله هو الصواب انتهى وفى جبريل اربع قرآءات وتسع لغات (عن تأويلها) اى تحقيق تفسيرها (فقال له) اى جبريل (حتى اسأل العالم) اى الحقيق الذى هذا كلامه

ولم

ولم يعرف غيره حقيقة مراده ومرامه فصاحب البيت ادرى بما فيه من بيان مبانيه وتبيان معانيه (ثم ذهب واتاه) اى بعد سؤاله اياه (فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال) اى الله تعالى (له) اى للنبى عليه الصلاة والسلام حكاية عن وصية لقمان لابنه يا بنى اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر (واصبر على ما اصابك) اى من انواع المحن واصناف الضرر خصوصا من جهة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (الآية) اى ان ذلك من عزم الامور اى من مفروضاتها وواجباتها التى لا رخصة فى اهمالها لارباب كمالها (وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم) اى اصحاب الثبات والحزم (من الرسل) اما بيانية واما تبعيضية وهو المشهور وعليه الجمهور وهم الخمسة المجتمعة فى آية مختصة وهى قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وقدم صلى الله تعالى عليه وسلم لما انه فى الرتبة قد تقدم وقيل هم الصابرون على بلاء الله فنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وذبح ولده والذبيح على ذبحه ويعقوب على فقد ولده وبصره ويوسف على الجب والسجن والرق وايوب على الضر وموسى على محن قومه وداود على قضيته وبكائه اربعين سنة على خطيئته وعيسى على زهده وعدم بناء لبنة على لبنة وزكريا على قطع المنشار ويحيى على الذبح وقيل هم المأمورون بالجهاد وقيل من يصيبهم فتنة منهم وقيل هم اهل الشرائع وقيل استثنى من الرسل آدم لقوله تعالى ولم نجد له عزما ويونس لقوله سبحانه وتعالى ولا تكن كصاحب الحوت (وقال) اى الله له ولاتباعه (وليعفوا) اى ما فرط فى حقهم من بعضهم (وليصفحوا) بالاغماض منهم والاعراض عنهم (الآية) اى الا تحبون ان يغفر الله لكم اى لعفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم واعتدى عليكم وفيه التفات يفيد الاهتمام بامرهم وقد روى البخارى انه لما نزلت قال ابو بكر رضى الله تعالى عنه بلى احب ورجع الى مسطح نفقته التى قطعها عنه لخوضه مع اهل الافك وخطائه وصدر الآية ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وكان مسطح قريب ابى بكر ومسكينا ومهاجريا وفى الآية دليل على فضل الصديق وسعة علمه بالتحقيق واذا كان هذا العفو والصفح موصوفا اكابر الامة بهما فكيف صاحب النبوة لا يكون موصوفا باعلى مراتبهما (وقال ولمن صبر) اى على الاذى (وغفر) اى ستر ومحا وتجاوز وعفا (ان ذلك) ما ذكر من الصبر والغفران (لمن عزم الامور) اى من افضل الامور واما قول الدلجى اى ان ذلك الصبر والغفران منه لمن عزم الامور فحذف منه كما حذف فى نحو السمن منوان بدرهم اى منه للعلم به فليس فى محله اذ هو مستغنى عنه فى صحة حمله وحله (ولا خفاء) اى عند اهل الصفاء (بما يؤثر) اى فيما يروى (من حلمه) اى صبره مع احبابه (واحتماله) اى تحمله على اعدائه حتى قال ابو سفيان له ما احلمك حين قال له اما آن لك ان تسلم بابى انت وامى (وان) بفتح الهمزة وفى نسخة بكسرها (كل حليم) اى صاحب حلم (قد عرفت منه زلة) بفتح الزاى اى عثرة وفى الحديث اتقوا زلة العالم وانتظروا فيئته وفى الحديث ما اعز الله بجهل قط ولا اذل الله بعلم قط وقيل ما عز ذو باطل ولو طلع القمر من جبهته (وحفظت عنه هفوة) بالفاء اى معرة بمقتضى ما قيل نعوذ بالله من غضب الحليم مع ان الكامل من عدت مساويه لكنه عصم عند باريه عصمة لا يشاركه احد فيها ولا يساويه فالكلية عامة شاملة لاصحاب النبوة وارباب الفتوة ولذا قيل ان الانبياء كلهم معصومون صغرا وكبرا من الكبيرة والصغيرة فان مراتب العصمة متفاوتة (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لثباته فى محامد صفاته (لا يزيد مع كثرة الاذى) اى الواصل منهم اليه (الا صبرا) اى تحملا عليهم بل احسانا اليهم (وعلى اسراف الجاهل) اى مجاوزته الحد فى التقصير اليه ويروى الجاهلية اى على اسراف اهلها (الا حلما) اى تجاوزا وكرما (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن على التغلبى) بمثناة فوقية مفتوحة وسكون غين معجمة وفتح لام وتكسر نسبة الى قبيلة واما ما وقع فى بعض النسخ من الثاء المثلثة والعين المهملة فتصحيف فى المبنى وتحريف فى المعنى مات سنة ثمان وخمسمائة (وغيره) اى من المشايخ المشاركين له فى هذه الرواية (قالوا حدثنا محمد بن عتاب) بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية وآخره باء موحدة (انبأنا) اى قال اخبرنا (ابو بكر بن وافد) بالفاء المكسورة او القاف (القاضى وغيره) اى وغير ابى بكر (حدثنا) اى قالوا حدثنا (ابو عيسى) اى الليثى واسمه يحيى بن عبيد الله بن ابى عيسى (حدثنا) اى قال حدثنا (عبيد الله) يعنى اباه (انبأنا) اى قال اخبرنا (يحيى بن يحيى) لم يخرج له فى الكتب الستة شئ والموطأ مشهور به وموطأه اصح الموطآت (انبأنا) اى قال اخبرنا (مالك) اى ابن انس بن مالك بن ابى عامر الاصبحى امام المذهب قيل تابعى ولم يصح (عن ابن شهاب) اى الزهرى (عن عروة) اى ابن الزبير بن العوام من الفقهاء السبعة بالمدينة كان يصوم الدهر ومات وهو صائم (عن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان وابو داود ايضا عنها (قالت ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ما خيره الناس (فى امرين) اى فى اختيار احدهما (قط) اى ابدا (الا اختار

ايسرهما) اى اهونهما على المخير او اسهلهما عنده لانه ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وان هذا الدين يسر وقال الله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر (مالم يكن) اى الايسر (اثما) اى ذا اثم (فان كان اثما كان ابعد الناس منه) اى تنزها واجتنابا فيما الاولى ان لا يختاره ولو كان سهلا ففيه تلويح باستحباب الاخذ بالايسر والارفق مالم يكن حراما او مكروها فان الله تعالى يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه واما قول الدلجى بنى خير لمفعوله وحذف فاعله تعويلا على ظاهر القرينة وايذانا بعمومه اذ كان هو الله او غيره فالله ما جعل له الخيرة فى امرين جائزين الا اختار ايسرهما كاختياره حين قال له جبريل ان شئت جعلت عليهم اى على قريش الاخشبين بقاءهم بقوله دعنى انذر قومى رجاء ان يوحدوه او يخرج من اصلابهم من يوحده فلا يخفى انه غفلة منه عما فى نفس الحديث مالم يكن اثما اذ من المعلوم ان الله سبحانه وتعالى او جبريل عليه الصلاة والسلام لا يخيره بين امرين يحتمل ان يكون احدهما اثما ثم رأيت النووى ذكر عن القاضى انه قال يحتمل ان يكون تخييره من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان اوفيما بينه وبين الكفار من القتال واخذ الجزية اوفى حق امته فى المجاهدة فى العبادة والاقتصاد فكان يختار الايسر فى هذا كله قال واما قوله مالم يكن اثما فيتصور اذا خيره الكفار او المنافقون فاما اذا كان التخيير من الله او من المسلمين فيكون الاستثناء منقطعا انتهى ولا يخفى ان التخيير من المسلمين ايضا يتصور فيما لم يصل الى بعضهم كونه اثما فى الدين (وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه) اى ما انتصر ولم يعاقب احدا الاجل خاصة نفسه ما بلغت به الكراهة حدا يورثه انتقاما من احد على مكروه اتاه من قبله (الا ان تنتهك حرمة الله) بصيغة المجهول اى الا ان يبالغ احد فى خرق حرمة الله التى تتعلق بحقه سبحانه وتعالى او بحق احد من خلقه ومن جملته خرق حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم على وجه يجب الانتقام من هاتكها والاستثناء منقطع اى لكن اذا انتهكت حرمة الله انتصر لله وانتقم له تعالى بسببها (فينتقم لله) اى لا لحظ نفسه (بها) بسبب حرمة الله ممن ارتكبها والحديث رواه البخارى ومسلم وابو داود كما اخرجه المصنف عن مالك فى موطأه وفى رواية مسلم ما نيل منه شئ قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شئ من محارم الله فينتقم لله اى ما اصيب باذى من احد وعاقبه به انتصارا لنفسه لكن اذا بالغ فى خرق شئ من محارم الله التى من جملتها حرمته انتصر لله وعاقبه له لا لنفسه فلم يكن انتقامه الا لله لا لغرض سواه وان كان فيه موافقة هواه لكن المدار على متابعة هداه والحاصل ان فى الحديث دلالة على كمال حلمه وعفوه وتحمل الاذى وترك الانتقام لنفسه مع مراعاة الله فى حقه فهو الجامع بين فضله وعدله تخلقا باخلاق ربه (وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت) بصيغة المجهول اى انكسرت (رباعيته) على وزن الثمانية بفتح راء وكسر عين وتخفيف ياء تحتية وهى التى بين الثنية والناب وللانسان ثنايا اربع ورباعيات اربع وانياب اربعة واضراس عشرون وقد كسرها عتبة بن ابى وقاص وهو اخو سعد بن ابى وقاص رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكسرت رباعيته يعنى شطبت وذهبت منها فلقة (وشج وجهه) بصيغة المفعول شجه عبد الله ابن شهاب الزهرى كلاهما (يوم احد شق ذلك) اى ما ذكر او كل واحد منهما (على اصحابه شديدا) وفى نسخة شقا شديدا (وقالوا لودعوت) اى الله (عليهم) اى بانزال العقوبة اليهم (فقال انى لم ابعث لعانا) اى صاحب لعن وطرد عن رحمة الله (ولكن بعثت داعيا) اى هاديا الى الحق (ورحمة) للخلق كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون) اى ولا تؤاخذهم بما يجهلون والحديث رواه البيهقى فى شعب الايمان مرسلا وآخره موصولا وهو فى الصحيح حكاية عن نبى ضربه قومه زاد ابن هشام فى سيرته انها ثنيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان ابن قمئة جرحه فى وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته فنزعهما ابو عبيدة بن الجراح حتى سقطت ثنيته قال يعقوب ابن عاصم فكان حتف انفه ان سلط الله عليه كبشا فنطحه فقتله او فالقاه من شاهق فمات واما ابن شهاب فاسلم واما عتبة ففى تهذيب النووى ان ابن منده عده من الصحابة وانكره ابو نعيم اذ لم يذكره فيهم احد قبله فالصحيح انه لم يسلم قال السهيلى ولم يولد من نسله ولد فبلغ الحلم الا وهو ابخر او اهتم فعرف ذلك فى عقبه وفى مستدرك الحاكم انه لما فعل عتبة ما فعل جاء حاطب بن ابى بلتعة فقال يا رسول الله من فعل هذا بك فاشار الى عتبة فتبعه حاطب حتى قتله فجاء بفرسه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى تفسير عبد الرزاق بسنده الى مقسم قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعا على عتبة بن ابى وقاص حين كسر رباعيته وادمى وجهه انتهى فان قلت حديث عبد الرزاق فى تفسيره يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا على عتبة حين كسرها وهذا الحديث بظاهره يدل على ضده قلنا لا يلزم من دعائه عليه عدم دعائه على الجميع مع ان النفى قد يوجه لكثرة اللعن لا لاصله فكانه قال لم ابعث كثير اللعن عليهم اذ قد روى البخارى وغيره اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة

والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابى معيط وعمارة بن الوليد والتحقيق انه عليه الصلاة والسلام ما دعا عليهم جملة بل دعا على من علم منهم انهم لا يؤمنون فقوله عليك بقريش عام اريد به المخصوصون بقرينة المقام والله اعلم بالمرام (وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه) قال الدلجى لم يعرف (انه قال فى بعض كلامه بابى انت وامى) اى فديتك بهما اوانت مفدى بهما (يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الآية) اى من الكافرين ديارا كما فى نسخة اى احدا يدور فى الارض فيقال من الدور (ولو دعوت علينا مثلها) اى مثل دعوة نوح (لهلكنا من عند آخرنا) اى الى عند اولنا فهو كناية عن الاستئصال (فلقد وطئ ظهرك) بصيغة المجهول وهمز فى آخره وكذا قوله (وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا) وهو الدعاء بالهداية والاعتذار عنهم بالجهالة والغواية (فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) اى المصنف (انظر) اى تأمل ايها المعتبر بنظر الفكر والعقل (ما فى هذا القول من جماع الفضل) بكسر الجيم اى ما يجمعه ودرجات الاحسان) اى بالعقل (وحسن الخلق) اى مع شرار الخلق (وكرم النفس) اى على عموم الانام (وغاية الصبر) اى عن العدو (والحلم) اى التحمل وعدم الجزع المؤدى الى الدعاء غالبا (اذ لم يقتصر صلى الله تعالى عليه وسلم على السكوت عنهم) اى فى التحمل منهم (حتى عفا) عنهم وصفا لهم (ثم اشفق) اى خاف (عليهم ورحمهم) اى من غاية الشفقة ونهاية الرحمة (ودعا) اى لهم (وشفع) اى عند ربه (لهم) وهو بفتح الفاء على ما فى القاموس شفعه كمنعه فقول الحجازى بكسر الفاء سهو من الكاتب (فقال اغفر) اى استر قومى ووقهم لما يستحقون المغفرة لاجله (او اهد) اى اهدهم بالايمان واو للشك او للتنويع (ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى) باضافتهم اليه (ثم اعتذر عنهم بجهلهم) اى بسبب جهلهم بحاله ومقام كماله (فقال فانهم لا يعلمون) وليس المراد بقومه قريش وحدهم كما توهمه الدلجى وقال كل ذلك لكونهم رحمه اذ ما من بيت الا وله فيه قرابة بل لكونه رحمة للعالمين فالمراد بقومه جميع امته بدليل حديث الشيخين ان آل ابى فلان ليسوا الى باولياء انما وليى الله وصالح المؤمنين لكن لهم رحم ابلهم ببلالها اى اصلهم بما يظهر اثرها وقد ورد بلوا ارحامكم اى صلوها وكانه اراد بالبل حفظ اصلها وطراوة فرعها (ولما قال له الرجل) اى وحين قال له الرجل المنافق وهو ذو الخويصرة حرقوص بن زهير التميمى قتل فى الخوارج يوم النهروان على يد على كرم الله تعالى وجهه (اعدل فان هذه قسمة) اى قسمة غنائم بدر وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم ذهيبة فى تربتها بعث بها على رضى الله تعالى عنه من اليمن (ما اريد بها وجه الله لم يزده) بالزاى اى ما زاده (فى جوابه ان بين له ما جهله ووعظ) عطف على بين اى ونصح صلى الله تعالى عليه وسلم (نفسه) اى نفس الرجل (وذكرها) بالتشديد اى وعرفها واعلمها (بما قال له فقال ويحك) قيل هو بمعنى ويلك وقيل هو كلمة ترحم يقال لمن وقع فى هلكة لا يستحقها فلجهله رحمه مبينا له ما جهله من انه صلى الله عليه وسلم احرى الخلق بالعدل بقوله (فمن يعدل) بالرفع فان من استفهامية (ان لم اعدل) شرط حذف جزاؤه لدلالة ما قبله عليه والمعنى أيعدل غيرى واما اجور كلا (خبت) بكسر الخاء (وخسرت) بكسر السين وضم تائيهما (ان لم اعدل) اى فرضا وتقديرا ارشادا الى ان من لم يعدل فقد باء بالخيبة والخسران واشعارا بكمال اتصافه بالعدل بل بزيادة الحلم والعفو والفضل وروى بفتح تائيهما فالمعنى حرمت كل خير وخسرته فى متابعتى ان لم اعدل فى قسمتى على فرض قضيتى فكانه قال خبت ايها التابع اذا كنت لا اعدل لكونك تابعا ومقتديا بمن لا يعدل او خبت وخسرت اذ لا تستقر فى الاسلام بما تقول ان نبيك ممن لا يعدل ومعنى الخيبة الحرمان والخسران الضياع والنقصان وحاصله انك خبت فى الدنيا وخسرت فى العقبى اذا اعتقدت انى لم اعدل قال الحافظ المزى والضم اولى لانه تعليق بعدم العدل الذى هو معصوم منه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال النووى الفتح اشهر ولعله اسقط ما وجب له عليه من قتله رعاية لايمانه الظاهر والله اعلم بالسرائر ولما ورد فى بعض طرق هذا الحديث من زيادة قوله عليه الصلاة والسلام ويخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية (ونهى من اراد من اصحابه) وهو خالد بن الوليد او عمر وهو عند الاكثر او كلاهما فتدبر (قتله) بناء على ظهور ارتداده بسبب طعنه فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى عدله والحديث رواه الشيخان (ولما تصدى له) اى وحين تعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم (غورث ابن الحارث) على ما رواه البيهقى وهو بفتح الغين المعجمة وبضم وقيل بالمعجمة والمهملة وقيل مصغر (ليفتك به) بكسر التاء وضمها فتكا بالتثليث اى ليقتله غفلة (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى والحال انه (منتبذ) بكسر الموحدة وبالذال المعجمة اى منفرد عن اصحابه (تحت شجرة) اى فى ظلها (وحده) حال مؤكدة اى ليس عنده احد من احبابه (قائلا) اسم فاعل من القيلولة وقت الظهيرة اى مستريحا او نائما (والناس قائلون)

اى نازلون للقيلولة (فى غزاة) وهى ذات الرقاع فى رابع سنة من الهجرة (فلم ينتبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لم يستيقظ من نومه اولم ينتبه من غفلته عن عدوه (الا وهو) اى غورث (قائم) اى عند رأسه (والسيف صلتا) بفتح الصاد وبضم اى حال كونه مسلولا او التقدير صلته صلتا (فى يده فقال من يمنعك منى فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الله) اى مانعى او يمنعنى (فسقط) اى السيف كما فى اصل صحيح (من يده فاخذه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال) اى لغورث (من يمنعك منى قال كن خير آخذ) بالمد اى متصفا بالحلم والعفو والكرم (فتركه وعفا عنه) وكان ذلك سببا لاسلامه (لجاء الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس) ورواه الشيخان بدون سقوط السيف وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من يمنعك منى وجواب غورث وروى انه كان اشجع قومه فقالوا له قد امكنك محمد فاختار سيفا من سيوفه واشتمل عليه واقبل حتى قام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالسيف مشهورا فقال يا محمد من يمنعك منى قال الله فدفع جبريل فى صدره ووقع السيف من يده فاخذه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقام به على رأسه وقال من يمنعك منى اليوم فقال لا احد ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم اقبل فقال والله لانت خير منى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا احق بذلك منك (ومن عظيم خبره) اى حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم (فى العفو) اى فى جنس عفوه (عفوه عن اليهودية التى سمته) اى جعلت له السم (فى الشاة بعد اعترافها على الصحيح) متعلق بعفوه (من الرواية) اى بعد اعترافها على ما رواه الشيخان وكان ينبغى للمؤلف ان يقدم قوله على الصحيح من الرواية على قوله بعد اعترافها وهى زينب بنت الحارث بن سلام بتشديد اللام كما ذكره البيهقى فى الدلائل وموسى بن عقبة فى المغازى وقال ابن قيم الجوزية هى امرأة سلام بن مشكم وقال ابو داود هى اخت مرحب وفى رواية ابى داود انه صلى الله تعالى عليه وسلم قتلها وفى شرف المصطفى قتلها وصلبها وروى ابن اسحق انه صفح عنها وجمع بانه عفا عنها لحق نفسه اذ كان لا ينتصر لها ثم قتلها قصاصا بمن مات من اصحابه باكله منها كبشر ابن البراء اذ لم يزل معلالا به حتى مات بعد سنة ويقال انه مات فى الحال لكن فيه اشكال لما جاء فى رواية انها اسلمت فى جامع معمر عن الزهرى انه قال اسلمت فتركها قال معمر والناس يقولون قتلها وانها لم تسلم والله اعلم بالاحوال وبالصحيح من الاقوال (وانه) بالكسر والاظهر انه بالفتح والتقدير ومن عظيم خبره فى العفو انه (لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم) وقد هلك على التهود وقد حكى القاضى خلافا فى مؤاخذته عليه الصلاة والسلام لبيدا وسيجىء فى احياء الموتى ولعله اشار الى صحة عدم المؤاخذة (اذ سحره) اى حين سحره (وقد اعلم به) بصيغة المجهول اى اوحى الله اليه او جاءه جبريل واخبره بانه سحره (واوحى اليه بشرح امره) اى ببيان حاله كما رواه احمد والنسائى والبيهقى فى دلائله سحر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك فجاءه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا فى بئر كذا فبعث عليا فجاء بها فحلها فكانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودى ولا اظهره فى وجهه حتى مات (ولا عتب عليه) اى اعرض عن معاتبته (فضلا عن معاقبته) وكان السحر اخذه عن النساء وهى امرأته زينب اليهودية وبناته منها قيل قال تعالى ومن شر النفاثات فى العقد ولم يقل النفاثين تغليبا لفعل النساء او المراد النفوس النفاثات قال الدلجى والسحر مزاولة نفوس خبيثة اقوالا وافعالا يترتب عليها امور خارقة للعادة وتعلمه للعمل به حرام وفعله كبيرة واعتقاد حله كفر ولتأثيره زيادة بيان تأتى فى محل تقريره ومكان تحريره وقال الامام الرازى استحداث الخوارق ان كان لمجرد النفس فهو السحر وان كان على سبيل الاستعانة بالخواص السفلية فهو علم الخواص وان كان على سبيل الاستعانة بالفلكيات فذلك دعوة الكواكب وان كان على سبيل تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية فذلك الطلسمات وان كان على سبيل النسب الرياضية فذلك الحيل الهندسية وان كان على سبيل الاستعانة بالارواح الساذجة فذلك العزيمة انتهى وقال غيره السحر اسم يقع على انواع مختلفة وهى السيميا والهيميا وخواص الحقائق من الحيوان وغيرها والطلسمات والاوفاق والرقى والاستخدامات والعزائم (وكذلك لم يؤاخذ) على ما رواه الشيخان (عبد الله بن ابى) اى ابن سلول بفتح السين المهملة وهى امه فلا بد من تنوين ابى وكتابة الف بعدها ورفع ابن لان سلول ام عبد الله وزوجة ابى فلو لم يفعل ذلك لتوهم ان سلول ام ابى وليس كذلك وسلول غير مصروف للعلمية والتأنيث وقيل منصرف وقيل الصواب ان يكتب ابن بالالف لان علة الحذف وقوعه بين علمين مذكرين او مؤنثين فلو اختلفا لم يحذف وهو رئيس اهل النفاق وهو القائل

متى ما يكن مولاك خصمك لم تزل ٭ تذل ويصرعك الذين تصارع
وهل ينهض البازى بغير جناحه ٭ وان جذ يوما ريشه فهو واقع

وابنه عبد الله بن عبد الله من فضلاء الصحابة (واشباهه) اى وكذا لم يؤاخذ امثاله (من المنافقين) قال ابن عباس كان

المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء مائة وسبعين (بعظيم ما نقل عنهم) وفى نسخة منهم (فى جهته) اى من الجرائم (قولا وفعلا) كقوله تعالى حكاية عن ابن ابى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل اراد بالاعز نفسه وبالاذل اعز خلق الله سبحانه وتعالى (بل قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على المريسيع ماء لبنى المصطلق (لمن اشار) اى من اصحابه (بقتل بعضهم) اى بعض المنافقين بعد ان بلغه وقد هزم بنى المصطلق قول ابن ابى وقد لطم حليفا لجهجاه من فقراء المهاجرين مساعدة لاجير لعمر ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله ان رجعنا الآية ثم قال لقومه والله ان امسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين ثم اخبره به الله فقال عمر يا رسول الله دعنى اضرب عنقه فقال اذن ترعد له انوف كثيرة فقال عمر ان كرهت ان يقتله رجل من المهاجرين فمر سعد بن عبادة او محمد بن مسلمة او عبادة بن الصامت فليقتلوه فقال (لا لئلا يتحدث) بصيغة المجهول ويروى لا يتحدث الناس وهو نفى معناه نهى وقال الدلجى لا آذن لك يتحدث وفى رواية فكيف اذا تحدث الناس (ان محمدا يقتل اصحابه) قيل هذا فى حكم العلة لترك قتله مع رعاية اسلامه الظاهرى وانكاره هذا القول فى اخباره ولعل حكمة العلة انه يكون تنفيرا عن دخول الانام فى الاسلام ولذا ورد يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا ولذا كان يتألف الكفار المصرحين لكونه رحمة للعالمين وفى هذا دليل على ترك بعض الامور التى يجب تغييرها مخافة ان يترتب عليها مفسدة اكبر منها (وعن انس) كما رواه الشيخان (كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد) اى شملة مخططة او كساء اسود مربع (غليظ الحاشية فجبذه) اى لجذبه كما فى نسخة والاول لغة فى معنى الثانى او مقلوبة فى حروف المبانى والمعنى فجره (اعرابى) مجهول لم يعرف اسمه (بردائه جبذة شديدة) اى دفعة عنيفة (حتى اثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه) اى جانب ما بين كتفه ومنكبه ولم يتأثر هو صلى الله عليه وسلم من سوء ادبه (ثم قال) اى الاعرابى على عادة اجلاف العرب (يا محمد أحمل لى) بفتح الهمزة اى اعطنى ما احمل لى واغرب التلمسانى حيث قال المعنى اعنى على الحمل وفى نسخة احملنى والظاهر انه تصحيف فى المبنى لانه تحريف فى المعنى (على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك) زاد البيهقى (فانك لا تحمل لى) وفى نسخة لا تحملنى وفيه ما سبق الا ان يقال معناه اعطنى على التجريد وفى اصل التلمسانى لا تحمله (من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حلما وكرما (ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ويقاد منك) فعل مجهول من القود اى يقتص منك ويفعل بك (يا اعرابى ما فعلت بى) اى مثل فعلك معى من جذب ثوبى (قال لا) اى لا يقاد منى (قال لم) اى لاى شئ (قال لانك لا تكافئ) بالهمز اى لا تجازى (بالسيئة السيئة) بل تجازى بالسيئة الحسنة (فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تعجبا (ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر) ويروى على بعير تمر وقيل اذا احب الله عبدا سلط عليه من يؤذيه (وعن) وفى اكثر النسخ قالت (عائشة رضى الله تعالى عنها) كما فى الصحيحين (ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتصرا من مظلمة) بكسر اللام وتفتح اى ما يطلب عند الظلم واما قول الحجازى وبفتح الميم الثانية وكسرها فلا وجه له (ظلمها) بصيغة المجهول (قط) اى ابدا (ما لم تكن) اى المظلمة (حرمة من محارم الله) اى متعلقة بحقوق الخلق او الحق خارجة عن خاصة نفسه وحرماته فرائضه او ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه (وما ضرب بيده شيأ قط) واحترزت بقولها بيده عن ضرب غيره بامره تأديبا او تعزيرا او حدا وهذا كله من باب الكرم والرحم على العامة والخاصة (الا ان يجاهد فى سبيل الله) اى فانه كان يضرب بيده مبالغة فى مقام جده واجتهاده فى جهاده ثم ما ضرب احدا من اعدائه الا كان حتف انفه وعذابه فى آخرامره بدليل قول ابى بن خلف وقد خدشه يوم احد فى عنقه فجزع جزعا شديدا بالم شديد فقيل له ما هذا الجزع فقال والله لو بصق محمد على لقتلنى (وما ضرب خادما ولا امرأة) تخصيص بعد تعميم ودفع لتوهم ان النفى الاول متعلق بمن كان خارجا عن اهله واشعارا بان التحمل منهما اشد ثم فيه جواز ضرب المرأة والخادم للادب اذ لو لم يكن مباحا لم يتمدح بالتنزه عنه (وجىء اليه برجل) على ما روى احمد والطبرانى بسند صحيح (فقيل هذا اراد ان يقتلك) اى لحصل للرجل روع فى روعه وفزع فى روحه (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن تراع) بضم التاء اى ان تفزع بمكروه (لن تراع) كرره تأكيدا والمعنى لا تخف لا تخف قال التلمسانى وتضع العرب لن بمعنى لا كما هنا (ولو اردت ذلك) اى قتلى (لم تسلط على) بصيغة المجهول اعلاما منه بان قتله محال لقوله تعالى والله يعصمك من الناس (وجاءه زيد بن سعنة) بفتح سين فسكون عين مهملتين فنون وهو الاصح على ما ذكره الذهبى فى تجريده والنووى فى تهذيبه وفى رواية بتحتية بدل النون (قبل اسلامه) وهو يهودى (يتقاضاه) اى حال

كونه طالبا (دينا) اى قضاء دين له (عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فجبذ ثوبه) اى جذب رداءه وازاله وابعده
(عن منكبه) بكسر الكاف (واخذ بمجامع ثيابه) جمع مجمع وهى اطرافه وحواشيه او ازاره كله ويقال له التلبب
(واغلظ له) اى فى القول بخصوصه (ثم قال) قصدا لعموم قومه (انكم يا بنى عبد المطلب مطل) بضمتين ويسكن
الثانى جمع مطول كفعول بمعنى فاعل اى مدافعون فى وعدكم (فانتهره عمر) اى زجره (وشدد له فى القول والنبى صلى
الله تعالى عليه وسلم يتبسم) حال مبينة لكمال حلمه وحسن خلقه وجميل عفوه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم انا وهو كنا الى غير هذا) اى الذى صدر (منك) اى من الزجر الاكيد والقول الشديد (احوج) اى اكثر احتياجا
(يا عمر) فكان الاولى بك انك (تأمرنى بحسن القضاء) اى الاداء لدينه (وتأمره بحسن التقاضى) اى المطالبة لحقه
(ثم قال لقد بقى من اجله) اى من اجل دينه لا عمره (ثلاث) اى ثلاثة ايام وحذف تاؤه لحذف مميزه الذى هو ايام
كما فى حديث من صام رمضان واتبعه بست من شوال فكانه صام الدهر كله (وامر) اى النبى عليه الصلاة والسلام
(عمر يقضيه ماله) اى ماله من الحق (ويزيده عشرين صاعا لما روعه) بتشديد الواو اى لاجل ما خوفه عمر زجرا فجازيه
برا (فكان) اى فصار ذلك (سبب اسلامه) والحديث رواه البيهقى مفصلا ووصله ابن حبان والطبرانى وابونعيم بسند
صحيح (وذلك) اى كونه سبب اسلامه (انه كان يقول) كما روى عنه عبد الله بن سلام (ما بقى من علامات النبوة شىء
الا وقد عرفتها فى محمد) وفى رواية فى وجه محمد (الا اثنتين لم اخبرهما) بفتح الهمزة وضم الموحدة اى لم اخبرهما فلم
اعرفهما وروى لم اجدهما اى لم احققهما (يسبق حلمه جهله) اى جهل الذى يفعل به (ولا تزيده شدة الجهل) اى عليه
(من احد الا حلما) بل لطفا وكرما (فاختبرته) اى امتحنته (هو بهذا) اى الذى صدر منه فى حقه قولا وفعلا (فوجدته)
وروى فاختبرته بهذا فوجدته (كما وصف) بصيغة المجهول اى نعت فى كتب الاولين فى صفة المرسلين وكان اعلم من
اسلم من احبار اليهود واجلهم واكثرهم مالا شهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مشاهد كثيرة وتوفى راجعا
من غزوة تبوك الى المدينة (والحديث) اى الاحاديث الواردة المخبرة (عن حلمه عليه الصلاة والسلام وصبره وعفوه
عند المقدرة) بفتح الدال وضمها وحكى كسرها بمعنى القدرة وهو احتراز عن توهم كون عفوه عن عجزه (اكثر من
ان نأتى عليه) اى نذكره كله او معظمه (وحسبك) اى كافيك ومغنيك (ما ذكرناه مما فى الصحيح) اى فى الكتب الصحيحة
(والمصنفات الثابتة) اى ولو لم تكن من الصحاح الستة او ولو لم تكن صحيحة بل ثابتة حسنة فانها حجة بينة (الى ما بلغ)
اى منضمة الى ما وصل بمجموعه (متواترا) اى فى المعنى (مبلغ اليقين) اى مبلغا يحصل به اليقين للمؤمنين فى امر الدين
(من صبره) بيان لما اى من تحمله (على مقاساة قريش) اى مكايدتهم ومعارضتهم ومخالفتهم (واذى الجاهلية)
اى وتأذيه من اهل جاهليتهم وسفلتهم (ومصابرته الشدائد) اى مغالبة الخ وفى نسخة ومصابرة الشدائد (الصعبة)
اى الشاقة (معهم) اى مع اعدائه (الى ان اظفره الله عليهم) بنصره واظهره كما فى نسخة (وحكمه فيهم) بتشديد
الكاف اى جعله حاكما عليهم متصرفا فى امرهم (وهم لا يشكون) اى لا يترددون بناء على زعمهم وقياسه على انفسهم
(فى استئصال شأفتهم) بفتح شين معجمة فسكون همزة ففاء فتاء اى جمعهم وقطع اثرهم وهى فى الاصل قرحة تخرج
للانسان فى اسفل القدم فتكوى فتذهب فهم يقولون فى المثل استأصل الله شأفته اى اذهبه كما اذهبها وروى فى
استئصاله بالاضافة ونصب شأفتهم التى فى استهلاكه دابرهم من اصلهم وفصلهم (وابادة خضرائهم) بفتح خاء وسكون
ضاد معجمتين بعدهما راء فالف ممدودة اى اهلاك جماعتهم وتفريق جمعهم فالابادة بكسر الهمزة مصدر اباده الله
اى اهلكه وخضراؤهم سوادهم ومعظمهم والمعنى لا يشكون فى هلاكهم وذهابهم وفنائهم (فما زاد على ان عفا)
اى تجاوز عن افعالهم (وصفح) اى واعرض عن اقوالهم (وقال) اى لهم تلويحا بلطفه اليهم وشفقته عليهم واستخراجا
لما فى ضمائرهم واستظهارا لما فى سرائرهم (ما تقولون) اى فيما بينكم او ما تظنون بى (انى فاعل بكم) اى بعد
ما ظفرت عليكم (قالوا خيرا) اى نقول قولا خيرا او نظن ظنا خيرا او تفعل خيرا (اخ كريم) اى هو او انت وهو فى معنى
العلة اى لانك اخ كريم (وابن اخ كريم) اى فلا يجىء منك الا ما يوجب الكرم والعفو عمن ظلم (فقال اقول)
اى فى جواب قولكم (كما قال اخى يوسف) اى لاخوته فانا مقتدى بالانبياء العقلاء لا بالاغبياء الجهلاء (لا تثريب)
لا تعيير ولا توبيخ ولا تعييب (عليكم اليوم) اى هذا الوقت الذى ظهر فضلى لديكم او لا اذكر لكم الذنب فى هذا اليوم
الذى محله التثريب فما ظنكم بغيره من الزمان البعيد او القريب واما ما جوزه التلمسانى من الوقف على عليكم وجعل
اليوم ظرفا لما بعده ففى غاية من البعد مبنى ومعنى (يغفر الله لكم) اى ما فرط منكم وظهر عنكم (الاية) اى وهو
ارحم الراحمين وانما وجى اثر من آثار رحمته كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما فى الحديث الشريف
انا رحمة مهداة اى رحمة لكم وهدية اليكم (اذهبوا فانتم الطلقاء) بضم ففتح ممدودا جمع طليق بمعنى مطلوق وهو

الاسير

الاسير يخلى عن سبيله اى الخلصاء من قيد الاسر فانهم كانوا حينئذ اسراء وقد قال ذلك يوم فتح مكة آخذا بعضادتى
باب الكعبة على ما رواه ابن سعد والنسائى وابن زنجويه وجاء نوفل بن معاوية الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال يا رسول الله انت اولى الناس بالعفو ومن منا من لم يعادك ويؤذك ونحن فى جاهلية لا ندرى ما نأخذ ولا ما ندع
حتى هدانا الله بك وانقذنا بوجودك من الهلكة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد عفوت عنك فقال فداك
ابى وامى وقد روى سفيان عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف
اى اهل الطائف كما رواه ابن سيرين قال التلمسانى وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتح مكة طاف
بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة وفيها رؤساء قريش فاخذ بعضادتى الباب وقال ماذا ترون انى صانع بكم فقالوا
اخ كريم وابن اخ كريم ملكت فاسجح فقال انى اقول لكم كما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم الاية وقال انتم
الطلقاء ولكم اموالكم قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا فى الاسلام (وقال انس) كما رواه مسلم وابوداود
والترمذى والنسائى (هبط ثمانون رجلا من التنعيم) وهو اقرب اطراف مكة اليها وهو على ثلاثة اميال منها وقيل
اربعة وهو من جهة المدينة والشام سمى بذلك لانه عن يمينه جبل يقال له نعيم وعن شماله جبل يقال له ناعم والوادى
نعمان بفتح النون (صلاة الصبح) اى نزلوا وقت صلاة الفجر (ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بغتة
وغفلة (فاخذوا) بصيغة المجهول (فاعتقهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذى كف
ايديهم) اى كفار مكة (عنكم وايديكم عنهم الاية) وهى ببطن مكة اى داخلها او قريبا منها من بعد ان اظفركم عليهم
اى اظهركم وغلبكم فهزمهم وادخلهم بطنها وذكر المفسرون ان سبب نزولها عام الحديبية ان عكرمة بن ابى جهل
خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد فى جماعة فهزمهم حتى
ادخلهم بطن مكة او كان يوم فتح مكة وبه اخذ ابو حنيفة ان مكة فتحت عنوة ولا ينافيه ما ذكر من ان السورة نزلت قبله
اذ هى من جملة المعجزات والاخبار عن المغيبات قبل وقوعها (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لابى سفيان)
اى ابن صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ثم دمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا واعطاه
من غنائمها مائة واربعين اوقية ووزنها له بلال كان شيخ مكة ورئيس قريش بعد ابى جهل اسلم يوم الفتح ونزل المدينة
سنة احدى وثلاثين ودفن فى البقيع (وقد سيق اليه) اى جىء به اليه والجملة معترضة بين القول ومقوله مبينة لحال
صاحبها والمعنى جاء به العباس ليلا مردفا له على بغلته اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متوجه لفتح مكة
(بعد ان جلب) اى ساق (اليه الاحزاب) وهى جموع مجتمعة للحرب من قبائل متفرقة والمعنى بعد كثرة قبائحه
وجملة فضائحه منها انه جمع احزاب كفار مكة وغيرهم واتى اهل المدينة على عزم قتلهم ونهبهم وهم اهل الخندق وكانوا
ثلاثة عساكر وعددهم عشرة آلاف قال ابن اسحق وكانت فى شوال سنة خمس وكان الحصار اربعين يوما (وقتل عمه)
اى وتسبب بقتل عمه حمزة اذ قتله وحشى وهو من جملة عسكره ثم اسلم (واصحابه) اى وقتل سائر اصحابه مجازا قيل هم
سبعون وقيل سبعون من الانصار خاصة وقيل بمجموع القتلى سبعون اربعة من المهاجرين حمزة ومصعب بن عمير
وشماس بن عثمان المخزومى وعبد الله بن جحش الاسدى وباقيهم من الانصار (ومثل بهم) بتشديد المثلثة اى امر ان
يفعل بهم المثلة او تسبب بها على وجه المبالغة من قطع انف واذن ومذاكير وسائر اطرافهم والممثلة بحمزة زوجته
هند بنت عتبة لقتل حمزة اباها فى بدر وفى صحيح البخارى عن ابى سفيان وستجدون فى القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى
قيل والذى فعل المثلة هند ومن معها من النسوة وقال البغوى فى تفسيره لم يبق احد من قتلى احد الا مثل به غير
حنظلة بن راهب فان اباه عامر الراهب كان مع ابى سفيان فتركوا حنظلة لذلك (فعفا عنه) اى مع هذا كله وجميع
ما صدر عنه من الفعل (ولاطفه فى القول) اى بالغ فى اللطف والرفق معه حيث قال له (ويحك يا ابا سفيان) اى ترحما له
وتوجعا عليه اذ لم يؤمن به بعد ولم يسلم على يديه قيل ويح كلمة ترحم لمن وقع فى هلكة لا يستحقها وقيل ويح باب رحمة
وويل باب هلكة وويس استصغار (الم يأن) من انى يانى اى جاء اناه اى الم يقرب الوقت (لك ان تعلم) اى علما يقينا (وتشهد
ان لا اله الا الله) اى توحده حق توحيده الموجب للعلم بحقية رسوله (فقال) اى ابو سفيان متعجبا من سعة حلمه وكثرة
صلته وقوة كرمه (بابى انت وامى) اى افديك بهما (ما احلمك) صيغة تعجب من الحلم وفى بعض النسخ ما اجملك من
الجمال فيكون بمعنى التجمل كما ان الاول بمعنى التحمل (واوصلك) اى ما اكثر رحمك على رحمك او ما اكثر عطاءك
لاعدائك (واكرمك) اى ما اكثر كرمك على من اساء اليك وخالف عليك وابعد الدلجى فى قوله واكرمك عند ربك حيث
لا يلائم المقام كما لا يخفى على ذوى المرام (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد الناس غضبا) اى عليهم
(واسرعهم رضى) اى لطفا اليهم (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال التلمسانى وفى الحديث جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون

اعدآءكم وهذا آخره والله اعلم ومما يناسب الباب ماذكره التلمساني في شرح الكتاب انه قيل لا يكمل الانسان حتى يقبل الاعتذار ويعفو عند الاقتدار ويكون الاظهار منه مثل الاضمار وسأل معاوية صعصعة بن صوحان فقال صف لي الناس فقال خلق الله الناس اصنافا فطائفة للعبادة وطائفة للتجارة وطائفة للخطابة وطائفة للنجدة وطائفة فيما بين ذلك يكدرون الماء ويجلبون الغلاء ويضيقون الطريق في البناء والصحرآء

(فصــــل)

(واما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة) اي في اطلاقات المحاورة (وقد فرق بعضهم) بتخفيف الرآء وتشدد وقيل فرق بالتخفيف في المعاني وبالتشديد في الاجسام ويجوز استعمال كل مكان الآخر تجوزا اي فصل وميز جمع (بينها) اي بين معاني الالفاظ المتقدمة (بفروق) اي دقيقة (فجعلوا) اي هؤلاء البعض (الكرم الانفاق بطيب النفس) اي بنشاطها وانبساطها (فيما يعظم) بضم الظاء اي يجل (خطره) بفتحتين ويسكن الثاني اي قدره (ونفعه) اي يكثر الانتفاع به فلا يطلق على ما يحقر قدره ويقل نفعه (وسموه) اي الكرم (ايضا حرية) اي من رق العبودية للامور العارضية ولذا ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وفي بعض النسخ جرءة بضم جيم وسكون رآء فهمزة واعل وجهه تلازم السخاوة والشجاعة فان احدهما بذل الروح والآخر بذل المال والاول اقوى كما لا يخفى على ارباب الكمال قال التلمساني وحقيقة الحرية كمال العبودية وقيل هي ان لا يكون العبد تحت رق المخلوقات ولا يجري عليه سلطان المكونات وعلامة صحته سقوط التمييز عن قلبه بين الاشياء فيتساوى عنده اخطار الاعراض (وهو ضد النذالة) بفتح نون فذال معجمة اي الرذالة والسفالة وما احسن هذه المقالة

اتمنى على الزمان محالا ✳ ان ترى مقلتاي طلعة حر

وهو من لم يستعبده هواه ولم تسترقه دنياه والاظهر ان يقال الكرم انما هو عطاء ابتدآء من غير ملاحظة عوض وغرض انتهاء (والسماحة التجافي) بنصبهما عطفا على مفعولي جعلوا ويجوز رفعهما اي والسماحة هي التباعد والتنحي (عما يستحقه المرء عند غيره) اي من ادآء عين او قضاء دين (بطيب نفس) اي بلطافة نفاسته (وهو ضد الشكاسة) بفتح الشين المعجمة واهمال ما بعد الالف اي صعوبة الخلق والمضايقة وفي التنزيل متشاكسون اي مختلفون متعسرون هذا وفيه ان بعض الاحاديث يدل على ان المراد بالسماحة السخاوة الخاصة وهي المساهلة في المعاملة كما ورد رحم الله من سمح في البيع والشرآء والقضاء والاقتضاء وفي حديث السماح رباح (والسخاء سهولة الانفاق) اي على الاقارب والاجانب والفقير والغني وسائر المراتب (وتجنب اكتساب ما لا يحمد) بصيغة المجهول اي تبعد اقتناء ما لا يمدح من البخل وارتكاب الذم الموجب لترك مدحه في الاغلب الاعم (وهو الجود) اي مرادفه من غير اعتبار مخالفة وقيل الجود اعطاء الموجود وانتظار المفقود والاعتماد على المعبود وقيل الجود هو بذل المجهود ونفي الوجود وقد يقال من اعطى البعض فهو سخي ومن بذل الاكثر فهو جواد ومن اعطى الكل فهو كريم وقيل السخاء الانفاق من الاقتار ومنه

ليس العطاء من الفضول سماحة ✳ حتى تجود ومالديك قليل

(وهو) اي السخاء الذي بمعنى الجود (ضد التقتير) اي التضييق في الانفاق والامساك وهو نقيض الاسراف في الانفاق والظاهر انه حال اعتدال بين البخل والاسراف فانظر فيه بعين الانصاف ولا تدخل في حد الاعتساف هذا ولم يظهر وجه عدول المصنف عن النشر المرتب الى خلافه فيما ارتكب (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوازى) بصيغة المفعول مهموزا ومسهلا من آزيته وازيتهم وازيته اي لا يقادم ولا يقابل ولا يماثل به احد (في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى) بصيغة المجهول وهو بالباء الموحدة والرآء اي لا يعارض في هذه الشمائل الحميدة والفضائل العديدة وغيرها من الاحوال السعيدة كما اشار الى هذه الزبدة صاحب البردة بقوله

فاق النبيين في خلق وفي خلق ✳ ولم يدانوه في علم ولا كرم

(بهذا) اي بما ذكر وامثاله (وصفه) اي نعته (كل من عرفه) اي معرفة مشاهدة ومعاينة او معرفة شهرة ومطالعة سيرة كما يدل عليه الحديث الذي رواه باسناده عن البخاري وقد رواه ايضا غيره (حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي) بفتحتين وهو الحافظ ابن سكرة (حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي) بالموحدة والجيم (حدثنا ابو ذر الهروي حدثنا ابو الهيثم) بفتح هاء وسكون تحتية فمثلثة (الكشميهني) بضم فسكون شين معجمة وفتح ميم وتكسر وسكون ياء ففتح هاء (وابو محمد) واسمه عبد الله بن احمد بن حمويه (السرخسي) بفتح رآء وسكون خاء وقيل بالعكس وضبطه التلمساني بكسر السين الاولى والمشهور هو الفتح (وابو اسحق البلخي) وهو المشهور بالمستملي (قالوا) اي المشايخ الثلاثة

(حدثنا ابو عبد الله الفربري) بكسر فاء وفتح رآء وسكون موحدة وقال المصنف يجوز فتح الرآء وكسرها قال الحازمي والفتح افصح قيل ولم يذكر ابن ماكولا غيره (حدثنا البخاري) اي امام المحدثين (حدثنا محمد بن كثير) بالثاء المثلثة العبدي البصري (حدثنا سفيان) المراد به الثوري ههنا ثم رواه ابن عيينة (عن ابن المنكدر) عن جابر لكن انفرد به مسلم عن ابن المنكدر تابعي جليل (سمعت جابر بن عبد الله) اي الانصاري رضي الله تعالى عنهما (يقول) اي كما رواه البخاري في الادب عنه ومسلم في فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم والترمذي في شمائله (ما سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ) اي عن شيء كما في اصل التلمساني والمراد شيأ من باب اعطاء (فقال لا) اي لا اعطي والمعنى ما سأله احد من متاع الدنيا شيأ فمنعه بل كان يعطي او يعده بالعطاء لقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا فلا ينافيه قوله تعالى حكاية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قلت لا اجد ما احملكم عليه اي الآن وارجو في مستقبل الزمان وروى في كتاب اخبار الخلفاء في اخبار الظرفاء عن انس رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال لا تزال مفاتيح الرزق مقرونة بباب العرش ينزل الله تعالى ارزاق العباد على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر عليه ومن قلل قلل له انتهى ويؤيده قوله تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وحديث اللهم أعط منفقا خلفا وممسكا تلفا هذا وقد قال بعض ارباب الكمال

ما قال لا قط الا في تشهده ✳ ولا نعم قط الا جاءت النعم

وقال آخر

فلو لم يكن في كفه غير نفسه ✳ لجاد بها فليتق الله سائله

(وعن انس وسهل بن سعد) هو الساعدي الانصاري (مثله) اي نحوه في المبنى والمعنى (وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما روى عنه الشيخان (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اجود الناس بالخير) اي بكل ما ينفعهم في دنياهم واخراهم وقد سقط لفظ بالخير من اصل الدلجي فقدر بكل ما ينفع وقرر انه حذف لتعميم او لفوات احصائه كثرة (واجود ما كان) بالنصب عطفا على قبله وما مصدرية اي وكان اجودا كوانه باعتبار اختلاف زمانه حاصلا (في شهر رمضان) ثم وحال سد مسد الخبر وهذا لانه منبع النعم ومعدن الخير والكرم وفيه يسبغ الله نعمه على عباده فتخلق باخلاق الله في اهل بلاده وقال النووي يجوز في اجود الرفع والنصب والرفع اصح واشهر وفيه نظر اذ جاء في الصحيح خلافه بالتصريح وكان اجود ما يكون ثم وجه الرفع انه مبتدأ وفي شهر رمضان خبر واما القول بضمير الشان في كان فلا محوج اليه ولا معول عليه (وكان اذا لقيه جبريل اجود بالخير) اي بجميع انواعه (من الريح المرسلة) بصيغة المجهول اي في عموم المنفعة والسرعة على ان الريح قد تكون خالية من المطر وقد تكون جالبة للضرر وقيل المراد بالريح الصبا قال النووي وفيه الحث على الجود والزيادة في رمضان وعند لقاء الصالحين وعلى مجالسة اهل الفضل وزيارتهم وتكريرها ما لم يورث المزور كراهة ذلك واستحباب كثرة التلاوة سيما في رمضان ومدارسة القرآن وغيره من العلوم الشرعية وان القرآءة افضل من التسبيح والاذكار (وعن انس رضي الله تعالى عنه) على ما رواه مسلم (ان رجلا) وهو صفوان بن امية الجمحي القرشي اسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا والطائف وهو مشرك فلما اعطاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما افاء الله عليه واكثر قال اشهد بالله ما طابت بهذا الانفس نبي فاسلم يومئذ اخرج له مسلم والاربعة واحمد في مسنده ومات بمكة في خلافة معاوية (سأله) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ من العطاء (فاعطاه غنما) اي قطيعة غنم والمراد غنما كثيرا ملأ واديا (بين جبلين) لسعة جوده وسماحة نفسه والظاهر انه كان بعد اسلامه او صار سببا لاسلامه لقوله (فرجع الى بلده) ويروى الى قومه (وقال اسلموا) فان اعطاءه من بين اخلاقه كالمعجزة (فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة) اي حاجة ابدا لكرم نفسه وشرف طبعه وتوكله على رزق ربه (واعطى غير واحد) اي كثيرا من المؤلفة (مائة من الابل) كابي سفيان بن حرب وابنيه معوية ويزيد ومع مائة كل واحد منهم اربعين اوقية وكحكيم بن حزام والحارث بن هشام وغيرهم (واعطى) كما رواه مسلم (صفوان) اي ابن امية (مائة) من الابل (ثم مائة ثم مائة) اي في وقت واحد او في ازمنة متعددة (وهذه) اي الخصال الممدوحة (كانت حاله) وفي نسخة خلقه (صلى الله تعالى عليه وسلم) ايضا (قبل ان يبعث) لما خلقت هذه الشمائل وطبعت هذه الفضائل في اصل فطرته ومادة خلقته قبل بعثته بل قبل حصول ولادته كما ورد كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد (وقد قال له ورقة) بتحريك الواو والرآء فالقاف (ابن نوفل) وهو ابن عم خديجة رضي الله عنها وكان تنصر واختلف في اسلامه (انك تحمل الكل) بفتح الكاف وتشديد اللام اي الثقيل من العيال واليتيم ومن لا قدرة له من ضعيف الحال اي فيما بين قومه وفي التنزيل وهو كل على مولاه اي ثقيل في المؤونة ضعيف

فى الصنعة (وتكسب) بفتح اوله وبضم وتكسر السين (المعدوم) بالواو فى النسخ المعتبرة الحاضرة قال النووى فتح التاء هو الصحيح المشهور وروى بضمها وقال الدلجى وتكسب هنا بضم اوله والمعدم بدون واو اى المحتاج تفيده المعارف والمال وتعينه على تحصيلهما والذى رواه مسلم والبخارى انه من قول خديجة رضى الله تعالى عنها بزيادة اللام فى خبران والواو فى مفعول تكسب انتهى ولا منع من الجمع كما لا يخفى وقال ابن قرقول فتح اوله اكثر الروايات واصحها ومعناه تكسبه لنفسك وقيل تكسبه غيرك وتعطيه اياه يقال كسبت مالا وكسبته غيرى لازم ومتعد وروى بضم اوله والمعنى تكسب غيرك المال المعدوم اى تعطيه واختاره النووى وقيل تعطى الناس مالا يجدونه عند غيرك من مكارم الاخلاق وانكر الفرآء وغيره اكسب فى المتعدى وصوبه ابن الاعرابى وانشد فاكسبنى مالا واكسبته حمدا ثم المراد من المعدوم هو العاجز عن الكسب او الرجل المحتاج وسمى معدوما لكونه كالمعدوم الميت حيث لم يتصرف كغيره ومن يجوز ضم التاء يقول صوابه المعدم بضم ميم وكسر دال (وردّ على هوازن) وهى قبيلة معروفة (سباياها) اى اسراها (وكانت) وفى نسخة صحيحة وكانوا (ستة الاف) اى من النساء والذرية وردّ عليهم ايضا من الاموال اربعة وعشرون الفا من الابل واكثر من اربعين الفا من الغنم واربعة آلاف اوقية من فضة والاوقية اربعون درهما قيل وقوم ذلك فبلغ خمسمائة الف الف ومن جملة جوده اعطاؤه مال جزية البحرين فى يومه وكان مقداره مائة الف وثمانين الف درهم بعثه اليه عامله العلاء بن الحضرمى (واعطى العباس) على ما رواه البخارى عن انس تعليقا انه اعطاه (من الذهب ما لم يطق حمله) من الاطاقة اى شيأ لم يقدر على حمله وحده مع قوة تحمله (وحمل اليه) بصيغة المجهول اى اتى اليه (تسعون الف درهم) على ما رواه ابو الحسن ابن الضحاك فى شمائله عن الحسن مرسلا (فوضعت) بصيغة المجهول اى فسكبت ونشرت (على حصير) اى خصفة (ثم قام اليها يقسمها) حال وفى نسخة فقسمها (فما رد سائلا) اى ممن جاءه وحضر عنده (حتى فرغ منها) اى من قسمتها وهو غاية لقوله قام او يقسمها وابعد الدلجى فى جعله غاية لعدم رده سائلا اذ مفهومه انه حينئذ رد سائله وقد سبق انه لم يكن قائلا لا لمن يكون سائلا نوالا كما يدل عليه قوله (وجاءه رجل) كما رواه الترمذى فى شمائله انه جاءه رجل قال الحلبى هذا الرجل لا اعرفه (فسأله) اى شيأ معينا او مقدارا مبينا (فقال ما عندى شئ) اى مما عينت او على قدر ما بينت (ولكن ابتع علىّ) امر من الابتياع بباء موحدة ثم مثناة فوقية اى اشتر واستلف مقدار ما تختار حوالة علىّ فالمفعول محذوف وقال التلمسانى اى اعدد علىّ او احسب هكذا ثبت الحديث بتقديم الباء على التاء انتهى وجوز الدلجى تقديم المثناة الفوقية على الباء الموحدة وليست عندنا فى النسخ المعتمدة (فاذا جاءنا) اى من عند الله (شئ) اى مما اولاه (قضيناه) اى حكمنا به لك او اديناه عنك (فقال له عمر) اى بناء على نظر الرحمة اليه (ما كلفك الله ما لا تقدر عليه) اى من تحمل الدين بمقتضى الوعد لما ورد من ان العدة دين والدين شين (فكره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك) بناء على جبر خاطر السائل وما يعتريه من خيبة الامل ولما سبق فى الآية من انه مامور بالعدة (فقال) له (رجل من الانصار) قيل هو بلال لكنه من المهاجرين وقد يجمع بانهما قالاه والامام الغزالى مال الى جعل القائل نفس السائل حيث قال فى الاحياء فقال الرجل (يا رسول الله انفق) اى بلالا (ولا تخش) اى لا تخف كما فى نسخة (من ذى العرش اقلالا) اى تقليلا فان الملك كله ملك لصاحب العرش سبحانه وتعالى تعظيما وتبجيلا (فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى انشراحا بمن تكلم (وعرف البشر) بصيغة المجهول اى وظهرت البشاشة والطلاقة وآثار السرور وظهور النور (فى وجهه) اى بتهلله واشراق خده ولله در القائل

تراه اذا ما جئته متهللا * كانك تعطيه الذى انت سائله

(وقال بهذا امرت) اى بهذا الكرم امرنى ربى قبل ذلك او جاءنى جبريل على وفق ما هنالك (ذكره الترمذى) اى فى شمائله وذكر ابن قتيبة فى كتاب مشكل الحديث ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بلالا بتمر فجعل يجئ به قبصا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انفق بلالا ولا تخش من ذى العرش اقلالا فالقبص بالصاد الاخذ باطراف الاصابع وبالضاد المعجمة بالكف كلها (وذكر) بصيغة المفعول وفى نسخة على بناء الفاعل اى وذكر الترمذى فى شمائله ايضا (عن معوّذ) بكسر الواو المشددة وتفتح والذال المعجمة وقيل مهملة (ابن عفرآء) بفتح عين وسكون فاء فرآء ممدود اسم امه وهى من المبايعات تحت الشجرة واما اسم ابيه فالحارث بن رفاعة بن سواد بفتح السين النجارى الانصارى (قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم بقناع) بكسر قاف وفتح نون (من رطب) وفى اصل الدلجى بالاضافة من غير من (يريد) اى يعنى الراوى بقوله قناع (طبقا) بفتحتين اى وعاء مما يؤكل عليه واما قول الحجازى صوابه بالمثناة الفوقية فى الموضعين على تصحيح الرواية عن الربيع ففيه ان الربيع غير مذكور فى المتن بل معوذ لا غير ولا

يجوز تغيير التصنيف فالصواب بالياء التحتانية على انه يرجع الى معوذ او الى الراوى بالمعنى الاعم والله تعالى اعلم (واجر) بفتح همز وسكون جيم وكسر رآء منونة جمع جرو مثلث الجيم والكسر اشهر اى قثاء صغار (زغب) بضم زاى وسكون غين معجمة جمع ازغب اى ذوات زغب اى صغار الريش اول ما يطلع شبه به ما على القثاء من الزغب وضبط فى حاشية بفتح الزاى والغين المعجمة ويعنى بها الشعرات الصفر على ريش الفرخ والفراخ زغب بضم فسكون على ما ذكره الجوهرى وهذا وصف منه للقثاء باللطافة والغضاضة اذ القثاء اللطاف لا تخلو عن شئ يكون عليها شبه الزغب (يريد) اى يعنى باجر زغب (قثاء) اى موصوفا بما ذكر وهو بكسر القاف ويضم ممدودا (فاعطانى) اى لاجل بدله او مما كان عنده فى نظيره (ملئ كفه) وفى رواية ملئ يديه وفى رواية ملئ يدى وفى اخرى كفى (حليا) بفتح فسكون وجمعه حلى ووزنه فعول كضرب وضروب ثم دخله الابدال والادغام وكسرت اللام لتصح الياء وكسر الحاء ايضا حمزة والكسائى للاتباع وفى نسخة بضم فكسر فتشديد تحتية (وذهبا) تخصيص بعد تعميم اذ الحلى ما يصاغ ولو من الفضة وغيرها قال الدلجى كذا هنا من رواية معوذ بن عفرآء والذى فى مسند احمد وشمائل الترمذى بسند جيد عن ابنة الربيع مصغر ربيع قالت بعثنى معوذ بن عفرآء بقناع من رطب وعليه اجر زغب من قثاء وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب القثاء فاتيت بها وعنده حلية قدمت عليه من البحرين فملأ يده فاعطانى وللترمذى فاتيته بقناع من رطب واجر زغب فاعطانى ملئ كفيه حليا او ذهبا وابوها معوذ قتل يوم بدر ولم يعرف له رواية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال انس رضى الله عنه) اى فيما رواه الترمذى (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يدخر) بدال مهملة مبدلة من معجمة اذ اصله لا يذتخر (شيأ لغد) اى لا يؤخر لمستقبله من الزمان شيأ من مأكول ومشروب لسماحة نفسه وسخاوة كفه وثقته بربه او المعنى لا يدخر لخاصة نفسه لقوة حاله فلا ينافيه انه كان يدخر قوت سنة لعياله (والخبر) اى الاخبار الواردة المؤذنة (بجوده وكرمه) اى بناء على اثر نور وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم (كثير) اى فلا يمكن احصاؤه ولا يتصور استقصاؤه (وعن ابى هريرة رضى الله عنه) لا يعرف من رواه عنه (اتى رجل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسأله) اى شيأ من العطاء (فاستلف) اى فاستسلف له كما فى نسخة والمعنى اخذ السلف واستقرض من رجل لاجله (نصف وسق) وهو بفتح الواو ويكسر وسكون السين ستون صاعا والنصف مثلث النون والكسر اشهر (فجاء الرجل) اى رب الدين (يتقاضاه) اى يطالبه بوفائه (فاعطاه وسقا) اى بكماله (وقال نصفه قضاء) اى وفاء (ونصفه نائل) اى عطاء ثم اعلم ان فى بعض النسخ هنا زيادة لا تخلو عن افادة وهى قوله وقال ابو على الدقاق من شيوخ الصوفية المشاهير وعلمائهم النحارير وتكلم فى الفتوة وهى غاية الكرم والايثار على رأيهم واصطلاحهم فى الفاظهم ان هذا الخلق لا يكون الا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان كل واحد فى القيامة يقول نفسى نفسى وهو يقول امتى امتى انتهى قال ابن مرزوق هذه الرواية ثبتت فى رواياتنا فى هذا الموضع من الشفاء وقال التلمسانى وقد ثبتت هذه الزيادة ايضا ملحقة بخط العراقى فى الطرة ثم قال نقل هذا من خط المؤلف رحمه الله انتهى وقال برهان الدين الحلبى هذا فى بعض النسخ ثابت وابو على المذكور هو الحسن بن على بن محمد بن اسحق بن عبد الرحيم بن احمد الاستاذ شيخ الاستاذ ابى القاسم القشيرى تعقب على الحصرى واعاد على القفال المروزى فى درس الحصرى ثم سلك طريق التصوف حتى صار انسان وقته وسيد عصره توفى فى ذى الحجة سنة خمس واربعمائة قال فيما رويه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من اكرم غنيا لغناه ذهب ثلثا دينه وذكر فيه حكمة ذكرها السبكى فى الطبقات (فصل) (واما الشجاعة) بفتح اولها معروفة (والنجدة) بفتح نون فسكون جيم فدال مهملة بمعنى الشجاعة على مقالة الجوهرى وقيل الاغاثة والاعانة وفرق المصنف بينهما بقوله (فالشجاعة فضيلة قوة الغضب) اى زيادتها (وانقيادها) اى مطاوعة تلك القوة ومتابعتها (للعقل) اى لتقع على ما ينبغى من النعوت الآدمية وهو احتراز عن الصفة السبعية البهيمية ولابد من قيد انقيادها للشرع لتكون من الاوصاف البهية (والنجدة ثقة النفس) اى وثوقها بربها واعتمادها على خالقها (عند استرسالها) اى اشرافها وطلبك ارسالها (الى الموت) اى حال تثبتها من ابتدائها الى زمان انتهائها باختياره الى حد فنائه وزوال بقائه (حيث يحمد فعلها) اى عقلا ونقلا (دون خوف) اى من غير خوف لها يمنعها عما هى بصدده من كمالها والحاصل ان النجدة قوة تنشأ عن الشجاعة لانها غيرها فى اصلها (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم منهما) اى من الشجاعة والنجدة وروى منها فالضمير لكل منهما (بالمكان) اى بالمحل (الذى لا يجهل) وبيانه قوله (قد حضر المواقف الصعبة) بفتح فسكون اى الشديدة كبدر واحد وحنين وغيرها (وفر) اى هرب (الكماة) بضم كاف وتخفيف ميم جمع كمى بفتح فكسر فتشديد اى شجاع مكمى فى سلاحه اذ قد كمى نفسه وسترها بدرعه وبيضته كانه جمع كامى كقاض وقضاة (والابطال) بفتح الهمزة جمع بطل بفتحتين وهو الشجاع والمغايرة بينهما من حيث الستر وعدمه او الثانى

ابلغ والمعنى ولوامدبرين (عنه) اى عن مساعدته صلى الله تعالى عليه وسلم (غيرمرة) اى مرات كثيرة وان كان قصد
بعضهم الكرة بعد الفرة (وهو ثابت) اى بقلبه وقدمه (لايبرح) بفتح الباء والراء اى لايزول عن مكانه (ومقبل)
على شانئه وشأنه بكمال الاقبال (لايدبر) اى لاينوى الادبار ولا التحول والانتقال (ولايتزحزح) اى ولايتبعد
عن مواجهة الكفار والجمل المنفية احوال مؤكدة لماقبلها والمعنى انهم فروا عنه حال ثباته واقباله على اعدآئه
(وماشجاع) بتثليث اوله والضم اشهر اى ماوجد احد شجيع من شجعان العرب والعجم (الاوقداحصيت له فرة) على
صيغة المجهول اى ضبطت له ولومرة واحدة من الفرار والهزيمة (وحفظت عنه جولة) بفتح جيم وسكون واو اى تردد
ونفرة (سواه) اى غيره صلى الله عليه وسلم وعدم الفرار لكماله فى مقام الوقار والقرار (حدثنا ابوعلى الجيانى) بفتح
الجاء المهملة وتشديد التحتية وفى آخره نون ثم ياء النسبة وهو الحافظ الغسانى وقيل بكسر الجيم والظاهرانه تصحيف
(فيماكتب لى) اى من هذا الحديث ونحوه مقرونا بالاجازة له مع امكان السماع منه (حدثنا القاضى سراج) بكسر سين
مهملة وتخفيف رآء بعدها الف جيم (حدثنا ابو محمد الاصيلى) بفتح فكسر صاد مهملة ويقال بالزاى ايضا نسبة
الى بلد بالمغرب (حدثنا ابوزيد الفقيه) وهو المروزى (حدثنا محمد بن يوسف) اى الفربرى (حدثنا محمد بن اسماعيل)
اى الامام البخارى (حدثنا ابن بشار) بموحدة فشين معجمة مشدد العبدى مولاهم قال ابوداود وكتبت عنه خمسين
الف حديث (حدثنا غندر) بضم غين معجمة فنون ساكنة فدال مهملة مفتوحة وقد تضم فرآء هذلى بصرى وهو
منصرف (حدثنا شعبة) اى ابن الحجاج امير المؤمنين فى الحديث (عن ابى اسحق) اى السبيعى الهمدانى الكوفى
تابعى جليل روى عنه السفيانان وابو بكر بن عياش وخلائق وله نحو ثلاثمائة شيخ وهو يشبه الزهرى فى كثرة الرواية
وقد غزا عشر مرات وكان صواما قواما (سمع البرآء) بفتح الموحدة وتخفيف الرآء وهو ابن عازب رضى الله عنهما (سأله
رجل) لايعرف (افررتم يوم حنين) وهو واد بين مكة والطائف وتصحف حنين على التلمسانى بخيبر ولذا قال وكانت
غزوة حنين فى السابعة من الهجرة وقدم جعفر بن ابى طالب ومن معه من الحبشة حينئذ وقد وقع فى صحيح البخارى فى
غزوة الفتح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان الى حنين وقد تقدم
انها كانت فى شوال وهو المعروف ولعل المراد الفتح لان الفتح تعقبه حنين والمعنى افررتم يوم حنين معرضين (عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) اى نعم كما فى نسخة ولعله حذف استهجانا للتصريح به ثم استدرك بقوله (لكن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر) بتشديد الرآء المفتوحة ويجوز كسرها الكسر ماقبلها وقال التلمسانى انما لم
يجبه ببلى اونعم لان موجب لاقد وقع ولم يكن قصدا بل رشقتهم هوازن بنبلها اذا صباح وقد تفرقوا الحوائجهم ولم يعلموا
ان للعدو كمينا فكان جولة وليس هزيمة وقد وقع ذلك من الطلقاء لان منهم من لم يكن صادق الاسلام يومئذ انتهى
ثم فى هذا الاستدراك دفع توهم فراره صلى الله تعالى عليه وسلم بعد فرارهم عنه ولا والله مافرقط بل الاجماع قاض
بتحريم اعتقاد فراره وهذا الحديث اخرجه البخارى فى الجهاد ومسلم فى المغازى والنسائى فى السير وهو كما فى
الاصل بناء على مافى بعض الطرق وفى بعضها افررتم يوم حنين ولم يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذه
الرواية قال النووى مانصه هذا الجواب الذى اجاب به البرآء من بديع الادب لان تقدير الكلام افررتم كلكم فيقتضى
انه عليه الصلاة والسلام وافقهم فى ذلك قال البرآء لا والله مافر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن جماعة من اصحابه
جرى لهم كذا وكذا (ثم قال) اى البرآء (لقد رأيته على بغلته البيضاء) كذا فى الصحيحين وفى مسلم انها التى اهداها له
فروة بن نفاثة قال بعض الحفاظ واسمها فضة وفى رواية على بغلته الشهباء وكلتاهما واحدة وقال بعضهم هى التى تسمى
الدلدل وكذا سماها النووى فى شرح مسلم فى غزوة حنين وقال قال العلماء لايعرف له صلى الله عليه وسلم بغلة سواها
انتهى وذكر الحلبى ان فروة بن نفاثة اهدى فضة والمقوقس اهدى الدلدل وقيل كان له صلى الله تعالى عليه وسلم ست
بغلات وقيل سبع (وابو سفيان) اى ابن عمه الحارث بن عبد المطلب وكان رضيعه صلى الله عليه وسلم ارضعتهما حليمة
وآلف الناس به قبل النبوة ثم كان ابعدهم عنه بعدها ثم اسلم يوم الفتح بالابوآء موضع بطريق مكة ومات سنة عشرين
بالمدينة (آخذ بلجامها) زاد البرقانى والعباس رضى الله عنه آخذان بلجامها يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو
شفقة منهما عليه بمقتضى البشرية وان علما من جهة عصمته النبوية وسيأتى رواية اخرى فى هذا المعنى مع اختلاف
فى المبنى وفى ركوب البغلة حال الغزوة ايماء الى كمال تحقق النجدة وزوال تصور الجولة وكيف لا وهو يقول اللهم بك
اصول وبك اجول (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) والجملة حالية واما قول الدلجى وضع فيها مبتدأها موضع
المضمر اى وهو يقول فغفلة منه عن المنقول اذ لواتى بالضمير لتوهم رجعه الى اقرب المذكور وهو ابو سفيان المسطور
(انا النبى لا كذب) بسكون الباء للوزن اوالسجع وهو الرواية على ماذكره المازرى وضبط فى بعض النسخ بفتح الباء

على اصله فى البناء وقد ورد على زنة منهوك الرجز وهو ليس بشعر عند بعضهم وان كان مقصودا لانه لايسمى الكلام شعرا
مالم يقصد بوزنه الشعر ومنه ماجاء فى التنزيل ثم اقررتم وانتم تشهدون ثم انتم هؤلاء تقتلون وامثال ذلك واما قول
الدلجى من رواه بفتح الباء ليخرج عن الوزن فقد نسب افصح الخلق الى النطق بغير فصيح فغير صحيح لان فتح الباء
كما عرفت هو الاعراب الصحيح فلا يعدل عنه الا وقفا سوآء اريد به نظم او سجع والمعنى انا النبى صدقا لا فرار اذا لقيت
العدو حقا وروى بلا كذب بزيادة الباء ولعله حينئذ يخفف ياء النبى والمعنى لا كذب فى النبوة لظهور المعجزة
اولا كذب فى النصرة اولا كذب فى النبوة لانها حق وما وعده ربه صدق (وزاد غيره) اى غير البرآء (انا ابن عبد المطلب)
وهو بسكون الباء مع انها فى اصل الاعراب بالجر ومن قرأ بالكسر اراد اخراجه من وزن الشعر كما تقدم ثم انتسابه
لجده لاشتهاره به لموت ابيه قبل ولادته مع كثرة نسبة الناس اياه اليه ولا ينافى هذا نهيه عن الافتخار بالاباء الكفار
اذ لم يقله افتخارا بل اظهارا واشتهارا واعلاما بانه ماولى مع من ولى وتعريفا بموضعه ليرجع اليه اهل دينه (قيل
فارؤى) بصيغة المجهول ويقال فارئى بالنقل والبدل اى ماابصر (يومئذ) اى يوم حنين (احد) كان (اشد منه)
اى اقوى قلبا واشجع قالبا منه صلى الله تعالى عليه وسلم قال البغوى بعد حديث البرآء باسناده المتصل الى مسلم
على ماسبق ورواه محمد بن اسماعيل عن عبيد الله بن موسى عن اسرآئيل عن اسحق وزاد فارؤى من الناس يومئذ
اشد منه ورواه ابو زكريا عن ابى اسحق وزاد قال كنا اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا للذى يحاذيه اى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى فوجه تعبير المصنف بقيل غير ظاهر كما لايخفى (وقال غيره) اى غير البرآء اوغير قائل
هذا القيل (نزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته) وهذا يدل على كمال نعته فى قضية شجاعته قال البغوى
فى حديثه المسند الى مسلم عن ابى اسحق قال رجل للبرآء يا ابا عمارة افررتم يوم حنين قال لا والله ماولى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ولكنه خرج شبان اصحابه واخفاؤهم وهم حسر ليس عليهم سلاح اوكثير سلاح فلقوا قوما
رماة لا يكاد يسقط لهم سهم فاقبلوا هنالك الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورسول الله على بغلته البيضاء
وابو سفيان بن الحارث يقود به فنزل واستنصر وقال انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب ثم صفهم (وذكر مسلم
عن العباس رضى الله عنه قال فلما التقى المسلمون) وهم ستة عشر الفا او اثنا عشر الفا او عشرة آلاف على اختلاف
(والكفار) وهم اربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان المسلمون يومئذ اكثر ما كانوا قط حتى قال رجل من الانصار
لن نغلب اليوم عن قلة فلم يرض الله قوله ووكلهم الى انفسهم كما اشار اليه سبحانه بقوله تعالى ولقد نصركم الله فى مواطن
كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين فاقتتلوا
قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذرارى ثم نادوا ياحماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف
المسلمون وهذا معنى قوله (ولى المسلمون) اى رجعوا وانهزموا (مدبرين) حال مؤكدة منهم قال الكلبى كان حول
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس مدبرين وقال آخرون لم يبق مع النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم غير العباس وابى سفيان وايمن ابن ام ايمن فقتل يومئذ بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
(فطفق) بكسر الفاء وبفتح اى جعل (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار) اى يحركها
ويدفعها الى صوبهم واصل الركض تحريك الرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك (وانا آخذ بلجامها) جملة حالية
(اكفها) حال اخرى او استئناف بيان (ارادة ان لا تسرع) بنصب الارادة على العلة للجملة السابقة اى امنعها من
اجل ان لاتعجل الى جهة العدو وهو من الاسراع (وابو سفيان آخذ بركابه) وفى رواية بعكس القضيتين وتقدم انهما
كانا آخذين بلجامها فالجمع بانه كان الاخذ بالمناوبة مرة وبالجمع كرة (ثم نادى) ابو سفيان او النبى صلى الله عليه وسلم
او العباس على الالتفات (باللمسلمين) بفتح اللام الاولى اى اقبلوا (الحديث) بالنصب على الاصح اى انظر الحديث
او طالعه بكماله قال البغوى فى حديثه المسند الى مسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى عباس ناد اصحاب
السمرة فقال العباس رضى الله عنه وكان رجلا صيتا فقلت باعلى صوتى اين اصحاب السمرة قال فوالله لكان
عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقرة على اولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار ثم اخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن فى وجوههم ثم قال انهزموا ورب محمد قال فوالله ماهو الا ان رماهم بحصياته
فما زلت ارى احدهم كليلا وامرهم مدبرا وقال سلمة بن الاكوع غزونا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا
قال فلما غشوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل وجوههم
فقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين وقال سعيد بن جبير امد الله
نبيه بخمسة آلاف من الملائكة مسومين كما قال تعالى وانزل جنودا لم تروها (وقيل) اى روى كما فى حديث ابن ابى هالة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله) جملة حالية معترضة بين الشرط وجوابه وهو قوله (لم يقم لغضبه شئ) اى ما يدفعه عنه ويمنعه منه كما قال على كرم الله وجهه كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرف احدا ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له (وقال ابن عمر) كما رواه الدارمى (ما رأيت اشجع ولا انجد) من النجدة وقد عرفت الفرق بينها وبين ما قبلها ولا يبعد ان المراد بالجمع بينهما المبالغة فى وصف زيادة الشجاعة (ولا اجود) اى لا اسخى (ولا ارضى) اى باليسير فهو من باب القناعة او ولا اسرع رضى من الرجوع عن الغضب فهو من قبيل حسن الخلق وجميل العشرة قيل ولا ادوم رضى (من رسول الله صلى الله عليه وسلم) وضبط الدلجى ولا احوذ بمهملة ومعجمة من حوذ يحوذ اى اجمع وهو مما استعمل بلا اعلال اى ما رأيت احوذيا اجمع لاموره لا يشذ عليه منها شئ متمكنا منها احسن السياق لها منه صلى الله عليه وسلم ومثله حديث عائشة رضى الله تعالى عنها نصف عمر كان والله احوذيا نسيج وحده اى متمكنا فى اموره حسن السياق لها انتهى والظاهر انه تصحيف فى المبنى بل وتحريف فى المعنى لان الاحوذى ليس افعل التفضيل المناسب هنا للسياق من السباق واللحاق فقد قال صاحب القاموس الاحوذى الخفيف الحاذق والمشمر للامور القاهر لها الايشذ عليه شئ كالحويذ واحوذ ثوبه جمعه والصانع القدح اخفه انتهى وقوله احوذ وكذا استحوذ بمعنى غلب واستولى جاء على اصله من غير اعلاله واما افعل سواء كان وصفا او تفضيلا فلا يعل كاسود واجود (وقال على كرم الله وجهه) كما رواه احمد والنسائى والطبرانى والبيهقى (وانا كنا اذا احمى البأس) بهمز ويلين ومعناه ما فى قوله (ويروى اشتد البأس) واما ما وقع فى اصل الدلجى اذا حمى الوطيس فلا اصل له فى النسخ المعتبرة والاصول المعتمدة (واحمرت الحدق) بفتحتين جمع حدقة وهى ما احتوت عليه العين من سوادها وبياضها وسبب احمرارها غضب صاحبها وفى الحديث الغضب جمرة توقد فى قلب ابن آدم اما ترى الى انتفاخ اوداجه واحمرار عينيه (اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه) اى تحفظنا به واخذناه وقاية لنا من عدونا واصل اتقى اوتقى بقلب واوه ياء لكسر ما قبلها ثم تاء وادغمت (ولقد رأيتنى) اى قال على والله لقد رأيت نفسى (يوم بدر) اى وكذا غيرى لقوله (ونحن نلوذ) اى نلتجئ ونستتر (برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى الحديث اللهم بك اعوذ وبك الوذ وفى اصل الدلجى ونحن نتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم وفسره بنستتر ونحتمى الا انه ليس فى الاصول المعتمدة الحاضرة (وهو اقربنا الى العدو) اى والحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم اقرب منا الى عدونا وهو تصريح بما سبق من تلويح (وكان من اشد الناس يومئذ) اى وقت البأس وشدة الحرب او يوم حنين (بأسا) اى قوة قلب فى شدة حرب واذا كان حاله هذا فى مثل هذا الوقت ففى سائر الاوقات بالاولى فلا يحتاج الى قول الدلجى بل اشدهم مطلقا كما لا يخفى وما احسن من قال من ارباب الحال

له وجه الهلال لنصف شهر ❊ واجفان مكحلة بسحر

فعند الابتسام كليل بدر ❊ وعند الانتقام كيوم بدر

(وقيل كان الشجاع) اى منا (هو الذى يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دنا العدو) اى قاربوا (لقربه منه) اى لقرب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من العدو (وعن انس رضى الله عنه) كما فى حديث الشيخين (كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس) اى صورة وسيرة وصوتا وفصاحة وملاحة (واجود الناس) اى سخاوة وكرامة (واشجع الناس) اى قلبا وثباتا (لقد فزع) بكسر الزاى (اهل المدينة ليلة) اى خافوا تبييت العدو ولما سمعوا صوتا اجنبيا فى ناحية من نواحى المدينة ولا حاجة الى قول الدلجى من ان الفزع هو فى الاصل الخوف ثم استعير ههنا للنصر والاستغاثة (فانطلق ناس) اى ذهب جمع من اهل المدينة (قبل الصوت) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة اى الى جانبه ونحوه ليتحققوا ما به (فتلقاهم) اى المنطلقين (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) حال كونه (راجعا قد سبقهم الى الصوت) اى منفردا (واستبرأ) ويروى وقد استبرأ (الخبر) اى تعرف حقيقة الاثر وكشف الامر وعرف عدم سبب الضرر وقال التلمسانى استبرأ استقصى بهمز ويسهل وفيه نظر اذ لا يجوز تسهيل الهمز المتحرك المتطرف الا وقفا والاظهر من استبرأ اى بحث عن ذلك واستنقى ما ينقى هنالك (على فرس) اى حال كونه راكبا على فرس كان (لابى طلحة) وهو احد اصحابه (عرى) بضم فسكون اى لا سرج عليها للاستعجال فى ركوبها والفرس هذا اسمه مندوب كما فى الصحيح (والسيف فى عنقه) اى متقلد به (وهو يقول) اى للمقبلين او لاهل المدينة اجمعين (لن تراعوا) بضم التاء والعين اى لا تخافوا مكروها يصيبكم (وقال) اى كما رواه ابو الشيخ فى الاخلاق (عمران بن الحصين) وفى نسخة صحيحة حصين الخزاعى وقد كانت الملائكة تصافحه وتسلم عليه حتى اكتوى وقيل كان يراهم (ما لقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة) بفتح كاف وكسر فوقية اى جماعة عظيمة من الجيش (الا كان اول من يضرب) اى يقبل

على ضربهم ويتوجه الى حربهم ولا ينافى هذا ما سبق من انه عليه الصلاة والسلام ما ضرب بيده شيأ قط لا امرأة ولا خادما ولا غيرهما لانه ما من عام الا وخص فالمراد به ما عدا الكفار (ولما رآه ابى بن خلف) على ما رواه ابن سعد والبيهقى وعبد الرزاق مرسلا والواقدى موصولا (يوم احد وهو) اى ابى (يقول اين محمد) سؤال عن مكانه (لا نجوت ان نجا) دعاء على نفسه فاجابه الله فاهلكه ونجى حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ورد البلاء موكل بالمنطق (وقد كان) اى ابى (يقول للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قبل ذلك (حين افتدى) اى فك نفسه باعطائه الفدية عنها (يوم بدر) متعلق بافتدى وظرف لمقوله وهو (عندى فرس) اى عظيمة اسمها العود على ما فى رواية (اعلفها) بفتح همز وكسر لام اى اطعمها من العلف واصل الفرس للانثى وقد يطلق على الذكر (كل يوم فرقا) بفتح الفاء والراء ويسكن كيلا يسع ثلاثة آصع (من ذرة) بضم ذال معجمة وتخفيف راء نوع من الحبوب مختص بالدواب وفى النهاية لابن الاثير ان الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة عشر رطلا وهى اثنا عشر مدا او ثلاثة آصع عند اهل الحجاز واما الفرق بالسكون فمائة وعشرون رطلا (اقتلك عليها) اى اريد ان اقتلك حال كونى عليها (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انا اقتلك) اى عليها او على غيرها (ان شاء الله) وقد نال هواه بصدق متمناه والاستثناء امتثال لقوله سبحانه وتعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وهذه جمل معترضة بين لما والدال على جوابها من افادة صدورها فى بدر وقبل رؤيته له فى احد (فلما رآه) اى ابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم احد شد ابى على فرسه) جواب لما الثانية دال على جواب الاولى كقوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به بعد قوله ولما جاءهم كتاب الآية والمعنى هنا حمل ابى مستعليا عليها بقوة هكائنة (على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعترضه) اى حال بين ابى وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم (رجال من المسلمين) اى يصدونه عنه ويدفعونه منه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لاصحابه (هكذا) اى مشيرا الى جانب ابى (اى خلوا طريقه) اى ابى فان جوابه على والمعنى تنحوا عنه ولا تحولوا بينى وبينه (وتناول الحربة) اى اخذها (من الحارث بن الصمة) بكسر الصاد وتشديد الميم فتاه ابو عمرو بن عتيك الخزرجى الانصارى ابو سعد آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينه وبين صهيب وكسر بالروحاء فى غزوة بدر فرده عليه السلام ثم ضرب له باجره وسهمه وثبت معه عليه الصلاة والسلام يوم احد هذا وقال ابن الاثير فى النهاية ان كعب بن مالك ناوله الحربة ولا منع من الجمع (فانتفض بها) اى حرك الحربة (انتفاضة) اى تحريكا شديدا او هزا شديدا (تطايروا) من الطيران اى تنحوا وتبعدوا (عنه) اى تفرقوا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او عن ابى والمتفرقون اما المسلمون واقتصر عليه الانطاكى واما المشركون وهو ابلغ وانسب بقوله (تطاير الشعراء) بفتح المعجمة وسكون المهملة وبالمد جمعه شعر بضم فسكون اى كتطاير ذباب احمر او ازرق يقع على الحيوان فيؤذيه اذى شديدا وفى رواية تطاير الشعارير قال صاحب النهاية وفى الحديث تطاير الشعر بضم الشين وسكون العين وهو جمع الشعراء ويروى الشعارير وقياس واحده شعرور انتهى قال التلمسانى قوله الشعر كهذا بخط القاضى فى الاصل وفى تصحيح ابى العباس العرفى الشعراء (عن ظهر البعير اذا انتفض) اى تحرك البعير تحركا شديدا (ثم استقبله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى توجه الى ابى حتى وصله (فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ) بفتح فوقية وهمزة ساكنة بين دالين مهملتين ثم همزة مفتوحة قيل واصل الهمزتين هاآن وقيل يبدلان اى تدحرج وقيل تمايل وفى اصل الدلجى تردى اى سقط (منها) اى من اجل ضربة تلك الحربة (عن فرسه مرارا) لما غشيه من مرارة الالم وحرارة الهم (وقيل بل كسر) اى النبى صلى الله عليه وسلم بقوة ضربه (ضلعا) بكسر معجمة ففتح لام وتسكن اى واحدا (من اضلاعه) اى عظام احد جوانبه (فرجع الى قريش يقول قتلنى محمد وهم يقولون لا بأس بك) وفى نسخة عليك (فقال لو كان ما بى) اى لو نزل مثل ما معى من الالم (بجميع الناس لقتلهم) اى صار سببا لقتلهم (اليس قد قال انا اقتلك) اى بقيد ان شاء الله تعالى (والله لو بصق على) اى لو رمى بزاقه على بدنى بقصد قتلى (لقتلنى) اى ابرارا لكلامه واظهارا لمرامه (فمات) اى ابى المسرف فى عمره للاشتغال بكفره (بسرف) بفتح مهملة وكسر راء فقاف ممنوعا ويجوز صرفه مكان على ستة اميال من مكة كان فيه زواج ميمونة زوج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى عمرة القضاء واتفق انها ماتت به بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه قبرها وبنى مسجد عليها (فى قفولهم) بضم قاف ففاء اى رجوع الكفار من احد وهو معهم وفى اصل الدلجى من رجوعه (الى مكة) ولا ينافيه ما ذكره البغوى فى تفسيره انه مات بمكة لان سرف من توابعها هذا وقد قال النسفى فى تفسيره ولم يقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده غيره انتهى وبالجملة فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشجع الناس كما يومى اليه قوله تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار مع ما ورد من اعطائه قوة ثلاثين رجلا ورجل بما يقاوم بعض الرجال انفا كبعض اصحابه من المهاجرين والانصار رضى الله تعالى عنهم اجمعين بل له من القوة الالهية التى تعجز عنها

القوى البشرية والملكية هذا وقيل الشجاعة صبر ساعة وقيل الشجاع هو الذي يميز النصرانى الذى يقصده هل هو الكحل الحدقة او ازرقها عند المقابلة وقيل هو الذي يميز كيف امسك عدوه الرمح وقيل هو الذي يأتي عدوه وهو يسير السير الرفيق الذي يسير به بين بيوت قومه ونقل عن بعض الشجعان انه اذا رأى القوم مقبلين اليه نزل عن فرسه وتوسد حتى اذا وصلوا اليه نهض نحوهم وسألوه عن حالته فى المطاعنة فقال ماضربت قط برمحى الا وانا مميز بين ان اضرب به قائم السن او منبسطا واتخير حيث اضرب وهذا نهاية الشجاعة والاقدام وقد سبق نزوله عليه الصلاة والسلام فى اثناء محاربة الاقوام وقال مهلهل فى هذا المرام لم يطيقوا ان ينزلوا فنزلنا * واخو الحرب من اطاق النزولا (فصــــــل) (واما الحياء) وهى حالة تعترى من له الحياة الكاملة وقال ابن دقيق العيد الحياء تغير وانكسار يعرض للانسان لخوف ما يعاب به او يذم عليه وقيل الحياء حالة تنشأ عن رؤية التقصير (والاغضاء) وهو لغة ارخاء الجفن الى حيث يقارب الانطباق فهو دون الاغماض وقد يتواقفان معنى ومنه قوله تعالى الا ان تغمضوا فيه ومنه قول الفرزدق فى على ابن الحسين

يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم

(فالحياء رقة تعترى وجه الانسان) اى تغشاه والمعنى تظهر من باطنه على ظاهره (عند فعل ما يتوقع) بصيغة المفعول اى عند ارادة فعل شئ يتوقع (كراهته) وفى نسخة كراهيته بزيادة ياء مخففة او مشددة (اوما) اى او عند ارادة فعل شئ (يكون تركه خيرا من فعله) والاول حياء الابرار والثانى حياء الاحرار واذا وصف به ربنا سبحانه وتعالى كما ورد فى الكتاب والسنة فالمراد به الترك اللازم للانقباض (والاغضاء التغافل) اى التجاوز (عما يكره الانسان بطبيعته) اى بسجيته لا بشريعته اذ المكروه شرعا هو الداعى الى الدين فان الدين النصيحة ولان الحياء من العلم مذموم على ما فى الرواية الصحيحة (وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس) اى اقواهم (حياء واكثرهم) بالنصب (عن العورات) متعلق بقوله (اغضاء) واخر مراعاة للسجع ونصب حياء واغضاء على التمييز وآثر الحياء بالاشدية لكونه سببا للاغضاء والسبب اقوى من مسببه لكونه منشأه وبعض اثره والعورات بسكون الواو جمع عورة وهى كل ما يجب ستره اذ الغالب عند كشفها ادراك المعرة لمن انكشفت منه فهى عورة ما دامت منكشفة ومنه ما ورد اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا (قال الله سبحانه وتعالى ان ذلكم) اى مكثكم فى بيته مستأنسين لحديث بعضكم بعضا (كان يؤذى النبى) اى وانتم ما تدركونه (فيستحيى منكم) اى من اخراجكم (الآية) اى قوله تعالى والله لا يستحيى من الحق اى من اظهاره فلا يترك بيان اسراره وكفى به شاهدا للعقلاء فى تأديب الثقلاء (حدثنا ابو محمد بن عتاب) بفتح مهملة وتشديد فوقية وقد تقدم ترجمته (رحمه الله) جملة دعائية (بقراءتى عليه) اى الحديث الآتى (ثنا) اى حدثنا (ابو القاسم حاتم بن محمد) اى التميمى المعروف بابن الطرابلسى قرأ عليه ابو على الغسانى البخارى مرات (ثنا ابو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (ثنا ابو زيد المروزى) بفتح الميم وسكون راء وفتح واو فزاى (ثنا محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا محمد بن اسماعيل) اى الامام البخارى (ثنا عبدان) بفتح مهملة وسكون موحدة فدال يقال تصدق بالف الف (ثنا عبد الله) اى ابن المبارك المروزى شيخ خراسان وقال الحلبى ابوه تركى مولى تاجر وامه خوارزمية وقبره بهيت يزار ويتبرك به (انا) اى اخبرنا (شعبة عن قتادة سمعت عبد الله) اى ابن ابى عتبة (مولى انس) اى ابن مالك (يحدث عن ابى سعيد الخدرى) كما فى الصحيحين واخرجه الترمذى فى الشمائل وابن ماجه فى الزهد (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد حياء من العذراء) بفتح المهملة فسكون المعجمة وبالراء والمد اى حياؤه اشد حياء من البنت العذراء وهى من لم تزل عذرتها اى جلدة بكارتها (فى خدرها) بكسر خاء معجمة وسكون دال مهملة اى حال كونها فى داخل سترها فانها حينئذ اشد حياء من غيرها وذهابه عنها باعادة لمخالطتها ولذا ازل سكوتها منزلة اذنها فى باب نكاحها ولو مع وليها (وكان اذا كره شيأ عرفناه فى وجهه) اى عرفنا انه كرهه بتغير وجهه ولو لم يتكلم بوجهه لان وجهه مثل الشمس والقمر فاذا كره شيأ كسا وجهه ظل كالغيم عليهما (وكان لطيف البشرة) بفتحتين اى رقيق الجلدة العليا اى يتغير بادنى كراهة والجملة كالعلة المبينة للسابقة (رقيق الظاهر) تأكيد لما قبله اى يسرع اثر الحياء عليه ولله در القائل

اذا قل ماء الوجه قل حياؤه * ولا خير فى وجه اذا قل ماؤه

او معناه كان لينا سهلا رفيقا سهلا (لا يشافه) اى لا يواجه (احدا بما يكرهه) اى لا يخاطبه تصريحا بل يظهره تلويحا او لا يخاطبه حاضرا ويؤيده ما سيأتى واصل المشافهة هو المخاطبة من فيه الى فيه ثم توسع فيه فقيل بمعنى واجهه ومنه حديث كلمه شفاها (حياء وكرم نفس) اى من اجل كثرة حيائه وكرم نفسه فى خصائصه وقد ورد ان الحياء خير كله ولا يأتى الا بخير وانه شعبة من الايمان (وعن عائشة رضى الله عنها) كما رواه ابو داود (كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه) اى شئ لا يعجبه (لم يقل ما بال فلان) اى حاله وشأنه بتعيين اسمه او وسمه او رسمه (يقول كذا) اى او يفعل كذا (ولكن يقول) اى منكرا له (ما بال اقوام) بصيغة الجمع لافادة عموم الحكم له ولغيره مع الابهام (يصنعون) اى يفعلون (او يقولون) شك من الراوى او اريد به تنويع الصنفين من الفعل والقول (كذا) اشارة الى ما انكره (ينهى عنه) اى عما انكره تلويحا (ولا يسمى فاعله) اى تصريحا اذ المقصود المعتبر هو نهى المنكر لا خصوص فاعله من البشر (وروى انس) كما رواه ابو داود (انه) اى الشأن او النبى عليه السلام (دخل عليه رجل) وهو غير معروف (به اثر صفرة) اى بعينه او علامة من طيب كزعفران ونحوه (فلم يقل له شيأ) اى مشافهة (وكان لا يواجه احدا) اى لا يقابله (بما يكره) اى حياء (فلما خرج) اى الرجل (قال) اى لاصحاب مجلسه (لو قلتم له يغسل هذا) اى الاثر الذي به لكان حسنا فالجواب مقدر ولو للتمنى وقوله يغسل خبر معناه الامر او التقدير ليغسل (ويروى ينزعها) بكسر الزاى اى يزيلها او يفسخ المتلطخ بها وانما كرهها لانها من زى النساء وحليهن واما قول التلمسانى ينزع بفتح الزاى لا غير فوهم بناء على ما هو المفهوم من القاموس انه بكسر الزاى ومنه قوله تعالى ينزع عنهما بكسر الزاى اتفاقا فانه شرط الفتح وجود لكن لا يلزم من وجود الشرط وجود المشروط بخلاف عكسه كما هو مقرر فى محله ثم اعلم ان هذه الاخلاق الحسنة والاوصاف المستحسنة كانت غالبة عليه وسجية داعية اليه فلا ينافيه ما وقع من النوادر لحكمة من ارادة الزواجر او لبيان الجواز فى الظواهر من حديث سواد بن عمرو قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشينى بقضيب فى يده الحديث كما اورده المؤلف فى اواخر القسم الثالث والله تعالى اعلم (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الترمذى (فى الصحيح) اى من الحسن الصحيح فى جامعه وشمائله (لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاحشا) اى ذا فحش فى كلامه وهذا يدل على كثرة حيائه وشدة صفائه ويروى فحاشا اى ذا فحش فالصيغة للنسبة لا للمبالغة واصل الفحش هو الخروج عن الحد والفواحش عند العرب القبائح (ولا متفحشا) اى متكلفا له ولله دره اذ نفت عنه الفحش طبعا وتكلفا (ولا سخابا) بتشديد الخاء المعجمة اى ولا صاحب رفع صوت (بالاسواق) لحسن خلقه وكرم نفسه وشرف طبعه وحيائه من ابناء جنسه ويروى فى الاسواق وفيه احتراز عن المساجد لضرورة رفع صوته حال القرآءة والخطبة ثم السوق امامن قيام الناس فيها على سوقهم واما من سوق الارزاق اليها (ولا يجزى) بفتح اوله وكسر الزاى وسكون الياء اى ولا يجازى (بالسيئة السيئة) اى الواصلة اليه الحاصلة منه وسميت الثانية سيئة مشاكلة او صورة او لانها خلاف الاولى لقوله سبحانه وتعالى ادفع بالتى هى احسن السيئة كما حقق فى قوله تعالى وجزآء سيئة سيئة مثلها ومن هنا قالوا حسنات الابرار سيئات الاحرار وهو فى ذلك ممتثل لقوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله (ولكن) وفى نسخة ولكنه (يعفو) اى يمحوها بالباطن (ويصفح) اى يعرض عن صاحبها بالظاهر او يسامح عن الصغائر والكبائر مما ليس فيهما حق لاحد لقوله تعالى فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين (وقد حكى) بصيغة المفعول (مثل هذا الكلام) اى فى نعت سيد الانام عليه الصلاة والسلام (عن التوراة من رواية ابن سلام) بتخفيف اللام احد الصحابة الكرام من علماء اليهود حيث دخل فى الاسلام (وعبد الله بن عمرو بن العاص) اى ومن روايته ايضا وهو صحابى قرشى كان يطالع كتب العلماء الاعلام وقد جاء فى رواية انه رأى فى منامه ان فى احدى يديه سمنا وفى الاخرى عسلا فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تحفظ الكتابين تحفظ القرآن والتوراة ولهذا سأله عطاء بن يسار عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة كما فى الصحيح ولعل هذا قبل نزول قوله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فان فيه الاكتفاء او ان العسل فيه شفاء والسمن منه داء ودواء (وروى عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الاحياء لكن لم يعرف العراقى وروده فى الانباء (انه كان من حيائه لا يثبت) من التثبيت او الاثبات اى لا يشبع (بصره فى وجه احد) اى ناظرا اليه لاستيلاء الحياء عليه (وانه كان يكنى) بضم ياء وتشديد نون او بفتح وتخفيف اى يلوح ولا يصرح ويعرض (عما اضطره الكلام اليه) اى عن شئ لا بد منه ولا يسعه السكوت عنه (مما يكره) بصيغة الفاعل لا المفعول كما ضبطه الحلبى اى مما لا يستحسن التصريح به تخلقا باخلاق ربه واقتدآء بادابه فى نحو او جاء احد منكم من الغائط وقوله تعالى فأتوا حرثكم أنى شئتم وكقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث المستيقظ فانه لا يدرى اين باتت يده حيث لم يقل فلعل يده وقعت على دبره او ذكره او نجاسة فى بدنه ونظائره كثيرة فى الاحاديث الصحيحة ثم هذا فيما اذا علم ان السامع يفهم المقصود بالكناية والا لكان يصرح لينتفى اللبس والوقوع فى خلاف المطلوب وعلى هذا يحمل ما جاء من ذلك مصرحا به والله اعلم (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الترمذى فى الشمائل (ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) اى ابدا وهو يدل على كمال الحياء من الجانبين لكنها ما استفادت الحياء الا من حياء سيد الاصفياء وفى رواية عنها

ما رأيت منه ولا رأى منى بحذف المفعول وتريد العورة وهو نهاية المبالغة منها فى باب حيائها حيث حذفت آلة الكناية عنها وفى الحديث ان من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحى فاصنع ما شئت وانشدوا

اذا لم تخش عاقبة الليالى * ولم تستحى فاصنع ما تشاء
فلا والله ما فى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

ثم الحياء محمود فيما يجب على الانسان توقيه او يكره له فعله ومذموم فيما يؤدى الى ترك الواجب او السنة

(فصل) (واما حسن عشرته) اى معاشرته ومخالطته مع امته ولو لم يكونوا من عشيرته (وآدابه) الادب طبيعى وهو ما جبل عليه الانسان من الاخلاق السنية والاوصاف الرضية وكسبى وهو ما يكتسب من العلوم الدينية والاعمال الاخروية وصوفى وهو ضبط الحواس ومراعاة الانفاس ووهبى وهو حصول العلم اللدنى وما يتعلق به من الكشف الغيبى وهو بجوز رفعه عطفا على المضاف وجره على المضاف اليه وهو الاحسن لحصول تسلط الحسن عليه وكذا قوله (وبسط خلقه) اى نشر اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم ويجمل حسن الخلق هو بسط المحيا وبذل الندا وتحمل الاذى وكمال الصدق والاتصاف باخلاق الحق (مع اصناف الخلق) اى ليتوصل به الى انقيادهم لدينه (فحيث) بالفاء جواب اما اى فهو بمحل (انتشرت) اى كثرت واشتهرت (به) اى بما ذكر من الامور الثلاثة (الاخبار الصحيحة) وكذا الآثار الصريحة منها خبر الترمذى فى شمائله (قال على رضى الله تعالى عنه فى وصفه عليه الصلاة والسلام) اى فى جملة ما منحه من الصفات الحميدة والنعوت السعيدة (كان اوسع الناس صدرا) اى لا يمل ولا يضجر فى الاحتمال مما يرد عليه من الاحوال واختلاف الخلق فى الاقوال والافعال وفى اصل الدلجى كان اجود الناس صدرا قال اى قلبا وفى رواية اوسع الناس صدرا وقال التلمسانى اجود بخط المؤلف واوسع بتصحيح العرفى انتهى لكن النسخ المعتمدة والاصول المصححة على ما قدمناه وهو الموافق لقوله تعالى الم نشرح لك صدرك وقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام وفسر الشرح بمعنى الانشراح والانفساح وقد ورد هو نور يقذفه الله فى قلب من يشاء من عباده فسئل هل لذلك من علامة فقال التجافى عن الدنيا والاقبال على العقبى والاستعداد للموت قبل نزوله (واصدق الناس لهجة) بفتح فسكون ويفتح اى وكان اصدقهم لسانا ويلنا وفيه وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان الناس هم الصادقون فى الانفاس (والينهم عريكة) اى وكان اسهلهم طبيعة سلسا منقادا هينا مطواعا (واكرمهم عشرة) اى صحبة وخلطة (حدثنا ابو الحسن على بن مشرف) بفتح الراء المشددة (الانماطى) بفتح فسكون نون (فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال ثنا) اى حدثنا (ابو اسحق الحبال) بفتح مهملة وتشديد موحدة محدث مصر (ثنا ابو محمد) بالتنوين ابدل منه (ابن النحاس) بتشديد الحاء المهملة يعنى به عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن اسحق ابن ابراهيم بن يعقوب النحاس المصرى (ثنا ابن الاعرابى) احد من روى سنن ابى داود عنه (ثنا ابو داود) اى السجستانى صاحب السنن (ثنا هشام) اى ابن خالد بن يزيد وقيل زيد بن مروان (ابن مروان) اى الازرق الدمشقى (ومحمد بن المثنى) على وزن المثنى هو المقرى ابو موسى الحافظ روى عنه البخارى ونحوه (قالا) اى كلاهما (ثنا الوليد بن مسلم) وهو احد اعلام الشام روى عنه احمد وغيره قيل صنف سبعين كتابا (ثنا الاوزاعى) روى عنه قتادة ويحيى بن ابى كثير شيخاه وهو امام اهل الشام فى زمنه وكان رأسا فى العلم والعبادة واختلف فى بيان نسبته ذكر التلمسانى ان الامام مالكا كان يقود دابته وهو راكبها وسفيان بن عيينة يسوقها وروى انه افتى فى سبعين الف مسئلة روى عن كبار التابعين كعطاء ومكحول وعنه قتادة والزهرى ويحيى ابن ابى كثير وهم من التابعين وليس هو من التابعين فهذا من رواية الاكابر عن الاصاغر (سمعت يحيى بن ابى كثير) بفتح فكسر مثلثة ابو نصر اليمانى روى عن انس وجابر كلاهما مرسلا وعن ابى سلمة وخلق (يقول حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة) بضم زاى فراءين بينهما الف والى المدينة روى عنه شعبة وابن عيينة وطائفة وهو اسعد بالهمز وله اخ يقال له سعد بن زرارة (عن قيس بن سعد) اى ابن عبادة وهو ابو عبد الله الخزرجى وهو صاحب الشرطة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم روى عنه الشعبى وابن ابى يعلى وطائفة وكان ضخما مفرط الطول نبيلا جميلا جوادا سيدا من ذوى الرأى والدهاء والتقدم وهو ابو قيس سيد الخزرج واحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة وكان شريف قومه ليس فى وجهه شعر ولا لحية وكانت الانصار تقول لوددنا لو نشترى لقيس لحية باموالنا وكان مع ذلك جميلا وكان اسود اللون توفى بالمدينة فى آخر خلافة معوية (قال زارنا) اى اتانا وواحدا منا (رسول الله صلى الله عليه وسلم) اذ كان من عادته تعهد اصحابه وتفقد احبابه اذ حسن العهد من الايمان وتمام الاحسان (وذكر) اى قيس (قصة) اى طويلة (فى آخرها) اى وكان فى آخر تلك القصة قوله (فلما اراد) اى النبى عليه الصلاة والسلام (الانصراف) اى الرجوع الى منزله

وكان

وكان قد جاء على رجله قصد الزيادة اجره (قرب) بتشديد الراء اى قدم (له) وفى نسخة اليه (سعد حمارا) اى ليركبه تلطفا اليه وترحما عليه (وطأ) بتشديد طاء فهمز اى رحل (عليه) اى فوق الحمار (بقطيفة) اى كساء له خمل ومنه تعس عبد القطيفة اى الذى يعملها او يهتم بتحصيلها (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ الذهاب الى العبادة حقيقة العبادة بخلاف الاياب فانه من ضروريات العادة ومنه تشييع الاكابر الى الجنازة مشاة ورجوعهم ركبانا (ثم قال سعد) اى لولده (يا قيس اصحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الحاء اى كن فى صحبته وخدمته وفى اصل الدلجى اصحبه والظاهر انه اختصار منه غير لائق به كما فعل فى كثير من مواضع كتابه (قال قيس فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب) اى انت ايضا معى او على دابة اخرى (فابيت) اى امتنعت تادبا معه او حياء منه (فقال اما ان تركب واما ان تنصرف) بكسر اما فيهما (فانصرفت) اى فاخترت اهون الامرين واحسن الحكمين والحديث رواه ابو داود فى الادب والنسائى فى اليوم والليلة (وفى رواية اخرى) اى لهما او لاحدهما او لغيرهما (اركب امامى) بفتح اوله اى قدامى (فصاحب الدابة) اى ولو بالقوة (اولى بمقدمها) بفتح الدال المشددة وقد تخفف اى بالركوب فى صدرها لما جاء فى طرق متعددة صاحب الدابة احق بصدرها وفى رواية الا من اذن وفى اصل الدلجى احق بصدرها قال وفى رواية اولى بمقدمها وصنيعه هذا ايضا مخالف للاصول المعتمدة والنسخ المصححة (وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كما فى شمائل الترمذى من حديث هند بن ابى هالة (يؤلفهم) بتشديد اللام اى يوقع الالفة فيما بينهم ويجمعهم كما يستفاد من قوله تعالى فالف بين قلوبكم وهو لا ينافى اسناد التأليف الى الله تعالى فى الآية بل ولو نفى التأليف ايضا فى آية اخرى من قوله تعالى والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم فان الآيتين من قبيل قوله سبحانه وتعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى او المعنى كان يؤلفهم معه ويتألف بهم كما يشير اليه قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية ولما ورد المؤمن يالف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف كما رواه احمد فى سنده عن سهل بن سعد ورواه الدارقطنى عن جابر ولفظه المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف (ولا ينفرهم) بالتشديد وقيل بكسر الفاء المخففة اى لا يعمل شيأ مما ينفر عنه طباعهم فهو كالتأكيد لما قبله او المعنى يبشرهم ولا ينفرهم لحديث يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا على ما رواه احمد والنسائى وابن ماجه عن انس رضى الله عنه (ويكرم كريم كل قوم) هو كالتخصيص بعد التعميم وفى حديث رواه ابن ماجه وغيره عن جماعة من الصحابة مرفوعا اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وفى رواية اذا اتاكم الزائر فاكرموه (ويوليه) بتشديد اللام المكسورة اى ويجعله واليا واميرا (عليهم) ابقاء لما اختاروه لديهم (ويحذر الناس) بفتح الذال المعجمة اى يخافهم وتفسيره قوله (ويحترس منهم) اى يحترز من مكر شرارهم لما ظهر فى آثارهم فورد الحزم سوء الظن على ما رواه ابو الشيخ فى الثواب عن على كرم الله وجهه وفى رواية احترسوا من الناس بسوء الظن كما رواه الطبرانى فى الاوسط وابن عدى عن انس رضى الله تعالى عنه (من غير ان يطوى) اى يدفع ويمنع (عن احد منهم بشره) بكسر الموحدة اى بشاشة وجهه (ولا خلقه) اى ولا طلاقة خلقه وزيادة لا لمبالغة نفيها (يتفقد) وفى نسخة يتعهد (اصحابه) اى يطلبهم ويتجسس احوالهم بالسؤال عنهم ليعرف المانع عن خدمته وملازمة حضرته منهم فيزور مريضهم ويدعو لغائبهم (ويعطى كل جلسائه) اى جميع من جالسه (نصيبه) اى حظه بسلام او كلام او طلاقة وجه والتفات خدا واشارة وبشارة (لا يحسب) بكسر السين وفتحها اى لا يظن (جليسه) اى مجالسه (ان احدا) اى من جلسائه (اكرم عليه) اى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (منه) اى من ذلك الجليس بحسب حسبانه لما يناله من انواع الالفة واصناف المودة واجناس الكرامة (من جالسه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لمصاحبة ومكالمة (او قاربه لحاجة) اى دينية او اخروية واو للتنويع لا للترديد ومن خبرية لا شرطية وقاربه مفاعلة من القرب بالراء والباء وتصحف على الانطاكى فقال او قاومه اى قام معه كما يقال جالسه اذا جلس معه (صابره) اى انتظره صلى الله تعالى عليه وسلم وحبس نفسه على ما يريد صاحبه متصبرا (حتى يكون) اى مجالسه او مقاربه (هو) ضمير فصل والاصح انه لا محل له (المنصرف عنه) بالنصب على خبر كان والمعنى بالغ فى صبره حتى ينصرف مجالسه من تلقاء نفسه وهذا كله لقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الآية (ومن سأله حاجة) اى طلب عطية (لم يرده) بفتح الدال المشددة ويجوز ضمها لضم ما قبلها (الا بها) اى بالحاجة بعينها حيث قدر عليها او بوعد لها وهو معنى قوله (او بميسور من القول) كتسهيل رزق عملا بقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ومن القول الميسور الدعاء له بتحصيلها او بازالة طلبها فأو على طريقة منع الخلو اى لا يخلو حاله اذا سئل عن احدهما اما عطاء ونقدا واما دعاء ووعدا ثم قيل الميسور مصدر وقيل اسم مفعول (قد وسع الناس) بالنصب اى عمهم وشملهم (بسطه) اى سرور ظاهره

وطيب باطنه جودا ورحمة وحلما وعفوا ومغفرة وسلما او انبساطه فقوله (وخلقه) تفسير له وعلى الاول تعميم بعد
تخصيص (فصار لهم ابا) اى رحمة وشفقة وهو كما جاء فى قراءة شاذة عند قوله تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم وهو اب لهم مع ان كل نبى اب لامته بل هو افضل واكمل تربية من الاب لولده اذ الاب سبب لايجاده
والنبى باعث لامداده واسعاده ويشير اليه قوله تعالى ملة ابيكم ابراهيم (وصاروا) اى الناس كلهم (عنده فى الحق)
اى فى مراعاة حقهم بحسن خلقه معهم (سواء) اى مستوين لعصمته من الاغراض النفسية الحاملة على خلاف
التسوية (بهذا) اى بما ذكر من الاوصاف البهية (وصفه ابن ابى هالة) وهو هند ربيبه من خديجة (قال) اى ابن ابى هالة
(وكان) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (دائم البشر) اى متهلل الوجه وهو لا ينافى انه كان كثير الاحزان
لاختلاف الظاهر والباطن فى العنوان فانه بالظاهر مع الخلق وبالباطن مع الحق والحزن من لوازم الانكسار
والذل والافتقار (سهل الخلق) اى لا صعبه (لين الجانب) بتشديد الياء المكسورة اى لا شديده (ليس بفظ) اى سيء
الخلق فى القول (ولا غليظ) اى فى الفعل قال ابن عباس رضى الله عنه الفظ الغليظ فى القول وغلظ القلب فى الفعل
(ولا سخاب) وفى رواية وكذا فى نسخة بالصاد اى كثير الصياح (ولا فحاش) اى ذا فحش فى قوله وفعله (ولا عياب)
مبالغة عائب اى وكان لا يعيب على احد ما يفعله من مباح واذا كان حراما او مكروها نهى عنه من غير تعييب وتعيير
بل بقصد تبديل وتغيير قال التلمسانى هو والذى بعده فعال على النسب اى ليس بذى عيب ولا بذى مدح ولا سيما بفعال
مبالغة للزوم بعض الامر ومثله وما ربك بظلام للعبيد اى بذى ظلم والا لزم بعضه قلت ليس هذا نظيرهما لانهما على
النسبة يستقيم فى ذى عيب لا فى ذى مدح كما لا يخفى (ولا مداح) مبالغة مادح اى لا يبالغ فى مدح احد بما يؤدى الى
اطراء اولا يمدح طعاما ولا يذمه كما جاء فى رواية لانه كان شاكرا للنعمة لا ناظرا للذة ويؤيده قوله (يتغافل عما لا يشتهى)
اى لا يحبه قولا وفعلا مما لا يترتب عليه اثم اصلا (ولا يؤيس) بضم ياء فسكون همز وقد تبدل ففتح ياء من الاياس
من باب الافعال الذى هو متعد لايئس اللازم من المجرد والضمير فى قوله (منه) راجع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم
والمعنى لا ييأس احد من فيض وجوده واثر كرمه وجوده واما تجويز الدلجى كونه مبنيا للفاعل تبعا لبعض المحشين
وقوله والمعنى لا يؤيس من نفسه او مما تغافل عنه احدا يتغافله عنه بحيث لا يكون كذلك فهو مخالف لما فى الاصول
من صحة المبنى ومناف لما قدمناه من ظهور المعنى وجعل التلمسانى قوله ولا يؤيس منه عطفا على لا يشتهى وقال اى
ما لم يحضر فى وقته ولم يحصل له فيه شهوة فيتركه ويغفله وان كان مما يمكن حضوره فى وقته و يؤيس هو بضم اوله وسكون
الواو ثم همزة مكسورة واليأس هو القنوط اى ما وجده مما يجوز له تناوله من المباح يستعمله وما لم يجده من ذلك
لم يكن منه تكلف له قال و يفسر هذا حديث عائشة رضى الله تعالى عنها انه كان فى اهله لا يسألهم طعاما
ولا يشتهيه فان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب الحديث انتهى وما فيه لا يخفى وقال الانطاكى بعد نقله
عن الحلبى انه ضبطه بكسر الهمزة وينبغى ان يجوز بضم اوله ثم بهمزة مفتوحة وياء مكسورة مشددة يقال ايس منه
فلان مثل ايأس وكذا التأييس حكاه الجوهرى انتهى و ينبغى ان تكون الدراية تابعة للرواية كما لا يخفى (وقال الله
تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم) اى سهلت اخلاقك لهم وكثر احتمالك عنهم والتقدير فبرحمة وما مزيدة للتأكيد كذا
قالوا ولعلهم ارادوا تأكيد التعظيم المستفاد من تنوين التنكير المفيد للتفخيم ولا يبعد ان يكون ما ابهامية ورحمة
تفسيرية والجمع بينهما اوقع للمراتب النفسية فى افادة القضية (ولو كنت فظا) اى سيء الخلق (غليظ القلب)
اى قاسيه على الخلق (لانفضوا) اى تفرقوا (من حولك) ولم ينتفعوا بقولك ولم يصيبوا من رحمتك وفضلك وطولك
واما بقية الآية وهى قوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فليست فى نسخ الشفاء وان كان شرحها
الدلجى ومزجها بتفسيرها (وقال ادفع بالتى هى احسن الآية) وهى تحتمل قوله تعالى ادفع بالتى هى احسن
السيئة واقتصر الدلجى عليها وقد قيل فى معنى هذه الآية ادفع بكلمة التوحيد سيئة الشرك ويؤيده ما بعده من قوله
سبحانه وتعالى نحن اعلم بما يصفون وقيل ادفع بالطاعة المعصية اى اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها كما ورد
فى الحديث مضمونه او ادفع بالتوبة المعصية ويحتمل قوله تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن
اى اصفح عنها وقابلها بالحسنة التى هى احسن مطلقا وان كانت المعاقبة بمثلها حسنة ايضا او باحسن ما يمكن
ان يقابل به من الحسنات ما لم يؤد ذلك الى المداهنة فى امر الديانات وتمام الآية فاذا الذى بينك وبينه عداوة
كانه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو
السميع العليم ولا شك ان معنى الآية الثانية هو الملائم لباب حسن الخلق فى معاشرة الخلق ويؤيده ما روى ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه اعرابى فصيح فقال اصغ الى او صلك ثم قال

فحى ذوى الاضغان تسلى نفوسهم * تحيتك الحسنى فقد ترفع النقل
فان هتفوا بالقول فاعف تكرما * وان خنسوا عنك الكلام فلا تسل
فان الذى يؤذيك منه استماعه * كأن الذى قالوا وراءك لم يقل

فقرأ عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ادفع بالتى هى احسن فقال الاعرابى ليس هذا من كلام البشر
وكان سبب اسلامه (وكان) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه ابن سعد مرسلا (يجيب من دعاه) اى ولو
بعد منزل الداعى ومأواه ولم يكن له مال ولا جاه تواضعا لله وشفقة على خلق الله وجبرا لخواطرهم وتألفا لظواهرهم
وليقتدى به امته مع معاشرهم من معاشرهم (ويقبل الهدية) على ما رواه البخارى ايضا رعاية لزيادة المحبة وافادة
الوصلة والمودة وتفاديا من المباغضة والمقاطعة لما ورد تهادوا تحابوا على ما رواه ابو يعلى فى مسنده عن ابى هريرة رضى
الله تعالى عنه وفى رواية احمد عنه تهادوا فان الهدية تذهب وحر الصدر اى غشه (ولو كانت) اى الهدية وهى فعيلة من
الاهداء (كراعا) بضم اوله وهو مستدق الساق وهو ادون من الذراع واما قول التلمسانى اى ذا كراع فتفوت للمبالغة
المطلوبة وروى البيهقى عن انس ولفظه تهادوا فان الهدية تذهب بالسخيمة اى الحقد ولو دعيت الى كراع لاجبت
ولو اهدى الى كراع لقبلت ولو هنا للتقليل كما فى حديث ردوا السائل ولو بظلف محرق واتقوا النار ولو بشق تمرة والتمس
ولو خاتما من حديد (ويكافئ) بكسر الفاء بعدها همز وتسهل اى يجازى (عليها) اى على الهدية واصل المكافأة المماثلة
وهو اقل حسن المعاملة وكان يكافئ باكثر منها لما سبق عن بنت معوذ بن عفراء ولقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا
باحسن منها او ردوها على احد التفاسير فيها من ان المراد بالتحية هى الهدية وفى رواية البخارى ويثيب عليها من الاثابة
وهو مطلق المجازاة او المجازاة الحسنى لقوله تعالى فاثابهم الله (قال انس رضى الله تعالى عنه خدمت رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم عشر سنين) اى بعد الهجرة ومبدأ عمره عشر سنين ايضا (فما قال لى اف) بفتح الفاء وكسرها
وبتنوين الثانى وفيها لغات عشر وهذه الثلاث عن السبعة ومعناه الاستقذار والاستحقار وقال الهروى يقال لكل
ما يضجر منه ويستثقل ونقل ابو حيان فيها نحو الاربعين وجم من اللغة فى الارتشاف وقد نظمها السيوطى (قط) اى
ابدا فى تلك المدة (وما قال لشىء صنعته) اى فعلته (لم صنعته ولا لشىء تركته) اى ما صنعته (لم تركته) وهذا الحديث
كما يدل على حسن خلقه وكمال حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم ونظره الى قضاء الله وقدره يدل على كمال فضيلة انس رضى
الله تعالى عنه وجمال منقبته وجميل ادبه فى خدمته مع صغر سنه لكنها كلها مستفادة من بركة ملازمته ومداومة
حضرته (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه ابو نعيم فى دلائل النبوة بسند واهى عنها (ما كان احد احسن خلقا
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما قال حسان

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى انت سائله

(ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته) اى من ازواجه وذريته واقاربه واحبابه (الا قال لبيك) اى تأدبا معهم
وتعليما لهم واحضارا لتأديبه على لسان خلقه وقد ورد ادبنى ربى فاحسن تأديبى على ما رواه ابن السمعانى
عن ابن مسعود (وقال جرير بن عبد الله) البجلى اليمنى (ما حجبنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ما منعنى
عن الدخول عليه (قط) اى ابدا (منذ اسلمت) اى تلطفا معه وتعظيما بجنابه ان يرده عن بابه ويكسر خاطره بحجابه
(ولا رآنى الا تبسم) لانه كان مظهر الجمال مع كونه سيدا مطاعا عريض الجاه وسيع البال وقد بسط رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم رداءه اكراما له (وكان يمازح اصحابه) كما ذكره الترمذى فى باب مزاحه صلى الله تعالى عليه
وسلم مع اصحابه من الرجال والنساء والكبار والصغار ولذا كان ابن سيرين مداعبا و يضحك حتى يسيل لعابه واذا اريد
على شىء من دينه كان الثريا اقرب اليه من ذلك (ويخالطهم) اى تواضعا (ويحادثهم) اى يخاطبهم ويكالمهم تأنيسا
(ويداعب صبيانهم) اى يلاعبهم ويمازحهم ومنه قوله لجابر هلا بكرا تداعبها وتداعبك فى القاموس الدعابة
بالضم اللعب وداعبه مازحه (ويجلسهم) بضم اوله اى يقعد صبيانهم (فى حجره) بفتح الحاء وتكسر اى فى حضنه
تلطفا بهم وتطييبا لقلوب آبائهم (ويجيب دعوة الحر والعبد والامة) اى اذا كانا معتقين او اذا جاءاه وطلباه الى منزل
سيدهما (والمسكين) تواضعا لربه وتمسكا بخلقه مع جلالة قدره ورفعة محله لحسن خلقه (ويعود المرضى فى اقصى
المدينة) اى ولو كانوا فى ابعد منازلها (ويقبل عذر المعتذر) اى ولو كانت اعذاره ليست على تحققهم او فى الحديث
انه قبل عذر من تخلف عن غزوة تبوك بحسب ما ابرزوا من اقوال ظواهرهم ووكل الى الله احوال سرائرهم (قال انس
رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابو داود والترمذى والبيهقى عنه (ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)
بضم الذال وسكونها فيه استعارة وضع اللقمة فى الفم لوضع الفم عند الاذن اى ما جعل احد اذنه محاذية لفمه ليحادثه

مخافة (فيتنحى) من التنحية اى فيبعد (رأسه) وهو فى حكم المستثنى اى الا فيستمر ملقماله اذنه غير متنحى عنه وجهه (حتى يكون الرجل) الملتقم (هو) ضمير فصل (الذى ينحى رأسه) فى محل نصب على انه خبر كان وحتى غاية لقوله فينحى رأسه (وما اخذ احد بيده) اى مصالحة او مبايعة (فيرسل) اى فيطلق (يده) من وضع الظاهر موضع المضمر اى الا فيستمر يده فى يد آخذها (حتى يرسلها الآخر) بفتح الخاء المعجمة قرآءة نقيض الاول وفى اصل الدلجى بكسر خاء فذال معجمة وحتى غاية لتركها حتى يرسلها هو وهو تصحيف (ولم ير) بصيغة المجهول اى ولم يبصر حال كونه (مقدما) بكسر الدال المهملة المشددة اى لم يعلم مقدما (ركبتيه بين يدى جليس له) اى فضلا عن ان يمد رجليه عند احد من جلسائه وهذا كله تواضع وكمال تأدب وحسن عشرة (وكان) على ما فى حديث ابن ابى هالة (يبدأ) اى يبتدئ وفى رواية يبدر بضم الدال والرآء اى يبادر ويسبق (من لقيه بالسلام) فان هذه السنة افضل من الفريضة لما فيه من التواضع والتسبب لاداء الواجب والضمير البارز له صلى الله عليه وسلم والضمير المستتر لمن ويحتمل العكس والاول اقرب الى الادب (ويبدأ اصحابه بالمصافحة) مفاعلة من الصاق صفحة الكف بالكف ويلزم منه مقابلة الوجه بالوجه عند اللقاء لانها ملحوظة فى معنى المصافحة خلافا لما توهم من كلام الدلجى ثم يستفاد من الحديث ان ما يفعله بعض العامة من مد الاصابع او اشارة بعضها ليس على وجه السنة ثم رأيت التلمسانى قال وصفتها وضع بطن الكف على بطن الاخرى عند التلاقى مع ملازمة ذلك على قدر ما يقع من السلام او من السؤال والكلام ان عرض لهما واما اختطاف اليد فى اثر التلاقى فهو مكروه هذا وزاد الدلجى عن ابى ذر ما لقيته قط الا صافحنى واسنده الى ابى داود وهو ليس بموجود فى النسخ المصححة والاصول المعتمدة (لم ير) اى كما رواه الدارقطنى فى غريب مالك وضعفه والمعنى لم يبصر او لم يعلم (قط مادا رجليه) او احداهما (بين اصحابه حتى لا يضيق بهما على احد) وهو كالعلة لتركه مدهما اى كان يترك مدهما حذرا من ان يضيق بهما على احد من جلسائه شفقة عليهم وهو لا ينافى قصد تواضعه وارادة ادبه معهم وفيه اقتباس من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم اى ولو بلسان الحال تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم (يكرم من يدخل عليه) اى استئنافا والجملة وقعت استئنافا كما وقع ما قبلها ولعله فصلها عما قبلها حذرا من توهم كونها تتمة حديث سبقها (وربما بسط له) اى فرش للداخل عليه (ثوبه) اكراما له منهم وائل بن حجر الحضرمى ولعل المراد بثوبه رداءه لقوله (ويؤثره) اى يقدمه على نفسه ويفرده (بالوسادة) اى بالجلوس عليها والاعتماد على المخدة (التى تحته) اى كانت تحته مفروشة اجلالا له وتكريما (ويعزم) اى يؤكد (عليه) اى على الداخل له (فى الجلوس عليها) لدفع الوحشة وحصول المعذرة (ان ابى) اى امتنع من الجلوس عليها تأدبا بتلك الحضرة (ويكنى) بتشديد النون (اصحابه) اى يجعل لهم كنى جمع كنية كابى تراب وابى هريرة وام سلمة وهو من الكناية لما فيها من ترك التصريح باسمائهم الاعلام وهو من آداب الكرام واما ابو لهب فعدل عن اسمه عبد العزى كراهة لذكره او تهكما او لا لاشتهاره به وابعد من قال لتألفه (ويدعوهم باحب اسمائهم) اى تارة والمراد من الاسماء ما يعم الاعلام والالقاب والكنى والمعنى انه لا ينبزهم بما يكرهونه بل يدعوهم بما يحبونه (تكرمة لهم) اى تكريما لهم وتعليما لهم فى العمل باصحابهم والتكرمة بكسر الرآء وقول التلمسانى بضم الرآء وهم (ولا يقطع على احد حديثه) اى بادخال كلام فى اثنائه قبل تمامه (حتى يتجوز) غاية لترك قطعه حديثه الى ان يتجاوز منه ويتعدى الى ما لا يليق به وقال التلمسانى اى يفرط ويكثر والاول هو الاظهر فتدبره (فيقطعه) اى فحينئذ يقطع حديثه (بنهى) اى صريح له او عام يشمله (او قيام) اى تلويح والاول زجر له والثانى اعراض عنه وهو مفيد لنهيه عنه اذ لا يقر على مثله ويروى بانتهاء او قيام (ويروى) اى كما فى الاحياء وفى نسخة وروى (انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلى) اى والحال انه عليه الصلاة والسلام فى صلاة من النوافل (الا خفف صلاته) اى فى اطالة صلاته (وسأله عن حاجته) اى دنيوية كانت او اخروية (فاذا فرغ) اى عن قضاء حاجته (عاد الى صلاته) اى المعتادة بالاطالة قال العراقى ولم اجد له اصلا (وكان اكثر الناس تبسما) لكونه مظهر الجمال والبسط غالب عليه فى كل حال وهذا معنى قوله (واطيبهم نفسا) اى مستبشرا غير عبوس (ما لم ينزل عليه) بصيغة المجهول ويصح كونه للفاعل (قرآن) اى وحى متلو (او يعظ) اى ما لم ينصح الناس ويعلمهم التأديب بالترغيب والترهيب (او يخطب) اى فى المنبر عند الجمع الاكبر فانه حينئذ لم يكن متبسما ولا منبسطا بل كان يغلب عليه القبض لما فيه من مقال الاجلال باظهار مظاهر ذى الجلال ففى كل مقام مقال ولكل مقال حال لارباب الكمال (قال) اى على ما رواه احمد والترمذى بسند حسن (عبد الله بن الحارث) وهو آخر من توفى من الصحابة بمصر والمراد به ابن جزء بن عبد الله بن معدى كرب الزبيدى بضم الزاى وفى الصحابة من اسمه عبد الحارث اربعة عشر غيره على ما ذكره الحلبى وقال حديثه المذكور هنا اخرجه الترمذى فى المناقب من الجامع وهو

فى الشمائل ايضا (ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن انس قال) كما رواه مسلم (كان خدم المدينة) بفتحتين جمع خادم والمعنى خدام اهلها (يأتون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الغدوة) اى صلاة الصبح (بآنيتهم) متعلق بيأتون والباء للتعدية اى يجيئون باوانيهم (فيها الماء فما يؤتى) بصيغة المفعول من اتى يأتى اى ما يجاء (بآنية الا غمس) اى ادخل (يده فيها وربما كان ذلك فى الغدوة الباردة) اى وهو مع ذلك لا يمتنع عما ذكر (يريدون به) اى بغمس يده فيها (التبرك) اى طلب البركة وحصول النعمة وزوال النقمة وكمال الرحمة هذا وفى الحديث المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على اذاهم اعظم اجرا من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم

(فصـــل)

(واما الشفقة) اى الخوف على وجه المحبة (والرأفة) وهى شدة الرحمة (والرحمة) اى المرحمة العامة (لجميع الخلق) اى مؤمنهم وكافرهم وانسهم وجنهم وقريبهم وغريبهم وفقيرهم وغنيهم حتى مماليكهم والحيوانات وسائر الموجودات وفى نسخة صحيحة بتأخير الرأفة عن الرحمة وهو الانسب فى مقام المرتبة لكن الاول اوفق بما جاء فى التنزيل فهو اولى (فقد قال الله تعالى فيه) اى فى حقه عليه الصلاة والسلام (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) كذا فى اكثر النسخ وفى بعضها بعد قوله فيه عزيز الخ اى شديد شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فما مصدرية وعلى متعلق بقوله عزيز ويجوز ان يكون عزيز منقطعا عما بعده والمعنى عزيز الوجود غزير الجود بديع الجمال منيع الجلال منبع الكمال ويكون عليه ما عنتم جملة خبرها مقدم وعلى للضرر اى يضره ولا يهون عليه تعبكم ومشقتكم حريص عليكم اى على منفعتكم دينا ودنيا بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم فى الدنيا والاخرة وقدم ابلغهما رعاية للفاصلة او للتذييل والتتميم وقدم الجار لاختصاصهم برحمته فى الاولى والعقبى (وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) لانه ارسل لاسعادهم وصلاح معاشهم ومعادهم ان اتبعوه ولم يخالفوه (قال بعضهم) اى بعض العلماء وفصله عما قبله لاختلاف القائل قدما وحديثا (من فضله عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى اعطاه) اى من جملة ما فضل به على غيره وما دل على كمال خيره ان الله تعالى اعطاه بخلقه سبحانه وتعالى فيه الرأفة والرحمة (اسمين من اسمائه) اى نعتين سماه بهما (فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم) وفى قرآءة رؤف بالقصر (وحكى نحوه) اى نقل مثل ما ذكر عن بعضهم (الامام ابو بكر بن فورك) بضم فاء وسكون واو وفتح رآء وكاف منون وقد جمع بلغت تصانيفه فى الاصلين ومعانى القرآن قريبا من مائة مصنف توفى سنة ست واربعمائة (حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشنى) بضم الخاء المعجمة وفتح الشين المنقوطة فنون فياء نسبة لقبيلة خشين (بقرآءتى عليه ثنا امام الحرمين ابو على الطبرى) بفتح الطاء المهملة والموحدة هكذا هو فى الاصول المعتبرة والنسخ المعتمدة وقال الحلبى كذا فى نسخة فى الاصل الذى وقفت عليه امام الحرمين ثنا ابو على الطبرى انتهى والطبرى منسوب الى طبرستان وقيل الى طبرية (ثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الرآء وهو النيسابورى صاحب تاريخ نيسابور وكتاب مجمع الغرائب والمفهم لشرح مسلم ولد سنة احدى وخمسين واربعمائة سمع جده لامه ابا القاسم القشيرى وتفقه على امام الحرمين ولزمه اربع سنين حدث عنه جماعة وروى عنه ابن عساكر بالاجازة (ثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم واللام وقد تقدم (ثنا ابراهيم بن سفيان) سبق ذكره (ثنا مسلم بن الحجاج) اى صاحب الصحيح (ثنا ابو طاهر) روى عن ابن عيينة والشافعى وخلق وعنه مسلم وابو داود والنسائى وابن ماجه (نا) اى انبأنا وفى نسخة انا بمعنى اخبرنا (ابن وهب) احد الاعلام سمع مالكا وغيره اخرج له اصحاب الكتب الستة طلب للقضاء فجنن نفسه وانقطع (نا) اى انبأنا (يونس) اى ابن زيد الايلى بفتح همزة وسكون تحتية روى عن عكرمة والزهرى وعنه ابن المبارك وغيره قال الحلبى وفى يونس ست لغات ضم النون وفتحها وكسرها مع الهمز وعدمه (عن ابن شهاب) اى الزهرى (قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة وذكر حنينا) بالتصغير اى وذكر ما يدل على انه اراد بها حنينا وهو واد بين مكة والطائف وراء عرفات على بضعة عشر ميلا من مكة وكانت غزوته فى شوال سنة ثمان (قال) اى ابن شهاب (فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى تلك الغزوة من غنائمها (صفوان بن امية) تصغير امة (مائة من النعم) بفتحتين اى الابل والبقر والشاة وقيل الابل والشاة وهو جمع لا واحد له من لفظه وفى رواية من الغنم (ثم مائة ثم مائة) اى ثالثة تألفا اليه وشفقة عليه وانقاذا له من النار وان تبعه من الكفار (قال ابن شهاب ثنا) اى حدثنا كما فى نسخة (سعيد بن المسيب) بفتح التحتية المشددة عند العراقيين وهو المشهور وبكسرها عند المدنيين وذكر ان سعيدا كان يكره الفتح وهو امام التابعين وسيدهم جمع بين الفقه والحديث والعبادة والورع روى عنه انه صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة وعنه انه قال ما نظرت الى قفاء رجل فى الصلاة منذ خمسين سنة لمحافظته على الصف الاول وقال ايضا ما فاتتنى التكبيرة الاولى

مذ خمسين سنة وكان يسمى حمامة المسجد وكان يتجر فى الزيت (ان صفوان قال والله لقد اعطانى) اى رسول الله
(ما اعطانى) اى الذى اعطانيه من المئين (وانه لابغض الخلق الى) الجملة حالية (فما زال يعطينى) اى بعد ذلك
(حتى انه) اى انه عليه الصلاة والسلام صار الآن (لاحب الخلق الى) وذلك لعلمه عليه الصلاة والسلام ان دواءه من
داء الكفر ذلك المنتج اسلامه اذ الطبيب الماهر يعالج بما يناسب الداء وقد رأى ان داء المؤلفة حب المال والانعام
فداواهم باكرم الانعام حتى عوفوا من نقمة الكفر بنعمة الاسلام ثم اعلم ان الراوى اذا قدم الحديث على السند كأن
يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا وكذا اخبرنى به فلان ويذكر سنده او قدم بعض الاسناد مع المتن
كهذا الحديث الذى نحن فيه فهو اسناد متصل لا يمنع ذلك الحكم باتصاله ولا يمنع ذلك من روى كذلك اى تحمله من
شيخه كذلك بان يبتدئ بالاسناد جميعه اولا ثم يذكر المتن كما جوزه بعض المتقدمين من اهل الحديث قال الشيخ ابو عمرو
ابن الصلاح وينبغى ان يكون فيه خلاف نحو الخلاف فى تقديم بعض المتن على بعض فقد حكى الخطيب المنع من
ذلك على القول بان الرواية على المعنى لا تجوز والجواز على القول بان الرواية على المعنى تجوز ولا فرق بينهما فى ذلك كذا
ذكره الحلبى (وروى) بصيغة المجهول وقد روى ابو الشيخ والبزار (ان اعرابيا) وهو غير معروف (جاءه) اى اتى النبى
عليه الصلاة والسلام (يطلب منه شيأ) اى من مطالب الدنيا (فاعطاه اياه ثم قال) اى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم (أحسنت اليك) بهمزة ممدودة وسكون حاء لاجتماع همزة الاستفهام وهمزة الافعال للتقرير وهو حمل
المخاطب على الاقرار بانه احسن اليه وانعم عليه (قال الاعرابى لا) اى لا اعطيتنى كثيرا ولا قليلا (ولا اجملت) اى
ولا اتيت بالجميل اوولا وصلتنى جميلا حيث لا احسنت جزيلا وقيل معناهما واحد كرر للتأكيد وقيل ما اجملت
ما كثرت وهو اولى كما لا يخفى ولا يبعد من غلظته وجلفته لدبه ان اراد بقوله ولا اجملت دعاء عليه ويؤيده قوله
(فغضب المسلمون وقاموا اليه) ليوافوه بما استحقه زجرا عليه (فاشار) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم ان
كفوا) اى كفوا اوبان كفوا بضم فتشديد اى امتنعوا عنه وكفوا انفسكم منه شفقة عليه واحسانا اليه (ثم قام) اى
النبى عليه الصلاة والسلام (ودخل منزله) اى للاهتمام (وارسل) وفى نسخة فارسل (اليه وزاده شيأ) اى على
ما قدمه عليه (ثم قال أحسنت اليك) كما سبق (قال نعم فجزاك الله به) اى بسبب ما احسنت به الى (من اهل
وعشيرة خيرا) بالنصب على انه مفعول ثان لجزى ومن تبعيضية والجملة اعتراض بين الفعل ومفعوله نصب على
الاختصاص او على الحال اى اخصك من بينهما او حال كونك منهما (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك
قلت ما قلت) اى شيأ عظيما مستهجنا قبيحا (وفى انفس اصحابى) اى وفى نفوسهم وفى اصل التلمسانى وفى نفس اصحابى
بصيغة المفرد (من ذلك) اى قولك (شئ) اى امر عظيم وخطب جسيم (فان احببت) اى اردت ازالة ذلك (فقل بين
ايديهم) اى عندهم (ما) وفى نسخة مثل ما (قلت بين يدى) اى من المديح ليكون كفارة لذلك القبيح (حتى
يذهب) اى بقولك لهم ذلك (ما فى صدرهم عليك) اى من الغضب لما صدر عنك فان المعالجة بالاضداد (قال نعم)
اى اقول لهم ذلك (فلما كان الغد) اصله غدو فحذفوا الواو بلا عوض (او العشى) بفتح فكسر فتشديد واولشك الراوى
(جاء) اى الاعرابى (فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الاعرابى قال ما قال) اى مما سمعتموه فى اول الحال
(فزدناه) اى بعض المال (فزعم انه رضى) اى به عنا (اكذلك) استفهام تقرير اى احق ما نقلته عنك
(قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا) فكان المراد بالاهل هو الاخص او الاعم والله اعلم (فقال) اى النبى
كما فى نسخة صحيحة (صلى الله تعالى عليه وسلم مثلى ومثل هذا) المثل بفتحتين فى الاصل هو النظير ثم استعمل
فى القول السائر الممثل مضربه بمورده اى موضع ضربه بموضع وروده فالمورد هو الحالة الاصلية التى ورد فيها كحالة
المنافقين والمضرب هو الحالة المشبهة كحالة المستوقد نارا ولا يضرب الا بما فيه غرابة زيادة فى التوضيح والتقرير
فانه اوقع للنفس واقمع للخصم ويريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ثم استعير لما له شأن عجيب وفيه امر غريب
من صفة او حال او قصة نحو مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ولله المثل الاعلى ومثل الجنة التى وعد المتقون
وامثالها والمعنى هنا شبهى وشبهه العجيب الشان والغريب البيان (مثل رجل له ناقة شردت عليه) اى نفرت
وذهبت فى الارض عنه او غلبت عليه (فاتبعها الناس) من الاتباع او الاتباع اى فتبعوها ليلحقوها
(فلم يزيدوها الا نفورا) اى تنفرا منهم وتبعدا عنهم (فناداهم صاحبها خلوا بينى وبين ناقتى) اى اتركونى معها (فانى
ارفق بها) اى اشفق عليها (منكم واعلم) اى بحالها وطبعها او طريق اخذها (فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام
الارض) بضم القاف وتخفيف الميم جمع قمامة وهى فى الاصل الكناسة اريد بها هنا ما تلقمه من الارض فتأكله
شبه بالكناسة لخسته فاستعير له اسمها المشاركة صفته (فردها) اى طمعها اليه (حتى جاءت واستناخت) اى طلبت

البروك وهو بنون قبل الالف وخاء معجمة بعدها يقال اناخ الجمل فاستناخ اى بركه فبرك (وشد عليها رحلها)
اى ربط عليها قتبها (واستوى عليها) اى استقر عليها جالسا (وانى لو تركتكم حيث قال الرجل) اى حين قوله (ما قال)
اى شيأ قاله اولا (فقتلتموه دخل النار) اى عقوبة له بما ظهر من الكفر فى اساءة ادبه معه صلى الله تعالى عليه وسلم
فكان حسن ملاطفته وزيادة عطيته سببا لارضائه وباعثا لتوبته فهو ارفق بامته واعلم بحالهم منهم فانه بهم رحيم
وبدوائهم حكيم ومما يناسب المقام ويلائم المرام ما روى عن خوات بن جبير من الصحابة الكرام انه قال نزلت مع رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمر الظهران فاذا نسوة يتحدثن فاعجبننى فاخرجت حلة من عيبتى فلبستها وجلست
اليهن فمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهبته فقلت يا رسول الله جمل لى شرود وانا ابتغى له قيدا فمضى وتبعته
فالقى على رداءه ودخل الاراك فقضى حاجته وتوضأ ثم جاء فقال ابا عبد الله ما فعل شراد جملك ثم ارتحلنا فجعل كلما
لحقنى قال السلام عليك يا ابا عبد الله ما فعل شراد جملك فتعجلت المدينة وتركت مجالسته والمسجد فطال ذلك على
فتحينت خلو المسجد ثم دخلت فطفقت اصلى فخرج من بعض حجره فصلى ركعتين خففهما وطولت رجاء ان يذهب عنى
فقال طول ابا عبد الله ما شئت فلست ببارح حتى تنصرف فقلت والله لاعتذرن اليه فانصرفت فقال السلام عليك
ابا عبد الله ما فعل شراد الجمل فقلت والذى بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ اسلمت فقال رحمك الله مرتين او ثلاثا
ثم لم يعد (وروى عنه) بصيغة المجهول وهو مروى من طريق ابى داود عنه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يبلغنى
احد منكم) من التبليغ او الابلاغ كما قرئ بهما فى السبعة قوله تعالى ابلغكم وهو يحتمل النهى والنفى وهو بمعنى النهى
كما هو ابلغ اى لا يوصلنى احد منكم بان ينقل (عن احد من اصحابى شيأ) اى مما ينكر فعله من ايهم كان فى اى وقت كان
وهذه النكرات وردت فى حيز نفى متوشحة بنهى فعمت جميع الاصحاب والاوقات والاشياء مكروهة او حراما بشهادة
المقام اذ لا يتعلق نهى بمباح ومأذون فيه (فانى احب ان اخرج) اى من الدنيا (اليكم وانا سليم الصدر) جملة حالية
وفيه ايماء الى قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم اى سالم من الغش والحقد للخلق ومن الغفلة عن ذكر الحق (ومن
شفقته على امته عليه الصلاة والسلام تخفيفه) اى عنهم اعباء التكاليف (وتسهيله عليهم) اى وتهوينه بما يقوى
قلوبهم عليه من الترغيب والترهيب (وكراهته) اى لهم (اشياء مخافة ان تفرض) اى تلك الاشياء (عليهم) ومخافة
منصوب على العلة للافعال الثلاثة وفى نسخة بدلها خوف ان تفرض عليهم وهذا حكم اجمالى اورد لكل ما يناسبه
جمعا وتقسيما (كقوله) على ما رواه الشيخان (لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك مع كل وضوء) اى امر وجوب
فيؤخذ استحبابه فى كل حال ولو كان للصائم بعد الزوال فان لولا لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى امتنع الامر
بالفريضة لوقوع المشقة (وخبر صلاة الليل) بالجر وهو الصحيح وفى نسخة بالرفع على انه مبتدأ خبره يأتى ولعله اراد به
ما رواه الشيخان فى قيام الليل من خبر خذوا من العمل ما تطيقون اذا نعس احدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه
النوم فان احدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يريد يستغفر الله فيسب نفسه وما روياه فى حديث عبد الله بن عمرو
ابن العاص حيث قال واما انا فارقد واقوم واصلى ومنعه عن قيام الليل كله وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم
خرج ليلة فى شهر رمضان فصلى بالقوم عشرين ركعة واجتمع الناس فى الليلة الثانية فخرج وصلى بهم فلما كانت
الليلة الثالثة كثر الناس فلم يخرج وقال عرفت اجتماعكم لكن خشيت ان تفرض عليكم (ونهيهم) بالوجهين
اى ونهيه اياهم (عن الوصال) كما روياه وهو ان لا يفطر اياما متوالية (وكراهته) اى لاجلهم (دخول
الكعبة) اى دخوله فيها على ما رواه ابو داود وصححه الترمذى (لئلا يتعب امته) من الاتعاب وهو الايقاع فى التعب
والمشقة وفى نسخة لئلا تتعب امته بفتح التاء والعين ورفع امته وفى نسخة صحيحة لئلا يعنت من اعنت غيره اذا اوقعه
فى العنت وهو المشقة وفى نسخة بتشديد النون المكسورة (ورغبته لربه) اى دعاؤه اياه على طريقة الميل والرغبة
(ان يجعل سبه) اى شتمه عليه الصلاة والسلام (ولعنه لهم) اى بان دعا عليهم بالطرد والبعد ان صدر شئ منهم
لبعضهم او لكلهم (رحمة بهم وانه) ضبط بالكسر والفتح وهو الاظهر اى ومن شفقته عليهم كما رواه الشيخان انه (كان
يسمع بكاء الصبى) اى الصغير والبكاء يمد ويقصر (فيتجوز) اى فيقتصر ويخفف (ويتجل فى صلاته) اى المعقودة
للجماعة رحمة لهم وحذرا من ذهاب خشوع من صلى معه من والديه (ومن شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم
ان دعا ربه) اى سأله (وعاهده) اى واخذ عهده سبحانه وتعالى فيما بينه وبينه (فقال ايما رجل) وكذا حكم المرأة تبعا
(سببته او لعنته) ليس او للشك بل للتنويع (فاجعل ذلك له زكاة) اى نماء وبركة يتبارك بها (ورحمة) اى ترحمه بها
(وصلاة) اى ثناء او عبادة وقال الدلجى عطف تفسير اذ هى منه تعالى رحمة وقال الانطاكى عطف الصلاة على
الرحمة وان كانت فى معناها التغاير اللفظ ولا يخفى ان ما اخترناه هو السديد لان التأسيس اولى من التأكيد (وطهورا)

يتطهر به وجعله الدلجى ايضا من باب التأكيد حيث فسر الزكاة بالطهارة خلافا لما قدمناه (وقربة) اى وسيلة (تقربه بها اليك يوم القيامة) قال الدلجى انما اعاده لما فيه من الزيادة اقول وكان الاولى للمصنف ان يجمعهما من غير فصل بينهما واعلم ان اول الحديث اللهم ان محمدا بشر يغضب كما يغضب البشر وانى قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما رجل سببته اولعنته الحديث قيل وانما يكون دعاؤه عليهم رحمة وزكاة ونحو ذلك اذا لم يكن اهلا للدعاء عليه والسب واللعن بان كان مسلما كما جاء فى الحديث كذلك فى بعض الروايات فايما رجل من المسلمين سببته الحديث والا فقد دعا صلى الله تعالى عليه وسلم على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك رحمة بلا شبهة فان قيل كيف يدعو صلى الله تعالى عليه وسلم على من ليس باهل للدعاء عليه اوسبه اولعنه فالجواب ان المراد ليس باهل لذلك عند الله تعالى وفى باطن الامر ولكنه فى الظاهر مستوجب له فيظهر له صلى الله تعالى عليه وسلم استحقاقه لذلك بامارة شرعية وهو مأمور بحكم الظواهر والله يتولى السرائر (ولما كذبه قومه) اى ومما يدل على كمال شفقته على امته حديث الشيخين انه لما كذبه قريش من كفار مكة (اتاه جبريل) اى تسلية لحاله وتسكينا لتألمه (فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك) اى لاجلك (وما ردوا عليك) اى من تكذيب وغيره فى حقك وقيل المعنى وما اجابوك وذلك لانه سبحانه وتعالى لا يعزب عن علمه مسموع الا ان سمعه صفة تتعلق بالمسموعات من غير جارحة على هيئة الموجودات فانه سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فنزه سبحانه وتعالى اولا عن التشبيه والتمثيل ثم اثبت ردا على اهل التعطيل (وقد امر ملك الجبال) اى اذنه بالانقياد لك (لتأمره) اى لاجل ان تأمره (بما شئت فيهم) اى فيطيعك فى حقهم (فناداه ملك الجبال) اى لحضره الملك وناداه باسمه او بوصف من اوصافه (وسلم عليه) الواو لمطلق الجمع لمناسبة تقديم السلام على النداء والكلام (وقال مرنى بما شئت) اى فى قومك وحذف مفعوله للتعميم ثم خصص بقوله (ان شئت ان اطبق) بضم الهمزة وكسر الموحدة اى اوقع وارمى (عليهم الاخشبين) اى فعلت وفى اصل الدلجى اطبقت وهو الاوفق لكنه مخالف للاصول المصححة والنسخ المصححة والمراد بالاخشبين وهو بالخاء والشين المعجمتين فموحدة تثنية الاخشب وهو الجبل الخشن وانشد ابو عبيدة كان فوق منكبيه اخشبا جبلان مطبقان بمكة قيل هما ابو قبيس وقعيقعان او الجبل الاحمر الذى اشرف على قعيقعان وعن ابن وهب هما جبلان تحت عقبة منى فوق المسجد (قال) وفى اصل الدلجى فقال (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بل ارجو) اى لا اريد استئصالهم بل اتوقع (ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده) اى منفردا (ولا يشرك به شيأ) اى شيأ من الاشراك لا جليا ولا خفيا والجملة الثانية كالمؤكدة لما قبلها ويمكن اعتبار مغايرتها لها وما ذاك الا لكونه رحمة للعالمين وقد امضى الله سبحانه وتعالى رجاءه فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا لهم بالخير ولو بواسطة تحمل الضير (وروى ابن المنكدر) تقدمت منقبته وانه تابعى جليل فالحديث مرسل الا انه ليس مما يقال بالرأى فيكون له حكم الموصول كما قالوا فى موقوف الصحابى بهذا المعنى انه يكون فى حكم المرفوع لاسيما ويعضده الحديث السابق المروى فى الصحيحين والحاصل انه روى (ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال ان تطيعك) اى باطاعتك (فرها بما شئت فقال اوخر عن امتى) اى العذاب (الذى استحقوه بكفرهم لعل الله ان يتوب عليهم) اى على بعضهم بتوفيق ايمانهم او يخرج مؤمنا من اصلابهم (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما) اى اهونهما كما اختار تأخير العذاب عن امته كما صرح به صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث الاول بقوله بل للاضراب عما خير فيه من الاطباق وعدمه وحديث عائشة رضى الله تعالى عنها سبق الكلام عليه وذكر السيوطى فى جامعه الصغير برواية الترمذى والحاكم فى مستدركه عن عائشة رضى الله تعالى عنها بلفظ ما خير بين امرين الا اختار ارشدهما هذا وما احسن ما قيل فى المداراة

ودارهم مادمت فى دارهم * وارضهم مادمت فى ارضهم

(وقوله)

مادمت حيا فدار الناس كلهم * فانما انت فى دار المداراة

من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى * عما قليل نديما للندامات

(وقال ابن مسعود) اى فيما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتخولنا) بالخاء المعجمة اى يتعهدنا (بالموعظة) اى بالنصائح المفيدة وقيل هو تخويف بسوء العاقبة وقال ابو عمرو ابن الصلاح والصواب بالمهملة اى يتحرى الحال التى ينشطون فيها للموعظة فيعظهم فيها ولا يكثر عليهم فيملوا منها ورواه الاصمعى يتخوننا

بالنون بدل اللام مع الخاء المعجمة يعنى يتعهدنا (مخافة السآمة) بهمزة ممدودة اى الملالة (علينا وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انه ما ركبت بعيرا) بفتح اوله ويكسر اى جملا (وفيه صعوبة فجعلت ترده) اى من الترديد وهو الرد بالتشديد (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليك بالرفق) اى الزمى اللطف مع كل شئ فى كل حال والباء زائدة والمعنى استعملى الرفق وقد ورد مرفوعا ما كان الرفق فى شئ الا زانه ولا نزع من شئ الا شانه كما رواه عبد بن حميد والضياء عن انس رضى الله تعالى عنه وفى صحيح مسلم برواية عن عائشة رضى الله تعالى عنها ايضا مرفوعا ولفظه عليك بالرفق ان الرفق لا يكون فى شئ الا زانه ولا ينزع من شئ الا شانه وروى البخارى فى تاريخه عنها ايضا عليك بالرفق واياك والعنف والفحش

(فصل)

(واما خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الوفاء) اى القيام بمقتضى الوعد (وحسن العهد) اى وفى تعهد العقد ومراعاة الوجد (وصلة الرحم) بالاحسان الى ذوى القرابة خصوصا (حدثنا القاضى ابو عامر محمد بن اسماعيل بقراءتى عليه) والقراءة احد وجوه الرواية على اختلاف فى انها الافضل او السماع من الشيخ هو الاكمل وتحقيق الفصول فى الاصول (قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد) وفى نسخة ابن احمد (حدثنا ابو اسحق الحبال) بفتح مهملة فتشديد موحدة (حدثنا ابو محمد ابن النحاس) بفتح نون وتشديد مهملة (حدثنا ابن الاعرابى حدثنا ابو داود) اى صاحب السنن (حدثنا محمد بن يحيى) امام جليل نيسابورى روى عن ابن مهدى وعبد الرزاق وعنه البخارى والاربعة وغيرهم ولا يكاد يفصح البخارى باسمه لما جرى بينهما قال ابو حاتم هو امام اهل زمانه (حدثنا محمد بن سنان) بكسر اوله مصروف روى عنه البخارى وغيره (حدثنا ابراهيم بن طهمان) بفتح مهملة وسكون هاء وهو ابو سعيد الخراسانى يروى عن سماك بن حرب وثابت البنانى وعنه ابن معين وخلق وثقه احمد وابو حاتم وكان من ائمة الاسلام فيه ارجاء اخرج له اصحاب الكتب الستة (عن بديل) بضم موحدة وفتح دال مهملة وسكون تحتية فلام وهو ابن ميسرة العقيلى يروى عن انس وجماعة وعنه شعبة وحماد بن زيد (عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق) وفى نسخة ابى شقيق (عن ابيه) ابوه هو عبد الله بن شقيق وهو عقيلى بصرى يروى عن عمر وابى ذر وعنه قتادة وايوب وثقه احمد وغيره (عن عبد الله بن الحمساء) بمهملتين بينهما ميم ساكنة فالف ممدودة وفى نسخة بخاء معجمة فنون وهو تصحيف كما قال الحلبى وقال التلمسانى وهو الاكثر فى الرواية والصواب بالميم وفى نسخة عن ابى الحمساء وابو الحمساء لا اسلام له ولا رواية (قال بايعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع) اى بعقد بيع لا بعهد بيعة (قبل ان يبعث) اى بالرسالة (وبقيت له بقية) اما من الثمن او المثمن فان البيع من الاضداد (فوعدته) وفى نسخة وهى الاظهر فواعدته (ان آتيه بها) اى اجيئه بالبقية (فى مكانه) اى الذى صدر فيه البيع او غيره (فنسيت) اى ان آتيه بها (ثم ذكرت بعد ثلاث) اى ثلاث ليال او ثلاثة ايام ولم يلحق التاء به لحذف مميزه وقيل المراد الليالى بايامها والليل سابق والحكم للسابق وابعد من قال ويحتمل ثلاث ساعات واغرب التلمسانى بقوله وهو الاقرب ووجه الغرابة ان الانتظار ثلاث ساعات مما لا يستغرب (فجئت) وفى نسخة فجئته بابراز ضميره (فاذا هو فى مكانه) اى مكان وعده (فقال يا فتى لقد اشققت على) اى اوقعت المشقة على وثقلت على (انا ههنا منذ ثلاث) يفيد انه ما تحول من مكانه ذلك (انتظرك) اى لتأتينى هنالك وهذا من جملة اخلاق جده اسماعيل عليه السلام حيث قال تعالى واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد قال مجاهد لم يعد شيأ الا وفى به وقال مقاتل وعد رجلا ان يقيم مكانه حتى يرجع اليه الرجل فاقام اسماعيل مكانه ثلاثة ايام للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقال الكلبى انتظره اسماعيل حتى حال عليه الحول (وعن انس رضى الله عنه) كما رواه البخارى فى الادب المفرد (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) الظاهر ان كان للاستمرار الغالبى او لمجرد الربط التركيبى (اذا اتى) اى جيء (بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة) كناية عن علم امرأة وهى هنا لا يعرف من هى (فانها كانت صديقة لخديجة وانها كانت تحب خديجة) وهو للتأكيد اذ تفيد الجملة الاولى ان خديجة كانت تحبها ايضا وفيه الحث على البر والصلة وحسن العهد (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما فى الصحيحين (ما غرت) بكسر غين معجمة وسكون راء وفى نسخة صحيحة قالت ما غرت (على امرأة) اى من نساء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ما غرت) اى كغيرتى (على خديجة لما كنت) علة لغيرتها اى لاجل كونى دائما (اسمعه) اى اسمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يذكرها) اى ذكرا جميلا وثناء جزيلا قال الطبرى وغيره الغيرة من النساء مسموح لهن ومسموح فى اخلاقهن لما جبلن عليه وانهن لا يملكن عندها انفسهن ولهذا لم يزجر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عائشة عليها ولا رد عليها عذرها لما علم من فطرتها وشدة غيرتها قال الزيدى والعامة تكسرها والصواب فتحها (وان كان) بكسر الهمزة على ان ان مخففة من المثقلة اى وانه عليه الصلاة والسلام كان (ليذبح الشاة) بفتح اللام

وهى المسماة بالفارقة نحو قوله تعالى وان كانت لكبيرة (فيهديها) بضم الياء اى فيرسلها هدية (الى خلائلها)
جمع خليلة اى صدائقها لتعم الكل واحدة منها قطعة (واستأذنت عليه اختها) اى طلبت الاذن فى الاتيان اليه صلى الله
تعالى وسلم اخت خديجة وهى هالة بنت خويلد بن اسد ام ابى العاص بن الربيع زوج زينب بنته صلى الله تعالى
عليه وسلم واسمه لقيط بن الربيع ذكرها ابن مندة وابو نعيم فى الصحابة (فارتاح لها) وفى نسخة صحيحة اليها اى فقرح
بمأتاها واكرمها ورحب بها ونظر اليها (ودخلت عليه امرأة) اى اخرى فى وقت آخر (فهش لها) بتشديد شين
معجمة اى فرح بها واستبشر منها (واحسن السؤال عنها) لزيادة الاستئناس بها بسبب طول عهدها (فلما خرجت
قال انها كانت تأتينا ايام خديجة) اى فى زمانها (وان حسن العهد من الايمان) وفى الجامع الصغير ان حسن العهد
من الايمان رواه الحاكم فى مستدركه عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا (ووصفه) اى النبى صلى الله عليه وسلم (بعضهم)
اى بعض السلف (فقال كان يصل ذوى رحمه) اى يحسن اليهم ويعطف عليهم وان بعدوا عنه او اساؤا اليه (من غير
ان يؤثرهم) اى يختارهم ويفضلهم (على من هو افضل منهم) اى من غيرهم عدلا منه واعطاء لكل ذى حق حقه
قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ولقوله سبحانه وتعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
فلا يفضل احد بنى هاشم او غيرهم على عالم من علماء الدين واكابرهم كما يستفاد من حديث الشيخين الذى ذكره بقوله
(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان آل ابى فلان) وفى اصل الحجازى ان آل بنى فلان ثم قال وفى بعض النسخ ان آل ابى
فلان قال ابن قرقول وهو المشهور انتهى وقال بعضهم ان آل بنى فلان غلط بل هو آل ابى فلان والمراد الحكم
ابن ابى العاص وقال بعضهم هو ابو العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف كنى عنه الراوى حذرا من آل بنى امية
اذ كانوا حينئذ امراء (ليسوا الى باولياء) وقال ابن قرقول وفى الحديث المشهور ان آل ابى ليسوا اولياء قال وبعد قوله
ابى بياض فى الاصول كأنهم تركوا الاسم تورعا وتقية وعند ابن السكن ان آل ابى فلان كنى عنه بفلان انتهى
ولا يخفى ان قوله تورعا لا وجه له اذ نص صلى الله تعالى عليه وسلم على اسمه ثم على تقدير آل ابى فلان لا يبعد ان يكون
كناية مبهمة ليشمل جميع اقاربه وقد يحمل عليه رواية آل ابى من غير فلان اذ الظاهر ان المقصود ليس منحصرا فى جميع
قريبه دون غيرهم كما يدل عليه عموم قوله ليسوا لى باولياء اى حقيقة حتى اواليهم صداقة لقوله تعالى ان اولياؤه
الا المتقون ولقوله سبحانه وتعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين هذا وقد قال التلمسانى والذى
لم يسم ذلك يحتمل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز غيره وهو اولى وراوى الحديث هو عمرو بن العاص وفى بعض
الروايات قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقول ان آل ابى سفيان ليسوا الى باولياء ثم ساق الحديث
ومعنى الحديث من كان غير صالح فليس بولى لى وان قرب نسبه منى (غير ان لهم) اى لآل ابى فلان (رحما) اى قرابة
(سأبلها) بضم موحدة ولام مشددة اى سأصلها واراعيها واقوم بحقها (ببلالها) بكسر الموحدة وفتحها قال البخارى
فى صحيحه وبلالها اصح يعنى بكسر الباء قال وبلالها يعنى بفتحها لا اعرف له وجها وسقط كلام البخارى هذا من
الاصل الاصيل انتهى والبلال جمع بلل وهو ما يبل به الحلق من ماء اولبن وفيه استعارة ومعناه ان القطع حرارة كالنار
والوصل برودة كالماء وهو يبرد حرارة القطيعة ويطفئها اى اصلها فى الدنيا ولا اغنى عنهم من الله شيأ فى العقبى شبهت
قطيعتها بالحرارة تطفأ بالماء وتندى بالصلة ومنه حديث بلوا ارحامكم ولو بالسلام كما رواه البزار والطبرانى والبيهقى
اى صلوها كما فى رواية (وقد صلى عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان (بامامة) بضم الهمزة (ابنة ابنته زينب)
اى بنت ابى العاص بن ربيعة بن عبد شمس من زينب بنته صلى الله تعالى عليه وسلم (يحملها على عاتقه) جملة حالية
وفى نسخة صحيحة فجعلها على عاتقه وقال التلمسانى يحملها بفتح الميم وكسرها معا الا ان الفتح افصح وروى فحملها
على عاتقه والعاتق ما بين المنكب والكتف (فاذا سجد) اى اراد ان يسجد (وضعها) اى على الارض بعمل يسير
(واذا قام) اى اراد القيام (حملها) وهذا بيان لكيفية صلاته بها ومثل هذا لا يشغل ارباب الكمال عما هم فيه
من حسن الحال حيث وصلوا الى مرتبة جمع الجمع الذين لا تحوم حولهم التفرقة بان لا تمنعهم الوحدة عن الكثرة
ولا الكثرة عن الوحدة فهم كائنون بائنون قريبون غريبون عرشيون فرشيون بحسب الارواح اللطيفة والاشباح
الشريفة كما قال قائلهم

رق الزجاج ورافت الخمر * فتشابها وتشا كل الامر
فكانما خمر ولا قدح * وكانما قدح ولا خمر

فالذى ما زاغ بصره وما طغى فيما رأى من آيات ربه الكبرى كيف يشغل قلبه عن ربه قطعة من لحمه ولكن هذا
مشرب ارباب السرائر دون مذهب اصحاب الظواهر وقد علم كل اناس معراج مشربهم ولكل طائفة منهاج

مذهبهم قال الخطابى واسناد وضعها وحملها فى كل خفض ورفع فيها اليه مجاز لانه يشغله عن صلاته وانما كانت
قد الفته وانست به فاذا سجد جلست على عاتقه فلا يدفعها فتبقى محمولة الى ان يركع فيرسلها الى الارض فاذا سجد
فعلت كذلك قاله الدلجى وظاهر قوله فاذا سجد وضعها واذا قام حملها يأباه اذ لا قرينة صارفة الى المجاز وقال ابن
بطال كان فى صلاة نافلة ونقله اشهب عن مالك ورواه النووى بما رواه ابن عيينة عن ابى قتادة قال رأيت النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم يؤم الناس وامامة بنت ابى العاص على عاتقه وبنصره رواية ابى قال بينا نحن ننتظر
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصلاة الظهر او العصر فخرج الينا وامامة على عاتقه فقام فى مصلاه وقمنا خلفه
قال النووى وزعم بعض المالكية انه منسوخ قال ابن دقيق العيد وروى عن مالك وقال ابن عبد البر لعله نسخ
بتحريم العمل فى الصلاة بقوله صلى الله عليه وسلم ان فى الصلاة لشغلا ورد بانه كان قبل بدر عند قدوم راويه عبد الله
ابن مسعود من الحبشة وقدوم زينب بامامة كان بعد ذلك ونقل اشهب وغيره ان حملها كان لضرورة دعت اليه
اذ لم يكن من يتعهدها حتى يفرغ وتركها بلا متعهد اشق واشغل عليه من حملها مصليا وزعم بعضهم انه خاص به
قال النووى وهذه كلها دعاوى مردودة لا بينة عليها ولا ضرورة اليها والحديث قاض بجواز ذلك صريح ليس فيه ما
يخالف قواعد الشرع وما فى جوفها من نجاسة معفو عنه لكونه فى معدنه وثياب الاطفال واجسادهم على
طهارتها وادلة الشرع شاهدة بان هذه الافعال لا تبطلها هذا وانما فعل ذلك تشريعا وبيانا للجواز وقد افاد ان لمس
المحارم لا ينقض وضوأ والعمل اليسير لا يبطل صلاة انتهى كلامه وابو امامة ابو العاص اسر يوم بدر فمن عليه بلا فداء
اكراما لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسبب زينب ثم اسلم قبيل فتح مكة وحسن اسلامه ورد صلى الله تعالى
عليه وسلم زينب عليه بنكاح جديد او بالنكاح الاول ثم بعد موته تزوجها على بوصاية فاطمة اليه فى ذلك ثم بعد على
تزوجها المغيرة بن نوفل بن عبد المطلب بن هاشم وليس لزينب ولا لرقية ولا لام كلثوم رضى الله تعالى عنهن عقب
وانما العقب لفاطمة رضى الله تعالى عنها وزينب اكبر بناته صلى الله عليه وسلم قال التلمسانى روى عن عائشة رضى الله
تعالى عنها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اهديت له هدية فيها قلادة من جزع فقال لادفعنها الى احب اهلى فقال
النساء ذهبت بها ابنة ابن ابى قحافة فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امامة بنت زينب فاعلقها فى عنقها
(وعن ابى قتادة) كما رواه البيهقى وهو انصارى فارس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعرف بذلك (قال وفد)
بفتح الفاء اى قدم (وفد النجاشى) اى جماعة من عنده رسلا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق ضبط النجاشى
وترجمته (فقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخدمهم) بضم الدال وتكسر وانما خدمهم بنفسه تواضعا لربه
وارشادا لامته (فقال له اصحابه نكفيك) اى خدمتهم (فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين) اى حين هاجروا اليهم ونزلوا
عليهم (وانى احب ان اكافئهم) بكسر فاء بعدها همزة مفتوحة اى اجازيهم بمثل ما فعلوا بهم من الاحسان جزاء وفاقا
(ولما) اى وحين (جيء باخته من الرضاعة) بفتح الراء وتكسر وفى نسخة من الرضاع (الشيماء) بفتح الشين المعجمة
وسكون التحتية ممدودة وفى اصل الدلجى بلا ياء وهى رواية ذكرها المحب الطبرى وهى مجرورة بيانا لاخته ويجوز
رفعها ونصبها كما هو معلوم فى امثالها عند اربابها قال الحلبى الشيماء فيها قولان هل هى بنت حليمة او اختها
قال الحجازى ابوها الحارث ادرك الاسلام واسلم بمكة واسلمت واسمها جدامة بجيم مضمومة فمهملة فالف فميم وقيل
خذامة بمعجمة مكسورة وذال معجمة وبفاء وقيل بميم (فى سبايا هوازن) متعلق بجيء اى فى اسارى قبيلة هوازن من بنى
سعد بن بكر (وتعرفت له) اى اعلمت باسمها ومكانها واطلعته على شأنها مما وقع له معها فى زمانهما وهو عطف على
جيء وجعله الدلجى جملة حالية اعتراضية بين لما وجوابها وهو قوله (بسط لها رداءه) اجلالا لها واكراما لاجلها
ومكافأة لفعلها الذى التى كانت تربيه مع امها حليمة (وقال لها) اى على وجه التخيير (ان احببت اقمت عندى
مكرمة) بضم ميم وفتح راء اى معظمة (محببة) بضم ميم ففتح فتشديد اى محبوبة وفى اصل التلمسانى محببة قال وروى
محبة وهما بمعنى والاول اكثر والثانى قليل اغنى عنه محبوبة فى الثلاثى (او متعتك) اى ان كنت تريدين المراجعة
اعطيتك متاعا حسنا ودفعت اليك ما تتمتعين به وتنتفعين منه وزودتك (ورجعت الى قومك) اى رجوعا مستحسنا
(فاختارت قومها) لعلها لضرورة الجأتها اليه (فمتعها) اى فزودها واعطاها اشياء تتمتع بها فقيل اعطاها غلاما له
اسمه مكحول وجارية فزوجت احدهما من الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية قيل وقد فازت هى وابواها واخوها
بسعادة الاسلام وزيادة الاكرام ببركته عليه الصلاة والسلام والحديث رواه ابن اسحق والبيهقى (وقال ابو الطفيل)
مصغر طفل وفى نسخة ابن الطفيل وهو تصحيف وهو عامر بن واثلة بالمثلثة الكنانى آخر من مات من الصحابة على
الاطلاق كان مولده عام احد وتوفى سنة مائة من الهجرة وقد روى اربعة احاديث وكان تفضيليا وقد روى ابو داود

بسند صحيح عنه (رايت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وكان جالسا يوما بالجعرانة يقسم لحما (وانا غلام)
اى حال كونى غير بالغ وقيل الصبى اذا فطم سمى غلاما الى سبع سنين (اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه) اى قربت
ووصلت اليه (فبسط لها رداءه) تكريما لها (فجلست عليه) اى بامره (فقلت لمن عنده من هذه قالوا امه التى
ارضعته) فقيل هى حليمة وقيل ثويبة قال الحافظ الدمياطى لايعرف لحليمة صحبة ولا اسلام وقال المرأة التى بسط
لها رداءه اختها الشيماء وروى ابن عبد البر فى استيعابه عن عطاء بن يسار ان حليمة بنت عبد الله مرضعة النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم جاءت يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه وفى سيرة مغلطاى وصحيح ابن حبان وغيره مايدل
على اسلامها (وعن عمرو بن السائب) كذا فى النسخ المصححه المعتبرة عمرو بالواو وقال الحجازى وهو ابن راشد المصرى
مولى بنى زهرة تابعى ذكره الحافظ عبد الغنى فى اكماله فيمن اسمه عمرو ووهمه الحافظ المزى وقال اسمه عمر بضم العين
قال الحلبى وهو غلط صريح صوابه عمر بن السائب بضم العين وحذف الواو هو يروى عن اسامة بن زيد وجماعة
وعنه الليث وابن لهيعة وغيرهما ذكره ابن حبان فى الثقات والحديث رواه ابو داود مرسلا عنه انه بلغه
(ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة) هو الحارث بن عبد العزى واختلف
فى اسلامه (فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه) اى حليمة (فوضع لها شق ثوبه) بكسر الشين اى طرفه (من
جانبه الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة) وهو عبد الله بن الحارث المذكور على ماهو الظاهر فيهم جميعا
لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له مراضع خمس وقيل ثمان (فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجلسه
بين يديه) اى تكريما له وتعظيما لوالديه (وكان يبعث) اى يرسل من المدينة الى مكة (الى ثويبة) بضم مثلثة وفتح واو
فسكون تحتية فموحدة (مولاة ابى لهب) بفتح الهاء وتسكن عمه عليه الصلاة والسلام يقال انها اسلمت (مرضعته)
بالجر بيان اوبدل لثويبة (بصلة) اى نفقة (وكسوة) قال التلمسانى بضم الصاد وكسرها وكسوة بضم وبكسر
وقرئ بهما فى السبع انتهى ولانعرف احدا من القراء انه قرأ بضم الكاف وكذا ضم الصاد غير معروف فى اللغة
(فلما ماتت سأل من بقى من قرابتها فقيل لا احد) اى مابقى منهم احد والحديث رواه ابن سعد عن الواقدى عن
غير واحد من اهل العلم وفى الروض الانف كان يصلها من المدينة فلما فتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح
فقيل ماتا (وفى حديث خديجة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (انها قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم ابشر)
بفتح الهمزة وكسر الشين المعجمة اى استبشر وافرح ولا تحزن (فوالله لايخزيك الله) بضم الياء وسكون الخاء المعجمة
وكسر الزاى اى لايهينك ولايذلك ولمسلم ايضا لايحزنك من الحزن وهو بفتح الياء وضم الزاى وبالنون اوبضم اوله
وكسر ثالثه كما فى بعض الروايات وبعض النسخ وقد قرئ بهما فى السبعة (ابدا) اى دائما سرمدا (انك لتصل الرحم
وتحمل الكل) بفتح فتشديد اى ثقيل الحمل العاجز عن تحمل مؤنة عياله (وتكسب المعدوم) اى تصل كل معدوم
من فقير محروم وفى رواية بضم اوله اى تعطى الناس الشئ المعدوم (وتقرى الضيف) بفتح اوله وكسر الراء اى تطعمهم
(وتعين) اى الخلق (على نوائب الحق) بالاضافة البيانية اشعارا بانها تكون فى الحق والباطل قال لبيد

نوائب من خير وشر كلاهما ٭ فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

وقال التلمسانى المراد بالحق هو الله سبحانه وتعالى لانه الخالق لها قال العلماء ومعنى كلام خديجة رضى الله تعالى عنها
انك لايصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الاخلاق ومحاسن الشمائل وفى هذا دلالة على ان خصال الخير
سبب السلامة من مصارع السوء (فصل) (واما تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو هضم نفسه
من الملكات المورثة للمحبة الربانية والمودة الانسانية (على علو منصبه) بكسر الصاد اى مع سمو منزلته (ورفعة رتبته)
اى مرتبته من تمام نبوته ونظام رسالته وفى نسخة رتبه جمع رتبة واغرب الدلجى فى جعل على على صرافته وصرف
عبارته الى تمثيل تمكنه منهما واستقراره عليهما بحال من اعتلى شيأ واقتعد غاربه وغرابته لاتخفى على ارباب الصفاء
(فكان صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس تواضعا) اى لعظم قدره وكرم امره (واقلهم كبرا) كذا فى الاصول
المصححة ولعله اراد بانه كان يتكبر احيانا لظهور كبرياء الله سبحانه وتعالى فيه بالنسبة الى بعض المتكبرين لما ورد
من ان التكبر على المتكبر صدقة وفى اصل الدلجى واعدمهم كبرا وذكر الحجازى انه رواية والمعنى افقدهم وهو يرجع
الى المعنى الاول لكنه باعتبار اللفظ فيه انه لايصاغ اسم التفضيل الا من فعل وجودى والحاصل انه بلغ من هذا
المعنى السلبى مبلغا لايشاركه فيه احد ثم قال وفى نسخة واقلهم كبرا والاولى اجود لافتقار الثانية الى حملها على نفيه
من اصله لكونه فى مقام مدح له انتهى وقد ذكر عند قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون انه وصف مصدر محذوف اى ايمانا
قليلا وقيل لاقليلا ولا كثيرا يقال قلما يفعل اى لايفعل اصلا ومن استعمال القلة بمعنى النفى حديث النسائى

عن ابن ابى اوفى قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو (وحسبك) مبتدأ خبره الجملة
بعده اى وكافيك (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه احمد والبيهقى (خير بين ان يكون نبيا ملكا)
بكسر اللام اى سلطانا (او نبيا عبدا) اى اوان يكون نبيا عبدا من جملة عباد الله تعالى داخلا فى الرعايا والضعفاء والمساكين والفقراء (فاختار ان يكون نبيا عبدا) اى متباعدا عما هو من شأن الملوك من التكبر والتجبر والتكاثر للخدم
والترفع عن الخدمة وتقربا الى ماهو من صفات العبيد من التقلل فى الدنيا والتكثر فى خدمة المولى (فقال له اسرافيل
عند ذلك) من اختيار النعت الجليل (فان الله قد اعطاك بما تواضعت له) اى فى هذا العالم (انك سيد ولد آدم
يوم القيامة) وهذا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله كما رواه ابو نعيم فى الحلية عن ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه وكقوله عليه السلام تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبراء الله وتخرجوا من الكبر رواه
ايضا عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه وقوله تواضعوا لمن تتعلمون منه وتواضعوا لمن تعلمونه ولاتكونوا جبابرة العلماء
رواه الخطيب فى الجامع عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وقوله التواضع لايزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم
الله تعالى رواه ابن ابى الدنيا ثم تقييده بقوله يوم القيامة لظهور سيادته فيه عيانا لكل احد كقوله سبحانه وتعالى
لمن الملك اليوم مع كون الملك له مطلقا (واول من تنشق الارض عنه) للبعث (واول شافع) اى يوم القيامة للعامة
اوفى الجنة لرفع درجات الخاصة لحديث مسلم انا اول شفيع فى الجنة (حدثنا الفقيه ابو الوليد ابن العواد) بتشديد الواو
(رحمه الله) جملة دعائية (بقراءتى عليه فى منزله بقرطبة) بضم قاف وطاء بلد بالمغرب (سنة سبع وخمسمائة)
والمقصود مما ذكره كله كمال استحضاره لروايته عنه (قال حدثنا ابو على الحافظ) اى الغسانى وقد تقدم (حدثنا ابو عمر)
بضم العين وهو يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى وانتهى اليه مع امامته علو الاسناد الدال
على جلالته وترجمته مسطورة ومصنفاته مشهورة (حدثنا ابن عبد المؤمن) وهو ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد
المؤمن (حدثنا ابن داسة) بتخفيف السين المهملة (حدثنا ابو داود) اى صاحب السنن (حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة)
صاحب التصانيف الحجة عن شريك وابن المبارك وعنه الشيخان وغيرهما قال الفلاس ما رأينا احفظ منه وقال
الذهبى فى الميزان ابو بكر ممن قفز القنطرة واليه المنتهى فى الثقة (حدثنا عبد الله بن نمير) بضم نون وفتح ميم عن هشام
ابن عروة والاعمش وعنه احمد وابن معين حجة واخرج له الائمة الستة (عن مسعر) بكسر ميم وبفتح وبفتح عين وهو ابن
كدام ابو سلمة الهلالى الكوفى اخذ العلم عن عطاء وغيره وعنه القطان ونحوه وله الف حديث وهو من العباد
القانتين اخرج له الائمة الستة (عن ابى العنبس) بفتح عين فسكون نون فموحدة مفتوحة فسين مهملة (عن ابى
العدبس) بفتح العين والدال المهملتين وتشديد الموحدة فسين مهملة (عن ابى مرزوق) قال ابن حبان لايجوز
الاحتجاج بما انفرد به (عن ابى غالب) اختلف فى توثيقه (عن ابى امامة) اى الباهلى (قال خرج علينا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوكئا) اى متحملا ومعتمدا (على عصا) اى لعارض من ضعف او مرض (فقمنا له)
اى تعظيما وتكريما (فقال) اى تواضعا (لاتقوموا) اى لى او مطلقا (كما تقوم الاعاجم) اى بطريق الالتزام او على سبيل
الوقوف على الاقدام (يعظم بعضها) اى بعض تلك الجماعة (بعضا) على ماهو دأب الملوك الفخام والاكابر العظام ولا
يعارضه حديث قوموا لسيدكم خطابا للانصار حين اقبل سعد راكبا على الحمار وهو شاك يحتاج الى استعانة جمع فى
نزوله الى محل القرار وابعد من استدل به على استحباب القيام المتعارف بين الانام والاقرب ان يحمل النهى على التنزيه
اوخاص لطائفة العرب لان يستمروا على عاداتهم من غير تكلف فى مقام الادب قال التلمسانى والقيام اربعة اقسام
فمحظوره القيام لمن يحب ان يقام له ومكروهه القيام لمن لايحب ان يقام له ومجازه القيام للعالم المتواضع وحسنه
القيام للقادم من سفر وانما خشى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من فعلهم ان يتخذوه سنة وكان لايحب التشبه باهل
الضلالة (وقال) اى تواضعا لله وترحما على خلق الله (انما انا عبد) اى مشابه للعبيد فى مقام التواضع وعدم التكلف
والتصنع (آكل كما يأكل العبد) اى من غير سفرة وخوان وجمعه اخونة واخون (واجلس كما يجلس العبد)
على التراب من غير سرير وفرش حرير وفى رواية لا آكل متكئا انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وربما جثى على ركبتيه وربما نصب اليمنى وجلس على ظهر قدمه اليسرى وعن عبد الله بن جعفر قال رايت فى يمين
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قثاء وفى شماله رطبا يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى من كمال تواضعه مع قدرته على ركوب الفرس والبغل والناقة (يركب الحمار) اى وحده تارة ومع غيره اخرى
كما ورد عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فى طريق قبا (ويردف خلفه) من الارداف او من الثلاثى بكسر الدال
فى الماضى وفتحها فى المستقبل اى ويركب وراء ظهره على الناقة وغيرها من اراد من اصحابه كالصديق وذى النورين

والمرتضى وعبد الله بن جعفر وزيد واسامة والفضل ومعاوية وغيرهم ممن بلغ عددهم خمسة واربعين (ويعود المساكين) من المرضى (ويجالس الفقراء) اى ويجتنب مجالسة الاغنياء و يقول اتقوا مجالسة الموتى والمغايرة بين الفقراء والمساكين من تفنن العبارة وان اختلف الفقهاء فى الفرق بينهما فى مصرف الصدقة (ويجيب دعوة العبد) اى الى بيت سيده او المراد به العبد المعتوق بان يأتى بيته جبرا لخاطره وتواضعا مع ربه وامتثالا لامره سبحانه وتعالى بقوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (ويجلس) كما فى حديث هند بن ابى هالة كان يجلس (بين اصحابه) اى فيما بينهم (مختلطا بهم) لا يتخير مجلسا يترفع به عليهم بل كان من دأبه معهم انه (حيث ما انتهى به المجلس) اى وخلا فيهم المكان المؤنس (جلس) اى تواضعا له سبحانه وتعالى وارشادا لاصحابه ليتأدبوا بآدابه (وفى حديث عمر) اى من رواية البخارى (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا تطرونى) من الاطراء وهو المبالغة فى الثناء الى حد يقع الكذب فى الاثناء اى لا تجاوزوا الحد فى مدحى بان تنسبوا الىّ ما لا يجوز فى وصفى (كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم) حتى زعموا انه ابن الله وغير ذلك (انما انا عبد) اى من عبيد ربى (فقولوا عبد الله ورسوله) وفيه ايماء الى ما قيل

لا تدعنى الا بيا عبدها * فانه اشرف اسمائيا

والنهى انما هو عن الاطراء لا لمطلق المدح والثناء لتقريره صلى الله تعالى عليه وسلم خديجة على مدحها له واما حديث اذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب فمحمول على المجاوزة عن الحد بالكذب ونحوه فى هذا الباب كما تشير اليه صيغة المبالغة وقد اشار صاحب البردة الى زبدة هذه العمدة بقوله

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

(وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه مسلم (ان امرأة) قيل لعلها ام زفر ماشطة خديجة اذ قد ورد مرسلا انها كانت صحابية و يحتمل غيرها (كان فى عقلها شئ) اى من جنون (جاءت فقالت ان لى اليك حاجة فقال اجلسى يا ام فلان) لعل الراوى لم يعرف اسم ابنها فكنى عنه (فى اى طرق المدينة) اى اجزائها (شئت) اى اردت انت مما هو اهون عليك او اقرب اليك (اجلس اليك) اى معك او متوجها اليك وهو مجزوم لجواب شرط مقدر بعد الامر اى ان تجلسى اجلس اليك (حتى اقضى حاجتك) اى من الكلام او طلب المرام (قال) اى انس (فجلست فجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها) من كمال تواضعه لها وملاطفته معها (قال انس رضى الله تعالى عنه) على ما رواه ابو داود والبيهقى (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار) بل عريانا احيانا (ويجيب دعوة العبد وكان يوم بنى قريظة) اى زمن غزوتهم وهى عقب غزوة الخندق (راكبا على حمار مخطوم) اى فى رأسه خطام وهو حبل كالزمام (بحبل من ليف) اى ورق نخل (عليه اكاف) جملة حالية من ضمير مخطوم والاكاف بكسر الهمزة او ضمها البرذعة او ما يشد فوقها (قال) اى انس رضى الله تعالى عنه (وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة) وهى بكسر الهمزة كل ما يؤتدم به من الادهان وقيل ما اذيب من الشحم والالية (السنخة) بفتح السين المهملة وبكسر النون اى المتغيرة الرائحة الزنخة (فيجيب) اى من دعاه الى ذلك (قال) اى انس (وحج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على رحل) اى كور او قتب وهو للبعير كالسرج للفرس (رث) بتشديد المثلثة اى خلق بال (وعليه) اى وعلى كتفه او على رحله (قطيفة) اى كساء له خمل (ما يساوى اربعة دراهم فقال) اى مع هذا كله (اللهم اجعله حجا) بفتح الحاء وكسرها على ما قرئ بهما فى السبع وزيد فى نسخة مبرورا (لا رياء فيه ولا سمعة) بل اجعله خالصا لوجهك الكريم (هذا) مبتدأ محذوف الخبر من اسمى فعل امر واشارة يورد كما بعد للانتقال من اسلوب مقال الى مقال آخر من الاحوال والواو بعده للحال ويذكر بعده خبره كما فى قوله تعالى هذا ذكر اى تأمل هذا الصنيع الجليل والقصد الجميل يورثك تعجبا من حجه على تلك الهيئة من التواضع والاستكانة كذا حققه الدلجى والاظهر ان يقال انه مركب من كلمتى التنبيه والاشارة اى تنبه لهذا (وقد) اى والحال انه قد (فتحت عليه الارض) اى والقت افلاذها من ذهب وغيره من فلذاتها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (واهدى) كما روى مسلم عنه (فى حجه ذلك) اى عام الوداع (مائة بدنة) اى ناقة تقربا الى ربه وارشادا لمن يقتدى به وايماء الى ان ترك تكلفه فى ثوبه ومركوبه لم يكن عن افتقار به وقد نقل انه صلى الله تعالى عليه وسلم نحر بيده الكريمة ثلاثا وستين بقدر سنى عمره وامر عليا كرم الله وجهه بنحر البقية فى يومه (ولما فتحت عليه مكة) على ما رواه ابن اسحق والبيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها والحاكم والبيهقى وابو يعلى عن انس رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتحت عليه مكة (ودخلها بجيوش المسلمين) اى باصناف منهم (طأطأ) بهمزتين اولاهما ساكنة وقد تبدل وثانيتهما مفتوحة اى خفض واطرق وارخى (على رحله) اى حال كونه راكبا فوقه (رأسه) مفعول طأطأ (حتى كاد) اى قارب صلى الله تعالى عليه وسلم (يمس) بفتح الميم كقوله

تعالى

تعالى لا مسه وقال التلمسانى بضم الميم لا غير والظاهر انه وهم منه اى يصيب برأسها وقارب رأسه ان يمس (قادمته) اى مقدمة رحله فحنى غاية لطأطأة رأسه وقوله (تواضعا لله) مفعول لاجله وفيه ايماء الى ما يشير اليه قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية الى ان قال وادخلوا الباب سجدا اى متواضعين لا متكبرين كالجبارين (ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله لا تفضلونى على يونس) مثلث النون وبالهمزة ست لغات (ابن متى) بفتح ميم وتشديد مثناة فوق وهى ام يونس ولم يشتهر نبى باسم امه غير عيسى و يونس كذا ذكره ابن الاثير فى الكامل اما يونس فللغلبة واما عيسى فلانه لا اب له ومنه قول القائل

الا رب مولود وليس له اب * وذى ولد لم يلده ابوان

مشيرا الى آدم عليه السلام ولم يلده بفتح الياء وسكون اللام وفتح الدال للضرورة وقد قيل انه من بنى اسرائيل وانه من سبط بنيامين قال الحجازى وما ذكر فى قصص الكسائى من ان متى ابوه ليس بصحيح فان قيل ما الجمع بين قوله فى صحيح البخارى لا تفضلونى على يونس ابن فلان ونسبه الى ابيه وظاهره ان متى ابوه واجيب بان متى مدرج فى الحديث من كلام الصحابى لبيان يونس بما اشتهر به ولما كان ذلك موهما ان الصحابى سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم دفع ذلك بقوله ونسبه الى ابيه اى لا كما فعلت انا من نسبته الى امه كذا ذكره الحجازى وتبعه الدلجى وغيره ولكن لا يخفى ان مثل هذا التصرف لا يجوز للراوى مع ما فيه من قلة ادب فى نسبته الى امه لولا انه منقول من اصله هذا ثم الحديث بهذا اللفظ غير معروف ولفظ البخارى لا يقولن احدكم انى خير من يونس بن متى ولعل وجه تخصيصه نفيه سبحانه وتعالى عنه العزم بقوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت او لما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من المعراج العلوى وليونس عليه السلام من المعراج السفلى ايماء الى ان الامكنة بالاضافة الى قرب الله تعالى على حد سواء تستوى فيه الارض والسماء وقد اجاب العلماء عن هذا الحديث باجوبة منها انه قاله تأدبا وتواضعا ومنها انه قاله قبل ان يعلم انه افضلهم فلما علم قال انا سيد ولد آدم بل وفى البخارى انا سيد الاولين والآخرين ولا فخر ومنها انه نهى عن تفضيل يؤدى الى الخصومة كما ثبت سببه فى الصحيح بورود لا تفضلونى على موسى كما سيجيئ ومنها انه نهى عن تفضيل يؤدى الى نقص بعضهم لا عن كل تفضيل لثبوته فى الجملة كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات ومنها انه نهى عن التفضيل فى نفس النبوة لا فى ذوات الانبياء وعموم رسالتهم وزيادة خصائصهم ومزية حالاتهم وهذا معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه الشيخان (ولا تفضلوا بين الانبياء) واما قوله عليه الصلاة والسلام (ولا تخيرونى على موسى) فسببه ما رواه الشيخان وابو داود والنسائى من انه استب مسلم ويهودى قال والذى اصطفى موسى على العالمين فلطم المسلم وجهه وذكر ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسأل المسلم عنه فاخبره فقال لا تخيرونى على موسى اى تخيير مفاضلة يؤدى الى مخاصمة واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان (ونحن احق بالشك من ابراهيم) اى اذ قال رب ارنى كيف تحيى الموتى انما صدر عنه تواضعا لربه وهضما لنفسه لا اعترافا به فى حق ابراهيم ولا فى حقه فكانه قال اذا كنت لم اشك فى احياء الله الموتى فابراهيم بعدم الشك اولى فاثبته لهما بنفى الشك عنهما وقيل بل قال ذلك على سبيل التقديم لابيه اى انه لم يشك ولو شك لكنت انا احق بالشك منه ثم قوله رب ارنى كيف تحيى الموتى شاهد صدق بان سؤاله لم يكن من قبل الشك والشبهة بل من قبل رؤية تلك الكيفية العجيبة الدالة على كمال قدرته الباهرة شوقا الى معرفتها مشاهدة كاشتياقنا الى رؤية الجنة معاينة والحاصل انه عليه الصلاة والسلام اراد بقوله ارنى الترقى من علم اليقين الى عين اليقين كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة ويدل عليه بقية الآية حيث قال تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ولو لبثت) اى لو مكثت (فى السجن) فرضا وتقديرا (ما لبث يوسف) بتثليث السين مهموزا وغيره ست لغات اى مدة لبثه فى السجن (لاجبت الداعى) وهو رسول الملك والمعنى لاسرعت الى اجابة دعوته مبادرة الى الخلاص من السجن ومحنته قال ذلك هضما لنفسه ورفعة لمقام يوسف ورتبته وايثارا للاخبار بكمال تثبته وحسن نظره فى بيان نزاهته واظهار براءته وحمدا لصبره وترك عجلته وتنبيها على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كانوا من الله بمكان لا يرام فهم بشر يطرأ عليهم من الاحوال ما يطرأ على غيرهم من الانام وان ذلك لا يعد نقصا لهم فى مقام المرام وتمام النظام (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام على ما رواه مسلم وابو داود والترمذى والنسائى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (للذى قال له) اى خاطبه بقوله (يا خير البرية) بالتشديد والهمز على ما قرئ بهما فى السبع اى الخليقة (ذاك ابراهيم) تعظيما لابوته وتعليما لامته ودفعا للافتخار عن ذاته (وسيأتى الكلام على هذه الاحاديث) اى على حل ما فيها من الاشكال الذى

تقدم بعض الاجوبة عنه (بعد هذا) اى فى محل اليق منه (ان شاء الله تعالى) اى بيانه فيه (وعن عائشة رضى الله تعالى
عنها والحسن) اى البصرى (وابى سعيد) اى الخدرى وكان حقه ان يقدم على الحسن اللهم الا ان يراد به الحسن
ابن على كرم الله وجهه لكن قاعدة المحدثين ان الحسن اذا اطلق فهو البصرى (وغيرهم) اى وغير المذكورين ايضا
كما رواه البخارى وغيره (فى صفته) اى نعته صلى الله تعالى عليه وسلم (و بعضهم يزيد على بعض) اى و بعض
الرواة منهم يزيد على بعضهم بعض العبارات فى تفصيل الصفات ومجمله قوله (وكان فى بيته فى مهنة اهله) بفتح الميم
وكسره وانكره الاصمعى ورجحه المزى بقوله وهو اوفق لزنته ومعناه اى خدمة اهله وفى الحديث ما على احدكم
لو اشترى ثوبين لجمعته سوى ثوبى مهنته فى اهله عما يتعين عليهم ودقايهم ومساعدتهم وتواضعا معهم وبيانه قوله
(يفلى ثوبه) بكسر اللام اى يزيل قمله كراهة لوجوده وتنظيفا لوسخه لما فى الشفاء لابن سبع انه لم يقع على ثيابه ذباب قط
ولم يكن القمل يؤذيه تكريما له وتعظيما فيه وروى ان ام حرام كانت تفلى رأسه (ويحلب شاته) بضم اللام وتكسر
(ويرقع ثوبه) بفتح القاف وفى نسخة من الترقيع (ويخصف نعله) بكسر الصاد اى يخرزها ويطبق طاقا على طاق
من الخصف وهو الجمع والضم ومنه قوله سبحانه وتعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى يطبقان ورقة
على ورقة على بدنهما بالخرز او الربط او اللصق ومن احسن ما قيل فى مثال نعله صلى الله تعالى عليه وسلم

امرغ فى المثال بياض شيبى * لما عقد النبى له قبالا
وماحب المثال بشوق قلبى * ولكن حب من لبس النعالا

وقال بعضهم

يالاحظا لمثال نعل نبيه * قبل مثال النعل لاتتكبرا
والثم له فلطالما عكفت به * قدم النبى مروحا ومبكرا
اولاترى ان المحب مقبل * طللا وان لم يلف فيه مخبرا

اقول وانا فى هذا الحال اقبل خيال المثال تعظيما لنبى ذى الجلال (ويخدم نفسه) بضم الدال وكسرها وهو تعميم بعد
تخصيص ثم ذكر ما يعم نفعه له ولغيره بقوله (ويقم البيت) بضم القاف وكسرها وتشديد الميم اى يكنسه (ويعقل البعير)
بكسر القاف اى يربط ركبته بالعقال وهو ما يعقل به من الحبال ومنه العقل لانه يمنع صاحبه عما يضره ويبعثه
على ما ينفعه (ويعلف) بكسر اللام قيل وبضم اوله (ناضحه) اى بعيره الذى يستقى عليه الماء (ويأكل مع الخادم)
اى مملوكا او غيره وهو يشمل المذكر والمؤنث (ويعجن معها) اى مع الخادمة من الجارية وغيرها وخص العجن بها لان
الغالب انه من عملها (ويحمل بضاعته) اى مشتراه من مأكول وغيره (من السوق) اى الى محله فى بعض اوقاته اذ ثبت
انه عليه السلام كان له خدم يقومون بما له من المرام (وعن انس رضى الله تعالى عنه) على ما رواه البخارى فى الادب
تعليقا ووصله ابن ماجه (ان) هى المخففة من المثقلة والمعنى ان الشأن (كانت الامة من اماء اهل المدينة) اى من
جنسها (لتأخذ) بفتح اللام الفارقة (بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به) اى تذهبه (حيث شاءت) اى من
طرق المدينة وبيوتها (حتى تقضى حاجتها) اى منه عليه الصلاة والسلام بشفاعة ونحوها (ودخل عليه رجل) هو
غير معروف (فاصابته من هيبته) اى مخافته وعظمته (رعدة) بكسر الراء اى اضطراب او برودة (فقال له هون عليك)
اى يسر امرك ولا تخف (فانى لست بملك) اى سلطان جائر والحديث سبق الا انه اعاده هنا لما فيه من زيادة قوله (انما
انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد) وهو اللحم المجفف فعيل بمعنى المفعول تنبيها له على انه مأكول المساكين
(وعن ابى هريرة) كما رواه الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف عنه انه قال (دخلت السوق مع النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فاشترى سراويل) فارسى معرب شابه من كلام العرب ما لا ينصرف معرفة ونكرة (وقال للوزان)
بتشديد الزاى اى وازن الفضة من الصيرفى وغيره (زن) بكسر الزاى (وارجح) بفتح همز وكسر جيم اى اعطه
راجحا على وزنه بالزيادة (وذكر القصة) اى بطولها ومن جملته (قال) اى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه
(فوثب) اى فقام الوزان بسرعة متوجها (الى يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها) بتشديد الموحدة جملة
حالية اى حال كونه مريد التقبيلها لما رأى فيها من زيادة السخاوة وحسن المعاملة (فجذب يده) اى تواضعا وتباعدا
عما يوجب النخوة والعجب والغرور (وقال هذا) اى التقبيل (تفعله الاعاجم) اى اهل فارس (بملوكها) اى ويورثهم
كبرا وفخرا ولاصحابهم ذلا (ولست بملك) اى من جنس ملوكهم (انما انا رجل منكم) اى بشر مثلكم او واحد من
جنس عربكم اعاملكم بمعاملة ادبكم وهذا لا ينافى ما ورد من انهم كانوا يتبركون به وبآثاره ولا ما ذكره النووى وغيره
من ان تقبيل يد الغير ان كان لجاه وغنى فمكروه او لصلاح وعلم فمستحب (ثم اخذ السراويل) اى من بائعه بعد تسليم ثمنه

فذهبت

(فذهبت) قصدت (لاحمله فقال صاحب الشئ احق بشيئه) اى بمتاعه المختص به (ان يحمله) لانه ابقى على تواضعه
وانفى لكبره وقد قيل لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم لبس السراويل لكن اشتراها قيل باربعة دراهم وفى الاحياء بثلاثة
ولم يلبسها وجاء فى الهدى لابن القيم من انه لبسها قالوا وهو من سبق القلم لكن السيوطى صحح لبسه صلى الله تعالى عليه
وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم هذا وقد ذكر التلمسانى انه اخرج ابو داود الحديث عن سماك بن حرب قال حدثنى سويد
ابن قيس قال جلبت انا ومخرمة العبدى بزا من هجر فاتينا به مكة فجاءنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشى
فساومنا بسراويل فبعناه وثم رجل يزن بالاجر فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زن وارجح وكذلك ذكر
الترمذى الحديث وصححه وابو عمر وفى الاستيعاب ثم نقل عن شيخه ان فى الحديث فوائد منها الرجحان فى الوزن
وهو من الورع الظاهر الفضل لان التطفيف حرام والتحرى فيه طول او شغب تمام والرجحان يقطعه والفضل يظهره
قال وفيه رد على ابى حنيفة المانع هبة المجهول قلت انما نشأ هذا من جهله بمرتبة الامام وعدم فرقه بين الشائع
الحاضر والمجهول الحاضر فى هذا المقام والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة المرام (فصل) (واما عدله
صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حكمه على وفق الحق ومنهاج الصدق (وامانته) اى فى اداء روايته وقضاء ديانته
(وعفته) اى عما لا يليق بحضرته (وصدق لهجته) اى منطقه وحكايته (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم آمن الناس)
بهمزة ممدودة اى اعظمهم امانة وامنا من ان يقع منه خيانة (واعدل الناس) لانه اعلمهم واحكمهم وارجحهم وكان
الاظهر ان يقدم اعدل على آمن ليكون النشر مرتبا (واعف الناس) اكثرهم عفة واصبرهم على ما يوجب
نزاهته (واصدقهم لهجة) اى اكثرهم صدقا من جهة الناطقة (منذ كان) اى من ابتداء ما وجد لما جبل عليه من
الاخلاق الحسنة ولا وجه لقول الدلجى من حين اعترف لان قوله (اعترف) استئناف بيان وفى نسخة ثم اعترف
(له بذلك) اى بما ذكر من الشمائل الرضية (محادوه) بتشديد الدال المضمومة اى مخالفوه ومنه قوله تعالى ومن
يحاد الله لكون كل واحد منهما فى حد كما قيل فى وجه اشتقاق قوله سبحانه وتعالى ومن يشاقق الله (وعداه) بكسر
عينه مقصورا اسم جمع اى اعداؤه ومعادوه (وكان يسمى قبل نبوته) اى ظهورها ودعوتها (الامين) لغاية امانته
ونهاية ديانته (قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة) اى لان تستعمل فى طريق
الحق وسبيل الخلق (وقال تعالى) اى فى حقه (مطاع) اى مكرم (ثم) اى عند الملأ الاعلى والحضرة العليا (امين)
موصوف بالامانة فى دعوى النبوة ووحى الرسالة (اكثر المفسرين على انه) اى المراد بالمطاع الامين (محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم) وكثير منهم على انه جبريل عليه السلام وسياق النظم يؤيده وسباق الكلام يؤكده وعلى كل فاتصافه
بالوصفين لا احد ينكره (ولما اختلفت قريش) على ما رواه احمد والحاكم وصححه الطبرانى انه حين اختلفت اكابر قريش
ورؤساؤهم (وتحازبت) بالزاى اى وصارت احزابا وطوائف مجتمعة وضبطه بعضهم بالراء وهو تصحيف (عند بناء
الكعبة) حين اجمرت امرأة فطارت شرارة فاحرقت الكعبة فهدموها وارادوا تجديد بنائها فوقع خلافهم (فيمن يضع
الحجر) اى الاسود والركن الاسعد فى موضعه الاصلى قبل هدمه وكل يقول انا واتباعى نضعه افتخارا بوضعه لانه
الركن الاعظم فى ذلك المقام الافخم وكاد ان يقع بينهم القتال لكثرة منازعة الرجال (حكموا) جواب لما اى حكموا
فيما بينهم لدفع النزاع عنهم (ان يكون الواضع اول داخل عليهم) اى ولا يكون واحدا منهم (فاذا بالنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم داخل) اى ففاجأهم دخوله وباغتهم وصوله (وذلك) اى ما ذكر (قبل نبوته) اى دعوى نبوته وظهور
رسالته (فقالوا) اى مقرين له بوصف امانته (هذا محمد هذا الامين قد رضينا به) ففرش صلى الله تعالى عليه وسلم
رداءه المبارك ووضع الحجر عليه وامر كل رئيس ان يأخذ بطرف منه وهو آخذ من تحته الذى فوض فيه الامر اليه
ووضعوه فى موضعه (وعن الربيع بن خثيم) بضم معجمة وفتح مثلثة روى عن ابن مسعود وغيره وعنه الشعبى ونحوه
وكان ورعا قانتا مخبتا حتى قال ابن مسعود له لو رآك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاحبك فطوبى له ثم طوبى له
قال التلمسانى وهو من الزهاد الثمانية ومن رجال حلية ابى نعيم (كان يتحاكم) بصيغة المجهول (الى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فى الجاهلية قبل الاسلام) اى قبل زمن البعثة وظهور النبوة (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم)
كما رواه ابن ابى شيبة فى مصنفه (والله انى لامين فى السماء) اى عند الله وملائكته المقربين (امين فى الارض) عند
المؤمنين وغيرهم من المجربين لكمال امانته وظهور ديانته وعدم خلفه فى وعده وتحقق صدقه فى قوله (حدثنا ابو على
الصدفى) بفتحتين (الحافظ) اى المعروف بحفظ الحديث (بقراءتى عليه ثنا) اى حدثنا (ابو الفضل ابن خيرون)
بفتح معجمة وضم راء بصرفه ومنعه والاول اظهر (ثنا ابو يعلى ابن زوج الحرة) تقدم (ثنا ابو على السنجى)
بكسر مهملة فسكون نون فجيم مروزى (ثنا محمد بن محبوب المروزى) اى راوى جامع الترمذى عنه (ثنا

ابو عيسى) اى الترمذى (الحافظ) اى المعروف وهو جامع السنن وصاحب الشمائل (ثنا ابو كريب) بالتصغير الهمدانى الكوفى روى عن ابن المبارك وخلق وعنه اصحاب الكتب الستة روى انه ظهر له بالكوفة ثلاثمائة الف حديث (ثنا معوية بن هشام) اى القصار الكوفى روى عن حمزة والثورى وعنه احمد وغيره وهو من الزهاد الثمانية (عن سفيان) اى الثورى على ما صرح به عبد الغنى الحافظ وان اطلق على غيره (عن ابى اسحق) اى الهمدانى الكوفى احد الاعلام الشهير بالسبيعى روى عن كثير من الصحابة والتابعين وقد رأى عليا كرم الله وجهه (عن ناجية بن كعب) بنون فالف فجيم مكسورة فتحتية مخففة تابعى وليس بصحابى (عن على) اى ابن ابى طالب كرم الله وجهه (ان ابا جهل قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك) بالتشديد والتخفيف اى لا ننسبك الى الكذب لثبوت صدقك (ولكن نكذب) بالتشديد لا غير (بما جئت به) اى من القرآن والايمان بالتوحيد والبعث ونحو ذلك فدلت هذه المناقضة الظاهرة على ان كفر اكثرهم كان عنادا (فانزل الله تعالى) اى فى شانه وعظيم برهانه (فانهم لا يكذبونك) بالتشديد وقرأ نافع والكسائى بالتخفيف (الآية) وهى قوله سبحانه وتعالى ولكن الظالمين بآيات الله اى المتلوة او المصنوعة يجحدون اى ينكرون فتكذيبهم فى الحقيقة راجع الى ربهم ففيه وعيد اكيد وتهديد شديد لهم وتسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى غيره) اى غير الترمذى زيادة عليه (لا نكذبك وما انت فينا بمكذب) تأكيد لنفى الكذب عنه وهو بتشديد الذال المعجمة المفتوحة وفى نسخة بمكذوب (وقيل) اى روى كما اخرجه ابن اسحق والبيهقى عن الزهرى وكذا ابن جرير عن السدى والطبرانى فى الاوسط (ان الاخنس) بفتح همزة وسكون معجمة وفتح نون فمهملة (ابن شريق) بفتح معجمة وكسر راء له صحبة وقال التلمسانى ذكره الحلبى قتل يوم بدر كافرا وفيه نزل قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا (لقى ابا جهل يوم بدر) وكان يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان سنة اثنتين من الهجرة (فقال له) اى بحكم العادة او تلطف العبارة (يا ابا الحكم) بفتحتين كنيته فى الجاهلية فغيرها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكناه ابا جهل (ليس هنا غيرى وغيرك) اى احد (يسمع كلامنا) اى فيما بيننا (تخبرنى) خبر بمعناه امر اى اخبرنى (عن محمد) اى عن وصفه (صادق) وفى نسخة زيادة هو والتقدير اصادق هو فى معتقدك (ام كاذب) عندك والمراد من الاستفهام حمله على الاقرار بما يعرفه من صدقه عليه الصلاة والسلام (فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق) اى الموصوف بالصدق ولا يخفى ما فى الجملة من زيادة الادوات المؤكدة (وما كذب محمد قط) اعتراف بالحق وروى ان ابا جهل قال بعد قوله وما كذب محمد ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فهذا يدل على انه ما منعه عن توحيد الله الا طلب الجاه فالخلق حجاب عظيم عن الحق (وسال هرقل) بكسر ففتح وضبط بكسرتين وكذا بضمتين بينهما ساكن ولا ينصرف للعجمة والعلمية وهذا اسمه العلم واما قيصر فهو لقب كل من ملك الروم (عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ابا سفيان) بن حرب على ما رواه الشيخان (فقال) اى هرقل مخاطبا لابى سفيان ومن معه (هل كنتم تتهمونه) بتشديد التاء الثانية (بالكذب) اى هل كنتم تنسبونه الى الكذب ولو بالتهمة بناء على المظنة (قبل ان يقول ما قال) اى من دعوى الرسالة (قال لا) وهذا السؤال يدل على كمال عقل هرقل ومعرفته بصفة الانبياء لكن لم ينفعه علمه حيث لم يقترن بعمله اذ هلك كافرا بعد فتح عمر رضى الله تعالى عنه بلاده وتوغل فى بلاد الكفر هربا من الاسلام ولا تغتر بمن شذ فزعم اسلامه ذكره الدلجى وقال الحلبى فى الاستيعاب انه آمن وهذا مؤول اى بانه اظهر الايمان وتمنى الامان لكنه غرته سلطنة الزمان (وقال النضر بن الحارث) اى العبدرى وهو بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وكان شديد العداوة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ اسيرا يوم بدر فامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه فقتله بالصفراء عقيب الواقعة واما النضير بالتصغير فهو اخوه وكان من المؤلفة واعطى يوم حنين مائة من الابل فاحذر ان يتصحف عليك كما توهم الحلبى ثم حديثه هذا رواه ابن اسحق والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (انه قال لقريش) اى لاكابرهم (قد كان محمد فيكم غلاما حدثا) بفتحتين اى من حال صغره قبل اوان كبره والانسب ان يراد به ههنا ما قيل من ان الغلام هو الصغير الى حد الالتحاء (ارضاكم فيكم) الظرفان حالان لا زمان (واصدقكم حديثا) اى قولا ووعدا (واعظمكم امانة) اى صدقا وديانة وهذه الشهادة لكونها من اهل العداوة حجة لما قيل الفضل ما شهدت به الاعداء (حتى اذا رأيتم فى صدغيه) بضم فسكون الشعر المتدلى على ما بين الاذن والعين (الشيب) اى بياض الشعر (وجاءكم بما جاءكم) اى بما اظهر لكم من الحق وكلام الصدق (قلتم) اى فى حقه (انه ساحر) فى غيبته وحضوره (لا والله ما هو بساحر) الجملة القسمية مؤكدة لما يفهم من الجملة المقدرة المنفية بلا النافية (وفى الحديث) وفى نسخة عنه اى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها (ما مست) بفتح الميم (يده يد امرأة قط لا يملك

رقها) بكسر راء وتشديد قاف اى لا يملكها نكاحا او ملكا فقد قال لاسماء التزويج رق المرأة فلتنظر اين تضع رقها واما ما فى البخارى اتت امرأة تبايع فقبض يدها فمحمول على المحرم او من فوق الثوب (وفى حديث على) اى ابن ابى طالب كرم الله وجهه (فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم اصدق الناس لهجة) اى لسانا وبيانا وقد تقدم (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الصحيح) اى فى الحديث الذى صح عنه وقد تقدم ذكره (ويحك فمن يعدل) بالرفع (ان لم اعدل خبت وخسرت) بالتكلم او الخطاب لرئيس الخوارج (ان لم اعدل وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها) اى على ما سبق من رواية الترمذى وغيره عنها (ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى امرين) وزيد فى نسخة قط (الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه) سبق حل مبناه وبيان معناه (قال ابو العباس) اى البصرى (المبرد) بفتح الراء المشددة وكان اماما فى النحو واللغة مات ببغداد ودفن بمقابر باب الكوفة (قسم) بتخفيف السين اولى من تشديدها وان اقتصر الانطاكى على الثانى (كسرى) بكسر الكاف وفتح الراء مقصورا اسم لكل من ملك الفرس واسمه الخاص برويز (ايامه) اى زمان دولته واوان مملكته (فقال) اى كسرى فى قسمته وقته (يصلح يوم الريح للنوم) المبنى على السكون لكون الوقت غير قابل للحركة من القيام للخدمة ولا للقعود فى الصحبة (ويوم الغيم للصيد) لعدم التأذى بشدة الحرارة التى تقتضيها كثرة حركة المعالجة (ويوم المطر للشرب واللهو) لعدم امكان الخروج (ويوم الشمس لقضاء الحوائج) جمع حاجة على خلاف القياس اى لحوائج الخلق والنظر الى مهماتهم بالعدل وفق الصدق (وقال ابن خالويه) بفتح اللام والواو وسكون التحتية وكسرها ويقال بضم لام وسكون واو وفتح تحتية فتاء تقلب هاء وقفا نحوى لغوى اصله من همذان بفتح الميم والذال المعجمة دخل بغداد وادرك اجلة العلماء مثل ابن الانبارى وابن مجاهد المقرى وتوفى بحلب سنة سبعين وثلاثمائة وله تصانيف كثيرة (ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم) كذا فى النسخ بثبوت ما قبل كان والظاهر زيادتها ويمكن جعلها موصولة او موصوفة او كان زائدة وما تعجبية وحاصله انه انما كان اعرفهم بسياسة دنياهم ولم يكن يعرف ما يتعلق بآخرتهم من مراتب عبادة مولاهم ولذلك استشهد بقوله تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وحاصله انه ليس فى تقسيمه كبير منفعة بخلاف تجزية صاحب النبوة ولهذا استدركه بقوله (ولكن) بالتخفيف اولى (نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) على ما رواه الترمذى وغيره عنه (جزأ) بتشديد الزاى فهمزاى قسم (نهاره) اى ساعات يومه (ثلاثة اجزاء) اى اقسام (جزأ) بالنصب وجوز بالرفع وقد يضم زايه (لله) تقديما لرضاه وقياما بالاشتغال بذكره وعبادته (وجزا) بالوجهين (لاهله) ايثارا لهم على حقه (وجزأ لنفسه) لحديث ان لنفسك عليك حقا ثم لعل هذا الجزء الاول من الصبح الى الظهر والثانى الى العصر والثالث الى المغرب والمعنى حصته لنفسه لا دخل فيها لغيره من الاهل خاصة دون العامة لقوله (ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس) اى عموما بحسب حاجاتهم والحاصل انه جعل ذلك الوقت ايضا وقتا للحق لنفعه بنفسه عموم الخلق فان كان احد منهم احتاج اليه وحضر لديه اقبل عليه وافاده بالفوائد الدينية والدنيوية والعوائد الحسية والمعنوية النافعة فى الدرجات الاخروية والا فاشتغل بمراعاة نفسه خاصة لفراغه من الواجبات المفروضة عليه من جهة حق الله تعالى وحقوق الاهل بحسب تقديم الاهم فالاهم والله تعالى اعلم (فكان) اى من عادته فى جزء خاصة نفسه (يستعين بالخاصة) اى من ارباب صحبته واصحاب خدمته (على العامة) اى قضاء حاجتهم والمجاهدة فى منفعتهم لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولقوله عليه الصلاة والسلام الخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود والمعنى يأمر الخاصة بتبليغ العامة اذ ليس كل انسان يتوصل الى ذلك (ويقول ابلغوا) اى وكان يقول لهم اوصلوا الى (حاجة من لا يستطيع ابلاغى) اى ابلاغ حاجته لى (فانه) اى الشان (من ابلغ حاجة من لا يستطيع) اى ابلاغها كما فى نسخة صحيحة (آمنه الله) بهمزة ممدودة اى جعله فى امن من الضرر (يوم الفزع الاكبر) وهو وقت النفخة الثانية او حالة الانصراف الى العقوبة والحديث رواه الطبرانى فى الكبير بسند حسن عن ابى الدرداء ولفظه ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة وكذا لفظ الترمذى فى الشمائل برواية الحسن عن اخيه الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم (وعن الحسن) اى البصرى على ما رواه ابو داود فى مراسيله (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤاخذ احدا) اى لا يؤاخذه ولا يجازيه (بقرف احد) بفتح قاف وسكون راء اى بذنبه وكسبه ومنه قوله تعالى ومن يقترف او بظن احد ورميه وفى نسخة بقذف احد بسكون الذال المعجمة من قذفه بالمكروه اى نسبه اليه (ولا يصدق احدا على احد) اى ولا يقبل كلام احد فى حق احد سواء ترتبت عليه المؤاخذة ام لا فهو تعميم بعد تخصيص (وذكر ابو جعفر) وهو محمد بن جرير (الطبرى) بفتحتين نسبة الى طبرية وكذا رواه ابن راهويه فى مسنده والبيهقى فى دلائله عن على كرم الله وجهه (عنه

عليه الصلاة والسلام ماهممت بشئ) اى ماقصدت عملا (مما كان اهل الجاهلية يعملون) وانما اعاد المصنف هذا
الحديث ههنا مع تقدمه لافادة زيادة قوله (غير مرتين كل ذلك) ضبط بالرفع والنصب وهو اظهر اى فى جميع ماذكر
من الكرتين (يحول الله) اى يصير بحوله حائلا ومانعا (بينى وبين ما اريد من ذلك) اى عمل اهل الجاهلية وهذا معنى
قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اى يحجز ويمنع وقال ابو عبيد يملك عليه قلبه فيصرفه كيف شاء (ثم)
اى بعد ماهممت بهما (ماهممت بسوء) اى ابدا بتوفيقه وعصمته (حتى اكرمنى الله برسالته) ومن المعلوم ان بعد
تحقق نبوته لم يتصور وجود مخالفته ثم بين المرتين من الحالتين المذكورتين بقوله (قلت ليلة لغلام) اى لفتى او مملوك
(كان يرعى معى) اى غنمى او غنم غيرى وهو الاظهر لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مامن نبى الا وقد رعاها يعنى الغنم
قيل ولا انت يارسول الله قال نعم كنت ارعاها على قراريط لاهل مكة ولعل الحكمة ان يتدرب على سياسة الرعية على
سبيل الشفقة والرحمة ولا يبعد ان تكون الغنم له اولغيره لكن كانت فى عهدته بقوله (لو ابصرت الى غنمى) اى تعنيت
والتمست منك ان راعيت حفظ ما يتعلق بى (حتى ادخل مكة فاسمر بها) بفتح الهمزة وضم الميم اى احادث ليلا مطلقا
اوليلا مقمرا والسمر فى اصله ضوء القمر وجعل الحديث فيه سمرا ومنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون كانوا
يجتمعون حول البيت بالليل وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميتهم اياه سحرا فلهذا ذمهم الله بقوله تهجرون (كما
يسمر الشباب) اريد به الجنس ووقع فى اصل الدلجى بلفظ الشباب والمعنى فاسمر سمرا مشابها لسمرهم فى مشاهدة
قرهم حال سهرهم ورقادهم فى سحرهم لغلبة سكرهم وكثرة نكرهم وقلة فكرهم (فخرجت لذلك) اى لقصد السمر (حتى
جئت اول دار من مكة) اى مما فيها آلات لذات الشهوة (سمعت عزفا) بفتح مهملة فسكون زاى ففاء اى لعبا
بالمعازف وهى الملاهى اوصوتا حسنا وغناء فى الطباع مستحسنا مختلطا (بالدفوف والمزامير) او بسبب ضرب
الدفوف واصوات الملاهى كالعود والطنبور ونحوها (لعرس بعضهم فجلست) اى خارج الباب او داخله او بعد
الاذن وبعد رفع الحجاب (انظر) اى حال كونى انظر لعبهم واسمع لهوهم اومن اجل ان انظر اليهم واسمع لديهم
(فضرب) بصيغة المجهول (على اذنى) بضم الذال وتسكن وبفتح النون وتشديد ياء المتكلم او بكسر النون وتخفيف
ياء الاضافة على ارادة الجنس اى انامنى الله انامة ثقيلة لا يمنعنى عن النوم اضطراب اصوات ولا كثرة حركات ومنه
قوله تعالى فضربنا على آذانهم اى انمناهم (فنمت) بكسر النون (فما ايقظنى الامس الشمس) اى اصابة حرها على بدنى
(فرجعت ولم اقض شيأ) اى مما قصدت من المعصية وارتكاب السيئة ولعل سماع المزامير كان مباحا فى الشرائع
المتقدمة (ثم عرانى) اى اصابنى (مرة اخرى مثل ذلك) اى مما هممت به فى المرة الاولى فعصمنى منها المولى (ثم لم اهم)
بضم هاء وتشديد ميم مفتوحة ويجوز ضمها وكسرها اى لم اقصد (بعد ذلك) اى ماذكر من المرتين (بسوء) اى بهم سوء
قط وهو بضم السين وبفتح (فصل) (واما وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الواو اى رزانته ورصانته وحلمه
وتحمله (وصمته) اى سكوته وسكونه وطمأنينته وسكينته (وتؤدته) بضم ففتح همز ويبدل اى تأنيه فى قوله وعمله
وتثبته ومهلته بلا عجلة (ومروءته) بضمتين فسكون واو فهمز وتبدل وتدغم فتشدد (وحسن هديه) اى سيرته وطريقته
المشتملة على حقائق شريعته ودقائق حقيقته (فحدثنا) كذا بالفاء ههنا على ما فى النسخ المصححة (ابو على الجيانى)
بفتح جيم وتشديد تحتية ثم نون وهو الغسانى (الحافظ اجازة) اى نوعا من انواع الاجازة ومنها المناولة ولو بالمكاتبة
(وعارضت) اى قابلت (اصلى بكتابه) اى المروى عن مشايخه (قال ثنا) اى حدثنا (ابو العباس الدلائى)
بكسر دال مهملة فلام مشددة وقد تخفف بعدها الف ممدودة (انا) اى اخبرنا وفى نسخة ثنا (ابوذر الهروى) تقدم
ذكره (انا) اى اخبرنا (ابو عبد الله الوراق) بتشديد الراء (ثنا) اى حدثنا (اللؤلؤى) بهمزتين وقد تبدل الاولى
(ثنا ابو داود) اى صاحب السنن (ثنا عبد الرحمن) اى ابن محمد (ابن سلام) بتشديد اللام قيل وهو يكتب
بهمزة الابن ههنا ايماء لوجود الفاصلة روى عن ابن المبارك وابن فضالة وروى عنه ابو زرعة (قال حدثنا الحجاج)
وفى نسخة صحيحة حجاج (ابن محمد) وهو الاعور المصيصى الحافظ عن ابن جريج وشعبة وعنه احمد وغيره قال ابن ماجه
بلغنى ان ابن معين كتب عنه نحوا من خمسين الف حديث (عن عبد الرحمن بن ابى الزناد) وهو عبد الرحمن بن عبد الله
ابن ذكوان روى عن ابيه وشرحبيل بن سعد وعنه هناد وعلى بن حجر (عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب) بالتصغير
وفى نسخة عن وهب وهو تصحيف قال الحلبى هو عمر بن عبد العزيز بن وهيب الانصارى مولى زيد بن ثابت روى
عن خارجة بن زيد وعنه عبد الرحمن بن ابى الزناد واخرج له ابو داود فى المراسيل هذا الحديث قال الذهبى فى الميزان
لا يعرف من ذا (سمعت خارجة بن زيد) اى ابن ثابت الانصارى وهو احد الفقهاء السبعة بالمدينة المقول فيهم

الا كل من لا يقتدى بائمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه

فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد ابو بكر سليمان خارجه

وكنيته ابو زيد (يقول) اى خارجة وهو تابعى فيكون حديثه هذا مرسلا وهو حجة عند الجمهور (كان النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم اوقر الناس) اى اكثرهم حلما واعظمهم تحملا فى جميع اوقات انسه لا سيما (فى مجلسه) اى المعد
لصاحبة جنسه محافظة على رعاية آدابه تعليما لاصحابه واحبابه وطلبة حديثه وحملة كتابه (لا يكاد يخرج شيأ
من اطرافه) اى من بزاقه او مخاط انفه او قطع ظفره او قلع وسخه ووقع فى اصل الدلجى شئ بالرفع وقال فى قوله
لا يكاد يخرج مبالغة فى لا يخرج اى لا يقرب ان يظهر من تحت ثيابه شئ من اطرافه فضلا عن ان يظهر منها شئ
انتهى فتدبر واختر ما صفا ودع ما كدر (وروى ابو سعيد الخدرى) كما اخرجه عنه ابو داود وكذا الترمذى فى شمائله
(كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جلس فى المجلس) اى فى جنس مجلسه او مجلسه الخاص فيما بين اصحابه
(احتبى بيديه) بان جمع بين ظهره وساقيه اما بيديه او بثوبه كما فى رواية والاسم الحبوة بضم الحاء وكسرها والعامة
تقول حبية (وكان اكثر جلوسه) اى هيئات جلوسه وحالات قعوده (محتبيا) لكثرة التواضع لديه وعدم
التكلف فيما كان سلف العرب عليه ولذا قال اكثر الاوقات اليه وفى الحديث الاحتباء حيطان العرب واحيانا يقعد
على هيئة التحية (وعن جابر بن سمرة) كما روى مسلم وابو داود (انه تربع) اى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا جلس
فى المجلس تربع احيانا لقوله (وربما) بالتشديد والتخفيف (جلس القرفصاء) بضم القاف والفاء وروى بكسرهما
ويمد ويقصر فيهما وعن الفراء اذا ضممت مددت واذا كسرت قصرت ومعناه عن ابى عبيد ان يجلس على اليتيه
ملصقا بطنه بفخذيه محتبيا بيديه (وهو) اى جلوسه القرفصاء على ما رواه الترمذى (فى حديث قيلة) بفتح قاف
فسكون تحتية بنت مخرمة العنبرية وقيل العدوية وقد تقدم (وكان كثير السكوت) لتفكره فى مشاهدة الملكوت
وتذكره مطالعة الجبروت (لا يتكلم فى غير حاجة) اى من قضية ضرورية دينية او دنيوية او مسئلة علمية او عملية لقوله
تعالى والذين هم عن اللغو معرضون والحديث ان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (يعرض عمن تكلم بغير جميل)
اى بما لا يستحسن ذكره ولا يباح امره اذا صدر عمن تكلم بناء على جهله لقوله تعالى واعرض عن الجاهلين والظاهر
ان المراد بالاعراض هو الصفح وعدم الاعتراض فيختص بالمكروهات التنزيهية على مقتضى القواعد الشرعية واما
المحرمات القطعية وكذا المكروهات التحريمية فلابد للشارع من ان يأمر ويزجر فيما يحق النبوة والرسالة
واما قول الدلجى فى تفسير غير جميل حراما او مكروها اذ لا يقر على باطل واعراضه كاف عن انكاره صريحا لاشعاره
بعدم رضاه به فهو ليس من الحمل الجميل لان الانكار القلبى لا يكون كافيا الا للعاجز عن انكاره بيده ولسانه وهذا
غير متحقق فى زمانه لاسيما بالنسبة الى عظمة شانه وان كان زماننا هذا يكتفى فيه بالسكوت وملازمة البيوت
والقناعة بالقوت الى ان تموت على محبة الحى الذى لا يموت (وكان ضحكه) بكسر فسكون وروى بفتح فكسر (تبسما)
اى من جهة الابتداء آتية كقوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها او من طريقة الاغلبية لما فى الشمائل للترمذى من
حديث عبد الله بن الحارث ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واما القهقهة فنفية
ويمكن حمله على ظاهره من عمومه لما فى الشمائل ايضا من حديث جابر بن سمرة وكان لا يضحك الا تبسما لكن الشراح
حملوه على غالب حاله وقيل كان لا يضحك فى امر الدنيا الا تبسما اما فى امر الآخرة فكان قد يضحك حتى تبدو نواجذه
على ما فى الترمذى ايضا وهو توفيق حسن وجمع مستحسن (وكلامه فصلا) اى وكان كلامه فرقا بين الحق والباطل
او فاصلا بين الحلال والحرام او بينا يتبينه كل من سمعه ولا يشتبه على من يتفهمه وما ذلك الا لجعله تعالى له مبينا للانام
فى مشكلات الاحكام كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم او مختصرا ملخصا لقوله (لا فضول) بالفتح اى لا زيادة
فى كلامه (ولا تقصير) اى ولا نقصان عن قدر الحاجة اولا ايجاز ولا اطناب بل التوسط المحمود فى كل باب بالجمع
بين المبانى اليسيرة والمعانى الكثيرة (وكان ضحك اصحابه عنده) اى فى حضرته (التبسم) اى لا غير (توقيرا له)
اى تعظيما لحرمته (واقتداء به) اى فى كيفية ضحكه وهيئته (مجلسه مجلس حكم) بضم فسكون اى مجلس علم
بالاحكام او عمل بالعدل فى حق الانام ولو ثبت كسر حاء وفتح كاف لكان له وجه وجيه فى المرام بان يكون مجلسه
للصحبة ملآن من انواع الحكمة ويؤيده ان رواية الترمذى مجلس علم وفى نسخة بكسر حاء وسكون لام وكذا وقع فى اصل
الدلجى وهو ملكة تورث التؤدة وعدم العجلة عند حركة الغضب وداعية العقوبة (وحياء) اى ومجلس حياء مشتمل
على صفاء وضياء وهى ملكة تمنع عما لا يليق فعله فى الحضرة والغيبة (وخير) اى ومجلس كل خير من خيرى الدنيا
والآخرة فهو تعميم بعد تخصيص (وامانة) اى مجلس امانة دون خيانة تخصيص للاهتمام بامرها لتعلقها بغير
صاحبها ولذا ورد لا ايمان لمن لا امانة له على ما رواه احمد وابن حبان فى صحيحيهما عن انس رضى الله تعالى عنه (لا ترفع)

بصيغة المجهول مذكرا او مؤنثا (فيه) اى فى مجلسه (الاصوات) تادبا بالسيد الكائنات ولقوله سبحانه وتعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الآيات (ولا تؤبن) بضم فسكون همز وتبدل وفتح موحدة مخففة وقد تشدد اى لا ترمى بصريح ولا تذكر بقبيح (فيه الحرم) بضم وفتح جمع الحرمة وهى ما لا يحل انتهاكه وروى بضمتين بمعنى النساء من الاهل وما يحميه الرجل والمعنى لا تقذف ولا تعاب من ابنته اى رميته بسوء ومنه حديث النهى عن شعر تؤبن فيه النساء وكذا حديث الافك اشيروا على فى اناس ابنوا اهلى وحاصله ان مجلسه كان يصان من رفث القول وفحش الفعل وقد تعسف على اليمنى حيث قال مأخوذ من المأثر واحدها مأثرة ويحتمل لا تؤبر اى لا تلدغ من ابرته العقرب لدغته انتهى (اذا تكلم) اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم (اطرق جلساؤه) اى خفضوا رؤسهم وسكنوا وانفوا (كانما) بزيادة ما الكافة (على رؤسهم الطير) يجوز فى مثله ثلاثة اوجه بحسب القرآءة وهى كسر الهاء وضم الميم وكسرهما وضمهما وفى التشبيه تنبيه على المبالغة فى وصفهم بالسكوت والسكينة وعدم الخفة لان الطير لا يكاد يقع الا على شىء ساكن من الحركة (وفى صفته) اى وجاء فى نعت مشيه على ما فى الشمائل وغيره (يخطو) بضم طاء وسكون واو اى يمشى (تكفؤا) بضم فاء مشددة فهمزة وتبدل وفى نسخة بكسر فاء وفتح تحتية اى تمايلا الى قدام قال النووى وزعم كثيرون ان اكثر ما يروى بلا همز وليس كما قالوا انتهى وقال صاحب النهاية هكذا روى غير مهموز والاصل الهمز وبعضهم يرويه مهموزا لان مصدر تفعل من الصحيح تفعلا كتقدم تقدما وتكفأ تكفؤا والهمزة حرف صحيح واما اذا اعتل انكسر عينه نحو تسمى تسميا وتخفى تخفيا فاذا خففت الهمزة التحق بالمعتل فصار تكفيا بالكسر (ويمشى هونا) اى مشيا هونا لقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا اى سكونا لا سريعا ولا بطيئا ولا خيلاء بل افتقارا للحق وتواضعا للخلق وفى رواية الهوينى تصغيره وهى تأنيث اهون فالتقدير مشية هوينى (كانما ينحط) بتشديد الطاء اى ينزل (من صبب) بفتحتين وموحدتين اى منحدر ويلزم منه الميل الى القدام لا السرعة المنافية لمقام المرام كما زعم من ليس له فى هذا الفن المام وفى رواية للترمذى فى صبب وهو اظهر فتدبر (وفى الحديث الآخر اذا مشى) اى فى جميع اوقاته (مشى مجتمعا) اى مشيا معتدلا مستويا مجتمعا بين توالى حركاته لا متفرقا فى حركاته وسكناته وقال الهروى اى ما كان يمشى مسترخيا (يعرف فى مشيته) بكسر الميم اى هيئة مشيه وضبط فى نسخة بفتحها وهو سهو قلم من كاتبها (انه غير غرض) بفتح معجمة وبكسر راء وتنوين معجمة مأخوذ من الغرض بفتحتين وهو الضجر والملال ومنه قول الحسن علم الله انه بلا غرض فرخص لعباده من شاء ان ينفر فى النفر الاول ومن شاء ان ينفر فى النفر الآخر وروى بلا غرض بالاضافة والصفة (ولا وكل) بفتحتين على ما فى النسخ المصححة ففى القاموس رجل وكل محركة عاجز وقال الدلجى بكسرهما وقال التلمسانى الغرض بفتح الراء وروى بكسرها والوكل بفتح الكاف وحكى كسرها والله تعالى اعلم (اى غير ضجر) تفسير من المصنف لغرض على وزانه اى غير قلق وملل (ولا كسلان) تفسير لوكل بمعنى ولا عاجز يكسل فى فعله اى الهداية والدلالة فيكل امره الى غيره معتمدا على تحصيله (وقال عبد الله بن مسعود) فيما رواه البخارى عنه موقوفا (ان احسن الهدى) بفتح فسكون اى السيرة والطريقة المشتملة على جنبة الشريعة وحقية الحقيقة وفى نسخة بضم ففتح مقصورا اى الهداية والدلالة (هدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نفس الامر هديه هدى ربه لفنائه فى بقائه فيصح اسناده اليه تارة والى ربه اخرى كما قال تعالى قل ان الهدى هدى الله وفى آية اخرى قل ان هدى الله هو الهدى (وعن جابر بن عبد الله) صحابيان انصاريان رضى الله تعالى عنهما (كان فى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل) اى تبيين لحروف البناء وتمهيل فى كيفية الاداء لقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقوله لتبين للناس ما نزل اليهم (وترسيل) عطف تفسير وهو موافق لما فى المصابيح وفى نسخة صحيحة باو على انه شك من الراوى (وقال ابن ابى هالة) واسمه هند وامه خديجة رضى الله تعالى عنهما فهو ربيبه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان سكوته على اربع) اى على اربعة احوال والحال يذكر ويؤنث لانها بمعنى الوصف والصفة (على الحلم) على جهة التحمل مع القدرة والمجاوزة عن المؤاخذة (والحذر) اى الحراسة من الاعداء المخالفة (والتقدير والتفكر) قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد) اى لو احصى عدد حروفه المحصى من اهل الحساب (لأحصاه) اى لقدر على احصائه وعد عدده وجمعه وحفظه وهذا مبالغة فى الترتيل والتبيين وقد روى انه كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تكلم تكلم ثلاثا ولعل الاول للاسماع والثانى للتنبيه والثالث للفكر والاظهر ان الثلاث باعتبار مراتب مدارك العقول من الاعلى والاوسط والادنى (وكان يحب الطيب والرائحة الطيبة) اى الحاصلة من غير جنس الطيب كبعض الازهار والاثمار (ويستعملهما كثيرا) استعمالا مناسبا لكل منهما مع انه بذاته بل وبفضلاته طيب كما هو مقرر فى محله فكان استعماله لهما لزيادة

المبالغة بنية ملاقاة الملائكة ولانهما يورثان النشاط والقوة (ويحض عليهما) اى يحث ويحرض على استعمالهما (ويقول حبب الى من دنياكم النساء) وفى رواية تأخيره (والطيب) كما رواه النسائى والحاكم فى مستدركه من حديث انس باسناد جيد وضعفه العقيلى وليس فيه لفظ ثلاث وانما وقع فى بعض الكتب كالاحياء وغيره فما وقع فى بعض النسخ من لفظ ثلاث بعد دنياكم خطأ فاحش ومما يدل على بطلانه تغيير سياق الحديث وتعبيره بقوله (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) ايماء الى ان قرة العين ليست من الدنيا لا سيما من الدنيا المضافة الى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ودفعا لما تكلف بعضهم من ان الصلاة حيث كانت واقعة فى الدنيا صحت اضافته اليها فى الجملة على اختلاف فى ان المراد بالصلاة هل هى العبادة المعروفة او الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام والله تعالى اعلم بحقيقة المرام ثم تحقيق الكلام ما ذكره حجة الاسلام فى الاحياء حيث قال الدنيا والآخرة عبارة عن حالين من احوال القلب فالقريب الدانى منهما يسمى دنيا وهى كل ما قبل الموت والمتراخى المتأخر يسمى آخرة وهى ما بعد الموت ثم الدنيا تنقسم الى مذمومة وغير مذمومة فغير المذمومة ما يصحب الانسان فى الآخرة ويبقى معه بعد الموت كالعلم والعمل فالعالم قد يأنس بالعلم حتى يصير الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمشرب فى لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا له فى الدنيا ولكن لا يعد ذلك من الدنيا المذمومة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته ويستلذ بها بحيث لو منعت عنه لعظم ذلك عليه حتى قال بعضهم ما اخاف الموت الا من حيث يحول بينى وبين قيام الليل فقد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو وعلى هذا ينزل جعله عليه الصلاة والسلام الصلاة من جملة ملاذ الدنيا اولان كل ما يدخل فى الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود انما يكون فى الدنيا فلذلك اضافها عليه الصلاة والسلام الى الدنيا الا انها ليست من الدنيا المذمومة فى شىء فان الدنيا المذمومة هى حظ عاجل لا ثمرة له فى الآخرة كالتنعم بلذائذ الاطعمة والمباهاة بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والقصور والدور ونحوها مما يزيد على قدر الضرورة والحاجة (ومن مروءته) اى اخلاقه المرضية وشمائله البهية (نهيه) كما رواه احمد (عن النفخ فى الطعام والشراب) اى جميعا ولابى داود وابن ماجه والترمذى وصححه نهيه عن النفخ فى الاناء وللترمذى فى الشراب لانه فى الطعام يؤذن بالعجلة وشره النهمة وقلة التؤدة وفى الاناء يورث رائحة كريهة ولانه قد ينفصل بالنفخ فيهما من الفم ما يكون موجبا النفرة الطبيعة وقيل نفس الادمى سم (والامر) كان الاولى ان يقال وامره ليحسن عطفه على نهيه اى ومن مروءته ايضا الامر (بالاكل مما يليه) اى الآكل بصيغة الفاعل لحديث الشيخين قل بسم الله وكل بيمينك مما يليك على الخلاف فى ان الامر للوجوب او الندب وعليه الاكثر (والامر بالسواك) اى وكذا امره به من جملة مروءته كما فى حديث لا مرية فى صحته ومن فوائد السواك ازالة تغير الفم وتنظيف الاسنان وتطييب النفس وغيرها مما بلغ اربعين آخرها انه يذكر الشهادة عند الخاتمة على ضد اكل الافيون نسأل الله العافية (وانقاء البراجم) بالجر عطفا على بالسواك وفى نسخة بالرفع على ان التقدير ومن مروءته تنظيف البراجم (والرواجب) وهما جمع برجمة بالضم وراجبة والمراد بهما مفاصل الاصابع من ظهر الكف وباطنها (واستعمال خصال الفطرة) بالاحتمالين وهى فيما رواه الشيخان خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط زاد مسلم المضمضة واعفاء اللحية والاستنجاء وابو داود من حديث عمار الانتضاح ومن حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فرق الرأس هذا والاستنشاق فى معنى المضمضة وقد سبق فى معانيها ما يغنى عن اعادتها هنا (فصـــل) (واما زهده فى الدنيا) اى عدم ميله اليها وقلة المبالاة بوجودها وفقدها اعتمادا على خالقها (فقد تقدم من الاخبار) اى الاحاديث الواردة عن الثقات الاخيار (اثناء هذه السيرة) اى سيرة سيد الابرار (ما يكفى) اى يغنى عن الاعادة والتكرار (وحسبك من تقلله منها) اى كافيك من منفعتها (واعراضه عن زهرتها) بفتح الزاى اى زينتها وبهجتها (وقد سيقت اليه) اى والحال انها جلبت لديه وعرضت عليه (بحذافيرها) جمع حذفار وقيل حذفور اى باسرها من اولها وآخرها (وترادفت) اى تتابعت (عليه فتوحها) والجملتان معترضتان بين المبتدأ وخبره وهو قوله (ان توفى) بصيغة المجهول بعد ان المصدرية والمعنى كافيك مما ذكر حال حصول ما ذكر وفاته (صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة الى ان توفى على انها متعلقة بتقلله ايماء الى اختيار زهده فى الدنيا باعتبار الحالة الاولى والاخرى دفعا لما توهم بعضهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخر عمره اختار الغنى ومما يأبى هذا المعنى قوله (ودرعه) اى والحال انها (مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله) كما سبق تفصيل احواله (وهو يدعو) اى والحال انه مع ذلك يطلب من ربه كفاية امره وامر من يتعلق به من اهله وآله (ويقول) كما رواه الشيخان (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) اى بلغة تسد رمقهم ايقووا بها عبادة من خلقهم وفى رواية لمسلم

والترمذى وابن ماجه اللهم اجعل رزق آل محمد فى الدنيا قوتا وفسر القوت بما يسك رمق الانسان انلا يموت والظاهر ان المراد به هنا قدر الكفاية لما فى رواية كفافا (حدثنا سفيان ابن القاضى والحسين بن محمد الحافظ) هو ابن سكرة وابس بالغسانى كما حرره الحلبى (والقاضى ابو عبد الله التميمى قالوا) اى كلهم (ثنا) اى حدثنا (احمد بن عمر قال ثنا ابو العباس الرازى قال حدثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم (ثنا ابو سفيان) وفى نسخة صحيحة ابن سفيان (ثنا ابو الحسين مسلم بن الحجاج) اى صاحب الصحيح (ثنا ابو بكر ابن ابى شيبة) تقدم ذكرهم (ثنا ابو معوية) وهو محمد بن خازم بالخاء المعجمة والزاى احد الاعلام وحفاظ الاسلام روى عن الاعمش وهشام وعنه احمد واسحق وابن معين وكان مرجئا اخرج له الائمة الستة (عن الاعمش) تابعى جليل روى عن ابن ابى اوفى وزر بن وابى وائل وعنه شعبة ووكيع وخلق له الف وثلثمائة حديث (عن ابراهيم) هو النخعى ابو عمران الكوفى الفقيه رأى عائشة رضى الله تعالى عنها وروى عن خاله الاسود وعلقمة وجماعة وكان عجبا فى الورع رأسا فى العلم (عن الاسود) اى ابن يزيد النخعى عن عمر وعلى ومعاذ حج ثمانين مرة كل مرة بعمرة وكان يصوم حتى يحتضر ويختم فى ليلتين (عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ماشبع) بكسر الموحدة اى ما اكل حتى شبع (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة ايام) اى بلياليها (تباعا) بكسر التاء الفوقية مصدر تابع اى متابعة وموالاة (من خبز) اى مطلقا ووقع فى اصل الدلجى من خبز بر وليس من البر (حتى مضى سبيله) اى الى ان توفاه الله تعالى بحسب ما قدره وقضاه والحديث فى اواخر مسلم وقد اخرجه البخارى وغيره ايضا (وفى رواية اخرى) اى له او لغيره او للشيخين كما قاله الدلجى (من خبز شعير يومين متتابعين ولو شاء) اى الله كما فى نسخة صحيحة ويدل عليه قوله (لاعطاه) اذ لو كان التقدير لو شاء رسول الله لكان المناسب ان يقول لاعطاه الله او لاعطى اى متمناه (مالا يخطر) بكسر طاء ويضم اى مالم يمر (ببال) اى لا يحدث فى خلال خيال (وفى رواية اخرى) اى لهما (ماشبع آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز بر) لقلة وجوده او لكثرة زهده (حتى لقى الله) وفى نسخة زيادة عز اى تعالى شانه وجل اى عظم برهانه (وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه مسلم (ماترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بعد وفاته (دينارا) اى من الذهب (ولا درهما) اى من الفضة وهو بكسر الدال وفتح الهاء وتكسر ولله در القائل

النار آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجارى

والمرء بينهما ان لم يكن ورعا * معذب القلب بين الهم والنار

(ولا شاة ولا بعيرا) اى وانما ترك ما فى التمسك به نجاة الثقلين والفوز بسعادة الكونين وهو الكتاب والسنة فمن اخذ بهما ظفر بكنوز الجنة (وفى حديث عمرو بن الحارث) اخو جويرية من امهات المؤمنين له ولابيه صحبة كما رواه البخارى عنه (ماترك) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة (الا سلاحه) بكسر اوله والمراد سيوفه ورماحه وقسيه ودروعه ومغافره وغير ذلك مما علقه الحلبى على البخارى (وبغلته) اى البيضاء وهى دلدل (وارضا جعلها صدقة) الاقرب ان الضمير الى الارض وجعلها صدقة لا ينفى كونها مخلفة عنه بطريق تكلمه عليها لكونه ناظرا لها والانسب عوده الى الجميع والمعنى جعلها بعد موته صدقة كما حقق فى حديث نحن معاشر الانبياء لا نورث ماتركناه فهو صدقة ثم الاستثناء مفرغ اى ماترك شيأ يعتد به الا ماذكر ونحوه ان ثبت انه ترك غيره (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (ولقد مات وما فى بيتى) اللام ابتدائية او قسمية والواو حالية اى امر ذا ووالله لقد مات والحال انه ليس فى بيتى (شئ ياكله ذو كبد) بفتح فكسر ويجوز سكونه مع كسر وفتح اى ذو حياة وخص الكبد لانه منبع الدم (الا شطر شعير) لعله نصف صاع وقال الترمذى اى شئ من شعير ثم المختار رفعه على البدلية ويجوز نصبه على الاستثناء (فى رف لى) بفتح راء وتشديد فاء خشب يرفع عن الارض فى جدار البيت يرقى عليه ما يراد حفظه وهو الرفرف ايضا وفى الصحاح الرف شبه الطاق وتمام الحديث فاكلت منه حتى طال على فكلته ففنى وهو متفق عليه ثم قالت (وقال لى) اى تسلية لحالى (انى عرض على) بنى للمفعول وحذف فاعله اجلالا لاله (ان يجعل لى) بالتذكير او التأنيث اى يصير ويقلب لاجلى (بطحاء مكة) اى حصاها او مسيلها (ذهبا فقلت لا) اى لا اختاره (يارب) فاختر لى (اجوع يوما) اومعناه لا اريد بل اريد ان اجوع يوما اى وقتا (فاصبر) وقدمه لانه مذكر للافتقار اليه وباعث للاتكال عليه ومبالغة فى احتقار عرض عروض الدنيا لديه (واشبع يوما) اى وقتا آخر (فاشكر) لا كون مؤمنا كاملا فان الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر كما فى حديث واليه يشير قوله تعالى ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور وهذا مقام الانبياء والاولياء من ارباب الكمال وهو التربية بنعتى الجلال والجمال ثم بين ما يترتب على كل منهما من حسن الحال بقوله (فاما اليوم الذى اجوع فيه فاتضرع اليك) اى اتذلل

والتجئ

والتجئ (وادعوك) بما أؤمل لديك (واما اليوم الذى اشبع فيه فاحمدك) اى فاشكرك (واثنى عليك) وصنيعنا فى تفسير الحمد بالشكر اولى من قول الدلجى ان العطف تفسيرى فان التأسيس اولى من التأكيد لاسيما ومقام النعمة يقتضى الشكر الموجب للمزيد ومما يؤيده ايضا ما رواه الترمذى بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك (وفى حديث آخر) قال الدلجى لا ادرى من رواه بهذا اللفظ قلت فكان ينبغى ان يذكر من رواه بهذا المعنى ليكون مؤيداله فى المبنى والحاصل من كلامه ونقل غيره (ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال ان الله يقرئك السلام) اى يسلم عليك وفى القاموس قرأ عليه السلام ابلغه كاقرأه ولا يقال اقرأه الا اذا كان السلام مكتوبا وفى الاكمال اقرأنه السلام وهو يقرئك السلام بضم الياء رباعيا فاذا قلت يقرأ عليك السلام فبفتح الياء وقيل هما لغتان وبهذا يندفع ما تكلف الدلجى بقوله يقال اقرئ فلانا السلام كانه حين يبلغه سلامه يحمله على ان يقرأ السلام ويرده (ويقول) اى الله سبحانه وتعالى (لك) اى اعتبارا او اختبارا (اتحب ان اجعل هذه الجبال) من الصفا وابى قبيس وغيرهما مما حوالى مكة واطرافها او جنس هذه الجبال بانواعها واصنافها (ذهبا وتكون) اى جبال الذهب (معك حيثما كنت) اى من جهة الشرق والغرب وما بينهما وما مزيدة للتأكيد (فاطرق ساعة) اى خفض رأسه تأدبا وتفكر ادام سكونه انتظارا لما يلهمه ربه من الخيرة كما ورد فى دعائه اللهم خر لى واختر لى ولا تكلنى الى اختيارى (ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له) اى فى المآل (قد) للتقليل (يجمعها) اى يريد جمعها (من لا عقل له) اى لقلة معرفته بحقيقة الدنيا من سرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها ولما فاتها للآخرة باعتبار درجاتها (فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت) الجملة دعائية او خبرية والمراد ههنا بالقول الثابت هو الحق المطلق المحقق وان ورد فى التنزيل فى جواب المؤمن للملكين فى القبر حيث قال تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة مع ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقول الدلجى فى هذا المقام اى ادامك على قول لا اله الا الله لا يناسب المرام كما لا يخفى على الكرام ثم فى الحديث برهان على امكان قلب الاعيان هذا وقد رواه احمد الدنيا دار من لا دار له قد يجمعها من لا عقل له والبيهقى ولفظه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل يوما ما امسى لآل محمد كفة سويق ولا سفة دقيق فاتاه اسرافيل فقال ان الله تعالى سمع ما ذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح الارض وامرنى ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وفى رواية لاحمد والله لو شئت لاجرى الله معى جبال الذهب والفضة ولابن سعد وكذا لابن عساكر لو شئت لسارت معى جبال الذهب وللطبرانى لو سألت الله ان يجعل لى تهامة كلها ذهبا لفعل (وعن عائشة) كما رواه الشيخان (قالت أن) قال الانطاكى ان كلمة تأكيد بمعنى قد واللام للتأكيد ايضا وقيل ان نفى واللام استثناء والاظهر الاشهر ان ان مخففة من المثقلة وقد روى انا (كنا آل محمد) يجوز رفعه على البدل من المضمر ونصبه على الاختصاص والثانى اظهر (لنمكث شهرا) اى قدره (ما نستوقد نارا ان هو) اى ما قوتنا (الا التمر والماء) وفى رواية الا الاسودان (وعن عبد الرحمن بن عوف) على ما رواه الترمذى والبزار بسند جيد (هلك) واعترض بان الصواب نحو توفى وقبض لان الهلاك اكثره فى العذاب وفى موت الكفار ويمكن دفعه بانه قال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك وفى نسخة قال هلك اى مات (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير) اى فضلا عن خبز البر فلا عبرة بما يتوهم من قيده باعتبار مفهومه من حصول شبعه من غيره (وعن عائشة وابى امامة وابن عباس نحوه) اى بمعناه مع اختلاف مبناه (قال ابن عباس) كما روى ابن ماجه والترمذى وصححه (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو واهله الليالى المتتابعة) اى فيها بايامها (طاويا) حال منه لانه الاصل والاعلى او من اهله فهو بالاولى (لا يجدون) اى اهله وهو واهله (عشاء) وهو تأكيد لما قبله ولعل الاقتصار على العشاء للايماء بانه الاهم من الغداء (وعن انس) برواية البخارى (قال ما اكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على خوان) بكسر اوله ويضم اى مائدة وهو ما يؤكل عليه من نحو كرسى على عادة المترفهين لئلا يفتقروا الى الانحناء حال اكلهم وسئل قتادة على م كانوا يأكلون يعنى الصحابة قال على السفر (ولا فى سكرجة) بضم الثلاثة وتشديد الراء وجوز فيها الفتحة اناء صغير يؤكل فيه القليل من الادم فارسى معرب واكثر ما يوضع فيه وامثاله ما يعتاده المترفهون من احضار المخللات ونحوها من المهضمات والمرغبات فى اطراف المأكولات (ولا خبز له) بصيغة المجهول الماضى (مرقق) بصيغة المفعول اى ارغفة واسعة رقيقة وتسمى الرقاق كطويل وطوال وقيل اللين الابيض المسمى بالحوارى (ولا رأى شاة سميطا قط) فعيل بمعنى مفعول اى مسموطا

بمعنى مشويا بجلده فان الغالب سمطها بان ينزع صوفها بالماء الحار بعد تنظيفها من القاذورات واخراج ما فى بطنها من النجاسات والاخرام فى اصح الروايات وكذا حكم الرؤس والدجاجات والسمط لا يحسن الا فى صغار الغنم (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) برواية الصحيحين (انما كان فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى الخاص كما بينته بقولها (الذى ينام عليه ادما) بفتحتين اى جلدا مدبوغا وقيل الاحمر منه وقال الدلجى جلدا اسود (حشوه ليف) بكسر اللام اصول سعف النخل (وعن حفصة رضى الله تعالى عنها) اى ابنة عمر ام المؤمنين كما فى الشمائل للترمذى (كان فراش النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيتى) اى مكانى المنسوب الى ووقع فى اصل الدلجى بلفظ فى بيته وتصح الاضافة بادنى الملابسة وانما الكلام فى ثبوت الرواية (مسحا) بكسر الميم بلاسا من شعر ابيض وقيل من شعر اسود (نثنيه) بكسر النون المخففة اى نطويه (ثنيتين) بكسر المثلثة اى عطفتين اوطيتين وفى نسخة ثنيين بالتذكير على المصدر وفى اخرى ثنتين اى مرتين (فينام عليه) وهذا من دأبه وعادته فى كل وقته (فثنيناه له ليلة باربع) اى اربع طاقات والباء من باب الزيادات وبات عليه من غير شعوره ابتداء به لاستغراقه فى شهود نوره ووجود حضوره (فلما اصبح قال ما فرشتم لى الليلة) استفهام انكارى او استعلام (فذكرنا ذلك له) اى ثنيه اربعا ليوجب له راحة ونفعا (فقال ردوه بحاله) اى على وفق عادتى (فان وطأته منعتنى الليلة صلاتى) اى لينته منعتنى كمال حضورى فى طاعتى اوشغلتنى عن القيام لصلاتى وقرآتى (وكان) كما رواه الشيخان والترمذى وابن ماجه (ينام احيانا) اى فى بعض الاوقات (على سرير مرمول بشريط) اى منسوج بحبل مفتول من سعف (حتى يؤثر) اى يظهر اثر خشونة الشريط (فى جنبه) لكونه يرقد عليه من غير حائل بينه وبينه قيل حتى ابتدائية والصيغة المضارعية حكاية الحال الماضية وقيل مرادفة الكى التعليلية والاول اظهر فتدبر (وعن عائشة رضى الله عنها قالت لم يمتلئ) بهمزهو الصحيح وفى نسخة بلام مفردة ولعل وجهها التخفيف المسهل ثم معاملته معاملة المعتل فتأمل اى ما امتلأ (جوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا) بكسر ففتح وقد يسكن وقيل الاول نقيض الجوع والثانى ما شبع من الشئ فالمعول هو الاول اذ نصبه على التمييز فتأمل (قط) اى ابدا ولعل مرادها غالب احواله اوشبعا مفرطا غير مناسب لكماله (ولم يبث) بضم موحدة وتشديد مثلثة اوبضم اوله وكسر ثانيه اى لم ينشر ولم يظهر (شكوى) اى شكايته ولا بطريق حكايته فى جميع حالاته (الى احد) من اصحابه وزوجاته لقوله تعالى فى ضمن آياته حكاية عن يعقوب فى شدة ما ابتلاه قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله (وكانت الفاقة) اى الحاجة اللازمة من الفقر المقتضى للصبر (احب اليه من الغنى) المقتضى للشكر وهذا صريح فى تفضيل الصبر على الشكر كما ذهب اليه اجلاء الصوفية واكثر علماء الفقهية هذا وقد ورد لو تعلمون ما لكم عند الله لاحببتم ان تزداد وافاقة وحاجة على ما رواه الترمذى عن فضالة بن عبيد (وان) مخففة من المثقلة اى وانه (كان ليظل) بفتح الظاء المعجمة وتشديد اللام اى يكون فى طول النهار (جائعا) بهمزة مكسورة (يلتوى) اى حال كونه يتقلب ويضطرب (طول ليلته من الجوع) اى من استمرار جوعته او من اجل حرارة لذعته ولذا ورد اللهم انى اعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع كما رواه الحاكم فى مستدركه عن ابن مسعود مرفوعا وهذا كله لكمال زهده فى الدنيا واقبال قلبه على الاخرى بناء على رضى المولى (فلا يمنعه) اى جوعه (صيام يومه) اى الذى فيه ولو كان نفلا او صيام يوم عادته فى مستقبله وهذا بيان بعض شدة حاله (ولو شاء) اى الغنى وما يترتب عليه من التنعم وحصول المنى ووصول الهدى (سأل ربه جميع كنوز الارض) اى استدعاه لاسيما وقد عرضها عليه مولاه (وثمارها) يجوز نصبها وهو الاشهر فى المبنى وجرها وهو الاظهر فى المعنى اى جميع ثمار اشجارها اوجميع فوائدها وعوائد فرائدها (ورغد) والرغد بفتحتين ويسكن على ما فى القاموس (عيشها) اى سعة معيشتها وطيب منفعتها (ولقد كنت ابكى له رحمة مما ارى به وامسح بيدى على بطنه مما به من الجوع) اى من اثر جوعه المختص به وهذا يدل على انه كان يطعم اهله ويؤثرهم على نفسه (واقول) اى والحال انى اقول حينئذ (نفسى لك الفداء) بالمد تفاديا به من الم الجوع وشدته ومرارة حرارته (لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك) بضم قاف اى لو توسعت من البلغة وتوصلت الى المتعة بقدر ما يقويك على قيام الطاعة ويعينك على زيادة العبادة لكان اولى من هذه الحالة فجواب لو مقدر وما قدرناه احسن من التقدير المشهور وهو لكان احسن ويجوز ان يكون لو للتمنى ويشير الى ما اخترناه ما صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من الجواب الدال على ان ما اختاره هو الصواب (فيقول يا عائشة مالى وللدنيا) استفهامية انكارية اى لا حاجة لى اليها ولا اقبال لى عليها قال التلمسانى قيل يجوز ان يكون ما استفهامية وتقديره اى الفة ومحبة لى معها حتى ارغب فيها وقيل يجوز ان يكون ما نافية اى ليس لى الفة الى آخره انتهى ثم بين سبب اعراضه عنها بقوله (اخوانى من اولى العزم

من

من الرسل) اى كلهم واجلهم (صبروا على ما هو) اى على امر عظيم هو (اشد من هذا) اى مما انا صابر عليه لما روى ان بعضهم مات من الجوع وبعضهم من شدة اذى القمل وبعضهم من كثرة الجراحات وشدة الامراض والعاهات وقد خصنى الله تعالى فيما حثنى وحضنى على الاقتداء بهم بقوله سبحانه وتعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وفيه ايماء الى ان العبرة فى الكتاب والسنة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (فمضوا على حالهم) اى التى كانوا عليها مما يقتضى الصبر ولم يطلبوا من ربهم السعة ولا دفع المضرة نظرا الى كمال حسن مآلهم (فقدموا على ربهم) راضين بقضائه صابرين على بلائه شاكرين على نعمائه (فاكرم مآبهم) اى مرجعهم اليه (واجزل) اى اعظم (ثوابهم) لديه (فاجدنى استحيى) بيائين وفى نسخة بياء واحدة اى فارى نفسى مستحيية (ان ترفهت) اى لو تنعمت (فى معيشتى ان يقصر بى) بتشديد الصاد المفتوحة (غدا دونهم) اى دون مرتبتهم وتحت درجتهم وهمتى ان اكون فوق جملتهم (وما من شئ هو احب الى من اللحوق باخوانى) اى فى الجملة (واخلانى) اى احبائى فى الملة (قالت فما اقام) اى فى الدنيا (بعد) بالضم اى بعد قوله ذلك (الاشهرا حتى توفى صلى الله تعالى عليه وسلم) غاية لاقامته اى الى ان مات وانتقل الى رحمة ربه وهذا يدل على اختياره الفقر فى جميع امره الى آخر عمره قال الدلجى رحمه الله تعالى لم ادر من روى هذا الحديث لكن روى ابن ابى حاتم فى تفسيره عنها قالت ظل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما قال يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من اولى العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض منى الا ان يكلفنى ما كلفهم فقال اصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وانى والله لاصبرن كما صبروا جهدى ولا قوة الا بالله قال التلمسانى هنا مسئلة وهى من قال مالى صدقة على اعقل الناس فافتى الفقهاء على انه يعطى الزهاد لان العاقل من طلق الدنيا وانشدوا

طلق الدنيا ثلاثا * واطلبن زوجا سواها

انها زوجة سوء * لاتبالى من اتاها

انت تعطيها مناها * وهى تعطيك قفاها

فاذا نالت مناها * منك ولتك وراها

(فصل) اى ثالث (واما خوفه ربه) معمول للمصدر المضاف الى فاعله وفى نسخة من ربه (وطاعته له) اى كمال انقياده فى جميع حالاته (وشدة عبادته) اى كمية وكيفية (فعلى قدر علمه بربه) اى بمقدار معرفته بعظمته (ولذلك) اى لكون ما ذكر على قدر علمه (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فيما حدثناه) اى فى جملة ما رواه لنا (ابو محمد ابن عتاب) بتشديد التاء الفوقية (قراءة منى) اى من بين اقرانى (عليه) ففيه دلالة على تسوية اطلاق الحديث على القرآءة والسماع (قال ثنا) اى حدثنا (ابو القاسم الطرابلسى) بضم الموحدة واللام (ثنا ابو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (ثنا ابو زيد المروزى ثنا ابو عبد الله الفربرى) بكسر ففتح فسكون (ثنا محمد بن اسماعيل) اى البخارى صاحب الصحيح (ثنا يحيى بن بكير) بالتصغير روى عن مالك والليث قال ابو حاتم لا يحتج به وضعفه النسائى قال الذهبى كان ثقة واسع العلم وذكر فى الميزان انه وثقه غير واحد قال الحلبى كيف لا وقد احتج به البخارى وروى عنه (عن الليث) اى ابن سعد عالم اهل عصره روى عن عطاء وابن ابى مليكة ونافع قال ابو نعيم فى الحلية ادرك نيفا وخمسين رجلا من التابعين وعنه قتيبة وخلق وكان نظير مالك فى العلم وقال الشافعى الليث افقه من مالك ولكن اضاعه اصحابه وقيل كان دخله فى السنة ثمانين الف دينار فما وجبت عليه زكاة وقدح واهدى اليه مالك طبقا فيه رطب فرد اليه على الطبق الف دينار واخرج ابو نعيم عن لؤلؤ خادم الرشيد قال جرى بين الرشيد وبين بنت عمه زبيدة بنت جعفر كلام فقال لها هرون انت طالق ان لم اكن من اهل الجنة ثم ندم فجمع الفقهاء فاختلفوا ثم كتب الى البلدان فاستحضر علماءها اليه فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا وبقى شيخ لم يتكلم وكان فى آخر المجلس فسأله فقال اذا خلا امير المؤمنين فى مجلسه كلمته فصرفهم فقال يدنينى امير المؤمنين فادناه فقال اتكلم على الامان قال نعم فامر باحضار مصحف فاحضر فقال تصفحه يا امير المؤمنين حتى تصل الى سورة الرحمن فاقرأها ففعل فلما انتهى الى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال امسك يا امير المؤمنين قل والله فاشتد ذلك على هرون فقال يا امير المؤمنين الشرط املك فقال والله حتى فرغ من اليمين قال قل انى اخاف مقام ربى فقال ذلك فقال يا امير المؤمنين فهى جنتان وليست بجنة واحدة قال فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر فقال الرشيد احسنت والله وامر له بالجوائز والخلع وامر له باقطاع وان لا يتصرف واحد بمصر الا بامره وصرفه مكرما

وقد ذكروا فى ترجمته انه كان لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكينا عدد ايام السنة (عن عقيل) بضم مهملة وفتح قاف وهو ابن خالد الايلى اخرج له الائمة الستة (عن ابن شهاب) هو الزهرى (عن سعيد بن المسيب) بفتح التحتية المشددة وتكسر وهو من اجلاء التابعين وساداتهم (ان اباهريرة كان يقول) يدل على تكرر سماعه لهذا الحديث عنه (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) اخرجه البخارى فى الرقائق وروى احمد والبخارى ايضا ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن انس وزاد الحاكم عن ابى ذر ولما ساغ لكم الطعام ولا الشراب ورواه الطبرانى والحاكم والبيهقى عن ابى الدرداء بزيادة ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لا تدرون تنجون اولا تنجون (زاد) اى شيخنا السابق اوبعض مشايخنا وقد اخطأ الدلجى بقوله اى زاد ابوهريرة اوالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه يصير التقدير ان احدهما زاد فى روايتنا عن ابى عيسى رفعه الى ابى ذر وخطأه لا يخفى على من له ذرة من العقل الذى يدرك مراتب النقل (فى روايتنا) اى من غير قرآءتنا (عن ابى عيسى الترمذى) اى صاحب السنن (رفعه) اى الترمذى اسناده اوحديثه (الى ابى ذر) اى فى قوله مرفوعا كما صرح به الترمذى فى الزهد وقال حسن غريب ويروى عن ابى ذر موقوفا واخرج ابن ماجه فيه نحوه ورواه محمد بن حميد الرازى ورفعه ايضا (انى ارى ما لا ترون) اى ابصر ما لا تبصرون من عجائب الملكوت واسمع ما لا تسمعون) اى من غرآئب اخبار عالم الجبروت (اطت السماء) بتشديد الطاء اى صوتت (وحق لها) بصيغة المجهول اى وينبغى لها (ان تئط) لكثرة ما عليها من الملائكة فكانهم اثقلوها كثرة وقوة حتى اطت كالقتب وهو تمثيل للتلويح بكثرتها وان لم يكن ثم اطيط لها تقريرا لعظمة خالقها ومثله حديث العرش على منكب اسرافيل وانه ليئط اطيط الرحل الجديد بعظمته وعجزه عن حمله اذ من العلوم ان اطيط الرحل وهو الكور براكبه انما يكون لقوة ما فوقه من ثقله (ما فيها موضع اربع اصابع) ظرف مستقر لاعتماده على حرف النفى (الا وملك) حال من فاعل الظرف وهو موضع اى الا وفيه ملك (واضع) بالتنوين (جبهته) اى جبينه (ساجدا لله) حال من الضمير قبله (والله لو تعلمون ما اعلم) اى من شدآئد الاحوال وعظائم الاهوال (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) جواب القسم الساد مسد جواب لو وفيه مقابلة الضحك والقلة للبكاء والكثرة ووقع هنا للدلجى خبط وعدم ربط وتقديم وتأخير لا يليق بضبط الكتاب ولا بحديث الباب لابد من اصلاحه على نهج الصواب (وما تلذذتم بالنساء على الفرش) بضمتين جمع فراش فهو من قبيل مقابلة الجمع بالجمع (ولخرجتم الى الصعدات) بضمتين جمع صعيد اى الطرقات (تجأرون) اى حال كونكم ترفعون اصواتكم وتستغيثون وتتضرعون فى جميع حالاتكم (الى الله لوددت انى) بكسر الدال الاولى اى لاحببت وتمنيت ووقع فى اصل الدلجى بزيادة الواو وقيل وفى رواية ليتنى (شجرة تعضد) بصيغة المجهول اى تقطع (روى) استئناف بصيغة المجهول اى نقل (هذا الكلام) اى بخصوصه مما سبق من المرام وهو قوله وددت انى شجرة تعضد (من قول ابى ذر نفسه) اى موقوفا عليه من غير رفعه (وهو) اى اسناده الموقوف (اصح) اى من اسناده المرفوع قال الحلبى ولما وقفت على قوله وددت الى آخره من زمن طويل قطعت بان هذا ليس من كلام النبوة ثم رأيت بعض الحفاظ المتأخرين من مشايخ مشايخى فى اربعينه قال انه مدرج ثم رأيت كلام القاضى انه من قول ابى ذر وهو اصح وهذه العبارة ماهى مخلصة والذى ذكره بعض مشايخ مشايخى من انه مدرج هو الصواب فيما يظهر لى انتهى وقد تصحف قوله وهو اصح على الدلجى بما وقع له فى اصله وهو واضح بزيادة واو ونقطة صاد يعنى وهو ظاهر ثم بينه بقوله اى من حيث انه اشبه بكلامه واليق بحاله مع كونه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلم بمكانته عند ربه وانزه من ان يتمنى عليه دون ما اعطاه انتهى ولا يخفى ان الكلام فى صحة الرواية والا فلا يخفى وجه ظهور الدراية لان مثل هذا الكلام انما ينشأ عن غلبة الخوف من مشاهدة الله بوصف عظمته ومطالعة نعت سخطه المقتضى لعقوبته الجائزة من حيث العقل المطابق للنقل انه سبحانه وتعالى لو عذب اهل سمواته وارضه يكون عادلا فى قضائه وحكمه اذ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فمن نظر الى نعوت الجمال حصل له البسط فى الحال والمقال ومن طالع صفات الجلال وقع فى قبض الحال وضيق البال والكلال وبهذا يجمع بين قول بعضهم من عرف الله طال لسانه وقول آخرين من عرف الله كل لسانه هذا وقد ذكر الحافظ ابو نعيم فى الحلية ان عمر رضى الله تعالى عنه مر برجل من المنافقين جالس والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى فقال له الم تصل مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له مر الى عملك فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام ان لله تعالى فى السموات السبع ملائكة يصلون له غنى عن صلاة فلان قال عمر وما صلاتهم يا نبى الله قال فلم يرد عليه شيأ فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا نبى الله سألك عمر عن غنى عن صلاة فلان فقال اقرأ على عمر السلام

واخبره

واخبره بان اهل سماء الدنيا سجود الى يوم القيامة يقولون سبحان ذى الملك والملكوت واهل السماء الثانية ركع الى يوم القيامة يقولون سبحان ذى العزة والجبروت واهل السماء الثالثة قيام الى يوم القيامة يقولون سبحان الحى الذى لا يموت انتهى وفى آخر الحديث ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله (وفى حديث المغيرة) اى ابن شعبة كما رواه الشيخان وغيرهما عنه وهو من دهاة العرب وكذا زياد بن ابى سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية ابن ابى سفيان قال ابن وضاح احصن المغيرة فى الاسلام الف امرأة (صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من كثرة صلاة الليل (حتى انتفخت قدماه) اى تورمت قال ابن مرزوق انما ذلك من طول القيام فتنصب المواد الى الاسافل فتستقر فى القدم فيرم لذلك وينتفخ وذلك لبعده من حرارة القلب قيل كان يصلى الليل كله حتى تورمت قدماه من طول القيام فانزل الله عليه من القرءآن ما خفف به عليه وعلى من تبعه وهو قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى وكذا قوله طه ما انزلنا عليك القرءآن لتشقى (وفى رواية) اى لهما عنه (كان يصلى) اى النبى صلى الله عليه وسلم (حتى ترم قدماه) على زنة تعد مضارع ورم كورث بمعنى تورمت كما فى رواية واما تشديد الميم على ما فى بعض النسخ فخطأ فاحش والعدول عن الماضى لحكاية الحال الماضية كقولهم مرض حتى لا يرجونه فالظاهر انه مرفوع ومنه قوله سبحانه وتعالى حتى يقول الرسول بالرفع على قرآءة نافع (فقيل له اتكلف هذا) بحذف احدى التائين وتشديد اللام اى اتتحمل هذا التحمل وجوز الدلجى كونه من كلف بكسر اللام ومنه حديث انى اراك كلفت بعلم القرءآن وحديث اكلفوا من العمل ما تطيقون لكنه غير موافق لما فى القاموس فانه قال كلف كفرح اولع وهو مناسب للحديث الاول ثم قال وا كلفه غيره وهو الملائم للحديث الثانى اى كلفوا انفسكم اوغيركم ما تطيقون من اعمالكم ثم قال صاحب القاموس وتكلفه تجشمه والمتكلف المتعرض لما لا يعنيه انتهى ولا يخفى ان هذا المبنى هو المناسب فى المعنى الوارد هنا بالجملة الحالية بقوله (وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) كما اخبر الله سبحانه وتعالى فى سورة الفتح بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وفى عطف ما تأخر اعتناء عظيم فتدبر وحاصله انك معصوم من ارتكاب الذنب المتعارف ولو فرض ان يقع منك ما لا يليق بمقامك فان حسنات الابرار سيئات الاحرار فانه مغفور عنك ثم لما كان الغالب ان كثرة العبادة تنشأ عن غلبة خوف العقوبة (قال أفلا اكون عبدا شكورا) على ما انعم على من المغفرة وجاء الحديث طبق الآية فى مدح نوح عليه الصلاة والسلام انه كان عبدا شكورا وفى ذكر العبد ايماء الى انه لابد له من القيام بوظائف العبودية ومبالغة فى اداء شكر حقوق الربوبية (ونحوه) اى مثله فى المعنى مع اختلاف يسير فى المبنى (عن ابى سلمة وابى هريرة) كذا فى النسخ بالعطف والظاهر تكرار عن لما فى الشمائل للترمذى باسناده بلفظ عن ابى سلمة عن ابى هريرة وابو سلمة هذا تابعى جليل احد الفقهاء السبعة وهو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى احد العشرة ويحتمل ان يكون فى ذلك حديث لابى سلمة الصحابى موقوفا اومرفوعا والله اعلم (وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها) اى فيما رواه الشيخان (كان عمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة) بكسر الدال اى دائما باعتبار الغلبة فلا ينافى تركه على سبيل الندرة وما الطف عبارتها بقولها ديمة فانها فى الاصل المطر الدائم فلا يبعد ان يجعل من التشبيه البليغ مع قصدها المبالغة فى عموم الفائدة (وايكم يطيق ما كان يطيق) اى لما كان له من قوة النبوة الموجبة للمداومة (وقالت) اى فيما روياه عنها ايضا (كان يصوم حتى نقول) بالنصب وروى بالرفع كما سبق وروى بالوجهين مخاطبا والمعنى حتى نظن (لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة) وهى آخر امهات المؤمنين توفيت فى امارة يزيد (وانس وقال) اى كل منهم رضى الله تعالى عنهم لا انس وحده كما اقتصر عليه الانطاكى لكونه اقرب مبنى فان الجمع انسب معنى (كنت) ايها المخاطب (لا تشاء ان تراه مصليا الا رأيته مصليا ولا نائما) اى ولا تشاء ان تراه نائما (الا رأيته نائما) لما ورد عنه اما انا فاصلى وانام واصوم وافطر (وقال عوف بن مالك) وهو من اكابر الصحابة وقد روى عنه ابو داود والنسائى والترمذى (كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة) ولعله كان فى السفر (فاستاك) اى اول ما استيقظ (ثم توضأ) والظاهر انه اكتفى بالاستياك الاول (ثم قام يصلى) اى التهجد (فقمت معه) يحتمل مقتديا ومتابعا (فبدأ) اى القرآءة (فاستفتح البقرة) اى بعد الفاتحة لكونها كقدمتها اولبيان الجواز بترك قرآءتها (فلا يمر بآية رحمة الا وقف) اى فى موقفها (فسأل) اى الله الرحمة (ولا يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ) اى التجأ من العقوبة لكونه واقفا بين مقامى الخوف والرجاء ووصفى الفناء والبقاء وملاحظا نعتى الجلال والجمال كما هو حال اهل الكمال (ثم ركع فمكث) بضم الكاف وفتحها اى لبث فيه (بقدر قيامه يقول سبحان ذى الجبروت) فعلوت للمبالغة من الجبر بمعنى القهر والغلبة فانه هو القاهر فوق عباده (والملكوت) مبالغة الملك اوباطنه كما ان الملك ظاهره وهذا المعنى متعين عند الجمع بينهما (والكبرياء) اى العظمة

المناسب ذكرها فى الركوع ولذا لما نزل قوله سبحانه وتعالى فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها فى ركوعكم يعنى قولوا فيه سبحان ربى العظيم (ثم سجد) اى سجودا طويلا كما هو الظاهر (وقال مثل ذلك) اى نظيره او بعينه لشمول معنى الكبرياء وصف العلاء الملائم ذكره فى السجود لانه لما نزل قوله سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم اى قولوا سبحان ربى الاعلى (ثم قرأ آل عمران) اى فى تلك الركعة ايضا او فى اخرى وهو الظاهر لقوله (ثم سورة سورة) اى ثم قرأ فى كل ركعة سورة (يفعل مثل ذلك) اى من تطويل الركوع والسجود والتسبيح المذكور وغير ذلك (وعن حذيفة مثله) اى مثل حديث عوف كما فى مسلم (وقال) اى زيادة على تلك الرواية مع احتمال اطلاعه على غير تلك الحالة (سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه) اى قريبا من طوله (وقال) اى حذيفة (حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة) اى فى ركعة والظاهر فى اربع ركعات بتسليمة او تسليمتين (وعن عائشة) اى برواية الترمذى (قالت قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن) وهى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اقتداء بعيسى عليه الصلاة والسلام فى الكلام وايماء الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يريد المغفرة والرحمة ورفع العقوبة عن جميع امة الاجابة مع التسليم تحت الارادة وانما كررها للتدبر فى معناها وما يتعلق بمبناها من آثار القدرة واسرار العزة وانوار الحكمة (ليلة) اى فى ليلة من الليالى وهو يحتمل كلها او بعضها والاظهر اكثرها وظاهر القيام ان تكرارها كان فى الصلاة حال الوقوف واما ما رواه احمد والنسائى بسند صحيح عن ابى ذر بلفظ قام حتى اصبح بآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا يدل على احياء الليل كله لانه لم يكن من دأبه فيحتمل انه قام من الليل او قام لصلاة التهجد حتى اصبح (وعن عبد الله بن الشخير) بكسر شين وخاء مشددة معجمتين صحابى نزل البصرة وادرك الجاهلية والاسلام فهو مخضرم كما روى ابوداود والترمذى والنسائى عنه (اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى) جملة حالية (ولجوفه) اى صدره (ازيز) بكسر الزاى الاولى اى حنين من البكاء ويراد به هنا الخنين بالخاء المعجمة وهو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف (كازيز المرجل) اى كغليانه وهو بكسر ميم وفتح جيم قدر من نحاس على ما فى الصحاح وسمى به لانه اذا انصب كانه اقيم على رجله (وقال ابن ابى هالة) وهو هند ربيبه عليه الصلاة والسلام من خديجة (كان متواصل الاحزان) اى متتابعها العلمه بشدائد الاحوال وموارد الاهوال حالا ومآلا ولكونه فى محبة سبحانه المقتضى احزانه وما احسن قول ابن عطاء ما دمت فى هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار واما ما ورد من قوله اعوذ بك من الحزن فمحمول على حزن يتعلق بالدنيا كما قال سبحانه وتعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم (دائم الفكر) اى فى عاقبة الامر (ليست له راحة) لقيامه بما كلف من تحمل اعباء الرسالة ومن وظائف العبادة وقد بسطت تحقيق هذه الاحاديث كلها باعتبار مبناها ومعناها فى جمع الوسائل لشرح الشمائل (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فيما رواه مسلم وغيره (انى لاستغفر الله) اى اطلب مغفرته واسأل رحمته (فى اليوم) اى الواحد بل ورد عنه فى المجلس الواحد (مائة مرة) اى بلفظ استغفر الله او بزيادة الذى لا اله الا هو الحى القيوم واتوب اليه او بلفظ رب اغفر لى وتب على انك انت التواب الرحيم (وروى) كما فى البخارى والترمذى (سبعين مرة) وكل منهما يحتمل التحديد والتكثير وكانه صلى الله تعالى عليه وسلم عد اشتغاله بدعوة الامة ومحاربة الكفرة وتألف المؤلفة ومعاشرة الاهل والعشيرة ومباشرة الاكل والشرب وسائر ضرورات المعيشة مما يحجزه عن كمال الحضور وحظوظ نور السرور الحاصل من مراقبته ومشاهدته ولهذا المعنى لما سئل الشبلى عن سبب سد باب افادته فقال لأن اكون طرفة عين مع رب العالمين خير عندى من علوم الاولين والآخرين وقد قال الغزالى ضيعت قطعة من العمر العزيز فى تصنيف البسيط والوسيط والوجيز مع ان الاخير هو خلاصة مذهب الامام الشافعى من طريق النووى والرافعى وهذا بالنسبة الى قياس ما ظهر لنا من احوالنا والا فالامر كما روى عن الاصمعى فى حديث انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر ربى من انه لو صدر هذا على قلب غيره صلى الله تعالى عليه وسلم لفسرته ولله دره حيث عظم قلب حبيب ربه الذى هو مهبط وحيه (وعن على رضى الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن سنته) اى طريقته المبنية على شريعته وحقيقته (فقال المعرفة رأس مالى) لانها المقصودة من اصل الخلقة قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس اى ليعرفون (والعقل اصل دينى) اى بناء مداره ومحل اعتباره (والحب اساسى) اى اساس قلبى فى حضورى مع ربى (والشوق مركبى) لان صاحب الشوق وطالب الذوق فى سلوك الطائرين وفاقدهما سيره ضعيف فى منازل السائرين (وذكر الله انيسى) اى مؤنسى وسبب لان يكون جليسى لحديث انا انيس من ذكرنى وجليس من ذكرنى وفى نسخة انسى بضم فسكون (والثقة) اى بالله كما فى رواية يعنى ان الاعتماد على

ربى (كنزى) لما ورد القناعة كنز لا يفنى ولما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق (والحزن رفيقى) حيث انه لا ينفك عن قلبى لما سبق من انه كان متواصل الاحزان ولحديث ان الله يحب قلب كل حزين (والعلم سلاحى) لانى احارب به عدوى من نفسى وشيطانى وادفع عنى به كيد اخوانى (والصبر ردائى) اى موضع تحملى ومحل تجملى وسبب رفعتى وكبريائى (والرضى) بالقصر مصدر وفى نسخة بالمد على انه اسم (غنيمتى) لانه مغتنم فى جميع ما يجرى من القضاء ولذا قيل الرضى بالقضاء باب الله الاعظم وقد قال تعالى ورضوان من الله اكبر وفيه ايماء بان رضى الله والعبد متلازمان لا يتصور انهما ينفكان (والعجز فخرى) اى افتخر باظهار العجز والافتقار فى مرتبة العبودية الى الاحتياج لقدرة والقوة الربوبية كما يشير اليه قوله تعالى والله الغنى وانتم الفقراء ولعل هذا هو وجه ما وقع فى نسخة من لفظ الفقر بدل العجز وان قال ابن تيمية ان حديث الفقر فخرى كذب وقال العسقلانى انه باطل فان الحكم بوضعه انما هو باعتبار ما وصل من سنده لا من حيث مبناه المطابق معناه لما ورد فى كتاب الله ولا يبعد ان يكون هذا من على كرم الله تعالى وجهه موقوفا بمضمون ما سمعه عنه صلى الله عليه وسلم فى بعض احوال متفرقة مرفوعا (والزهد حرفتى) يعنى ان ارباب الدنيا لاجل تمتعها وانتفاعها كل احد يتعلق بحرفة من حرفها لتحصيل طرف من طرفها وانا لقلة ميلى اليها وعدم اقبالى عليها جعلت زهدى عنها كسبى فيها اعتمادا على باريها (واليقين) بجميع مراتبه من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين (قوتى) اى قوة قلبى فى معرفة ربى وفى نسخة بسكون الواو اى قوت روحى وسبب زيادة فتوحى (والصدق شفيعى) لما قيل من ان الصدق انجى ولقوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم (والطاعة حسبى) اى كفايتى فى مرضاة ربى (والجهاد خلقى) بضم وضمتين اى دأبى وعادتى وهو يشمل الجهاد الاكبر والاصغر (وقرة عينى فى الصلاة) اى من جملة عباداتى او من جملة عباداتى بناء على ان المراد بالصلاة العبادة المشهورة والدعوة المأثورة (وفى حديث آخر) اى برواية اخرى (وثمرة فؤادى) اى نتيجة معارف قلبى (فى ذكره) اى ذكر ربى (وغمى) اى همى الذى يغمنى فى كل حالتى (لاجل امتى وشوقى الى ربى) اى فى نهاية رتبتى فهذه كلمات جامعة معانيها مطابقة لما فى الكتاب والسنة والمصنف ثبت ثقة حجة فحسن الظن به انه ما رواها الا عن بينة وان لم تكن عندنا بينة واما قول الدلجى قال الائمة موضوع يحتمل ان يكون باعتبار بعض افراده بناء على اختلاف اسناده كما بيناه والله اعلم

(فصل)

اى رابع (اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء) اى نعوتهم عامة (والرسل) اى خاصة (صلوات الله عليهم) اى كائنة (من كمال الخلق) بالفتح وتفسيره قوله (وحسن الصورة وشرف النسب) اى مما يقتضى جمال الحسب (وحسن الخلق) بالضم اى السيرة والسريرة والعشرة مع العشيرة (وجميع المحاسن) اى من الشمائل البهية والفضائل العلية (هى هذه الصفات) اى المتقدم ذكرها فى الفصول الماضية ثم هذه الجملة خبر ان واللام فيه للعهد لا كما توهم الدلجى انها للاستغراق المبين بمن (لانها من صفات الكمال والكمال) بالرفع (والتمام) عطف تفسير كما قال الدلجى الا ان بينهما فرقا دقيقا وهو ان التمام ما لا يتم الشئ الا به حتى لو فقد يسمى ناقصا والكمال ليس كذلك لانه امر زائد على مقدار التمام فتأمل فى مقام المرام (البشرى) اى المنسوب الى جنس البشر جميعهم (والفضل) اى الامر الزائد على الكمال العرفى (الجميع) مبتدأ خبره (لهم) والجملة خبر لما قبلها من المبتدآت اى من حيث جمعها فيهم لا فى غيرهم ومجموعها حاصل لهم فى الجملة بحسب المشاركة وان كانت تختلف حالاتهم فى مزية المرتبة بل هو المناسب لحال الملك العلوى ولذا لم يقل والكمال والتمام البشريان (اذ رتبتهم اشرف الرتب) اى رتب الموجودات الان فى الملائكة خلافا لبعض الائمة او رتب البشر فهو باجماع الامة وهذا فى الدنيا وقوله (ودرجاتهم ارفع الدرجات) اى فى العقبى اى فى الدنيا والآخرة (قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) (ولكن فضل الله بعضهم على بعض) الاشارة الى من يعلمه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فاللام للعهد وانما لم نقل بالاستغراق لقوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك على انه لا يبعد انه سبحانه وتعالى اعلم نبيه بجميعهم وان لم يعلمه بقصصهم ثم المراد بالفضيلة هنا هو الامر الزائد على اصل معنى الرسالة لاستوائهم باعتبار تلك الحالة كما يدل عليه بقية الآية منهم من كلم الله اى تفضيلا له كموسى ليلة الحيرة فى الطور وكمحمد ليلة المعراج ولعل تخصيص موسى بقوله وكلم الله موسى تكليما التكرير تكليمه له او لاختصاصه به بالنسبة الى من تقدم كما يشير اليه قوله تعالى ورفع بعضهم اى على جميعهم لا على باقيهم كما قاله الدلجى درجات هو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تفضيلا على غيره بمناقب متكاثرة ومراتب متوافرة كالدعوة العامة والفضيلة التامة الجامعة بين الرؤية والمكالمة وبين المحبة والخلة وكالآيات الكاملة والمعجزات الظاهرة الشاملة فهو المفرد العلم الاكمل الغنى عن البيان فى هذا المحل

اوهو ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث خص بالخلة التى هى من اعلى مراتب المقام اوادريس عليه السلام رفعه الله مكانا عليا وقيل بقية اولى العزم من الرسل (وقال ولقد اخترناهم) اى بنى اسرائيل (على علم) اى بهم (على العالمين) اى عالمى زمانهم لكثرة الانبياء فيهم والمعنى انا اصطفيناهم عالمين بانهم احقاء باصطفائنا اياهم واذا كان بنوا اسرائيل مصطفين لوجود الانبياء فيهم فبالاولى ثبوت الاصطفاء لهم فتأويلنا هذا لكلام المصنف اولى من قول الدلجى هذا على توهم جعل الضمير للانبياء والحق جعله لبنى اسرائيل قبله (وقد قال عليه الصلاة والسلام) اى كما رواه الشيخان (ان اول زمرة) اى طائفة (يدخلون الجنة) بصيغة المعلوم اوالمجهول كما قرئ بهما فى السبعة (على صورة القمر) اى فى هيئته من كمال انارته (ليلة البدر) وهى ليلة اربع عشرة سمى بدرا لمبادرته الشمس فى الطلوع اولتمامه فيها (ثم قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (آخر هذا الحديث) اى فى آخره بعد عدّ جميع زمره وانما اختصره المصنف لطوله (على خلق رجل واحد) اى كلهم على صورة رجل واحد وهذا على رواية فتح الخاء والاظهر رواية الضم بشهادة رواية اخلاقهم على خلق رجل واحد وبدلالة رواية اخرى لا اختلاف بينهم ولا تباغض فى قلوبهم على قلب رجل واحد واغرب الدلجى حيث جعل الرواية الثانية شاهدة لرواية الخلق بالفتح نعم قد يرجح الفتح كما قال الحلبى لظاهر قوله (على صورة ابيهم آدم) اى صورة خلقه ولا يبعد ان يكونوا ايضا على سيرة خلقه خلافا للدلجى حيث اقتصر على الاول فتدبر وتأمل (طوله ستون ذراعا فى السماء) اى فى جهتها احترازا من طول عرضه من جهة الارض فقد قيل عرضه سبعة اذرع وقيل التقدير وهو فى السماء (وفى حديث ابى هريرة) كما رواه ايضا (رأيت موسى) اى فى ليلة المعراج اوفى المنام او فى بعض المكشوفات (فاذا رجل ضرب) بفتح فسكون اى خفيف اللحم مستدق الجسم على ما ذكره الدلجى تبعا للخليل اوما بين الجسمين كما قاله الحلبى وهو الاولى لانه الوصف الاعلى كما ذكره فى شمائل المصطفى هذا وقد قال ابن قرقول وقع عند الاصيلى بكسر الراء وسكونها معا ولا وجه للكسر كما قاله القاضى وفى حديث آخر مضطرب وهو الطويل غير الشديد وفى صفاته فى كتاب مسلم عن ابن عمر جسيم سبط يحمل على هذا القول الموافق لرواية مضطرب لا على كثرة اللحم وانما جاء جسيم فى صفة الدجال (رجل) بكسر الجيم وروى فتحها اى شعره بين الجعودة والسبوطة (اقنى) اى طويل الانف مع ارتفاع وسطه ودقة ارنبته (كانه من رجال شنوءة) بفتح معجمة وضم نون فواو وهمزة وقد تبدل فتدغم قبيلة من اليمن ويمكن الوجهان فى قول الشاعر

نحن قريش وهم شنوه ٭ بنا قريش ختم النبوه

(ورأيت عيسى فاذا رجل ربعة) بفتح راء وسكون موحدة وقد تفتح اى بين الطول والقصر وهو لا ينافى كونه الى الطول اقرب كما هو انسب على ما فى شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم (كثير خيلان الوجه) باضافة الكثير اى شامانه جمع خال وهو نقطة سوداء تكون فى الجسد ويستحسن قليله فى الوجه (احمر) اى ابيض مائل الى الحمرة على ما حقق فى نعته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقد اختلف فى صفة عيسى عليه السلام فروى ابو هريرة بان عيسى احمر وقال ابن عمر والله ما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بان عيسى احمر وانما اشتبه على الراوى وروى ابن عمران عيسى آدم والآدم الاسمر وفى البخارى من طريق مجاهد عن ابن عمر انه احمر فالمراد ما قارب الحمرة والادمة كما قدمنا فانه قد جاء فى شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم انه اسمر مع انه جاء ايضا كونه ابيض مشربا بالحمرة فتدبر (كانما خرج من ديماس) بكسر الدال ويفتح ويؤيد الاول قولهم اعل بقلب ميمه الاولى ياء لكسر ما قبلها فقيل معناه الكن او السرب اى كانه مخدر لم ير شمسا وهو بظاهره لا يلائم كونه احمر فالصواب ما جاء مفسرا فى حديث بانه الحمام وفى الحديث رأيته يطوف بالبيت ثم رأيت بعده الدجال يطوف بالبيت واستشكل بانه كيف ذلك وقد حرم الله عليه دخول مكة واجيب بان التحريم مقيد بوقت فتنته او حرمت على جسمه وهنا باعتبار روحه وفيه ايماء الى ان مرجع الكل الى باب المولى وان لا يقدر احد ان يخرج عن حكمه تعالى (وفى حديث) لم اعرف من رواه كما قاله الدلجى (مبطن) بتشديد الطاء المهملة المفتوحة اى ضامر البطن وان كان قد يطلق على عظيمه (مثل السيف) اى لاستوائهما او اعتدالهما كما ذكره الدلجى وغيره فهو تأكيد والاظهر انه نعت مستقل ومعناه انه مثله ضياء وصفاء وفى الشمائل للترمذى فاذا اقرب من رأيت به شبها عروة بن مسعود وهو ثقفى قتله رجل من ثقيف عند تأذينه بالصلاة (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا اشبه ولد ابراهيم به) بفتح واو ولام وبضم فسكون اى اولاده من الانبياء (وقال فى حديث آخر) على ما رواه البخارى (فى صفة موسى عليه السلام كاحسن) ووقع فى اصل التلمسانى كاشبه (ما انت راء) بكسر همز من غير ياء اسم فاعل من باب رأى وما موصولة او موصوفة (من ادم الرجال) اى من سمرهم وهو بضم همز وسكون دال مهملة

جمع آدم افعل شديد السمرة قال ابن الاثير الادمة فى الابل البياض مع سواد المقلتين وهى فى الناس السمرة الشديدة وهى من ادمة الارض وهو لونها وبه سمى آدم عليه الصلاة والسلام وقال النضر بن شميل انما قيل لآدم آدم لبياضه وقد استدل بعضهم على ان موسى اسمر بقوله سبحانه وتعالى تخرج بيضاء من غير سوء فدل ذلك على انها خالصة اللون وهذا احسن والله تعالى اعلم (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابو يعلى وابن جرير (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما بعث الله نبيا من بعد لوط الا فى ذروة من قومه) بكسر الذال المعجمة ويروى مثلثة اى فى رفعة اوفى عزة كما فى حديث سعيد بن منصور عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه موقوفا والمعنى فى منعة وحرمة وغلبة ونصرة (ويروى فى ثروة) بفتح المثلثة (اى كثرة) اى توجب غلبة (ومنعة) بفتحتين ويسكن النون اى قوة تمنع المذلة وقيل المنعة بالتحريك جمع مانع اى جماعة يمنعونه ويحمونه من اعدائه هذا والتقييد بعديه لوط يفيد انه لم يكن فى منعة كما يشير اليه قوله لو ان لى بكم قوة اى بدنية او آوى الى ركن شديد اى قبيلة قوية واستشكل الدلجى قوله تعالى لليهود فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولو كانوا فى منعة لما قتلوا منهم ببيت المقدس فى يوم واحد ثلاثمائة نبى انتهى ويمكن دفعه بان منعتهم مقيدة بكونهم فى قبيلتهم والقضية واقعة فى غير محلتهم او المراد بالمنعة ما تعلق به من امر النبوة ومخالفة الامة مع انه قد تكون المغلوبية لارباب المنعة (وحكى الترمذى) بل روى فى الشمائل (عن قتادة) اى مرسلا (ورواه الدارقطنى) وهو الحافظ المشهور امام المحدثين فى زمانه تفقه على الاصطخرى وسمع البغوى وروى عنه الحاكم وغيره منسوب الى دارقطن محلة ببغداد (من حديث قتادة عن انس رضى الله تعالى عنه) اى موقوفا (ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه) لحسن الوجه يدل على معروف صاحبه كما قيل الظاهر عنوان الباطن وقد انشد

يدل على معروفه حسن وجهه ٭ ومازال حسن الوجه اهدى الدلائل

وقد روى الدارقطنى فى الافراد عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا ابتغوا الخير عند حسان الوجوه ورواه الطبرانى بلفظ التمسوا وقبح الوجه على عكسه باعتبار مفهومه كما قيل

يدل على قبح الطوية ما يرى ٭ بصاحبها من قبح بعض ملامحه

والظاهر ان الامرين غالبيان لتصور خلافهما فى بعض افراد الانسان وفى الحديث اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى فالجمع بينهما كمال الجمال (حسن الصوت) قال تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء قرئ بالحاء المهملة وان كانت المعجمة لهما شاملة (وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا) اى من الكل فيشمل حسن صورة يوسف وصوت داود باعتبار الصباحة والملاحة وزيادة البلاغة والفصاحة هذا وقد قيل يوسف اعطى شطر حسن آدم وقيل شطر حسن جدته سارة لانها لم تفارق الحور الا فيما يعترى الآدمية من الحيض وغيره وقد اعطى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كمال الجلال والجمال من تمام الصباحة فاراه احد الا هابه ومن تمام الملاحة فاراه احد الا احبه وفى الحديث دلالة على جواز مثل هذه الاضافة اذا لم يرد بها المهانة او البراءة (وفى حديث هرقل) على ما فى الصحيحين من انه قال لابى سفيان (وسألتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب) والزعم قد يستعمل بمعنى القول ولعله استعمل بمعنى الظن لما يوهم من معنى التهمة اولان امر النسب مبنى على غلبة الظن لا على الحقيقة كما روى عن ابن سلام فى قوله تعالى الذين يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقد رفع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الوهم فى نسبه بما ورد عنه فى احاديث مضمونها انى ولدت من اب الى اب الى آدم كلهم من نكاح ليس فيهم سفاح وهذا كله على مقتضى ما وقع فى اصل الدلجى واما على ما صح عندنا من النسخ المعتمدة فذكرت انه فيكم فلا اشكال (وقال تعالى فى ايوب) اى فى نعته (انا وجدناه) اى علمناه او صيرناه (صابرا) بتخليقنا او بتوفيقنا (نعم العبد) اى ايوب مبتدأ خبره ما قبله وخص بالمدح لصبره على بلائه ورضاه بقضائه ولا يضره شكواه ما به من ضر الى مولاه (انه اواب) اى كثير الرجوع الى الله وقال الانطاكى اى تواب والتحقيق هو الفرق بين اواب وتواب بان التوبة عن المعصية والاوبة عن الغفلة قيل كان ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم بقرب نوى وقربه عين جارية يتبركون بها على زعم انها المذكورة فى القرآن (وقال يا يحيى خذ الكتاب) اى التوراة (بقوة) اى بجد وجهد ومبالغة فى مواظبته (الى قوله ويوم يبعث حيا) وهو قوله سبحانه وتعالى وآتيناه الحكم اى الحكمة او النبوة او المعرفة بالشريعة صبيا وحنانا من لدنا اى رحمة وشفقة منا عليه او رحمة وتعطفا فى قلبه على ابويه وزكاة اى طهارة او نماء ورفعة وكان تقيا اى عن المعاصى نقيا وبرا بوالديه اى مبالغا فى برهما ولم يكن جبارا متكبرا عصيا عاقا وسلام اى من الله عليه يوم ولد اى من ان يمسه الشيطان كغيره من بنى آدم كما اخبر به صلى الله عليه وسلم ويوم يموت اى من ضمة القبر ونحوها اى حين يدفن فى حجرته عليه السلام ويوم يبعث حيا من هول القيامة وخوف العقوبة قال سفيان بن عيينة اوحش ما يكون الانسان فى هذه الاحوال الثلاثة يوم

ولد فيخرج مما كان ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه فى محشر لم يره قط فيه فخص يحيى بالسلامة فى هذه المواطن قلت ولعل وجه تخصيصه ماروى عنه صلى الله عليه وسلم مامن احد الا الم بذنب اوكاد الا يحيى بن زكريا عليهما السلام (وقال تعالى ان الله يبشرك) من التبشير او البشارة لثبوتهما فى السبعة (بيحيى الى الصالحين) يعنى قوله مصدقا بكلمة من الله اى مؤمنا بعيسى وسيدا اى رئيسا فى قومه وحصورا اى غير مائل الى الشهوة ونبيا من الصالحين اى القائمين بحقوق الله وحقوق عباده اجمعين (وقال ان الله اصطفى ادم ونوحا) اى اختارهما (وآل ابراهيم) اى اسماعيل واسحق واولادهما ومنهم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل اسماعيل ويدخل ابراهيم فى من اصطفى دخولا اوليا كما لا يخفى (وآل عمران) اى موسى وهرون ابنى عمران بن يصهر او عيسى وامه بنت عمران بن ماثان وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة على ماذكره الدلجى (الا يتين) يعنى قوله على العالمين اى على عالمى زمانهم او على المخلوقين جميعهم ذرية اى حال كونهم ذرية واحدة بعضها من بعض فى الديانة والله سميع عليم باقوالهم واحوالهم فاصطفاؤهم لعلمه بهم (وقال فى نوح انه كان عبدا شكورا) حامدا لله فى جميع حالاته مع القيام بوظائف طاعاته قيل كان نوح عليه الصلاة والسلام اذا اكل طعاما او شرب شرابا او لبس ثوبا قال الحمد لله فسمى عبدا شكورا اى كثير الشكر (وقال) اى بعد قوله تعالى اذ قالت الملائكة يا مريم (ان الله يبشرك) بالوجهين (بكلمة منه) اى بوجود من يخلق بامر كن من عنده سبحانه بغير واسطة وجود اب (اسمه المسيح) مبتدأ وخبر اى مسح بالبركة والميمنة او مسح الارض بالسياحة (الى الصالحين) وهو قوله عيسى بن مريم وجيها حال مقدرة اى ذا وجاهة فى الدنيا بالنبوة والآخرة بالكرامة والشفاعة ومن المقربين فى الحضرة وصحبة الملائكة وعلو الدرجة فى الجنة ويكلم الناس اى ومكلما لهم فى المهد وكهلا اى طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير قصور فى الحالين من تغيير الانباء ومن الصالحين فيه اشارة الى ان مرتبة الصلاح غاية الفوز والفلاح (وقال تعالى) اى حكاية عن عيسى (انى عبد الله) انطقه الله به فى اول الحالات لكونه مبتدأ المقامات وليكون ردا على من زعم الوهيته من اهل الضلالات (آتانى الكتاب) اى الانجيل (الى مادمت حيا) اى قوله تعالى وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اى نفاعا للغير معلما للخير اين ما كنت واوصانى اى امرنى بالصلاة والزكاة اى ان ملكت مالا او بالصدقة على حسب الطاقة او طهارة النفس من الخيانة مادمت حيا اى فى مدة حياتى الى ساعة مماتى (وقال) اى فى حق موسى عليه الصلاة والسلام (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية) يعنى فبرأه الله مما قالوا اى حيث قذفوه بعيب فى بدنه برصا او ادرة لفرط تستره حياء على وفق طبعه وشرعه فاطلعهم الله على براءته منه ونزاهته عنه وكان عند الله وجيها اى ذا وجاهة وقربة عند ربه وعندية مكانة لا مكان لتنزهه سبحانه وتعالى (قال النبى صلى الله عليه وسلم) كما رواه الشيخان (كان موسى رجلا حييا) بكسر التحتية الاولى وتشديد الثانية فعيل بمعنى شديد الحياء فى جميع الاحوال (ستيرا) بكسرتين مع تشديد الثانية اى كثير التستر فى حال الاغتسال وفى نسخة صحيحة بفتح وكسر تحتية مخففة قال ابن الاثير ستير فعيل بمعنى فاعل اقول واختيار المبالغة ابلغ وانسب بقوله (مايرى من جلده شئ استحياء) وفى نسخة استحياء اى لاجل كمال حيائه من رفقائه (الحديث) وتمامه قوله عليه الصلاة والسلام فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل فقالوا ما تستر هذا التستر الا عن عيب بجلده اما برص او ادرة وهى بالضم نفخ الخصية وان الله اراد ان يبرئه فخلا يوما وحده اى منفردا ليغتسل فوضع ثوبه اى جميعه وهو المناسب لدفع الادرة او ازاره عن ازاره ان كان البرص على زعمهم فوقه فقرا الحجر اى بعد فراغه من غسله ويحتمل كونه من قبله لجمع بجيم فميم مفتوحة فحاء مهملة اى اسرع فى اثره يقول اى قائلا ثوبى اى القه او رده يا حجر حتى انتهى اى مشيه ووصل الى ملأ بنى اسرائيل فرأوه عريانا احسن خلق الله حالان من ضمير رأوه اذ الرؤية بصرية ليس لها الا مفعول واحد فقالوا والله ما بموسى من باس فاخذ ثوبه اى من فوق الحجر وقد ضربه حيث فر ولعله سبحانه وتعالى به امر فوالله ان بالحجر لندبا بفتح النون والدال المهملة والموحدة اى تأثيرا من اثر ضربه ثلاثا صفة لاسم ان مبينة لعدده وفى رواية او اربعا او خمسا والظاهر ان الجملة القسمية من تمام الحديث وجوز الدلجى ان تكون مدرجة فيه من كلام الراوى لكن ليس فيه مايشعر به ولا ما يلجئه وفى الحديث جواز الغسل عريانا فى الخلوة وان كان الافضل ستر العورة وبه قال الائمة الاربعة وفيه ايماء الى ابتلاء الانبياء والاولياء بايذاء السفهاء وصبرهم عليه فى حال البلاء وان الانبياء منزهون من النقائص خلقا وخلقا (وقال تعالى عنه) اى حكاية بعد قوله ففررت منكم لما خفتكم (فوهب لى ربى حكما) اى نبوة وعلما (الاية) تمامها وجعلنى من المرسلين (وقال فى وصف جماعة منهم) موسى مدحا لهم (الى الكم رسول امين وقال) اى حكاية لقول بنت شعيب فى حق موسى (يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين) روى ان شعيبا قال لها وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلاله الحجر الثقيل الذى لا يحمله الا اربعون او عشرون

وغضه البصر حين بلغته الرسالة وامره اياها بان تمشى وراءه وتدله بالحجارة ان اخطأ تلقاءه (وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) تقدم انه منهم ومن افضلهم او هذا الوصف يعمهم (وقال ووهبنا له) اى لابراهيم (اسحق) اى ابنه (ويعقوب) بن اسحق سبطه (كلا) اى منهما (هدينا الى قوله) اى فى كلام يطول منتهيا الى قوله اجمالا (فبهداهم اقتده) بهاء السكت وفى قراءة ابن عامر بكسرها وفى رواية لابن ذكوان باشباعها على انه ضمير راجع الى المصدر وقرأ حمزة والكسائى بحذف الهاء وصلا والكل بسكونه وقفا والمعنى اقتد بطريقتهم وسيرتهم وسريرتهم او بما توافقوا عليه من امر التوحيد والنبوة والبعثة وامثالها دون الفروع المختلف فيها اذ ليست مضافة الى كلهم مع عدم امكان الاقتداء فى جميعها بهم لتباين احكامهم (فوصفهم) اى الله سبحانه وتعالى (باوصاف) اى نعوت معنوية لا كما توهم الدلجى من زيادة حسية (جمة) اى كثيرة (من الصلاح) من بيانية وهو مستفاد من قوله وكل من الصالحين (والهدى) اى من صدر الآية وختمها (والاجتباء) من قوله واجتبيناهم (والحكمة) اى الحكم والنبوة من قوله تعالى اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة وكان ينبغى ان يذكر نعت الاحسان قبل الصلاح فانه مستفاد من قوله تعالى وكذلك نجزى المحسنين (وقال فبشرناه) اى ابراهيم (بغلام عليم) اى كثير العلم (وحليم) اى وفى آية اخرى بغلام حليم اى ذى حلم وحاصله انه جامع بين العلم والحلم ولا يخفى حسن تقدم العلم ولعل هذا وجه تقديم المصنف له مع ان ترتيب القرآن عكس ذلك حيث جاء فى الصافات حليم بالحاء وفى الذاريات عليم بالعين على احتمال خلاف ذلك باعتبار حال النزول لكن كان حقه ان يقول فبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم فان ما فعله اقتصار مخل لاسيما اقتصاره على قوله فبشرناه فانه لا يصح الا مع قوله بغلام حليم بالحاء والا فيلزم منه التركيب الممنوع فى علم القراءة كالتلفيق المنهى فى المعاملة ثم المبشر به اسماعيل وهو اصح من القول بانه اسحق وقد تقدم والله تعالى اعلم (ولقد فتنا) اى امتحنا (قبلهم) اى قبل كفار مكة (قوم فرعون) اى معه بارسال موسى اليهم وايقاع الفتنة بالامهال فى العقوبة وتوسعة الرزق عليهم (وجاءهم رسول كريم) اى على الله والمؤمنين او فى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه (الى امين) وهو قوله ان ادوا الى اى حق الدعوة من الاجابة وقبول الطاعة عباد الله اى يا عباد الله او سلموهم الى وارسلوهم معى الى حيث ما امر الله انى لكم رسول امين غير متهم فى امر الدين (وقال) اى حكاية عن اسماعيل خطابا بالوالد ابراهيم عليهما السلام عند قصد ذبحه بامر ربه لما رأى فى نومه (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) اى على حكم الله وقضائه (وقال فى اسماعيل انه كان صادق الوعد) وخص به لانه وعد بالصبر على ذبحه وقد وفى اوفى ابتلائه من امره بذبحه بوعده (الآيتين) اى تمامهما وهو قوله وكان رسولا اى الى قبيلة جرهم نبيا لعله اخر للفاصلة او دفعا لتوهم كونه رسولا بالواسطة كقوله سبحانه وتعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين اى من اصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام وكان يامر اهله اى اهل بيته او جميع امته بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا اى فى مقاله وفعاله وحاله (وفى موسى) اى وقال فى حقه (انه كان مخلصا) اى لربه فى عبادته عن الرياء وعن متابعة هواه بل طالبا الرضاه اذا سلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وفى قراءة للسبعة بفتح اللام اى اخلصه الله واختاره لنفسه واجتباه وهذا اكمل مقام فى منازل السائرين وافضل حال فى مراحل الطائرين وتمام الآية وكان رسولا نبيا (وفى سليمان نعم العبد) اى قال فى حقه هذا القول (انه اواب) اى كثير الرجوع الى رب الارباب (وقال) اى فى حق جماعة منهم (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) وقرأ ابن كثير عبدنا فالمراد به ابراهيم لخصوصية او الاضافة جنسية فتوافق الجمعية وهو اولى كما لا يخفى (اولى الايدى والابصار) اى اصحاب القوة فى مباشرة الطاعات العملية وارباب البصيرة فى الامور العلمية وفيه تعريض بالبطلة والجهلة الواقعين فى تحصيل الشهوات النفسانية واللذات الحيوانية (الى الاخيار) يعنى قوله سبحانه وتعالى انا اخلصناهم بخالصة اى جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لهم هى ذكرى الدار اى دار القرار لما فيها من قرب الجوار كما قال مجنون العامرى شعر

وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

فالخواص لا يذكرون الجنة ولا يطلبونها بالمرة الا لما فيها من وعد الرؤية ومنزلة القربة وقرأ نافع وهشام باضافة الخالصة اضافة بيانية وانهم عندنا لمن المصطفين اى المجتبين من بين امثالهم الاخيار اى المختارين بافعالهم واحوالهم (وفى داود انه اواب) اى حيث كان يفطر يوما ويصوم يوما وينام بعض الليل ويقوم بعضه (ثم قال وشددنا ملكه) اى قويناه بالهيبة وكثرة الجنود فى الخدمة ودوام النصرة والغلبة (وآتيناه الحكمة) اى اتقان العلم والعمل او الحكومة والنبوة (وفصل الخطاب) اى الخصام بتمييز الحق عن الباطل فى الاحكام او الكلام الملخص الذى يتبينه المخاطب فى كل باب او قوله اما بعد فى كل خطبة او فى اول كل كتاب (وقال عن يوسف) اى اخبارا عما خاطب به الملك بقوله

(اجعلنى على خزآئن الارض انى حفيظ عليم) فدل على غاية حفظه ونهاية علمه بتقرير الحق سبحانه وعظم شأنه
وقد روى عن مجاهد ان الملك اسلم على يديه اى لما رأى من وفور علمه وحفظه وشفقته ومرحمته على خلق الله من خاصة
وعامة حتى ما كان يشبع فى حالته مع وجود الخزآئن تحت تصرفه وحيز ارادته مما شهدت اموره الخارقة عن العادة
بصحة نبوته ورسالته (وفى موسى) حيث قال للخضر (ستجدنى ان شاء الله صابرا) اى معك غير منكر لك وتعليق الوعد
بالمشيئة للاشارة الى ان افعال العباد جارية على وفق الارادة الالهية (وقال تعالى عن شعيب) لعل المصنف اختار
تزيين التلويح والتفنن فى مقام التحسين فتارة عبر بفى واخرى بعن (ستجدنى) اى مخاطبا لموسى (ان شاء الله
من الصالحين) اى فى حسن المعاملة والوفاء بالمعاهدة والمعاشرة بالمجاملة والتعليق للاتكال على توفيقه سبحانه وتعالى
ومعونته لا للاستثناء فى معاهدته بكونه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل فان هذا ليس من شأن الكمل (وقال) اى
فى حقه ايضا (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه) من قولهم خالفت فلانا الى كذا اذا قصدته مع اعراضه عنه
والمعنى ما اريد ان آتى ما نهيتكم عنه لاستبد به لعلمى بانه خطأ وفى ارتكابه خطر فلو كان صوابا لآثرته ولم اتركه فضلا
عن ان انهى غيرى عنه (ان اريد الا الاصلاح ما استطعت) اى ما اريد بامركم للمعروف ونهيكم عن المنكر الا حصول
الصلاح ووصول الفلاح مادمت استطيعه او القدر الذى اطيقه قال الثعلبى نقلا عن عطاء وغيره انه من نسل مدين
ابن ابراهيم الخليل ويقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وعمى فى آخر عمره قال قتادة بعثه الله رسولا الى
امتين مدين واصحاب الايكة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان شعيبا كان كثير الصلاة فلما طال تمادى قومه
على كفرهم بعد المعجزة وكثرة المراجعة وايس من صلاحهم ورجوعهم الى فلاحهم دعا الله عليهم بقوله ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين فاستجاب الله للدعوة واهلكهم بالرجفة وهى الزلزلة واهلك اصحاب
الايكة بعذاب الظلة قال السمعانى فى الانساب قبر شعيب فى حطين وهى قرية بساحل بحر الشام وعن ابن وهب
ان شعيبا ومن معه من المؤمنين ماتوا بمكة وقبورهم غربيها بين دار الندوة وبين باب بنى سهم وعن ابن عباس رضى الله
تعالى عنه فى المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما قبر اسماعيل فى الحجر وقبر شعيب مقابل الحجر الاسود انتهى وما صح
قبر نبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام غير قبر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ايماء الى ان غيره من الانبياء كالبدور
السائرة المستورة عن عين الشهود عند ظهور نور شمس دائرة الوجود (وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما) اى حكمة
ونبوة وحكومة فى الخصومة قال الثعلبى نقلا عن وهب بن منبه خرج لوط من ارض بابل فى العراق مع عمه ابراهيم
تابعا له على دينه مهاجرا معه الى الشام ومعهما سارة امرأة ابراهيم عليه السلام وخرج معهما آزر ابو ابراهيم مخالفا
لابراهيم فى دينه مقيما على كفره حتى وصلوا حوران فمات بها آزر فمضى ابراهيم وسارة ولوط الى الشام ثم مضوا الى
مصر ثم عادوا الى الشام فنزل ابراهيم فلسطين ونزل لوط الاردن فارسله الله الى اهل سدوم وما يليها وكانوا القايأتون
الفواحش قال ابو بكر بن عياش عن ابى جعفر استغنت رجال قوم لوط بوطئ رجالهم واستغنت نساؤهم بنسائهم
(وقال انهم) اى الانبياء المذكورين فى سورتهم (كانوا) اى بجملتهم (يسارعون فى الخيرات) اى يبادرون الى الطاعات
(الآية) وهى قوله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا اى للرغبة فى المثوبة والقربة والرهبة عن العقوبة بالحرقة والفرقة وكانوا
لنا خاشعين اى خاضعين او لاجلنا مع خلقنا متواضعين او خائفين وجلين حزنين ولعله اشار الى هذا المعنى بقوله (قال
سفيان) اى الثورى او ابن عيينة وهما تابعيان جليلان وجزم التلمسانى بالاول (هو) اى معنى الخشوع (الحزن
الدائم) اى المورث للمسارعة الى الخير (فى آى كثيرة) متعلق بقوله وقال تعالى فى ايوب اى قد ورد ما ذكر من الآيات
الشاهدة على شرف حالهم وكمال جمالهم مما هى نبذة يسيرة مندرجة فى آيات كثيرة لا يمكن احصاؤها
واتيانها باسرها (ذكر فيها من خصالهم) اى بعض نعوتهم الشاهدة على جميل حالهم (ومحاسن اخلاقهم الدالة
على كمالهم وجاء من ذلك) اى من قبيل ما ذكر فى الآيات (فى الاحاديث كثير) اى مما ينبغى ان يروى منها قدر يسير
(كقوله) اى على ما رواه البخارى وابن حبان والحاكم (انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب
ابن اسحق بن ابراهيم) وفى اتيان انما ايماء بحصر كرم النسب وشرف الحسب فيه اذ لم يتفق لاحد انه (نبى ابن نبى ابن نبى
ابن نبى) غيره مع ايذان تعريف المبتدأ والخبر به ايضا للتأكيد فلا ينافيه ما رواه احمد والبخارى عن ابن عمر واحمد
ايضا عن ابى هريرة بلفظ ان الكريم الخ مع انه اوفق لموازنة ما بعده حتى قيل انه موزون بلفظه ثم الظاهر ان قوله نبى
ابن نبى الخ مدرج من كلام الراوى او تفسير للقاضى (وفى حديث انس) اى كما رواه البخارى بعد قوله تنام عينى
ولا ينام قلبى (وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم) اى فلا يتطرق اليهم ما يحجزهم من اشراق الانوار الاحدية
او يحجبهم عن الاسرار الصمدية (وروى) اى من طريق الطبرانى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا

ان

(ان سليمان كان مع ما) ويروى فيما (اعطى من الملك) مما يقتضى تكبرا وتجبرا وترفعا (لا يرفع بصره الى السماء تخشعا
وتواضعا) اى لله كما فى نسخة (وكان) اى سليمان على ما روى احمد فى الزهد عن فرقد السبخى (يطعم الناس لذيذ
الاطعمة) وفى اصل التلمسانى لذآئذ جمع لذيذة وهو ما يوافق الطبع ويلائمه (ويأكل خبز الشعير واوحى اليه) وفى
نسخة واوحى الله تعالى اليه (يا رأس العابدين) اى من الملوك او الموجودين (وابن محجة الزاهدين) اى على غيره وفى
نسخة محجة بفتحات وتشديد جيم اى بجمعهم او معظم طريقهم وفيه غاية المبالغة (وكانت العجوز) ووقع فى اصل
الدلجى وان كانت وقال هى المخففة من المثقلة (تعترضه) اى تأتيه من عرض طريقه (وهو على الريح فى جنوده)
اى وهو معهم فى تلك العظمة (فيأمر الريح) اى بالوقوف لاجلها (فتقف) اى بامره لها (فينظر فى حاجتها)
اى يتأمل فيها ويقضى بها (ويمضى) اى يتوجه الى مقصده (وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزآئن الارض)
جملة حالية (قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع) اى جنس الجائعين واغفل عن تفقد المحتاجين وفى نسخة الجياع
بكسر الجيم جمع الجيعان (وروى ابو هريرة عنه عليه الصلاة والسلام) كما فى البخارى (خفف على داود القرءآن)
اى قرآءة الزبور (فكان يأمر بدوابه) اى لاجله واصحابه وروى بدابته فيحتمل اضافة الجنسية لكن ارادة الواحدة ابلغ
فى مقام خرق العادة (فتسرج له فيقرأ القرءآن قبل ان تسرج) اى فيختمه فى زمن يسير مع انه كتاب كبير بناء على خرق
العادة من بسط الزمان او طى اللسان وقد وقع نظير هذا لبعض اكابر هذه الامة (ولا يأكل الا من عمل يده قال الله تعالى
وألنا له الحديد) اى كالشمع يتصرف فيه كيف يشاء من غير طرق واحماء (أن اعمل) بان المصدرية بتقدير الباء السببية
اى واوحينا اليه او امرناه ان اعمل فان مصدرية او مفسرة واما قول التلمسانى ان التقدير تكلف لعدم الدليل
على الحذف ففى غير محله نشأ من قلة تأمله (سابغات) اى دروعا واسعات (وقدر فى السرد) اى اجعله على قدر الحاجة
فى النساجة والسرد فى اللغة اتباع الشئ بالشئ من جنسه ومنه سرد الحديث والمعنى لا تصغر حلقه فتضيق حال
لابسها ولا توسعها فينال لابسها من خلالها وقيل لا تقصد الحصافة فتثقل فى الجملة ولا الخفة فتزيل المنعة وفى
البخارى ولا تدق المسمار فيتسلسل هو من قولهم سلس اى لين وروى فيتسلسل اى فيتصل فيسرع كسره باندقاقه
(وكان يسأل ربه ان يرزقه عملا يغنيه عن بيت المال) اى فعلمه الله صنعة الدرع وسبب ذلك ما روى عنه انه كان يسأل
الناس عن نفسه فيثنون عليه فرأى ملكا فى صورة آدمى فسأله فقال نعم الرجل الا انه يطعم عياله من بيت المال قيل
وكان عليه الصلاة والسلام بعد ذلك يأخذ الحديد بيده فيصير كالعجين فيعمل منه الدرع فى بعض يوم يبيعها بالف
درهم فيأكل ويتصدق ويجعل ثلثه فى بيت المال (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان واحمد وابو داود
والنسائى وابن ماجه عن ابن عمر (واحب الصلاة) اى انواع صلاة الليل (الى الله صلاة داود واحب الصيام) اى صيام
النافلة (الى الله صيام داود وكان ينام) كذا فى النسخ والاظهر كان بلا عاطفة ليكون بيانا القضية الفقة اى كان ينام
(نصف الليل) للاستراحة الموجبة للتقوية على العبادة (ويقوم ثلثه) من اول النصف الثانى لانه افضل اجزآئه (وينام
سدسه) لينشط لعبادة اول نهاره (ويصوم يوما ويفطر يوما) اما رعاية لحالة الاعتدال لئلا يضعف بالصوم على وجه
الاتصال او لتتصور له مداومة الاعمال ففى الصحيحين احب الاعمال الى الله ادومها وان قل ولئلا يصير الصوم عادة فلا
يخلص عبادة او لان هذه الكيفية اشق على النفس والاجر على قدر المشقة ثم فى الجملتين الاخيرتين بيان علية الاحب
فى المقدمتين ولفظ الجامع الصغير احب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما واحب الصلاة
الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه انتهى (وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر) اى
نفسه او ما يصنع منه تواضعا لربه ولذا اختاره الصوفية (ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد) ولعله اراد به ما اختلط بالخبز
واستهلك فيه والا فاكل الرماد حرام لما فيه من مضرة العباد (ويمزج شرابه بالدموع) كما رواه ابن ابى حاتم عن وهب بن
منبه ومجاهد موقوفا (ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة) اى المعهودة المسماة بالخطيئة وان لم تكن خطيئة فى الحقيقة
الا ان حسنات الابرار سيئات الاحرار اذ لم يثبت عنه سوى انه خطب امرأة كان قد خطبها اوريا فزوجها اهلها من
داود رغبة فيه او سأله ان ينزل له عنها فتزوجها وكان ذلك فى زمانه عادة لهم فارسل الله اليه ملكين تنبيها له على ان ذلك
خلاف الاولى فيما هنالك لاستغنائه بتسع وتسعين امرأة فلما تنبه فى هذا الباب استغفر ربه وخر راكعا واناب وقد بالغ
فى تضرعه وبكائه لما له من عظيم المرتبة وكريم المنزلة فى مقام حياته (ولا شاخصا بصره) اى ولا رؤى رافعا له مع تحديد
نظره (الى السماء) اى الى جهتها وفى نسخة نحو السماء (حياء من ربه) اى لكمال قربه والحديث رواه احمد فى الزهد عن
عطاء بن السائب عن ابى عبد الله الجدلى بلفظ ما رفع داود رأسه الى السماء بعد ما اصاب الخطيئة حتى مات وبهذه
الرواية مع ما قدمناه من الدراية اندفع قول الحلبى لو قال القاضى غير هذه العبارة كان احسن (ولم يزل باكيا حياته كلها)

اى فى جميع مدة عمره الى حالة مماته بعد تلك الواقعة (وقيل بكى) بل روى ابن ابى حاتم عن انس رضى الله تعالى عنه
مرفوعا وعن مجاهد وغيره انه بكى (حتى نبت العشب) بضم فسكون هو الحشيش (من دموعه) اى من كثرة وقوع
دموعه على الارض (وحتى اتخذت الدموع فى خده اخدودا) اى شقا مستطيلا ممدودا والمعنى اثرت فى خده اثرا
كالشق والحفر الطويل فى الارض ومنه قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود وهو مفرد جمعه اخاديد (وقيل)
كما فى الكشاف وغيره (كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه) اى فى غيبته (فيزداد تواضعا) اى لربه
شكر المزيد نعمته (وقيل لعيسى عليه السلام) كما روى احمد فى الزهد وابن ابى شيبة فى مصنفه (لو اتخذت لك حمارا)
اى لو اخترته لتركبه احيانا عند الحاجة اليه (قال انا اكرم على الله من ان يشغلنى بحمار) اى بان يتعلق قلبى به وبكلفته
وخدمته ويشغلنى بفتح الغين فان الاشغال لغة رديئة (وكان) كما روى احمد فى الزهد عن عبيد بن عمير ومجاهد والشعبى
وابن عساكر فى تاريخه انه كان (يلبس الشعر) اى ثوبه (ويأكل الشجر) اى ورقه (ولم يكن له بيت) اى مسكن يأوى
اليه (اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامى) جمع الاسماء (اليه ان يقال له مسكين) وقد رواه احمد فى الزهد عن
سعد بن عبد العزيز بلفظ بلغنى انه ما من كلمة كانت تقال لعيسى بن مريم احب اليه من ان يقال هذا المسكين (وقيل)
كما رواه احمد ايضا فى الزهد وابن ابى حاتم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه موقوفا (ان موسى عليه السلام لما ورد
ماء مدين) سمى بابن ابراهيم الخليل (كانت ترى خضرة البقل) اى الذى كان يأكله بعد خروجه من مصر خائفا يترقب
متوجها الى مدين (فى بطنه من الهزال) بضم الهاء نقيض السمن على ما فى القاموس فبطل قول التلمسانى هو
الضعف قيل وصوابه لو قال من الطوى او الجوع انتهى ولا يخفى بعده عن المدعى وهو متعلق بقوله كانت ترى وتعليله
كما ترى (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الحاكم وصححه عن ابى سعيد مرفوعا (لقد كان الانبياء قبلى يبتلى احدهم
بالفقر) اى بشدة الحاجة فى مطعمه (والقمل) اى بكثرته فى ثوبه وبدنه (وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم) رضى
بقضاء المولى وعلما بان ما اعده الله لهم خير وابقى وقد اورد المؤلف هذا الحديث فى الفصل الاخير من القسم الثالث
بطريق آخر وهو قوله وفى حديث ابى سعيد ان رجلا وضع يده على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى قوله فقال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليبتلى بالقمل
حتى يقتله وان كان النبى ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء (وقال عيسى عليه الصلاة
والسلام لخنزير لقيه اذهب بسلام) اى منا ومنك (فقيل له فى ذلك) استعظاما لمرتبته مع الخنزير فى حقارته
(فقال اكره ان اعود لسانى المنطق بالسوء) اى النطق به لقوله سبحانه وتعالى ادفع بالتى هى احسن وقوله
تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (وقال مجاهد) كما رواه ابن ابى حاتم واحمد فى الزهد عنه (كان طعام يحيى
العشب) اى زهدا وقناعة ورضا للنعمة (وكان) اى مع ذلك (يبكى من خشية الله عز وجل) اى مخافته مع انه قط
ما هم بمعصية (حتى اتخذ الدمع مجرى فى خده) اى موضع جرى كالنهر فى وجهه من اثر دمعه لشدة معرفته بربه لقوله
سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء (وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس) لان الاستئناس بالناس من
علامة الافلاس (وحكى الطبرى) وهو الامام محمد بن جرير (عن وهب) اى ابن منبه (ان موسى عليه السلام كان
يستظل بعريش) هو بيت من عيدان تنصب ويظلل عليها قال التلمسانى هو بسقوطلا فى اصل القاضى وبثبوته فى رواية
العراقى اى لا يستظل انتهى ولا يخفى بعده وعدم مناسبته لما بعده من قوله (ويأكل فى نقرة) بضم نون وسكون قاف
اى حفرة ومنه نقرة القفاء (من حجر) اى بدلا من ظرف خشب او خزف (ويكرع) بفتح الراء (فيها) اى يأخذ الماء بفيه
من غير كف ولا اناء فيشرب منها (اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة) اى حين لم تلق وعاء الماء (تواضعا لله) اى لا كرامه
(بما اكرمه الله من كلامه) وفيه ايماء الى ان زهده هذا كان مستمرا الى كماله وآخر حاله (واخبارهم) اى آثار الانبياء
(فى هذا كله) اى فى هذا المعنى جميعه (مسطورة) اى مكتوبة ومضبوطة ومحفوظة (وصفاتهم فى الكمال) اى فى كمال
ذواتهم (وجميل الاخلاق وحسن الصورة) ووقع فى اصل التلمسانى الصور جمع الصورة وهو الانسب لجمع ما قبله من
الاخلاق وما بعده من قوله (والشمائل معروفة مشهورة) اى مذكورة فى محالها وقد سئل محمد بن سالم بماذا يعرف
الاولياء فى الخلق فقال بلطف لسانهم وحسن اخلاقهم وبشاشة وجوههم وسخاء انفسهم وقلة اعتراضهم وقبول عذر
من اعتذر اليهم وتمام الشفقة على اخوانهم (فلا نطول بها) اى بذكر جميعها (ولا تلتفت) ايها المخاطب (الى ما تجده
فى كتب بعض المؤرخين) بالهمز والواو اى المدعين علم تواريخ الانبياء وغيرهم (والمفسرين) اى التابعين لهم فيما نقلوه
من اخبارهم (مما يخالف هذا) اى الذى ذكرناه عنهم فى سيرهم الثابتة عن علماء السلف وخيارهم (فصل) (قد
آتيناك) بالمد اى اعطيناك واعلمناك وفى نسخة صحيحة اتيناك بالقصر اى جئناك والاول اولى لقوله بعد الجملة المعترضة

الدعائية وهى قوله (اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة) اللهم الا ان يدعى ان من بمعنى الباء ثم الاخلاق الحميدة
هى الشمائل السعيدة (والفضائل المجيدة) اى الكريمة العظيمة (وخصال الكمال العديدة) جمع خصلة بمعنى الخلة بالفتح
اى المعدودة المعتددة الدالة على كمال ذاته وجمال صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم (واريناك) اى اظهرنا لك
(صحتها) اى صحة روايتها ونسبة ثبوتها المناسبة له صلى الله تعالى عليه وسلم (وجلبنا) بجيم فلام فموحدة اى اوردنا
ورويناه وتصحف على الدلجى بقوله وحكينا (من الآثار ما فيه مقنع) بفتح ميم ونون اى ما يقنع به ويكتفى بذكره
(والامر) اى الشأن (فى مناقبه اوسع) اى اكثر من ان يذكر هنا جميع مراتبه (فمجال هذا الباب) بالجيم وزيادة الميم
اى سعته وكثرته (فى حقه صلى الله عليه وسلم) اى من جهة نعته وصفته (ممتد) اى طويل لا يكاد ينتهى الى حد معتد
(ينقطع دون نفاده) بفتح نون ثم دال مهملة اى قبل تصور فراغه او من غير تحقق فنائه وجوز اعجام الدال بمعنى مضيه
(الادلاء) جمع ادلة جمع دليل اى دال على مساحة البر (وبحر علم خصائصه) اى الذى اسعته وكثرته (زاخر) اى ممتلىء
كثير ممدود عرضا وطولا قال التلمسانى ووصف ابن عباس عليا رضى الله تعالى عنهم فقال هو قمر باهر فى ضوئه وبهائه
واسد خادر فى شجاعته ومضائه وفرات زاخر فى جوده وسخائه وربيع باكر فى خصبه وحيائه وروى عن على رضى
الله تعالى عنه انه وصف به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تكدره الدلاء) جمع دلو اى لا تؤثر فيه حين اخذ
بعضه بنقص يورث صفوه كدرة فى ساحته وفيه ايماء الى انه لم يصل احد من العلماء الى غاية بره وحلمه ولا نهاية من
ساحل كرمه وعلمه ولذا قال (ولكنا اتينا فيه بالمعروف) اى اختصرنا فى وصفه على ما هو معروف من الروايات (مما اكثره
فى الصحيح والمشهور) اى فى مرتبة الحسن (من المصنفات واقتصرنا فى ذلك) اى المعروف مما هنالك (بقل من كل)
بضم كل من القاف والكاف وتشديد اللامين وهما لغتان فى القلة والكثرة اى على نقل قليل من كثير وفى الحديث الربا
وان كثر فانه الى قل اى الى قلة وانتقاص لقوله تعالى يمحق الله الربا ويربى الصدقات (وغيض من فيض) بالضاد المعجمة
فيهما والغيض النقص والفيض الزيادة يقال اعطى غيضا من فيض اى قليلا من كثير ويقال غاض الكرام وفاض
اللئام والمعنى واتينا هنا بنعت يسير من وصف غزير وهو اولى من جعله تفسيرا لما قبله وتأكيدا واعتباره تفننا
كما ذكره الدلجى (ورأينا ان نختم هذه الفصول) اى الواردة فى هذا الباب من جملة الكتاب (بذكر حديث الحسن)
اى ابن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما الوارد بالاسناد الحسن عنه (عن ابن ابى هالة) وهو خاله هند (لجمعه)
علة لقوله رأينا ان نختم اى لاستجماع حديثه او استحضاره نفسه (من شمائله) اى اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم
(واوصافه كثيرا) اى شيأ كثيرا مما لم يجمعه غيره الا نزرا يسيرا (وادماجه) اى ولادخال هند او الحسن فى حديثه
(جملة كافية) اى جملا وافية (من سيره) اى من شمائله الخلقية (وفضائله) اى الوهبية (ونصله) عطف على نختم
اى ورأينا ان نلحق حديثه بعد تمامه (بتنبيه لطيف) فى تبيين مجمله (على غريبه) من جهة المبنى (ومشكله) من طريقة
المعنى (حدثنا القاضى ابو على الحسين بن محمد الحافظ) اى ابن سكرة وقد تقدم (رحمه الله بقراءتى عليه سنة ثمان
وخمسمائة ثنا) اى حدثنا (الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر) بطاء مهملة (التميمى قراءة عليه) بالنصب وفى نسخة
قرأت عليه (اخبركم) اى قال اخبركم فى ضمن اخبارى لكم (الفقيه الاديب) اى الجامع بين علمى المسائل الشرعية
والقواعد العربية (ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابورى) بفتح نون فتحتية ساكنة فسين مهملة معرب المعجمة
بلد بخراسان (والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدى) اى المنسوب الى مسمى بمحمد بصيغة المفعول
(والقاضى ابو على الحسن بن على بن جعفر الوخشى) بفتح واو وسكون خاء فشين معجمتين وقيل بالحاء المهملة قرية
من اعمال بلخ سمع ابا بكر الحيرى بخراسان وابا نعيم الحافظ باصبهان وابا عمر الهاشمى بالبصرة وابا عمر بن مهدى
ببغداد وتمام الرازى بدمشق وابا محمد ابن النحاس بمصر روى عنه طائفة وحدث عنه الخطيب وهو من اقرانه وسمع
منه الحسن بن على البلخى سنن ابى داود (قالوا) اى كلهم (ثنا ابو القاسم على بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعى)
بضم خاء معجمة منسوب لقبيلة خزاعة (انا) اى اخبرنا (ابو سعيد الهيثم بن كليب) بالتصغير (الشاشى) بمعجمتين منسوب
الى بلد مشهورة من بلاد ما وراء النهر صاحب المسند ومحدث ما وراء النهر (انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة)
بفتح المهملة والراء (الحافظ) هو الترمذى صاحب الجامع والشمائل (قال حدثنا سفيان بن وكيع) اى ابن الجراح
ضعيف (ثنا جميع) بضم جيم وفتح ميم وسكون تحتية (ابن عمر بن عبد الرحمن العجلى) بكسر مهملة فسكون جيم
منسوب الى قبيلة عجل (املاء من كتابه) اى رواية من كتابه المقروء على شيخه وهو اقوى من الاملاء عن ظهر قلبه ووثقه
ابن حبان وضعفه غيره (قال حدثنى رجل من بنى تميم) قال الانطاكى هو ابو عبد الله التميمى (من ولد ابى هالة)
بفتح الواو واللام وبضم فسكون اى احفاده (زوج خديجة) بالجر بدل من ابى هالة (ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها)

اى قبل وصولها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (يكنى اباعبدالله) بفتح الكاف وتشديد النون المفتوحة وبسكون
الكاف وتخفيف النون اى يعرف ذلك الرجل بهذه الكنية (عن ابن لابى هالة) اى بلا واسطة وهو غير معروف كما صرح
به الذهبى فى ميزانه واصل هالة علم لدارة القمر فهو اقوى فى منع الصرف من هريرة فى ابى هريرة لان هريرة اسم جنس
ثم هذا الاسناد ظاهره الاتصال ولكنه منقطع لان الرجل لم يسم فيه رجلان ومثل هذا يسمى منقطعا ولكنه
ان سمى فيه الرجل من طريق آخر فهو متصل من وجه ومنقطع من وجه وان لم يسم مطلقا فهو منقطع ابدا كذا ذكره
بعض الائمة وقال بعض علمائنا انه لا يضر الاسناد مثل هذه الجهالة فهو فى حكم المرسل وهو حجة عند الجمهور
والله تعالى اعلم (عن الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما قال) اى الحسن (سألت خالى هند بن ابى هالة
قال القاضى) كان حقه ان يكتب رمز ح اشارة الى التحويل من سند الى آخر ويأتى بالعاطفة فيقول وقال
القاضى (ابو على رحمه الله) وهو ابن سكرة (وقرأت على الشيخ ابى طاهر احمد بن الحسن) وروى فيه الحسين بالتصغير
(ابن احمد بن خداداد) بضم خاء فدال معجمتين فالف فدال مهملة بعدها الف فدال مهملة او معجمة لغة فارسية ومعناه
بالعربية عطاء الله (الكرجى) بفتح كاف فسكون راء فجيم (الباقلانى) بتشديد اللام وبعد الفه نون فياء نسبة لباقلا على
غير قياس (واجازنا الشيخ الاجل) اى الجليل القدر واجل زمانه واكمل اقرانه (ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون)
بفتح معجمة فسكون تحتية فضم راء ينصرف ويمنع (قالا) اى كلاهما (ثنا) اى حدثنا (ابو على الحسن بن احمد بن
ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان) بمعجمتين (ابن مهران) بكسر الميم (الفارسى) بكسر الراء ويسكن (قرأته عليه
فاقر به) اى اعترف بجواز نقله عنه وهو شرط فيمن قيل له اخبركم فلان او اخبرنى فلان عنك او نحوه وان لم يقر به فلا
يكون دليلا ولا حجة ولا بد من الاقرار وفيه تصحيح الرواية (قال) اى ابو على المذكور (انا) اى اخبرنا (ابو محمد الحسن
ابن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن على بن الحسين) بالتصغير فى الثلاثة (ابن على بن ابى طالب
المعروف بابن اخى طاهر العلوى) بفتحتين قال الحلبى هذا الرجل ترجمه الذهبى فى الميزان ونسبه كما هنا ثم قال روى بقلة
حيائه عن الديرى عن عبد الرزاق باسناد كالشمس على خير البشر وعن الديرى عن عبد الرزاق عن معمر عن محمد بن
عبد الله بن الصامت عن ابى ذر مرفوعا قال على وذريته يختمون الاوصياء الى يوم القيامة فهذان دالان على كذبه
وعلى رفضه عفا الله عنه ولولا انه متهم لازدحم عليه المحدثون فانه معمر انتهى ولا يخفى انهما يدلان على كذبه ووضعه
وعلى تفضيله ايضا واما على رفضه بمعنى سبه وبغضه فلا غايته ان الحديث ضعيف او موضوع من طريقه لكنه لا يضر
حيث انه ثابت باسناد الترمذى فى شمائله وانما اراد المصنف ان يتبرك بذكر مشايخه فى اسناده ويسلك بنفسه فى سلك
اسناده والا فكان يكفيه ان يسند الحديث الى الترمذى المعروف بثبوت سنده اما بكونه صحيحا او حسنا او ضعيفا
لانه وغيره ملتزمون ان لا يذكروا حديثا فيه راوى حكم بوضعه (ثنا) اى حدثنا (اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر
ابن محمد بن على بن الحسين) بالتصغير (ابن على بن ابى طالب حدثنى) وفى نسخة قال حدثنا (على بن جعفر) اى الصادق
(ابن محمد بن على بن الحسين) قال الحلبى على هذا روى عن ابيه واخيه موسى والثورى وعنه احمد البزى وجماعة اخرج
له الترمذى فقط قال الذهبى ما رأيت احدا لينه ولا وثقه ولكن حديثه منكر جدا ما صححه الترمذى ولا حسنه
وقد رواه عن نصر بن على عنه عن اخيه موسى عن ابيه عن اجداده من احبنى انتهى والحديث هو من احبنى واحب
هذين واباهما وامهما كان معى فى درجتى يوم القيامة اخرجه الترمذى فى المناقب وانفرد بالاخراج له كذا ذكره
الحلبى (عن اخيه موسى بن جعفر) اى ابن محمد العلوى الكاظم روى عن ابيه وعبد الله بن دينار ولم يدركه وعنه
ابنه على الرضى واخواه على ومحمد وبنوه ابراهيم واسمعيل وحسين قال ابو صالح حاتم ثقة امام مات فى حبس الرشيد
اخرج له الترمذى وابن ماجه وقال المسعودى قبض موسى ببغداد مسموما لخمس عشرة خلت من ملك الرشيد سنة
ست وثمانين ومائة وهو ابن اربع وخمسين سنة (عن جعفر بن محمد) اى الصادق (عن ابيه محمد بن على) هو ابو جعفر
الباقر سمى به لتبقره فى العلم اى لتوسعه فيه روى عن ابويه وجابر وابن عمر وطائفة وعنه ابنه جعفر الصادق والزهرى
وابن جريج والاوزاعى وآخرون اخرج له الائمة الستة (عن على بن الحسين) هذا زين العابدين روى عن ابيه وعائشة
رضى الله تعالى عنها وابى هريرة وجمع وعنه بنوه محمد وزيد وعمر والزهرى وابو الزناد وخلق قال الزهرى ما رايت قرشيا
افضل منه اخرج له الائمة الستة قال المسعودى وكل عقب الحسين فهو من على بن الحسين هذا (قال قال الحسن
ابن على رضى الله تعالى عنهما واللفظ) اى لفظ الحديث الآتى (لهذا السند) اى لاهل هذا السند الثانى وهو بالنون
لا بالياء التحتية قال التلمسانى هذا اسناد شريف لانه مروى عن اهل البيت ومثله الاسناد المروى فى صفة الصلاة على
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قال فيه الائمة اسناد لو ذكر على ذى علة او مجنون لبرئ او على مصاب لافاق ولو رقى به

ملسوع لبرئ (سألت خالى هند بن ابى هالة عن حلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر حاء وسكون لام
فتحتية اى وصفه ونعته (وكان) اى هند (وصافا) اى كثير الوصف له عليه الصلاة والسلام جملة معترضة (وانا
ارجو) جملة حالية اى اتمنى واحب كما فى رواية (ان يصف لى منها) اى من حليته (شيأ) اى بعضا منها (اتعلق به) اى
اتشبث به علما وعملا وهذا الحديث من طريق الترمذى فى الشمائل وقد انفرد باخراجه عن اصحاب الكتب الستة
وقد بسطت الكلام على دقائق مبانيه وحقائق معانيه فى جمع الوسائل لشرح الشمائل وهنا اتبع المصنف فى ضبط
مبناه اولا وربط معناه ثانيا وبالله التوفيق وهو الهادى الى سواء الطريق (قال) اى هند (كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فخما) اى مهيبا عظيما فى العيون (مفخما) بتشديد الخاء المعجمة المفتوحة اى معظما مكرما فى القلوب
كما يشير الى هذا المعنى ما ورد انه من رآه بداهة هابه ومن خالطه عشرة احبه وليس المراد بهما بيان ضخامته فى جسمه
وخلقته لمناسبة خلافه فى نعته ولا يبعد ان يقال معناهما عظيم عند الحق ومعظم عند الخلق (يتلألأ
وجهه) اى يضيء من كمال نوره وجمال ظهوره (تلألؤ القمر ليلة البدر) اى كاضاءته حال بدره وبدوره (اطول من
المربوع) اى القصير المربوع القامة (واقصر من المشذب) بتشديد الذال المعجمة المفتوحة اى الطويل البائن (عظيم
الهامة) بتخفيف الميم اى كبير الرأس المشير الى الوقار والرزانة (رجل الشعر) بكسر الجيم وفتح العين ويسكن اى
متكسره قليلا (ان انفرقت عقيقته) اى انفرق شعر رأسه من ذات نفسه (فرق) اى تركه مفروقا (والا فلا) اى وان لم
ينفرق فلا يفرقه عن قصد منه والفرق هو الطريق الابيض الذى هو حاجز بين ناحيتى شعر الراس (يجاوز شعره)
اى شعر رأسه (شحمة اذنيه) اى احيانا وروى شحمة اذنه بالافراد والشحمة معلق القرط وهو ما لان من اسفلها
(اذا هو وفره) بتشديد الفاء وقيل بتخفيفها وفى نسخة صحيحة وفره بزيادة الضمير اى تركه وافرا او جعله وفرة اذ لا يسمى
وفرة الا اذا وصل الى الشحمة (ازهر اللون) اى ابيض نيرا وقد جاء من حديث على رضى الله تعالى عنه انه كان ابيض
مشربا بحمرة على ما اخرجه ابو حاتم عنه وكذا اخرج عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان ابيض اللون وفى المسند من رواية عبد الله من طريقين ان رجلا سأل عليا عن نعته عليه الصلاة والسلام
فقال فيه انه ابيض شديد الوضح ولعل الاول باعتبار الوجه والاعضاء التى تبدو للشمس وهذا باعتبار سائر البدن
والمراد بالوضح كمال صفاء بياضه فلا ينافى ما جاء فى الصحيح من حديث انس انه عليه السلام لم يكن بالابيض الامهق
ولا بالآدم واما ما فى المسند لاحمد من حديث انس انه عليه الصلاة والسلام كان اسمر فالمراد به اسمر الى البياض كما
ذكره ابن عباس رضى الله تعالى عنه (واسع الجبين) اى من جمال خلقه ويمكن ان يكون كناية عن كمال خلقه واصل
الجبين ما بين الصدغين (ازج الحواجب) بتشديد الجيم الاولى اى دقيقها مع غزارة شعرها وتقوس اصلها
(سوابغ) اى كوامل طولا وشوامل اصلا والسبين اعلى من الصاد (من غير قرن) بفتحتين وقد يسكن اى من دون
اجتماع واتصال بين الحاجبين ووقع فى حديث ام معبد وصفه بالقرن ولعل منشأ الخلاف من جهة قرب
الرائى وبعده او المراد بالاثبات قرب القرن وبالنفى بعده لان المطلوب اعتداله المحمود من كل وجه له واما ما جوزه
الحلبى من انه كان بغير قرن ثم حدث له القرن فيبعد تصوره (بينهما) اى بين حاجبيه (عرق) بكسر اوله (يدره)
من الادرار اى يكثر دمه ويحركه ويهيجه (الغضب) اى عند مشاهدة مخالفة الرب فلا يخالف حديث لا يغضب (اقنى
العرنين) بالكسر اى طويل الانف مع دقة ارنبته وحدب فى وسطه على ما فى نهاية ابن الاثير ويكنى به عن العز الذى
معه منعة وذلك لشموخ انفه وارتفاعه على قومه هذا وقال الجوهرى وعرنين كل شئ اوله وعرنين الانف تحت مجتمع
الحاجبين وهو اول الانف حيث يكون فيه الشمم (له) اى لانفه بخصوصه (نور يعلوه) اى يظهر عليه او يرفعه من كثرة
ضيائه وشدة بهائه وقوة صفائه (يحسبه) بكسر السين وفتحها اى يظن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او انفه الوضيء
(من لم يتأمله) اى وجهه (اشم) مفعول ثانى ليحسبه والاشم الطويل قصبة الانف قال الجوهرى وهو من ارتفع
وسط قصبة انفه مع استواء اعلاه واشراف ارنبته قليلا من منتهاه فان كان فيه احديداب فهو اقنى (كث اللحية)
بتشديد المثلثة اى غزير شعرها وكثير اصلها وفى رواية كان كثيف اللحية وفى اخرى عظيم اللحية ذكره ميرك شاه
رحمه الله تعالى كما فى شرح الشمائل لابن حجر المكى من قوله غير دقيقها ولا طويلها ينافى الرواية والدراية لان الطويل
مسكوت عنه مع ان عظم اللحية بلا طول غير مستحسن عرفا كما ان الطول الزائد على القبضة غير ممدوح شرعا
ثم هذا لا ينافى ما ورد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه مرفوعا من سعادة المرء خفة لحيته كما رواه الاربعة فان
الكثيف والخفيف من الامور الاضافية فيحمل على الاعتدال الذى هو الكمال فى جميع الاحوال ولا يبعد ان يحمل
الكثيف على اصله والخفيف على عدم طوله وعرضه واما قول الفقهاء فى تعريف اللحية الخفيفة هى ما تظهر البشرة

من تحتها الحادث اصطلاحا ومبنى الاحاديث هذه على المعنى اللغوى تصحيحا واصلاحا (ادعج) اى فى العين وهو شدة
سواد الحدقة مع شدة بياضها (سهل الخدين) اى سائلهما غير مرتفع الوجنتين (ضليع الفم) اى عظيمه اوواسعه
والعرب تمدح عظيمه وتذم صغيره واعله للايماء الى سعة الفصاحة وظهور اثر الملاحة (اشنب) بمعجمة فنون فموحدة
اى ابيض الاسنان اوالشنب رونقها وماؤها وبهاؤها (مفلج الاسنان) بتشديد اللام المفتوحة اى مفرج الثنايا الحديث
على افلج الثنايا ولان تباعد الاسنان كلها عيب (دقيق المسربة) بضم الراء مادق من شعر الصدر كالخيط سائلا الى السرة
(كان) بتشديد النون (عنقه) اى رقبته وجيده (جيد دمية) بضم المهملة صورة تعمل من عاج اورخام اوغيرهما
ويتانق فى تحسينها ويبالغ فى تزيينها حال كون عنقه (فى صفاء الفضة معتدل الخلق) بفتح الخاء اى متناسب
الاعضاء فى الحسن والبهاء (بادنا) اى عظيم البدن من جهة اللحم اوخلقه العظيم وليس معناه السمين الضخم بل صلب
الجسم غير مسترخى اللحم كما قال (متماسكا) اى ليس بمسترخى اللحم وروى متماسك بالرفع اى هو متماسك يمسك بعضه
بعضا لشدته ولا ينافيه ماورد من انه عليه السلام كان ضرب اللحم اى خفيفه يعنى بالاضافة الى السمين البطين
(سواء البطن والصدر) بالاضافة اى مستويان لا يرتفع احدهما على الآخر فهما معتدلان (مشيح الصدر) بضم ميم
وكسر معجمة فتحتية فمهملة اى باديه وظاهره لا تطامن ولا انخفاض به كأنه لا ارتفاع له وروى بفتح الميم ومهملتين
من المساحة اوالسياحة اى عريضه وهو ايماء الى سعة صدره فى امره وانشراح قلبه بحكم ربه (بعيد ما بين المنكبين)
اى وسيع ما بين الكتف والعنق قال ههنا بعيد وفيما سبق عظيم فعظمه اما لبعده فهما سواء اوهناك كثير اللحم وهنا
بعيد فهما موصوفان وما موصولة (ضخم الكراديس) اى عظيم رؤس العظام وجميعها جمع كردوس وهو رأس العظم
اوكل عظمين التقيا فى مفصل كالمنكبين والوركين (انور المتجرد) بفتح الراء المشددة وهو ما جرد عنه ثوبه من جسده
(موصول ما بين اللبة) بفتح اللام وتشديد الموحدة اى موضع القلادة وهو الصدر اوالنحر وما موصولة (والسرة
بشعر) متعلق بموصول (يجرى كالخط) بتشديد الطاء المهملة اى عند مشابها للخط المستطيل وهو ما سبق من معنى
المسربة شبهه بجريان الماء وهو امتداده فى سيلانه (عارى الثديين) بفتح فسكون اى ليس عليهما شعر وقيل لحم ويؤيد
الاول قوله (ما سوى ذلك) اى ما سوى الخط والمعنى الا ما سبق من شعر المسربة وروى مما سوى ذلك (اشعر الذراعين
والمنكبين واعالى الصدر) جمع اعلى اى ما فوقه فان جميعها كثير الشعر لما تقدم ان ما بعده قليل الشعر واما ما ورد
عن على كرم الله وجهه على ما فى حسان المصابيح من انه عليه الصلاة والسلام كان اجرد والاجرد هو الذى لا شعر عليه
فمحمول على انه اريد بالاجرد ضد الاشعر والمعنى انه لم يكن على جميع بدنه شعر لا الاجرد المطلق (طويل الزندين) بفتح
فسكون اى عظمى الذراعين من اليدين (رحب الراحة) بفتح فسكون وقد يضم اوله اى وسيع الكف وهو قد يكون
كناية عن نهاية الجود وغاية الكرم (شثن الكفين والقدمين) بسكون المثلثة وقيل بالفوقية وهما الغتان
على ما فى القاموس اى يميلان الى غلظ وقصر اوالى غلظ فقط ويحمد ذلك فى الرجال لانه اشد لقبضهم وبطشهم
واقوى لمشيهم وثباتهم ذكره ابن الاثير فى المثلثة (سائل الاطراف) اى بالسين المهملة واللام اسم فاعل (اوقال شك
من الراوى (سائن الاطراف) بالنون وهما بمعنى اى ممتدها وقد تبدل اللام نونا ذكره الدلجى وزيد فى نسخة صحيحة
وسائر الاطراف بالراء ويدل عليه ذكره فى كلام المصنف عند حل مشكله وقد قال ابن الانبارى روى سائل
الاطراف اوقال سائن بالنون وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى
وسائر الاطراف فاشارة الى ضخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث قال الانطاكى هو بواو العطف اى وسائر
اطرافه ضخم (سبط العصب) بفتح سين مهملة وسكون موحدة وفى نسخة بكسرها وروى بتقديم الموحدة والعصب
بفتح المهملتين على ما فى الاصول المصححة والنسخ المعتبرة واما قول الحلبى هو تصحيف والصواب بالقاف فهو عن
صوب الصواب تحريف والمعنى ممتدة اطناب مفاصله ومماثلة من غير تعقد ونتوء وروى القصب بالقاف قال الهروى
وهو كل عظم عريض كاللوح وكل اجوف فيه مخ كالساعد رواه ابن الانبارى قالوا وهو الاشبه والمراد عظام ساعديه
وساقيه باعتبار طولهما (خمصان الاخمصين) بضم الخاء المعجمة الاولى مبالغة من الخمص اى شديد تجافى اخمص
القدم عن الارض وهو الموضع الذى لا يلصق بها منها عند الوضع (مسيح القدمين) اى ملساوين لينين لا تموج بهما وهو
بفتح الميم وكسر المهملة قال الحجازى ويروى بضم الميم وشين معجمة (ينبو عنهما الماء) على زنة يدعو اى يأبى عن قبولهما
ووقوفه فيهما لملاستهما (اذازال) اى عن مكانه (زال تقلعا) بضم اللام المشددة ويروى قلعا بكسر اللام وسكونها
ويروى اذا مشى تقلع اى رفع رجليه من الارض رفعا بقوة كانه يتثبت فى المشية بحيث لا يظهر منه العجلة وشدة
المبادرة عملا بقوله تعالى واقصد فى مشيك اى لا مشى الخيلاء ولا سير متماوت كالنساء وروى اذا مشى مشى تقلعا

وزيد

وزيد فى نسخة صحيحة (ويخطو تكفؤا) بضم فاء مشددة فهمزة وواو وسبق بيان مبناه وتبيان معناه (ويمشى هونا)
اى برفق وسكون ووقار وسكينة من غير دفع ومزاحمة لقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا
وهو لا ينافى قوله (ذريع المشية) بالذال المعجمة وكسر الميم اى سريعها بسعة الخطوة كما يشير اليه قوله (اذا مشى
كانما ينحط) اى ينزل (من صبب) اوفى صبب كما فى رواية اى منحدر من الارض لقوة مشيه وتثبت خطوه فى وضعه
وحطه قال الازهرى الانحطاط من صبب والتكفؤ الى قدام والتقلع من الارض قريب بعضها من بعض فى المعنى
وان اختلفت الفاظها فى المبنى واما حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ما رأيت احدا اسرع فى مشيه من
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمحمول على السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت لانه عليه الصلاة والسلام
كان يثب وثوب الشطار اوعلى ان السرعة كانت تقع فى مشيه عليه السلام لسعة خطوه من غير قصد له كيف
وقد روى انه عليه السلام قال سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن على ما رواه جماعة من الحفاظ (واذا التفت) اى يمنة
او يسرة اوالى احد من جانبيه (التفت جميعا) اى مجتمعا اليه ومقبلا بكليته عليه فلا يسارق النظر ولا يكون كالطير
الخفيف الطيش بل يقبل جميعا ويدبر جميعا (خافض الطرف) اى بصره حياء من ربه وتواضعا لاصحابه (نظره الى
الارض اطول) اى اكثر مدة (من نظره الى السماء) لانه اجمع للفكرة واوسع للعبرة (جل نظره) بضم الجيم وتشديد
اللام اى معظمه (الملاحظة) مفاعلة من اللحظ وهو مراعاة النظر بشق العين مما يلى الصدغ وكانه اراد بها هنا حال
كثرة تفكره فى امره المانع من توجهه بجميع نظره الى جانب من طرفه اوالى احد من اهله (يسوق اصحابه) اى
يقدمهم امامه ويمشى خلفهم تواضعا لربه وتعليما لاصحابه وهذا فى الحضر واما فى السفر فلزيادة مراعاة اضعف القوم
ومحافظتهم من ورائهم وكان لا يدع احدا يمشى خلفه ويقول دعوا خلفى للملائكة قال النووى وانما تقدمهم
فى سور صنعه جابر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم دعاهم اليه فجاؤا تبعا له كصاحب الطعام اذا دعا طائفة مشى
امامهم انتهى ولا يبعد ان يقال انما تقدمهم مبادرة الى ما اراد من تكثير الطعام بوضع يده الشريفة عليه عليه
الصلاة والسلام (ويبدأ) وفى رواية ويبدر بضم الدال اى يتبادر (من لقيه بالسلام) لانه الاكمل وثوابه الافضل لما
فيه من التواضع اولا والتسبب لفرض الجواب ثانيا ولذا عدت هذه الخصلة من السنن التى هى افضل من الفريضة
وفيه اشارة الى انه يستحب للاكبر ان يبتدئ به على الاصغر كما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الاسراء لما وصل
الى مقام الانتهاء وقال التحيات لله والصلوات والطيبات وبالغ فى الثناء قال الله تعالى السلام عليك ايها النبى ورحمة
الله وبركاته فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يرجع السلام السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين فقالت الملائكة اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله والحديث الى هنا
اتفق عليه الترمذى والطبرانى والبيهقى فى روايتهم عن ابن ابى هالة وقد اقتصر عليه السيوطى فى جامعه الصغير واما
باسناد المصنف على وفق ما فى الشمائل للترمذى فقد قال الحسن بن على لخاله هند لما وصل الى هذا المحل وقد حصل له
الحظ الاكمل من بعض فعله الاجل (صف لى منطقه) اى كيفية آداب نطقه وبيان اخبار صدقه (قال) اى هند
(كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان) اى وهو مما يوجب تكليل اللسان وتقليل البيان
(دائم الفكرة) اى فى امر الآخرة (ليست له راحة) لانه فى دار محنة وهذا كله مما يقتضى قوله (ولا يتكلم فى غير
حاجة) وكونه (طويل السكوت) ثم ليس المراد بحزنه المما يفوت مطلوب عاجل ولا بتوقع مكروه آجل فان ذلك
منهى عنه لقوله سبحانه وتعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم ولما ورد من دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم
انى اعوذ بك من الهم والحزن وانما المراد به التيقظ والاهتمام لما يستقبله من الامور العظام كما اشار اليه قوله تعالى
حكاية عن اهل الجنة حال وصولهم الى غاية المنى الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور واما ما نقله
الحلبى عن ابن امام الجوزية من ان حديث هند بن ابى هالة فى صفته عليه الصلاة والسلام انه كان متواصل الاحزان
لا يثبت وفى اسناده من لا يعرف وكيف يكون وقد صانه الله تعالى عن الحزن على الدنيا واسبابها ونهاه عن الحزن
على الكفار وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فمن اين يأتيه الحزن فمدفوع بما نقله الحلبى ايضا عن شيخ الاسلام ابى
العباس بن تيمية فى حديث هند بن ابى هالة انه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصمت دائم الفكر متواصل الاحزان
ما لفظه فالصمت والفكر للسان والقلب واما الحزن فليس المراد به الالم على فوت مطلوب اوحصول مكروه فان
ذلك لم يكن من حاله انتهى وهذا تقرير لثبوت الحديث فى المبنى واحتياج تأويله فى المعنى ثم هذا كله من هند يدل على
كماله حيث ذكر هذه المقدمة توطئة فى مقام مقاله اجمالا ثم بينه تفصيلا بقوله (يفتتح الكلام ويختمه) اى يطلب
ابتداءه وانتهاءه (باشداقه) اى جوانب فمه لرحب شدقه والعرب تمدح به (ويتكلم بجوامع الكلم) جمع جامعة اى

بالكلم الجوامع لمبانى يسيرة ومعانى كثيرة وفى الحديث كان يستحب الجوامع من الدعاء اى الجامعة لمقاصد صالحة وفوآئد صحيحة (فصلا) اى يتكلم حال كون كلامه كلاما بينا يعرفه كل احد هينا ومنه قوله سبحانه وتعالى انه لقول فصل اى بين الحق والباطل اوقاطع جامع مانع (لافضول فيه) اى عريا من الفائدة فيكون مملا (ولا تقصير) اى فيه عن اصل معناه ومايتعلق بمبناه من منافعه الزآئدة فيكون مخلا (دمثا) بفتح مهملة وكسر ميم فمثلثة اى كان لين الخلق سهلا (ليس بالجافى) اى غليظ الطبع اوالذى يجفوا صحابه (ولا المهين) بفتح الميم وضمها قال ابن الاثير فالضم من الاهانة اى لايهين احدا من الناس فتكون الميم زآئدة والفتح من المهانة اى الحقارة فتكون الميم اصلية انتهى ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون ام انا خير من هذا الذى هو مهين اى حقير (يعظم النعمة) اى نعمة الله (وان دقت) اى قلت وصغرت (لايذم شيأ) اى من نعمه سبحانه وتعالى اواحدا من خلقه لنزاهته عن البذآء والاذى مع قوله (لم يكن يذم) اى يعيب (ذواقا) بفتح اوله وتخفيف واوه اى مأكولا ومشروبا واما حديث ان الله لايحب الذواقين والذواقات فيعنى بهما سريع النكاح وسريع الطلاق (ولا يمدحه) اى لنزاهة ساحة قلبه عن الرغبة الى غير ربه فيميل الى التمتع بمتاع الحياة الدنيا والتوجه الى حظ نفسه منها ليترتب عليه مدحها وذمها قيل لبعضهم ما بال عظة السلف تنفع وعظة الخلف لاتنجع فقال علماء السلف ايقاظ والناس نيام وعلماء الخلف نيام والناس موتى اوكالانعام (ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق) بيناء المفعول فيهما والمعنى لايقوم احد من الخلق لدفع غضبه اذا تعرض احد له فى امر ربه (بشئ) اى بسبب مأمور اومنهى وروى لشئ باللام اى لاجل امر وحاصله انه اذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شئ (حتى ينتصر له) اى يقوم بنصرة الحق الواجب فى حقه وهذا غاية لعدم التعرض لغضبه (ولا يغضب لنفسه) اى لحظها وبسببها (ولا ينتصر لها) اى لمجرد حقها (اذا اشار) اى وقت خطابه فيما بين اصحابه (اشار بكفه) كلها قصدا للافهام ودفعا للابهام واستثنى منه حال ذكر التوحيد والتشهد حيث كان يشير بالمسبحة الى تحقيق المرام (واذا تعجب) اى من شئ عظم وقعه عنده (قلبها) بتشديد اللام وتخفيفها اى قلب كفه الى السماء للايماء الى انه فعل الرب وانه ينقلب عن قرب حال مابه التعجب (واذا تحدث) اى تكلم (اتصل) اى كلامه (بها) اى مقرونا بكفه واشارته اليها تأكيدا بيها وتصحف الدلجى حيث وضع الفاء موضع التاء ثم قال اى قصد من قولهم فصل علينا اى خرج من طريق اوظهر من حجاب قاصدا بها (فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى) ويروى براحته اليمنى باطن ابهامه ولعل اختلاف الرواية بناء على تعدد الحالة فى الرؤية هذا بيان كيفية اتصال كلامه بها وهذا عادة من تحدث بامر مهم وفعل ملم تأكيدا بالجمع بين تحريك اللسان وبعض الاركان على ان له وقعا فى الخطب والشان وتوجها من جانب الجنان فكانه بكليته متوجه الى حصول قضيته (واذا غضب) اى ظهر اثر غضبه على احد (اعرض) اى عنه ليبعد منه ويسهل امره (واشاح) بشين معجمة وحاء مهملة فى آخره اى مال وانقبض ذكره الانطاكى تبعا للمصنف والاظهر ان يقال بالغ فى اعراضه بصفح عنقه عنه ممتثلا لقوله سبحانه وتعالى فاعرض عنهم واصفح (واذا فرح) اى حصل له سرور (غض طرفه) بفتح فسكون اى غمض عينيه اوخفض بصره واطرق رأسه تواضعا لربه وتباعدا عن حصول شرهه واشره (جل ضحكه التبسم) اى معظم انواع ضحكه التبسم وهو مالاصوت فيه مطلقا وقد روى ان يحيى اذا لقى عيسى عليهما السلام يلقاه عيسى متبسما ويلقاه حزينا يشبه باكيا فقال يحيى لعيسى اراك تتبسم كانك آمن وقال عيسى ليحيى اراك تحزن وتبكى كانك آيس فاوحى الله اليهما احبكما الى اكثركما تبسما ولعل يحيى كان غلب عليه القبض والخوف لكونه مظهر الجلال وعيسى غلب عليه البسط والرجاء لانه مظهر الجمال والكمال وهو كون الجلال ممزوجا بغلبة الجمال لقوله الانسى فى الحديث القدسى سبقت رحمتى غضبى وفى رواية غلبت (ويفتر) بتشديد رآء اى يبدى اسنانه ضاحكا (عن مثل حب الغمام) اى البرد النازل من السحاب حال البرد (قال الحسن) اى ابن على (فكتمتها) اى اخفيت هذه الحلية اوهذه الرواية (عن الحسين بن على زمانا) اى اختبارا وامتحانا (ثم حدثته) اى اخبرته بهذا الحديث اى ليتبين اطلاعه عليه (فوجدته قد سبقنى اليه) اى مع زيادة فضيلة وجدت لديه كما بينه بقوله (فسال اباه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومخرجه) بفتح العين فيهما (ومجلسه) بكسر اللام اى عن كيفية دخوله وخروجه وجلوسه اوعن احوال مجلسه وهو مكان جلوسه وهو بكسر اللام سوآء كان مصدرا اومكانا وقال الحلبى هو بفتح اللام اى هيئة جلوسه وهو خطأ فاحش لان الجلسة بكسر الجيم هو الموضوع للنوع والهيئة (وشكله) بفتح اوله وجوز كسره وهو يحتمل صورته وسيرته لكن الثانى هو المراد هنا لتقدم مايتعلق بالاول ولقوله فيما سيأتى فسالته عن سيرته (فلم يدع منه شيأ) اى فلم يترك الحسن شيأ من متعلقات جميع ماذكر الا وقد سأله وحققه وهذا من كمال انصاف الحسن وجمال خلقه المستحسن ثم هذا بطريق الاجمال واما بطريق

التفصيل فكما بينه بقوله (قال الحسين سألت ابى) اى عليا كرم الله وجهه (عن دخول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى زمان دخوله وكيفية وصوله وهذا من قبيل رواية الاكابر عن الاصاغر اومن رواية الاقران فان ما بينهما تفاوت قليل من الزمان (فقال) اى على (كان دخوله) اى فى بيته (لنفسه) اى لحقه خاصة ولاهل بيته عامة حال كونه (مأذونا له) اى من عند ربه (فى ذلك) اى فله الاجر الجزيل والثناء الجميل لما هنالك وقيل كان مأذونا له ان يدخل حيث شاء من بيوته لانه سبحانه وتعالى لم يوجب قسما عليه فى زوجاته وقيل معناه انه لايدخل بغير استئذان (فكان اذا اوى) بالقصر هو الاولى ومنه المأوى اى وصل الى منزله واستقر فى محله (جزأ) بتشديد الزاى فهمز اى قسم (دخوله) اى زمنه (ثلاثة اجزآء) اى اقسام (جزأ لله تعالى) بالنصب يعبده فى النوافل كالاشراق والضحى ونحوهما من الامور الكوامل (وجزأ لاهله) اى يدبر امرهم وحالهم ويصلح شأنهم ومآلهم فيما لهم (وجزأ لنفسه) اى لاستراحتها كالقيلولة ونحوها اولورود وفود وضرورة قضية الجأت بعض الناس الى الدخول عليه والمشورة بين يديه وعرض احوال الجهاد واعمال العباد وامثال ذلك عليه وهذا معنى قوله (ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس) اى من خواص اصحابه وزمرة احبابه (فيرد) اى فى بعض زمن نفسه (ذلك) اى نفعه لما هنالك (على العامة) اى الذين لم يقدروا عليه فى تلك الحالة (بالخاصة) اى بواسطتهم وحصول رابطتهم وقد قال ابن الاثير اراد ان العامة كانت لاتصل اليه فى هذا الوقت فكانت الخاصة تخبرهم بما سمعوا منه فكانه اوصل الفوآئد الى الخاصة بالعامة وقيل ان الباء بمعنى عن اى يجعل وقت العامة بعد الخاصة فيكونون بدلا منهم (ولا يدخر) اى لايخفى من العلم اوالمال (عنهم شيأ) اى مما ينفعهم واصل يدخر بالدال المهملة المشددة يذتخر بالمعجمة قلبت التاء دالا مهملة لاتحادهما مخرجا فصار يذدخر بمعجمة فمهملة ثم ادغم بالمهملة بعد قلب المعجمة بها وهذا انطق الاكثر ومنه قوله تعالى وادكر (فكان) كذا فى النسخ وكان الظاهر بالواو (من سيرته) اى من حسن طريقته (فى جزء الامة) اى امة الاجابة لشريعته (ايثار اهل الفضل) اى اختيارهم لاعتبارهم (باذنه) اى بامره اكراما لهم ونفعا لمن تبعهم اوبامر اهل الفضل ومنه حديث الشراب فى الغلام وهو ابن عباس رضى الله تعالى عنه مع الاشياخ ابى بكر وعمر فاستأذن فاذنوا له (وقسمه) بفتح القاف اى قسمته كما فى نسخة صحيحة وهو مصدر مضاف اما الى الفاعل او المفعول اى قسمة الجزء اوقسمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اياه (على قدر فضلهم) اى الافضل فالافضل (فى الدين) اى بالعلم والعمل المتعلق به المسمى بالتقوى لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم لا بمجرد النسب ومقتضى الحسب اوكثرة الذهب ثم هم مع تفاوتهم فى مراتب الفضيلة متفاوتون فى مقدار استحقاقهم بحسب الحاجة كما يشير اليه قوله (منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوآئج) اى ثلاثا فاكثر وهو جمع حاجة من غير قياس وقيل جمع حائجة (فيتشاغل بهم) اى على حسب منافعهم (ويشغلهم) بفتح الياء والغين لابضم اوله وكسر ثالثه فانه لغة رديئة (فيما اصلحهم) اى ذلك الوقت وفى نسخة يصلحهم ولعله من قبيل حكاية الحال الماضية (والامة) بالنصب عطفا على الضمير فالتقدير ويصلح عامة الامة (من مسألته) وروى من مسألتهم (عنهم) اى من اجل سؤاله عن احوالهم وتفقده لاعمالهم وجعل الدلجى من بيانا لما وهو غير صحيح فى المعنى لانه لواريد هذا المعنى لقال من مسألتهم عنه كما لايخفى (واخبارهم) اى ومن اجل اخباره اياهم (بالذى ينبغى لهم) اى يصلح لهم خاصة اوللعامة كافة (ويقول) اى فى جميع المراتب (ليبلغ) بالتشديد والتخفيف (الشاهد) اى ليوصل الحاضر (منكم الغائب) اى الموجود اومن سيوجد فى عالم الوجود ما سمعه منى ولو بالمعنى خلافا لبعضهم من الصحابة كالصديق ومن التابعين كابن سيرين وابى حنيفة وبعض علماء الامة وقيل المراد بالشاهد الصحابى الاكبر والغائب الاصغر اوالشاهد الصحابى والغائب التابعى اوالشاهد العالم والغائب الجاهل ومنه قول القائل شعر

اخو العلم حى خالد بعد موته * واوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يعد من الاحياء وهو عديم

اوالشاهد الحضرى والغائب البدوى اوالشاهد السامع والغائب من لم يسمع اوالشاهد الذكور والغائب الاناث اوالشاهد المسلم والغائب الكافر وروى الشاهد الغائب بدون منكم (وابلغونى) اى اوصلوا الى (حاجة من لايستطيع ابلاغى حاجته) وروى ابلاغ حاجته (فانه) اى الشان (من ابلغ سلطانا) اى نبيا اوخليفة اوقاضيا اوحاكما اواميرا اووزيرا ولو سلطانا جائرا (حاجة من لايستطيع ابلاغها) اى بنفسه الا بكلفة ومشقة (ثبت الله قدميه) اى على الصراط اوفى الموقف (يوم القيامة) لما قام بحق الاخوة وثبت فى مقام الرحمة والشفقة (لايذكر عنده) بصيغة المجهول (الا ذلك) اى الذى ينشأ عنه نفعهم ويترتب عليه رفعهم (ولا يقبل) اى هو (من احد غيره) اى غير ما فيه منفعة

هنالك ولا يبعدان يقرأ ولا يقبل بصيغة المفعول فتأمل (قال) اى على (فى حديث سفيان بن وكيع) اى بروايته
خاصة (يدخلون روادا) بضم فتشديد اى حال كونهم طالبين منه العلم وملتمسين منه الحكم وروى بكسر اوله مخففا
على انه مصدر اى يتحينون وقت الوصول اليه وروى لواذا باللام والذال المعجمة اى ملتجئين اليه ومتحصنين ممتنعين به
او متقربين لما عنده (ولا يتفرقون) اى لا يفترقون بعد دخولهم (الا عن ذواق) بفتح اوله اى عن علم وحكم وحلم
يكتسبونها منه او عن مذوق من مأكول او مشروب يحضر عنده واقتصر اهل الذوق على الاول فتأمل
وان كان الجمع ان تصور او تيسر فهو الاكمل بالنسبة الى الكمل (ويخرجون ادلاء) جمع دليل اى هداة (يعنى فقهاء)
اى علماء بالكتاب والسنة قال التلمسانى هذا القول لابن شاذان على ما نقله بعض الشيوخ وروى بذال معجمة اى
متواضعين او منقادين (قلت) القائل هو الحسين بالتصغير لابيه رضى الله تعالى عنهما (فاخبرنى عن مخرجه) كيف
كان يصنع فيه لا تتبع فى جميع افعاله من دخوله وخروجه وسائر احواله (قال) اى على (كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يخزن لسانه) بضم زاى اى يجعله مخزونا ومحبوسا وممنوعا (الا فيما يعنيهم) بكسر النون اى يهمهم
وينفعهم وفى نسخة من الاعانة اى يساعدهم ويقوى دينهم من جواهر لفظه وزواجر وعظه ومنه (شعر)

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخازن

(ويؤلفهم) بتشديد اللام اى يوقع الالفة بينهم من سحائب كرمه وسواكب نعمه فيجمعهم (ولا يفرقهم)
بتشديد الراء اى لا يتكلم بما ينفرهم لانه برحمة من الله لان لهم (يكرم) من الاكرام اى يعظم (كريم كل قوم) اى رئيسهم
وشيخهم ويقول ايضا اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه كما رواه ابن ماجه وغيره (ويوليه) بتشديد اللام اى يجعله واليا
(عليهم) اى تألفا به وبهم (ويحذر الناس) اى لقوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ثم عطف
بالتفسير قوله (ويحترس منهم) اى يتحفظ عنهم ففى الحديث الحزم سوء الظن وفى لفظ احترسوا من الناس بسوء الظن
والمعنى لا تثقوا بكل احد منكم فانه اسلم لكم فهو لا ينافى قوله تعالى ان بعض الظن اثم او فيحذر من الغائب ويحترس
من الحاضر والمراد من الناس جنسهم كالاعرابى لا جميعهم فى هذا الباب (من غير ان يطوى) بكسر الواو اى يمنع
(عن احد) وفى نسخة على احد (بشره) بكسر الموحدة اى بشاشة بشرة وجهه وطلاقته (وخلقه) اى حسن عشرته
وطراوته وهذا فى حق من حضر منهم فى خدمته اذا وجدوا (ويتفقد اصحابه) اى يتعرف احوالهم اذا غابوا او فقدوا
(ويسأل الناس عما فى الناس) اى مما يوجب التفقد والتفحص للاستئناس (ويحسن الحسن) بتشديد السين وتخفف
اى يبين حسن ما يكون حسنا ويجعله مستحسنا (ويصوبه) بتشديد الواو اى يحكم بكونه صوابا ترغيبا فيه وتحريضا
عليه وروى ويقويه (ويقبح القبيح ويوهنه) بتشديد الباء والهاء مشددة او مخففة بعد ها نون او ياء اى يظهر قبحه
وضعفه تنفيرا عنه وتحذيرا منه (معتدل الامر) اى كان امره وشأنه كله فى غاية من الاعتدال ونهاية من كمال الجمال
مما للقلب فيه راحة وللعين قرة (غير مختلف) حال مؤكدة اى غير مفرط ولا مفرط او غير متناقض ولا متعارض
(لا يغفل) بضم الفاء اى لا يظهر الغفلة بالمرة لارباب الصحبة (مخافة ان يغفلوا او يملوا) بفتح ميم وتشديد لام اى
يسأموا واو للتنويع (لكل حال) اى من احوال الدنيا والعقبى (عنده عتاد) بفتح مهملة ومثناة فوقية
اى عدة زاد ومعد معاد (لا يقصر عن الحق) لا يفرط فى اقامته (ولا يجاوزه الى غيره) اى ولا يتعدى عن غاية
مرتبته (الذين يلونه) اى يقربونه (من الناس خيارهم) مبتدأ وخبر (وافضلهم عنده اعمهم نصيحة) اى لله وكتابه
ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم كافة وقد ورد خير الناس انفعهم للناس والنصيحة الخلوص لغة وهى كلمة جامعة يعبر
بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح بها خالصة (واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة) اى مشاركة فى الرزق والمعيشة
قلبت همزتها واوا بدليل حديث ما احد عندى اعظم يدا من ابى بكر آسانى بنفسه وماله وآساه بالهمز اعلى من واساه
وقيل لا تكون المواساة الا من كفاف (وموازرة) اى معاونة من الوزر بمعنى الملجأ وبمعنى الحمل وروى بالهمز مكانه
من الازر بمعنى الظهر لان منه قوة البدن فوازره بمعنى قواه ووقع فى اصل الدلجى تقديم موازرة وهو مخالف للاصول
المعتبرة (ثم قال) اى الحسين بن على رضى الله عنهما (فسألته) اى ابى (عن مجلسه) اى جلوسه صلى الله تعالى
عليه وسلم او مكانه وكيفية حاله ومراتب شأنه ولذا ابدل منه بقوله (عما كان يصنع فيه) اى فى جلوسه او مجلسه
وقد اغرب الدلجى حيث قال هنا ايضا ما سبق له من انه بفتح اللام كما تقدم قريبا والظاهر انه يجوز بكسر اللام وقد
تقدم ان فتحها خطأ مبنى ومعنى (فقال) اى على (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجلس) اى بعد
قيامه من نوم او غيره (ولا يقوم) اى بعد جلوسه (الا على ذكر) اى من افادة علم وذكر او بيان حمد وشكر عملا
بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم (ولا يوطن الاماكن) من الايطان او التوطين اى لا يجعل

لنفسه مجلسا معينا يعرف به بحيث لا يجلس فى غيره (وينهى) اى غيره ايضا (عن ايطانها) اى اتخاذها معينة
وقيل مصلى لصلاته المبينة فروى الحاكم وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى ان يوطن الرجل المكان يصلى فيه
وفى رواية نهى عن ان يوطن الرجل فى المكان بالمسجد كما يوطن البعير والمعنى انه نهى ان يألف الرجل مكانا معلوما
من المسجد مخصوصا يصلى فيه كالبعير لا يأوى من العطن الا الى مبرك قد وطنه واتخذه مناخا له ولعله اريد به
خصوص من لم يألف من المسجد مكانا يفتى به او يدرس فيه فان له ان يقيم من سبقه اليه لئلا يتفرق اصحابه عليه
ولكن الاولى ان لا يلتزم جلوسه لمكان معين بحيث لا يتقدم ولا يتأخر عنه نظرا الى عموم النهى ورخص للامام
بوقوفه فى موضع معين من محراب المساجد للضرورة ولعل نهى غيره مخافة دخول الرياء والسمعة فى الطاعة
ثم رأيت النووى صرح به حيث قال وانما ورد النهى عن ايطان موضع من المسجد للخوف من الرياء ونحوه والا
فلا بأس بملازمة الصلاة فى موضع من البيت لحديث عقبان بن مالك فلم يجلس يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
حين دخل البيت ثم قال اين تحب ان اصلى من بيتك فاشرت الى ناحية من البيت الحديث وقال التلمسانى كان مقعد
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند العمود المخلق وكان لاصحابه مواضع فيه معروفة الاماكن وقال بعض الشيوخ
نهيه عن ذلك لوجوه احدها خوف الرياء والسمعة والتظاهر بالملازمة والثانى ان يغيب فيقع الناس فيه فيأثمون به
والثالث ان يرى انه استحقه دون غيره قلت والرابع انه يعتقد عدم جوازه فى غيره كما قيل فى كراهة تعيين سورة
فى صلاته وينبغى ان يستثنى ملازمة المواضع المأثورة كما انه استثنى ما ورد فى قرآءته الآثار المسطورة ولا يبعد ان النهى
مختص بموضع يتبارك الناس بالصلاة فيه كتحت الميزاب والمقام والمحراب والله اعلم بالصواب (واذا انتهى الى قوم)
اى جالسين او الى مجلسهم (جلس حيث ينتهى به المجلس) ولم يتقدم عليهم ولم يتميز عنهم بل كان يجلس حيث
اتفق معهم فان شرف المكان بالمكين دون العكس المبين (ويأمر بذلك) تأكيد اللامر بالقول بانضمامه الى الفعل
ويقول ان الله يكره عبده ان يراه متميزا عن اصحابه (ويعطى كل جلسائه نصيبه) اى من مباشرته ومحادثته (حتى
لا يحسب جليسه) اى لا يظن مجالسه (ان احدا اكرم عليه منه) اى من غاية استجلاب خاطره ونهاية جبر حال
ظاهره (من جالسه او قاومه) اى وافقه فى جلوسه او قيامه بمعنى جلس معه او قام معه (لحاجة) اى عارضة
لصاحبه (صابره) اى بالغ فى حبس نفسه للصبر معه (حتى يكون هو المنصرف عنه) اى بعد انقضاء حاجته منه
(من سأله حاجة لم يرده) بفتح الدال وضمها (الا بها) اى الا بقضائها او وعداد آئها كما بينه بقوله (او بميسور) اى
بما يسر له (من القول) وهو يشمل دعاءه له بحصولها فأو للتنويع وفيه ايماء الى قوله تعالى واما تعرضن عنهم
ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا (قد وسع الناس) بالنصب اى عمهم (بسطه وخلقه) اى
بسط يده وانبساط خلقه وسماحة نفسه وسعة كرمه (فصار لهم ابا) اى من كمال الشفقة وحسن تأديب التربية
لان نبى كل قوم بمنزلة ابيهم كما قال تعالى ملة ابيكم ابراهيم وفى قرآءة شاذة بعد قوله سبحانه وتعالى وازواجه امهاتهم
وهو اب لهم (وصاروا عنده فى الحق) اى فى حق الرحمة والرأفة (متقاربين) اى كالاولاد عند الوالدين متساوين
فى اصل المحبة (متفاضلين فيه بالتقوى) اى عن المعصية (والتقوى) اى على الطاعة لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم (وفى الرواية الاخرى) اى عنه او عن غيره (وصاروا عنده فى الحق سواء) اى فى حكم الحق للخصومة
او فى اصل حق المودة مستوين (مجلسه مجلس حلم) اى وقار وسكينة (وحياء وصبر وامانة) اى لا مقام وقاحة وخفة
وخيانة (لا ترفع فيه الاصوات) لقوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الآية وهذا بيان لحلمهم
وحيائهم (ولا تؤبن فيه الحرم) وضبطه ما تقدم اى لا يذكرون فيه بسوء وهذا بيان لصبرهم وامانتهم (ولا تنثى)
بضم اوله فسكون نون وفتح مثلثة اى لا تشاع ولا تذاع ولا تذكر من النثاء وهو اعم من ذكر الحسن والقبيح وخبر الخير
والشر وقيل مختص بالشر وهو فى هذا المقام اظهر فتدبر وفى نسخة بمثناة فثلثة فنون اى لا تعاد (فلتاته) بفتحتين
وقد تسكن اللام اى زلات مجلسه وعثرات من حضر فى مقام انسه والمعنى لم يكن لمجلسه فلتة فتنقل فالنفى منصب
على القيد والمقيد كقوله تعالى لا يسألون الناس الحافا اى اصلا (وهذه الكلمة) اى الجملة الاخيرة وهى
ولا تنثى فلتاته ثابتة (فى غير الروايتين) اى المذكورتين فى سند هذا الحديث (يتعاطفون) اى فيه كما فى نسخة صحيحة
اى فى مجلسه خصوصا يتحابون ويتراحمون (بالتقوى) اى بسببها لحديث ابى داود والترمذى لا تنزع الرحمة الا من شقى
او بحسب تفاوت مراتبها حال كونهم (متواضعين) اى بعضهم لبعض كما قال تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على
الكافرين وكما قال اشداء على الكفار رحماء بينهم (يوقرون فيه) اى فى مجالسه خصوصا (الكبير) اى فى السن
او الرتبة بما يجب له من العظمة (ويرحمون الصغير) اى بمقتضى الشفقة (ويرفدون) بضم الفاء وكسرها وحكى فتحها

وفى نسخة من الارفاد اى يعينون و يغيثون (ذا الحاجة) ويعطون صاحب الفاقة وقيل رفد اعطى وارفده اعانه والرفد بالكسر هو العطاء (ويرحمون الغريب) اى لبعده عن بلاده واصحابه ومفارقة اولاده واحبابه (ثم قال) اى الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما (فسألته) اى ابى (عن سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جلسائه) اى عن طريقته فى حقهم حال حضورهم فى خدمته (فقال) اى على (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر) اى غير مقيد طلاقة وجهه وبشاشة بشرته بوقت دون وقت فى حالته (سهل الخلق) اى لين الطبع مع عموم الخلق (لين الجانب) بتشديد التحتية وتخفف اى فى كمال من الرفق (ليس بفظ) اى سيئ الخلق (ولا غليظ) اى سيئ القلب (ولا سخاب) اى صياح وفى رواية ولا صخوب والصاد لغة فيهما وكلاهما للمبالغة الا ان النفى لاصل المعنى لا للزيادة والاظهران الكلمة بوضعها للنسبة كتمار ومنه قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وجاء فى حديث المنافقين خشب بالليل سخب بالنهار اى اذا جن عليهم الليل سقطوا نياما كالخشب فاذا اصبحوا تساخبوا على الدنيا شحا لكاعليها وتمالؤا اليها وفى رواية فى الاسواق فالمراد نفى رفع الصوت بالمخاصمة والمشاجرة على ماهو المعروف فى العادة فلا ينافى ماورد من انه كان اذا دخل السوق قال لا اله الا الله وحده لا شريك له الى آخره مع غيره مما ثبت من الادعية فى اثره (ولا فحاش) اى ذى فحش من كلام غليظ (ولا عياب) اى على احد قولا وفعلا حضرا اوفى غيبة احدا ولما كول ومشروب كما سبق (ولا مداح) اى مبالغ فى مدح احد ويروى بالزاى اى كثير المزح لما ثبت فى وصفه من مدحه ومزحه احيانا واما ما وقع عند شارح بالراء فتصحيف لمخالفته الاصول وان قال انه من المرح وهو الفخر والتبختر (يتغافل عما لا يشتهى) اى عما لا يجب على احد فيه ان يشتهى (ولا يؤيس منه) بالبناء للفاعل او المفعول من اليأس ضد الرجاء على ما مر له من بيان المعنى (قد ترك نفسه) اى لم يجعل لها حظا (من ثلاث) اى ثلاث خصال بينها بافادة ابدال مع اعادة من بقوله (من الرياء) وكذا من السمعة فانهما من الشرك الاصغر وهذا انما يبتلى به من لا يعرف الله ممن يلتفت الى ما سواه ووقع فى اصل التلمسانى الريا بدون من فجوز جره على بدل المفصل من المجمل كقوله تعالى حكاية نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق ورفعه على انه خبر لمحذوف قلت لو صحت هذه الرواية لجاز نصبه بتقدير اعنى كما لا يخفى على ارباب الدراية (والاكثار) اى ومن اكثار القول الممل للحضار او من اكثار متاع الدنيا لكمال توجهه الى المولى والدار الاخرى التى هى بالاستكثار اولى واحرى (وما لا يعنيه) اى ومما لا يهمه ولا ينفعه ولا يغنيه وكيف لا وفى حديث الترمذى من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقد قال سبحانه وتعالى والذين هم عن اللغو معرضون وهو يشمل القول والفعل وتوجه القلب واقبال العقل (وترك الناس) اى ابعدهم عن ساحة ما ينقصهم (من ثلاث) بينها الا بابدالها كما قال الدلجى بقوله (كان لا يذم احدا) اى بما يضع قدره (ولا يعيره) بتشديد التحتية اى لا يعيبه بعيب سبق امره اذ ورد فى حديث الترمذى عن معاذ مرفوعا من عير اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله قال التلمسانى هما واحد والا كان العدد اربعا قلت الصواب انهما عددان لانهما متغايران وان الثالث قوله (ولا يطلب عورته) اى لا يسيئ ظنه به فيتجسس عن امره ويتفحص عن خلله لقوله سبحانه وتعالى ولا تجسسوا ولحديث ابى داود على المنبر يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته بمعنى كشف الله حاله وفضحه فهو من باب المشاكلة لوروده بالمقابلة وقد تمت الثلاث فعطف على ما قبلها قوله (ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه) اى فى فعله او يخاف من عقابه فى تركه ولعله ترك للاكتفاء او لكمال ظهوره (اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير) اى اكراما له واحتراما لقوله وسبق تحقيقه (واذا سكت تكلموا) اى تأدبا معه وزيادة استفادة منه (لا يتنازعون عنده الحديث) اى لا يتجاذبونه بينهم كما بينه بقوله (من تكلم عنده انصتوا له) اى سكتوا له او اسكت بعضهم بعضا لاجله (حتى يفرغ) اى من كلامه وتحصيل مرامه (حديثهم حديث اولهم) مبتدأ وخبر متضمن لتشبيه بليغ اى حديث آخرهم كحديث اولهم فى الرغبة اليه والنشاط لديه وعدم الملالة والسآمة عليه وفى رواية حتى يفرغ حديث اولاهم وروى حتى يفرغ من كلامهم حديثهم حديث اولهم (يضحك مما يضحكون منه) اى بحكم المؤانسة وحق المجالسة (ويتعجب مما يتعجبون منه) تطييبا لخواطرهم وتحببا لسرائرهم وظواهرهم (ويصبر للغريب على الجفوة) بفتح جيم فسكون فاء اى الغلظة والسقطة والغلطة (فى المنطق) اى فى العبارة وهذا كله كان دأبه فى العادة (ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها) جملة حالية او استئنافية بيانية (فارفدوه) بهمزة قطع او وصل اى اعطوه ولو بعض كفايته او اعينوه على قضاء حاجته (ولا يطلب الثناء) اى ولا يقبله كما فى رواية (الا من مكافئ) بكسر فاء فهمز اى معتقد لثنائه او مقتصد فى ثنائه غير متجاوز الى اطرائه الا تراه يقول ولا تطرونى

كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله فاذا قيل هو نبى الله اورسول الله فقد وصف بما لا يوصف به احد من امته فهو مدح مكافئ له وما احسن قول البردة فى هذه الزبدة

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

(ولا يقطع على احد حديثه) اى كلامه فى اثنائه بل ينصت له (حتى يتجوزه) اى يتعداه و يتخلص (فيقطعه بانتهاء) اى لحديثه ولو بعد فى قعوده (او قيام) اى له على طريق وداعه (هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع) اى شيخ الترمذى (وزاد الآخر) اى بسند المصنف من طريق ابى على الحافظ ابن سكرة منتهيا الى الحسن بن على راويا عن اخيه الحسين رضى الله تعالى عنهما (قلت) اى لابى (كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال) اى على (كان سكوته على اربع) اى حالات او صفات (على الحلم) اى الوقار والسكينة دون الخفة والعجلة (والحذر) اى عما يخشى فيه من الضرر (والتقدير) اى تقدير الشئ بمعنى التصوير (والتفكر) اى فيما يحتاج اليه من التقدير (فاما تقديره) تفصيل على خلاف ترتيب ما اجمل به (ففى تسوية النظر) اى التأمل فى الامر او مساواة النظر بالبصر (والاستماع بين الناس) كما قرر فى آداب القضاء من العدالة بين الخصماء على حد سواء فى الاستواء وروى الاستمتاع بمعنى الانتفاع (واما تفكره ففيما يبقى) اى من اعمال العقبى (ويفنى) اى من احوال الدنيا كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا او فيما يبقى عند المولى ويفنى عند السوى كقوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق (وجمع له الحلم صلى الله تعالى عليه وسلم فى الصبر) اى فى حال صبره (فكان لا يغضبه) بضم اوله وكسر ضاده اى لا يحمله على الغضب (شئ يستفزه) بتشديد الزاى اى يستخفه و يفزعه (وجمع له فى الحذر) اى التيقظ فى الحضر والسفر والتحرس عن الضرر (اربع) اى من الخصال الحميدة والاحوال السعيدة احداها (اخذه بالحسن) اى قولا او فعلا (ليقتدى به) اى علما وعملا سواء كان واجبا او مندوبا او مباحا فهو مرفوع على انه مبتدأ خبره مقدر مقدم او على انه خبر مبتدأ محذوف هو هو او على انه بدل من اربع بدل الكل بتأخير الربط او بدل البعض بتقديمه على وجه شموله ويجوز نصبه بتقدير اعنى ايضا الا كما توهم الدلجى فى اقتصاره على ضبط نصبه على انه مفعول من اجله (وتركه القبيح) اى حراما او مكروها او ما هو خلاف الاولى (لينتهى عنه) بصيغة المفعول اى لينتهى عنه غيره تبعا له والمعنى انه كان يترك ما يعد قبيحا فى حق غيره وان كان وجوده صحيحا فى حقه ليكون دليلا على انتهائه صريحا وليعلم انه عامل بعلمه ومتعظ بوعظه كما قال تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه (واجتهاد الرأى) اى بذل الجهد فى ظهور الاحرى (بما اصلح امته) اى بسبب صلاح امرهم وموجب فلاح اجرهم (والقيام لهم) اى لمصالحهم ونظام احوالهم (بما جمع لهم امر الدنيا والآخرة) بنصب الامر على ما فى الاصول المعتمدة على انه مفعول جمع ووقع فى اصل الدلجى من امر الدنيا والاخرة بزيادة من وهو يحتمل ان تكون تبعيضية او بيانية وهو الاولى كما فسره بقوله من معاش ومعاد قال المصنف (انتهى الوصف) اى وصف نبى الله (بحمد الله) اى مقرونا بحمده حيث لا يستحق الحمد سواه ولا ينبغى ان يحمد الا اياه

(فصل) (فى تفسير غريب هذا الحديث) اى باعتبار مبناه (ومشكله) اى من جهة معناه وانما سمى غريبا لغرابة استعماله حيث غيره فى المداولة اكثر نصيبا ويكون الى الفهم قريبا (قوله المشذب) بفتح الذال المعجمة المشددة (اى البائن الطول) بالاضافة اى المفرط فيه المباين عن قد الطوال او المفارق عن رتبة قامة الربعة (فى نحافة) اى حال كونه واقعا فى صفة النحافة التى هى ضد الضخامة (وهو) اى المشذب (مثل قوله فى الحديث الآخر) اى للترمذى والبيهقى (ليس بالطويل الممغط) بتشديد الميم الثانية فمعجمة فمهملة اى المتناهى طولا والممتد قامة واصله منمغط اسم فاعل من باب الانفعال والنون للمطاوعة فقلبت ميما وادغمت يقال مغطت الحبل اذا مددته وانمغط النهار اذا امتد وفى نسخة بكسر العين المهملة وروى بصيغة المفعول من باب التفعيل بالغين المعجمة والكل بمعنى (والشعر) بفتح العين وتسكن (الرجل) بفتح راء فكسر جيم مبتدأ موصوف خبره (الذى كأنه مشط) بضم ميم فتخفيف شين معجمة مكسورة (فتكسر قليلا) اى فبقيت جعودته يسيرة وسبوطته كثيرة ومنه الترجيل وهو تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه لا انه من الترجيل كما توهمه الدلجى لان المزيد يؤخذ من المجرد لا بالعكس (ليس) اى شعره الرجل (بسبط) بسكون الموحدة وتكسر والاول انسب بقوله (ولا جعد) والجملة تفسير لما قبلها او بيان لما كان عليه من اصل خلقه والحاصل انه لم يكن شديد السبوطة والجعودة وقد روى احمد وابو داود انه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الترجل الا غبا ولعل العلة ما ينشأ عن الكثرة مما يشعر ببطر النعمة قال النووى والسبط بفتح الباء وكسرها لغتان مشهورتان ويجوز اسكان الباء مع كسر السين ومع فتحها على التخفيف كما فى كتف وبابه

(والعقيقة) وهى فى الاصل الشعر الذى يولد به يقال عق عن المولود اذا حلق عقيقته يوم سابع ولادته وذبح عنه
شاة وسميت باسمه عقيقة كما سمى به (شعر الرأس) لانه نبت اصوله (اراد) اى الراوى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان
لا يفرق شعر رأسه باختياره بل دأبه انه (ان انفرقت) اى عقيقته (من ذات نفسها) وروى من ذاتها (فرقها)
اى تركها متفرقة (والا تركها) اى على حالها اى (معقوصة) اى وفرة واحدة قيل وكان هذا فى صدر الاسلام
وروى الشيخان وغيرهما انه كان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر به وكانوا يسدلون شعورهم وكان المشركون
يفرقون فسدل صلى الله تعالى عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد ومن ثمة قال النووى المختار جوازهما والفرق
افضل (ويروى عقيصته) اى ان انفرقت عقيصته فرقها والا تركها على حالها وهى فعيلة بمعنى مفعولة كضفيرة
بمعنى مضفورة زنة ومعنى واصله اللى وادخال اطراف الشعر فى اصوله (وازهر اللون نيره) بتشديد التحتية المكسورة
اى ابيض مشرق متلألئ ومنه الزهرة نجم مشهور (وقيل ازهر حسن ومنه) اى من هذا القبيل او الاشتقاق
(زهرة الحياة الدنيا اى زينتها) يعنى حسنها وبهجتها (وهذا) اى كونه ازهر (كما قال) اى واصفه (فى الحديث الآخر)
اى مما رواه الشيخان والترمذى (ليس بالابيض الامهق) اى الشبيه بالابرص (ولا بالآدم) اى بالاسمر القريب
الى الاحمر بل كان بياضه مشربا بحمرة (والامهق هو الناصع البياض) اى خالصه كلون الجص (والآدم الاسمر
اللون) واما ما ورد فى حديث انه كان اسمر اللون فمحمول على ان ما برز منه للشمس كان اسمر وما سترته ثيابه
كان ابيض والحاصل ان اصل خلقته ابيض وقد كان تعتريه السمرة فلا ينافى كونه اسمر فتدبر (ومثله) اى
ومثل كون لونه بينهما المفاد بلا ولا (فى الحديث الآخر) اى الذى رواه الترمذى والبيهقى (ابيض مشرب) بضم ميم
وفتح راء مخففة او مشددة للمبالغة اى مشرب بحمرة كثيرة ولذا قال (اى فيه حمرة) وهذا احسن الوجوه واحسن
الالوان من افراد انواع الانسان كما اخبر الله سبحانه وتعالى عنه فى القرآن بقوله فى وصف الحور البيض كأنهن
الياقوت والمرجان ولا عبرة ببعض الطباع العادية من ميلهم الى الصفر او الخضر او السودان هذا وفى شرح المصابيح
لابن الفقاعى الاشراب خلط لون بلون كأن احد اللونين يسقى الآخر يقال بياض مشرب حمرة بالتخفيف فاذا شدد
كان للتكثير والمبالغة قلت ومنه قوله تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل اى اخلط حبه فى قلوبهم (والحاجب الازج)
افعل من الزجج وهو دقة الحاجبين مع سبوغهما الى مؤخر العين وحسنهما (المقوس) بفتح الواو المشددة اى المشبه
بالقوس فى نوع من الادارة فلا ينافيه انه (الطويل) اى طرفه وهو احتراز من كونه قصيرا فلا ينافى انه لم يكن اشم
(الوافر الشعر) احترازا من كونه خفيفا (والاقنى السائل الانف) اى طويله وممتده مع دقة ارنبته (المرتفع وسطه)
احترازا من حدبته فان كثرتها غير مستحسن (والاشم الطويل قصبة الانف والقرن) بفتحتين وتكسر الراء (اتصال
شعر الحاجبين) اى طرفيهما حتى يتلاقيا (وضده البلج) بفتحتين بعدهما جيم وهو الذى بينهما فصل بين والجمع بين
الروايات ان شعر حاجبيه لم يكن فى غاية من الاتصال ولا فى نهاية من الانفصال بل على حد الاعتدال المطلوب فى جمال
ارباب الكمال فلا تنافى بين ما سبق من المصنف وبين ما ذكره بقوله (ووقع فى حديث ام معبد) بفتح ميم فسكون عين
مهملة فموحدة وهى التى رأته صلى الله تعالى عليه وسلم فى طريق الهجرة من مكة الى المدينة (وصفه) اى وصفها اياه
(بالقرن) وقد يجمع بينهما بان ام معبد رأته من بعد فظنت انه اقرن لقرب طرفيهما التقاء فوصفته بالقرن وعلى
كرم الله تعالى وجهه حققهما من قرب فرآهما كادا يلتقيان فوصفه بالبلج واما قول الدلجى من ان الصحيح وصفه
بالبلج اذ هو المحمود عند العرب دون القرن فغير صحيح لانه صلى الله تعالى عليه وسلم خلق على جمال موصوف بكمال
عند العرب والعجم نعم يستبعد تجويز الحلبى حدوث القرن له عليه الصلاة والسلام بعد فانه بنزه عليه الصلاة والسلام
عن حدوث ما يعد عيبا فيه (والادعج) من الدعج وهو السواد فى العين وغيرها وقيل هو شدة سواد العين فى شدة
بياضها وهو المراد ههنا وقوله (الشديد سواد الحدقة) اى حدقة العين من باب الاقتصار او من قبيل الاكتفاء
والاختصار او لتحقق البياض فى غالب العادة وانما تختلف الحدقة باعتبار السواد والزرقة والشهلة (وفى الحديث
الآخر) اى الذى رواه مسلم (اشكل العين واسجر العين) بمهملة فجيم وهما بمعنى واحد (وهو الذى فى بياضها حمرة)
اى يسيرة والشكلة بالضم شكلة محبوبة محمودة ثم اعلم ان فى القاموس عين سجراء خالطت بياضها حمرة فما ضبط
فى بعض النسخ الصحيحة بالحاء المهملة ليس فى محله لما فى القاموس من ان السحر بفتحتين هو البياض يعلو السواد
واما ضبط بعضهم بالشين المعجمة فلا وجه له اصلا (والضليع) اى الفم كما سبق اى عظيمه وهو ممدوح فى الرجال
كامر وقيل كما قال المصنف (الواسع) فالمراد به الوسع فى الجملة كما فى اعتدال الخلقة لا ضيقه بالمرة (والشنب) بفتح
النون (رونق الاسنان وماؤها) اى صفاؤها وبهاؤها وانما تمادح بكثرة الريق فى المحاورات والخطب والحرب لانه

يدل على ثبات جنان المتكلم ورباطة جاشه ففؤاده رطب بخلاف الجبان اذا تكلم فى هذه المحافل جف ريقه
فى فمه وما الذ قول العارف ابن الفارض

علیك بها صرفا وان شئت مزجها ✳ فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

(وقيل) اى فى معناه (رقتها) بالراء بمعنى دقتها (وتحزيزفيها) بزايين اى اشر وتحديد فيها (كما يوجد فى اسنان الشباب)
اى لانهم فى زمان ازدياد قواهم النامية واشتعال حرارتهم الغريزية المورثة لابتهاج نضارة الاعضاء وبهائها
وحسن رونقها وبريق مائها (والفلج) بفتحتين (فرق بين الثنايا) واحدتها ثنية ومجموعها اربع وهى الاوائل المبدوءة
(ودقيق المسربة) بضم الراء (خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة) اى هو الذى له دقته وقلته وطوله كالخيط الدقيق
الممتد من الصدر الى السرة (بادن ذو لحم) اى البادن باعتبار اصله هو الضخم من البدانة وهى كثرة اللحم ولم يكن
صلى الله تعالى عليه وسلم سمينا بدينا ولذا عطف عطف تفسير بقوله (ومتماسك) ثم بينه بعطف بيان حيث قال
(معتدل الخلق) اى متوسطه ومع ذلك (يمسك بعضه بعضا) اى ولم يكن لحمه مسترخيا فلم يكن صلى الله عليه وسلم ضخما
بل كان فخما فافرق بينهما فافهما ولا تتبع ما قال بعضهم وهما والحاصل ان مضمون هذا الحديث فى افادة اعتدال
خلقه من جهة لحمه وغيره (مثل قوله فى الحديث الآخر) اى على ما رواه الترمذى والبيهقى (لم يكن بالمطهم) بتشديد
الهاء المفتوحة (ولا بالمكلثم) بفتح المثلثة (اى ليس بمسترخى اللحم) تفسير للمطهم اى لم يكن فاحش السمن والاوجه
ان معناه لم يكن منتفخ الوجه لانه من لوازم كثرة اللحم (والمكلثم القصير الذقن) بفتحتين اى الحنك الدانى اليه
والمشهور تفسيره بمدور الوجه سواء كان مع خفة لحمه او كثرته (وسواء البطن والصدر) هكذا الرواية بتقديم البطن
على الصدر وان كان الاظهر عكسه كما وقع فى اصل الدلجى لكنه ليس بمعتبر حيث يخالف الاصول (اى مستويهما)
يعنى لا ينبو احدهما عن الآخر بان لا يكون بطنه ضخما مرتفعا ولا صدره منخفضا (ومشيح الصدر) بضم ميم فشين
معجمة مكسورة على ما فى النسخ المعتبرة (ان صحت هذه اللفظة) اى بالضبطة المذكورة (فيكون) اى المشيح
(من الاقبال) اسم فاعل من اشاح بمعنى اقبل فالمراد انه مقبل الصدر (وهو) اى الاقبال (احد معانى اشاح)
ومنها اعرض ذكره الدلجى وفى القاموس الشيح بالكسر الجاد فى الامور كالشائح والمشيح والحذر وقد شاح واشاح
على حاجته والمشيح المقبل عليك والمانع لما وراء ظهره (اى انه كان بادى الصدر) بالياء اى ظاهره (ولم يكن
فى صدره قعس) بفتحتين وهو خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب (وهو تطامن فيه) بفتحتين فسكون همز وقد
يبدل اى انخفاض (وبه) اى بكون المعنى باديا صدره الى آخره (يتضح قوله قبل) اى يتبين معنى ما روى من قبل ذلك
(سواء البطن والصدر) بالاضافة وقيل بتنوين سواء ورفع ما بعده (اى ليس بمتقاعس الصدر) اى غير منخفضه
(ولا مفاض البطن) مجرور بالعطف على متقاعس وزيد لا للتأكيد وهو بضم ميم ففاء فمعجمة اى ضخمه ومرتفعه
(ولعل اللفظ) اى صحف على ان اصله (مسيح بالسين) اى المهملة (وفتح الميم) اى لا بضمها (بمعنى عريض) اى وسيع
الصدر مأخوذ من المساحة وهو طول المسافة ومنه الساحة وهى فناء الدار المتسعة (كما وقع فى الرواية الاخرى)
اى بهذا اللفظ صريحا وبنصره تلويحا حديث كان مسيح القدمين اى ممسوح ظاهرهما وهما ملساوان
اذا مسهما الماء نبا عنهما (وحكاه ابن دريد) بالتصغير (والكراديس) جمع الكردوس (رؤس العظام وهو) اى
قوله والكراديس رؤس العظام (مثل قوله فى الحديث الآخر) اى الذى رواه الترمذى والبيهقى (جليل المشاش)
بضم الميم اى ضخم رؤس العظام كالركبتين والمرفقين والكتفين على ما فى النهاية او رؤس العظام اللينة التى يمكن
مضغها على ما فى الصحاح وهو اقرب الى مادة المشمشة يقال تمشمش العظم تمشمشا (والكتد) بالجر عطف على
المشاش وهو بفتح التاء افصح من كسرها وهذا لفظ الحديث ثم قال المصنف (والمشاش رؤوس المناكب) جمع
منكب وهو ما بين الكتف والعنق (والكتد مجمع الكتفين) بفتح الميم الثانية وهو الكاهل وقيل ما بين الكاهل الى الظهر
(وشثن الكفين والقدمين لحيمهما) وهو خلاف ما مر فى تعريفهما (والزندان) تثنية الزند (عظما الذراعين)
اى رأساهما على طبق ما سبق او قصبتاهما على خلاف تحقق قال الاصمعى اخبرنى ابى انه لم ير احدا اعرض زندا من
الحسن البصرى كان عرضه شبرا (وسائل الاطراف اى طويل الاصابع) اى من اطراف يديه ورجليه (وذكر
ابن الانبارى) بفتح الهمزة بعدها نون ساكنة منسوب الى مدينة الانبار مدينة بالفرات وهو محمد بن القاسم
ابن بشار وقد جاء فى بعض الاحاديث قال الانبارى ولم يسمه وهو محمد بن سليمان الانبارى فاعلمه كذا ذكره التلمسانى
(انه) اى هذا اللفظ (روى سائل الاطراف) اى بالشك فى روايته لقوله (او قال) اى الراوى (سائن بالنون قال)
اى الانبارى (وهما بمعنى) اى واحد كجبريل وجبرين (تبدل اللام من النون) يعنى فالاصل هو النون والاظهر ان

الاصل هو اللام وان النون تبدل منها لتقاربهما فى مخرجيهما او لتجانسهما فى حيزهما وهذا كله (ان صحت الرواية بها) اى بالنون فان الرواية باللام ثابتة بلا مرية (واما على الرواية الاخرى) اى بالراء كما بينه بقوله (وسائر الاطراف فاشارة الى ضخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث) اى كما مر فى فصل قبله (ورحب الراحة) بفتح الراء وضمها (اى واسعها) وهى الكف حقيقة وهو ظاهر (وقيل كنى) اى واصفه (بها) اى بالراحة وفى نسخة صحيحة به اى بقوله رحب الراحة (عن سعة العطاء والجود) ولا منع من الجمع بين العبارة والاشارة (وخمصان الاخمصين) بضم اوله (اى متجافى اخمص القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم) وفى النهاية ان خمصان للمبالغة قال وسئل ابن الاعرابى عنه فقال اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل القدم جدا فهو احسن ما يكون واذا ارتفع جدا فهو ذم فالمعنى ان اخمصه معتدل الخمص (ومسيح القدمين اى املسهما ولهذا) اى لكونهما املساوين (قال) الراوى فى الحديث السابق (ينبو عنهما الماء) وقد تقدم معناه (وفى حديث ابى هريرة) اى كما رواه البيهقى (خلاف هذا) اى خلاف كون قدميه اخمصين لانه (قال اذا وطئ بقدمه) بكسر الطاء اى داس بهما ووقف عليهما (وطئ بكلها ليس له اخمص) ويمكن الجمع بينهما بان مراد ابى هريرة انه وطئ بكلها لا ببعضها كما يفعله بعض ارباب الخيلاء وان قوله ليس له اخمص محمول على نفى المبالغة كما تقدم او انه مدرج من الراوى بحسب ما فهمه من حديثه وهذا الجمع اولى مما اختاره المصنف حيث قال (وهذا) اى معنى قوله ليس له اخمص (يوافق معنى قوله مسيح القدمين) وفيه انه لا منافاة بين كونه اخمص وبين كونه مسيحا لما سبق من ان قدمه كانت ملساء كانها ممسوحة واما قول الانطاكى من ان بالطبسى ذكر فى المعنى فى صفته عليه الصلاة والسلام انه كان لرجله اخمص فمحمول على ما ذكرناه من الجمع بانه كان له بعض الخمص لا انه لم يبلغه حديث ابى هريرة او لم يصح الحديث عنده كما اختاره الانطاكى (وبه) اى بمسيح القدمين (قالوا) اى بعضهم (سمى المسيح ابن مريم اى لم يكن له اخمص) اى بطريق المبالغة لا بالكلية مع ان الانسب ان يقال لكون قدمه ملساء ممسوحة (وقيل لا لحم عليها) وفيه انه لا يظهر وجه المناسبة الاشتقاقية حينئذ اصلا (وهذا) اى قوله لا لحم عليها (ايضا يخالف قوله شثن القدمين) اى عند من فسره بالجيمهما كالمصنف واما عند من فسره بميلهما الى غلظ وقصر او فى انا ملهما غلظ بلا قصر فلا اذ لا تلازم بين اللحمية والغلظ فقد يكون الغلظ بلا كثرة اللحم (والتقلع رفع الرجل بقوة) اى مع تثبت فى المشى بحيث لا يظهر فيه شدة ولا سرعة (والتكفؤ الميل الى سنن المشى) بفتحتين وفى نسخة المشى على انه مصدر ميمى او اسم مكان اى الى صوبه (وقصده) اى من جهته معتدلا بها من غير انحراف عنها وفى الحديث القصد القصد تبلغوا اى الزموا الامر الوسط فى العمل تصلوا ما تقصدونه من المحل فنصبه على الاغراء وتكراره للتأكيد بالبناء (والهون) مبتدأ وخبره (الرفق والوقار) وفى رواية كان يمشى الهوينا تصغير الهونى تأنيث الاهون فيكون القصد منه المبالغة فى الهون المندوب فى قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وفى الادب المفرد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما اى لا افراط فيه بل قليلا قليلا بشهادة ضم ما اليه (والذريع الواسع الخطو) اى من الذرع وهو الطاقة والوسع ومنه قوله سبحانه وتعالى وضاق بهم ذرعا (اى ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة) اى بقوة (ويمد خطوه) اى فى مشيه (خلاف مشية المختال) اى لعصمته من الاختيال ولقوله عز وجل ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا والمشية بكسر الميم لانه مصدر للنوع (ويقصد) بكسر الصاد (سمته) اى مقصده فى طريقه بدون ميل عن وسطه لقوله سبحانه وتعالى واقصد فى مشيك (وكل ذلك) اى ما ذكر من المراعاة فى مشيه انما كان (برفق) اى وفق لطف (وتثبت) اى طلب ثبات دون عجلة اذ هى ايضا مذمومة كالخيلاء فكان مشيه معتدلا (كما قال) الراوى (فكانما ينحط) اى ينزل (من صبب) وفى رواية فى صبب وهو بفتحتين اى منحدر وروى كانما يهوى من صبوب بضمتين (وقوله يفتح الكلام ويختمه باشداقه) اى بجوانب فمه جمع شدق بالكسر (اى لسعة فمه) يعنى انما كان ذلك لاتساع فيه (والعرب تمادح بهذا) اى بوسع الفم وعظمته لدلالته على فصاحة صاحبه وبلاغته (وتذم بصغر الفم) الباء زائدة او سببية اى تذم الانسان لصغر فمه ولا يعارض حديث ابغضكم الى الثرثارون المتشدقون لان المراد بهم المتوسعون فى الكلام بدون احتياط واحتراز فى نظام المرام والمستهزئون بالناس بلى الشدق وناى الجانب والتمطى ونحو ذلك من افعال اللئام (واشاح) اى بناء على احد معانيه (مال) اى الى كذا مانعا لما وراء ظهره (وانقبض) اى عما لا رهقه واغضبه اذ المشيح هو الحذر والجاد فى الامر اى المقبل عليه وفى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر النار ثم اعرض واشاح اى حذر منها كانه ينظر اليها او جد فى الايصاء باتقائها او اقبل ومال فى خطابه اليه (وحب الغمام) اى السحاب (البرد) بفتحتين

شبه بحب الارض ولو من بعض الوجوه (وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة) ولما كانت الجملة المضارعية لحكاية الحال الماضية صح تفسيره بقوله (اى جعل من جزء نفسه) اى بعض اوقات حظ نفسه (ما يوصل الخاصة اليه) اى زمانا مجعولا يكون وسيلة الى توصيل الخاصة اليه (فتوصل عنه العامة) اى بالواسطة لعدم امكان الزمان او ضيق مكانه عن وصول كافة الخلق الى حصول ادراك شأنه وما لا يدرك كله لا يترك كله (وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء آخر بالعامة) وقد عرفت وجه ضعفه فيما تقدم والله تعالى اعلم (ويدخلون) اصحابه عنده (روادا) بضم راء وتشديد واو جمع رائد (اى محتاجين اليه وطالبين لما عنده) لما لديه من هداية ومعرفة نازلة عليه (ولا يتفرقون الا عن ذواق) بفتح اوله بمعنى مذوق من الذوق المعنوى او الحسى (قيل عن علم يتعلمونه) اى لا ينصرفون كما فى نسخة (الا عن ذواق) بفتح اوله بمعنى مذوق من الذوق المعنوى او الحسى ... اى ثم يصيرون هداة للناس يعلمونه ومثل هذا روى عن ابى بكر بن الانبارى وزاد عليه فقال فيقوم لهم ما يتعلمونه مقام الطعام والشراب لانه عليه الصلاة والسلام كان يحفظ ارواحهم كما يحفظ الطعام والشراب اجسامهم واشباحهم (ويشبه) اى والاشبه (ان يكون) اى ذواقهم (على ظاهره) اى من مأكول او مشروب باعتبار الاكثر الاغلب والى هذا المعنى قال الامام الغزالى فى الاحياء والحمل على المعنى الاعم هو الاتم والله تعالى اعلم (والعتاد) بالفتح (العدة) بالضم (والشئ الحاضر المعد) بصيغة المجهول اى المهيأ لما يقع من الامور الملمة والاحوال المهمة (والموازرة المعاونة) من الوزر وهو فى الاصل الحمل والثقل ومنه قوله تعالى واجعل لى وزيرا من اهلى اى معينا يحمل عنى بعض حملى وفى حديث البيهقى نحن الامراء وانتم الوزراء جمع وزير وهو من يوازر السلطان فيحمل عنه ما حمله من اثقال الزمان (وقوله لا يوطن الاماكن) بتشديد الطاء وتخفيفها (اى لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما) اى لا يصلى الا فيه (وقد ورد نهيه عن هذا) اى ايطان المكان فى المساجد (مفسرا) اى مصرحا ومبينا (فى غير هذا الحديث) اى من حديث الحاكم وغيره كما سبق (وصابره) اى حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا نوبن فيه) اى فى مجلسه (الحرم) بضم ففتح (اى لا يذكرن فيه بسوء ولا تنثى فلتاته اى لا يتحدث بها) اى مطلقا وهو يحتمل احتمالين كما بينه بقوله (اى لم تكن فيه فلتة) فالنفى الى القيد والمقيد (وان كانت) اى فلتة فرضا وتقديرا (من احد) اى من غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (سترت) اى فى ذلك المجلس وما ذكرت فى غيره لقوله عليه الصلاة والسلام المجالس بالامانة (ويرفدون يعينون) اى كل من يريد الاعانة والاغاثة (والسخاب الكثير الصياح) بكسر الصاد (وقوله لا يقبل الثناء الا من مكافئ) استثناء مفرغ (قيل مقتصد فى ثنائه ومدحه) اى لم يتنه وصفه الى اطرائه (وقيل الا من مسلم) اى كامل فان ثناءه لا يكون الا فى محله اللائق به وتوضيحه انه كان لا يقبل الثناء عليه الا من رجل يعرف حقيقة اسلامه وحقيقة مرامه ولا يدخل عنده فى جملة المنافقين الذين يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم فاذا كان المثنى عليه بهذه الصفة قبل ثناءه وكان مكافئا ما سلف من نعمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنده واحسانه اليه (وقيل الا من مكافئ على يد) اى نعمة (سبقت من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له) اى من احسان صورى والا فلا يخلوا احد منه من انعام معنوى (ويستفزه) بتشديد الزاى (يستخفه) بتشديد الفاء (وفى حديث آخر) اى كما رواه مسلم (فى وصفه عليه الصلاة والسلام منهوس العقب) بمهملة ومعجمة على ما ذكره ابن قرقول فى مطالعه ثم فسره بما فسره المصنف (اى قليل لحمها) يعنى كانه نهس فان النهس هو اخذ اللحم بالاسنان ثم قال وقيل هو بالمعجمة ناتئ العقبين معروقهما وفسر فى الحديث شعبة المهملة قال قليل لحم العقب انتهى ولا يخفى ان تفسير شعبة الراوى هو الاولى هنا وفى رواية منهوس الكعبين وفى اخرى القدمين (واهدب الاشفار) اى اشفار العين جمع شفر بالضم وهى حروف الاجفان التى ينبت عليها الشعر وذلك الشعر هو الهدب وجمعه اهداب وحرف كل شئ شفره وشفيره (اى طويل شعرها) وعن الشعبى كانوا لا يوقتون فى الشفر شيأ اى لا يوجبون فيه شيأ مقدرا وهو مخالف للاجماع على وجوب الدية فى الاجفان ذكره الدلجى وفيه انه انما نفى الشئ المقدر فى الشريعة وهو لا ينافى ما ذكره الفقهاء بطريق الحكومة

(الباب الثالث)

اى من القسم الاول (فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها) اى عند المحدثين فهو متوسط بين المتواتر والاحاد والغالب فيه ان يكون صحيحا وربما يكون حسنا ولا يكون ضعيفا او عند العامة فيشمل الصحيح وغيره وربما يكون موضوعا والاظهر ان الشيخ اراد به النوع الاول كما يقتضيه مقام المرام فتأمل وعلى كل فهو من قبيل عطف العام على الخاص لا عكسه كما زعم من توهم ان كل مشهور صحيح (بعظيم قدره) متعلق بورد والباء للتعدية اى بمقداره المعظم (عند ربه ومنزلته) اى وبرفعة مرتبته عند ربه الاكرم (وما خصه به فى الدارين) اى الاولى والاخرة (من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لما (لا خلاف انه صلى الله تعالى عليه وسلم اكرم البشر) لما فى الترمذى والدارمى

انا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر كذا ذكره الدلجى وكانه ذهب وهمه الى ان اللام فى الاولين والآخرين للعهد او للجنس
المراد بهم البشر والاظهر ان اللام للاستغراق وانه اكرم الخلائق بالاتفاق ولا عبرة بخلاف المعتزلة وارباب الشقاق
(وسيد ولد آدم) لحديث الترمذى انا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ آدم فمن دونه
الا تحت لوائى وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر (وافضل الناس منزلة عند الله) اى مرتبة ومكانة (واعلاهم
درجة) اى ارفعهم قربة (واقربهم زلفى) اى تقربا واكثرهم حبا لكونه حبيب رب العالمين (واعلم ان الاحاديث)
جمع حديث على غير قياس (الواردة فى ذلك) اى فى بيان ماذكر (كثيرة جدا) بكسر جيم وتشديد دال منصوب منون
مصدر والمراد به المبالغة فى الكثرة (وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها) اى مشتهرها الشامل لحسنها دون
ضعيفها العدم اقتضاء الاقتصار (وحصرنا معانى ماورد منها فى اثنى عشر فصلا) اى تفاؤلا باثنى عشر نقيبا

(الفصل الاول)

(فيما ورد من ذكر مكانته) اى قرب منزلته (عند ربه والاصطفاء) اى اجتبائه فى رفعة مرتبته (ورفعة الذكر)
اى بين خليقته (والتفضيل) اى وبيان زيادة فضيلته (وسيادة ولد آدم) اى وسيادته لابناء جنسه المكرم على غيره
(وما خصه) اى الله (به فى الدنيا من مزايا الرتب) اى من الرتب الدالة على مزيته (وبركة اسمه الطيب) اى الدال
على طيب مسماه من ذاته وصفاته (حدثنا) وفى نسخة اخبرنا (الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد الملقب بالعدل) بفتح العين
وسكون الدال التميمى مات عام احدى وخمسمائة (اذنا بلفظه) اى بعبارته دون اشارته (حدثنا ابو الحسن الفرغانى)
بفتح اوله منسوب الى فرغانة ناحية بالمشرق قال التلمسانى هو على بن عبد الله المقرى (حدثتنا ام القاسم بنت ابى بكر
ابن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل) بالتصغير وقال التلمسانى هو بفتح العين وكسر القاف ابن المهتدى
المرادى اللؤلؤى (عن يحيى وهو ابن اسماعيل عن يحيى الحمانى) بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم وبعد الالف نون
ثم ياء نسبة حافظ كوفى روى عن شريك وخلق وعنه ابو حاتم وابن ابى الدنيا والبغوى وطائفة ووثقه يحيى بن معين وغيره
واما احمد فقد كان يكذب جهارا وقال النسائى ضعيف كذا ذكره الحلبى وغايته ان الحديث بهذا الاسناد ضعيف لكن
يتقوى بما رواه الطبرانى والبيهقى كما نقله الدلجى فلا يضر قول الحلبى هذا الحديث ليس فى الكتب الستة (حدثنا قيس)
قال الحلبى الظاهر انه ابو محمد قيس بن الربيع الكوفى روى عنه ابو نعيم وغيره واختلف فى توثيقه (عن الاعمش) هو امام
جليل (عن عباية) بفتح مهملة فموحدة فالف بعدها تحتية وقيل بهمزة فهاء واصلها الباس فيه خطوط سود (بن ربعى)
بكسر راء وسكون موحدة فمهملة بعدها ياء نسبة روى عن على وعنه موسى بن طريف وكلاهما من غلاة
الشيعة له عن على انا قسيم النار (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان الله قسم الخلق) اى من الثقلين (قسمين) بكسر اوله اى شقيا وسعيدا او فاضلا وافضل كما ذكره الدلجى
مقدما على ما اخترناه (فجعلنى من خيرهم قسما) اى من قسم السادة التى هم ارباب السعادة كما يدل عليه قوله (فذلك)
اى جعلهم قسمين يؤذن به (قوله تعالى واصحاب اليمين) اى السعادة فى انواع من النعيم المقيم (واصحاب الشمال)
اى الشقاوة فى اصناف من عذاب الجحيم فقيل سموا بهما لاخذهم كتبهم بايمانهم وشمائلهم اولانهم اصحاب اليمن
والشأمة على انفسهم (فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين) وقد اغرب الدلجى حيث قال بعد قوله فجعلنى
من خيرهم قسما وهم العرب بشهادة فذلك قوله تعالى واصحاب اليمين (ثم جعل) اى الله سبحانه وتعالى (القسمين)
اى المذكورين فى اثناء السورة المراد بهما اصحاب اليمين واصحاب الشمال (اثلاثا) اى ثلاثة اصناف فى آخر السورة
بجعل القسم الاول الذين هم ارباب السعادة صنفين كما سيأتى لا اثلاثا متفاوتين شقاوة وسعادة كما ذكره الدلجى
اذ لم يذكر تفاوت ارباب الشقاوة فى هذه السورة اصلا وان كانوا متفاوتين فى الدركات كما ان اهل الجنة متفاوتون
فى الدرجات (فجعلنى من خيرها ثلثا) وهم المقربون (وذلك) اى جعلهما اثلاثا يؤذن به (قوله تعالى فاصحاب الميمنة)
اى المنزلة السعيدة (واصحاب المشأمة) اى المنزلة الشقية (والسابقون السابقون) اى فى مرتبة القربة العلية (فانا
من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل) اى من العرب وغيرهم (فجعلنى من خيرها قبيلة) وهم العرب
وابعد الانطاكى حيث قال هم قريش (وذلك) اى جعلها قبائل يشير اليه (قوله) اى بعد قوله تعالى يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثى (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بالفتح لا بالكسر كما توهم بعضهم فانه طريق بين الجبلين واما
بالفتح فما تتشعب منه القبيلة (وقبائل لتعارفوا الاية) تمامها ان اكرمكم عند الله اتقاكم ثم الشعب جمع عظيم ينتسب
الى اصل واحد وهو يجمع القبائل (فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر) اى ولا اقوله افتخارا به بل تحدثا بنعمة
الله لا مرادا ولا فخر لى بذلك لانه ليس من قبلى ولا بقوتى وحولى بل من فضل الله وتوفيقه من اجلى او ولا فخر لى بهذا

المقام بل افتخارى بقرب ربى الذى هو غاية المرام (ثم جعل القبائل) اى قبائل العرب (بيوتا) اى بطونا وافخاذا
وفصائل متفاوتة فى الشرف والفضائل من قريش وغيرهم (فجعلنى من خيرها بيتا) وهو بيت بنى هاشم من بطن
قريش (فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) اى وسخ الشرك ودنس المعصية (اهل البيت) نصبه
على المدح او النداء وهذا معنى ثالث لاهل البيت على ما قرر فى محله (ويطهركم) اى من الاخلاق الدنية (تطهيرا)
اى مبالغا بحيث يسرع فى تبديلها بتنوير الامور الدينية المشتملة على الاحوال الدنيوية والاخروية (الآية) كذا
فى بعض النسخ وهو ليس فى محله لانه آخر الآية وما بعدها ليس له تعلق بما قبلها فمحله اللائق به بعد قوله اهل البيت
كما فى نسخة صحيحة واما تخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما بحديث ادخالهم فى كسائه ثم قراءتهم هذه
الآية واحتجاجهم بها على عصمتهم وكون اجماعهم حجة فضعيف لمنافاة التخصيص ما قبل الآية وما بعدها ثم
الحديث قاض بانهم اهل البيت وخواصهم لا بانه ليس غيرهم منهم (وعن ابى سلمة) اى ابن عبد الرحمن بن عوف احد
الفقهاء السبعة عند الاكثر (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه الترمذى وصححه (قال قالوا يا رسول الله
متى وجبت لك النبوة) اى فى اى زمان ثبتت لك مرتبة النبوة (قال وآدم بين الروح والجسد) جملة حالية وردت جوابا
لقولهم متى وجبت اى وجبت لى فى الحالة التى كان آدم فيها بين تصوير جسمه وبين اجراء روحه فى بدنه وفى الحديث
ايماء الى ان الغايات والكمالات سابقة شهودا لاحقة وجودا هذا وفى حديث احمد انى عند الله مكتوب خاتم النبيين
وان آدم لمنجدل فى طينته (وعن واثلة) بالمثلثة (ابن الاسقع) وكان من اصحاب الصفة اسلم ورسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يتجهز لغزوة تبوك وخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث سنين توفى بدمشق وله مائة سنة
وقد روى مسلم وغيره عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل) كذا
فى النسخ المصححة ووقع فى اصل الدلجى زيادة ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم واصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل
الحديث وقال انما اعاده هنا لزيادة صدره (واصطفى من ولد اسمعيل كنانة) بكسر الكاف (واصطفى من بنى كنانة
قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم ومن حديث انس رضى الله تعالى عنه) اى الذى رواه
الترمذى وصدره انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا
وانا مبشرهم اذا ايسوا الكرامة والمفاتيح بيدى ولواء الحمد يومئذ بيدى و(انا اكرم ولد آدم على ربى ولا فخر) زاد
الدارمى يطوف على الف خادم كانهم بيض مكنون او لؤلؤ منثور (وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنه) اى
الذى رواه الترمذى والدارمى وصدره جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعهم يتذاكرون
قال بعضهم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ان الله كلم موسى تكليما وقال آخر عيسى كلمة الله وقال آخر
آدم اصطفاه الله فخرج عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل
الله وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك
الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم
القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لى فيدخلنيها ومعى فقراء المهاجرين ولا فخر و(انا اكرم الاولين والآخرين)
اى على الله كما فى رواية (ولا فخر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه البيهقى وابو نعيم
والطبرانى (اتانى جبريل فقال قلبت) بتخفيف اللام وتشديدها وهو ابلغ اى فتشت وتفحصت وقيل نظرت ورأيت
(مشارق الارض ومغاربها) اى بجميع اطرافها وجوانبها (فلم ار رجلا افضل من محمد) عدل الى الغيبة مصرحا
باسمه المفيد للمبالغة الدالة على كثرة صفاته الحميدة وسماته السعيدة (ولم ار بنى اب) اى اهل بيت (افضل من بنى هاشم
وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما فى الصحيح (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بالبراق) اى جيء به وسبق بيان
مبناه ومعناه (ليلة اسرى به) بصيغة المجهول (فاستصعب) اى البراق (عليه) اى عند ارادة ركوبه (فقال له جبريل
ابمحمد تفعل هذا) فيه ايماء الى ان هذا كان دأبه لغيره كما يشير اليه تقديم المتعلق على فعله والهمزة لانكار استصعابه
كما علله بقوله (فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا) بتشديد الضاد المعجمة اى سال عرقه من شدة ما اعتراه
من الهيبة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه ابن ابى عمر العدنى (لما خلق
الله آدم اهبطنى) اى من الجنة حال كونى (فى صلبه) بضم اوله وقدم التلمسانى فتحه (الى الارض) يعنى وهكذا ينقلنى
من صلب كريم الى رحم طاهر بعده (وجعلنى فى صلب نوح) فى السفينة (وقذف بى) اى القانى (فى النار فى صلب
ابراهيم) اى حين القاه نمرود فيها وقد وقع فى اصل الدلجى حتى مكان الواو العاطفة فى وجعلنى وقذف وهو مخالف
للاصول المعتمدة والنسخ المصححة (ثم لم يزل ينقلنى) اى يحولنى (فى الاصلاب الكريمة) كذا فى النسخ بلفظ فى واللام بمعنى

من الملائم لقوله (الى الارحام الطاهرة) جمع رحم وهو هنا مقر الولد من المرأة كما ان الصلب مقر المنى من الرجل (ثم) وفى نسخة صحيحة حتى (اخرجنى) اى اظهرنى (بين ابوى) اى فيما بينهما لقوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب (لم يلتقيا) اى لم يجتمعا فى جماع (على سفاح) بكسر السين اى على حال غير نكاح (قط) اى لا حين شهودى ولا قبل وجودى (والى هذا) اى هذا المعنى وهو نفى السفاح فى المبنى (اشار العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه) وفى اصل التلمسانى عمه من العمومة وهو بدل من العباس (بقوله) اى فيه كما فى نسخة اى فى حقه وفى اخرى فيه بقوله (من قبلها) اى قبل الدنيا او الولادة من غير ذكرها كما فى قوله تعالى حتى توارت بالحجاب اى الشمس وكل من عليها فان اى الارض وانا انزلناه اى القرآن واما رجع الضمير الى النبوة كما ذكره الدلجى وغيره فغير مناسب لمقام المرام نعم لو وضع الرسالة موضعها لوقع فى الجملة موقعها وقيل من قبل نزولك الارض (طبت فى الظلال) اى فى ظلال الجنة قال التلمسانى ثبت بخط القاضى الظلال وروى العرفى طبت فى الجنان (وفى مستودع) بفتح الدال كما فى قوله تعالى فمستقر ومستودع اى طبت فى مستودع من صلب آدم بقوله (حيث يخصف الورق) بصيغة المجهول وهو مستفاد من قوله تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة والمعنى يضم بعضه الى بعض ويلصق ورقة فوق اخرى (ثم هبطت البلاد) اى من الجنة الى الدنيا فى صلب آدم (لا بشر انت ولا مضغة ولا علق) اى والحال انك لم تكن حينئذ واحدا منهما والمضغة قطعة لحم قدر ما يمضغ فى الفم والعلق اسم جنس مفرده علقة وهى قطعة من دم جامد ورتب بينها فى التنزيل للترقى وهنا للتدلى ولذا قال (بل نطفة تركب السفين وقد) اى بل نزلت وانت فى صلبه نطفة ثم صرت الى نوح حال كونك تركب السفينة وانما اتى بلفظ الجمع لكبره او هو اسم جنس وان صرح صاحب الصحاح بانه جمع لما فيه من المسامحة او لعدم الفرق بينهما عند بعض اهل اللغة وقيل جمع للتعظيم او لضرورة الوزن واما ما روى بجثة بدل نطفة فلا يلائم مقام المرام ثم قد للتحقيق فى قوله (الجم نسرا واهله الغرق) بفتحتين اى منعهم من الكلام وظهور المرام وهو ماخوذ من اللجام وفى قوله نسرا اشارة الى قوله تعالى حكاية عن قوم نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد روى انه كان لادم عليه السلام بنون خمسة يسمون بهذه الاسماء وكانوا عبادا فماتوا فحزن اهل عصرهم عليهم فصور لهم ابليس اللعين مثالهم من صفر ونحاس ليستأنسوا بهم فكرهوها فى القبلة فجعلوها فى مؤخر المسجد فلما هلك ذلك العصر قال اللعين لاولادهم هذه آلهة آبائكم فاعبدوها ثم ان الطوفان دفنها فاخرجها اللعين للعرب فكان ود لكلب بدومة الجندل وسواع لهذيل بساحل البحر ويغوث لغطيف من مراد ويعوق لهمدان ونسر لذى الكلاع من حمير ثم احدثوا للاصنام اسماء اخر (تنقل من صالب الى رحم) بصيغة المفعول وصالب بكسر اللام وفتحها لغة فى الصلب بالضم الا انه قليل الاستعمال كما قاله ابن الاثير (اذا مضى عالم بدا طبق) العالم بفتح اللام والمعنى اذا ذهب قرن ظهر قرن وقيل للقرن طبق لانه طبق الارض بكسر الطاء اى ملئها ثم ينقرضون ويأتى طبق آخر ومنه طبقات المشايخ وغيرهم وقد قيل الطبق الجماعة من الناس ويرجع معناه الى الاول فتأمل وزيد فى بعض النسخ ابيات اخر ويدل على صحة وجودها كلام بعض المحشين فى بيان الفاظ ورودها وهو قوله (ثم احتوى) اى اجتمع وانضم وفى اصل الدلجى حتى احتوى فهى غاية لما دل عليه البيت قبله اى متنقلا من صلب الى رحم قرنا فقرنا الى ان احتوى (بيتك المهيمن) اى الشاهد (من خندف) بكسر الخاء المعجمة وسكون النون وكسر الدال المهملة وقد تفتح بعدها فاء وهو فى الاصل مشية كالهرولة والمراد به امرأة الياس بن مضر سميت بها القبيلة واسمها ليلى وهى القضاعية ام عرب الحجاز فهو غير منصرف فوله (علياء) بفتح العين ممدودة منصوبة اى منزلة علياء مفعول احتوى (تحتها) وفى نسخة دونها (النطق) بضم النون والطاء جمع نطاق قال ابن الاثير وهى اعراض من جبال بعضها فوق بعض اى نواح واوساط فيها شبهت بالنطق التى يشد بها اوساط الناس ضربه مثلا له فى ارتفاعه وتوسطه فى عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة اوساط الجبال واراد ببيته شرفه فى عشيرته او نفسه فى حد ذاته والمهيمن نعته اى حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك اعلى مكان من نسب خندف فان اصل النطق هو الجبل الاشم اذ السحاب لا يبلغ اعلاه وقال القشيرى وغيره ايها المهيمن على ان النداء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله تعالى اعلم ثم قيل فى الياس انه موافق اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وصحح السهيلى انه اليأس الذى هو ضد الرجاء واما الياس لجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ففيه يقول لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وذكر انه كان يسمع فى صلبه تلبية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالحج وهو اول من اهدى البدن الى البيت (وانت لما ولدت اشرقت الارض ونارت بنورك الافق) وفى نسخة صحيحة وضاءت اى اضاءت وهما لغتان ومنه الضوء اى استنارت بنورك نواحيها (فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق) بسكون موحدة السبل لغة فى ضمها جمع السبيل وهو مجرور عطف على ما قبله

وقوله نخترق بفتح نون فسكون خاء معجمة اى ندخل ونقتحم وقال التلمسانى اى وسبل الرشاد نخترقها بمعنى نقطعها فالسبل منصوب والابيات عن العباس رضى الله تعالى عنه رواه ابو بكر الشافعى والطبرانى عن خريم بن اوس ابن حارثة وذكر هذه الابيات فى الغيلانيات بسنده الى خريم بضم الخاء المعجمة وفتح الراء قال هاجرت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمت عليه منصرفه من تبوك فاسلمت فسمعت العباس يقول يا رسول الله انى اريد ان امتدحك فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك قال فانشد العباس يقول فذكرها سبعة ابيات آخرها نخترق وكذا قال ابن عبد البر فى استيعابه فى خريم وذكر ابن امام الجوزية فى كتاب هدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك نحوه وزاد بعضهم بيتا آخر وجد بخط ابى على الغسانى وهو

يا برد نار الخليل يا سبب العصمة اذ ما بالنار تحترق

اى تحرق (وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ابو ذر) كما رواه احمد والبيهقى والبزار وكان خامسا فى الاسلام روى عنه ابن عباس رضى الله تعالى عنه وعبادة بن الصامت وخلق توفى بالربذة (وابن عمر) كما رواه الطبرانى وابو نعيم (وابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه احمد وابن ابى شيبة والبزار (وابو هريرة رضى الله تعالى عنه) كما اخرجه الشيخان (وجابر بن عبد الله) كما رواه الشيخان والنسائى (انه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (قال اعطيت خمسا) اى خمس خصال (وفى بعضها ستا) رواه مسلم عن ابى هريرة فضلت على الانبياء بست فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى اولا خمسا فحدث بها ثم زيد السادسة فحدث بها مع انه لا يلزم استيفاؤها حيث ما بينها بل قد يكتفى بالحالة اللائقة بعضها لا سيما والعدد لا مفهوم له حتى عند القائل به (لم يعطهن نبى قبلى) وفى رواية جابر لم يعطهن احد من الانبياء قبلى (نصرت بالرعب) بسكون العين وضمها اى الفزع والخوف بالقاء الله تعالى اياه فى قلوب عداه ممن كانت المسافة بينه وبينهم (مسيرة شهر) اى قدر سير فى شهر وفى رواية شهر امامى وشهر خلفى (وجعلت لى) اى لاجلى اصالة ولامتى تبعا (الارض) اى جميع وجهها ولا وجه لقول التلمسانى كلها او مكة وما حولها او ما رأته امته (مسجدا وطهورا) حيث لا يختص جواز الصلاة بمكان دون مكان لامتى بخلاف غيرنا فانه لا صلاة لهم الا فى كنائسهم وبيعهم كما بينه بقوله (فايما رجل من امتى ادركته الصلاة) اى بعد دخول وقتها (فليصل) اى فى ذلك المكان اما بطهارة اصلية ان وجد الماء واما بطهارة خلفية من التراب ان لم يجد الماء كما فهم من قوله طهورا فالتفريع مترتب عليهما وفى بعض النسخ بالواو وفى رواية واظنه مصحفا فيما ومامزيدة فيهما (واحلت لى الغنائم ولم تحل) بصيغة المجهول وفى نسخة بصيغة المعلوم (لنبى قبلى) اى فضلا عن امته بل كانوا يجمعونها فى موضع فتنزل نار من السماء فتحرقها (وبعثت الى الناس) اى الانس والجن ولعل اقتصاره ايماء الى الاكتفاء ثم المراد بالناس مؤمنهم وكافرهم ولذا قال (كافة) وفى رواية كافة عامة وفى رواية جابر قبله وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وفى رواية لمسلم وبعثت الى الخلق كافة فلا يرد ان نوحا عليه الصلاة والسلام بعد خروجه من الفلك كان مبعوثا الى جميع اهل الارض لان هذا العموم فى رسالته لم يكن فى اصل البعثة وانما وقع لاجل حدوث الحادثة وهى انحصار الخلق فى الموجودين معه بخلاف نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى عموم رسالته فى اصل بعثته وشمول دعوته (واعطيت الشفاعة) وفى رواية عد هذا رابعا واللام فيها للعهد اذ المراد بها الشفاعة العظمى فى المقام المحمود وله صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات اخر يحتمل اختصاص بعضها به منها فى جماعة يدخلون الجنة بغير حساب ومنها فى اناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها ومنها فى اناس دخلوا النار فيخرجون منها ومنها فى رفع درجات اناس فى الجنة ومنها شفاعته لمن مات بالمدينة ومنها شفاعته لمن صبر على لأوآئها ومنها شفاعته لفتح باب الجنة كما رواه مسلم ومنها شفاعته لمن زاره عليه الصلاة والسلام لما روى ابن خزيمة فى صحيحه عن ابن عمر مرفوعا من زار قبرى وجبت له شفاعتى ومنها شفاعته لمن اجاب المؤذن وصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لما فى الصحيحين من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حلت له شفاعتى ومنها تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فيها كما فى حق ابى طالب لقوله ولعله تنفعه شفاعتى ولقوله ولولا انا لكان فى الدرك الاسفل من النار قال القرطبى فى تذكرته فى الجواب عن الآية ما نصه فان قيل فقد قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قيل له لا تنفع فى الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة وقال الحلبى انها شفاعة بالحال لا بالمقال فبسببه صلى الله تعالى عليه وسلم يخفف عن ابى طالب اى لانه بطانها وهو لا يخلو عن الاحتمال فلا يكفى لدفع الاشكال بخلاف ما سبق من جواب السؤال والله تعالى اعلم بالاحوال (وفى رواية اخرى) اى عن ابى ذر (بدل هذه الكلمة) وهى قوله اعطيت الشفاعة (وقيل لى سل تعطه) بصيغة المفعول فهاء السكت وفى نسخة بالضمير (وفى رواية اخرى) اى للبزار والبيهقى رحمهما الله تعالى (وعرض على امتى فلم يخف)

لم يكتم (على التابع من المتبوع) اى فى الخير والشر وقيل المراد بالتابع الوضيع الذى يقتدى بغيره وبالمتبوع الشريف الذى يقتدى به ويرجع الى قوله (وفى رواية) اى عن ابى ذر رضى الله تعالى عنه (بعثت الى الاحمر والاسود) وظاهره عموم الخلق كما ذهب اليه بعضهم وقال بعثت حتى الى الحجر والمدر والشجر وجميع الكائنات كما بينته فى بعض المقامات (قيل السود) وهو جمع الاسود (العرب لان الغالب على الوانهم الادمة) بضم الهمزة اى السمرة الشديدة (فهم من السودان) فى الجملة (والحمر) بضم فسكون جمع الاحمر (العجم) اى لان الغالب على الوانهم الشقرة مع البياض وكانه اراد بالعجم الفرس ومن يشاركهم فى هذا المعنى من الترك بناء على الاطلاق العرفى واما العجم المقابل للعرب بحسب الوضع اللغوى فلا يلائم المقام لدخول الهنود والسنود والحبوش والسودان وغيرهم معهم (وقيل البيض والسود من الامم) اى على الوجه الاعم وهو فى افادة التعميم اتم (وقيل الحمر الانس) اى لنورهم وظهورهم (والسود الجن) لاجتنانهم وتسترهم (وفى الحديث الآخر عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان (نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم) اى القرآن العظيم والفرقان الحكيم او الاحاديث الجامعة والكلمات اللامعة التى مبانيها يسيرة ومعانيها كثيرة ويؤيده ما رواه ابو يعلى فى مسنده عن عمر ولفظه اعطيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا (وبينا) اى بين اوقات (انا نائم) اى فى بعضها (اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض) جمع مفتاح واما مفاتح بدون الياء فجمع مفتح بمعنى مخزن (فوضعت فى يدى) بفتح الدال وتشديد التحتية كذا ضبطه الحفاظ ولعل فى اختيار التثنية اشعارا بكثرة المفاتيح والمراد بها ما فتح الله على امته من الكنوز الحسية والمعنوية لحديث اوتيت مفاتيح الكلم وفى رواية مفاتح الكلم وفى سيرة الكلاعى ان رستم امير جيش يزدجرد رأى فى منامه وقد جاءهم سعد بن ابى وقاص من قبل عمر لفتح بلادهم ان ملكا نزل من السماء فاخذ جميع اسلحتهم واعطاها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاعطاها لعمر فكان الفتح والغنيمة والنصر الذى يكاد يفوت الحصر (وفى رواية) اى رواها مسلم (عنه) اى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (وختم بى النبيون) هذا وقد روى احمد فى مسنده عن على كرم الله وجهه مرفوعا اعطيت ما لم يعط احد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد وجعل لى التراب طهورا وجعلت امتى خير الامم ثم اعلم ان له خصوصيات اخر كاعطاء الآيات من خواتيم سورة البقرة والمفصل من القرآن وجعل صفوف امته كصفوف الملائكة وغير ذلك مما يحتاج الى تأليف مستقل لبيان تفصيل ما هنالك (وعن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه) صحابى جهنى مضرى (انه قال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان (انى فرط لكم) واما ما وقع فى اصل الدلجى من قوله انا فرطكم فليس فى الاصول المعتمدة والنسخ المعتبرة والمعنى انا متقدمكم وفرط صدق لكم واصل الفرط الذى يتقدم لطلب الماء بالحبل والرشاء واسباب ضرب الخباء (وانا شهيد عليكم) اى بالثناء الجميل والوفاء الجزيل (وانى والله لانظر الى حوضى) اى والى من يشرب منه ومن يذب عنه فى الموقف والمحشر (الآن) اى فى هذا الحاضر من الزمان (وانى قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض) بمعنى عرضت على فلم اقبلها لعدم الالتفات الى الدنيا والتوجه الكلى الى الاخرة والاقبال القلبى الى المولى والعلم بان الاخرة خير من الاولى وبان الجمع بينهما على وجه الكمال من جملة المحال كما بينه حديث من احب دنياه اضر باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى كما رواه احمد والحاكم عن ابى موسى ويؤيد ما قررناه من المراد بمفاتيح الارض هنا بخلاف ما سبق من ان المراد بها ما يسره الله عليه وعلى امته من فتح البلاد واتساع العباد مع انه لا يبعد ايضا عن المراد قوله (وانى والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدى) اى جميعكم (ولكنى اخاف) اى عليكم كما فى نسخة صحيحة (ان تنافسوا) بفتح اوله على انه حذف احدى التائين منه اى ترغبوا (فيها) اى فى الدنيا الدنية الخسيسة كما يرغب فى الاشياء الغالية العالية النفيسة فهو مأخوذ من ميل النفس الى النفيس ومنه قوله تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومنه اقتباس امامنا الشاطبى رحمه الله بقوله

عليك بها ما عشت فيها منافسا * وبع نفسك الدنيا بانفاسها العلى

واغرب الحلبى كغيره فى رجع ضمير فيها الى خزائن الارض ثم ذكر المفاتيح سابقا يدل على كون الضمير للدنيا لاحقا نحو قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة لدلالة الناس او الدابة على الارض مع ان قرينة المقام كافية فى تعيين المرام (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو وفى نسخة بتركها وقد رواه احمد بسند حسن (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا محمد النبى الامى) اى المنسوب الى ام القرى وهى مكة او الى امة العرب لكون غالبهم اميين لا يقرؤن ولا يكتبون او المضاف الى الام بمعنى انى على اصل ولادتى وجبلتى من غير قرآتى وكتابتى وذلك شرف له وعيب فى غيره وهذا المعنى هو الاولى بالمدعى كما افاد صاحب البردة هذه الزبدة بقوله كفاك بالعلم فى الامى معجزة

وقد قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون (لا نبى بعدى) اى وان وجد احد يكون تابعا لى (اوتيت جوامع الكلم) اى مع كونى اميا (وخواتمه) قيل هو وجوامع بمعنى اى ختم على بان اجمع المعنى الكثير فى المبنى اليسير او المراد بخواتمه انه لا يكون بعد وجود ختمه احتياج الى غيره وهو المناسب لكونه خاتم النبيين (وقد علمت) بضم عين وتشديد لام مكسورة ويجوز تخفيفها مع فتح اوله كما قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم (خزنة النار) اى الملائكة الموكلين عليها وكبيرهم يسمى مالكا مشتق من الملك وهو القوة (وحملة العرش) اى من الملائكة فهم اليوم اربعة ويكونون يومئذ ثمانية كما اخبر الله عنهم لكن على خلاف فى تمييز العددين من الصفوف او الالوف او الصنوف (وعن ابن عمر) كما روى احمد بسند حسن (بعثت بين يدى الساعة) اى قدامها وقريبا من وقوعها كما رواه احمد والشيخان والترمذى عن انس رضى الله تعالى عنه بعثت انا والساعة كهاتين (ومنه رواية ابن وهب) هو عبد الله بن وهب المصرى احد الاعلام عن ابن جريج وعنه احمد وغيره قال يونس بن عبد الاعلى طلب للقضاء فجنن نفسه وانقطع اخرج له الائمة الستة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال) اى على ما رواه البيهقى من حديث الاسراء فى الاسراء حيث اتى سدرة المنتهى (قال الله تعالى سل يا محمد) اى ما شئت (فقلت ما اسأل يا رب) اى من المقامات العالية حيث اعطيت جميعها للانبياء الماضية كما بينه بقوله (اتخذت ابراهيم خليلا) اى بقولك واتخذ الله ابراهيم خليلا (وكلمت موسى تكليما) كما قلت وكلم الله موسى تكليما (واصطفيت نوحا) كما قلت ان الله اصطفى آدم ونوحا (واعطيت سليمان ملكا لا ينبغى) اى لا يكون (لاحد من بعده) حيث بينته بقولك فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث اصاب الآية (فقال الله تعالى ما اعطيتك) اى الذى اعطيتكه (خير من ذلك) اى كله (اعطيتك الكوثر) فوعل من الكثرة ومعناه الخير الكثير وفى النهاية هو نهر فى الجنة وجاء فى التفسير انه القرآن ولعل هذا هو المراد فى هذا المقام ويشير اليه قوله سبحانه وتعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وفيه اشارة الى مزية العلم والمعرفة على كل مقام وحال ومرتبة قال ابن عرفة انظر فى قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر اهو انشاء ام خبر فان قيل انه انشاء هنا مستحيل لان كلام الله تعالى قديم ازلى فالجواب انه باعتبار نظمه ومتعلقه فان قلت فى تعلقه خلاف هل هو قديم او حادث قلنا التعلق التنجيزى حادث واما التعلق الصلوحى فيصح هنا كذا ذكره التلمسانى (وجعلت اسمك مع اسمى) اى مقرونا به فى كلمة الشهادة (ينادى به) بصيغة المفعول (فى جوف السماء) اى وقت الاذان والخطبة او فيما بين اهل السماء (وجعلت الارض طهورا) اى حكميا (لك ولامتك) اى خاصة (وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى جميع ما فرط وما يفرط منك مما يصح ان يعاتب عليك (فانت تمشى فى الناس) وفى نسخة بالناس وفى اخرى بين الناس (مغفورا لك) حال من ضمير تمشى (ولم اصنع ذلك) اى غفران ما تقدم وما تأخر كذا ذكره الدلجى والاظهر ان الاشارة الى جميع ما تقدم والله تعالى اعلم وحينئذ لا اشكال فى قوله (لاحد قبلك) بخلاف ما اختاره ودفعه بقوله ولعله من غير الانبياء والا فهم كذلك وفيه انهم ليسوا كذلك اذ لم يعلم انهم بشروا بغفران ما تقدم وما تأخر ويؤيده ان غفرانهم مشوب بمخافة المعاتبة بدليل حديث فيأتون نوحا فيقولون ألا تشفع لنا فيقول نفسى نفسى لست لها الحديث (وجعلت قلوب امتك مصاحفها) فيه منقبة عظيمة لحفاظ القرآن من الامة كما يشير اليه قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وتنبيه نبيه على ان الامم السالفة غالبهم لم يكونوا يحفظون شيأ من صحفهم (وخبأت لك شفاعتك) اى ادخرتها عندى لليوم الموعود والمقام المحمود وهى الشفاعة العظمى لفصل القضاء حين يفزع الناس حتى الانبياء (ولم اخبأها لنبى غيرك) بل اوفيت اجابة دعواتهم فى الدنيا فلم يبق لهم حينئذ شفاعة شاملة فى العقبى (وفى حديث آخر رواه حذيفة) كما فى تاريخ ابن عساكر مرفوعا (بشرنى يعنى ربى) تفسير من المصنف او ممن قبله (اول من يدخل الجنة معى) اى بقرب زمانى لا آنى (من امتى) اى من الصحابة والتابعين وغيرهم (سبعون الفا) اى اصالة (مع كل الف سبعون الفا) تبعا فى العلم والعبادة (ليس عليهم حساب) فلا يكون لجميعهم عذاب ولا حجاب وروى سبعمائة الف مع كل واحد سبعمائة الف ذكره التلمسانى (واعطانى ان لا تجوع امتى) اى جوعا شديدا بجدب وقحط بحيث يهلك جميعهم (ولا تغلب) بصيغة المجهول اى ولن تغلب بعدو يستأصلهم اى يأخذهم من اصلهم لحديث انى سألت ربى لامتى ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم الحديث (واعطانى النصرة) اى الاعانة على الاعداء (والعزة) اى القوة والغلبة والمنعة (والرعب) اى الخوف مع بعد المسافة كما بينه بقوله (يسعى بين يدى امتى) اى يتقدم الرعب لاعدائى قدامهم (شهرا) يعنى وكذا من خلفهم شهرا لما تقدم وفيه تنبيه نبيه ان الرعب غير مخصوص بحضرته بل يوجد فى عموم امته (وطيب) بفتح التحتية المشددة اى واحل (لى ولامتى الغنائم) جمع غنيمة ووقع فى اصل الدلجى المغانم جمع مغنم وهما قريبان فى الدراية وانما الكلام فى صحة الرواية (واحل لنا)

اى بخصوصنا على وجه يعمنا (كثيرا مما شدد) اى الله تعالى (على من قبلنا) اى بتحريمه عليهم او بتكليفه لديهم كقتل النفس فى التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة فى اليوم والليلة وصرف ربع المال فى الصدقة (ولم يجعل علينا فى الدين من حرج) اى تضييق وهو تعميم بعد تخصيص وتنبيه على ما اباح لنا من الرخص عند الاعذار كالتيمم والقصر والافطار كما بينه بقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقد ورد فى ذلك ان الله رأى ضعفنا وعجزنا (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى برواية الشيخين (عنه عليه الصلاة والسلام ما من نبى من الانبياء) من الاولى مزيدة وللتأكيد مفيدة والثانية تبعيضية مشيرة الى المبالغة (الا وقد) بالواو (اعطى من الآيات ما) مثله (امن عليه البشر) ما موصولة او موصوفة وفى بعض الروايات الصحيحة او من عليه البشر وكتبه بعضهم ايمن وروى القاضى امن من الامان ولا يظهر له وجه فى هذا الشان والمعنى ان الله تعالى ايد كل نبى بعثه من المعجزات بما يصدق دعواه وتقوم به الحجة على من عاداه (وانما كان الذى اوتيته) اى من الآيات المتلوة المشتملة على انواع من المعجزات من الفصاحة والبلاغة فى المبنى والانباء الواقعة فى الازمنة السابقة واللاحقة فى المعنى الباقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة النافعة فى امور الدنيا واحوال الآخرة مع ما فيها من معرفة الذات والصفات الاسنى والاسماء الحسنى (وحيا) اى وحيا يتلى ومعجزة تدوم وتبقى (اوحى الله الى فارجو) وفى نسخة بالواو ولكن الفاء التفريعية مع افادة التعقيبية هى الاولى والمعنى اوقع (ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة) اى لاستمرار تلك المعجزة بخلاف معجزة سائر الانبياء حيث انقضت فى حال الاحياء وانما اراد بقوله الذى اوتيته معظم ما اعطى من المعجزات المشتملة على انواع من الانباء والا فقد اعطى معجزات كثيرة من جنس معجزات الانبياء (ومعنى هذا) اى الحديث بجملته (عند المحققين بقاء معجزته) اى الخاصة به وهى الآية الكبرى والنعمة العظمى (ما بقيت الدنيا) اى مدة بقائها (وسائر معجزات الانبياء) اى بقيتها (ذهبت للحين) اى حين وقوعها فى حياة نبيها (ولم يشاهدها الا الحاضر لها) اى حال معاينتها او وقت مشاهدتها (ومعجزة القرآن) اى مبنى ومعنى باقية دون كل معجزة (يقف عليها قرن بعد قرن) اى جماعة بعد انقراض جماعة (عيانا) بكسر العين اى معاينة (لا خبرا) اذ ليس الخبر كالمعاينة كما ورد (الى يوم القيامة) وقد وقع فى اصل الدلجى يقف عليها عيانا لا اخبارا قرن بعد قرن وهو مخالف للاصول المصححة (وفيه) اى فى هذا الحديث او فى هذا المعنى (كلام يطول) اى من جهة المبنى (هذا نخبته) اى خلاصته (وقد بسطنا القول فيه) اى اطنبنا فى هذا الحديث (وفيما ذكر فيه) اى فى هذا المعنى (سوى هذا) اى الكلام الذى قدمناه (آخر باب المعجزات) اى فى آخره لانه المحل الاليق به (وعن على رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه (كل نبى اعطى سبعة) قال الحجازى وروى اربعة والظاهر انه تصحيف او وهم (نجباء) اى نقباء فضلاء وزيد فى رواية وزراء رفقاء (واعطى نبيكم) عليه السلام (اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار رضى الله تعالى عنهم) ولفظ الترمذى قلنا من هم قال انا وابناى وجعفر وحمزة وابو بكر وعمر ومصعب بن عمير وبلال وسلمان وعمار وابن مسعود ولم يذكر ابن عبد البر مصعبا وزاد تكملة لهم حذيفة واباذر والمقداد وقال التلمسانى ذكر ابو نعيم عن على مرفوعا ولفظه لم يكن نبى من الانبياء الا وقد اوتى سبعة نقباء نجباء وزراء وانى قد اعطيت اربعة عشر وهم حمزة وجعفر وعلى وحسن وحسين وابو بكر وعمر وعبد الله بن مسعود وابو ذر والمقداد وحذيفة وعمار وسلمان وبلال انتهى وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والابدال اربعون والاخيار سبعة والعمدة اربعة والغوث واحد وحكى ابو بكر المطوعى عمن رأى الخضر وتكلم معه وقال له اعلم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قبض بكت الارض فقالت الهى وسيدى بقيت لا يمشى على نبى الى يوم القيامة فاوحى الله تعالى اليها اجعل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا اخليك منهم الى يوم القيامة قلت له وكم هم قال ثلاثمائة وهم الاولياء وسبعون وهم النجباء واربعون وهم الاوتاد وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم العرفاء وثلاثة وهم المختارون وواحد وهو الغوث فاذا مات الغوث نقل من الثلاثة واحد وجعل مكان الغوث ونقل من الثلاثة الى السبعة ومن العشرة الى السبعة ومن الاربعين الى العشرة ومن السبعين الى الاربعين ومن الثلاثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلاثمائة هكذا الى يوم ينفخ فى الصور انتهى ولا ينفخ فيه وفى الارض من يقول الله ولا حول ولا قوة الا بالله جعلنا الله من خواص المسلمين وحشرنا معهم يوم الدين (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما فى الصحيحين (ان الله قد حبس عن مكة الفيل) اى لما جاء به ابرهة الحبشى فى جيشه لتخريب الكعبة فاهلكهم الله بطيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل (وسلط عليها رسوله والمؤمنين) اى امرهم بالغلبة عليها واذن لهم بقتال اهلها فافتتحوها سنة عشر من الهجرة (وانها لم تحل) وفى نسخة لا تحل وفى اخرى لن تحل والفعل يحتمل معروفا ومجهولا (لاحد بعدى) اى من بعدى كما وقع فى اصل الدلجى وفيه

التفات من الغيبة (وانما احلت لى ساعة من نهار) يعنى فان ترخص احد بقتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقولوا له كما فى الحديث كذا ذكره اكثرهم اجمالا وقال ابو بكر ابن العربى فى العارضة اراد بذلك دخوله بغير احرام لا لاجل القتال لانه احلت له لا لاجل القتال ساعة من نهار لان القتال فيها حلال ابدا بل واجب حتى لو تغلب فيها كفار او بغاة وجب قتالهم فيها بالاجماع انتهى وهو الاقرب الى قواعد مذهبنا والله تعالى اعلم (وعن العرباض) بكسر اوله (ابن سارية) وهو من اكابر الصحابة واصحاب الصفة سلمى سكن الشام ومات بها (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى عبد الله وخاتم النبيين) كذا فى النسخ المعتبرة بالواو العاطفة ووقع فى اصل الدلجى بغير واو فضبطه بالنون بمعنى لديه وهو الموافق لرواية المصابيح وقال وفى رواية انى عبد الله مكتوب خاتم النبيين ثم الخاتم بكسر تائه وتفتح كما قرئ بهما فى السبعة (وان آدم لمنجدل) اى والحال انه لساقط (فى طينته) او مطروح على الجدالة وهى الارض الصلبة والمراد بطينته خلقته المركبة من الماء والتربة ومنجدل خبر لان والجار خبر ثان (وعدة ابى ابراهيم) بكسر العين وتخفيف الدال اى وعده بمقتضى دعائه بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ويؤيده ما فى نسخة دعوة ابى ابراهيم وصدر الحديث وسأخبركم ببادئ امرى او بادئ نبوتى ويعنى هو عدة ابراهيم وللحاكم وغيره وسأنبئكم بتاويل ذلك هو دعوة ابى ابراهيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية (وبشارة عيسى ابن مريم) يعنى قوله تعالى حكاية عنه ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد وزاد الحاكم ورؤيا امى التى رأت انه خرج من فرجها نور اضاءت له قصور الشام وصححه لكن تعقبه الذهبى بان ابا بكر ابن ابى مريم احد رواته واسناده ضعيف (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه) كما روى البيهقى والدارمى وابن ابى حاتم (قال ان الله فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم على اهل السماء) اى من الملائكة المقربين (وعلى الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم) اى اجمعين (قالوا) اى اصحاب ابن عباس (فما فضله على اهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم انى اله من دونه الآية) اى فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين (وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية) وهى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وفيه بحث لا يخفى اذ قال تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين مع ان القضية فرضية وتقديرية والا فعصمة الانبياء والملائكة قطعية ولذا قال الكشاف هذا على سبيل التمثيل مع احاطة علمه سبحانه وتعالى بان لا يكون كما قال تعالى ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون انتهى فلعل مراد الحبر هو انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث اليهم كما يفيده قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وانذاره للملائكة قطعى بقوله ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم والله سبحانه وتعالى اعلم (قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الآية) اى ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم (وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة) اى رسالة عامة (للناس) وقد يقال المراد بالناس عمومهم الشامل للاولين والآخرين على تقدير وجودهم فى المتأخرين كما يستفاد من قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وكما اشار اليه حديث لو كان موسى عليه السلام حيا لما وسعه الا اتباعى وكما يقع بالفعل متابعة عيسى عليه السلام بعد نزوله لشريعته ويكون مفتخرا بكونه من امته (وعن خالد بن معدان) بفتح ميم وسكون عين فدال مهملتين كلاعى شامى روى عن ابن عمر وثوبان ومعاوية رضى الله تعالى عنهم كان يسبح فى اليوم والليلة اربعين الف تسبيحة اخرج له الائمة الستة وقد اخرج عنه ابن اسحق ووصله احمد والدارمى (ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك) اى مبدأ امرك (وقد روى نحوه) بصيغة المجهول والواو للحال اى مثله معنى لا مبنى (عن ابى ذر) رضى الله تعالى عنه صحابى جليل (وشداد) بتشديد الدال الاولى (ابن اوس) بفتح فسكون وهو ابن ثابت بن المنذر بن حرام بالراء صحابى انصارى ابن اخى حسان بن ثابت نزل بيت المقدس ومات بالشام (وانس بن مالك رضى الله عنهم فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى جواب كل منهم (نعم) اى اخبركم باول قصتى وما ظهر من نبوتى على لسان ابراهيم وغيره (انا دعوة ابى ابراهيم يعنى قوله) اى حكاية عن ابراهيم واسماعيل واقتصاره على الاول لانه المعول (ربنا وابعث فيهم) اى فى الامة المسلمة المذكورة فى الآية الماضية (رسولا منهم) ولم يبعث فيهما من ذريته من نسل اسماعيل غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما (وبشرى عيسى) اى بشارته حين قال لقومه ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد وفى نسخة وبشر بى عيسى بالموحدة وياء الاضافة والظاهر انه تصحيف لمخالفة ما قبله وان كان يلائم قوله (ورأت امى) وفى بعض الروايات ورؤيا امى واعل العدول لئلا يتوهم ان الرؤيا منامية (حين حملت بى) بالباء للتعدية وفى رواية حين

وضعتني ويمكن جمعهما بالحمل على مرتين واما تجويز الدلجي كون الرؤيا منامية فبعيد جدا من حيث استدلاله صلى الله تعالى عليه وسلم برؤيتها فان رؤيا غير الانبياء ليست معتمدا عليها حتى لا يعمل بمقتضاها (انه خرج منها نور اضاءله) اى استنار لذلك النور (قصور بصرى) بضم موحدة فسكون مهملة مقصورا مدينة بحوران (من ارض الشام) وهى اول مدينة فتحت صلحا وذلك فى شهر ربيع الاول لخمس بقين منه سنة ثلاث عشرة وقد وردها صلى الله عليه وسلم مرتين (واسترضعت) اى كنت رضيعا (فى بنى سعد بن بكر) قبيلة معروفة (فبينا انا) اى بين اوقات كنت انا (مع اخ لى) اى رضاعا (خلف بيوتنا نرعى بهمالنا) بفتح موحدة وسكون هاء جمع بهمة ولد الضأن ذكرا كان او انثى وقيل ولد الضأن والمعز مجتمعة ولعله باعتبار الغلبة والا فولد المعز حال انفراده يسمى سخلة (اذ جاءنى رجلان) اى على صورة رجلين فقيل هما جبريل واسرافيل (عليهما ثياب بيض) تركيب توصيف (وفى حديث آخر ثلاثة رجال) قيل ثالثهم ميكائيل اى جاؤا (بطست) بفتح طاء وجوز كسره وضمه فسين مهملة وكذا بمعجمة على ما فى القاموس فلا عبرة بمن قال انه لغة العامة وانه خطأ وهو اناء معروف يكون من نحاس او صفر واصله الطس ابدل من احدى السينين تاء (من ذهب) فيه ايماء الى ذهاب حظ الشيطان عنه بعصمة ربه وذهابه عن الامة بسببه قال التلمسانى وفيه دليل على جواز تغشية آلات الطاعة بالذهب والفضة كالمصحف وآلات الغزو انتهى والاظهر ان استعمال آنية الذهب والفضة حرام لا اعلم فيه خلافا بين علماء الانام لكن الملائكة لا يعصون الله تعالى ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فلا يقاس الانسان بالملك كما لا يقاس الحداد بالملك هذا وقد ذكر البغوى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى فيه سكينة من ربكم هى طست ذهب من الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء عليهم السلام (مملوءة) يجوز همزه وابداله مدغما ولعل التاء للمبالغة او باعتبار كونه آنية (ثلجا) بسكون اللام وهو ماء جامد لانه يبرد القلب وينظفه وقد روى حكمة وفسرت بالنبوة والاولى تفسيرها باتقان العلم واحسان العمل (فاخذانى) او فاخذونى (فشقا بطنى) او شقوه (قال) ووقع فى اصل الدلجى وقال (فى غير هذا الحديث من نحرى الى مراق بطنى) بفتح الميم وتخفيف الراء وتشديد القاف لا واحد له من لفظه وميمه زائدة اى من اعلى صدرى الى مارق ولان من بطنى (ثم استخرجا) اى اخرجا او اخرجوا (منه قلبى فشقاه) اى قلبى (فاستخرجا منه علقة) اى قطعة دم منعقدة (سوداء) يكون فيها الحسد والحقد والشهوة النفسية وسائر الاخلاق الرديئة (فطرحاها) اى رمياها بقوة وفى رواية مسلم وقالا هذا حظ الشيطان منك قال العلامة تقى الدين ابن السبكى تلك العلقة خلقها الله تعالى فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يكن فيه مكان قابل لان يلقى الشيطان فيه شيأ قال فهذا معنى الحديث فلم يكن للشيطان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم حظ قط فان قلت لم خلق هذا القابل فى هذه الذات الشريفة وكان يمكن ان لا يخلقه فيها قلت لانه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقه تكملة للخلق الانسانى ونزعه امر ربانى طرأ بعده انتهى ونظيره خلق الاشياء الزائدة فى بدن الانسان من القلفة وتطويل الظفر والشارب وامثال ذلك فلله الحكمة البالغة وعلى العبد احتمال الكلفة (ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى انقياه) اى نظفاه عن تلوث تعلق العلقة قال التلمسانى شق قلبه صلى الله عليه وسلم مرتين مرة فى صغره عند ظئره وذلك ليذهب عنه حظ الشيطان ومرة عند الاسراء ليدخل على طهارة ظاهرة وباطنة على الرحمن قلت ومرة عند نزول القرآن فى جبل حراء على ما ذكره ابو نعيم والطيالسى وغيره على ما فى المواهب اللدنية وقد قيل شق صدره مرة فى صباه ليصير قلبه مثل قلوب الانبياء ومرة ليلة المعراج ليصير قلبه مثل قلوب الملائكة قلت ومرة عند نزول الوحى ليصير مثل قلوب الرسل والله تعالى اعلم (وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر ثم تناول احدهما شيأ فاذا بخاتم فى يده من نور يحار) بفتح اوله اى يتحير (الناظر دونه) اى عنده فلا يدرى كيف يهتدى الى معرفة كنهه (فختم به قلبى) اى لئلا يصل اليه ما لا يليق بجناب ربى (فامتلأ ايمانا وحكمة) اى ايقانا واحسانا او علما وفهما (ثم اعاده) اى رده (مكانه ثم امر) بتشديد الراء اى اذهب (الآخر) اى منهما (يده على مفرق صدرى) بفتح الميم والراء وبكسر الراء ذكره الشمنى والحلبى وقال الدلجى بكسر الميم مع فتح الراء وبفتحها مع كسرها انتهى ولا يخفى ان كسر الميم الموضوع للآلة غير مناسب هنا فانه وسط الرأس حيث يفرق فيه الشعر فى اصل اللغة الا انه استعير هنا لموضع الشق (فالتأم) بهمزة مفتوحة بعد التاء اى فاجتمع والتحم وانتظم (وفى رواية) اى للدارمى وابى نعيم فى الدلائل (قال قلب) اى هذا قلب (وكيع اى شديد) تفسير من احد الرواة ومعناه متين فى العلم ومحكم فى الفهم كما يشير اليه قوله (فيه) وفى اصل التلمسانى له (عينان تبصران) اى تدركان الامور العقلية (واذنان سميعتان) وفى نسخة تسمعان اى تعيان العلوم النقلية وضمير فيه راجع الى القلب وهو اقرب او الى القالب وهو انسب (ثم قال) اى احدهما (لصاحبه) اى من الملكين (زنه) بكسر الزاى امر من

الوزن (بعشرة من امته) اى فى الفهم والعقل او فى الاجر والفضل (فوزنني بهم) اى حسا او معنى (فرجحتهم) بتخفيف الجيم اى فغلبتهم فى الرجحان (ثم قال) اى احدهما لصاحبه (زنه بمائة من امته فوزنني بهم) اى بمائة منهم (فوزنتهم) اى رجحتهم فى الوزن (ثم قال زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك) اى اترك وزنه (فلو وزنته بامته) اى بجميعهم (لوزنها) اى لما منح من المنح السنية ومن المنن العلية (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (فى الحديث الآخر) اى فى الرواية الاخرى وهى حديث ثلاثة رجال بشهادة قوله (ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسى) اى اشعارا برياستى وانى رئيس امتى (وما بين عينى) بصيغة التثنية لا غير ايماء الى انه قرة العينين فى الكونين (ثم قالوا لى يا حبيب) اى يا محبوب لمطلق الخلق والحق ويروى فقالوا انك حبيب الله (لم ترع) بضم ففتح فسكون من الروع اى لا تفزع وفى التعبير بالماضى مبالغة فى تحققه وفى رواية لن تراع بتأكيد نفى الاستقبال (انك لو تدرى ما يراد بك من الخير) اى الذى لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (لقرت عينك) بفتح القاف وتشديد الراء اى لطابت نفسك وسكن قلبك او لسررت وفرحت واصله برد الله تعالى دمعة عينيك لان دمع السرور بارد وقيل معناه بلغك الله تعالى امنيتك حتى ترضى وتسكن عينك فلا تستشرف الى غيره (وفى بقية هذا الحديث) اى حديث ثم ضموني (من قولهم) بيان للبقية (ما اكرمك على الله ان الله معك) معية مكانة وقربة وحضور وجمعية لا معية مكانية واجتماعية واتصالية واتحادية على ما تقوله الطائفة الالحادية (وملائكته) اى معك كذلك فى الحفظ والحراسة والنصرة والمعونة (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث ابى ذر) كما رواه الدارمى (فما هو) اى الامر والشأن (الا ان وليا) اى ادبر الملكان ورجعا (عنى فكانما ارى الامر) اى امر النبوة والرسالة (معاينة وحكى ابو محمد المكى وابو الليث السمرقندى وغيرهما ان ادم عليه السلام عند معصيته) اى الصورية وهى التى خرج بسببها من الجنة (قال) كما رواه البيهقى والطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف (اللهم بحق محمد) اى المغفور من ذريتى (اغفرلى خطيئتى) ويروى تقبل توبتى ولا منع من الجمع (فقال له الله تعالى من اين عرفت محمدا) اى ولا رأيته ابدا (قال رأيت فى كل موضع من الجنة) اى من شرف قصورها وصدورها واطراف انهارها واتحاف اشجارها (مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى) اى بدلا من هذه الجملة او زائدا بعده هذه الكلمة (محمد عبدى ورسولى) اى المختص بى من بين عبيدى ورسلى الشامل للملائكة (فعلمت انه اكرم خلقك عليك) اى حيث خصصته بتشريف الاضافة اليك ولم تذكر غيره من الخلق لديك (فتاب الله عليه وغفر له) اى رجع عليه بقبول توبته وحصول مغفرته ووصول هدايته كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (وهذا) اى قوله اللهم بحق محمد لا كما توهم الدلجى انه لا اله الا الله محمد رسول الله (عند قائله) اى راويه وناقله (تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات) اى تلقاها من الهامه واعلامه وان كان المشهور عند الجمهور ان المراد بالكلمات هى قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية (وفى رواية آجرى) بمد الهمزة وضم الجيم وتشديد الراء بعدها ياء نسبة قال الحلبى الظاهر انه الامام القدوة ابو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى مصنف كتاب الشريعة فى السنة والاربعين وغير ذلك روى عنه ابو نعيم الحافظ وخلق وكان عالما عاملا سكن مكة ومات بها سنة ستين وثلاثمائة وفى نسخة وفى رواية اخرى بضم همزة وسكون خاء معجمة (فقال آدم) اى فى جواب ما تقدم (لما خلقتنى) اى حين خلقتنى فى اول وهلى (رفعت رأسى الى عرشك فاذا فيه) اى فى قوائمه كما فى رواية (مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله) يعنى وليس فيه ذكر رسول سواه (فعلمت انه) اى الشان (ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك) اى مقرونا به فى عرشك الذى هو اعظم خلقك (فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى) اى وعظمتى (انه لآخر النبيين من ذريتك) ايماء الى انه بمنزلة الثمرة لهذه الشجرة وانه فى مرتبة العلة الغائية فى الخلقة الانسانية واشارة الى انه الغاية القصوى والمقصد الاسنى من مظاهر الاسماء الحسنى كما يدل عليه قوله (ولولاه ما خلقتك) ويقرب منه ما روى لولاك لما خلقت الافلاك (قال) اى الآجرى (وكان آدم يكنى) بصيغة المجهول مخففا ومثقلا (بابى محمد) كما رواه البيهقى عن على مرفوعا ووجه تخصيصه لكونه افضل اولاده او للتشرف باستناده (وقيل بابى البشر) اى عموما وفيه تنبيه انه لم يكن يكنى بغيره من اولاده وذريته اشعارا بخصوصيته ولما تحت العموم من اندراج قضيته ولا يبعد تقدير مضاف بان يقال كان يكنى بابى خير البشر فاقتصر فتدبر (وروى عن سريج بن يونس) اى ابن ابراهيم الحارث البغدادى العابد القدوة احد ائمة الحديث روى عنه مسلم والبغوى وابو حاتم وهو بضم مهملة وفتح راء وسكون تحتية فجيم واما ضبطه بالشين المعجمة فى نسخة فتصحيف وكذا بالحاء المهملة (انه قال ان لله تعالى ملائكة سياحين) بتشديد التحتية اى سيارين على وجه الارض للعبادة (عيادتها) بالتحتية اى زيارة تلك الجماعة من الملائكة السياحة وتفقدها من عاد يعود اذا زار ورجع

للزيارة وفى نسخة بالموحدة ولا يخفى مزية العبادة على العادة بالتعمية المخفية (على كل دار) وفى نسخة على دار
اى واقعة للمحافظة على كل دار (فيها احمد او محمد) اى مسمى باحدهما وفى نسخة عبادتها كل دار واقتصر عليها
الشمنى حيث قال عبادة بالباء الموحدة مبتدأ خبره كل دار على حذف مضاف اى حفظ اهل كل دار او اعانة اهل كل
دار اكراما منهم لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث عظموا وادارا فيها سميه (وروى ابن قانع القاضى) بالقاف وكسر
النون فمهملة هو ابن مرزوق واسمه عبد الباقى صاحب معجم الصحابة وكتاب اليوم والليلة وتاريخ الوفيات من اول
سنة الهجرة فروى فى معجم الصحابة له وكذا رواه الطبرانى (عن ابى الحمراء) بفتح حاء مهملة فسكون ميم فراء ممدودة
قال الحجازى هو مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه بلال بن الحارث وقال اليمنى هو اسم لصحابيين
احدهما مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخرج هذا الحديث ابن ماجه عنه والآخر مولى ابى عفراء ولا يعلم
له رواية وقال الحلبى كان ينبغى للقاضى ان يذكر بقية هذا السند من ابن قانع الى ابى الحمراء حتى نعرفهم ونعرف من
ابو الحمراء فان ابا الحمراء فى الصحابة اثنان احدهما مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه هلال بن الحارث
ابن ظفر اخرج حديثه ابن ماجه فى التجارات اعنى غير هذا الحديث المذكور فى الاصل واما هذا فليس له شئ فى الستة
والله تعالى اعلم روى عنه ابو داود والاعمش وغيره قال ابن معين كان بحمص وقال البخارى يقال له صحبة ولا يصح
حديثه انتهى واما الثانى فيقال مولى الحارث بن رفاعة شهد بدرا واحدا ولا اعلم له رواية وان كان ابو الحمراء
من التابعين او من بعدهم فلا اعلم فيهم احدا يقال له ابو الحمراء وقد وقفت على الحديث المذكور لكن من رواية انس
وقد قال الذهبى فيه شئ نراه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما اسرى بى الى السماء اذا على العرش
مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته) اى قويته (بعلى) اى لغاية قوته وعلو همته قال الدلجى وقد ورد
انه حمل باب حصن خيبر وتترس به ورواه ابن عدى عن عيسى بن محمد عن الحسين بن ابراهيم البابانى عن حميد الطويل
عن انس بلفظ لما عرج بى رأيت على ساق العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلى نصرته بعلى قال
فى الميزان وهذا اختلاف من الحسين بن ابراهيم (وفى التفسير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه الخطيب
فيما رواه مالك عنه (فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما) وقد رواه البزار مرفوعا من حديث ابى ذر وموقوفا على عمر
وعلى (قال) اى ابن عباس وكذا من روى نحوه من غيره (لوح) اى الكنز المذكور جامع فى المبنى والمعنى فانه لوح
(من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر) اى بتقديره الذى لا يتصور تغييره (كيف ينصب) بفتح الصاد اى كيف
يتعب وما قدر له يأتيه ان تعب وان لم يتعب لكن قد يقال ان من جملة ما قدر تقديره ان يتعب فكيف لا يتعب قال
البغوى القدر سر من اسراره سبحانه وتعالى لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا يجوز الخوض فيه ولا البحث
عنه بل الله تعالى خلق خلقه فمنهم شقى ومنهم سعيد وقال رجل لعلى اخبرنى عن القدر قال طريق مظلم لا تسلكه فاعاد
السؤال فقال بحر عميق لا تلجه فاعاد فقال سر الله قد خفى عليك (عجبا لمن ايقن بالنار) اى بوجودها (كيف يضحك)
اى قبل ورودها (عجبا لمن يرى) وفى نسخة لمن رأى (الدنيا وتقلبها باهلها) اى فى انقلاب احوالها لاسيما ما لها
الى زوالها (كيف يطمئن اليها) اى يغتر بها ولا يعتبر بمن مضى فيها (انى انا الله لا اله الا انا محمد عبدى ورسولى) اى الى
الخلق كافة كما ان الاله الههم عامة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه) قال الدلجى لا اعلم من رواه عنه (قال على
باب الجنة مكتوب انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها) اى من صميم قلبه وتوفيق ربه على ثباته
الى مماته (وذكر انه وجد) بصيغة المفعول فيهما وضميرانه للشان (على الحجارة القديمة) اى العتيقة (مكتوبا محمد تقى)
اى من الشرك ونقى من الشك (مصلح) اى لما افسد الخلق من الحق تغييرا او تبديلا (وسيد) اى للخلق (امين) اى عند
الخلق والحق (وذكر السمنطارى) بكسر مهملة وميم وسكون نون فمهملة من جملة المحدثين والائمة المصنفين له
تآليف كثيرة فى فنون العلوم على ما ذكره التلمسانى (انه شاهد فى بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب
لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله) اقول اذا ثبت ما سبق من كونه مكتوبا على العرش وغيره بروايات معتبرة
فلا يحتاج الى مثل هذه الرواية التى يحتمل ان تكون معتمدة وكذا قوله (وذكر الاخباريون) بالخاء المعجمة (ان ببلاد
الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض) اى منقوش به بجعل الاحمر على اطرافه او بالابيض كالاسفيداج ونحوه
وفى نسخة صحيحة مكتوبا على الورد الاحمر بالابيض (لا اله الا الله محمد رسول الله) وعن الحافظ المزى اخبرنى من سافر
الى بلاد الهند ان فيه شجرة معروفة يسقط منها فى كل سنة ورقة مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقال ابن
القيم فى تاريخه فى ترجمة الحسن بن احمد بن الحسن الوراق الخواص المصيصى مسندا عنه الى على بن عبد الله الهاشمى
الرقى انه قال دخلت فى بلاد الهند الى بعض قراها فرأيت وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط ابيض

لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت فى ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة لم تفتح
ففتحتها فكان فيها مثل ذلك وفى البلد منه شئ كثير واهل تلك القرية يعبدون الحجارة لا يعرفون الله تعالى انتهى
وقال الشيخ عبد الله بن اسعد اليافعى فى كتابه المسمى بروض الرياحين قال بعض الشيوخ دخلت بلاد الهند فدخلت
مدينة فيها شجر يحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة
لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بها ويستسقون بها اذا منعوا من الغيث فحدثت بهذا ابا يعقوب
الصياد فقال لى ما استعظم هذا كنت اصطاد على نهر الابلة فاصطدت سمكة مكتوب على جنبها الايمن لا اله الا الله
وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رأيتها قذفتها فى الماء احتراما لما عليها كذا ذكره الشمنى والذى يخطر بالبال
الفاتر والله تعالى اعلم بالظواهر والسرائر ان هذه كلها كشوفات مكشوفات لا هلها الا يراها من لم يشأ اهلها
وربما يقال ان اسمه سبحانه وتعالى مع اسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرسوم على كل شئ من الاشياء
بحكم قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك اى جعلناك ذكرا معك فى كل شئ من ملك وفلك وبناء وسماء وفرش وعرش وحجر
ومدر وشجر وغير ونحو ذلك ولكن اكثر الخلق لا يبصرون تصويرهم ونظيره قوله سبحانه وتعالى وان من شئ الا يسبح
بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم (وروى عن جعفر) اى الصادق (ابن محمد عن ابيه) اى محمد الباقر وهو من اكابر
اهل البيت واجلاء التابعين ادرك جابرا وغيره (اذا كان يوم القيامة نادى مناد) اى فى الموقف كما فى رواية (الا ليقم من
اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه) صلى الله تعالى عليه وسلم اى لاظهار كرامته واشعار شفاعته واليه اشار
صاحب البردة بقوله

فان لى ذمة منه بتسميتى ❊ محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم

(وروى ابن القاسم) اى العتقى واسمه عبد الرحمن جمع بين الزهد والعلم صحب مالكا عشرين سنة ومات بمصر اخرج له
البخارى وابو داود والنسائى (فى سماعه) اى عن مالك ورد عنه انه قال خرجت الى مالك اثنى عشرة مرة انفقت فى كل
مرة الف دينار اخرج له البخارى وغيره (وابن وهب) وقد سبق ترجمته قريبا وهو ممن تفقه على مالك وابن دينار والليث
ابن سعد وصنف الموطأ الكبير والموطأ الصغير وكان مالك يكتب اليه الى ابى محمد المفتى (فى جامعه عن مالك قال سمعت
اهل مكة) اى بعض علمائهم (يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما) من النمو اى زاد وزكا يعنى كثر بركته وفى نسخة
نمى بناء على ان المادة واوية ويائية وفى اخرى الا فدوفوا بضم واو وقاف اى حفظوا (ورزقوا ورزق جيرانهم) اى ببركة
اسمائهم وايمانهم وابقائهم واحسانهم (وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال) اى على ما رواه ابن سعد من حديث عثمان
العمرى مرفوعا (ما ضر احدكم ان يكون فى بيته محمد ومحمدان وثلاثة) اى واكثر ويميز بينهم مثلا بالاصغر والاوسط
والاكبر هذا وفى مسند الحارث بن ابى اسامة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من كان له ثلاثة من الولد ولم يسم احدهم
بمحمد فقد جهل (وعن ابن مسعود) كما رواه احمد والبزار والطبرانى (ان الله تعالى نظر الى قلوب العباد) اى جميعهم
من اولهم الى آخرهم (فاختار منها قلب محمد عليه الصلاة والسلام فاصطفاه لنفسه) اى اختاره لذاته ان يكون
مظهر صفاته (فبعثه برسالته) اى الى جميع كائناته (وحكى النقاش ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت وما
كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية) تمامها ان ذلكم كان عند الله عظيما (قام
خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلنى عليكم تفضيلا) اى زائدا يليق بقدره وهو على وفق محله (وفضل
نسائى على نسائكم تفضيلا) اى احتراما له وتكريما ورفعا لشأنه وتعظيما

❊(فصـــــل)❊

(فى تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة) اى المكالمة (والرؤية) اى البصرية او القلبية (وامامة الانبياء)
اى امامته لهم فى بيت المقدس (والعروج به الى سدرة المنتهى) فانها ينتهى اليها ما ينزل من فوقها وما يصعد من
تحتها (وما رأى من آيات ربه الكبرى) هذا بيان قضيته اجمالا واما تفصيل قصته فى الجملة اكمالا فقوله (ومن خصائصه
عليه الصلاة والسلام) اى من جملة ما خص به فى الاعطاء ولم يعط مثله لسائر الانبياء (قصة الاسراء) اى امر آنه
الى السماء (وما انطوت) اى اشتملت (عليه من درجات الرفعة) اى بحسب ما ثبت فى انباء الانباء (مما نبه عليه الكتاب
العزيز) اى من بعض الاسرار (وشرحته صحاح الاخبار) اى وبينته الاحاديث والآثار وفى نسخة صحائح الاخبار
قال الحلبى وكلاهما جمع صحيح واطلاق كل منهما فصيح (قال الله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده) اى سيره (ليلا)
منصوب على الظرفية وتنكيره للدلالة على تقليل المدة الاسرائية مع ما فيه من الصنعة التجريدية فان السرى والاسراء
كلاهما هو السير بالليل واختير زيادة الهمزة للمبالغة فى مقام التعدية المقرونة بالمصاحبة والمعية المشيرة الى التخلية
من مقام التفرقة الى التحلية والتجلية فى مرتبة الجمعية (من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الاية) اى الذى باركنا

حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ثم سبحان علم للتسبيح بمعنى التنزيه ولعل ايراده هنا للتنبيه على انه منزه عن المكان وان اسراءه عليه الصلاة والسلام لاعلاء الشان ولاطلاعه على عجائب الملكوت فى ذلك الزمان وهو مضاف الى الموصول الذى بعده كما يدل عليه قوله فسبحان الله ونحوه ونصبه على المصدرية واغرب السمين فى اعرابه حيث قال وهو غير منصرف لوجود الزيادة والعلمية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقد الفت رسالة مستقلة فى خصوص هذه المسئلة وبدأتها بتفسير صدر سورة الاسراء وختمتها بتفسير صدر سورة النجم وذكرت فيما بينهما بعض ما يتعلق بهذه الكرامة العظمى وسميتها المدراج العلوى فى المعراج النبوى وها هنا اتبع كلام الشيخ فى تبيين مبناه وتعيين معناه واتتبع كلام شراحه وحواشيه واختار ما القاه من مقتضاه ثم الظاهر من الاية المذكورة ان ابتداء الاسراء كان من نفس المسجد لحديث بينا انا فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اتانى جبريل بالبراق وليطابق المبتدأ المنتهى لانه ليس حرم للمسجد الاقصى او من الحرم كما قال صاحب البردة (سريت من حرم ليلا الى حرم) وسماه مسجدا لاحاطته به ولحديث انه كان فى بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص عليها من قصته ويمكن الجمع بينهما بان كان فى بيت ام هانئ فرجع بعد صلاة العشاء الى المسجد واتى الحجر عند البيت كما يشير اليه قوله بين النائم واليقظان ثم عند نزوله رجع اليها وقص عليها القصة وكان ذلك قبل الهجرة بسنة ثم وجه تسميته الاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام والمراد ببركة حوله بركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء من لدن موسى الى زمن عيسى عليهم الصلاة والسلام وهو محفوف بالانهار والاشجار والازهار والاثمار وفى الحديث بارك الله فيما بين العريش والفرات وخص فلسطين بالتقديس ذكره الدلجى ومن جملة اراءة الايات ذهابه فى لحظة مسيرة اربعين ليلة ورؤيته بيت المقدس للانبياء وامامته لهم مع علو حالاتهم ووقوفه على مقاماتهم (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (والنجم) اى الثريا او نجوم السماء او الرجوم من النجوم او الكواكب اذا انتثرت او نجوم القرآن (اذا هوى) اى غرب او طلع او انقض او انتثر او نزل وانتشر (الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى ولا خلاف) كذا بالواو بلا خلاف فى النسخ المصححة وفى اصل الدلجى فلا بالفاء وقال ان الفاء فصيحة اى اذا كان الامر كذلك فلا ريب (بين المسلمين) اى من اهل السنة وطائفة المعتزلة وغيرهم (فى صحة الاسراء به عليه الصلاة والسلام) اى بطريق اجمال المرام (اذ هو نص القرآن) اى وعليه اجماع ائمة الاسلام الا ان المعتزلة ومن تبعهم من المبتدعة قصروا الاسراء الى بيت المقدس لا الى السماء فمن انكر مطلق الاسراء فهو كافر بلا امتراء (وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه) اى بسط غرائبه (وخواص محمد فيه) اى وظهور خصوصياته فى اسرائه وتنزلاته فى مراتب سنائه (احاديث كثيرة منتشرة) اى مشتهرة كادت ان تكون متواترة (رأينا ان نقدم اكملها) اى اكمل الاحاديث الواردة فى الاسراء تصريحا وتوضيحا (ونشير الى زيادة من غيره) اى غير اكملها تلويحا وترشيحا (يجب ذكرها) اى يتعين بيانها تحقيقا وتصحيحا (حدثنا القاضى الشهيد ابو على) اى ابن سكرة (والفقيه ابو بحر) بفتح موحدة وسكون مهملة وهو ابن العاص (بسماعى عليهما) اى منهما او واقع على كلامهما (والقاضى ابو عبد الله التميمى وغير واحد) اى وكثير (من شيوخنا) اى المحدثين (قالوا) اى كلهم (حدثنا ابو العباس العذرى) بضم مهملة وسكون ذال معجمة نسبة الى عذرة قبيلة (ثنا ابو العباس الرازى حدثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم (ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج) اى صاحب الصحيح (ثنا شيبان بن فروخ) بفتح فاء وضم راء مشددة فواو ساكنة فمعجمة غير منصرف للعجمة والعلمية وصرف فى نسخة قال التلمسانى وصرفه اكثر قيل عنده خمسون الف حديث وهو من التابعين (ثنا حماد بن سلمة) احد الاعلام روى عنه شعبة ومالك وابو نصر التمار قال عمرو بن عاصم كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر الفا (ثنا ثابت البنانى) بضم الموحدة وتخفيف النون بعدها الف فنون فياء نسبة الى قبيلة بنانة كان رأسا فى العلم والعمل يلبس الثياب الفاخرة ويقال لم يكن فى وقته اعبد منه اخرج له الائمة الستة وقال الذهبى هو ثابت كاسمه (عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتيت) بصيغة المجهول المتكلم (بالبراق) بضم الموحدة لشدة بريقه ولمعانه وسرعة سيره وطيرانه كالبرق (وهو دابة) اى مركوب (ابيض) وفيه ايماء الى ما قيل انه ليس بذكر ولا انثى (طويل) اى مائل الى الطول (فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه) بفتح فسكون اى نظره وبصره (قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس) اى حضرته وهو بفتح فسكون فكسر وعلى زنة محمد ايضا لان فيه يتقدس من الذنوب او لانه منزه عن العيوب قال التلمسانى وروى باب المقدس (فربطته) اى البراق (بالحلقة) باسكان اللام وفتحها (التى يربط) بضم الموحدة وكسرها (بها الانبياء) اى دوابهم عند باب المسجد كما صرح به صاحب

التحرير

التحرير وروى ما يأتى فيه ما ينافيه او البراق ان ثبت ان له الاسراء ايضا الى بيت المقدس ويؤيده ان ابراهيم عليه السلام كان يزور هاجر بمكة عليه ويقويه قول جبريل له فما ركبك احد اكرم على الله تعالى منه كما سيأتى وفى حديث الترمذى من طريق بريدة انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس اشار جبريل عليه السلام الى الصخرة فخرقها وربط البراق بها ويمكن الجمع بانه كان الخرق فيها مسدودا فاظهر خرقها ثم فى ربطه دليل على ان الايمان بالقدر لا يمنع الحازم من توقى المهالك والحذر فى السفر والحضر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اعقل وتوكل وقد قال وهب ابن منبه كذا وجدته فى سبعين كتابا من كتب الله القديمة ثم اعلم ان نسخ الشفاء كلها اتفقت على لفظ بها بضمير المؤنث وهو ظاهر وقال النووى فى شرح مسلم وهو فى الاصول يعنى اصول مسلم به بضمير المذكر اعاده على معنى الحلقة وهو الشئ انتهى ولا يخفى ان الاولى رجع الضمير الى خرقها بحذف مضاف او ارتكاب مجاز آخر فتدبر (ثم دخلت المسجد) اى الاقصى (فصليت فيه ركعتين) اى تحية المسجد (ثم خرجت) اى منه (فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن) اى امتحانا من الله تعالى قال التلمسانى هكذا فى مسلم وفى البخارى واناء من ماء وروى ثلاثة لبن وخمر وعسل وروى اربعة لبن وخمر وعسل وماء ولعل هذا هو الاظهر حيث عرض عليه من الانهار الاربعة الموعودة فى الجنة واختياره اللبن لانه مغن عن غيره بخلاف غيره وقيل العسل اشارة لزهرة الحياة الدنيا ولذتها او حلاوتها والماء للغرق ولذا قيل لو اخترته لغرقت وغرقت امتك ولعل المراد بغرقهم استغراقهم فى جمع المال الذى يؤدى الى سوء الحال ونقصان المآل واما الخمر فاشارة الى جميع الشهوات (فاخترت اللبن) اى واعرضت عن الخمر وروى فاخذت اللبن (فقال جبريل اخترت الفطرة) اى علامة الاسلام والاستقامة لكونه طيبا طاهرا سهل المرور فى الحلق سليم العاقبة سائغا شرابه وطيبا مذاقه والحرام الخبائث جالبة لانواع شرور الحوادث (ثم عرج بنا) اى صعد بنا (الى السماء) بنون المتكلم اما لتعظيمه او له ولمن معه فالضمير الى الله تعالى او جبريل او البراق وفى نسخة صحيحة بصيغة المجهول وجزم به الانطاكى وكذا فيما بعده وهو فى غاية من القبول مع الاشارة الى ان سيره من المسجد الاقصى الى السموات العلى لم يكن بالبراق بل بالمعراج الذى درجة له من ذهب واخرى من فضة وبه سميت القصة (فاستفتح جبريل) اى باب السماء الدنيا استئذانا للملائكة ولا يبعد ان يكون الاستفتاح كناية عن مجرد الاستئذان فلا يكون هنالك فتح واغلاق وهو الاظهر فى مقام ادب الاجلال والاستحقاق (فقيل من انت قال) اى جبريل (جبريل) اى انا جبريل (قيل ومن معك) اى لما كوشف لهم ان احدا معه او استدلوا باستئذانه على خلاف دأبه ومقتضى شأنه (قال محمد) اى هو او معى محمد (قيل أوقد بعث اليه) اى اطلب وقد بعث اليه للاسراء وصعود السماء وليس استفهاما عن بعثة الدعوة لبلوغها من الظهور فى الملكوت الى ما لا يخفى على الخزنة ولكونه اوفق بمقام الاستفتاح والاستئذان فى الجملة وقيل كان سؤالهم استعجابا بما انعم الله عليه من القربة واستبشارا بعروجه لحصول الرؤية ثم هذا مؤذن بان للسموات ابوابا حقيقة وعليها ملائكة موكلة هذا وفى رواية صحيحة ارسل اليه وهو قابل للتأويل المذكور مع انه لا يبعد ان تكون بعثة الرسالة خفيت على بعض الملائكة لكمال اشتغالهم بالعبادة على ما ذكره الطبرى (قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم صلى الله تعالى عليه وسلم فرحب بى) بتشديد الحاء اى قال لى مرحبا كما ورد مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح اى لقيت رحبا وسعة (ودعا لى بخير) اى فى الدارين (ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا) فيه ايماء الى ان اهل كل سماء لا يدرون عن حال اهل سماء اخرى او ارادوا التلذذ بهذه المذاكرة التى هى بالمحاورة احرى وفيه اشعار الى غاية بسط الزمان ونهاية طى المكان ولا يبعد ان تكون هذه المكالمة على لسان الملائكة او بالمناداة من غير الواسطة استقبالا لصاحب الرسالة كما يشير اليه تعبير الافعال بقيل ونحوه فى العبارة فيكون كلام الجبار مع سيد الابرار من وراء الاستار فى لباس الاغيار كما يقتضيه معنى المعية والحالة الجمعية من شهود عين الوحدة فى عين الكثرة (فاذا انا بابنى الخالة) لان ام يحيى ايشاع اخت مريم (عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا) ممدودا ومقصورا (صلى الله تعالى عليهما وسلم فرحبا بى ودعوا لى بخير) وفى نسخة صحيحة دعا لى بالياء ففى القاموس دعيت لغة فى دعوت (ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول) اى مثل ما ذكر فيما قبله من استفتاح الباب والسؤال والجواب وهذا اختصار من المصنف او من غيره والله تعالى اعلم (ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله تعالى عليه وسلم واذا هو قد اعطى شطر الحسن) اى نصفه او بعضه والمراد بالحسن جنسه او حسن حواء او حسن سارة او حسن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الاظهر والله تعالى اعلم وروى فى حديث مرفوع مررت بيوسف الليلة التى عرج بى الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته فقال كالقمر ليلة البدر وقال البغوى فى تفسيره انه ورث ذلك الجمال من جدته وكانت قد اعطيت سدس الحسن وقال

وقال ابن اسحق ذهب يوسف وامه يعنى جدته بثلثى الحسن انتهى فالمراد بالشطر البعض لا النصف كما قال البعض والله تعالى اعلم (فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه الصلاة والسلام) وهو سبط شيث وجد والد نوح اول مرسل بعد آدم عليه السلام واول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر فى علم النجوم والحساب واما قولهم ادريس مشتق من الدرس اذ قد روى ان الله تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة فلقب به لكثرة الدراسة فمدفوع بعدم صرفه للعلمية والعجمة (فرحب بى ودعالى بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا) هو شرف النبوة ومقام القربة وعن الحسن هو الجنة اذ قال لملك الموت اذقنى الموت ليهون على ففعل باذن الله تعالى ثم حيى فقال ادخلنى النار ازدد رهبة ففعل ثم قال له ادخلنى الجنة ازدد رغبة ففعل ثم قال له اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما انا بخارج فقال الله تعالى باذنى دخل دعه وقيل هو فى السماء الرابعة لهذا الحديث (ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا) بصيغة الفاعل منصوب على الحال كما فى مسلم وشرح السنة وفى بعض نسخ المصابيح مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اى وهو مسند (ظهره الى البيت المعمور) قال المصنف يستدل به على الاستناد الى القبلة وتحويل الظهر الى الكعبة وفى استدلاله نظر لاحتمال كون ابراهيم حينئذ متوجها الى الكعبة او الى العرش على خلاف ايهما افضل فى باب الاستقبال او باعتبار نظر ذى الجلال مع احتمال ان يكون التقدير مسندا ظهره الى شئ من اجزاء السماء او الى طرف من بابها متوجها الى البيت المعمور (واذا هو يدخل فيه كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه) اى اكثرهم وقد روى عن على كرم الله وجهه انه قال البيت المعمور فى السماء الرابعة يقال له الضراح وهو بمعجمة مضمومة ومهملة بينهما راء فالف من الضراحة بمعنى المقابلة اذ هو مقابل للكعبة كما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومن رواه بصاد مهملة فقد تصحف بصراح الغلط وروى ابو هريرة انه فى السماء الدنيا وقيل فى الرابعة وقيل فى السادسة ولعل كل بيت فى كل سماء يسمى البيت المعمور بالمعنى المذكور وانه فى السماء السابعة على القول المشهور الوارد فى حقها انه نقل من محل الكعبة الى السماء كما بين فى محله المسطور (ثم ذهب بى) اى جبريل وضبطه الانطاكى بصيغة المفعول (الى سدرة المنتهى) اى ينتهى علم الخلائق عندها وخصت السدرة لان ظلها مديد وطعمها لذيذ ورائحتها طيبة فشابهت الايمان الذى يجمع قولا ونية وعملا فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه واستداده وطعمها بمنزلة النية لكمونه ورائحتها بمنزلة القول لظهوره (واذا ورقها كاذان الفيلة) بكسر فاء وفتح تحتية جمع فيل قيل والاذان بالمد جمع الاذن (واذا ثمرها) كذا فى النسخ المصححة ووقع فى اصل الدلجى واذا نبقها (كالقلال) بكسر القاف جمع قلة كقباب جمع قبة وفى رواية كقلال هجر بفتحتين مدينة قرب المدينة يعمل بها القلال تسع الواحدة مزادة من الماء سميت قلة لانها تقل اى ترفع وتحمل وليست بهجر الذى هو من توابع البحرين (قال فلما غشيها) بفتح فكسر اى علاها وغطاها (من امر الله تعالى) اى من اجل امره وارادته او من آثار عظمته وانوار قدرته (ما غشى) اى ما غشيها كما فى نسخة وهو مستفاد من قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى (تغيرت) اى السدرة (عما غشيها) من اسرار القدرة (فما احد من خلق الله تعالى يستطيع) اى يقدر (ان ينعتها) اى يصف كيفية غشيتها او ماهية ما غشيها (من حسنها) اى من غاية ضيائها ونهاية بهائها فقيل هو فراش من ذهب فقيل لعله شبه ما غشيها من الانوار التى تنبعث منها وتتساقط على مواقعها بالفراش وجعلها من الذهب لاضاءتها وصفاء ذاتها وعن الحسن غشيها نور رب العزة فاستنارت (فاوحى الله الى ما اوحى) وهو تفسير لقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وفى ابهامه تفخيم للموحى كما لا يخفى (ففرض) اى الله تعالى كما فى نسخة (على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة) بيان لما اوحى كله او بعضه (فنزلت الى موسى) اى منتهيا اليه (فقال ما فرض ربك على امتك فقلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف) اى تخفيف هذا التكليف وان كان متضمنا للتعريف والتشريف ويجوز فى فاسأله التخفيف بالنقل وغيره كما قرئ بهما فى السبعة (فان امتك) اى جميعهم (لا يطيقون ذلك) وكانه علم عليه الصلاة والسلام ضعفنا وعجزنا فرحمنا فجزاه الله تعالى افضل الجزاء عنا ثم علل ذلك بقوله (فانى قد بلوت بنى اسرائيل) اى جربتهم وبلاء وابتلاء بمعنى وفى الحديث اللهم لا تبلنا الا بالتى هى احسن (وخبرتهم) بتخفيف الموحدة عطف تفسيرى او اشارة الى انه جربهم مدة بعد مدة والمعنى امتحنتهم وعالجتهم فلقيت منهم الشدة وعدم الطاقة فيما قصدت منهم من تحمل الكلفة وقبول الطاعة (فرجعت الى ربى) قال النووى معناه رجعت الى الموضع الذى ناجيته اولا فناجيته فيه ثانيا (فقلت رب خفف عن امتى) اى الضعفاء وفيه ايماء الى قوة الانبياء والاصفياء اذ كثير منهم واظبوا على الف ركعة

فى اليوم والليلة وقد اشار موسى عليه السلام الى هذا المعنى فيما سبق من المبنى وبهذا يظهر ضعف قول الدلجى لم يقل خفف عنى حياء من ربه لسؤاله التخفيف عنه (فحط عنى) اى فوضع عنى فى ضمن الحط عن امتى (خمسا) ولم يقل عن امتى لئلا يتوهم بقاء فرضية الخمسين عليه وفيه اشارة الى ان من كان لله كان الله له (فرجعت الى موسى فقلت حط عنى خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك) اى لا يقدرون على هذا القدر ايضا (فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربى) وفى نسخة بين يدى ربى (تعالى وبين موسى) اى بين موضع مناجاتى له تعالى وملاقاتى لموسى ويجوز ان يكون الرجوع بمعنى المراجعة فى السؤال واحضار البال والله تعالى اعلم بالحال (حتى قال) اى الرب سبحانه وتعالى (يا محمد انهن) ضمير مبهم تفسيره قوله (خمس صلوات) ذكره الدلجى والاظهر ان يقال التقدير ان الصلاة المفروضة او الخمسين خمس صلوات محتمة (كل يوم وليلة) بالنصب على الظرفية وفى نسخة فى كل يوم وليلة (لكل صلاة) اى من الخمس (عشر) اى ثواب عشر صلوات (فتلك خمسون صلاة) اى بحسب المضاعفة ولعل هذه المراجعة منهما لما الهم اليهما حيث لم يكن الوجوب حتما مبرما او واجبا او لانه رحمنا فسخها بيانا فيجوز نسخ وجوب الشئ قبل وقوعه كنسخ وجوب ذبح اسماعيل عند قصده تبيانا لمحل فضله وكرمه ثم لما كانت نية نبينا وهمة صفينا له اصالة ولاتباعه نيابة ان يقوم بوظيفة خمسين صلاة وجوزى بذلك حيث خفف عليهم فى الكمية وزيد لهم فى الكيفية ذكر قضية كلية وقاعدة مطردة قياسية فى ضمن الحديث القدسى والكلام الانسى بقوله (ومن هم بحسنة) اى من صلاة نافلة وغيرها بان قصدها وعزم على فعلها (فلم يعملها) اى لعاقة عن عملها (كتبت له حسنة) بصيغة المجهول ونصب حسنة على المصدرية والمعنى كتبت له الحسنة التى هم بها ولم يعملها كتابة واحدة لان الهم سببها وسبب الحسنة حسنة فوضع حسنة موضع المصدر وفى بعض النسخ بصيغة الفاعل والاسناد الى المتكلم وهو ظاهر لكن لا يلائم ما بعده لم تكتب (فان عملها كتبت له عشرا) وهذا اقل المضاعفة كما قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها (ومن هم بسيئة فلم يعملها) اى فلم يقدر على عملها (لم تكتب) اى تلك السيئة التى هم بها (شيأ) اى ولا سيئة واحدة اذا ندم وتركها الله تعالى بل تكتب له حسنة لاجلها كما ورد كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة وقد زاد مسلم فى رواية انما تركها من جراى بفتح الجيم وتشديد الراء اى من اجلى او شيأ من الزيادة اذا كان همها باقيا فان هم السيئة المصمم سيئة وشيأ او عشرا منصوبان وفى بعض نسخ المصابيح مرفوعان ولعله غلط من الناسخ (فان عملها كتبت له سيئة واحدة) اى بانه راج الهم فى العمل حيث لا مضاعفة فى السيئة كما يستفاد الحصر من قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها (قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة صحيحة فقلت (قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه) بياءين وفى نسخة بياء واحدة ولعل وجه الحياء هو ان المبالغة فى تخفيف العبادة نوع من الجفاء والقيام بما تعين وتحتم من باب الوفاء فى تحمل البلاء لحصول الولاء هذا ولعل الحكمة فى وجوب الصلاة ليلة الاسراء للايماء الى انها معراج المؤمن الى اعلى كمالاته ومقاماته ومحل مناجاته من بين عباداته وكمال ترقى منازل سعاداته واما حكمة ظهور الانبياء المذكورين بخصوصهم من بين عمومهم وتخصيص كل بسماء المشير الى مراتب علوهم فلم يتكلم به احد من السلف ولم يظهر تحقيقه من الخلف فتبعنا السابقين كما هو وظيفة اللاحقين ثم الصلوات الخمس فرضت بمكة اتفاقا وكذا الزكاة مطلقا واما تفصيلها فبينت بالمدينة وفرض رمضان ثم الحج بها ايضا فما ذكره التلمسانى من انه فرضت الصلاة والزكاة والحج ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وفرض صيام رمضان وزكاة الفطر وهو بمكة خطأ فاحش (قال القاضى رضى الله تعالى عنه) كذا فى النسخ لكن الاولى ان يقال رحمه الله تعالى لان الترضية فى العرف مختصة بالصحابة كما ان التصلية والتسليم مختصان بالانبياء والعزة والجلالة بالله سبحانه وتعالى (جود) بتشديد الواو اى حسن (ثابت) اى البنانى (رحمه الله تعالى) وفى نسخة رضى الله تعالى عنه (هذا الحديث) اى بيان روايته وضبط عبارته الدالة على درايته (عن انس رضى الله عنه ماشاء) اى ماشاء الله تعالى من تجويده وتحسينه وتحريره (ولم يأت احد) اى من الرواة (عنه) اى عن انس رضى الله تعالى عنه (اصوب من هذا) اى اقرب الى الصواب من هذا المروى فى هذا الكتاب (وقد خلط) بتشديد اللام (فيه) اى فى هذا الحديث (غيره) اى غير ثابت من الرواة (عن انس) رضى الله تعالى عنه (تخليطا كثيرا) اى وتخبيطا كبيرا (لا سيما) اى خصوصا ما ورد (من رواية شريك ابن ابى نمر) اى عن انس وشريك هذا بفتح الشين ونمر بفتح نون وكسر ميم قرآمدنى روى عن ابن انس وابن المسيب وجماعة وعنه مالك وانس بن عياض وطائفة قال ابن معين لا بأس به وقال النسائى ليس بالقوى انتهى وشريك هذا تابعى صدوق وثقه ابو داود وقال ابن عدى روى عنه مالك رحمه الله تعالى فاذا روى عنه ثقة

فانه ثقة ووهاه الحافظ ابو محمد ابن حزم لاجل حديثه فى الاسرآء الذى اشار اليه القاضى وله فيه اوهام معروفة وقد نبه مسلم على ذلك بقوله فى صحيحه وقدم فيه شيأ واخر وزاد ونقص انتهى وقال الحافظ عبد الحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر رواية شريك هذا فقد روى حديث الاسرآء جماعة من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن انس فلم يأت احد منهم بما اتى به شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة وشريك ليس بالحافظ عند اهل الحديث انتهى والاماكن فى حديث الاسرآء معدودة عند اهل العلم فيقال اربعة ويقال ثمانية ذكره الحلبى (فقد ذكر) اى شريك (فى اوله) اى مبدأ حديثه (مجيء الملك له) اى لاجله (وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا) اى ماذكر كله (انما كان وهو صبى وقبل الوحى) فيه انه يمكن تعدده فلا وهم الا بسبب ما بينه المصنف بقوله (وقد قال شريك فى حديثه) اى هذا بعينه (وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسرآء) اى معه (ولا خلاف انها) اى فى ان قصة الاسرآء (كانت بعد الوحى) فثبت وهمه بهذا التعارض الواقع بين كلاميه ولكن قال الامام الحافظ ابو محمد الحسين البغوى هذا الاعتراض الذى اعترض به على رواية شريك لا يصح عندى لان ذلك كان رؤيا فى النوم اراه الله تعالى عز وجل قبل الوحى بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو بالمسجد الحرام ثم عرج به فى اليقظة بعد الوحى تحقيقا لرؤياه من قبل كما انه راى عليه الصلاة والسلام فتح مكة فى المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق انتهى وبهذا الجمع يزول الاشكال عن قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس فيكون التقدير تصديق الرؤيا وتحقيقها اذ لا تترتب الفتنة على نفس الرؤيا كما لا يخفى (وقد قال غير واحد) اى كثير من علماء المحدثين (انها كانت) اى قصة الاسرآء (قبل الهجرة بسنة) فقد ذكر النووى ان معظم السلف وجمهور المحدثين والفقهاء على ان الاسرآء كان بعد البعثة بستة عشر شهرا وقال السبكى الاجماع على انه كان بمكة والذى نختاره ما قاله شيخنا ابو محمد الدمياطى انه قبل الهجرة بسنة وهو فى ربيع الاول انتهى وروى السيد جمال الدين المحدث فى روضة الاحباب انه كان فى سبعة وعشرين من شهر رجب على وفق ما هم عليه فى الحرمين الشريفين من العمل وقيل فى ربيع الآخر وقيل فى رمضان وقيل فى شوال وقيل بعد نقض الصحيفة وقيل بعد بيعة العقبة وقيل اسرى به فى الحجة لانه كان ابن احدى وخمسين سنة وتسعة اشهر وثمانية وعشرين يوما وقيل ليلة اثنى عشر من ربيع الاول ليلة الاثنين منه فيكون زمان معراجه كميلاده ومدراجه باعتبار يوم الاثنين وشهر ربيع الاول والله سبحانه وتعالى اعلم (وقيل قبل هذا) اى قبل ما قبل الهجرة وفى نسخة غير هذا اى غير هذا القول الا انهم اتفقوا على انها كانت بعد الوحى (وقد روى ثابت) اى البنانى (عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان) جمع غلام يعنى الصبيان (عند ظئره) بكسر اوله اى مرضعته حليمة او زوجها الذى لبن امته فانه يطلق عليهما (وشقه) اى وكذا روى ثابت شق جبريل (قلبه تلك القصة) بدل اشتمال على كل واحدة من القصة حال كونها (منفردة من حديث الاسرآء) اى غير منضمة الى قصة المعراج (كما رواه الناس) اى كما رواه غيره من الرواة الثقات (فجود) اى ثابت (فى القصتين) اى قصة الشق وقصة الاسرآء حيث لم يخلط بينهما (وفى ان الاسرآء) اى ولا خلاف فى ان الاسرآء (الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس) اى اولا (ثم عرج من هنالك) اى من بيت المقدس الى سدرة المنتهى عند من قال بالجمع بينهما من اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة (فازاح) اى ازال ثابت (كل اشكال اوهمه غيره) اى من شريك ونحوه فى روايتهم (وقد روى يونس) اى ابن يزيد الايلى وهو الحافظ ابو بكر الشيبانى سمع ابن اسحق وابن شهاب والاعمش قال ابن معين صدوق وقال ابو داود ليس بحجة يواصل كلام ابن اسحق بالاحاديث (عن ابن شهاب) اى الزهرى (عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرج) بصيغة المجهول مشددا ومخففا اى كشف وفتح (سقف بيتى فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدرى) اى شق كما فى رواية ومنه قوله تعالى واذا السماء فرجت اى انشقت كما فى آية اخرى (ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها) اى الحكمة وما فى معناها او من مقتضاها (فى صدرى ثم اطبقه) اى غطاه واصلحه (ثم اخذ بيدى فعرج بنا الى السماء وذكر) اى يونس (القصة) اى قصة المعراج بطولها (وروى قتادة الحديث) اى حديث الاسراء (بمثله) اى بمثل مروى يونس (عن انس) اى ابن مالك (عن مالك بن صعصعة) اى الخزرجى المازنى له حديث الاسرآء اخرج له البخارى ومسلم والترمذى والنسائى واحمد فى مسنده وليس له فى الكتب غير حديث الاسرآء على ماذكره الحلبى قال النووى فى تهذيبه روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة احاديث اتفق البخارى ومسلم على احدها وهو حديث الاسرآء والمعراج وهو احسن احاديث الاسرآء

انتهى

انتهى وكذا ذكر ابن الجوزى فى تنقيحه ان له خمسة احاديث (وفيها) اى وفى رواية قتادة عن انس بن مالك (تقديم وتأخير وزيادة ونقص) اى فى بعض مواضعها (وخلاف فى ترتيب الانبياء فى السموات) اى بالنسبة الى بعضهم وبعضها (وحديث ثابت) اى البنانى (عن انس اتقن واجود) اى من حديث قتادة عن انس عن مالك وكذا عن غيره مما قدمه على ما تقدم والله تعالى اعلم (وقد وقعت فى حديث الاسرآء زيادات) اى من الفوائد على اختلاف روايات (نذكر منها) اى من جملتها (نكتا) بضم ففتح جمع نكتة وجمعها ايضا نكات وهى بمعنى النقط وتطلق على معانى لطيفة (مفيدة فى غرضنا) اى مقصودنا فى هذا الباب من الكتاب (منها فى حديث ابن شهاب) اى الزهرى (وفيه) اى وفى حديثه الذى رواه (قول كل نبى له) اى مختصا له صلى الله تعالى عليه وسلم (مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح) اى بدل والاخ الصالح لانه كان من ذرية اسمعيل واقوله تعالى ملة ابيكم ابراهيم واما ما يقوله اهل النسب والتاريخ ان ادريس اب من آباء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه جد نوح عليه السلام فانه لا ينافى كونه اباله فان قوله الاخ الصالح يحتمل انه قاله تأدبا وتلطفا وهو اخ له وان كان ابنا فان الانبياء اخوة والمؤمنون اخوة (وفيه) اى وفى حديث الزهرى اوفى حديث الاسرآء (من طريق ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كما اخرجه البخارى (ثم عرج بى) بصيغة المفعول او الفاعل (حتى ظهرت بمستوى) بصيغة المجهول فى اوله باء اولام اى صعدت بمكان عال اوفى مكان مرتفع وقيل الباء بمعنى على وقيل هو عبارة عن فضاء فيه استوآء (اسمع فيه صريف الاقلام) اى صوت حركتها وجريانها على المخطوط فيه مما تكتبه الملائكة من اقضية الله سبحانه وتعالى ووحيه وينسخ من اللوح المحفوظ ومنه قوله تعالى كل يوم هو فى شأن وفى نسخة صرير براءين وهو اشهر فى اللغة على ما صرح به بعضهم ثم جمع الاقلام يحتمل ان يكون للتعظيم اولكثرة فى التجسيم (وعن انس رضى الله تعالى عنه) اى مرفوعا (ثم انطلق بى) بصيغة المجهول او المعلوم (حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان) اى اصناف من الانوار وانواع من الاسرار (لا ادرى ما هى) اى ماهيتها وحقيقتها (قال ثم ادخلت الجنة وفى حديث مالك بن صعصعة رضى الله عنه) اى كما رواه الشيخان وغيرهما (فلما جاوزته يعنى موسى عليه السلام) تفسير من بعض الرواة (بكى) اى تأسفا على قومه اذ لم يتبعوه فينتفعوا به انتفاع هذه الامة بنبيهم اذ لا حسد فى ذلك العالم لآحاد المؤمنين فضلا عن الانبياء والمرسلين كذا قرره الدلجى وغيره ويؤيده قوله يدخل من امته الجنة اكثر من امتى ولا يبعد ان يراد به الغبطة على تلك المنزلة وكثرة الامة والظاهر انه لمجاوزته عن مقامه ومرتبته كما يشير اليه قوله فلما جاوزته ولما سيأتى صريحا من قول موسى عليه السلام لم اظن ان يرفع على احد ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام لقيت موسى فى السماء السادسة فلما جاوزته بكى وقال يزعم بنو اسرآئيل انى اكرم ولد آدم وقد جاوزنى هذا وكانه سلم التقديم لابراهيم لكونه جداله يحق له التعظيم مع سبقه عليه سبعمائة سنة فى مقام التقديم ولذا عبر عنه عليه الصلاة والسلام بالغلام فتأمل فى هذا المقام لعله يتبين لك المرام ثم الاظهر ان وجه الغبطة فى القربة امور كثيرة من انواع علو الرتبة (فنودى ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته) وفى نسخة بعث (بعدى يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتى) ولعله سماه غلاما مع كونه حينئذ كهلا او شيخا على اختلاف القولين فى تعريفهما والغلام انما يطلق فيمن بلغ سبعا او ثمانى وقد يطلق على الطفل تفاؤلا وقد يقال له ما دام شابا فكانه نظر الى قصر عمره وتأخر عصره مع جموم مناقبه وعموم مراتبه (وفى حديث ابى هريرة) اى ومنها فى حديثه الذى رواه البيهقى وغيره (وقد رأيتنى) بضم التاء حكاية عن نفسه وفى اصل الدلجى ولقد رأيتنى (فى جماعة من الانبياء) اى باجسامهم او بارواحهم ممثلة بصورهم التى كانوا عليها (فحانت الصلاة) اى دنت الصلاة الجامعة لعظمة تلك الواقعة وقد ابعد الدلجى فى قوله ولعلها صلاة الصبح اذ الاسرآء لا يكون الا آخر الليل وهى مما فرض على الانبياء انتهى وقد سبق ان ابتدآء الاسرآء كان بعد صلاة العشاء وهو لم يكن الا زمنا قليلا من الليل على ما يفيده تنكير ليلا فلا يتصور حمله على صلاة الصبح اصلا (فاممتهم) بتخفيف الميم الثانية اى صليت بهم تلك الصلاة اماما وقال النووى فى بعض فتاويه يحتمل ان تكون صلاته بالانبياء ليلة الاسرآء ببيت المقدس قبل صعوده الى السماء ويحتمل ان تكون بعد نزوله منها قلت وهذا يتوقف على صحة ان يكون رجوعه اليه منها ثم قال واختلف العلماء فى هذه الصلاة فقيل انها الصلاة اللغوية وهى الدعاء والذكر والثناء وقيل هى الصلاة المعهودة المعروفة وهذا اصح لان اللفظ يحمل على الحقيقة الشرعية قبل اللغوية الا اذا تعذر حمله على الشرعية ولم يتعذر هنا فوجب الحمل على الحقيقة الشرعية وكان قيام الليل واحياؤه واجبا قبل ليلة الاسرآء ثم نسخ ليلة الاسرآء ووجبت فيها الصلوات الخمس (فقال قائل منهم يا محمد هذا مالك خازن النار) فيه اشعار بان الصلاة كانت فى السماء وفى رواية انها كانت فى المسجد

الاقصى ولامنع من الجمع ولا النزول مالك وان كان مقره فى السماء (فسلم عليه) بصيغة الامر لانه عليه السلام كالقائم وهو كالقاعد والقائم يسلم على القاعد وان كان مفضولا (فالتفت) اى نظرت اليه (فبدأنى بالسلام) لانه كان بمنزلة الوافد او عملا بالافضل خصوصا مع التأدب بالنبى الاكمل واما ما قيل انما بدأه به ليزيل ما يستشعره من الخوف منه فليس فى محله (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى المحكى عنه ما تقدم من الزيادة (ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه) اى براقه (الى صخرة) اى قريبة من صخرة بيت المقدس او الى صخرة عظيمة معروفة مشهورة فى وسط المسجد الاقصى قال البرقى فى غريب المواطن قيل ان مياه الارض كلها تخرج من تحت صخرة بيت المقدس وهى من عجائب مخلوقات الله تعالى فى ارضه ومن غرائبها فانها صخرة صماء فى وسط المسجد الاقصى مثل الجبل بين السماء والارض قد انقطعت عن الارض كلها من كل جهة لا يمسكها الا الله الذى امسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وفى اعلاها من جهة الجرف موضع قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسراء قد مالت من تلك الجهة من هيبته ومن الجهة الاخرى اثر اصابع الملائكة التى امسكتها اذ مالت به ذكره التلمسانى اعلم ان التعبير بالفرس جاء فى تذكرة القرطبى برواية البيهقى عن الربيع بن انس عن ابى العالية عن ابى هريرة وكذا رواه الطبرانى وجاء فى التفسير فى سورة الملك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومقاتل والكلبى فى قوله تعالى خلق الموت والحياة ان الموت والحياة جسمان فجعل الموت فى هيئة كبش لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الا مات وخلق الحياة على صورة فرس انثى بلقاء وهى التى كان جبريل والانبياء عليهم السلام يركبونها خطوها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشئ يجد ريحها الا حيى ولا تطأ شيأ الا حيى وهى التى اخذ السامرى من اثرها والقاه فى العجل حكاه الثعلبى والقشيرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والماوردى عن مقاتل انتهى فلا يحتاج الى ما تكلف بعضهم من القول بتعدد الاسراء والله تعالى اعلم (فصلى مع الملائكة) اى الحاضرين من الزائرين (فلما قضيت الصلاة) بصيغة المجهول (قالوا يا جبريل من هذا معك فقال) وفى نسخة قال (هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله) جملة دعائية اما من الحياة بمعنى البقاء اى بقاه الله وابقاه بمعنى عمره او من التحية اى سلمه الله او سلم عليه (من اخ) اذ المؤمنون اخوة عموما والانبياء خصوصا لحديث الانبياء اخوة بنو علات ابوهم واحد اى الايمان وامهاتهم شتى يعنى الشرائع (وخليفة) اى لله فى الارض حيث يحكم بحكمه من امره ونهيه (فنعم الاخ ونعم الخليفة) اى هو صلى الله عليه وسلم (ثم لقوا) اى النبى وجبريل ومن معه من الملائكة او لان الاثنين اقل الجمع او جمع للتعظيم والمعنى ثم لقى (ارواح الانبياء) اى ممثلة او منضمة الى اشباحهم ولعل الاقتصار على الارواح لكمال صفائهم وضيائهم ثم هذه الملاقاة اما ببيت المقدس بعد انقضاء الصلاة او بعد العروج فى مراتبهم من السموات (فاثنوا على ربهم) اى شكرا لما انعم عليهم (وذكر) اى ابو هريرة (كلام كل واحد منهم) اى مما اثنوا على ربهم (وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام ثم ذكر كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فيما اثنى على ربه روى ان ابراهيم عليه السلام قال الحمد لله الذى اتخذنى خليلا واعطانى ملكا عظيما وجعلنى امة قانتا يؤتم بى وانقذنى من النار وجعلها بردا وسلاما وقال موسى عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى كلمنى تكليما واصطفانى وانزل على التوراة وجعل هلاك فرعون ونجاة بنى اسرائيل على يدى وجعل من امتى قوما يهدون بالحق وبه يعدلون وقال داود عليه السلام الحمد لله الذى جعل لى ملكا عظيما وعلمنى الزبور والان لى الحديد وسخر لى الجبال يسبحن معى والطير وآتانى الحكمة وفصل الخطاب وقال سليمان عليه السلام الحمد لله الذى سخر لى الرياح وسخر لى الشياطين يعملون لى ما شئت من محاريب وتماثيل وعلمنى منطق الطير وآتانى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وجعل ملكى ملكا طيبا ليس فيه حساب وقال عيسى عليه السلام الحمد لله الذى جعلنى كلمته وجعلنى مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وجعلنى اخلق من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله تعالى وجعلنى ابرئ الاكمه والابرص واحيى الموتى باذن الله تعالى ورفعنى وطهرنى واعاذنى وامى من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل (فقال) اى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه (وان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربى الحمد لله الذى ارسلنى رحمة للعالمين) اى لعامة الخلق (وكافة للناس) اى اجمعين كما فى نسخة (بشيرا) اى بالثواب (ونذيرا) اى بالعقاب (وانزل على الفرقان) اى المبالغ فى الفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام (فيه تبيان لكل شئ) اى من مهمات امور الدنيا والدين اما بالنص او بالاحالة على السنة لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا او بالحث على الاجماع لقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين

او بالقياس لقوله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار (وجعل امتى خير امة) اى اخرجت للناس الاية (وجعل امتى امة وسطا) اى خيارا عدولا او معتدلين فى اعمارهم واخلاقهم وارزاقهم مقتصدين فى اعمالهم (وجعل امتى هم الاولون) اى فى دخول الجنة (وهم الآخرون) اى فى حصول الخلقة وفى اتيان ضمير الفصل تبيان انهم هم المختصون بهذا الفضل كذا ذكره الدلجى لكن فيه بحث اذهم فى هذا التركيب مبتدأ والاولون خبره والجملة فى محل نصب على انه مفعول ثانى لجعل هذا وفى صحيح مسلم نحن الآخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق نحن اول من يدخل الجنة (وشرح لى صدرى) اى لبسط مناجاة الحق ودعوة الخلق (ووضع عنى وزرى) اى ثقل حمل اعباء النبوة وما ترتب عليه من لاواء المشقة (ورفع لى ذكرى) اى باقتران اسمه لاسمه واشتراط طاعته لرسمه (وجعلنى فاتحا) اى لابواب التحقيق واسباب التوفيق وحاكما فى خلقه او بادئا فى ظهور امره ووجود نوره ويناسبه قوله (وخاتما) اى وجعلنى خاتم النبيين والاظهر ان يقال معناهما اولا وآخرا لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال كنت اول الانبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث (فقال ابراهيم بهذا) اى بمجموع ما ذكر فيما حمده وشكره (فضلكم محمد) ايها الانبياء وهو بتخفيف الضاد اى بهذا صار افضلكم (ثم ذكر) اى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه (انه) اى جبريل (عرج به) وفى نسخة بصيغة المجهول فضميرانه للشان (الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم) فيه ايماء الى ان ملاقاته الانبياء هذه كانت ببيت المقدس والله تعالى اعلم (وفى حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) اى مما رواه ابو نعيم فى دلائله وابن عرفة فى جزئه (وانتهى بى) يعنى جبريل عليه السلام قاله الدلجى لكنه بصيغة المجهول فى النسخ المصححة (الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة) كذا فى مسلم قال النووى فى جميع اصوله وعن المصنف هو الاصح وقول الاكثرين ومقتضى تسميتها بالمنتهى انها فى السماء السابعة ولذا صحح فى بعض النسخ المعتمدة بلفظ السابعة وقد جمع بينهما النووى بان اصلها فى السادسة ومعظمها فى السابعة انتهى وفى الروايات الاخر من حديث انس رضى الله تعالى عنه انها فوق السماء السابعة قال المصنف وخروج النهرين الظاهرين النيل والفرات من اصلها مؤذن بانه فى الارض انتهى وفيه بحث لا يخفى ومع تسليم ظاهر ما ادعى يمكن الجمع بان مبدأها فى الارض ومعظمها فى السماء السادسة وانتهاؤها ومحل اثمارها وغشيان انوارها فى السماء السابعة ويؤيده قوله (واليها) اى الى السدرة (ينتهى ما يعرج به من الارض) بصيغة المجهول وكذا قوله (فيقبض منها) اى تقبضه الملائكة الموكلون فيها باخذ ما صعد به من الاعمال والارواح اليها (واليها ينتهى ما يهبط) اى ينزل (من فوقها فيقبض منها) اى فيقبضه من اذن له بقبضه وايصاله الى من قضى له به وفى حاشية قال ابن عباس والمفسرون سميت سدرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهى اليها ولم يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم (قال) اى الله سبحانه وتعالى (اذ يغشى السدرة ما يغشى) اى يغطيها ما يغطى مما يصعد اليها من تحتها او يهبط عليها من فوقها وهذه عبارة لم ار من عبر بها او بهذا يجمع بين روايات مختلفة اذ روى انه يغشاها جم غفير من الملائكة وفى رواية رفرف من طير خضر وتقدم عن الحسن انه نور رب العزة (قال) اى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (فراش من ذهب) الفراش بفتح الفاء الطائر الذى يلقى نفسه فى ضوء السراج وقد يطلق على الحباب الذى يعلو النبيذ ونحوه وقد ذهب توجيهه (وفى رواية ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى ومنها فى روايته (من طريق الربيع بن انس رحمه الله تعالى) والربيع هذا بصرى نزل خراسان روى عن جماعة من الصحابة وروى عنه الثورى وابن المبارك وطائفة (فقيل لى هذه) اى المشار اليها (سدرة المنتهى) وفى نسخة صحيحة السدرة بالالف واللام قال الانطاكى هذا ما وقع فى النسخ فى هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفى باقى الروايات سدرة المنتهى بدونهما وكذا وقع فى صحيح مسلم السدرة بالالف واللام فى قوله عليه الصلاة السلام ثم ذهب بى الى السدرة المنتهى قال النووى فى شرحه وفى غيره من الروايات سدرة المنتهى يعنى بدون الالف واللام ولم يذكر لذلك علة (ينتهى اليها كل احد) اى روحه او عمله او بكليته عند دخول جنته (من امتك خلا على سبيلك) اى مضى على طريقتك ومنه قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اى مضى فى منذر واما ما ضبط فى حاشية بضم الخاء وتشديد اللام على انه مبنى للمفعول فتصحيف وتحريف (وهذه سدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن) بهمزة ممدودة او مقصورة كما قرئ بهما فى السبعة اى غير متغير طعما ولونا وريحا (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) لعل الاقتصار على الطعم لان مدار التغير عليه او للزوم تغيره بتغير لونه وريحه (وانهار من خمر لذة) تأنيث لذ اى لذيذة او ذات لذة (للشاربين) وقد يقال وصفها بلذة للمبالغة كانها نفسها وعينها (وانهار من عسل مصفى) اى مخلص من خلط شمع وغيره من فضلات النحل وغيرها فانه مخلوق لا من صنع نحل (وهى) اى سدرة المنتهى (شجرة) اى عظيمة (يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما) وفى رواية الترمذى مائة سنة

(وان ورقة منها) اى من اوراق تلك الشجرة بسبب كبرها وكثرة طولها او عرضها (مظلة الخلق) بضم الميم وكسر الظاء
المعجمة من الاظلال وفى نسخة بفتحهما اى محل ظلالهم والمعنى ان ظلها شامل لهم حافل عليهم والتشبيه السابق
لورقها باذان الفيلة من خشية الهيبة لا ينافى كبرها باعتبار العظمة (فغشيها نور) اى نور عظيم من الانوار الالهية
لقوله (وغشيها الملائكة) اى بانوارهم الملكية فبقى نور على نور وقيل غشيها ملائكة كامثال الطير يقعن على الشجر
وهذا التقرير اولى من قول الدلجى فى قوله غشيها نور لعله نور الملائكة حين اقبلت اذ قد خلقت من نور ثم رأيت فى
حاشية انه فى التفسير فغشاها نور رب العزة وقد سبق انه قول الحسن فهو احسن (قال) اى الراوى (فهو قوله تعالى
اذ يغشى السدرة ما يغشى) اى فما سبق هو معنى قوله تعالى ما يغشى وايضاح له بعد ابهامه تفخيما وتعظيما وتكثيرا
لما يغشاها (فقال تبارك) اى تكاثر خيره وتزايد بره (وتعالى) اى تنزه شأنه وتبين برهانه (له) اى للنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم (سل) اى تعط (قال انك اتخذت ابراهيم خليلا) اى والخلة اعظم خلة اذ هى كرامة جليلة ومقامة
جميلة تشبه كرامة الخليل عند خليله مأخوذة من الخلال فانها ود يتخلل النفس ويخالطها وقد روى ان ابراهيم عليه
السلام بعث الى خليل له بمصر يمتار منه لأزمة اى شدة منه اصابت الناس فقال لو ان ابراهيم اراد ذلك لنفسه فعلت
ولكن يريد لاضيافه وقد علم ابراهيم ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها اوعيتهم فوجده دقيقا
حوارى فخبز منه فشم ابراهيم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقيل من خليلك المصرى فقال بل من خليلى الله
فسماه الله تعالى خليلا (واعطيته ملكا عظيما) اى ملكا جسيما كما قال الله تعالى فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة
وآتيناهم ملكا عظيما اى آل ابراهيم معه ومنهم داود وسليمان (وكلمت موسى تكليما) اى وعظمته بذلك تعظيما وتكريما
(واعطيت داود ملكا عظيما) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه كان اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل
ليلة ستة وثلاثون الف رجل ذكره البغوى فى تفسيره (والنت له الحديد) اى كالشمع لا يحتاج الى احماء وطرق
(وسخرت له الجبال) اى معه كما فى اصل الدلجى وقد قال الله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق
والطير محشورة كل له اواب (واعطيت سليمان ملكا عظيما) اجمله ثم فصله بالعطف التفسيرى فى قوله (وسخرت له الجن
والانس والشياطين) اى كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد (واعطيته ملكا لا ينبغى) اى لا يوجد (لاحد
من بعده) وهذا تعميم بعد تخصيص واعادة لما فيه زيادة وتلويح الى ما حكاه الله عنه رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى
لاحد من بعدى وانما قاله ليكون له معجزة خارقة للعادة لا انه قصد به الحسد فى الرياسة والمنافسة اولئلا يقع احد فيما
وقع فيه من ابتلاء الحالة التى لا تخلو من نوع المحاسبة والمناقشة وصنف من المخاطرة من نقصان كمال المرتبة (وعلمت
عيسى التوراة) اى تبعية (والانجيل) اصلية بروى وعلمت موسى التوراة وعيسى الانجيل (وجعلته يبرئ الاكمه) اى
من ولد اعمى اوهو الممسوح العين (والابرص) اى من بيدنه بياض امهق كالجص روى انه ربما اجتمع الالوف عليه
ومن لم يطق اتيانه ذهب اليه وما يداوى الا بالدعاء لديه والمعنى ان هذا فى حال الكبر (واعذته وامه من الشيطان الرجيم)
اى فى حال الصغر (فلم يكن له) اى الشيطان (عليهما سبيل) اى لقوله سبحانه ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
ولاستعاذة جدته حنة امرأة عمران (فقال له ربه تعالى) اى تسلية لنبينا عن مرتبة الغبطة بالعطية من اعلى الرتبة
(قد اتخذتك حبيبا) والمحبة اخص من الخلة فانها من حبة القلب ولان الفعيل يحتمل معنى الفاعلية والمفعولية
فله الجمع بين مرتبتى المحبية والمحبوبية ويؤيده ان فى نسخة صحيحة خليلا وحبيبا وهى فى ارادة هذا المعنى صريحة
واما قوله (فهو مكتوب فى التوراة محمد حبيب الرحمن) فلا ينافيه ما قدمناه من البيان اذ ذكر بما خص به من مقام
الاعيان هذا وقد قال الدلجى هذا مدرج من كلام الراوى اقامة بينة لصحة زيادة رواية ابى هريرة رضى الله تعالى
عنه ولعل وجه تخصيص اضافته الى الرحمن لكونه رحمة للعالمين من عند ارحم الراحمين (وارسلتك الى الناس كافة)
اى رسالة عامة فارساله الى الناس تعميما يفيد تعظيما بالنسبة الى من اوتى ملكا عظيما ثم زاد عليه بما ضم اليه من قوله
(وجعلت امتك هم الاولون) اى فى دخول الجنة شهودا (وهم الاخرون) اى فى الدنيا وجودا (وجعلت امتك) اى
امة الاجابة (لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى) اى ولو خارج الخطبة فلا يرد على ابى حنيفة فى
تجويز الخطبة على نحو تسبيحة وتحميدة او المراد بالامة امة الاجابة والمراد بنفى الجواز انه لا ينبغى ترك الشهادة لاسيما
حال القدرة فالمعنى على نفى الكمال لحديث كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء اى ناقصة مقطوعة الفائدة
لحديث كل امر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله او بالحمد لله فهو اجذم او ابتر او اقطع روايات (وجعلتك اول النبيين
خلقا) اى لانه سبحانه وتعالى خلقه قبل آدم فلما خلق آدم قذفه فى صلبه فلم يزل فى صلب كريم الى رحم طاهر من
السفاح حتى خرج من بين ابويه فكان اولهم خلقا ووجودا (وآخرهم بعثا) وشهودا مع زيادة انه اعظمهم خلقا

(واعطيتك)

(واعطيتك) اى خاصة (سبعا من المثانى) وهى الفاتحة على الصحيح من قوله سبحانه وتعالى ولقد آتيناك سبعا من
المثانى والقرآن العظيم الاية (ولم اعطها نبيا قبلك) تأكيد لما قبله وتأييد (واعطيتك خواتيم سورة البقرة)
الظاهر انها من قوله آمن الرسول الى آخر السورة (من كنز تحت العرش لم اعطها نبيا قبلك) اى بانزال مضمونها على
احد منهم ادخارا لك وقال التوربشتى بل المعنى انه استجيب له ولمن سأل بحقه مضمون قوله تعالى غفرانك ربنا الخ
قال الدلجى ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما دعا بهن قيل له قد فعلت واوثر الاعطاء مناسبة للتعبير بكنز تحت
العرش انتهى ولا يخفى انه لا منافاة بين الجمع فالحمل عليه اولى (وجعلتك فاتحا وخاتما) اى مبدأ للخيرات ومنتهى
للمبرات اولا وآخرا باعتبار الارواح والاشباح من بين الانبياء (وفى الرواية الاخرى) اى التى رواها مسلم (قال)
اى ابن مسعود (فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا) اى مما لم يعطها غيره (اعطى الصلوات الخمس) اى
فريضة فى كل يوم وليلة (واعطى خواتيم سورة البقرة) اى قراءة واجابة (وغفر لمن لا يشرك بالله شيأ) اى من الشرك
(من امته المقحمات) اى السيئات المهلكات اهلها ولو من غير توبة وفيه اشارة الى انه من خصوصيات هذه الامة
المرحومة ببركة نبى الرحمة لكنه مع هذا تحت المشيئة ومختص بمن تعلقت به الارادة لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء فاندفع ما اورده الدلجى من وجه الاشكال بقوله يفيد ظاهره العموم فيلزم انه لا يعذب احد مع الاجماع على
تعذيب بعض عصاة المؤمنين اى من هذه الامة والا فلا اشكال وابعد من قال اراد بغفرانها ان لا يخلد احد منهم
فى النار لا ان لا يعذب اصلا اذ فيه انه لا خصوصية حينئذ قطعا ثم المقحمات بضم ميم وكسر حاء مهملة مخففة وقيل
مثقلة الذنوب العظام التى من شأنها ان تقحم صاحبها فى النار وتدخله الشدة فى دار البوار وهو مرفوع على انه
نائب الفاعل لقوله غفر والمعنى انه اعطى الشفاعة لاهل الكبائر من الامة (وقال) اى ابن مسعود فى قوله تعالى
(ما كذب الفؤاد ما رأى الايتين) اى فى هذه الاية وما بعدها من قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى (رأى جبريل فى
صورته) اى التى خلق عليها فى اصل جبلته (له ستمائة جناح) اى مختص بزيادة الاجنحة على سائر الملائكة كما قال
سبحانه وتعالى جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء واشار اليه سبحانه وتعالى بقوله
علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى لان القوة على قدر زيادة الاجنحة اللازمة لعظم الجثة ومنه حديث ابى داود وغيره
ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم اما حقيقة صيانة لامره وحفظا لشأنه او تواضعا تعظيما لحقه واما ما ذكر السهيلى
من انه قد قال اهل العلم فى اجنحة الملائكة انها ليست كما يتوهم من اجنحة الطير ولكنها صفات ملكية لا تفهم
الا بالمعاينة فهو خلاف الظاهر المتبادر من معنى الحقيقة التى لا ينافيها عقل ولا نقل وقد ابعد بقوله واحتجوا بالاية
فانه لم ير طائر له ثلاثة اجنحة او اربعة حيث غفلوا عن انه لا يقاس الغائب على الحاضر وجهلوا معنى قوله سبحانه
وتعالى يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير وفى الاية قول آخر لبعض الائمة وهو انه رأى ربه تعالى والمعنى
ما كذب بصره ما حكاه له قلبه (وفى حديث شريك) اى ومنها فى روايته (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رأى
موسى فى السابعة) اى السماء السابعة كما فى اصل الدلجى وقد تقدم الجمع بينهما فلا يحتاج الى حمله على تعدد الاسراء
او تكلفه بان احداهما موضع استقراره والاخرى غير موضع استقراره او باعتبار طلوعه ورجوعه وهذا اولى مما قاله
الانطاكى ولعله رآه فى السادسة ثم ارتقى الى السابعة وهذا وجه التوفيق بين ما روى فى صحيح مسلم انه عليه الصلاة
والسلام وجد ابراهيم فى السادسة وبين ما روى انه وجده فى السماء السابعة انتهى والاظهر انه من وهم بعض الرواة
فان النسيان يغلب الانسان (قال) اى شريك او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بتفضيل كلام الله تعالى) اى له
كما فى اصل الدلجى والمعنى ان جعله فى السابعة بسبب عن ذلك قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى
وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين اى ولا تطلب المعراج ولا الرؤية فى ذلك المدراج (ثم علا به) بصيغة المفعول
وفى اصل الدلجى ثم علا بى اى جبريل (فوق ذلك) اى فوق ما ذكر من السماء السابعة والسدرة (بما لا يعلمه الا الله)
اى بمقدار لا يعلمه سواه فلا يحتاج الى ما تكلف له الدلجى بقوله انه بدل من فوق ذلك والباء للاستعلاء كما فى قوله تعالى
من اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار اى عليه او بمعنى الى كما فى وقد احسن بى اى علا بى على مكان او الى مكان لا يعلمه
الا الله (فقال موسى لم اظن ان يرفع على احد وقد روى) بصيغة المجهول اى ومنها انه قد روى (عن انس رضى الله تعالى
عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس) اى اماما وهو لا ينافى ما روى انه صلى بهم فى السماء
او صلى مع الملائكة فى المسجد الاقصى (وعن انس رضى الله تعالى عنه) اى ومنها ما رواه البزار والبيهقى عنه (قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز) بالواو والزاى اى دفع
باطراف اصابعه او ضرب بكفه مجموعة (بين كتفى) بتشديد التحتية وهذا ضرب تلطف ومحبة او سبب قيام وخفة

ويشيراليه قوله (فنمت الى شجرة فيها مثل وكرى الطائر) اى مكانين مماثلين للوكرين وهو بفتح الواو عش الطائر سواء كان فى جدار او فى شجر وقيل ان كان فى شجر فهو عش او فى جدار فهو وكر (فقعد) اى جبريل (فى واحدة) ولعل تأنيث الوكر باعتبار البقعة او القطعة من الشجرة (وقعدت فى الاخرى) وماذكرناه اولى واحرى مما قاله الحلبى ان تأنيثه هنا حمل على الغالب اذ الغالب ان مايلازم الوكر الانثى للبيض والجلوس عليه وغيرذلك فاكتسب التأنيث بحسب الاضافة انتهى ويرده مافى القاموس من ان الوكر عش الطائر وان لم يكن فيه واما قول الدلجى انهما باعتبار ان كلا منهما بمعنى العش واهل مكة يذكرونه ويؤنثونه والغالب الآن على السنتهم التأنيث فليس فى محله لانه غير مسموع بل فى القاموس مايدل على انه من وجهين مدفوع حيث قال العش بالضم موضع الطائر يجمعه من دقاق الحطب فى افنان الشجر ويفتح (فنمت) بفتح النون والميم من النمو اى زادت وفى نسخة صحيحة فسمت بالسين المهملة والميم المخففة من السمو اى ارتفعت والضمير الى الاخرى (حتى سدت الخافقين) بتشديد الدال المهملة اى طرفى السماء والارض او افقى المشرق والمغرب (ولوشئت) اى من كمال رفعتى (لمسست السماء) بكسر السين الاولى وتفتح وقد تحذف كما فى نسخة (وانا اقلب طرفى) بتشديد اللام والطرف بسكون الراء بمعنى النظر والجملة حالية اى والحال انى اردد بصرى تبعا لبصيرة قلبى فى آيات ربى فى الافاق وفى الانفس (ونظرت جبريل) اى رأيت كما فى نسخة اى وابصرته نازلا عنى وبعيدا منى (كانه حلس) بكسر وسكون وفى نسخة بفتحهما اى كساء رقيق يلى ظهر البعير تحت قتبه شبهه به لرؤيته له (لاطئا) بكسر مهملة فهمزة اى لاصقا بما الطئ به من هيبة الله تعالى وشدة الخشية من كمال عظمته كذا قرره الدلجى بناء على نصب لاطئا فى اصله لكنه مخالف للاصول المصححة لانه مرفوع على انه نعت لقوله حلس ومنه حديث ابى بكر رضى الله تعالى عنه كن حلس بيتك حتى تأتيك يد خاطئة او منية قاضية امره بلزوم بيته هذا وقد روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال مررت ليلة اسرى بى وجبريل بالملأ الاعلى ساقط كالحلس البالى من خشية الله تعالى (فعرفت فضل علمه بالله سبحانه علىّ) لانه انما يخشى الله من عباده العلماء ولان من يكون اعلم يكون اخشى واتقى وهذا من باب تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم وتعليم لامته واتباعه وتنبيه نبيه على ان افضل الملائكة اذا كان يخشى هذه الخشية مع ظهور العصمة فغيره اولى بان يكون على تلك الحالة مع احتمال وجود السيئة وتحقق الغفلة (وفتح لى باب السماء) بصيغة المفعول (ورأيت) وفى نسخة ونظرت (النور الاعظم) اى نور الحضرة الالهية ذكره الدلجى والله تعالى اعلم (ولط) بضم لام وتشديد طاء مهملة اى ارخى وفى نسخة واذا ادنى باذا المفاجأة اى قرب ودنى (الحجاب) اى ستر باب الجناب لان رب الارباب منزه عن ان يدخل تحت الحجاب او يخرج من تحت النقاب (وفرجه) بالنصب وهو بضم الفاء وسكون الراء اى ومركوز فى شقه (الدر والياقوت) ويروى فوقه الدر والياقوت والظاهر انه تصحيف وضبط فى حاشية التلمسانى وغيره بضم الفاء وفتح الراء جمع فرجة وهو الاظهر فتدبر (ثم اوحى الله الى ماشاء ان يوحى) اى اليّ كما فى نسخة صحيحة (وذكر البزار عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه) وفى نسخة بخط مغلطاى البراء بفتح موحدة وخفة راء والصواب هو الاول وهو بموحدة فزاى مشددة فالف فراء نسبة الى عمل بزر الكتان زيتا بلغة البغداديين وهو الحافظ العلامة ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى صاحب المسند الكبير المعلل سمع عبد الاعلى بن حماد والحسن بن على بن راشد وطائفة وعنه ابو الشيخ والطبرانى وجماعة فانه ارتحل فى آخر عمره الى اصبهان والى الشأم والى النواحى ينشر علمه ذكره الدارقطنى واثنى عليه وقال ثقة يخطئ ويتكل على حفظه مات بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومائتين (قال لما اراد الله تعالى ان يعلم) بتشديد اللام اى يعلمه ويلهمه (الاذان) اى مايختار للاعلام بدخول اوقات الصلوات (جاء جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها) اى شرع واراد ان يركبها (فاستصعبت عليه فقال لها جبريل عليه السلام اسكنى فوالله ماركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فركبها حتى اتى بها) اى انتهى بها (الى الحجاب الذى يلى الرحمن تعالى) اى عرشه سبحانه وتعالى (فبينا هو) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (كذلك) اى بالوصف الذى هنالك (اذ خرج ملك) اى فاجأه خروجه (من الحجاب فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جبريل من هذا) اى من الملائكة (قال) اى جبريل (والذى بعثك بالحق انى لاقرب الخلق مكانا) اى فى السماء او من الحجاب لا من رب الارباب لانه منزه عن المكان والزمان وسائر سمات الحدثان (وان هذا الملك مارأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه) يعنى فهو داخل تحت قوله سبحانه ومما لا يعلمون وقوله تعالى ويخلق مالا تعلمون (فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له) اى جوابا عن مقوله (من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر انا اكبر) هذا يحتمل انه امر سلطان يقوله عن امر ربه كعكسه حين حكى الله عن الملائكة فى قوله وما نتنزل الا بامر ربك (ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى انا الله لا اله الا انا) ووقع فى اصل

الدلجى انه لا اله الا انا وهو مخالف للنسخ المعتمدة (وذكر) اى الراوى (مثل هذا) اى الذى ذكر قولا وجوابا (فى بقية الاذان الا انه لم يذكر) فقيل له من وراء الحجاب (جوابا عن قوله حى على الصلاة حى على الفلاح وقال) اى الراوى (ثم اخذ الملك) اى المؤذن (بيد محمد فقدمه) اى فى المقام الاتم (فام اهل السماء) اى من الملائكة والانبياء (فيهم آدم) ابو البشر الاكبر (ونوح) ابو البشر الاصغر ولعل هذا وجه تخصيصهما فتدبر واما ماوقع فى اصل الدلجى من قول آدم وابراهيم ثم قوله وخصا بالذكر لانهما ابوا الانبياء فهو مخالف للاصول المعتبرة (قال ابو جعفر) اى الصادق وهو الباقر (محمد ابن على بن الحسين) اى ابن على بن ابى طالب وهو زين العابدين رضى الله تعالى عنهم ويسمى سلسلة الذهب (راويه) اى راوى هذا الحديث الذى ذكره البزار فى مسنده حيث قال حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد حدثنا ابى عن زياد بن المنذر عن محمد بن على بن الحسين عن ابيه عن جده على بن ابى طالب قال لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان فذكره وفى سنده زياد بن المنذر وهو كذاب وقد اخرج له الترمذى وقد مال السهيلى فى روضه الى صحته لما يعضده ويشاكله من احاديث الاسراء والله تعالى اعلم وقد تصحف فى اصل الدلجى فوقع روايه بالمصدر بدل راويه (اكمل الله تعالى) اى اكمل واتم (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم الشرف) اى السيادة الاعم (على اهل السموات والارض قال القاضى رحمه الله تعالى ما فى هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو فى حق المخلوق) اى مقصور من جميع الابواب اذ الحجاب لغة المنع والستر وحقيقته للاجرام المحدودة اذ انه قد يطلق مجازا ويقصد به التمثيل لما يفهم من مجرد المنع من رؤيته تعالى بالمشاهدة ليتصوره السامع حتى يكون مستحضرا كانه ينظر اليه متيقنا له متبصرا واما المعنى الحقيقى فهو منحصر فى حق المخلوق (لا فى حق الخالق) لانه منزه عن ذلك (فهم المحجوبون) اى حسا ومعنى (والبارى) اى الخالق البرى عن مشابهته المخلوقين (جل اسمه) اى وعز مسماه (منزه عما يحجبه) اى يستره عن خلقه ويجعله محجوبا فى حقه (اذ الحجب) بضمتين جمع حجاب (انما تحيط بمقدر) اى محدود (محسوس) اى داخل تحت نطاق حاسة البصر (ولكن حجبه) بضمتين جمع حجاب وبفتح فسكون مصدر اى قد يكون حجابه (على ابصار خلقه) بفتح الهمزة اى اعينهم الظاهرة (وبصائرهم) اى اعينهم الباطنة (وادراكاتهم) عطف تفسير (بما شاء) اى من انواع الحجاب وفى الحديث حجابه النور اى لكماله فى الظهور (وكيف شاء) اى فى هذا الباب (ومتى شاء) اى من اوقات تعلق الحجاب (كقوله) اى فى الكتاب (كلا انهم) اى الكفار (عن ربهم يومئذ لمحجوبون) اى لممنوعون عن رؤيتنا وشهودنا بخلاف المؤمنين فانهم فى عين عنايتنا او زين رعايتنا وحمايتنا عن غين الاغيار ورين الاوزار (فقوله فى هذا الحديث الحجاب) يجوز جره على الحكاية ورفعه على الاعراب فى قوله عليه الصلاة والسلام اذ خرج ملك من الحجاب (يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه) اى بحسب ظاهره (من ملائكته عن الاطلاع) بتشديد الطاء (على مادونه) اى بحسب باطنه (من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته) وقد سبق ان الملكوت هو الملك العظيم والجبروت كمال العظمة بناء على ان بناء الفعلوت للمبالغة وما احسن قول ابن عطاء فى كشف هذا الغطاء بما يدلك على وجوده سبحانه وتعالى ان حجبك عنه بما ليس بموجود معه وقد انشدوا فى هذا المعنى واطنبوا فى هذا المبنى

من ابصر الخلق كالسراب * فقد ترقى عن الحجاب
الى وجود يراه رتقا * بلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم يشاهد به سواه * هناك يهدى الى الصواب
فلا خطاب به اليه * ولا مشير الى الخطاب

(ويدل عليه) ماذكرناه (من الحديث) اى من بعض مافى نفس الحديث (قول جبريل عن الملك الذى خرج من وراءه ان هذا الملك مارأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه فدل على ان هذا الحجاب) اى تعلقه (لم يختص بالذات) بل اختص بالمخلوقات ثم الذات محتجب بالصفات والصفات محتجبة بالموجودات لا بمعنى ان ذلك الجناب يحجب بالحجاب بل بمعنى ان اكثر الكائنات احتجبوا بوجود الخلق عن شهود صفات الحق وبشهودها عن الموجود المطلق ثم منهم من حجب عن الله تعالى بالشهوات الدنيوية والدرجات الاخروية او المقامات العلية ومنه قولهم العلم حجاب فى هذا الباب وكل ذلك من الاغيار العدمية والوجودات الوهمية ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا عن انفسهم وارادتهم وبقوا بربهم فان الفناء على ثلاثة اوجه فناء فى الافعال ومنه قولهم لا فاعل الا الله تعالى وفناء فى الصفات ومنه لا حى ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة الا الله تعالى وفناء فى الذات اى لا موجود على الاطلاق الا الله وانشدوا فى هذا المبنى لتصحيح المعنى

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى * فكان فناؤه عين البقاء

(ويدل عليه) اى على ماذ كرنامن تعلق الحجاب بالكائنات دون الذات (قول كعب) اى كعب الاحبار (فى تفسير
سدرة المنتهى) اى فى بيان سبب تسميتها بها (قال اليها ينتهى علم الملائكة) يعنى وسببه انهم عندها (يجدون امر
الله تعالى) اى لا عند غيرها (لا يجاوزها علمهم) اى فهم محجوبون عما وراءها (واما قوله الذى يلى الرحمن فيحمل على
حذف المضاف اى الذى يلى عرش الرحمن اوامر اما) كذا بالنصب فى النسخ والظاهر كونه مجرورا اومرفوعا ولعله
اراد ان اى بمعنى يعنى اواعنى امرا من الامور اللائقة بمرام هذا المقام وذهب الدلجى الى ان التقدير يلى امرا ما (من
عظيم آياته ومبادى حقائق معارفه) اى المتعلقة بذاته وصفاته (مما هو اعلم به) اى من اسرار مكنوناته (كما قال
تعالى) اى فى استعمال حذف المضاف (واسأل القرية اى اهلها) يعنى انه من قبيل مجاز الحذف وهو اشهر
مما قيل انه من باب ذكر المحل وارادة الحال والله تعالى اعلم بالحال (وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر)
كما تقدم (ظاهره انه سمع) بصيغة المجهول وقال الدلجى اى سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فى هذا الموطن
كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب) قلت فيأول الاشكال فى هذا الباب مع ما فيه من سماع كلامه من جهة
محصورة بوهم الحجاب واما دفعه بقوله (كما قال الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب)
فان المراد بالوحى على طريق المكاشفة لان الوحى اعلام فى خفاء اما بالالهام وهو القذف فى القلب كما اوحى الى ام
موسى عليه السلام اوفى المنام كما اوحى الى ابراهيم عليه السلام فى ذبح ولده وبقوله من وراء حجاب ان يكون البشر
من وراء حجاب البشرية المانعة من شهود وجود الذات الصمدية بان يسمعه ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام
وليس المراد ان هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع اويدل على تحديد المحجوب وانما هو بمنزلة ما يسمع من وراء الحجاب
حيث لم ير المتكلم فى هذا الباب والله تعالى اعلم بالصواب ولذا قال المصنف (اى وهو) اى البشر (لا يراه) اى الحق
سبحانه وتعالى (حجب بصره) اى منعه (عن رؤيته) اى لا ذاته عن بصره (فان صح القول بان محمدا صلى الله تعالى
عليه وسلم رأى ربه) اى بعين البصر (فيحتمل انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رآه (فى غير هذا الموطن
بعد هذا) اى هذا الوقت (اوقبله) اى من الزمان بمعنى انه (رفع الحجاب عن بصره حتى رآه) وفى اصل الدلجى فرآه
(والله اعلم) اقول ولا مانع من انه رآه فى ذلك الحين بعينه اذ لا يختص برفع الحجاب وكشف النقاب مكان دون مكان
ولا زمان دون زمان لارادة العيان كما لا يخفى على الاعيان ولابن عطاء حكم توجب فى الجملة كشف غطاء فاحببت
ان اذكرها وهى قوله كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى اظهر كل شئ ام كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو اظهر
من كل شئ بل وهو الظاهر قبل وجود كل شئ وهو الواحد الذى ليس معه شئ فالحق ليس بمحجوب وانما المحجوب انت
عن النظر اليه اذ لو حجبه شئ لستره ما يحجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشئ فهو له قاهر وهو
القاهر فوق عباده انتهى ولذا قال الله تعالى لا يحيطون به علما كيف يحيطون به جرما وانى للعدم حتى يغلب القدم
ثم ان لله سبحانه وتعالى سبعين الف حجاب من النور فى عالم الظهور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه
ما انتهى اليه نور بصره وقد قال الله تعالى كل شئ هالك الا وجهه اى باطل ومضمحل وفان فى نظر ارباب العرفان
فى كل آن وزمان ولذا قال بعض ارباب الشهود سوى الله والله ما فى الوجود وقال بعض الشطار ليس فى الدار غيره ديار
فهو من غاية ظهوره باطن ومن نهاية بطونه ظاهر وفى غير ابديته اول وفى عين ازليته آخر وغيره كالهباء فى الهواء
والسراب فى نظر مشتاق الشراب والا فالتراب ورب الارباب والله اعلم بالصواب

(فصــــل)

اى من متعلقات هذا الباب (ثم اختلف السلف) اى الصحابة والتابعون (والعلماء) اى الخلف المجتهدون (هل
كان) اى وقع (الاسراء بروحه) اى فقط (اوجسده) اى مع روحه فى جميع اسرائه اوفى بعضه كما سيأتى فى كلامه
ويندرج فيه ايضا قول آخر لبعضهم انه اسرى به مرتين مرة مناما ومرة يقظة جمعا بين الروايتين وكذا قول
التوقف بان يقال اسرى به ولا يقال يقظة ولا مناما وهو قول غريب حكاه امام الجوزية فى اوائل كتابه الهدى
ولعل وجهه انه ورد فى بعض طرق الخبر انه كان بين النائم واليقظان فلم يعرف حقيقة امره ولذا عبر بعضهم عنه
بالنوم وبعضهم باليقظة اعتبارا بالغلبة وكان المصنف لم يلتفت الى هذه المقالة فينتظم قوله (على ثلاث مقالات)
اى لطوائف ثلاث كما فصلها بقوله (فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام) بدل مما قبله اوعطف تفسير له
اذ هو فى هذا المقام انما يكون فى حال المنام (مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق) اى ثابت غير كذب (ووحى) اى يعمل به
بخلاف رؤيا غيرهم ويدل عليه قوله تعالى حكاية يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك وحديث تنام اعينهم ولا تنام
قلوبهم (والى هذا ذهب معاوية رضى الله تعالى عنه) اى من الصحابة كما رواه ابن اسحق وابن جرير عنه وهو ابن ابى

سفيان كلاهما من مسلمة الفتح وهو احد كتبة الوحى وقيل انما كتب له كتبه الى الاطراف وتولى الشام فى زمن عمر
رضى الله تعالى عنه ولم يزل بها حاكما الى ان مات وذلك اربعون سنة روى عنه ابن عباس وابو سعيد الخدرى رضى
الله تعالى عنهما وكان عنده ازار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورداؤه وقميصه وشئ من شعره واظفاره فقال
كفنونى فى قميصه وادرجونى وفى رواية وأزرونى بازاره واحشوا منخرى وشدقى ومواضع السجود منى بشعره واظفاره
وخلوا بينى وبين ارحم الراحمين (وحكى) اى مثل ذلك (عن الحسن) اى البصرى (والمشهور عنه خلافه) وهو انه كان
فى اليقظة (واليه) اى والى هذا القول (اشار محمد بن اسحق) اى ابن يسار امام المغازى (وحجتهم) اى لقولهم انه رؤيا
منام (قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك) اى ظاهرة اذ فى آخر الاية دلالة على انه كان باليقظة حيث قال
(الا فتنة للناس) اى ابتلاء وامتحانا فى تصديق القضية اذ انكرته قريش وارتد كثير من اهل التقليد وصدقه الصديق
واهل التوفيق والتأييد اذ من المعلوم انه لا فتنة الا اذا كان فى حال اليقظة فالرؤيا بمعنى الرؤية ولعل تسميتها بها لانها
من غرابتها فى معنى الرؤيا وقد سبق جواز تقدير مضاف اى تحقيق الرؤيا وتصديقها وبه يجمع بين الروايات فانه
رأى اولا رؤيا وثانيا رؤية فقد قال السهيلى وذهبت طائفة منهم شيخنا ابو بكر الى ان الاسراء كان مرتين احداهما
فى نومه توطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه امر النبوة فانه عظيم تضعف عنه القوى
البشرية وكذا الاسراء سهل عليه بالرؤيا لان هوله عظيم ورأيت المهلب فى شرح البخارى قد حكى هذا القول عن طائفة
من العلماء وانهم قالوا كان الاسراء مرتين مرة فى نومه ومرة فى يقظته ببدنه صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى ولا يبعد ان
يقال اسراؤه الروحى كان مرات باعتبار المكاشفات فى اليقظات والمنامات واما اسراؤه الجسدى فمرة واحدة تحقيقا
لتلك المقامات والحالات مع الزيادة الحاصلة بالكلام والرؤية وسائر الدرجات هذا مع ان آية وما جعلنا الرؤيا قد قيل
المراد بها ما رآه عام الحديبية انه واصحابه دخلوا مكة بدليل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد
الحرام الاية فلما صدوا فيه عنه فتنوا وقيل لم يقل فى هذا العام فدخلها بعد اوما رآه فى وقعة بدر بدليل قوله تعالى
اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ووقع فى اصل الدلجى وقيل رآها عام الحديبية وهو يوهم انه من اصل الكتاب وهو
ليس فى الاصول الصحيحة على الصواب (وما حكوا) اى وحجتهم ايضا ما حكوه من رواية ابن اسحق وابن جرير (عن
عائشة رضى الله عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم) ويبطله انه لم يدخل بها الا بعد الهجرة والاسراء انما
كان بمكة بعد البعثة كما قال ابن اسحق بعد ان فشا الاسلام بمكة والاشبه انه كان بعدها بخمس سنين كما نقله النووى عن
المصنف وروى عنها ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيغة المفعول وهو اظهر فى الاحتجاج المنقول
(وقوله) اى وحجتهم ايضا قوله (بينا انا نائم) اى فى الحطيم وربما قال فى الحجر (وقول انس رضى الله تعالى عنه) اى
وحجتهم ايضا قوله فى حديثه (وهو نائم فى المسجد الحرام وذكر القصة) اى قصة الاسراء وفيه ان كونه نائما فى اول
الوهلة لا ينافى وقوع القصة فى اليقظة آخر الدفعة (ثم قال) اى انس رضى الله تعالى عنه (فى آخرها) اى القصة
(فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام) وفيه ان المراد بالاستيقاظ هو الاستحضار والاستشعار عما كان له من الاستغراق
فى مقام الابرار مع احتمال ان نومه فى حال رجوعه واستيقاظه وقت وقوعه (وذهب معظم السلف والمسلمين)
اى من الخلق (الى انه اسراء بالجسد) اى مع الروح لا بالروح دون الجسد (وفى اليقظة) بفتح القاف ولا يجوز تسكينها
وهى ضد المنام (وهذا هو الحق) اى الثابت عند اهله (وهو قول ابن عباس وجابر) اى ابن عبد الله
(وانس رضى الله تعالى عنه) اى ابن مالك (وحذيفة) اى ابن اليمانى (وعمر رضى الله تعالى عنه) اى ابن الخطاب
وكان حقه ان يقدم على ما سبق من الاصحاب (وابى هريرة ومالك بن صعصعة رضى الله تعالى عنهما) مدنى سكن
البصرة وروى عنه انس وغيره (وابى حبة) بفتح حاء مهملة وتشديد موحدة قيل بالنون وقيل بالتحتية (البدرى)
قيل هو الانصارى وقيل هو غيره (وابن مسعود) رضى الله عنه وكان حقه ان يذكر بعد عمر لانه افضل الصحابة بعد
الخلفاء الاربعة وبه تم ذكر الصحابة رضى الله تعالى عنهم (والضحاك) اى ابن مزاحم الهلالى البلخى المفسر
تابعى جليل يروى عن ابى هريرة وانس وابن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم وثقه احمد وابن معين وذكره
الشيرازى فى فقهاء خراسان من اصحاب عطاء الخراسانى وغيره (وسعيد بن جبير) يروى عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنه وغيره قتل فى شعبان شهيدا اخرج له الائمة الستة (وقتادة) اى ابن دعامة (وابن المسيب) بفتح التحتية
المشددة وتكسر (وابن شهاب) اى الزهرى (وابن زيد) اى ابن اسلم وهو متكلم فيه (والحسن) اى البصرى (وابراهيم)
اى النخعى (ومسروق) اى ابن الاجدع الهمدانى يروى عن ابى بكر ومعاذ رضى الله عنهما وكان اعلم بالفتيا من
شريح اخرج له الائمة الستة وهو من الزهاد الثمانية يقال انه سرق صغيرا ثم وجد فسمى مسروقا وكانت عائشة تبنته

فسمى ابن عائشة وكنى بها روى عنه الشعبى والنخعى وغيرهما (ومجاهد) اى ابن جبير (وعكرمة) اى المفسر مولى ابن عباس لكنه اباضى وسيأتى فى كلام المصنف بيانه (وابن جريج) بالجيمين مصغرا فهؤلاء كلهم من اجلاء التابعين رحمهم الله (وهو دليل قول عائشة) اى مذهبها المختار لها وهو لا ينافى ما سبق مما نسب اليها وحكى عنها وهذا الاستعمال شائع فيما بين العلماء والفقهاء حيث يقال هذا قول ابى حنيفة ومالك رحمهما الله ويحكى عنهما خلاف ذلك وبهذا ابطل اعتراض الدلجى على المصنف بقوله كيف يكون الاسراء يقظة دليل قولها ما فقدت جسده المحتج به آنفا انه كان مناما وقد سمعت ابطاله وتعجب من حكاية المصنف له فى المذهبين مع امتناع كونه حجة للاول وكون الثانى دليلا له فانه سهو لا ريب من ذى فهم ثاقب انتهى ومما يدل على ما قدمنا عنها انها نفت الرؤية البصرية وقالت بالرؤيا البصيرية ومثل هذه المسألة الخلافية لا تتصور الا اذا كانت القضية فى اليقظة بخلاف الحالة المنامية (وهو قول الطبرى) اى محمد بن جرير (وابن حنبل) اى الامام احمد صاحب المذهب (وجماعة عظيمة) اى رتبة وكثرة (من المسلمين وهو قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة) اى من الجامعين بين الروايات المختلفة (كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس) يروى يقظة فى المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (والى السماء بالروح) اى مناما وهذا يشبه قول المعتزلة (واحتجوا بقوله سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) ووجه الاحتجاج ما بينه المصنف بقوله (فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذى وقع التعجب فيه بعظيم القدرة) اى المؤثرة وفق الارادة حيث كان فى سيره ساعة طى مسافة كثيرة والتعجب من لوازم المعجزة وان صدر من اعدائه على طريق الاستحالة (والتمدح) اى ووقع التمدح (بتشريف النبى محمد) صلى الله عليه وسلم (به) اى بالاسراء نفسه (واظهار الكرامة له) اى ووقع اظهار الكرامة له صلى الله عليه وسلم (بالاسراء اليه) اى الى المسجد الاقصى بخصوصه (قال هؤلاء) اى الذاهبون الى المذهب الثالث فى الاسراء (ولو كان الاسراء بجسده زائدا على المسجد الاقصى لذكره) اى سبحانه فى كتابه (فيكون) اى ذكره فيه (ابلغ فى المدح) اى فى مقام مدحه من عدم ذكره ولعل الحكمة فى ذلك ان يكون الايمان فى هذه القصة ثابتا بمجموع الكتاب والسنة (ثم اختلفت هذه الفرقتان) اى الثانية والثالثة فى انه صلى الله عليه وسلم (هل صلى ببيت المقدس اولا) فقيل نعم (ففى حديث انس وغيره رضى الله عنهم ما تقدم من صلاته فيه) اى بالانبياء وسبق انه صلى الله عليه وسلم صلى مع الملائكة ولا منع من الجمع (وانكر ذلك) اى كونه صلى الله عليه وسلم صلى فيه (حذيفة بن اليمانى وقال) اى حذيفة كما رواه احمد عنه (والله ما زالا) اى النبى وجبريل عليهما السلام (عن ظهر البراق حتى رجعا) وهو بعيد جدا لما سبق صريحا فيما ورد صحيحا من ربط البراق بباب المسجد وصلاته فيه على ما هو اللائق بادب المسجد من التحية التى هى السنة فيه ثم من القواعد المقررة ان المثبت مقدم على النافى ومن حفظ حجة على من لم يحفظ (قال القاضى رحمة الله تعالى عليه والحق من هذا) اى ما ذكر (والصحيح ان شاء الله تعالى) استثناء للتبرك بمنزلة والله تعالى اعلم (انه اسراء بالجسد والروح فى القصة كلها وعليه) اى وعلى هذا (تدل الاية وصحيح الاخبار) اى مجموعهما على جميعها غايته ان دلالة الاية على الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى نص قاطع يكون جاحده كافرا او منافقا ودلالة الاحاديث على اسرائه الى السماء وسدرة المنتهى ومقام قاب قوسين او ادنى ظنية منكره يكون مبتدعا فاسقا (والاعتبار) بالرفع معطوف على ما قبله على ما اقتصر عليه الحلبى ولا يبعد ان يكون مجرورا بالعطف على الاخبار والمراد به المقايسة يعنى اذا ثبت اسراؤه من الحرم الى الحرم معجزة بدلالة الآية فيجوز اسراؤه الى السماء بالمقايسة المقرونة بالاحاديث الثابتة اذ لا فرق بينهما فى تعلق الارادة والقدرة (ولا يعدل عن الظاهر) بصيغة المجهول اى ولا يصرف عن ظاهر دلالة الآية والاخبار الواردة (والحقيقة) اى ولا عن ارادة الحقيقة اللغوية المنضمة مع الارادة العرفية (الى التأويل) اى فيهما او فى احدهما (الا عند الاستحالة) اى العقلية والشرعية (وليس فى الاسراء بجسده) اى الشامل لبدنه وروحه (وحال يقظته استحالة) اى لا شرعا ولا عقلا حتى يحتاج الى تأويل فى مآله بل يتعين ان يكون بكمال جماله ويقظة حاله (اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده) اى لانه بحسب اطلاقه محمول على كمال افراده من عباده (وقوله) اى ويدل على كونه يقظة لا مناما قوله (ما زاغ البصر وما طغى) اذ ليس للروح بصر بل بصيرة وايضا لا يمدح عدم زيغ بصر النائم اذ لا حقيقة لحاله فلا يمدح بعدم الطغيان من كماله ومعنى الآية ما مال بصره يمينا ولا شمالا فى مقام ادبه مع ربه وما جاوز ما امر به (ولو كان) اى الاسراء (مناما لما كان فيه آية) وقد قال الله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى (ولا معجزة) اى امر خارق للعادة وان كان رؤيا الانبياء حقا واخبارهم عنها صدقا (ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه) اى فى اخباره (ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به) اى ولا وقعوا به فى الفتنة فى انباء اسرائه (اذ مثل هذا) اى الحال (من المنامات

لا ينكر) اى لا يبعد من المحال لان احد الناس يرى فى نومه انه يسير فى الشرق مرة وفى الغرب اخرى وهو لم يتحول عن مكانه ولم تتبدل حاله الاولى (بل لم يكن ذلك) اى الانكار والاستبعاد وعده من الاستحالة ووقوع الارتداد (منهم الا وقد علموا ان خبره) اى عن اسرائه (انما كان عن جسمه) اى مع روحه (وحال يقظته) اى اخذا من خبره متضمنا (الى ما ذكر) اى النبى عليه السلام وقال الحلبى انه بصيغة المجهول (فى الحديث) اى الحديث المشهور فى الاسراء (من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس) اى قبل اسرائه الى السماء (وفى رواية انس او فى السماء على ما روى غيره) اى غير انس كما تقدم ولا منافاة بينهما اذ لا يخفى وجه جمعهما (وذكر مجيء جبريل عليه السلام له) عطف على قوله ذكر صلاته المجرور بمن البيانية اى ومن ذكر مجيء جبريل له عليه السلام (بالبراق وخبر المعراج) اى ومن ذكر خبر حال عروجه الى السماء بالاسراء والمراد بالمعراج آلة العروج كالسلم للصعود (واستفتاح السماء فيقال ومن معك) اى بعد ما يقال من انت فيقول جبريل فيقال ومن معك (فيقول محمد) اى وامثال هذا من الدلالات فى الروايات (ولقائه) اى ومن ملاقاته عليه الصلاة والسلام (الانبياء فيها) اى فى السماء باصنافها (وخبرهم معه) اى خبر الانبياء معه بتفصيل مقاماتهم وتبيين حالاتهم (وترحيبهم به) اى وتحيتهم له كما فى نسخة واصل الترحيب قول مرحبا (وشأنه) اى وقصته (فى فرض الصلاة) اى خمسين اولا (ومراجعته) اى ومكالمته (مع موسى فى ذلك) اى فى تخفيفها او مراجعته الى الله تعالى مع مساعدة موسى عليهما الصلاة والسلام فى ذلك (وفى بعض هذه الاخبار) اى ادلة صريحة على هذا المدعى وروايات صحيحة المبنى من طريق الشيخين عن انس رضى الله تعالى عنه (فاخذ يعنى جبريل بيدى) تفسير من بعض الرواة (فعرج بى الى السماء) اى فلما جئت السماء الدنيا قال جبريل لخازنها افتح فلما فتح علونا السماء الدنيا اذا رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة الحديث بطوله (الى قوله ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام) اى صريرها كما فى رواية وقد فرض الله هنالك عليه خمسين صلاة فرجع فمر بموسى فلم يزل بينه وبينه حتى قيل له هى خمس وهن خمسون (وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة) اى جنة المأوى (ورأى فيها ما ذكره) اى من جنابذ اللؤلؤ وان ترابها المسك قال الدلجى وظاهر هذا كله شاهد صدق بانهما نزلا عن البراق وان انكره حذيفة انتهى ولا يخفى ان الظاهر عدم النزول عن البراق الا ان يدل دليل صحيح وصارف صريح فيها هنالك لذلك (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كما رواه البخارى (هى رؤيا عين رآها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى حال اليقظة (لا رؤيا منام) اى وان كان رؤيا الانبياء حقا فى ثبوت المرام وقد قيل بتعدد المعراج الى سبع مرات فيمكن الجمع بذلك بين الروايات (وعن الحسن) اى البصرى (فيه) اى فى حديث معراجه كما رواه ابن اسحق وابن جرير عنه مرسلا (بينا انا نائم فى الحجر) بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم وقال النووى انه رأى لبعض المصنفين على المهذب انه يقال ايضا بفتح الحاء كحجر الانسان وقيل كله من البيت وقيل ستة اذرع وقيل سبعة هذا وقد سبق انه رأى بين النائم واليقظان ولا يبعد ان يراد بالنائم المضطجع فانه على هيئة النائم وقد يعبر به عنه على انه لا تنافى بين كونه نائما فى اول القضية ومستيقظا فى آخر القصة مع انه روى بينا انا جالس فى الحجر (جاءنى جبريل فهمزنى) اى غمزنى (بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيأ فعدت لمضجعى ذكر) اى الحسن او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك ثلاثا فقال فى الثالثة فاخذ بعضدى) بصيغة الافراد وفيه اربع لغات فتح العين مع ضم الضاد وكسرها وسكونها وضم العين مع السكون اى امسك ما فوق مرفقى (فجرنى الى باب المسجد) قال الدلجى الله اعلم بصحة هذا الحديث لنزاهة جبريل عن ان يفعل به ذلك انتهى ولا يخفى انه اذا ثبت من طريق امامين جليلين هذا المبنى ينبغى ان يحمل على محمل لطيف فى المعنى وهو مناسبة الرجل للرجل فى قوله فهمزنى بعقبه وقد نبه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعض اصحابه من المنام بهذه الكيفية فهذا ليس من باب قلة الادب بل من طريق عدم التكلف الدال على كمال الخصوصية وقد قيل ان الهمز تنبيه الرجل بحركة لطيفة واما الاخذ بالعضد فلا خفاء فى المناسبة المساعدة للتقوية العضدية واما قوله فجرنى فحكاية عن كمال الجذبة الملكية المتسببة عن الجذبة الالهية على ما تقتضيه القضية الاسرائية الى المراتب الاصطفائية وقد روى فجبذنى وهو مقلوب جذبنى (فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هانئ) بكسر النون فهمز وهى بنت ابى طالب اخت على رضى الله تعالى عنهما اسلمت يوم الفتح وقد خطبها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت انى امرأة مصبية واعتذرت اليه فعذرها روى عنها على وابن عباس وعكرمة وعروة وعطاء وخلق كما روى ابن اسحق والطبرانى وابن جرير عنها انها قالت (ما اسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى تلك الليلة) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان الحرم كله مسجد اى لاحاطته بالمسجد والتباسه به فلا ينافى قوله تعالى من المسجد الحرام (صلى العشاء الآخرة) اى بان خرج منه ودخل

الحجر فصلى فيه (ونام بيننا) اى فيما بيننا بان رجع ونام مع اهل بيت ام هانئ وهو كناية عن انه كان بعد صلاة
العشاء الآخرة عندهم فى مكة فينا بمعنى عندنا وقد تصحف على الدلجى بقوله شيأ اى نام شيأ من الليل او بعضا
من النوم (فلما كان قبيل الفجر اهبنا) بتشديد الموحدة اى ايقظنا (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وظاهر
هذا الحديث ان الاسرآء انما كان فى الثلث الاخير من الليل وهو وقت السحر وزمان التهجد للعبادة على انه لا يلزم
من ايقاظه لهم حينئذ ان يكون عقب نزوله اذ يمكن انه كان فى المسجد مشتغلا بالطواف والعبادة فلما قارب الصبح
رجع اليهم وايقظهم (فلما صلى الصبح) اى نفلا او كانت صلاتان فريضة قبل الاسرآء صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة
قبل غروبها والاظهر انه صلى الصبح المفروض فى ليلة الاسرآء من جملة الخمس (وصلينا) اى معه او بدونه (قال يا ام
هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة) فيه نوع تغليب ان صلت معه صلى الله تعالى عليه وسلم حقيقة او معنى
(كما رأيت بهذا الوادى) اى وادى مكة لاحاطة الجبال بها (ثم جئت بيت المقدس) اى ذهبت اليه (فصليت فيه) اى
صلاة التهجد مع الانبياء والملائكة (ثم صليت الغدوة) اى صلاة الغدوة وهى الصبح (معكم الآن كما ترون) اى كما رأيتم
فالعدول عن الماضى الى المضارع لاستحضار الحال الماضية (وهذا بين) بتشديد التحتية المكسورة اى وهذا الحديث
برهان ظاهر (فى انه) اى الاسرآء (بجسمه) اى لا بروحه فقط ولا ينافى قولها وصلينا انها اسلمت عام الفتح وهو بعد
الاسرآء بكثير لان المراد بضمير الجمع جماعة قد اسلموا قبل ذلك وصلوا هنالك واما قول الدلجى انه ليس من قولها
بل ادرجه الراوى فى كلامها فمحتمل بعيد وتأويل غير سديد وكذا تأويل الشمنى ان معنى صلينا هيأناله ما يحتاج
اليه فى الصلاة ثم هذا كله مبنى على ان المعراج من بيت المقدس وانه مع الاسرآء فى ليلة واحدة واما على انه من مكة
وانه ليس مع الاسرآء فى ليلة واحدة فقولها صلى الصبح على حقيقته من غير تأويل لان الصلوات الخمس كانت ليلة
المعراج وهو على هذا القول كان فى رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا والاسرآء كان فى ربيع الاول قبل
الهجرة بسنة (وعن ابى بكر رضى الله تعالى عنه من رواية شداد بن اوس عنه) اى كما رواه البيهقى وابن مردويه
(انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسرى به طلبتك يا رسول الله البارحة فى مكانك) اى فى محلك المعتاد اول
الليل او آخرها (فلم اجدك فاجابه ان جبريل عليه السلام) اى بانه (حمله) وهو الظاهر المتبادر فلا يحتاج الى تكلف
الدلجى من غير نص على كسر ان حيث قال التقدير فاجابه بقوله له ان جبريل حملنى اى على البراق (الى المسجد
الاقصى) ثم هذا الحديث ايضا دليل ساطع على ان الاسرآء كان يقظة (وعن عمر رضى الله تعالى عنه) اى كما رواه
ابن مردويه من طريق عنه (قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة اسرى بى فى مقدم المسجد) اى المسجد
الاقصى (ثم دخلت الصخرة) اى تحتها او مكانها (فاذا بملك) وفى نسخة فاذا ملك (قائم) بالجر والرفع بناء على النسختين
(معه آنية ثلاث) اى من اللبن والخمر والعسل (الحديث) اى كما سبق (وهذه التصريحات) اى فى الروايات الصحيحات
(ظاهرة) فى ان القصة كانت يقظة (غير مستحيلة) اى شرعا وعقلا وثابتة نقلا (فتحمل على ظاهرها) اى ولا يجوز
العدول عنه (وعن ابى ذر رضى الله تعالى عنه) كما فى الصحيحين مرفوعا (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فرج) بصيغة
المفعول مخففا ويجوز مشددا اى كشف وازيل (سقف بيتى) اضيف اليه تارة لانه كان ساكنا فيه والى الاخرى
من حيث انه كان ملكها (وانا بمكة) جملة حالية (فنزل جبريل عليه السلام فشرح صدرى) اى فعل بى ما يوجب
شرح صدرى وتصحف على الدلجى بقوله ففرج بالفاء والجيم وفسره بقوله شقه (ثم غسله بماء زمزم) لانه افضل
مياه العالم وقد ابعد الدلجى حيث علله بقوله لانه قد الفه صغرا وكبرا (الى آخر القصة) اى كما سبق (ثم اخذ بيدى
فعرج بى وعن انس رضى الله تعالى عنه اتيت) بصيغة المفعول اى اتانى آت وهو جبريل عليه السلام كما صرح به
فى رواية (فانطلق) بصيغة المجهول اى فذهب (بى) وفى نسخة فانطلقوا بى (الى زمزم فشرح عن صدرى) الجار
نائب الفاعل (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه مسلم (لقد رأيتنى) بضم
تاء المتكلم (فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى) بفتح ميم وسكون سين اى عن علامات سيرى او مكانه (فسألتنى
عن اشياء) اى من بيت المقدس وطريقه (لم اثبتها) من باب الافعال اى لم احفظها ولم اضبطها وعدم اثباته تلك
الاشياء لكمال ثباته فى مقام الاسرآء باشتغاله بالملائكة والانبياء وعجائب ملكوت الارض والسماء وابعد من توهم
ان قوله لم اثبتها قرينة على ان القضية كانت مناما فان النائم اقل ضبطا من المستيقظ حيث لم يعرف انه لا فرق بين
ضبطه مناما ويقظة اذ الانبياء لا تنام قلوبهم ورؤياهم وحى واما الاحاطة بجميع علامات الطرق والمسجد الاقصى
فليس شرطا فى حصول العلم به اذ يكفيه اخباره ببعض العلامات مما يوجب كونه من الآيات وخوارق العادات
فكربت كربا) بفتح فسكون اى غما يأخذ النفس والفعل مبنى للمجهول كقوله (ما كربت مثله قط فرفعه الله تعالى

لى انظر اليه) فما سألونى عن شئ الا انبأتهم (ونحوه عن جابر) اى روى عن جابر نحو ما روى عن ابى هريرة رضى الله
تعالى عنه مع اختلاف فى المبنى دون المعنى (وقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى حديث
الاسرآء عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ثم رجعت الى خديجة) اى بسرعة (وما تحولت عن جانبها) اى الى جانب
آخر منها وفيه اشعار بتقليل زمن الاسرآء مع انه كان الى السموات العلى وسدرة المنتهى ومقام قاب قوسين
او ادنى ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم اول ما رجع دخل على خديجة ثم ذهب الى ام هانئ فى بيتها

(فصل)

(فى ابطال حجج من قال انها نوم) وروى انها رؤيا نوم ثم الحجج بضم حاء وفتح جيم جمع حجة وهو بمعنى دليل وبينة
وانث ضميرانها مع انه راجع الى الاسرآء باعتبار القول بانه كان رؤيا منام (احتجوا) بتشديد الجيم اى استدلوا
(بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك فسماها رؤيا) بالتنوين يعنى والرؤيا مختصة بالنوم كما ان الرؤية باليقظة
(قلنا قوله سبحان الذى اسرى بعبده يرده) اى يدفع الاحتجاج به (لانه لا يقال فى النوم اسرى) لان الاسرآء هو
السير فى الليل وهو لا يكون حقيقة الا فى اليقظة واعتبار الحقيقة اولى من المجاز ما لم يصرف عنها صارف ثم الرؤيا
ايضا فى النوم حقيقة وفى اليقظة مجاز لكن انما احوج الى صارفة لها عن المعنى الحقيقى الى القصد المجازى كما بينه
المصنف بقوله (وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسرآء شخص) اى بجسده (اذ ليس فى الحلم) بضمتين وتسكن
اللام بمعنى الاحتلام ورؤية المنام (فتنة) اى امتحان وخبرة (ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك فى منامه
من الكون) اى حدوث شئ لم يكن والالف واللام بدل من المضاف اليه اى من كونه (فى ساعة واحدة فى اقطار
متباينة) اى فى اطراف مختلفة وجوانب متفرقة ونواحى متباعدة (على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه الآية)
اى فى تفسيرها وفى المراد بمورد الرؤيا وتعبيرها (فذهب بعضهم الى انها نزلت فى قضية الحديبية) وهو بتخفيف
التحتية قبل هاء التأنيث مصغرا ذكره الشافعى واهل اللغة وبعض المحدثين وكثير من المحدثين على تشديدها
وهى قرية صغيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة على نحو مرحلة من مكة قريبة من جدة فى طريق جدة
وتسمى الآن تلك البئر ببئر شميس والاصح ان الشجرة التى وقع تحتها بيعة الرضوان غير معروفة الآن وهى كانت
عند آخر الحل واول الحرم على ما قيل وقال مالك الحديبية من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحرم كذا
قال الواقدى وهو الصحيح عندنا هذا والقضية بالضاد المعجمة واحدة القضايا قال الانطاكى ومما يؤيد ان بعضها من
الحرم ما روى ان مضارب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى معسكره وموضع خيامه عام الحديبية كانت
فى الحل ومصلاه فى الحرم والله تعالى اعلم وفى نسخة فى قصة الحديبية بكسر قاف وتشديد صاد مهملة وهى انه
صلى الله تعالى عليه وسلم رأى فى المنام انه دخل المسجد الحرام فصده المشركون فى ذلك العام (وما وقع) اى ونزلت
فيما وقع (فى نفوس الناس) اى جماعة منهم (من ذلك) اى من جهة صدهم وعدم دخولهم حتى امتنع بعضهم
من تحللهم فقيل انه لم يقل فى هذا العام فدخل من قابل المسجد الحرام واعترض بان الآية مكية واجيب بانه رآها
بمكة واخبر بها يومئذ (وقيل غير هذا) اى غير ما تقدم فقيل رآها يوم بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا
تثبيتا لاصحابك وتشجيعا لهم على عدوهم ولقوله حين ورد ماء بدر كأنى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان
وهذا مصرع فلان فبلغ ذلك قريشا فسخروا منه (واما قولهم انه قد سماها فى الحديث) اى المتقدم (مناما وقوله
فى حديث آخر بين النائم واليقظان) بفتحتين (وقوله ايضا) اى فى الحديث (وهو نائم وقوله ثم استيقظت) اى كما
فى حديث آخر (فلا حجة فيه) اى فى كل واحد منها لعدم تصريح فى الدلالة بها اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه
كان وهو نائم) اى كما يدل عليه حديث الحسن البصرى بينا انا نائم فى الحجر جاءنى جبريل عليه السلام فهمزنى
بعقبه فجلست الحديث (او اول حمله) اى ويحتمل ان اول اخذه (والاسرآء به وهو نائم) اى فى حال نومه لحديث
وهو نائم بالمسجد الحرام ولا يلزم منه استمرار المنام (وليس فى الحديث) اى فى حديث ما لا صحيح ولا ضعيف (انه كان
نائما فى القضية كلها) اى فى قضية الاسرآء جميعها من اولها الى آخرها (الا ما يدل عليه) اى فى الجملة قوله
(ثم استيقظت وانا فى المسجد الحرام) لكن يحتمل احتمالات تمنع صحة الاستدلال بها على تصحيح المنام وتصريح المرام
(فلعل قوله ثم استيقظت بمعنى اصبحت) اذ الاستيقاظ غالبا يكون حالة الاصباح فعبر به عنه مجازا وهذا لا يخفى بعده
(واستيقظ) وفى نسخة صحيحة او استيقظ (من نوم آخر) اى حدث حال نزوله (بعد وصوله بيته ويدل عليه) اى على
كونه نوما آخر (ان مسراه لم يكن طول ليله) اى فى جميعه (وانما كان فى بعضه) اى ذهابا او ايابا كما يشير اليه تنكير
ليلا (وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد الحرام لما كان غمره) بالغين المعجمة ثم الرآء اى لاجل ما غشيه وعلاه قلبه

وغطاه (من عجائب ماطالع من ملكوت السموات والارض) قال المحققون ان الملك ظاهر العالم والملكوت
باطنه وقيل الملكوت الملك العظيم (وخامر) بالخاء المعجمة اى خالط ومازج (باطنه من مشاهدة الملأ الاعلى)
اى من ملائكة السماء واصل الملأ الجماعة من الاشراف والوجوه مما يملأ العيون كثرة وعزة واراد بالملأ الاعلى
الملائكة المقربين وصفوا بذلك لعلو مكانهم اى لعلو منزلتهم وشأنهم عند ربهم (ومارأى من آيات ربه الكبرى)
اى وماحصل له من شهود الكثرة فى الوحدة ووجود الوحدة فى الكثرة ونور الوحدة بلا ظهور الكثرة والاستغراق
فى بحور الشهود ولجة الوجود والذهول عن غير المعبود والمقصود (فلم يستفق) اى لم يتنبه (ويرجع) اى ولم يعد
من مشاهدة التجليات الالهية (الى حال البشرية) اى من اقتضاء صفات العنصرية (الا وهو بالمسجد الحرام) هذا
وقول الدلجى خامر اى ستر ليس فى محله وماذكر فيه من الشاهد ايضا غير ملائم وهو قوله كتب ابو الدرداء الى سلمان
يدعوه الى الارض المقدسة فكتب يا اخى ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السماء على ارفه
خمر الارض يقع اى على اخصب سائر فيها الارادان وطنه ارفه له وارفق به فلا يفارقه (ووجه ثالث) اى فى الجمع بين
الروايات المتفرقة والرد على من زعم ان الاسراء انما كان بروحه فقط (ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى
الظاهر) اى المفاد منه بطرفى حديث انس رضى الله تعالى عنه وهو قوله وانا نائم فى المسجد الحرام وقوله فاستيقظت
وانا فى المسجد الحرام (ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق) اى ولو فى المنام (تنام اعينهم
ولا تنام قلوبهم) اى كما ثبت فى الحديث ولعل الحكمة فى حمل جسده مع ان العمل حينئذ كان لروحه ان يشاهد
الملائكة ذاته ويفاض عليهم من بركاته ويصير مرآة للتجلى الالهى فى تنزلاته وانعكاس ظهور كمال صفاته (وقد مال
بعض اصحاب الاشارات) وفى نسخة اهل الاشارات (الى نحو من هذا) اى مما ذكرناه من كونه نائم العين حاضر القلب
لشهود ملكوت الرب (قال) اى بعض اصحاب الاشارات (تغميض عينيه) اى سدهما نوما او قصدا (لئلا يشغله)
بفتح اوله وثالثه وجوز ضم اوله وكسر ثالثه (شئ من المحسوسات عن الله عز وجل) وفيه ان من وصل الى حالة الجمعية
وزال عنه مرتبة التفرقة لا يحجبه شهود الكثرة عن وجود الوحدة وبالعكس وفيه ايضا ان المقام مقام مشاهدة
عجائب الملكوت لقوله تعالى لنريه من آياتنا اذ المتبادر منه رؤية العين والمحسوسات من الحواس وهى خمس السمع
والبصر والشم والذوق واللمس وهى هيئة حالة فى جميع الجسد (ولا يصح هذا) اى تغميض العين (ان يكون فى وقت
صلاته بالانبياء) لانه فى حال الصلاة مكروه عند عامة الفقهاء (ولعله كان له فى هذا الاسراء حالات) اى مراتب
ومقامات فكان فى اوله نائما ووقت صلاته بهم قائما وفى شهود الآيات مطالعا وفى حال التجلى مستغرقا وفى حال
الرجوع متحيرا والحاصل انه كان بين سكر وشكر وقبض وبسط وصحو ومحو وفناء وبقاء (ووجه رابع) اى شاهد بانه
كان يقظة ويأول مايكون فيه مخالفة (وهو ان يعبر بالنوم هنا عن هيئة النائم من الاضطجاع) ووقع للدلجى هنا
زيادات وكذا فيما قبله مكررات ليست فى الاصول المعتمدة والنسخ المعتبرة (ويقويه) اى ويؤيد التعبير بالنوم عن
الاضطجاع (قوله) اى فى الحديث (فى رواية عبد بن) بالوصف لا بالاضافة (حميد) بالتصغير وهو حافظ كبير شهير واسمه
عبد الحميد وعبد لقب له (عن همام) بفتح الهاء وتشديد الميم امام حافظ يروى عن الحسن وعطاء وخلق وعنه ابن مهدى
وغيره قال احمد ثبت عند كل المشايخ اخرج له اصحاب الكتب الستة (بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفى رواية
هدبة) بضم الهاء وسكون الدال المهملة بعدها موحدة وهو ابن خالد القيسى الجهنى ابو خالد البصرى الحافظ المسند
ويقال له هداب عن همام بن يحيى وحماد بن سلمة وجرير بن حازم وعنه البخارى ومسلم وابو داود والبغوى وابو يعلى
قال ابن عدى لا اعرف له حديثا منكرا قال الحلبى وفى نسخة معاوية بدل هدبة وهو غير صحيح (عنه) اى عن همام
(بينا انا نائم فى الحطيم) قال الدلجى اى بين الركن والباب وفيه ان هذا حد الملتزم نعم قد يطلق ويراد به مابين الركن
الاعظم والمقام وزمزم لكن الاظهر انه يراد به الحجر لقوله (وربما قال فى الحجر مضطجع) وسمى حطيما لما حطم من
جداره فلم يسو ببناء البيت على ماذكره البغوى وسمى حجرا لانه حجر عن البيت اى من ادخاله فيه فمؤداهما واحد
وهو المستدير بالبيت جانب الشمال وعن مالك الحطيم مابين المقام الى الباب وعن ابن جريج مابين الركن والمقام
والله اعلم بالمرام (وقوله) اى وكذا يقويه قوله (فى الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون) اى النبى عليه السلام
(سمى هيئته) اى الاضطجاع (بالنوم لما كانت) اى تلك الهيئة (هيئة النائم غالبا) وقيده به اذ قد ينام وهو قاعد
او مستلق ونحو ذلك (وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم) اى من ذكره (وذكر شق البطن ودنو الرب)
اى قربه المنزه عن المكان (الواقعة) بالنصب صفة الزيادات او بدل منها اى التى وقعت (فى هذا الحديث) اى من
احاديث الاسراء (انما هى من رواية شريك) وهو ابن عبد الله بن ابى نمر (عن انس رضى الله تعالى عنه فهى) اى

فهذه الزيادات المذكورة (منكرة) بفتح الكاف (من روايته) اى شاذة مخالفة لروايات سائر الثقات (اذ شق البطن
فى الاحاديث الصحيحة انما كان فى صغره عليه الصلاة والسلام) اى مرة عند مرضعته (وقبل النبوة) تأكيد
لما قبله فان اول بعثة النبوة كان بعد اربعين سنة ثم ثبت شق صدره ايضا بجبل حراء عند نزول صدر سورة اقرأ
ولا يبعد ان يشق صدره عند الاسراء ايضا كما صرح به السهيلى ان الشق وقع مرتين مرة فى صغره ومرة فى كبره عند
رقيه الى العالم العلوى وكان الاول لازالة حظ الشيطان والآخر لملئ الحكمة والايمان لكن شريك منفرد بذلك
فى هذا الحديث وان وافقه السهيلى فيما هنالك هذا وقد روى الطيالسى والحارث فى مسنديهما من حديث عائشة
رضى الله تعالى عنها ان الشق وقع مرة اخرى عند مجئ جبريل عليه السلام بالوحى فى غار حراء ومناسبته ظاهرة جدا
وروى الشق وهو ابن عشر او نحوها فى قصة له مع عبد المطلب اخرجه ابو نعيم فى الدلائل قال العسقلانى وروى مرة
خامسة ولا يثبت لكن تعقبه بعض المتأخرين وقال رواه ابو نعيم من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن
آمنة قالت واذا ضم الى ذلك قصة شق الصدر فى المنام فتكون سادسة (ولانه) اى شريكا (قال فى الحديث قبل ان
يبعث والاسراء باجماع كان بعد المبعث) وروى البعث (فهذا) اى فما ذكره (يوهن) من الايهان او التوهين اى
يضعف (ماوقع فى رواية انس رضى الله تعالى عنه) اى من طريق شريك لكن قال العسقلانى فى باب المعراج من
كتاب المبعث استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الاسراء وقال انما وقع وهو صغير فى بنى سعد ولا انكار فى ذلك
فقد تواردت الروايات به وثبت شق الصدر ايضا عند البعثة كما اخرجه ابو نعيم فى الدلائل ولكل منها حكمة فالاول
وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم فاخرج علقة فقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا فى زمن الطفولية فنشأ على
اكمل الاحوال من العصمة من الشيطان ثم وقع شق الصدر عند المبعث زيادة فى اكرامه ليبلغ ما اوحى اليه بقلب قوى
فى اكمل الاحوال من التطهير ثم وقع شق الصدر عند ارادة العروج الى السماء ليتأهب للمناجاة ويحتمل ان تكون
الحكمة فى هذا الغسل المبالغة فى الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما فى شرعه انتهى وقال ايضا فى كتاب التوحيد
قد تقدم الرد على من انكر شق الصدر عند الاسراء وبينت انه ثبت فى غير رواية شريك فى الصحيحين من حديث
ابى ذر وان شق الصدر ايضا وقع عند البعثة كما اخرجه ابو داود والطيالسى فى مسنده وابو نعيم والبيهقى فى دلائل
النبوة انتهى وقال العراقى قد انكر وقوع الشق ليلة الاسراء ابن حزم وعياض وادعى انه تخليط من شريك وليس
كذلك فقد ثبت من غير طريق شريك فى الصحيحين وقال القرطبى لا يلتفت لانكاره لانه رواية ثقات مشاهير
هذا ووقع شق الصدر الكريم ايضا فى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه حين كان ابن عشر سنين وهى عند
عبد الله بن احمد فى زوائد المسند ذكره العسقلانى وقال صاحب الآيات البينات فى حديث شق الصدر وهو ابن
عشر سنين رواه ابن حبان والحاكم والضياء فى المختارة وصححوه (مع ان انسا قد بين من غير طريق) اى من طرق
كثيرة (انه) اى انسا (انما رواه) اى الحديث (عن غيره) كمالك بن صعصعة وابى ذر مرفوعا (وانه لم يسمعه من النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من غير واسطة (فقال) اى انس (مرة) اى فى رواياته (عن مالك بن صعصعة) وهذا
لا يضر لان مراسيل الصحابة بالاتفاق مقبولة محجوج بها (وفى كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك)
اى من الراوى عن انس (وقال مرة كان ابو ذر يحدث) ولا منع من الجمع بان انسا سمع الحديث منهما جميعا فتارة
اضاف الى واحد واخرى الى آخر فتدبر ثم رأيت الحلبى ذكر انه قال الحاكم فى الاكليل حديث المعراج صح سنده
بلا خلاف بين الائمة نقله العدل عن العدل ومدار الروايات فيه على انس رضى الله تعالى عنه وقد سمع بعضه من النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضه من ابى ذر وبعضه عن مالك يعنى ابن صعصعة قال وبعضه عن ابى هريرة رضى الله
تعالى عنه (واما قول عائشة) اى كما رواه ابن اسحق وابن جرير (ما فقد جسده) بصيغة المجهول وفى اصل الدلجى
وهو رواية ما فقدت بصيغة المتكلم (فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ) اى حين اذ وقع الاسراء
(زوجه) بالاضافة وفى نسخة زوجة اى له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا فى سن من يضبط) بضم الموحدة وكسرها
اى بل ولا كانت حينئذ فى سن من يحفظ الامور (ولعلها لم تكن ولدت بعد) بضم الدال اى تلك الساعة (على الخلاف
فى الاسراء) اى بناء على الاختلاف الواقع للعلماء فى زمن الاسراء (متى كان فان الاسراء كان فى اول الاسلام على
قول الزهرى ومن وافقه بعد المبعث) وروى البعث بدل المبعث (بعام ونصف) وهو مخالف لما نقله النووى فيما
عنه من انه بعده بخمسة اعوام (وكانت عائشة فى الهجرة) اى زمنها (بنت نحو ثمانية اعوام) فكان الاسراء على هذا
قبل ولادتها بنحو ثلاثة اعوام ونصف اذ قد مكث بمكة بعد البعثة ثلاثة عشر عاما (وقد قيل كان الاسراء
لخمس) اى من السنين (قبل الهجرة وقيل قبلها بعام والاشبه) اى الاظهر (انه لخمس) اى قبل الهجرة وهو مخالف

لما حكاه النووى عنه ثم اختلف فى الشهر الذى اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فقيل ربيع الاول وجزم به النووى فى الفتاوى وقيل فى ربيع الآخر وبه جزم ايضا فى شرح مسلم تبعا للقاضى المصنف وقيل فى رجب وجزم به النووى ايضا فى الروضة وقال الواقدى فى رمضان وقال الماوردى فى شوال والله تعالى اعلم بالحال هذا ومعظم السلف والخلف من المحدثين والفقهاء ان الاسراء كان بعد البعثة لستة عشر شهرا على مانقله النووى عن الحربى قال السبكى الاجماع على انه كان بمكة والذى نختاره ماقاله شيخنا ابو محمد الدمياطى انه قبل الهجرة بسنة وهو فى ربيع الاول قال ولا احتفال بما تضمنته التذكرة الجدونية انه فى رجب واحياء المصريين ليلة السابع والعشرين منه بدعة (والحجة لذلك) اى لابطال كونه مناما ذكره الدلجى والاظهر ان يكون مراده لما ذكره من الادلة والاقوال المختلفة فى تاريخ وقت المعراج بخصوصه (تطول ليست من غرضنا) فضربنا صفحا عن اطالتها لا يقع احد فى حد ملالتها (فاذا لم تشاهد ذلك عائشة) اى سواء ولدت قبله او بعده (دل على انها حدثت بذلك عن غيرها) اى بناء المتكلم حكاية لقول من اخبرها باقيا على صورته الاولى كقولك لمن قال هذه تمرتان الدعى من تمرتان قال ذوالرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا برفع الناس اى سمعت هذا القول فكانها قالت سمعت من فلان او فلانه مافقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فلم يرجح خبرها على خبر غيرها) اى لروايتها له عن مجهول بل لعدم ثبوته (وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا فى حديث ام هانئ وغيره) اى وفى غير حديث ام هانئ كحديث ابى ذر ومالك بن صعصعة (وايضا) مصدر آض بمعنى عاد ورجع والمعنى وقلت معاودا (فليس حديث عائشة رضى الله تعالى عنها) اى مافقدت جسده (بالثابت) اى عند ائمة الحديث لقادح فى سنده عنها اذ فيه ابن اسحق وقد تكلم فيه مالك وغيره (والاحاديث الاخر) بضم ففتح جمع آخر اى الواردة فى الاسراء (اثبت) اى اكثر ثبوتا واصح رواية من حديثها (لسنا) وفى نسخة صحيحة ولسنا (نعنى) اى لانريد بقولنا والاحاديث الاخر اثبت (حديث ام هانئ) اى ما اسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى (وماذكرت فيه خديجة) بصيغة المفعول اى ولا نعنى حديث عمر الذى ذكرت فيه خديجة لعدم ورودهما فى الصحيح (وايضا فقد روى فى حديث عائشة مافقدت) اى جسده (ولم يدخل بها الا بالمدينة) جملة حالية مؤذنة بعدم صحة حديث مافقدت عنها اذ الاسراء كان بمكة اجماعا (وكل هذا) اى وكل ذلك سابقا ولاحقا (يوهنه) اى بالوجهين اى يضعف حديث مافقدت ويروى يوهنونه بفتح الواو وكسر الهاء مشددة وبالواو ضمير الجماعة ذكره الحجازى وفيه نظر (بل الذى يدل عليه صحيح قولها انه) بفتح الهمزة وكسرها اى ان اسراءه كان (بجسده لانكارها ان يكون رؤياه لربه) اى ليلة الاسراء (رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره) اى لم تنكر كون رؤيته لربه مناما (فان قيل فقد قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب) اى لا للبصر (وهذا) اى الجعل (يدل على انه رؤيا نوم ووحى) بالرفع عطف على رؤيا وقرأ بعد الدلجى فى قوله ووحى بالجر عطف على نوم اى ورؤيا وحى فيه (لا مشاهدة عين وحس) اى لاعلى انه مشاهدة عين وحس بصرى فهو عطف تفسيرى وقال الانطاكى مشاهدة نصب اى لارؤيا مشاهدة عين فحذف المضاف واعرب المضاف اليه باعرابه انتهى وبعده لا يخفى (قلنا) اى فى الجواب عنه (يقابله) اى يعارضه (قوله تعالى مازاغ البصر وماطغى) اى ما مال عما رآه وما تجاوزه (فقد اضاف الامر) فى الرؤية (الى البصر وقد قال اهل التفسير فى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى اى لم يوهم القلب) بالرفع (العين) بالنصب وفى نسخة عكس ذلك (غير الحقيقة) اى غير حقيقة ما رآه (بل صدق رؤيتها) ويؤيده قراءة التشديد (وقيل ما انكر قلبه ما رأت عينه) اى فيكون ضمير رأى راجعا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم لا الى الفؤاد والله تعالى اعلم بالمراد وحاصله وما قبله انه لم يقل قلبه لما رأى لم اعرفك ولو قال لكذب اذ قد عرفه كما عرفه بصره اذ الامور القدسية يدركها القلب اولا ثم يوردها على البصر ثانيا بدليل حديث مسلم هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى كذا قرره الدلجى ولا يخلو عن خلجان فى القلب لعله يظهر بعد ذلك بتوفيق الرب تعالى

(فصل)

(واما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه جل) اى عظم شانه (وعز) اى وغلب سلطانه (فاختلف السلف فيها) اى فى رؤيته له سبحانه وتعالى بعين بصره (فانكرته عائشة رضى الله عنها) اى كونها ووقوعها او قول مسروق لها هل رأى محمد ربه وفى اصل الدلجى فانكرتها عائشة اى الرؤية المذكورة (حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ) اى للحديث (بقراءتى عليه قال حدثنى ابى) اى عبد الملك ووهم الحلبى فى قوله ابوه هو القاضى سراج وكانه وقع فى اصله ابو الحسين ابن سراج وهو مخالف للنسخ المعتمدة (وابو عبد الله ابن عتاب) بفتح فتشديد (قالا) اى كلاهما

(ثنا

(ثنا القاضى يونس بن مغيث) بضم ميم فغين معجمة مكسورة فتحتية فمثلثة قال ابن ماكولا فى اكماله وابو محمد ابن عبد الله بن محمد بن مغيث اندلسى يعرف بابن الصفار مشهور بالعلم والادب جمع من اشعار الخلفاء من بنى امية كتابا وابنه يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث ابو الوليد قاضى الجماعة بقرطبة سمع ابا بكر محمد بن معاوية القرشى المعروف بابن الاحمر والعباس بن عمرو الصقلى وروى عنه ابو عمر ابن عبد البر النمرى وابو محمد ابن حزم قاله الحميدى (ثنا ابو الفضل الصقلى) بكسر الصاد وسكون القاف نسبة الى صقلية جزيرة من جزائر بحر الغرب ذكره الحلبى وغيره وضبط فى بعض النسخ بضم الصاد وضبطه ابن خلكان بفتحتين وتبعه الحجازى وزاد تشديد اللام وقال التلمسانى بفتح الصاد والقاف وكسرهما واللام مخففة فيهما (ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده) اى قاسم وثابت (قالا) اى كلاهما (ثنا عبد الله بن على ثنا محمود بن آدم) هو مروزى يروى عن ابن عيينة وابى بكر ابن عياش وجماعة وعنه البخارى وابو بكر ابن ابى داود وطائفة توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين (ثنا وكيع) تقدم ذكره (عن ابن ابى خالد) هو اسماعيل ابن سعيد البجلى الكوفى عن ابن ابى اوفى وابى جحيفة وقيس وخلق وعنه شعبة وغيره حافظ امام وكان طحانا تابعى ثقة احد الاعلام اخرج له الائمة الستة (عن عامر) وهو الصواب لا ما وقع فى بعض النسخ عن مجاهد ذكره الشمنى وزاد الحلبى فانه ليس له شئ من الكتب الستة عن مسروق وهو عامر بن شرحبيل ابو عمرو الشعبى الهمدانى قاضى الكوفة احد الاعلام ولد فى خلافة عمر وروايته عن على فى البخارى وروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه والمغيرة وخلق قال ادركت خمسمائة من الصحابة وقال ما كتبت سوادا فى بياض ولا حدثت بحديث الا حفظته مات سنة ثلاث ومائة اخرج له الائمة الستة وقال الدلجى قد روى المصنف هنا حديث مسلم بسند آخر شاهدا لانكارها ذلك يقظة وهو بفتح الشين وسكون العين واختلف فى نسبته وقد يضرب به المثل فى الحفظ فيقال احفظ من الشعبى وقال الزهرى العلماء اربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبى بالكوفة والحسن بالبصرة ومكحول بالشام وقال مكحول ما رأيت افقه من الشعبى فى زمانه (عن مسروق انه قال لعائشة يا ام المؤمنين هل رأى محمد ربه) يعنى ليلة الاسراء فى حال اليقظة (فقالت لقد قف شعرى) بفتح القاف وتشديد الفاء من القفقفة وهى الرعدة اى اقشعر وقام شعر جسدى من الفزع (مما قلت) اى طالبا منى تصديقى بثبوت رؤيته لربه اولا ثبوتها او لكونى سمعت ما لا ينبغى ان يقال (ثلاث من حدثك) كذا بكاف الخطاب ثبت بخط القاضى المصنف وعند العرفى بحذفها وكلاهما صحيح والمعنى من اعلمك اوروى واخبر (بهن فقد كذب) وفى نسخة كذبك اى افترى فرية بلامرية فبين وبيانها قولها (من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت) اى للاستشهاد على دعوى المراد (لا تدركه الابصار الآية) اى وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير واجيب بان الآية دالة على انه لا تحيط به ولا بحقيقته حاسة بصر اذا تجلى بنور كماله وصفة كبرياء جلاله لحديث مسلم نورانى اراه اى حجابه نوره كيف اراه اذ كمال النور يمنع الادراك من غاية الظهور واما اذا تجلى بما يسعه نطاق القدرة البشرية من صفات جماله الصمدية فلا استبعاد رؤيته بدون احاطة فنفى الآية رؤيته على سبيل الاحاطة لا يوجب نفى رؤيته بدونها بالاستحالة (وذكر) مسروق (الحديث) اى الخ قال التلمسانى الاولى هذه والثانية قولها رضى الله تعالى عنها من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتم شيأ من الوحى ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية والثالثة من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم يخبر بما يكون فى غد فقد اعظم الفرية ثم قرأت ان الله عنده علم الساعة الآية انتهى وزاد الانطاكى ولكنه رأى جبريل مرتين وقال الغزالى فى الاحياء والصحيح ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج لكن النووى صحح الرؤية فى الفتاوى ونقله عن المحققين والله سبحانه وتعالى اعلم قال الحلبى هذا الحديث الذى ساقه القاضى هنا هو فى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وهو فى البخارى فى التفسير عن يحيى عن وكيع بالسند الذى ساقه القاضى فهو بدل ولو رواه القاضى من طريق البخارى كان يقع له اعلى من هذا وسبب عدول القاضى عن اخراج هذا الحديث من احد هذه الكتب مع انه بين القاضى وبين شيخ الشيخ البخارى وكيع سبعة وهذا الذى ساقه بينه وبين وكيع ثمانية فالذى فى الصحيح اعلى لينوع وليظهر كثرة الشيوخ والمسموعات والله سبحانه وتعالى اعلم بالنيات (وقال جماعة) اى من المحدثين والمتكلمين (بقول عائشة وهو المشهور) اى كما رواه الشيخان (عن ابن مسعود) اى انه رأى جبريل (ومثله) اى فى كونه مشهورا مارواه البخارى (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) انه قال (انما رأى جبريل عليه السلام واختلف عنه) اى عن ابى هريرة اذ قد روى عنه انه قال رآه بعينه كابن مسعود وابى ذر والحسن وابن حنبل (وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته فى الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين) جوزان يكون المشار اليه مالم يشتهر من قول ابى هريرة انه رآه بعينه

وان يكون ما انكرته عائشة اى بانكار ما انكرته وفاقالها ولذا اكده بالجملة الثانية دفعا لتوهم كون انكاهم انكارا
لانكارها كذا حققه الدلجى ونقل الحلبى انه حكى ابو عبد الله ابن امام الجوزية عن عثمان بن سعيد الدارمى الحافظ
لما ذكر مسئلة الرؤية مالفظه وهى مسئلة خلاف بين السلف والخلف وان كان جمهور الصحابة بل كلهم مع عائشة
كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمى اجماعا للصحابة (وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه رآه بعينه) وبه قال انس
وعكرمة والربيع (وروى عطاء عنه) اى عن ابن عباس (بقلبه) اى انه رآه بعين بصيرته وعطاء هذا هو ابن ابى
رباح بفتح الراء وبالموحدة ابو محمد المكى الفقيه احد الاعلام يروى عن عائشة وابى هريرة رضى الله تعالى عنهما
وخلق وعنه ابو حنيفة والليث والاوزاعى وابن جريج وامم اخرج له الائمة الستة وقد اخرج هذا الحديث مسلم عن
عطاء عن ابن عباس فى صحيحه فى باب الايمان عن ابى بكر ابن ابى شيبة عن حفص بن غياث عن عبد الملك ابن ابى سليمان
عن عطاء عنه به (وعن ابى العالية عنه) اى عن ابن عباس (رآه بفؤاده مرتين) وابو العالية هذا هو رفيع
ابن مهران الرياحى بكسر الراء والمثناة تحت وهذه الرواية اخرجها مسلم فى الايمان (وذكر ابن اسحق) اى محمد
ابن اسحق بن يسار الامام فى المغازى عن عبد الله ابن ابى سلمة (ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه)
اى بعين بصره اذ لا خلاف فى رؤيته ببصيرته (فقال نعم) والحاصل انه اختلفت الرواية عن ابن عباس فى مسئلة الرؤية
(والاشهر عنه) اى عن ابن عباس (انه رأى ربه بعينيه روى ذلك) اى القول الاشهر (عنه من طرق) اى باسانيد
متعددة اقتضت الشهرة (وقال) اى فى بعض طرقه وهو مارواه الحاكم والنسائى والطبرانى ان ابن عباس قال تقوية
لقوله انه رأى ربه بعينيه (ان الله اختص موسى بالكلام) اى من بين سائر الانبياء عليهم السلام فلا ينافى انه
صلى الله تعالى عليه وسلم وقع ايصاله الكلام على وفق المرام وكذا قوله (وابراهيم بالخلة) بضم الخاء فانه
صلى الله تعالى عليه وسلم جمع له بين كونه خليلا وحبيبا (ومحمدا بالرؤية) اى البصرية هذا ولا منافاة بين قول
ابن عباس رآه بعينه وبين قوله رآه بفؤاده لامكان الجمع بينهما بثبوت الرؤية للبصر والبصيرة كما يشير اليه قوله تعالى
ما كذب الفؤاد ما رأى اى ما كذب فؤاده مرئيه بل صدقه وطابقه ووافقه (وحجته) اى دليل ابن عباس اى على
انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه (قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى) اى بعينه اذ لا يقال ما كذب الفؤاد ما رأى
بقلبه فالمعنى ما اعتقد قلب محمد خلاف ما رأى ببصره وهى مشاهدة ربه تعالى بفؤاده بجعل بصره فيه او ببصره
بجعل فؤاده فيه لان مذهب اهل السنة ان الرؤية بالاراءة لا بالقدرة هذا والراجح كما قال النووى عند اكثر العلماء
انه رآه بعينى رأسه ليلة الاسراء واثبات هذا ليس الا بالسماع منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مما لا شك فيه
وانكار عائشة وقوعها لم يكن لحديث روته ولو كان لحديث ذكرته بل احتجت بقوله تعالى لا تدركه الابصار
قلنا المراد بالادراك الاحاطة اذ ذاته تعالى لا تحاط ولا يلزم من نفيها نفى الرؤية بدونها او بقوله وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا قلنا لا تلازم بين الرؤية والكلام لجواز وجودها بدونه كذا قرره الدلجى فيما نقله عن النووى
وفيه انه لا يعرف حديث مسموع مرفوع بل كل من عائشة وابن عباس مستدل باية من الكتاب والله تعالى اعلم
بالصواب (افتمارونه على ما يرى) اى افتشكون او افتجادلونه بالاستفهام الانكارى وانما وقع الجدل والشك فى رؤية
البصر اذ لا يشك احد فى رؤية البصيرة ولعل الاستدلال بهذه الآية بناء على ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب والافالظاهر ان الشك انما وقع من الكفار فى نفس الاسراء وما رأى فى عالم السماء (ولقد رآه نزلة اخرى)
وهى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانت له فى تلك الليلة
عرجات لحط عدد الصلوات ولكل عرجة نزلة ذكره الدلجى وفى الاحتجاج بهذه الآية نظر ظاهر اذ جمهور المفسرين
على ان ضمير المفعول راجع الى جبريل عليه السلام لا سيما اضعف الاحتمال اضعف الاستدلال (قال الماوردى)
سبق ذكره (قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين) اى حيث كان قاب قوسين
او ادنى وعند سدرة المنتهى (وكلمه موسى مرتين) اى مرة وقت ارساله الى فرعون ومرة بعد هلاكه ورجوعه الى
الطور وفيه ان قائل هذا مجهول فالاستدلال به غير معقول (وحكى ابو الفتح الرازى) الله اعلم به كذا ذكره
الدلجى وقال التلمسانى هو سليمان بن ايوب مات غريقا سنة سبع واربعين واربعمائة (وابو الليث السمرقندى)
تقدم ذكره (الحكاية) اى التى ذكرها الماوردى (عن كعب) وفيه ان كعب الاحبار هو من اهل
الكتاب والتواريخ فلا يكون قوله حجة فى هذه المسئلة (وروى عبد الله بن الحارث) هو زوج اخت محمد بن سيرين
روى عن جماعة من الصحابة وروى هذا الحديث مرسلا كذا ذكره الشمنى تبعا للحلبى وفى كون هذا الحديث مرسلا
نظر ظاهر فى المنقول ولا يخفى على من له المام بعلم الاصول وقال الانطاكى هو ابو الوليد عبد الله بن حارث البصرى

روى

روى عن عائشة وابى هريرة وزيد بن ارقم وابن عباس وابن عمر وغيرهم وعنه ابنه يوسف والمنهال بن عمرو وعاصم
الاحول وخالد الحذاء وجماعة ونقه ابو زرعة والنسائى واخرج له الائمة الستة (قال) اى عبد الله بن الحارث (اجتمع
ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد رأى ربه عز وجل مرتين فكبر كعب
حتى جاوبته الجبال وقال) اى كعب او ابن عباس (ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه
محمد بقلبه) اى وبعينه ايضا قاله الدلجى اقول الظاهر ان هذا قول كعب وانه مخالف لقول ابن عباس وتكبيره
كان لتعظيم الامر وتفخيم القدر واما ما قاله ابو الفتح اليعمرى فى سيرته فى الاسراء ما لفظه وروينا من طريق
الترمذى حدثنا ابن ابى عمر ثنا سفين عن مجالد عن الشعبى قال لقى ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شئ فكبر
حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس انا بنو هاشم نقول ان محمدا رأى ربه فقال كعب ان الله تعالى قسم رؤيته
وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين فقال الحلبى لم ار هذا الحديث فى اطراف المزى
فان كان فى الجامع فلعله سقط من نسختى وان كان من طريقه فى غير الجامع فلم اقف عليه قلت وعلى تقدير ثبوته
فلعله عنه روايتان (وروى شريك عن ابى ذر فى تفسير الاية) اى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى (قال رأى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) فيه انه مبهم يحتمل احتمالين واغرب الدلجى هنا حيث قال اى بقلبه بشهادة اول الاية
وهو مناقض لما سبق عنه من تقرير الرواية بالبصر فتدبر (وحكى السمرقندى) اى كرواية ابن ابى حاتم (عن محمد بن
كعب) اى القرظى كما فى نسخة صحيحة وهو تابعى جليل (وربيع بن انس) هو ايضا تابعى مشهور (ان النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى ولم اره بعينى) وهذا الحديث صريح فى طرفى الاثبات
والنفى ولا يضر كون الحديث مرسلا لانه حجة عند الجمهور لا سيما وقد اعتضد بما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب
عن بعض اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرفوعا واما قول الدلجى لعله فى المرة الاولى اذ قد روى ابن عباس
انه رآه مرتين فلا يقاوم الحديث من وجوه يعلمها اهله (وروى مالك بن يخامر) بضم تحتية لخاء معجمة مخففة
فالف فميم مكسورة فراء لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل يقال له صحبة والاصح انه تابعى روى عن جماعة من
الصحابة منهم عبد الرحمن بن عوف وروى عنه معاوية بن ابى سفيان وجماعة من التابعين وفى نسخة وروى عن مالك
ابن يخامر (عن معاذ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ربى) فيه احتمال ان كان فى الاسراء لكن قال
المزى حديث مالك بن يخامر عن معاذ مبين فى بعض الروايات انه فى النوم (وذكر كلمة) اى جملة من الكلام وقال
الانطاكى من دأب السلف اذا وقع فى الحديث لفظ يستعظمون التصريح به ان يعبروا عنه بقولهم وذكر كلمة
اى كلمة عظيمة (فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث) وهذا حديث جليل ولفظه طويل ونفعه جزيل
فلا بد من ايراده ليقع الوقوف على مراده فقد رواه احمد وغيره عن معاذ قال صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
صلاة الغدوة ثم اقبل علينا فقال انى سأحدثكم انى قمت من الليل فصليت ما قدر لى فنعست وفى رواية فوضعت جنبى
فاذا انا بربى فى احسن صورة وهو حال منه صلى الله تعالى عليه وسلم او من ربه ولا اشكال فيه كما قال البيضاوى
اذ قد يرى النائم غير المتشكل متشكلا وعكسه ولا يعد ذلك خللا فى الرؤيا ولا فى خلد النائم فقال يا محمد فيم يختصم
الملأ الاعلى ورواية المصابيح فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت انت اعلم اى رب مرتين قال فوضع كفه وفى رواية يده
بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى وفى رواية فوجدت برد انامله بين ثديى فعلمت ما فى السماء والارض وفى الرواية
الثانية فتجلى لى كل شئ وعرفت ما فى السماء والارض ثم تلا هذه الاية وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض
وليكون من الموقنين ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت فى الكفارات قال وما هن قلت المشى على الاقدام
الى الطاعات والجلوس فى المساجد بعد الصلوات وفى رواية خلف الصلوات وابلاغ الوضوء اماكنه على المكاره
وفى رواية فى المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكن من خطيئته كيوم ولدته امه ومن الدرجات اطعام
الطعام وبذل السلام وان يقوم بالليل والناس نيام ثم قال قل اللهم انى اسألك الطيبات وترك المنكرات وفعل
الخيرات وحب المساكين وان تغفر لى وترحمنى وتتوب على واذا اردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون قال الانطاكى
واعلم ان من العلماء من امتنع عن الكلام فى تأويل قوله عليه الصلاة والسلام فى احسن صورة منهم احمد بن حنبل
روى انه هجر ابا ثور فى تأويله قوله عليه الصلاة والسلام ان الله خلق آدم على صورته ومنهم من تكلم فيه فقيل قوله
فى احسن صورة يحتمل ان يكون حالا من الرائى وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه رأيته وانا فى احسن
صورة وصفة من غاية انعامه ولطفه تعالى على ويحتمل ان يكون حالا من المرئى وهو الرب جل جلاله وصورته ذاته
ذاته المخصوصة المنزهة عن المماثلة وقال الخطابى الصورة ترد فى كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشئ

وعلى معنى صفته يقال صورة هـذا الامر كذا وكذا اى صفته وقال وهو المراد هنا وقال فى جامع الاصول المراد انه اتاه فى احسن صفته ثم المراد بالاختصام تقاولهم فى فضل تلك الاعمال واى بفتح الهمزة بمعنى يا وقوله مرتين متعلق بقوله فقال فيم يختصم الخ اى جرى السؤال من ربى والجواب منى مرتين وقوله فوضع كفه بين كتفى كناية عن تخصيصه تعالى اياه بمزيد الفضل وايصال الفيض اليه والافلا كف ولا وضع حقيقة كما ان من عادة الملوك اذا اراد احدهم ان يقرب بعض خدمه من نفسه ويذكر معه احوال مملكته ان يضع يده على ظهره ويلقى ساعده على عنقه تلطفا به وتعظيما لشأنه والبرد الراحة والضمير فى بردها يعود الى الكف واراد بقوله بين ثديى قلبه وهو كناية عن وصول ذلك الفيض الى قلبه انتهى وهـذا كله يحتاج اليه اذا صح الحديث فى اليقظة والله اعلم (وحكى عبد الرزاق) وهو ابن همام بن نافع الحافظ الكبير الصغانى احد الاعلام صاحب التصانيف روى عن عبيد الله ابن عمر وعن الاوزاعى والثورى ومعمر وخلائق وعنه احمد واسحق وابن معين وجماعة وقد وثقه غير واحد واخرج له الائمة الستة ونقموا عليه التشيع وهو غير ثابت فيه بل كان يحب عليا رضى الله تعالى عنه ويبغض من قاتله وقد قال سلمة بن شبيب سمعت عبد الرزاق يقول والله ما انشرح صدرى قط ان افضل عليا على ابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهم (ان الحسن) اى البصرى (كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه) فيه احتمالان (وحكاه) اى نقل مثله (ابو عمر الطلمنكى) بفتح الطاء المهملة واللام والميم فنون ساكنة فكاف مكسورة وهو الامام الحافظ المقرئ ابو عمر بضم العين روى عنه ابن عبد البر وابن حزم وغيرهما وكان رأسا فى علم القراآت ذا عناية تامة بالحديث اماما فى السنة توفى فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين واربعمائة (عن عكرمة) تقدم ذكره (وحكى بعض المتكلمين) قال الحلبى لا اعرفه (هـذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق) اى صاحب المغازى (ان مروان سأل ابا هريرة هل رأى محمد ربه قال نعم) ومروان هذا ابن عبد الحكم ابن ابى العاص ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى ولد سنة اثنتين ولم يصح له سماع ولا رؤية روى عن عثمان وعلى وزيد بن ثابت وروى عنه عروة ومجاهد وعلى بن الحسين دولته تسعة اشهر وايام وملك ابنه عبد الملك بعده اخرج لمروان الستة غير مسلم الا ان البخارى روى حديث الحديبية عنه مقرونا بالمسور بن مخرمة (وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه) اى كرره (حتى انقطع نفسه) بفتح الفاء (يعنى نفس احمد) اى ابن حنبل كما فى نسخة صحيحة وهذا تفسير من المصنف اوغيره قال بعض الحنابلة من العلماء كلاما معناه ان احمد لم يقل انه رآه ليلة الاسراء وانما رآه فى النوم يعنى الحديث الذى فيه رأيت ربى فى احسن صورة الحديث يعنى رؤيا الانبياء وحى (وقال ابو عمر) الظاهر انه اراد به ابن عبد البر فانه الفرد الاكمل الاشهر خلافا للحلبى ومن تبعه حيث قال الظاهر انه ابو عمر المتقدم يعنى الطلمنكى (قال احمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن) بفتح الجيم وضم الموحدة وقيل تفتح اى خاف احمد وتأخر (عن القول برؤيته بالابصار) اى الحسية (فى الدنيا وقال سعيد بن جبير لا اقول) اى انه (رآه ولا لم يره) وهذا يدل على غاية الاحتياط منه وعلى تعارض الادلة عنده (وقد اختلف فى تأويل الاية) اى آية ما كذب الفؤاد ما رأى اوقوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى (عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم فحكى) بصيغة المجهول (عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل) هو الامام الحافظ الثبت محدث العراق روى عن ابيه وخلائق وعنه النسائى وغيره (عن ابيه انه قال رآه) وقد سبق الكلام عليه من جهة مبناه ومعناه (وعن ابن عطاء فى قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام) اى اجابة لدعائه عليه الصلاة والسلام رب اشرح لى صدرى وما بينهما بون بين اذ الاول مراد ومطلوب للمحبوب والثانى مريد وطالب للمرغوب (وقال ابو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى رضى الله تعالى عنه) كذا فى النسخ والاولى ان يقال رحمه الله لانه ليس من الصحابة (وجماعة من اصحابه انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رأى الله تعالى ببصره وعينى رأسه) قال الحلبى هـذا هو الشيخ القدوة امام المتكلمين على بن اسماعيل ابن ابى بشر ابن سالم بن عبد الله بن موسى بن بلال ابن ابى بردة ابن ابى موسى عبد الله بن قيس ابو الحسن الاشعرى كان اولا معتزليا ثم ترك ذلك برؤيا رآها فى نومه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان لا يتكلم فى علم الكلام الا ان يجب عليه قياما فى الحق وكان حبرا عظيما لا يناضل ولا يبارى قال القاضى ابو بكر الباقلانى افضل احوالى ان افهم كلام ابى الحسن ولد سنة اثنتين ومائتين ومات قبل الثلاثين والثلاثمائة على الاصح قال الشيخ ابو محمد الجوينى والد امام الحرمين كان شافعيا تفقه على الشيخ ابى اسحق المروزى وقال التاسانى وابو الحسن هـذا مالكى المذهب (وقال) اى الاشعرى (كل آية) اى معجزة (اوتيها نبى من الانبياء عليهم السلام فقد اوتى مثلها) اى حقيقة ونظيرها صورة (نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم

وخص من بينهم بتفضيل الرؤية) اى بزيادة حصول الرؤية واللقاء ووصول الدرجة العليا فى ليلة الاسراء (ووقف) اى توقف (بعض مشايخنا) جمع مشيخة وهو القياس اوشيخ على غير قياس (فى هـذا) اى فى ذلك كما فى نسخة (وقال ليس عليه دليل واضح) اى على ثبوت وقوعه (ولكنه جائز ان يكون) اى وجائز ان لا يكون وهـذا يحتمل ان يكون من كلام القاضى وان يكون من كلام الاشعرى (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله) اى المصنف (والحق الذى لا امتراء) افتعال من المرية اى لا شك (فيه ان رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة عقلا وليس فى العقل ما يحيلها) اى شئ من توهم واحتمال يحكم باستحالتها لجزمه بجواز وقوعها فيها (والدليل على جوازها فى الدنيا سؤال موسى لها) اى حيث قال رب ارنى انظر اليك مع اعتقاده انه تعالى يجوز ان يرى فيها فسألها (ومحال) بضم الميم اى ومن المحال (ان يجهل نبى ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل الا جائزا غير محال) اى غير مستحيل كما فى نسخة لاستحالة سؤال الانبياء ما يكون من المحال (ولكن وقوعه ومشاهدته) اى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة (من الغيب الذى لا يعلمه الا من علمه الله تعالى) بتشديد اللام اى اطلعه اياه (فقال له الله تعالى) اى لموسى اى غير ناف للجواز (ان ترانى) اى دون لن ارى المؤذن بنفيه اى المشعر بنفى جوازه بل فيه ما يدل على نفى وقوعه فقط حيث قال لن ترانى (اى لن تطيق) اى تحمل تجلياتى (وان تحمل رؤيتى) اى فى الدنيا لانها دار الفناء واللقاء انما يكون فى دار البقاء وحال الاسراء بعد من امر الآخرة بدليل الكشوفات الذاخرة والمقامات الفاخرة المقتضية لخرق العادة فى قوة بنية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى تلك الحالة (ثم ضرب) اى بين (له مثالا) وفى نسخة مثلا (مما هو اقوى من بنية موسى) بكسر موحدة وسكون نون فتحتية اى من تركيب بناء جسده واعضاء جسمه (واثبت) تفسير لاقوى (وهو الجبل) اى بحسب الهيكل الصورى حيث قال ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى (وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته فى الدنيا) اى يقتضى ردها ويروى وقوعها محالا (بل فيه جوازها على الجملة) اى دليل جواز وقوعها فى الجملة حيث علق وقوع رؤيته على استقرار الجبل فى مكانه بعد تجلى رؤيته والتعليق بالممكن يفيد الامكان اذ معنى التعليق هو ان يقع على تقدير وقوع المعلق عليه والمحال لا يقع على تقدير اصلا (وليس فى الشرع) اى فى الكتاب والسنة (دليل قاطع على استحالتها) اى استحالة جوازها (ولا امتناعها) اى ولا دليل على امتناع وجودها (اذ كل موجود) اى لانه سبحانه وتعالى موجود بل واجب الوجود وكل موجود جائز الرؤية (فرؤيته جائزة غير مستحيلة) كما قال الاشعرى (ولا حجة لمن استدل على منعها) اى امتناع جوازها (بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التأويلات فى الآية) اى ومع الاحتمال لا يصح ان يكون حجة اذ قد قيل المراد بالادراك الاحاطة ولا يلزم منه نفى مطلق الرؤية وقيل ليس عاما فى الاوقات فيخص ببعضها ضرورة الجمع بين الادلة ولا فى الاشخاص اذ هو فى قوة قولك لا كل بصر يدركه فيخص ببعضهم لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقد اغرب عز الدين بن عبد السلام فى قوله لا تراه الملائكة (واذا ليس) عطف على الاختلاف وقيل على قوله كل موجود ولا يخفى بعده اى ولانه (لا يقتضى قول من قال فى الدنيا) اى بمنعها فى الدنيا (الاستحالة) اى للرؤية لانه ليس نصا فى المنع بل اخذ بتأويل واحتمال لا يقتضى الاستحالة (وقد استدل بعضهم بهذه الآية) اى آية لا تدركه الابصار (نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة) اذ مفهوم نفى الاحاطة جواز الرؤية (وقد قيل) اى فى تأويل الآية (لا تدركه ابصار الكفار) على ان اللام للعهد بقرينة قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به) اى كما مر مرارا (وهو قول ابن عباس وقد قيل) اى فى التأويل (لا تدركه الابصار) اى انفسها (وانما يدركه المبصرون) اى بسببها او بقوة الهية فيها وهو بضم الميم واسكان الباء وكسر الصاد قال تعالى فمن ابصر فلنفسه والمعنى ان الادراك انما يكون للمبصر بواسطة البصر لا البصر نفسه (وكل هـذه التأويلات لا تقتضى منع الرؤية ولا استحالتها) اى بل تقتضى جوازها (وكذلك لا حجة لهم) اى على منعها (بقوله لن ترانى الاية وقوله تبت اليك لما قدمناه) اى للتأويل الذى قدمناه وهو قوله اى لن تطيق مما يؤذن بجوازها كسؤال موسى اياها (ولانها) اى آية لن ترانى (ليست على العموم) وفى نسخة من العموم اى فى نفيها لجميع افراد الانسان فى جميع الازمان لجواز ان يراه غير موسى مما يخلق الله فيه استعداد الهيا ابانها كليلة الاسراء فان لن لنفى المستقبل فقط ولا تفيد توكيد النفى فى الاستقبال ولا تابيده على ما عليه اهل السنة خلافا للزمخشرى واهل الاعتزال حيث يدعون انها تفيد التوكيد او التأبيد وورد بقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا وبقوله فلن اكلم اليوم انسيا اذ يلزم تكرار الابد وعدم فائدة التقييد باليوم (ولان من قال معناها لن ترانى فى الدنيا انما هو تأويل) اى مما لا يقتضى استحالة ولا منعا فيها مطلقا لجواز اختصاص المنع فيها بموسى دون غيره على انه قد يقال ان حالة الاسراء مما لا يعد من احوال الدنيا بل

انماهى من مقامات العقبى اوحالة اخرى كالبرزخ (وايضا ليس) وفى نسخة فليس (فيه) اى فى قوله تعالى لن ترانى
(نص الامتناع) اى من الرؤية مطلقا (وانما جاءت) اى آية لن ترانى مفصحة بامتناعها (فى حق موسى) اى خصوصا
ولا يلزم من منع الخصوص منع العموم مع انه قابل للتقييد بذلك المكان والزمان (وحيث تطرق التاويلات)
بحذف احدى التائين اى تردد وتتابع وتزاحم ويؤيده انه فى نسخة تتطرق ويقويه قوله (وتتسلط الاحتمالات) عطف
تفسير (فليس للقطع) اى لقطع المنع (اليه) اى الى امتناع الرؤية (سبيل) اى طريق ودليل (وقوله تبت اليك) اى
مأول بقولهم (اى من سؤالى) اى من الاقدام على دعائى (مالم تقدر لى) روى بضم التاء وفتحها وفتح القاف فلا
يلائم الامع ضم التاء وتشديد الدال فيكون المعنى مالم تقدره لى فى الازل وكتبته على فى سابق علمك واما مكونها
فمعناه مالم تجعله فى قدرتى ووسعى كذا ذكر التلمسانى (وقال ابو بكر الهذلى) بضم هاء وفتح ذال معجمة (فى قوله لن ترانى
اى ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الى فى الدنيا) اى والامر آه ليس من الدنيا بل من الاخرى (وانه) اى الشان (من
نظر الى) اى فى الدنيا (مات) اى فى الحال بدليل صعق موسى حين رأى الجبل قال المزى ويؤيده ما فى مسلم من
حديث الدجال فاعلموا انه اعور وان الله سبحانه وتعالى ليس باعور وان احدا منكم لن يرى ربه حتى يموت (وقد
رأيت لبعض السلف والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى فى الدنيا ممتنعة) اى لا من حيث ذاتها لثبوت جوازها
فيها كما مر الكلام عليها وانما امتنعت فيها (لضعف تراكيب اهل الدنيا) اى بنيتهم (وقواهم) بضم القاف وتخفيف
الواو اى حواسهم (وكونها متغيرة عرضا) بفتحتين وضبطه بعضهم بفتح الغين المعجمة والراء وبالضاد المعجمة اى هدفا
فالانسان غرض والافات سهام وفى نسخة صحيحة وكونها معرضة بتشديد الراء المفتوحة اى هدفا (للآفات)
من نوائب مقلقة ونواكب للاكباد مفلقة تقتضى نقصانها (والفناء) اى مما يوجب زوالها (فلم تكن لهم قوة على الرؤية)
اى فى الدنيا (فاذا كان) اى الشان (فى الآخرة وركبوا تركيبا آخر) اى اقوى وابقى من الاول (ورزقوا قوى) بضم
وتخفيف قاف منونا جمع قوة اى اعطوا حواس وفى نسخة قوة (ثابتة) من الثبوت وفى نسخة ثانية بالنون والياء
(باقية) اى تامة وافية (واتم) بصيغة الفاعل او المفعول اى اكمل (الله انوار ابصارهم) اى الظاهرة (وقلوبهم) اى
وبصائرهم الباطنة (قووا بها) بفتح قاف وضم واو واصله قويوا فاعل بالنقل والحذف وهو جواب الشرط اى صاروا
ذوى قوة فى الآخرة (على الرؤية) وهذا امر ظاهر وقول باهر ولا غبار عليه ولا شقاق لديه اذ لا مرية ان الله تعالى
يخلقهم فى العقبى على خلق اكمل منهم فى الدنيا من جهة جميع القوى كما جاءت الاخبار فيه فى الاكل والشرب والجماع
وغير ذلك فلا ينكر زيادة قوة السامعة والباصرة ونحوهما هنالك لاسيما وقد نفى الشرع اثبات الرؤية للعامة فى الدنيا
واثبتها للخاصة فى العقبى فلابد من الجمع بين الادلة كما هو دأب الائمة وهو لا ينافى استواء القدرة الكاملة فى حالتى
الراهنة والمستقبلة الشاملة فاندفع قول الدلجى وهذا منهم دعوى بلا بينة اذ القادر على خلق ذلك لهم فى الآخرة
قادر على خلقه لهم فى الدنيا فلا وجه لتخصيص ذلك بالآخرة ولا دليل عليه اذ الرؤية بمجرد خلقه غير مشروطة
بشئ (وقد رأيت نحو هذا) اى مثل هذا القول المنقول عن بعض السلف بعينه (لمالك بن انس) وهو امام المذهب
(رحمه الله قال لم ير) بصيغة المجهول اى ما يرى الله سبحانه وتعالى (فى الدنيا لانه) اى الله تعالى (باق ولا يرى الباقى
بالفانى) اى بالحس الفانى او بالمكان الفانى (فاذا كان) اى امر الرؤية (فى الآخرة ورزقوا ابصارا باقية) اى
وبصائر قوية (رؤى الباقى بالباقى) وضبط الانطاكى رئى بكسر الراء وسكون الياء ثم بهمزة على بناء المجهول (وهذا)
اى الذى قاله مالك وما سبق هنالك (كلام حسن مليح) اى ومرام مستحسن صريح ولا عبرة بمنع الدلجى هذه العلة
(وليس هو) اى امتناعه وفى نسخة صحيحة وليس فيه اى فى امتناعه فى الدنيا (دليل على الاستحالة) اى على كونه
محالا فى العقبى او مطلقا او فى ذاته بل ليس امتناعه واستحالته (الا من حيث ضعف القدرة) اى قدرة العبد وضعف
بنيته وفناء حالته وقوته (فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده) اى على ما شاء من مراده (واقدره) وفى اصل
الدلجى قدره بتشديد الدال اى وجعله قادرا (على حمل اعباء الرؤية) بفتح الهمزة وسكون العين فموحدة بعدها الف
ممدودة جمع عبء بالكسر وهو الحمل الثقيل ومنه العباء اى تحمل اثقالها تحت تجلى جمالها وجلالها (لم تمتنع) اى
الرؤية (فى حقه) اى فى اى وقت كان وفى اى شخص بان روى ابن عطاء ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى ايوب عليه
السلام انك لتنظر الى غدا فقال يارب أبهاتين العينين فقال اجعل لك عينين يقال لهما عينا البقاء فتنظر الى البقاء
بالبقاء وحكى انه دخل على ابن الماجشون رجل ينكر حديث القيامة وان الله يأتيهم فى صورته فقال له يا بنى ما تنكر
من هذا فقال ان الله تعالى اعظم من ان يرى فى هذه الصفة فقال يا احمق ان الله تعالى ليس تتغير عظمته ولكن تتغير
عيناك حتى تراه كيف شاء فقال الرجل اتوب اليه ورجع عما كان عليه (وقد تقدم ما ذكر فى قوة بصر موسى ومحمد

عليهما الصلاة والسلام ونفوذ ادراكهما) بالذال المعجمة اى مضيه وبلوغه (بقوة الهية منحاها) بصيغة المجهول
اى اعطياها (لادراك ما ادركاه ورؤية ما رأياه) اى فى الجملة اذ رؤية موسى كانت مترتبة على النظر حين تجلى الرب على
الجبل بخلاف رؤية نبينا الاكمل (والله تعالى اعلم) اى بحقيقة الحال وحقيقة المآل (وقد ذكر القاضى ابو بكر) يعنى
الباقلانى لان القاضى ابا بكر بن العربى معاصر للمصنف اذ مولده سنة ثمان وستين واربعمائة وتوفى سنة ثلاث
واربعين وخمسمائة ومولد المصنف سنة ست وسبعين واربعمائة وتوفى سنة اربع واربعين وخمسمائة ذكره الشمنى
ونسبه بالنون على غير قياس اذ القياس ان يقال بالهمز بدله (فى اثناء اجوبته عن الآيتين) اى الدالتين على نفى الرؤية
وهما لا تدركه الابصار ولن ترانى (ما معناه) اى الذى مؤداه لا لفظه ومبناه (ان موسى عليه الصلاة والسلام رأى الله
تعالى) اى بواسطة تجلى ربه للجبل (فلذلك خر) بتشديد الراء (صعقا) بفتح فكسر وروى بفتحتين اى سقط مغشيا
عليه والا فما صعق بمجرد رؤية الجبل دكا بعيد فى النظر السديد (وان الجبل رأى ربه فصار دكا) اى مدكوكا مدقوقا
(بادراك) متعلق برأى (خلقه الله تعالى له) اى فى الجبل كما نقله الماتريدى عن الاشعرى وقال الامام الرازى فى المعلم
خلق الله تعالى فى الجبل حياة وعقلا وفهما وخلق فيه الرؤية فرأى بها (واستنبط) اى القاضى ابو بكر (ذلك) اى
رؤيتهما ربهما (والله تعالى اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) اى وبقى على حاله وشأنه عند تجلى ربه
(فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل) اى بلا كيف (جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له) اى
ظهورا تاما بلا كيف (حتى رآه) اى بناء (على هذا القول) اى الذى عزاه للقاضى ابى بكر (وقال جعفر) اى الصادق
(ابن محمد) اى الباقر فى حكمة الواسطة فى الرؤية (شغله) اى الله سبحانه وتعالى اى موسى (بالجبل حتى تجلى) الاظهر
حين تجلى (ولولا ذلك) اى الشغل بالجبل (لمات) اى موسى (صعقا بلا افاقة) اى بعده مطلقا قال المصنف (وقوله
هذا) اى قول جعفر (يدل على ان موسى رآه) اى رؤية بواسطة من وراء حجاب فلا ينافى قوله تعالى لن ترانى بلا واسطة
وهذا جمع سديد وقد ابعد الدلجى بقوله هنا وهذا بعيد (وقد وقع لبعض المفسرين) اى حيث قال (فى الجبل)
اى فى حقه (انه رآه) اى رأى تجلى ربه بادراك وعلم خلقه فى خلقته فاندك اذ الدك بمجرد التجلى بلا ادراك بعيد كيف
وقد نقل الماتريدى عن الاشعرى ان معنى التجلى ان الله تعالى خلق فيه حياة وعلما ورؤية فرآه وهذا نص منهما
على اثباتها كذا ذكره الدلجى (وبرؤية الجبل له) اى لربه تعالى (استدل من قال برؤية نبينا له) اى الله سبحانه وتعالى
(اذ جعله) اى جعل الله تعالى ما ذكر من رؤية الجبل له (دليلا على الجواز) اى للرؤية قال الدلجى ذكر الضمير نظرا
لما بعده والاولى ما قدمناه مع ان المصدر يؤنث ويذكر فتدبر (ولا مرية) بكسر الميم وتضم اى ولا شك (فى الجواز)
اى جواز الرؤية (اذ ليس فى الآيات) اى آية لا تدركه الابصار وآية لن ترانى وآية فان استقر مكانه فسوف ترانى
(نص فى المنع) اى للرؤية بل هى مشيرة الى الجواز فى مقام المرام كما سبق عليه الكلام (واما وجوبها) اى وجوب
وقوعها (لنبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (والقول) اى الجزم (بانه رآه بعينه فليس فيه قاطع) اى من قواطع
الادلة اى على وقوع الرؤية (ولا نص) اى دليل صريح يعول فى ثبوت وقوعه عليه (اذ المعول فيه) اى المعتمد عليه
فى هذا الاستدلال (على آيتى النجم) اى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ما زاغ البصر وما طغى (والتنازع فيهما
مأثور) اى والاختلاف فى معنى الآيتين بين الائمة فى كتب التفسير والسير مذكور ومسطور (والاحتمال
لهما ممكن) اى من حيث دلالتهما على الرؤية وعدمها لعدم صراحتهما بها (ولا اثر قاطع متواتر
عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) اى بكونه رآه بعينه وفى نسخة صحيحة لذلك اى لما ذكر (وحديث ابن عباس
رضى الله تعالى عنه) اى الذى تقدم من انه رآه بعينه (خبر عن اعتقاده) اى الذى نشأ عن استنباطه (لم يسنده الى
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حتى يعتبر (فيجب) بالنصب (العمل) وفى نسخة العلم (باعتقاد مضمنه) بتشديد
الميم المفتوحة اى مفهومه ومضمونه من رؤيته ربه بعينه (ومثله حديث ابى ذر فى تفسير الآية) اى قوله رأى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ربه (وحديث معاذ) اى رأيت ربى فى احسن صورة (محتمل) بكسر الميم (للتأويل)
اى على ما تقدم من انه رآه بفؤاده او فى منامه (وهو) اى والحال ان حديثه (مضطرب الاسناد والمتن) اى ومن
المعلوم ان اضطراب احدهما موجب لضعف الحديث فلا يصلح للاستدلال لاسيما مع ما سبق من الاحتمال ثم اضطرابه
من حيث الاسناد فانه تارة يروى عن عبد الرحمن بن عابس الحضرمى مرسلا فان عبد الرحمن ليس بصحابى وتارة
عن معاذ بن جبل واضطرابه من حيث المتن فانه رواه الطبرى فى كتابه باسناده عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل
قال احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الغدوة حتى كادت الشمس تطلع فلما صلى الغدوة
قال انى صليت الليلة ما قضى لى ووضعت جنبى فى المسجد فاتانى ربى فى احسن صورة الحديث ورواه احمد بن حنبل

على هذا السياق وفيه انى قمت من الليل فصليت ماقدرلى فنعست فى صلاتى حتى استيقظت فاذا انا بربى عزوجل فى احسن صورة الحديث فقد اختلف متن الحديث كما ترى وسياق الاسناد واحد والاختلاف فى متن حديث واحد موجب للاضطراب (وحديث ابى ذرالآخر) بالرفع على انه صفة لحديث (مختلف) بكسر اللام اى من حيث اللفظ والمبنى (محتمل) اى من حيث المعنى (مشكل) اى حيث لايمكن الجمع بينهما ولا ترجيح احدهما او محتمل لان يكون رأه ولم يره اوراه بعينه اوبقلبه مشكل من حيث اطلاق النور على الذات والنور بمعنى المنور من جملة الصفات (فروى) وبروى فيروى وهو حديث ابى ذرقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال (نور) اى هو نور عظيم (أنى اراه) بهمزة مفتوحة فنون مشددة مفتوحة بمعنى كيف اى كيف يتصور انى ارى الله تعالى فان الشئ يرى بالنور وهو اذا غشى البصر حجبه عن رؤية ماوراءه من كمال الظهور فالضمير فى اراه عائد الى الله تعالى كما صرح الامام ابو عبدالله المازرى اى كمال النور منعنى عن الرؤية وتمام الظهور كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار فيمنعها من الابصار قال الحلبى هكذا رواه جميع الرواة فى جميع الاصول اى جميع اصول مسلم والروايات ومعناه حجابه النور فكيف اراه (وحكى بعض شيوخنا انه روى نورانى) اى بفتح النون والراء بعده الف فنون مكسورة وتحتية مشددة منونة و(اراه) بضم همزة على ماذكره الحجازى قال المزى وهذا تصحيف والصواب الاول ويدل عليه قوله رأيت نورا وقوله حجابه النور انتهى وقال الشمنى يحتمل ان يكون معناه راجعا الى ماسبق ولايخفى بعده وغرابته اذ الاول دال على نفى رؤيته واستبعاده والثانى على اثباته واستمداده (وفى حديثه الآخر) اى وفى حديث آخر لابى ذر (سألته) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت ربك (فقال رأيت نورا) اى رأيت نورا كيف اراه وفى شرح الدلجى قال المصنف وهذه الرواية لم تقع لنا ولارأيتها فى اصل من الاصول اى اصول مسلم ومحال ان يكون ذاته تعالى نورا اذ النور جسم يتعالى الله عنه ومن ثمة كان تسميته سبحانه وتعالى فى الكتاب والسنة نورا بمعنى ذى النور اى منوره اومنه النور كما قيل نور السماء بالشمس والقمر والنجم ونور الارض بالانبياء والعلم وروى بالنبات والاشجار او المراد بالنور خالقه هذا وفى تخريج احاديث الاحياء للعراقى فى كتاب المحبة قال ابن خزيمة فى القلب من صحة اسناده شئ اى من حيث ان فى رواية احمد عن ابى ذر رأيته نورا انى اراه ورجالها رجال الصحيح (وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما) اى من حديثى ابى ذر (على صحة الرؤية) اى وقوعها ونفيها للتعارض معنيهما وتناقض اسناديهما (فان كان الصحيح) اى متنا واسنادا (رأيت نورا فهو قد اخبرانه لم يرالله تعالى وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى والى هذا) اى الى معنى قوله رأيت نورا (يرجع قوله نور أنى اراه) اى كيف اراه مع حجاب النور المغشى) بصيغة الفاعل مخففا اومشددا اى المغطى (للبصر وهذا) اى حديث نورانى اراه (مثل مافى الحديث الآخر) اى من حيث المعنى (حجابه النور) كما رواه الطيالسى عن ابى موسى الاشعرى واصله فى مسلم واوله ان الله لاينام ولاينبغى له ان ينام (وفى الحديث الآخر) اى الذى رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة (لم اره بعينى ولكن رأيته بقلبى) زيد فيه ههنا (مرتين وتلا) اى قرأ الراوى شاهدا لصحة رؤيته ربه بقلبه (ثم دنا) اى قرب نبينا (فتدلى) اى زاد فى التقرب اليه سبحانه وتعالى فكان قاب قوسين اوادنى (والله قادر على خلق الادراك الذى فى البصر فى القلب) اى على ان يجعله فى القلب (اوكيف شاء) اى بان يخلق ادراك الرؤية فى السمع اوغيره وان يخلق ادراك السمع فى البصر ونحوه (لااله غيره) اى حتى يمانعه ويدافعه عن مراده فى عباده (فان ورد حديث نص بين) بتشديد الياء المكسورة اى ظاهر لايحتمل تأويلا (فى الباب) اى فى باب الرؤية من ثبوتها ووقوعها (اعتقد) بصيغة المجهول وفى نسخة احتمل (ووجب المصير اليه اذ لااستحالة فيه) اى فى جواز الرؤية وحصولها (ولامانع قطعى) اى من جهة شهود العقل اوورود النقل (يرده) اى عند المحقق (والله الموفق) اقول والله سبحانه وتعالى اعلم انه يمكن الجمع بين الادلة فى هذه المسئلة المشكلة بان ماورد مما يدل على اثبات الرؤية انما هو باعتبار تجلى الصفات وماجاء مما يشير الى نفى الرؤية فهو محمول على تجلى الذات اذ التجلى للشئ انما يكون بالكشف عن حقيقته وهو محال فى حق ذاته باعتبار احاطته وحياطته كما يدل عليه قوله تعالى لاتدركه الابصار وقوله سبحانه وتعالى ولايحيطون به علما ومما يؤيده انه قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ففى ذكر الرب والجعل تلويح لما قررنا وكذا فى قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة تلويح لما حررنا وكذا فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لاتضامون فى رؤيته تصريح بما قررنا والحاصل ان ماعلم يقينا من معرفته فى الدنيا يصير عين اليقين بها فى العقبى مع ان التجليات الصفاتية الكاشفة عن الحقيقة الذاتية لانهاية لها فى المقامات الابدية والحالات السرمدية فالسالك المنتهى فى السير الى الله تعالى يكون فى الجنة ايضا سائرا فى الله كما قال تعالى

وان الى ربك المنتهى مع انه لانهاية لآخريته كما انه لابداية لاوليته فهو الاول والآخر والباطن والظاهر وهو اعلم بالظواهر والضمائر وما كشف للعارفين من الحقائق والسرائر

(فصل)

فى فوائد متفرقة مما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم فى ليلة الاسراء (واما ماورد فى هذه القصة) اى قصة الاسراء (من مناجاته لله عزوجل) اى مكالمته سرا (وكلامه معه) جهرا اومن محادثته صلى الله تعالى عليه وسلم له سبحانه وتعالى وكلام الله معه عزشأنه (بقوله) اى بدليل ماورد من قوله تعالى (فاوحى الى عبده مااوحى الى ماتضمنته الاحاديث) اى مع ماوردت به السنة مما سيذكر فى هذا المعنى (فاكثر المفسرين على ان الموحى هو الله تعالى الى جبريل وجبريل الى محمد الاشذوذا منهم) اى الاطائفة قليلة من المفسرين خارجة عن جمهورهم منفردة عنهم (فذكر عن جعفر بن محمد الصادق) صفة جعفر (قال اوحى الله اليه بلا واسطة) اى كما يقتضيه مقام الكرامة وحالة المباسطة (ونحوه عن الواسطى) اى منقول (والى هذا) اى قوله (ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه فى الاسراء) اى فى ليلته اوحالته (وحكى عن الاشعرى) اى القول بانه كلمه فيها (وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره) اى نفى تكليمه بلا واسطة (آخرون) وسيرد مايردهم (وذكر النقاش عن ابن عباس فى قصة الاسراء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله دنا فتدلى قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فارقنى جبريل) اى فى مقام معين له كما اخبر الله سبحانه وتعالى عن الملائكة بقوله ومامنا الاله مقام معلوم وقال معتذر الودنوت انملة لاحترقت (فانقطعت الاصوات عنى) اى بعد مفارقة جبريل منى وحصل الرعب والوحشة فى قلبى (فسمعت كلام ربى وهو يقول ليهدأ) بكسر لام الامر ففتح فسكون ففتح فهمز ساكن اى ليسكن (روعك) بفتح الراء اى فزعك وان روى بضم الراء فالمعنى ليطمئن نفسك فانى معك واصل الروع بالضم القلب ومنه الحديث نفث جبريل فى روعى فيحتمل انه ذكره لانه محل الروع فسمى باسم ماحل فيه اوسمى كله باسم القلب الذى فيه الروع فسمى باسم بعضه (يامحمد ادن) بضم همز ونون امر من الدنو (ادن) كرر للتأكيد وافاد مزيادة القرب والتأييد فالدنو بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم دنو رتبة وقربة ومكانة لادنو مكان ومسافة ومساحة او المراد الدنو الى عرشه المحيط بعلو العالم وفرشه (وفى حديث انس فى الاسراء نحو منه) اى موقوفا عليه اومرفوعا عنه فان صح رفعه وكذا وقفه لانه يعطى حكمه فلا كلام فيه مع انه يمكن الجمع بان ما اوحى اليه من الوحى الجلى وهو القرآن المبين فلايكون الابواسطة جبريل الامين كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين وما اوحى اليه من الوحى الخفى فهو بلا واسطة احد وبلا تقييد لغة كما هو قضية الالهام مما لايخفى على العلماء الاعلام ومشايخ الاسلام من هداة الانام (وقد احتجوا) اى الآخرون (فى هذا القول) بانه كلمه بلا واسطة (بقوله تعالى وماكان لبشر) اى لآدمى (ان يكلمه الله الاوحيا) كلاما خفيا يدرك بسرعة لابتأمل وروية وهو امابطريق المشافهة به كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اوعلى سبيل الهتف كما حصل لموسى عليه السلام فى وادى الطور بطوى (اومن وراء حجاب) اى كما وقع لسائر الانبياء من الوحى الخفى ولبعض الاصفياء من الالهام الجلى (اويرسل) اى الله تعالى الى البشر (رسولا) من الملائكة (فيوحى) اليه اى بالواسطة بان يبلغ الملك الرسول من البشر (باذنه مايشاء) اى من الاحكام والانباء وهذا الذى ذكرناه اظهر مما ذكره المصنف بقوله (فقالوا هى) اى الآية الدالة على انواع الكلام اومكالمته تعالى للبشر على (ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى هذا) اى احدها (وارسال الملائكة) الاظهر الملك بصيغة الافراد لان المشهور ان جبريل هو صاحب الوحى ولعل وجه الجمع انه مايخلو عن صحبته جماعة من الملائكة كما يستفاد من قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الامن ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا (كحال جميع الانبياء) الاولى كحال سائر الانبياء جميعها (واكثر احوال نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا هو القسم الثانى قال الواحدى المفسر فى قوله تعالى ومارسلنا من قبلك من رسول ولانبى الااذا تمنى الاية الرسول الذى ارسل الى الخلق باخبار جبريل اليه عيانا وحاوره شفاها والنبى الذى تكون نبوته الهاما اومناما فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا هذا كلام الواحدى قال النووى فى تهذيبه فيه نقص فى صفة النبى فان ظاهره ان النبوة المجردة لاتكون برسالة ملك وليس كذلك (والثالث قوله) اى ماافاده (الاوحيا) وهو ومابعده احوال اى الاموحيا اومسمعا من حجاب اومرسلا (ولم يبق من تقسيم صور الكلام) اى المنحصر فى هذا المقام تم الكلام كذا فى نسخ الكرام وقال التلمسانى الكلام كذا ثبت بخط القاضى المصنف وبخط العرفى المكالمة وهو الصواب بدليل قوله (الا المشافهة مع المشاهدة) فاختص بها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم وحاصل قوله انه لم يبق من تقسيم صور الكلام الخ انه ينبغى ان يحمل قوله وحيا

على المشافهة مع المشاهدة اذلم يبق من التقسيم الاهذا (وقد قيل الوحى ههنا) اى فى عالم السما اوفى هذه الاية الاسمى (هومايلقيه) اى يقذفه الهاما (فى قلب النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم اى قلب نبينا والنبى من الانبياء (دون واسطة) اى من الوحى الخفى كما سبق اليه الاشارة (وقد ذكرابوبكر البزار) بتشديد الزاى ثم رآء نسبة الى عمل بزر الكتان زيتا بلغة البغداديين (عن على رضى الله تعالى عنه فى حديث الاسرآء ماهواوضح) اى اظهر واصرح (فى سماع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الكلام الله تعالى من الاية) اى من الاستدلال بمفهومها من الاقسام الثلاثة وقال الدلجى من آية فاوحى الى عبده مااوحى وهو بعيد كمالا يخفى (فذكرفيه) اى على مرفوعا اوموقوفا يقتضى ان يكون فى الحكم مرفوعا (فقال الملك) بفتح اللام (الله اكبرالله اكبرفقيل لى) فيه دلالة على ان الحديث مرفوع وفى نسخة له اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اشارة الى ان الحديث موقوف اونقل بالمعنى (من ورآء الحجاب صدق عبدى انا اكبرانا اكبروقال) اى الله تعالى من ورآء الحجاب (فى سائر كلمات الاذان مثل ذلك) اى صدق عبدى مع ما يناسب ماقبله من الندآء وفيه انه انمايدل على كلامه بلاواسطة لامع المشافهة والمشاهدة كمايقتضيه اقسام الاية (ويجيء الكلام فى مشكل هذين الحديثين) اى حديث ابن عباس وعلى (فى الفصل بعد هذا) اى الفصل (مع مايشبهه) اى مماورد فى حديث غيرهما (وفى اول فصل من الباب منه) اى سيجيء الكلام على دفع اشكال المرام وضمير منه يعود الى مافى قوله مع مايشبهه (وكلام الله تعالى لمحمد) عليه الصلاة والسلام (ومن اختصه من انبيائه) كموسى عليه الصلاة والسلام (جائز غيرممتنع عقلا ولاورد قاطع فى الشرع يمنعه) اى يمنع جوازه نقلا (فان صح فى ذلك خبر) اى فى كلامه لغيرموسى عليه السلام منهم (اعتمد عليه) بصيغة المجهول وفى نسخة اعتمل عليه (وكلامه تعالى لموسى كائن) اى واقع (حق) اى ثابت (مقطوع به نص ذلك فى الكتاب) اى بقوله وكلم الله موسى (واكده بالمصدر) اى بقوله تكليما (دلالة) بفتح الدال وتكسراى علامة (على الحقيقة) اى ودفعا لتوهم ارادة المجاز فى القضية بناء على ماذهب اليه المحققون من ان الفعل اذا اكد بالمصدر دل على الحقيقة ولذا يقال اراد زيد ارادة ولا يقال اراد الجدار ارادة لانه لا يتصور منه حقيقة الارادة (ورفع مكانه) اى الحسى المشعر بعلو قربه المعنوى (على ماورد فى الحديث) اى جاء التصريح فى بعض طرق الحديث الصحيح بانه (فى السماء السابعة) اى على مارواه البخارى فى التوحيد ان موسى فى السماء السابعة وابراهيم فى السادسة ثم قال بتفضيله لكلام الله تعالى وهو موافق لمافى الاصل وقيل صوابه السادسة لان موسى فيها وابراهيم فى السابعة فالسابعة لموسى غلط ويؤيده انه قال الحاكم تواترت الاحاديث انه فى السادسة ثم هذه الرفعة فى المقام (بسبب كلامه) اى تكليم الله تعالى اياه عليه السلام (ورفع محمد فوق هذا كله) كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى ورفع بعضهم درجات (حتى بلغ مستوى) اى مكانا مستويا لا ترى فيه عوجا ولا امتا (وسمع صريف الاقلام) اى صوت جريانها بماتكتبه من الاقضية والاحكام (فكيف يستحيل فى حق هذا) اى النبى عليه الصلاة والسلام (اويبعد) اى يستغرب ويستبعد منه (سماع الكلام فسبحان من اختص) وفى نسخة من خص (من شاء بما شاء) اى من جزيل كرمه وجميل نعمه (وجعل بعضهم فوق بعض درجات) اى فى المقامات العاليات

(فصل)

اى فى متممات هذه القصة ومكملات هذه القضية (واما ماورد فى حديث الاسرآء) اى احاديث سيره الى السماء (وظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى) اى حيث ظواهر الضمائر اليه صلى الله تعالى عليه وسلم لا الى جبريل كما قيل (فكان قاب قوسين) اى قدرهما (اوادنى) اى بل اقرب وكون او للتنويع انسب (فاكثرالمفسرين ان الدنو والتدلى منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام) اذ قد دنا كل منهما من الآخر (اومختص باحدهما) اى بان محمدا اوجبريل دنا (من الآخر) وفيه انه لم يكن بينهما بعد حتى يقال دنا فتدلى فتدبر قال النووى المراد بالقاب فى الاية عند جميع المفسرين هو المقدار ثم اعلم ان من ذهب الى ان الدنو والتدلى ما بين محمد وجبريل يقول المعنى دنا جبريل من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى اى نزل عليه وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سأله ان يراه على صورته التى جبل عليها فقال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعنى قال فبمنى قال لا يسعنى قال فبعرفات قال ذلك بالحرى ان يسعنى فواعده فخرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للوقت فاذا جبريل قد استوى له اى قام فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح وهو بالافق الاعلى اى فى جانب المشرق فى اقصى الدنيا عند مطلع الشمس فسد الافق من المغرب فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كبر وخر مغشيا عليه فتدلى جبريل عليه السلام فنزل عليه حتى اذا دنا منه قدر قوسين او ادنى فرآه فى صورة الادميين كما فى سائر الاوقات فضمه الى نفسه وقال لا تخف يا محمد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما ظننت ان احدا من خلق الله

هكذا قال كيف لورأيت اسرافيل عليه السلام ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد خرقتا تخوم الارضين السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع يعنى كالعصفور الصغير قيل ولم يرجبريل عليه السلام احد من الانبياء فى صورته الحقيقية غير محمد فانه رآه فيها مرة فى الارض ومرة فى السماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ذكره الانطاكى (اومن سدرة المنتهى) وهذا فى غاية من البعد على مالا يخفى (قال الرازى وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كما رواه ابن ابى حاتم (هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب) بضم الرآء (وتدلى زاد فى القرب) الظن لا معنى له غيره (وقيل هما بمعنى واحد) اى جمع بينهما للتأكيد اى قرب غاية القرب والاول اظهر لان التأسيس هو الاكثر ولان زيادة المبنى تفيد زيادة المعنى وقال ابن الاعرابى تدلى اذا قرب بعد علو (وحكى مكى والماوردى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كما رواه ابن جرير (هو الرب دنا من محمد) اى تجلى بوصف القرب له واما قول الدلجى دنو علم ظلس فى محله اذ لا خصوصية له ولا بمقامه ثم لا معارضة بين قولى ابن عباس اذ نسبة القرب بينهما متلازمة بل اضافته الى الرب هو الحقيقة فانه لولا قربه لما تصور تقربه كما حقق فى قوله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه (فتدلى اليه) اى نزل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (اى امره وحكمه) يعنى على حذف مضاف اوارادة مجاز والانسب فى معناه قرب الرب منه فتقرب اليه والاول يسمى قرب الفرآئض والثانى قرب النوافل هكذا قرره بعض ارباب الفضائل (وحكى النقاش عن الحسن) اى البصرى (قال دنا) اى الرب الامجد (من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى فقرب منه) اى قرب مكانة لا قرب مسافة وقرب انعام لا قرب اقدام وقرب عناية لا قرب غاية (فاراه ماشاء ان يريه من قدرته وعظمته) اى مما لا اطلاع لاحد على تفصيل جملته وفيه ايماء الى تفسير قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى (قال) اى الحسن اوالنقاش وهو الاقرب والانسب (وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو) اى مجموع قوله دنا فتدلى (مقدم ومؤخر) اى فيه تقديم وتأخير كما بينه بقوله (تدلى الرفرف) وهو بساط اخضر من نحو الديباج وقيل ماتدلى من الاسرة من غالى الثياب والبسط وقيل هى المرافق وقيل النمارق والطنافس وقيل كل ثوب عريض وقيل هو البساط مطلقا (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم) وفى نسخة حتى (رفع) اى بصيغة المجهول اى لربه (فدنا من ربه) اى دنوا بالنسبة اليه (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما سبق عنه (فارقنى جبريل) اى فى مقام قرب الجليل وقال لودنوت انملة لاحترقت (وانقطعت عنى الاصوات) اى اصوات الملائكة وسائر المخلوقات (وسمعت كلام ربى) اى بجميع الحواس من جميع الجهات وهذا فى المعنى هو تجلى الذات بجميع الصفات (وعن انس فى الصحيح) اى على مارواه شريك ابن ابى نمر (عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار) اى القاهر لعباده على وفق مراده (رب العزة) اى الغلبة والقوة فى القدرة (فتدلى) اى الجبار (حتى كان منه) اى من سيد الابرار (قاب قوسين) اى قدره وهو غاية القرب فى الكونين (اوادنى) اى بل اقرب مما يوصف بالقرب للمريد فانه فى مقام المزيد اقرب من حبل الوريد (فاوحى اليه بماشاء) اى من غير واسطة احد من العبيد ثم التقدير فى الآية مكان مسافة قربه مثل قدر قوسين عربيين وفى انوار التنزيل والمقصود من الآية تحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد الملبس (واوحى اليه خمسين صلاة) اى بان يصلى هو والامة فى كل يوم وليلة (ثم خففت حتى قال يا محمد هى خمس وهى خمسون) اى خمسون حقيقة اوحكما لا يبدل القول لدى فى انها خمسون فى الجملة وفى رواية انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة هذا الحديث فى الصحيح من رواية شريك عن انس وقد استغرب الذهبى فى الميزان هذا اللفظ فقال بعد ان ذكر حديث الاسرآء الى ان قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين اوادنى وهذا من غرآئب الصحيح كذا ذكره الحلبى (وعن محمد بن كعب) اى القرظى كما فى نسخة (هو) اى المراد بمن فى الآية (محمد دنا من ربه فكان قاب قوسين) اى فى مقام قربه لكمال حبه ووقع فى اصل الدلجى هو محمد دنا محمد فتكلف له بان وضع الظاهر موضع المضمر لكمال العناية بذكره الا انه مخالف لما فى الاصول (وقال جعفر بن محمد) اى الصادق (ادناه ربه منه) اى غاية الدنو وهو يحتمل جعل فاعل دنا الرب او محمدا والاول اقرب (حتى كان منه كقاب قوسين) ما احسن هذه العبارة من زيادة الكاف المفيدة بحسب الاشارة الى انه ليس مقدار قوسين فى المسافة فى مقام القرب المعنوى بل يشبه به باعتبار القرب الحسى كما يستفاد هذا المعنى من قوله الآتى (وقال جعفر بن محمد) اى الصادق ولم يطلقه لئلا يشتبه بجعفر الطيار (والدنو من الله لا حد له) اى لا يدخل تحت حدود العبارة ولا فى ضمن وجود الاشارة على وفق سائر حقائق صفاته فضلا عن حقيقة ذاته (ومن العباد بالحدود) اى والدنو من العباد لا يتصور الا بالحدود الغائية المنتهية الى غاية ونهاية فى الشهود (وقال) اى جعفر (ايضا

اى حال كونه معاودا منتقلا الى معنى الكلام فى الدنو ومقام المرام (انقطعت الكيفية عن الدنو) اى عن معرفة كنهه وحقيقته (الا ترى كيف حجب جبريل عليه السلام) بفتح الحاء اى الرب الجليل (عن دنوه) اى دنو الخليل فكيف يطمع غيره الى معرفة سوآء السبيل مع اختلاف القال والقيل (ودنا محمد الى ما اودع قلبه) بصيغة المفعول او الفاعل (من المعرفة والايمان) اى من كمال المعرفة وزيادة الايمان المنتجة الى مقام الاحسان وشهود العرفان (فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه) اى قربه اليه واشرق بانوار المعارف واسرار العوارف لديه (وزال عن قلبه الشك والارتياب) اى عن توهم حلول الشك حول ذلك الجناب فى حصول فتح هذا الباب والله تعالى اعلم بالصواب وهذا معنى خاص فى الاية على طريق الاشارة القريب الى معنى العبارة (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) اى المصنف (اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله) اى لعبده (او الى الله) اى من عبده (فليس بدنو مكان) اى مسافة بل دنو عناية ومكانة (ولا قرب مدى) بفتح الميم والدال منونا اى ولا قرب غاية ونهاية تعالى الله عن الاتصال والانفصال والحلول والاتحاد وما يقوله ارباب الضلال والاضلال (بل كما ذكرنا عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد) اى يحس ببصر او يدرك بنظر (وانما دنو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه وقربه منه) عطف تفسير (ابانة عظيم منزلته) اى اظهار عظمته ومرتبته (وتشريف رتبته) اى واظهار شرف رتبة قربته الناشئة من نهاية محبته وغاية طاعته (واشراق انوار معرفته) اى بذاته وصفاته (ومشاهدة اسرار غيبه) اى مغيباته فى ملكوت ارضه وسمواته (وقدرته) اى على ما تعلقت به مشيئة من وجود مخلوقاته (من الله تعالى) اى من جهته سبحانه وتعالى وهو متعلق بابانة ووقع فى اصل الدلجى زيادة الواو العاطفة وهو مخالف لما فى الاصول المعتبرة (له) اى سبحانه وتعالى فى حق نبيه اولنبيه فى مقام قربه (مبرة) بفتح الميم والباء وتشديد الراء بمعنى البر اى مزيد جزيل فوائده اليه وجميل عوائده عليه (وتأنيس) اى وزيادة انس (وبسط) اى غاية انبساط (واكرام) اى وظهور احسان وانعام (ويتأول) بصيغة المجهول (فيه) اى فى دنوه سبحانه وتعالى من نبيه (ما يتأول فى قوله) اى على ما ورد فى الكتب الستة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا (ينزل ربنا الى سماء الدنيا كل ليلة) اى يأول دنوه تعالى منه بما يأول به نزوله سبحانه وتعالى (على احد الوجوه) اى من ان نزوله انما هو يكون (نزول افضال واجمال وقبول واحسان) والمعنى انه تعالى يتجلى ذلك الزمان بهذه الصفات من افاضة الفضل وافادة الكرم ورعاية القبول ونهاية الاحسان (قال الواسطى من توهم) اى من المريدين (انه بنفسه) اى بحوله وقوته (دنا) اى قرب من ربه (جعل ثم) بفتح المثلثة وتشديد الميم اى فى ذلك المقام (مسافة) اى ولا مسافة فى قربه للاستحالة (بل كلما دنا بنفسه من الحق) اى بزعمه (تدلى بعدا) اى فى حقيقة امره ونتيجة حكمه (يعنى) تفسير من المصنف او غيره اى يريد (عن درك حقيقته) بسكون الراء وفتحها اى بعدا عن ادراك حقيقته وتصور حقيقته اذ هو منزه عن شمول احاطته (اذ لا دنو للحق ولا بعد) اى دنو مسافة ولا بعد مساحة واما قوله تعالى فانى قريب فتمثيل لكمال علمه واجابته (وقوله قاب قوسين او ادنى) يحتمل احتمالين فى المعنى (فمن جعل الضمير) اى فى دنا و يروى فان جعل الضمير (عائدا الى الله لا الى جبريل عليه السلام على هذا) اى يحتاج الى تأويل وهو انه (كان) اى الدنو (عبارة عن نهاية القرب) اى المعنوى (ولطف المحل) اى المقام الانسى (وايضاح المعرفة) من باب الافعال او الافتعال اى وضوح المعرفة فى مقام المشاهدة و يروى المنزلة بدل المعرفة (والاشراف) بالفاء وفى نسخة بالقاف اى الاطلاع (على الحقيقة) اى المنزهة عن المسافة (من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من جهته ورعايته (وعبارة) بالنصب عطف على عبارة السابقة (عن اجابة الرغبة) اى مرغوباته (وقضاء المطالب) باداء مطلوباته (واظهار التحفى) بفتح المثناة الفوقية والحاء المهملة وتشديد الفاء المكسورة اى المبالغة فى ظهور البر والاحسان او فى اظهار العلم والايقان يقال تحفى فلان بصاحبه اى بالغ فى بره وتلطفه بالسؤال عن حاله ومنه قوله تعالى انه كان بى حفيا قال الزمخشرى هو البليغ فى البر (وانافة المنزلة) اى رفعة الرتبة اوزيادتها و يروى ابانة من البيان (والمرتبة) اى القربة (من الله له و يتأول فيه) اى فى هذا الدنو (ما يتأول فى قوله) اى المروى فى صحيح البخارى (من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا) هذا الحديث القدسى والكلام الانسى تمثيل لقرب معنى القرب المعنوى فى لباس القرب الحسى فانه اوقع فى النفس الانسى (ومن اتانى يمشى) اى فى طاعته (اتيته هرولة) اى سبقته مسرعا بجزاء عطيته او بتوفيق عبادته فالدنو فى الاية والقرب فى الحديث (قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المأمول) اى واسراع لتحصيل المسئول لكن بين المقامين بون بين وبين القربين تباين متعين فلا تقاس الملوك بالحدادين لتفاوت مراتب المقربين ومنازل السالكين من المحبين والمحبوبين نفعنا الله ببركاتهم اجمعين

فصل

(فصل)

(فى ذكر تفضيله صلى الله عليه وسلم فى القيامة بخصوص الكرامة حدثنا القاضى) اى الشهيد (ابو على) اى الحافظ ابن سكرة (ثنا ابو الفضل) اى ابن خيرون (وابو الحسين) بالتصغير وفى نسخة ابو الحسن بفتحتين والاول هو الصواب على ما حققه الحلبى وهو المبارك بن عبد الجبار (قالا) اى كلاهما (حدثنا ابو يعلى) وهو المعروف بابن زوج الحرة (ثنا السنجى) بكسر السين وسكون النون فجيم منسوبا (ثنا ابن محبوب) هذا هو ابو العباس المحبوبى راوى جامع الترمذى عنه (ثنا الترمذى ثنا الحسين بن يزيد الكوفى) هو الطحان (ثنا عبد السلام بن حرب) اى النهدى يروى عن عطاء بن السائب وغيره وعنه ابن معين ونحوه اخرج له الائمة الستة (عن ليث) اى ابن ابى سليم الكوفى احد الاعلام روى عن مجاهد وطبقته ولا نعلم انه لقى صحابيا وعنه شعبة وخلق وفيه ضعف يسير من سوء حفظه وكان ذا صلاة وصيام وعلم كثير وبعضهم احتج به (عن الربيع بن انس) تقدم (عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا اول الناس خروجا) اى من القبر (اذا بعثوا) بصيغة المفعول اى اثيروا من قبورهم ونشروا (وانا خطيبهم) اى متكلم عنهم فيما بينهم (اذا وفدوا) اى قدموا على ربهم (وانا مبشرهم) اى بما يسرهم (اذا يئسوا) اى قنطوا من رحمة ربهم من شدة حسابهم وهول عذابهم (لوآء الحمد) اى يومئذ كما فى الجامع الصغير (بيدى) اى لانفراده بالحمد الذى يلهم به اولانه يحمده الاولون والآخرون تحت لوآئه كما قال آدم ومن دونه تحت لوآئى يوم القيامة ولذا سمى مقاما محمودا وهو قيامه بالشفاعة العظمى واصل اللوآء الراية ولا يمسكها الا صاحب الجيش وموضوع اللوآء شهرة مكان الرئيس ليعتمدوا عليه ويرجعوا اليه (وانا اكرم ولد آدم) اى هذا الجنس (على ربى) اى عنده (ولا فخر) اى ولا اقول هذا فخرا من اثر عجبى بل تحدثا بنعمة ربى (وفى رواية ابن زحر) بفتح زاى فسكون حاء مهملة فراء وهو عبيد الله بن زحر الافريقى العابد يروى عن على بن يزيد وابن اسحق وطبقتهما وله مناكير ضعفه احمد وقال النسائى لا بأس به وقد اخرج له البخارى فى الادب المفرد (عن الربيع بن انس فى لفظ هذا الحديث) لعله من طريق اخرى للمصنف غير طرق الترمذى فاندفع به قول الحلبى هذه الرواية ليست فى الكتب الستة فضلا عن الترمذى وتوجيه قول الدلجى ان هذه رواية ابى نعيم فى الدلائل عن ابن زحر ثم رأيت التلمسانى ذكر انه ثبت بخط القاضى وفى رواية ابن زحر والربيع بن انس يعنى بالعطف وعند العرفى عن الربيع عن انس يعنى كما فى الاصل وعلى كلا الوجهين المروى عنه هو انس بن مالك (انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا) اى مقدمهم وفى الحديث قريش قادة رادة (وانا خطيبهم اذا انصتوا) اى سكتوا ولم يقدروا ان يتكلموا فاعتذر لهم عما فعلوا (وانا شفيعهم اذا حبسوا) اى وقفوا يوم القيامة فيموج بعضهم فى بعض فيفزعون الى الانبياء فيقول كل نفسى نفسى فيأتونه فيشفع لهم الشفاعة العظمى لفصل القضاء (وانا مبشرهم اذا ابلسوا) بضم همز وسكون موحدة وكسر لام فسين مهملة اى يئسوا وتحيروا ومنه قوله تعالى فاذاهم مبلسون وبه سمى ابليس وكان اسمه عزازيل هكذا ذكره التلمسانى وروى يئسوا بتقديم الياء على الهمز من اليأس وروى بتقديم الهمز على الياء من الاياس وهو قطع الرجاء (لوآء الكرم) اى الذى ترتب عليه الحمد (بيدى) اى بتصرفى واصل اللوآء العلم والراية ويجوزان يراد به حقيقته وهو الاولى لان الرئيس علامته اللوآء ويجوزان يكون اشارة لرفعة مقامه وظهور مرامه ويؤيد الاول ما ورد من انه يكون يوم القيامة لكل متبوع لوآء يعرف به انه قدوة حق او اسوة باطل وجاء فى حديث عقبة ابن عامر ان اول من يدخل الجنة الحمادون لله تعالى على كل حال يعقد لهم يوم القيامة لوآء فيدخلون الجنة ثم قيل اللوآء ما كان مستطيلا والراية ما كان مربعا والاظهر ان اللوآء هو الراية العظيمة فهى اعم والله تعالى اعلم (وانا اكرم ولد آدم على ربى ولا فخر) اى ولا اقول فخرا بل امتثال امرا (ويطوف على الف خادم) اى من افضل خدام اهل الجنة (كانهم لؤلؤ مكنون) اى مصون عن الغبار والصغار مثل الدر فى الصدف على طراوته او المصان المدخر لنفاسته وفى اللؤلؤ اربع لغات الهمز فيهما وتركه وهمز الاولى مع ترك الثانية وعكسه ويسمى كباره المرجان لقوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان لان المراد الحمرة والبياض والله تعالى اعلم وخلاصة المعنى انهم فى الحسن والبياض والصفاء والضياء كانهم لؤلؤ مستور فى صدفه لم تمسه الايدى من الكن وهو الستر (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما روى الترمذى وصححه (واكسى) بصيغة المجهول اى والبس (حلة) اى عظيمة (من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش) تلويح بقربه من ربه وكرامته فى مقام حبه (ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى) يعنى به المقام المحمود وصدر الحديث على ما فى الجامع الصغير من رواية الترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة الحديث (وعن ابى سعيد رضى الله عنه) اى الخدرى

كما فى نسخة وقد رواه احمد والترمذى وحسنه وابن ماجه عنه مرفوعا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة) قيده به لظهور سيادته ووضوح رياسته مطلقا فيه لكل احد من غير منازع ولا مدافع وفى الاصول ولا فخر هنا ايضا (وبيدى لواء الحمد ولا فخر) اى الا بمثل هذا (ومانبى) وفى نسخة ولا نبى وفى نسخة صحيحة وما من نبى (يومئذ آدم) بالنصب ويجوز رفعه (فمن سواه) بكسر السين وضمها اى فمن بعده ولو كان افضل منه كابراهيم ونوح وموسى وعيسى عليهم السلام كما يستفاد من العطف بالفاء دون الواو (الا تحت لوآئى) ووقع فى اصل الدلجى آدم يومئذ فمن سواه فتكلف فى توجيهه بقوله اعتراض بين النفى والاستثناء افادان آدم بالرفع بدلا او بيانا من محله (وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر) وفى الاصول هنا زيادة وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه مسلم وابوداود (انا سيد ولد آدم يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع) بفتح الفاء المشددة اى اول مقبول فى الشفاعة وانما ذكر الثانى باعادة اول لانه قد يشفع اثنان فيشفع الثانى منهما قبل الاول ذكره النووى ففى البخارى تحبس المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا الى ان قال فيأتونى فاستأذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ماشاء ان يدعنى فيقول محمد ارفع وقل تسمع واشفع تشفع (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه) كما روى الترمذى والدارمى (انا حامل لوآء الحمد يوم القيامة ولا فخر) اى الا بهذا قيل يعارض هذا الحديث ونحوه ماروى عنه عليه الصلاة والسلام اللوآء يحمله يوم القيامة على واجيب بان حديث على هذا ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات قيل ولئن صح فالجواب ان عليا لما كان حاملا للوآء بامره اضاف حمله الى نفسه والاولى ان يقال لوآء على خاص له ولاشياعه وكذا لابى بكر واتباعه وكذا لكل امام وشيخ مقتدى مع تلاميذه ومريديه لما تقدم والله تعالى اعلم (وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر) اى بهذا بل لى عند الله فوق ذلك مما افتخر به هنالك (وانا اول من يحرك حلق الجنة) اى بابها للاذن بدخولها والحلق بفتحتين وقد تكسر حاؤه جمع حلقة (فيفتح لى) بصيغة المجهول (فادخلها فيدخلها معى) اى من امتى (فقرآء المؤمنين) اى من المهاجرين وغيرهم على مراتبهم (ولا فخر) اى فى هذا المقام الا بالفقر واما حديث الفقر فخرى فموضوع كما صرح به الحفاظ ثم الفقر قد يكون مذموما كما ورد كاد الفقر ان يكون كفرا ومنه اعوذ بك من الفقر والمحمود منه انما هو بغنى النفس كما ورد ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونعم ماقيل

غنى النفس مايكفيك عن سد حاجة * فان زاد شيأ عاد ذاك الغنى فقرا

وقد قال الله تعالى والله الغنى وانتم الفقرآء والفقير الحقيقى هو الذى يرى دوام افتقاره فى حال اضطراره واختياره (وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر) اى الا بالغيبة عنهم وبالحضور مع ربهم (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما روى مسلم (انا اول الناس يشفع) وفى نسخة يشفع بتشديد الفاء المفتوحة (فى الجنة) اى لرفع درجات المطيعين ولدخول العصاة من المؤمنين (وانا اكثر الناس) اى من الانبياء (تبعا) ولفظه فى مسلم على مافى الجامع الصغير انا اكثر الانبياء تبعا يوم القيامة وانا اول من يقرع باب الجنة (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما فى الصحيحين (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك) كأنه قيل الله ورسوله اعلم فقال اولما علم انهم لايدرون ما هنالك قال (يجمع الله الاولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة) وهو اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم فى بعض فيأتون آدم ليشفع لهم فيقول لست لها الى ان قال فيأتونى فاقول انا لها الحديث اى انا الكائن لها والمتكفل بها ومن ثم قيل انت لها احمد من بين البشر (وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال اطمع ان اكون اكثر الانبياء اجرا يوم القيامة) لانه اعظمهم فى المشقة بما كان من عموم الدعوة مع تمرد الكفرة وعتو الفجرة والمعنى اكثرهم اجرا لكون امته اكثرهم نفرا (وفى حديث آخر) اى عنه او عن غيره (اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم) اى محشورين فى جملتكم (يوم القيامة) اما تخصيص ابراهيم عليه السلام فلقوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا ولموافقته فى كمال التوحيد فى مقام التفريد كما يشير اليه قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولكونه جده ومنه جده واما عيسى عليه السلام فلما انه يتبعه فى ملته بعد نزوله من رفعته ويدفن بعد موته فى تربته (ثم قال انهما فى امتى يوم القيامة اما ابراهيم فيقول انت دعوتى) اى اثر اجابة دعائى حيث قلت فى ندائى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم (وذريتى) اى وانت من ذريتى المذكورة فى دعوتى ايضا بقولى ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد الآية ولانزاع انه من نسل ولده اسماعيل وانه لم يبعث منهم نبى سواه فهو المجاب به دعوته

(واما

(واما عيسى عليه السلام فالانبياء) اى جميعهم (اخوة) اى اولاد اب واحد حقيقة وكذا حكما لاتفاقهم فيما بعثوا لاجله من توحيد وايمان بما يجب تصديقه ودعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى نظام معاشهم وتمام مرادهم فى معادهم فتساويهم فى اصولهم اعتقادا كان لهم كاب واحد واتفاوتهم واختلافهم فى بعض فروعهم عملا (بنو علات) بفتح عين مهملة وتشديد لام اى اولاد امهات مختلفات وابوهم واحد وبنو الاخياف لمن امهم واحدة والاباء مختلفون وبنو الاعيان لمن امهم واحدة وكذا ابوهم واحد كما بينه بقوله (وامهاتهم شتى) بفتح شين وتشديد تاء جمع شتيت كمرضى جمع مريض اى متفرقات فى نسبة الولادات التى يتولد منها الاختلافات (وان عيسى اخى) اى بالخصوص من حيث انه بشر بى قبلى وقام بدينى بعدى ويروى وان عيسى (ليس بينى وبينه نبى) ففيه كمال اتصاله بى وكأنه جارلى فى مقامى (وانا) ويروى فانا (اولى الناس به) اى احقهم بره او اخصهم باتصاله بى وقد روى البخارى ومسلم انا اولى الناس بعيسى ابن مريم فى الاولى والآخرة الانبياء بنو علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيننا نبى واما ماذكره فى مستدرك الحاكم من ان فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام بعض الانبياء كخالد بن سنان فاسانيده لاتقاوم الصحيح وعلى فرض صحته يقال المعنى ليس بيننا نبى مرسل (قوله) صلى الله عليه وسلم اى فى الحديث السابق (انا سيد الناس) وفى نسخة ولد آدم (يوم القيامة) اى بقيده ليفيد ظهوره كقوله تعالى والامر يومئذ لله ومالك يوم الدين والملك يومئذ الحق للرحمن (هو سيدهم فى الدنيا ويوم القيامة) اى ومابعده من العقبى (ولكن اشار عليه السلام لانفرادم) اى الى اختصاصه (فيه بالسودد) بضم السين وسكون الواو وفتح الدال الاولى (والشفاعة) اى العظمى (دون غيره اذ لجأ الناس اليه فى ذلك) تحتمل اذ ان تكون تعليلية وان تكون حينية ظرفية (فلم يجدوا سواه) اى ملجأ وملاذا يعتمدون عليه (والسيد هو الذى يلجأ الناس اليه فى حوآئجهم) اى فى قضائها (فكان حينئذ) اى وقت يلجأون اليه ويتضرعون لديه (سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد فى ذلك) اى ممن استحق السيادة (ولا ادعاه) اى احد ممن لايستحقها وهذا منه صلى الله عليه وسلم (كما قال تعالى) اى يوم القيامة (لمن الملك اليوم) فلا يجيبه احد من هول ذلك المشهد فيجيب نفسه بقوله بعد (لله الواحد القهار والملك له تعالى) اى والحال ان حقيقة الامر ناطقة بانه له الملك (فى الدنيا والآخرة لكن فى الآخرة) لكون زوال اسبابه وارتفاع وسائطه (انقطعت دعوى المدعين لذلك) اى للملك او الملك فى الجملة (فى الدنيا) اى لغفلتهم عن نعت المولى (وكذلك لجأ الى محمد جميع الناس فى الشفاعة) اى لم يجبهم من هول تلك الساعة (فكان سيدهم فى الاخرى دون دعوى) اى من احد كان يدعى السيادة فى الدنيا (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما فى مسلم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتى) بمد الهمزة اى اجيئ (باب الجنة يوم القيامة فاستفتح) اى فاطلب فتحها لادخلها (فيقول الخازن) اى رضوان (من انت) قيل واسم خازن النار مالك وناسب كل اسم ماوكل عليه فالجنة دار الكرامة والرضى فناسب رضوان والنار دار المشقة والعذاب والشدة فناسب مالك كذا ذكره التلمسانى ولا يبعد ان يقال لان الجنة انما تحصل بالرضى عن المولى والنار انما تنشأ عن طلب الملك والملك فى الدنيا (فاقول محمد فيقول بك) اى بسببك (امرت ان لا افتح لاحد قبلك) او امرت ان افتح لك حال كونى لا افتح لاحد قبلك (وعن عبد الله بن عمرو) اى ابن العاص كما فى الصحيحين (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضى) اى مسافته او دورته ومساحته (مسيرة شهر) اى قدر سير شهر (وزواياه) بفتح الزاى جمع زاوية اى نواحيه (سوآء) بفتح السين ممدودا اى مستوية اى لتربيع ارضه لايزيد طوله على عرضه قيل اركانه اربعة وسقاته اربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فمن ابغض واحدا لم يسقه الآخرون واورد التلمسانى حديثا فى هذا المعنى ولكن الله تعالى اعلم بصحة المبنى (وماؤه ابيض) افعل تفضيل وهو حجة للكوفى على البصرى اى اشد بياضا (من الورق) بكسر الرآء وسكونها وحكى كسر الواو وسكون الرآء ونسب الى الفرآء وحكى فتحهما الصغانى وادعى انه قرئ بها فى قوله تعالى بورقكم اى الفضة او الدراهم المضروبة وفى نسخة من اللبن بدل من الورق والاول هو المذكور فى جميع نسخ صحيح مسلم والثانى وقع فى نسخة المصابيح والجمع بتعدد الرواية (وريحه اطيب من المسك) اى من ريحه وفى تخصيصه ايماء الى انه افضل نوع من جنس الطيب (كيزانه) جمع كوز (كنجوم السماء) اى كثرة واضاءة وهى من ذهب وفضة كما فى رواية ثم قيل المراد به الكثرة لا عددها على الحقيقة والصواب ماقاله النووى من ان العدد على ظاهره ولا مانع شرعا ولا عقلا لاسيما وقد ورد مؤكدا بالقسم فى حديث والذى نفسى بيده لاكثر من عدد نجوم السماء (من شرب منه لم يظمأ) اى لم يعطش (ابدا) اى بعده وفيه اشكال سيذكر فى آخر الفصل حله (وعن ابى ذر رضى الله عنه نحوه) اى على مارواه مسلم (وقال) اى ابوذر فى حديثه هذا (طوله مابين عمان) بضم العين وتخفيف الميم من قرى اليمن وبفتح العين وتشديد

الميم من قرى الشام بالبلقاء من اقصى حوران والمعروف انه غير مصروف والمعنى ان مسافة ما بين طرفيه طولا مثل
المسافة منها (الى ايلة) بهمزة مفتوحة وتحتية ساكنة قرية فى آخر طرف الشام بساحل البحر متوسطة بين
المدينة ودمشق وثمان مراحل بينها او بين مصر قيل هى التى قال الله تعالى واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة
البحر هذا وقد قال ابن قرقول عمان التى فى الحوض رويناه بفتح العين وتشديد الميم وهى قرية بالشام من عمل دمشق
وكذا قاله الخطابى وحكى ايضا فيه تخفيف الميم وفى الترمذى من عدن الى عمان البلقاء والبلقاء بالشام قال البكرى
ويقال فيها ايضا عمان بالضم والتخفيف وزعموا انه المراد بالحديث لذكره مع ايلة جرباء واذرع والكل من قرى الشام
واما عمان التى ببلاد اليمن فبالضم والتخفيف لاغير ووقع فى كتاب ابن ابى شيبة ما يدل على انها المراد فى حديث
الحوض لقوله ما بين بصرى وصنعاء اليمن ومثله فى البخارى وفى مسلم وعرضه من مقامى الى عمان بالفتح والتشديد عند
الصدفى وعند غيره بالضم والتخفيف وقال ابن الاثير حديث الحوض من مقامى الى عمان هى بفتح العين وتشديد الميم
مدينة قديمة بالشام من ارض البلقاء فاما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين وله ذكر فى الحديث وقال السهيلى
بالضم والتخفيف قرية باليمن سميت بعمان بن سنان من ولد ابراهيم فيما ذكروا وبالفتح والتشديد قرية بالشام قرب
دمشق سميت بعمان بن لوط بن هاران كان يسكنها فيما ذكروا وقال الحافظ المزى يتعين الضم والتخفيف فان
فى الحديث الآخر ايلة وصنعاء (يشخب) بفتح الخاء وضمها من شخب اللبن كمنع ونصر اى يسيل سيلانا شديدا
متواليا وقيل يصب بصوت وفى رواية يغت بغين معجمة وتاء مثناة ومعناه اتباع الصب وروى يعب بعين مهملة
وباء موحدة ومعناه الشرب بسرعة فى نفس واحد وفى رواية ابن ماهان يثعب بثاء مثلثة وعين مهملة وباء موحدة
ومعناه يتفجر (فيه) اى فى ذلك الحوض (ميزابان) بكسر الميم وسكون الياء وقد يهمز اذ اصله الهمز وقد
يشدد تثنية ميزاب وهو مثعب الماء اى الجدول الذى يجرى منه الماء الى الحوض لكن فى التعبير عنه بالميزاب اشعار
بان ارض الموقف فى اسفل (من الجنة) اى من انهارها (وعن ثوبان مثله وقال) اى ثوبان فى روايته
فيما رواه مسلم (احدهما من ذهب والآخر من ورق) اى فضة وانما نوع للزينة كما فى الحلى المرصعة والعمارات
المزخرفة (وفى رواية حارثة بن وهب) اى فيما رواه الشيخان عنه وهو بالحاء المهملة وبعد الراء ثاء مثلثة خزاعى له
صحبة وهو اخو عبد الله بن عمر بن الخطاب لامه (كما بين المدينة وصنعاء) بفتح الصاد وسكون النون ممدودة قاعدة اليمن
ومدينته العظمى وهى من عجائب الدنيا كما قال الشافعى واما صنعاء الروم فقرية فى ناحية ربوة دمشق والله تعالى
اعلم (وقال انس رضى الله تعالى عنه ايلة وصنعاء وقال ابن عمر) اى فيما رواه الشيخان عنه (كما بين الكوفة والحجر
الاسود) واختلاف الروايات يدل على ان المراد كثرة طوله وانما ورد تقديره تمثيلا لكل احد بحسب بعده وتقريبا
لفهمه (وروى حديث الحوض ايضا انس) كما فى الصحيحين (وجابر بن سمرة) فيما رواه مسلم وفى نسخة وجابر وسمرة فعلى
تقدير صحته فقد روى جابر بن عبد الله حديثا فى الحوض وهو فى مسند احمد واما سمرة فلم يعرف حديثه فالصواب
هو النسخة الاولى (وابن عمر) كما رواه الشيخان وابو داود (وعقبة بن عامر) كما رواه مسلم وغيره (وحارثة بن وهب
الخزاعى) بضم اوله كما رواه البخارى والترمذى (والمستورد) بصيغة الفاعل على ما رواه الشيخان وهو ابن شداد
بالشين المعجمة كما افاده الحلبى (وابو برزة) بفتح الموحدة وتقديم الراء على الزاى (الاسلمى) فيما رواه ابو داود وابن
حبان والبيهقى (وحذيفة بن اليمانى) كما رواه مسلم وغيره (وابو امامة) على ما رواه ابن حبان والبيهقى وهو
صدى بن عجلان على ما هو الظاهر والا ففى الصحابة خمسة يقال لهم ابو امامة (وزيد بن ارقم) فيما رواه احمد بن حنبل
والبيهقى (وابن مسعود) كما رواه الشيخان (وعبد الله بن زيد) كما فى الصحيحين (وسهل بن سعد) بروايتهما ايضا
(وسويد) بالتصغير (ابن جبلة) بفتح الجيم والموحدة تابعى وقيل صحابى فكان ينبغى تأخيره عن من اتفق على صحبته
رواه عنه البيهقى وابو زرعة الدمشقى فى مسند اهل الشام ووقع فى اصل الحلبى هنا زيادة قوله وابن بريدة وتفرع له
اعتراض على المصنف لكنه مخالف لما فى النسخ المصححة هذا وفى حاشية قال الصواب سويد بن غفلة بفتح الغين المعجمة
والفاء وهو مخضرم عاش مائة وعشرين سنة ومات عام الفيل كذا فى الاصل ولعله تصحيف وصوابه ولد عام الفيل
(وابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) فيما رواه مسلم (وعبد الله الصنابحى) بضم الصاد المهملة فنون بعده الف
فموحدة مكسورة فحاء مهملة فياء نسبة قيل هو صحابى نسب الى جده صنابح رواه احمد وابن ماجه عنه (وابو هريرة
رضى الله تعالى عنه) كما فى الصحيحين (والبراء) بفتح الباء وتخفيف الراء اى ابن عازب كما فى نسخة رواه احمد والطبرانى
عنه (وجندب) بضم الجيم والدال وبفتح رواه الشيخان عنه وهو عبد الله بن سفيان البجلى والا ففى الصحابة من يقال له
جندب غيره اثنا عشر قال ابن الاثير متى اطلق اسم جندب من غير ذكر ابيه فهو جندب بن عبد الله هذا والا فاسم ابى ذر

الغفارى جندب بن جنادة الغفارى مشهور بكنيته (وعائشة) كما فى مسلم (واسماء بنتا ابى بكر رضى الله عنه) على ما فى
الصحيحين (وابو بكرة) اى الثقفى رواه الطبرانى واسمه نفيع مصغرا وهو ممن اعتزل يوم الجمل ولم يقاتل مع احد من
الفريقين وكان يقول انا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال السهيلى وقد تدلى من سور الطائف على بكرة
فتسمى ابا بكرة وهو من افاضل الصحابة (وخولة) بفتح الخاء المعجمة (بنت قيس) كما رواه احمد وغيره عنها وهى انصارية
نجارية زوج حمزة بن عبد المطلب (وغيرهم) رضى الله تعالى عنهم كابى بكر الصديق فى صحيح ابى عوانة والبيهقى
وعمر للبيهقى فى البعث وابى بن كعب واسامة بن زيد وحذيفة بن اسيد بفتح فكسر والحسن بن على وسلمان الفارسى
وسمرة بن جندب وابى الدرداء وابى معوذ كلهم فى الطبرانى واسيد بن حضير فى الصحيحين وابن عباس فى البخارى
وام سليم فى مسلم وجابر بن عبد الله وعائذ بن عمرو وثابت بن ارقم وخولة بنت حكيم رواه احمد فى مسنده عنهم ولقيط
ابن صبرة فى زيادات المسند وخباب بن الارت فى المستدرك وكعب بن عجرة فى الترمذى والنسائى وبريدة فى مسند
البزار وعتبة بن عبيد والعرباض بن سارية فى صحيح ابن حبان والنواس بن سمعان فى كتاب ابن ابى الدنيا وعثمان
ابن مظعون فى تاريخ ابن كثير وعبد الرحمن بن عوف فى الطبرانى ومعاذ بن جبل فى حادى الارواح ذكره الدلجى وقال
زعم المصنف تواتر حديث الحوض والظاهر ان تواتره معنوى لا لفظى لقول ابن الصلاح وغيره لا يكاد يوجد شرط
هذا وفى نسخة بعد قوله وسويد بن جبلة وابو بكر وعمر وابن بريدة ونقل عن ابن جبيران هذه الزيادة وقعت فى طرة
لا بخط المؤلف بغير علامة بخرج اليها ثم ابن بريدة قال الحلبى هو تابعى فحديثه مرسل قلت المرسل حجة عند الجمهور
فكيف اذا كان مع جمع حديثهم مشهور هذا وممن روى حديثا فى الحوض ولم يذكره القاضى خولة بنت حكيم
وعبد الله بن عباس اخرجهما احمد فى مسنده كما ذكره الحلبى وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ ابو بكر البيهقى فى كتاب
البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرات واختلف فى ان الحوض هل هو قبل الصراط او بعده اوله حوضان
احدهما بعده والآخر قبله والله تعالى اعلم هذا وقد قال المصنف ظاهر الحديث ان الشرب من الحوض يكون
بعد الحساب والنجاة من النار فهذا هو الذى لا يظمأ بعده قال وقيل لا يشرب منه الا من قدر له السلامة من النار
قال ويحتمل ان من شرب من هذه الامة وقدر عليه الدخول لا يعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر
الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد ومات كافرا قال وقيل ان جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بايمانهم ثم
يعذب الله من يشاء من عصاتهم وقيل انما يأخذ بيمينه الناجون خاصة قال وهذا مثله والله تعالى اعلم

(فصل)

(واما تفضيله بالمحبة والخلة) بضم المعجمة وتشديد اللام وسبق فيهما الكلام وسيأتى ما يتحقق به المرام فى هذا المقام
(جاءت بذلك) اى بتفصيل تفضيله (الآثار الصحيحة) اى من الاخبار الصريحة (واختص) بصيغة المفعول
او الفاعل (صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله) يعنى والسنة الخلق اقلام الحق لاسيما وهذه الامة
لا تجتمع على الضلالة مع كونه جاء صريحا فى بعض الاحاديث بانه حبيب الله (انا) اى اخبرنا (ابو القاسم بن ابراهيم
الخطيب) هو الامام المقرى يعرف بابن النخاس بالخاء المعجمة المشددة (وغيره) اى وغير ابى القاسم ايضا من المشايخ
(عن كريمة) بفتح الكاف وكسر الراء هى الحرة الزاهدة (بنت احمد) اى ابن محمد بن حاتم المروزى سمعت جامع البخارى
من الكشميهنى وسمعت زاهد بن احمد السرخسى وحدثت كثيرا وكانت مجاورة بمكة الى ان ماتت رحمها الله كذا ذكره
الامير فى اكماله على ما نقله الحلبى فما فى بعض النسخ بنت محمد غير صحيح (ثنا) اى حدثنا (ابو الهيثم) اى الكشميهنى
(وحدثنا) بالواو الدالة على تحويل السند وفى اصل الحلبى واخبرنا (حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه) هو ابن سكرة
(ثنا القاضى ابو الوليد) اى الباجى (ثنا عبد بن احمد) بالوصف لا بالاضافة هو ابو ذر الهروى (ثنا ابو الهيثم)
اى الكشميهنى (ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا محمد بن اسماعيل) اى الامام البخارى (ثنا عبد الله
ابن محمد) الظاهر انه المسندى ومستنده انه من طلبة ابى عامر والا فقد روى البخارى عن اربعة كل منهم اسمه
عبد الله بن محمد على ما ذكره الحلبى وقال الكلاباذى هو عبد الله بن محمد بن جعفر اليمان ابو جعفر المعروف بالمسندى
لانه كان وقت طلبه يتتبع الاحاديث المسندة ولا يرغب فى المقاطيع والمراسيل (ثنا ابو عامر) اى عبد الملك بن عمرو
ابن قيس اى العقدى بفتح العين والقاف بصرى اخرج له الستة (ثنا فليح) بضم الفاء وفتح اللام فمثناة تحتية ساكنة
فحاء مهملة ابن سليمان العدوى مولاهم المدنى واسمه عبد الملك ولقبه فليح محتج به فى الصحيحين وقال ابن معين
وابو حاتم والنسائى ليس بالقوى اخرج له الائمة الستة (ثنا ابو النضر) بالضاد المعجمة هو سالم ابن ابى امية المدنى التابعى
(عن بسر) بضم موحدة وسكون سين مهملة (ابن سعيد) اى ابن الحضرمى المدنى الزاهد مات ولم يخلف كفنا

(عن ابى سعيد) اى الخدرى (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابابكر) اى خليلا والمعنى جعلته مخصوصا بالصداقة والمحبة وهو فعيل من الخلة بالضم وهى الصداقة التى تتخلل باطن القلب فالخليل الصديق الواد فعيل بمعنى الفاعل كما فى هذا الحديث وانما قال ذلك لقصر خلته على حب ربه ور بما ورد بمعنى مفعول وهو المناسب لقوله (وفى حديث آخر وان صاحبكم خليل الله) كما سيأتى مصرحا فى حديث ابن مسعود ور بما يفرق بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين ابراهيم عليه السلام بهذا التغاير فى المعنى مع الاشتراك فى المبنى والحديث الاول رواه البخارى فى فضل ابى بكر وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى ايضا (ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه الدارمى والترمذى عنه (قال جلس ناس) اى جمع (من اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ينتظرونه) اى خروجه اليهم ووصوله لديهم رجاء ازال فيضه عليهم (فخرج) اى من مقامه متوجها اليهم (حتى اذا دنا منهم) اى قرب (سمعهم) وفى رواية فخرج سمعهم اى حال كونه قد سمعهم (يتذاكرون) اى متذاكرين كلاما فيما بينهم (فسمع حديثهم) اى فحققه وفهمه (فقال بعضهم عجبا) اى تعجبا (ان الله) بالكسر او تعجب عجبا ان الله بالفتح (اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا) اى كما اخبره تعالى وقد سقط لفظ ابراهيم من اصل الدلجى فقال يريد ابراهيم عليه السلام (وقال آخر) اى بعض او صحابى آخر (ماذا) اى ليس هذا او هو اتخاذ الله ابراهيم خليلا (باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما) اى كما اخبر تعالى (وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه) الفاء فصيحة اى اذا ذكرتم خليل الله وكليمه فى مقام الافتخار فاذكروا عيسى فانه كلمة الله خلقه بامر كن من غير اب او اضافته للتشريف اى كلمته مقبولة عنده سبحانه ودعوته مستجابة لديه وهو روح مجرد من عنده به نفخ فيه بغير واسطة او رحمة منه (وقال آخر آدم اصطفاه الله) اى فى اصل خلقته من غير واسطة من اب وام فى فطرته وجعله ابا البشر وجد الانبياء والاصفياء وذكره فى كتابه بوصف الاجتباء وحاصل كلامهم انه يتوهم من هذه الاوصاف انهم انهم افضل من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم حيث ما بلغهم صريحا انه اختص ببعض المقامات العاليات كما يشير اليه قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات (فخرج عليهم) اى وصل اليهم (فسلم) فتكراره لينا ط به غير ما نيط به اولا او خرج اولا من مكان الى آخر فسمع قولهم مارا ثم خرج منه وسلم عليهم (وقال قد سمعت كلامكم) اى فى تخصيص بعض الرسل ببعض الفضائل (وعجبكم) اى واظهار تعجبكم باختصاصهم ببعض الشمائل كما بينه قوله (بان الله) الخ وتكلف الدلجى حيث قدر له عاملا بقوله اى ادركت عجبكم وجعله من قبيل قلدته سيفا ورمحا وعلفتها تبنا وماء باردا وتبعه الانطاكى ورأيت بخط قطب الدين عيسى الصفوى انه لا حاجة الى هذا التكلف فان المراد سماع ما يدل على تعجبهم هذا وفى نسخة صحيحة ان الله وهى بكسر الهمزة او بفتحه (اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك) اى خليله او اتخاذه محقق (وموسى نجى الله) اى كما قال الله تعالى وقربناه نجيا من المناجاة وهى المكالمة سرا (وهو كذلك) اى نجيه او امره كذلك (وعيسى روح الله وهو كذلك) اى ذو روح منه خلقه بلا واسطة اب (وآدم اصطفاه الله) اى اجتباه (وهو كذلك) اى صفيه بالنبوة والرسالة كما قال الله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس (ألا) اى تنبهوا لخصائصى مع اشتراكى معهم فى الاصطفاء كما قال (وانا حبيب الله) بمعنى محبوبه الذى هو اخص من كل مرتبة ومقام عند ربه (ولا فخر) اى ولا اقوله فخرا بل تحدثا بنعمته شكرا (وانا حامل لواء الحمد) كما قال فى حديث آخر وآدم ومن دونه تحت لوائى (يوم القيامة) اى فى المحشر الاكبر فى المقام المحمود الذى يحمده الاولون والآخرون (ولا فخر) اى الا بقربى لربى (وانا اول شافع) اى فى الشفاعة العظمى اى كل مرتبة من مراتب الشفاعات الحسنى (واول مشفع) اى مقبول الشفاعة (ولا فخر) اى بالنسبة الى مالى من الذخر (وانا اول من يحرك حلق الجنة) بفتح الحاء واللام وبكسر اوله اى حلق بابها (فيفتح الله لى) اى بامره لرضوان الجنة بان يفتح لى كما فى رواية (فيدخلنيها) اى الله بفضله وكرمه كما قال الا ان يتغمدنى الله برحمته (ومعى فقراء المؤمنين) اى بعمومهم على تفاوت مراتبهم مقدمون على اغنيائهم على اختلاف احوالهم وهو لا ينافى ما ورد بلفظ ومعى فقراء المهاجرين لانهم افضل فقراء المؤمنين ووقع فى اصل الدلجى ما يخالف الاصول المعتبرة (ولا فخر) اى بهذا ايضا لانه ورد فى الحديث القدسى والكلام الانسى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وانا اكرم الاولين والآخرين) اى من الخلائق اجمعين وهذا فذلكة الكلام ونتيجة المرام (ولا فخر) اى فى هذا المقام ايضا اذ الفناء عن السوى والبقاء فى حضرة اللقاء هو المقام الاسنى والحالة الحسنى (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى من احاديث الاسراء (من قول الله تعالى) وفى نسخة فى قول الله اى فى جملة قوله سبحانه وتعالى (لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم انى اتخذتك خليلا) اى كما اتخذت ابراهيم

فجمع له بين كونه خليلا وحبيبا فله فى المزية زيادة مرتبة المحبوبية كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله اى يحصل لكم حظ من المنزلة المحبوبية بواسطة المتابعة المطلوبة ويؤيده قوله (فهو مكتوب فى التوراة اسـ) كذا فى نسخة صحيحة من غير ضبط على هذه الصورة وهى الف بعدها سين مهملة ثم جرة وفى بعض النسخ مكتوب بازائها على الطرة ذكر ابن جبير بخطه فى كتابه ان هذه اللفظة وقعت فى الام المبيضة بخط المؤلف كما هى هنا مبهمة فحكيتها كما وقعت ذكره التلمسانى ولا يبعد ان يكون بالتاء الفوقية فى آخر الكلمة وهى للربط فى الجملة بالفارسية وفى نسخة ضبط بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وضم الموحدة وقيل بفتح الهمزة وسكون السين وضم المثناة فوق ولعلها كلمة سريانية بقرينة ذكرها فى التوراة اى انت كما فى نسخة (حبيب الرحمن) وفى نسخة احمد حبيب الرحمن ولعله مدلولها هذا وقد قال الانطاكى كذا وقع فى النسخ خليلا ولعله مصحف فقد تقدم حديث ابى هريرة هذا فى فصل ذكر تفضيله عليه الصلاة والسلام بما تضمنته كرامة الاسراء ولفظ الحديث هنالك قد اتخذتك حبيبا قال وايضا لفظ الحبيب هنا انسب باخر الحديث وهو قوله انت محمد حبيب الرحمن قال ثم انى وقفت على نسخة قديمة قد كان اللفظ فيها اولا انى اتخذتك حبيبا ثم غيرته ايدى التحريف فصيرته خليلا وعلامة الاهمال تحت الحاء كانت باقية فيها بعد والله يعلم المفسد من المصلح قلت حمل جميع النسخ على التصحيف بعيد عن صوب الصواب وميل الى التحريف لا سيما والنسخة القديمة ايضا ظهرت سقيمة وصححت سليمة هذا من جهة المبنى واما من حيثية المعنى فلا شك ان التأسيس اولى من التأكيد مع ما فى مغايرة العبارة من الاشارة الى الجمع بين النعتين الجليلين والوصفين الجميلين ثم الظاهر ان هذه رواية اخرى عن ابى هريرة لمغايرة الفاظه ما فى المحلين من الكتاب والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) كذا فى الاصول المعتبرة ووقع فى اصل الدلجى هنا فصل (اختلف) بصيغة المجهول وفى نسخة اختلفوا (فى تفسير الخلة) بالضم (واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله) اى المعرض عما سواه بزيادة تعلقه بانه (الذى ليس فى انقطاعه اليه ومحبته له اختلال) اى نقص وخلل لديه فعليه اشتقاقه من الخلال وهو وسط الشئ فان الود يتخلل النفس ويخالطها بحيث لا يختل بحصول خلل فيه حال خلاله وفى هذا المعنى قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا وقوله سبحانه وتعالى ففروا الى الله (وقيل الخليل المختص) اى بوصف الخلة سواء يكون مشتقا من الخلة بضم الخاء كما سبق او من الخلة بالفتح بمعنى الفقر والحاجة من الخل اذ كل خليل محتاج الى ان يسد خلل خليله وفى الحديث اللهم سادّ الخلة اى الحاجة والفاقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان فى الخصال كما ورد المرء على دين خليله وقيل هو المختص بخدمة مولاه والذى اختصه الله تعالى فجعله من خلاصة عباده وسلالة عباده ولكن لا يظهر وجه الاشتقاق فى هذين القولين وان كان الدلجى ذكرهما واقتصر عليهما ثم رأيت الانطاكى قال المختص يعنى بالصداقة والمحبة يقال دعا فلان فخلل اى خص (واختار هذا القول) اى الاخير (غير واحد) اى كثير من الاخيار (وقال بعضهم اصل الخلة) بالضم (الاصطفاء) اى الاختيار من الصفوة او الصفاء اى يختار كل خليل رضى خليله او يصفو معه فى كل حالة كخليله (وسمى ابراهيم خليل الله لانه يوالى فيه ويعادى فيه) اى يحب فى الله ويبغض فى الله او لابتغاء رضاه ليس له غرض سواه وفى البخارى الحب فى الله والبغض فى الله من الايمان اى من كماله (وخلة الله له) اى لابراهيم (نصره) اى على عدوه (وجعله اماما لمن بعده) كما قال تعالى انى جاعلك للناس اماما فلم يبعث نبى بعده الا كان من ذريته مأمورا باتباع ملته قال الدلجى وفى نسخة وجعله اماما لمن بعده بشهادة اجعل هذا بلدا آمنا والظاهر انه تصحيف وتوجيه تحريف (وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع) اى عن الاعوان والاخوان او عما سوى الله تعالى فى الاكوان (مأخوذ من الخلة) بفتح الخاء (وهى الحاجة) اى شدتها الملجئة الى الفاقة (فسمى بها) اى بالخلة يعنى بالاتصاف بها فى اطلاق الخليل ووقع فى اصل الدلجى به بالضمير المذكر وهو واضح دراية لو ثبت رواية اى فسمى بالخليل (ابراهيم لانه قصر حاجته) اى حصرها (على ربه) اى على طلبها من ربه او على حصول قربه ليس له مأمول غيره فى قلبه ويؤيده قوله (وانقطع اليه بهمه) اى بهمته ونهمته وعزيمته ونيته او المراد بالهم ما يهمه ويغمه لقوله (ولم يجعله) اى همه (قبل غيره) بكسر القاف وفتح الموحدة اى عند غيره والمعنى لم يكل همه الى احد غيره اذ ليس للغير اثر وجود فى نظره وكان هذا حال الخليل فى المقام الجليل (اذ جاءه جبريل وهو فى المنجنيق) بفتح الميم والجيم وقيل بكسر اوله لانه آلة للرمى ويؤيد الاول ما فى كتب اللغة انها هى آلة ترمى بها الحجارة معربة واصلها بالفارسية من جه نيك اى ما اجودنى ويقال جنق اذا رمى بالمنجنيق قالوا كالمنجنيق مرة ورشق اخرى (ليرمى به فى النار) بصيغة المجهول (فقال الك حاجة قال اما اليك فلا) وزيد فى رواية فقال فاسأل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى (وقال ابو بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء غير منصرف

وقد يتصرف (الخلة) بالضم (صفاء المودة) اى خلوص المحبة التى لا يتخللها نوع من المخالفة (التى توجب الاختصاص) اى فى حالتى المسرة والمضرة من المحبوب للمحب وعكسه (بتخلل الاسرار) بفتح الهمزة جمع سر اى يدخل فى قلوب الاخيار وصدور الاحرار والجملة حالية ولو قرئت بالباء الجارة وصيغة المصدر لكان له وجه وجيه (وقال بعضهم اصل الخلة المحبة) اى مطلقا فى اللغة (ومعناها) اى مؤداها (الاسعاف) بكسر الهمزة اى انجاز الحاجة (والالطاف) بالكسر اى الاعانة على وجه اللطافة (والترفيع) اى رفعه على نفسه فى مقام انسه وهو معنى قول بعضهم الترفيع التعظيم والتكريم (والتشفيع) اى قبول شفاعته وحصول رعايته (وقد بين) اى الله تعالى (ذلك) اى هذا المعنى (فى كتابه) اى فى مفهوم المبنى (بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله) اى اتباع ابنيه عزير والمسيح على حذف المضاف المقدر او نزلوا انفسهم منزلتهما فى المقام المعتبر فتدبر وكذا قوله (واحباؤه) اى محبوبوه او محبوه ويلزم كونهم محبيه للملازمة الغالبية فى نسبة المحبة والمحبوبية كما يشير اليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) اى ان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم اذ من كان بهذه المكانة لا يعذب بهذه المثابة وقد عذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ والاصر وسيعذبكم فى النار الموقدة باعترافكم اياما معدودة (فاوجب) اى الله بطريق الاشارة المفهوم من العبارة (للمحبوب ان لا يؤاخذ) بفتح الخاء اى لا يعاقب (بذنوبه) وان كان قد يعاتب بعيوبه فالحبيب لا يعذب حبيبه بالنار والوالد لا يرمى ولده فى العار (قال) اى الله سبحانه وتعالى (هذا) اى هذا الكلام او قال ذلك البعض خذ هذا او الامر هذا او هذا كما ذكر (والخلة اقوى) اى فى النسبة (من البنوة) بتقديم الموحدة على النون وضمهما وتشديد الواو (لان البنوة قد يكون فيها) اى يوجد معها (العداوة) اى الموجبة للمخالفة (كما قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم) اى بعضهم (عدوا لكم) بالمخالفة الدينية او الدنيوية (فاحذروهم) اى عن المخالطة والمغالطة (الاية) اى وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم (ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة) اى مع صداقة على الحقيقة فانهما ضدان لا يجتمعان على وجه الكمال نعم قد توجد عداوة من جنبية وصداقة من حيثية كمحبة ولد عاق وعداوة والد جاف وعلى هذه الحالة مدار معاشرة العامة بل ومداراة الخاصة (فاذا) بالتنوين اى فحينئذ (تسمية ابراهيم ومحمد) وفى نسخة تسميته اى تسمية الله ابراهيم ومحمدا عليهما الصلاة والسلام (بالخلة اما بانقطاعهما الى الله) اى بالكلية (ووقف حوائجهما عليه) اى حتى فى الامور الجزئية (والانقطاع عما دونه) اى فى الاحوال الظاهرية (والاضراب) اى الاعراض والانصراف (عن الوسائط والاسباب) اى فى الخواطر السرية كما قال ارباب الاشارات التوحيد اسقاط الاضافات (او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما) اى من بين الانبياء والاصفياء (وخفى الطافه) بفتح الهمزة اى ولزيادة الطافه الخفية (عندهما) اى من اخفى الشئ اذا ستره لا من خفيته بمعنى اظهرته وحديث خير الذكر الخفى يحتملهما على ما ذكره الدلجى لكنه بمعنى الظهور بعيد كما لا يخفى نعم لو قيل المعنى هنا ظهور الطافه لظهر له وجه وفى نسخة وحفى بالحاء المهملة وكسر همزة الطافه اى ولزيادة مبالغته فى اكرامه من حفى اذا بالغ فى الاكرام واستقصى عن سؤال المرام ومنه قوله تعالى يسألونك كأنك حفى عنها ومنه ايضا حديث ان امرأة دخلت عليه عليه الصلاة والسلام فسألها فاحفى وقال انها كانت تأتينا فى زمن خديجة وان كرم العهد من الايمان (وما خالل) اى خالط وباشر (بواطنهما من اسرار الهيته) اى وانوار صمديته (ومكنون غيوبه) اى ومن استار مغيباته (ومعرفته) اى تعريفاته بذاته وصفاته (او لاستصفائه) اى اختيار الله سبحانه وتعالى (لهما) ومنه حديث محمد خيرة الله من خلقه (واستصفاء قلوبهما عمن سواه) اى تخليصهما عن التعلق بالعوائق من الخلائق (حتى لم يخاللهما حب لغيره) بل اذا احبا احدا احباه لله سبحانه وتعالى ولذا دعا صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم لا تجعل لفاجر على يدا يحبه قلبى وبقوله اللهم انى اسألك حبك وحب من يحبك (ولهذا) اى المعنى المستفاد من هذا المبنى (قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه) بتشديد التاء وكسر السين ويروى من لا يتبع قلبه (لسواه) اى على جهة الشركة فى المحبة الاصلية (وهو) اى هذا المعنى هو (عندهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام) اى كما رواه البخارى ان من امن الناس على فى صحبته وماله ابا بكر (ولو كنت متخذا خليلا) اى من الناس ارجع فى المهمات عليه والجأ فى الملمات اليه (لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام) ورواية المصابيح ولكن بالواو اى ليس بينى وبينه خلة لكن اخوة الاسلام ثابتة بينى وبينه فى اعلى المرتبة فيقوم مقام اتخاذى له خليلا قال التلمسانى كذا وقع فى النسخ الصحيحة من الشفاء اخوة بالالف وفى الاكمال خوة دون الف ثم قال كذا للعذرى ولغيره بالالف وقوله عليه الصلاة والسلام لو كنت متخذا خليلا الخ قال فى المشارق لو كنت متخذا خليلا افتقر اليه والتجئ اليه فى جميع امورى لكان ابا بكر ولكن الذى التجئ اليه وافتقر اليه هو الله تعالى او لو كنت منقطعا الحب

مخلوق لكان ابا بكر لكن مرافقة الاسلام انتهى وفيه ايذان الى ان الخلة فوق الاخوة والمودة (واختلف العلماء وارباب القلوب) اى اصحاب القلوب الصافية والالباب الواعية من المشايخ الصوفية الجامعين بين المعارف اليقينية البهية والاخلاق السنية الرضية (ايهما ارفع) اى اى الخصلتين او الحالتين اعلى او اغلى فى الدرجة العلية والرتبة الجلية (درجة الخلة) اى درجة الخلة ارفع من درجة المحبة (او درجة المحبة) اى ارفع من درجة الخلة فهما مرفوعان بناء على انهما بدل من ايهما المرفوع ويجوز نصب درجة على انه تمييز ذكره التلمسانى وهو بعيد جدا لاسيما مع وجود او الترديد بينهما وكونهما معرفة بالاضافة نعم لو ثبت الجر لكان له وجه من حيث انه بدل من المضاف اليه فى ايهما والصحيح ما اشرنا اليه من انهما مرفوعان بالابتداء وان خبرهما ارفع مقدرا مع تقدير الاستفهام فى اولهما (فجعلهما بعضهم سواء) اى فى المرتبة ليس بينهما تفاوت فى الدرجة (فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم عليه السلام بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالمحبة) اى بناء على الغلبة ولكن فى هذا الاختصاص دلالة باهرة واشارة ظاهرة الى زيادة درجة المحبة على رتبة الخلة كما لا يخفى على ارباب المعرفة (وبعضهم قال درجة الخلة ارفع) اى من مرتبة المحبة وهذا بعيد جدا الا ان يراد بالخلة معنى الخصوص وبالمحبة معنى العموم وليس الكلام فيه لا فى المنطوق ولا فى المفهوم (واحتج) اى ذلك البعض لما زعمه (بقوله صلى الله عليه وسلم) اى فيما رواه البخارى (لو كنت متخذا خليلا غير ربى) اى لاتخذت ابا بكر خليلا (فلم يتخذه) اى غير ربه خليلا (وقد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها) اى الحسنين رضى الله تعالى عنهم (واسامة) اى وكذا لاسامة ابن مولاه زيد بن حارثة الملقب بحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كان اسامة اسود كالغراب وابوه زيد ابيض كالقطن (وغيرهم) اى كابى بكر وعمر وعائشة فلو كانت المحبة ارفع من الخلة لم يتخذ غير ربه مما ذكر حبيبا كما لم يتخذ غيره خليلا وفيه انه لم يطلق على احد منهم بكونه حبيبا وانما اراد بمحبتهم المحبة الطبيعية الناشئة عن النسبة الجزئية او الحالة الصادرة عن تحقق الشمائل الرضية مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم سمى حبيب الله بمعنى محبوبه فاين هذا المعنى من ذلك المبنى فليس له شريك فى هذا الوصف على وجه الكمال كما لا يخفى وهذا هو المشهور عند الجمهور ولذا قال (واكثرهم جعل المحبة) اى الخالصة دون المودة العامة (ارفع) اى درجة (من الخلة) اى مع انهما من مراتب الخاصة (لان درجة الحبيب نبينا صلى الله عليه وسلم ارفع من درجة الخليل ابراهيم عليه السلام) يعنى اختصاص هذا الوصف بمن هو اكمل يدل على انه افضل من سائر اوصاف الكمل والا لكان الانعكاس اولى فتأمل فانه اندفع به ما ذكره الدلجى بقوله وانت خبير بان ارفعية المحبة على الخلة انما هى من ارفعية موصوفها لا من حيث ذاتها ثم مما يدل على هذا التحقيق الموجب للتوفيق ان الخليل انما هو فعيل بمعنى الفاعل مسند الى ابراهيم عليه السلام واما الحبيب فيحتمل ان يكون بمعنى فاعل او مفعول ولا شك ان نسبة المفعولية فى هذا المقام اتم من نسبة الفاعلية فى المرام كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه لا سيما ومحبة الله تعالى كاملة سابقة ذاتية ابدية ازلية ومحبة العبد ناقصة لاحقة عرضية غرضية واما حديث لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا فهو محمول على انه اتخذه ان يكون خليلا خاصا لا يتخذ غيره خليلا على ما يدل عليه سياق الكلام وسباقه فهو بمعنى الفاعل على حاله وليس كما توهم الدلجى انه بمعنى المفعول والحاصل انه يقال محمد حبيب الله والله حبيب محمد ولا يقال الله خليل ابراهيم مع جواز ابراهيم خليل الله وقد صرحوا بان المعنى الاول اصح يعنى كونه مشتقا من الخلة بالضم لانها تتصور من الجانبين والحاجة لا تتصور من الجانبين فلا يجوز ان يقال الله تعالى خليل ابراهيم لما فيه من ايهام ان يكون مأخوذا من الخلة التى هى الحاجة (واصل المحبة) اى المأخوذة من حبة القلب او اصل معناها (الميل الى ما يوافق المحب) اى يلائم طبعه ويستلذ به وهذا ظاهر فى كونه اسم الفاعل من احبه فهو محب على ما صرح به الانطاكى وضبطه الحلبى بضم الميم وفتح الحاء اى المحبوب وتبعه الدلجى وزاد عليه قوله من ارادة طاعاته وابتغاء مرضاته لكنه مخالف للرواية وغير مناسب للدراية لانه ليس اصل المحبة هذا بل نتيجة محبة المحب للمحبوب ان لا تقع منه المخالفة كما قالت رابعة رضى الله عنها

تعصى الاله وانت تزعم حبه * هذا لعمرك فى الصنيع بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

هذا وقد قال الانطاكى وفى بعض النسخ وقع محب بفتح الحاء والظاهر انه خطأ لما سيأتى فى كلام المصنف من ان حقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان (ولكن هذا) اى التعريف (انما يصح فى حق من يصح الميل) اى وجود ميلان القلب (منه) اى الى محبوبه او مطلقا (والانتفاع بالوفق) بفتح الواو وسكون الفاء اى وفى حق من يتصور منه الانتفاع

والارتفاق بالشئ الذى فيه المواققة له اوعلى وفق ميل القلب وهوى النفس اليه (وهى) اى المحبة بمعنى الميل (درجة المخلوق) اى صفته ورتبته (فاما الخالق) اى الذى قدس عن القلب والميلان وسائر نعوت الحدثان (فمنزه عن الاغراض) بالغين المعجمة وهى العلل والحاجات وكذا عن الاعراض بالعين المهملة وهى الامراض والآفات (فمحبته لعبده تمكينه من سعادته) اى باقداره على طاعته وعبادته (وعصمته) بالرفع وابعد الدلجى فى تجويز الجر اى ومحافظته عن ارتكاب معصيته (وتوفيقه) اى على ارتكاب الحسنات واجتناب السيئات (وتهيئة اسباب القرب) بضم فسكون ولا يبعد ان يكون بضم ففتح اى من النوافل كصلاة وصوم وصدقة وتسبيح وتحميد وتكبير وتهليل وسائر القرب (وافاضة رحمته عليه) اى بقبول ما منه اليه وجعله مقربا لديه (وقصواها) بضم القاف مقصورة اى غاية المحبة ونهايتها بالنسبة الى الخالق (كشف الحجب عن قلبه) اى كشف الرب الحجب النفسانية والنقب الانسانية عن قلب المحب لجمال الذات الربانية وكمال الصفات الصمدانية (حتى يراه بقلبه) اى حتى يرى جمال ربه بعين قلبه (وينظر اليه) اى الى تجلى ربه فى مقام عظمته (ببصيرته) اى بعين بصيرته فيفنى عن نفسه وحجبه ويبقى بقاء ربه فيكون محوا بعد ما كان صحوا وسكرا بعد ما كان فكرا وشكرا وحاضرا فى الحضرة بعد ما كان غائبا فى الغفلة (فيكون كما قال) اى سبحانه وتعالى (فى الحديث) اى القدسى والكلام الانسى على ما رواه البخارى لا يزال العبد يتقرب الى حتى احبه (فاذا احببته) اى اظهرت حبى له فان حبه سبحانه وتعالى قديم غير حادث بعد تقرب عبده (كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به) وفى رواية زيادة ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها اى كنت حافظ اعضائه وحامى اجزائه ان يتحرك بغير رضاى وان يسكن الى غير قضاى والحاصل انه جعل سلطان محبته لربه آخذا بمجامع قلبه فلا يهيم الا بمرضاة محبوبه ولا يسعى بجميع جوارحه الا فى سبيل مطلوبه وقيل اى كنت اسرع الى قضاء حوائجه من سمعه فى الاسماع وبصره فى النظر ولسانه فى النطق وهنا معنى ادق من هذا وهو انه يظهر للعبد فى هذا المقام ما يتم به المرام وهو انه يشاهد ان قوة سمعه وبصره ولسانه وسائر اركانه انما هى من آثار قدرة ربه وقوته عز شأنه وليس المراد منه الحلول والاتحاد والاتصال على ما توهمه اهل الضلال كما قال (ولا ينبغى ان يفهم) بصيغة المفعول (من هذا) اى الحديث (سوى التجرد لله) اى تجرد القلب عن غير حب الرب (والانقطاع الى الله) اى ترك الالتفات الى ما سواه (والاعراض عن غير الله) اى بالتوجه الكلى الى مولاه حتى كانه يسمع منه ويرى له فيما يتحراه (وصفاء القلب لله) اى بحيث لا يخطر بباله سواه كما قال العارف بالله ابن الفارض

ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا حكمت بردتى

(واخلاص الحركات لله) وكذا جعل السكنات فى رضاه لان من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل ايمانه وقد قال تعالى ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين (كما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان خلقه القرآن) اى فى جميع الشان (يرضى برضاه ويسخط بسخطه) اى لا ينشأ عنه شئ من الهوى ولا ينظر فى جميع احواله غرض السوى بل يدوم على التخلق باخلاق المولى (ومن هذا) اى المقام (عبر بعضهم عن الخلة) اى التى هى خلاصة المرام لسلالة الكرام من الانام (بقوله قد تخللت مسلك الروح منى) اى تداخلت لحبى اياك تخالط الروح من بدنى وهو كالماء فى العود الطرى وكالطراوة فى اللؤلؤ المعدنى (وبذا) اى وبذلك التخلل المأخوذ من الخلة (سمى الخليل) اى ابراهيم وغيره (خليلا فاذا ما) زائدة (نطقت) اى عنك (كنت حديثى) اى مثل لما قيل من ان الاناء يترشح بما فيه ولما ورد من احب شيئا اكثر من ذكره (واذا ما سكت) اى بك او عن غيرك او عن بيان حالى معك (كنت الغليلا) بالغين المعجمة والف الاطلاق اى حرارة العطش وفى نسخة الدخيلا اى الذى يداخل فى الامور ويخالل بما فى الصدور (فاذا) بالتنوين وقد يكتب بالنون اى فحينئذ (مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بما دلت عليه الايات) وفى نسخة الآثار وهى ملائمة لقوله (الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة) كحديث لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر خليلا وفى رواية ولكن اخى وصاحبى وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وكحديث انا حبيب الله ونحو ذلك من شواهد الاحاديث الصحيحة المطابقة للايات الصريحة (وكفى بقوله تعالى) اى كفى شاهدا ودليلا قوله سبحانه وتعالى (قل ان كنتم تحبون الله الآية) اى فاتبعونى يحببكم الله وفيه الغاية القصوى فى المقام الاسنى حيث جعل متابعته شرط صحة دعوى محبته له تعالى ورتب على متابعته محبته سبحانه وتعالى له ولعل الانبياء عليهم الصلاة والسلام تمنوا كونهم فى امته ومتابعة ملته لتحصيل هذا المرام وهو مرتبة المحبوبية والمرادية المجذوبية المطلوبية لاهل الكمال من السادة الصوفية ولذا قالوا جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين وقد قال تعالى الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب فالجملة الاولى اشارة الى مقام المراد

فى مرتبة المريد والثانية الى مقام المريد فى حال الانابة ووصف المستزيد والحاصل ان هذه الاية الشريفة لما كانت دالة على المرتبة المنيفة (حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا) بفتح الحاء المهملة وتخفيف النونين اى معبودا ومسجودا (كما اتخذ النصارى عيسى ابن مريم) وهذا باطل قطعا من وجهين احدهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرد هذا المعنى اصلا بل لما قيل له انسجد لك قال لو امرت ان يسجد احد لاحد لامرت ان تسجد المرأة لزوجها وايضا انما نزل القرآن من اوله الى آخره على رد اهل الشرك العنيد واثبات التوحيد على وجه التجريد والتفريد فكيف يتصور له ان يريد خلاف ذلك حيث يكون مناقضا لما هنالك ولكنهم على زعمهم وقياس الكاملين على نفوسهم ومقتضى طباعهم صدر هذا الكلام عنهم وظهر هذا المرام منهم وثانيهما ان التشبيه فى كلامهم غير صحيح لان عيسى ابن مريم لم يرد اتخاذ النصارى له الها معبودا كما ظنوا لانه من صغره الى حال كبره كان يقول انى عبد الله وابرئ الاكمه والابرص واحيى الموتى باذن الله ولم يخطر بباله وجود من سواه فضلا عن اشراكه مع مولاه واما ما ذكره الدلجى من قوله الحنان الرحمة او العطف اى نتخذه موضع حنان من الرحمة فنرحمه ونعطف عليه ونتبرك به كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم حنانا فلا يناسب التشبيه الذى يلائم التنزيه ولا يسبب لما قاله اهل التفسير (فانزل الله غيظا لهم) اى زيادة غيظ فى حالتهم (ورغما) بفتح الراء ويضم ويحكى كسرها اى ردا (على مقالتهم هذه الآية) اى الآتية وهى قوله (قل اطيعوا الله والرسول) لان اطاعة كل واحد مستلزمة لاطاعة الآخر وفيه ايماء له خفاء الى ان الرسول لا يأمر بالمنكر فتدبر (فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولى) اى الاعراض (عنه) اى اشد ما توعدهم (بقوله فان تولوا) يحتمل الماضى والمضارع اى تتولوا (فان الله لا يحب الكافرين) اى لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم وفى وضع الظاهر موضع المضمر تسجيل على كفرهم لئلا يشمل الفاجرين بنوع من التولى لا يكون موجبا للكفر وفيه ايضا تنبيه نبيه على ان مدار الامر على الخاتمة ونوع حض على التوبة الموجبة للمحبة والمغفرة والمثوبة (وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك) بضم اوله وهو غير منصرف للعلمية والعجمة وقد يصرف (عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة يطول جلة اشاراته) اى وتفصيل عباراته (ترجع الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا) بفتحتين اى شيئا يسيرا من الكلام (يهدى الى ما بعده) اى من مقام المرام (فمن ذلك قولهم الخليل يصل) اى الى من اتخذه خليلا (بالواسطة) اى اخذ الوصول اليه بهاديه دليلا (من قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) اى وليكون بواسطة اراءة الله له ذلك من الموقنين لما هنالك (والحبيب يصل اليه) اى لحبيبه كما فى نسخة (به) اى بذاته دون واسطة من اراءة كائنا ما اخذاه (من قوله تعالى فكان قاب قوسين) اى قدرهما (او ادنى) اى بل ادنى من قابهما (وقيل الخليل الذى تكون مغفرته فى حد الطمع) اى لانه من المريدين وهذا المعنى مأخوذ (من قوله تعالى والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى) اى يوم الدين (والحبيب هو الذى مغفرته فى حد اليقين) اى الناجز الذى غير متوقف ولا متأخر الى حين لكون صاحبه من المرادين (من قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى من جميع ما يصح فيه العتاب دون العقاب لعدم مناسبته فى هذا الباب وفى عطف ما تأخر اعتناء عظيم فتدبر فان الغفران السابق يشمل الواقع واللاحق (الآية) اى ومع زيادة اتمام النعمة واكمال المنة بالهداية الخاصة والنصرة العامة المستفادة من تتمة الآية التى هى قوله سبحانه وتعالى ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هذا وقد ذكر فرقا آخر بينهما بقوله (والخليل قال ولا تخزنى يوم يبعثون) اى لكونه طالبا فى الطريق (والحبيب قيل له يوم لا يخزى الله النبى) اى لانه مطلوب فى مقام التحقيق وهذا المعنى فى التوفيق هو الذى بينه المصنف بقوله (فابتدئ) اى الحبيب (بالبشارة) اى بنفى الخزى والفضاحة عنه (قبل السؤال) اى بحصول المنال فى المآل بخلاف الخليل حيث وقع منه السؤال ولم يقع جواب حصوله لا فى الحال ولا فى الاستقبال فيكون بين الخوف والرجاء فى تحسين المآل ثم ذكر فرقا آخر فقال (والخليل قال فى المحنة) اى فى ابتلائه بنمرود حين القاه فى النار (حسبى الله) اى كافى فى دفع بلائى ورفع عنائى فكانت عليه بردا وسلاما (والحبيب قيل له يا ايها النبى حسبك الله) ووجه الفرق ان بونا بينا بين من القول هو حسبى وبين من يقال له انا حسبك فان كل احد يدعى انه محب لله ولكن الكمال هو ان يقول الله انا محبوبه او محبه ونظير هذا الفرق ما وقع بين قول يحيى وعيسى عليهما السلام حيث قال فى الاول وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وقال الثانى والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ولا شك ان السلام الاول فى هذا المحل افضل لانه شهادة من الله تعالى على سلامته فى جميع حالاته بخلاف الثانى فانه يخبر به عن حال نفسه وان كان صادقا فى مقاله ولا يتصور تخلف فى وقوعه ثم هذا لا ينافى كون عيسى افضل من يحيى لانه قد يوجد فى المفضول

مالا يوجد فى الفاضل مع انه قد يقال ان عيسى كان فى مقام الانبساط والبقاء فطال لسانه وكان يحيى
فى مقام القبض والفناء فكل لسانه فقام الحق عنه فى الانتهاء كما قام هو بحقه سبحانه وتعالى فى الابتداء حيث
لم يهم بمعصية فى الاثناء ومن كان لله كان الله له ومن ترك حظ نفسه قام الله معه هذا (والخليل قال واجعل لى لسان
صدق) اى فى الآخرين كما فى نسخة اى ثناء جميلا وذكرا جزيلا فيمن يجيء بعده الى يوم الدين فاستجيب له فما من امة
الا وهم يحبونه ويثنون عليه ويتمنون ان ينتسبوا اليه ولا يبعد ان يقال المراد بالآخرين هذه الامة من السابقين
واللاحقين (والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك) اى فوق المنابر والمنابر مقرونا بذكره بل مكتوبا باعلى ساق
عرشه واشجار جنته وقصورها ونحور حورها (اعطى) اى الحبيب صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك المنال فى الحال
(بلا سؤال) واجيب دعوة الخليل عليه السلام فى الاستقبال (والخليل قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام) اى
بعدنى واياهم عن عبادتها وهذه لغة نجد ولغة الحجاز جنبنى واراد بنيه لصلبه حتى يصدق عليه ان دعاءه مستجاب
عند ربه لظهور الكفر من بعض احفاده وفيه ايماء الى ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه (والحبيب
قيل له) اى من غير سؤال منه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) اى الذنب المدنس (اهل البيت) بالنصب على
المدح او النداء ولعل المراد باهل البيت من كان فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم من اولاده وذريته وازواجه هذا
والخليل قال الملائكة لسارة زوجته رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت فمن هنا نشأ فرق آخر بين نسبة اهل بيت
الحبيب ونسبة اهل بيت الخليل (وفيما ذكرناه) اى من الخلاف فى تفسير الخلة والمحبة وما صدر من اهل المعرفة
(تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال) اى للمحبة والخلة وتفاوت مرتبة كل منهما
فى الحال والمآل وهو بالضاد المعجمة او المهملة كما فى النسخ المختلفة (وكل يعمل على شاكلته) اى طريقته
التى تشاكل حاله فى الهدى والضلال او على عادته وجبلته التى طبع عليها فى اوائل الاحوال كما قال الله تعالى
فاما من اعطى واتقى الآيتين (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) اى وبمن هو اخطأ مسلكا ودليلا فسبحان من اراد
جعله مهيبا عزيزا ولو شاء صيره مهينا ذليلا

(فصل)

(فى تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على غيره (بالشفاعة) اى العظمى تحت اللواء الممدود (والمقام المحمود)
كالتفسير لما قبله (قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك) اى يقيمك (مقاما محمودا) اى يحمده فيه الاولون
والآخرون (اخبرنا الشيخ ابو على الغسانى) بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة (الجيانى) بفتح الجيم وتشديد
التحتية (فيما كتب) اى به كما فى نسخة (الى) اى مرسلا او واصلا الى (بخطه) اى اجازة فان القاضى لم يسمع منه
شيأ (ثنا) اى حدثنا (سراج بن عبد الله القاضى ثنا ابو محمد الاصيلى ثنا ابو زيد) اى المروزى (وابو احمد) اى الجرجانى
(قالا) اى كلاهما (ثنا محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا محمد بن اسمعيل) اى البخارى (ثنا اسمعيل بن ابان) بفتح
الهمزة وفيه الصرف وعدمه والاجود الصرف هو ابو اسحق الوراق ازدى كوفى روى عنه احمد بن معين
والدارمى وابو حاتم وخلق وثقه احمد وجماعة وقال البخارى صدوق وقال غيره فيه تشيع ذكره الحلبى قلت هو
لا ينافى كونه صدوقا (ثنا ابو الاحوص) بحاء وصاد مهملتين له اربعة آلاف حديث (عن آدم بن على) اى العجلى
(قال سمعت ابن عمر رضى الله عنهما يقول) اى موقوفا لكنه لكونه مما لا يقال مثله من قبل الرأى يكون فى الحكم
مرفوعا (ان الناس يصيرون) اى يكونون (يوم القيامة جثى) بضم الجيم فمثلثة مقصورا منونا جمع جثوة بضم
جيمها وقد تكسر وحكى الفتح وهى ما جمع من تراب ونحوه ثم استعير للجماعة ومنه حديث عامر رأيت قبور الشهداء
جثاء اى اتربة مجموعة واما قول بعضهم جمع جاث وهو الذى يكون معتمدا على ركبتيه فبعيد بل لا يصح لان فاعلا
لا يجمع على فعل مخففا وفى نسخة جثاء مضموم الجيم ممدود الآخر اى جماعات واحدها جثوة وفى اخرى بتشديد المثلثة
جمع جاث وهو من يجلس على ركبتيه ومنه حديث على انا اول من يجثو للخصومة بين يدى الله اى يصيرون فيه
جماعات متخاصمين ومنه قوله تعالى وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها وهو الملائم لقوله (كل امة تتبع
نبيها يقولون) اى قائلين لانبيائهم باسمائهم (يا فلان اشفع لنا) اى خصوصا او عموما (يا فلان اشفع لنا) اى
وهكذا واحدا بعد واحد وهو يقول لست لها (حتى تنتهى الشفاعة) اى العظمى (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فذلك) اى الوقت (يوم) بالرفع وروى بالنصب اى فذلك الحال فى يوم (يبعثه الله المقام المحمود وعن ابى هريرة رضى الله
تعالى عنه) اى فيما رواه احمد والبيهقى (سئل عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى قوله) اى يريد ابو هريرة
بضمير عنها آية هى قوله (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جوابا لمن سأل

هى

(هى الشفاعة) اى المراد بها مقام الشفاعة الكبرى لاهل الموقف عامة ولا يبعد ان يكون الضمير راجعا
الى المقام المحمود وتأنيثه باعتبار الخبر فتدبر (وروى كعب بن مالك) اى كما رواه احمد (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
يحشر الناس يوم القيامة فاكون انا وامتى على تل) اى مكان مرتفع (ويكسونى ربى حلة خضراء) لعله
اشارة الى مقام سعادة السيادة (ثم يؤذن لى) اى فى القول بعد ان الخلق ما كانوا ينطقون (فاقول ما شاء الله ان اقول)
اى من محامد الحق وشفاعة الخلق (فذلك المقام المحمود) وهذا لا ينافى ما ورد عن بعضهم منهم مجاهد ان المقام المحمود
هو ان الله يجلس معه محمدا على كرسيه كما ورد به حديث وتعقبه القرطبى بانه قول غريب وانه ان صح يتأول
على انه يجلسه مع انبيائه وملائكته ثم ذكر كلام ابن عبد البر قريبا منه على ما نقله الحلبى وفيه انه تأويل بعيد
عن المقام غير سديد فى حصول المرام بل المراد بالمعية انفراده صلى الله تعالى عليه وسلم عن البرية فى مرتبة المزية
كقول موسى ان معى ربى وسيأتى ما يؤيد هذا التأويل فى مقام التفصيل (وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما)
اى فى رواية (وذكر حديث الشفاعة) اى العظمى (قال فيمشى) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى يأخذ
بحلقة الجنة) بسكون اللام وتفتح (فيومئذ) اى فحينئذ (يبعثه الله المقام المحمود الذى وعده) بصيغة الفاعل
او المفعول اى وعده الله سبحانه وتعالى ان يقيمه يوم القيامة وفى رواية فاستأذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه
فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله ان يدعنى الى ان تلا عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا
المقام المحمود الذى وعده نبيكم (وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) كما رواه احمد وغيره (عنه صلى الله تعالى عليه
وسلم انه) اى المقام المحمود الموعود (قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه) بفتح الياء وكسر الباء
اى يتمناه (فيه الاولون والآخرون) وفى اصل الدلجى به وجعلها ظرفية او سببية (ونحوه عن كعب) اى كعب
الاحبار (والحسن) اى البصرى (وفى رواية هو المقام الذى اشفع فيه لامتى) اى اصالة ولغيرهم تبعا او جعل
الكل امة له لانه اخذ الميثاق منهم بانهم لو ادركوه لآمنوا به واتبعوه كما ورد لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى
(وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) على ما رواه احمد (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى لقائم
المقام المحمود) اللام المفتوحة للتأكيد فى خبر ان وتوهم الدلجى حيث قال اى والله انى لقائم ثم قال وهذا مرشد
الى جواز القسم فى الامر العظيم انتهى ولا خلاف فى جوازه مطلقا الا ان بعض العارفين لم يحلفوا من جهة امر
الدنيا لحقارتها (قيل وما هو) وللدارمى عنه قيل له ما المقام المحمود (قال ذلك يوم) روى بالنصب على انه ظرف
مضاف الى الجملة وبالرفع والتنوين فيقدر فيه (ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه) اى يتجلى عليه كتجليه سبحانه
على الطور وهو صلى الله تعالى عليه وسلم جالس على الكرسى كما سبقت به الرواية ولا يبعد ان يكون ينزل بضم اوله
وكسر الزاى اى يوم يجلسه الله على كرسيه اشعارا للمقام عليه لكن يوافق المعنى الاول بقية الحديث الذى اشار اليه
بقوله (الحديث) اى بطوله مع تتمة قوله فيئط اى يصوت كما يئط الرحل الجديد من تضايقه به اى لعظمة تجليه عليه
وهو اى الكرسى يسع السماء والارض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا بضم فسكون اى قلفا غير مختونين لقوله
تعالى كما بدأكم تعودون فيكون اول من يكسى ابراهيم لانه اول من عرى فى ذات الله حين القى فى النار والظاهر
ان الاول هذا اضافى لقوله عليه الصلاة والسلام فيما سبق ويكسونى ربى حلة خضراء مع انه لا بدع ان يكون فى
المفضول بعض ما لا يوجد فى الفاضل لا سيما وهو فى مقام البنوة وحالة التبعية فى مرتبة النبوة يقول الله تعالى اكسوا
خليلى فيؤتى بريطتين اى ملاءتين رفيعتين بيضاوين من رياط الجنة ثم اكسى على اثره بفتحتين وبكسر فسكون
اى على عقبه وهو يحتمل ان يكون خلعة اخرى بعد ما سبقت له الكسوة الاولى ثم اقوم عن يمين الله اى يمين عرشه
او كرسيه او جانب يمينه حال تجليه مقاما يغبطنى الاولون والآخرون اى يتمنون ان يعطوا مثل ما اعطى ولا ينالونه
ابدا (وعن ابى موسى) اى الاشعرى مات بمكة وقيل بالكوفة (عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه ابن ماجه (خيرت)
بصيغة المجهول اى جعلت مخيرا وفى رواية المصابيح اتانى آت فخيرنى (بين ان يدخل نصف امتى الجنة) اى من غير حساب
وعذاب (وبين الشفاعة) اى فى هذا الباب (فاخترت الشفاعة) اى من اول الوهلة (لانها اعم) اى فى المنفعة
والظاهر ان هذه الشفاعة دون الشفاعة العظمى مختصة بهذه الامة اما لادخال جماعة الجنة بغير محاسبة او لمن استحق
دخول النار فلا يدخلها او لمن دخلها فيخرج منها وفى الجملة الشفاعة ثابتة على ما اجمع عليه اهل السنة لقوله تعالى
يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا ولا عبرة بمنع الخوارج وبعض المعتزلة مستدلين بقوله
تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فانه مخصوص بالكافرين واما تخصيصهم احاديث الشفاعة بزيادة الدرجات
فى الجنة فباطل لتصريح الادلة باخراج من دخل النار من المؤمنين منها كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم

(أترونها) بالاستفهام الانكارى بمعنى النفى وبضم التاء وفتح الراء اى لاتظنون الشفاعة التى اخترتها (للمتقين) اى عن المعاصى خاصة (ولكنها) وفى نسخة لا ولكنها الشفاعة (للمذنبين الخاطئين) وفى نسخة للمؤمنين اى الكاملين وفى اخرى للمنقين بفتح النون وتشديد القاف المفتوحة والظاهر انه تصحيف ثم رواية ابن عرفة اترونها للمنقين ولكنها للمذنبين الملوثين فالتلويث يناسب التنقية فى مقام المقابلة ثم رأيت الحلبى قال وهو كذا فى اصلنا السنن ابن ماجه وهو اصل صحيح وقفه الملك المحسن وقد كتب تجاهه على الهامش ن ق وعليه تصحيح مرتين والله تعالى اعلم ثم الخطائين بتشديد الطاء اى المبالغين فى الخطأ اى بالتكرار او الكثرة او العظمة ويؤيده قوله عليه السلام فيما رواه ابوداود والترمذى شفاعتى لاهل الكبائر من امتى وفى نسخة الخاطئين وفى اخرى للخاطئين باعادة العامل تاكيدا (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى قال كما فى نسخة وقد رواه البيهقى عنه وكذا شيخه ابوعبدالله الحاكم وصححه (قلت يارسول الله ماذا ورد) من الورود اى نزل (عليك فى الشفاعة) ما استفهامية وذا موصولة بمعنى الذى وصلته مابعده وفى نسخة صحيحة ماذا رد بضم راء وتشديد دال اى ماذا اجيب عليك فى مقام الشفاعة او فى اهلها وفى اخرى بصيغة الفاعل لله او الملك (فقال شفاعتى) اى ورد على شفاعتى او اجيب شفاعتى (لمن شهد ان لا اله الا الله) اى وان لم يكن من امتى وقيل التقدير وانى رسول الله اكتفاء باحد الجزئين عن الآخر علما بانه لابد من الاتيان به فى صحة الاسلام وقيل هذه الكلمة صارت علما للكلمتى الشهادة (مخلصا) اى لا كرها ولا نفاقا ولا رياء (يصدق) بتشديد الدال اى يطابق ويوافق (لسانه) بالنصب على انه مفعول او بالرفع على انه فاعل وقوله (قلبه) عكس ذلك (وعن ام حبيبة) اى ام المؤمنين كما رواه البيهقى والحاكم (اريت) بضم الهمزة وكسر الراء اى اظهر الله لى (ما تلقى) اى من النوائب والمتاعب (امتى) وفى اصل الدلجى من امتى اى بعضهم (من بعدى) متعلق بتلقى وفى نسخة بعدى اى بعد ذهابى الى ربى (وسفك بعضهم دماء بعض) وهو مصدر مضاف الى فاعله معطوف على ما تلقى ولا يبعد ان يكون سفك ماضيا عطفا على ما تلقى اى وما سفك ويؤيده قوله (وسبق) اى وما سبق (لهم من الله ما سبق للامم قبلهم) اى من الابتلاء ببعض الالم (فسالت الله ان يؤتينى) اى يعطينى (شفاعة) وفى نسخة يولينى شفاعتهم بتشديد اللام المكسورة اى يجعلنى متوليا لشفاعتهم (يوم القيامة فيهم) اى فى حقهم (ففعل) اى اعطاه ما سأل (وقال حذيفة) كما رواه البيهقى والنسائى وهو وان كان موقوفا لكنه مرفوع حكما (يجمع الله الناس فى صعيد واحد) اى ارض مستوية لاترى فيها عوجا ولا امتا (حيث يسمعهم الداعى) اى صوته وهو بضم الياء وكسر الميم وهذا على الفرض والتقدير وقال الدلجى لعله بعد الشفاعة لفصل القضاء اذ بها الخلائق هلموا الى الحساب انتهى ويرد عليه ما سيأتى من بقية الحديث فى الكتاب (وينفذهم البصر) بفتح الياء وضم الفاء والذال المعجمة وفى نسخة بضم الياء وكسر الفاء اى يبلغهم ويجاوزهم بصر الناظر بحيث لا يخفى احد منهم من الاكابر والاصاغر لاستواء الصعيد الباهر وعن ابى عبيد ينفذهم بصر الرحمن اى يأتى عليهم جميعهم وفيه ان بصره تعالى دائما محيط بهم وقد يدفع بان اثباته مقيد لا ينافى دوامه ولعل وجه التخصيص هو افادة هول المقام او ظهور ذلك الوصف على وجه الكمال والتمام على سائر الانام كما ذكروا فى قوله سبحانه مالك يوم الدين وعن ابى حاتم ان المحدثين يروونه بالذال المعجمة وانما هو بالمهملة اى يبلغ اولهم وآخرهم حتى يراهم كلهم من نفد الشئ وانفدته قال الحجازى وفيما قاله نظر اذ فى الصحاح نفذ البصر بالمعجمة القوم بلغهم وجاوزهم ونفد بالمهملة فنى ولعله من انفد فيضم اول مضارعه انتهى وقال النووى محصله خلاف فى فتح الياء وضمها وفى الذال والدال وفى الضمير فى ينفذهم والاصح فتح الياء وبالذال المعجمة وانه بصر المخلوق انتهى قال ابو عبيد وحمل الحديث على بصر المبصر اولى من حمله على بصر الرحمن لان الله يجمع الناس يوم القيامة فى ارض يشهد جميع الخلائق حساب العبد الواحد على انفراده ويبصرون ما يصير اليه هذا وقد روى ان صفوف اهل الجنة مائة وعشرون صفا منها ثمانون لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وباقيها لغيرهم زاد كعب ما بين كل صفين كما بين المشرق والمغرب (عراة) اى لا ثياب على بدنهم ولا نعال بارجلهم وفى رواية حفاة وزاد الشيخان فى روايتهما غرلا بضم الغين المعجمة وسكون الراء جمع اغرل وهو الاقلف (كما خلقوا) اى اول مرة (سكوتا) اى غير ناطقين (لا تكلم) بحذف احدى التائين اى لا تتكلم (نفس) اى بما ينفع او ينجى من جواب او شفاعة (الا باذنه) كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف واما قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ففى موقف آخر او المأذون فيه هو الجوابات الحقة والممنوع منه هو الاعتذارات الباطلة (فينادى) بصيغة المفعول (محمد) بالرفع والتنوين على انه نائب الفاعل وفى رواية بالضم على حذف حرف النداء ويؤيد الاول قوله (فيقول لبيك) اى اجبت لك اجابة بعد اجابة (وسعديك) اى ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة

(والخير

(والخير فى يديك) اى بتصرفك وفى حيز ارادتك وقدرتك فى الدنيا والعقبى كما قال الله تعالى وان لنا للآخرة والاولى (والشر ليس اليك) اى منسوبا وان كنت خالقه ادبا اولا يتقرب به اليك اصلا اولا يصعد اليك وانما يصعد اليك الخير قولا وعملا اوليس الشر بالنسبة الى حكمك وحكمتك فانك لا تحكم باطلا ولا تخلق عبثا والامر المعلوم عند اهل الحق من اهل السنة والجماعة ان جميع الكائنات خيرها وشرها ونفعها وضرها وحلوها ومرها من الله تعالى ومنسوبة الى خلقه على وجه ارادته (والمهتدى) اى فى الحقيقة وفى نسخة والمهدى (من هديت) اى بخلق الهداية وتوفيق الطاعة وتحقيق الرعاية (وعبدك بين يديك) اى حاضر معتمد عليك (ولك) اى الحكم والقضاء (واليك) اى مرجع الخلق والامر فى الابتداء والانتهاء (لا ملجأ) بالهمز مقصورا (ولا منجى) بالقصر وقد يهمز للازدواج وقد يبدل همز الاول الفا للمشاكلة اى لا مستند ولا معتمد ولا ملاذ ولا معاذ (منك) اى من قضائك (الا اليك) اى بالرجوع الى ساحة فنائك (تباركت) اى تكاثر خيرك (وتعاليت) اى تعظم شأنك (سبحانك رب البيت) بالنصب على النداء وجوز رفعه على الابتداء اى انت رب البيت والاضافة للتشريف (قال) اى حذيفة (فذلك) اى الجمع المذكور والمقال المسطور هو (المقام المحمود الذى ذكره الله) اى ذكره فى كتابه المشهور بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (وقال ابن عباس) لفظه موقوف وحكمه مرفوع (اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة) لعل تقديم اهل النار للاشعار بانها مقر الابرار والفجار اولان ذكر النقمة اوقع فى النفس بعد ذكر النقمة او ترهيبا فى اول الوهلة من اهوالها وترغيبا فى الجنة نظرا الى حسن مآلها (فتبقى آخر زمرة) اى جماعة (من الجنة) اى من زمر اهلها الباقية فى النار (وآخر زمرة من النار) اى ثابتة فيها (فتقول زمرة النار) اى من الكفار (لزمرة الجنة) اى الواقعة فى النار من الفجار (ما نفعكم ايمانكم) اى المجرد عن الطاعة حيث لم يدخلكم الجنة (فيدعون ربهم ويضجون) بفتح الياء وكسر الضاد المعجمة وتشديد الجيم اى ويصيحون لما يجزعون من شماتة الاعداء فى فظاعة البلاء ولذا قيل النار ولا العار (فيسمعهم اهل الجنة فيسألون آدم وغيره بعده فى الشفاعة لهم) ولعل الحكمة فى سؤالهم من غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اولا ليظهر اختصاصه بذلك المقام آخرا (فكل) اى فكل واحد منهم (يعتذر) اى بما عوتب عليه وبما نسب من صورة الذنب اليه (حتى يأتوا محمدا فيشفع لهم) اى فيشفع فى حقهم وتقبل شفاعته لهم (فذلك المقام المحمود) اى فى الجنة وهو لا ينافى كونه المقام المحمود ايضا فى الموقف (ونحوه) اى مثل قول ابن عباس فيما رواه احمد والطيالسى (عن ابن مسعود ايضا ومجاهد) اى موقوفا ومقطوعا (وذكره) اى مثله او نحوه (على بن الحسين) اى ابن على بن ابى طالب قيل لم ينجب من ولد السرارى الا ثلاثة على بن الحسين بن على بن ابى طالب وسالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب والقاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مرسلا ورواه الحاكم عن اهل العلم عنه موصولا (وقال جابر بن عبدالله) اى كما رواه مسلم (ليزيد الفقير) هو يزيد بن صهيب الفقير لانه كان يشكو فقار ظهره فهو فعيل بمعنى مفعول وفقرات الظهر خرزاته من عجب الذنب الى نقرة القفا ثنتان وثلاثون فقرة وقد ضربت عائشة مثلا فى عثمان فقالت ركبوا منه الفقر الاربع استعارته من فقار الظهر لما ارتكبوا منه لانها موضع الركوب اى انتهكوا فيه اربع حرم حرمة الصحبة والصهورة والخلافة والبلدة روى عنه ابو حنيفة ومسعر وجماعة ثقة اخرج له الشيخان وغيرهما (سمعت) بفتح التاء اى أسمعت (بمقام محمد يعنى الذى يبعثه الله فيه) اى من المقام المحمود (قال) اى يزيد (قلت نعم) اى سمعت اللفظ الذى افادنيه (قال) اى جابر (فانه مقام محمد) اى الخاص به (المحمود الذى يخرج الله به) اى بسببه (من يخرج) بضم ثم كسر اى من يخرجه من عصاة عامة المؤمنين او خاصة هذه الامة والاول اظهر لما سبق فتدبر (يعنى من النار) اى يريد اخراج من يخرجه من النار (وذكر) اى جابر (حديث الشفاعة فى اخراج الجهنميين) اى فوجا فوجا من النار على حسب مراتب الفجار (وعن انس رضى الله عنه نحوه) اى فى رواية الشيخين (وقال) اى انس (فهذا) اى الاخراج المذكور (المقام المحمود الذى وعده) اى الله سبحانه وتعالى وفى نسخة بصيغة المجهول (وعن سلمان) اى الفارسى وهو سلمان الخير وسلمان بن الاسلام عاش ثلثمائة وفى اصل التلمسانى عن شيبان بدل عن سلمان قال وهو بشين معجمة وياء مثناة من اسفل وبعدها موحدة لعله شيبان بن عبد الرحمن النحوى انتهى والظاهر انه مصحف لمخالفته سائر النسخ المعتبرة والاصول المعتمدة (المقام المحمود هو الشفاعة فى امته يوم القيامة) اى بالاصالة وفى غيرهم بالتبعية اولانه هو البادئ فى مقام الشفاعة ويتبعه الانبياء فى تلك الساعة (ومثله عن ابى هريرة رضى الله عنه) كما فى الصحيحين (وقال قتادة) تابعى مشهور (كان اهل العلم) اى من اكابر الصحابة واجلاء التابعين (يرون) بصيغة الفاعل من الرأى او بصيغة المفعول اى يظنون (المقام المحمود شفاعته يوم القيامة) اى لعامة الخلق

فى اراحتهم من عذاب الموقف (وعلى) اى وكانوا على (ان المقام المحمود) اى هو كما فى نسخة (مقامه عليه الصلاة والسلام للشفاعة) اى العظمى فى الساعة الكبرى (مذاهب السلف) اى السالفين (من الصحابة والتابعين وعامة ائمة المسلمين) اى من المجتهدين والمفسرين والمحدثين وسائر علماء الدين رضى الله عنهم اجمعين (فبذلك) اى وبطبق ماذكروعلى وفق ماسطر (جاءت) الشفاعة (مفسرة) اى مبينة (فى صحيح الاخبار) اى مما كادت ان تتواتر عن الاخيار (عنه عليه الصلاة والسلام وجاءت مقالة فى تفسيرها شاذة) اى منفردة (عن بعض السلف) وهو مجاهد مخالفة لنقل الثقات ضعيفة فى اصول الروايات وحصول الدرايات (يجب ان لاتثبت) اى عند الاثبات لعدم الاثبات (اذلم يعضدها) اى لم يقوها (صحيح اثر) من منقول (ولاسديد نظر) اى من معقول والنظر السديد والسداد ما كان موافقا للحق والرشاد ومنه قوله تعالى وقولوا قولا سديدا (ولو صحت) اى على فرض صحة بعض اسانيدها حيث لايقاوم مايعارضها (لكان لها تأويل غير مستنكر) اى معروف معتبر عند ارباب النظر جمعا بين الادلة كما هو طريق المحققين من الائمة وحاصله انه روى عن مجاهد انه قال يجلسه معه على العرش وعن عبد الله بن سلام قال يقعده على الكرسى وامثال ذلك مما ظاهره منكر من القول فيجب رده وانكاره على ناقله او تأويله لحسن الظن بقائله وبعضهم اول ذلك بان يجلسه مع انبيائه وملائكته على ما حكاه الطبرى وقد قدمنا تأويلا آخر فتدبر (لكن مافسره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يرده) بتشديد الدال اى يرد ظاهر ما جاء بخلافه ويدفعه فيتعين ان يؤول غيره اليه ولا ينعكس الامر عليه وفى نسخة ترده بفتح التاء وكسر الراء وتخفيف الدال اى ترد عليه ويلائمه قوله (فلا يجب ان يلتفت اليه) اى بتأويل وقال وقيل لانه تضييع عمر فى توضيح امر (مع انه لم يأت) اى خلافه (فى كتاب ولا سنة) اى ثابتة حتى يحتاج الى تأويل ومعالجة (ولا اتفق) وفى نسخة ولا اتفقت (على المقال به امة) اى جماعة من المجتهدين وعلماء الدين حتى يحتاج الى تأويل يجمعه ارباب اليقين (وفى اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة) بضم فسكون اى وشناعة فى العبارة يأتى دفعها بالاشارة (وفى رواية انس وابى هريرة وغيرهما) على ما فى الصحيحين ونحوهما (دخل حديث بعضهم فى حديث بعض) اى فيما ذكرناه هنا عنهم (قال عليه الصلاة والسلام يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة) اى يوم يقوم الناس لرب العالمين (فيهتمون) بتشديد الميم اى فيحزنون حزنا شديدا الا انه لا يهتم احد الا لنفسه ولا يلتفت الى غيره ولو كان اقرب اهله ويقصدون ازالة هذا الهم العظيم والكرب الفخيم وذلك لما وجد فى حديث ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده مثله (اوقال فيلهمون) اى الى طلب الشفاعة بالوسيلة الى احد من كبراء البرية (فيقولون لو استشفعنا الى ربنا) اى لكان حسنا ولربما يكون فيه نجاتنا اولو للتمنى ولا جواب له (ومن طريق آخر) اى لهذا الحديث باعتبار اسناده اوراويه (عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ماج الناس بعضهم فى بعض) اى دخلوا فيما بينهم واضطربوا اضطراب ماء البحر حال شدة غليانه ايماء الى قوله تعالى وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض واشارة الى قوله تعالى اوكظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج (وعن ابى هريرة) اى فى حديث الشيخين (فتدنو الشمس) اى تقرب من رؤسهم قدر الميل كما فى رواية على اختلاف فى ان المراد منه ميل الفرسخ او ميل المكحلة ثم قيل الشمس فى الدنيا وجهها الى جهة السماء وهى ظاهرة لنا من جهة القفا فينقلب امرها فى العقبى (فيبلغ الناس) بالنصب وقيل بالرفع (من الغم) بيان مقدم لقوله (ما لا يطيقون) اى الصبر عليه والتحمل لديه وهذا معنى قوله (ولا يحتملون) اى لا يقدرون ولا يستطيعون (فيقولون) اى بعضهم لبعض (الا تنظرون) اى الا تختارون (من يشفع لكم) اى الى ربكم فى ازاحة الموقف عنكم (فيأتون آدم) بدؤا به لما بدأ الله به ليظهر جلالة ما ختم الامر بسببه (فيقولون) اى له جل مقصودهم من الشفاعة لمعبودهم (زاد بعضهم) اى فى بيان ما اجمل من القول (انت آدم ابو البشر) اى فيتعين عليك الشفقة والمرحمة على الذرية مع كونك معظما مكرما عنده سبحانه وتعالى من جملة الطائفة البشرية (خلقك الله بيده) اى بقدرته من غير واسطة فى خلقته (ونفخ فيك من روحه) اى الخاص بتشريفه وكرامته (واسكنك جنته) اى واظهر عليك نعمته ورحمته (واسجد لك ملائكته) اى تعظيما لشانك وتفخيما لبرهانك (وعلمك اسماء كل شئ) اى دليلا على ظهور سلطانك (اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا) من الاراحة بمعنى الازاحة واعطاء الراحة بالازالة من محل الغضب الى موضع حكم به الرب من دار الثواب اودار العقاب (فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا) اى عظيما لكونه عميما (لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله) اى فلا يمكننى الشفاعة فيه لاسيما (ونهانى عن الشجرة) اى اكلها (فعصيت) اى بذوقها وهى شجرة الكرم وقيل السنبلة وقيل شجرة العلم عليها معلوم الله تعالى من كل لون وطعم ذكره الحلبى وفيها اقوال اخر وهى النخلة والتين والكافور ذكرها الحجازى (نفسى نفسى) اى اهم عندى من غيرى اوالزم

نفسى او اخلاص نفسى ولا اجترئ على غير مقامى (اذهبوا الى غيرى) من الانبياء والاصفياء عموما (اذهبوا الى نوح) اى خصوصا لانه اول اولى العزم من الرسل (فيقولون) اى فيأتون نوحا فيقولون (انت اول الرسل الى اهل الارض) اى من الكفار والفجار فلا ينافى ان آدم ايضا مرسل الى اولاده الابرار وكذا شيث بن آدم وادريس جد نوح ولد شيث على ما عليه علماء الاخبار (وسماك الله عبدا شكورا) اى وصفك به حيث قال فى كتابه انه كان عبدا شكورا اى مبالغا فى الشكر مع انه تعالى قال وقليل من عبادى الشكور (الا ترى ما نحن فيه) اى من الغم والحزن (الا ترى ما بلغنا) بفتح الغين وجوز اسكانها اى وصلنا من الشدة (الا تشفع لنا الى ربك) اى ليكون خلاصنا بسببك (فيقول ان ربى غضب اليوم) اى اظهر (غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله) اى لانقطاع تكليف من يؤاخذ بترك ما كلفه (نفسى نفسى) فيه ايماء الى قوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى رواية انس ويذكر) اى نوح اعتذارا عن ترك الشفاعة فى تلك الساعة (خطيئته التى اصاب) اى اصابها واتاها (سؤاله ربه) بيان او بدل مما قبله (بغير علم) حال من الضمير فى سؤاله ووجه العتاب انه كان الاولى ان يفوض الامر الى المولى ولم يقل ان ابنى من اهلى حتى لا يقال انه ليس من اهلك عندى (وفى رواية ابى هريرة) اى زيادة فى قول نوح (وقد كانت لى دعوة) اى مستجابة فى حق العامة ردعوتها على قومى (اذهبوا الى غيرى) اى من بعدى من اكابر اخوانى (اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبى الله تعالى) اى ورسوله (وخليله من اهل الارض) اى فى زمانه (اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه) اى من الكرب (فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله) اى مثل آدم او مثل نوح او مثل ما تقدم (ويذكر ثلاث كلمات) اى فى صورة كذبات وهى انى سقيم وفعله كبيرهم هذا وانها اختى لسارة (كذبهن) اى واسمت كذبات وانما هى معاريض وتوريات حيث اراد بقوله فعله كبيرهم هذا معنى التبكيت بدليل قوله تعالى ان كانوا ينطقون وبقوله انى سقيم اى سأسقم لان من عاش يسقم او يهرم ويموت وبقوله اختى فى الاسلام الا ان الاولى لمراتب الانبياء تركها (نفسى نفسى لست لها) اى للشفاعة العظمى لكونى متلوثا بنوع من الخطايا (ولكن عليكم بموسى) استدراك لدفع ما ارهقهم من خيبة الامل ووصمة الخجل وعليكم اسم فعل والباء زائدة از يد الاستعانة اى الزموا موسى واستعينوا به على الشفاعة عند المولى (فانه كليم الله تعالى) ويقتضى انه ممن طال لسانه لا ممن كل بيانه (وفى رواية فانه عبد) وفى نسخة عبد الله (آتاه الله التوراة) اى وهى من اعظم الكتب الالهية واولها (وكلمه) اى تكليما (وقربه) اى تشريفا وتكريما (نجيا) اى مناجيا (قال فيأتون موسى فيقول لست لها) اى للحالة التى ظننتم انى مستعد لها (ويذكر خطيئته التى اصاب) اى اصابها ووقع فيها (وقتله النفس) اى وقتله القبطى وهو عطف تفسيرى بدليل رواية بعض رواة البخارى بدون عاطفة وقد عده خطيئة كما عده من عمل الشيطان فى الاية وسماه ظلما واستغفر ربه منه جريا على عادة الانبياء فى استعظامهم محقرات جائزة صدرت عنهم اذلم يكن هذا عن عمد بل وقع خطأ فى كافر حربى ظالم على مسلم سبطى قبل الاذن بقتله وقد ابعد الدلجى فى شرحه للخطيئة بعجلته الى ربه فانها فى نفسها نقيصة ومن ثم عتبه عليها بشهادة وما اعجلك عن قومك ياموسى فانه سؤال عن سببها تضمن انكارها من حيث انها نقيصة انضم اليها اغفال قومه انتهى ولا يخفى ان هذه جرأة عظيمة ونقيصة فخيمة من الدلجى حيث اثبت خطيئة لكليم الله تعالى هو عنها نزيه وقد لاطفه سبحانه وتعالى بقوله وما اعجلك عن قومك ياموسى ليترتب عليه الجواب بالوجه الاولى كما قال تعالى وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى اتوكأ عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب اخرى فكذا فى الجواب هنا قال هم اولاء على اثرى وعجلت اليك رب لترضى اى ما تقدمتهم الا بحظى بسيرة ابتغاء لمرضاتك فى المسارعة الى امتثال امرك والمبادرة الى الوفاء بوعدك (ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله تعالى) اى ذو روح خاص من خلقه اجراه فيه بنفخ جبريل فى جيب درع امه فاحدثه فى بطنها بلا توسط مادة او اضافته للتشريف كبيت الله وناقة الله (وكلمته) اى حيث كان بكلمة كن او كان يكلم الناس فى المهد بطريق خرق العادة فكذا ينبغى ان يتكلم فى مقام الشفاعة وهول الساعة فى موقف القيامة (فيأتون عيسى فيقول لست لها) اى مجازا او مأذونا لامرها (عليكم بمحمد) فان علمه ووصفه معلم بكون المقام المحمود له خاصة (عبد) بالجر على انه صفة لمحمد وبالرفع على تقدير هو عبد (غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) اى بالنص فى كتابه واما غيره فمن ابهم فى جوابه والحاصل انه غير معاتب بما صدر عنه فيطلب هذا المقام منه (فأوتى) بصيغة المفعول المضارع المتكلم من اتى يأتى وابدال الهمزة الثانية واوا للاجتماع الذى وقع فيه الاجماع والمعنى فيأتونى كما فى رواية وهى بتشديد النون اى فيجيئونى ويطلبون الشفاعة منى (فاقول انا لها) اى كائن او معد او مختص او مدخر او مأذون

اومخلوق (فانطلق) اى الى جهة العرش او باب الجنة (فاستأذن على ربى) اى فى الطلوع الى الكرسى اوفى الدخول
الى الجنة وفى مقام الشفاعة لما ورد مصرحا به فى مكان لا يقف فيه داع الا اجيب ليس فيه بينه وبين ربه حجاب
(فيأذن لى) اى ويتجلى على بظهور آثار الجمال وسر مكاشفة استار الكبرياء والجلال (فاذا رأيته) اى علمته بهذا
الحال من اوصاف الكمال (وقعت ساجدا) اى شكرا للمانع على ما من الافضال هذا ولا بدع ان يكون المراد بالرؤية
رؤية الذات الجامعة لجوامع كمال الصفات فانه جائز فى الآخرة عند اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة ومن
من سعادة الزيادة ثم الحكمة فى نقله صلى الله تعالى عليه وسلم من موقف العرض والحساب المؤذن بحالة
السآمة والملامة الى موقف الرحمة والكرامة لتقع الشفاعة موقع الاجابة كمن يتحرى بدعائه موقف الخدمة فانه
احق بالاستجابة لموضع الحرمة وقد جاء فى مسند احمد ان هذه السجدة والسجدة الآتية بعدها مقدار كل سجدة
جمعة من جمع الدنيا وجاء فى بعض الاجزاء ان كل يوم مقدار عشر سنين فهاتان السجدتان كل سجدة مقدار سبعين سنة
(وفى رواية فآتى) اى فأجيء (تحت العرش فاخر ساجدا وفى رواية) اى بدل فآتى تحت العرش (فاقوم بين يديه)
اى يدى العرش اوبين يدى ربه يعنى فى مقام العبودية والخلوص عن الملاحظة الغيرية (فاحمده بمحامد لا اقدر
عليها) اى الآن كما فى نسخة يعنى لا اعرفها فى الدنيا ولا اقدر على ان اعبر عنها لرواية ويلهمنى محامد احمده بها
لا تحضرنى الآن (الا انه) اى الا كنه سبحانه وتعالى (يلهمنيها) اى فى ذلك المقام لتكميل المرام وفى نسخة
الان يلهمنيها وفى اخرى ان يلهمنيه الله وفى نسخة بمحامد لا اقدر عليه قال النووى هكذا هو فى الاصول يعنى
فى اصول مسلم قال وهو صحيح ويعود الضمير فى عليه الى الحمد (وفى رواية فيفتح الله على بمحامد) وفى نسخة من محامده
(وحسن الثناء عليه) عطف تفسيرى على ما قاله الدلجى والاظهر هو التأسيس بالمغايرة فان الثناء اعم من الحمد
كما لا يخفى من ان الحمد قد يرد بمعنى الشكر (شيأ) اى عظيما (لم يفتحه على احد قبلى) اى ولا بعدى من باب الاكتفاء
او بالبرهان الاولى اوالمعنى قبل وقتى هذا (قال فى رواية ابى هريرة رضى الله عنه فيقال يا محمد ارفع رأسك) اى رفع
الله قدرك (سل) اى لنفسك (تعطه) بهاء السكت على بناء المفعول مجزوما على جواب الامر (واشفع)
اى فى حق غيرك (تشفع) بتشديد الفاء المفتوحة اى تقبل شفاعتك ولا ترد دعوتك (فاقول يارب امتى يارب امتى)
اى اسألك عفوهم اولا وعفو غيرهم آخرا اولوحظ فى الامة معنى التغليب للاشرفية اوكان جميع الامة فى تلك الحالة
كامته لرجوعهم الى حضرته والتجائهم الى دعوته والتكرير للتأكيد اوامتى حقيقة امتى مجازا وهذا كله اذا اريد به
المقام المحمود من الشفاعة الكبرى كما هو الظاهر من السياق والسباق واللحاق (فيقول) اى الله سبحانه وتعالى
اوملك بامره وفى نسخة فيقال (ادخل من امتك) اى من اهل الاجابة (من لا حساب عليه) اى لا مؤاخذة ولا عتاب
اما عدلا واما فضلا وهو الاظهر فضلا (من الباب الايمن) اى الابرك والاقرب بكونه يمينا فان ابواب الجنة من جهة
اليمين لا شك انها كثيرة كما يشير اليه قوله (من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب) اى ان
اختاروا دخولهم منها وهذا غاية التعظيم ونهاية التكريم انه يعرض عليهم جميع الابواب ويختارهم الافضل الابرك
الاقرب الى ذلك الجناب قال المؤلف فى شرح مسلم للجنة ثمانية ابواب باب الصلاة وباب الصدقة وباب الصوم
ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وباب الراضين ثم قال
فهذه سبعة ابواب جاءت فى الاحاديث ولعل الثامن هو الباب الايمن الذى يدخل منه من لا حساب عليه والله تعالى
اعلم (ولم يذكر) اى النبى صلى الله عليه وسلم (فى رواية انس رضى الله تعالى عنه) اى عنه (هذا الفصل) اى من
الكلام وهو قوله عليه الصلاة والسلام فى رواية ابى هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك الى قوله فيما سواه من الابواب
(وقال) اى فى رواية ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (مكانه) اى بدل ما سبق (ثم اخر) بفتح همز وكسر خاء معجمة
فتشديد راء اى اسقط (ساجدا) اى لله متوسلا به لانه اقرب حال يكون العبد من ربه فى مقام قربه (فيقال لى
يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك) اى كل كلامك (واشفع تشفع وسل تعطه) اى جميع مرامك (فاقول يارب امتى امتى
فيقال انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة) اى وزنها (من برة) بضم موحدة وتشديد راء اى حنطة (اوشعيرة) شك
من الراوى فى رواية مسلم (من ايمان) اى من ثمرانه من اعمال القلب كشفقة على مسكين اوخوف من الله تعالى
اونية صادقة اونحو ذلك والله تعالى اعلم لان نفس الايمان لا يتجزأ ويدل عليه ما جاء فى رواية اخرى وكان فى قلبه
من الخير ما يزن كذا (فاخرجه) اى من النار اومن موقف العار (فانطلق) اى فاذهب (فافعل) اى ما امرت به
من اخراج من يستوجب العذاب قال الغزالى وفى مفهوم هذا الحديث ان من ايمانه يزيد على مثقال حبة من برة
اوشعيرة لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا قال ومن اهل النار من يعذب قليلا ومنهم من يعذب الف سنة

واقصاه فى حق المؤمنين سبعة آلاف سنة قال وذلك آخر من يخرج من النار على ما ورد فى الاخبار (ثم ارجع
الى ربى) اى مقام الخطاب (فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول) اى مثل ما تقدم اومثل ذكر الراوى الاول
وهو قوله ثم اخر ساجدا الخ (وقال فيه) اى فى هذا الحديث من رواية مسلم (مثقال حبة من خردل) اى من ايمان
والخردل بالدال ويقال بالذال حب الرشاد والواحد خردلة (فافعل) وفى نسخة قال فافعل (ثم ارجع) اى الى ربى
كما فى نسخة صحيحة (وذكر مثل ما تقدم وقال) وفى نسخة ثم قال (فيه) اى فى الحديث من رواية مسلم (من كان فى قلبه
ادنى ادنى ادنى) ثلاث مرات كذا فى اصول مسلم على ما ذكره النووى (من مثقال حبة من خردل) وهذا كله مثل
للقلة لان الايمان والمعرفة عرض لا يوزن بالكمية وانما يختلف باعتبار الكيفية (فافعل) وفى نسخة قال فافعل
اى فى المرة الثالثة ما امرت به من الاخراج (وذكر فى المرة الرابعة) اى من رواية البخارى (فيقال لى ارفع رأسك
وقل تسمع) كما فى نسخة اى يجب قولك وتستجب دعوتك (واشفع تشفع وسل) وفى نسخة واسأل (تعطه فاقول
يارب ائذن لى فيمن) اى فى شفاعة من (قال لا اله الا الله) اى فى اخراج من اكتفى بالتوحيد المقرون باقرار النبوة
من النار وادخاله فى دار الابرار وفى هذا اشعار بان ما سبق من تقدير مثقال حبة ونحوها من الايمان ثمرته المعبر
عنها بالايقان اوالعمل بالاركان لا مجرد الايمان الذى هو التصديق القلبى والاعتراف اللسانى فكانه اراد بمن
قال لا اله الا الله من لم يصدر عنه عبادة سواه (قال ليس ذلك) اى الامر بالشفاعة فى حقه راجعا (اليك)
ولعل وجهه انه لم يصدر عنه ما يوجب المتابعة الباعثة على الشفاعة وانما وقع منه مجرد الطاعة الامر
الالهى بالتوحيد الربانى وقبول ارسال النبى الصمدانى هذا ولما كان النفى موهما ان لا شفاعة
لهم اصلا ولا خلاص لهم فضلا وانما يجب عذابهم عدلا كما توهم المعتزلة فى هذه المسألة فصلا استدرك سبحانه
واكده بالقسم وعظم شانه بقوله (ولكن وعزتى وكبريائى) اى ارتفاع مقامى (وعظمتى وجبريائى) بكسر
الجيم والراء ممدودا وقيل انى به كذا اتباعا والصحيح انه لغة فى الجبروت اى وجبروتى المشعر بالجبر والقهر المشير الى انى
لا ابالى (لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله) اى ولو مرة من غير تكرار واكثار يعنى من شهد انه لا معبود موجود
قادر على كل شئ سواه وبه خص عموم حديث البخارى اسعد الناس بشفاعتى من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه
اى وعمل عملا صالحا لربه ويؤيده حديث الشيخين ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها
قوما لم يعملوا خيرا قط اى غير لا اله الا الله (ومن رواية قتادة عنه) اى عن انس رضى الله تعالى عنه (قال) اى النبى
عليه الصلاة والسلام (فلا ادرى فى الثالثة او الرابعة) اعتراض بين قال ومقوله افاد صدور شك اما من انس اومن
قتادة فى ايهما قال (فاقول يارب ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن) اى منعه ترك الايمان بما نزل به القرآن وقوله
(اى من وجب عليه الخلود) حاصل المعنى وخلاصة المبنى وهذا تفسير قتادة قيل ومعناه من اخبر القرآن انه مخلد
فى النار وهم الكفار (وعن ابى بكر) اى الصديق رضى الله تعالى عنه برواية احمد وابن حبان (وعقبة بن عامر)
اى برواية ابن ابى حاتم وابن مردويه (وابى سعيد) اى برواية الترمذى (وحذيفة) اى برواية ابى داود فى البعث (مثله)
اى مثل حديث انس (قال فيأتون محمدا فيؤذن له) اى فى الشفاعة (وتأتى الامانة والرحم فتقومان) بالتأنيث
تغليبا (جنبتى الصراط) بفتح النون وسكن اى جانبيه وناحيتيه وطرفيه يمنة ويسرة والمعنى انهما يمثلان اويجسمان
فيشهدان للامين والواصل وعلى الخائن والقاطع وقال بعضهم ويجوز ان يحمل الامانة على الامانة العظمى
المؤذن بها آية انا عرضنا الامانة والرحم على صلتها الكبرى المشير اليها قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الى قوله
تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام فيدخل فى الحديث معنى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله
فكانهما اكتنفتا جنبتى الصراط المستقيم والدين القويم هذا وقد جاء ان الصراط صعوده الف سنة واستواؤه الف
سنة وهبوطه الف سنة وفى مسلم عن ابى سعيد بلغنا انه احد من السيف وادق من الشعر وهذا جاء مسندا مرفوعا
عنه عليه الصلاة والسلام واما قول الحلبى فان قيل الصراط مم هو فالجواب انه شعرة من جفون عين مالك فغير
منقول المبنى ولا معقول المعنى فلا يجزم بهذا الجواب بل يقال فى مثل هذا لا ادرى لانه نصف العلم والله تعالى اعلم
بالصواب (فذكر) وفى نسخة وذكر بالواو (فى رواية ابن مالك) كما اخرجه ابو داود فى البعث (عن حذيفة فيأتون محمدا
فيشفع فيضرب الصراط) بصيغة المجهول اى فيوضع على متن جهنم جسرا ممدودا فى حديث الحاكم على شرط مسلم
ورواه غيره ايضا يوضع الصراط مثل حد الموسى (فيمرون) اى عليه كما فى نسخة وجاء فى رواية فيتهافت اهل النار فيها
وينجو اهل الجنة منها كما قال تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (اولهم كالبرق) اى الخاطف كما فى رواية
(ثم كالريح والطير) اى وكالطير (وشد الرجال) بالجيم اى عدوهم وجريهم وقد خطئ من رواه بالمهملة وهو العرفى

وجعله جمع رحل وهى رواية ابن ماهان والمراد به هنا الناقة فان الرحل ما يوضع على البعير ثم يعبر به تارة عن البعير مجاز الكن الاول هو الصحيح المعروف بخط المصنف مضبوط بالجيم وهو كذا لكافة رواة مسلم وعند الهروى الرحال بالحاء قال ابن قرقول وهو تصحيف هذا وقد اغرب بعضهم فى قوله ان المرور للصراط بهم (ونبيكم) بالرفع يعنى نفسه على طريقة التجريد (على الصراط) اى مستعليا (يقول اللهم سلم سلم) التكرير للتكثير اى بالنسبة الى كل احد من دعوة التغر يرويؤ يده قوله (حتى يجتاز الناس) وحتى تحتمل الغاية والعلة (وذكر) اى النبى عليه الصلاة والسلام (آخرهم جوازا) بفتح الجيم اى مرورا على الصراط ولو روى بكسرها لجاز ويكون معناه مجاوزة عنه (وفى رواية ابى هريرة رضى الله عنه فاكون اول من يجيز) بضم الياء وكسر الجيم وبالزاى اى من يمضى عليه ويقطعه وفى نسخة يجوزوهما لغتان يقال جاز واجاز بمعنى كما ذكره النووى وزاد فى نسخة صحيحة يومئذ (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كما رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام يوضع) يجوز تذكيره وتأنيثه (للانبياء منابر) اى على قدر مراتبهم (يجلسون عليها ويبقى منبرى لا اجلس عليه قائما) اى تاركا جلوسى حال قيامى (بين يدى ربى منتصبا) اى على هيئة طالب الحاجة عند صاحب النعمة (فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته) اى بتوفيق طاعته (ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى) اى لتقصيره فى متابعتى (ولا ازال اشفع حتى اعطى) بصيغة المفعول للمتكلم (صكاكا) بكسر الصاد جمع صك بفتح الصاد فارسى معرب اى كتبا (برجال) اى باشخاص كتب فيها اسماؤهم (قد امر بهم الى النار) اى اولا فيقع خلاصهم بالشفاعة آخرا (حتى ان خازن النار) بكسر الهمزة وفتحها (ليقول) بفتح اللام المؤكدة (يا محمد ما تركت لغضب ربك فى امتك من نقمة) بكسر نون وسكون قاف ويقال انها كلمة اى عقوبة وفى نسخة بقية اى من نفس باقية (ومن طريق زياد) اى ابن عبد الله (النميرى) بضم النون وفتح الميم بصرى اختلف فى توثيقه وتضعيفه (عن انس) كما رواه البيهقى وابو نعيم (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا اول من تنفلق) بالفاء بعد النون اى تنشق وتتفرق (الارض عن جمجمته) بضم الجيمين اى عن رأسه ومنه قوله تعالى فالق الحب والنوى اى شاقهما للانبات والمعنى انه اول من ينشق عنه القبر فى البعث (ولا فخر) اى ولا اقول فخرا بل التحدث شكرا او امتثل امرا (وانا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ومعى لواء الحمد يوم القيامة وانا اول من يفتح له الجنة) اى بابها (ولا فخر) اى فيه وفيما قبله ايضا (فآتى) الفاء تفصيلية اى فاجىء (فآخذ بحلقة الجنة) بسكون اللام وتفتح والمعنى فاحركها كما فى رواية (فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لى فيستقبلنى الجبار تعالى) اى بتجلى الصفات العلى (فاخر له ساجدا) اى استعطافا له على مراده وطلبا منه لمرضاته على عباده (وذكر نحو ما تقدم) اى من رواية ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (ومن رواية انيس) تصغير انس وفى نسخة من رواية انس والاول هو الصواب وهو رجل من الانصار روى عنه شهر بن حوشب ولم ينسبه ولم يرو عنه غيره حديثه كذا فى الاستيعاب وقال اسناده ليس بالقوى (سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما فى الارض من حجر وشجر) وقد رواه احمد بسند حسن عن بريدة انى لاشفع الخ والمعنى لعدد هو اكثر مما فى الارض جميعها من حجر وشجر والقصد الكثرة او المراد بهما نوع من الحجر والشجر فتدبر وقد ابعد الدلجى حيث قال ولا يستبعد ان يستغيث به صلى الله تعالى عليه وسلم الناميات والجمادات مما لا يعقل فرقا من حر نار جهنم وبرد زمهريرها نعوذ بالله منهما (فقد اجتمع من اختلاف هذه الآثار) وفى نسخة صحيحة من اختلاف الفاظ هذه الآثار اى الاخبار المنقولة عن الاخيار (ان شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى للخلق (ومقامه المحمود) اى بين يدى الحق (من اول الشفاعات) وهو الشفاعة العظمى لفصل القضاء (الى آخرها) وهو اخراج المؤمنين من النار (من حين يجتمع الناس) بفتح النون وفى نسخة بالتنوين اى من وقت فيه يجتمع الناس (للحشر) وهذا الجار والمجرور خبران او ما قبله هو الخبر وهذا ظرف لوقوع الشفاعات وظهور مقامه المحمود فيه ومن ابتدائية اى فابتداؤهما من حين اجتماعهم للحشر بعد سؤالهم الانبياء ليشفعوا كما يشير اليه قوله (وتضيق بهم الحناجر) حتى لا يكاد احدهم يخرج نفسا من تفاقم الهم وتراكم الغم بصوادع القول وصوارع الهول فيرتفع الى الحنجرة وهى رأس الغلصمة حيث تراه ناتئا فيضيق ومنه قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر وهذا كناية عن ضيق الاحوال عند مشاهدة الاهوال (ويبلغ منهم) اى يؤثر فيهم (العرق) اى عرق الخجالة (والشمس) اى حرارتها مع دنوها (والوقوف) اى تعب القيام على ارجلهم (مبلغه) اى نهاية وصوله وغاية حصوله (وذلك) اى وجميع ما ذكر من انواع التعب الحاصل لعامة الخلق (قبل الحساب) اى الذى يترتب عليه الثواب والعقاب (فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف) بالراء اى لتخليصهم من تعبه وبالزاى لازالتهم وتبعيدهم من نصبه (ثم يوضع الصراط)

اى

اى على ظهر جهنم كما ورد (ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث عن ابى هريرة وحذيفة رضى الله عنهما) اى كما سبق (وهذا الحديث اتقن) بالتاء الفوقية والقاف اى احكم وبالقبول احق ولو روى بالياء التحتية لجاز ومعناه اثبت (فيشفع فى تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة) اى اولا (كما تقدم فى الحديث) اى السابق (ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب) اى استحق العقاب لارتكاب المعاصى من المؤمنين (ودخل النار منهم حسب) بسكون السين وفتحها ونصبه على المصدر اى وفق ومثل (ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة) اى بالدلالات الصريحة (ثم فيمن قال لا اله الا الله) اى وعمل عملا ما بمقتضاه (وليس هذا) اى قبول شفاعته لمن قال لا اله الا الله (لسواه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من بين الشفعاء (وفى الحديث المنتشر) اى المشتهر (الصحيح) اى الوارد فى الصحيحين (لكل نبى دعوة) اى عامة (يدعو بها) اى لامته او عليهم وقد دعا بها كل منهم فى الدنيا كما وقع لنوح وصالح وهود وموسى عليهم السلام (واختبأت) وفى رواية ادخرت (دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة) اى لاجل النفع العام فى اهم المقام (قال اهل العلم) اى بعضهم (معناه) اى معنى حديث لكل نبى دعوة لكل منهم (دعوة اعلم) بصيغة المجهول اى اعلم (انها) اى تلك الدعوة (تستجاب لهم) اتى بضمير الجمع نظرا الى معنى كل وافرد فى اعلم باعتبار لفظه وفى رواية اعلموا بصيغة الجمع مجهولا وهو ظاهر (ويبلغ) بصيغة المجهول اى يوصل (فيها مرغوبهم) ويحصل مطلوبهم (والا) اى وان لم يكن كذلك ولم يحمل على ما هنالك (فكم) اى فكثيرا (لكل نبى منهم من دعوة مستجابة) اى استجيبت لهم فى الدنيا (ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منها) اى من اصناف الدعوة (ما لا يعد) اى ما لا يحصى (لكن حالهم) اى فى باقى دعواتهم (عند الدعاء بها) اى بالدعوة التى لم يعلموا استجابتها (بين الرجاء والخوف) وهو لا ينافى غلبة رجاء المراد على خوف فوته فى بعض المواد (وضمنت لهم) بصيغة المجهول مخففا اى جعلت مضمونة (اجابة دعوة) اى واحدة (فيما شاؤه) اى ارادوه واختاروه (يدعون بها على يقين من الاجابة) حال من ضمير يدعون (وقد قال محمد بن زياد) اى الجمحى البصرى روى عن ابى هريرة وعائشة رضى الله تعالى عنهما وغيرهما وعنه شعبة والحمادان وآخرون ثقة (وابو صالح) اى السمان الزيات الكوفى هو من الائمة الثقات روى عن عائشة وابى هريرة وغيرهما وعنه بنوه وخلق سمع منه الاعمش الف حديث توفى بالمدينة واسمه ذكوان بالذال المعجمة (عن ابى هريرة رضى الله عنه فى هذا الحديث لكل نبى دعوة دعا بها) اى استعجل بها (فى امته) اى فى هلاكهم او نجاتهم (فاستجيب له وانا اريد ان اوخر دعوتى) بهمز ويبدل وفى نسخة صحيحة ادخر بالدال المشددة اى اجعلها ذخيرة لوقت الشدة (شفاعة لامتى يوم القيامة وفى رواية ابى صالح عن ابى هريرة) كما فى الصحيحين (لكل نبى دعوة مستجابة) اى فى حق عامة امته (فتعجل كل نبى دعوته) اى طلب حصولها فى الدنيا وانى ادخرت شفاعتى لامتى فى العقبى اى فان نفعها اعم وابقى زاد مسلم فهى نائلة اى واصلة وشاملة ان شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيأ (ونحوه فى رواية ابى زرعة عن ابى هريرة) وابو زرعة هذا هو عارم بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى الكوفى يروى عن جده وغيره وروى عنه خلق من التابعين وثقه ابن معين وغيره (وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابى هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة) اى فى حق العامة (والا فقد اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم انه سأل) اى ربه (لامته) اى لبعضهم او لكلهم (اشياء من امور الدين والدنيا اعطى بعضها ومنع بعضها) اى من حيث انها لم تكن مضمونة الاجابة (وادخر لهم هذه الدعوة) اى لعامة الامة التى هى مضمونة الاجابة (ليوم القيامة) وفى نسخة صحيحة ليوم الفاقة اى لوقت شدة الحاجة (وخاتمة المحن) اى وغاية انواع المحنة ونهاية اصناف الشدة (وعظيم السؤل) بسكون الهمز ويبدل هو الامنية (والرغبة) عطف تفسيرى (جزاه الله) اى عنا احسن ما جزى (نبيا عن امته) اى ورسولا عن دعوته (وصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا) اى سلاما كثيرا يترتب عليه مراما كبيرا هذا وقد ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت ربى لامتى ثلاثا فاعطانى ثنتين ومنعنى واحدة سألته ان لا يهلك امتى بالسنة فاعطانيها وسألته ان لا يهلك امتى بالغرق فاعطانيها وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها وفى مسلم استأذنت ربى فى ان استغفر لها يعنى أمه فلم يؤذن لى واستأذنت فى ان ازور قبرها فاذن لى والله سبحانه وتعالى اعلم ثم قيل آخر من يخرج من النار هناد بعد سبعة آلاف سنة قال الحسن يا ليتنى كنت هنادا يعنى لقطعه بحسن الخاتمة خوفا من سوء العاقبة نسأل الله تعالى العافية

(فصـــــــل)

(فى تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجنة بالوسيلة) وهى منزلة القربة والوصلة (والدرجة الرفيعة) اى العالية التى ليس فوقها درجة (والكوثر) فوعل من الكثرة ومعناه الخير الكثير والعطاء الوفير وفى الحديث اعطيت الكوثر وهو نهر

فى الجنة يعنى ويصب منه فى حوض الكوثر يوم القيامة (والفضيلة) اى الصفة الزائدة التى عجز عن بيانها الواصفون
مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا يبعد ان يراد بها انواع الفضيلة فهو تعميم بعد تخصيص
(حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) تقدم (والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد) سبق (بقراءتى عليهما
قالا ثنا) اى حدثنا (ابو على الغسانى) بتشديد السين المهملة مر ذكره (قال ثنا النمرى) بفتح النون هو الحافظ ابن عبد
البر (ثنا ابن عبد المؤمن) اى عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبى (ثنا ابو بكر التمار) بتشديد الميم نسبة الى التمر
(ثنا ابو داود) وهو محدث العصر صاحب السنن (ثنا محمد بن سلمة) اى المرادى ابو الحارث المصرى وكان احد الائمة
الاثبات (ثنا ابن وهب) سبق ذكره (عن ابن لهيعة) بفتح فكسر حضرمى بصرى ضعيف وكان قاضى مصر (وحيوة)
بفتح الحاء المهملة وسكون التحتية ابن شريح المصرى الحمصى كان حافظا مجاب الدعوة روى عنه البخارى وغيره
(وسعيد بن ابى ايوب) اى المصرى ثقة (عن كعب بن علقمة) وفى نسخة عن كعب عن علقمة والاول هو الصواب كما
صرح به الحلبى وغيره وهو تابعى روى عن سعيد بن المسيب وطائفة وعنه الليث وجماعة (عن عبد الرحمن بن جبير) بضم
الجيم وفتح الموحدة مصرى فقيه مقرئ ثقة وكان مؤذنا (عن عبد الله بن عمرو بن العاص) وفى نسخة العاصى بالياء
والصواب الاول (انه سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) قال الحلبى هذا الحديث اخرجه القاضى كما ترى من
سنن ابى داود وقد اخرجه ابو داود فى الصلاة واخرجه مسلم ايضا فيها بالسند الذى اخرجه ابو داود سواء الا انه قال عن
ابن وهب عن حيوة بن شريح وسعيد بن ايوب وغيرهم كلهم عن كعب بن علقمة به واخرجه الترمذى فى المناقب وقال
صحيح والنسائى فى الصلاة وفى اليوم والليلة وانما اخرجه المصنف من عند ابى داود ولم يخرجه من عند مسلم للتنوع
فى الروايات ولان بينه وبين ابى داود فى هذا الحديث خمسة اشخاص بالسماع ولو روى بالاجازة عن ابى على الغسانى
كان بينه وبينه اربعة وليس كذلك مسلم فلم يقع له بالسماع بينه وبينه ستة وتارة خمسة فوقع له حديث مسلم موافقة
فى شيخه انتهى وحاصله انه انما اسنده الى ابى داود دون مسلم لقرب سنده اليه (اذا سمعتم المؤذن) اى صوته وفى نسخة
يؤذن اى حال كونه يؤذن او حين اذانه (فقولوا مثل ما يقول) اى من كلمات الاذان جميعها الا الحيعلتين لحديث
مسلم وغيره عن عمر المستفاد منه انه يقال عند سماعهما لا حول ولا قوة الا بالله ثم هل الامر بالقول المعلق بالسماع
واجب على من سمع حيث لا مانع او مندوب قال النووى فيه خلاف ذكره الطحاوى والصحيح عن الجمهور ندبه
واختلفوا هل يندب عند سماع كل مؤذن او الاول فقط والاصح يندب اجابة الكل وكون الاول آكد (ثم صلوا على)
قال الحلبى صرفه عن الوجوب الاجماع (فانه) اى الشأن (من صلى على مرة) كذا فى الاصول وكانها سقطت من
اصل الدلجى فقال اى مرة بقرينة المقام (صلى الله عليه) اى بها كما فى اصل الدلجى وقال بالمرة او بالصلاة مرة لكنه هو
غير موجود فى الاصول والمعنى رحمه وضعف اجره (عشرا) اى باعتبار اقل المضاعفة الموعودة بقوله تعالى من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها (ثم اسألوا) وفى نسخة ثم سلوا (الله لى الوسيلة فانها منزلة) اى عظيمة كائنة (فى الجنة لا تنبغى)
وفى نسخة لا ينبغى اى لا تحصل او لا تليق (الا لعبد) اى كامل (من عباد الله) اى من انبيائه واصفيائه (وارجو ان
اكون انا هو) ثم جوزان يجعل انا مبتدأ خبره هو والجملة خبرا كون وان يجعل تأكيدا لاسمها وخبرها هو وضع موضع
اياه او موضع اسم اشارة اى انا ذلك العبد واتى بلفظ الرجاء تأدبا وايماء الى انه لا يجب على الله شئ (فمن سأل الله الوسيلة)
اى هذه الدرجة وفى معناه كل ما يتوسل به الى زيادة الزلفة (حلت) بتشديد اللام اى نزلت ووقعت (عليه الشفاعة)
اى وجبت وجوبا واقعا عليه وقيل غشيته وقيل حقت وثبتت له وفى الحديث ايذان بجواز سؤال الدعاء من المفضول
ليفوز من الفاضل المدعو له مع ثواب الله سبحانه وتعالى لهما بفائدة عظيمة وعائدة جسيمة من نحو شفاعة وسعادة قربة
مع الايماء الى ان مراتب القرب الى الله تعالى لا يتصور فيها الانتهاء (وفى حديث آخر) كما رواه الترمذى (عن ابى
هريرة رضى الله عنه الوسيلة اعلى درجة فى الجنة وعن انس رضى الله عنه) كما فى البخارى (قال قال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم بينا انا اسير فى الجنة اذ عرض لى) اى فاجانى وظهر لى (نهر) بفتح الهاء وتسكن (حافتاه) بتخفيف
الفاء اى جانباه وطرفاه (قباب اللؤلؤ) بكسر القاف جمع قبة وهى بيت صغير مستدير ووقع فى اصل الدلجى فيه اللؤلؤ
مثل القباب وهو ليس من نسخ الكتاب ولا اظنه انه رواية فى هذا الباب بل هو من تصرف الكتاب وفى اصل التلمسانى
اللؤلؤ والدر فقيل هما بمعنى وقيل اللؤلؤ الكبير (قلت لجبريل ما هذا) اى الذى اراه (قال هذا الكوثر الذى اعطاكه
الله تعالى) اى خاصة (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ضرب) اى جبريل (بيده الى طينه) بالاضافة وفى
نسخة الى طينة بالتنكير وتاء التأنيث اى من طينه (فاستخرج مسكا) اى شيأ هو مسك او كمسك وسماه طينا جريا على
غالب العادة فى كون مقر الماء طينا او بحسب الصورة (وعن عائشة وعبد الله بن عمرو) بالواو (مثله) اى مثل حديث

انس قبله (قال) اى فى حديثهما (ومجراه) اى جريان مائه (على الدر) اسم جنس واحده درة وكذا قوله (والياقوت)
اى ومن تحتهما المسك كالطين تحت حصى الماء فلا منافاة بين حديثهم (وماؤه احلى) اى اكثر حلاوة واشد لذاذة (من
العسل وابيض) وفى رواية واشد بياضا (من الثلج) وفى رواية ابيض من اللبن قال الدلجى ولا يلزم من كونه احلى من
العسل الاستغناء به عن انهار العسل المصفى فى الجنة لانها ليست للشرب انتهى ولا يخفى ان نفى كونها للشرب يحتاج
الى بيان حجة فى تحقيق المدعى والتحقيق ان الانهار الاربعة عامة لاهل الجنة والكوثر موضوع للخاصة مع انه قد يقال
التقدير وماؤه احلى من العسل الموجود فى الجنة باعتبار كمال اللذة (وفى رواية عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم (فاذا هو) اى ماؤه (يجرى) اى على وجه الارض من غير نهر (ولم يشق) بصيغة الفاعل وفى نسخة بصيغة
المفعول (شقا) اى لم يحل الى شق من احد طرفيه بل يجرى جريانه سويا كما اراده سبحانه او عناه صاحبه
من اهل الجنة (عليه) اى على النهر (حوض) اى عظيم (ترد عليه) وفى نسخة صحيحة ترده (امتى) اى ضيافة فى الجنة
او يوم القيامة والثانى اظهر لقوله (وذكر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الحوض) ومطلقه ينصرف الى الاشهر
مع احتمال التعدد فتدبر ومعنى كون الحوض على النهر اعتماده عليه من حيث ان ماءه ممتد من مائه ومنتهى اليه
اذ النهر فى الجنة والحوض خارجها المناور دليردن على الحوض اقوام اعرفهم ويعرفوننى ثم يحال بينى وبينهم فاقول
انهم منى فيقال لا تدرى ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدى (ونحوه) اى ونحو ما ذكر عن المذكور بن
مروى (عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا) كما فى البخارى (قال الكوثر الخير الذى اعطاه اياه) اى ومنه الحوض
وغيره ولعله لم يصفه بالكثير كما فى بعض الروايات لما يستفاد من الصيغة للمبالغة (وقال سعيد بن جبير والنهر الذى
فى الجنة من الخير الذى اعطاه الله) اى لانه مقصور على النهر او الحوض بل الكوثر اتم واعم والله تعالى اعلم
(وعن حذيفة فيما ذكر عليه الصلاة والسلام عن ربه) اى راويا عنه (واعطانى الكوثر نهرا من الجنة) بنصب نهرا
على انه بدل او بتقدير اعنى او على المدح ووقع فى اصل الدلجى مخالفا للنسخ نهر بالرفع فقال خبر حذف مبتدأه
اى هو بشهادة رواية اعطيت الكوثر وهو نهر فى الجنة (يسيل) اى ينصب (فى حوضى) اى يوم القيامة او فى الجنة
(وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما روى ابن جرير وابن ابى حاتم بسند صحيح (فى قوله) اى فى تفسير قوله تعالى
(ولسوف يعطيك ربك فترضى قال) اى ابن عباس (الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه) اى وفى كل قصر او فيما
ذكر من القصور وقد اخطأ التلمسانى بقوله صوابه فيهن (ما يصلحهن) بضم الياء وكسر اللام اى ما يصلح القصور
ويزينهن ويحسنهن من الخدم والازواج والاثاث واصناف الحور وانواع الحبور (وفى رواية اخرى) اى مبينة للاولى
(وفيه) اى وفى كل قصر (ما ينبغى) اى يليق له (من الازواج) اى نساء الجنة من الحور وغيرها من نساء الدنيا وهن
افضلهن واكملهن جمالا لما قدمن فى الدنيا اعمالا (والخدم) اى من غلمان كانهن لؤلؤ مكنون والله تعالى اعلم
وقد ذكر الدارقطنى من طريق مالك بن مغول عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الله تعالى اعطانى نهرا يقال له الكوثر لا يشاء احد من امتى ان يسمع خرير ذلك الكوثر الا سمعه فقلت
يا رسول الله كيف ذلك قال ادخلى اصبعيك فى اذنيك وسدى فالذى تسمعين فيهما من خرير الكوثر ونقله السهيلى
ذكره التلمسانى

(فصل)

(فان قلت اذا تقرر) اى ثبت وتحرر (من دليل القرآن وصحيح الاثر) وفى نسخة الآثار ووقع فى اصل الدلجى الاخبار
(واجماع الامة) اى من اتفاقهم (كونه صلى الله عليه وسلم اكرم البشر) يعنى والبشر خير من الملك كما هو مقرر (وافضل
الانبياء) وهم اعم من الرسل (فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل) اى بين الانبياء (كقوله فيما حدثناه
الاسدى قال حدثنا السمرقندى ثنا) اى حدثنا (الفارسى) بكسر الراء وهو عبد الغفار (ثنا الجلودى) بضم الجيم
واللام (ثنا ابو سفيان) وهو ابراهيم (ثنا مسلم) وهو صاحب الصحيح (ثنا ابن مثنى) وفى نسخة محمد بن مثنى بضم ميم
وفتح مثلثة وتشديد نون منون (ثنا محمد بن جعفر) وهو غندر وقد تقدم (ثنا شعبة) اى ابن الحجاج (عن قتادة سمعت
ابا العالية) يراد به هنا رفيع بن مهران فانه الذى روى عنه قتادة واما زياد بن فيروز فروى عنه ايوب السختيانى
ومطر الوراق وبديل بن هبيرة كما حققه الحلبى (يقول حدثنا ابن عم نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى) اى يريد به
(ابن عباس) وهو عبد الله (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الحلبى وهذا الحديث فى البخارى ومسلم وابى داود
(ما ينبغى) اى ما يصح او ما يصلح (لعبد ان يقول انا خير من يونس ابن متى) بفتح الميم وتشديد المثناة فوق مقصورا
وقد تقدم انها امه والمراد بعبد كل مكلف ثم يختلف الحكم بمرجع انا فان لم يكن نبيا فقد كفر لما فيه من الانتقاص الذى

بمثله كفر ابليس اذ قال انا خير منه وان كان نبيا فينبغى له التواضع لما اكرم به النبوة كذا قرره الدلجى والظاهر انه صلى الله تعالى عليه وسلم يريد انه لا يجوز لاحد من امتى ان يعظمنى وان يقول انا خير من يونس ابن متى تفضيلا لى عليه وهذا من كمال التواضع لديه قال التوربشتى وانما خص يونس بالذكر دون غيره من الرسل لما قصه الله تعالى فى كتابه عنه من توليه عن قومه وتضجره منهم وقلة صبره فقال ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وقال وهو مليم وقال اذ ابق الى الفلك المشحون فلم يأمن صلى الله تعالى عليه وسلم ان يخامر بواطن ضعفاء امته ما يؤدى الى تنقيصه فبين ان ذلك ليس بقادح فيما منحه الله له من كرامة النبوة وشرف الرسالة وانه مع ما صدر منه كاخوانه من المرسلين انتهى وقد يقال وجه تخصيصه من بين الانبياء لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لما وقع عروجه الى السماء ليلة الاسراء وحصل له مقام قاب قوسين او ادنى مع سائر الكرامات وكان معراج يونس بطن الحوت فى الظلمات لربما يتوهم متوهم ان معراج السموات اقرب الى الرب فيكون صاحبه افضل واحب فدفع بان الامكنة بالنسبة الى الله تعالى مستوية اذ هو بذاته تعالى منزه عن المكان ولو كان اعلى فى ظهور الشان (وفى غير هذا الطريق عن ابى هريرة قال يعنى) اى يريد ابو هريرة بالقائل (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينبغى لعبد الحديث) اى الخ كما تقدم (وفى حديث ابى هريرة) اى كما رواه الشيخان (فى اليهودى الذى قال) اى حين استب هو ورجل من الانصار (والذى اصطفى موسى على البشر) اى فى زمانه ولكنه باطلاقه المتبادر كان يعم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بحسب الظاهر (فلطمه رجل من الانصار) اى غيرة على نبينا المختار (وقال تقول ذلك) اى أتقول هذا القول (والنبى بين اظهرنا) اى بيننا وجود وطا العنا بطلوعه مسعود (فبلغ ذلك) اى الخبر (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فدعا الانصارى فاخبره بذلك (فقال لا تفضلوا) بضم اوله وتشديد الضاد المكسورة اى لا توقعوا التفضيل (بين الانبياء) يعنى بمجرد الاهواء والآراء وزاد بعضهم ثم قال ولا اقول ان احدا افضل من يونس ابن متى ثم ان النسخ والاصول بالضاد المعجمة واغرب الدلجى حيث قال ومعناه بالصاد المهملة اى لا تفرقوا بينهم بتفصيل وبالمعجمة لا توقعوه بينهم انتهى وهو صحيح المعنى وانما الكلام فى ثبوت المبنى مع ما فيه من معارضته لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فلا بد من اعتقاد التفضيل بالاجمال او التفصيل واما قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم فالمعنى نؤمن بكلهم تعريضا لليهود فيما حكاه الله تعالى عنهم ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض (وفى رواية) اى للشيخين ولابى داود والنسائى (لا تخيرونى) بضم التاء وكسر الياء المشددة اى لا تفضلونى (على موسى) قاله تواضعا وردعا عن تفضيل يوجب تنقيصا او فتنة مفضية الى عصبية وحمية جاهلية او كان هذا قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم والله تعالى اعلم (فذكر) اى الراوى (الحديث) اى بقيته وهى قوله قال فان الناس يصعقون يوم القيامة فاصعق فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادرى اكان فيمن صعق فافاق قبلى او كان فيمن استثنى الله تعالى وفى رواية فلا ادرى أجوزى بالصعقة ام لا وهى لغة ان يغشى على الانسان من صوت شديد يسمعه وربما مات ثم استعمل فى الموت كثيرا والمراد بها هاهنا ما افاده وخر موسى صعقا قال المصنف رحمه الله تعالى وهذا من اشكل الاحاديث لان موسى مات فكيف يصعق وانما يصعق الاحياء فيحتمل ان تكون هذه الصعقة صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماء ويؤيده قوله فافاق فانه انما يقال افاق من الغشى وبعث من الموت وبه جزم التوربشتى حيث قال واما الصعقة فى الحديث فهى بعد البعث عند نفخة الفزع واما البعث فلا تقدم لاحد على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فيه واختصاص موسى عليه السلام بهذه الفضيلة لا يوجب له تفضيلا على من فاز بسوابق جمة ولواحق عمة (وفيه) اى وفى هذا الحديث (ولا اقول ان احدا خير من يونس ابن متى وعن ابى هريرة رضى الله عنه) كما فى رواية البخارى (ومن قال انا خير من يونس ابن متى) اى من جميع الوجوه (فقد كذب) او قد يكون له خصوصية فى نوع من الفضيلة قال الدلجى ويجوز رجوع انا كما مر اليه صلى الله تعالى عليه وسلم او الى كل قائل اى لا يقول ذلك احد وان بلغ فى العلم والعبادة او غيرهما من الفضائل ما بلغ اذ لم يبلغ ما بلغه يونس من درجة النبوة انتهى ولا يخفى ان انا فى الحديث السابق يحتمل الاحتمالين واما هنا فالاحتمال الى القائل بعيد عن موضع تحقيق وتأييد لان جزاءه حينئذ فقد كفر كما سبق فتدبر وايضا ما كان احد يتوهم منه انه يدعى كونه افضل من يونس حتى ينهى عنه وانما كان يتوهم بعضهم ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم افضل منه فى امر النبوة والرسالة او فى علو المرتبة وفضيلة الدرجة فنهاهم اما اعلاما بتسويته فى نسبة النبوة والرسالة واما تواضعا لربه وهضما لنفسه واما قبل علمه بعلو مقامه (وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس ابن متى وفى حديثه) اى ابن مسعود (الآخر) اى الذى رواه مسلم وابو داود والترمذى (فجاءه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رجل فقال يا خير البرية) اى الخلق من برأه الله

يبرأه برأ اى خلقه فهو فعيل بمعنى مفعول والتاء للمبالغة فى الكثرة واصله مهموز كما قرأ به نافع وابن ذكوان ثم ابدلت الهمزة ياء وادغمت وهى قرآءة الباقين فقول صاحب النهاية ولم يستعمل مهموزا مبنى على عدم علمه بالقرآءة (فقال ذاك) وفى نسخة ذلك باللام (ابراهيم) قاله تواضعا واكراما لكونه ابا او لانه امرنا باتباعه او قبل العلم بانه افضل منه (فاعلم) جواب الشرط السابق اى فان قلت الخ فاعلم (ان للعلماء فى هذه الاحاديث) اى الناهية عن التفضيل بين الانبياء (تأويلات) اى وجوها اربعة او خمسة تقدم بيان بعضها فى حل لفظها (احدها) اى الوجه الاول منها (ان نهيه عن التفضيل) اى فيما بينهم (كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف) اى الى سماع فى تفضيل الانبياء اذ لا درك فيه لعقول العلماء (وان من فضل) اى احدا منهم على غيرهم (بلا علم) اى يقينى او ظنى يصلح للاستدلال (فقد كذب) اى فى ذلك المقال (وكذلك) اى مأول (قوله لا اقول ان احدا افضل منه) اى من يونس (لا يقتضى تفضيله هو) اى يونس على اطلاقه وقد ابعد الدلجى فى قوله اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم على يونس لدخوله فى عموم النكرة فى سياق النفى انتهى ووجه غرابته لا يخفى مع عدم ملاءمته للمدعى بحسب المعنى (وانما هو) اى قوله هذا (فى الظاهر كف) بتشديد الفاء اى منع منه صلى الله تعالى عليه وسلم لغيره (عن التفضيل) اذ من شأنه ان يكون منشأ للنقص او التجهيل (الوجه الثانى انه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع) اى مع اخوانه واقرانه اولا به فى عظمة شانه (ونفى التكبر والعجب) اى عن باطنه تعليما لامته وارشادا الى طريقته (وهذا) اى الوجه من التأويل (لا يسلم من الاعتراض) اى فى صحة التعليل فان عدم جريه على موجب علمه اخبار بخلاف وقوعه وهو ينافى منصب النبوة وفيه ان هذا الاعتراض انما يرد لو ثبت نفيه تواضعا بعد علمه بكونه افضل الانبياء او بتفصيل التفضيل بين الاصفياء واما قبل العلم فلا يرد اعتراض اصلا مع احتمال حمل التواضع من حيث انه لا مفضول الا وقد يوجد فيه ما لا يوجد فى الفاضل فليس احد منهم افضل مطلقا على ان من تواضع لله رفعه الله وقد ابعد التلمسانى حيث قال الاعتراض هو انه لا يظهر حينئذ فائدة تخصيص يونس عليه السلام بالذكر انتهى وتبعه الانطاكى وبعد كلامهما لا يخفى لانه كما قال الخطابى انما خص يونس عليه السلام لان الله تعالى لم يذكره فى جملة اولى العزم من الرسل فكانه قال فاذا لم آذن لكم ان تفضلونى على يونس فلا تفضلونى على غيره من اولى العزم بالاولى (الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدى الى تنقص بعضهم) اى طلب نقصان فى المرتبة او ظهور منقصة فى المنقبة لبعضهم (او الغض) بغين وضاد مشددة معجمتين اى النقص منهم جميعا كذا ذكره الدلجى وفيه ان النسخ كلها (منه) بضمير الافراد الراجع الى بعضهم فالاولى ان يفسر الغض بالاغماض الذى هو كناية عن الاعراض (لا سيما) كلمة استثناء مركبة من سى بمعنى مثل ومن ما وهى اما موصولة فيرتفع الاسم بعدها خبر مبتدأ محذوف كما فى جاء القوم لا سيما اخوك اى لا مثل الذى هو اخوك واما زائدة فينجر ما بعدها بسى لانها كما فى اكرم القوم لا سيما اخيك اى لا مثل اخيك اكراما وقول امرئ القيس ولا سيما يوم بدارة جلجل ورد مرفوعا ومجرورا والمعنى هنا خصوصا اذا كان التفضيل المتنازع فيه (فى جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر) اى فى تنزيله بقوله ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وبقوله فالتقمه الحوت وهو مليم وبقوله اذ ابق الى الفلك المشحون فوقع النهى عن التفضيل عليه (لئلا يقع فى نفس من لا يعلم) اى مقام قربه وانه تداركه نعمة من ربه (منه) متعلق بيقع اى لئلا يقع فى نفس الجاهل بمقامه من جهة منزلته (بذلك) اى بسبب ما اخبر الله عنه (غضاضة) بفتح اوله مرفوعة على انها فاعل يقع اى نقص وحقارة (وانحطاط) اى تنزل (من رتبته) بضم الراء اى مرتبته (الرفيعة) اى العالية التى هى اصل النبوة والرسالة (اذ قال تعالى) بدل من قوله اذ اخبر الله تعالى (عنه) اى حكاية عن حاله ورواية عن ماله حيث قال فى موضع (اذ ذهب مغاضبا) اى فارق قومه وخرج عنهم حال كونه مغاضبا عليهم لاصرارهم على الكفر والعدوان وعدم رجوعهم الى الايمان والاحسان وكان خروجه وذهابه لم يكن عن اذن من الرحمن ولذا عبر عنه بقوله (اذ ابق) بفتح الباء وحكى كسرها (الى الفلك المشحون) اى المملوء فان اصل الاباق هو الهرب من السيد فحسن اطلاقه عليه هاهنا لهربه من قومه بغير اذن ربه (فظن ان لن نقدر عليه) اى ان لن نضيق عليه او لن نقضى عليه بالعقوبة وينصره قرآءته مثقلا وروى الزمخشرى ان معاوية قال لابن عباس رضى الله تعالى عنه ضربتنى امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسى خلاصا الا بك قال وما هى يا معاوية فقرأ هذه الاية فقال او يظن نبى الله ان لا يقدر الله عليه فقال له هذا من القدر لا من القدرة قال ابن عرفة اى من الارادة اى فظن ان لن نريد عقوبته (فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته) اى حط مرتبته ونقص منزلته عن رتبة نبوته ورفعة رسالته (بذلك) اى بسبب ما ذكر ومن جهة ما اخبر (الوجه الرابع منع التفضيل) اى نهيه

(فى حق النبوة والرسالة) اى باعتبار اصلهما وحقيقة ماهيتهما لا فى ذوات الانبياء وزيادة خصائص الاصفياء (فان الانبياء فيهما على حد واحد) اى سواء غير متعدد (اذهى) اى مادة النبوة والرسالة (شئ واحد) وهو البعثة المجردة الحاصلة بالوحى فقط وتسمى النبوة او منضمة الى تبليغ الغير وتسمى الرسالة وهى فى حد ذاتها شئ واحد (لا تتفاضل) اى بالنسبة الى اصحابها فلا يقال مثلا نبوة آدم افضل من نبوة غيره منهم ونظيرهما حقيقة الايمان فانها شئ واحد بالنسبة الى المؤمنين حال الايقان وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام لا تفضلونى على اخوانى المرسلين فانهم بعثوا كما بعثت (وانما التفاضل فى زيادة الاحوال) اى الناشئة عنها من تحسين الاخلاق والاعمال (والخصوص) اى والخصوصيات فى مقامات ارباب الكمال (والكرامات) اى المعجزات وخوارق العادات (والرتب) اى ومراتب العبادات والمجاهدات (والالطاف) اى وانواع الملاطفة واصناف المخالطة من حسن المعاشرة والمجاملة والمداراة مع الامة كاختلاف مراتب اهل الايمان من ظهور ثمرات الايقان ونتائج الاحسان ولوائح العوارف ولوامع المعارف وخوارق العادات للاولياء ومراتب الاجتهادات للعلماء والاصفياء (واما النبوة فى نفسها) وكذا الايمان فى حد ذاته (فلا تتفاضل) اى لا تتفاوت فى حالاتها ولا تتزايد فى مقاماتها (وانما التفاضل بامور اخر) اى كما سبقت الاشارة اليها (زائدة عليها) اى على حقيقتها (ولذلك منهم رسل) اى بعض الانبياء موصوفون بزيادة وصف الرسالة على نعت النبوة (ومنهم اولوا العزم) اى الجد والاحتياط والحزم (من الرسل) اى بناء على ان من تبعيضية وهو المعتمد لا بيانية ثم هم مجموعون فى آيتين احداهما قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفى تقديم منك اشعار باولويته وافضليته صلى الله تعالى عليه وسلم على بقيتهم والباقى ذكر على ترتيب وجودهم حين بعثتهم وان كان بعض افضل من بعض فى مقام كرمهم وجودهم وسيرتهم (ومنهم) اى وكان من الانبياء (من رفع مكانا عليا) كادريس عليه السلام وهو سبط شيث وجد نوح كما قال تعالى ورفعناه مكانا عليا اى رفع الى السماء وقيل الى الجنة (ومنهم من اوتى الحكم) اى النبوة او الحكمة او فهم التوراة (صبيا) اى حال صغره كيحيى عليه السلام كما قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا قيل اوتى النبوة وهو ابن ثلاث سنين وقيل قرأ التوراة وهو صغير (واوتى) اى اعطى (بعضهم الزبور) وهو داود عليه السلام ووقع فى اصل التلمسانى ههنا الزبر بضمتين جمعا اى صحفا مزبورة اى مكتوبة كما قال تعالى وآتينا داود زبورا (وبعضهم البينات) اى المعجزات الظاهرات او المبينات للنبوة بحسب الدلالات كعيسى عليه السلام كما قال تعالى وآتينا عيسى ابن مريم البينات اى كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات (ومنهم من كلم الله تعالى) كموسى كلمه مرتين ليلة الحيرة وعلى الطور (ورفع بعضهم درجات) تفضيلا له على غيره فى المقامات وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لا يحصى درجات كمالاته ولا يعد مراتب مقاماته وحالاته مع مشاركته لكل من الانبياء فى ظهور آياته واقتران زيادة معجزاته وخصوصياته ولعل ابهام اعتمادا على ما فهم لانه كالمتعين من حيث انه الفرد الاكمل لا سيما فى مقام الختم المؤذن بكونه الافضل (قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية) فالتفضيل ثابت مقطوع به فى الجملة بين ارباب النبوة وكذا بين اصحاب الرسالة لقوله (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) اى بفضائل سنية وشمائل بهية وفواضل انسانية منزهة عن علائق جسمانية وعوائق شهوانية ونحوها فى الدنيا ومراتب جلية ودرجات علية وامثالها فى العقبى فان الدنيا مزرعة للآخرة (قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا فى الدنيا) اى غير مقصور فى العقبى لانه غير موجود فى الاخرى (وذلك) اى سبب تفضيلهم فى الدنيا (بثلاثة احوال) اى يعرف بثلاثة اوصاف (ان تكون آياته) اى خوارق عاداته (ومعجزاته) اى المقرونة بالتحدى فهى اخص مما قبله (ابهر) اى اظهر (واشهر) ولا شك ان معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اظهر واشهر ولو لم يكن الا القرآن لكفى دليلا للبرهان (او تكون امته ازكى) اى انقى (واكثر) اى ازيد من غيرهم كيفية وكمية اما الكيفية فقد قال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس واما الكمية فقد ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صفوف المؤمنين مائة وعشرون وامتى منهم ثمانون وفى نسخة اظهر بالظاء المعجمة بدل اكثر والاظهر هو الاول فتدبر وعلى تقدير صحته فلعل معناه اغلب (او يكون) اى النبى المفضل (فى ذاته افضل واطهر) بالطاء المهملة اى انور وقد تصحف بالمعجمة على الدلجى وفسره باشهر ثم مما يدل على افضلية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذاته انه سبحانه وتعالى خلقه قبل جميع موجوداته بل جعله كالعلة الغائية فى مراتب مخلوقاته وجعله اولا وآخرا فى مقامات كائناته وجعل نور مشكاته محل فيوض انوار ذاته واسرار صفاته ومعدن ظهور تجلياته هذا (وفضله) اى وفضل كل نبى (فى ذاته راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته) اى من اكرام الله له بمناقب عظيمة ومراتب جسيمة (واختصاصه) بالجر اى والى

اختصاص كل نبى بمقام على وحال جلى (من كلام) اى كما وقع لموسى فى الطور ولنبينا فى مقام دنا بل ادنى فى معرض الظهور (او خلة) اى كما ثبت للخليل ولنبينا الجليل مع زيادة المحبة الخاصة والحالة الجامعة بين المحبية والمحبوبية بل الوسيلة لكل محب ومحبوب فى المرتبة المطلوبية والمجذوبية (اورؤية) اى بصرية كما اختص به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ما تقدم اورؤية بصيرية وهى مقام المشاهدة برفع الحجب الجسمانية كما يحصل للكمل من الافراد الانسانية (او ما شاء الله من الطافه) اى الخفية وهى بفتح الهمزة جمع لطف وهو بر دقيق (وتحف ولايته) اى العلية وهى بضم التاء وفتح الحاء جمع تحفة بمعنى الهدية (واختصاصه) اى اياهم بالمراتب الجلية (وقد روى) كما فى تفسير ابن ابى حاتم ومستدرك الحاكم عن وهب بن منبه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان للنبوة) اى المقرونة بالرسالة (اثقالا) اى تكاليف مثقلة ذات مرارة تعرض لها بسبب التبليغ بشارة ونذارة كما اشار اليه قوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا (وان يونس) اى لعدم تحمله وغلبة ضجره فى مقام صبره عند ترك انقياد قومه واصرارهم وشدة عنادهم وتمادى اضرارهم (تفسخ منها) اى انسلخ منها وتجرد عنها (تفسخ الربع) بالنصب اى كتفسخه تحت الحمل الثقيل وهو بضم الراء وفتح الباء اى الفصيل وهو ولد الناقة يولد فى الربيع والمعنى ان يونس عليه السلام لم يستطع ان يحمل اعباء النبوة كما ان الربع لا يستطيع ان يحمل الاثقال الكبيرة (فحفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بنهيه عن التفضيل بينهم (موضع الفتنة من اوهام) اى التى هى اوهام (من يسبق اليه) اى الى فهمه من وهمه والوهم هو الاحتمال المرجوح عند تردد حكم العقل (بسببها) اى بسبب اثقالها من سآمة وضجر وضيق نفس وقلة صبر (جرح) بفتح الجيم وسكون الراء اى طعن (فى نبوته) وفى نسخة بفتح حاء وراء وبجيم اى ضيق والظاهر انه تصحيف (او قدح) اى عيب (فى اصطفائه) اى بالرسالة او فى اجتبائه الثابت فى قوله تعالى فاجتباه ربه فجعله من الصالحين (وحط من رتبته) اى وضع من رفعته (ووهن فى عصمته) اى ضعف فيها بتوهمه ذلك (شفقة) علة لحفظ اى راعى هذا المعنى المفاد من المبنى اى مخافة (منه صلى الله تعالى عليه وسلم على امته) ورحمة على اهل ملته كيلا يقع احد فى وهدة غفلته وينزجر عن الاقدام على جرأته (وقد يتوجه على هذا الترتيب) اى على ما رتب من ان يونس ممن خصه الله تعالى بعهد النبوة والطاف الكرامة (وجه خامس وهو ان يكون انا) اى فى الحديث السابق (راجعا الى القائل نفسه) اى لا يظن يعنى لا يتوهم (احد) اى من العلماء والاولياء (وان بلغ من الزكاء) ان وصلية اى وان وصل من الفهم العالى وهو بالزاى فى خط المصنف وعند العرفى بالذال المعجمة ومعناه قريب من الاول فتأمل (والعصمة) اى من الافعال الردية (والطهارة) اى من الاخلاق الدنية (ما بلغ) اى من الغاية والنهاية فى مرتبة الولاية (انه خير من يونس لاجل ما حكاه الله تعالى عنه) اى من ظهور تضجره وتبرمه وقلة صبره على تمادى قومه فى ترك الايمان بما جاء به (فان درجة النبوة افضل) يروى اعظم (واعلى) اى من درجة الولاية ولهذا فرق بين الحفظ والعصمة حيث خصت العصمة للانبياء والحفظ للاولياء اذ لا يتصور حصول الذنب عمدا من ارباب النبوة بخلاف اصحاب الولاية ولذا لما سئل جنيد أيزنى العارف أطرق مليا ثم قال وكان امر الله قدرا مقدورا وبهذا يتبين انه لا يوجد فى النبى ما يكون سببا لسلب النبوة او الايمان والمعرفة بخلاف الولى فانه قد يخرج عن مرتبة الولاية بارتكاب الكبيرة ويخاف عليه من سوء الخاتمة نسأل الله العافية ولعل هذا التفصيل بين لك معنى قوله (وان) بكسر الهمزة وفتحها (تلك الاقدار) اى المقدرات جمع قدر بحركة وتسكن (لم تحطه عنها) بتشديد الطاء اى لم تنزله عن درجة النبوة (حبة خردل) وهى حبة الرشاد (ولا ادنى) اى اقل منها بقدر ذرة بل اقول انها كلها كانت اسباب زيادة مثوبة ورفعة درجة من حيث انها نشأت عن الغضب فى الله والهجرة فى مرضاته الا ان بعضها كان خلاف الاولى بالنسبة الى المقام الاعلى فان حسنات الابرار سيئات الاحرار فعوتب فى ذلك تنبيها لما هنالك (وسنزيد فى القسم الثالث فى هذا) اى المبحث (بيانا) اى شافيا كافيا (ان شاء الله تعالى) اى اراد كونه جامعا مانعا (فقد بان لك الغرض) بفتح الغين المعجمة والراء اى المقصود (وسقط بما حررناه شبهة المعترض) اى المردود (وبالله التوفيق) اى على طاعة المعبود (وهو المستعان) اى فى كل مورود (لا اله الا هو) اى الواجب الوجود وصاحب الكرم والجود

(فصــــل)

(فى اسمائه عليه الصلاة والسلام وما تضمنته من فضيلته) اى المشعرة بتفضيله على سائر الكرام اعلم ان ابن العربى المالكى فى الاحوذى شرح الترمذى حكى عن بعضهم ان لله الف اسم وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم الف اسم ثم ذكر منها على التفصيل نيفا وستين قال الحلبى وقد رأيت مجلدين فى القاهرة مصنفا يقال له المستوفى فى اسماء المصطفى لابن دحية الحافظ جمع فيه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوق الثلاثمائة قلت وكان شيخ مشايخنا السيوطى

اختصره فى كراريس وسماها بالبهجة البهية فى الاسماء النبوية واقتصرت منها على التسعة والتسعين وفق عدد اسماء الله الحسنى الثابتة بالطرق المرضية اذ قد قال ابن فارس هى الفان وعشرون وفى الجملة كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى المشعرة بكثرة النعوت والاوصاف (حدثنا ابو عمران) بكسر اوله (موسى ابن ابى تليد) بفتح فكسر (الفقيه) بالرفع (ثنا) اى حدثنا (ابو عمر الحافظ) اى ابن عبد البر (ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ) بفتح همزة وسكون مهملة وفتح موحدة فغين معجمة غير مصروف الامام الحافظ محدث الاندلس سمع ابن قتيبة وابن ابى الدنيا وروى عنه حفيده قاسم بن محمد والحافظ الباجى وفى آخر عمره قطع الرواية خوفا من الغلط وانتهى اليه علو الاسناد والحفظ والجلالة وتوفى بقرطبة سنة ثلثمائة بعين وثلاثمائة (ثنا محمد بن وضاح) بتشديد الضاد المعجمة (ثنا يحيى) اى راوى الموطأ (ثنا مالك) اى الامام (عن ابن شهاب) اى الزهرى (عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه) قال التلمسانى لم يثبت فى رواية يحيى هكذا وانما ارسله ابن شهاب عن محمد بن جبير عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل وارساله هو الصحيح عن مالك فى الموطأ ووصله غيره عن مالك وغيره عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورواه ابن بكير والقعنبى وابن القاسم وعبد الله بن يوسف واسماعيل ابن ابى اويس كيحيى ووصله معن بن عيسى وعبد الله بن نافع وابو مصعب ومحمد بن المبارك الهروى ومحمد بن عبد الرحيم ورواه القعنبى عن مالك مرسلا وعن ابن عيينة مسندا والاكثر عن ابن شهاب عن محمد بن جبير ورواه حماد بن سلمة عن جعفر ابن ابى وحشية عن نافع بن جبير بن مطعم عن ابيه يعنى جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل صحابى اسلم بعد الحديبية قال الحلبى هذا الحديث اخرجه القاضى من الموطأ كما ترى وهو فى البخارى ومسلم وابى داود والنسائى وانما لم يخرجه من عند البخارى مثلا فانه بين القاضى وبين مالك فى هذا الحديث ستة اشخاص ولو اخرجه من طريق البخارى كان بينه وبين مالك فى بعض الطرق ثمانية اشخاص فاجتمع له فى رواية هذا الحديث علو لا يجتمع له اذا رواه من عند البخارى وكذا يجتمع اذا اخرجه من بقية الكتب والله تعالى اعلم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لى خمسة اسماء) اى عظيمة او شهيرة (انا محمد) اسم مفعول من التحميد مبالغة الحمد نقل من الوصفية الى الاسمية سمى به رجاء ان يحمده الاولون والآخرون بالهام الله تعالى وكان كذلك فى الدنيا والعقبى وعن ابن قتيبة ان من اعلام النبوة انه لم يسم قبله احد باسمه صيانة من الله تعالى لاسمه اذ قد سماه به فى كتبه وبشر به الانبياء قبله فلو تسمى به غيره وقع الاشتراك وربما انتشرت دواعى النبوة ووقعت الشبهة وقامت الفتنة لكن لما قرب زمنه وبشر بقرب به اهل الكتاب تسمى به قليلون لم يدع احد منهم النبوة لئلا تقع الشبهة والله تعالى ولى العصمة (وانا احمد) اسم تفضيل بمعنى الفاعل او المفعول كما سيأتى بيانه من المنقول (وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر) اى الكفر العام او غلبته على دين الاسلام ولم يقل به ليعود ضمير الصلة الى الموصول لان قصده الاخبار عن نفسه مع ان ضميرها عبارة عنه فلم يبال بعوده اليه لامن اللبس لديه وقال التلمسانى روى الكفر ومعناه يذهب اصله والتشرع به حتى لا يكون معتقدا ومذهبا وروى الكفر جمع كافر فالتقدير دين الكفرة او نفس الكفرة قتلا وسبيا وجلاء (وانا الحاشر) اى الجامع (يحشر الناس) بصيغة المجهول (على قدمى) بتخفيف الياء وكسر الميم على الافراد اى على سابقى كذا قيل وبتشديدها مع فتح الميم على التثنية قال النووى كذا ضبطوه بالوجهين اى على اثرى وبعد ظهورى وقيامى من قبرى بدليل حديث انا اول من تنشق عنه الارض كما ذكره البغوى فى شرح السنة وبهذا المعنى يغاير قوله (وانا العاقب) اى الآتى عقب الانبياء ليس بعدى نبى فى الصحاح العاقب بمعنى آخر الانبياء وكل من خلف بعد شئ فهو عاقبه وبالجمع بينهما اشار الى حديث نحن الآخرون الاولون وقيل معنى على قدمى على اثرى وزمان نبوتى وليس بعدى نبى بشهادة رواية وانا الحاشر الذى يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون غيره فيكون قوله وانا العاقب كالتأكيد لما قبله (وقد سماه الله فى كتابه محمدا) اى بقوله وما محمد الا رسول ومحمد رسول الله (واحمد) اى بقوله حكاية عن عيسى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد (فمن خصائصه تعالى له) مصدر مضاف الى فاعله اى فمن ما خصه الله سبحانه وتعالى به (ان ضمن) بتشديد الميم اى تضمين الله سبحانه (اسماءه) اى من نحو احمد ومحمد مع انهما اعلام له (ثناءه) اى ما يثنى به عليه (فطوى) بالفاء لا بالواو كما وقع فى اصل الدلجى اى فادخل (اثناء ذكره) اى خلال ذكر اسمه (عظيم شكره) كقوله وانك لعلى خلق عظيم وانك لتهدى الى صراط مستقيم (فاما اسمه احمد فافعل) اى للتفضيل (مبالغة) اى لافادته ثبوت زيادة الحمد وحذف متعلقه لافادة الشمول والا فافعل ليس من صيغ المبالغة كالحماد لكن فى المعنى ابلغ منه (من صفة الحمد) اى مأخوذ منه (ومحمد مفعل مبالغة) اى للمبالغة (من كثرة الحمد) اى المحمودية المستفادة من مصدره الذى هو التحميد الموضوع باعتبار بنائه للتكثير والمبالغة فى التكرير قال التلمسانى وقد ضمن اسمه سورة الحمد انتهى وقد اشار اليه العارف

الجامى حيث قال فى الم الف لام الحمد ميم يعنى بطريق التبديل على قواعد التعمية فيصير المعنى محمد وان الاشارة به فى ذلك اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه الكتاب الجامع واللباب اللامع (فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اجل من حمد) اى اعظمه بفتح فكسر (وافضل من حمد) بضم فكسر اى اكرمه ففيه لف ونشر مرتب لمعنى احمد ومحمد وضبط فى بعض النسخ بعكس ما ذكر فيكون لفا ونشرا مشوشا ولا يبعد ان يكون المعنيان مستفادين من احمد وحده لان افعل قد يبنى للفاعل وقد يبنى للمفعول ويراد بقوله (واكثر الناس حمدا) كون مصدره بمعنى المفعول وان احتمل كونه للفاعل ايضا والحاصل ان صفة الحامدية والمحمودية فيه بلغت غاية الكمال ونهاية الجمال (فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة) اى المسمى بيوم الدين (ليتم له) بفتح ياء وكسر تاء وروى بصيغة المجهول (كمال الحمد ويشتهر) من باب الافتعال وفى نسخة ويتشهر من باب التفعل اى وتظهر هيئته وتنتشر (فى تلك العرصات) بفتح الراء جمع عرصة بسكون الراء وهو فى الاصل كل موضع واسع لابناء فيه من فناء الدار وساحتها وجمع للمبالغة كما فى عرفات والمراد به مقامات يوم القيامة ومواقفها ولا يبعد ان يكون وجه الجمع هو ان كل عرصة مخصوصة بامة (بصفة الحمد) اى العامة للخلق (ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده) اى فى كتابه بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (يحمده فيه الاولون والآخرون بشفاعته لهم) اى عامة وخاصة (ويفتح) اى الله تعالى (عليه فيه) اى فى ذلك المقام (من المحامد) جمع محمدة بمعنى الحمد (كما قال عليه الصلاة والسلام ما لم يعط غيره) اى احد من العالمين (وسمى امته) اى وصفهم (فى كتاب انبيائه بالحمادين) كما فى حديث الدارمى عن كعب يحكى عن التوراة قال نجد مكتوبا فيها محمد رسول الله عبدى المختار لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء يحمدون الله فى كل منزل ويكبرونه على كل شرف رعاة للشمس يصلون الصلاة اذا جاء وقتها يتأزرون على انصافهم ويتوضؤن على اطرافهم مناديهم ينادى فى جو السماء صفهم فى القتال وصفهم فى الصلاة سواء لهم بالليل دوى كدوى النحل (فحقيق) اى واذا اختص بما منحه الحق من مناقب حميدة ومراتب محمودة فجدير (ان يسمى محمدا واحمد) اى لاكثرية حامديته واظهرية محموديته (ثم فى هذين الاسمين) اى العظيمين الوسيمين (من عجائب خصائصه) اى غرائب خصوصياته (وبدائع آياته) اى الدالة على كمال صفاته (فن آخر) اى نوع آخر من انواع كراماته (وهو ان الله جل اسمه حمى) اى حفظ اسمى حبيبه ومنع بالقدرة (ان يسمى بهما احد قبل زمانه) اى لئلا يشاركه احد فى علو شانه كما يشير اليه قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا (اما احمد الذى اتى فى الكتب) اى من نحو الانجيل (وبشرت به الانبياء) كموسى وعيسى عليهما السلام (فمنع الله تعالى بحكمته) اى وبارادته وقدرته (ان يسمى) وفى نسخة يتسمى (به احد غيره) اى على جهة العلمية (ولا يدعى به مدعو قبله) اى على نسبة الوصفية (حتى لا يدخل لبس) بفتح اللام اى التباس واشتباه صورى (على ضعيف القلب) اى عمن ينظر الى مجرد الاسم ولم يتفكر فى حقيقة مسماه (او شك) اى تصورى فى معدن النبوة ومنبع الرسالة فيستوى عنده الاسمان مع ان مسمياهما لا يستويان كما وقع لبعض ارباب العقول الخالية من المعقول والمنقول من التسوية بين اله العالمين وبين الاله المنحوت من الحجر والطين ولهذا قال الله تعالى قل هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور قال الانطاكى وهذا الذى ذكره المؤلف هو الصواب ونقل الحافظ ابو حفص الانصارى عن القشيرى قولا فى تسمية الخضر باحمد ثم قال وقد وهاه ابن دحية والله تعالى اعلم (وكذلك) اى وكاسمه احمد (محمد ايضا) اى حمى (لم يسم) وفى نسخة لم يتسم (به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع) اى باخبار الرهبان وغيرهم (قبيل وجوده عليه الصلاة والسلام وميلاده) اى وقبيل زمان ولادته (ان نبيا) اى عظيم الشان فى آخر الزمان (يبعث) اى يرسل (اسمه محمد فسمى قوم) اى جمع قليل من العرب (ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو) اى اياه يعنى النبى المبعوث (والله اعلم حيث يجعل رسالته) وفى قراءة رسالاته (وهم) اى المسمون بمحمد قبل ميلاده (محمد ابن احيحة) بضم همزة وفتح حائين مهملتين بينهما تحتية ساكنة (ابن الجلاح) بجيم مضمومة وتخفيف اللام فى آخره مهملة وعده من الصحابة ابن عبد البر وابو موسى (الاوسى) بفتح الهمزة نسبة الى قبيلة من الانصار (ومحمد بن مسلمة) بفتح فسكون ففتح (الانصارى) احد بنى حارثة شهد بدرا وغيرها ومات بالمدينة وفى عده منهم نظر ذكره الشمنى وغيره (ومحمد بن براء) بفتح موحدة وتشديد دال مهملة بعدها الف ممدودة وفى نسخة صحيحة بياء موحدة فراء ممدودة وعده من الصحابة ابو موسى (البكرى) بفتح فسكون (ومحمد بن سفيان بن مجاشع) بضم الميم وكسر الشين المعجمة واختلف فى صحبته على ما قاله ابو نعيم وابو موسى قال التلمسانى والصحيح انه لم يسلم (ومحمد بن عمران) بكسر العين

وسكون الميم وفى نسخة حمران بضم الحاء من الحمرة واقتصر عليه التلمسانى (الجعفى) بضم الجيم (ومحمد بن خزاعى) بضم الخاء وبالزاى المعجمة (السلمى) بضم ففتح (لاسابع لهم) وزاد بعضهم على المصنف اسماء اخر لا فائدة فى ذكرها (ويقال اول) وفى نسخة ان اول (من سمى) بصيغة المجهول وفى نسخة تسمى (بمحمد محمد بن سفيان) اى ابن مجاشع التميمى (واليمن تقول) اى واهل اليمن يقولون (بل) وفى نسخة محمد بن سفيان باليمن ويقولون بل (محمد بن اليحمد) اى هو المسمى به اولا واليحمد بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم على ماضبطه المحققون كالنووى وغيره وفى نسخة بفتح الياء وضم الميم وفى اخرى بالفتح والكسر وفى القاموس يحمد كيمنع وكيعلم قال التلمسانى وروى الجمد مصدر حمد (من الازد) بفتح الهمزة وسكون الزاى قبيلة عظيمة فى اليمن فيكون هو السابع على ماهو الشائع (ثم حمى الله تعالى كل من تسمى به ان يدعى النبوة) اى بنفسه (او يدعيه احد له) اى ويتبعه (او يظهر عليه سبب) اى من خرق العادات (يشكك) بكسر الكاف الاولى اى يوقع فى الشك (احدا) اى من اهل زمانه (فى امره) اى شانه (حتى تحققت السمتان) بكسر السين وفتح الميم اى العلامتان الدالتان على المحمدية والاحمدية (له صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى بعض النسخ السيمتان بياء بعد السين والصواب الاول هذا وتحققت بصيغة الفاعل على ماهو المتبادر وضبطه الانطاكى بضم التاء والحاء على بناء المجهول وهو خلاف الظاهر (ولم ينازع) بفتح الزاى اى يعارضه احد (فيهما) اى فى النعتين الموسومين (واما قوله وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر) اى يزيله ربى بسببى (ففسر) بصيغة المجهول اى فبين (فى الحديث) اى نفسه من غير احتياج الى تفسير غيره غايته ان محوه مجمل محتمل كما بينه بقوله (ويكون محو الكفر) اى ذهاب اثره (اما من مكة وبلاد العرب) اى ايام حياته (وما زوى) بضم الزاى وكسر الواو اى قبض وجمع (له من الارض) كما ورد ان الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان امتى سيبلغ ملكها مازوى لى منها (ووعد) بصيغة المجهول (انه يبلغ ملك امته) اى بعد مماته فعلى هذا يكون المحو خاصا (او يكون) حقه ان يقول واما ان يكون (المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة) اى فى الحجة على كل دين وملة فى جميع الامكنة والازمنة (كما قال الله تعالى ليظهره) اى ليغلبه ويعليه والضمير الى دين الحق او الى الرسول المطلق (على الدين كله) اى على الاديان جميعها بمحو ادلتها وبرهانها وظهور بطلانها وابطال سلطانها (وقد ورد تفسيره فى الحديث) اى على مارواه البيهقى وابو نعيم (انه الذى محيت به سيئات من اتبعه) قال الدلجى لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وفيه ان هذا حكم عام غير مختص به عليه الصلاة والسلام فالاولى ان تحمل السيئات على الصغائر والاتباع على معظم الحسنات واجتناب الكبائر بشهادة قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ولا يبعد ان تكون هذه الخصلة من خصائص هذه الملة (وقوله وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى) قد سبق تحقيق مبناه وتدقيق معناه الا انه زاد الموصول هنا ثم لم يقل على قدمه لان قصده الاخبار عن نفسه كما فى قول على * انا الذى سمتنى امى حيدره * واعاده هنا ايضا ليفسره بقوله (اى على زمانى وعهدى) فالمراد بالناس الخلق الاتون بعده كما بينه بقوله (اى ليس بعدى نبى) اى يكونون على عهده وفيه ايماء الى ان عيسى بعد نزوله يكون تابعا له فى دينه وحاكما على وفق قوله كما قال الله تعالى وخاتم النبيين بكسر التاء وفتحها (وسمى عاقبا لانه عقب) بفتح القاف اى خلف (غيره من الانبياء) وجاء بعدهم لتكميل الخير وزيد فى بعض النسخ المصححة هنا وفى الصحيح انا العاقب الذى ليس بعدى نبى (وقيل معنى على قدمى اى يحشر الناس بمشاهدتى) اى بمشهد منى وبمحضر عندى (كما قال الله تعالى لتكونوا شهداء على الناس) اى شاهدين لهم او شاهدين عليهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اى شاهدا ومطلعا او مزكيا ومثنيا وبهذا الذى قررناه دفع قول الدلجى وهذا مخالف لظاهر الاية المفاد فيها بالتعدية بعلى ولو كانت كما زعم لكانت باللام على ان على قد تأتى بمعنى اللام فى الكلام كقوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم وزيد فى بعض النسخ هنا (وقيل على قدمى) اى معناه (على سابقتى) اى سبق قدمى وتقدم قيامى من قبرى وتحقق تقدمى فى مقامى (قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم) اى مراتب تقدم مترتب على تفاوت صدقهم فى حالهم عند ربهم ووقوفهم على قدر مقامهم (وقيل على قدمى اى قدامى وحولى اى يجتمعون الى فى القيامة) يعنى ويلجأون الى فى طلب الشفاعة (وقيل قدمى على سنتى) اى على قدر متابعتى ومقدار طاعتى فى الدنيا ليكون لهم القرب والمنزلة فى العقبى وفى نسخة وقيل قدمى سنتى (ومعنى قوله لى خمسة اسماء) اى مع ان له اسماء كثيرة (قيل انها موجودة) اى الخمسة جميعها مذكورة ومسطورة (فى الكتب المتقدمة) اى بأجمعها (وعند اولى العلم) اى ومشهورة عند العلماء من الانبياء والاصفياء (من الامم السالفة) اى الماضية فهذا وجه تخصيصها (والله اعلم) اى بما اراد نبيه بها (وقد روى) اى كما فى الدلائل لابى نعيم وفى تفسير ابن مردويه من طريق ابى يحيى التيمى وهو وضاع

عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابى الطفيل (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة عليه الصلاة والسلام (لى عشرة اسماء) الجمهور على ان مفهوم العدد ليس بحجة فلا معارضة بينه وبين ماسبق من حديث لى خمسة اسماء (وذكر منها) اى من جملة العشرة (طه ويس حكاه مكى) اى كما سبق واعاده هنا لبيان مبناه وتبيان معناه (وقد قيل فى بعض تفاسير طه انه ياطاهر ياهادى وفى يس ياسيد) ايماء بذكر الحروف الواقعة فى اوائل المسميات الى تلك الصفات غايته انه مع تصريح ياء النداء فى يس وتقديره فى طه (حكاه) اى هذا التأويل (السلمى) بضم ففتح وهو ابو عبد الرحمن محمد بن عبد الخبير صاحب تفسير الحقائق (عن الواسطى) وهو الامام الجليل الصوفى محمد بن موسى (وجعفر بن محمد) اى وعنه ايضا وهو الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر احد اكابر ائمة اهل بيت النبوة (وذكر غيره) اى غير ابى محمد مكى (لى عشرة اسماء فذكر) اى ذلك الغير (الخمسة) اى الاسماء (التى فى الحديث الاول) وهى محمد واحمد والماحى والحاشر والعاقب (قال) اى ذلك الغير فى بيان الخمسة الاخر (وانا رسول الرحمة) الخ واما تفسير الدلجى قال كما رواه ابن سعد عن مجاهد مرسلا فهو وان كان يناسب المقام الا انه ينافى المرام هذا وقد جاء انا رحمة مهداة وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (ورسول الراحة) اى لما يترتب على الراحة الرحمة فى الدنيا والاخرة والاظهر ان المراد بالراحة نفى الكلفة ورفع المشقة عن هذه الامة لقوله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ولقوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج ولقوله عليه الصلاة والسلام عليكم بدين العجائز (ورسول الملاحم) بفتح الميم وكسر الحاء المهملة جمع ملحمة وهو الحرب الشديد واصلها معركة القتال وهى موضعه ولفظ مجاهد فيما رواه ابن سعد عنه مرسلا انا رسول الرحمة انا رسول الملحمة واضيف اليهما لحرصه على المجاهدة المأمور بها ومن ثم قال على كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن احد منا الى العدو اقرب منه ثم لا تعارض بين كونه رسول الرحمة ورسول الملحمة اذ هو سلم لاوليائه وحرب لاعدائه كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين وكالقرآن شفاء ورحمة للمؤمنين وداء ونقمة للمتكبرين وقد قال تعالى فى حقه بشيرا ونذيرا اى للمطيعين والعاصين ولعل رحمته كانت غالبة تخلقا باخلاق ربه حيث قال فى الحديث القدسى والكلام الانسى سبقت رحمتى غضبى كما يشير اليه تقديم البشير فى مقام العموم وهو لا ينافى تقديم الانذار حال خطاب الكفار المفيد فى ذلك المحل تقديم التخويف فتأمل قال التلمسانى وروى ان قوما من العرب قالوا يارسول الله افنانا الله تعالى بالسيف فقال ذلك انى لا آخركم فهذا معنى الرحمة المبعوث بها صلى الله تعالى عليه وسلم والله تعالى اعلم (وانا المقتفى) بصيغة الفاعل من باب الافتعال وفى نسخة المقفى بضم ففتح فتشديد فاء مكسورة بصيغة الفاعل كما صرح به شمر وهو انسب بقوله (قفيت) بتشديد الفاء وفى نسخة بتخفيفها وفى نسخة قفوت (النبيين) اى جئت بعدهم وتبعت هديهم او اريد به المولى الذاهب والمعنى انه آخر النبيين فاذا قفى فلا نبى بعده واما قول الدلجى قال الله تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا فيوهم ان الوصف بصيغة المفعول وليس كذلك (وانا قيم) بتشديد الياء المكسورة (والقيم الجامع) اى للخير (الكامل) اى للفضائل والفواضل فى تحسين الشمائل (كذا وجدته) اى بخط بعض العلماء او فى تصنيف بعض العلماء (ولم اروه) اى عن احد من ائمة الحديث فى طريق الانباء لكن رواه الديلمى فى فردوسه ولم يسنده فى مسند الفردوس وفى النهاية حديث اتانى ملك فقال انت قيم وخلقك قيم اى حسن مستقيم (وارى) بفتح الهمزة والراء اى اذهب او بضم الهمز وفتح الراء اى واظن (ان صوابه قثم بالثاء) اى المثلثة المفتوحة بعد القاف المضمومة وهو غير مصروف لانه معدول عن قاثم وهو المعطى (كما ذكرناه بعد) اى كما سيأتى ذكره بعد ذلك (عن الحربى) اى منه ولا عنه بلفظ قثم بالمثلثة وهو المأخوذ من القثم بمعنى الجمع كما اشار اليه بقوله (وهو اشبه) اى من حيث اللفظ (بالتفسير) اى الذى سبق قريبا من قوله الجامع الكامل واستحسن كلامه الحلبى ولا يبعد ان تكون الروايتان ثابتتين وكون احداهما اشبه بالتفسير لا يفيد صوابها وتصحيف غيرها مع انه قد يكون التفسير حاصل المعنى لا اصل المبنى على ان قوام الشئ واستقامته لا يكون الا بكماله وجامعيته فى حد ذاته ويؤيد ما قررناه ويقوى ما حررناه قوله (وقد وقع ايضا) اى القيم بالتحتية (فى كتب الانبياء) اى الماضية ومنها رواية المصنف (قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة) اى مقومها بطريق الوفرة (بعد الفترة) اى الفتور فى الطاعة (فقد يكون القيم بمعناه) اى بمعنى المقيم الوارد بمعنى المقوم كما فسر الدعاء الوارد اللهم انت قيم السموات بمعنى مقومها ومقيمها ومديمها وقد ابعد الدلجى فى تقييد قوله معناه بالمثلثة (وروى النقاش عنه عليه الصلاة والسلام لى فى القرآن) اى مذكور ومسطور (سبعة اسماء محمد) وهو قوله تعالى محمد رسول الله (واحمد) وهو قول عيسى عليه السلام يأتى من بعدى اسمه احمد (وطه ويس) وفى نسخة تقديم وتأخير بينهما وسبق بيانهما (والمدثر والمزمل) اى فى اوائل

سورهما (وعبد الله) كما فى قوله سبحانه وتعالى وانه لما قام عبد الله ولعله اقتصر عليهما لشهرتهما والا فله فيه اسماء كثيرة كالنبى والرسول والخاتم والحريص والعزيز والرؤف والرحيم وامثال ذلك مما يدل على صفات له هنالك (وفى حديث) اى ثابت (عن جبير) بالتصغير (ابن مطعم) بضم ميم وكسر عين (رضى الله تعالى عنه هى) اى اسمائى (ست) الظاهر ستة ولعل وجه التذكير تأنيث الضمير (محمد واحمد وخاتم) بكسر التاء وفتحها (وعاقب وحاشر وماح) اسم فاعل من المحو وقد سبق معانيها فى ضمن مبانيها (وفى حديث ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه) كما رواه مسلم (انه كان عليه الصلاة والسلام يسمى لنا نفسه اسماء) اى متعددة (فيقول انا محمد واحمد والمقفى) بكسر الفاء المشددة اى الذاهب المولى فمعناه آخر الانبياء والمتبع لهم كالقفا فكل شئ يتبع شيأ فقد قفاه (والحاشر) اى الجامع للحشر والباعث للنشر (ونبى التوبة) اى من حيث انه يتوب على يده جمع كثير من اهل دينه اولان توبة هذه الامة حاصلة بمجرد الندامة وما يتبعها من العلامة بخلاف توبة الامم السالفة فانها كانت بارتكاب الامور الشاقة اوانه كثير التوبة بالرجعة والاوبة لحديث البخارى انى لاستغفر الله تعالى فى اليوم مائة مرة اولان باب التوبة يغلق فى آخر هذه الملة (ونبى الملحمة) بفتح الميم والحاء القتال العظيم وهو كقوله بعثت بالسيف (ونبى الرحمة ويروى المرحمة والراحة) روايات اربع (وكل) اى من الالفاظ المذكورة (صحيح ان شاء الله تعالى) اى كما يأتى وجوهها مسطورة (ومعنى المقفى معنى العاقب) وقد سبق بيانه وقيل المتبع للنبى (واما نبى الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) يعنى والرحمة مرادفة للمرحمة ومتضمنة للراحة ومتسببة عن التوبة (وكما وصفه) اى سبحانه وتعالى (بانه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه منعوتا بالرحمة الموجبة للراحة والباعثة على التوبة المقتضية للمرحمة (يزكيهم) اى يطهر امته عن دنس المعصية (ويعلمهم الكتاب والحكمة) اى السنة وكلها اسباب الرحمة وبواعث التوبة (ويهديهم الى صراط مستقيم) اى ويدلهم على دين قويم (وبالمؤمنين رؤف رحيم) اى وعلى العاصين كافة كريم حليم (وقد قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (فى صفة امته انها امة مرحومة) اى مغفور لها امتاب عليها كما رواه الحاكم فى الكنى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بسند ضعيف ورواه ابو داود والطبرانى والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى شعب الايمان بسند صحيح امتى هذه امة مرحومة ليس عليها عقاب فى الآخرة انما عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا (وقد قال تعالى فيهم) اى فى حقهم اصالة وفى حق غيرهم تبعا حيث نزل فيهم (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) اى بموجبات الرحمة اوبها كافة على البرية (اى يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه الصلاة والسلام ربه تعالى) اى على وجه الاكرام (رحمة لامته) اى خاصة (ورحمة للعالمين) اى عامة اذهو رحمة للكفار من عذاب الاستئصال فى هذه الدار (ورحيما لهم) اى بخصوصهم وعمومهم بحسب استحقاقهم (ومترحما) اى متكلفا لاظهار الرحمة اومبالغا فى استنزال المرحمة (ومستغفرا لهم) اى طالبا المغفرة لذنوب امة الاجابة وتوفيق الايمان لامة الدعوة (وجعل) اى الله سبحانه وتعالى (امته امة مرحومة) اى لكونه نبى الرحمة (ووصفها بالرحمة) اى بكونها راحمة كما قال تعالى رحماء بينهم لكونه نبى الرحمة فهم جامعون بين الراحمية والمرحومية كما يشير اليه قوله (وامرها بالتراحم) اى بان يترحم بعضهم على بعض (واثنى عليه) اى ومدح التراحم وبالغ فيه ليكون سببا لرحمته سبحانه وتعالى عليهم وفى نسخة واثنى عليها اى على صفة الرحمة (فقال ان الله يحب من عباده الرحماء) كما رواه الشيخان عن اسامة بن زيد الا انه بلفظ يرحم بدل يحب (وقال) اى فى حديث آخر رواه ابو داود والترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم) بالجزم والرفع (من فى السماء) اى من الملأ الاعلى اومن فى السماء ملكه وعرشه اومن هو معبود فى السماء زاد الترمذى والرحم شجنة من الرحمن اى قطعة مأخوذة من صفة الرحمن من وصلها وصله الله تعالى ومن قطعها قطعه الله تعالى وهو حديث مسلسل بالاولية لبعض ارباب الرواية لكن اسانيده غير صحيحة عند اصحاب الدراية لانقطاع التسلسل من عمرو بن دينار عن ابى قابوس عن مولاه ابن عمرو (واما رواية نبى الملحمة) على ما اخرجه ابن سعد عن مجاهد (فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف) اى وضرب السيف بعد انقطاع المقال وثبوت الحجة ووضوح المحجة حال الجدال بسببه (صلى الله تعالى عليه وسلم وهى) اى هذه الرواية او الاشارة (صحيحة) وعلى تصحيح المدعى صريحة قال تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (وروى حذيفة مثل) حديث (ابى موسى) كما رواه احمد والترمذى فى الشمائل (وفيه) اى وفى حديث حذيفة (نبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم وروى الحربى) اى كابى نعيم فى الدلائل عن يونس بن ميسرة (فى حديثه عليه الصلاة والسلام انه قال اتانى ملك فقال) اى لى كما فى نسخة (انت قثم) بالمثلثة (اى مجمع) يعنى لانواع العطاء فان القثم هو الاعطاء (قال) اى الحربى (والقثوم) بفتح القاف (الجامع للخير) يروى والقثم ويؤيده قوله (وهذا) اى قثم

(اسم هو فى اهل بيته عليه الصلاة والسلام معلوم) اى عند اهله وهو قثم بن العباس وقثم عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا هذا وقال التلمسانى والجامع اما للخير او ما افترق فى غيره اوجمع الله به شمل الامة وكان قد افترق الملأ ثم قال وقثم عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شقيق الحارث بن عبد المطلب وبه سميت محلة بسمرقند لانه دفن فيها انتهى والصحيح ان قثم عمه مات صغيرا وان المحلة التى بسمرقند دفن فيها قثم بن العباس على ماذكره المغرب ونقله الانطاكى (وقد جاءت من القابه عليه الصلاة والسلام) وهى الصفات الغالبة عليه (وسماته) بكسر اوله جمع سمة وهى العلامة (فى القرآن) اى نعوته المعلمة المعلومة فيه مما نسب اليه (عدة كثيرة) اى جملة معدودة مبينة لديه (سوى ماذكرناه) اى وبيناه قررناه (كالنور) اى فى قوله تعالى قد جاءكم من الله نور (والسراج المنير) اى فى قوله تعالى وسراجا منيرا (والمنذر) اى فى قوله تعالى وتنذر يوم الجمع وليكون من المنذرين (والنذير والمبشر) اى فى قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (والبشير) قال تعالى فقد جاءكم بشير ونذير (والشاهد) كما سبق او قوله تعالى وشاهد ومشهود (والشهيد) قال تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (والحق المبين) لقوله قد جاءكم الحق من ربكم وهو اولى من قول الدلجى لما فى حديث البخارى اللهم انت قيم السموات والارض ومن فيهن وفيه ومحمد حق اذ فيه ان هذا ليس فى القرآن والكلام فى اسماء مذكورة فيه مع انه خبر عنه لا وصف له كما فى بقية الحديث والجنة حق والنار حق الا ان حق المصنف كان ان يقول والمبين بالعطف للاشارة الى انهما وصفان مستقلان وللاشعار الى قوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم فان وصفه عليه الصلاة والسلام بمجموع الحق المبين غير معروف لا فى الكتاب ولا فى السنة ولعله ذكرهما بحذف العاطف (وخاتم النبيين) كما قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين وهو بفتح التاء على الاسم اى آخرهم وبالكسر على الفاعل لانه ختم النبيين فهو خاتمهم ذكره الانطاكى والتحقيق ان المراد بالفتح ما يختم به من الطابع فقوله اى آخرهم حاصل المعنى لا حل المبنى (والرؤف الرحيم) جمع بينهما من غير عاطف كما جاء فى الاية بالمؤمنين رؤف رحيم والرأفة شدة الرحمة فاخر لمراعاة الفاصلة او للتعميم والتتميم (والامين) لقوله تعالى عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين على احد القولين فى تفسيره ولحديث انى لامين فى السماء امين فى الارض وكان قبل البعثة يسمى امينا (وقدم الصدق) اى من حيث انه اوحى اليه ان يبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم فهو اولى بهذا الوصف من غيره وكان حق المصنف ان يأتى به منكرا على طبق وروده وقيل سمى قدم صدق لانه يشفع لهم عند ربهم (ورحمة للعالمين) لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (ونعمة الله) اى انعم به على من آمن به فى الدارين ذكره الدلجى والاولى ان يستدل لقوله تعالى وبنعمة الله هم يكفرون كما قاله المفسرون (والعروة الوثقى) اى من حيث ان من آمن به فقد تمسك من الدين بعقد وثيق لا تحله شبهة ذكره الدلجى والاظهر لقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى اى بعهد المصطفى وذمة المجتبى قال الانطاكى قيل انه محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هو الاسلام (والصراط المستقيم) اى من حيث هداية من آمن به اليه ودلالته عليه كذا ذكره الدلجى ولعله مأخوذ من قوله تعالى يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم اى الى نبى كريم ودليل قويم قال الانطاكى قوله الصراط المستقيم قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو طريقه عليه الصلاة والسلام وقيل هو طريق الجنة وقيل طريق اهل السنة والجماعة وقيل هو الاسلام وقيل هو القرآن انتهى والكل متقارب البيان فى معرض البرهان وزيد فى نسخة هنا طه ويس وهى غير صحيحة لقول المصنف سوى ماذكرناه وقد ذكرهما فيما قدمناه وحررناه (والنجم الثاقب) اى المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه بظهوره وهو مأخوذ من قوله تعالى والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ولعل فى ايراده ايماء الى انه مشبه به (والكريم) قال تعالى انه لقول رسول كريم (والنبى الامى) اى الذى لا يقرأ ولا يكتب قال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى (وداعى الله) لقوله تعالى وداعيا الى الله باذنه ولقوله سبحانه وتعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وكان الاظهر ان يقال والداعى الى الله ثم رأيت قوله تعالى اجيبوا داعى الله قال البغوى يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (فى اوصاف كثيرة) اى مع صفات اخر كثيرة (وسمات جليلة) اى نعوت عظيمة شهيرة (وجرى منها) اى من اسمائه (فى كتب الله المتقدمة) كالتوراة والزبور والانجيل (وكتب انبيائه) اى الماضية من الصحف الوافية (واحاديث رسوله) اى الثابتة (واطلاق الامة) اى من العلماء والائمة (جملة شافية) فاعل جرى اى جملة من الاسماء والصفات شافية فى حصول المهمات (كتسميته بالمصطفى) وهو وان شاركه سائر الرسل حيث قال الله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس الآية الا انه هو الفرد الاكمل من هذا الجنس الافضل وكذا قوله (والمجتبى) من قوله تعالى الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب (وابى القاسم)

وهو كنية بولده القاسم (والحبيب) لما سبق من حديث الا وانا حبيب الله (ورسول رب العالمين)
فانه اولى من يطلق عليه من بين المرسلين (والشفيع المشفع) اى المقبول شفاعته التى تعم امته وسائر اهل
محبته (والمتقى) اسم فاعل من الاتقاء واصله الموتقى من الوقاية وهو من يقى نفسه مما يوجب العذاب ومما يقتضى
الحجاب (والمصلح) اى لما افسده غيره من امر الدين ففى التوراة ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء اى ملة
ابراهيم وسميت عوجاء لتغيير العرب اياها (والطاهر) اى بحسب الباطن والظاهر (والمهيمن) اى المبالغ
فى المراقبة لاحوال الامة (والصادق) اى قولا ووعدا وفعلا (والمصدوق) اى من يأتيه الصدق من عند ربه
شهادة فى حق امره (والهادى) اى الخلق الى الحق (وسيد ولد آدم) من المبدأ والمختم عموما (وسيد المرسلين) اى
خصوصا (وامام المتقين) اى من الاولياء الصالحين والعلماء العاملين (وقائد الغر) بضم الغين وتشديد الراء
اى بيض الوجوه من آثار انوار الوضوء اطلاقا لاسم الجزء على الكل اذ الغرة بياض الجبهة قدر الدرهم (المحجلين)
بتشديد الجيم المفتوحة اى المبيضين ايديا وارجلا من انوار الطهارة وآثار العبادة (يوم القيامة) وفيه اشارة
الى ما استدل به الائمة على ان الوضوء من خصائص هذه الامة وقيل لا وانما المختص الغرة والتحجيل لحديث
هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى واجيب بضعفه وعلى فرض صحته احتمل ان يكون الانبياء اختصوا بالوضوء
دون اممهم (وخليل الرحمن) لحديث مسلم وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا يعنى نفسه (وصاحب الحوض المورود)
اى يوم القيامة وقد ورد فيه احاديث صحيحة وفى بيان اختصاصه صريحة (والشفاعة) اى العظمى (والمقام
المحمود) عطف تفسير او مغاير ان اريد بالشفاعة جنسها الشامل لجميع انواعها (وصاحب الوسيلة) لحديث
مسلم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل لى
الوسيلة حلت عليه الشفاعة (والفضيلة) اى المرتبة على مرتبة الوسيلة لحديث الشيخين من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته
حلت له شفاعتى يوم القيامة وفى رواية النسائى وابن حبان والبيهقى المقام المحمود (والدرجة الرفيعة) اى العالية
(وصاحب التاج) اى الخاص به فى الجنة يلبس فيها ليمتاز به عن اهلها فقد روى ابو داود عن سهل بن معاذ
عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ القرءآن وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه احسن من ضوء
الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بهذا الحديث فما ظنكم بالذى جاء به ونزل عليه وهو
سيد الاولين والآخرين وما ابعد الدلجى وغيره حيث فسروا التاج بالعمامة وقالوا كانت اذ ذاك خاصة بالعرب
فهى تيجانهم ومن ثم قيل العمائم تيجان العرب انتهى وتعبيره بقيل غير مرضى اذ ورد فى حديث رواه الديلمى
فى مسند الفردوس عن على وابن عباس مرفوعا (والمعراج) اى وصاحبه الخاص به (واللواء) لحديث آدم
ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة (والقضيب) اى السيف فعيل بمعنى الفاعل من قضب اذا قطع وقيل العصا
فهو فعيل بمعنى المفعول لانه مقطوع من الشجر (وراكب البراق) اى فى ليلة الاسراء (والناقة) اى وراكبها
فى حجة الوداع وغيرها (والنجيب) عطف تفسير للناقة فانه عرفا يطلق على الخفيف السريع من الابل ولعله زيد لمراعاة
السجع فى مقابلة القضيب (وصاحب الحجة) اى القاطعة (والسلطان) اى السلطنة الغالبة والدولة القاهرة
(والخاتم) اى وصاحب الخاتم بفتح التاء وهو بخاتم النبوة اقرب وبكسرها وهو بملبوس اليد انسب واما قول
الدلجى لان الله تعالى ختم به انبياءه بشهادة وخاتم النبيين اى آخرهم فليس فى محله اذ يأباه اضافة الصاحب
اليه (والعلامة) اى وصاحب العلامة الدالة على نبوته وادامته وكم من علامة ظاهرة على رسالته وكرامته
(والبرهان) اى صاحب البرهان الظاهر والتبيان الباهر (وصاحب الهراوة) بكسر الهاء اى العصا وهو القضيب
قاله سطيح واراد به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ كان كثيرا ما تحمل بين يديه ويمسكها ويمشى بها وتغرز له فيصلى
اليها وقد افردت رسالة لها وقال الهروى الهراوة هى العصا الضخمة وتبعه الجوهرى (والنعلين) اى وصاحبهما
اذ كان يمشى بهما واما ما قيل يا خير من يمشى بنعل فرد اى طاق واحدة لم تخصف مع غيرها على عادة عرب البادية وهم
يمدحون رقته ويجعلونه من لباس الملك ونعمته (ومن اسمائه فى الكتب) اى من التوراة وغيرها (المتوكل) اى على ربه
دون غيره فى جميع امره (والمختار) اى من بين البرية (ومقيم السنة) كما ورد عن داود اللهم ابعث مقيم السنة اى مظهر
الملة (والمقدس) اى المنزه عن المنقصة (وروح القدس) بضم الدال وسكونها وسمى به لمجيئه بما فيه حياة الارواح التى
بها قوة الاشباح (وروح الحق) لاحياء الحق به فهو بمنزلة روحه (وهو معنى البارقليط) بالباء الموحدة وبفتح الراء
وتكسر وبسكون القاف وقد تسكن الراء وتفتح القاف وكسر اللام بعدها ياء مثناة ساكنة فطاء مهملة (فى الانجيل)

اى باللغة العبرانية قيل واكثر النصارى على ان معناه المخلص (وقال ثعلب) هو العلامة المحدث شيخ اللغة والعربية ابو
العباس احمد بن يحيى البغدادى المقدم فى نحو الكوفيين مات سنة احدى وتسعين ومائتين (البارقليط الذى يفرق بين
الحق والباطل) اى فرقا مبينا وفصلا معينا بحيث لا يشتبه احدهما بالآخر اصلا وقطعا (ومن اسمائه فى الكتب السالفة)
باللام والفاء اى السابقة (ماذ ماذ) بفتح ميم فالف فذال معجمة منونة فيهما وفى نسخة بضم الذال من غير تنوين
على انه غير مصروف للعلمية والعجمة وفى نسخة بسكون الذال ولعله اجراء للفصل مجرى الوصل قال الحلبى ماذ بميم
ثم الف لا همزة ثم ذال معجمة ساكنة كذا فى النسخة التى وقفت عليها وينبغى ان تضم الذال لانه لا ينصرف للعجمة
والعلمية اى انت ماذ او يا ماذ وان كان فى الاصل صفة انتهى وفيه بحث لا يخفى واما ما ضبطه الدلجى بميم مضمومة
فاشمام الهمزة ضمة بين الواو والالف ممدودة فغيره طابق للرواية وغير موافق للدراية ثم رأيت الحجازى نسبه الى
السهيلى منقولا عن رجل اسلم من علماء بنى اسرائيل قال (ومعناه طيب طيب) ولعل التكرار كناية عن غاية من الطيب
فان الظاهر ان مجموع اللفظين هو الاسم (وحمطايا) بكسر الحاء المهملة وفتحها وسكون الميم وطاء مهملة ثم ياء
تحتية وفى نسخة بفتح الحاء والميم مشددة اى حامى الحرم ومحمى الحرم وفى النهاية لابن الاثير ما لفظه وفى حديث
كعب انه عليه الصلاة والسلام فى الكتب السابقة محمد واحد وحياطا كذا بفتح الحاء وسكون الميم فياء تحتية
بعدها الف فطاء فالف قال ابو عمرو وسألت بعض من اسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمى الحرم ويمنع من الحرام
ويوطئ الحلال انتهى (والخاتم) بالخاء المعجمة (والحاتم) بالحاء المهملة وهذا هو المطابق للنسخ المعتمدة والحواشى
المعتبرة وهو الموافق لترتيب ما سيأتى من معنيهما وعكس الحلبى فى ضبطهما فقال الحاتم بالحاء المهملة
والخاتم هذا بالخاء المعجمة (حكاه كعب الاحبار) وقد سبق عنه الا انه بلفظ حياطا (وقال) الاظهر قال (ثعلب)
كما فى اصل الحلبى والدلجى (فالخاتم) اى بالمعجمة وفتح التاء او كسرها (الذى ختم الله به الانبياء والحاتم) اى بالمهملة
وكسر التاء لا غير وهو من له السماحة والملاحة والحلاوة والرحمة والراحة (احسن الانبياء خلقا) بفتح الخاء اى
صورة وبشاشة (وخلقا) بضم الخاء اى سيرة ولطافة (ويسمى) اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم (بالسريانية) بضم
السين وسكون الراء وبتشديد الياء الثانية وهى اللغة الاولى التى تكلم بها آدم والانبياء والالسنة ثلاثة سريانى
وعبرانى وعربى وهو لاهل الجنة وفى الموقف سريانى قال السيوطى وسؤال القبر بالسريانية اقول ولعله مختص
بالامم الماضية لئلا يخالف ظواهر الاحاديث الواردة واما العبرانية فسميت بذلك لان ابراهيم عليه السلام انما نطق
بالعبرانية حين عبر النهر فارا من النمرود وقد كان النمرود قال للطلاب الذين ارسلهم فى طلبه اذا وجدتم من يتكلم
بالسريانية فردوه فلما ادركوه استنطقوه فحول الله لسانه عبرانيا ذكره السهيلى (مشفح) بضم ميم وفتح شين معجمة
ففاء مشددة مفتوحة فحاء مهملة منونة وفى نسخة بالقاف بدل الفاء وهو اصل الحاشية الحجازية ولا يعرف له
معنى فى العربية واما قول الدلجى غير منصرف للعلمية والعجمة فغير ظاهر لانه مع مخالفته للنسخ المصححة غير صريح
فى العلمية بل ظاهر فى الوصفية (والمنحمنا) بضم ميم فنون ساكنة فحاء مهملة مفتوحة فميم مكسورة فنون
مشددة مفتوحة وهو مقصور كذا فى النسخ بالقلم ذكره الحلبى وتبعه الدلجى وعبر عنه بقيل ثم قال وقيل جميع حروفه
مفتوحة الا المهملة فساكنة انتهى وهو اصل صحيح من النسخ المعتمدة وفى نسخة بضم الميم الاولى وكسر الميم الثانية
وضبطه الحجازى بفتح الميم والمهملة وسكون النون الاولى وتشديد الثانية ثم فى آخره الف فى اكثر النسخ وفى بعضها ياء
مبدلة من الف كالمستصفى هذا وقد قال ابو الفتح اليعمرى فى سيرته والمنحمنا بالسريانية هو محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم قال الحلبى وهذا الكلام يحتمل معنيين احدهما ان يكون معناه بالسريانية محمد بالعربية ويحتمل غير ذلك
قلت وفى سيرة ابن سيد الناس هو بالسريانية اسم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى المعنى الثانى اظهر فتدبر
وقال ابن اسحق هو بالزنجانية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (واسمه ايضا فى التوراة احيد) بفتح همزة فسكون
حاء مهملة فكسر تحتية فدال مهملة مضمومة غير منونة وفى نسخة بضم الهمزة وكسر الحاء وسكون الياء
التحتية وفى نسخة وهى موافقة لما ذكره الحلبى بضم فسكون ففتح وفى اخرى بضم ففتح وفى اخرى بكسر التحتية وهى التى
اقتصر عليها الدلجى وفى اخرى بضم ففتح فسكون وفى اخرى بفتح فسكون ففتح وهو مختار الحلبى وصوبه الانطاكى
لحديث اورده ابو حذيفة اسحق بن بشر فى كتاب سماه المبتدأ واسنده الى ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام قال اسمى
فى القرءآن محمد وفى الانجيل احمد وفى التوراة احيد قال سميت احيد لانى احيد امتى عن نار جهنم يوم القيامة انتهى
ووجه تصويبه غير ظاهر كما لا يخفى (روى) وفى نسخة وروى (ذلك) اى كون اسمه فى التوراة احيد (عن ابن سيرين)
وهو تابعى جليل وكان ثقة حجة كثير العلم والورع قيل كان يصوم يوما ويفطر يوما وله سبعة اوراد فى اليوم والليلة

هذا وقد قال المصنف بعد ما نقل من المبنى فى الاسماء (ومعنى صاحب القضيب اى السيف) يعنى بدليل انه (وقع ذلك) اى اللفظ (مفسرا فى الانجيل) اى مبينا بقرينة اقترانه بما يدل عليه (قال) اى الله سبحانه وتعالى فى الانجيل عند نعته عليه الصلاة السلام (معه قضيب من حديد) اى معه سيف حديد مشابه للقضيب طولا وعرضا وطراوة ولطافة او سيف قاطع من حديد حاد (يقاتل به) بكسر التاء اى يجاهد به اعدآءه (وامته كذلك) اى معهم قضبان يقاتلون بها اعدآءه ويتابعون اهوآءه ويتبعون اقتدآءه (وقد يحمل) اى القضيب فى الحديث (على انه القضيب الممشوق) اى الطويل الدقيق (الذى كان يمسكه عليه الصلاة والسلام) اى بيده حال القيام وعند خطبته للانام وموعظته لاصحابه الكرام (وهو الآن عند الخلفاء) اى وكانوا يتداولونه واحدا فواحدا على سيرة الخطباء (واما الهراوة التى وصف بها) اى بكونه صاحبها وحاملها (فهى فى اللغة العصا) اى مطلقا او الضخمة على ما ذكره الجوهرى ثم الهروى (واراها) بضم الهمزة اى واظنها ان المراد بها ههنا (والله تعالى اعلم العصا المذكورة فى حديث الحوض) اى حيث قال (اذود) بضم الذال المعجمة اى ادفع وامنع واطرد (الناس) اى العصاة (عنه) اى عن حوضى (بعصاى) اى التى فى يدى حينئذ (لاهل اليمن) اى اذود الناس لاجلهم حتى يتقدموا وفى هذا كرامة لاهل اليمن فى تقديمهم للشرب منه مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم فى الاسلام وفى نسخة لاهل اليمين وهى رواية مسلم فى المناقب وهى التى جعلها الدلجى اصلا والحلبى صوبها وقال المراد بها الجهة المعروفة عن يمين الكعبة انتهى والاظهر ان المراد باهل اليمين اصحاب اليمين من ارباب الجنة ويدخل فى عمومهم اهل اليمن وخص بهم لان السابقين يفهم منه بالاولى كما لا يخفى هذا وقد ضعف النووى هذا الظن من القاضى بان المراد من وصفه بها تعريفه بصفة يراها الناس معه ويستدلون بها على صدقه وانه المبشر به المذكور فى الكتب السالفة فلا يصح تفسيرها بعصا تكون فى الآخرة فالصواب ما قاله الائمة فى تفسير كونه صاحبها انه يمسك القضيب بيده كثيرا وقيل لانه كان يمشى والعصا بين يديه وتغرزله فيصلى اليها وهذا فى الصحيح مشهور كذا ذكره الدلجى وقرره ثم التلمسانى حيث قال وتعقبه النووى بان هذا ضعيف وباطل الى آخر ما ذكره واقول لعل وجه ما اختاره المصنف هو الاحرى بحمل هذا النعت على الدار الآخرة لان اخذ العصا من سنن الانبياء فى الدنيا فاذا لم يحمل على هذا المعنى لم يتميز عن اخوانه بالوصف الاول بخلاف الصفة الاولى فانه النعت المختص به فى العقبى لا سيما وعامة العرب لا يمشون الا بالعصا فلا يصلح ان يكون علامة لخاتم الانبياء مع ان اخذه اياها انما كان احيانا ثم لا يلزم من ذكر نعوته فى الكتب السابقة ان لا يكون بعضها متعلقا بالدار الآخرة وبعضها بالاحوال السابقة (واما التاج فالمراد به العمامة) فيه بحث فان المراد به غير معلوم الا لرب العباد واما باعتبار اللغة والعرف فهو مستعمل فى غير العمامة على اختلاف فى عرف العامة واما ما ورد فى الحديث فظاهره انه اراد المعنى المجازى حيث نزل العمامة منزلة التاج واقامها مقامه فى مرتبة الوقار والرواج كما يدل عليه او يشير اليه قوله (ولم تكن) اى العمامة (حينئذ) اى حين وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم (الا للعرب) اى وكان الناس كلهم اصحاب التيجان اما مع العمامة او بدونها (والعمائم) اى بدون التيجان (تيجان العرب) اى اكتفاؤهم بها عن غيرها وفيه اشعار بانهم من اهل القناعة الدنيوية وموصوفون بعدم التكلف فى موجبات الرعاية العرفية والحاصل ان الاصح ان يراد بقوله صاحب التاج تاج الكرامة يوم القيامة كما قدمناه (واوصافه) اى نعوته من اسمائه (والقابه) اى المشعرة بانواع مدحه وثنائه (وسماته) بكسر السين اى شمائله وعلامات فضائله (فى الكتب) اى الماضية والمتقدمة (كثيرة وفيما ذكرناه منها) اى وان كانت قليلة يسيرة (مقنع) بفتح الميم والنون اى محل كفاية ومكان قناعة (ان شاء الله تعالى) اذا احصاؤها غير ممكن كما لا يخفى (وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم) لحديث البخارى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى السوق فقال رجل يا ابا القاسم فالتفت اليه فقال انما دعوت هذا فقال سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى ولعل وجهه انه كان يدعى بالكنية تعظيما ولا يدعى باسمه للنهى الوارد عنه نكره بما وزيد فى رواية فانى انما جعلت قاسما اقسم بينكم وفيه اشارة الى ان المراد بابى القاسم هو الموصوف بهذا الوصف وهو لا ينافى كونه ابا لولد له مسمى بالقاسم (وروى عن انس رضى الله تعالى عنه) كما فى مسند احمد والبيهقى (انه لما ولد له ابراهيم) اى ابن نبينا عليه الصلاة والسلام من مارية (جاءه جبريل عليه السلام فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم) فهى كنيته ايضا وهو يحتمل انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد سمى ولده ابراهيم قبل نزول جبريل عليه السلام ويحتمل ان تكون تسميته وقعت فى ضمن تكنيته اثناء تهنئته وفى الجملة صار صلى الله عليه وسلم ابا ابراهيم كما كان ابوه ابراهيم فكانه صلى الله عليه وسلم احيى اسم جده عليهما الصلاة والسلام ثم قيل وكنيته ايضا ابو الارامل وهو لقب فى المعنى وان كان كنية فى المبنى فان معناه مراعى الارامل ومحافظ احوالهن ومتفقد مالهن والله سبحانه وتعالى اعلم

(فصل)

(فى تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى) تأنيث الاحسن لان الاسماء فى معنى الجماعة (ووصفه به من صفاته العلى) بضم العين جمع العليا ووصفه بفتح الواو والصاد والفاء عطفا على سماه ويحتمل كونه مصدرا معطوفا على تشريف الله (قال القاضى ابو الفضل) يعنى المصنف نفسه (وفقه الله) اى لما يحبه ويرضاه (ما احرى هذا الفصل) بالنصب فان الصيغة للتعجب اى ما احقه واخلقه واجدره واليقه (بفصول الباب الاول) اى من هذا الكتاب وهو المعنون بالفصل فى ثناء الله عليه واظهار عظيم قدره لديه كما اشار فى ضمن تعليله وجه الاحرى اليه بقوله (لانخراطه) اى لانضمامه (فى سلك مضمونها وامتزاجه) اى اختلاطه (بعذب معينها) بفتح ميم وكسر عين اى بحلومائها وعلو صفائها (لكن لم يشرح الله) وفى نسخة لكن الله لم يشرح (الصدر للهداية الى استنباطه) اى استخراجه من اماكنه وهو استدراك على وجه الاعتذار عما فاته من جعل هذا الفصل من تلك الفصول المناسبة لهذه الاسرار المتضمنة للانوار (ولا انار الفكر) بالنون اى لا اشرقه ولا اضاءه وفى نسخة بالثاء المثلثة اى ولا بعثه ولا هيجه (لاستخراج جوهره والتقاطه) اى من بحره وبره الشامل لعموم كرم علمه وبر حلمه (الا عند الخوض) اى الشروع والدخول (فى الفصل الذى قبله) اى فشرح الصدر للهداية الى ذلك اولا على وفق ما هنالك (فرأينا ان نضيفه اليه) اى نعقبه له زيادة عليه (ونجمع به شمله) اى تفرقه عند حصوله لديه (فاعلم) اى ايها الطالب الراغب (ان الله تعالى خص كثيرا من الانبياء) اى الذين هم من جملة الاصفياء (بكرامة خلعها) اى القاها (عليهم) وفى نسخة عليه وعليهم اى البسهم خلعة الكرامة الواصلة اليهم والحاصلة لديهم وفى نسخة جعلها اى صيرها اعلاما عليهم (من اسمائه) بان ذكرهم بصفات هى مبادى اشتقاق وصف له واخذ من بنائه (كتسمية اسحق واسماعيل) اى ابنى ابراهيم الخليل على خلاف فى المراد بالمبشر به من احد اولاد الخليل وكان الاولى تقديم اسماعيل لانه اكبر ولكونه جد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولموافقة قوله سبحانه وتعالى الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق (بعليم) فى قوله تعالى وبشروه بغلام عليم (وحليم) فى قوله سبحانه وتعالى فبشرناه بغلام حليم وجمع بينهما للاشعار بان الكمال هو الوصف باجتماع العلم والحلم المنبعث عنهما جميع الفضائل البهية والشمائل السنية وقد اغرب الدلجى حيث جعل الوصفين نشرا مرتبا على الابنين اذ لم يقل احد بالتفضيل بينهما وانما اختلفوا فى ان ايهما المراد به مع الاتفاق على ان المبشر به احدهما ولذا قال الانطاكى ولعل المؤلف من اجل الاختلاف جمع هنا بين اسحق واسماعيل وقد افرد السيوطى رسالة فى تعيين الذبيح وتوقف فى ان ايهما الصحيح لكن المعتمد عند المفسرين والمحدثين المعتبرين انه اسماعيل لحديث انا ابن الذبيحين وغيره من ادلة ليس هذا محل بسطها (وابراهيم بحليم) اى فى قوله تعالى ان ابراهيم لاواه حليم ولعل الاكتفاء به للعلم بانه عليم او للزومه او لغلبة حلمه على علمه ولذا استغفر لوالده (ونوح بشكور) اى فى قوله سبحانه وتعالى انه كان عبدا شكورا (وعيسى ويحيى ببر) بفتح الباء وتشديد الراء مبالغة بار فى قوله تعالى وبرا بوالدتى وبرا بوالديه (وموسى بكريم) اى فى قوله سبحانه وتعالى ولقد جاءهم رسول كريم فى الدخان (وقوى) اى فى قوله سبحانه حكاية عن بنت شعيب وتقريرا لكلامها ان خير من استأجرت القوى الامين وفى نسخة بداهما بكليم والظاهر انه اصل سقيم (ويوسف بحفيظ عليم) اى فى قوله سبحانه حكاية عن يوسف مقررا شأنه ومعتبرا بيانه حيث انطق لسانه بقوله انى حفيظ عليم (وايوب بصابر) اى فى قوله تعالى انا وجدناه صابرا وفيه ان الصابر غير معروف من اسمائه وانما الصبور من اسمائه سبحانه على المشهور (واسماعيل بصادق الوعد) اى فى قوله تعالى عند ذكره انه كان صادق الوعد ولعل وجهه قوله سبحانه وتعالى ولن يخلف الله وعده وحديث صدق الله وعده والا فصادق الوعد والصادق المطلق ليس من الاسماء المشهورة (كما نطق به) وفى نسخة صحيحة بذلك اى بما خص انبياءه (الكتاب العزيز) اى بانبائه على وفق اشتقاق اسمائه (فى مواضع ذكرهم) بالاضافة اى فى مواضع ذكرهم ووصفهم وشكرهم فيها كما قدمناه وفى نسخة صحيحة من مواضع بدل فى ولعلها بمعناها او بيان لما الابهام مبناها (وفضل نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على سائر الانبياء والاصفياء بزيادة اشتقاق بناء الاسماء فى الانباء (بان حلاه) بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام اى زينه (منها) اى من اسمائه سبحانه (فى كتابه العزيز) اى البديع المنيع المشتمل على التعجيز او القوى الغالب على سائر الكتب بنسخها على وجه التمييز وقد قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (وعلى السنة انبيائه) اى كما قاله بعض اوليائه (بعدة كثيرة) اى بجملة كثيرة وهى بكسر العين والباء الاولى للسببية والباء الاولى بيانية اى بسبب تعداد نعوت كثيرة

واوصاف غزيرة (اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر) بكسر الهمزة اى استعماله (واحضار الذكر) بضم الذال وكسرها والمعنى بعد افراغ الوسع تفكرا وتذكرا (اذلم نجد) اى من العلماء المصنفين (من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها بالتأليف فصلين) اى ليعرف منه بيان فرعين اواصلين (وسردنا) بحاء وراءين مهملات وروى بردنا بجيم ودال اى اخرجنا (منها فى هذا الفصل نحو ثلاثين اسما) اى مما اشتق من اسماء الله الحسنى والصفات العلى (ولعل الله تعالى) اى ارجو من كرمه انه (كما الهم) اى ارشد (الى ما علم) بتشديد اللام اى عرف (منها وحققه يتم النعمة) اى يكملها (بابانة ما لم يظهره لنا الآن) اى باظهار اسراره وابداء انواره (ويفتح غلقه) بفتحتين اى اغلاقه واشكاله وامثلته وامثاله اذا عرفت ذلك (فمن اسمائه) اى الله سبحانه وتعالى (الحميد) وهو فعيل بمعنى المفعول او الفاعل والاول اظهر ولذا قدمه بقوله (ومعناه المحمود لانه حمد نفسه) اى ازلا (وحمده عباده) اى ابدا وقد يقال هو المحمود فى ذاته سواء حمد اولم يحمد على لسان مخلوقاته مع انه وان من شئ الا يسبح بحمده فى مراتب تعيناته فهو المحمود فى كل فعال وجميع حال اذ هو المولى لكل نوال (ويكون) اى الحميد (ايضا) اى كما يكون بمعنى المحمود (بمعنى الحامد لنفسه) اى فى نفسه او فى كلام قدسه تعليما العباده على وفق مراده (ولاعمال الطاعات) بمعنى ثنائه وشكر اهله وجزائه وقد يقال الحامدية والمحمودية فى جميع مراتب الربوبية فهو الحامد وهو المحمود لانه فى نظر الشهود سوى الله والله ما فى الوجود (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى نبيا وهو مرفوع او منصوب وهو الاظهر فتدبر (محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود) بل ابلغ منه (وكذا) اى محمدا ومحمود (وقع اسمه فى زبر داود) بضم الزاى والباء اى فى صحفه المزبورة بمعنى المكتوبة والمراد بها الزبور ووقع فى اصل التلمسانى على ما ضبطه بكسر الزاى وسكون الباء اى فى كتابه وهو غير معروف فى الرواية والدراية (واحمد بمعنى اكبر) اى اعظم (من حمد) بفتح الحاء (واجل من حمد) بضم الحاء وفيه ايماء الى ان افعل التفضيل قد يكون بمعنى الفاعل وهو اكثر وقد يكون بمعنى المفعول وهو هنا اظهر والجمع بينهما ابهر لحيازته شرف الحامدية والمحمودية المشيرة الى مرتبة المحبية والمحبوبية فاحمد بهذا الاعتبار يكون ابلغ من محمد فى نظر النظار مع ما فيه من الاشارة الى الصفة الجامعة بين مرتبة المجذوبية المطلوبية ومنزلة المرادية المحبوبية بالنسبة الازلية الممتدة الى الابدية بخلاف وصف الحامدية المشعرة بتعلق الحادثة الكونية كما علم تحقيق هذا المعنى فى قوله تعالى يحبهم ويحبونه من تدقيق المبنى (وقد اشار الى نحو هذا) اى مما قررناه وحررناه (حسان) اى ابن ثابت بن المنذر بن حرام بالراء الانصارى النجارى عاش هو والثلاثة فوقه من آبائه كل واحد مائة وعشرين سنة وقد عاش حسان ستين فى الاسلام وستين فى الجاهلية وقد شاركه فى الوصف الثانى حكيم بن حزام قيل وغيره ايضا (وشق) بفتح الشين اى الله تعالى (له) صلى الله عليه وسلم (من اسمه) قطع همزة الوصل ضرورة ولو قال من نعته او وصفه لخلص (ليجله) اى ليعظمه بالمشاركة فى الجملة الاسمية من حيث تلاقى اسميهما اشتقاقا من مأخذ واحد ولم يرد الاشتقاق الاصطلاحى لان مبدأهما متحد بل اراد كون اسمه بمعنى اسمه كما يشير اليه قوله (فذو العرش محمود وهذا محمد) فمحمود مأخوذ من معنى الحمد على ما سبق وقد ورد يا الله المحمود فى كل فعاله والحاصل ان لفظ شق من شق الشئ جعله شقين اى نصفين ومعناه انه اعطاه من معنى اسمه جزأ من مبناه وقيل شق بمعنى اشتق اخذه منه وصاغه من حروف اسمه هذا وقد قال الامام حجة الاسلام فى المقصد الاسنى فى اسماء الله الحسنى الحميد من عباد الله تعالى من حمدت عقائده واخلاقه وافعاله واقواله وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن قرب منه من الانبياء والاولياء فكل واحد منهم حميد بقدر ما حمد من اوصافه والحميد المطلق هو الله سبحانه وتعالى (ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم) اى ذو الرأفة والرحمة وقدم الابلغ منهما للمبالغة مرة (وهما بمعنى) اى واحد (متقارب) اى فى المؤدى وان كانت الرأفة شدة الرحمة (وسماه) اى نبينا صلى الله عليه وسلم (فى كتابه بذلك) اى بما ذكر من الوصفين او بالجمع بين النعتين (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود) اى دوامه الثابت قيامه (والمتحقق امره) لانه الثابت مطلقا لوجوب شأنه واما غيره فلا وجود له فى حد ذاته لامكانه وهذا وجه قوله كل شئ هالك الا وجهه والى هذا المعنى اشار لبيد بقوله الا كل شئ ما خلا الله باطل * وهذا اراد شيخ مشايخنا ابو الحسن البكرى قدس الله سره السرى بقوله استغفر الله مما سوى الله (وكذا المبين اى البين) بمعنى الظاهر (امره) اى امر وجوده وشأن ربوبيته (والهيته) اى بوصف احديته وواحديته ثم قوله (بان وابان بمعنى واحد) يعنى ان بان ههنا بمعنى ابان فهما لازمان وقد يكون ابان متعديا فيكون المبين بمعنى المظهر وهذا معنى قوله (ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم) اى ما يتعلق به من معاشهم فى دنياهم (ومعادهم) اى وامر معادهم فى عقباهم وهذا المعنى فى حقه تعالى (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

بذلك) اى بما ذكر من الاسمين (فى كتابه فقال) اى بعد قوله بل متعت هؤلاء وآباءهم (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) وهذا على قول بعض المفسرين من ان المراد بالحق هو الرسول الامين خلافا لمن قال ان المراد بالحق هو الكتاب المبين (وقال وقل انى انا النذير المبين) اى ظاهر الانذار او مظهر الاخبار (وقال) اى بعد قوله يا ايها الناس (قد جاءكم الحق من ربكم) يعنى به محمدا او القرآن (وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل) اى المراد بالحق (محمد) اى كذبوا بالنبى الثابت نبوته المتحقق معجزته بدليل الآيات السابقة المشيرة اليه فلا التفات الى قول الدلجى وهذا القيل مما لا دليل عليه (وقيل القرآن) وكلاهما صحيح وفى المدعى صريح فان تكذيب كل منهما يستلزم تكذيب الآخر سواء تقدم الاول او تأخر فتدبر (ومعناه) اى ومعنى الحق (هنا) اى فى كل من التفسيرين (ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره) اى شأنه جميعه ثم المتحقق بكسر القاف الاولى وهو مرفوع عطفا على ضد الباطل فهو خبر بعد خبر اشعارا بان للحق معنيين مشهورين واما قول الحلبى بفتح القاف الاولى المشددة وهو مبتدأ وصدقه الخبر وامره معطوف على الخبر فهو مرفوع ايضا فخطأ من جهة البناء الصرفى والاعراب النحوى (وهو بالمعنى الاول) اى فيما سبق فتأمل (والمبين) على انه نعت الرسول الامين معناه (المبين امره ورسالته) اى الظاهر والواضح بناء على ان ابان لازم (او المبين) بتشديد الياء المكسورة اى المظهر والمخبر (عن الله تعالى ما بعثه به) اى من امر الرسالة لتعليم الامة بناء على ان ابان متعد (كما قال الله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم) اى من مرغوب ومرهوب (ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور) يعنى على مضاف مقدر (اى خالقه) اوسمى نورا مبالغة كالعدل فمعناه النور ومبناه الظهور ولانه تعالى ظاهر بذاته وصفاته ومظهر حقائق مخلوقاته او بمعنى ذى النوران حجابه النور بحيث لو انكشفت سبحات وجهه لاحرقت ما انتهى اليه بصره من خلقه اولان ظهور الاشياء انما هو بنوره وتبين الامور ليس الا ظهوره واما اطلاق النور عليه سبحانه بناء على ما هو فى عرف الحكماء من انه كيفية تدركها الباصرة اولا ثم بها تدرك سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من القمرين على الاجرام المحاذية لهما فلا يصح حقيقة الا انه قد يتجوز من حيث ان ظهوره تعالى بذاته الموصوف بالقدم مبرأ عن ظلمة العدم وان ظهور غيره ووجوده فائض عنه تعالى ثم تحقيق هذا المبنى وتدقيق هذا المعنى عند قوله تعالى الله نور السموات والارض حيث قيل من جملة معانيه (او منور السموات والارض) اى كما قرئ به فى الآية على ان النور بمعنى التنوير مصدر بمعنى الفاعل وقوله (بالانوار) اى بسبب الانوار الحسية من الكواكب القمرية والشمسية (ومنور قلوب المؤمنين بالهداية) اى الوهبية اى بسبب امداد الانوار المعنوية فى الافلاك القلبية (وسماه) اى النبى عليه السلام (نورا) اى على احد التفسيرين (فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل) اى المراد بالنور (محمد وقيل القرآن) وقيل المراد بهما محمد لانه كما هو نور عظيم ومنشأ لسائر الانوار فهو كتاب جامع مبين لجميع الاسرار (وقال فيه) اى فى حق نبيه (وسراجا منيرا) اى شمسا مضيئا لقوله تعالى وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ففيه تنبيه نبيه ان الشمس اعلى الانوار الحسية وان سائرها مستفيض منها فكذلك النبى عليه السلام اعلى الانوار المعنوية وان باقيها مستفيد منه بحكم النسبة الواسطية والمرتبة القطبية فى الدائرة الكلية كما يستفاد من حديث اول ما خلق الله نورى واما الحق فهو فى المقام المطلق (سمى بذلك) اى بما ذكر من النور والسراج المنير (لوضوح امره) اى امر رسالته وبيان نبوته (وتنوير قلوب المؤمنين) عموما (والعارفين) خصوصا (بما جاء به) وما ظهر لهم من الانوار والاسرار بسببه قال الحلبى ولعل ابن سبع استنبط من هذا ومن الحديث الذى سأل فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه ان يجعل فى جميع اعضائه وجهاته نورا وضم ذلك لقوله واجعلنى نورا ما قاله من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من خصائصه انه كان نورا وكان اذا مشى فى الشمس او القمر لا يظهر له ظل والله سبحانه وتعالى اعلم (ومن اسمائه تعالى الشهيد) من الشهود بمعنى الحضور (ومعناه العالم) اى بظاهر ما يمكن مشاهدته كما ان الخبير هو العالم بباطن ما لم يمكن احساسه (وقيل) اى فى معناه (الشاهد على عباده يوم القيامة) الاولى اطلاقه لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا ولعل وجه تقييده المناسبة فى اطلاقه على صاحب الرسالة (وسماه) اى الله نبيه فى كتابه (شهيدا وشاهدا) كان الاولى تقديم شاهدا ليلائم ترتيب ما رتبه (فقال انا ارسلناك شاهدا) اى عالما او مطلعا (وقال) اى فى موضع آخر (ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول) اى الا انه ابلغ وادل والاظهر انه من مادة الشهادة فتأمل فانه المعول (ومن اسمائه الكريم ومعناه الكثير الخير) اى النفع (وقيل المفضل) بضم الميم وكسر الضاد اى ذو الافضال بالنوال قبل السؤال (وقيل العفو) وفيه ان عفوه من جملة كرمه (وقيل العلى) اى الرفيع الشأن عظيم البرهان يتعالى كرمه عن النقصان (وفى الحديث المروى) اى عما رواه ابن ماجه (فى اسمائه تعالى الاكرم) وكذا جاء فى التنزيل اقرأ وربك الاكرم (وسماه كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل) اى المراد به

(محمد وقيل جبريل) وهو الاظهر وعليه الاكثر (وقال عليه السلام انا اكرم ولد آدم) وسنده تقدم وفى لفظ انا اكرم الاولين والآخرين اى افضلهم (ومعانى الاسم) اى اسم الكريم والاكرم على ما تقدم (صحيحة فى حقه عليه السلام) اى بالكمال والتمام اذ من جملة ما صدر عنه من الكرم والانعام ما يدل عليه قول صفوان بن امية وقد اعطاه غنما بين جبلين ان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر وهذا غاية الكرم فى ابن آدم (ومن اسمائه تعالى العظيم) من عظم الشئ اذا كبر جسما وهيئة ثم استعير لما كبر قدرا ورتبة (ومعناه الجليل الشان الذى كل شئ دونه) اى فى الظهور والبرهان هذا وقيل الكبير اسم للكامل فى ذاته والجليل فى صفاته والعظيم فيهما فهو اجل منهما (وقال تعالى فى النبى صلى الله عليه وسلم) فى كلامه القديم (وانك لعلى خلق عظيم) فله العظمة المعنوية باعتبار اخلاقه البهية (ووقع فى اول سفر) بكسر اوله اى اول دفتر (من التوراة) اى من اسفارها (عن اسماعيل) اى ابن الخليل والمعنى عن جهته وفى حقه (وسيلد عظيما) بالخطاب وفى نسخة بالغيبة بناء على جهتى التعبير من رعاية المبنى والمعنى ستلد ولدا عظيما ويكون نبيا كريما (لامة عظيمة) اى فى الكمية او الكيفية كما يشير اليه قوله تعالى كنتم خير امة وخيرية كل امة تابعة لخيرية نبيها (فهو عظيم) اى فى ذاته (وعلى خلق عظيم) اى فى صفاته وتعبيره بعلى الموضوع للاستعلاء تمثيل لتمكنه من غاية الاستيلاء (ومن اسمائه تعالى الجبار) فعال للمبالغة من الجبر بضرب من القهر على ما هو فى الاصل ثم قد يستعمل فى الاصلاح المجرد كقول على رضى الله عنه يا جابر كل كسير ومسهل كل عسير وتارة فى القهر المجرد ومنه ما ورد لا جبر ولا تفويض ومن ثم قيل كما قال (ومعناه المصلح) اى لامور عباده على وفق مراده (وقيل القاهر) اى فوق عباده فلا موجود الا وهو مقهور تحت قدرته وهدف لارادته ومشيئته (وقيل العلى) اى الرفيع البرهان (العظيم الشان وقيل المتكبر) اى المستغنى عن كل احد فى كل زمان ومكان ولا يستغنى عنه احد فى كل شان واوان (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتاب داود) وفى نسخة فى كتب داود اى زبوره او زبره (بجبار) الاظهر ان يقول بالجبار لقوله (فقال) اى مناديا له فى عالم الارواح ومستحضرا له فى عالم الاشباح (تقلد ايها الجبار سيفك) اى للكفار (فان ناموسك) بالالف قال التلمسانى يهمز ويسهل والناموس وعاء العلم وصاحب سرك الذى تطلعه على باطن امرك وجبريل عليه السلام قال الانطاكى والمراد هنا والله تعالى علم ما يوحى اليه وهو القرآن انتهى والاظهر ان يقال فى المعنى اى اعتبارك واقتدارك وانوار علومك واسرارك (وشرائعك) اى احكامك واخبارك (مقرونة بهيبة يمينك) اى قوة تصرفك وغلبة قهرك وكثرة نصرك على وفق يقينك (ومعناه فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى باعتبار معانيه فى حقه سبحانه والمناسبة التامة مما يقتضى شانه (اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم) اى باظهار العناية والرعاية مما يحتاجون فى البداية والنهاية (او لقهره اعداءه) اى ولجبره احباءه (او لعلو منزلته على البشر) اى جنس بنى آدم فى الفواضل النفسية والفضائل الانسية (وعظيم خطره) بفتحتين اى قدره ومزيته على غيره (ونفى) اى الله تعالى (عنه فى القرآن جبرية الكبر) التى لا تليق به وفى نسخة جبرية التكبر والاظهر جبرية القهر لقوله (فقال وما انت عليهم بجبار) اى بمسلط وقهار تقهرهم على الايمان وتقدرهم على العرفان او ما انت عليهم بوصف الجبابرة بل بنعت الرأفة والرحمة (ومن اسمائه تعالى الخبير) مبالغة من الخبرة وهى العلم بالامور الخفية (ومعناه المطلع بكنه الشئ) بضم الكاف اى على غايته ونهايته (العالم) وفى نسخة والعالم (بحقيقته) اى بماهيته وكيفيته (وقيل معناه المخبر قال الله تعالى فاسأل به خبيرا) واختلف فى المراد بالسائل والمسئول (قال القاضى بكر بن العلاء) هو بكر بن محمد بن العلاء بن محمد بن زياد القشيرى من اولاد عمران بن الحصين رضى الله تعالى عنه مات سنة اربع واربعين وثلثمائة ذكره التلمسانى وقال الانطاكى هو المالكى (المأمور بالسؤال هو غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمسئول الخبير هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فاسأل بما ذكر او عما ذكر مما تقدم من خلق الاشياء ووصف الاستواء عالما يخبرك بحقيقة الانباء وهو سيد الانبياء (وقال غيره) اى غير بكر (بل السائل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمسئول الله تعالى) وهو اظهر الاقوال وقيل جبريل او من وحد الله فى كتبه المتقدمة (فالنبى خبير بالوجهين المذكورين) اى ما قدمه القاضى آنفا من قوله الخبير اما معناه العالم بحقيقة الشئ او المخبر (قيل) اى فى توجيه الوجهين (لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته) يعنى فيصلح ان يكون سائلا (مخبر لامته بما اذن) اى ابيح (له فى اعلامهم به) اى بما ينفعهم معاشا ومعادا فيصح ان يكون خبيرا بمعنى مخبر فيصير مسئولا (ومن اسمائه تعالى الفتاح) اى كما قال الله تعالى وهو الفتاح العليم (ومعناه الحاكم بين عباده) كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا اى احكم لان الحكم فتح امر مغلق بين الخصمين وقد بين الله تعالى الحق واوضحه وميز الباطل وادحضه بانزال الكتاب المبين

واقامة

واقامة البراهين فى امر الدين (او فاتح ابواب الرزق) اى على انواع الخلق من اسباب النعمة الدنيوية والاخروية (والرحمة) اى من قبول التوبة وحصول المغفرة (والمنغلق) بالنون الساكنة والغين المعجمة المفتوحة واللام المكسورة اى المشكل (من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم) اى اعين بصيرتهم فقوله (وبصائرهم) عطف تفسير وفى نسخة وابصارهم فالمعنى ابصارهم الباطنة والظاهرة (لمعرفة الحق) اى وتمييزه عن الباطل (ويكون) اى الفتاح (ايضا بمعنى الناصر) وكان الاظهر ان يقول ويكون الفتح بمعنى النصر (كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه) اى معنى الفتاح (مبتدئ الفتح والنصر) يعنى ملاحظة المعنيين من الفتح وهو الافتتاح والفتح ولا يبعد ان تكون الدال مفتوحة فعنى جاءكم الفتح اى مبتدأه واوله وهذا كله بناء على النسخ المعتمدة من بناء الكلمة على الابتداء من باب الافتعال وفى اصل الدلجى مبدئ الفتح والنصر من الابداء من باب الافعال ولذا قال اى مظهرهما (وسمى الله تعالى نبيه محمدا عليه السلام الفاتح فى حديث الاسراء الطويل) اى على ما سبق بطوله (من رواية الربيع بن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة) اى مرفوعا (وفيه من قول الله تعالى) يعنى الحديث القدسى (وجعلتك فاتحا وخاتما) بكسر التاء فيهما (وفيه من قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ثنائه على ربه وتعديد مراتبه) اى فيما بشكره (ورفع لى ذكرى) اى بعد ما شرح صدرى ووضع عنى وزرى (وجعلنى فاتحا وخاتما) اى اولا بالنبوة فى عالم الارواح وآخرا بالرسالة فى عالم الاشباح (فيكون) اى فيحتمل ان يكون (الفاتح هنا بمعنى الحاكم) اى بين الخصوم بما اعطى له من العلوم (او الفاتح لابواب الرحمة على امته) اى لكونه رحمة للعالمين وامته امة مرحومة (والفاتح) الاظهر او الفاتح (لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله) اى على جهة الصدق (او الناصر للحق) اى بخذلان اعدائه وتبيان احبابه (او المبتدئ بهداية الامة) بكسر الدال بمعنى البادئ المأخوذ من الفتح بمعنى الافتتاح ومنه الفاتحة (او المبدأ) بضم الميم وفتح الموحدة وتشديد الدال المهملة ثم همزة مقصورة اى المبتدأ كما فى نسخة (المتقدم فى الانبياء) اى عند خلق انوارهم وتقسيم اسرارهم (والخاتم لهم) اى بالمنع عن اظهارهم (كما قال عليه الصلاة والسلام كنت اول الانبياء فى الخلق) اى فى حال الخلقة (وآخرهم فى البعث) اى فى بعثة الدعوة (ومن اسمائه تعالى فى الحديث) اى على ما رواه الترمذى وغيره عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا (الشكور) وفى القرآن ان ربنا لغفور شكور وهو مبالغة الشاكر (ومعناه المثيب) اى المجازى بالجزاء الجزيل (على العمل القليل) فيرجع الى صفة الفعل (وقيل المثنى على المطيعين) فيرجع الى صفة الذات وقيل الشكور لمن شكره فيكون من قبيل المقابلة واما قول الدلجى المجازى عباده على شكرهم فليس من باب المشاكلة كما وهم بل يرجع الى الاخص من المعنى الاول فتأمل (ووصف بذلك نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام فقال انه كان عبدا شكورا) ولقد قال ايضا فى حق هذه الامة ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور اى لكل مؤمن كامل عالم عامل فان الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر فالاول باجتناب المعصية والثانى بارتكاب الطاعة وقد قال تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور وقيل الشكور هو المعترف بالعجز عن اداء الشكر هذا وقد قال الانطاكى لم يقع هذا من القاضى موقعه لانه فى معرض تحرير ما فضل الله تعالى به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وما خلع تعالى عليه من اسمائه واما من خص بكرامة غير محمد من الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام فقد قدمهم فى اول الفصل وذكر نوحا عليه الصلاة والسلام فى جملتهم وكان فى ذلك غنية عن اعادة ذكره هنا مرة اخرى (وقد وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه بذلك) اى الوصف (فقال) اى فى الحديث المتقدم كما ذكره الترمذى وغيره لما قيل له حين انتفخت قدماه من قيام الليل اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر (افلا اكون عبدا شكورا) يعنى وعلى مشقة عبادته صبورا (اى معترفا بنعم ربى عارفا بقدر ذلك) اى بمقدار انعامه عندى (مثنيا عليه) اى بلسانى وجنانى (مجهدا نفسى) اى فى القيام باركانى (فى الزيادة) اى فى تحصيلها (من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم) اى نعمة على نعمة والحاصل ان المبالغة فى القيام بشكر المنحة موجبة لزيادة مراتب المنة ومقتضية لازالة مثالب المحنة (ومن اسمائه تعالى العليم) قال تعالى وهو العليم الحكيم (والعلام) كان حقه ان يقول علام الغيوب او علام الغيب اذ لم يرد العلام فى اسمائه سبحانه وتعالى (وعالم الغيب والشهادة) اى فى آية وفى اخرى عالم الغيب اما للاكتفاء واما على برهان الاولى وغيبوبته بالنسبة الى غيره والا فى الحقيقة لا غيب بالنسبة اليه تعالى (ووصف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعلم) اى فى الجملة مع المشاركة لغيره (وخصه بمزية منه) اى بفضيلة زائدة منه على غيره لاختصاصه بفضل منته عليه (فقال وعلمك ما لم تكن تعلم) اى من المعارف الدينية والعوارف اليقينية (وكان فضل الله عليك عظيما) اى بالنسبة الى غيرك من الانبياء والاصفياء وان

اعطى كل منهم حظا جسيما (وقال) اى فى مرتبة التكميل بعد مرتبة الكمال (ويعلمكم الكتاب) اى قرآنه مبنى (والحكمة) اى السنة لبيانه معنى (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) اى بعقولكم مالا طريق الى معرفته سوى الوحى بابدآء نبوته واظهار رسالته وفى تكرير الفعل ايماء الى انه نوع آخر فتدبر لعل المراد به احوال الحقيقة وبما سبق من الكتاب والسنة احكام الشريعة والطريقة وقد روى الشريعة اقوالى والطريقة افعالى والحقيقة احوالى (ومن اسمائه تعالى الاول) اى وجودا بلا ابتدآء (والآخر) اى شهودا بلا انتهاء (ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها) اى ازلا (والباقى بعد فنائها) اى ابدا الحديث اللهم انت الاول فليس قبلك اى قبل ابدآئك شئ وانت الآخر فليس بعدك اى بعد افنائك شئ وانت الظاهر فليس فوقك اى فوق ظهورك شئ باعتبار مظاهر افعالك وصفاتك وانت الباطن فليس دونك اى دون بطونك شئ باعتبار حقيقة ذاتك اقض عنى دينى واغننى من الفقر يعنى فانك الغنى المغنى (وتحقيقه) اى تحقيق كونه اولا وآخرا (انه ليس له اول) يعنى وهو موجد الاشياء ومبدعها (ولا آخر) الا انه مفنى الاشياء ومعيدها فهما بهذا المعنى من صفات التنزيه له تعالى وان كان باعتبار مؤداهما من افادة كونه ازليا وابديا يكون وصفا ثبوتيا (وقال عليه الصلاة والسلام كنت اول الانبياء فى الخلق) اى فى بدء عالم الخلق (وآخرهم فى البعث) اى فى نهاية عالم الامر (وفسر بهذا) اى بكونه اول الانبياء خلقا (قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) اى عهدهم بتبليغ دعوة الحق والرسالة الى الخلق (ومنك ومن نوح) اى وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وخصوا بالذكر لانهم اشهر ارباب الشرآئع وهم اولوا العزم من الرسل (فقدم) اى الله سبحانه (محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ذكره على المتقدمين من الانبياء المذكورين مع انه متأخر فى الوجود عنهم فى عالم الاشباح لسبق رتبته وتقدم نبوته فى عالم الارواح وقد روى اول ما خلق الله نورى وفى لفظ روحى وورد انه اول من قال بلى فى الميثاق (وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) اى فيما تقدم من قوله بأبى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك اولهم اى فى الانبياء فقال واذ اخذنا من النبيين الآية (ومنه) اى ومن قبيل قوله كنت اول الانبياء الخ اى باعتبار النسبة الاولية والسابقية والقبلية فى الجملة من مرتبة المزية (نحن الآخرون) اى فى الخلقة (السابقون) اى فى البعثة يوم القيامة او المقضى لهم قبل الخليقة كما صرح به فى حديث مسلم (وقوله) اى ومنه قوله (انا اول من تنشق الارض عنه) وفى نسخة عنه قبل الارض (واول من يدخل الجنة) اى هو وامته من الباب الايمن من ابوابها كما ورد فى بعض طرق الحديث (واول شافع واول مشفع) اى مقبول الشفاعة (وهو خاتم النبيين) اى لا نبى بعده (وآخر الرسل) تأكيد لما قبله (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وعليهم اجمعين قال الدلجى وهو صلى الله تعالى عليه وسلم بالاول والآخر انما هو من حيث كونه اولا فى الخلق وآخرا فى البعث لا من حيث معناهما فى حقه تعالى فلا التفات الى ما ذكرهنا انتهى ولا يخفى انه لا خصوصية للتفرقة بهذين الوصفين من بين سائر الصفات السابقة واللاحقة اذ لا يتصور اشتراك المخلوق مع الخالق فى نعت من النعوت بحسب الوصف الحقيقى وانما يكون بملاحظة المعنى المجازى او العرفى فالله سميع بصير عليم حى قدير مريد متكلم وقد ثبت هذه الصفات ايضا لبعض المخلوقات ولكن بينهما بون بين ولا يخفى مثل هذا على دين وقد افرد المصنف كما سيأتى فصلا فى بيان هذا الفصل لئلا يعدل احد عن مقام العدل هذا وقد روى التلمسانى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل جبريل فسلم على فقال فى سلامه السلام عليك يا اول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن فانكرت ذلك عليه وقلت يا جبريل كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلى وانما هذه صفة الخالق الذى لا تليق الا به فقال يا محمد اعلم ان الله امرنى ان اسلم بها عليك لانه قد فضلك بهذه الصفة وخصك بها على جميع النبيين والمرسلين فشق لك اسما من اسمه ووصفا من وصفه وسماك بالاول لانك اول الانبياء خلقا وسماك بالآخر لانك آخر الانبياء فى العصر وخاتم الانبياء الى آخر الامم وسماك بالباطن لانه تعالى كتب اسمك مع اسمه بالنور الاحمر فى ساق العرش قبل ان يخلق اباك آدم بالفى عام الى ما لا غاية له ولا نهاية فامرنى بالصلاة عليك فصليت عليك يا محمد الف عام بعد الف عام حتى بعثك الله بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماك بالظاهر لانه اظهرك فى عصرك هذا على الدين كله وعرف شرعك وفضلك اهل السموات والارض فما منهم من احد الا وقد صلى عليك صلى الله عليك فربك محمود وربك الاول والآخر والظاهر والباطن وانت الاول والآخر والظاهر والباطن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذى فضلنى على جميع النبيين حتى فى اسمى ووصفى (ومن اسمائه تعالى القوى وذو القوة المتين) وهو تفسير لما قبله (ومعناه القادر) اى التام القدرة الكامل القوة (ووصفه الله) اى نبيه (بذلك فقال

ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل) اى المراد به (محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق) اى كما رواه ابن ماجه فى الاسماء الحسنى (فى الحديث المأثور) اى المروى عن ابى هريرة مرفوعا وقد يؤخذ من قوله تعالى ومن اصدق من الله قيلا والحمد لله الذى صدقنا وعده (وورد فى الحديث) اى الصحيح عن ابن مسعود (ايضا اسمه عليه الصلاة والسلام بالصادق) اى فيما يقوله (المصدوق) اى فيما يخبره يعنى المشهود له بصدقه فى كلامه سبحانه وتعالى بقوله وما ينطق عن الهوى (ومن اسمائه تعالى) اى فى القرآن (الولى) اى من قوله الله ولى الذين آمنوا كذا ذكره الدلجى وكانه غفل عن قوله تعالى فالله هو الولى وقوله وهو الولى الحميد (والمولى) قال تعالى فنعم المولى (ومعناهما) اى معنى كل من الولى والمولى (الناصر) والاظهر المغايرة بينهما لقوله سبحانه وتعالى فنعم المولى ونعم النصير فالولى هو المتصرف فى امر عباده على وفق مراده وكذلك المولى فى وصفه تعالى بالمعنى الاعم من معنى النصير كما لا يخفى على الناقد البصير وهو لا ينافى انه قد يراد بالولى والمولى الناصر كما بينه المصنف بقوله (وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه الصلاة والسلام انا ولى كل مؤمن) رواه البخارى عن ابى هريرة وروى احمد وابو داود عن جابر نحوه وقال الله تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم (وقال عليه الصلاة والسلام) اى على ما رواه الترمذى وحسنه (من كنت مولاه فعلى مولاه) اى من احبنى وتولانى فليتوله فانه منى قال الشافعى ولاء الاسلام كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقد قال عمر لعلى رضى الله تعالى عنهما اصبحت مولى كل مؤمن اى وليه على لسان نبيه قيل سببه ان اسامة بن زيد قال لعلى لست مولاى انما مولاى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من كنت مولاه فعلى مولاه (ومن اسمائه تعالى العفو) اى كثير العفو (ومعناه الصفوح) اى كثير الاعراض عن الاعتراض واصله امالة صفحة العنق عن الجانى ثم استعمل مجازا فى المعانى (وقد وصف الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا) وفى نسخة صحيحة بهذا نبيه (فى القرآن و) فى (التوراة) اما التوراة فكما سيأتى واما القرآن فكما قال المصنف (وامره بالعفو) ولا شك انه كان ممتثلا لامره فيتحقق وصفه به (فقال خذ العفو) اى هذه الخصلة الحميدة وهى المجاوزة عن مرتكب السيئة اذا كانت بنفسك متعلقة وتمامه وامر اى الناس بالعرف اى المعروف شرعا وعرفا اونقلا وعقلا واعرض عن الجاهلين اى المعاندين من المجادلين (وقال) اى عز وجل (فاعف عنهم) اى تجاوز (واصفح) اى تغافل (وقال له جبريل وقد سأله) اى النبى (عن قوله) اى عن معنى قوله تعالى (خذ العفو) اى الاية (قال ان تعفو عمن ظلمك) اى وتصل من قطعك وتعطى من حرمك (وقال فى التوراة) زيد فى نسخة والانجيل قال الانطاكى قال شيخنا برهان الدين الحلبى هذا الحديث ذكره البخارى فى صحيحه من رواية عبد الله بن عمرو وليس فيه ذكر الانجيل (فى الحديث المشهور) اى الذى رواه عبد الله بن عمرو بن العاص فيما سبق (فى صفته) اى نعته فى التوراة (وليس بفظ) اى سيئ الخلق (ولا غليظ) اى جافى القلب (ولكن يعفو) اى يمحو فى الباطن (ويصفح) اى ويعرض فى الظاهر فاشتق له من اسمه العفو لاتصافه بكثرة العفو (ومن اسمائه تعالى الهادى وهو) اى الهداية فى صفة الحق (بمعنى توفيق الله تعالى لمن اراد من عباده) ان يخلق الاهتدآء فيه فيصير مهتديا به فالمراد بالهداية هنا الدلالة الموصلة الى المطلوب ومنه قوله تعالى انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وقد يستعمل بمعنى البيان ومجرد الدلالة كما فى قوله تعالى واما ثمود فهديناهم وقوله سبحانه وتعالى وهديناه النجدين وهذا معنى قوله (وبمعنى الدلالة) اى على طريق الحق وبيان سبيل الرشد (والدعاء) اى وبمعنى الدعاء وهو قريب مما قبله (قال تعالى والله يدعو) اى عامة الخلق بدعوة الحق (الى دار السلام) اى دار الله التى فيها رؤيته التى هى اعز المرام او دار يسلم الله تعالى وملائكته على من فيها بوجه الدوام او دار السلامة من الآفة والملامة (ويهدى) بتوفيقه (من يشاء) بتخصيصه (الى صراط مستقيم) اى دين قويم (واصل الجميع) اى جميع انواع الهداية مما هو بمعنى التوفيق وهو خلق الاهتدآء وما هو بمعنى الدلالة وما هو بمعنى الدعاء (من الميل) اى والاقبال (وقيل من التقديم) يعنى مكان من هدى مال الى ما هدى اليه او قدم اليه وكلا القولين غير معروف فى كتب اللغة مع انه لا يظهر وجه الدلالة على سبيل الاصالة ثم لا فائدة فيه غير الاطالة (وقيل فى تفسير طه انه) اى معناه باشارة مبناه (يا طاهر يا هادى يعنى) اى يريد به او بهما (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى له) اى فى حقه عليه الصلاة والسلام (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) اى لتدعو كما قرئ به والمعنى تدل الخلق الى طريق الحق (وقال فيه وداعيا الى الله باذنه) اى بامره اى بتيسيره زيد فى نسخة وسراجا منيرا والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم موصوف بكونه هاديا الا انه مختص بالمعنى الثانى وهو مجرد الدلالة والدعاء (فالله تعالى مختص بالمعنى الاول) وهو التوفيق لمن يشاء بخلق الاهتدآء (قال تعالى انك لا تهدى من احببت) اى لا تقدر ان تخلق فيه قبول الهداية وانما وظيفتك مجرد الدعوة والدلالة

(ولكن الله يهدى من يشاء) بتوفيقه للاجابة وقبول الهداية (وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره) اى قد يطلق على غيره سبحانه وتعالى فاستعمال الهداية فى حق البارئ بالمعنى الاعم وهو ارادة المعنيين واختصاصه تعالى بالمعنى الاول واختصاص غيره بالمعنى الثانى ولذا زيد فى نسخة هنا فهو فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم بمعنى الدلالة اى لاغير (ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن) بكسر الميم الثانية وقد تفتح (قيل هما بمعنى واحد) وهذا مبنى على قول فاسد كما يجيء معبرا عنه بقيل من ان الصيغة للتصغير وان الهمزة مبدلة بالهاء فان التصغير الذى وضع للتحقير غير مناسب لوصف العلى الكبير فالصحيح ان المهيمن مأخوذ من هيمن على كذا صار رقيبا اليه وحافظا عليه نعم قد يقال ان معناهما واحد من آمن غيره من الخوف على ان اصله مؤأمن قلبت الهمزة الاولى هاء والثانية ياء وقيل هو بمعنى الامين او المؤتمن (فمعنى المؤمن فى حقه تعالى المصدق وعد عباده) اى وعده عباده كما فى نسخة اى المنجز ما وعدهم فى الدنيا من نعيم العقبى كما جاء فى التنزيل وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده او بالمعنى الاعم كما فى الحديث صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده (والمصدق) اى بذاته (قوله الحق) بنصبه على انه نعت قوله اى من كماته الثابتة فى آياته كما قال تعالى فورب السماء والارض انه الحق (والمصدق لعباده المؤمنين) كما اشار فى التنزيل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه (ورسله) حيث قال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله (وقيل الموحد نفسه) اى بقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقوله سبحانه اننى انا الله لا اله الا انا فهو مؤمن بتصديقه لنفسه (وقيل المؤمن) بتخفيف الميم بعد الهمزة الساكنة وفى نسخة بتشديدها بعد الهمزة المفتوحة وهو مما لا حاجة اليه اى معطى الامن والامان (عباده فى الدنيا من ظلمه) اى لتنزهه عن وقوعه وفى نسخة من غضبه وهى فى غير محلها لعموم عباده كما يدل عليه عطف خواصهم عليه بقوله (والمؤمنين فى الآخرة من عذابه) اى من عذابه المخلد او من تعذيبه فان ما يقع لبعض المجرمين فهو من باب تهذيبه او اراد بالمؤمنين الكاملين (وقيل المهيمن بمعنى الامين) مفيعل من الامانة (مصغر منه) اى من الامين بزيادة ميمه الاولى فصار مؤيمن كذا ذكره الدلجى وهو غير متجه فى العربية بل الصواب انه مصغر على ما قيل من المؤمن على ان اصله مؤيمن (فقلبت الهمزة هاء) اذ كثيرا ما يتعاقبان قلبا كما قيل اراق وهراق وايهات وهيهات واياك وهياك وقد قدمنا ما يتعلق به من التحقيق والله ولى التوفيق (وقد قيل ان قولهم) اى قول المؤمنين (فى الدعاء) اى فى عقبه (آمين) اى بالمد والقصر (اسم) وفى نسخة انه اى آمين اسم (من اسماء الله تعالى) والظاهر انه بكسر همزة وانه بجملته سادمسد خبران الاول فتأمل وقال الانطاكى انه بفتح الهمزة وهو للتعليل اى لانه اسم من اسماء الله تعالى كما روى ذلك عن مجاهد قال الانطاكى فمعناه يا آمين استجب انتهى ولا يخفى ان هذا تركيب فى المعنى بين القولين فى المبنى قال النووى فى التهذيب وهذا لا يصح لانه ليس فى اسماء الله تعالى اسم مبنى ولا غير معرب مع ان اسم الله تعالى لا يثبت الا قرءانا او سنة متواترة وقد عدم الطريقان ذكره الحلبى ثم قال وقوله او سنة متواترة كذلك آحادا وقد ذكر هو عن امام الحرمين انه يثبت اطلاقه عليه بالآحاد ذكره فى قوله ان الله جميل يحب الجمال انتهى ولا يخفى ان ورود آمين ثبت آحادا بل كاد ان يثبت متواترا باعتبار جمع معنى ما ورد افرادا الا ان المراد به اسمه سبحانه فى محل الاحتمال والله تعالى اعلم بالحال نعم قد ورد فى الحديث آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده المؤمنين كما رواه ابن عدى والطبرانى فى الدعاء عن ابى هريرة لكن المشهور فى معناه استجب وهو اسم مبنى على الفتح بمد وبقصر والمد اكثر وورد فى حديث قال بلال لرسول الله لا تسبقنى بامين اى بعد قرآءة الفاتحة فى الصلاة ولعل الكلام وقع مقلوبا والمعنى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التأمين لبلال لا تسبقنى بامين هذا وفى القاموس آمين بالمد والقصر وقد يشدد الممدود وعال ايضا عن الواحدى فى البسيط اسم من اسماء الله تعالى او معناه اللهم استجب او كذلك مثله فليكن او كذلك فافعل انتهى فتأمل (ومعناه معنى المؤمن) ولعله مأخوذ من الامين مقصورا بمعنى المؤمن كما ان البديع بمعنى المبدع ويكون المد منه ولدا من اشباع الحركة (وقيل المهيمن بمعنى الشاهد) فهو مغاير للمؤمن من جهة المعنى على ما قدمناه من تحقيق المعنى اذ معنى الشاهد العالم الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة او الذى يشهد على كل نفس بما كسبت من خير او شر (والحافظ) اى و بمعنى الحافظ والواو بمعنى او اى الحافظ لعباده احوالهم والمحصى عليهم افعالهم واقوالهم (والنبى صلى الله عليه وسلم امين) اى مأمون يعنى معصوم ومصون او صاحب الامانة وطالب الديانة (ومهيمن) اى بمعنى عالم ومشاهد ورقيب وقريب (ومؤمن) اى مصدق او معطى الامن (وقد سماه) اى الله (امينا) اى عند بعض المفسرين (فقال مطاع ثم امين) وقيل المراد به جبريل الامين (وكان عليه الصلاة والسلام) اى فيما بين اهل الجاهلية (يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها) اى لكمال امانته ووضوح ديانته وحفظ الله سبحانه اياه عن خيانته

(وسماه العباس) اى فى شعره كما فى نسخة (مهيمنا فى قوله) اى من ابيات انشأها او انشدها فى مدحه عليه السلام (ثم احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق) وقد مر بيانه مبنى ومعنى فالمهيمن مرفوع على انه فاعل احتوى وهو المناسب للمرام فى هذا المقام (وقيل المراد بالمهيمن) فيكون المراد به الله تعالى (قاله القتيبى) بالتصغير وفى نسخة بدون التحتية وفى اخرى بالعين بدل القاف والظاهر الاول فانه الامام ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وقد صرح به التلمسانى بانه منسوب الى قتيبة بالتصغير لكن ذكر الانطاكى عن الاصمعى ان الاقتاب هى الامعاء واحدتها قتبة وتصغيرها قتيبة وبها سمى الرجل والنسبة اليها قتبى كما تقول جهنى فى جهينة حكاه عن الجوهرى وغيره ثم هو عن الدينورى بكسر الدال وفتح النون وقيل المروزى النحوى صاحب كتاب المعارف وادب الكاتب كان فاضلا سكن بغداد وحدث بها عن اسحق بن راهويه وابى حاتم السجستانى وتلك الطبقة وله تصانيف كثيرة مفيدة منها غرآئب القرءآن وغريب الحديث ومشكل القرءآن ومشكل الحديث ومنها التاريخ وطبقات الشعرآء وغير ذلك توفى سنة ست وسبعين على ما صححه ابن خلكان (والامام ابو القاسم القشيرى) هو عبد الكريم ابن هوازن النيسابورى صاحب الرسالة وولى الله توفى سنة خمس وستين واربعمائة (وقال تعالى) اى فى حق نبيه (يؤمن بالله) اى يصدق بوجوده لما شاهد عنده من كرمه وجوده (ويؤمن للمؤمنين) اى يصدقهم بعلمهم بخلوصهم واللام مزيدة للفرق بين ايمان الشهود والتصديق وايمان الامان بوجود التحقيق فقوله (اى يصدق) تفسير لمطلق الايمان وقيل عدى بالباء واللام لانه قصد التصديق بالله الذى هو نقيض الكفر به وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولون ويصدقهم لكونهم صادقين عنده ونحوه قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وقالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون (وقال) اى كما فى حديث مسلم على ما مر مبنى ومعنى (انا أمنة) بفتحتين (لاصحابى) اى ذو امن او هو من باب رجل عدل (فهذا بمعنى المؤمن) اى معطى الامن والامان لاهل الايمان اذ كانت الصحابة فى ظل حرم كنفه آمنين واما قول الدلجى جمع امين كبررة جمع بر فهو غير موافق اصلا لانه غير مطابق وزنا وحملا (ومن اسمائه تعالى القدوس) بضم القاف وبفتح صيغة مبالغة من القدس وهو الطهارة والنزاهة ولذا قال (ومعناه المنزه عن النقائص) اى ازلا (المطهر من سمات الحدث) بكسر السين جمع سمة وهى العلامة اى من صفات الحدوث ابدا وقد يقال فى معناه المبرأ من ان يدركه حس او يتخيله وهم او يحيط به عقل او يتصوره فهم لما قيل ما خطر ببالك فالله ورآء ذلك (وسمى بيت المقدس) اى على ما ورد وهو بفتح الدال المشددة وضم الميم وقيل بفتح الميم وكسر الدال مخففا والظاهر ان بيت مرفوع على نيابة الفاعل والمفعول الثانى مقدر وترك لظهوره ونقل تكرره اى سمى بيت المقدس ببيت المقدس وجزم الانطاكى بان بيت بالنصب على انه المفعول الثانى لسمى والمفعول الاول القائم مقام الفاعل مستكن فيه اى وسمى بيت المقدس بيت المقدس انتهى ولا يخفى ان تقديرنا اولى لان المفعول الثانى بالحذف احرى لكونه فضلة والمفعول الاول بالثبات انسب لكونه كالعمدة (لانه يتطهر) بصيغة المجهول اى يتنظف (فيه من الذنوب) بناء على انه يعبد فيه علام الغيوب (ومنه الوادى المقدس) اى كما جاء فى القرءآن وهو بمعنى المطهر او المبارك وهو الاظهر (وروح القدس) اى ومنه روح القدس بضم الدال وسكونها فى قوله تعالى وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس بضم الدال وسكونها اى قويناه بجبريل (ووقع فى كتب الانبياء) اى الكرام والمعنى فى جميعها او بعضها (فى اسمائه عليه الصلاة والسلام) اى فى بيان نعوته وصفاته (المقدس) اى وقع المقدس فى جملة اسمائه وسماته (اى المطهر من الذنوب) يعنى والمبرأ من العيوب (كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى على فرض وقوع ذلك فتدبر (او الذى يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها) اى عن العيوب (كما قال تعالى ويزكيهم) اى يطهرهم مما لا يليق بهم صدوره عنهم (وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور) اى من ظلمات انواع الكفر الى نور وحدة الايمان والشكر او من ظلمات الشبهة فى الدين بما يهديهم الله به ويضيء لهم نور اليقين ولا يخفى بعد هذا المعنى من هذا المبنى فان صيغة المفعول بمعنى الآلة للدلالة غير معقول ولا منقول وعلى تقدير انه منقول فيلزم منه ان يكون هذا النعت لاتباعه اكثر قبول (او يكون) اى النبى عليه الصلاة والسلام (مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة) بالذال المعجمة اى الردية (والاوصاف الدنية) بتشديد الياء التحتية واصله الهمز من الدناءة بمعنى الردآءة كما فى نسخة وهذا المعنى يقارب ما سبق من قوله المطهر من الذنوب لان المراد به الطهارة من ذنوب الظواهر وعيوب السرآئر (ومن اسمائه تعالى العزيز) من عز يعز بالكسر (ومعناه الممتنع) اى بذاته (الغالب) باعتبار صفاته (او الذى لا نظير له) من قوله فلان عزيز الوجود فى نظر ارباب الشهود وهو معنى البديع المنيع (او المعز لغيره) فهو فعيل بمعنى مفعل كبديع بمعنى مبدع على قول وقد يقال معناه القوى

من عز يعز بالفتح ومنه قوله تعالى فعززنا بثالث اى قوينا (وقال تعالى ولله العزة) اى القوة والغلبة والمنعة (ولرسوله اى الامتناع) يعنى بظهور السلطان (وجلالة القدر) اى بارتفاع الشان له سبحانه وتعالى ولمن اعزه كرسوله فعزته بربه فى الاية وكذا قوله تعالى وللمؤمنين لان عزتهم بربهم اولا وبنبيهم آخرا هذا وذكر الحلبى انه قال المعلق اراد به الشيخ تاج الدين عبد الباقى اليمنى فى الاكتفاء فى شرح الشفاء منه ولقائل ان يقول يجوز ان يكون هذا الوصف ايضا للمؤمنين لشمول العطف اياهم فلا اختصاص للنبى والغرض اختصاصه وعجيب من القاضى كيف خفى عليه مثل هذا الشان انتهى ولا يخفى ان قوله والغرض اختصاصه يحتاج الى البيان فانه غير ظاهر فى معرض البرهان فان اكثر الاوصاف المتقدمة انما هى واقعة بالصفة المجتمعة ومنها المؤمن حيث اطلق عليه سبحانه وعلى رسوله وعلى كل فرد من افراد اتباعه على انه لا يلزم من وصف الشئ بالشئ اختصاصه به ولا نفيه عن غيره نعم كان الاحسن ان يستدل بقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز على ان ما بعده وهو قوله عليه ما عنتم كلام منقطع عما قبله وصفة اخرى له (وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة) يعنى بطريق الاشارة لا على سبيل العبارة حيث اثبت له هذا الفعل وان لم يذكر بطريق الوصف (والنذارة) بكسر النون ولعل الانذار يؤخذ من قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا على ان ضمير يكون راجع الى الموصول على تجويز عوده الى الفرقان والى عبده المعنى به رسوله (فقال) اى عز وعلا (يبشرهم) بالتشديد والتخفيف (ربهم برحمة منه) للعامة (ورضوان) للخاصة (وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى) اى فى موضع (و) فى محل آخر يبشرك (بكلمة منه) اى اسمه المسيح عيسى (وسماه الله تعالى) اى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (مبشرا ونذيرا) اى فى قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وزيد فى نسخة وبشيرا اى وسماه بشيرا فى قوله سبحانه وتعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وهو فعيل بمعنى مفعل كالنذير (اى مبشرا لاهل طاعته) يعنى بدار الثواب (ونذيرا) اى ومنذرا ومخوفا (لاهل معصيته) يعنى دار العقاب (ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس) ولعل فى الطاء ايماء الى طاهر وفى الهاء الى الهادى وفى الياء الى يد الله مبسوطة وفى السين الى انه سيد او سميع (وقد ذكر بعضهم ايضا) اى من المفسرين (انهما من اسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة وشرف وكرم فهو ظاهر وهاد كما تقدم وقد سبق ان يس معناه يا سيد كما يدل عليه قوله سبحانه آل يس على ما ذكره بعض المفسرين وقد قال بعض العلماء المعتبرين ان طه ايضا منادى بحذف حرف النداء وان المعنى يا مشبها بالقمر ليلة البدر فان الطاء والهاء اربعة عشر على حساب ابجد الجمل فتأمل واغرب الدلجى فى قوله ان هذا قيل بلا بينة ولا دليل يعتمد والله تعالى اعلم بمراده بهما انتهى ولا يخفى ان المراد خفى فى المقطعات وسائر المتشابهات وانما ذكر ما ذكرناه على الاحتمالات الناشئة من العبارات او المنبئة عن الاشارات

(فصل)

(قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (وفقه الله تعالى) اى لما يحبه ويرضاه (وها هنا) اى فى هذا المقام (اذكر نكتة) اى جملة مفيدة (اذيل بها هذا الفصل) بتشديد التحتية المكسورة اى اجعل اياها ذيلا لاتمام المرام فى مقام الفصل ووقع فى اصل الدلجى وغيره وها انا على ان ها حرف تنبيه بعده مبتدأ او خبر نبه به عن حاله فى ذكره بعد فكره وكذا ذكره الحجازى وقال وروى اذكر (واختم بها هذا القسم) اى من بين اقسام بيان الفضل بالفصل بين الفرع والاصل (وازيح الاشكال بها) بضم الهمزة وكسر الزاى اى وازيل بها الاغلاق الواقع (فى ما تقدم) اى من متشابه الحديث وغيره (عن كل ضعيف الوهم) بسكون الهاء ويحرك (سقيم الفهم) اى حذرا من وقوعه فيما يرديه (تخلصه) اى تلك النكتة تنجيه (من مهاوى التشبيه) بفتح الميم وكسر الواو جمع مهواة وهى الحفرة العميقة المهلكة اى مهالكه فى مباديه او تناهيه ويروى وساوس جمع وسوسة وهى حديث النفس والشيطان (وتزحزحه عن شبه التمويه) بضم الشين وفتح الموحدة اى وتبعده عن الشبهات المموهة الخالية عن التنزيه لان الطريق القويم والدين المستقيم هو اعتقاد التنزيه المتوسطة بين التعطيل والتشبيه (وهو) قال الدلجى اى ضعيف الوهم وهو وهم والصواب اى ذلك الاشكال (ان يعتقد) اى ضعيف الخيال (ان الله جل اسمه) اى وصفه ورسمه (فى عظمته) اى فى ذاته (وكبريائه) اى فى صفاته (وملكوته) اى فى ارضه وسمواته (وحسنى اسمائه) اى واسمائه الحسنى (وعلى صفاته) بضم العين وفتح اللام مقصورا ومعناه الرفيعة اى وصفاته العلى وضبط فى نسخة صحيحة بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء مجرورا ومعناه الرفيع اى وصفاته العلية ونعوته السنية (لا يشبه) اى الله سبحانه (شيأ من مخلوقاته ولا يشبه به) بصيغة المجهول اى ولا يمثل به شئ من مكنوناته لكمال ذاته وجلال صفاته (وان ما جاء) اى من الاسم والصفة

مما اطلقه الشرع) اى فى الكتاب والسنة (على الخالق) اى تارة (وعلى المخلوق) اى اخرى لما بينهما من الاشتقاق اللغوى (فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى) بل اطلاقه على غيره سبحانه وتعالى انما هو بالطريق المجازى (اذ صفات القديم) اى الازلى الابدى لان ما ثبت قدمه استحال عدمه (بخلاف صفات المخلوق) اى المشاهد حدوثه بالدليل العقلى والنقلى (فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات) اى وان وقع الاشتراك فى اطلاق الذات (كذلك صفاته) كالعليم والحليم والصبور والشكور والسميع والبصير والحى والمريد والمتكلم والقادر (لا تشبه صفات المخلوقين) اى من جميع الجهات (اذ صفاتهم) اى لحدوثها (لا تنفك) اى لا تزول (عن الاعراض) بالعين المهملة (والاغراض) اى عن عروضهما (وهو تعالى منزه عن ذلك) اذ لا عرض يعرض هنالك لانه لا يعترى ذاته عرض ولا تعلل افعاله بغرض واما ما يشبه فى فعله من العلة فهو محمول على سبب الحكمة (بل لم يزل بصفاته واسمائه) اى موجودا ولا يزال بذاته ونعوته فى نظر ارباب التوحيد واصحاب التفريد مشهودا واما صفات الافعال كالخالق والرازق والمحيى والمميت فهى قديمة ايضا على ما اختاره المحققون من الماتريدى ومتابعيه خلافا للاشعرى ومتابعيه وليس هذا محل تبيين مبانيها وتعيين معانيها واما قول الدلجى من انه سبحانه وتعالى موصوف بسمع وبصر يزيد الانكشاف بهما على الانكشاف بالعلم فهو خطأ نشأ من القياس حيث يوجب التشبيه باوصاف الخلق من قبول نعت الزيادة والنقصان باعتبار بعض الحواس مع انه سبحانه وتعالى يجب التنزه له عن ذلك اذ ليس كمثله شئ هنالك لا ذاتا ولا صفة ولا فعلا اصلا (وكفى فى هذا) اى حسبك فى كون ذاته وصفاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذات مخلوقاته وصفات مكوناته فى جميع حالاتهم وعلو مراتبهم ودرجاتهم (قوله ليس كمثله شئ) قيل الكاف زائدة فى هذا المقام اذ الكلام يتم بدونه فى حصول المرام وقيل بزيادة المثل مبالغة فى نفى المثل كما فى قولهم مثلك لا يبخل فانه اذا نفى عن مشابهه ومناسبه كان نفيه عنه اولى فى مراتبه وقيل المعنى ليس كذاته وصفته شئ وقال التلمسانى والمحققون على ان لا صلة لان المراد منه نفى المماثلة من وجه وهذا لانه لم يقل احد بان لله مثلا من كل وجه وانما قالوا بالمماثلة من وجه فيحتاج الى نفى هذه المماثلة ومن شأنهم انهم يقولون عند ثبوت المماثلة من كل وجه هذا مثله وعند ثبوتها من وجه هذا كمثله انتهى وهنا وجه ادق وهو بالبيان احق وهو ان نفى مثل المثل يوجب نفى المثل (ولله در من قال) الدر فى الاصل اللبن حال كثرته وقصد به هنا عمله او خيره (من العلماء العارفين) اى الجامعين فى العلم والمعرفة الباهرة بين الانوار الظاهرة والاسرار الباطنة (المحققين) اى فى تبيان المبنى والمدققين فى برهان المعنى (التوحيد اثبات ذات غير مشبهة) بكسر الباء مخففة او بفتحها مثقلة اى غير مشبهة (للذوات) اى لسائر ذوات الموجودات وفيه رد على الوجودية والاتحادية والحلولية (ولا معطلة من الصفات) اى الصفات الكاملات القديمات اذ التعطيل نفيها واليه ذهب المعتزلة هربا من تعدد القدماء مبالغة فى التوحيد قلنا لا محذور فى تعدد الصفات وانما المحظور تعدد الذوات (وزاد هذه النكتة) اى معناها (الواسطى بيانا) اى وضوحا وبرهانا وظهورا وتبيانا (وهو مقصودنا) اى ليعرف معبودنا ومشهودنا (فقال ليس كذاته ذات) اى لا تصافه بالقدم وحدوث غيره بالعدم (ولا كاسمه) اى الخاص به (اسم) اى كاسم الله والرحمن فانهما لا يطلقان على غيره (ولا كفعله فعل) اى من خلق ورزق واحياء وافناء وايجاد وامداد (ولا كصفته صفة) اى لقدمها وحدوث غيرها ولكمالها ونقصان ما عداها (الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ) اى مطابقة لفظة وصف الخلق لنعت الحق كالعليم والحليم وغيرهما مما سبق (وجلت) بتشديد اللام اى عظمت (الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة) اى حادثة وجدت او جديدة بعد عدم لانها ان كانت صفة كمال فخلوه عنها قبل حدوثها مع جواز اتصافه بها نقص اتفاقا ولا استحال اتصافه بها اجماعا وايضا لا يجوزان تكون ذات القديم محلا للحوادث كما فى علم الكلام تمام المرام (كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة) لامتناع وجود صفة قبل موصوفها وهو من العلوم الضرورية والامور البديهية (وهذا) اى الكلام من زبدة المشايخ الكرام (كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة) اى من العلماء والائمة (رضى الله عنهم) اى اجمعين (وقد فسر الامام ابو القاسم القشيرى قوله) اى قول الواسطى (هذا) اى المذكور سابقا (ليزيده بيانا) اى وبرهانا لاحقا (فقال هذه الحكاية) اى ما زاده الواسطى آنفا مما تقدم عنه الرواية (تشتمل على جوامع مسائل التوحيد) اى مما عليها مدار ارباب الدراية وهى اعتقاد ان لا شريك له فى الالهية والصفات الذاتية والفعلية واستحقاق العبودية بمقتضى النعوت الربوبية (وكيف) استفهام تعجب او انكار اى ولا (تشبه ذاته) اى الغنية بصفاته (ذات المحدثات) اى المفتقرة الى موجدها فى جميع الحالات (وهى) اى والحال ان ذاته تعالى (بوجودها) اى بوجوب وجودها وثبوت شهودها واتصافها بكرمها وجودها (مستغنية) اى عن جميع الاشياء كما قال والله الغنى وانتم الفقراء (وكيف يشبه فعله فعل الخلق) يجوز كونه فاعلا

اومفعولا وفى نسخة من فعل الخالق (وهو) اى والحال ان فعله لايعلل بغرض ولاعرض ولاعوض فصدوره عنه (لغيرجلب انس) لاستغنائه عن جليس وانيس (اودفع نقص) اى ولادفع نقص (حصل) اى تداركا لما به يتكمل (ولالخواطر) باللام ويروى بالباء فاللام تعليلية والباء سببية اى ولايكون بحصول خواطر باعثة له عليه (واغراض) بالغين المعجمة (وجد) اى شئ منها الامتناع ان يكون فعله معللا بغرض وتصحف على الدلجى بقوله وجد بكسر الجيم وتشديد الدال فقال ولايكون فعله تعالى باجتهاد على انه مستدرك بقول المصنف (ولابمباشرة ومعالجة) اى لابانفراده ولابالواسطة بل كما قال تعالى اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون (وفعل الخالق لايخرج عن هذه الوجوه) اى من الغرض والعرض والمباشرة والمعالجة (وقال آخر) غيرمعروف كما ذكره الحلبى (من مشايخنا) اى مخاطبا المريديه (ماتوهمتموه باوهامكم وادركتموه بعقولكم) اى ولوفى اكمل احوالكم وافضل مرامكم (فهومحدث) بفتح الدال اى حادث (مثلكم) واختصره بعض العارفين فقال ماخطر ببالك فالله وراء ذلك (وقال الامام ابوالمعالى) عبدالملك اى ابن ابى محمد (الجوينى) بالتصغير وهو المشهور بامام الحرمين ولد سنة تسع عشرة واربعمائة وحج وجاور بمكة والمدينة اربع سنين ثم عاد الى وطنه نيسابور وهو من جملة مشايخ الغزالى (من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره) اى وتقرر فيه ذهنه وتصوّر انه بعينه لايتصوّر غيره (فهو مشبه) بكسر الموحدة المشدّدة اى فهو من اهل التشبيه لله بذلك الموجود مما سواه (ومن اطمأن) اى سكن (الى النفى المحض) اى ذاتا وصفة (فهو معطل) اى من اهل تعطيل الكون من ان يكون له مكوّن كالدهرية والمعتزلة (وان قطع بموجود) اى من غير توهم تشبيه وتصور تعطيل (اعترف بالعجز عن درك حقيقته) بفتح الراء وسكونها اى ادراك حقيقته من جهة ذاته وصفاته (فهو موحد) كما روى عن الصديق الاكبر العجز عن درك الادراك ادراك ويؤيده حديث سبحانك لانحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ويقويه قوله تعالى ولايحيطون به علما وهذا احد محامل ماورد عليكم بدين العجائز (وما احسن قول ذى النون المصرى) وهو الزاهد الواعظ العارف بالله كان ابوه نوبيا وصار عالما فصيحا حكيما توفى سنة خمس واربعين ومائتين قال الدارقطنى روى عن مالك بن انس احاديث فى اسنادها نظر (حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله فى الاشياء) اى فى ايجادها (بلاعلاج) اى بلامعالجة ومزاولة ومباشرة واستعمال آلة (وصنعه) اى وتعلم ان صنعه (لها بلامزاج) اى بلاخلط شئ بشئ او باشياء لتركيبه فى الابتداء بل خلق الاشياء اما ابداعا بدون مادة كالسموات او تكوينا منها كالانسان من نطفة بحسب ماتعلق القدرة بمقدورها على وفق الارادة (وعلة كل شئ صنعه) اى مجرد صنعته وظهور قدرته بحسب ارادته (ولاعلة لصنعه) لان افعاله لاتعلل (وماتصوّر) بصيغة المفعول او الفاعل اى وماخطر (فى وهمك فالله بخلافه) اى بخلاف ذلك قال المصنف (وهذا الكلام عجيب نفيس) اى مرام غريب (محقق) اى ثابت فى مقام العلم مدقق (والفصل الاخير) وفى نسخة الآخر بكسر الخاء وهو الفقرة الثالثة يعنى قوله وماتصوّر فى وهمك فالله بخلافه (هو تفسير) اى توضيح وتعبير (لقوله ليس كمثله شئ والثانى) اى من الفصول وهو قوله وعلة كل شئ صنعه ولاعلة لصنعه (تفسير لقوله تعالى لايسئل عما يفعل) اى كما اشار اليه الحديث القدسى والكلام الانسى خلقت هولاء للجنة ولاابالى وخلقت هولاء للنار ولاابالى ومجمله فى التفسير قوله تعالى فريق فى الجنة وفريق فى السعير وغايته ان فعله وقع اولا فضلا وثانيا عدلا (والثالث) اى من الفصول وهو قوله التوحيد الخ (تفسير لقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) اى ليس هنالك الاظهور اثر القدرة على وفق الارادة من غير تصوّر العلة (ثبتنا الله تعالى واياك على التوحيد) اى على العلم بالوحدانية له سبحانه من جهة الذات (والاثبات) اى من جهة الصفات (والتنزيه) اى واعتقاد ان ذاته ليست كسائر الذوات وصفاته ليست كصفات المحدثات (وجنبنا) اى بعدنا (طرق الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه) اى من جهة ذاته وصفته (بمنه وفضله ورحمته) اذ لايجب عليه شئ لبريته

(الباب الرابع)

اى من القسم الاول (فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات) اى الامور الخارقة للعادة الشاهدة بصدق دعوى الرسالة (وشرفه به من الخصائص) اى الخصوصيات (والكرامات) حتى لعلماء امته واولياء ملته قال الحلبى نقل بعض مشايخى فيما قرأته عليه بالقاهرة عن الزاهد مختار بن محمود الحنفى شارح القدورى ومصنف القنية فى رسالته الناصرية انه قيل ظهر على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الف معجزة وقيل ثلاثة آلاف انتهى ولعله اراد غير المعجزات التى فى القرءآن كما سيأتى فى كلام المصنف من البيان (قال القاضى ابوالفضل) اى المؤلف رحمه الله تعالى (حسب المتأمل) بسكون السين اى كافيه (ان يحقق ان كتابنا هذا) اى المسمى بالشفاء (لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا)

اى ورسالته (ولا لطاعن فى معجزاته فنحتاج) هو بالنصب بتقدير ان اى حتى نحتاج نحن معه فى بحث الدين (الى نصب البراهين) اى الادلة النقلية والعقلية (عليها) اى على اثبات معجزاته (ونحصين حوزتها) بمهملة مفتوحة فواو ساكنة ثم زاى مفتوحة واصلها بيضة الملك ودائرتها باجمعها من حواليها واطرافها وناحيتها اى وحفظ افرادها مجموعة محصنة (حتى لايتوصل الطاعن اليها) اى الى مقدماتها بالتردد فى اثباتها (ونذكر) بالنصب عطفا على فنحتاج اى وحتى نظهر (شروط المعجز) وهو النبى المدعى (والتحدى) بالنصب اى ونبين التحدى وهو بكسر الدال المشدّدة طلب المعارضة وهو شرط كونه معجزة (وحده) بالنصب ايضا وهو بفتح الحاء وتشديد الدال اى ونعريفه بانه طلب المعارضة (وفساد) اى ونذكر فساد (قول من ابطل نسخ الشرائع) كاليهود وغيرهم (ورده) اى ونذكر رد قول مبطله والحاصل انا لم نجمعه لشئ من ذلك فلم نحتج الى ذكر مايدفع شيأ مما هنالك (بل الفناه) بتشديد اللام اى جمعنا كتابنا هذا (لاهل ملته) اى لاهل اجابة دينه وشريعته من امته (الملبين) بتشديد الموحدة المكسورة اى المجيبين (لدعوته المصدقين لنبوته ليكون) اى مافى تأليفنا هذا (تأكيدا فى محبتهم له ومنماة) بفتح الميم مفعلة من النمو اى ومزيدا (لاعمالهم) اى وفق متابعتهم له (وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) اى بضم ايقانهم الى مجرد ايمانهم (ونيتنا) اى قصدنا وغرضنا (ان نثبت) بالتخفيف والتشديد اى نذكر (فى هذا الباب امهات معجزاته) اى معظماتها واصولها (ومشاهير آياته) اى من فصولها (لتدل) بالتاء الفوقية اى تلك المعجزات الواضحات والكرامات البينات (على عظيم قدره) وفى نسخة عظم قدره بكسر العين وفتح الظاء اى على عظمة مقدار قربه (عند ربه) اى وفق كمال حبه وفى نسخة لندل بالنون اى بسبب تأليفنا ووقع فى اصل الدلجى بصيغة التذكير فقال اى مانواه من اثباتها (واتينا) بفتح الهمز اى وجئنا (منها) اى بعد ان نوينا اثباتها (بالمحقق) بفتح القاف اى بالثابت وقوعه فى القرءآن القديم (والصحيح الاسناد) اى الواقع فى الحديث الكريم كحنين الجذع وتسبيح الحصى وتكثير الطعام والشراب (واكثره) اى اغلب ما ذكر فى هذا الباب (مما بلغ القطع) اى العلم القطعى او الامر اليقينى (اوكاد) اى قارب ان يبلغه للتواتر المعنوى دون اللفظى وحذف خبر كاد مراعاة لسجع ماسبق من الاسناد اولاكتفاء للعلم بالمراد (واضفنا اليها) اى الى المعجزات الثابتة بالكتاب والسنة (بعض ماوقع فى مشاهير كتب الائمة) من نحو صحاح السنة (واذا تأمل المتأمل المنصف) اى الخارج عن وصف التعسف يقال انصف اذا اعطى الحق من نفسه (ماقدمناه من جميل اثره) اى مآثره الجميلة ومفاخره الجزيلة (وحميد سيره) اى شمائله الحميدة وفضائله السعيدة (وبراعة علمه) اى وتفوقه على جميع العلماء (ورجاحة عقله وحلمه) اى رزانتهما وزيادتهما على سائر العقلاء والحلماء (وجملة كماله) اى ومجمل كمالاته العلية (وجميع خصاله) اى اعماله واحواله السنية (وشاهد حاله) من ظهور شمائله البهية (وصواب مقاله) اى من حكمه الجلية (لم يمتر) جواب اذا اى لم يشك (فى صحة نبوته وصدق دعوته) اى فى نسبة رسالته بتبليغ دعوة الحق الى عامة الخلق (وقد كفى هذا) اى ماذكرنا (غيرواحد) اى ممن تأمل فى حال كونه داخلا (فى اسلامه) اى من جهة انقياده (والايمان به) اى من حيث اعتقاده (فروينا) بصيغة المجهول وقد تشدد واوه وروى بصيغة الفاعل ايضا والمعنى فوصل الينا رواية (عن الترمذى) وهو صاحب الجامع (وابن قانع) وهو الحافظ عبدالباقى ابن قانع وهو بالقاف والالف والنون والعين المهملة وقد تصحف بابن نافع بالنون اولا والفاء بعد الالف وقد سبق ترجمتهما (وغيرهما) اى من المخرجين (باسانيدهم ان عبدالله بن سلام) بتخفيف اللام وهو من الصحابة الكرام (قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة) اى الامينة السكينة (جئته) جواب لما اى اتيته (لانظر اليه) اى الى وجه امره وظهور شانه واتأمل فى تحقيق بيانه وتدقيق برهانه (فلما استبنت وجهه) اى رأيت ظاهر وجهه الدال على صدق سره وباطنه وفى رواية فلما تبينت وجهه اى ابصرت وجهه ظاهرا (عرفت) اى ظهر لى من امارات صدقه اللائحة على صفحة وجهه لان الظاهر عنوان الباطن (ان وجهه ليس بوجه كذاب) وتركيبه بالاضافة ويجوز بالوصفية للمبالغة (حدثنا به) اى بالحديث الآتى بعد اتمام سنده والمراد بحديث عبدالله بن سلام هذا بعينه (القاضى الشهيد ابوعلى رحمه الله) وهو الحافظ ابن سكرة (ثنا ابوالحسين) بالتصغير وهو الصواب على ماتقدم فى صدر الكتاب (الصيرفى وابوالفضل ابن خيرون) بفتح الخاء المعجمة وسكون التحتية وضم راء وسكون واو ونون منصرف ويمنع (عن ابى يعلى البغدادى) بالدال المهملة اولا والمعجمة ثانيا وهو افصح من عكسه وكذا من اهمالهما واعجامهما وهو معروف بابن زوج الحرة (عن ابى على السنجى) بكسر المهملة فنون ساكنة فجيم فياء نسبة (عن ابن محبوب) وهو المحبوبى (عن الترمذى) صاحب الجامع (ثنا محمد بن بشار) بفتح الموحدة وتشديد المعجمة (حدثنا عبدالوهاب الثقفى) اى الحافظ احد الاشراف عن ايوب ويونس وحميد وعنه احمد وابن اسحق وابن عرفة

وثقه ابن معين وقال اختلط باخره اخرج له الائمة الستة (ومحمد بن جعفر) وهو غندر وقد سبق (وابن ابى عدى) بصرى
سلمى يروى عن حميد وطبقته وعنه جماعة ثقة اخرج له اصحاب الكتب الستة (ويحيى بن سعيد) هذا هو القطان
البصرى احد الاعلام عن هشام وحميد والاعمش وعنه احمد وابن معين وابن المدينى قال احمد ما رأت عيناى مثله
وقال بندار امام اهل زمانه يحيى القطان واختلفت اليه عشرين سنة فما اظن انه عصى الله قط (عن عوف ابن ابى جميلة)
بفتح الجيم وكسر الميم وهو عوف (الاعرابى) لدخوله درب الاعراب قاله ابن دقيق العيد اخرج له الائمة الستة
(عن زرارة) بضم الزاى فى اوله (ابن اوفى) وفى نسخة ابن ابى اوفى قال الحلبى والصواب الاول وهو قاضى البصرة
ويروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعنه قتادة وغيره عالم ثقة كبير القدر ام فى داره فقرأ فاذا نقر فى الناقور
فشهق فمات قال الحلبى وقد ذكر خبر موته كذلك الترمذى فى جامعه فى باب ما جاء فى وصف صلاة رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل بسنده اخرج له الائمة الستة (عن عبد الله بن سلام الحديث) اى على ما تقدم آنفا
قال الحلبى وحديثه المذكور هنا على ما اخرجه القاضى عياض من جامع الترمذى اخرجه فى الزهد وقال صحيح وهو
فى سنن ابن ماجه ايضا فى الصلاة عن محمد بن بشار به اى بسنده وفى الاطعمة عن ابى بكر ابن ابى شيبة عن ابى اسامة
عن ابى عوف نحوه وكما روى ان ابا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى اول امره كما نظر اليه صلى الله تعالى
عليه وسلم وتأمل فى ذاته الكريمة كان يقول خلق هذا الامر عظيم فلما دعاه الى الاسلام قال هذا الذى كنت ارجو منك
فى سابق الايام (وعن ابى رمثة) بكسر الراء وميم ساكنة ثم مثلثة (التميمى) بميمين وفى نسخة التيمى ويقال ان فى حقه
على ما ذكره الحلبى (اتيت) وفى نسخة قال اتيت (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جئته (ومعى ابن لى) لا يعرف
اسمه (فاريته) بصيغة المجهول اى فارانيه بعض من يعرفه من اصحابه وغيرهم (فلما رأيته) وظهر لى ما عليه من لوائح
الصدق ولوائح الحق (قلت هذا نبى الله) رواه ابن سعيد (وروى مسلم وغيره ان ضمادا) بكسر الضاد المعجمة وهو ابن ثعلبة
من ازدشنوءة وكان صديقا له صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته بالنبوة (لما وفد عليه) اى جاء اليه بمكة وقد سمع
بعض قريش يقول محمد مجنون فقال يا محمد انى راق هل بك شئ ارقيك (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) نفيا
لما نسب اليه باثبات كمال العقل مما يظهر من دلالة كلامه عليه (ان الحمد لله) بكسر الهمزة وتشديد النون ونصب
الحمد وفى نسخة واقتصر عليها الشمنى بفتح الهمزة وكسر النون المخففة ورفع الحمد ووجهه غير ظاهر وان اختاره
كثير من الشراح واقتصر عليه بعض المحشين نعم لفظ الحديث على ما فى الحصن الحصين وان تولى عقد الخطبة ان الحمد
لله فضبط هنالك بالوجهين واما ههنا فلا يصح كون ان المصدرية بعد القول لاقتضائه الجملة ولا التفسيرية لوجود
القول الصريح وهى لا تكون الا مقرونة بما فيه معنى القول كالوحى والنداء وامثال ذلك (نحمده) جمع بين الجملة
الاسمية والفعلية تأكيدا للقضية فان الاولى تفيد الثبات والدوام والثانية تدل على تجدد الانعام او الاولى خبرية
والثانية انشائية او الاولى نظرا الى افراده ووحدته والثانية اشتراكا لغيره من امته واهل ملته واما كون النون
للعظمة على ما ذكره الدلجى فلا يلائم مقام العبودية (ونستعينه) اى فى الحمد وغيره (من يهد الله) وفى نسخة صحيحة
من يهده الله (فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له) بحذف المفعول فى جميع الاصول وفيه نكتة لا تخفى على اصحاب
الوصول (واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له) تأكيد لما قبله (وان محمدا عبده ورسوله) افرد الفعل فى مقام
التوحيد كما يناسبه مرام التفريد ولان الشهادة امر غيبى لا يطلع عليه كل احد بخلاف ظهور الحمد والاستعانة
بالحق فانه ظاهر على جميع الخلق وهذا كله اولى مما حمله الدلجى على التفنن فى العبارة والتنوع فى الاشارة (قال) اى
ضماد (له) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اعد على كلماتك هؤلاء) اى كررها لدى واظهرها على فانه كما قيل

اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره ٭ هو المسك ما كررته يتضوع

ثم هؤلاء اشارة الى الكلمات فان هؤلاء قد يستعمل لغير العقلاء وقد جاء فى رواية انه عليه السلام اعادها عليه ثلاث
مرات فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء (فقد بلغن قاموس
البحر) بالقاف والميم اى وصلن الى وسطه او قعره او لجته ونوع جنته وتبين محجته تعجبا من فصاحة مبانيها او بلاغة
معانيها وفى نسخة قاعوس بالعين المهملة وفى اخرى قابوس بالموحدة وفى اخرى ناعوس بالتاء الفوقية او النون
مع العين المهملة والمعانى متقاربة ولعل بعض النسخ مصحفة (هات) بكسر التاء اى اعطنى (يدك) اى اليمنى (ابايعك)
بسكون العين جزما على جواب الامر اى لابايعك على الايمان فبايعه وهو ممن اسلم فى اول الاسلام على ما ذكره
ابن عبد البر واما قول الحلبى هات امر من هاتى يهاتى فهو خلاف المشهور وما عليه الجمهور من انه اسم فعل
ولذا ذكره صاحب القاموس فى مادة هيت وقال هات بكسر التاء اى اعطنى لكن ذكره فى المعتل اللام ايضا

وقال هات يا رجل اى اعط والمهاتاة مفاعلة منه ويؤيده انه يقال للمرأة هاتى (وقال جامع بن شداد) بتشديد الدال
الاولى وجامع هذا محاربى اسدى كوفى يقال له ابو صخرة يروى عن صفوان بن محرز وعدة وعنه القطان وابن عدى
وهو ثقة توفى سنة ثمان عشرة ومائة على ما قاله ابن سعد ذكره الحلبى والحديث رواه البيهقى عنه انه قال (كان رجل
منا) اى من اهل زماننا (يقال له طارق) وهو ابن شهاب ابو عبد الله المحاربى وله صحبة ورواية (فاخبر انه راى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام له ولرفقائه (هل معكم شئ تبيعونه قلنا هذا
البعير) اى معنا للبيع (قال بكم) اى تبيعونه من الثمن (قلنا بكذا وكذا) لعل العطف لبيان عددين (وسقا
من تمر) بفتح الواو وتكسر اى ستين صاعا على ما فى حديث (فاخذ) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بخطامه) اى
برسنه الذى يقاد به (وسار الى المدينة) وفيه دلالة على صحة المعاطاة فى المعاملة (فقلنا) اى فيما بيننا (بعنا) اى بعيرنا
(من رجل لا ندرى من هو) اى باسمه ولا برسمه (ومعنا ظعينة) اى امرأة مسافرة او فى هودجها او تحمل اذا ظعنت
اى ارتحلت على راحلتها وقد ابعد الدلجى فى قوله اى امرأة سميت ظعينة لانها تظعن اى تسير مع زوجها حيث
سار (فقالت انا ضامنة) اى متضمنة وفى نسخة بالاضافة وهى مصحفة (لثمن البعير) مبالغة فى ضمانها بقبول
الذمة لكمال الهمة وزوال التهمة (رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر) اى فى وقت كماله من القدر (لا يخيس)
بفتح الياء اى لا يغدر (بكم فاصبحنا) اى على ذلك المنوال (فجاء رجل بتمر) اى كثير (فقال انا رسول رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم يأمركم ان تأكلوا من هذا التمر) اى مقدار ما شئتم ضيافة لكم (وتكتالوا) اى
وان تكتالوا (حتى تستوفوا) اى حتى تقبضوا قيمة بعيركم وافية (ففعلنا وفى خبر الجلندى) بضم الجيم واللام وسكون
النون ودال مهملة والف مقصورة او ممدودة على اختلاف فى اللغة وعبارة القاموس وجلنداء بضم اوله وبفتح
ثانيه ممدودة وبضم ثانيه مقصورة اسم ملك عمان ووهم الجوهرى فقصر مع فتح ثانيه انتهى وقوله (ملك عمان) بضم
العين وتخفيف الميم على ما اختاره الحلبى وقال وفى نسخة عوض عمان غسان انتهى والظاهر انه سهو او تصحيف كما لا
يخفى وذكر الدلجى انه بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من ارض البلقاء واما ما هو بالضم والتخفيف
فصقع عند البحرين وحاصله انه روى وسيمة فى كتاب الردة عن ابن اسحق فى خبر الجلندى ملك عمان (لما بلغه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام) اى مع سائر الانام وهو يحتمل ان يكون بالكتابة او بالرسالة (قال الجلندى
والله لقد دلنى على هذا النبى الامى) اى على صدق قضيته وثبوت حقيقته (انه) اى كونه عليه الصلاة والسلام
(لا يأمر بخير) اى احدا (الا كان اول آخذ به) بصيغة الفاعل اى عامل له (ولا ينهى عن شئ) اى احدا (الا كان اول
تارك له) وفى نسخة عن شر بدل عن شئ وهو الملائم لمقابلة قوله بخير (وانه) اى عليه الصلاة والسلام (يغلب) بصيغة
المعلوم اى على اعدائه (فلا يبطر) بفتح الطاء اى لا يطغى او لا يفتخر عند احبائه (ويغلب) بصيغة المجهول (فلا يضجر)
بفتح الجيم اى لا يجزع ولا يفزع بناء على قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس ولما فى حكم ابن عطاء ما دمت
فى هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار وكما قيل الحرب سجال ولقول بعضهم

فيوما علينا ويوما لنا ٭ ويوما نساء ويوما نسر

وفيه تنبيه على حسن الرضى تحت حكم القضاء مع العلم بان فى غالبيته نصرة الاولياء وفى مغلوبيته كثرة الشهداء كما
قال تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين فكل امر المؤمن مقرون بخير فى الكونين وقد قال تعالى ان تكونوا
تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون (ويفى بالعهد وينجز) بضم الياء وكسر الجيم (الموعود)
اى ويصدق الوعد (واشهد انه نبى) فلله دره وما اتم نظره حيث حملته محاسن جملته على الاقرار بنبوته من غير حاجة
الى اظهار حجته وبيان معجزته (وقال نفطويه) بكسر النون وسكون الفاء وفتح الطاء المهملة والواو وتحتية ساكنة
فهاء مكسورة وقد سبق ذكره (فى قوله تعالى يكاد زيتها يضئ) اى يفيض بالانوار من حيث ذاته (ولو لم تمسسه نار)
تفيد انارته باستنارة صفاته (هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) اى كانه تعالى يقول
(يكاد منظره) اى يقرب ظاهر رؤيته (يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا) من التلاوة وروى وان لم يقل من القول
والفاعل فيهما ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم اى وان لم ينضم لرؤيته تلاوة قرآنه الدالة على انواع معجزته (كما قال
ابن رواحة) اى فى نعته وهو بفتح الراء انصارى نقيب بدرى احد شعرائه صلى الله تعالى عليه وسلم حضر احدا
والخندق واستشهد بمؤتة بضم الميم اميرا فيها سنة ثمان من الهجرة (لو لم تكن فيه آيات مبينة) بكسر التحتية وفتحها
اى لو لم يوجد فى حقه آيات ظاهرة ومعجزات باهرة (لكان منظره ينبيك بالخبر) اصله ينبئك بالهمز فسكن ضرورة
ثم جوز ابداله لغة هذا وقد نسب الشيخ تقى الدين ابن تيمية هذا البيت الى حسان مع تغير شطره الثانى حيث قال

وما احسن قول حسان

لولم تكن فيه ايات مبينة * كانت بديهته تأتيك بالخبر

انتهى ولا يخفى انه يمكن الجمع بالتوارد فى المبنى وان كان احدهما اظهر فى المعنى (وقد آن) اى حان (ان نأخذ) اى نشرع (فى ذكر النبوة) وهى حالة الولاية قبل الرسالة (والوحى) اى وبيان الوحى الشامل لحال النبوة (والرسالة) اى وبيان نعت الرسالة وما تتميز به عن مرتبة النبوة (وبعده) اى وبعد فراغ هذا الشان نشرع (فى معجزة القرآن) اى وما يتعلق به من البيان (ومافيه) اى فى القرآن (من برهان) اى حجة (ودلالة) بفتح الدال وتكسر اى وبينة من آية وعلامة تبين مبانيها وتعين معانيها ثم فى هذا الباب ثلاثون فصلا

(فصــــل)

(اعلم ان الله تعالى قادر على خلق المعرفة) اى جميع المعارف الجزئية من العلوم الشرعية والعرفية (فى قلوب عباده) اى على وفق مراده كما حكى عن سنته سبحانه فى بعض الانبياء وكما روى عن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام فى صدره (والعلم) اى وعلى خلق العلم الكلى الاجمالى المتعلق (بذاته) اى الاسنى (واسمائه) اى الحسنى (وصفاته) اى العلى (وجميع تكليفاته) اى التى الزمها عقلاء مخلوقاته (ابتداء) اى بافاضة جذبة من جذباته (ودون واسطة) اى من ارسال ملائكته (لوشاء) اى لو تعلقت به مشيئته واقتضته حكمته (كما حكى عن سنته فى بعض الانبياء) اى وروى عن بعض الاولياء من امته حيث حصل لهم العلم اللدنى من الالهام الالهى فى امور خارقة للعادة ظهر تحقيقها عند اصحاب الارادة (وذكره بعض اهل التفسير فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) اى وحى الهام اورؤيا منام كما وقع لام موسى عليه السلام (وجائز) اى فى قدرته بعد تعلق ارادته وفق حكمته (ان يوصل اليهم جميع ذلك) اى ماذكر من العلوم الكلية والمعارف الجزئية (بواسطة) اى من ملك اونبى اوولى (يبلغهم كلامه) اى مما يقتضى مرامه (وتكون تلك الواسطة امامن غير البشر كالملائكة مع الانبياء اومن جنسهم كالانبياء مع الامم) وفى معناهم الاولياء مع اتباعهم فيما ينبغى لهم اتباعهم (ولا مانع لهذا) اى لما ذكر من حالى الابتداء والواسطة فى الابتداء (من دليل العقل) اى وقد ثبت بدليل النقل (واذا جاز هذا) اى نقلا وعقلا (ولم يستحل) اى ولم يعد ذلك محالا اصلا (وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم) اى الباهرة وآياتهم القاهرة (وجب) اى على المرسل اليهم (تصديقهم فى جميع ما اتوابه) اى من الامور الواجبة عليهم (لان المعجزة مع التحدى) اى طلب المعارضة (من النبى) اى ممن يصح ان يكون له نعت النبوة ولم يكن من اهل الاستدراج والسحر والمكر والحيلة (قائم مقام قول الله تعالى) اى شهادته فى تحقيق دعوته (صدق عبدى فاطيعوه) اى فى الاصول (واتبعوه) اى فى الفروع (وشاهد على صدقه فيما يقوله) اى من اخبار الاولين وانباء الاخرين واحوال الدنيا واهوال العقبى فان التصديق بالفعل كالتصديق بالقول وتوضيحه انه اذا ادعى نبى الرسالة ثم قال آية صدقى فى دعواى ان الله تعالى ارسلنى ان يفعل كذا ففعل الله تعالى ذلك كان ذلك من الله تصديقا له فيما يدعيه من الرسالة بما فعل من نقض العادة فيكون ذلك كقوله عقيب دعواه صدقت ويستحيل من الحكيم تصديق الكاذب اللئيم ونظير هذا ان الرجل اذا قام فى محفل عظيم وقال معشر الاشهاد انى رسول الملك اليكم ودعواه هذه بمرأى من الملك ومسمع ثم قال فان كنت ايها الملك صادقا فى دعواى فخالف عادتك وانتصب قائما وضع يدك على رأسى ثم اقعد فاذا فعل الملك ذلك اضطر الحاضرون الى تصديق الملك اياه وعلم صدقه بالضرورة فى دعواه (وهذا كاف) اى للمدعى (والتطويل فيه خارج عن الغرض) اى الاصلى ههنا (فمن اراد تتبعه) اى مستقصى (وجده مستوفى فى كتب ائمتنا) اى مصنفات ائمتنا كما فى نسخة (رحمهم الله) حيث بالغوا فى تحقيق امر التوحيد وما يتعلق به من امر النبوة وما يتبعه من اثبات المعجزة وغيرها مع الادلة العقلية والنقلية وبيان المذاهب الباطلة كالحكماء والدهرية ثم المراد بالائمة علماء هذه الامة وابعد الدلجى فى قوله يعنى المالكية اذلا دخل لهذه المباحث فى الفروع الفقهية الخلافية (فالنبوة فى لغة من يهمز) وهو نافع من بين القراء (مأخوذة من النبأ وهو الخبر) وتعديته بالهمزة تارة كقوله تعالى انبئونى وبالتضعيف اخرى كقوله سبحانه نبئ عبادى (وقد لا تهمز على هذا التأويل) اى مع بقائه على هذا المبنى وارادته من المعنى (تسهيلا) اى تخفيفا اوجبه كثرة الاستعمال بجعل الهمزة واوا وادغامها فى مثلها كالمروة واما فى نحو النبى فتخفيفه بجعل الهمزة ياء وادغامها فيما قبلها واما فى الانبياء فبابدال الهمزة ياء لانكسار ما قبلها (والمعنى) اى حينئذ على القراءتين (ان الله تعالى اطلعه على غيبه) اى بعض مغيباته اوعلى غيبه المختص به من عنده (واعلمه انه نبيه فيكون نبيا) اى فى المبنى (منبأ) اى فى المعنى وهو بضم الميم وسكون النون وفتح الموحدة بعدها الهمزة المنونة او بفتح النون

وتشديد الموحدة (فعيل بمعنى مفعول) اى ولو كان على زنة مفعل (اويكون) اى النبى (مخبرا عن مابعثه الله به ومنبئا) بالتخفيف او التشديد مكسورا اى معلما (بما اطلعه الله تعالى عليه فعيل بمعنى فاعل اويكون) اى النبى (عند من لم يهمزه) اى ولم يقل بتسهيله وادغامه بعد تبديله (من النبوة) اى مأخوذا من النبوة بفتح النون وسكون الموحدة (وهو) ذكر باعتبار ما اخبر بقوله (ما ارتفع من الارض) اوبمعنى الرفعة (ومعناه) اى حينئذ على طبق مبناه (ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة) اى منزلة لطيفة (عند مولاه منيفة) بضم الميم وكسر النون اى زائدة اومرتفعة واصلها من أناف اذا اشرف ثم هو ايضا بهذا المعنى يحتمل ان يكون فى المبنى بمعنى الفاعل اوالمفعول اى مرتفع الشان اورفيع البرهان (فالوصفان فى حقه مؤتلفان) اى الوصفان بالمعنيين من الخبر والرفعة وبالمبنيين من البناء للمفعول والفاعل باعتبار كل منهما فى حق النبى مجتمعان بل متلازمان واما قول الدلجى فالوصفان من كونه منبأ اومنبئا فقاصر عن استيفاء حق الموصوف كما لا يخفى على اهل المعروف (واما الرسول فهو المرسل) من ربه الى مكلفى خلقه لانفاذ حكمه (ولم يأت فعول بمعنى مفعل الا نادرا) اى قليلا وقوعه بل ولم يعلم لغيره وروده (وارساله) اى لكونه ليس بحقيقى بل على وجه حكمى هو (امر الله له بالابلاغ) وروى بالبلاغ اى بتبليغ امره (الى من ارسل اليه) قال تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ثم هذا الارسال قد يكون بواسطة الملائكة وقد يكون بدون الواسطة كما وقع لموسى اذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى (واشتقاقه) اى اخذه من حيث المبنى (من التتابع) اى من حيث المعنى لقوله (ومنه قولهم جاء الناس ارسالا) بفتح اوله جمع رسل بفتحتين (اذا تبع بعضهم بعضا) اى فى المأتى وقد وردانهم صلوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ارسالا اى بعضهم تبع بعضا (فكانه) اى الرسول (الزم) بصيغة المجهول (تكرير التبليغ) بالنصب على انه مفعول ثان وفى نسخة التزم تكرير التبليغ فهو مفعول اول (او) وفى نسخة بالواو (الزمت) وفى نسخة التزمت (الامة اتباعه) فهذا بيان التفرقة بين النبى والرسول بحسب المبنى وعلى مقتضى اصل اللغة فى المعنى (واختلف العلماء) اى بحسب الاصطلاح الشرعى اوالعرفى (هل النبى والرسول بمعنى) واحد فيكونان مترادفين فى اطلاق كل منهما على الآخر (او بمعنيين) اى متباينين اومتغايرين بان يكون النبى اعم والرسول اخص (فقيل هما سواء) اى فى المعنى فكل منهما انسان اوحى اليه بشرع مجدد اوغير مجدد (واصله) اى اصل هذا المعنى باعتبار المبنى مأخوذ (من الانباء) اى الاخبار (وهو الاعلام) يعنى فيلزم معنى النبوة اذا كانت من الانباء معنى الرسالة التى بمعنى الاعلام والابلاغ وفيه انه لا يلزم من انباء الله تعالى لعبده امرا ان يكون مأمورا باعلامه لغيره (واستدلوا) اى لكونهما سواء فى المعنى (بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى فقد اثبت) اى الله تعالى (لهما الارسال معا) اى ولم يجعل للعطف حكما بمغايرة بينهما (ولا يكون) وفى نسخة قال ولا يكون والصحيح قالوا ولا يكون والاظهر فلا يكون (النبى الا رسولا ولا) اى ولا يكون (الرسول الا نبيا) اى بناء على ذلك المعنى وفيه ان الارسال هنا بالمعنى اللغوى وهو البعث والاظهار لا بالمعنى الاصطلاحى والا لكفى ان يقول وما ارسلنا من قبلك احدا وسيأتى زيادة بيان لهذا المبحث (وقيل هما مفترقان من وجه) يعنى ومجتمعان من وجه اذ العطف يقتضى التغاير فى الجملة لا سيما مع وجود لا المزيدة للتأكيد والمبالغة (اذ قد اجتمعا) تعليل للقضية المطوية اى اجتمع مادتهما معنى (فى النبوة) اى على تقدير انها مهموزة وهى مأخوذة من الانباء (التى هى الاطلاع) اى لهما من عنده سبحانه وتعالى (على الغيب) اى على بعض الامور الغيبية من الامور الدينية والدنيوية والاخروية (والاعلام) اى وكذا الاعلام لهما من عند ربهما (بخواص النبوة) اى والرسالة والمعنى باختصاصهما بامور لا توجد فى غيرهما (او الرفعة) اى او اجتمعا فى الرفعة (بمعرفة ذلك) اى شان النبوة والرسالة (وحوز درجتهما) اى احاطة مرتبة كل منهما (وافترقا فى زيادة الرسالة للرسول) اى باختصاص الارسال (وهو الامر بالانذار) وهو الاعلام بالشئ الذى يحذر منه (والاعلام) تفسير او اخص مما قبله لشموله التبشير وتبيين احكام الاسلام (كما قلنا) اى بنا فيما سبق من الكلام (وحجتهم) اى ودليل اصحاب هذا القيل من الاجتماع من وجه والافتراق من آخر لا كما قال الدلجى اى من قال بافتراقهما فتدبر (من الآية) اى من جهة الآية المتقدمة (نفسها) اى بعينها (التفريق بين الاسمين) اى ضرورة كون المعطوف غير المعطوف عليه كما هو الاصل فى تغاير المتعاطفين (ولو كانا شيأ واحدا) اى هنا (لما حسن تكرارهما فى الكلام البليغ) اى البالغ غاية البلاغة المعجز لارباب الفصاحة عن قدرة المعارضة باقصر سورة (قالوا) اى هؤلاء (والمعنى) اى المراد بالآية (وما ارسلنا من رسول) وفى نسخة من نبى (الى امة) اى مأمور بالعبادة والدعوة (اونبى) اى مأمور بالعبادة فقط (وليس بمرسل الى احد) اى من الخلق بدعوة الى طريق فالاول كامل والثانى مكمل فهو اخص وذاك اتم واعم والله تعالى اعلم

(وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ) اى مجدد بان لا يكون مقررا لشرع من قبله (ومن لم يأت به) اى بشرع مبتدأ وقد اوحى اليه (فهو نبى غير رسول وان امر) اى ولو امر (بالابلاغ والانذار) لانه لم يأت بزيادة من الاحكام والآثار (والصحيح) وكذا الشهير (والذى عليه الجماء) بفتح الجيم وتشديد الميم ممدودا وفى نسخة الجم (الغفير) بالغين المعجمة والفاء اى الجمع الكثير وهم الجماهير (ان كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا) اذ النبى انسان اوحى اليه سواء امر بالتبليغ ام لا بخلاف الرسول فانه نبى مأمور بتبليغ الرسالة سواء تكون هذه الرسالة تقدمت او تجددت (واول الرسل آدم عليه السلام) اى الى بنيه وكانوا مؤمنين وكذا شيث وادريس عليهما السلام واما نوح عليه السلام فاول رسول الى كفار قومه (وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم) اى اجماعا بشهادة قوله تعالى وخاتم النبيين والحديث لا نبى بعدى (وفى حديث ابى ذر عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرفوعا على ما رواه احمد وابن حبان (ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبى وذكر) اى النبى صلى الله عليه وسلم (ان الرسل منهم) اى من الانبياء (ثلاثمائة وثلاثة عشر) وفى رواية خمسة عشر جم الغفير اى الجمع الكثير فم ومن باب مسجد الجامع (اولهم آدم) اى اول الرسل آدم وهو فى مستدرك الحاكم ايضا فى ترجمة عيسى ابن مريم بسنده الى ابى ذر قال دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى المسجد فاغتنمت خلوته فقال لى يا اباذر ان للمسجد تحية ركعتان فركعتهما ثم قلت يا رسول الله انك امرتنى بالصلاة فما الصلاة قال خير موضوع فمن شاء اقل ومن شاء اكثر ثم ذكر الحديث الى ان قال قلت كم النبيون قال مائة الف واربعة وعشرون الف نبى قلت كم المرسلون منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر وذكر باقى الحديث وتعقبه الذهبى فى تلخيص المستدرك فقال قلت السعدى ليس بثقة انتهى وفى الصحيحين فى باب الشفاعة قالوا يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض الحديث قال القاضى فى شرح مسلم وتبعه النووى ومثل هذا يسقط الاعتراض بادم وشيث ورسالتهما الى من معهما وان كانا رسولين فان آدم انما ارسل لبنيه ولم يكونوا كفارا بل امر بتبليغهم الايمان وطاعة الله وكذلك خلفه شيث بعده فيهم بخلاف رسالة نوح الى كفار اهل الارض قال القاضى وقد رأيت ابا الحسن ابن بطال ذهب الى ان آدم وادريس رسولان هذا وذكر بعضهم ان عدد اصحابه عليه السلام كعدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا وذكر ابو زرعة انه مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه مائة الف واربعة عشر الفا ولعله اقتصر على ذكر الصحابة الكبار او الرواة منهم والله تعالى اعلم ثم قيل والرسل ثلاثمائة واربعة عشر وقيل كعدد اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوزه الا مؤمن وهم ثلاثمائة وبضعة عشر وكذا عدد اهل بدر وقيل ان عدد الرسل مأخوذ من لفظ حروف محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وجملته ثلاثمائة واربعة عشر وان مدا الحاء بخمسة عشر فالميم ثلاثة احرف ميم وياء وميم والحاء حرفان حاء والف والميمان المضعفان ستة احرف والدال ثلاثة احرف دال والف ولام فاذا عددت حروف اسمه كلها ظواهرها الجلية وبواطنها الخفية حصل لك ثلاثمائة واربعة عشر فالثلاثة عشر والثلاثمائة على عدد الرسل الجامعين للنبوة ويبقى واحد من العدد وهو مقام الولاية المفرق على جميع الاولياء والاقطاب التابعين للانبياء فاسمه جامع للنبوة والولاية وفيه انه هو اصلهم وما افترق فيهم اجتمع فيه ومن هذه الزبدة ما فى البردة

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر او رشفا من الديم

هذا وقد ذكر التلمسانى فى حديث ابى ذر بلفظ طويل جدا ومن جملته بابى انت وامى يا رسول الله فكم كتاب انزل الله قال انزل الله تعالى مائة كتاب واربعة كتب انزل على شيث بن آدم خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين وعلى ابراهيم عشرا وروى عشرين وعلى موسى من قبل انزال التوراة عشر صحائف وانزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان الحديث ثم اعلم ان الاحوط ان لا نعين فى الانبياء والرسل عددا معينا ولا حدا مبينا بل نؤمن ان اولهم آدم وآخرهم نبينا الخاتم وان ما بينهما من الانبياء والمرسلين كانوا على الحق المبين لانك متى حصرتهم على عدد يحتمل ان يكونوا ازيد من ذلك او انقص مما هنالك فيؤدى اما الى انكار بعض الانبياء او الى شهادة غير النبى بانه نبى وهذا طريق الماتريدى (فقد بان) اى ظهر وتبين (لك معنى النبوة والرسالة وليستا) اى النبوة والرسالة (ذاتا للنبى) اقتضاء البديهة به (ولا وصف ذات) اى قائمة بها (خلافا للكرامية) بتشديد الراء والياء التحتية للنسبة وفى نسخة بتخفيف الراء على انه لغة بمعنى الكرم او المكرامة وفى اخرى بكسر الكاف على انه جمع الكريم والمعول هو الاول على انه علم له او لقب لكونه عاملا فى الكرم او حافظا له والله تعالى اعلم والحاصل انهم ينسبون الى محمد بن كرام ومحمد هذا كنيته ابو عبد الله السجزى سمع على ابن حجر وغيره مات بالقدس سنة خمس وخمسين ومائتين وهو صاحب المقالة كذا ذكره الحلبى وفى القاموس ومحمد بن كرام كشداد امام الكرامية القائل بان معبوده مستقر على العرش وانه جوهر تعالى

الله عن ذلك علوا كبيرا وكان قد سجن بنيسابور ثمانية اعوام لاجل بدعته ثم اخرج فسار الى بيت المقدس وما يلى الشأم (فى تطويل لهم) اى فى كثرة تعليل (وتهويل) اى تخويف وتخييل (ليس عليه تعويل) اى اعتماد من جهة دليل اذ قالوا هما صفتان قائمتان بذات الرسول سوى الوحى وامر الله له بالتبليغ والمعجزة والعصمة وصاحبهما لاتصافه بهما رسول وان لم يرسله الله ويجب عليه ارساله لا غير فهو اذا ارسل مرسل وكل مرسل رسول بلا عكس اى وليس كل رسول مرسلا اذ قد لا يرسله قالوا ويجوز عزل المرسل عن كونه مرسلا دون الرسول اذ لا يتصور عزله عن كونه رسولا على ما زعموا كذا ذكره الدلجى وقال التلمسانى ان الكرامية قائلون بان الانبياء والرسل مجبولون على النبوة والرسالة وانهم انبياء مذ خلقوا من دون ان يوحى اليهم واستدلوا على ذلك بما روى عن ابى هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد (واما الوحى) اى وان كان يطلق على معان من الصوت الخفى والالهام والاشارة ونحوها (فاصله الاسراع) لحديث اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فتوحه اى فاسرع اليه وهاؤه للسكت كذا ذكره الدلجى والظاهر انه تصحف عليه وانه بالجيم وسكون الهاء الاصلى على انه امر من التوجه ويؤيده ان لفظ الحديث على ما فى الجامع الصغير للسيوطى اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فاذا كان خيرا فامضه وان كان شرا فانته رواه ابن المبارك فى الزهد عن ابى جعفر عبد الله بن مسور الهاشمى مرسلا وفى معناه حديث اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج رواه البخارى فى الادب المفرد والبيهقى فى شعب الايمان عن رجل من بلى مرفوعا (فلما كان النبى) اى جنسه (يتلقى) اى يأخذ ويتلقن (ما يأتيه من ربه بعجل) اى بسرعة من غير تؤدة (سمى وحيا) ولعله من هذا القبيل كان سرعة اخذ نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى تناول التنزيل عند قراءة جبريل حتى نزل تسلية له فى التحصيل قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه (وسميت انواع الالهامات) اى الواردة لافراد الانسان والحيوانات (وحيا) كقوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه وقوله سبحانه وتعالى واوحى ربك الى النحل الآية (تشبيها) اى لها (بالوحى الى النبى) اى فى تلقيه بعجلة والالهام هو القاء شئ فى الروع يبعث على الفعل او الترك يختص به الله من يشاء من عباده ومخلوقاته (وسمى الخط) اى الكتابة (وحيا لسرعة حركة يد كاتبه) او لسرعة ادراك الخط من صاحبه (ووحى الحاجب) اى اشارته (واللحظ) اى ايماء العين (سرعة اشارتهما) اى حركتهما بهما (ومنه) اى ومن قبيل اطلاق الوحى على الاشارة المطلقة (قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اى اومأ ورمز) اى اشار باحد اعضائه (وقيل كتب) اى لهم على الارض ان سبحوا (ومنه) اى من كون الوحى بمعنى الاشارة بالسرعة (قولهم) كما فى حديث ابى بكر رضى الله تعالى عنه (الوحا) بفتح الواو (الوحاء) يمد ويقصر على ما ذكره الجوهرى وقيل ان كرر مد وقصر وان افرد مد والتكرير للمبالغة ونصبه على الاغراء ومعناه كما قال (اى السرعة السرعة) بضم السين وقيل بفتحها ايضا يعنى الزموها ويقال الوحاء الوحاء بكسر الواو اى البدار البدار بمعنى المبادرة والمسارعة (وقيل اصل الوحى السر) اى الاسرار (والاخفاء) ومن ثمة قالوا هو الاعلام على وجه الخفاء (ومنه) اى ومن كون الوحى هو السر (سمى الالهام وحيا) اى لخفائه على غير اهله (ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم) يعنى من المشركين (اى يوسوسون فى صدورهم) يعنى لاغوائهم (ومنه واوحينا الى ام موسى اى القى فى قلبها) بصيغة المجهول كما صرح به الحلبى وغيره ويجوز ان يكون بصيغة المعلوم اى قذف الله تعالى الهاما او مناما ان ارضعيه اى ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه الآية (وقد قيل ذلك) اى ما ذكر من الوحى بمعنى الالهام او المنام (فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى ما يلقيه فى قلبه) يعنى الهاما او مناما (دون واسطة) اى كما يفهم من المقابلة بقوله او من وراء حجاب كموسى عليه السلام او يرسل رسولا كجبريل او غيره من الملائكة فالواسطة اما معنوية او صورية ودونها مختصة بالواقعة القلبية والله سبحانه وتعالى اعلم بحقائق القضية

(فصــــــل)

(اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء) اى من الآيات الخارقة للعادة (معجزة هو ان الخلق) اى المرسل اليهم (عجزوا) بفتح الجيم وهى اللغة الفصحى ومنه قوله تعالى أعجزت وتكسر على لغة فالمستقبل على عكسهما اى لم يقدروا حيث ضعفوا (عن الاتيان بمثلها) فكانها اعجزتهم عن معارضة اظهار نظيرها والا فالمعجز فى الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى كما انه قادر على اقدار العبد بنحوها او على ابدائها على يد مظهرها والتاء للمبالغة او لكونها وصفا للآية الخارقة للعادة (وهى) اى المعجزة (على ضربين) اى صنفين من حيث كونها مقدورة للبشر وغير مقدورة لهم (ضرب هو من نوع قدرة البشر) اى فى الجملة او بالقوة على تقدير خلق القدرة فيه بان يمكن دخوله تحت قدرتهم (فعجزوا عنه) اى بناء على

صرفهم (فتعجيزهم) اى تعجيز الله تعالى اياهم (عنه) بصرف توجههم عنه (فعل الله دل على صدق نبيه) لانه كصريح قوله صدق عبدى فى دعواه الرسالة لجرى العادة بخلقه تعالى عقبه علما ضروريا بصدقه كمن قال لجمع انا رسول الله اليكم ثم نتق فوقهم جبلا ثم قال ان كذبتمونى وقع عليكم وان صدقتمونى انصرف عنكم فكلما هموا بتصديقه بعد عنهم او بتكذيبه قرب منهم فانهم يعلمون حينئذ ضرورة صدقه مع قضاء العادة بامتناع صدور ذلك من الكاذب (كصرفهم) اى كصرف الله تعالى لكفار اليهود (عن تمنى الموت) بقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ثم اخبر عنهم بقوله ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لو تمنوا اليهود الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار كما رواه البخارى وغيره (واعجازهم) بالجر عطفا على صرفهم اى وكاعجاز المشركين وغيرهم (عن الاتيان بمثل القرءآن على رأى بعضهم) اى انه بناء على صرفهم كالنظام من المعتزلة والمرتضى من الشيعة والحق ان عجزهم عنه انما كان لعلو درجته فى فصاحته وبلاغته وغرابة اساليبه وجزالة تراكيبه مع اشتماله على اخبار الاولين وآثار الآخرين وتضمنه للامور الغيبية الواقعة سابقا ولاحقا فهو معجزة من جهة المبنى ومن حيثية المعنى (ونحوه) اى وكتعجيزهم عن نحو الاتيان بمثل القرءآن من سائر خوارق العادة (وضرب) اى نوع من المعجزة (هو خارج عن قدرتهم) اى حتى بالقوة (فلم يقدروا على الاتيان بمثله) اى بالكلية (كاحياء الموتى) اذ ليس من جنس افعال البشر ولا الملك واما احياؤهم بدعاء عيسى معجزة له فانما كان من الله تعالى لامته بدليل قوله تعالى واحيى الموتى باذن الله (وقلب العصا حية) اى تسمى معجزة لموسى (واخراج ناقة من صخرة) اى بلا واسطة واسباب معهودة معجزة لصالح (وكلام شجرة) اى لموسى من قبل الله تعالى او لنبينا عليه الصلاة والسلام باظهار كلمة الاسلام (ونبع الماء من الاصابع) وفى نسخة من بين الاصابع معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما وردت به الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة (وانشقاق القمر) معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما صح به الخبر ونص القرءآن بقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر والمعنى ان ذلك وامثاله (مما لا يمكن) وفى نسخة مما لا يجوز (ان يفعله احد الا الله تعالى فيكون ذلك) اى هذا الضرب الذى لا يفعله الا الله وفى نسخة فكون ذلك (على يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى صورة (من فعل الله تعالى) اى حقيقة كما حقق فى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (وتحديه) اى وطلب معارضة النبى (من يكذبه ان يأتى بمثله تعجيز) وفى نسخة تعجيزه اى عن ذلك (واعلم ان المعجزات التى ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه) اى فى دعوى رسالته واعلاء حجته كانشقاق القمر ومجيء الشجر وتسليم الحجر وحنين الجذع واما سقوط شرف بناء الاكاسرة وخرور الاوثان ليلة ولد واظلال الغمام قبل البعثة فهو من الارهاصات لا المعجزات خلافا لما توهمه عبارة الدلجى (من هذين النوعين معا) اى جميعا باعتبار البعض والبعض فمنها ما هو من نوع قدرة البشر ومنها ما هو خارج عنها (وهو) اى نبينا (اكثر الانبياء معجزة وابهرهم آية) اى انورهم (واظهرهم برهانا) اى حجة وبيانا (كما سنبينه) فى محله ان شاء الله تعالى وحده (وهى) اى معجزاته (فى كثرتها لا يحيط بها ضبط) اى لجزئياتها (فان واحدا منها) اى مما هو اعظمها (وهو القرءآن) اى من حيث آياته وسوره المشتملة على دلالات بيناته (لا يحصى) بصيغة المجهول اى لا يحصر ولا يعد (عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر) لما اوتيه من فنون البلاغة وصنوف الفصاحة من جملتها افادة المعانى الكثيرة فى المبانى اليسيرة الى غير ذلك من انواعها العجيبة واصنافها الغريبة التى عجز عنها الخطباء والبلغاء من العرب العرباء (لان النبى) وهو الرسول الاعظم والنبى الافخم صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم (قد تحدى بسورة منه) اى طلب المعارضة باقصر سورة من سور القرءآن (فعجز عنها) بصيغة المجهول اى فعجز جميع اهل المعانى والبيان عن الاتيان بمثل سورة من القرءآن تصديقا لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرءآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اى معاونا ونصيرا (قال العلماء واقصر السور) اى سور القرءآن وفى نسخة سوره بالضمير (انا اعطيناك الكوثر) اى الى آخره وكان الاظهر الاقصر ان يقول واقصر السور سورة الكوثر لانها ثلاث آيات حروفها اقل من حروف آيات سورة هى ثلاث مثلها كقل هو الله احد كذا قرره الدلجى وهو وهم منه لان سورة الاخلاص اربع آيات نعم سورة العصر نحوها فى عدد الآيات لكنها اطول منها باعتبار الحروف والكلمات فى عددها (فكل آية) اى منه (او آيات منه) اى من القرءآن وسورة (بعددها) اى طويلة بعدد اقصر سورة من جهة الآيات او الحروف او الكلمات (وقدرها معجزة) فقوله تعالى فأتوا بسورة اعم من ان تكون حقيقية او حكمية (ثم فيها) اى فى سورة الكوثر (نفسها) اى بعينها (معجزات) اى بخصوصها (على ما سنفصله) اى نبينه (فيما انطوى) اى اشتمل القرءآن

واحتوى (عليه من المعجزات) اى التى لا تكاد تستقصى (ثم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى الثابتة لدينا والواصلة الينا (على قسمين) اى باعتبار ما يكون حصوله قطعيا ووصوله ظنيا (قسم منها علم) اى لنا من طريق كونه (قطعا) كذا قدره الدلجى بناء على جعله لفظ علم مصدرا والصحيح انه فعل ماض مجهول وان قطعا صفة لمصدر مقدر اى علم ذلك القسم علم قطع كما يدل عليه عطف قوله (ونقل الينا تواترا) اى نقل تواتر وفى نسخة متواترا (كالقرءآن) فانه لكون طريق وصوله الينا تواترا صار علمه لدينا قطعا (فلا مرية) بكسر الميم وقد تضم اى ولا شك ولا شبهة ويروى بلا مرية (ولا خلاف) اى بين ائمة الامة (بمجيء النبى به وظهوره من قبله) بكسر القاف وفتح الباء اى من جهته وهو عطف تفسير لزيادة تقرير (واستدلاله بحجته) اى واستشهاد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحجة القرءآن على صدق محجته وتصديق نبوته وارسال الله تعالى اياه الى كافة بريته (وان انكر هذا) اى ما ذكر من مجيئه به وظهوره من قبله واستدلاله به (معاند) اى حائد برد الحق مع علمه (جاحد) اى منكر له ملحد فى حكمه (فهو) اى انكاره ذلك (كانكاره وجود محمد فى الدنيا) حيث انكر كل منهما انكار مكابرة ومجاحدة لتحقق وجودهما بثبوت مشاهدة وان كان احدهما حسيا والآخر معنويا والحاصل ان وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم وشهوده لا ينكره احد من الموجودين (وانما جاء اعتراض الجاحدين) اى المنكرين والملحدين (فى الحجة فيه) اى فى كونه حجة له قاله الدلجى والصحيح فى الاحتجاج به او فى ثبوت الحجة بكتابه كما ورد فى طعن المشركين اذ قالوا اساطير الاولين ما انزل الله على بشر من شيء هذا سحر مبين (فهو) اى القرءآن (فى نفسه) اى فى حد ذاته (وجميع ما تضمنه) اى من سوره وآياته (من معجز) الاولى من معجزاته (معلوم ضرورة) اى بديهة لا تقتضى روية كما شهد به الاعداء من اهل الخبرة كالوليد بن المغيرة اذ قال فى حقه لما تلى عليه بعضه ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمعرق وان اعلاه لمثمر وما هو من كلام البشر (ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا) كان الاولى ان يقال ووجه اعجازه مفهوم ضرورية ونظرية لئلا يقع تكرار صريح فى العبارة اما ضرورة فلان سلاسة مبناه وجزالة معناه ونظم آياته والفة كلماته وصباحة وجوه فواتحه وخواتمه فى بداياته ونهاياته فى اعلى مراتب البلاغة واعلى مناقب الفصاحة لا يحتاج العلم به الى الدلالة فيحكم العقلاء باعجازه فى البداهة واما نظرا فلافتقار بعض وجوهه الى النظر والتفكر فى خصوص ذلك الامر (كما سنشرحه) اى نبين ذلك القدر (قال بعض ائمتنا) اى ائمة المالكية وفى نسخة صحيحة بعض مشايخنا (ويجرى هذا المجرى) اى مجرى كون القسم الاول من معجزاته الذى علم قطعا ونقل الينا تواترا (على الجملة) اى فى الجملة باعتبار المعنى لا بطريق المبنى (انه) فاعل يجرى اى الشان (قد جرى على يده) وفى نسخة صحيحة على يديه (صلى الله تعالى عليه وسلم آيات) اى علامات او معجزات (وخوارق عادات) اى شاملة لمعجزات وكرامات (ان لم يبلغ واحد منها) اى لم يصل امر واحد من تلك الامور (معينا) اى مشخصا ومبينا (القطع) بالنصب اى العلم القطعى بالنسبة الى غير الصحابى (فيبلغه) اى العلم اليقينى (جميعها) اى باعتبار معانيها دون مبانيها (على يديه) اى بناء على ما صدر لديه (ولا يختلف مؤمن ولا كافر) كان الاولى ان يقول وكافر بدون لا او يقول ولا يخالف مؤمن ولا كافر (انه قد جرت على يديه عجائب) اى آيات غرائب مما ازاغت ابصارهم وحيرت بصائرهم (وانما خلاف المعاند) اى مخالفته مع الموحد (فى كونها) اى فى وصول العجائب فائضة (من قبل الله تعالى) اى من جهة المبدأ الفياض كما يقوله المؤمن الموحد او حاصلة من تلقاء نفسه عليه الصلاة والسلام وانه شاعر او ساحر ونحوهما كما تفوه به المشرك الملحد (وقد قدمنا كونها) اى كون المعجزة فائضة (من قبل الله تعالى) اى لا واصلة من تلقاء نبيه (وان ذلك) اى المعجز مع التحدى (بمثابة قوله) اى الله سبحانه وتعالى (صدقت) اى يا عبدى فيما ادعيت من رسالتى (فقد علم وقوع مثل هذا) اى الذى قدمناه (ايضا من نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (ضرورة) اى بديهة (لاتفاق معانيها) اى مع قطع النظر عن اختلاف مبانيها فى كونها خوارق عادات وعلى صدق صاحبها علامات (كما يعلم ضرورة) اى عند الاخباريين وكذا عند بعض العامة (جود حاتم) بكسر التاء اى ابن عبد الله بن سعد الطائى مشهور بين العرب والعجم مات على كفره (وشجاعة عنترة) بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح التاء الفوقية فراء بعدها هاء وهو العبسى (وحلم احنف) اى ابن قيس التميمى (لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم) اى من المؤرخين والاخباريين (على كرم هذا) يعنى حاتما (وشجاعة هذا) يعنى عنترة (وحلم هذا) يعنى احنف فاشار الى كل واحد بما للقريب تنزيلا له فى ذهنه منزلته (وان كان كل خبر) اى من اخبار هؤلاء الثلاثة (بنفسه) اى بانفراده ويروى فى نفسه (لا يوجب العلم) اى القطعى (ولا يقطع بصحته) لعدم تواتر كل واحد منها منفردا فى كل عصر وطبقة ثم اعلم ان حاتما هذا والدعدى قدم المدينة ابنه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سنة تسع فى شعبان

وكان نصرانيا فاسلم واسلمت اخته بنت حاتم قبل عدى رضى الله تعالى عنهما واما عنترة فهو ابن معاوية بن شداد وكان عنترة شديد السواد وامه زبيبة امة سوداء كانت لابيه وكان من اشهر فرسان العرب واشدهم بأسا وفى القاموس عنتر كجعفر وجندب فى لغية الذباب والعنترة صوته والشجاعة فى الحرب هذا ولو قال كشجاعة على لكان اظهر فانه بهذا الوصف بين العرب والعجم اشهر واما الاحنف فهو بفتح الهمزة ثم حاء مهملة ساكنة ثم نون مفتوحة ثم فاء روى عن عمر وعثمان وعلى وعدة وعنه الحسن وحميد بن هلال وجماعة وكان سيدا نبيلا اخرج له الائمة الستة مخضرم وقد اسلم فى عهده عليه السلام ودعا له ولم يتفق له رؤيته قال صاحب القاموس تابعى كبير (والقسم الثانى) اى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم هو (ما لم يبلغ) اى لم يصل علمه (مبلغ الضرورة والقطع) اى قطعا يصير ضروريا بديهيا ولا فكريا قطعيا (وهو) اى هذا القسم الذى بمنزلة الجنس (على نوعين نوع مشتهر) اى عند الخاصة (منتشر) اى عند العامة وكلاهما بصيغة الفاعل (رواه العدد الكثير) اى من الصحابة والتابعين (وشاع الخبر به عند المحدثين) اى من المخرجين والمصنفين (والرواة) اى من المتأخرين (ونقلة السير) بفتح النون والقاف جمع ناقل والسير بكسر السين وفتح الباء جمع سيرة اى ومن الذين نقلوا سير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من صفاته وآياته ومعجزاته (والاخبار) بفتح الهمزة اى الاحاديث المتعلقة بسيد الابرار صلى الله تعالى عليه وسلم الواردة عن بقية العلماء الاخيار (كنبع الماء من بين اصابعه) او من اصابعه كما فى بعض طرقه (وتكثير الطعام) اى المأكول والمشروب كما فى حديث انس وغيره وكحنين الجذع وكلام الضب والذراع مما رواه الشيخان وغيرهما (ونوع منه) وهو الذى غير مشتهر ولا منتشر (اختص به) اى بنقله (الواحد) اى تارة (والاثنان) اى اخرى (ورواه العدد اليسير) اى ولو وصل الى مرتبة الجمع فى بعض طرقه (ولم يشتهر) اى هذا القسم (اشتهار غيره) اى الثابت بالعدد الكثير والجم الغفير (لكنه اذا جمع الى مثله) اى فى المبنى (اتفقا فى المعنى) اى المراد به ثبوت الاعجاز فى المدعى (واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا) اى من انه لا مرية فى جريان معانيها على يديه وانه اذا ضم بعضها الى بعض افاد القطع لديه (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (وانا اقول صدعا بالحق) اى جهرا به ومنه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر (ان كثيرا من هذه الآيات) اى الواردات كمجيء الشجر اليه وتسليم الحجر عليه وتسبيح الحصى فى يديه (المأثورة) اى المروية (عنه عليه السلام) اى ولو كانت آحادا مبنى (معلومة بالقطع) لتواترها معنى (اما انشقاق القمر) اى على يديه بمكة حين سأله كفار قريش آية (فالقرآن نص بوقوعه) اى فى الجملة لانه ظنى الدلالة واما قول الدلجى اما انشقاق القمر فانه متواتر لفظا اذ القرآن نص بوقوعه فليس على اطلاقه (واخبر عن وجوده) اى ثبوته وحصوله لقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقرئ وقد انشق اى اقتربت وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر قبلها (ولا يعدل عن ظاهره) اى من تحقق وقوعه وثبوت وجوده الى تأويله بانه سينشق يوم القيامة وانه جيء بالماضى لتحقق وقوعه فى مستقبله (الا بدليل) موجب لحمله عليه وصرفه اليه (وجاء) اى وقد ورد (برفع احتماله) اى احتمال الدليل الدال على صرف الآية عن ظاهرها (صحيح الاخبار) اى الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة (من طرق كثيرة) كخبر الصحيحين وغيرهما (ولا يوهن) وكان الانسب فى ترتيب السبب ان يقال فلا يوهن بالفاء وهو بضم الياء وكسر الهاء مخففا او مثقلا اى لا يضعف (عزمنا) اى جزمنا (خلاف اخرق) اى مخالفة جاهل احمق افعل من الخرق ضد الرفق (منحل عرى الدين) بضم ميم وسكون نون وحاء مهملة مفتوحة ولام مشددة مضاف الى عرى بضم العين وفتح الراء جمع عروة وهى ما يتمسك به فى امر الديانة ومنه قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها اى لا انقطاع لها (ولا يلتفت) بصيغة المجهول اى ولا ينظر (الى سخافة مبتدع) بفتح السين المهملة والخاء المعجمة اى رقة عقل ضال عدل عن الحق المبين (يلقى) بضم الياء وكسر القاف اى يوقع (الشك) اى التردد والشبهة (على قلوب ضعفاء المؤمنين) خبر بما قبلته ووقعت فى ضلالة المبتدعين (بل نرغم بهذا انفه) بصيغة الفاعل المتكلم من ارغم انفه الصقه بالرغام بالفتح وهو التراب والمعنى نذله (وننبذ) بفتح النون الاولى وكسر الموحدة اى نطرح (بالعراء) اى بالصحراء والفضاء ومكان الخلاء (سخفه) بضم السين المهملة وفتح وسكون الخاء المعجمة اى رقة عقله وكثافة جهله والمعنى نلقى جهله بالعراء لا شيء يستره من البناء وفى بعض النسخ يرغم وينبذ بصيغة التذكير وبناء المجهول وانفه وسخفه مرفوعان (وكذلك) اى وكانشقاق القمر فى كثرة الرواة طرقا صريحة واسانيد صحيحة (قصة نبع الماء) اى من بين اصابعه او من اصابعه (وتكثير الطعام رواها) اى قصة النبع والتكثير (الثقات) اى من الرواة (والعدد الكثير) اى من الاثبات والمراد منهم طبقة الاتباع (عن الجماء) وفى نسخة الجم (الغفير) اى عن الجمع الكثير من التابعين (عن العدد الكثير من الصحابة) فمن روى نبع الماء بالزوراء

بقرب

بقرب مسجده بالمدينة السكينة الشيخان عن انس رضى الله عنه وبالسفر البخارى عن ابن مسعود وممن روى تكثير الطعام البخارى والنسائى عن الشعبى عن جابر فى قضاء دين والده والشيخان والترمذى والنسائى عن انس فى قصة ابى طلحة يوم الخندق (ومنها) اى ومن جملة المعجزات او من جملة رواية الثقات (ما رواه الكافة) اى الجماعة (عن الكافة) اى عن مثلهم فى الكثرة (متصلا) اى نقلا متصلا غير منقطع اصلا (عمن حدث بها) اى بالمعجزة او بتلك الرواية الدالة عليها (من جملة الصحابة) بيان لمن وفى نسخة من جلة الصحابة بكسر الجيم وتشديد اللام اى اكابرهم او معظمهم ويؤيده قوله (واخيارهم) على ما ضبط فى نسخة صحيحة من فتح الهمزة ثم الياء التحتية لكن فى اكثر النسخ اخبارهم بكسر الهمزة ثم الموحدة مجرورا ولا يظهر وجهه ولعله مرفوع عطفا على ما رواه اى ومنها نقل الصحابة (ان ذلك) اى ما ذكر من تكثير الطعام (كان فى موطن اجتماع الكثير منهم) اى من الصحابة وغيرهم (فى يوم الخندق) اى حول المدينة فى غزوة الاحزاب وكانت سنة خمس (وفى غزوة بواط) بضم الباء الموحدة وتفتح جبل من جبال جهينة وكانت سنة (وعمرة الحديبية) بتخفيف الياء الثانية وتشدد وكانت سنة ست فى ذى القعدة ووهم من قال فى رمضان وانما كان الفتح فيه (وغزوة تبوك) بفتح الفوقية وضم الموحدة ممنوعا وقد يصرف وكانت فى السنة التاسعة وهى آخر غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم بذاته وهو موضع بطرف الشام بينه وبين المدينة اربع عشرة مرحلة (وامثالها من محافل المسلمين) اماكن اجتماعهم (ومجمع العساكر) اى مكان جمع المجاهدين وكان الاولى ان يؤتى بصيغة الجمع فيهما او بافرادهما (ولم يؤثر) بصيغة المفعول من الاثر اى ولم ينقل (عن احد من الصحابة مخالفة للراوى) اى منهم فى قصتهما (فيما حكاه) اى رواه (ولا) اى ولا نقل عن احد منهم (انكار لما ذكر) بصيغة المجهول اى ذكره بعضهم (انهم) اى بقية الصحابة (رأوه) اى شاهدوه منه صلى الله تعالى عليه وسلم (كما رواه) اى عنه (فسكوت الساكت منهم) اى اذا وقعت الرواية فى مكانهم او زمانهم (كنطق الناطق) اى بمنزلة رواية الراوى منهم به (اذهم المنزهون) اى المبرأون (عن السكوت على باطل والمداهنة فى كذب) بفتح الكاف وكسر الذال او بكسر فسكون وهذا بشهادة قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وبدلالة قوله عليه الصلاة والسلام خير القرون قرنى فكلهم عدول رضى الله تعالى عنهم (وليس هناك رغبة) اى ميل وطمع (ولا رهبة) اى خوف وفزع والمعنى انه ما كان هناك موجبة من مداراة مع الخلق ومداهنة فى الحق (تمنعهم) من الانكار وتحملهم على السكوت الذى هو بمنزلة الاقرار (ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم) اى ولو فى الجملة (لانكروه) اى ذلك المسموع وانكروا على ناقله ايضا (كما انكر بعضهم) اى بعض الصحابة (على بعض) اى آخرين (اشياء رواها) اى نقلها بعضهم (من السنن والسير وحروف القرآن) بيان لاشياء والمراد بالسنن الاحاديث المتعلقة بالاحكام وبالسير الروايات المختصة بشمائله عليه الصلاة والسلام وبحروف القرآن قراآته كانكار عمر رضى الله تعالى عنه على هشام بن حكيم بن حزام اذ سمعه يقرأ سورة الفرقان على غير ما اقرأه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء به اليه فقال سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما اقرأتنيها فقال اقرأ يا هشام فقرأ فقال هكذا انزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأ فقال هكذا انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأوا ما تيسر منه رواه الائمة الستة (وخطأ بعضهم بعضا) بتشديد الطاء اى نسب بعضهم بعضا الى الخطأ فى اجتهاداتهم واستنباطاتهم (ووهمه) بتشديد الهاء اى ونسب بعضهم بعضا الى الوهم فى رواياتهم (فى ذلك) اى فى جميع ما ذكر من السنن والسير والقراآت (مما هو معلوم) اى عند ارباب الدرايات كتخطئة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نوفا البكالى فى قوله ان موسى الخضر ليس موسى بنى اسرائيل (فهذا النوع) اى الذى رواه العدد اليسير لا الجمع الكثير (كله) اى جميع افراده (يلحق) بفتح الياء على ما قاله الحلبى وغيره وكذا بفتح الحاء والاظهر ان يكون بصيغة المجهول ووقع فى اصل الدلجى ملحق بالميم وصيغة المفعول وهو نسخة ايضا والمعنى يوصل (بالقطعى من معجزاته) ويعطى حكمه من كراماته (لما بيناه) مما يؤذن بان رواية بعضهم وسكوت بعضهم بمنزلة وقوع الاجماع فان هذه الامة لا تجتمع على الضلالة (وايضا فان امثال الاخبار التى لا اصل لها) اى كالموضوعات (وبنيت على باطل) اى غرض فاسد من الخيالات (لا بد مع مرور الازمان) اى مضى الاوقات (وتداول الناس) اى فى الروايات (واهل البحث) اى عن حال الرواة (من انكشاف ضعفها) اى لا افتراق من تبين ضعف امرها (وخمول ذكرها) اى وخموده عند اهل المعرفة بسندها (كما يشاهد) بصيغة المجهول وفى نسخة بضم النون وكسر الهاء اى كما يرى ويعلم ويظهر (فى كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة) بالهمز ويبدل اى الحكايات العارضة (واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الهمزة اى معجزاته التى هى لشهرتها وانتشارها كالاعلام جمع علم على عجز من ناواه ورد من عاداه (هذه الواردة) اى كل واحد منها (من طريق الآحاد) اى المفيدة للظن مبنى لكنه اذا ضم بعضها الى بعض

صارت متواترة موجبة للقطع معنى (لا تزداد) اى بايراد تلك الآحاد (مع مرور الزمان الا ظهورا) اى اجلالا للمؤيد بها وامدادا وارغاما لمنكرها عنادا (ومع تداول الفرق) اى للامور فرقة فرقة كذا قرره الدلجى بناء على ما وقع فى اصله وفى اكثر النسخ تداول القرون وهو المناسب لمقابلة ما سبق من قوله تداول الناس (وكثرة طعن العدو) اى الاعداء فانه يطلق على الجمع والمفرد مع افراد لفظه ولذا قال (وحرصه على توهينها) اى ابطالها (وتضعيف اصلها) اى باعتبار متنها واسنادها (واجتهاد الملحد) اى بذل الظالم وسعه عادلا عن الحق قال الدلجى وفى نسخة واجهاد بلا تاء اى نفسه اى ايقاعها فى مشقة وجد وكد ومبالغة (على اطفاء نورها) يعنى وهى لا تزداد مع ذلك (الا قوة وقبولا) اى للمنصف المذعن للحق (ولا للطاعن) اى ولا تزداد للذام العائب (عليها الا حسرة وغليلا) بفتح الغين المعجمة اى حرارة وعطشا يهلك من كان عليلا (وكذلك) اى وكاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد (اخباره) بكسر الهمزة اى اعلامه (عن الغيوب) كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مما اخبر به عن المغيبات فى حديث الحاكم بلاء يصيب هذه الامة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم وقد وجد هذا عند اهل العلم (وانباؤه) بكسر الهمزة اى واخباره (بما يكون) اى فى الآخرين (وكان) اى وبما كان فى الاولين او بما يكون فى الغيوب وبما كان من العدم (معلوم) اى كل ذلك معلوم كونه (من آياته) اى علاماته الدالة على صدق حالاته وصحة معجزاته (على الجملة) اى من غير نظر الى الطرق المفصلة (بالضرورة) اى بالبداهة العقلية فهو فى الجملة قطعى الدلالة من غير احتياج علمنا بكونه منها الى كسب من تفكر واستدلال بالادلة (وهذا حق) اى امر ظاهر (لا غطاء عليه) ولا مرية لديه (وقد قال به) اى بكون اخباره بما يكون الخ (من ائمتنا) اى الاشعرية (القاضى) قال الحلبى الظاهر انه ابو بكر الباقلانى المالكى (والاستاذ) بالدال المهملة وقيل بالمعجمة (ابو بكر) اى ابن فورك بضم الفاء من الشافعية (وغيرهما) اى من الائمة الحنفية والحنبلية والمشايخ الماتريدية من اكابر اهل السنة والجماعة (وعندى اوجب قول القائل) بالنصب وفى اصل الدلجى ما اوجب اى ما اثبت قوله وفى نسخة وما عندى اوجب قول القائل (ان هذه القصص المشهورة) اى فى باب المعجزات وخوارق العادات (من خبر الواحد) اى انما هى من خبر الآحاد وهى لا تفيد الا ظنا مبينا لا علما يقينا وما الجأه الى قوله هذا الا (قلة مطالعته) اى ملاحظة هذا القائل (للاخبار) اى للاحاديث الصريحة (وروايتها) اى وقلة معرفته بالاسانيد الصحيحة (وشغله بغير ذلك من المعارف) بضم الشين وفتحها وبضمتين اى وكثرة اشتغاله بغير ما ذكر من الادلة النقلية المفيدة للعلوم اليقينية من الآلات والادوات العربية والمعارف الجزئية التى مأخذها الامور الظنية والعوارف الوهمية (والا) اى وان لم يكن موجب قوله ذلك قلة اعتنائه بما هنالك (فمن اعتنى) اى اهتم (بطرق النقل) اى اسانيد المنقول فى هذا الباب (وطالع الاحاديث والسير) اى كتبهما على ما رتب فى الابواب (لم يرتب) من الارتياب اى لم يشك (فى صحة هذه القصص المشهورة) اى الروايات المأثورة والحكايات المذكورة وتبين له انها (على الوجه الذى ذكرناه) اى على الطريق الذى قررناه والمنهج الذى حررناه من انها من باب التواتر معنى وان كانت من احاديث الآحاد مبنى (ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد) اى من اهل الحديث والقرآءة مثلا (ولا يحصل عند آخر) اذا كان عاريا عن معرفتهما اصلا وفرعا (فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون) وفى نسخة ان وفى اخرى كون ان (بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة) اى كبيرة مشهورة (ودار الامامة والخلافة) ومحل العلماء ومنزل الاولياء بعد ان عمرت فى زمن ابى جعفر المنصور العباسى اخى السفاح سنة خمس واربعين ومائة وكانت قبل ذلك مبقلة وسبق انه يجوز فى دالها اعجام واهمال والمرجح اهمال الاول واعجام الثانى كما صرح فى رواية الشاطبية (وآحاد من الناس) اى الذين فى اطراف العالم واكنافه (لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها) اى من رسمها ووسمها (وهكذا) اى وكعلم بعض الناس ببغداد وجهل غيرهم بها (يعلم الفقهاء من اصحاب مالك) اى مثلا من حيث تقليدهم لما هنالك (بالضرورة) اى بالبديهة الضرورية من غير احتياج الى التفكر والروية (وتواتر النقل) وفى نسخة صحيحة والنقل المتواتر (عنه) اى عن مالك الامام (ان مذهبه ايجاب قرآءة ام القرآن) اى سورة الفاتحة من غير البسملة (فى الصلاة للمنفرد والامام) اى دون المأموم وان لم يسمع قرآءة امامه بل يكره له فى الجهرية قرآءتها وهذا موافق لمذهب الامام ابى حنيفة رحمه الله على تفصيل فى كتبهم والشافعى يوجبها على المأموم ايضا (واجزاء النية) اى وان مذهبه الاكتفاء بالنية (فى اول ليلة من رمضان) اى لجميع ايامه (عما سواه) اى من بواقى لياليه (وان الشافعى) اى وكذا يعلم الفقهاء من اصحابه وربما يعلم غيرهم ايضا بالضرورة ونقل المتواتر عنه وكذا عن ابى حنيفة انه (يرى) اى وجوبا لا ندبا (تجديد النية كل ليلة) او قبل نصف النهار الشرعى عند ابى حنيفة (والاقتصار) اى وان الشافعى يرى الاقتصار (فى المسح على بعض الرأس) وهو ما يطلق عليه اسم المسح اخذا باليقين

ومالك يرى وجوب مسح كله احتياطا وابو حنيفة عمل بحديث مسلم فى مسحه صلى الله تعالى عليه وسلم على الناصية وهو ربع الرأس ودليلنا حجة عليهما (وان مذهبهما) اى مالك والشافعى (القصاص) اى القود (فى القتل بالمحدد) اى مما يجرح كالسنان (وغيره) مما لا يجرح كالعصا (وايجاب النية فى الوضوء) اى فى اوله (واشتراط الولى فى النكاح) اى فى عقده (وان ابا حنيفة يخالفهما فى هذه المسائل) اى لما قام عنده مما صح من الدلائل كما بيناه فى شرحنا المسمى بالمرقاة للمشكاة فى حل المشكلات لكل طالب وسائل وما يتوقف عليه من الوسائل (وغيرهم) اى من الفقهاء المذكورين ونحوهم كالحنبليين (ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى) وفى نسخة صحيحة ولا رأى (اقوالهم) اى ولا عرف مشاربهم (لا يعرف) وفى نسخة صحيحة ولا يعلم (هذا) اى ما ذكر من هذه المسائل وامثالها (من مذاهبهم) اى ولو كان على منهجهم وادعى بانه فى مشربهم لكنه ما باشر الا علوما اخر وضيع عمره فيما لا ينفعه فتدبر (فضلا عمن) وفى نسخة عما (سواه) اى ممن لم يباشر العلوم اصلا ولم يمازج كتابا ولا فصلا ولا فرعا ولا اصلا (وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات) اى اجمالا كافيا (نزيد الكلام فيها بيانا) اى شافيا (ان شاء الله تعالى)

(فصل)

(فى اعجاز القرآن) اى بيان اعجازه فى اطنابه وايجازه (اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز) اى الغالب على سائر الكتب لكونه معجزا ولكونه ناسخا لغيره فى بعض احكامه (منطو) اى مشتمل ومحتو (على وجوه من الاعجاز) اى انواع (كثيرة) واصناف غزيرة (وتحصيلها) مبتدأ اى وتحصيل وجوهه الكثيرة بطريق اجمالها (من جهة ضبط انواعها) اى مع اندماج اصنافها واندراج اجناسها (فى اربعة اوجه) اى منحصرة فيها (اولها حسن تأليفه) اى تركيبه بين حروفه وكلماته وآياته وسوره وقصصه وحكاياته (والتئام كلمه) اى وانتظام كلماته فى سلك مبانيها المناسبة لمقتضى معانيها المتناسقة بين اعاليها وادانيها (وفصاحته) اى ووضوح بيان معانيه مع اقتصاد مبانيه (ووجوه ايجازه) اى من قصر وحذف لاكتفاء وايماء (وبلاغته) اى فى عجائب التراكيب وغرائب الاساليب وبدائع العبارات وروائع الاشارات (الخارقة) اى المتجاوزة (عادة العرب) اى من فصاحتهم وبلاغتهم (وذلك) اى ما ذكر من عادتهم (انهم كانوا ارباب هذا الشأن) اى من جهة الفصاحة (وفرسان الكلام) اى فى ميدان البراعة (وقد خصوا من البلاغة والحكم) بكسر ففتح جمع حكمة وهى كمال العقل واتقان العمل (ما لم يخص به غيرهم من الامم) اى سابقة ولاحقة (واوتوا من ذرابة اللسان) بفتح الذال المعجمة اى حدته وبساطته ولطافته (ما لم يؤت) اى مثله (انسان) اى ممن عداهم وكان الاولى ان يقول الانسان ويراد به جنسه لانه انسب فى مقام مدحه (ومن فصل الخطاب) اى بيان المراد فى الفصول والابواب (ما يقيد الالباب) بكسر التحتية الثانية المشددة اى يمنع ارباب العقول الخالصة ان يأتوا بمثل كلامهم وعلى نهج مرامهم (جعل الله لهم ذلك) اى ما خصوا به (طبعا وخلقة) اى سليقة وجبلة (وفيهم) اى وجعل ذلك فيهم (غريزة) اى سجية (وقوة) اى وقدرة بديعة (يأتون منه) اى من الكلام الوافى للمرام (على البديهة) من غير الروية (بالعجب) اى العجاب (ويدلون) بضم الياء واللام اى يتوسلون (به الى كل سبب) اى من الاسباب فى السؤال والجواب وسائر فصول الخطاب (فيخطبون) اى الخطب البليغة (بديها) اى من جهة البديهة (فى المقامات) اى على حسب ما يلائمها من المقالات (وشديد الخطب) اى فى الامر العظيم الشان والحال الذى يقع فيه تفخيم البيان (ويرتجزون به) اى يوردونه مرتجزا فى حال الحرب (بين الطعن والضرب) فالطعن بالرمح ونحوه والضرب بالسيف وغيره (ويمدحون) اى بعضهم بعضا اظهار المفخرة او كسبا للمجدة او جلبا للفائدة (ويقدحون) اى ويطعنون ويذمون بعضهم بعضا ايضا لاحد الاغراض السابقة وهذا المعنى بحسب التقابل هو المناسب للمرام وابعد الدلجى فى قوله ويقدحون افكارهم فيستخرجون سحر الكلام فى احسن النظام (ويتوسلون) اى به الى من يقصدون منه نجاح مآربهم (ويتوصلون) اى به الى الفوز بمطالبهم (ويرفعون) اى بمدحهم من ارادوا (ويضعون) اى بذمهم من شاؤا (فيأتون من ذلك) الكلام على وجه الاجمال وطريق الكمال (بالسحر الحلال) وهو ما لطف مبناه وشرف معناه ويستعار للكلام البليغ وقد ورد ان من البيان لسحرا اى سواء كان نثرا او شعرا فانه ربما سحر الانسان وصرفه عن حيز التبيان والسحر فى الشرع حرام الا انه حلال فى مقال وقع فى مقام مرام (ويطوقون) بكسر الواو المشددة اى يحملون (من اوصافهم) اى صفاتهم الحميدة وسماتهم المجيدة من ظنوه اهلا لتلك الاحوال نعوتا (اجمل من سمط اللآل) بكسر السين هو الخيط ما دام فيه الخرز والا فهو سلك وفى نسخة بضمها على انه جمع سمط واختاره اليمانى لكن فى القاموس ان جمعه سموط هذا وقد قال الحلبى اللؤلؤة الدرة وجمعها اللؤلؤ واللآلى انتهى وفيه مسامحة اذ اللؤلؤ جنس واللآلى جمع وقد حذف المصنف ياءه مراعاة

للسجع ونظيره فى الفواصل قوله تعالى الكبير المتعال (فيخدعون الالباب) فى ملهياتهم (ويذللون الصعاب) اى
يهونونها فى مهماتهم بحسب ما يزينون مراماتهم فى مقالاتهم على وفق مقاماتهم (ويذهبون) بضم الياء وكسر الهاء اى
يزيلون (الاحن) بكسر الهمزة وفتح الحاء جمع احنة بكسر فسكون وهى الحقد والضغينة واضمار العداوة (ويهيجون)
بتشديد الياء الثانية المكسورة وفى نسخة بفتح الياء الاولى وكسر الهاء وتخفيف الياء الثانية اى يحركون ويثيرون
(الدمن) بكسر الدال المهملة وفتح الميم جمع دمنة وهى فى الاصل ما تدمنه الابل ونحوها بابوالها وابعارها اى تلبده
فى مرابضها ثم استعمل فى الحقد لتلبده فى باطنه ولكونه من دمائم خاطره وفى نسخة الزمن بفتح الزاى وكسر الميم المقعد
والمفلوج وفى نسخة الذمر بفتح الذال المعجمة وكسر الميم فراء وهو الشجاع وهو وان كان يخالف ما قبله من مراعاة
السجع الا انه ابعد من التكرار المعنوى واقرب للمقابل اللفظى بقوله (ويجرئون الجبان) بتشديد الراء المكسورة
اى يحملونه على الجرأة والشجاعة والجبان بفتح الجيم والموحدة المخففة ضد الشجيع (ويبسطون) بضم السين اى
ويفتحون (يد الجعد البنان) اى البخيل اللئيم الشان واصل الجعد بفتح الجيم وسكون العين وهو الانقباض فى الشعر
ضد السبط المسترسل والبنان بفتح الموحدة وتخفيف النونين اطراف الاصابع جمع بنانة ومنه قوله تعالى بلى قادرين
على ان نسوى بنانه (ويصيرون) بتشديد التحتية الثانية اى يحولون (الناقص كاملا) بحسن دعايتهم وعين عنايتهم
(ويتركون النبيه) اى المشهور بالنباهة والتنبه عن نوم الجهالة (خاملا) اى متروكا شانه ومجهولا بيانه (منهم
البدوى) اى من يسكن البادية مع كون غالبهم عنه المعرفة عادية (ذو اللفظ الجزل) بفتح الجيم وسكون الزاى
اى صاحب الالفاظ التى فيها الجزالة والسلاسة الكاملة فى الدلالة من مراتب الفصاحة والبلاغة (والقول الفصل)
اى البين امره والمبين حكمه (والكلام الفخم) اى العظيم المرام (والطبع الجوهرى) منسوب الى جوهر وهو معرب
واحده جوهرة وهذا مدح جزيل ووصف جليل كذا ذكره الحلبى واقتصر عليه ووقع فى اصل الدلجى بلفظ
الجهورى اى الشديد الصوت العالى والواو زائدة من جهر بصوته اذا رفعه بشدة وفى حديث العباس انه نادى
بصوت جهورى انتهى والظاهر انه تصحيف فى المبنى وتحريف فى المعنى اللهم الا ان يتكلف كما اقتصر عليه الشمنى
فقال المراد بالطبع الجبلة والجهورى الذى قد اشتهر من قولهم جهر بصوته اذا شهره ورفعه اذ الطبع لا يقبله والمقام
لا يلائمه كما لا يخفى على من تأمله (والمنزع القوى) بفتح الميم والزاى اى والمشرب الصفى (ومنهم الحضرى) بفتحتين
اى من يسكن الحاضرة ضد البادية من المصر والقرية (ذو البلاغة البارعة) اى الفائقة اللائقة (والالفاظ الناصعة)
اى الخالصة من شوائب الركاكة ابلاغة مبانيها وفصاحة معانيها (والكلمات الجامعة) اى لمعان كثيرة
فى ضمن مبان يسيرة (والطبع السهل) اى المنقاد للاهل كالماء فى سلاسته والنسيم فى لطافته (والتصرف فى القول
القليل الكلفة) اى اليسير المؤونة لسهولة المعونة (الكثير) اى وفى القول الكثير (الرونق الرقيق الحاشية) اى الجزيل
الحسن فى المبنى واللطيف الطرف فى المعنى (وكلا البابين) اى بابى كلام كل (فى كل مقام مطابق) لما قصد من المرام
(فلهما فى البلاغة الحجة البالغة) اى الواصلة الى مقام النهاية والغاية واعاد المصنف الضمير فى فلهما الى معنى كلا
وهو مذهب الكوفى والمختار رأى البصرى وهو ان يفرد الضمير بناء على لفظه وبه جاء القرآن فى قوله سبحانه وتعالى
كلتا الجنتين آتت اكلها (والقوة الدامغة) اى الماحقة للامور الزاهقة ومنه قوله تعالى بل نقذف بالحق على
الباطل فيدمغه وفى حديث على دامغ جيش الاباطيل (والقدح) بكسر القاف اى السهم والمراد به
واحد الازلام لا الذى قبل ان يراش كما يتوهم من تقرير الحلبى نعم هو اصله لكن قصد هنا فصله بقرينة قوله (الفالج)
بكسر اللام اى الفائز الغالب (والمهيع) بفتح الميم والتحتية اى الطريق الواسع (الناهج) اى السبيل السالك الواضح
وفى حديث على اتقوا البدع والزموا المهيع (لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم) اى منقاد لما يرون من ايرادهم
(والبلاغة ملك قيادهم) بكسر الميم ثم كسر القاف وهو حبل تربط به الدابة ذكره الحلبى فيكون من القيد اى يقيدونه
بما ارادوا والاظهر انه ما يقاد به فهو من القود وهو السوق من قدام اى يقودونه حيث شاؤا من روائع لطائفه
وبدائع عوارفه (قد حووا) بفتح الواو اى حازوا وجمعوا (فنونها) اى من مبانيها (واستنبطوا عيونها) اى استخرجوا
من معانيها البابها (ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحها) اى وردفوا بناءها ظاهرا (لبلوغ اسبابها فقالوا
فى الخطير والمهين) بفتح الميم اى فى العظيم والحقير (وتفننوا فى الغث) بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة اى المهزول
(والسمين) ومنه قول ابن عباس لعلى انه الحق بابن عمك يعنى عبد الملك بن مروان فغثك خير من سمين غيرك والمعنى
فتغايروا فى كلامهم بين اسلوب واسلوب وايراد وايراد بلطائف مبان ونوادر معان فى كل مراد (وتقاولوا) اى
فيما بينهم (فى القل والكثر) بضم اولهما اى فى القليل والكثير مدحا وهجوا او ايجازا او اطنابا (وتساجلوا)

بالسين المهملة والجيم مأخوذ من السجل وهو الدلو اى تناوبوا وترسلوا (فى النظم والنثر) اى تفاخروا وتكاثروا وعن ابن
الحنفية رحمه الله تعالى انه قرأ هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقال هى مسجلة للبر والفاجر اى مرسلة مطلقة فى
الاحسان الى كل واحد من افراد الانسان ومنه قولهم الحرب سجال (فما راعهم) اى ما افزعهم شئ اليهم (الا رسول
كريم) اى جاءهم بخلاف هواهم لكن معه هداهم وطريق مناهم حين اتاهم (بكتاب عزيز) اى بديع منيع رفيع حيث
لا نظير لمثله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) اى لا يتعلق البطلان به بوجه من وجوهه (تنزيل من حكيم
حميد) يحمده خلقه بما ظهر عليهم من نعمه (احكمت آياته) اى نظمت نظما محكما متقنا لا يغشاه خلل لا لفظا
ولا معنى (وفصلت كلماته) اى ميزت وبينت ما يحتاج اليه فى ابواب الدين من عقائد واحكام واخبار ومواعظ ووعد
ووعيد على وجه اليقين (وبهرت بلاغته العقول) اى غلبتها (وظهرت فصاحته على كل مقول) اى نظما ونثرا
(وتظافر) بالظاء المشالة اى تظاهر وتغالب على غيره (ايجازه واعجازه) اى مبنى ومعنى ومنه قوله تعالى ان اظفركم
عليهم وهو الموافق لما فى النسخ المصححة وتصحف على الدلجى فقال تصافر بالصاد من تصافر القوم تعاونوا (وتظاهرت
حقيقته ومجازه) اى تعاونت لبلوغهما اقصى مراتبهما (وتبارت) بمثناة فوقية فموحدة اى تعارضت (فى الحسن
مطالعه ومقاطعه) والمعنى تجارت فيه فواتح سوره وآياتها وقصصها وخواتمها تسارعا وتسابقا لا يتصور له لاحق
فضلا عن ان يوجد له سابق ثم التبارى معتل لا مهموز وفى الحديث نهى عن اكل طعام المتبارين اى المتسابقين
المتعارضين بفعلهما ليغلب احدهما الآخر فى صنعهما وانما كرهه لما فيه من المباهاة والرياء او لاشتمالهما على عدم
الرضى لاعطائهما بسيف الحياء ويمكن حمل كلام المصنف على هذا المعنى اى تعارضت مطالعه ومقاطعه
فى الحسن وتغالبت كأن كل واحدة منهما غالبت اختها وعارضت شبيهتها (وحوت) اى جمعت (كل البيان) بالنصب
اى جميع ما يحتاج الى البيان من جهة الاديان (جوامعه) اى بكلم قليلة وحكم جزيلة (وبدائعه) اى على اوفق ايجاز
واوثق اعجاز (واعتدل مع ايجازه) اى استقام قاله الدلجى والاظهر توسط بين غاية الاطناب ونهاية الايجاز (حسن
نظمه) وفى نسخة حسن لفظه بجزالة بلاغته وغرابة براعته (وانطبق) اى احتوى (على كثرة فوائده) اى من معانيه
(مختار لفظه) اى من ايجاز مبانيه (وهم افصح) اوسع (ما كان فى هذا الباب) اى باب السؤال والجواب (مجالا) اى
قوة واحتمالا وفى نسخة صحيحة افصح بالصاد وهو ظاهر المراد (واشهر فى الخطابة) اى فى باب المخاطبة والمحاورة
(رجالا) ولو قال فى الخطاب لكان سجعا لما فى الكتاب من لفظ الباب ثم نصب مجالا ورجالا كليهما على التمييز المحول
عن الفاعل فيهما او الجملتان حاليتان اى مجالهم ورجالهم اذ مجالهم فى باب البلاغة اظهر ورجالهم فى باب الفصاحة
اشهر (واكثر) اى من غيرهم (فى السجع) اى فى الكلام المقفى فى النثر (والشعر) بزيادة قيد الموزون فى النظم (ارتجالا)
اى انتقالا من كلام الى كلام ومن مرام الى مرام بقوة تفننهم فى نوعى الكلام ووقع فى اصل الدلجى بالجيم فقال
اى بدون تروى ومهلة اذ كان لهم سجية وطبيعة انتهى وفى القاموس ارتجل الكلام تكلم به من غير ان يهيئه
وفى نسخة سجالا اى تارة وتارة باعتبار المناوبة او المغالبة (واوسع) اى ممن عداهم (فى الغريب) اى غريب
الاستعمال (واللغة) بالمعنى الاعم المتناول للقريب والغريب على وجه الكمال (مقالا) اى قالا مما يوجب
حالا ومآلا (بلغتهم) متعلق بكتاب او حال منه اى حال كونه بلسانهم (التى بها يتحاورون) اى يتجاوبون
فى محاوراتهم (ومنازعهم) بفتح الميم اى محال المنازعة بمعنى المجاذبة فى الاعيان والمعانى (التى عنها يتناضلون)
بالضاد المعجمة اى يتغالبون بالكلام من النظم والنثر (صارخا بهم) اى حال كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
او القرآن المعظم داعيا لهم ومناديا عليهم (فى كل حين) اى زمان من ليل ونهار منفردين او مجتمعين تسجيلا عليهم
بانكارهم للدين واستكبارهم عن الحق معرضين (ومقرعا) بتشديد الراء المكسورة بعد القاف اى وموبخا (لهم بضعا
وعشرين عاما) بكسر الموحدة وقد تفتح ما بين الثلاث الى التسع والمراد به هنا ثلاثة على الصحيح من انه بعث على رأس
الاربعين وعاش ثلاثا وستين وقيل خمسا وستين وقيل ستين وقد جمع بين الاقوال الثلاثة كما هو مقرر فى محله ولعل
المصنف لوقوع اختلاف ما اطلق بضعا اى عشرين عاما (على رؤس الملأ) اى من اشرافهم ورؤسائهم (اجمعين ام يقولون
افتراه) اقتباس اورده شاهدا بثبوت نبوته وام بمعنى بل والهمزة للانكار اى بل أيقولون اختلقه محمد وجاء به من عنده
وكذب على ربه (قل) اى لهم ان كان الامر كما زعمتم وتوهمتم (فأتوا) على صورة الافتراء (بسورة) اى باقصر سورة
(مثله) اى تماثله فى بلاغة مبانيه وفصاحة معانيه فانكم عربيون مثلى بل انتم مشهورون بالخطابة نظما ونثرا من
قبلى (وادعوا من استطعتم من دون الله) اى استعينوا بمن يمكن استعانتكم به من غيره تعالى على الاتيان بسورة مثله
لانه فانه تعالى قادر عليه بانفراده (ان كنتم صادقين) اى فى انه اتى به من عنده (وان كنتم فى ريب) اى فى شك وشبهة

(مما نزلنا على عبدنا) اى فى كل سورة (فأتوا بسورة من مثله الى قوله وان تفعلوا) وهو قوله ان كنتم صادقين فى انه سبحانه وتعالى ما انزله عليه وما اوحاه اليه فان لم تفعلوا اى فى الحال ولن تفعلوا اى فى الاستقبال فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة فهذه الآية منادية عليهم بعجزهم عن المعارضة فى الازمنة الحاضرة مع اخباره سبحانه وتعالى بان الخلق كلهم عاجزون عن الاتيان بمثله الى يوم القيامة (وقوله) اى واصرح من هذا كله قوله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس) ومنهم اصناف العرب (والجن) ومنهم انواع الملائكة (على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) فى كمال مبناه وجمال معناه (الآية) يعنى قوله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اى متعاونين على الاتيان بمثله وقال الدلجى ولم يدرج الملائكة فى الفريقين مع عجزهم ايضا عنه لانهما المتحديان به انتهى ولا يخفى ان ادراجهم معهم كما حررناه هو الاولى فانه اظهر فى المدعى لاسيما وقد قال بعض العلماء بان نبينا مبعوث الى الملائكة بل الى الخلق كافة كما قررناه فى محله اللائق به (وقيل) اى فى آية اخرى وفى نسخة وقل (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) اى مختلقات من عند انفسكم وحاصله انه الزمهم الحجة باتيان قرآن مثله ثم ارخى العنان بتنزله الى عشر سور مثله ثم تحداهم بسورة واحدة كائنة من عندهم تسهيلا للامر عليهم وتسجيلا بنداء العجز لديهم كذا قرره الشراح وهو المستفاد مما يأتى فى كلام المصنف على ما حرره وفيه انهم من اول الوهلة طولبوا المعارضة لا بعد تمام القرآن سورة وسورة والقرآن كما يطلق على الكل يطلق على البعض كما عرف فى علم الاصول بما يؤيده من دليل المنقول والمعقول فالوجه ان المراد بالقرآن قدر ما تعلق به المعجزة وهو اقصر سورة او قدرها من آيات وحروف وكلمات ويقويه قوله تعالى قل فأتوا بحديث مثله ان كنتم صادقين وعلى كل تقدير فالتحدى بعشر سور مثله تهكم بهم فى اثبات عجزهم (وذلك ان المفترى) بفتح الراء على ما صرح به الحلبى وغيره (اسهل) اى اهون تلفيقا (ووضع الباطل والمختلق) بفتح اللام اى المكذوب (على الاختيار) اى اختيار المعارض (اقرب) اى انسب تزويقا وارو ج تنميقا ومع ذلك فلم يجدوا اليه طريقا (واللفظ) اى بعد وضعه فى المبنى الفصيح (اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب) اى ترتيبا واتعب تهذيبا وهذا ايضا وجه عجزهم عن المعارضة لان القرآن جمع بين غرائب المعانى وعجائب البيان (ولذلك) وفى نسخة ولهذا اى ولكون المبنى اذا تبع المعنى اصعب فى المدعى (قيل فلان يكتب كما يقال له) فيتفق له كما قيل له من اخبار مبانيه عن ازهار معانيه ويراعى جميع ما يوافيه بتحريره ويدفع كل ما ينافيه بتقريره حتى يستحسنه المملى اذ عبر عن مراده فى شأنه مما كان عاجزا هو عن ايراد بيانه (وفلان يكتب) اى ما يقال له الا انه (كما يريد) اى بنفسه لا انه كما يراد منه بحسب انسه (وللاول) اى من الكاتبين (على الثانى فضل) اى مزيد سديد (وبينهما شأو بعيد) وفى نسخة صحيحة شأو وبعد وهو بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة فواو منون اى مدى ونهاية وسبق وغاية والمعنى فرق بعيد وفصل عميق لاتيان الاول بالمأمور مفرغا فى قالب مراد آمره دون الثانى لاتيانه بمأموره فى قالب مراد نفسه اذا عرفت ذلك (فلم يزل) صلى الله تعالى عليه وسلم (يقرعهم) بتشديد الراء (اشد التقريع) تفسيره قوله (ويوبخهم غاية التوبيخ) اى اسوأه ولا يبعد ان يكون احدهما بمعنى يهددهم بل هو اولى لان التأسيس بالنسبة الى التأكيد اعلى (ويسفه احلامهم) بتشديد الفاء اى ينسب عقولهم الى السفه ويعدهم سفهاء كقوله تعالى سيقول السفهاء وقوله الا انهم هم السفهاء (ويحط) بضم الحاء وتشديد الطاء اى ينكس (اعلامهم ويشتت) بتشديد التاء الاولى اى يفرق (نظامهم) ويمزق مرامهم (ويذم آلهتهم) اى يعيبها فى حد ذاتها بقوله ألهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها (واياهم) اى ويعيبهم على عبادتها بقوله ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وقوله مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وامثالهما (ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم) اى بالاستيلاء عليها (وهم) اى والحال انهم (فى كل هذا) اى مما ذكر من الاحوال (ناكصون) اى راجعون القهقرى الى وراء (وعن معارضته محجمون) بحاء مهملة ساكنة فجيم مكسورة اى متأخرون (وعن مماثلته) الظاهرة بماينته (يخادعون انفسهم بالتشغيب) اى بتهييج الشر واثارة الفتنة والمخاصمة بين القريب والغريب وفى نسخة بالتكذيب وجمع بينهما اصل الدلجى وهو لا يناسب التهذيب خصوصا مع تكرار الباء وعدم العاطف المفيد للجمع او الترتيب (والاغراء بالافتراء) اى الحث والالزام على وجه التزام نسبة سيد الانبياء بالافتراء على خالق الاشياء وقد تصحف الاغراء على الدلجى بتوهم الاعتراء على ما فى بعض النسخ فقال من عراه اذا امه واصابه الى آخر ما ذكره (وقولهم) اى ويقول بعضهم كالوليد بن المغيرة كما حكى الله عنه بقوله ثم ادبر واستكبر فقال (ان هذا) اى ما هذا (الا سحر يؤثر) اى يروى عن اهل بابل وغيرهم وانما قال هذا الكلام حين سمع النبى عليه الصلاة والسلام يقرأ حم السجدة فقال لقد سمعت من محمد

كلاما ليس بكلام انس ولا جن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل قد صبا الوليد فقال ابن اخيه انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون هل رأيتموه يخنق وزعمتم انه كاهن هل رأيتموه تكهن وانه شاعر هل رأيتموه يقول شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين المرء واهله وولده ومواليه فاهتز النادى فرحا وفى نسخة زيد هنا ان هذا الا قول البشر (وسحر مستمر) اى وقول بعضهم كما حكى الله تعالى عنهم وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اى هو او هذا سحر مطرد دائم صادر عنه او ذاهب باطل كما قاله قتادة ومجاهد رحمة الله تعالى عليهما او قوى محكم يغلب كل سحر كما قاله ابو العالية والضحاك (وافك افتراه) اى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه اى كذب صرفه عن وجهه واختلقه من تلقاء نفسه واعانه عليه قوم آخرون (واساطير الاولين) اى وقالوا هذا او هو اقاويلهم المزخرفة التى سطرها المتقدمون اكتتبها اى استكتبها لنفسه فهى تملى عليه بكرة واصيلا (والمباهتة) اى والاغراء بالمباهتة من بهته اذا رماه بما يتحير منه والمعنى ويخادعون انفسهم باكاذيب وافتراآت يحيط بهم ضررها ويحيق بهم مكرها ولا يتخطاهم اثرها (والرضى بالدنية) بالهمز وقد يسهل اى وبرضاهم منه بالخصلة الرديئة (كقولهم قلوبنا غلف) جمع اغلف اى هى مغشاة باغطية لا يصل اليها هداية ولا رواية (وفى اكنة) اى وقالوا قلوبنا فى اكنة اى فى اغطية (مما تدعونا اليه) اى مانعة من وصوله اليها فضلا عن حصوله لديها (وفى آذاننا وقر) اى ثقل وصمم (ومن بيننا وبينك حجاب) اى حاجز مانع من تقربنا اليك ومن نفعنا بما لديك وزيد من تلو بحايان الحجاب ابتدأ منهم وانتهأ عنهم وامتد مستوعبا للمسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فراغ فيها (ولا تسمعوا) اى وقال الذين كفروا لاصحابهم واحبابهم لا تسمعوا (لهذا القرآن والغوا فيه) اى بخرافات الكلام وساقطات المرام (لعلكم تغلبون) اى قارئه بتشويش خاطره الباعث على ترك قرآءته (والادعاء مع العجز) اى وبمجرد دعواهم مع ظهور عجزهم عن مدعاهم (بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا) ولعمرى اى مانع كان لهم لو ساعدتهم الاستطاعة ان يشاؤا ذلك حيث تحداهم وقرعهم بالعجز مع فرط التهم واستنكافهم ان يغلبوا لاسيما فى ميدان الفصاحة والبيان والتجأوا الى معالجة السلاح من السيف والسنان والعاقل لا يترك الاسهل ويتبع الاثقل (وقد قال لهم الله تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا) فاخباره صدق وكلامه حق (ومن تعاطى ذلك) اى ومن تجرأ على قصد المعارضة فى ميدان الفصاحة والبلاغة (من سخفائهم) اى سفهائهم (كمسيلمة) اى الكذاب بهذيانات مخترعات منها قوله يا ضفدع الا تنقين اعلاك فى الماء واسفلك فى الطين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين ومنها قوله حين سمع اول سورة النازعات والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والحافرات حفرا والباردات بردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر ومنها قوله آخر الم تركيف فعل ربك بالحبلى اخرج من بطنها نسمة تسعى وقال آخر الفيل ما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا القليل (كشف عواره) بفتح العين المهملة وتضم وقيل الضم افصح اى اظهر عيب نفسه (لجميعهم) اى من عقلائهم اذ لم يكن ما عارضه به من بديع كلامهم وبليغ نظامهم بل كان مما ينفر عنه الطبع السليم وينبو عنه السمع القويم من قلة سلاسته وكثرة ركاكته واغرب من هذا انه لما قتل مسيلمة على يد المسلمين من الصحابة قال رجل من بنى حنيفة يرثيه

لهفى عليك ابا ثمامه * لهفى على ركن اليمامه
كم آية لك فيهم * كالشمس تطلع من غمامه

حكاه السهيلى وقال كذب بل كانت آياته معكوسة وراياته منكوسة فانه كما يقال تفل فى بئر قوم سألوه ذلك تبركا فلح ماؤها ومسح رأس صبى فقرع قرعا فاحشا ودعا لرجل فى ابنين له بالبركة فرجع الى منزله فوجد احدهما قد سقط فى البئر والآخر قد اكله الذئب ومسح على عينى رجل استشفى بمسحه فابيضت عيناه (وسلبهم الله تعالى ما الفوه) اى استعملوه (من فصيح كلامهم) اى فى صحيح مرامهم وهذا يوهم ترجيح القول بالصرفة كما فهم الدلجى وصرح بقوله ولا اقول به بل الصارف عن معارضته كمال بلاغته وانا اقول وانما صرفوا عن ما الفوا لما اراد الله بهم من فضاحتهم والا لو عارضوا بطبق كلمات محاوراتهم لربما اوهموا الضعفاء انهم قاموا بمعارضتهم كما يشير اليه قوله (والا فلم يخف على اهل الميز) اى اصحاب التمييز (منهم انه) اى كلامهم هذا فى مقام معارضتهم (ليس من نمط فصاحتهم) بضم النون والميم اى من نوعها (ولا جنس بلاغتهم) اى فى فنها (بل ولوا) اى اهل الميز من عقلائهم ولو كانوا من فصحائهم وبلغائهم (عنه مدبرين) اى اعرضوا عن الاتيان بمثله مولين بادبارهم عن نحوه (واتوا مذعنين) اى منقادين مقرين بكونهم عاجزين غايته انهم صاروا مفترقين (من بين مهتد) اى مصدق به وبمن انزل عليه من جهة رسالته

(وبين مفتون) اى متحير فى بديع بلاغته ومنبع فصاحته متعجب من عجزهم عن معارضته (ولهذا) اى ولكونه ليس من نمط فصاحتهم وجنس بلاغتهم (لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية) يعنى وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون (قال) اى الوليد (والله ان له لحلاوة) وفى نسخة حلاوة اى لذة عظيمة يدركها من له سجية سليمة (وان عليه لطلاوة) بفتح الطاء وقد تضم اى رونقا وحسنا فائقا (وان اسفله لمغدق) بغين معجمة اسم فاعل من الغدق بفتحتين وهو كثرة الماء تلويحا بغزارة معانيه فى قوالب مبانيه وفى نسخة لعذق من غير ميم وضبط بفتح عين مهملة فسكون ذال معجمة استعارة من النخلة التى ثبت اصلها وهى العذق وهو رواية ابن اسحق و بفتح معجمة فكسر مهملة من الغدق وهو الماء الكثير وهو رواية ابن هشام قال السهيلى ورواية ابن اسحق افصح لانها استعارة تامة يشبه آخر الكلام اوله قال الحلبى فيوجه اللفظ الذى قاله القاضى من الكلام على رواية ابن اسحق وابن هشام (وان اعلاه لمثمر) اشارة الى غزارة نفعه وزيادة رفعه بكريم فوائده وعميم عوائده (ما يقول هذا) اى مثل هذا (بشر) اى مخلوق وفى اصل الدلجى ماهذا بقول بشر وفى حاشية الحلبى قال الغزالى فى كتاب الاحياء عند آداب تلاوة القرآن حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فقال اعد فاعاد فقال ان له لحلاوة الخ كما هو فى الاحياء وذكره ابو عمر وابن عبد البر فى استيعابه بغير اسناد ورواه البيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن عباس بسند جيد الا انه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة كما قال القاضى وكذا ذكره ابن اسحق فى السيرة فان صح ما قاله الغزالى تبعا لما فى الاستيعاب فانهما قضيتان والله تعالى اعلم بالصواب (وذكر ابو عبيد) بالتصغير وفى نسخة ابو عبيدة بزيادة تاء وهو الامام الحافظ القاسم بن سلام بتشديد اللام البغدادى معدود فيمن اخذ عن الشافعى الفقه وكان اماما بارعا فى علوم كثيرة منها التفسير والقرآآت والحديث والفقه واللغة والنحو والتاريخ قال الخطيب كان ابوه سلام عبدا روميا لرجل من اهل هراة سمع ابو عبيد اسماعيل ابن جعفر وشريكا واسماعيل بن عياش وابن علية وغيرهم وروى عنه محمد بن اسحق الصاغانى وابن ابى الدنيا والحارث ابن ابى اسامة وآخرون توفى سنة اربع وعشرين ومائتين (ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر) ما مصدرية او موصولة وعائدها محذوف اى اجهر بامرك او بالذى تؤمر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل على ان اصل الصدع بالحجة هو التمييز والابانة وتتمة الآية واعرض عن المشركين اى ولا تبال بانكار من انكر و باشراك من كفر (فسجد) اى الاعرابى لله وانقاد لما ابداه (وقال سجدت لفصاحته) اى لوصوله نهاية فصاحته وبلوغه غاية بلاغته (وسمع آخر) اى اعرابى آخر او رجل آخر من المشركين (رجلا) اى من المسلمين (يقرأ فلما استيأسوا منه) اى حين يئسوا من يوسف اذلم يجبهم وزيادة السين والتاء للمبالغة (خلصوا نجيا) اى انفردوا واعتزلوا متناجين فى تدبير امرهم ووحده لكونه مصدرا او فعيلا (فقال اشهد ان مخلوقا) اى احدا من الانام (لا يقدر على مثل هذا الكلام) اى فى غاية النظام ونهاية المرام (وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يوما) اى من الايام (نائما فى المسجد) ولعله كان معتكفا فى مسجد سيد الانام (فاذا هو) اى عمر (بقائم) اى واقف (على رأسه) ووقع فى اصل الدلجى وعلى رأسه قائم فقال جملة حالية (يتشهد شهادة الحق) اى يأتى بكلمتى الشهادة على وجه الاخلاص وطريق الصدق (فاستخبره) اى عمر عن سبب ذلك الخبر والمعنى انه طلب منه خبره وما اوجب اثره (فاعلمه) اى ذلك القائم (انه) اى باعتبار اصله (من بطارقة الروم) بفتح الباء الموحدة جمع بطريق بكسرها وهو كالامير والوزير فى لغتهم (ممن) اى وانه من جملة من (يحسن كلام العرب) اى فهمه (وغيرها) اى وغير لغة العرب او كلماتهم من كلام الترك والعجم والهند ونحوها (وانه سمع رجلا من اسرآء المسلمين) اى من اسرآئهم فى ايدى اعدآئهم (يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا) اى هى كما فى نسخة (قد جمع) بصيغة المجهول اى اجتمع (فيها ما انزل الله على عيسى ابن مريم من احوال الدنيا) اى من علائق المعاش (والآخرة) اى من لواحق المعاد (وهى) اى تلك الآية الجامعة (قوله تعالى ومن يطع الله) فى فرآئضه (ورسوله) اى فى سننه او فى جميع ما يأمرانه و ينهيانه (ويخش الله) اى و يخف خلافه وعقابه وحسابه (ويتقه) فيه قرآآت مشهورة فى محلها مسطورة اى و يتق الله فيما بقى من عمره فى جميع امره (الآية) تمامها فاولئك هم الفائزون اى الظافرون بالمراد فى المبدأ والمعاد (وحكى الاصمعى) وهو عبد الملك بن اصمع المصرى صاحب اللغة والغريب والاخبار والملح ولد سنة ثلاث وعشرين ومائة (انه سمع جارية) اى بنتا او مملوكة خادمة تتكلم بعبارة فصيحة واشارة بليغة وهى خماسية او سداسية وهى تقول استغفر الله من ذنوبى كلها فقال لها مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم فقالت

استغفر الله لذنبى كله ❊ قتلت انسانا لغير حله

مثل غزال ناعم فى دله ❊ انتصف الليل ولم اصله

(فقال لها قاتلك الله ما افصحك) اى هى حقيقة بان يقال لها ذلك تعجبا من فصاحة قولها كما يقال قاتله الله ما اعجب فعله اى بلغ فى الكمال غاية لم يصل غيره اليها فاستحق ان يحسد فيه فيدعى عليه (فقالت او) بفتح الواو (يعد هذا) بصيغة المجهول والمفهوم من الدلجى ان اصله بصيغة الخطاب المعلوم حيث قال عطف على مقدر اى أيعجبك وتعده (فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى) اى اشرنا اليها الهاما او مناما (ان ارضعيه) اى اخفيه ما امكنك فيه (الآية) وهى قوله تعالى فاذا خفت عليه اى من لحوق الهم فالقيه فى اليم ولا تخافى عليه ضياعه ولا تحزنى فراقه انا رادوه اليك لتقر عينا وجاعلوه من المرسلين عنا بمرأى منا (فجمع) اى الله سبحانه وتعالى (فى آية واحدة بين امرين) هما ارضعيه والقيه (ونهيين) اى لا تخافى ولا تحزنى (وخبرين) يعنى واوحينا فاذا خفت عليه (وبشارتين) اى رادوه وجاعلوه (فهذا) اى الجمع بين المذكور فى الآية ذكره الدلجى والاظهر ان هذا الذى ذكر من غاية الفصاحة ونهاية البلاغة فى هذه الآية وغيرها مما سبق ذكره (نوع من اعجازه) اى اعجاز القرآن (منفرد) وفى نسخة مستقل (بذاته غير مضاف الى غيره) اى من انواعه المتعلقة بصفاته من حيث اخباره عن مغيباته وانبائه عن احكام عباداته ومعاملاته ومأموراته ومنهياته (على التحقيق) اى عند اهل التوفيق (وعلى الصحيح من القولين) اى اللذين سبق ذكرهما بالتصريح فان الاول وهو الاولى هو القول بانه خارج عن قدرة البشر وثانيهما انه صرفهم عن معارضته خالق القوى والقدر فتأمل وتدبر (وكون القرآن) اى نزوله باعتبار ظهوره ووصوله (من قبل النبى صلى الله عليه وسلم) بكسر القاف وفتح الموحدة اى من جانبه وطرف حصوله (وانه اتى به معلوم ضرورة) اى بديهة لا يفتقر الى اقامة بينة ولا قيام حجة (وكونه عليه الصلاة والسلام متحديا به) اى طالبا لمعارضته ولو باقصر سورة (معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به) اى المتحدين به الموجودين فى زمنه (معلوم ضرورة وكونه) اى القرآن (فى فصاحته) اى وبلاغته (خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالم) بكسر اللام وفى نسخة صحيحة للعالمين اى للعلماء (بالفصاحة ووجوه البلاغة) اى لمقاماتها المقتضية (وسبيل من ليس من اهلها) اى من اهل المعرفة بفنون الفصاحة ووجوه البلاغة (علم ذلك) بكسر العين وفى نسخة بصيغة الماضى معلوما وقيل مجهولا والاول هو المعول اى هو ان يعلم كون القرآن فى الفصاحة والبلاغة معجزة خارقا للعادة (بعجز المنكرين) اى لكونه كلام الله تعالى (من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين) اى بكونه كلامه (و) اعتراف (المفترين) اى القائلين بافترائه (باعجاز بلاغته) اى انهم عن مناقضته (وانت) اى ايها المخاطب (اذا تأملت) اى من جهة الايجاز الباهر فى الاعجاز الظاهر (قوله تعالى ولكم) اى ولغيركم (فى القصاص حياة) اى المودع فيه من بدآئع التركيب وروآئع الترتيب مع ما فيه من المطابقة بين معنيين متقابلين وهما القصاص والحياة ومن الغرابة بجعل القتل الذى هو مفوت الحياة ظرفا لها ومن البلاغة حيث اتى بلفظ يسير متضمن لمعنى كثير فان الانسان اذا علم انه اذا قتل اقتص منه دعاه الى ردعه عن قتل صاحبه فكانه احيى نفسه وغيره فيرتفع بالقصاص كثير من قتل الناس بعضهم بعضا فيكون القصاص حياة لهم مع ما فى القصاص من زيادة الحياة الطيبة فى الآخرة وهو اولى من كلام موجز عندهم وهو ان القتل انفى للقتل فى قلة المبانى وكثرة المعانى وعدم تكرار اللفظ المنفر للحظ وفى الايماء الى ان القصاص الذى بمعنى المماثلة سبب للحياة دون مطلق القتل بالمقابلة اذ ربما يكون سببا للفتنة فيها قتل فئة وفساد جماعة (وقوله) بالنصب (ولو ترى اذ فزعوا) اى عند موتهم او بعثهم او وقت هلاكهم (فلا فوت) اى لهم من الله بهرب وسبب غريب (واخذوا من مكان قريب) اى من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار قعرها او من نحو صحرآء بدر الى قليبها (وقوله تعالى ادفع) اى سيئة من اساء اليك من الكائنات (بالتى) اى بالحسنة التى (هى احسن) الحسنات او بالخصلة التى هى احسن الاخلاق فى المعارضات من الحلم والصبر والعفو وما يمكن دفعها به من المستحسنات (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) اى صديق قريب رفيق (وقوله وقيل يا ارض ابلعى ماءك) اى انشفى (ويا سماء اقلعى) اى امسكى (الآية) يعنى (وغيض الماء) اى نقص (وقضى الامر) اى امر هلاك الاعدآء وانجاء الاحباء (واستوت) استقرت السفينة (على الجودى) جبل بالموصل او الشام روى انه ركبها عاشر رجب وهبط منها بعد استقرارها عليه عاشر شهر المحرم وصامه فصار سنة (وقيل بعدا للقوم الظالمين) اى هلاكا لهم حين وضعوا العبادة فى غير موضعها وفى ندآء الارض والسماء مع انهما ليستا من العقلاء ايماء الى باهر عظمته وقاهر قدرته حيث انقادتا لما اريد منهما ايجادا واعداما كما حكى الله سبحانه وتعالى عنهما بقوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين امتثالا للامر وانقيادا للحكمة مهابة من عظمته ومخافة من سطوته وان اردت تفصيل

مايتعلق بهذه الآية فى الجملة فعليك بشرح الدلجى حيث ذكر بعض مايتعلق بها من حسن مبانيها ولطافة معانيها وبدائع الحكم التى اودعت فيها (وقوله تعالى فكلا) اى عقيب ارسالنا الانبياء الى اممهم وتكذيبهم بهم كلا منهم (اخذنا بذنبه) عاقبناه باصراره على كفره وعدم رجوعه الى توحيد ربه (فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) اى ريحا عاصفا فيه حصباء وهم قوم لوط (الاية) تمامها ومنهم من اخذته الصيحة وهم ثمود ومدين ومنهم من خسفنا به الارض وهو قارون ومنهم من اغرقنا وهم قوم نوح وفرعون مع قومه (واشباهها) بالنصب اى امثال هذه الآية ووقع فى اصل الدلجى واشباهه فقال اى اشباه ماذكر (من الآى) اى من سائر آيات القرآن (بل اكثر القرآن) اى وبل اذا تأملت اكثر القرآن اى مما هو بجمل من ايجاز لايرام واعجاز لايسام (حققت) جواب اذا تأملت اى عرفت (ماينته من ايجاز الفاظها) اى مبانيها (وكثرة معانيها وديباجة عبارتها) اى مما يكسوها زينة اشارتها (وحسن تاليف حروفها) اى من غير تنافر فيما بينها (وتلاؤم كلمها) بفتح فكسر اى توافق كلماتها وتناسبها فى مقاماتها قال الدلجى وقد تخفف همزة تلاؤم فتصير ياء من الملاءمة اى الموافقة لا واوا ومارُوى فى الحديث بها فتحريف لا اصل له لان الملاومة مفاعلة من اللوم انتهى ولا يخفى ان تخفيف الهمز المضموم بعد الالف لا يعرف الا بالواو كالتناوش واما عروض المشابهة بعد التخفيف فلا عبرة به اصلا كما حقق فى تخفيف رئاء وامثالها (وان تحت كل لفظة منها) اى من مبانيها (جملا) اى من جمل الكلام المجملة (كثيرة) اى من معانيها (وفصولا جمة) اى غزيرة من الفصول المهمة والامور المتمة (وعلوما زواخر) لها فى مقام الكثرة فواخر كما قال ابن عباس

جميع العلم فى القرآن لكن * تقاصر عنه افهام الرجال

وقد سأل بعض الحكماء من بعض العلماء ما فى كتاب الله تعالى من علم الطب فقال كله فى نصف آية هى قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال صدقت وبالحق نطقت (ملئت الدواوين) اى الدفاتر (من بعض ما استفيد منها) اى مما يعسر احصاؤه (وكثرت المقالات فى المستنبطات عنها) اى مما لا يمكن استقصاؤه (ثم هو) مبتدأ اى القرآن الكريم (فى سرد القصص الطوال) اى فى ايرادها متتابعة (واخبار القرون السوالف) اى اهلها السوابق متوالية (التى يضعف) اى يعجز (فى عادة الفصحاء عندها الكلام) اى لطولها (ويذهب ماء البيان) اى عند ارادة تقرير فصولها (آية) خبر المبتدأ اى علامة ظاهرة (لمتأمله) اى لمتذكره وحجة باهرة لمتدبره (من ربط الكلام) اى من جهة ارتباط اجزاء كلامه (بعضه ببعض) فى ترتيب مقامه وتحصيل مرامه (والتئام سرده) اى وتناسب ماقبله لما بعده (وتناصف وجوهه) اى توافق ضروبه وتعانق فنونه كان كلا منها انصف الآخر فى اخذ حظه من قولهم تناصفوا اذا انصف بعضهم بعضا من نفسه (كقصة يوسف على طولها) اى المشتملة على دررها وغررها من بيان ابوابها وفصولها (ثم اذا ترددت) اى تكررت (قصصه) بكسر القاف جمع قصة بخلاف فتحها فانه مصدر قص كما يستفاد من قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص وليس كما يتوهم جمع بانه جمع (اختلفت العبارات) اى ايجازا واطنابا وتفننا فى بيانها غيبة وخطابا (عنها) اى عن تلك القصة (على كثرة ترددها) اى مع كثرة تردادها وتكرارها (حتى تكاد كل واحدة) اى من القصص (تنسى) بضم التاء وكسر السين مخففا او مثقلا اى تذهب على خاطر المستمع الصفى المتأمل (فى البيان) اى فى مراتب بيانه ومناقب شأنه من القصص (صاحبتها) اى نظيرتها (وتناصف) بضم التاء وكسر الصاد اى وتحاكى (فى الحسن) اى فى حسن مطالعتها حال مقابلتها مرآة (وجه مقابلتها) بكسر الباء (ولا نفور للنفوس من ترديدها) اى ولا تنفر للنفوس النفيسة من سماع تكريرها وتعداد تقريرها (ولا معاداة) اى من احد (لمعادها) بضم الميم اى لمكررها والضمير للقصص على منوال ماقبلها ووقع فى اصل الدلجى لمعاده بافراد الضمير المذكر فقال اى القرآن والحاصل انه كما قال الشاطبى

وخير جليس لا يمل حديثه * وترداده يزداد فيه تجملا

وكما قال غيره

اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

ولكن هذا بالنسبة الى صاحب قلب سليم لا الى من له طبع سقيم

(فصل)

(الوجه الثانى من اعجازه) اى من وجوه ضبط انواع اعجاز القرآن (صورة نظمه العجيب) لما فيه من بدائع التركيب وروائع الترتيب (والاسلوب) بضم الهمزة واللام الفن (الغريب) وكان المناسب ان يقول واسلوبه الغريب (المخالف) اى بغرابته مع نهاية فصاحته وغاية بلاغته (لاساليب كلام العرب) اى لما اودع فيه من دقائق البيان

وحقائق العرفان وحسن العبارة ولطف الاشارة وسلامة التركيب وسلاسة الترتيب (ومناهج نظمها) اى طريق مبانيها الواضح البين عند اهلها (ونثرها) اى خطبا ورسائل وغيرها (الذى جاء عليه) اى نزل على وفقه القرآن ايماء بان ما عجزوا عنه انما هو كلام منظوم من عين ما ينتظم كلامهم منه ليعلموا انه ليس من كلام النبى الكريم بل هو منزل عليه من عند الله العظيم (ووقفت مقاطع آيه) اى اواخر وقوف فواصلها من التام والكافى والحسن باختلاف محالها اوزيد فى اصل الدلجى هنا لفظ عليه فقال اى على الاسلوب الغريب الذى قصرت عن وصف كنه اعجازه العبارة اذ الاعجاز كالملاحة يدرك ولا يوصف بالاشارة (وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله) اى من الكتب المتقدمة (ولا بعده) اى ولا يتصور ان يوجد بعده (نظيرله) اى شبيه ومثل فى حسن المبانى ورونق المعانى (ولا استطاع احد مماثلة شىء منه) اى لجزالة فصاحته وفخامة بلاغته (بل حارت فيه عقولهم) اى تحيرت (وتدلهت) بالدال المهملة وفى نسخة تولهت بالواو اى اندهشت (دونه) اى عنده (احلامهم) اى فهومهم فى تصوره وتدبره (ولم يهتدوا الى مثله) اى الى اتيان شبهه (فى جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع) اى فى احدها (او رجز) بفتح الراء والجيم وفى آخره زاى وهو من بحور الشعر وانواعه وقيل لا يسمى شعرا ولذا عطف عليه بقوله (او شعر) وعلى الاول يكون تعميما بعد تخصيص وضبط فى بعض النسخ بفتح الزاى وسكون الجيم فى آخره راء والظاهر انه تصحيف لعدم المناسبة بين السابقة واللاحقة (ولما سمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة) وهو والد خالد رضى الله تعالى عنه لكن هلك على دينه لقلة يقينه (وقرأ عليه القرآن رق) بتشديد القاف اى تأثر بسماعه لما القى عليه (فجاءه ابو جهل) وهو ابن اخيه (منكرا عليه) اى رقته لديه (قال) وفى نسخة فقال اى الوليد (والله ما منكم احد اعلم بالاشعار) اى بانواع الشعر (منى والله ما يشبه الذى يقول شيأ من هذا) اى من جنس الشعر (وفى خبره الآخر) اى عن الوليد كما رواه البيهقى عن ابن عباس (حين جمع قريشا عند حضور الموسم) اى قرب ورود اهله وهو بفتح ميم وكسر سين قال اليمنى موسم الحاج مجمعهم سمى بذلك لانه معلم يجتمع اليه وهو يصلح ان يكون اسما للزمان والمكان انتهى والظاهر الاول فتأمل (وقال) وفى نسخة فقال (ان وفود العرب) جمع وفد وهو القوم يجتمعون ويردون البلدة والقرية لمآرب تحوجهم الى النقلة (ترد) اى يجيئون اليكم وينزلون عليكم (فأجمعوا فيه رأيا) بفتح الهمزة وكسر الميم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه اى اجتمعوا بالعزم على رأى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومنه قوله تعالى فأجمعوا كيدكم وقرأ ابو عمرو بهمزة الوصل وفتح الميم ووجهه ظاهر ولا يبعد ان يضبط هنا كذلك ايضا اى اجمعوا رأيا فيه لا يوجد ما ينافيه كما اشار اليه بقوله (لا يكذب بعضكم بعضا) وهو بتشديد الذال وتخفف كما قرئ بهما فى قوله تعالى فانهم لا يكذبونك والمعنى لا ينسب بعضكم بعضا الى الكذب (قالوا) وفى نسخة فقالوا (نقول كاهن) وهو من يزعم انه يخبر عن الكائنات فى الازمنة الآتية ويدعى معرفة اسرار المغيبات الماضية وكان فى العرب كهنة كشق وسطيح وهما اللذان خبرا بمبعث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فمنهم من زعم ان له رئيا من الجن يأتى اليه اخبارا يسترقها من السماء ويلقطها مما يراه فى اطراف الارض ومنهم من زعم انه يعرف الامور بمقدمات اسباب من كلام من يسأله او فعله او حاله ويخصونه باسم العراف كمن يزعم معرفة المسروق ومكان الضال وحلوان الكاهن والعراف حرام (قال) اى الوليد (والله ما هو بكاهن) اذ لم يعهد منه صلى الله تعالى عليه وسلم انه سلك طريقهم فى تزويرا فاويل باطلة روّجها بسجع فى كلمات متقابلة اذ كانوا يروّجون اخبارهم المزورة واقوالهم المصورة باسجاع مزخرفة تروق السامعين يستميلون بها قلوبهم واوهامهم ويستصغون اليها اسماعهم وافهامهم ولا يتكلمون الا بالسجع المتكلف فى تأدية مرامهم ومن ثم عاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قول من قال فى حديث قتل الجنين كيف ندى من لا اكل ولا شرب ولا استهل ومثل ذلك بطل اى يهدر وفى رواية يطل انما هذا من اخوان الكهان لما تضمنه سجعه من الباطل وما ليس تحته طائل والا فقد ورد السجع فى كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا (ما هو) اى ليس كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم المعنى به القرآن او مطلق ما يظهره فى عالم البيان (بزمزمته) اى بزمزمة الكاهن (ولا سجعه) وهو صوت خفى لا يكاد يفهم فكانه والله تعالى اعلم اذا اراد حضور قرينه من الجن زمزم له فحضر عنده واخبره والنفى الثانى بمنزلة الدليل للنفى الاول فتأمل او معطوف عليه بحذف الباء كما سيأتى فى قرآنته هذا وقيل زمزمة الكهان صوت يديرونه فى خياشيمهم وافواههم من غير صريح نطق وربما افهموا به من الفهم (قالوا مجنون) اى مصاب اختلط عقله من مس الجن على ما يعتقدون فيما يزعمون ولقد رأى رجل قوما مجتمعين على انسان فقال ما هذا قالوا مجنون قال هذا مصاب انما المجنون الذى يضرب بمنكبيه وينظر فى عطفيه ويتمطى فى مشيته وما احسن مقابلته

بالمصاب فانه المخطئ فى فعله عن صوب الصواب لكونه اصيب بآفة فى عقله الخارج عن دآئرة اولى الالباب (قال) اى الوليد (ماهو بمجنون ولا بخنقه) بفتح الخاء المعجمة وكسر النون وتسكن وتفتح وبالقاف مصدر لدخول حرف الجر بعد لا المزيدة لتأكيد النافية السابقة والمقصود انه ليس بفعل نفى كما توهم قال الحلبى الخنق بكسر النون كذا فى غير مؤلف فى اللغة ولكن فى مطالع ابن قرقول قال بضبط المصدر بفتح النون والاسكان ولم يتعرض للكسر فتحصل من ذلك ثلاث لغات فى المصدر قلت وفى القاموس اقتصر على الاول حيث قال خنقه خنقا ككتف فهو خنق ايضا وخنيق ومخنوق انتهى والمصدر ههنا بمعنى المفعول اى ليس هو ممن اصابه الجن وخنقه ولا وسوس فى صدره لعدم ظهور اثره فى امره كما افاده بقوله (ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال) اى الوليد (ماهو بشاعر قد عرفنا الشعر كله) اى اصنافه جميعه مأخوذ من الشعور وقال اليمنى هو مصدر شعرت بالشئ بالفتح اشعر به اى فطنت له ومنه قولهم ليت شعرى اى ليتنى علمت وفى الاصطلاح هو الكلام المقفى المقصود به الشعر ليخرج مالم يقصد مما وافق فى الوزن والتقفية كما جاء فى القرآن والسنة وعبارات الائمة من غير قصد ويقال فى كلامه سبحانه وتعالى انه غير مقصود بالذات والا فلا يتصور بدون ارادته وقوع شئ من الكائنات (رجزه وهزجه) بفتحتين فيهما (وقريظه ومبسوطه ومقبوضه) بيان لبعض انواعه واصول اصنافه هذا وقوله قريظه فى النسخ بالظاء المشالة وفى اصل الدلجى بالضاد المعجمة فقال فعيل بمعنى مفعول من القرض وهو لغة القطع وسمى الشعر قريضا لان قارضه اى الشاعر يورده قطعا قطعا انتهى وهو الموافق لما فى القاموس فى حرف الضاد من قوله قرضه قطعه وجاراه كقارضه والشعر قاله وقال اليمنى وسمى قريضا لكونه يقرض ويقال قرظته اذا مدحته ويجوز ان تكتب هذه اللفظة بالضاد والظاء (ماهو بشاعر) تأكيد للاول وفى نسخة وماهو بشاعر انطقه الله تعالى بالصدق وما وفقه للحق فما اقربه فى الظواهر وما ابعده فى السرآئر فهو ممن اضله الله على علم بقدرته القاهرة وارادته الباهرة (قالوا فنقول ساحر قال ماهو بساحر ولا نفثه ولا عقده) بالجر فيهما على انهما معطوفان على مدخول الباء اى ولا هو بنفث الساحر اى نفخه ولا بعقده فى خيط عند نفثه ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات فى العقد (قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين شيأ من هذا) اى مما رميتموه به من الاباطيل (الا وانا اعرف انه باطل) اى وليس تحته طائل (وان اقرب القول انه ساحر) بفتح الهمزة على انه مع اسمه وخبره خبر ان الاولى فتأمل ولا تتبع طريق الدلجى فى ضبط الهمزة بالكسر على انه مقول لقول مقدر حيث قال واقرب القول فيه ان يقال بانه ساحر (ثم قال) اى الوليد (فانه سحر) اى كلامه مشابه حال كونه (يفرق) اى به كما فى نسخة اى بكلامه المماثل للسحر (بين المرء وابنه) اى اعز اولاده واقاربه وفى نسخة وابيه اى والده الذى هو اقرب اسلافه واجداده (والمرء واخيه) اى شقيقه واقوى قرينه ورفيقه (والمرء وزوجه) اى امرأته او الشخص الشامل للمرأة وزوجها باحد معنييه (والمرء وعشيرته) اى عموم قرابته بواسطة المخالفة فى دينه وملته (فتفرقوا) اى راضين على هذا القول من ذلك المجلس (وجلسوا على السبل) اى سبل الوافدين وطرق الواردين (يحذرون الناس) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومتابعته واقتفاء سنته وطريقته (فانزل الله تعالى فى الوليد) اى مايشير الى الوعيد الاكيد تهديدا شديدا (ذرنى ومن خلقت وحيدا) حال من الياء فى ذرنى اى اتركنى معه وحدى فانا اكفيكه او من العائد المحذوف اى ومن خلقته وحيدا لا مال له ولا ولد بل فريدا او تهكم به صرفا له عن كونه لقب مدح له بانه وحيد قومه فى الدنيا تقدما ورياسة ويشار الى ذمه وعيبه بما يقتضى ان يكون وحيدا فى شره (الايات) اى من قوله تعالى وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا الى قوله سبحانه وتعالى فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر (وقال عتبة بن ربيعة) اى ابن عبد شمس ابن عبد مناف قتل فى بدر كافرا وقد قيل قتله حمزة حين كر هو وعلى عليه (حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم انى لم اترك شيأ الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت) اى من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قولا ما سمعت مثله قط ماهو) اى ليس قوله (بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفى حديث اسلام ابى ذر) اى الغفارى بكسر الغين وقد رواه مسلم (ووصف) اى والحال انه قد وصف ابوذر (اخاه انيسا) بضم الهمزة وفتح النون وسكون التحتية فسين مهملة وكان ابوذر ارسله قبل اسلامه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة والقصة مشهورة وهو صحابى معروف (فقال) اى ابوذر (والله ما سمعت باشعر) اى باكثر شعرا واحسن نظما (من اخى انيس لقد ناقض) اى عارض (اثنى عشر شاعرا) اى معروفا (فى الجاهلية انا احدهم وانه) اى انيسا (انطلق الى مكة وجاء الى ابى ذر) نقل بالمعنى او التفات فى المبنى وفى نسخة وجاءنى (بخبر النبى) اى باخبار بعثته واظهار نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (قلت فما يقول الناس) اى فى وصفه ونعته

(قال يقولون شاعر كاهن ساحر) اى هم مختلفون بين قول شاعر وكاهن وساحر وهم قائلون بانه لا يخلو عن واحد من هؤلاء الطوآئف المذكورة او مدعون بانه جامع بين هذه الاوصاف الثلاثة المسطورة ثم قال اخو ابى ذر (لقد سمعت ما قال الكهنة) اى كثيرا (فما هو) اى قوله (بقولهم) اى لعدم المناسبة (ولقد وضعته) اى كلامه (على اقرآء الشعر) بفتح الهمزة وسكون القاف فرآء ممدودة اى طرقه وانواعه اى انواع بحوره (فلم يلتئم) اى لم يلائم على شئ من اوزانه (وما يلتئم) اى وما يتفق (على لسان احد بعدى) اى غيرى ايضا (انه شعر) اذ الشعرآء اتفقوا على ذلك لما استوزنوا كلامه على اقرآء شعرهم هنالك (وانه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لصادق) اى فى دعوى الرسالة وفى قوله نقلا عن ربه وما علمناه الشعر وما ينبغى له (وانهم لكاذبون) فى كونه شاعرا او كاهنا او ساحرا (والاخبار فى هذا) اى المعنى المذكور والمدعى المسطور (صحيحة) اى اسنادا (كثيرة) متناصرة بحجة دلالة (والاعجاز) اى عن الاتيان بمثل هذا القرآن (بكل واحد من النوعين) اى اللذين احدهما (الايجاز والبلاغة بذاتها) اى بانفرادها فهما مرفوعان كما فى بعض النسخ على انهما خبران لمبتدأ مقدر وفى بعضها بكسرهما على كونهما بدلين من النوعين وفى نسخة والايجاز والبلاغة بذاتهما على انهما عطف بيان لما قبلهما والحاصل ان الايجاز والبلاغة كلاهما نوع كما سبق ذكره حيث عبر عنهما بصورة نظمه العجيب والنوع الآخر وهو الذى بينه بقوله (او الاسلوب الغريب بذاته) اى مع قطع النظر عن بقية صفاته وفى نسخة ان بدل او ووجهه لا يظهر فتأمل وتدبر ثم صرح بمقصوده فى ضمن وروده تحت قوله (كل واحد منهما) اى من النوعين وهو النظم العجيب والاسلوب الغريب (نوع اعجاز على التحقيق) اى عند ارباب التوفيق واصحاب التدقيق وفى نسخة نوع ايجاز والظاهر انه تصحيف اذ فى المعنى تحريف (لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما) اى لا بالنظم العجيب ولا بالاسلوب الغريب (اذ كل واحد) اى من النوعين (خارج عن قدرتها) اى عن قدرة العرب العرباء (مباين لفصاحتها وكلامها) اى مغاير لفصاحتهم وبلاغتهم من الشعرآء والخطباء (والى هذا) اى القول بان كل واحد منهما نوع اعجاز بذاته (ذهب غير واحد) اى كثيرون (من ائمة المحققين) بسلامة فطنتهم وصحة فطرتهم (وذهب بعض المقتدى بهم) بفتح الدال اى بعض من يقتدى الناس بهم ويميلون فى الجملة الى تقليدهم وقبول قولهم (الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة) اى المتضمنة للفصاحة (والاسلوب) اى من جهة الغرابة والحاصل ان تحقق الاعجاز بهما مجتمعا لا بكل واحد منهما منفردا (واتى على ذلك) اى واستدل على ما ذهب اليه اى من ان الاعجاز فى مجموعهما (بقول تمجه الاسماع) بضم الميم وتشديد الجيم اى تدفعه الطباع السليمة وتقذفه الفهوم المستقيمة (وتنفر منه القلوب) اى من اول الوهلة ومبدأ المقدمة (والصحيح ما قدمناه) اى من كون الاعجاز لكل واحد منهما بذاته منفردا (والعلم بهذا كله ضرورة قطعا) عند اصحاب الذوق من ان وجه الاعجاز امر من جنس البلاغة يدرك كالملاحة ولا يوصف ولا طريق اليه من جهة الصنيع الا معرفة علوم المعانى والبيان والبديع مع معونة فيض آلهى يورث العلم بكون ذلك ضرورة قطعا (ومن تفنن) وفى نسخة ومن تكلم (فى علوم البلاغة) وفى نسخة فى فنون البلاغة اى ومن علم فنون البلاغة وصنوف الفصاحة (وارهف خاطره) بالنصب اى رقق وحدد ذهنه بتوجه جنانه (ولسانه) اى بتحصيل بيانه (ادب هذه الصناعة) فاعل ارهف والمعنى ان من اكثر ممارستها واطال خدمتها حتى صارت له بديهة معرفتها (لم يخف عليه ما قلناه) اى ما قدمناه كما فى اصل الدلجى من ان كلا منهما نوع اعجاز بذاته منفردا عند اهل التحقيق بصفاته (وقد اختلف ائمة اهل السنة) وفى نسخة ائمة المسلمين (فى وجه عجزهم عنه) اى عن الاتيان بمثله (فاكثرهم يقول) اى قالوا مستمرين على قولهم (انه) اى وجه عجزهم (مما جمع) بصيغة المجهول وفى نسخة بصيغة الفاعل اى جمع الله (فى قوة جزالته) اى لطائف معانيه (ونصاعة الفاظه) اى شرآئف مبانيه بخلوصها من شوآئب الركاكة وتنافر الكلمات والغرابة (وحسن نظمه وايجازه) اى واستحسان نظم المعانى الكثيرة فى ضمن المبانى اليسيرة من غير خلل فى مبناه ولا قصور فى معناه (وبديع تأليفه واسلوبه) اى على صنيع منيع ليس على اسلوب نظم الشعرآء ولا نثر الخطباء (لا يصح ان يكون فى مقدور البشر) لاشتماله على لطائف وشرآئف فى باب البلاغة والفصاحة الى ان خرج عن طاقة الخلق فتعين انه من كلام الحق (وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق) بفتح الهمزة اى مقدوراتهم (عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى) اى مما لا يقدر عليه غيره تعالى (وذهب الشيخ ابو الحسن) اى على بن اسماعيل بن اسحق بن سالم بن عبد الله بن امير العراقين بلال ابن ابى بردة ابن ابى موسى الاشعرى امام السنة (الى انه) اى القرآن (مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر) اى فى الجملة ممن هو ماهر فى وجوه البلاغة وباهر فى فنون الفصاحة (ويقدرهم الله عليه) بضم الياء

وكسر الدال اى وان يعطيهم القدرة والقوة على اتيان مثله لانه من جنس نتائج افكارهم وكرائم اسرارهم (ولكنه) الضمير للشان (لم يكن هذا ولا يكون) اى هذا وفى نسخة زيد هذا هو الشان اى الشان عدم قدرتهم عليه (فنعهم الله هذا وعجزهم عنه) بتشديد الجيم اى وجعلهم عاجزين عن امر المعارضة فى ميدان المقاومة (وقال به جماعة من اصحابه) اى من علماء الامة لكن هذا هو القول بالصرفة وقدمر انه مرجوح عند اكابر الائمة (وعلى الطريقين) اى من ان كونه معجزا بذاته عن مقاومته او بتعجيزه سبحانه وتعالى اياهم عن معارضته (فعجز العرب عنه ثابت) اى بلا شبهة (واقامة الحجة عليهم) اى واقع (بما يصح ان يكون فى مقدورهم) وفى نسخة مقدور البشر اى على ماذهب اليه الاشعرى وبعض اتباعه (وتحديه) اى وطلب معارضته صلى الله تعالى عليه وسلم اهم (بان يأتوا بمثله قاطع) اى بلا ريبة (وهو) اى تحديه ان يأتوا بمثله مع كونه مما يصح ان يكون فى مقدورهم (ابلغ فى التعجيز واحرى) اى اليق واولى (بالتقريع) اى بالتوبيخ (والاحتجاج) مبتدأ اى والاستدلال على عجزهم (بمجيء بشر مثلهم) وفى نسخة منهم اى من جملتهم (بشئ ليس من قدرة البشر لازم) اى على القول بانه معجز بنظمه العجيب واسلوبه الغريب (وهو) اى كونه ليس من قدرة البشر (ابهر آية) اى اظهر علامة (واقمع) اى اقهر (دلالة) اى فى ثبوت الحجة (وعلى كل حال) اى تقدير من قولى الاعجاز بالصرفة او البلاغة (فما اتوا) بفتح الهمزة اى فما جاؤا (فى ذلك) اى فى معارضته (بمقال) اى فى مقام جدال (بل صبروا على الجلاء) بفتح الجيم اى الخروج من اوطانهم (والقتل) اى وعلى قتل انفسهم واخوانهم (وتجرعوا كاسات الصغار) بفتح الصاد اى الحقارة (والذل) اى المسكنة والمهانة (وكانوا) اى والحال انهم كانوا (من شموخ الانف) بضم الشين المعجمة اى من شماخته ورفعته كبرا وعتوا وهو بفتح الهمز وسكون النون عضو معروف وجمعه انوف وفى نسخة بضمتين على انه جمع انف وضبطه الحلبى بهمزة ممدودة يعنى وضم نون على انه جمع آخر (واباءة الضيم) بكسر همزة فموحدة فالف بعدها همزة او ياء فتاء وفى نسخة بغير تاء وفى اخرى الضير براء بدل الميم وكلاهما بفتح الضاد اى وكانوا من منوع الضرر تحاميا عنه وتباعدا منه (بحيث لا يؤثرون ذلك) اى لا يختارون ماذكر من الجلاء والقتل والصغار والذل (اختيارا) اى طوعا (ولا يرضونه الا اضطرارا) اى كرها (والا) اى وان لم يكن الامر من عجزهم وصبرهم على ذلهم (فالمعارضة) اى للقرآن وسائر المعجزات (لو كانت من قدرهم) بضم وفتح اى مقدوراتهم (والشغل بها اهون عليهم) والظاهر ان يقال فالشغل بالفاء اولكان الشغل ولعل الجملة حالية وهو بضم فسكون وبضمتين وبفتح وبفتحتين اى الاشتغال بالمعارضة اسهل اليهم (واسرع بالنجح) بضم نون فسكون جيم اى بالظفر على المراد (وقطع العذر) اى المعذرة عند العباد فى البلاد (واقام الخصم) اى الزامه (لديهم) اى عندهم (وهم) اى والحال انهم (ممن لهم اقتدار) وفى نسخة قدرة (على الكلام) وفى نسخة وهم من هم بفتح الميم قدرة بفتح القاف والدال جمع قادر وفى اخرى وهم ممن هم قدرة بفتحتين وقدرة فى الجميع مرفوعة وفى اصل الدلجى وهم منهم قدرة بالنصب فقال تمييز للضمير المنفصل قبله والجملة حالية من ضمير لديهم (وقدوة) عطف على قدرة وهو بضم القاف وكسرها وحكى فتحها اى اقتداء واسوة (فى المعرفة به) اى بالكلام (لجميع الانام) متعلق بالقدرة (وما منهم) اى من احد (الا من جهد جهده) بضم الجيم وفتحه اى بذل جده وبالغ اجتهاده (واستنفد) بالفاء والدال المهملة اى استفرغ (ما عنده) اى من قوة طاقته (فى اخفاء ظهوره) اى ظهور نور القرآن او علو نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم من جهة رفعة الشان (واطفاء نوره ويأبى الله الا ان يتم نوره ويعلو ظهوره) وهو مقتبس من قوله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره (فما جلوا فى ذلك) اى فما اظهروا فى مقام المعارضة مما اجتهدوا فيه غاية المجاهدة (خبيئة) بفتح الخاء المعجمة وكسر الموحدة فتحتية ساكنة فهمزة مفتوحة او مبدلة مدغمة اى مخبوءة ومخفية (من بنات شفاههم) بفتح الموحدة قبل النون اى من كلمات صدرت من افواههم والشفاه بكسر الشين المعجمة جمع الشفة بفتحها وتكسر وشفتا الانسان طبقافه (ولا اتوا بنطفة) اى ولا جاؤا بقطرة يسيرة (من معين مياههم) اى من ظواهر انهار بلاغتهم واسرار فصاحتهم بل صاروا بكما فى معارضتهم (مع طول الامد) اى الزمان (وكثرة العدد) اى الاعوان (وتظاهر الوالد وما ولد) الاولى ان يقال والولد اى ومعاونتهم ومعاضدتهم فى مقام الرد واما ما فى نسخة من الامل باللام بدل الامد بالدال فتصحيف وتحريف (بل ابلسوا) بصيغة الفاعل اى ايسوا من المعارضة ويئسوا من المقاومة (فما نبسوا) بفتح النون والموحدة المخففة وقيل المشددة وبضم السين المهملة اى فما نطقوا (ومنعوا) بصيغة المفعول اى فما اعطوا القدرة على المقاومة (فانقطعوا) اى عن المعارضة (فهذان النوعان) وفى نسخة صحيحة نوعان (من اعجازه) اى اجتماعا او انفرادا

(فصل)

(الوجه الثالث من الاعجاز) اى من وجوهه (ما انطوى) اى اشتمل واحتوى (عليه من الاخبار) بكسر الهمزة اى الاعلام (بالمغيبات) اى الكائنات فى الازمنة السابقة (وما لم يكن ولم يقع) اى بعد (فوجد) اى فى الايام اللاحقة (كما ورد) اى مطابقا لما ورد (على الوجه الذى اخبر كقوله تعالى) خطابا للنبى عليه الصلاة والسلام واصحابه الكرام (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله) تعليق لعدته بالمشيئة تعليما لعباده وايماء الى عدم وجوب شئ على الله تعالى فى تحقيق مراده وتلويحا بان بعضهم لا يدخله لعلة من موت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه حالة الرواية (آمنين) حال من واو لتدخلن والجملة الشرطية معترضة (وقوله وهم من بعد غلبهم) اى والروم من بعد غلبة الفرس لهم (سيغلبون) الفرس وكانوا مجوسا والروم نصارى فورد خبر غلبة الفرس اياهم مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون لا كتاب لنا وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت الآية الى قوله فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه لا يقرن الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس فى بضع سنين فقال ابى بن خلف كذبت اجعل بيننا وبينك اجلا فراهنه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده اى فى الابل ومادّه فى الاجل فجعلها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابى بعد قفوله من احد بجرح من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسرف كافرا وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر القلائص من ورثة ابى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تصدق بها وبه اخذ ائمتنا الحنفية جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب واجاب الشافعية بانه كان قبل تحريم القمار والله تعالى اعلم (وقوله) اى وكقوله تعالى (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره) اى ليغلب دين الحق ويعليه (على الدين كله) اى على جنس الدين جميعه بتمام افراده بتسليط المسلمين على اهله بالعزة والغلبة والقهر والقوة فضلا عن الحجة (وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية) اى فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم اى من الانبياء السالفة واممهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ (وقوله اذا جاء نصر الله والفتح) اى فتح مكة (الى آخرها) اى الى آخر السورة او الى آخر ما يتعلق به معنى الآية وهو قوله ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا (فكان جميع هذا كما قال) اى وقع كله كما اخبر عنه اى فكان جميعه كما قال معجزة ومن اعلام النبوة (فغلبت الروم فارس فى بضع سنين) اى يوم الحديبية قيل عند رأس سبع سنين وكان حقه ان يقول ايضا ودخل اهل الاسلام فى المسجد الحرام آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين غير خائفين فى عام عمرة القضاء وكان صلح الحديبية مقدمة فتح مكة وهذا وان كان باعتبار الآية الواردة فيه مقدما لكن وقوعه عن قضية غلبة الروم صار مؤخرا (ودخل الناس فى الاسلام) اى بعد فتح مكة (افواجا) اى فوجا بعد فوج من اهل مكة والطائف واليمن وغيرها (فما مات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف) اى الله تعالى كما فى نسخة (المؤمنين فى الارض) اى فى عامة البلاد (ومكن فيها دينهم) اى ثبته فيما بين العباد (وملكهم اياها) اى الارض وبلادها (من اقصى المشارق الى اقصى المغارب) اى ليتم نظام مرادهم ويكمل امور معاشهم ومعادهم (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فيما رواه مسلم عن ثوبان مرفوعا (زويت لى الارض) بضم الزاى وكسر الواو اى جمعت وطويت لاجلى (فاريت) بصيغة المجهول وفى اصل الدلجى فرأيت (مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها) اى باسرها (وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) اى من التحريف بالزيادة والنقصان مما تواتر عند علماء الاعيان من قراء الزمان (فكان كذلك) اى بمقتضى حفظه (لا يكاد يعد) بصيغة المجهول اى يحصر (من سعى فى تغييره) اى من مبانيه (وتبديل محكمه) اى فى معانيه (من الملحدة) اى المائلة عن الحق الى الباطل كالحلولية والاتحادية وامثالهما (والمعطلة) اى القائلة بتعطيل الكون من المكون كالدهرية ونحوها (لا سيما القرامطة) بالرفع على ان سى بمعنى مثل وما موصولة صدر صلتها محذوف اى ولا مثل الذين هم القرامطة وبالجر على ان ما زائدة وبالنصب على انها اداة استثناء وهم طائفة معروفة وقال بعضهم فرقة من الاباضية وهم اتباع حمدان القرمطى (فاجمعوا كيدهم وحولهم) اى جهدهم (وقوتهم) اى جدهم (اليوم) اى الى يومنا هذا (نيفا) بفتح النون وسكون الياء مخففة وقيل مشددة مكسورة اى زيادة (على خمسمائة عام) اى بالنسبة الى تاريخ زمن المصنف واما الآن فهو نيف والف (فما قدروا) اى القرامطة

وغيرهم من الملاحدة ونحوهم (على اطفاء شئ من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه) وفى نسخة صحيحة من كلمه بفتح فكسر و يجوز بكسر فسكون (ولا تشكيك المسلمين فى حرف من حروفه) اى لا من حروف مبانيه ولا من حروف معانيه ولا ترديدهم فى اعراب بل ولفظه مما ينافيه فى باب (والحمد لله) اى على تمام هذه المنة واتمام هذه النعمة (ومنه) اى ومن اعجاز القرءآن فى اخبار الغيب من مستقبل الزمان (قوله تعالى سيهزم الجمع) اى جمع اهل الكفر و يولون الدبر اى الادبار كما قرئ به وافرد لقصد الجنس اولا رادة كل واحد ولمراعاة الفواصل وعن عمر رضى الله تعالى عنه لما نزلت لم اعلم ما هو حتى كان يوم بدر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلبس درعه ويقول سيهزم الجمع فعلمته (وقوله تعالى) اى ومنه قوله تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم) اى قتلا (الآية) اى ويخزهم اسرا وينصركم عليهم نصرا ويشف صدور قوم مؤمنين اى مما امتلأت منهم ضجرا قيل هم خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بطون من اليمن وردوا مكة واسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اصبروا فان الفرج قريب (وقوله تعالى) اى وكذا منه قوله تعالى (هو الذى ارسل رسوله بالهدى الآية) وقد سبق وهذا من التكرير فى التعبير (وقوله لن يضروكم الا اذى) اى ضررا يسيرا كطعن فى الدين وتهديد فى التخمين (وان يقاتلوكم الآية) اى يولوكم الادبار اى منهزمين ثم لا ينصرون اى لا ينصر احد لهم ولا يدفع بأس عنهم (فكان كل ذلك) اى فوقع هنالك كل ذلك كذلك من هزم جمعهم وتعذيبهم وشفاء صدور المؤمنين بنصرهم عليهم وانحصار الاذى فى ضررهم وانهزامهم كبنى قريظة والنضير وامثالهم (ومافيه) اى ومما فى القرءآن (من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم) اى من ايضاح اقوالهم وافضاح احوالهم (وكذبهم فى حلفهم وتقريعهم بذلك) اى ومن توبيخ الله اياهم بسوء اعمالهم وتقبيح آمالهم وتقطيع مآلهم (كقوله) اى كما فى قوله سبحانه وتعالى (ويقولون فى انفسهم) اى فيما بينهم اوفى نفوسهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) اى هلا يعاقبنا بقولنا فى محمد طعنا منافيه وفى الاسلام ودفعا عنا بالسام بدل السلام قال تعالى وهو العليم الخبير حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (وقوله) اى وكقوله تعالى فى حق المنافقين (يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك الآية) يعنى لو كان لنا من الامر شئ كما زعم محمد ان الامر كله لله وان حزبه هم الغالبون ما قتلنا ههنا اى فى المعركة (وقوله) اى وكقوله تعالى فى حق اليهود (من الذين هادوا) اى بعض اليهود منهم قوم (سماعون للكذب الآية) اى اكالون للسحت الخ (وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) اى يميلونها عن مواضعها التى وضعها الله تعالى فيها بازالتها من مكانها واثبات غيرها فى محلها او يأولونها على ما يشتهون فيها (الى قوله وطعنا فى الدين وقد قال مبديا) بالهمز او الياء اى حال كونه تعالى مظهرا (ما قدره الله) بتشديد الدال اى ما قضاه (واعتقده) ويروى وما اعتقده (المؤمنون) اى مقتضاه الواقع (يوم بدر) على وفق رضاه من الظفر باحدى طائفتين العير والنفير (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) اى القافلة الراجعة من الشام او الطائفة الآتية من بيت الله الحرام (انها لكم) حاصلة من اموال احداها او غنيمة اخراها (وتودون) اى تتمنون وتحبون (ان غير ذات الشوكة) وهى السلاح يعنى العير المقبلة مع ابى سفيان (تكون لكم) حيث لا حدة فيها ولا شدة بخلاف ذات الشوكة من النفير وهو الجمع الكثير ممن نفروا مع ابى جهل من مكة لاستنقاذ العير واستخلاصهم من ايدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه متفوقين بكثرة عددهم وعددهم (ومنه) اى ومن اعجازه سبحانه وتعالى (قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين) اى الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى او الحارث بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بن اسد قيل وكذا عمه ابو لهب وعقبة ابن ابى معيط والحكم ابن ابى العاص الا انه اسلم يوم الفتح والباقون اهلكوا بانواع من العقوبة (ولما نزلت) اى هذه الآية فيهم على ما رواه الطبرانى فى الاوسط (بشر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه بان الله كفاه اياهم) اى شرهم واذاهم ورواه البيهقى وابو نعيم بمعناه (وكان المستهزؤن نفرا بمكة) اى جماعة مترصدين للواردين بها والصادرين عنها (ينفرون الناس عنه) بتشديد الفاء اى يصدونهم عن الايمان به (ويؤذونه) اى بهذا واضرابه (فهلكوا) اى بضروب البلاء وفنون العناء فتم نوره وكمل ظهوره (وقوله والله يعصمك من الناس) عدة من الله تعالى بعصمة روحه من غوائل عدوه (فكان كذلك) اى كما اخبر به من لا خلف فى خبره (على كثرة من رام ضرره) اى مع كثرة من قصد ضره (وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة) اى مشهورة فى كتب المغازى فى باب السير (صحيحة) اى مذكورة عند ارباب الاثر فعصمه الله تعالى وحفظه حتى انتقل من دار الدنيا الى منازل الحسنى فى العقبى

(فصل)

(الوجه الرابع) اى من وجوه اعجاز القرءآن (ما انبأ به) اى واعلمه (من اخبار القرون السالفة) اى الماضية (والامم

البائدة) اى الهالكة الفانية (والشرائع الداثرة) اى الدارسة (مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ) بفتح الفاء وتشديد الذال المعجمة اى الفرد الواحد المنفرد عن اقرانه فى علو شانه (من احبار اهل الكتاب) بالحاء المهملة اى من علمائهم (الذى قطع عمره) اى صرفه (فى تعلم ذلك) اى الخبر الواحد من السنة كبرائهم او من كتب فضلائهم (فيورده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على وجهه) اذ لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (ويأتى به على نصه) اى كما قرأه عليه جبريل من غير تصرف فى لفظه (فيعترف العالم) اى منهم كما فى نسخة (بذلك) اى بسبب ما اورده (بصحته وصدقه) متعلق بيعترف (وان مثله لم ينله بتعليم) اى لم يصل اليه بواسطة تعليم وتعلم من الخلق وحينئذ قد يغترف من بحر تحقيقه و يتشرف بتوفيق تصديقه لعلمه انه اخبر الخلق بوحى من الحق (وقد علموا) اى جميعهم قبل ذلك (انه صلى الله تعالى عليه وسلم امى) اى فى جميع امره (لا يقرأ ولا يكتب) اى فى جميع عمره (ولا اشتغل بمدارسة) اى مع العلماء (ولا مثافنة) بالمثلثة والفاء والنون اى ولا مجالسة مع الشعراء والفضلاء وفى نسخة بالقاف والموحدة ولعلها مصحفة او يراد بها المزاحمة فى المعرفة من ثقوب الذهن وهو وصوله الى الصواب ثم هذا فيما بينهم (ولم يغب عنهم) اى غيبة يمكنه التعلم فيها من غيرهم (ولا جهل حاله احد منهم) اى منذ كان صغيرا الى ان بعث كبيرا لانه كان من اعيانهم والحاصل انه كما قال صاحب البردة ذاتقا من هذه الزبدة * كفاك بالعلم فى الامى معجزة (وقد كان اهل الكتاب) اى من اليهود والنصارى (كثيرا ما) اى فى كثير من الاوقات (يسألونه صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا) اى عن اخبار القرون الماضية (فينزل) بصيغة الفاعل او المفعول مخففا او مشددا (عليه من القرءآن ما يتلو عليهم منه ذكرا) اى بيانا لاعمالهم واحوالهم وما جرى لهم فى مآلهم (كقصص الانبياء مع قومهم) اى اقوامهم من اممهم اجمالا تارة ومفصلا اخرى وعموما مرة وخصوصا كرة كما اشار اليه بقوله (وخبر موسى والخضر) بفتح فكسر وروى بكسر فسكون قيل لانه اذا جلس او صلى اخضر ما حوله وفى البخارى انه جلس على فروة فاذا هى تهتز خلفه خضراء والفروة الارض اليابسة او الحشيش اليابس وفى اسمه اختلاف وكذا فى كونه نبيا مرسلا او غيره او وليا و به جزم جماعة واغرب ما قيل فيه انه من الملائكة وقيل انه ابن آدم وقيل ابن فرعون وقال الثعلبى نبى على جميع الاقوال معمر محجوب عن الابصار واختلف فى حياته وقد انكرها جماعة منهم البخارى وقال ابن الصلاح هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم على ذلك وانما شذ بانكارها بعض المحدثين قال الحلبى ونقل النووى عن الاكثرين حياته وقيل انه لا يموت الا فى آخر الزمان وفى صحيح مسلم فى احاديث الدجال انه يقتل رجلا ثم يحييه قال ابراهيم بن سفيان راوى مسلم يقال انه الخضر وكذا قال معمر فى مسنده واما ما استدل به البخارى ومن تبعه كالقاضى ابى بكر ابن العربى على انه مات قبل انقضاء المائة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ارأيتكم ليلتكم هذه فانه على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد فالجواب ان هذا الحديث عام فيمن يشاهده الناس و يخالطونه لا فيمن ليس كذلك كالخضر بدليل ان الدجال خارج عن هذا الحديث لما روى مسلم من حديث الجساسة الدال على وجود الدجال فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى بقائه الى زمن ظهوره مع ان مسلما روى عن ابن عمر ان المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد انخرام ذلك القرن (و يوسف واخوته) كما هو مبين فى سورته باحسن صورته (واصحاب الكهف) قال الحلبى واختلف فى بقائهم الى الآن فروى عن ابن عباس انه انكر ان يكون بقى منهم شئ بل صاروا ترابا قبل المبعث وقال بعض اصحاب الاخبار غير هذا وان الارض لم تأكلهم ولم تغيرهم وانهم على مقربة من القسطنطينية وفى مكانهم اقوال وروى انهم سيحجون البيت اذا نزل ابن مريم قال الامام السهيلى الغيث هذا الخبر فى كتاب البدء لابن ابى خيثمة هذا وقد اختلف فى عدتهم ومدة اقامتهم (وذى القرنين) روى الحاكم فى المستدرك انه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال لا ادرى أنبى هو ام لا وجاء فيه عنه عليه السلام انه كان ملكا مسح فى الارض بالاسباب وقيل فى قوله تعالى وآتيناه من كل شئ سببا اى علما يتبعه وفى قوله تعالى فاتبع سببا اى طريقا يوصله وقال ابن هشام فى غير السيرة السبب حبل من نور كان ملك يمشى به بين يديه فيتبعه واختلف فى تسميته بذى القرنين كما اختلف فى اسمه واسم ابيه فاصح ما قيل فى ذلك ما روى عن ابى الطفيل عامر بن واثلة قال سأل ابن الكوا على ابن ابى طالب فقال ارأيت ذا القرنين انبيا كان ام ملكا فقال لا نبيا كان ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا دعا قومه الى عبادة الله فضربوه على قرنى رأسه ضربتين وفيكم مثله يعنى نفسه وقيل ذو القرنين ملك الخافقين واذل الثقلين وعمر الفين ثم كان فى ذلك كلحظة عين (ولقمان وابنه) تقدم ذكرهما وفى سورته بعض حكمته (واشباه ذلك من الانبياء) كخبر نوح وابنه وابنى آدم (وبدء الخلق) اى ابتدائهم وانتهائهم (وما فى التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء)

اى من اهل الكتاب (بها) اى حين تلاها عليهم (ولم يقدروا) اى وما قدر احد منهم (على تكذيب ما ذكر منها) بصيغة الفاعل او المفعول اى تكذيبه فى شئ ذكر من الكتب المذكورة (بل اذعنوا) اى انقادوا له (لذلك) اى لعلمهم بصدقه (فمن موفق) بتشديد الفاء المفتوحة اى موافق (آمن) اى بالقرآن وما انزل عليه (بما سبق له) اى فى الازل (من خير) اى من سابقة ارادة السعادة له (ومن شقى) اى مخذول (معاند حاسد) وزيد فى نسخة خاسر جاهل وقال الحجازى يروى خاسر ويروى جاهل اى لم يصدقه بما سبق له فى الازل من سابقة ارادة الشقاوة له (ومع هذا لم يحك عن احد) وفى اصل الدلجى وغيره عن واحد (من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له) اى مع مبالغتهم فى مناقضتهم لحقه (وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما فى كتبهم) اى مما اوجب العلم بانه رسول الله الى كافة الناس (وتقريعهم) اى توبيخهم ردعا لهم (بما انطوت عليه مصاحفهم) اى بما اشتملت عليه كتبهم وكان الاظهر ان يقول صحفهم او صحائفهم (وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام) اى اختبارا وامتحانا (وتعنيتهم اياه) اى تكليفهم له بما شق عليه بكثرة سؤالهم (عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم) اى كل ذلك تعنتا وعنادا لا تفهما وارشادا (واعلامه لهم بمكنون شرائعهم) اى مخفيها ومستورها (ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم) اى على لسان قريش اذ قالوا لهم سلوه (عن الروح) كما رواه الشيخان (وذى القرنين واصحاب الكهف) فيما رواه ابن اسحق والبيهقى فان اجاب عنها او سكت فليس بنبى وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم كما رواه الشيخان قصتى اصحاب الكهف وذى القرنين وابهم امر الروح كما هو مبهم فى التوراة (وعيسى عليه الصلاة والسلام) اى وسؤالهم عن عيسى فبينه لاهل الكتابين (وحكم الرجم) فبينه لليهود (وما حرم اسرائيل على نفسه) اى وسؤالهم عنه كما روى الترمذى اى حرم باجتهاده او باذن من ربه لحوم الابل والبانها فبينه لهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة (وما حرم عليهم) بصيغة المجهول (من الانعام) اى وسؤالهم عنه فبينه بقوله سبحانه وتعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم) اى وسؤالهم عنها فبينه بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية (وقوله) اى ومثل قوله تعالى (ذلك) اى سيماهم فى وجوههم من اثر السجود (مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل) اى كزرع اخرج شطأه فآزره الآية والمراد وصفهما العجيب الشان فيهما (وغير ذلك من امورهم التى نزل فيها القرآن) اى لكشف مستورهم (فاجابهم) اى عن ذلك كله (وعرفهم بما اوحى اليه من ذلك) اى من بيانه (انه) بفتح الهمزة متعلق بما سبق وما بينهما معترضة اى فلم يحك عن احد منهم انه (انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته) وفى نسخة صحة مقاله وفى اخرى بفتح الصاد وتشديد الدال على انه فعل ماض ومقاله مفعوله (واعترف بعناده) اى بعناد نفسه (وحسده اياه) وفى نسخة صحيحة وحسدهم (كاهل نجران) بفتح النون وسكون الجيم طائفة من النصارى حين حاجوه فى عيسى فدعاهم الى المباهلة كما فى آيتها وسيأتى تفصيل حكايتها (وابن صوريا) بضم الصاد وكسر الراء مقصورا وفى نسخة ممدودا ويقال له ابن صورى وقد ذكر السهيلى عن النقاش انه اسلم نقل ذلك الذهبى فى تجريد الصحابة (وابنى اخطب) بالخاء المعجمة يهوديان معروفان هلكا على كفرهما (وغيرهم ومن باهت فى ذلك) اى فيما لم ينكر منه ولم يكذب فيه (بعض المباهتة) اى نوع من المباهتة (وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (مخالفة دعى) بصيغة المجهول اى فقد دعى من جانب ربنا سبحانه وتعالى (الى اقامة حجته وكشف دعوته) اى من ان عنده فيما حكاه مخالفة كموافقته لابراهيم عليه السلام فى تحليل لحوم الابل والبانها وروى وكشف عورته (فقيل له) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجترئوا ان يأتوا بها وهذا برهان عظيم على نبوته وصدق دعوته (الى قوله الظالمون) يعنى فمن افترى على الله الكذب اى بزعمه ان ذلك حرم على بنى اسرائيل وعلى من قبلهم قبل نزول التوراة من بعد ذلك اى بعد ظهور الحق له وثبوت الحجة عنده فاولئك هم الظالمون بعدم انصافهم من انفسهم ومكابرتهم وعنادهم بعد ما تبين الحق لهم (فقرع) بتشديد الراء (ووبخ) بتشديد الموحدة اى فاظهر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم التقريع والتوبيخ لهم (ودعا) اى دعاهم (الى احضار ممكن غير ممتنع) وهو الاتيان بالتوراة فلم يقدروا على ذلك وتفرقوا باختلافهم هنالك (فمن معترف بما جحده) اى انكره اما باسلامه او بانصافه (ومتواقح) بالقاف والحاء اى ومن قليل حياء (يلقى) بضم الياء وكسر القاف اى يضع (على فضيحته) اى الكاشفة لعيبه التى هى ظاهرة (من كتابه يده) بالنصب على انه مفعول يلقى وفى اصل الدلجى من كتابه يده بالاضافة والظاهر انه تصحيف بل تحريف وهى آية الرجم وعاها بالفضيحة لانها

سبب اهتك حالته قال الحلبى وقد جاء فى صحيح البخارى ان عبد الله بن سلام قال له ارفع يدك يا اعور وسماه بعض الحفاظ عبد الله بن صوريا الاعور الحبر الذى تقدم ذكره وانه اسلم بعده (ولم يؤثر) بصيغة المفعول اى ولم يرو واحد (ان واحدا منهم) اى من اهل الكتاب (اظهر خلاف قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (من كتابه) وفى نسخة من كتبه (ولا ابدى) اى ولا اظهر (صحيحا ولا سقيما من صحفه) جمع صحيفة والظاهر من تغاير المتعاطفين ان الصحيفة تطلق على الكتاب الصغير والكتاب اذا اطلق فالمراد به الكبير وان كان معناه الاعم لاسيما حال الجمع بينهما وهذا اولى مما قال الدلجى من انه جمع بينهما تفننا وتزيينا ومما يؤيد ما قدمناه حديث عيينة بن حصين انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب له كتابا فلما اخذه قال يا محمد اترى انى حامل الى قومى كتابا كصحيفة المتلمس وهو شاعر معروف قدم هو وطرفة الشاعر على عمرو بن هند فنقم عليهما امرا فكتب لهما كتابين الى عامله بالبحرين يأمره بقتلهما واعطى كلا صحيفة وقال انى كتبت لكما بجائزة فاجتازا بالحيرة فقرأ المتلمس صحيفته فاذا فيها الامر بقتله فالقاها فى الماء ومضى الى الشام وقال لطرفة اقرأ صحيفتك والقها فانها كصحيفتى فابى ومضى الى العامل فقتله فصار مثلا (قال تعالى يا اهل الكتاب) اللام لام الجنس والمراد بهم اليهود والنصارى جميعهم (قد جاءكم رسولنا) يعنى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كنعته صلى الله تعالى عليه وسلم وآية الرجم مما فى التوراة وبشارة عيسى به عليهما السلام مما فى الانجيل (ويعفو عن كثير) اى مما يخفونه مما لا ضرورة الى تبيينه او عن كثير منكم لحلمه حيث لا يؤاخذه بجرمه (الآيتين) يعنى قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم

(فصل)

(هذه الوجوه الاربعة) اى المتقدمة فى فصولها السابقة (من اعجازه) اى اعجاز القرآن (بينة) اى واضحة ولائحة (لا نزاع فيها) اى ليس لاحد فيها منازعة (ولا مرية) اى لا شك ولا شبهة (ومن الوجوه البينة فى اعجازه من غير هذه الوجوه) الاربعة الواردة فى حق تعجيز الامة (آى) بهمزة ممدودة اى آيات (وردت بتعجيز قوم) اى جماعة خاصة (فى قضايا) اى احكام مختصة (واعلامهم) بالجزاى و باخباره تعالى عنهم (انهم لا يفعلونها) اى كقوله تعالى ولا يتمنونه ابدا واما شرح الدلجى بقوله وان يفعلوا ففيه ان هذا من الامور العامة لا من القضايا الخاصة (فما فعلوا ولا قدروا على ذلك) اى بل عجزوا عن المعارضة هنالك (كقوله لليهود) على ما نص عليه فى سورة الجمعة بقوله قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله الآية (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) اى الجنة وما فيها من المثوبة (عند الله خالصة) اى لكم (من دون الناس) اى باقيهم او المؤمنين كما ادعيتم بقولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا (الآية) اى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين اى فى دعواكم على وفق متمناكم لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب الخلاص من دار الاكدار اليها وان يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم اى من الاعمال السيئة الموجبة لدخول النار المؤبدة (قال ابو اسحق الزجاج) بتشديد الجيم الاولى (فى هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه) اى الله سبحانه وتعالى (قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه احد منهم) وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يقولها) اى لا يتمناه بهذه التمنية اولا يتصور فى نفسه هذه الامنية (رجل منهم الا غص بريقه) بفتح الغين المعجمة وتشديد الصاد المهملة لا بضم اوله لانه لازم لا يبنى مفعول له ذكره الدلجى والظاهر ما ضبطه فى بعض النسخ من انه بصيغة المجهول وان معناه شرق بريقه فى حلقه بعد بلعه وفى القاموس الغصة الحزن وما اعترض فى الحلق فاشرق (يعنى يموت مكانه) الاظهر مات مكانه ولفظ الحديث هذا رواه البيهقى من طريق الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس مرفوعا ورواه احمد بسند جيد عن ابن عباس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولفظه لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا (فصرفهم الله عن تمنيه) اى تمنى الموت (وجزعهم) بتشديد الزاى اى ادخل الخوف قلوبهم (ليظهر) بضم الياء وكسر الهاء او بفتحهما اى ليبين او ليتبين (صدق رسوله) اى فى دعوى رسالته (وصحة ما اوحى اليه) بصيغة المفعول او الفاعل (اذ لم يتمنه) اى الموت (احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص) اى من غيرهم (لو قدروا) اى على ما امكنهم من المكيد (ولكن الله تعالى يفعل ما يريد فظهرت بذلك) اى بصرفهم عن تمنيهم مع كونهم على تكذيبه احرص من غيرهم (معجزته وبانت) اى ظهرت (حجته قال ابو محمد الاصيلى) بفتح فكسر (من اعجب امرهم انه) اى الشان (لا يوجد منهم جماعة ولا واحد) اى منهم (من يوم امر الله بذلك نبيه) اى بقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة الى قوله فتمنوا الموت (يقدم عليه) بضم الياء وكسر الدال اى على تمنى الموت (ولا يجيب اليه) اى الى تمنيه اذا قيل له تمنه (وهذا) اى امتناعهم من تمنيه (موجود) اى ثابت فيما بينهم

(مشاهد) بفتح الهاء اى معلوم (لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك) اى مثل ما تقدم من آية التمنى (آية المباهلة) بفتح الهاء من البهلة وتضم اللعنة فهى الملاعنة والدعاء باللعنة على الظالم من الفريقين و باهل بعضهم بعضا وتباهلوا اى تلاعنوا والابتهال الاجتهاد فى الدعاء واخلاصه (من هـذا المعنى) اى من حيثية عدم الاجابة الى ما دعت اليه الآية (حيث وفد) بفتح الفاء اى قدم (عليه اساقفة نجران) جمع اسقف بضم الهمزة والقاف وتشديد الفاء رئيس دين النصارى وقاضيهم ونجران بنون مفتوحة وجيم ساكنة بلدة كان فيها النصارى بين مكة واليمن على نحو سبع مراحل من مكة (وابوا الاسلام) بفتح الهمزة والباء وضم الواو اى وامتنعوا عن قبول الاسلام والايمان واصروا على اعتقادهم الفاسد فى حق عيسى عليه السلام (فانزل الله عليه آية المباهلة) اى الملاعنة (بقوله فمن حاجك) اى جادلك وخاصمك (فيه) اى فى عيسى عليه السلام وانكر خلقه وزعم انه اله يعبد (الآية) يعنى فقل تعالوا اى هلموا بالعزم والرأى ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منا نفسه واعزاهله والصقهم بقلبه فتقديمهم على الانفس لمخاطرة الانسان بنفسه لهم ومدافعته عنهم كذا ذكره الدلجى والاظهر ان المراد بانفسنا اقرب اقاربنا كما سيأتى خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم مع الحسنين وفاطمة وراءهما وعلى وراءها فترتيبهم على مراتبهم ويؤخذ منه علو مناقبهم ثم نبتهل اى نتضرع الى رب العالمين فنجعل لعنة الله على الكاذبين اى منا ومنكم (فامتنعوا منها) اى بعد ما دعاهم اليها (ورضوا باداء الجزية) اى عوضا عنها (وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبى) اى بما جاءكم من امر الحق من ربكم (وانه ما لاعن قوما نبى قط) اى ابدا (فبقى كبيرهم ولا صغيرهم) وتمام الحديث فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوه وانصرفوا فاتوه وهو محتضن حسينا وآخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى وراءه وعلى وراءها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا له و بذلوا له الجزية كل سنة الفى حلة وثلاثين درعا من حديد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران حتى الطير على الشجر (ومثله) اى ومثل فمن حاجك فيه (قوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا) والاظهر ان المثل هنا بمعنى النظير فان المحاجة من القضايا الخاصة وهذه الآية من الامور العامة (الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم) اى الكفار وغيرهم (انهم) اى احدا منهم (لا يفعلون) اى المعارضة فى الازمنة المستقبلة (كما كان) اى كما تحقق عدم فعلهم فى الايام الماضية (وهذه الآية ادخل) اى من جهة المعجزة (فى باب الاخبار عن الغيب) اى من حيث انه سبحانه وتعالى نفى عنهم صدور ما طلب منهم تحديا فى المستقبل ابدا (ولكن فيها) اى هذه الآية (من التعجيز) اى لقريش وامثالهم (ما فى التى قبلها) اى من التعجيز لنصارى نجران بخصوصهم اذ كل منهما طلب منه الاسلام فابوا وادعوا انهم على الحق وكذبوا النبى المطلق فطولبوا بمصداقه فعجزوا

(فصل)

(ومنها الروعة) بفتح الراء اى الخشية (التى تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه) اى سماعهم له على لسان تاليه (والهيبة) اى العظمة (التى تعتريهم) اى تصيبهم وتحصل لهم (عند تلاوته لقوة حاله) اى حالته فى تمام حلاوته وفى نسخة لقوة جلالته (وانافة خطره) بفتحتين اى رفعة قدره وعظمة امره (وهى) اى روعته او تلاوته (على المكذبين به اعظم) اى اصعب منها على المصدقين به (حتى كانوا) اى المكذبون (يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا) اى هربا من استماعه (كما قال الله تعالى) اى فيما اخبر عنهم واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا (ويودون انقطاعه) اى تلاوته (لكراهتهم له) اى كما قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون (ولهذا) اى ولما ذكر من ودادهم انقطاعه وكراهتهم تلاوته واستماعه (قال عليه الصلاة والسلام) اى كما رواه الديلمى وغيره عن الحكم بن عمير مرفوعا (ان القرآن) وفى نسخة صحيحة ان هذا القرآن (صعب) اى شديد (مستصعب) بكسر العين وتفتح وهو تأكيد (على من كرهه) وفى اصل الدلجى يكرهه (وهو) اى القرآن (الحكم) بفتحتين اى الحاكم بين الحق والباطل والفاصل بين البر والفاجر المبين لكل نفس جزاء ما عملت من خير او شر المميز بين السعيد والشقى بالثواب والعقاب (واما المؤمن) اى به كما فى نسخة (فلا تزال روعته به) اى روعة القرآن بالمؤمن (وهيبته اياه مع تلاوته توليه) بضم التاء وسكون الواو اى تعطيه (انجذابا) وفى نسخة انجيازا اى اقبالا عليه (وتكسبه هشاشة) بفتح الهاء اى ارتياحا واستبشارا وفرحا وخفة (لميل قلبه اليه وتصديقه به) اى بما لديه (قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) اى ترتعد وتنقبض مما فيه من

الوعيد بالعقوبة (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) اى تسكن وتطمئن الى ما فيه من ذكر الوعد بالرحمة والمغفرة (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية) اى لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله اى متشققا ومتقطعا من هيبته (ويدل على ان هذا) اى ما يغشى قلوب سامعيه واسماعهم عند تلاوة تاليه (شئ خص) اى القرآن (به) اى دون سائر كتب الله تعالى وصحفه (انه) بدل من هذا او تقديره وهو انه (يعترى) اى يصيب (من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره) اى المتعلقة بجمل مبانيه كما هو مشاهد فى كثير من العوام انه يحصل لهم هذا المقام من وصول المرام بل وقد يحصل لمن لم يكن مؤمنا به (كما روى عن نصرانى انه مر بقارئ) اى بمن يتلو القرآن (فوقف يبكى فقيل له لم) او مم (بكيت) وفى نسخة مم تبكى (فقال للشجى) بفتح معجمة فسكون جيم وفى بعض النسخ بفتحتين مقصورا وهو الظاهر اى للحزن الذى اصابه من استماعه فرق قلبه وخشع بدنه او للطرب الذى حصل له من اثر كلام الرب (والنظم) اى للجمع بين المعانى الدقيقة البيان وبين الفصاحة والبلاغة فى ميدان التبيان (وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده) اى فى قليل من الايام (فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر) اى استمر على كفره او كفر حينئذ ثم رجع بعده الى ربه ولعله تعالى اشار الى هذا المعنى فى قوله الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اى اشتدت او اسودت (فحكى فى الصحيح) بل روى فى الصحيحين (عن جبير ابن مطعم قال سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور) اى بسورة الطور (فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شئ) اى من غير موجد ومحدث وخالق فلا يعبدونه (ام هم الخالقون) اى انفسهم (الى قوله المسيطرون) يعنى قوله تعالى ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون فى قولهم هو الله اذا سئلوا من خلق السموات والارض اذ لو ايقنوا وافى خالقيته لما اعرضوا عن عبوديته قضاء لحق ربوبيته ام عندهم خزائن ربك اى حتى يعطوا النبوة من شاؤا ام هم المسيطرون اى الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف ارادوا وام فى المواضع الثلاثة منقطعة بمعنى بل والهمزة لانكار القضية (كاد قلبى ان يطير) اى فزعا مما اعتراه من الروعة والهيبة او فرحا لما حصل له من شرح الصدر وسعة القلب فى معرفة الرب ويؤيده قوله (للاسلام وفى رواية اخرى) اى عنه (وذلك اول ما وقر الايمان) اى تمكن وثبت واستقر (فى قلبى) وفى نسخة الاسلام بدل الايمان (وعن عتبة) بضم فسكون (ابن ربيعة) اى ابن عبد شمس بن عبد مناف قتل كافرا بالله فى بدر والحديث رواه البغوى فى تفسيره (انه كلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه) اى مما لم يوافق اعتقاداتهم الباطلة وضلالاتهم العاطلة (فتلا عليهم حم كتاب فصلت الى قوله فانذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) اى قوم هود وصالح (فامسك عتبة بيده على فيه) اى فم النبى عليه الصلاة والسلام كما فى نسخة (وناشده الرحم) اى اقسم وسأله بالقرابة التى بينهم (ان يكف) اى يمسك عن تلاوته و يقف فى قراءته (وفى رواية) اى لابن اسحق فى سيرته عن محمد بن كعب القرظى (فجعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ) اى مستمع اليه (ملق بيديه) وفى نسخة يديه اى مرسل اياهما (خلف ظهره معتمد عليهما) اى مستند اليهما (حتى انتهى) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الى السجدة) اى آيتها ونهايتها (فسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ومن معه لله سبحانه وتعالى (وقام عتبة لا يدرى بما يراجعه) اى يحاوره ويراده (ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه) اى جاؤا اليه وعاتبوا عليه بما جرى لديه (فاعتذر لهم) اى عن انقطاعه عنهم وعدم خروجه اليهم (وقال والله لقد كلمنى) اى محمد عليه الصلاة والسلام (بكلام ما سمعت اذناى بمثله قط) اى لجزالة مبانيه وفخامة معانيه (فما دريت) اى ما علمت (ما اقول له) اى شيئا مما يناقضه ويناقيه (وقد حكى عن غير واحد) اى عن كثيرين (ممن رام معارضته) اى قصد مناقضته (انه اعترته روعة وهيبة) اى اصابته فزعة وخشية (كف) اى منع نفسه وامتنع (بها) اى بتلك الروعة المقرونة بالهيبة (عن ذلك) اى عما قصده من محاولة المجادلة (فحكى ان ابن المقفع) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء المفتوحة او المكسورة فعين مهملة (طلب ذلك ورامه) اى قصده (وشرع فيه) اى فيما بدا له على ظن ان كلامه يفيد مرامه من المعارضة لما فى القرآن من فنون البلاغة وفنون الفصاحة التى صار بها معجزة (فمر بصبى يقرأ وقيل يا ارض ابلعى ماءك فرجع) اى قبل ان يسمع بقية الآية (فمحا) اى مسح وغسل (ما عمل) اى على منوال القرآن ظنا منه ان مهملاته تصلح كونها معارضا فى مقام مناقضاته ومرام مجادلاته (وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر) اى حتى يناقض (وكان) اى ابن المقفع (من افصح اهل وقته) اى فى دقة فهمه وحدة فطنته (وكان يحيى ابن حكم) بفتح الحاء المهملة والكاف وفى المشتبه للذهبى ابن حكيم بزيادة ياء (الغزال) بتشديد الزاى وذكره الذهبى فى قسم المخفف من المشتبه واختاره الشمنى

(بليغ الاندلس) بفتح الهمزة والدال وقيل بضمهما اقليم بالمغرب وضم اللام متفق عليه (فى زمنه يحكى) بصيغة المجهول (انه رام) اى اراد (شيأ من هذا) اى الذى ذكر من المعارضة (فنظر فى سورة الاخلاص ليحذو على مثالها) اى ليأتى على اسلوبها (وينسج) بكسر السين وضمها (بزعمه) بضم الزاى وفتحها اى وبنظم الكلام وبسرد المرام بمقتضى ظنه وبموجب وهمه (على منوالها قال) اى يحيى المذكور (فاعترتنى منه خشية ورقة) اى اصابتنى هيبة ولينة (حملتنى على التوبة) اى عن تلك الارادة التى هى اقبح المعصية (والانابة) اى وعلى الرجوع الى الله تعالى والاقبال عليه فى طلب العفو والمغفرة

(فصـــل)

(ومن وجوه اعجازه المعدودة) اى عند علماء الاعيان (كونه آية باقية) اى على صفحات الزمان متلوة فى كل مكان (لاتعدم مابقيت الدنيا) اى لا تفقد مدة ما اراد الله تعالى بقاء الدنيا واهلها فى خير وعافية (مع تكفل الله تعالى بحفظه) اى من النقصان والزيادة (فقال) اى الله سبحانه وتعالى ردا لانكارهم واستهزائهم فى يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) اى بحملنا القرآء على حفظه ولذا ورد اهل القرآن اهل الله وخاصته (وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) اى لا يجد اليه سبيلا ليتعلق به (الآية) يعنى تنزيل من حكيم حميد (وسائر معجزات الانبياء عليهم السلام) اى حتى سائر معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (انقضت بانقضاء اوقاتها) اى مضت بانقطاع ساعاتها (فلم يبق) وفى نسخة ولم يبق (الا خبرها) اى عند ارباب اثرها (والقرآن العزيز) اى البديع المنيع (الباهرة آياته الظاهرة معجزاته) اى اللائحة مبانيه واللامعة معانيه (على ما كان عليه) اى فى اول مباديه (اليوم) بالنصب اى الى يومنا هذا (مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة) وفى نسخة وسبع عطف بيان وقال الدلجى اليوم خبر المبتدأ اعنى القرآن وما بينهما صفات له هذا وفى نسخة منذ خمسمائة عام الخ وهذا تاريخ زمن المصنف رحمه الله تعالى ولذا قال (لاول نزوله اى الى وقتنا هذا) ونقول وكذا مدة الف وزيادة عشر الى زماننا هذا (حجته قاهرة) اى بينته غالبة وفى نسخة ظاهرة اى مبينة (ومعارضته ممتنعة والاعصار) اى اهلها من ارباب القرى واصحاب الامصار (كلها طافحة) اى مملوءة وفائضة (باهل البيان) اى فى الفصاحة (وحملة علم اللسان) اى اللغة (وائمة البلاغة وفرسان الكلام) اى فى ميدان المرام (وجهابذة البراعة) اى المهرة فى تقدم الصناعة وهو بفتح الجيم وكسر الموحدة جمع الجهبذ والبراعة مصدر برع اذا فاق (والملحد) اى والحال ان المائل عن الحق الى الباطل (فيهم كثير والمعادى للشرع عتيد) اى المخالف والمناوى لهم حاضر مهيئ فى مقام النكير وفى نسخة عنيد بالنون اى معاند شرير (فما منهم من اتى بشئ يؤثر) اى يروى (فى معارضته ولا الف كلمتين) اى ولا ركبهما والف بينهما (فى مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح) اى لم يجد فى القرآن محلا يتعلق به طعن صحيح او عيب صريح (ولا قدح المتكلف من ذهنه فى ذلك) اى فى طعنه (الا بزند شحيح) اى باخراج النار عند وريه فلم يور بقدحه وتحقيقه ان الزند بفتح الزاى وسكون النون قد يراد به موصل طرف الذراع فى الكف وقد يطلق على العود الذى يقدح به النار وهو الاعلى والزندة بالهاء هى السفلى وهو فى المدن قطعة حديد تضرب بحجر صلد والظاهر ان القاضى قصد معنى الزند ووصف كلا منهما بالشحيح اما العضو فشحه ان لا يخرج درهما او دينارا واما زند النار فشحه كونه لا يخرج نارا وفى الجمع بينهما اشارة الى غاية القلة (بل المأثور) اى المروى والمحكى (عن كل من رام ذلك) اى قصد الطعن فيه (القاؤه فى العجز بيديه والنكوص على عقبيه) اى التأخر فى الرجوع باتقهقرى اى الى الورى

(فصـــل)

(وقد عد جماعة من ائمة) وهم علماء السلف (ومقلدى الامة) بفتح اللام وهم فضلاء الخلف (فى اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لايمله) بفتح الميم وتشديد اللام اى لا يسأمه (وسامعه لايمجه) بضم الميم وتشديد الجيم اى لا يدفعه (بل الاكباب) اى الاقبال والادآب (على تلاوته يزيده حلاوة) اى لذة (وترديده) اى تكراره (يوجب له محبة) اى يقتضى زيادة مودة وقد ورد من احب شيأ اكثر ذكره (لا يزال غضا طريا) اى لا تزول طراوته وطلاوته (وغيره من الكلام ولو بلغ فى الحسن والبلاغة مبلغه) اى تمام نظام المرام (يمل مع الترديد) اى فى السمع (ويعادى) بفتح الدال اى ويكره فى الطبع (اذا اعيد) لقولهم المعادات معاداة ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فضل كلام الله على غيره كفضل الله على خلقه (وكتابنا) اى الذى فيه خطابنا وعتابنا وثوابنا وعقابنا (يستلذ به فى الخلوات ويؤنس) بالهمز ويسهل وبالنون مخففا ومشددا اى ويستأنس (بتلاوته فى الازمات) بفتح الهمز والزاى جمع ازمة بفتح فسكون وهى الشدة اى فى اوقات الآفات (وسواه من الكتب) اى المؤلفات المصنوعة والمركبات الموضوعة (لا يوجد فيه ذلك) اى

ماذكر

ماذكر من اللذة والانسة المطبوعة (حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم) اى تنشيط انفسهم وغيرهم (على قرآءتها ولهذا) اى لما اختص به القرآن من حسن البيان المستغنى عن الاتيان بانواع الالحان (وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق) كما رواه الترمذى وغيره عن على كرم الله وجهه مرفوعا القرآن لا يخلق وهو بفتح الياء وضم اللام لا فتحها كما فى نسخة نقلها الحلبى وتبعه الحجازى او بضم ياء وكسر لام اى لا يبلى (على كثرة الرد) اى مع كثرة ترديده وتكريره (ولا تنقضى عبره) بكسر ففتح جمع عبرة اى لا تنتهى مواعظه المعتبرة (ولا تفنى عجائبه) اى لا تنفد عجائب مبانيه وغرائب معانيه (وهو الفصل) اى البالغ فى الفرق بين الحق والباطل (ليس بالهزل) اى امره جد كله (لا يشبع منه العلماء) اى تدبرا وتبصرا وعبارة واشارة (ولا تزيغ) اى لا تميل (به الاهوآء) عن طريق السوآء (ولا تلتبس به الالسنة) اى ولا تشتبه به اللغات المختلفة المتناقضة (هو الذى لم تنته الجن) اى طائفة من جن نصيبين وفى صحيح مسلم انهم كانوا من الجزيرة ولا منع من الجمع (حين سمعته ان قالوا) اى لم يتوقفوا عن قولهم لبعضهم اولقومهم حين رجوعهم اليهم (انا سمعنا قرآنا عجبا) اى مقروأ عجيبا من جهة جزالة مبانيه ومدلولا غريبا من فخامة معانيه بديعا فى بلاغته ومنيعا فى فصاحته (يهدى الى الرشد) اى صوب الصواب اوالى طريق الثواب والعقاب هذا وذكر ابو على الغسانى فى مناقب عمر بن عبد العزيز قال بينما عمر يمشى بارض فلاة فاذا هو بجنة ميتة فكفنها بفضل ردآئه ودفنها واذا قائل يقول يا سرق اشهد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لك ستموت بارض فلاة ويدفنك رجل صالح فقال من انت يرحمك الله تعالى فقال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبق منهم الا انا وسرق هذا سرق قدمات (ومنها جمعه لعلوم) اى كلية (ومعارف) اى جزئية (لم تعهد العرب عامة ولا محمد قبل نبوته خاصة بمعرفتها) اى بعلم شئ منها (ولا القيام بها) اى الدوام والثبات عليها (ولا يحيط بها احد من علماء الامم) اى من احبار اليهود والنصارى وغيرهم (ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم) اى من السماوية وغيرها (فجمع) بصيغة المجهول اى فجمع الله (فيه من بيان علم الشرآئع) اى اصولها وفروعها من النقليات (والتنبيه) اى فى اثناء التعبيرات (على طرق الحجج) اى انواع الدلالات (العقليات) وفى نسخة العقلية (والرد على فرق الامم) اى من ارباب الضلالات (ببراهين قوية) اى قاهرة (وادلة بينة) ظاهرة (سهلة الالفاظ) اى المبانى (موجزة المقاصد) بصيغة المجهول اى مختصرة المعانى (رام المتحذلقون) بالحاء المهملة والذال المعجمة من الحذق زيدت فيه اللام للمبالغة والتاء للمطالبة اى قصد المبالغون فى الحذاقة اذا ظهروا المهارة فى مقام الفصاحة والبلاغة (بعد) اى بعد ورودها فى عالم وجودها (ان ينصبوا ادلة مثلها) اى مشابهتها فى الجملة (فلم يقدروا عليها) اى على ان يقربوا اليها اوانى لهم القدرة على مقاومة المعجزة (كقوله تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض) اى مع كبرهما وسعة قدرهما (بقادر على ان يخلق مثلهم) اى مع صغر جرمهم بلى جواب من الله ايماء الى ان لا جواب سواه اى بلى قادر على خلقهم ابتدآء وايجادهم انتهاء وهو الخلاق العليم بمعنى ألا يعلم من خلق (وقل) اى وكقوله سبحانه وتعالى قل (يحييها الذى انشأها اول مرة) اى لبقاء قدرته وفق ارادته وقابلية المادة على حالته وهو بكل خلق عليم اى باعضائه واجزآئه (ولو كان فيهما آلهة الا الله) اى غيره (لفسدتا) اى لخرجتا عن نظامهما واختلتا عن مرامهما لوجود التمانع المانع من اتمامهما (الى ما حواه) اى منضما الى ما جمعه القرآن اومع ما اشتمله الفرقان (من علوم السير) بفتح فكسر جمع سيرة اى المفهومة من اخبار الانبياء والاصفياء (وانباء الامم) اى احوالهم الاعم من الاحباء والاعدآء (والمواعظ) اى بالترغيب فى ولائه والترهيب عن بلائه (والحكم) بكسر ففتح اى الكلمات المرشدة الى تكميل النفوس الانسانية باقتباس العلوم الربانية كقوله تعالى حكاية عن لقمان يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة اوفى السموات اوفى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير (واخبار الدار الآخرة) اى من النعيم المقيم والجحيم الاليم (ومحاسن الآداب والشيم) بكسر ففتح اى الاخلاق فى جميع الابواب (مما تقدم ذكره) اى بيانه بقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية (قال الله جل اسمه) اى عظم اسمه وسماه (ما فرطنا فى الكتاب) اى القرآن الجامع للفصول والابواب (من شئ) يحتاج اليه ارباب الالباب (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ) اى مما يحتاج اليه فى امر الدين (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) اى بينا لهم فيه بعض الامثال الحكمية ليقتبسوا المعانى الحقيقية من صور المبانى الحسية (وقال عليه الصلاة والسلام) اى كما رواه الترمذى عن على وتقدم بعضه واورده هنا بتغيير بعض لفظه وزيادة فى صدره (ان الله انزل هذا القرآن آمرا) اى بكل معروف واجبا كان اومندوبا (وزاجرا) اى ناهيا عن كل منكر حراما كان اومكروها

(وسنة خالية) اى طريقة متبعة ماضية (ومثلا مضروبا) اى مبينا ومعينا فى الالسنة الجارية (فيه نبأ كم) اى الخبر المتعلق بكم (وخبر من كان قبلكم) اى من الامم السالفة (ونبأ ما بعدكم) اى عما يكون الى يوم القيامة (وحكم ما بينكم) بفتح الحاء والكاف اى والحكم الذى تحتاجون اليه فيما بينكم مما لكم وعليكم (لا يخلقه) بضم الياء وكسر اللام اى لا يبليه (طول الرد) اى كثرة تكراره وترديد اخباره (ولا تنقضى عجائبه) اى لا تنتهى غرائبه (هو الحق) اى الحكم العدل (ليس بالهزل) بل هو الجد فى بيان الفصل (من قال به صدق) اى فى قوله (ومن حكم به عدل) اى فى حكمه (ومن خاصم به فلج) بفتح الفاء واللام والجيم اى غلب على مرغوبه وظفر بمطلوبه (ومن قسم به) بتخفيف السين ويجوز تشديده اى عين قسط كل واحد ونصيبه فى حكم متعلق به (اقسط) اى عدل فى امره واصاب فى حكمه يقال اقسط فهو مقسط اذا عدل ومنه قوله تعالى ان الله يحب المقسطين وقسط فهو قاسط اذا جار ومنه قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فهمزة اقسط للسلب كما فى شكا اليه فاشكاه اى ازال شكواه (ومن عمل به اجر) بصيغة المفعول اى اثيب على عمله من عند ربه وفضله (ومن تمسك به) اى تشبث علما وتعلق عملا (هدى) بصيغة المجهول اى هداه الله فاهتدى (الى صراط مستقيم) اى مذهب قويم ودين كريم (ومن طلب الهدى من غيره) اى من غير بابه (اضله الله) اى اعماه بحجابه (ومن حكم بغيره) اى عدولا عن حكمه وامره (قصمه الله) اى كسره واهلكه وفى الحديث استغنوا عن الناس ولو بقصمة السواك وهى بالكسر ما انكسر منه بابانه وفى رواية ولو بشوص السواك على ما رواه البزار والطبرانى والبيهقى عن ابن عباس وفى النهاية شوص السواك غسالته وقيل ما يتفتت منه عند تسوكه (هو الذكر الحكيم) اى المشتمل على الحكم والاحكام والحاكم على وجه الاتقان والاحكام (والنور المبين) اى الظاهر او المظهر لليقين (والصراط المستقيم) اى ذو الاستقامة المنتهى الى الفوز بالسعادة والكرامة معاشا ومعادا (وحبل الله المتين) من المتانة وهى القوة اى عهده المحكم الذى لا ينقطع وسبب وصول وعده الذى لا يمتنع وقال ابن الاثير حبل الله نور هداه وقيل عهده وامانه الذى يؤمن من العذاب والحبل للعهد والميثاق انتهى (والشفاء النافع) اى لكل داء وبلاء (وعصمة لمن تمسك به) اى معتصم وثيق لمن تشبث به وتعلق بذيله وفيه وفيما قبله اقتباس من قوله واعتصموا بحبل الله (ونجاة لمن اتبعه) بتشديد التاء اى تبعه علما وعملا (لا يعوج) بتشديد الجيم (فيقوم) بفتح الواو المشددة ونصب الميم اى لا يميل عن صوب الاستقامة فيحتاج الى تقويم العدالة (ولا يزيغ) اى ولا يميل عن منهج الحق (فيستعتب) اى فيحتاج الى العتب فى عدوله عن نهج الصدق (ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق) بالوجهين (على كثرة الرد) اى الترداد والتكثار فى العد (ونحوه) اى نحو هذا الحديث فى المعنى مع اختلاف فى المبنى (عن ابن مسعود) كما رواه الحاكم عنه مرفوعا (وقال) اى ابن مسعود (فيه) اى فى مرويه (ولا يختلف) بالفاء اى ليس محلا للاختلاف بل وقع مبناه ومعناه على وجه الائتلاف والمعنى ما وجد فيه احد تخالفا يسيرا ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفى نسخة بالقاف فهو بمعنى لا يخلق على كثرة الرد كما سبق (ولا يتشان) بتشديد النون بعد الالف مأخوذ من الشن كما صرح به الهروى وابن الاثير فى هذا الحديث وقال الطيبى هو الصواب وهو الجلد اليابس البالى اى لا تذهب طلاوته ولا تبلى طراوته حين تكثر تلاوته وترداد قراءته لما اودع فيه من بدائع الكمال وروائع الجمال وفى نسخة صحيحة ولا يتشانأ بنون مخففة بعدها همزة من الشنئان ولكن ينبغى ان يضبط بصيغة المجهول واما ما ذكره الحلبى من انه بفتح اوله ثم مثناة فوق مفتوحة ثم شين معجمة ثم الف ثم نون ثم همزة ممدودة ونسبه الى النسخة التى وقف عليها فلا يصح بوجه اى لا يتباغض ولا يكره ولا يمل (فيه نبأ الاولين والآخرين) اى بما وقع لهم فى الدنيا وبما سيقع لهم فى العقبى (وفى الحديث) اى القدسى من رواية ابن ابى شيبة مرسلا لكن بلفظ انزلت على محمد توراة محدثة فيها نور الحكمة وينابيع العلم لتفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وروى ابن الضريس فى فضائل القرآن عن كعب انه قال فى التوراة (قال الله تعالى لمحمد انى منزل عليك) بالتخفيف والتشديد اى ملق اليك (توراة) اى كتابا كالتوراة او جامع مضمون ما فى التوراة (حديثة) اى جديدة الانزال اى قريبة العهد من الملك المتعال (تفتح بها اعينا عميا) اى عن سنن الحق (واذانا صما) اى عن استماع الصدق (وقلوبا غلفا) اى ممنوعة عن طريق الوفق وممتنعة عن وصول الرفق (فيها ينابيع العلم) اى هى منابع العلوم الكثيرة والمعارف الغزيرة (وفهم الحكمة) اى وفيها معرفة الحكم الربانية والاحكام المحكمة الصمدانية (وربيع القلوب) اى وفيها من الانوار والاسرار نظير ما يشتمل عليه فصل الربيع من ازهار اثمار الاشجار بواسطة الامطار (وعن كعب) اى كعب الاحبار ويقال كعب الحبر (عليكم بالقرآن) اى خذوا بمبانيه والزموا بمعانيه (فانه فهم العقول) اى غاية فهوم عقول الفحول (ونور الحكمة) اى لعين البصر

والبصيرة

والبصيرة ونظر العبرة (قال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل) اى اليهود والنصارى (اكثر الذى هم فيه يختلفون) اى كلهم فيما بينهم او كل صنف منهم من التشبيه والتنزيه وعزير وعيسى وما فيه من انواع التنبيه (وقال هذا بيان للناس) اى لاحوالهم واحكامهم وآمالهم فى مآلهم (وهدى) لما فيه كمالهم (الآية) اى وموعظة للمتقين اى نصائح فى اعمالهم بمآلهم وخص المتقين لكونهم المنتفعين (فجمع فيه) بصيغة المجهول اى فجمع الله فى كلامه ما اراد من مرامه (مع وجازة الفاظه) بفتح الواو اى مع اختصار مبانيه (وجوامع كلمه) اى باعتبار اكثار معانيه (اضعاف ما فى الكتب) اى الكتب المنزلة على الانبياء (قبله التى الفاظها على الضعف) بالكسر اى التزايد (منه) اى من القرآن (مرات) لاشتمالها على الاطناب الموجب لتكثير كلمات واحتواء القرآن على الايجاز بحسب البلاغة والفصاحة موجب اعجاز (ومنها جمعه فيه) اى جمع الله سبحانه وتعالى فى كلامه عز شانه (بين الدليل ومدلوله) اى برهانه وتبيانه (وذلك) اى وسبب ذلك الجمع فى معرض البيان (انه احتج بنظم القرآن) اى بادخال جواهر معانيه فى سلك مبانيه (وحسن وصفه) اى وبحسن وصفه حيث صيغ حلى كلماته فى قوالب مقاماته وفى نسخة رصفه بالراء بدل الواو اى تركيبه وصفه من تهذيبه (وايجازه) اى باتيان معان كثيرة فى مبان يسيرة وفى اصل الدلجى واعجازه اى كل منطيق فصيح (وبلاغته) اى الرائعة المنضمة الى فصاحته البارعة (واثناء هذه البلاغة) اى فى خلالها (امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالى له) اى ممن يدرك معانيه (يفهم مواضع الحجة والتكليف) باعتبار مبانيه (معا) اى مجتمعين فى بيان علومه (فى كلام واحد) اى باعتبار منطوقه ومفهومه (وسورة منفردة) اى باعتبار عبارتها واشارتها فيفهم مثلا من قوله تعالى فلا تقل لهما اف تحريم غير الاف بالاولى وان الكف عنه اقوى ومن قوله فصل لربك وانحر انه حجة لوجوب صلاة العيد والاضحية وانه مكلف بهما فى القضية (ومنها ان جعله) اى الله سبحانه (فى حيز المنظوم) بفتح الحاء وتشديد التحتية المكسورة اى فى مقامه (الذى لم يعهد) اى لم يعرف مثله ولم يسبق قوله بجعله ذا قرائن اى اسجاع وفواصل معلومة القوافى كقوافى الابيات المنظومة (ولم يكن فى حيز المنثور) اى المتفرق الخارج عن هيئة المنظوم (لان المنظوم اسهل) اى من المنثور (على النفوس) اى فى درك مبانيه (واوعى للقلوب) اى واحفظ لها فى اخذ معانيه (واسمح) بالحاء المهملة افعل تفضيل من السماح وهو بمعنى الجود والكرم والمسامحة هى المساهلة وتسامحوا تساهلوا ومنه حديث السماح رباح اى اسهل قبولا واقرب وصولا (الى الآذان) بمد الهمزة جمع الاذن والمراد بها الاسماع واغرب الدلجى فى قوله اسمح بحاء مهملة من الاسماح لغة فى السماح انتهى ووجه غرابته لا يخفى وقال الحلبى بالحاء المهملة من سمح العود اذا لان انتهى وهو تكلف مستغنى عنه مع ان صاحب القاموس استاذه ذكر اسمحت الدابة لانت بعد استصعاب وعود سمح لا عقدة فيه انتهى وكلاهما لا يلائم المقام كما لا يخفى على طباع الكرام هذا وقدم الحلبى على هذا قوله اسمع هو من سماخ الاذن اى اسرع استقرارا فى سماخ الاذن انتهى ويؤيده انه فى نسخة اسمع بالعين المهملة (واحلى على الافهام) لاشتمال ما فيه من التلاوة على انواع من الحلاوة مع زيادة الطراوة والطلاوة (فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع) اى واقبل والحاصل ان منهجه ليس على طريق الشعراء فى نظمهم وقوافيهم ولا على طريق الخطباء فى التزام سجعهم فى اواخر مبانيهم بل كلام بديع منيع يباين كلام غيره سبحانه وتعالى مع عظمة شانه وسلطنة برهانه (ومنها تيسيره) اى تسهيله (تعالى حفظه لمتعلميه) اى طالبى تعلمه نظرا (وتقريبه) اى تهوينه (على متحفظيه) اى طالبى حفظه غيبا (قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر) تمام الآية فهل من مدكر كما فى نسخة اى من متعظ واصله مذتكر (وسائر الامم) اى وبواقيها (لا يحفظ كتبها الواحد) اى كل ما يطلق عليه اسم الواحد (منهم) فاللام للعهد الذهنى الذى هو فى المعنى نكرة وهى فى سياق النفى تفيد العموم وحينئذ يناسب قوله (فكيف الجماء) وفى نسخة الجم اى فيستبعد ان يحفظه الجم الغفير والجمع الكثير (على مرور السنين عليهم) وفى نسخة الاعوام جمع عام بمعنى سنة (والقرآن) اى بحمد الله والمنة (ميسر) وفى نسخة متيسر (حفظه على الغلمان) بكسر الغين جمع غلام اى الاولاد الصغار (فى اقرب مدة) اى كسنة او اقل او اكثر بحسب مراتب جودة الذهن والفطنة والفطرة (ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا) اى مشابهته فى تناسب مبانيه وتجاذب معانيه (وحسن ائتلاف انواعها) اى امرا ونهيا ووعدا ووعيدا وقصة وموعظة (والتئام اقسامها) اى توافقها فى سلامة التركيب وسلاسة الترتيب (وحسن التخلص) اى الانتقال (من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه) اى المأخوذة من تفاوت مبانيه (وانقسام السورة الواحدة الى امر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة) اقول وقد اجتمعت هذه الوجوه فى آية وهى قوله تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده مع زيادة الاعتذار بقوله

وهم لا يشعرون مع التنبيه لهم فى صدر الآية بالنداء وتنزيل النمل منزلة العقلاء وغير ذلك من الاشارات والايماء (وتوحيد) اى فى الذات (وتفريد) اى فى الصفات (وترغيب) اى الى الطاعة بالمثوبة (وترهيب) اى عن المعصية بالعقوبة (الى غير ذلك من فوائده) اى منضمة الى ما عدا ذلك من منافعه وعوائده مما يلتقط من مساقط موائده كضرب مثال وبيان حال واشعار ايثار يوجب للسالك وصوله (دون خلل يتخلل فصوله) اى انواع ابوابه مما يقتضى حصوله وابعد الدلجى فى جعل الفصل بمعنى الفاصلة (والكلام الفصيح) كان الاظهر ان يقول اذ الكلام اولان الكلام الفصيح ولو كان على المنهج الصحيح والغرض الصريح (اذا اعتوره) اى تداوله وفى اصل الدلجى اذا اعتراه اى غشيه والم به (مثل هذا) اى الذى يتخلل الفصول وهو فى الحقيقة بمعنى الفضول (ضعفت قوته) اى نزلت مرتبته فى فن البلاغة (ولانت جزالته) اى وهانت منزلته عن درجة عظمة الفصاحة (وقل رونقه) اى حسنه وبهجته فى تأديته الحلاوة (وتقلقلت الفاظه) اى اضطربت مبانيها واختلفت معانيها وفى نسخة تقلقت بلام واحدة مشددة اى صارت قلقة فى المبنى وغلقة فى المعنى (فتأمل) اى فى بيان المراد (اول ص) اى سورتها حيث صدرها بقوله ص اى يا صادق والقرآن ذى الذكر اى ذى الذكرى صاحب العز والشرف للموافق (وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم) وخلافهم مع سيد الابرار بقوله تعالى حكاية عنهم بل الذين كفروا فى عزة وشقاق اى استكبار عن الحق واستدبار عن الصدق (وتقريعهم) اى ومن توبيخهم وتخويفهم (باهلاك القرون من قبلهم) بقوله تعالى كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص (وما ذكر من تكذيبهم لمحمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (وتعجبهم مما اتى به) اى حيث قال تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (والخبر عن اجتماع ملائهم) وفى نسخة عن اجماع ملائهم (على الكفر) وذلك لما روى ان عمر رضى الله تعالى عنه لما اسلم شق ذلك على قريش فقال اشرافهم لابى طالب انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن اخيك فقال له هؤلاء قومك يسألونك القصد فلا تمل عليهم كل الميل فقال ما تسألونى قالوا ارفضنا وارفض آلهتنا وندعك والهك فقال ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطى انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقالوا أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب اى فى غاية من العجب (وما ظهر من الحسد فى كلامهم) اى من قوله تعالى حكاية عن مرامهم أأنزل عليه الذكر من بيننا (وتعجيزهم) اى بقوله تعالى فليرتقوا فى الاسباب (وتوهينهم) اى وتحقيرهم بقوله سبحانه وتعالى جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب (ووعيدهم بخزى الدنيا) وفى نسخة بخزى فى الدنيا اى بهزيمتهم فيها (والآخرة) اى بذوق عذاب الهيها (وتكذيب الامم قبلهم) اى انبياءهم ورسلهم (واهلاك الله لهم) اى المكذبين منهم بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب (ووعيد هؤلاء) يعنى قريشا واضرابهم (مثل مصابهم) بقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق (وتصبير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حمله على الصبر (على اذاهم) اى الذى من جملته ما بلغوا فى تكذيبهم له وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فسلاه بقوله تعالى اصبر على ما يقولون اى لا تبال بقولهم ولا تكترث بفعلهم وكن معنا مشاهدا لنا فى آياتنا وقدرتنا على كائناتنا (وتسليته) اى الشاملة (بكل ما تقدم ذكره) اى بيانه عنهم (ثم اخذ) اى شرع بعد تسليته (فى ذكر داود) اى بقوله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب اى كثير الرجوع الى اواب رب الارباب فانت كذلك لازم الباب ولا تلتفت الى ما صدر من ارباب الحجاب واما ما ذكره الدلجى هنا فلا يصلح ان يفسر به فصل الخطاب ولذا اعرضت عن ذكره فى الكتاب والله تعالى اعلم بالصواب (وقصص الانبياء) اى حكاياتهم كسليمان وايوب وابراهيم واسحق ويعقوب وغيرهم عليهم السلام مع ما اشتمل عليه من عظيم الثناء وكريم العطاء (كل هذا) اى الذى ذكره اول ص (فى اوجز كلام واحسن نظام) اى واتم مرام (ومنه) اى من اعجاز القرآن او من هذا القبيل الذى ذكر اول ص من ايجاز الفرقان (الجملة) الاولى الجمل (الكثيرة) اى من جهة المعانى (التى انطوت) اى اشتملت (عليها الكلمات القليلة) اى من حيثية المبانى (وهذا) اى ما ذكر (كله) اى جميعه (وكثير مما ذكرنا انه ذكر فى اعجاز القرآن) الى وجوه) اى مع وجوه او منضما الى وجوه (كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها) اى نحن فى وجوه اعجازه (اذ اكثرها داخل فى باب بلاغته) اى المتضمنة لمراتب فصاحته (فلا يجب ان يعد) بصيغة المجهول اى فلا يليق ان يجعل على حدته وفى نسخة صحيحة فلا نحب اى لا نود ان نعد بنون المتكلم فيهما (فنا مفردا) وفى نسخة منفردا اى من انواع بلاغته (فى اعجازه الا فى باب تفصيل فنون البلاغة) وفى نسخة صحيحة بالضاد المعجمة (وكذلك) اى مثل ما هو داخل فى بابها (كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد فى خواصه) اى التى لا توجد فى غيره (وفضائله) اى الزائدة عن نحوه (لا اعجازه) بالجر

وفى

وفى نسخة صحيحة لا فى اعجازه (وحقيقة الاعجاز) اى ما به العجز (الوجوه الاربعة التى ذكرناها) اى فى فصولها (فليعتمد عليها وما بعدها) واما ما عداها مما ذكرنا فانما هو (من خواص القرآن وعجائبه التى لا تنقضى) اى لا تنتهى غرائبه وهذا غاية التحقيق (والله ولى التوفيق)

(فصل)

(فى انشقاق القمر وحبس الشمس) قال اليمنى لا يسمى قمرا الا بعد مضى ثلاث ليال من الشهر والكرة الارضية اكبر منه بمقدار مائة وعشرين مرة ومن جملة خواصه انه يبلى الكتان اذا ترك فى سمره ويعفن اللحم اذا ترك تحته واما الشمس فيقال انها تنور العالمين العلوى والسفلى وان الله جعل فيها خواص اصلاح العالم من الحيوان والنبات والمعدن (قال الله تعالى اقتربت الساعة) اى قربت غاية القرب (وانشق القمر) روى ان الكفرة سألوه آية فانشق ويؤيده قراءة حذيفة وقد انشق القمر ويقويه قوله (وان يروا آية) اى معجزة (يعرضوا) اى عن الايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) اى دائم لترادف الآيات وتتابع المعجزات (اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضى) اى فيجب تحققه حقيقة ولا يجوز صرفه الى المجاز بلا ضرورة وحمله على انه سينشق يوم القيامة وانه عبر بالماضى لتحقق وقوعه فى المستقبل (واعراض الكفرة عن آياته) اى واخبر تعالى باعراضهم عن آياته وهذا مما يدل على وقوعه فانه لا يتصور الاعراض الحقيقى قبل تحققه (واجمع) وفى نسخة صحيحة بالفاء اى فلهذا اجمع (المفسرون) اى من السلف (واهل السنة) اى ارباب الحديث او اهل السنة والجماعة الجامعون بين الكتاب والسنة من السلف والخلف (على وقوعه) قال الانطاكى فى قول القاضى اجمع المفسرون نظر فقد نقل السجاوندى والنسفى فى تفسيرهما عن الحسن البصرى ان معناه سينشق عند الساعة وكذا ابو الليث قال فى تفسيره واكثر المفسرين قالوا ان هذا قد مضى انتهى ويمكن دفعه بانه اراد بالمفسرين المشهورين منهم او انه لم يطلع على خلافهم وعلى تقدير الخلاف لا يلزم عدم وقوع انشقاق القمر فى عهده صلى الله تعالى عليه وسلم اذ اجمعوا على تحققه بالاحاديث السنية وانما الخلاف فى معنى الآية هل يراد به الانشقاق الماضى او الانشقاق الآتى والله سبحانه وتعالى اعلم (اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ) اى ابو على الغسانى (من كتابه) لان المصنف ليس له الا الاجازة فى بابه (ثنا) اى حدثنا (القاضى سراج بن عبد الله ثنا الاصيلى ثنا المروزى) تقدم ذكرهما (ثنا الفربرى) بكسر الفاء وفتح الراء وقيل غيره وقد سبق ذكره (ثنا البخارى) اى صاحب الجامع الصحيح (ثنا مسدد) بفتح الدال المهملة المشددة وهو كاسمه مسدد بصرى اسدى (ثنا يحيى) اى ابن سعيد روى عنه احمد وغيره واخرج له الائمة الستة (عن شعبة) اى ابن الحجاج امير المؤمنين فى الحديث (وسفيان) اى ابن عيينة احد الاعلام وهو الاعور الكوفى (عن الاعمش عن ابراهيم) اى النخعى (عن ابى معمر) بفتح الميمين ازدى كوفى مخضرم (عن ابن مسعود) اى موقوفا كما ساقه القاضى عن البخارى وقد اخرجه البخارى فى تفسيره وقد اخرجه ايضا عنه مسلم والترمذى والنسائى وقال الترمذى حسن صحيح (قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى زمانه (فرقتين) اى فلقتين كما فى رواية الترمذى عن ابن عمر بمعنى قطعتين وفى الصحيحين بلفظ شقين بكسر الشين المعجمة اى نصفين وفى لفظ فى حديث جبير فانشق القمر باثنتين وفى رواية ابى نعيم فى الدلائل فصار قمرين (فرقة) بالنصب على البدلية ويجوز رفعها على الابتدائية اى منهما فرقة (فوق الجبل) اى جبل حراء او ابى قبيس (وفرقة دونه) اى اسفل منه او قريب منه هذا وقد قال الحجازى يجوز النصب والضم افصح منه ومنه قوله تعالى قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله قلت وقد يقال الضم اصح اذ فصل النعت والا فالبدل فى مثل هذا التركيب افصح كما حقق فى قوله تعالى الحمد لله رب العالمين (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لما رآه منشقا (اشهدوا) الظاهر انه خطاب للكفار فانهم اهل الانكار والمعنى اشهدوا على نبوتى او الخطاب للمؤمنين فالمعنى اشهدوا على معجزتى واخبروا من بعدى من امتى (وفى رواية مجاهد) اى فى الصحيحين عن ابن مسعود زيادة قوله (ونحن مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى بعض طرق الاعمش ونحن بمنى وفى نسخة زيادة قوله بمنى وهذا لا يعارض قول انس وذلك كان بمكة لانه لم يصرح بانه عليه الصلاة والسلام كان ليلته بمكة فمراده ان الانشقاق كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة وفيه ايماء الى انه لم يشاهد القضية بالرؤية بل وصلت اليه بالرواية لانه اذ ذاك كان ابن اربع او خمس بالمدينة (ورواه) اى الحديث المذكور (ايضا عن ابن مسعود الاسود) اى كما ذكره احمد فى المسند واسود هذا تابعى جليل روى عن عمر رضى الله تعالى عنه وعلى ومعاذ وغيرهم له ثمانون حجة وعمرة وكان يصوم حتى احتضر ويختم القرآن فى ليلتين (وقال) اى ابن مسعود (حتى رأيت الجبل بين فرجتى القمر) بضم الفاء وتفتح اى فلقتيه (ورواه) اى الحديث المسطور (عنه) اى عن ابن مسعود (مسروق انه) اى انشقاقه (كان بمكة) كما رواه البيهقى فى دلائله

(وزاد) اى مسروق فى رواية عنه (فقال كفار قريش سحركم ابن ابى كبشة) بفتح كاف فسكون موحدة فشين معجمة يعنون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابو كبشة اسم رجل تأله قديما وفارق دين الجاهلية وعبد الشعرى فشبه المشركون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به وقيل بل كانت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخت من الرضاعة تسمى كبشة وكان ابوه من الرضاعة يكنى بها وقيل بل كان فى اجداده لامه من يكنى بذلك قيل وذكر بعضهم ان جماعة من جهة ابيه وامه يكنون بابى كبشة (فقال رجل منهم) وروى من القوم قيل انه ابو جهل (ان محمدا ان كان سحر القمر) اى لعيونكم وقت السحر (فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض) اى اهلها (كلها) اى جميعها (فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا) اى الانشقاق (فاتوا) اى جاء بعضهم من بلد آخر (فسألوهم) اى اهل مكة من قريش (فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك) اى كما ذكر من انشقاق القمر فرقتين (وحكى السمرقندى نحوه) اى بمعناه مع اختلاف فى مبناه (وقال) اى السمرقندى فيما رواه (فقال) وفى نسخة قال (ابو جهل هذا سحر) اى نوع من الاختلاف (فابعثوا الى اهل الآفاق) اى بسببهم الى اختلاف المطالع فى حيز الخلاف والشقاق (حتى تنظروا أرأوا ذلك ام لا) اى اومارأوا ذلك كذلك هنالك (فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا) اى بوصف الانشقاق (فقالوا) يعنى الكفار (هذا سحر مستمر) اى دائم بنعت الاستمرار او ذاهب وماض وزائل ومار (ورواه) اى الحديث السابق (عن ابن مسعود علقمة) اى ابن قيس الليثى النخعى ولد فى حياته عليه الصلاة والسلام وروى عن اصحابه الكرام كابى بكر وعمر وعثمان وغيرهم (فهؤلاء الاربعة) اى مجاهد وابو معمر والاسود ومسروق وعلقمة (عن عبد الله) اى رووه كلهم عن ابن مسعود على وفق مارواه عنه معمر فتدبر (وقد رواه غير ابن مسعود) اى من الصحابة (كما رواه ابن مسعود) اى فليس هو شاذا فى هذه الرواية (منهم) اى ممن رواه (انس وابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه الشيخان عنهما وهما وان لم يدركا باعينهما فقد سمعا من حضر وروى ومرسل الصحابة بالاجماع حجة (وابن عمر) اى فيما رواه مسلم والترمذى (وحذيفة) اى ابن اليمان كما عند ابن جرير وابن ابى حاتم وابى نعيم فى الدلائل (وعلى) اى ابن ابى طالب قال الدلجى لا يعرف مخرجه (وجبير بن مطعم) اى على ما رواه احمد والبيهقى عنه (فقال على من رواية ابى حذيفة الارحبى) بفتح الهمزة فسكون الراء ففتح الحاء المهملة فموحدة مكسورة فياء نسبة الى قبيلة من همدان وقيل الى مكان اخرج له مسلم والترمذى والنسائى وفى نسخة الارجى بجيم بعد راء ساكنة وفى اخرى بزاى بدل الراء قال الحلبى وكلاهما تصحيف والصواب ما تقدم والله تعالى اعلم (انشق القمر) هذا مقول على كرم الله وجهه وفى نسخة وانشق القمر بالواو العاطفة اما على كلام سبق له او اراد الحكاية (ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وقد شاهدناه (وعن انس سأل اهل مكة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يريهم آية) اى معجزة باهرة وعلامة ظاهرة على صدق ما ادعاه من النبوة والرسالة (فاراهم انشقاق القمر مرتين) اى فرقتين كما فى نسخة صحيحة (حتى رأوا حراء بينهما) وهو جبل على ثلاثة اميال من مكة على يسار المار منها الى منى وهو بكسر الحاء المهملة ممدود ويقصر ويصرف ولا يصرف ويؤنث ويذكر وقد خطأ الخطابى فتح الحاء وقصر الراء وقال النووى والصحيح انه مذكر مصروف (ورواه) اى الحديث (عن انس قتادة) اى بهذا اللفظ (وفى رواية معمر وغيره عن قتادة عنه) اى عن انس (اراهم القمر مرتين) اى شقين او فلقتين ويؤيده انه فى نسخة فرقتين وقيل بمعنى كرتين وقوله (انشقاقه) بالنصب بدل اشتمال من القمر وفى صحيح مسلم فاراهم انشقاق القمر مرتين قال الحلبى هذه المسألة فتشت عنها كثيرا حتى وجدتها فى كلام ابى عبد الله ابن امام الجوزية ذكرها فى كتابه اغاثة اللهفان فذكر كلاما وفيه ان المرات يراد بها الافعال تارة والاعيان تارة واكثر ما تستعمل فى الافعال واما الاعيان فكقوله فى الحديث انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين اى شقين وفلقتين ولما خفى هذا على من لم يحط به علما زعم ان الانشقاق وقع مرة بعد مرة فى زمانين وهذا مما يعلم اهل الحديث ومن له خبرة باحوال الرسول وسيرته انه غلط وانه لم يقع الانشقاق الا مرة واحدة انتهى وقال شيخى العراقى فى سيرته التى نظمها انه انشق مرتين بالاجماع وان ذلك متواتر وقد راجعته بكتاب وذكرت له فيه كلام ابن القيم فلم يرد جوابه على ما اقول ولعله اعرض عن الجواب اكتفاء بما بين فى الكتاب ان ارادة الفلقتين بالمرتين هو الصواب وقال العسقلانى واظن قوله بالاجماع يتعلق بقوله انشق لا بمرتين فانى لا اعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق ولعل قائل مرتين اراد فلقتين وهذا الذى لا يتجه غيره جمعا بين الروايات هذا (ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد) اى النوفلى (ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) اى ابن مسعود ولد اخى عبد الله بن مسعود وهو الفقيه الاعمى احد الفقهاء السبعة معلم عمر بن عبد العزيز وكان من بحور العلم (ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة

ابو عبد الرحمن السلمى) بضم ففتح هو الامام مقرئ الكوفة يروى عن عمر وعثمان وعنه عاصم ابن ابى النجود وابو اسحق (ومسلم ابن ابى عمران الازدى) والمقصود نفى توهم ان يكون احد من الرواة وقع منفردا وشاذا فى الرواية بل ثبت تعدد الصحابة والتابعين فى اسناد هذه الحكاية (واكثر طرق هذه الاحاديث) اى مما بيننا وبين السلف (صحيحة والآية مصرحة) بكسر الراء اى ودلالة الآية فى هذه القضية صريحة فتكاد ان تصير متواترة معنوية وان لم تكن لفظية (ولا يلتفت) بصيغة المجهول اى ولا ينظر عن صوب اقبال قبول (الى اعتراض مخذول) اى متروك النصرة من المبتدعة كطبقة المعتزلة وجمهور الفلاسفة وعامة الملاحدة الواقع فى قول مائل الى المجاز وعادل عن الحقيقة فى مدلول الآية متشبثا باصلهم الفاسد بان الاجرام العلوية لا يتأتى فيها الانخراق والالتئام ومتمسكا (بانه) اى الشان (لو كان هذا) اى الانشقاق واقعا ولو وقع هذا الامر (لم يخف على اهل الارض) اى كلهم اذ هو شئ ظاهر لجميعهم وهذا المقدار بيان الاعتراض واما بيان خذلانه فهو قوله (اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة) اى انتظروا انشقاق القمر حتى نظروا انشقاقه اورأوا خلافه فى تلك الليلة وهذا معنى قوله (فلم يروه انشق) اى مع ان القاعدة الاصولية مضبوطة بان رواية المثبت مقدمة على رواية النافى بلا شبهة كما فى رواية الهلال مشاهدة هذا ومن المعلوم انهم لم يترصدوه لكونهم غافلين عن القضية ذاهلين عن المقدمة المطوية وانما اراد المصنف فرض الوقوع فى البلية فبطل قول الدلجى بعد قوله فلم يروه انشق وفيه نظر لتوقف رصده على معرفة انه سينشق فى ليلة فيرصدونه ثم قال المصنف على طريق ارخاء العنان مع الخصم فى ميدان البيان (ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم) اى توافقهم وتواطؤهم (لكثرتهم) اى المتعاضدة (على الكذب لما كانت علينا به) اى بسبب نقلهم على فرض ترصدهم (حجة) اى دلالة قاطعة ملزمة (اذ ليس القمر فى حد واحد لجميع اهل الارض) اى لاختلاف مطالعه وتباين مقاطعه كما بينه بقوله (فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على الآخرين) وفى نسخة على آخرين (وقد يكون) اى القمر فى مرأى (من قوم بضد ما هو من مقابلتهم) اى بضد مرأى من قوم مخالفيهم (من اقطار الارض) اى جوانبها (او يحول بين قوم وبينه) اى بين القمر (سحاب او جبال) وكذا حجاب (ولهذا) اى ولكونه ليس فى حد واحد من العباد (نجد الكسوفات) اى محو احد النيرين (فى بعض البلاد دون بعض) اى من البلاد حتى لا يوجد فيها كسوف اصلا وقد نقل الحافظ المزى عن ابن تيمية ان بعض المسافرين ذكر انه وجد فى بلاد الهند بناء قديما مكتوبا عليه بنى ليلة انشق القمر (وفى بعضها) اى ونجد الكسوفات فى بعض البلاد او فى بعض الاوقات بالنسبة الى بعض العباد (جزئية) اى وقوعها باعتبار بعض اجزائه (وفى بعضها كلية) اى وقوعها يستوفى اطرافه كلها (وفى بعضها لا يعرفها) اى الكسوفات (الا المدعون لعلمها) اى الماهرون والحاذقون بمعرفتها (ذلك تقدير العزيز) اى الغالب بقدرته (العليم) اى المحيط علمه بارادته وحكمته ووقع فى اصل المصنف الحكيم بدل العليم ولا يرد عليه انه مخالف للفظ التنزيل لانه ما قصد به الآية اذ ليس عليه شئ من الدلالة هذا (وآية القمر كانت ليلا) اى مبهما وقته ومجهولا عنه قال الخطابى الحكمة فى وقوعها ليلا ان من طلبها من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعض من قريش خاص فوقع لهم ذلك ليلا ولو اراد الله تعالى ان تكون هذه المعجزة نهارا لكانت داخلة تحت الحس قائمة للعيان بحيث يشترك فيها الخاصة والعامة لفعل ذلك ولكن الله تعالى بلطفه اجرى سنته بالهلاك فى كل امة اتاها نبيها بآية عامة يدركها الحس فلم يؤمنوا وخص هذه الامة بالرحمة فجعل آية نبيها عقلية وذلك لما اوتوه من فضل الفهم بالنسبة الى سائر الامم والله سبحانه وتعالى اعلم (والعادة من الناس بالليل) اى بحسب الاغلب (الهدو) بضم الهاء والدال فواو مشددة او ساكنة بعدها همزة على اصل الكلمة ومعناه قوله (والسكون) اى عن الحركة والمشى والتردد فى الطرق مع قطع النظر عن ملاحظة ما فى السماء وترصدهم الى مراكز القمر ناظرين اليه غير غافلين عنه ولعل ذلك انما كان فى قدر اللحظة التى هى مدرك البصر (وايجاف الابواب) بهمزة مكسورة وتحتية ساكنة فجيم اى اغلاقها بسرعة (وقطع التصرف) اى بالتردد فى داخل البيوت من اغلاقها واعماقها (ولا يكاد يعرف من امور السماء) اى لا سيما فى فصل الشتاء (شيأ) اى من امر السماء لحجاب البناء وعدم توجه نظرهم الى صوب الهواء (الا من رصد ذلك) اى انتظره قصدا لما هنالك ومنه قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد اى بالطريق المنتظر (واهتبل به) بفوقية فموحدة اى تحيل واعتنى بنظره (ولذلك) اى ولكون آية كانت ليلا وفى نسخة وكذلك (ما يكون الكسوف القمرى) اى بخلاف الشمسى النهارى (كثيرا) خبر كان اى لم يكن وقوعه كثيرا (فى البلاد) وجعل الدلجى كثيرا حالا من اسم كان وخبرها فى البلاد (واكثرهم لا يعلم به) اى والحال ان اكثر الناس او اكثر اهل البلاد لا يعلم بكسوف القمر (حتى يخبر) اى بوقوعه فى السحر والمعنى لا يقع فيها كثيرا مع عدم

تعلق العلم به الا يسيرا (وكثيراما) اى واحيانا كثيرة (يحدث الثقات) اى من العلماء بالهيئة الفلكية (بعجائب يشاهدونها من انوار) اى ظاهرة (ونجوم طوالع عظام) اى باهرة (تظهر فى الاحيان بالليل) اى فى بعض الاوقات او الساعات منه (ولا علم لاحد بها) اى من غيرهم وفى نسخة ولا علم عند احد منهم بها ثم هذا مما يتعلق بانشقاق القمر على ما نزل به الآية وورد فيه صحيح الخبر وصريح الاثر واما رد الشمس له صلى الله تعالى عليه وسلم فاختلف المحدثون فى تصحيحه وضعفه ووضعه والاكثرون على ضعفه فهو فى الجملة ثابت باصله وقد يتقوى بتعاضد الاسانيد الى ان يصل الى مرتبة حسنه فيصح الاحتجاج به (وخرج) بتشديد الراء اى اخرج (الطحاوى فى مشكل الحديث) وهو الامام الحافظ العلامة صاحب التصانيف المهمة روى عنه الطبرانى وغيره من الائمة وهو مصرى من اكابر علماء الحنفية لم يخلف مثله بين الائمة الحنفية وكان اولا شافعيا يقرأ على خاله المزنى ثم صار حنفيا توفى سنة احدى وعشرين وثلثمائة وطحا من قرى مصر قال بعضهم كان اولا شافعيا ثم تقلد مذهب مالك كذا نقله التلمسانى ولعله انتقل من مذهب مالك الى مذهب ابى حنيفة كما يشهد به كتبه فى الرواية والدراية (عن اسماء) واصله وسماء من الوسامة فابدلت واوه همزة وقيل جمع اسم والاول اولى وهو منقول عن سيبويه ولعل وجهه ان اطلاق الجمع على المفرد بعيد جدا مع ان اسم الجمع لا يجعل علما ابدا (بنت عميس) بضم مهملة وفتح ميم فتحتية ساكنة فسين مهملة وتقدمت ترجمتها (من طريقين) اى باسنادين وكذا الطبرانى رواه باسانيد رجال بعضها ثقات (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى اليه) اى مرة (وراسه فى حجر على) اى ابن ابى طالب كرم الله وجهه (فلم يصل) اى على العصر (حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بعد ما افاق من الاستغراق (أصليت يا على قال لا فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك) اى لما بينهما من الملازمة (فاردد عليه) اى لاجله (الشمس) اى شرقها كما فى نسخة بالتحريك ويسكن وهو منصوب على الظرفية اى فى ارتفاعها او على البدلية اى ضوءها (قالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت) اى رجعت على ادراجها من مغربها بعد ما غربت (ووقفت على الجبال والارض) ويروى وقعت بالعين بدل الفاء (وذلك بالصهباء) بالمد ويقصر وهو موضع على مرحلة من خيبر وكذا رواه ابن مردويه بسند فيه ضعف عن ابى هريرة رضى الله عنه قال نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجر على ولم يكن صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه (قال) اى الطحاوى (وهذان الحديثان ثابتان) اى عنده وكفى به حجة (ورواتهما ثقات) اى فلا عبرة بمن طعن فى رجالهما وانما جعله حديثين لروايته له من طريقين هذا وقال ابن الجوزى فى الموضوعات حديث رد الشمس فى قصة على رضى الله عنه موضوع بلا شك وتبعه ابن القيم وشيخه ابن تيمية وذكروا تضعيف رجال اسانيد الطحاوى ونسبوا بعضهم الى الوضع الا ان ابن الجوزى قال انا لا اتهم به الا ابن عقدة لانه كان رافضيا يسب الصحابة انتهى ولا يخفى ان مجرد كون راو من الرواة رافضيا او خارجيا لا يوجب الجزم بوضع حديثه اذا كان ثقة من جهة دينه وكان الطحاوى لاحظ هذا المبنى وبنى عليه هذا المعنى ثم من المعلوم ان من حفظ حجة على من لم يحفظ والاصل هو العدالة حتى يثبت الجرح المبطل للرواية واما ما قال الذهبى تبعا لابن الجوزى من انه ولو قيل بصحته لم يفد ردها وان كان منقبة لعلى وقوع صلاته اداء لفواتها بالغروب فمدفوع لقيام القرينة على الخصوصية مع احتمال التأويل فى القضية بان يقال المراد بقولها غربت اى عن نظرها او كادت تغرب بجميع جرمها او غربت باعتبار بعض اجزائها او ان المراد بردها حبسها وبقاؤها على حالها وتطويل زمان سيرها بطئ تحركها على عكس طى الازمنة وبسطها وهو سبحانه قادر على كل شئ شاء واما ما ذكره الذهبى من قوله وقد روى هشام عن ابن سيرين عن ابى هريرة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لم ترد الشمس الا على يوشع بن نون وذكره ابن الجوزى من ان فى الصحيح ان الشمس لم تحبس لاحد الا ليوشع فالجواب ان الحصر باعتبار الامم السالفة مع احتمال وروده قبل القضية اللاحقة (وحكى الطحاوى ان احمد بن صالح) وهو ابو جعفر الطبرى المصرى الحافظ سمع ابن عيينة ونحوه وروى عنه البخارى وغيره وقد كتب عن ابن وهب خمسين الف حديث وكان جامعا يحفظ ويعرف الحديث والفقه والنحو مات بمصر سنة مائتين وثمان واربعين وكان ابوه من اهل طبرستان وجرت بين احمد هذا وابن حنبل مذاكرات وكتب كل واحد منهما عن صاحبه وكان يصلى بالشافعى (كان يقول لا ينبغى لمن سبيله) وفى نسخة لمن يكون سبيله (العلم) اى بسير سيد الانبياء (التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة) اى وآيات الرسالة (وروى يونس بن بكير) بالتصغير وهو الحافظ ابو بكر الشيبانى عن هشام بن عروة والاعمش ومحمد بن اسحق بن يسار امام المغازى وعنه ابو كريب وابن نمير والعطاردى قال ابن معين صدوق وقال ابو داود ليس بحجة يوصل كلام ابن اسحق بالاحاديث اخرج له مسلم متابعة وقد خرج له البخارى فى الشواهد واخرج له

ابو

ابو داود والترمذى وابن ماجه (فى زيادة المغازى روايته) اى فى روايته كما فى نسخة (عن ابن اسحق) اى امام اهل المغازى (لما اسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ليلة المعراج (واخبر قومه بالرفقة) بضم الراء ويجوز تثليثها اى الجماعة من الرفقاء (والعلامة التى فى العير) بكسر العين المهملة اى القافلة من الابل والدواب يحمل الطعام وغيره من التجارات (قالوا) اى الكفار (متى تجيء) اى القافلة الى مكة (قال يوم الاربعاء) بالمد وهو بتثليث الباء والاجود كسرها كذا فى المحكم وقال ابن هشام فيه لغات فتح الهمزة وكسر الباء وكسر الهمزة وفتح الباء وكسرهما قال وهذه افصح اللغات (فلما كان ذلك اليوم) اى الموعود وهو بالرفع على انه نعت لذلك المتقدم الذى هو اسم كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة وفى بعض النسخ المعتمدة ضبط بالنصب ولا وجه له (اشرفت قريش) اى اقبلت (ينظرون) اى ينتظرون (وقد ولى النهار) بتشديد اللام المفتوحة اى ادبر اوله واقبل آخره (ولم تجئ) اى العير (فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة) اى بسط فى ساعاته (وحبست عليه الشمس) اى بطئ تحركها وقيل توقفت وقيل ردت على ادراجها كما تقدم والله تعالى اعلم هذا وقد حبست الشمس له صلى الله تعالى عليه وسلم فى يوم من ايام الخندق حين شغل عن صلاة العصر كما ذكره المصنف فى غير هذا الكتاب وحبست لداود كما ذكره الخطيب فى كتاب النجوم وضعف رواته كما نقله عنه مغلطاى فى سيرته وفى تفسير البغوى انها حبست لسليمان عليه السلام لقوله تعالى ردوها على ونوزع بان الضمير عائد الى الصافنات الجياد وايضا لم يكن هناك مأمورون صالحون لرد الشمس عليه مع مخالفته للحديث الصحيح الصريح فى حصر حبس الشمس ليوشع مما بين الامم المتقدمة نعم ذكر الشيخ معين الدين فى معراج النبوة انها حبست لابى بكر رضى الله تعالى عنه ايضا والله سبحانه وتعالى اعلم هذا وقد قال بعضهم حديث رد الشمس له صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بصحيح وان اوهم تخريج القاضى له فى الشفاء عن الطحاوى من طريقين فقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وقال ابن تيمية العجب من القاضى مع جلالة قدره وعلو خطره فى علوم الحديث كيف سكت عنه موهما صحته وناقلا ثبوته موثقا رجاله انتهى وفى المواهب قال شيخنا قال احمد لا اصل له وتبعه ابن الجوزى فاورده فى الموضوعات ولكن قد صححه الطحاوى والقاضى عياض واخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث اسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث ابى هريرة انتهى قال القسطلانى وروى الطبرانى ايضا فى معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه ابن العراقى فى شرح التقريب عن اسماء بنت عميس ولفظه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم ارسل عليا فى حاجة فرجع وقد صلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العصر فوضع عليه الصلاة والسلام رأسه فى حجر على فقال له النبى صلى الله عليه وسلم صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله تعالى فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت فرأيت الشمس طلعت بعد ما غابت حين ردت حتى صلى العصر قال وروى الطبرانى ايضا فى معجمه الاوسط بسند حسن عن جابر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امر الشمس فتأخرت ساعة من النهار انتهى وقال الخطابى انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شئ من آيات الانبياء وذلك انه ظهر فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع فى الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به اظهر قلت وفى معناه الشمس بل سلطانها اكبر وابهر وانور الا انه لكمال قرب غروبها لم تظهر للاكثر فتدبر واما ما قال الجوزجانى بعد ان نقل عن ابن الملقن فى شرح العمدة انه روى الحسن وغيره عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا لم تحبس الشمس الا ليوشع حيث سار الى بيت المقدس هذا الحديث فيه رد لحديث اسماء فقد قدمت الجواب عنه واما قوله وهذا حديث منكر مضطرب لانه عليه الصلاة والسلام افضل من على ولم ترد الشمس له بل صلى العصر بعد ما غربت فمردود عليه لانها انما ردت على على ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ان كرامات الاولياء فى معنى معجزات الانبياء وقد سبق عن البغوى انها ردت عليه ايضا فصلى العصر الا فى وقتها مع ان المفضول قد يوجد فيه ما لا يوجد فى الفاضل كما يلزم من القول بعدم حبسها الا ليوشع فتأمل وتوسع

(فصل)

(فى نبع الماء من بين اصابعه وتكثير بركته صلى الله عليه وسلم) وفى نسخة وتكثيره ببركته (اما الاحاديث فى هذا) اى فى هذا النوع من جنس المعجزة (فكثيرة جدا) منصوب على المصدر واريد به المبالغة فى الكثرة فان ذلك فى مواطن متعددة واعداد مختلفة كما ذكره ابن حبان فى صحيحه ففى بعضها اتى بقدح وفى بعضها زجاج وفى بعضها جفنة وفى بعضها ميضأة وفى بعضها مزادة وفى بعضها كانوا خمس عشرة مائة وفى بعضها ثمانمائة وفى بعضها زهاء ثلاثمائة وفى بعضها ثمانين وفى بعضها سبعين انتهى وفى صحيح البخارى فى حديث جابر فى قصة نبع الماء من بين اصابعه انهم

كانوا الفا واربعمائة وفى رواية عنهم انهم كانوا خمس عشرة مائة وهذه القصة كانت بالحديبية وفى عددهم
اقوال مختلفة ثم هذه المعجزة اعظم من تفجر الماء من الحجر كما وقع لموسى عليه السلام فان ذلك من عادة الحجر فى الجملة
قال الله تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار واما من لحم ودم فلم يعهد من غيره صلى الله تعالى عليه وسلم والله
تعالى اعلم (وروى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن
مسعود) اما حديث انس فرواه الشيخان عنه ايضا الا ان المصنف ساقه شاهدا بسنده الى الامام مالك عنه فقال
(حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتى عليه ثنا القاضى عيسى بن سهل ثنا ابو القاسم حاتم
ابن محمد) وقد تقدم ذكرهم (ثنا ابو عمر ابن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة (حدثنا ابو عيسى) هو يحيى بن
عبد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير الليثى وقد سبق ذكره (ثنا يحيى) وفى نسخة عن يحيى وهو يحيى بن يحيى الليثى وفى نسخة
صحيحة قبل قوله ثنا يحيى ثنا عبد الله بن يحيى عن ابيه يحيى ويؤيده ما قال الحلبى انه سقط رجل بين ابى عيسى وبين
يحيى وهو عبد الله ابو مروان ولا بد منه وقد تقدم على الصواب وكذا يأتى على الصواب ايضا وحاصله ان عبد الله
يروى عن يحيى عن ابيه ويحيى عن مالك (قال ثنا مالك) وهو امام المذهب (عن اسحق بن عبد الله ابن ابى طلحة عن
انس بن مالك) وهو عمه لامه (رأيت) وفى نسخة قال اى انس رأيت (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحانت
صلاة العصر) اى وقد قرب وقتها او دخل فان الحين الوقت (فالتمس الناس الوضوء) بفتح الواو اى ماء الوضوء
بضمها وفى نسخة بضمها والمعنى ماء بتقدير مضاف والمؤدى واحد وقيل يطلق كل على كل لكن الظاهر ان احدهما
مجاز (فلم يجدوه فاتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جيء (بوضوء) اى فى اناء (فوضع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فى ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه) اى من الماء او من الاناء او من ماء ذلك الاناء (قال)
اى انس (فرأيت الماء ينبع) بتثليث الموحدة والضم اشهر اى يفور (من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم) قال النووى
فى كيفية النبع قولان احدهما ان الماء كان يخرج من نفس اصابعه وينبع من ذاتها وهو قول اكثر العلماء وثانيهما
انه تعالى اكثر الماء فى ذاته فصار يفور من بين اصابعه (فتوضأ الناس) اى منه (حتى توضؤا من عند آخرهم) اى
الى انتهاء اولاهم فالقضية معكوسة للمبالغة والمراد جميعهم وقال النووى من هنا بمعنى الى وهى لغة (ورواه
ايضا عن انس قتادة) كما فى صحيح مسلم (وقال) اى انس او قتادة عنه (باناء) اى فاتى باناء (فيه ماء يغمر اصابعه)
بسكون الغين المعجمة وضم الميم اى يغطيها ويسترها (او لا يكاد يغمر) شك من الراوى (قال) اى قتادة لانس كما صرح
به الترمذى (كم كنتم) اى حينئذ وكم اسم استفهام وسؤال عن العدد (قال زهاء ثلثمائة) بضم زاى وهاء ممدودة اى كان قدر
ثلثمائة (وفى رواية عنه) اى عن انس (وهم بالزوراء) بفتح الزاى وسكون الواو وفراء ممددة مكان يعرف بالمدينة قرب
المسجد (عند السوق) وفى البخارى بالسوق اى سوق المدينة قال الداودى وهو مرتفع كالمنار (ورواه ايضا حميد)
بالتصغير وهو الطويل وكان طوله فى يديه مات وهو قائم يصلى ثقة لكنه يدلس اخرج له الائمة الستة (وثابت) تقدم
ذكره (والحسن) اى ابن ابى الحسن البصرى (عن انس) اى كلهم عنه الا ان البخارى انفرد بالاولى والثالثة واتفقا
على الثانية (وفى رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين) اى كانوا ثمانين اى رجلا كما فى نسخة (ونحوه عن ثابت عنه)
اى نحو ما روى حميد عن انس فى العدد ورد عن ثابت عن انس (وعنه) اى وعن انس (ايضا) اى برواية ثابت او غيره
(وهم نحو من سبعين رجلا) لعل رواية السبعين والثمانين فى غير قصة الحديبية لما سبق من تعدد القضية ثم رأيت
النووى قال انهما قضيتان جرتا فى وقتين نحدث بهما جميعا انس (واما ابن مسعود ففى الصحيح) اى للبخارى وغيره (من
رواية علقمة عنه) كما فى نسخة اى عن عبد الله بن مسعود (بينما) اى بين ساعات او اوقات (نحن مع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم) اى حاضرون (وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء)
قيل انما طلب الماء كيلا يظن انه موجد للماء فان ذلك لله سبحانه وتعالى وفيه ان الكل من عنده تعالى (فاتى)
اى جيء (بماء) اى فى نحو سقاء (فصبه فى اناء ثم وضع كفه) اى مع اصابعه (فيه فجعل الماء ينبع) اى فشرع يخرج
(من بين اصابع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما ينبع من الارض وفى نبعه احتمالان من زيادة الكمية
او الكيفية وهو اظهر كما يدل عليه طلبه فضل الماء ويشير اليه ما سبق من الترجمة فى قوله تعالى وتكثيره ببركته
(وفى الصحيح) اى للبخارى وغيره (عن سالم) اى الاشجعى (ابن ابى الجعد) وهو من ثقات التابعين روى عنه انه قال
اشترانى مولاى بثلاثة دراهم واعتقنى فقلت باى حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لى سنة حتى اتانى امير البلد
زائرا فلم آذن له (عن جابر عطش الناس) بكسر الطاء (يوم الحديبية) بالتخفيف وتشديد بئر بين مكة وجدة قبيل
جدة واما قول الدلجى بين مكة والطائف فوهم (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه ركوة) جملة حالية

والركوة

والركوة بفتح الراء وتضم اناء من جلد نحو الابريق ذكره الدلجى وهو غير ملائم لوضع اليد فيه اللهم الا ان يقال
المراد به وضع اليد على فيه عند خروج الماء منه ثم رأيت فى القاموس ان الركوة مثلثة زورق صغير انتهى وهو يحتمل
ان فمه كبير ثم رأيت التلمسانى ذكر انها للماء من الادم كالتور يتوضأ منه (فتوضأ منها واقبل الناس نحوه)
اى متعطشين اليه (وقالوا) عطف على واقبل الناس وجعل الدلجى الواو للحال اى قائلين (ليس عندنا ماء
الا ما فى ركوتك) اى التى هى موجودة فى حضرتك (فوضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يده فى الركوة) اى ثانيا
(فجعل الماء يفور) اى يرتفع متدفقا (من بين اصابعه كامثال العيون) اى كامثال مياهها او شبه اصابعه بمنابع
عيون الماء اى بين كل اصبعين يفور الماء كالعين (وفيه) اى فى حديث سالم (فقلت) اى لجابر (كم كنتم) اى يومئذ
(قال لو كنا مائة الف) اى مثلا (لكفانا) اى لكونه معجزة (كنا) اى لكنا كنا (خمس عشرة مائة) يعنى الفا وخمسمائة
وقيل ثمانين الفا ورجلا او اربعين او خمسة وعشرين رجلا او الفا وستمائة بناء على الاختلاف فى عدد من بايع تحت
الشجرة قال الحلبى فيقال اربع عشرة مائة وكذا هو فى الصحيح واكثر الروايات كما قال البيهقى انه الف واربعمائة
هذا وقال اليمنى قوله كنا خمس عشرة مائة هذه اللغة الى الآن نجد سمعتها منهم لا تألف السنتهم الا آلاف بل يقولون
عشر مائة واحدى عشرة مائة وعشرون مائة وهلم جرا (وروى مثله) اى مثل حديث سالم كما فى مسند الدارمى
(عن انس عن جابر) وهو من رواية الاصاغر عن الاكابر فانهما صحابيان قال الحلبى كذا فى النسخة التى وقفت عليها
الآن بالشفاء وعلى عن التى بين انس وجابر صح يعنى ان انسا رواه عن جابر فان صح ذلك فرواية انس عن جابر ليست
فى الكتب الستة (وفيه) اى وفى هذا الحديث (انه كان بالحديبية) يعنى فالاختلاف مبنى على اختلاف عدد
من حضر فى تلك القضية (وفى رواية الوليد بن عبادة بن الصامت) الوليد هذا ولد فى حياته عليه الصلاة والسلام
روى عن ابيه وعنه ابنه عبادة (عنه) اى عن جابر (فى حديث مسلم الطويل) صفة للحديث (فى غزوة بواط) بضم
الموحدة وتخفيف الواو وفى آخره طاء مهملة (قال قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جابر ناد بالوضوء) بفتح
الواو وتضم وفى نسخة صحيحة الوضوء من غير الباء اى ناد الناس له او به او نصبه على الاغراء اى اعطوا او ناولوا الماء
وهو بيان النداء (وذكر الحديث بطوله وانه) اى الشان (لم نجد) بالنون وفى نسخة بالياء وفى اصل الدلجى لم يجدوا
(الا قطرة) اى شيأ قليلا من الماء (فى عزلاء شجب) بالاضافة وهو بفتح العين المهملة فسكون الزاى فلام ممدودة
فم المزادة الاسفل والشجب بمعجمة مفتوحة فجيم ساكنة فموحدة ما بلى من القربة وعتق من السقاية (فاتى) اى فجيء
(به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فغمره) بالراء اى فغطاه وستره وفى اصل الدلجى بالزاى اى فكبسه بيده وعصره
(وتكلم بشئ) اى من الاسماء او الدعاء والثناء (لا ادرى ما هو وقال ناد بجفنة الركب) بفتح الجيم وسكون الفاء وهى
اكبر قصاع الاطعمة والركب اسم جمع او جمع للراكب كالصحب وهم العشرة فصاعدا والباء مزيدة ولما كانت الجفنة
محل الآية نوديت فكانها تعقل او على حذف اى يا قوم هاتوها او عدى النداء بالباء لتضمنه معنى الاتيان اى ائت
بها واحضرها (فاتيت بها) اى فجئت بها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الحلبى هو مبنى لما لم يسم فاعله اى فاتونى
بها وفى نسخة فاتيتها بضم همزه وكسر ثانيه (فوضعتها بين يديه وذكر) اى جابر (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
بسط يده فى الجفنة وفرق) بتشديد الراء ونشر (اصابعه وصب جابر عليه) اى الماء (وقال) اى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم (بسم الله) اى وعلى بركة رسول الله وروى بسم الله كما هو على ما فى اصل المؤلف (قال) اى جابر (فرأيت
الماء يفور) اى يظهر مرتفعا (من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت) اى ارتفع ماؤها ودار (حتى امتلأت)
ورواية مسلم ثم فارت الجفنة فدارت كذا ذكره الدلجى تبعا للحلبى قيل لان المقام مقام آية فكلما نبع الماء استدارت
الجفنة وحديث جابر هذا ليس فى شئ من الكتب الستة الا فى مسلم على ما صرح به الحلبى وغيره (وامر الناس
بالاستقاء) اى باخذ الماء (فاستقوا حتى رووا) اى بأجمعهم وهو بضم الواو الاولى واصله رويوا كرضوا ولقوا (فقلت
هل بقى احد له حاجة) يجوز ان تكون هل نافية كما فى قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وفى حديث وهل ترك لنا
عقيل من دار اى ما بقى من محتاج الى الماء (فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يده كما فى اصل الدلجى وغيره
(من الجفنة وهى ملأى) فعلى من الملء ويجوز ان تكون هل استفهامية ورفعه يده بعد جوابهم ما بقى لاحد حاجة
ولا يبعد ان يكون المراد بقوله فقلت تردده فى نفسه انه هل بقى لاحد حاجة اليه ام لا فرفع رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يده شهادة لنفى البقاء فيكون كرامة اخرى (وعن الشعبى) بفتح اوله تابعى جليل تحدث به هذا مرسل وهو حجة
عند الجمهور خلافا للشافعى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جيء (فى بعض اسفاره باداوة ماء) وهى بكسر
الهمزة اناء صغير من جلد يتخذ للماء ويسمى المطهر (وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها) اى غير ما فى الاداوة هذه

وهى لم تكف الجماعة شربا ووضوأ (فسكبها) اى صبها (فى ركوة) اى اناء صغير من جلد يشرب فيها الماء كانت معه كما فى نسخة (ووضع اصبعه) بتثليث الهمزة والباء والاشهر كسر الهمزة وفتح الباء والمراد الجنس اى اصابعه (وسطها) بفتح السين وسكونها اى فى وسطها (وغمسها) اى غطس اصابعه وادخلها (فى الماء وجعل الناس يجيئون) اى يأتون اليه (ويتوضؤون) اى منه (ويقومون) اى عنه وفى نسخة صحيحة ثم يقومون (قال الترمذى) اى صاحب الجامع (وفى الباب) اى وفى الاحاديث الواردة فى هذا النوع من الكتاب (عن عمران بن حصين) وهو كما سيأتى فى الفصل الآتى من هذا الباب (ومثل هذا) اى ماذكر من خوارق العادة (فى هذه المواطن الحفلة) بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء اى الممتلئة المجتمعة الغزيرة وفى نسخة الحفيلة بزيادة الياء وهما بمعنى (والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة) بضم التاء وسكون الهاء وتفتح اى تتوصل تهمة كذبه (الى المحدث به) بكسر الدال المشددة اى المخبر به (لانهم) اى السلف من الصحابة والتابعين (كانوا اسرع شئ الى تكذيبه) اى تكذيب من اخبر به لو عرفوا انه كاذب فى خبره (لما جبلت) بصيغة المجهول اى خلقت وطبعت (عليه النفس) اى النفوس كما فى نسخة صحيحة (من ذلك) اى الاسراع الى التكذيب (ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل) اى باجمعهم لانكارهم على الباطل ولو من بعضهم لكونه فرض كفاية على كلهم (فهؤلاء) اى المذكورون من الصحابة وغيرهم (قد رووا هذا) اى الحديث الذى سبق من نبع الماء من بين اصابعه (واشاعوه) اى نقلوه وافشوا سنده (ونسبوا حضور الجماء الغفير له) وفى نسخة الجم الغفير اى الجمع الكثير كما فى قضية الحديبية (ولا ينكر احد من الناس) اى ممن حضر تلك الوقعة (عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه) اى من شربهم وسقيهم (وشاهدوا) اى باعينهم فى غيرهم (فصار كتصديق جميعهم لهم) فيكون اجماعا سكوتيا منهم

(فصـــل)

(ومما يشبه هذا) اى النوع (من معجزاته) وهو نبع الماء من بين اصابعه لكرامته (تفجير الماء ببركته وانبعاثه) بالرفع اى نورانه وجريانه (بمسه) اى اياه بجارحته (ودعوته) اى بلسانه او جنانه (فيما روى مالك) اى رواه كما فى نسخة (فى الموطأ) بتشديد الطاء المفتوحة فهمزة وقيل بالف مقصورة وكذا اخرجه مسلم فى صحيحه (عن معاذ بن جبل فى قصة غزوة تبوك) وهى غزوة معروفة كانت سنة تسع من الهجرة (وانهم وردوا العين) اى التى كانت فيها (وهى تبض) بكسر الموحدة وتشديد المهملة اى تلمع وتلمع او المعجمة اى تقطر وتسيل واختاره النووى (بشئ) اى قليل (من ماء) اى مما يسمى ماء (مثل الشراك) بالجر على انه نعت لشئ او ماء وفى نسخة بالرفع على تقدير هو وفى اخرى بالنصب على انه حال من شئ اى مماثلا للشراك فى طوله وعرضه وهو سير رقيق يجعل فى النعل والمقصود المبالغة فى حد القلة (فغرفوا) اى اغترف القوم (من العين بايديهم حتى اجتمع) اى الماء كما فى نسخة (فى شئ) اى من الاناء فيما لديهم (ثم غسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم اعاده) اى الماء المغسول به (فيها) اى فى العين التى بها ماء يسير (فجرت) الفاء عاطفة اى فسالت (بماء كثير فاستقى الناس) اى فشربوا منه واسقوا دوابهم (قال) اى معاذ (فى حديث ابن اسحق) اى فيما يرويه امام اهل المغازى عنه (فانخرق) بالنون والخاء المعجمة والراء اى انفجر وجرى (من الماء ماله حس) بكسر الحاء المهملة وتشديد السين اى حركة وصوت لجريه (كحس الصواعق) جمع صاعقة وهو صوت شديد وربما كان معه نار لطيفة حديدة لا تمر بشئ الا اتت عليه واهلكته لكنها مع حدتها سريعة الخمود (ثم قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوشك) اى يسرع ويدنو ويقرب (يا معاذ ان طالت بك حياة) اى مدة عمرك (ان ترى ما ههنا) اى الموضع الذى ههنا لاجل كثرة ما فيه من الماء (قد ملئ) بصيغة المجهول اى امتلأ (جنانا) بكسر الجيم جمع جنة بالفتح وهى البستان الكثير الاشجار وهى مرة من مصدر جنه جنا اذا ستره فكانها مرة واحدة لشدة التفافها واظلالها ونصبه على التمييز قال الحلبى هذا ذكره ابن اسحق فى طريق تبوك وقت الرجعة ولفظه ثم انصرف قافلا يعنى من تبوك الى المدينة وكان فى الطريق ماء ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقق فذكر القصة والله تعالى اعلم (وفى حديث البراء) اى على ما رواه البخارى عنه (وسلمة بن الاكوع) اى كما رواه مسلم عنه (وحديثه) اى حديث سلمة (اتم) اى من حديث البراء (فى قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة) اى الف واربعمائة (وبئرها لا تروى) اى بضم التاء وكسر الواو اى لا تكفى بمائها (خمسين شاة) قال المزى المعروف عند اهل الحديث خمسين اشاء بفتح الهمزة والمد وهى النخلة الصغيرة ذكره الشمنى وقال التلمسانى هو الصواب (فنزحناها) اى فنزعنا ما فيها كله (فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها) بفتح الجيم والموحدة المخففة مقصورا ما حول فمها وبالكسر ما جمع فيها من الماء وليس مرادا هنا ويروى شفاها بفتح

المعجمة والفاء مقصورا اى جانبها وطرفها (قال البراء واتى) اى جيء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بدلو) اى فيه ماء (منها فبصق) اى بزق فيه (فدعا) اى بالبركة فى مائها وكب ما فى الدلو فيها وهذه رواية البراء من غير شك وتردد بينهما (وقال سلمة) اى ابن الاكوع (فاما دعا واما بصق فيها) بكسر الهمزة على الشك فيهما ولعله اطلع على احدهما دون الجمع بينهما بخلاف البراء فمن حفظ حجة على من لم يحفظ وعلى كل تقدير (فجاشت) بالجيم والشين المعجمة اى فارت البئر وارتفع ماؤها بوصف الكثير (فارووا انفسهم وركابهم) اى سقوا ذواتهم ودوابهم (وفى غير هذه الروايتين) اى رواية البراء ورواية سلمة وكان الاولى ان يقول وفى غيرها بين الروايتين كما فى نسخة او فى هذه الرواية عنهما (هذه القصة) اى قصة زيادة ماء البئر وفى نسخة فى هذه القصة (من طريق ابن شهاب) اى الزهرى (فى الحديبية) وقد ابعد الدلجى حيث قال هذه القصة اى قصة الحديبية لما آله الى قصة الحديبية فى الحديبية (فاخرج) اى النبى صلى الله عليه وسلم (سهما من كنانته) بكسر الكاف اى جعبته وهى كنانته التى فيها سهامه لانها تكنها وتسترها (فوضع) اى سهمه وهو بصيغة الفاعل ويؤيده نسخة وضعه بابراز الضمير وفى نسخة ضبط بصيغة المفعول وهو اتم مبنى واعم معنى (فى قعر قليب) اى عمق بئر لم تطو يعنى لم تبن وقيل عادية وهو يؤنث ويذكر ولذا قال (ليس فيه ماء فروى الناس) بكسر الواو اى بانفسهم ودوابهم (حتى ضربوا بعطن) بفتح المهملتين منزل الابل حول الماء لتبرك فيه اذا شربت لتعاد الى الشرب مرة اخرى وهو ضرب مثل للاتساع والاستغناء لاسيما فى باب الاستسقاء والمعنى حتى رووا ورويت ابلهم قال التلمسانى والذى نزل بسهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو البراء بن عازب وقيل ناجية (وعن ابى قتادة وذكر) على ما رواه البيهقى عنه (ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش فى بعض اسفاره فدعا بالميضأة) بكسر الميم وسكون التحتية وفتح الضاد المعجمة والهمزة مقصورا وقد يمد فوزنها مفعلة او مفعالة من الوضوء بزيادة الميم للآلة اى مطهرة كبيرة يتوضأ منها والمعنى فطلبها (فجعلها فى ضبنه) بكسر ضاد معجمة وسكون موحدة فنون فهاء ضمير اى حضنه بين كشحه وابطه (ثم التقم فمها) اى ادخله فى فمه تشبيها له بالقمة لانه ادخل فمه فيها كما توهم التلمسانى (والله اعلم) اى وانا لا اعلم (نفث) اى انفخ بريق او بلا ريق (فيها ام لا) اى ام لم ينفث (وشرب الناس حتى رووا) بضم الواو اى بانفسهم ودوابهم (وملؤا كل اناء معهم فخيل) اى بصيغة المجهول اى تصور فى ذهنى (انها) اى الميضأة ملأى (كما اخذها منى) اى على حالها ما نقص شئ منها وقال التلمسانى وروى اليه اقول والظاهر انه تصحيف لديه (وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله) اى مثل مروى ابى قتادة (عمران بن حصين) بالتصغير (وذكر الطبرى) وهو محمد بن جرير (حديث ابى قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان) وفى نسخة صحيحة ان على انه بيان لما ذكره الطبرى مخالفا لغيره وهو ان (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بهم) اى باصحابه (مددا) اى معينا (لاهل مؤتة) بضم الميم وسكون الهمزة ويبدل قرية بين تبوك وحوران من الشام (عندما بلغه قتل الامراء) اى امرائه وهم زيد ابن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام وجعفر بن ابى طالب وعبد الله ابن ابى رواحة (وذكر) اى الطبرى (حديثا طويلا فيه معجزات) اى باهرة (وآيات) اى علامات وكرامات ظاهرة (للنبى صلى الله عليه وسلم) اى تعظيما لقدره وتفخيما لامره (وفيه اعلامهم) اى اخباره لاصحابه (انهم يفقدون الماء) بكسر القاف اى يعدمونه ولا يجدونه (فى غد) فهو من اعلام النبوة لقوله تعالى وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا (وذكر) اى الطبرى (حديث الميضأة) اى كما سبق (قال) اى ابو قتادة (والقوم) اى اصحابه (زهاء ثلاثمائة) اى قدرها تخمينا قال المزى الوجه نصب زهاء ولكن اهل الحديث يرفعونه ذكره الشمنى (وفى كتاب مسلم) يعنى صحيحه (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لابى قتادة) اى بعد ما قال لهم انهم يفقدون الماء فى غد (احفظ على) اى لاجلى وفى نسخة علينا (ميضأتك فانه) اى الشان (سيكون لها نبأ) اى خبر عظيم قال القاضى فى الاكمال قال الامام للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث معجزتان قولية وهى اخباره بالغيب انها سيكون لها نبأ وفعلية وهى تكثير الماء القليل (وذكر) اى الطبرى (نحوه) اى نحو ما سبق مما ذكره غيره (ومن ذلك) اى ومما يدل على تفجر الماء من بين اصابعه (حديث عمران بن حصين) اى كما فى الصحيحين عنه انه قال (حين اصاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه عطش) اى شديد (فى بعض اسفارهم) وفى نسخة من اسفارهم (فوجه رجلين) بتشديد الجيم اى فارسلهما وهما على بن ابى طالب وعمران بن حصين (من اصحابه) كما صرح بهما فى بعض طرق هذا الحديث (واعلمهما انهما يجدان امرأة) لا يعرف اسمها الا انها اسلمت بعد ذلك (بمكان كذا) وفى نسخة بتكرار كذا ويعين الموضع فى حديث صاحبه حاطب ابن ابى بلتعة وهو روضة خاخ (معها بعير عليه مزادتان) تثنية مزادة بفتح الميم ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالراوية اكبر من القربة وميمها زائدة وهى من مادة الزيادة لزيادتها على القربة ولا يبعد ان تكون

مأخوذة من الزاد والله تعالى اعلم بالمراد ثم قيل هى الراوية مجازا وانما الراوية هو البعير الذى يحملها (الحديث) اى بطوله والمعنى فذهبا على اثرها وطلباها (فوجداها واتيابها النبى) وفى نسخة الى النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى اناء) اى مما عنده (من مزادتيها) اى بعض مائهما (وقال فيه ماشاء الله) اى من ثناء ودعاء اواسماء (ثم اعاد الماء) اى رد الماء المأخوذ (فى المزادتين ثم فتحت) بصيغة المجهول ولا يبعد ان يكون بصيغة الفاعل (عزاليها) بفتح العين المهملة والزاى تثنية عزلاء وهوفمها الاسفل واللام مفتوحة وقيل هو جمع فاللام مكسورة (وامر الناس) وفى نسخة ثم امر الناس (فملأ وا اسقيتهم) جمع سقاء وهواناء من جلد يتخذ للماء (حتى لم يدعوا) بفتح الدال اى لم يتركوا (شيأ) اى من اوانيهم (الاملأ وه قال عمران) وفى نسخة وعن عمران بن حصين (ويخيل الى) بصيغة المضارع المجهول من التخييل وفى نسخة بصيغة الماضى المعلوم من التخيل اى وتصور عندى وتقرر فى ذهنى (انهما) اى المزادتين (لم تزدادا) وفى نسخة بصيغة الافراد اى كل واحدة منهما (الاامتلاء) بكسر التاء على المصدر به اى من زيادة البركة فى الكمية والكيفية (ثم امر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه ان يزودوها من زادهم زيادة على ماتوهمت انهم اخذوا من مزادتيها وفق مرادها (فجمع) بصيغة المفعول (للمرأة) وفى نسخة لها (من الازواد) جمع الزاد اى من جملتها (حتى ملأ) اى ذلك الزاد وفى نسخة ملأ وا (ثوبها وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اذهبى فانالم نأخذ من مائك شيأ) اى من كميته (ولكن الله سقانا) اى بسبب زيادة كيفيته ببركة اسمائه (وعن سلمة بن الاكوع) وفى نسخة وقال سلمة (قال النبى) وفى نسخة نبى الله (صلى الله تعالى عليه وسلم هل من وضوء) بفتح الواو اى أمعكم اوأعندكم اوأثم ماء وضوء (فجاء رجل باداوة) بكسر الهمزة اى اناء صغير من جلد يتخذ للماء (فيها نطفة) اى شئ يسير من الماء (فافرغها) اى صبها (فى قدح فتوضأنا كلنا) بالرفع توكيد لنا (ندغفقه دغفقة) بدال مهملة وغين معجمة ففاء فقاف اى نصبه صبا كثيرا (اربع عشرة مائة) بيان لقوله كلنا اى الف واربعمائة (وفى حديث عمر) كما رواه ابن خزيمة فى صحيحه والبيهقى والبزار عنه (فى جيش العسرة) اى الضيق والشدة وهى غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة وكانت فى نهار حر ووقت الثمار وكثرة ظلال الاشجار (وذكر) اى عمر رضى الله عنه (مااصابهم) اى المسلمين (من العطش) اى الشديد (حتى ان الرجل) بكسر الهمزة وتفتح (لينحر بعيره) بفتح اللام المؤكدة (فيعصر فرثه) اى مافى كرشه (فيشربه فرغب ابوبكر) اى مال وتوجه (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدعاء) اى امره اوفى حمله على الدعاء (فرفع يديه) اى ويدعو ربه ويتضرع لديه ويثنى عليه ويلتجئ اليه (فلم يرجعهما) من رجع المتعدى اى لم يرديديه بعدرفعهما اليه وفى نسخة فلم ترجعا من رجع اللازم اى لم تغير اليدان عن حالهما (حتى قالت السماء) اى امطرت فان القول يستعمل فى جملة من الفعل وقيل مالت وروى قامت بالميم اى اعتدلت بالسحاب اوقامت توجهها بالخيرات (فانسكبت) اى فانصب ماؤها بكثرة (فملأ واما معهم من آنية) اى جميع اوانيهم (ولم تجاوز) اى السماء المراد بها السحاب وفى نسخة بالتذكير اى ولم يتعد المطر (العسكر) ماانتهى عنهم بل كان السحاب كالظلة عليهم وفيه ايماء الى انه ما كان من القضايا الاتفاقية بل كان معجزة وكرامة خاصة لديهم (وعن عمرو بن شعيب) اى ابن محمد بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص اخرج له الائمة الاربعة (ان اباطالب قال للنبى صلى الله عليه وسلم وهوردیفه) جملة حالية تحتمل احتمالين خلافا للتلمسانى حيث جزم بان ضميرهو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمضاف لابى طالب والرديف الراكب من خلف (بذى المجاز) بفتح الميم والجيم وزاى فى آخره سوق عند عرفة من اسواق اهل الجاهلية (عطشت) بكسر الطاء قال الحلبى وهذا الحديث الذى ذكره القاضى هنامعضل ولااعلمه فى الكتب الستة والرواية عن ابى طالب معلوم مافيها انتهى وذكر الدلجى عن ابن سعد انااسحق بن يوسف الازرق ثنا عبد الله بن عوف عن عمرو هوابن دينار ان اباطالب قال كنت بذى المجاز ومعى ابن اخى يعنى نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت له عطشت (وليس عندى ماء) وروى عنده وروى معى وعندمثلث العين ذكره التلمسانى (فنزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى عن البعير (وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب) قال الدلجى الظاهران هذا كان قبل البعثة يعنى فيكون من الارهاصات ولايبعدان يكون بعد النبوة فهو من المعجزات ولعل فيه ايماء الى انه سيظهر نتيجة هذه الكرامات من بركة قدم سيد الكائنات فى اواخر الزمان قريب الالف من السنوات عين فى عرفات تصل الى مكة وحواليها من آثار تلك البركات هذا وابوطالب لم يصح اسلامه واماقول التلمسانى وروى اسلام امه باسناد صحيح وروى اسلام ابيه فمردود عليه كما بينت هذه المسئلة فى رسالة مستقلة ردا على السيوطى فى رسائله الثلاث (والحديث) اللام للجنس اى والاحاديث (فى هذا الباب كثيرة) اى غير ماذكر فى هذا الكتاب (ومنه الاجابة بدعاء

الاستسقاء وماجانسه) اى من انواع استجابة الدعاء

(فصل)

(ومن معجزاته تكثير الطعام) اى كمية اوكيفية (ببركته) اى بركة حصول وجوده اووصول يده (ودعائه) اى لربه مقرونا بثنائه (قال) اى المصنف (نا القاضى الشهيد ابوعلى رحمه الله تعالى) هوالحافظ ابن سكرة (حدثنا العذرى) بضم مهملة فسكون معجمة (ثنا الرازى ثنا الجلودى) بضم الجيم وتفتح (ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج) يعنى صاحب الصحيح (ثنا سلمة بن شبيب) بفتح الشين المعجمة وكسر الموحدة الاولى بعدها تحتية ساكنة وهوابوعبد الرحمن النيسابورى حجة اخرج له مسلم والاربعة مات سنة ست واربعين ومائتين بمكة (ثنا الحسن بن اعين) بفتح فسكون ففتحتين ثقة اخرج له الشيخان وابوداود والنسائى (ثنا معقل) بفتح الميم وكسر القاف صدوق تردد فيه ابن معين اخرج له مسلم وابوداود والنسائى (عن ابى الزبير) بالتصغير حافظ ثقة روى عنه مالك والسفيانان واخرج له مسلم والاربعة واخرج له البخارى مقرونا بقوله كان مدلسا واسع العلم (عن جابر ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه) اى يطلب طعاما منه لاهله (فاطعمه شطروسق شعير) الوسق بفتح الواو وتكسر ستون صاعا وشطر الشئ نصفه وهو بفتح اوله ولايصح كسره قال النووى والشطر هنامعناه شئ كذا فسره الترمذى (فمازال) اى ذلك الرجل السائل المستطعم منه عليه الصلاة والسلام (يأكل منه) اى من ذلك الطعام (وامرأته وضيفه) اى كذلك فهما مرفوعان اومعهما فهمامنصوبان ويروى وصيفه بواو فمهملة (حتى كاله) اى ليعرف نقصانه وكماله ويوجب اكتياله ما بين حاله ومآله ففنى بهذه الحركة وزالت عنه البركة (فأتى) اى الرجل (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) اى بانه كاله وجرب حاله (فقال لولم تكله) اى وماجربته (لاكلتم منه) اى كلكم طول عمركم (ولقام بكم) اى باودكم مدة بقائكم وفى هذا الحديث ان البركة اكثرما تكون فى المجهولات والمبهمات وكان الصوفية من هنا قالوا المعلوم شوم قيل والحكمة فى ذلك ان الكائل يكون متكلا على مقداره لضعف قلبه وفى تركه يكون متكلا على ربه والاتكال عليه سبحانه وتعالى مجلبة للبركة واما الحديث الآخر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فقالوا المراد ان يكيله عند اخراج النفقة منه لئلا يخرج اكثرمن الحاجة اواقل بشرط ان يبقى الباقى مجهولا ثم هذا الرجل هوجد سعيد بن الحارث وذلك انه استعان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى نكاح امرأة فالتمس النبى عليه الصلاة والسلام ماءأنه فلم يجدله فبعث ابارافع الانصارى واباايوب بدرعه فرهناها عند يهودى فى شطروسق من شعير فدفعه عليه الصلاة والسلام اليه قال فاطعمنا منه ثم اكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما ادخلناه كذا ذكره التلمسانى وهو خلاف ظاهرما حرره القاضى ويمكن الجمع بينهما (ومن ذلك) اى مما يدل على ماهنالك من تكثير الطعام ببركته ودعائه عليه الصلاة والسلام (حديث ابى طلحة المشهور) بالرفع صفة لحديث وهوالمروى فى الصحيحين عن انس فى قصته وابوطلحة هذا هوعم انس بن مالك زوج ام سليم انصارى نجارى خزرجى بدرى احد الفقهاء قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم صوت ابى طلحة فى الجيش خيرمن فئة ذكرانه قتل يوم حنين عشرين رجلا واخذ سلبهم روى عنه ابنه عبد الله وابن زوجته انس بن مالك (واطعامه) بالرفع (صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانين اوسبعين رجلا) وجزم مسلم فى روايته بثمانين رجلا (من اقراص) اى قليلة (من شعير جاء) وفى نسخة اتى (بها) اى بتلك الاقراص وفى نسخة به اى بماذكر (انس تحت يده اى ابطه) يعنى حال كون انس واضعا لها تحت ابطه من كمال قلتها (فامربها) اى بالاقراص او بفتها (ففتت) بضم الفاء وتشديد الفوقية الاولى مفتوحة اى فجعلت فتاتا والمعنى كسرها باصابعه وثردها وفى حديث اذاقل طعامكم فاثردوه (وقال فيها) اى فى حق الاقراص (ماشاء الله ان يقول) اى من ثناء ودعاء واسماء وامر بجيئ عشرة عشرة حتى اكل القوم كلهم الحديث بطوله قال النووى وانما اذن صلى الله تعالى عليه وسلم لعشرة عشرة ليكون ارفق بهم فان القصعة التى فت فيها تلك الاقراص لايتحلق عليها اكثرمن عشرة الابضرر يلحقهم لبعدها عنهم وقيل لئلا يقع نظر الكثير على الطعام اليسير فيزداد حرصهم ويظنون انه لايكفيهم فتذهب بركته ويحتمل ان يكون لضيق المنزل وهواقرب (وحديث جابر) اى ومن ذلك حديث جابر كما رواه البخارى عنه (فى اطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الخندق) اى زمن حفره وهو يوم الاحزاب (الف رجل من صاع شعير وعناق) بفتح اوله وهى الانثى من اولاد المعز مالم يتم لها سنة (قال جابر فاقسم بالله لاكلوا) اى منه (حتى تركوه) اى على حاله وفى اصل الدلجى لاكلوا حتى شبعوا غاية للاكل حتى تركوه غاية للشبع (وانحرفوا) اى مالوا الى حرف اى جانب وطرف والمعنى وانصرفوا (وان برمتنا) بكسر الهمزة حالية والبرمة بضم الموحدة هى القدر من حجر اومدر (لتغط) بفتح التاء وكسر الغين المعجمة وتشديد المهملة اى تغلى من حرارة النار تحتها حتى يسمع غطيطها وهوصوت غليانها

(كما هى) اى على هيئتها الاولى وماهيتها بكمالها كأنه لم يؤخذ منها شئ وما كافة مصححة لدخول الكاف على الجملة وهى مبتدأ والخبر محذوف اى مثل ماهى قبل ذلك (وان عجيننا ليخبز) اى كما هو وكل ذلك بعد ان شبعوا وتركوا وانصرفوا (وكان) اى وقد كان (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصق) اى بزق (فى العجين والبرمة وبارك) اى ودعا لهما بالبركة (رواه عن جابر سعيد بن ميناء) بكسر الميم ممدود او يقصر ويجر ولا يجر بناء على انه مفعال او فعلاء وحديث سعيد هذا عن جابر فى الصحيحين (وايمن) بفتح الميم عطف على سعيد وهو ايمن الحبشى المكى وامه ام ايمن حاضنة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاته اخو اسامة بن زيد لامه استشهد يوم حنين وحديثه عن جابر فى الخندق اخرجه البخارى فى المغازى وزيد فى بعض النسخ الصحيحة ههنا بعد قوله ايمن (وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمهما) اى الراوى عنهما لكن جهالتهما لا تضر لكونهما صحابيين (قال) اى ثابت او كل من الرجل والمرأة (وجيء بمثل الكف) اى من العجينة (فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها) اى يدلكها ويوسعها (فى الاناء ويقول ماشاء الله) اى من الدعاء والثناء (فأكل منه من فى البيت والحجرة) بضم الحاء وتفتح ناحية قريبة من الدار (والدار) اى وما حولها من الفناء (وكان ذلك) اى المقام (قد امتلا ممن قدم معه صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك) اى المرام (وبقى) اى ذلك الطعام (بعد ما شبعوا امثل ما كان فى الاناء) اى سابقا ببركته عليه الصلاة والسلام (وحديث ابى ايوب) اى ومن ذلك حديث ابى ايوب بدرى مشهور وهو خالد بن زيد انصارى نجارى عقبى بدرى نزل عنده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى خروجه من بنى عمرو ابن عوف حين قدم المدينة فلم نزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفد على ابن عباس البصرة فقال انى اخرج لك عن مسكنى كما خرجت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن مسكنك واعطاه ما اغلق عليه ولما قفل اعطاه عشرين الفا وارابعين عبدا مرض فى غزوة القسطنطينية فقال اذا مت فاحملونى فاذا صففتم العدو فادفنونى تحت ارجلكم فدفن عند باب القسطنطينية فقبره مع سورها فقال مجاهد فكانوا اذا محلوا كشفوا عن قبره فيمطرون وحديثه هذا رواه الطبرانى والبيهقى عنه (انه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولابى بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما) بضم الزاى اى مقدار ما يشبعهما وفيه اشعار بكمال اختصاصهما (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار) خصهم بالدعوة كى يسلموا بالالفة ومشاهدة المعجزة اذ كان ذلك اول الهجرة وسماهم انصار العلمه بانهم يسلمون على يديه وينصرون دينه (فدعاهم فاكلوا حتى تركوا) وفى نسخة تركوه اى الاكل او الطعام والثانى اظهر فى المرام لقرينة المقام واقوله (ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك) اى فدعاهم فاكلوا حتى تركوه (ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم) اى اظهر الاسلام او ثبت على ذلك المرام قال التلمسانى فى الاصل هكذا الا حتى اسلم وصوابه حتى اسلم (وبايع) اى على الجهاد ونصرته عليه الصلاة والسلام لما شاهد المعجزة فى بركة ذلك الطعام (قال ابو ايوب فاكل من طعامى مائة وثمانون رجلا) وكان عشرين اكو ابعد المائة والستين (وعن سمرة بن جندب) بضم الجيم والدال وتفتح وحكى بكسرهما وكان الاظهر ان يقول وحديث سمرة بن جندب وهو ما رواه الترمذى والبيهقى وصححاه والنسائى عنه ولفظه (اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جيء (بقصعة) بفتح القاف لا بكسر (فيها لحم فتعاقبوها) اى تناوبوا فى تناولها الصحابة جماعة بعد جماعة (من غدوة) بضم فسكون فقتحتين لانها معرفة (حتى الليل) اى الى آخره سار تلك الغدوة مع اخذ بعض الوقت من العشية (يقوم قوم ويقعد آخرون) جملة مستأنفة مبينة للتعاقب والمناوبة فلا ينافى ما قال التلمسانى هكذا فى الاصل والمعروف من حديث سمرة من غدوة الى الظهر وقال فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن اى شئ تعجب ما كان يمد الا من ههنا واشار الى السماء (ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن ابى بكر) على ما فى الصحيحين عنه (كنا عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثين) اى رجلا (ومائة) اى رجلا وهو لغة فى مائة وثلاثين (وذكر) اى عبد الرحمن (فى الحديث) اى فى حديثه هذا (انه عجن صاع) من طعام بصيغة المفعول وفى نسخة عجن صاعا (من طعام وصنعت شاة) بصيغة التأنيث للمجهول ويحتمل المتكلم على بناء الفاعل وفى اصل الدلجى وصنع شاة اى فرغ من شأنها وهذا ايجاز بليغ اذ بسطه ان يقول وذبحت وسلخت وقطعت وهذا من كمال صانعه اذ العادة ان يعجز واحد عن القيام بامورها كلها فقد روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى بعض اسفاره يأمر باصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله على ذبحها وقال آخر على سلخها وقال آخر على طبخها فقال عليه الصلاة والسلام وعلى جمع الحطب فقالوا انا نكفيك فقال قد علمت انكم تكفونى ولكنى اكره ان اتميز عنكم لان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين اصحابه وقام عليه الصلاة والسلام وجمع الحطب فى ذلك المقام

(فشوى سواد بطنها) على بناء المفعول ويحتمل الفاعل والمراد بسواد بطنها كبدها خاصة او مع البقية مما فى جوفها واختاره الهروى والنووى الاول وخص الكبد لانه اصل الحياة وقيل القلب (قال) وفى نسخة ثم قال اى عبد الرحمن (وايم الله) بهمزة وصل او قطع وضم الميم ويكسر وهو من الفاظ القسم كعمر الله وعهد الله واصله وايمن الله كما فى نسخة وهو جمع يمين والمعنى اقسم ببركة الله وقدرته وقوته (ما من الثلاثين ومائة) اى احد (الا وقد حز له) بفتح الحاء وتشديد الزاى (حزة) بفتح الحاء وتضم اى قطع له قطعة من سواد بطنها قال الحلبى قوله حزة بفتح الحاء فى النسخة التى وقفت عليها ولا اعرفها واحفظها الا بالضم وهى القطعة المحزوزة واما بالفتح فالمرة من الحز وليست المراد هنا انما المراد القطعة انتهى ولا يخفى ان الظاهر ان المرة من الحز هو المراد فى هذا المقام والله تعالى اعلم بالمرام ثم رأيت الشمنى جوز الوجهين فتم النظام (ثم جعل) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (منها) اى من لحم الشاة وما معه من الطعام (قصعتين) اى جفنتين كبيرتين (فاكلنا اجمعون وفضل) بفتح الضاد فى الماضى وضمها فى المستقبل وبكسرها فى الماضى وفتحها فى المضارع اى وزاد (فى القصعتين) وقيل الاول من الفضل فى السؤدد والثانى من الفضلة وهى بقية الشئ وقد سوى بينهما الجوهرى حيث قال فضل منه شئ مثل دخل يدخل وفيه لغة اخرى مثل حذر يحذر (فحملته) اى ذلك الزائد (على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن ابى عمرة الانصارى عن ابيه) اى ابى عمرة وهو انصارى بدرى له حديث فى بركة الطعام فى بعض غزواته عليه الصلاة والسلام رواه عنه ابنه عبد الرحمن قال ابن المنذر قتل ابو عمرة مع على رضى الله عنه بصفين اخرج له النسائى فقط كذا قرره الحلبى وقال الدلجى حديثه هذا رواه ابن سعد والبيهقى عنه انتهى وليس بينهما تناف اذ حصر الاول بالنسبة الى صحاح الستة وهما خارجان عنهم البتة (ومثله) اى مثل مروى عبد الرحمن (لسلمة بن الاكوع وابى هريرة) كما رواه البخارى عنهما (وعمر بن الخطاب) كما رواه ابو يعلى بسند جيد عنه (فذكروا) اى هؤلاء الثلاثة (مخمصة) بفتح الميمين اى مجاعة شديدة (اصابت الناس مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد) جمع الزاد والباء زائدة كما فى نسخة اى فطلبها ليبرك فيها فتكثر كميتها او كيفيتها (فجاء الرجل بالحثية من الطعام) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة فتحتية اى باليسير منه ويكون قدر الغرفة وفى نسخة بضم الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة فنون فتاء وهى ما يحمل فى الحضن (وفوق ذلك) اى فى الكثرة او القلة (واعلاهم) اى فى الزيادة (الذى يأتى بالصاع من التمر فجمع على نطع) بكسر النون وفتحها مع سكون الطاء وبفتحتين وكعنب بساط من الاديم كذا فى القاموس وقال الحلبى تلميذه افصحهن كسر النون وفتح الطاء انتهى وتبعه الشمنى وهو خلاف ما يتبادر من عبارة القاموس وكذا هو على خلاف ما هو المشهور على السنة العامة من فتح النون وسكون الطاء مع انه اخف انواع هذه اللغة هذا وقد وقع فى اصل الدلجى فجعله باللام بدل فجمعه بالميم فاحتاج لقوله اى ما جمع من الازواد والظاهر انه تصحيف والله تعالى اعلم بالمراد (وقال سلمة فحزرته) بفتح الحاء المهملة والزاى فسكون الراء اى خمنته وقدرته (كربضة العنز) بفتح الراء وسكون الموحدة فمعجمة وقيل بكسر الراء وصوب لانه للهيئة والفتح للمرة اى مثل جثتها اذا بركت والعنز هى الانثى من المعز واشار سلمة بهذا الى قلة التمر (ثم دعا الناس) اى طلبهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (باوعيتهم) الاوعية والازودة واحد وقوله فى نص الحديث حتى ملأ القوم ازودتهم قال القاضى فى الاكمال كذا الرواية فيه فى جميع اصول شيوخنا والازودة هى الاوعية كما قال فى الحديث الآخر اوعيتهم (فما بقى فى الجيش وعاء) بكسر الواو اى ظرف واناء (الا ملأوه وبقى منه) اى قدر ما جعل كما فى نسخة اى جمع اولا (واكثر) اى وقد يقال اكثر (ولو ورده اهل الارض لكفاهم) اى لما فيه من خير كثير ولعل هذا معنى قوله تعالى بقية الله خير لكم (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما روى ابن ابى شيبة والطبرانى فى الاوسط بسند جيد انه قال (امرنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان ادعو له) اى اطلب انا لاجله (اهل الصفة) بالضم والتشديد اى من فقراء المهاجرين وكانوا كثيرين ممن لم يكن له منزل فأووا موضعا مظللا من مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم فعن ابن سعد بسنده الى ابى هريرة قال رأيت ثلاثين رجلا من اهل الصفة يصلون خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس عليهم اردية ثم قال ابو الفتح اليعمرى منهم ابو هريرة وابو ذر وواثلة بن الاسقع وفى صحيح البخارى من حديث ابى هريرة لقد رأيت سبعين من اهل الصفة وقد عد من اهل الصفة ابو نعيم فى الحلية مائة ونيفا فيهم ابو هريرة وابن الاسقع واصحاب بئر معونة وفى عوارف المعارف للسهروردى انهم كانوا نحو اربعمائة والله تعالى اعلم وعد منهم سعد ابن ابى وقاص وعمار بن ياسر وعقبة بن عامر وسلمان وبلال وصهيب وحذيفة وغيرهم قال فى نظم الدرر واهل الصفة اضياف الاسلام لا يأوون على اهل ولا مال ولا على احد اذا اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيأ واذا اتته هدية ارسل اليهم واشركهم فيها وقال صاحب الكشاف اصحاب الصفة كانوا نحو

اربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم يكن لهم مسكن فى المدينة ولا عشيرة كانوا فى صفة المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن كان عنده فضل طعام اتى بهم اذا امسى (فتتبعتهم) بتشديد الموحدة اى فتفحصتهم (حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة) اى قصعة مبسوطة (فاكلنا منها ما شئنا وفرغنا وهى مثلها حين وضعت) يعنى انها ما زادت ولا نقصت (الا ان فيها اثر الاصابع) اى اصابع الآكلين فانها زادت (وعن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه) كما رواه احمد والبيهقى بسند جيد انه (قال جمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا اربعين) اى رجلا (منهم قوم) اى بعض (يأكلون الجذعة) اى الشاة الجذعة وهى بفتح الجيم وسكون الذال المعجمة الداخلة فى السنة الثانية اذا كانت من المعز وما اتى عليه ثمانية اشهر من الضان قيل والمراد بها هنا الابل كما ورد مفسرا فى بعض الاحاديث وهو منها ما يدخل فى الخامسة او الرابعة (ويشربون الفرق) بفتح الفاء والراء وتسكن مكيال يسع ثلاثة آصع بكيل الحجاز وقيل اناء يسع اثنى عشر صاعا بصاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك ستة عشر رطلا (فصنع لهم مدا من الطعام) اى قدر مد وهو بضم الميم مكيال وهو رطلان او رطل وثلث او ملء كفى الانسان المعتدل اذا ملأهما ومد يده بهما وبه سمى مدا قال صاحب القاموس وقد جربت ذلك فوجدته صحيحا (فاكلوا) اى منه (حتى شبعوا وبقى كما هو) اى كان لم يؤكل شئ منه (ثم دعا بعس) بضم عين وتشديد سين مهملتين قدح كبير من خشب يروى الثلاثة والاربعة من لبن (فشربوا حتى رووا) بضم الواو (وبقى كأنه لم يشرب منه) اى شئ (وقال انس) اى على ما رواه الشيخان واللفظ لمسلم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى) اى تزوج ودخل (بزينب) اى بنت جحش قال الحلبى المعروف ان مثل هذه القصة اتفقت فى بنائه بصفية وفى شرح مسلم للمصنف ان الراوى ادخل قصة فى قصة وقال بعضهم فى حديث الصحيح يحتمل انه اتفق الشيئان يعنى الشاة والحيس (امره) اى انسا (ان يدعو له قوما سماهم) اى جماعة منهم باسمائهم وخصهم ثم عمهم بعطف غيرهم حيث قال (وكل من لقيت) اى فدعوتهم (حتى امتلأ البيت والحجرة) وهى موضع منفرد عنه وقيل يريد بالبيت الصفة وهكذا جاء مفسرا فى حديث انس الآتى فى آخر هذا الفصل وهو قوله تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصنعت ام سليم حيسا الى قوله حتى ملأوا الصفة والحجرة الحديث وكانت لكل واحدة من نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم حجرة هى بيتها (فقدم) وفى نسخة وقدم (لهم تورا) بفتح الفوقية اناء من صفر او حجارة كالاجانة وهى التى تسمى مركنا طستا او سطلا وقيل كان (فيه قدر مد من تمر جعل حيسا) اى بضم سمن واقط اليه وربما يجعل عوضا عن الاقط دقيق او فتيت او سويق (فوضعه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قدامه) اى بين يديه (وغمس ثلاث اصابعه) اى فيه (وجعل القوم) اى شرعوا (يتغدون) بتشديد الدال المهملة المفتوحة من الغداء وهو خلاف العشاء وفى نسخة بالذال المعجمة وهو ما يؤكل اعم من العشاء والغداء قال الحلبى فى النسخة التى وقفت عليها بالذال المعجمة وهو غير مناسب لان الغذاء بكسر الغين وبالذال المعجمتين اعم من الغداء بفتح الغين وبالدال المهملة وفى صحيح مسلم فدعا الناس بعد ارتفاع النهار فذكر القصة وفيه ايضا من حديث اطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار اى ارتفع وهذا صريح فى ان ذلك كان فى صدر النهار يعنى فيناسب الدال المهملة لكن فيه ان المعنى الاخص مندرج فى المعنى الاعم والله تعالى اعلم (ويخرجون) اى حتى خرج آخرهم (وبقى التور) اى بما فيه (نحوا مما كان) وهو تمييز لنسبة بقى او حال من التور (وكانوا) وفى نسخة وكان القوم (احدا واثنين وسبعين) وفى اصل الدلجى احدا وثلاثين او اثنين وسبعين (وفى رواية اخرى فى هذه القصة) اى قصة وليمة زينب (او مثلها) اى او فى مثل هذه القصة وهى قصة وليمة صفية (ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة) بضم الزاى اى قدرها (وانهم اكلوا حتى شبعوا) بكسر الباء (وقال لى) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان شبعوا (ارفع) اى التور وفى اصل التلمسانى لترفع بلام الامر وتاء المخاطب وهو قليل ومنه قوله تعالى فبذلك فلتفرحوا فى قراءة شاذة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لتأخذوا مصافكم هذا وعن ابن عمر مرفوعا اذا وضعت القصعة فليأكل احدكم مما يليه ولا يتناول من ذروة القصعة فان البركة تأتيها من اعلاها ولا يقوم الرجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وان شبع حتى يرفع القوم وليعذر فان ذلك يخجل جليسه ولعله يكون له بالطعام حاجة رواه يحيى ابن ابى كثير عن عروة عن ابن عمر رفعته (فلا ادرى) وفى اصل الدلجى فما ادرى (حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت) بصيغة التانيث على بناء المجهول فيهما ولعل التانيث باعتبار معنى التور من الاجانة ونحوها ولا يبعد ان يكون بصيغة الفاعل للمتكلم على ان المفعول محذوف والتقدير وضعته ورفعته واقول بل حين رفعت لحصول البركة وتعلق المعجزة حين رفعها بخلاف حال وضعها (وفى حديث جعفر) اى الصادق (ابن محمد) اى الباقر

(عن ابيه) اى ابى جعفر محمد (عن على) اى ابن ابى طالب جد والد محمد وهو زين العابدين على بن الحسين بن على كذا رواه ابن سعد منقطعا لان محمدا ووالده لم يدركا عليا فقول الحلبى رواية الباقر عن على مرسلة فيه نوع مسامحة (ان فاطمة طبخت قدرا) اى طعام قدر او ذكرت المحل وارادت الحال (لغدائهما) بفتح الغين المعجمة والدال المهملة (ووجهت عليا) اى ارسلته (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى اصل التلمسانى فى النبى اى فى طلبه والتوجه اليه او فى بمعنى الى (ليتغدى معهما) اى فجاءها (فامرها فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة) وهن كن تسعا عائشة وحفصة وزينب وام حبيبة وام سلمة وسودة وميمونة قرشيات وصفية قرظية وجويرية مصطلقية (ثم له عليه الصلاة والسلام ثم لعلى ثم لها) اى ولاولادها او لمن كان معها (ثم رفعت القدر وانها لتفيض) بفتح الفوقية اى لتفور وتسيل من جوانبها (قالت) اى فاطمة (فاكلنا) وفى نسخة ما كلنا (منها ما شاء الله) اى ان نأكل منها (وامر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عمر بن الخطاب ان يزود) بتشديد الواو المكسورة اى يعطى الزاد (اربعمائة راكب من احمس) بفتح الهمزة والميم اسم رجل نسب اليه قبيلة معروفة والحماسة الشجاعة والشدة فى الديانة ولذا سميت قريش الحمس لتشددهم فى دينهم وذلك انهم كانوا ايام منى لا يستظلون ولا يدخلون البيوت من ابوابها وفى رواية اربعمائة راكب من مزينة وهى قبيلة من مضر (فقال يا رسول الله ما هى الا اصوع) بضم الواو جمع صاع قال الجوهرى وان شئت ابدلت من الواو المضمومة همزة وفى نسخة آصع بهمزة ممدودة وصاد مضمومة قال ابن قرقول وجاء فى كثير من الروايات آصع والصواب اصوع (فقال اذهب) اى فزودهم منه (فذهب فزودهم منه وكان) اى الذى اعطاهم (قدر الفصيل) اى ولد الناقة اذا فصل عن امه اى فطم (الرابض) بكسر الموحدة اى الحقير او البارك (من التمر وبقى) اى التمر بعد تزويدهم منه (بحاله) اى كأن لم يؤخذ منه شئ (من) اى هذا الحديث من (رواية دكين) بالتصغير واوله دال وقيل راء (الاحمسى) رواها ابو داود فى الادب الا انه قال عن دكين بن سعيد المزنى قال اتينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسألناه الطعام اى الزاد فقال يا عمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا الى علية بضم العين وتشديد اللام المكسورة فتحتية مشددة اى غرفة فاخذ المفتاح من حجزته بالزاى ففتح اى فاعطانا ما اعطانا قال الحلبى يقال له الاحمسى والمزنى والخثعمى له صحبة وليس له فى الكتب الا فى سنن ابى داود وليس له فيه الا هذا الحديث وهو مختصر منه (ومن رواية جرير) يعنى ايضا (ومثله من رواية النعمان) بضم النون (ابن مقرن) بتشديد الراء المكسورة وقيل بالسكون والتخفيف احمسى ايضا اسلم مع اخوته الستة وقال السهيلى بنو مقرن المزنى هم البكاؤون الذى نزل فيهم قوله سبحانه وتعالى ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم الآية (الخبر) بالرفع اى الحديث هذا (بعينه) اى من غير زيادة ونقصان فيه على ما رواه احمد والبيهقى بسند صحيح عنه (الا انه قال) اى النعمان (اربعمائة راكب من مزينة) اى كما مر عن ابى داود هذا والخبر مرفوع على انه خبر ومثله مبتدأ وابعد الدلجى بقوله منصوب باعنى (ومن ذلك) اى من قبيل تكثير الشئ ببركة دعائه وعظمة شانه (حديث جابر فى دين ابيه بعد موته) كما رواه البخارى عنه (وقد كان) اى جابر (بذل لغرماء ابيه اصل ماله) اى اراد ان يبذل لهم او عرض عليهم ورضى لهم ان يأخذوا جميع ماله وبذل بالمعجمة اى اعطى واما بالمهملة فبمعنى العوض (فلم يقبلوه) اى استحقارا لاصل ماله لعدم الوفاء بكماله كما بينه بقوله (ولم يكن فى ثمرها) اى ثمر البساتين المعبر عنها باصل ماله او ثمر نخيل جابر او ابيه بكماله (كفاف دينهم) بفتح الكاف اى وفاء لادائه قال الدلجى ومنه قول الحسن ابدأ بمن تعول ولا تلام على كفاف اى اذا لم يكن عندك كفاف فلا تلام على عدم اعطائه انتهى والكفاف قوت الرزق والاظهر ان المعنى فلا تلام على تحصيل ما يكفيك من المال عن السؤال وتشتت البال ثم صدر الكلام وهو قوله ابدأ بمن تعول من حديثه عليه الصلاة والسلام كما رواه الطبرانى عن حكيم بن حزام (فجاءه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان امره) اى جابرا (بجدها) بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة اى بقطع ثمرها (وجعلها بيادر فى اصولها) بفتح الموحدة وكسر الدال المهملة جمع بيدر اى جعلها كومات تحت نخيلها (فمشى فيها) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ودعا) اى بالبركة فيه (فاوفى) اى اعطى (منه جابر غرماء ابيه وفضل) تقدم الكلام عليه وقال التلمسانى تثلث ضاده والكسر اعلى اى زاد (مثل ما كانوا يجدون) بضم الجيم وكسرها وتشديد الدال المهملة اى يقطعون (كل سنة وفى رواية مثل ما اعطاهم) اى فضل (قال) اى جابر (وكان الغرماء يهود) خبر كان غير منصرف علم طائفة من اليهود (فعجبوا) بكسر الجيم اى فتعجبوا (من ذلك) اى لما عظم موقعه عندهم مع خفاء سببه اذ هو شان العجب وسبب تعجبهم هو وفاء دينهم الكثير من الشئ اليسير مع زيادته بدعائه وبركته فان هذا وامثاله مما ذكر سابقا ولاحقا من اعلى المعجزات واعظم الكرامات (قال ابو هريرة) على ما رواه البيهقى عنه (اصاب الناس مخمصة) اى مجاعة شديدة (فقال لى رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم هل من شئ) اى هل عندك بعض شئ فمن تبعيضية لا زآئدة كما قاله الدلجى ثم تنكير شئ للتقليل فيفيد المبالغة فى المطالبة ولو بشئ يسير او قدر حقير (قلت نعم) اى عندى (شئ) اى قليل (من التمر فى المزود) بكسر الميم وفتح الواو وعاء من جلد يجعل فيه الزاد (قال فائتنى به) اى فاتيته به (فادخل يده فاخرج قبضة) بفتح القاف اى مرة من القبض بمعنى مقبوضة كالغرفة بمعنى المغروفة وهى مأخوذة من القبض وهو الاخذ بجميع الكف و بالضم اسم للشئ المقبوض كالغرفة بالضم بمعنى المغروف والرواية بالفتح كما ذكر الحجازى وهو ملء الكف قال الحلبى و يفتح ايضا ويؤيده ما فى القاموس القبضة وضمها اكثر ماقبضت عليه من شئ هذا وفى نسخة بالصاد المهملة ففى القاموس قبصه تناوله باطراف اصابعه وذلك المتناول القبصة بالفتح والضم والقبصة من الطعام ماحملت كفاك ويضم انتهى ولا يخفى ان هذا المبنى ابلغ فى المعنى (فبسطها) اى يده (ودعا بالبركة) اى لمافيها (ثم قال ادع عشرة) اى فدعوتهم (فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة) بالنصب اى دعوتهم (كذلك) على ما فى نسخة اى فاكلوا حتى شبعوا وهكذا بقية من هنالك (حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا) اى وتركوا فضلهم وقد سبقت الحكمة فى الاقتصار على العشرة فى الجفنة وقيل خصت العشرة لان لها فضلا حيث ان الله تعالى اقسم بها وفى العشر ليلة القدر وفيها ليلة النحر وفيها يوم عاشورآء وقال تعالى واتممناها بعشر وقال تلك عشرة كاملة (وقال) وفى نسخة قال وفى نسخة ثم قال اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (خذ ما جئت به) اى مع الزيادة الحاصلة من البركة (وادخل يدك) اى فيه (واقبض منه) بكسر الموحدة (ولا تكبه) بفتح التاء وضم الكاف وتشديد الموحدة المفتوحة وقد تضم اى لا تقلبه (فقبضت) اى فاخذت (على اكثر ما جئت به فاكلت منه واطعمت) اى غيرى ايضا (حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مدة حياته (وابى بكر وعمر الى ان قتل عثمان) وهو عام خمس وثلاثين (فانتهب منى) بصيغة المجهول اى سلب (فذهب) اى فاستمر غائبا عنى فى المكان ولعل فقده حينئذ لفساد الزمان (وفى رواية) اى حسنة للترمذى (لقد) وفى نسخة فقد (حملت من ذلك التمر كذا وكذا) كناية عن تعدد مقدار ما حمله (من وسق فى سبيل الله عز وجل وذكرت مثل هذه الحكاية فى غزوة تبوك) اى من الرواية (وان التمر) بكسر الهمزة والجملة حالية (كان بضع عشرة تمرة) وروى بضعة عشر والاول اولى (ومنه) اى ومن تكثير الطعام ببركة دعائه عليه الصلاة والسلام (ايضا) كما فى نسخة اى كما وقع مكررا فى مقام المرام (حديث ابى هريرة) كما رواه البخارى (حين اصابه الجوع) يعنى اباهريرة (فاستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم) اى فامره ان يتبعه فتبعه (فوجد) اى النبى او ابو هريرة (لبنا) اى قليلا (فى قدح) اى صغير (قد اهدى اليه) اى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وامره) اى اباهريرة (ان يدعوا اهل الصفة) اى بقيتهم اليه (قال) ابو هريرة رضى الله تعالى عنه (فقلت) اى فى نفسى (ماهذا اللبن) اى ما تأثيره (فيهم) والاستفهام بمعنى النفى اى لا يغنى من شبعهم شيأ (كنت) اى انا وحدى (احق ان اصيب منه شربة) اى مرة واحدة واغرب التلمسانى فى قوله بضم الشين (اتقوى بها) يعنى ولعلها تكفينى ام لا ومع هذا امتثلت الامر (فدعوتهم) اى فحضروا (وذكر) اى ابو هريرة (امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له ان يسقيهم) بفتح الياء الاولى وضمها ولفظ الدلجى وامرنى ان اسقيهم ولعله نقل بالمعنى وتغيير فى المبنى (فجعلت) اى شرعت (اعطى الرجل فيشرب حتى يروى) بفتح الياء والواو (ثم يأخذه الآخر) اى فيشرب (حتى) يروى وهكذا حتى (روى جميعهم) بكسر الواو ولفظ الدلجى حتى رووا جميعهم بضم الواو على صيغة الجمع (قال) اى ابو هريرة (فاخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم القدح) اى قدح اللبن (وقال بقيت انا) تأكيد لضمير بقيت ليصح عليه عطف قوله (وانت) نحو قوله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة (اقعد) امر ادب (فاشرب فشربت ثم قال اشرب) اى فشربت كما فى اصل الدلجى (ومازال يقولها) اى كلمة اشرب (واشرب حتى قلت لا) اى لا اشرب او لا اقدر على زيادة الشرب (والذى بعثك بالحق) اى الى كافة الخلق (ما اجد) وفى نسخة صحيحة لا اجد (له مسلكا) اى مساغا وهو يحتمل ان يكون جوابا للقسم او مستأنفا مبينا لامتناعه كأنه علة له (فاخذ) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (القدح فحمد الله) اى على ما منحه من البركة (وسمى وشرب الفضلة) اى البقية وفيه ايذان بان افضل القوم يكون آخرهم شربا ذكره الدلجى وفى الحديث ساقى القوم آخرهم شربا رواه الترمذى وابن ماجه عن ابى قتادة وغيرهما عن غيره وفيه تنبيه ايضا على وجه حكمة تأخير ابى هريرة عن القوم مع الايماء الى وجه اختيار الايثار لا سيما حال المخمصة والاضطرار والله تعالى اعلم بهذه الاسرار وعن عبد الله بن الحارث عن ابيه عن ابى عبد الرحمن السلمى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتخذوا عند الفقرآء ايادى فان لهم دولة قيل يارسول الله وما دولتهم قال ينادى يوم القيامة يا معشر الفقرآء قوموا فلا يبقى فقير الا قام حتى اذا اجتمعوا قيل ادخلوا الى

صفوف اهل القيامة فمن صنع معكم معروفا فاوردوه الجنة قال فجعل يجتمع على الرجل كذا وكذا من الناس فيقول له الرجل الم اكسك فيصدقه و يقول الآخر يا فلان الم اكلم لك فلانا فلا يزال يخبرونه بما صنعوا اليه وهو يصدقهم حتى يذهب بهم جميعا حتى يدخلهم الجنة فيبقى قوم لم يكونوا يصنعون المعروف فيقولون ياليتنا كنا نصنع المعروف حتى ندخل الجنة وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان ممن كان قبلكم ملك مسرف على نفسه وكان مسلما واذا اكل طعامه طرح ثفالة طعامه على مزبلة فكان يأوى اليها عابد فان وجد كسرة اكلها وان وجد بقلة اكلها وان وجد عرقا تعرقه قال فلم يزل كذلك حتى قبض الله ذلك الملك فادخله النار فخرج العابد الى الصحرآء مقتصرا على بقلها ومائها ثم انه سبحانه وتعالى قبض ذلك العابد فقال له هل لاحد عليك معروف تكافئه قال لا يارب قال فمن اين كان معاشك وهو اعلم به منه قال كنت آوى الى مزبلة ملك فان وجدت كسرة اكلتها وان وجدت بقلة اكلتها وان وجدت عرقا تعرقته فقبضته فخرجت الى البرية مقتصرا على بقلها ومائها فامر الله تعالى ان خذ بيده فادخله الجنة من معروف كان منه اليك وهو لم يعلم به اما انه لو علم به ما ادخلته النار (وفى حديث خالد بن عبد العزى) اى ابن سلامة الخزاعى له صحبة روى عنه ابنه مسعود الا ان حديثه ليس فى الكتب الستة على ما فى التجريد كما ذكره الحلبى وقال الدلجى حديثه هذا رواه البيهقى عنه (انه اجزر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اعطاه (شاة) اى تصلح للجزر وهو الذبح ولا تكون الا من الغنم فلا يقال اجزرت القوم ناقة لانها قد تصلح لغير الذبح اذ نزل عليه بالجعرانة وظل عنده وامسى ثم بدت له صلى الله تعالى عليه وسلم العمرة فارسل الى رجل من تهامة يقال له محرش بن عبد الله ليأخذ به طريقا الى مكة يأمن فيه على نفسه لخوفه من دخولها وحده فانحدر به الى الوادى حتى بلغا الشعاب قال يا محرش من هذا المكان الى الكروما والاه فهو لخالد ومابقى من الوادى فهو لك ثم سار به حتى قضى نسكه واحله محرش اى حلقه ثم رجعا الى خالد (وكان عيال خالد) بكسر العين اى من يعوله (كثيرا) اى عددهم (يذبح الشاة) حال او استئناف مبين لكثرتهم واللام فى الشاة للجنس فهو فى حكم النكرة اى قد يذبح خالد شاة (فلا تبدّ عياله) بضم الفوقية وكسر الموحدة وتشديد الدال المهملة من بدّ الشئ وابده فرقه واعطى كل واحد بدته اى نصيبه على حدته قال الهروى وفى الحديث اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا اى متفرقين واحدا بعد واحد والمعنى لا تكفى الشاة كلهم اذا فرقت عليهم (عظما عظما وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر الهمزة جملة حالية (اكل من هذه الشاة) اى التى اجزرها اياه (وجعل فضلتها) اى بقيتها (فى دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر) بفتح الموحدة فضم المثلثة بعدها رآء اى كثر (ذلك لعياله) وفى نسخة صحيحة بالنون والمثلثة المفتوحتين اى انتثر ذلك لعياله حتى وسعهم وقيل اى صبه واخرجه ورمى به (فاكلوا وافضلوا) اى ودخلوا فى زيادة البركة (ذكر خبره الدولابى) بضم الدال المهملة انصارى رازى سمع محمد بن بشار وغيره من طبقته بالحرمين والعراق ومصر والشام وغيرها وصنف التصانيف وروى عنه ابن ابى حاتم وابن عدى والطبرانى وغيرهم قال الدارقطنى تكلموا فيه وما تبين فى امره الا خير توفى بين مكة والمدينة بالعرج فى ذى القعدة سنة عشر وثلثمائة هذا وقد قال ابن ماكولا فى الاكمال ما لفظه واما خناش اوله خاء معجمة مضمومة و بعدها نون وآخره شين معجمة فهو ابو خناش خالد بن عبد العزى فى الصحابة ذكره ابو بشر الدولابى فى كتاب الاسماء والكنى بسنده الى ان قال عن مسعود بن خالد عن خالد ابن عبد العزى بن سلامة انه اجزر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اكل منها ثم قال ارنى دلوك يا ابا خناش ووضع فيها فضلة الشاة ثم قال اللهم بارك لابى خناش فانقلب به فنثره لهم وقال تواسعوا فيه فاكل عياله وافضلوا ذكره الحلبى (ومن حديث الآجرى) بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد رآء و بعده ياء نسبة صاحب كتاب الشريعة وهو ابو بكر محمد بن الحسين ابن عبد الله البغدادى منسوب الى عمل الآجر (فى نكاح النبى صلى الله عليه وسلم لعلى فاطمة) اى فى تزويجها له (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة) اى من دقيق خبز شعير او حنطة (وذبح جزور) اى بعير (لوليمتها) وفى نسخة ويذبح جزورا بصيغة المضارع وفى اخرى وبذبح جزور بمصدر مضاف (قال) اى بلال (فاتيته بذلك) اى فجئت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالذى امره ان يصنعه من القصعة (فطعن فى رأسها) اى فى اعلاها بيده لتنزل البركة عليه (ثم ادخل الناس) اى امرهم بالدخول عليه (رفقة رفقة) بضم الرآء وجوز تثليثها اى جماعة بعد جماعة (يأكلون منها) وفى نسخة صحيحة فأكلوا منها (حتى فرغوا) اى عنها (وبقيت منها فضلة) وفى نسخة فضلة منها اى بقية وزيادة (فبرك) بتشديد الرآء اى فدعا بالبركة (فيها وامر بحملها الى ازواجه) اى من النساء التسع (وقال) اى لهن بعد ارساله اليهن (كلن) اى بانفسكن (واطعمن من

غشيكن) اى انا كن وحضر عندكن فان البركة توافى كلكن (وفى حديث انس) كما رواه الشيخان (تزوج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعض نسائه) قال الحلبى تقدم ان هذا كان فى ابتنائه بصفية (فصنعت اى ام سليم) بالتصغير (حيسا) تقدم مبناه ومعناه (فجعلته فى تور) سبق كذلك (فذهبت) اى انا وفى نسخة فبعثتنى (به) اى بالتور (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضعه وادع لى فلانا وفلانا) اى كابى بكر وعمر خصوصا (ومن لقيت) اى من غيرهما عموما (فدعوتهم) اى المعينين جميعهم (ولم ادع) بفتح الدال اى ولم اترك (احدا لقيته) اى فى طريقى ذاهبا وآئبا (الادعوته وذكر) اى انس (انهم) اى المدعوين والمجتمعين لا كما قال الدلجى اى الذين دعاهم (كانوا زهاء ثلثمائة) اى مقدارهم تقريبا (حتى ملأوا الصفة والحجرة فقال لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تحلقوا) بفتح اللام المشددة اى استديروا كالحلقة المفرغة (عشرة عشرة) اى كل عشرة حلقة او كل حلقة عشرة (ووضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام) اى المسمى بالحيس الذى صنعته ام سليم وجاء به انس اليه عليه الصلاة والسلام (فدعا فيه) اى بما شاء الله من الدعاء (وقال ماشاء الله ان يقول) اى من اصناف الاسماء وانواع الثناء (فأكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لى ارفع) فرفعته (فما ادرى حين وضعت كانت اكثرام حين رفعت) بصيغة المجهول فيهما ولا يبعد ان يضبط بصيغة المتكلم المعلوم وتأنيث الضمير مع انه راجع الى التور باعتبار الآنية ووقع فى اصل الدلجى وضع ورفع بصيغة التذكير فيتعين كونهما للمفعول كما لا يخفى (واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة) اى التى اولها فصل نبع الماء من بين اصابعه (فى الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل) وفى نسخة حديث الفصل هذا ووقع فى اصل الدلجى حديث هذه الفصول (بضعة عشر) بكسر الباء وتفتح اى ثلاثة عشرا واكثر (من الصحابة) واما قول الجوهرى تقول بضع سنين وبضعة عشر رجلا فاذا جاوزت العشر لا تقول بضع وعشرون فهو منقوض بقوله عليه الصلاة والسلام صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ ببضع وعشرين درجة وبقوله فى حديث مسلم وغيره الايمان بضع وسبعون شعبة (رواه عنهم) اى روى معنى حديث هذا الفصل او هذه الفصول عمن ذكر من الصحابة (اضعافهم من التابعين ثم) اى بعدهم رواه عن اضعافهم منهم (من لا يعد) بصيغة المجهول اى لا يحصر وفى نسخة لا تعد (بعدهم) اى من تابعيهم (واكثرها) اى واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة (وردت فى قصص مشهورة) بكسر القاف اى حكايات مأثورة (ومجامع مشهودة) اى محضورة مما تقدم فيها (ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق) اى على وفق الصدق حذرا من التكذيب فى رواية منها (ولا يسكت الحاضر لها) اى المشاهد لها (على ما انكر منها) حذرا من ان ينسب اليه ما لا يليق بجنابه

(فصــــــل)

(فى كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال) اى المصنف (حدثنا احمد ابن محمد بن غلبون) بفتح فسكون فضم موحدة وهو منصرف وقد يمنع بناء على ان مطلق المزيدتين علة عدم الانصراف (الشيخ الصالح فيما اجازنيه) هذه لغة حكاها ابن فارس والمعروف اجازه لى ذكره الحلبى وغيره (عن ابى عمر) وفى نسخة ابى عمرو بالواو (الطلمنكى) بتشديد لام مفتوحة فميم مفتوحة ونون ساكنة (عن ابى بكر الهندى) بكسر الدال (عن ابى القاسم البغوى) بفتحتين وهو الحافظ الكبير المسند البغوى الاصل البغدادى ابن بنت احمد ابن منيع البغوى روى عن احمد بن حنبل عاش مائة وثلاث سنين وتوفى ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلثمائة وله ترجمة فى الميزان وقال فى آخرها وهذا الشيخ الحجازى يعنى به ابا العباس احمد بن الشحنة راوى صحيح البخارى وغيره بينه وبين البغوى اربعة انفس وهذا شئ لا نظير له فى الاعصار وذلك ان الحجازى توفى سنة ثلاث وسبعمائة فيكون بين وفاته ووفاة البغوى اربعمائة سنة وبضع عشرة (حدثنا احمد بن عمران الاخنسى) بفتح الهمزة وسكون المعجمة روى عنه ابن ابى الدنيا وغيره (ثنا ابو حيان) بتشديد التحتية (التيمى) وفيه ان الاخنسى لم يدركه على ما صرح به المزى ولعله اسقط محمد بن فضيل ويؤيده انه وجد فى نسخة صحيحة قبله ثنا محمد بن فضيل ويؤيده ما سيأتى مما ساق المصنف فى اول فصل فى الآيات فى ضروب الحيوانات حدثنا فى اسناده حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران ثنا محمد ابن فضيل الخ والله تعالى اعلم (وكان) اى ابو حيان (صدوقا) وقد روى عن ابى زرعة والشعبى وعنه يحيى القطان وابو اسامة اخرج له الائمة الستة (عن مجاهد) تابعى جليل (عن ابن عمر) وقد رواه الدارمى والبيهقى والبزار ايضا عنه (قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر فدنا) اى قرب (منه اعرابى) اى بدوى (فقال يا اعرابى اين تريد قال اهلى) اى اريد اهلى او اهلى اريدهم وفى نسخة الى اهلى اى مرادى التوجه اليهم (قال هل لك) اى ميل ورغبة (الى خير) اى من اهلك او خير محض لك فى حالك ومآلك (قال وما هو) اى ذلك الامر او الخير (قال تشهد) اى

ان تشهد اى شهادتك او خبر معناه امر اى اشهد (ان) مخففة من المثقلة حذف اسمها اى انه (لا اله) موجودا او معبودا او مشهودا (الا الله وحده) حال مؤكدة اى متوحدا او منفردا (لا شريك له) اى فى وحدانية ذاته وسبحانية صفاته (وان محمدا عبده ورسوله) الى كافة مخلوقاته (قال من يشهد لك على ما تقول) اى من دعوى التوحيد والرسالة (قال هذه الشجرة السمرة) بفتح فضم وهى بدل مما قبلها فانها من الطلح شجر عظام من العضاة له شوك كثير وظل يسير قالوا وهو شجر الصمغ العربى (وهى بشاطئ الوادى) اى طرفه وجانبه (فاقبلت) اى بمجرد قوله عليه الصلاة والسلام هذه الشجرة تشهد على حقية الاسلام وفى نسخة صحيحة فادعها فانها تجيبك وفى اخرى تجبك قال اى الاعرابى فدعوتها فاقبلت وهذا ابلغ فى قبول الاجابة والمعنى فشرعت الشجرة فى الاتيان اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (تخد الارض) بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة ومنه الاخدود وهو الشق فى الارض اى حال كونها تشق الارض وتسعى اليه على ساق بلا قدم (حتى قامت) اى وقفت كما فى نسخة (بين يديه فاستشهدها ثلاثا) اى طلب منها ان تشهد ثلاث مرات (فشهدت) اى ثلاثا (انه) اى الامر (كما قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام ان الله واحد لا شريك له وانه عبد الله ورسوله (ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة) بالتصغير وهو ابن الحصيب بن عبد الله الاسلمى اسلم حين مر به عليه الصلاة والسلام مهاجرا ثم قدم المدينة قبل الخندق وشهد الحديبية ومات بمدينة مرو بخراسان غازيا واما بريدة بن سفيان الاسلمى فلا صحبة له وان ذكره بعضهم فى الصحابة بل هو تابعى متكلم فيه كما رواه البزار عنه انه قال (سأل اعرابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية) اى علامة تكون معجزة دالة على صدق الرسالة (فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال) اى بريدة (فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها) اى من جهاتها كلها واضطربت فى مكانها وارتفعت فى شأنها متوجهة بجميع دواعيها الى داعيها (فتقطعت عروقها) اى المتعلقة باصولها (ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها) حالان متداخلان او مترادفان (مغبرة) بتشديد الراء او الباء (حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله) قال الدلجى لعله صلى الله تعالى عليه وسلم رد عليها السلام مكافأة لها والاوجه بل اذليست مكلفة انتهى وتعليله غير مستقيم كما لا يخفى (قال) وفى نسخة فقال (الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها) بكسر الموحدة سماعا وتفتح قياسا (فرجعت) اى بعد امره لها (فدلت عروقها) بتشديد اللام اى ارسلتها ومكنتها (فى ذلك) اى المكان قال التلمسانى الموضع سقط عند العرفى وثبت عند غيره (فاستوت) اى قائمة (فقال الاعرابى ائذن لى) يقرأ فى الوصل بسكون همزة الاصل وفى الابتداء بهمزة الوصل وابدال همزة الاصل بالياء اى مرنى (اسجد لك) جواب الامر وفى نسخة صحيحة ان اسجد لك (قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد) اى غير الله سبحانه وتعالى (لامرت المرأة ان تسجد لزوجها) اى لما عليها من حقوقه (قال فائذن لى) وفى نسخة فقال ائذن لى (اقبل) وفى نسخة ان اقبل (يديك ورجليك فأذن له) اى فقبلها (وفى الصحيح) اى صحيح مسلم (فى حديث جابر بن عبد الله) اى الانصارى كما فى نسخة وهما صحابيان جليلان (الطويل) نعت الحديث (ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقضى حاجته) كناية عن فعل الغائط او البول (فلم ير شيأ يستتر به) اى من عيون الانس والجن فتحير فى امره (فاذا بشجرتين) اى نابتتين او ثابتتين (بشاطئ الوادى) اى فى جانبه (فانطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ذهب (الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال) اى لها كما فى نسخة (انقادى على) اى استسلمى لى واطيعينى (باذن الله) اى بامره وتيسيره (فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده) اى يلاينه ويتقاد له وهو بالخاء والشينين المعجمات الذى جعل فى انفه خشاش وهو بالكسر عود يربط عليه حبل ويجعل فى انفه ويشد به الزمام لينقاد بسهولة ثم ان كان من شعر فهو خزامة او من صفر او حديد فهو برة بضم موحدة فتخفيف راء (وذكر) اى جابر (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فعل بالاخرى) اى من الشجرتين (كذلك) اى مثل ما فعل بالاولى (حتى اذا كان بالمنصف) بفتح الميم واسكان النون وفتح الصاد وتكسر اى وسط الطريق (بينهما) اى بين موضعيهما وهو بيان او تأكيد (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للشجرتين (التئما) اى اجتمعا وانضما (على باذن الله فالتأمتا وفى رواية اخرى) اى لمسلم وغيره (فقال يا جابر قل لهذه الشجرة) اى التى بشاطئ الوادى (يقول لك رسول الله الحقى) بفتح الحاء اى اجتمعى واتصلى (بصاحبتك) اى بنظيرتك وهى الشجرة التى فى مقابلتك (حتى اجلس خلفكما) اى فاقضى حاجتى مستترا بكما وفى اصل الدلجى حتى يجلس بناء على المعنى (ففعلت فرجعت) اى الشجرة عن حالتها التى كانت عليها وفى نسخة فزحفت بالزاى والحاء المهملة والفاء اى انتقلت من محلها (حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما) الظاهر ان القضية متكررة وان الشجرة الواحدة ما كانت تصلح ان تكون سترة (فخرجت احضر) بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر المعجمة اى

اعدو واجرى وانما فعل ذلك رضى الله تعالى عنه لئلا يحس به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قريب منه فيتأذى بقربه (وجلست احدث نفسى) اى بهذا الامر الغريب والحال العجيب (فالتفت) اى فنظرت الى احد طرفى (فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فاجأته بغتة فابصرته (مقبلا والشجرتان قد افترقتا) اى من محل اجتماعهما وانتقلتا الى موضعهما (فقامت كل واحدة منهما على ساق) اى فى منبتها (فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة) اى خفيفة (فقال برأسه) اى فأماله اوفاومأ به الى الشجرتين (هكذا يمينا وشمالا) تفصيل لماقبله اجمالا ولعله كان وداع الشجرتين اولمن هنالك من الملائكة واما قول الدلجى وقدتبعه التلمسانى اذنا منه لهما بالرجوع الى مكانهما فيأباه الفاء كما لايخفى على اهل الوفاء (وروى اسامة بن زيد نحوه) اى كما رواه البيهقى وابو يعلى بسند حسن عنه (قال قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض مغازيه) اى غزواته (هل تعنى) بالفوقية اى تقصد وتعين (مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لقضاء حاجته فيه وتصحف الدلجى وضبط لفظ يعنى بالتحتية وتكلف بقوله هل استفهام اكتفى به عن المستفهم عنه استهجانا للتصريح باسمه ومن ثمة بينه الراوى بقوله يعنى مكانا لحاجته ثم هذا انما يصح بناء على نسخة هل ترى يعنى مكانا الخ وقد تبعه التلمسانى فقال اى ترى او تجد وهو اما حذفه للعلم به واما حذفه الراوى لانه لم يسمعه اولم يفهمه اولم يجده فى اصله انتهى وكله تكلف وتعسف مستغنى عنه (فقلت ان الوادى ما فيه موضع بالناس) اى ليس فيه مكان مستقربهم بل كله خال عنهم فما التفت الى كلامه حيث لم يكن على وفق مرامه (فقال هل ترى من نخل او حجارة) اى ولو فى بعد واغرب التلمسانى فى قوله ان بالناس معمول ان اى غاص اومئان اوعامر او كائن وكائن بعيد هنا ثم قال موضع يستتر فيه او يقضى الحاجة وحذف للعلم به (قلت ارى نخلات) بفتح الخاء (متقاربات) بكسر الراء وتفتح وفى اصل التلمسانى مقاربات (قال انطلق وقل لهن رسول الله) وفى نسخة ان رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم يأمركن ان تأذين لمخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لتستره بكن (وقل للحجارة) اى لجنسها من الحجارات هنالك (مثل ذلك) اى كما قلته للنخلات من الاتيان لمخرجه (فقلت لهن ذلك فوالذى بعثه بالحق) فيه تلويح الى جواز القسم بالامر العظيم ذكره الدلجى والصواب انه قسم بفعل الله الكريم (لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة) اى ورأيت الحجارة (يتعاقدن حتى صرن ركاما) بضم الراء اى متراكمة بعضها فوق بعض (خلفهن) اى وراء النخلات (فلما قضى حاجته قال لى قل لهن) اى لمجموع النخلات والحجارات (يفترقن) اى ليفترقن او مجزوم على جواب الامر مبالغة فى تأثيره لهن نحو قوله تعالى قل للذين امنوا يقيموا الصلاة الآية ثم قال جابر (والذى نفسى بيده) وغاير بين القسمين تفننا (لرأيتهن) اى النخلات والحجارة (يفترقن) اى بجميع افرادهن (حتى عدن) بضم العين اى صرن على حالهن ورجعن (الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة) بسين مهملة بعدها تحتية مخففة مفتوحتين فالف فموحدة امه وابو مرة وله صحبة ايضا حضر الحديبية وخيبر والفتح والطائف وفى تجريد الذهبى ان يعلى بن مرة بن وهب الثقفى بايع تحت الشجرة وله دار بالبصرة ولم يتعرض لكونه ابن سيابة وقد ذكره فى التهذيب فجعلهما واحدا وكذا المزى جعلهما واحدا ثم قال وزعم ابو حاتم انهما اثنان انتهى وسيأتى قريبا فى كلام المصنف ما يؤيد الاول وقد روى حديثه هذا احمد والبيهقى والطبرانى بسند صحيح عنه انه قال (كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسير) اى سير سفر (وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر) اى يعلى (فامر) اى المصطفى (وديتين) بفتح الواو وكسر الدال المهملة وتشديد التحتية اى نخلتين صغيرتين وضبطهما الشمنى بفتح الواو وسكون الدال وتخفيف الياء (فانضمتا) اى اجتمعتا وفى اصل الحجازى فانضما قال وصححه المزى بالتأنيث وكذا رأيته فى النسخ المصححة (وفى رواية اشاءتين) بفتح الهمزة والشين المعجمة الممدودة بمعنى وديتين وضبط فى نسخة بكسر الهمزة وهو سبق قلم مخالف لما فى كتب اللغة (وعن غيلان بن سلمة الثقفى) بفتحتين نسبة الى قبيلة ثقيف وغيلان هذا بفتح الغين المعجمة اسلم بعد الطائف وله عشر نسوة فامره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يمسك اربعا ويفارق سائرهن فذهب فقهاء الحجاز الى انه يختار اربعا كما شاء وفقهاء العراق الى ان يمسك الاربع التى تزوجها اولا وهو ممن وفد على كسرى وخبره معه عجيب قال له كسرى ذات يوم اى ولدك احب اليك فقال له غيلان الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يؤوب فقال له كسرى زه مالك ولهذا الكلام هذا من كلام الحكماء وانت من قوم جفاة لا حكمة فيهم فما غذاؤك قال خبز البر قال هذا العقل من البر لا من اللبن والتمر وكان شاعرا توفى فى آخر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (مثله) اى نحو ما سبق من مروى غيره (فى شجرتين) اى من اجتماعهما وافتراقهما (وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مثله فى غزاة حنين) بفتح الغين اى غزوته (وعن يعلى بن مرة) وهو ابوه

(وهو ابن سيابة) وهى امه (ايضا) اى هما واحد لا اثنان كما توهم بعضهم (وذكر) اى يعلى (اشياء) اى من خوارق العادات (رآها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر ان طلحة) بالتنوين واحدة الطلح شجر عظيم من شجر العضاة وبه سمى طلحة (او سمرة) تقدم انها بضم الميم وانها من شجر الطلح فاوشك من الراوى كذا قرره الشراح وارادوا الشك فى رواية المبنى مع اتحاد المعنى والاظهر ان السمرة نوع خاص من جنس شجر الطلح ويحتمل ان يكون او بمعنى بل (جاءت) اى احداهما او اخراهما (فاطافت به) اى المت به وقاربته على ما فى القاموس وفى اصل الدلجى فطافت به اى دارت حوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها) اى الشجرة المذكورة (استأذنت) اى ربها (ان تسلم على) اى فأذن لها فجاءت وسلمت (وفى حديث عبد الله بن مسعود) اى عند الشيخين (آذنت) بهمزة ممدودة وفتح الذال والنون اى اعلمت (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجن) اى باتيانهم اليه وحضورهم لديه (ليلة استمعوا له) اى لقرآنه او كلامه (شجرة) فاعل آذنت وهى سمرة على ما فى بعض السنن قال الدلجى وفيه تلويح بانه لم يرهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قرآنه انتهى وفيه انه ثبت تصريح توجهه صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم للقرآءة عليهم وقد اخبر ببعض صورهم مما رآه لديهم نعم فيه ايماء باتيان الشجرة فى حضورهم حال الابتداء (وعن مجاهد عن ابن مسعود) نقل الحافظ العلاء عن ابى زرعة انه مرسل ولا مضرة فانه عند الجمهور حجة (فى هذا الحديث) اى المتقدم آنفا (ان الجن قالوا من يشهد لك) اى بانك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قال هذه الشجرة) اى الحاضرة (تعالى ياشجرة) بفتح اللام وسكون الياء وقد تكسر لامه كما قرئ فى تعالوا بالضم واغرب التلمسانى حيث جزم بان اللام مكسورة واقتصر عليها اى ارتفعى الى عن مقامك واطلبى من عندى مرامك (فجاءت تجر عروقها) اى من محل اصولها (لها) اى لعروقها (قعاقع) بفتح القاف الاولى وكسر الثانية جمع قعقعة وهى حكاية حركة شئ يسمع له صوت من سلاح ونحوه (وذكر) اى مجاهد او ابن مسعود (مثل الحديث الاول) اى فى مبناه (او نحوه) اى باعتبار معناه من اتيان الشجرة وبيان الشهادة ورجوعها الى مكانها الاول فتأمل (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (فهذا ابن عمرو بريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد) راعى الترتيب بينهم لا باعتبار مراتبهم بل على حسب رواياتهم لكن كان حقه على هذا ان يقدم اسامة ويعلى على ابن مسعود والا فهو اجل الصحابة بعد الخلفاء الاربعة ثم قوله (وانس بن مالك وعلى بن ابى طالب وابن عباس) بناء على ما سيأتى عنهم وقوله (وغيرهم) اى كالحسن وابن فورك وابن اسحق من الائمة المذكورين هنا ومنهم عمر او عمرو على اختلاف فيهما (قد اتفقوا على هذه القصة نفسها) اى باعتبار مبناها او معناها (ورواها عنهم من التابعين اضعافهم) اى فى العدة لا فى الرتبة (فصارت فى انتشارها) اى فشو هذه القصة (من القوة حيث هى) اى على حالها الاول (وذكر ابن فورك) بضم الفاء يصرف ويمنع وهو الاظهر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم سار فى غزوة الطائف) وهى كانت فى السنة الثامنة بعد الفتح وبعد حنين وفى اصل الدلجى زيد وحنين (ليلا) اى من الليالى (وهو وسن) بفتح الواو وكسر المهملة صفة مشبهة من الوسن بفتحتين وهو اول النوم ومقدمته ومنه السنة واصلها الوسنة كالعدة والمعنى ليس بمستغرق فى النوم بل هو نعسان (فاعترضته) اى ظهرت فى عرض وجهه (سدرة) اى وهو سائر (فانفرجت له نصفين حتى جاز) اى جاوز (بينهما وبقيت) اى تلك الشجرة (على ساقين) اى من غير التئامهما (الى وقتنا) اى هذا كما فى نسخة (وهى) اى تلك الشجرة (هنالك) اى فى طريق الطائف (معروفة معظمة) قلت ولعلها كانت واما فى زماننا هذا فليست مشهورة (ومن ذلك) اى ومن قبيل ما ذكر من اجابة الشجرة (حديث انس) كما رواه ابن ماجه والدارمى والبيهقى عنه (ان جبريل قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورآه) اى وقد رأى جبريل النبى عليهما الصلاة والسلام (حزينا) اى من تكذيب قومه له فالجملة حال من ضمير قال (اتحب ان اريك آية) اى علامة على صحة نبوتك وصدق رسالتك (قال نعم) اى احب ان ترينى آية من آيات ربى ليطمئن قلبى (فنظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى شجرة) اى بعيدة كائنة (من وراء الوادى) اى الذى كان فيه والمعنى من قدامه او خلفه (فقال) اى لجبريل ويحتمل عكس هذا القيل (ادع تلك الشجرة) اى فدعاها (فجاءت تمشى) اى اليه (حتى قامت) اى وقفت (بين يديه قال) كما مر (مرها فلترجع) اى الى منبتها كما فى نسخة وفى نسخة الى مكانها اى فامرها بالرجوع الى محلها (فعادت الى مكانها) اى مما كانت فيه اى فى ابتداء حالها (وعن على نحو هذا) اى الحديث الذى رواه انس (ولم يذكر) اى على (فيه) اى فى مرويه وفى نسخة فيها اى فى هذه الرواية (جبريل) بمعنى بل فيه (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه ابو نعيم عنه (اللهم ارنى آية) اى معجزة اطمئن بها وادفع الحزن عنى بسببها او يكون من جملة نعمتها (لا ابالى) اى لا اكترث ولا احزن

(من كذبنى بعدها فدعا شجرة) اى بجانبه (وذكر) اى على (مثله) اى مثل حديث انس (وحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لتكذيب قومه) اى لا لضيق حاله وقلة ماله فكان حزنه لامر دينه ومرضاة ربه فان قلت سبق فى حديث هند ابن ابى هالة ان ابن القيم قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوز ان يكون حزنه على الكفار لان الله تعالى قد نهاه عنه قلت لعل الحزن فى الحديث المفسر هنا قبل النهى عن حزنه على الكفار على ان حزنه لتكذيب قومه لا يلزم ان يكون حزنا عليهم لجواز ان يكون لما نسبوه اليه مما هو معصوم منه وهو الكذب عليه (فطلبه) بالرفع اى واستدعاؤه (الآية) اى المعجزة (لهم) اى لاستقامة امته او اقامة حجته (لا له) اى لا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكمال يقينه فى معرفته وعدم تردد فى طويته (وذكر ابن اسحق) اى امام المغازى وكذا رواه ابو نعيم عن ابى امامة (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارى ركانة) بضم الراء وهو ابن عبد يزيد صحابى صارعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واما ركانة المصرى الكندى غير منسوب فمختلف فى صحبته كذا حققه الفيروزابادى (مثل هذه الآية) اى المعجزة (فى شجرة دعاها) اى طلبها (فأتت) اى جاءت اليه (حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعى فرجعت) اى الى محلها (وعن الحسن) اى برواية البيهقى مرسلا (انه عليه الصلاة والسلام شكا الى ربه من قومه) اى بعضهم (وانهم يخوفونه) اى بضربه او حبسه او اخراجه او قتله (وسأله آية) اى علامة (يعلم بها) اى يزيد علمه بها ويطمئن قلبه بسببها (ان لا مخافة عليه) ان مخففة من المثقلة اى انه كذا ذكره الدلجى والظاهر ان ان هنا مصدرية ومحلها نصب على المفعولية والمعنى يعرف بها عدم المخافة عليه من ايصال اذيتهم اليه (فاوحى اليه) بصيغة المفعول وفى نسخة بصيغة الفاعل وفى اخرى فاوحى الله اليه (ان ائت وادى كذا) وروى أرأيت وادى كذا اى ابصرت او علمت وان مصدرية او تفسيرية (فيه شجرة) اى عظيمة وهى بالرفع مبتدأ خبره الجار قبله قال التلمسانى او بالنصب بفعل مضمر اى فانظر فيه شجرة او اطلب انتهى ولا يخفى تكلفه بل تعسفه كما يدل عليه قوله (فادع غصنا منها) اى من الشجرة او اغصانها (يأتك) وفى نسخة يأتيك باثبات الياء على انه مرفوع او مجزوم على لغة (ففعل) اى ما ذكر (فجاء) اى الغصن منها (يخط الارض خطا) اى يشقها شقا باثرها فى الاتيان اليه (حتى انتصب) اى وقف (بين يديه) اى امامه وقدامه واغرب التلمسانى حيث فسر انتصب بقوله حبس وغرابته من جهة المبنى والمعنى لا تخفى (فحبسه ما شاء الله) اى من زمان بقائه لديه (ثم قال له ارجع كما جئت) اى على وجه خرق العادة (فرجع) اى يخط الارض خطا حتى قام بمنبته (فقال يا رب علمت ان لا مخافة على) اى بعد ان رأيت لى هذه الآية وكان صاحب البردة اشار الى هذه الزبدة بقوله

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشى اليه على ساق بلا قدم

كأنما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط فى اللقم

(ونحوه منه) اى من مروى الحسن كما رواه البزار وابو يعلى والبيهقى بسند حسن (عن عمر رضى الله تعالى عنه) اى ابن الخطاب وفى نسخة عن عمرو اى ابن العاص (وقال) اى احدهما (فيه) اى فى مرويه او وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعائه بعد قوله اللهم (ارنى آية لا ابالى من كذبنى بعدها وذكر) وفى نسخة فذكر اى الراوى المختلف فيه بقية الحديث (نحوه) اى نحو ما رواه الحسن (وعن ابن عباس) كما رواه البخارى فى تاريخه والدارمى والبيهقى (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاعرابى ارأيت) اى اخبرنى (ان دعوت هذا العذق) بكسر العين المهملة وسكون الذال المعجمة اى العرجون بما فيه من الشماريخ والعرجون عود العذق الذى تركبه الشماريخ وهى العيدان التى عليها البسر والعذق بالفتح النخلة كلها (من هذه النخلة) اى الحاضرة واجابنى (اتشهد انى رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز) بضم القاف وبكسر وبالزاى اى فشرع يثب اليه متوجها لديه (حتى اتاه) اى اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذى) بتشديد الراء اى اخرجه فى جامعه (وقال هذا حديث صحيح) ووقع فى اصل الدلجى وغيره حسن صحيح فقيل جمع بينهما لروايته من طريقين احداهما تقتضى صحته والاخرى حسنه او حسن لذاته صحيح لغيره باعتبار تعاضد رواياته او حسن لغة صحيح حجة

(فصل)

(فى قصة حنين الجذع له صلى الله تعالى عليه وسلم ويعضد) بضم الضاد اى يقوى ويؤيد (هذه الاخبار) اى الاحاديث السابقة الواردة فى كلام الاشجار ومجيئها الى سيد الاخيار (حديث انين الجذع) وفى نسخة حنين الجذع اى شوقه اليه وبكائه لديه صلى الله تعالى عليه وسلم والجذع بكسر الجيم اصل النخلة والمراد به هنا ما كان من عمد المسجد وكان يتكئ عليه حال الخطبة وسيجئ بقية القصة (وهو) اى وحديثه هذا (فى نفسه) اى باعتبار مبناه (مشهود)

اى عند السلف (منتشر) اى عند الخلف (والخبر به) اى بانينه وحنينه باعتبار معناه (متواتر) اى يفيد العلم القطعى لمن اطلع على طرق الحديث الآحادى المفيد بانفراده العلم الظنى قال الحلبى وكذا قال غيره انه متواتر وقد ابعد التلمسانى حيث قال اراد به التواتر اللغوى يقال تواترت الكتب اى جاء بعضها فى اثر بعض من غير ان يتقطع والاول اظهر فتدبر وقد قال السهيلى حديث خوار الجذع وحنينه منقول بالتواتر لكثرة من شاهد خواره من الخلف وكلهم نقل ذلك او سمعه من غيره فلم ينكره انتهى وسببه ما بينه المصنف بقوله (قد خرجه) بتشديد الراء اى اخرجه (اهل الصحيح) اى ممن التزم الصحة فى رواياته الواردة فى كتابه كالبخارى ومسلم وابن حبان وابن خزيمة (ورواه من الصحابة بضعة عشر) بكسر الموحدة وتفتح اى ثلاثة او اكثر الى تسعة اذ البضع منها اليها (منهم) اى بعضهم وهم عشرة منهم (ابى بن كعب) وهو اقرأ الصحابة وقد رواه عنه الشافعى وابن ماجه والدارمى والبيهقى (وجابر بن عبد الله) اى الصحابى ابن الصحابى وسيأتى حديثه (وانس بن مالك) وهو خادمه عليه الصلاة والسلام وحديثه فى الترمذى وصححه (وعبد الله بن عمر) وهو اشهر من ان يذكر (وعبد الله بن عباس) اى عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وسهل ابن سعد) الساعدى رضى الله تعالى عنهما وحديثه رواه الشيخان (وابو سعيد الخدرى) رواه عنه الدارمى (وبريدة) بالتصغير وقد سبق ذكره (وام سلمة) اى ام المؤمنين رواه عنها البيهقى (والمطلب) بتشديد الطاء (ابن ابى وداعة) بفتح الواو وهو من مسلمة الفتح وقد رواه عنه الزبير بن بكار فى اخبار المدينة (كلهم) اى جميع المذكورين وغيرهم (يحدث) افرد ضميره باعتبار لفظ كل اى يحدثون (بمعنى هذا الحديث) اى وان كانت الفاظهم مختلفة فى باب التحديث وعلى هذا المبنى حصل التواتر فى المعنى (قال الترمذى وحديث انس صحيح) اى اسناده (قال) وفى نسخة وقال (جابر) اى ابن عبد الله كما فى نسخة صحيحة (كان المسجد) اى مسجد المدينة وهو المسجد النبوى (مسقوفا على جذوع نخل) بمعنى نخيل فانه اسم جنس ثم بناه عمر ثم عثمان رضى الله تعالى عنهما (وكان) وفى نسخة فكان (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى دائما او غالبا (اذا خطب يقوم الى جذع) اى معين (منها) اى من تلك الجذوع (فلما صنع له المنبر) بصيغة المجهول وقد صنعه له غلام امرأة من الانصار او غيره من اثل الغابة وله ثلاث درجات (سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار) بكسر مهملة فمعجمة جمع عشراء بضم وفتح ممدودة وهى الناقة الحامل او التى اتى لحملها عشرة اشهر على القول الاشهر وظاهر هذا الحديث ان الجذع بمجرد صنع المنبر قبل طلوع سيد البشر صدر منه البكاء لما احس من علامة قرب البعد عن مقام دنا وحال الاتكاء (وفى رواية انس) اى وهى قوله فلما قعد على المنبر خار الجذع كخوار الثور اى صاح كصياحه (حتى ارتج) بتشديد الجيم اى اضطرب وارتعد (المسجد) اى باهله (لخواره) بضم الخاء المعجمة وبالواو وفى نسخة بالباء السببية بدل اللام للعلة وفى نسخة بضم الجيم فهمزة مفتوحة بعدها الف وهو اظهر فى هذا المقام باعتبار تمام المرام ففى القاموس جأر جؤارا اذا رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث والبقرة والثور صاحا واما الخوار بضم الخاء المعجمة من صوت البقر والغنم والظباء والسهام انتهى قال الحجازى واما بالخاء المعجمة والواو المخففة فصياح الثور ولا اعلم به رواية انتهى والحلبى جعله اصلا ونسب الاول الى نسخة فى الهامش واليمنى اقتصر على الثانى وجوز الشمنى الوجهين والحاصل ان رواية الجيم اعم وفى الدراية اتم والله تعالى اعلم (وفى رواية سهل) اى ابن سعد الساعدى (وكثر بكاء الناس لما رأوا به) اى من الحنين والانين من جهة التبعد عن خدمة سيد المرسلين او من خشيته من التنزل فى درجته وهو بكسر اللام وتخفيف الميم ويجوز بفتح اللام وتشديد الميم كما قرئ بهما فى قوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا (وفى رواية المطلب) اى ابن ابى وداعة السهمى وزيد فى نسخة صحيحة وابى ويشير اليه قول الحلبى وهو بضم الهمزة وفتح الموحدة ثم ياء مشددة (حتى تصدع) بتشديد الدال اى تشقق (وانشق) عطف تفسير قاله الدلجى وغيره والاظهر ان المعنى واستمر على انشقاقه (حتى جاء) اى اتاه (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع يده عليه) اى تسلية لما لديه (فسكت) اى حيث سكن اليه وسيأتى فى رواية انه عانقه بيديه (زاد غيره) اى غير المطلب ومن معه وقال الدلجى فى رواية الشافعى عن ابى بن كعب فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان هذا بكى لما فقد) بالوجهين اى بعد (من الذكر) اى الموعظة البليغة فى الخطبة ومنه قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله (وزاد غيره) اى غير ذلك الغير وفى رواية ابى يعلى عن انس (والذى نفسى بيده) اى بتصرف قدرته وقبضة ارادته (لو لم التزمه) اى اعتنقه (لم يزل هكذا) اى باكيا (الى يوم القيامة تحزنا) بضم الزاى اظهارا للحزن الزائد على الصبر (على رسول الله) اى على فراقه (صلى الله عليه وسلم) وما احسن من قال من بعض ارباب الحال

الصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

(فامر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفن تحت المنبر) اى حتى يقرب الى الذكر وما يتبعه من اثر الخير

(كذا فى حديث المطلب) اى السهمى (وسهل بن سعد) اى الساعدى (واسحق) اى ابن عبد الله ابن ابى طلحة وهو تابعى روى عن ابيه وعدة وعنه مالك وابن عيينة وجماعة وهو حجة ثقة اخرج له الائمة الستة (عن انس) وهو عمه من امه (وفى بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره او جعلت فى السقف) اى فى سقف المسجد شك من الراوى ولعل وجه التأنيث كونه جذع النخلة فاكتسب التأنيث من الاضافة وفى اصل التلمسانى فدفن قال وفى طريق فدفنت فاراد الخشبة وقال البرقى انما دفنه وهو جماد لانه صار فى حكم المؤمن لحبه وحنينه قلت ولعل دفنه تحت منبره ليكون على قربه ولا يحرم من سماع ذكره واما المنبر فقد احترق اول ليلة من رمضان سنة اربع وخمسين وستمائة وكان ذلك على الناس من اعظم مصيبة (وفى حديث ابى) اى ابن كعب (فكان) اى اولا (اذا صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلى اليه) وهو لا ينافى انه عند خطبته كان يعتمد عليه (فلما هدم المسجد) اى عند ارادة تجديده وتوسيعه فى تجديده وهو فى خلافة عثمان رضى الله عنه ليزيد فيه من جهة القبلة توسعة للامة او فى ايام اباحة يزيد المدينة فى احد الايام الثلاثة (اخذه ابى فكان عنده الى ان اكلته الارض) كذا فى النسخة المصححة والمراد بها الدابة التى يقال لها الارضة سميت بفعلها واضيفت اليه فى آية سبأ بقوله دابة الارض تأكل منسأته قال المزى المشهور عند اهل الحديث الارضة (وعاد رفاتا) بضم الراء ففاء فتاء فوقية اى وصار دقاقا وفتاتا قال الحلبى قوله الى ان اكلته الارض كذا فى النسخة التى وقفت عليها بالشفاء والحديث المذكور اعنى حديث ابى وهو مطول فى مسند احمد وفيه الارضة وهى دابة تأكل الخشب وهو باختصار فى سنن ابن ماجه فى الصلاة انتهى وهذا يدل على تصحيح رواية جعله فى السقف وينبغى ان يحمل رواية دفنه تحت منبره بعد ان اكلته الارض عند ابى حفظا له عن تفرقه وصونا له عن مهانته وتحرقه وما احسن مناسبة ما تحت منبره كون قبره لحصول دوام ذكره وتمام شكره فان منبره على حوضه وحوضه داخل فى روضه (وذكر الاسفرائنى) بكسر الهمزة وسكون السين وفتح الفاء وتكسر فراء ممدودة فهمزة فنون فياء نسبة الى بلد فى العجم فى خراسان وفى نسخة بنون بين يائين والظاهر ان المراد به ابو اسحق و يحتمل انه ابو حامد (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاء يخرق) بضم الراء وكسرها اى يشق (الارض فالتزمه) اى اعتنقه تودها منه (ثم امره فعاد الى مكانه) والحاصل ان قصة حنين الجذع واحدة لرجوعها الى معنى واحد فى المآل وما وقع فى الفاظها من اختلاف الاقوال مما ظاهره التغاير الموجب للاشكال فمن تفاوت نقول الرجال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال (وفى حديث بريدة فقال يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى خطابا للجذع (ان شئت اردك الى الحائط) اى البستان (الذى كنت فيه) اى اولا على حالك قبل ان تصير محولا كما بينه بقوله (ينبت لك) بصيغة الفاعل ويجوز بالبناء للمفعول اى يخرج لك (عروقك) وتنبت فى محل اصولك (ويكمل) بفتح فسكون فضم وبضم ففتح فتشديد ميم مفتوحة اى ويتم (خلقك) اى خلقتك على ما عليه فطرتك (ويجدد لك خوص) بضم الخاء ورق النخل (وثمرة) بالمثلثة (وان شئت اغرسك) بكسر الراء (فى الجنة) اى الموعودة (فيأكل اولياء الله تعالى من ثمرك) اى ثمرك (ثم اصغى له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى القى له سمعه وقرب رأسه اليه (يستمع ما يقول) اى مما يرده عليه (فقال بل تغرسنى فى الجنة فيأكل منى اولياء الله تعالى) اى فى دار النعمة (واكون) اى نابتا وثابتا (فى مكان لا ابلى فيه) بفتح الهمزة واللام اى لا اخلق ولا اعتق ولا افنى قال الحلبى ابلى بفتح الهمزة ووقع فى النسخة التى وقفت عليها الآن مضموم الهمزة بالقلم ولا يصح قلت يصح ان يكون مجهولا من ابلاه متعدى بلى كما صرح باسناده صاحب القاموس (فسمعه) اى كلام الجذع (من يليه) اى يقربه والضمير له اى للنبى عليه الصلاة والسلام قيل وممن سمعه ابن عمر رضى الله عنهما قال غاب الجذع فلم ير بعد ذلك ذكره التلمسانى (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلت) اى قبلت او جزمت على هذا الفعل او غرست كما اردت (ثم قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن) اى البصرى (اذا حدث بهذا) اى الحديث (بكى وقال يا عباد الله الخشبة) اى مع كونها فى حد ذاتها اليبس من اهل الرقة والخشية (تحن) بفتح فكسر فتشديد نون اى تميل (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شوقا اليه لمكانه) اى لمكانة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنده سبحانه وتعالى اولا جل مكانه المتبعد من مكانها (فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه) ولله در القائل من اهل الفضائل

والقى حتى فى الجمادات حبه ✱ فكانت لاهدآء السلام له تهدى
وفارق جذعا كان يخطب عنده ✱ فأن انين الام اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع يا قوم هكذا ✱ اما نحن اولى ان نحن له وجدا

اذا كان جذع لم يطق بعد ساعة ✱ فليس وفاء ان نطيق له بعدا

(رواه) اى الحديث الذى مر (عن جابر حفص بن عبيد الله) بالتصغير (و يقال عبد الله بن حفص) قال الحلبى و يقال جعفر بن عبد الله والصواب الاول وانه حفص بن عبيد الله بن انس بن مالك يروى عن جده وابى هريرة رضى الله تعالى عنهما وغيرهما وعنه ابن اسحق واسامة بن زيد وجماعة قال ابو حاتم لا يثبت له السماع الا من جده انتهى وحديثه هذا عن جابر فى البخارى (وايمن) اى الحبشى مولى ابن ابى عمرة المخزومى قال الذهبى فى الميزان ما روى عنه سوى ولده عبد الواحد ففيه جهالة لكن وثقه ابو زرعة وقال ابن القطان اذا وثق وروى عنه واحد انتفت الجهالة وقد اخرج البخارى وحده لايمن (وابو نضرة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة واسمه المنذر بن مالك تابعى يروى عن على مرسلا وعن ابن عباس وابى سعيد وعنه قتادة وعوف قال الحلبى وقع فى النسخة التى وقفت عليها الآن بالشفاء ابو بصرة بنقطة تحت الباء وهذا شئ لا نعرفه ولا اعلم ابا بصرة غير واحد واسمه جميل وهو صحابى غفارى وليس له شئ عن جابر فيما اعلم (وابن المسيب) تابعى جليل (وسعيد بن ابى كرب) بفتح فكسر وهو منصرف وفى نسخة بفتح فسكون وهو همدانى وثق (وكريب) بالتصغير يروى عن مولاه ابن عباس وعائشة و جماعة وعنه ابناه وموسى بن عقبة وطائفة وثقوه (وابو صالح) اريد به ذكوان السمان وقد تقدم (ورواه) اى الحديث الذى سبق (عن انس بن مالك الحسن) اى البصرى (وثابت) وهو كاسمه ثابت (واسحق بن ابى طلحة) مر ذكره (ورواه عن ابن عمر نافع) اى مولاه وهو من اعلام التابعين (وابو حية) بتشديد التحتية كلبى كوفى روى عن عمر وهناك ابو حية روى عن على (ورواه ابو نضرة) وهو الذى سبق ذكره قال التلمسانى وهو فى الموضعين فى الاصل بموحدة من اسفل وصاد مهملة وصوابه بنون مفتوحة وضاد معجمة وهكذا عند الحلبى والانطاكى (وابو الودّاك) بتشديد الدال اى رويا الحديث المتقدم كلاهما (عن ابى سعيد وعمار بن ابى عمار) بتشديد الميم اى روى الحديث المذكور (عن ابن عباس وابو حازم) بكسر الزاى وهو سلمة بن دينار الاعرج المدنى احد الاعلام (وعباس) بتشديد الموحدة (ابن سهل) اى ابن سعد الساعدى كلاهما (عن سهل بن سعيد) اى عن ابيه (وكثير بن زيد) اى الاسلمى او الايلى (عن المطلب) اى ابن ابى وداعة (وعبد الله بن بريدة) وهو قاضى مرو وعالمها (عن ابيه والطفيل بن ابى) بالتصغير فيهما كنيته ابو بطن لعظم بطنه (عن ابيه) اى ابى بن كعب (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (رضى الله تعالى عنه فهذا حديث كما تراه اخرجه) وفى نسخة خرجه (اهل الصحة) اى من ارباب الحفظ والثقة (ورواه من الصحابة من ذكرنا) اى من اجلائهم (وغيرهم) بالرفع (من التابعين ضعفهم) اى زائد عليهم او قدرهم مرتين منضمين (الى من لم نذكره) اى للاختصار اولعدم الاستحضار او لعدم الاشتهار (وبمن دون هذا العدد) اى و بجمع اقل من هذا العدد المذكور وفى نسخة و بدون هذا العدد (يقع العلم) اى القطعى (لمن اعتنى بهذا الباب) اى اهتم بشانه وجمع جميع ما يتعلق ببيانه (والله المثبت) بتشديد الموحدة و يجوز تخفيفها اى من شاء من عباده (على الصواب)

✱(فصل)✱

(ومثل هذا) اى ما ذكر من حنين الجذع (وقع له فى سائر الجمادات) اى بقيتها او جملتها من غير النباتات التى هى قريبة من الحيوانات فهو فى باب المعجزة اقرب وفى خرق العادة اغرب (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) وفى نسخة ابن محمد (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد ابن المرابط) بضم الميم وكسر الموحدة اذن له ابو عمرو الدارانى (ثنا المهلب) بتشديد اللام المفتوحة (ثنا ابو القاسم ثنا ابو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (ثنا المروزى ثنا الفربرى) بفتح الفاء و بكسر (ثنا البخارى) صاحب الصحيح (ثنا محمد بن المثنى) بتشديد النون المفتوحة (ثنا ابو محمد الزبيرى) بالتصغير نسبة الى جده فانه محمد بن عبد الله بن الزبير وليس من ولد الزبير بن العوام بل هو كوفى مولى لبنى اسد قال بندار ما رأيت احفظ منه وقال آخر كان يصوم الدهر (قال ثنا اسرائيل) اى ابن يونس ابن ابى اسحق اسماعيل السبيعى الكوفى احد الاعلام وثقه احمد وغيره وضعفه ابن المدينى وغيره اخرج له الائمة الستة (عن منصور) اى ابن المعتمر ابو عتاب السلمى من ائمة الكوفة يروى عن ابى وائل وزيد بن وهب وعنه شعبة والسفيانان (عن ابراهيم) اى ابن يزيد النخعى (عن علقمة) اى ابن قيس (عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لقد كنا) اى نحن معشر الصحابة معه صلى الله عليه وسلم (نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) جملة حالية والحديث هذا قد ساقه القاضى كما رأيت من رواية البخارى وهو من علامات النبوة وخوارق العادة وقد اخرجه الترمذى فى المناقب وقال حسن صحيح ذكره الحلبى (وفى غير هذه الرواية عن ابن مسعود) وفى اصل الدلجى وفى رواية عنه ايضا وقال كما فى الترمذى (كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه) اى تسبيح الطعام والجملة حالية من ضمير نأكل (وقال انس) وفى نسخة وعن

انس كما روى ابن عساكر فى تاريخه (اخذ النبى صلى الله عليه وسلم كفا من حصى) اى حجارة دقاق (فسبحن فى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن) اى حولهن واضعا اياهن (فى يد ابى بكر فسبحن ثم) اى بعده وفعن (فى ايدينا فما سبحن وروى مثله) اى مثل حديث انس (ابو ذر رضى الله عنه) على ما رواه البزار والطبرانى فى الاوسط والبيهقى عنه (وذكر) اى ابو ذر (انهن سبحن فى كف عمر وعثمان رضى الله عنهما) ولعل القضية متعددة (وقال على) وفى نسخة وعن على (كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها) اى جهاتها واطرافها (فما استقبله) اى ما واجهه (شجرة) وفى نسخة شجر (ولا جبل) اى حجر كما روى (الا قال له السلام عليك يا رسول الله) رواه الدارمى والترمذى بسند حسن قال ابن اسحق وهذا مما بدئ به صلى الله عليه وسلم من النبوة (وعن جابر بن سمرة عنه عليه الصلاة والسلام انى لاعرف) وفى رواية الآن (حجرا بمكة كان يسلم على) اى يقول السلام عليك يا رسول الله رواه مسلم (قيل انه الحجر الاسود) وقيل انه الحجر المتكلم ومال اليه القابسى وقال انه الحجر المبنى للجدار المقابل لدار ابى بكر قال السهيلى روى فى بعض المسندات انه الحجر الاسود (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت قال النبى صلى الله عليه وسلم لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت) اى شرعت (لا امر) بفتح همز وضم ميم وتشديد راء من المرور (بحجر ولا شجر) وفى نسخة صحيحة بتقديم شجر على حجر وهو الاظهر فتدبر (الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه) كما رواه البيهقى (لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له) اى انقاد وتواضع له بنحو السلام او سجود التحية والاكرام كاخوة يوسف عليه السلام له او كالملائكة لادم عليه السلام بجعله قبلة (وفى حديث العباس) على ما رواه البيهقى ايضا (اذ اشتمل عليه) اى على عمه (النبى صلى الله عليه وعلى بنيه) اى بنى عمه وهم عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم (بملاءة) بميم مضمومة ولام فالف ممدودة ربطة كالملحفة قطعة واحدة واما قول الدلجى بهمزة ممدودة فسهو قلم من اثر وهم نشأ له تبعا للحلبى فى قوله بهمزة مفتوحة ممدودة (ودعا لهم) اى للعباس وبنيه (بالستر من النار) بفتح السين مصدر والاسم بالكسر بمعنى الحجاب ويؤيد الاول قوله (كستره اياهم بملاءته) كأن قال يا رب هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه (فامنت) بتشديد الميم اى تكلمت بكلمة آمين (اسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف وتشديد الفاء اى عتبته (وحوائط البيت) جمع حائط يعنى الجدار اى وجدرانه المحدقة به من جميع نواحيه (آمين آمين) كررها ثانيا تأكيدا او تقريرا لوقوعه مكررا او باعتبار كل من الاسكفة والحوائط وآمين بالمد ويقصر مبنى على الفتح ومعناه استجب او افعل وفى الحديث آمين خاتم رب العالمين (وعن جعفر) اى الصادق (ابن محمد عن ابيه) اى محمد الباقر ابن زين العابدين على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم (مرض النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق) اى من سعف او غيره (فيه رمان وعنب) اى من فواكه الدنيا او الجنة (فأكل منه النبى صلى الله عليه وسلم) اى من مجموعهما او من كل منهما او من طبقهما (فسبح) اى ما فى الطبق عندا كله قال الدلجى لم ادر من رواه قلت يكفى انه رواه المصنف وهو من اكابر المحدثين ولولا ان الحديث له اصل لما ذكره ولذا قال القسطلانى فى المواهب ذكره القاضى عياض فى الشفاء ونقله عنه عبد الحافظ ابو الفضل فى فتح البارى (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه احمد والبخارى والترمذى وابن ماجه عنه انه قال (صعد) بكسر العين اى طلع (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم احدا) بضمتين وهو جبل عظيم قرب المدينة (فرجف بهم) بفتح الجيم اى اضطرب من هيبتهم وارتعد من خشيتهم (فقال اثبت احد) اى يا احد (فانما عليك نبى) اى ثابت النبوة (وصديق) اى مبالغ فى ثبوت الصداقة (وشهيدان) اى ثابتان فى مرتبة الشهادة ومنزلة حسن الخاتمة بالسعادة ووقع فى اصل الدلجى بعد قوله فرجف بهم فضربه برجله وهو غير موجود فى النسخ المعتبرة وفى اصل التلمسانى او صديق او شهيد فهى كالواو للمصاحبة او للتفصيل (ومثله) اى مثل ما روى انس فى احد روى (عن ابى هريرة فى حراء) بكسر الحاء ومد الراء منصرفا وممنوعا وقصره وهو جبل بمكة على يسار الذاهب الى منى (وزاد) اى ابو هريرة (معه) اى مع ما ذكر (وعلى) اى قوله وعلى بالعطف على ما قبله والمعنى روى ومعه على (وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبى او صديق او شهيد) وفى رواية وسعد ابن ابى وقاص بدل وعلى فتحركت الصخرة فقال اسكن حراء فما عليك الا نبى او صديق او شهيد رواه مسلم والترمذى فى مناقب عثمان ولم يذكر سعدا وقال اهدأ بدل اسكن (والخبر) اى الذى رواه مسلم والترمذى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه رواه الترمذى والنسائى (فى حراء ايضا عن عثمان قال) اى عثمان (ومعه عشرة من الصحابة انا فيهم وزاد) اى عثمان (عبد الرحمن) اى ابن عوف كما فى نسخة (وسعدا) وهو ابن ابى وقاص (قال) وفى نسخة وقال اى عثمان (ونسيت) بفتح فكسر والاولى بضم فكسر مشددا (الاثنين) لعلهما طلحة والزبير (وفى حديث سعيد

ابن زيد) اى كما رواه ابو داود والترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه (ايضا مثله) اى مثل الخبر المروى قبله (وذكر عشرة وزاد) اى سعيد (نفسه) اى ذكرها فيهم (وقد روى) بصيغة المجهول اى فى حديث الهجرة من السيرة (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حين طلبته قريش قال له ثبير) بفتح المثلثة وكسر الموحدة اسم لجبل بظاهر مكة على ما فى القاموس وفى النهاية جبل معروف انتهى والمشهور انه جبل عظيم بمنى قبالة مسجد الخيف على يسار الذاهب الى عرفات واما قول الشمنى جبل بمزدلفة فمعناه انه متصل باخر مزدلفة واما قول الحجازى جبل عظيم بالمزدلفة على يمنة الذاهب من منى الى عرفة فاظنه انه سهو او هو من اسمائه وليس بمراد هنا (اهبط يا رسول الله) اى انزل عنى (فانى اخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله تعالى) اى بمشاهدة هذا الامر فوقى وتحمل هذا الفعل بى (فقال حراء الى) اى التجئ واصعد الى وارتفع لدى (يا رسول الله) وكان الخوف غالبا على ثبير والرجاء على حراء (وروى ابن عمر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ) اى على المنبر (وما قدروا الله حق قدره) اى وما عظموه حق عظمته او ما عرفوه حق معرفته بجعلهم له شريكا فى الوهيته ووصفهم اياه بما لا يليق بربوبيته (ثم قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يمجد الجبار نفسه) بتشديد الجيم اى يذكر ذاته بوصف المجد والشرف والعظمة وروى يحمد (يقول) كذا فى نسخة وهو جملة حالية (انا الجبار انا الجبار) بالرفع باثبات التكرار وهو الذى يجبر العباد على وفق ما اراد ويقهرهم بالفناء عن البلاء (انا الكبير) اى العظيم الذات الكريم الصفات قال الحجازى انا الجبار مرتين وانا الكبير ويروى مرتين (المتعال) اى المتعالى وهو الرفيع الشان المنزه عن التعلق بالزمان والمكان ونحوهما من سمات الحدثان وصفات النقصان (فرجف المنبر) اى اضطرب اضطرابا شديدا وذلك لعظمة الله وهيبته (حتى قلنا ليخرن) بفتح اللام والياء وكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء والنون اى ليسقطن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عنه) اى عن المنبر (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه البزار والبيهقى (قال كان حول البيت) اى على جدرانه ذكره الدلجى (ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل) بفتح الموحدة المخففة او المشددة اى مسمرة (بالرصاص) بفتح الراء على ما فى القاموس قيل ويكسر (فى الحجارة) اى من احجار البيت ولا يبعد ان تكون الاصنام موضوعة على حجارات كائنة حول البيت منصوبة بتسميرها فيها بالرصاص وكذا كانت الاصنام داخل البيت وفوقه ايضا قال الدلجى وروى ابو يعلى نحوه اى عنه وانه قال (فلما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد) اى المسجد الحرام وهو يطلق على الكعبة وما حواليها من البقعة (عام الفتح) اى سنة فتح مكة (جعل) اى شرع (يشير بقضيب) اى بسيف لطيف او عود ظريف (فى يده) حال من قضيب (اليها) متعلق بيشير قال الحلبى وفى رواية صحيحة بقضيب يشبه القوس والقوس قضيب انتهى والتشبيه يحتمل ان يكون من حيثية طوله وعرضه او من جهة انحراف فى وسطه (ولا يمسها) اى بيده تجنبا عنها الا بعدها كما ذكره الدلجى (ويقول) اى بما امره الله ان يقول (جاء الحق) اى ظهر الحق واهله (وزهق الباطل) اى اضمحل وذهب اصله (الاية) اى ان الباطل كان زهوقا اى غير ثابت فى نظر اهل الحق دائما (فما اشار) اى به كما فى نسخة اى بقضيبه (الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا) اى ولا اشار به (لقفاه الا وقع لوجهه) اى سقط عليه هيبة مما اشار به اليه (حتى ما بقى منها صنم) اى الا خر ساقطا اما الى وجهه واما الى قفاه (ومثله فى حديث ابن مسعود) اى على ما رواه الشيخان عنه (وقال) اى ابن مسعود (فجعل يطعنها) بفتح العين وبضم وهو اولى من عبارة الحلبى بضم العين ويفتح لما فى كلام استاذه صاحب القاموس طعنه بالرمح كمنعه ونصره ضربه مع ما فى الفتح من الخفة المعادلة لثقل العين كما حرر فى يسع ويضع ويدع ويقع ثم المراد بالطعن هنا مجرد الاشارة لما سبق صريحا فى العبارة والمعنى يشير اليه فى صورة الطاعن لديه (ويقول) اى كما امر به فى آية اخرى (جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد) اى ظهر الحق ولم يبق للباطل ابتداء ولا اعادة او ما يبدئ الصنم خلقا ولا يعيده او لا يبدئ ضر الاهله فى الدنيا ولا يعيده فى العقبى (ومن ذلك) اى من قبيل ما ذكر عن الجمادات (حديثه) اى خبره الذى رواه الترمذى والبيهقى (مع الراهب) وهو بحيرا بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة مقصورا وقيل ممدودا واسمه جرجس او جرجيس بزيادة ياء ابن عبد القيس من نصارى تيماء او بصرى ذكره ابن مندة وابو نعيم فى الصحابة لايمانه به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته (فى ابتداء امره) اى امر ظهوره (اذ خرج تاجرا) ظرف لحديثه معه او لابتداء امره (مع عمه) اى ابى طالب وفيه انه لم يكن فى خروجه معه تاجرا بل تعرض له عند خروجه فقال تتركنى وليس لى احد فاخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة وفى هذه لقى نسطور الراهب وقصته معه مشهورة وفى كتب السير مسطورة فقوله تاجرا حال من عمه لا من ضمير خرج (وكان الراهب) اى بحيرا (لا يخرج) اى فى عادته (الى احد) اى ممن كان ينزل

المكان (فخرج) اى فى ذلك الزمان (وجعل يتخللهم) اى شرع يطلب احدا فى خلال من كان فى تلك الحال
(حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين بعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ
من قريش) اى من المشركين (ما علمك) اى ما سبب علمك به وبقربه عند ربه (قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر
ساجدا له ولا تسجد) اى الاشجار والاحجار (الا لنبى وذكر القصة) اى على ما اوردها اهل الاخبار من انه قال وانى
لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما اتاهم به كان صلى الله
تعالى عليه وسلم فى رعية الابل فقال ارسلوا اليه (ثم قال) اى الراهب او الراوى (فاقبل وعليه غمامة تظله فقال
انظروا الى الغمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه) وفى نسخة قد سبقوه (الى فيء الشجرة) بفتح الفاء وسكون
التحتية بعدها همزة اى الى ظلها (فلما جلس مال الفيء) اى فيء الشجرة (اليه) فقال انظروا مال الفيء اليه ثم قال
انشدكم الله تعالى ايكم وليه قالوا ابو طالب واذا بسبعة من الروم قد اقبلوا فسألهم فقالوا ان هذا النبى قد خرج من
بلاده فى هذا الشهر فوجهوا الى كل جهة جماعة ووجهونا الى جهتك فقال افرأيتم امرا اراده الله تعالى أيقدر احد
يدفعه قالوا لا فاقاموا عنده ثلاثة ايام ولم يزل يناشد عمه حتى رده وبعث معه ابو بكر بلالا وزوده الراهب زيتا وكعكا
قيل وذكر ابى بكر وبلال فيه وهم

(فصــــل)

(فى الآيات) اى الشاهدة بثبوت نبوته وصدق رسالته وما خص به من بديع الكرامات ومنيع المعجزات (فى ضروب
الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ) سبق ذكره (حدثنا ابى) قال الحلبى تقدم ابوه وما ضبط
فى بعض النسخ بصيغة التصغير تصحيف وتحريف (ثنا القاضى ابو يونس ثنا ابو الفضل الصقلى) بفتح الصاد وتكسر
وسكون القاف (حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه عن جده) اى كليهما (قال حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران
ثنا محمد بن فضيل) بالتصغير وهذا هو الاصل الصحيح ووقع فى اصل المؤلف باسقاط ثنا محمد بن فضيل (ثنا يونس
ابن عمرو) بالواو قال ابو معين ثقة وقال ابو حاتم لا يحتج به (ثنا مجاهد عن عائشة) قال يحيى بن سعيد لم يسمع منها
قال وسمعت شعبة ينكران يكون سمع منها وتبعه على ذلك يحيى بن معين وابو حاتم الرازى وحديثه عنها فى الصحيحين
وقد صرح فى غير حديث بسماعه منها والله تعالى اعلم (قالت كان عندنا داجن) بكسر الجيم ما يألف البيت
من الحيوان كالشاة والطير مأخوذ من المداجنة وهى المخالطة والملازمة (فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم) وفى نسخة صحيحة عندنا موخر (قر وثبت مكانه) اى الداجن (فلم يجئ ولم يذهب) اى ولم يغير شأنه توقيرا له
وتكريما وهيبة منه وتعظيما (واذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء وذهب) اى تردد واضطرب وهذا
الحديث رواه احمد والبزار وابو يعلى والطبرانى والبيهقى والدارقطنى وهو صحيح وفى المدعى صريح (وروى عن عمر)
رضى الله تعالى عنه بصيغة المجهول اشعارا بضعفه فقد قال الحافظ المزى لا يصح اسنادا ولا متنا وقال ابن دحية انه
موضوع لكن قال القسطلانى قد رواه الائمة فنهايته الضعف لا الوضع فممن رواه الطبرانى والبيهقى قال وروى ايضا
باسانيد عن عائشة وابى هريرة رضى الله تعالى عنهما وما ذكرناه وامثالها (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان
فى محفل) بفتح الميم وكسر الفاء اى مجمع (من اصحابه اذ جاء اعرابى قد صاد ضبا) بفتح الضاد المعجمة وتشديد الموحدة
حيوان معروف يقال اذا فارق جحره لم يهتد اليه وهو لا يشرب واطول الحيوان روحا بعد ذبحه ويعيش سبعمائة سنة
فصاعدا ويقال انه يبول فى كل اربعين يوما قطرة (فقال) اى الاعرابى (من هذا قالوا نبى الله فقال واللات) بواو
القسم (والعزى) وهما صنمان كانوا يعبدونهما فى وسط الكعبة (لا امنت بك) اى بنبوتك ورسالتك وفى نسخة لا اومن
بك (او) بسكون الواو (يؤمن) بالنصب اى الى ان يؤمن او حتى يؤمن كما فى نسخة (بك هذا الضب) اى فأومن انا ايضا
بك حينئذ (وطرحه بين يدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى القى الضب بين جهتى يديه يعنى قدامه (فقال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم له يا ضب فاجابه بلسان مبين) اى بين او مبين حروفه (يسمعه القوم جميعا لبيك) اى اجابتى
لك مرة بعد مرة (وسعديك) اى ومساعدتى لطاعتك كرة بعد كرة (يا زين من وافى القيامة) اى يا زينة من اتاها
وحضرها (قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام له (من تعبد) اى ممن يسمى الها (قال الذى فى السماء عرشه)
اى ملكوته سبحانه (وفى الارض سلطانه) اى ملكه المظهر شانه (وفى البحر سبيله) اى طريق آياته ولعله من
باب الاكتفاء فان فى البر كثيرا من عجائبه (وفى الجنة رحمته) اى ثوابه من اثرها للمطيعين (وفى النار عقابه) اى
من اثر سخطه للعاصين (قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين) اى آخرهم وهو بفتح التاء على ما قرأ به
عاصم بمعنى ختموا به وبكسرها بمعنى ختمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين (وقد افلح) اى فاز

(من صدقك) بتشديد الدال اى اطاعك (وقد خاب) اى خسر (من كذبك) اى عصاك (فاسلم الاعرابى ومن ذلك قصة
كلام الذئب المشهورة) بالرفع (عن ابى سعيد الخدرى) كما رواه احمد والبزار والبيهقى وصححه (بينا) وفى نسخة
بينما على ان ما زائدة كافة واما الف بينا فقيل هى اشباع فلا تمنع الجر وقيل مانعة له منه وهو المشهور عند الجمهور
(راعى يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها) اى وقت رعى غنمه فاجأ عروض الذئب اى ظهوره فى تعرضه لشاة
من جملة قطيع الغنم (فاخذها) اى الراعى (منه فاقعى الذئب) اى الصق استه بالارض ونصب ساقيه ونحذ به ووضع
يديه على الارض (وقال للراعى ألا تتقى الله) اى اما تخاف والمعنى خف الله تعالى فالاستفهام للتوبيخ لا للانكار
الداخل على النفى المفيد لتحقق ما بعده كما ذكره الدلجى (حلت بينى وبين رزقى) بضم الحاء اى منعت رزقى عنى وهو
جملة مبينة قائمة مقام العلة (قال الراعى العجب) اى كل العجب (من ذئب يتكلم بكلام الانس) اى فى مقام الانس
(فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك) اى واغرب فيما هنالك (رسول الله بين الحرتين) بفتح الحاء وتشديد الراء تثنية
حرة وهى ارض ذات حجارة سود حول المدينة السكينة (يحدث الناس بانباء من قد سبق) وفى نسخة صحيحة ما بدل
من وانما كان اعجب لانه اخبار عما لم يعلم به غير الرب (فاتى الراعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره)
اى بكلام الذئب له (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له) اى للراعى (قم فحدثهم) اى الحاضرين والغائبين (ثم قال)
اى النبى عليه الصلاة والسلام بعد ان حدثهم الراعى او قبله (صدق) اى الراعى فى قوله وبالحق نطق فى نقله (والحديث
فيه قصة) اى طويلة او عظيمة وهو الاظهر لقوله (وفى بعضه طول) اى فى بعض الفاظه طول اى ليس هذا محل بسط
تلك الفصول وروى انه لما جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره صدقه ثم قال انها امارات بين يدى الساعة فقد
اوشك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى يحدثه ثم نعلاه وسوطه بما احدث اهله بعده وفى رواية قال والذى نفسى بيده
لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما احدث اهله
بعده (وروى حديث الذئب عن ابى هريرة) اى من طرق (وفى بعض الطرق عن ابى هريرة فقال الذئب انت اعجب
واقفا على غنمك) حال (وتركت) اى والحال انك قد تركت (نبيا) اى خدمته وصحبته مع انه نبى عظيم ورسول كريم
(لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا) اى رفعة ورتبة (قد فتحت له ابواب الجنة) اى وكذا لمن تبعه من اكابر الامة
(واشرف اهلها) اى واطلع اهل الجنة (على اصحابه ينظرون قتالهم) اى فى الغزوة وينتظرون وصالهم بالشهادة
وحسن مآلهم فى الجنة (وما بينك) اى والحال انه لا حائل بينك (وبينه الا هذا الشعب) بكسر اوله اى قطع
هذا الوادى وهو ما انفرج بين الجبلين (فتصير فى جنود الله) اى احزابه المجاهدين (فقال الراعى من) وفى نسخة ومن
(لى بغنمى) اى من يقوم لى برعاية غنمى (قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى) اى الى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم وما عنده من غنمه (وذكر) اى الراعى (قصته) اى مع الذئب (واسلامه ووجوده النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم) اى على وفق ما حكاه الذئب له (يقاتل فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عد) بضم العين
وسكون الدال المهملة اى ارجع (الى غنمك تجدها) جواب الامر اى تصادفها (بوفرها) بفتح الواو وسكون الفاء اى
بتمامها وكمالها ما نقص شئ منها (فوجدها كذلك) اى كما اخبره (وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان) بضم
الهمزة (ابن اوس) بفتح اوله اى وروى عنه ايضا (وانه) بكسر الهمزة ويجوز فتحها (كان صاحب القصة) اى
الحكية (والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع) على ما فى الروض الانف (وانه كان صاحب هذه
القصة ايضا) فيه ايماء الى تعدد القصة وتكرر القضية (وسبب اسلامه) اى فى هذه الرواية (بمثل حديث ابى سعيد)
متعلق بروى المقدرة قبل قوله وعن اهبان والحاصل انه اختلف فى اسم الراعى المتكلم معه الذئب فقيل هو اهبان بن
اوس السلمى ابو عقبة سكن الكوفة وقيل اهبان بن عقبة وهو عم سلمة بن الاكوع وكان من اصحاب الشجرة وقيل
اهبان بن عباد الخزاعى وقيل اهبان بن صيفى وعن الكلبى هو اهبان بن الاكوع وعند السهيلى هو رافع بن ربيعة
وقيل سلمة بن الاكوع والجمع ممكن بحمل القصة على تعدد القضية واختلاف المراد باهبان فى الرواية (وقد روى
ابن وهب مثل هذا) اى مثل ما جرى فى اخذ الذئب شاة (انه جرى لابى سفيان بن حرب) اى والد معاوية
(وصفوان بن امية) بالتصغير (مع ذئب وجداه اخذ ظبيا) اى اراد اخذه (فدخل الظبى الحرم فانصرف
الذئب) اى تعظيما للحرم المحترم (فعجبا) بكسر الجيم اى فتعجبا (من ذلك) اى من انصرافه عما هنالك (فقال
الذئب اعجب من ذلك) اى مما تعجبتما (محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة) اى الى سببها وهو الايمان
(وتدعونه الى النار) اى موجبها وهو الكفران فهذا مقتبس من قوله تعالى عن مؤمن آل فرعون ويا قوم ما لى ادعوكم
الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله واشرك به ما ليس لى به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم

ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار فستذكرون
ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد (فقال ابو سفيان) اى لصفوان (واللات والعزى
لئن ذكرت هذا) اى الخبر (بمكة) اى فيما بين اهلها (لتتركنها خلوفا) بضم الخاء المعجمة واللام اى بلا راع ولا حام كذا
في النهاية ويقال حي خلوف اذا غاب رجالهم وبقي نساؤهم وقيل اى متغيرة اخذا من خلوف فم الصائم والمعنى ان اهلها
بعد سماعهم هذا تغيرت احوالهم وذهبوا الى المدينة ولم يبق احد منهم الا دخل في الاسلام معهم ولعل هذا كان سبب
اسلامهم في آخر امرهم (وقد روى مثل هذا الخبر) اى الذي جرى لابي سفيان واحبابه (وانه) بفتح الهمزة وكسرها
(جرى لابي جهل واصحابه) الا انه لم يسلم لما جرى لما سبق له من الشقاوة الابدية في كتابه هذا وعند ابن القاسم عن انس
كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك فشردت علي منه غنمي فجاء الذئب فاخذ منها شاة فاشتدت
الرعاء خلفه فقال الذئب طعمة اطعمنيها الله تعالى تنزعونها مني فبهت القوم فقال ما تعجبون الحديث وفي الروض
ايضا في غزوة ذات السلاسل وهي في آخر الكتاب ما لفظه وذكر في هذه السرية صحبة رافع ابن ابي رافع لابي بكر
وهو رافع بن عمير وهو الذي كلمه الذئب وله شعر مشهور في تكلم الذئب له وكان الذئب قد اغار على غنمه فاتبعه فقال له
الذئب ألا ادلك على ما هو خير لك قد بعث الله نبيه وهو يدعو الى الله فالحق به ففعل ذلك رافع واسلم (وعن عباس بن
مرداس) بكسر الميم وكان الاولى ان يقول ومن ذلك حديث عباس بن مرداس (لما تعجب من كلام ضمار)
بكسر الضاد المعجمة وبفتح وميم مخففة فالف فراء ذكره الصغاني وغيره وفي نسخة بالدال (صنمه) بالجر بدل من ضمار
او بيان فانه اسم لصنم كان يعبده هو ورهطه (وانشاده) اى ومن قراءته برفع صوته (الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم) روى ان مرداس لما احتضر قال لابنه عباس اى بني اعبد ضمارا فانه سينفعك ولا يضرك
فتفكر عباس يوما عند ضمار وقال انه حجر لا ينفع ولا يضر ثم صاح باعلى صوته يا الهي الاعلى اهدني للتي هي اقوم
فصاح صائح من جوف الصنم

اودى ضمار وكان يعبد مدة * قبل البيان من النبي محمد
وهو الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدي
قل للقبائل من سليم كلها * اودى ضمار وعاش اهل المسجد

فحرق عباس ضمارا ثم لحق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم واسلم (فاذا طائر سقط) اى وقع ونزل بين يديه (فقال
يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك) اى بتخلفك عن مورث انسك (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يدعو) وفي نسخة صحيحة يدعوك (الى الاسلام وانت جالس) اى بعيد عن مقام المرام (فكان) اى كلام الطائر
(سبب اسلامه) والحديث هذا كما في الطبراني الكبير بسند لا بأس به قريب مما هنا (وعن جابر بن عبد الله) كما روى
البيهقي عنه (عن رجل) وهو اسلم او يسار وهو رجل اسود استشهد في غزوة خيبر كما ذكره ابو الفتح اليعمري في سيرته
(اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهو) اى النبي عليه الصلاة والسلام (على بعض حصون خيبر وكان)
اى الرجل (في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم) اى مع اصحابها (قال احصب) بفتح الهمزة وكسر
الصاد اى ارم بالحصباء وهي دقاق الحصى (وجوهها) اى لترجع الى دور مالكيها (فان) اى لان وفي نسخة بان اى
بسبب ان (الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها) اى بكمالها من غير خلاف لها (ففعل فسارت كل شاة) اى في
طريقها (حتى دخلت الى اهلها وعن انس) كما رواه احمد والبزار بسند صحيح (دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
حائط انصاري) اى بستان واحد من الانصار (وابو بكر وعمر ورجل من الانصار) اى معه (وفي الحائط غنم)
وهو بحركتين الشاء لا واحد لها من لفظها او الواحد شاة وهو اسم مؤنث للجنس يقع على الذكور والاناث وعليهما
جميعا (فسجدت له) اى للنبي عليه الصلاة والسلام سجود التحية والاكرام وانقادت له باظهار الاسلام فانه
مبعوث الى كافة الانام كما اختاره بعض الاعلام والظاهر ان سجودها كان بوضع الجبهة بعد القيام لقوله (فقال
ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها) اى فانها مع قلة عقلها اذا كانت تسجد لك فكيف نحن مع كثرة انتفاعنا بك
لكن امرنا متوقف على اذنك (الحديث) بتثليث المثلثة وسيأتي تمامه (وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه)
كما رواه البزار بسند حسن (دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر) اى ابو هريرة
(مثله) اى مثل حديث انس لا مثل حديث ابي هريرة كما توهم الدلجي فقالوا هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن
نعقل فنحن احق ان نسجد لك فقال لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر لو صلح لامرت المرأة ان تسجد لزوجها لما له من الحق
عليها (ومثله) اى مثل حديث ابي هريرة (في البعير) وفي نسخة صحيحة في الجمل (عن ثعلبة بن مالك) كما رواه

والحاكم من حديث ابي نوفل ابن ابي عقرب عن ابيه والبيهقي من طرق عن عبد الرحمن ابن ابي بكر رضي الله تعالى عنهم
قال الحلبي واعلم ان عتبة اسلم يوم الفتح وكذا اخوه معتب ولم يهاجرا من مكة وهذا هو المشهور وبعضهم جعل
هذا عقير الاسد وجعل عتيبة المصغر هو الذي اسلم وصحب والمشهور ان المصغر عقير الاسد والمكبر هو الصحابي
والله تعالى اعلم وسبب دعائه صلى الله عليه وسلم ما روى عروة بن الزبير ان عتيبة ابن ابي لهب وكان تحته بنت رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم
اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه الصلاة والسلام
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فرجع عتيبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب
من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش فاني اخاف على ابني دعوة
محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتيبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله هذا
وفي نسخة زيد هنا وقال لامرأة اكلك الاسد فاكلها قيل هذا بخطه ليس من الرواية (وحديثه المشهور) اى كما رواه
الشيخان (من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا) بفتح المهملة مقصورا هو
للبهيمة كالمشيمة لبني آدم وهي جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن امه ملفوفا فيه قال الشمني ان شقت عن وجه الفصيل
ساعة ينتج والا قتلته وكذا اذا انقطع السلا في البطن فاذا خرج السلا سلمت الناقة وسلم الولد وان انقطع في بطنها
هلكت وهلك الولد وقيل يخرج بعد الولد (على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم) اى قريشا مجملا ومفصلا
حيث قال اللهم عليك الملأ من قريش اللهم عليك بابي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة
وامثالهم (فقال) وفي نسخة وقال اى ابن مسعود (فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر) اى معظمهم فان اشقاهم عقبة
ابن ابي معيط الذي وضع على رقبته السلا حمل من بدر اسيرا فقتله علي بعرق الظبية بامر النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم له مقفلهم من بدر الى المدينة ولعل الحكمة في تأخير الاشقى ليشاهد العقوبة في اصحابه في الدنيا ولعذاب الآخرة
اشد وابقى قال الحلبي وعمارة بن الوليد لم يقتل ببدر ايضا وانما جرى له قصة مع النجاشي مشهورة وقد سحر فصار
متوحشا وهلك على كفره بارض الحبشة في زمن عمر رضي الله تعالى عنه (ودعا على الحكم ابن ابي العاص) اى ابن
امية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو ابو مروان عم عثمان اسلم يوم الفتح وتوفي في خلافة عثمان (وكان يختلج بوجهه
ويغمز) بكسر الميم (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يجلس خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا تكلم يحرك
شفتيه وذقنه حكاية لفعله ويرمز مشيرا بعينه او حاجبه (اى لا) اى اراد به رد الكلام استهزاء وسخرية (فرآه) اى
النبي عليه الصلاة والسلام مرة (فقال كن كذلك) وفي نسخة صحيحة كذلك كن (فلم يزل يختلج) اى يرتعد ويضطرب
(الى ان مات) رواه البيهقي من طرق عن عبد الرحمن ابن ابي بكر وعن ابن عمر وعن هند بن خديجة وفي رواية
فضربه فصرع شهرين ثم افاق مختلجا قد اخذ لحمه وقوته وقيل مرتعشا وقال التلمساني قوله يغمز اما يعيب لانه كان
يخبر المنافقين باسرار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او لانه كان يحكي فعله صلى الله تعالى عليه وسلم في مشيه وامره
ونحوه اولا بالفتح وتشديد الواو خلاف الاخير وروى اى لا باى التفسيرية ولا النافية فعلى الاول معناه كان يختلج
اولا قبل الدعوة ثم اختلج ثانيا بها ومعناه انه كان صحيحا ثم هلك بالدعوة فهو مفعول يختلج اى يختلج اولا اى قبل الدعوة
ويجوز ان يريد بالاول زمن الصحة وبالثاني زمن السقم فيكون خبر الكان او مفعول يختلج او اولا يشير الى ما كان عليه
من الاستهزاء فكنى باولا عنه لان فعله انما كان عن جهالة ولا يخرجه ذلك عن عداد الصحابة فقد ذكر فيهم وعلى
الثاني تفسير لفعله وحذف ما بعدها تشنيعا لذكره لان ذكر مثل هذا لا يليق لان فيه تنقيص النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ومعناه لا يكون كذلك الاولى او الاحق وما شاكل هذا بموطن او موطنين في غيبته او حضوره والله
تعالى اعلم (ودعا على محلم) بكسر اللام المشددة (ابن جثامة) بفتح الجيم وتشديد المثلثة (فمات) في حمص ايام ابن
الزبير على ما قاله السهيلي (لسبع) اى بعد سبعة ايام (فلفظته الارض) بفتح الفاء واعجام الظاء اى قذفته الارض
ورمته على ظهرها بعد دفنه في بطنها وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما لفظته الارض ان الارض لتقبل من
هو شر منه ولكن اراد الله ان يجعله لكم عبرة فالقوه بين سوحي جبل فاكلته السباع والسوح هو الشق (ثم ووري)
بضم اوله مجهول واري اى ستر تحت الارض (فلفظته مرات) ظرف للفعلين (فالقوه) بفتح القاف اى رموه (بين
صدين) بفتح الصاد وبضم جبلين او واديين (ورضموا عليه) بفتح الراء والضاد المعجمة اى كوموا عليه (بالحجارة) رواه
البيهقي عن قبيصة بن ذؤيب وابن جرير موصولا عن ابن عمر وقال الحسن بلغني انه دعا الحديث وسبب دعائه على محلم
انه كان بعث سرية للغزو وفيها محلم فحمل عليهم عامر بن الاضبط فلما بلغوا بطن واد قتل محلم عامرا غدرا لغرى ماجرى

(وجحده رجل) اى من الصحابة على ماذكره الدلجى ولعله كان منافقا (بيع فرس) اى انكره (وهى) القصة (التى شهد فيها خزيمة) بالتصغير (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بانه اشتراه منه مع انه لم يره وجعل صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته وحدها مقبولة عن اثنين (فرد الفرس بعد) بالضم اى بعد جحده وشهادة خزيمة له (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على الرجل) والمعنى فرد على الرجل فرسه (وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها) اى فرسه (فاصبحت شاصية برجلها) اى رافعة من سبب نفعها شاصا بصره اى شخص (وهذا الباب اكثر من ان يحاط به) اى بجميع فصوله من فروعه واصوله

(فصـــل)

(فى كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان) اى بتحولها وتغيرها عن حالتها الاولى (له فيما لمسه اوباشره صلى الله تعالى عليه وسلم) والكرامة اسم من الاكرام (انا) اى اخبرنا كما فى نسخة (احمد بن محمد) اى ابن غلبون الخولانى (ثنا) اى حدثنا (ابوذر الهروى اجازة وثنا القاضى ابوعلى سماعا) تقدم انه الحافظ ابن سكرة (والقاضى ابو عبدالله محمد ابن عبدالرحمن وغيرهما) اى وغير القاضيين ايضا (قالوا) اى جميعهم (حدثنا ابو الوليد القاضى ثنا ابو ذر الهروى سبق (ثنا ابو محمد) وهو السرخسى (وابواسحق) وهو المستملى (وابوالهيثم) وهو الكشميهنى (قالوا) اى الثلاثة (ثنا الفربرى) بكسر ففتح على الاشهر (ثنا البخارى) اى صاحب الجامع الصحيح (ثنا يزيد بن زريع) بالتصغير وهو ابومعاية البصرى الحافظ قال الحلبى وقد سقط واحد بين البخارى وبين يزيد بن زريع فان يزيد بن زريع ليس شيخا للبخارى وانما هو شيخ شيوخه والساقط هو عبدالاعلى بن حماد وقد اخرج البخارى هذا الحديث الذى ذكره القاضى فى كتاب الجهاد عن عبدالاعلى بن حماد عن يزيد بن زريع بالسند الذى ساقه القاضى قال الحجازى وكذا وجدته فى النسخة المعتمدة انتهى وعبدالاعلى هذا روى عن الحمادين ومالك وعنه الشيخان وابو داود وابو يعلى والبغوى (ثنا سعيد) اى ابن ابى عروبة (عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل المدينة فزعوا) بكسر الزاى اى خافوا واستغاثوا (مرة) اى وقتا من الاوقات (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قبل الناس حين خرج من المدينة (فرسا لابى طلحة) اى مستعارا منه (كان) اى الفرس (يقطف) بضم الطاء ويكسر اى يقارب خطوه فى سرعة وزيد فى اصل الدلجى به فقال اى يابى طلحة (اوبه قطوف) بضم اوله شك ممن رواه عن انس ذكر الدلجى اوممن بعده قال الجوهرى القطوف من الدواب البطى وقال ابوزيد هو الضيق المشى وقد قطفت الدابة قطفا والاسم القطاف (وقال غيره) اى غير انس (يبطأ) بفتح الطاء المهملة المشددة فهمزة اى لضيق الخطى وهو من البطئ وعند الطبرى تبطا اى ثقيلا وقال ابوعبيد فى قوله تعالى فثبطهم اى عوقهم (فلما رجع) اى من الفزع الى المدينة ولم ير بأسا (قال) اى لابى طلحة (وجدنا فرسك بحرا) اى واسع الجرى سريع العدو (فكان) اى ذلك الفرس (بعد) اى بعد ركوبه اوقوله هذا (لايجارى) بضم الياء وفتح الراء من الجرى بالجيم اى لايسابق ولا يبارى والمعنى لايسبقه غيره حينئذ (ونخس جمل جابر) بالنون والخاء المعجمة المفتوحتين اى طعنه عند دبره اوجنبه بجعن اونحوه (وكان) اى الجمل (قداعيى) اى عجز عن المشى وتعب عن السير (فنشط) بكسر الشين المعجمة وفى مضارعه بفتحها اى خف واسرع وفى النهاية وكثيرا ما يجيء فى الرواية انشط وليس بصحيح (حتى كان) اى انتهى نشاطه الى ان صار جابر (ما يملك) ويروى لايملك (زمامه) رواه الشيخان (وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة فتحتية ساكنة (الاشجعى خفقها) اى ضربها (بمخفقة) بكسر الميم وفتح الفاء اى بدرة (معه وبرك عليها) بتشديد الراء اى دعا بالبركة لها (فلم يملك) اى جعيل بعد ذلك (رأسها نشاطا) بفتح النون اى من اجل اسراعها (وباع من نسلها) وفى نسخة من بطنها (باثنى عشر الفا) وهذا من اثر دعائه بالبركة لها وما قبله من اثر ضربه وتوجهه اليها فهما نشر ولف مرتب لما قبلهما رواه البيهقى (وركب حمارا قطوفا) بفتح القاف (لسعد بن عبادة فرده) اى من محله الذى انتهى اليه اومن وصفه الذى كان عليه (هملاجا) بكسر فسكون ثم جيم اى سريع الهرولة فارسى معرب ويسمى الآن رهوانا (لايساير) بصيغة المفعول اى لاتسايره دابة الاسبقها رواه ابن سعد من حديث اسحق بن عبدالله ابن ابى طلحة (وكانت شعرات من شعره) بفتح العين ويسكن اى من شعراته كما فى نسخة صلى الله تعالى عليه وسلم (فى قلنسوة خالد بن الوليد) بفتح القاف واللام وضم السين ما يوضع على الرأس مثل الكوفية (فلم يشهد بها) اى فلم يحضر خالد بتلك القلنسوة (قتالا الارزق النصر) بصيغة المفعول ونصب النصر اى اعطى الفتح والظفر رواه البيهقى (وفى الصحيح) اى من رواية مسلم وابى داود والنسائى وابن ماجه (عن اسماء بنت ابى بكر) اى الصديق رضى الله تعالى عنهما (انها اخرجت جبة طيالسة) بالاضافة كما فى شرح مسلم للنووى وفى نسخة بالوصف جمع طيلسان بفتح اللام وبتثليث

فارسى معرب وفى نسخة طيالسية بزيادة تحتية وفسرت بالخلق وهو امامن اصلها واما لما طرأ عليها الان هذه الجبة صارت بيد اسماء بعد موت اختها عائشة وهى ماتت بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بنحو خمس واربعين سنة وفسرت بالاكسية وبالخضر ثم طيالسة بالتنوين لانها فى زنة رفاهية وغمانية (وقالت) اى اسماء (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يلبسها) بفتح الموحدة (فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها) جملة حالية اومستأنفة مبينة وهى بصيغة المفعول وفى نسخة بصيغة المتكلم هذا وقال المصنف (وحدثنا القاضى ابوعلى) وهو ابن سكرة (عن شيخه ابى القاسم ابن الميمون) اخذ عن ابى محمد الباجى (قالت كانت عندنا قصعة) بفتح القاف ومن لطائف كلام اهل باب اللغة لاتفتح الجراب ولاتكسر القصعة (من قصاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف جمع (فكنا نجعل فيها الماء للمرضى يستشفون) وفى نسخة فيستشفون (بها) اى فيشفيهم الله تعالى ببركة نسبتها (فاخذ جهجاه) بالتنوين وهو بالجيمين والهائين ابن سعد اوسعيد اومسعود وقال الطبرى المحدثون يزيدون فى آخره الهاء والصواب جهجا بدون هاء فى آخره (الغفارى) بكسر اوله حضر بيعة الرضوان وعن عطاء عنه انه كان يشرب حلاب سبع شياه فلما اسلم لم يتم حلاب شاة (القضيب) هو عصا النبى التى كان الخلفاء يتداولونها (من يد عثمان) اى وهو على المنبر (ليكسره على ركبته) اى معتمدا عليها (فصاح به الناس) وفى نسخة فصاح الناس به (فاخذته فيها الاكلة) بفتح فكسر ويسكن وبكسر فسكون وبفتحتين اى الحكة وفى نسخة بمد فكسر (فقطعها) اى ركبته وتذكير الضمير العائد الى الاكلة بتاويل الداء (ومات قبل الحول) رواه ابونعيم فى الدلائل وابن السكن فى معرفة الصحابة وقال ابن عبدالبر هو الذى تناول العصا من يد عثمان وهو يخطب وكانت عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى بعد عثمان بسنة ذكره الحلبى ثم كسر العصا ليس صريحا فى كلام القاضى وهو صريح فى كلام ابن عمر ولكنى رأيت فى حاشية على كتاب الروض الانف للسهيلى عن ابن دحية نقلا عن ابن العربى فى كتاب العواصم انه لايصح كسر العصا ممن اطاع ولا من عصا قلت وكذا يخالف بين قوليهما حيث قال القاضى مات قبل الحول وقال ابن عبدالبر توفى بعد عثمان بسنة والله سبحانه وتعالى اعلم (وسكب) اى صب (من فضل وضوئه) بفتح الواو ويضم اى ماء وضوئه (فى بئر قبا) يهمز مصروف ويمنع وقد يقصر ولعلها بئر اريس (فمانزفت) اى مافنيت ولانقصت وفى نسخة بصيغة المجهول ففى الصحاح نزفت ماء البئر اذا نزحته كله ونزفت هى فيتعدى ولايتعدى ونزفت ايضا على مالم يسم فاعله وحكى الفراء نزفت البئر اذا ذهب ماؤها (بعد) اى بعد صبه الى يومنا هذا رواه البيهقى عن انس (وبزق فى بئر كانت فى دار انس فلم يكن) اى ماء (بالمدينة) وفى نسخة فى المدينة (اعذب منها) اى اطيب واحلى ماء من تلك البئر رواه ابونعيم ولله در القائل من صاحب الشمائل

ولو تفلت فى البحر والبحر مالح ❊ لاصبح ماء البحر من ريقها عذبا

(ومر على ماء فسأل عنه فقيل) اى له كما فى نسخة (اسمه بيسان) بكسر موحدة وتفتح فسكون تحتية (وماؤه ملح) بكسر فسكون مبالغة مالح اى اجاج (فقال بل هو نعمان) بضم اوله وفى نسخة صحيحة بفتحه واختاره التلمسانى للمشاكلة ولو كسر لكان له وجه وجيه لقضية حسن المقابلة وهو مأخوذ من النعمة بكسر اولها اوفتحها (وماؤه طيب فطاب) اى بمجرد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل بيسان موضعان احدهما بالشام وهو المراد فى حديث الدجال والاخر بالحجاز وهو الذى مر به عليه الصلاة والسلام فى غزوة ذى قرد فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان فقال هو نعمان وهو طيب فغير صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه فغير الله وصفه ورسمه فاشتراه طلحة فتصدق به فسماه عليه السلام طلحة الفياض (فاتى) كذا فى نسخة صحيحة والظاهر واتى بالواو كما فى بعض النسخ المصححة وهو بصيغة المفعول اى وجيء (بدلو من ماء زمزم فمج) بفتح الميم وتشديد الجيم اى القى من فيه ماء (فيه) اى فى الدلو وهو مؤنث وقد يذكر على ما فى القاموس (فصار اطيب من المسك) رواه ابن ماجه وروى البيهقى عن وائل الحضرمى ولم يقل من ماء زمزم (واعطى الحسن والحسين) اى كلا منهما (لسانه فمصاه) بتشديد الصاد (وكانا يبكيان عطشا) جملة حالية وعطشا مفعول من اجله لاتمييز كما اختاره الحلبى (فسكتا) اى بسكون عطشهما رواه الطبرانى عن ابى هريرة (وكان لام مالك) اى الانصارية روى عنها عطاء بن السائب بواسطة رجل اوالبهزية روى عنها طاووس والظاهر ان المراد بها الاول وقال شارح الصواب ام انس بن مالك فسقط ذكر انس قاله ابوعلى الغسانى وهى ام سليم بنت ملحان (عكة) بضم مهملة فكاف مشددة اناء من جلد يجعل فيه السمن (تهدى) بضم التاء وكسر الدال اى ترسل (فيها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم سمنا) اى ليتأدم به (فامرها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان لاتعصرها) بضم الصاد اى امرها بترك عصرها (ثم دفعها اليها فاذا هى مملوءة سمنا فيأتيها بنوها يسألونها الادم) بضم فسكون وبضمتين وهو كل ما يؤتدم به (وليس

عندهم شئ) من الادم اومن السمن (فتعمد اليها) بكسر الميم اى تقصد على العكة (فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها)
وفى نسخة ادمهم اى تديم ذلك الادام (حتى عصرتها) رواه مسلم عن جابر (وكان يتفل) بضم الفاء وكسرها
(فى افواه الصبيان المراضع) بفتح الميم اى اولاد المراضع كما قاله الحلبى وهو الظاهر وقال الدلجى جمع رضيع يعنى
مرضع اسم مفعول (فيجزئهم) بضم الياء وكسر الزاى فهمزة ويسهل لا كما قال الدلجى بفتح التحتية اى يكفيهم
(ريقه الى الليل ومن ذلك) اى من قبيل كراماته (بركة يده) اى الحاصلة (فيما لمسه) اى مسه بها مطلقا (اوغرسه)
اى من شجر وغيره كما فى اصل الدلجى وفى النسخ المصححة وغرسه (لسلمان) بالواو وهو الظاهر لانه حديث مستقل
رواه البيهقى عن سلمان انه عليه الصلاة والسلام غرسه له (حين كاتبه مواليه) وهم يهود واصله من فارس من قوم
مجوس فخرج بطلب الدين وطريق اليقين وجعل ينتقل من دين الى دين حتى اخذه قوم من العرب فباعوه فكاتبوه
(على ثلاثمائة ودية) بتشديد التحتية صغير فسيل النخل (يغرسها لهم) بكسر الراء (كلها) بالرفع اى جميعها
(تعلق) بفتح اللام وتضم اى تمسك او تحبل (وتطعم) بضم التاء وكسر العين اى تعطى الثمرة او تدرك (وعلى اربعين
اوقية) بضم الهمزة وتشديد التحتية على المشهور وبحذف الهمزة وفتح الواو فى لغة وهى كانت اربعين درهما من
فضة فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد هنا وزنها لقوله (من ذهب) قال الحلبى انما كاتب سلمان مولاه ففيه
مجاز ولكن جاء فى بعض طرقه وهو فى المسند انه عليه الصلاة والسلام اشتراه من قوم من اليهود بكذا وكذا درهما
وعلى ان يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان حتى تدرك (فقام النبى عليه الصلاة والسلام وغرسها له)
اى لسلمان اولمالكه (بيده الا واحدة) بالنصب (غرسها غيره) وهو عمر بن الخطاب على ماذكره ابن عبد البر بسنده
فى الاستيعاب وهو فى مسند احمد ايضا وفى طريق اخرى ذكرها البخارى فى غير صحيحه ان الذى غرسها سلمان فيجمع
بينهما بان واحدة غرسها عمر واخرى غرسها سلمان اوان يكونا غرسا واحدة فلم تطعم ويكون الراوى مرة عزا غرسها
لعمر ومرة عزا غرسها لسلمان ان كان الراوى واحدا وهو بريدة كما رواه احمد وان كان غيره فيكون فيه مجاز كذا حققه
الحلبى ويؤيد الثانى من القولين قوله (فاخذت كلها) اى نبتت واثمرت (الا تلك الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ورده) اى بيده الكريمة (فاخذت) اى اخذت عروقها ونشبت فى محلها (وفى كتاب البزار) بتشديد
الزاى وفى آخره راء (فاطعم النخل) اى جنس ماذكر (من عامه الا واحدة) اى التى غرسها غيره عليه الصلاة والسلام
(فقلعها وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه) اى سلمان (مثل بيضة الدجاجة) بفتح الدال ويثلث اى مقدارها
وزنا اوحجما (من ذهب بعد ان ادارها) اى تلك القطعة التى هى كالبيضة (على لسانه) اى مبالغة للبركة فى شانه
واذا جاز حمله على حقيقته فلا معنى لقول الدلجى لعله اراد بذلك انه برك عليها اى دعا فيها بالبركة فلم يسمعه من شاهده
فظن انه انما ادارها عليه (فوزن) اى سلمان (منها لمواليه اربعين اوقية وبقى عنده مثل ما اعطاهم) اى كمية
وازيد منه كيفية وكان سلمان من المعمرين عاش على الاصح مائتين وخمسين سنة وقيل ثلثمائة وخمسين سنة وقيل
اربعمائة سنة مائة فى المجوسية ومائة فى اليهودية ومائة فى النصرانية ثم لما اسلم قال يارب عمرنى فى الاسلام مائة
سنة فعاش مائة فى الاسلام وكان يأكل من عمل يده ويتصدق بعطائه وهو احد الذين اشتاقت اليهم الجنة ومناقبه
كثيرة وفضائله غزيرة مات بالمدائن سنة خمس وثلاثين وماترك شيأ يورث عنه (وفى حديث حنش) بمهملة
فنون مفتوحتين فمعجمة (ابن عقيل) بفتح العين وكسر القاف وفى بعض النسخ المصححة بالتصغير وهو حديث طويل
ارواه قاسم بن ثابت فى الدلائل من طريق موسى بن عقبة عن المسور بن مخرمة عنه وقال شارح لم اره اثرا فى كتاب
الصحابة لابن عبد البر ولا خبرا فعلى من رآه ان يرسمه هنا (سقانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق
شرب اولها وشربت آخرها فما برحت) بكسر الراء اى مازلت (اجد شبعها) بكسر ففتح (اذا جعت وريها)
بكسر راء فتشديد تحتية (اذا عطشت) بكسر الطاء (وبردها اذا ظمئت) بكسر الميم من الظمأ وهو العطش الشديد
من كثرة الحر او شدة الحرارة (واعطى قتادة بن النعمان) بضم النون (وصلى معه العشاء فى ليلة مظلمة مطيرة) جملتان
معترضتان وردتا اعتراضا بين اعطى ومفعوله الثانى كذا ذكره الدلجى والظاهر ان الجملة واحدة وان قوله فى ليلة ظرف
لقوله صلى (عرجونا) بضم العين والجيم ويكسر مع فتح الجيم وقرئ بهما وهو اصل العذق الذى يعوج ويقطع منه
الشماريخ فيبقى على النخل يابسا ولعله هو العذق مطلقا وقيل اذا يبس واعوج وهو الملائم لقوله تعالى حتى عاد
كالعرجون القديم (وقال انطلق به فانه سيضيء لك بين يديك عشرا) اى عشرة اذرع او نحوها والعدد اذا حذف
مميزه جاز تذكيره وتأنيثه (ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا) اى جسما اسود اوجسما وشخصا
(فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون) هو اصل العذق كما تقدم (حتى دخل بيته ووجد

السواد فضربه حتى خرج) رواه احمد عن ابى سعيد بسند صحيح وفى توثيق عرى الايمان للبارزى فانه قنفذ بدل فانه
شيطان ولا تنافى فلعله تمثل بصورته اسود (ومنها) اى ومن كراماته مما كان سببا لانقلاب الاعيان (دفعه) اى اعطاؤه
عليه الصلاة والسلام (لعكاشة) بضم اوله وتشديد الكاف وتخفيفه (جذل حطب) بكسر جيم ويفتح وسكون
ذال معجمة اى اصل شجرة واراد به هنا عودا وقيل هو الحطبة او الخشبة الغليظة (وقال اضرب به حين انكسر سيفه)
ظرف لدفعه (يوم بدر) اى زمن وقعته (فعاد) اى فتحول (فى يده سيفا) وفى نسخة فصار فيكون مجازا عنه اذ لم يكن
قط سيفا فيعود (صارما) اى قاطعا (طويل القامة ابيض) اى بريق اللمعان (شديد المتن) من المتانة وهى القوة
اوقوى الظهر فان المتن هو اصل الشئ الذى به قوامه بمنزلة الظهر للاعضاء ومنه متن الحديث (فقاتل به) اى فى وقعة
بدر حتى انقضت (ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف) اى لقتال الكفرة (الى ان استشهد) اى عكاشة (فى قتال اهل الردة
وكان هذا السيف يقال له) وفى نسخة يسمى (العون) بالمصدر للمبالغة او بمعنى المعين او المعان والله المستعان
رواه البيهقى وقال الخطابى يجب ان يعلم ان الذين لزمهم اسم الردة من العرب كانوا صنفين صنف منهم ارتدوا عن الدين
ونابذوا الملة وعادوا الى الكفر وهم المعنيون بقول ابى هريرة وكفر من كفر وهم اصحاب مسيلمة ومن نحا نحوهم
فى انكار نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والصنف الآخر هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة فاقروا بالصلاة
وانكروا الزكاة يعنى اعطاءها لا وجوبها وهؤلاء هم اهل بغى وانما لم يخصوا بهذه السمة لدخولهم فى غمار اهل الردة
بخلاف المسلمين فاضيف الاسم فى الجملة الى الردة اذ كانت اعظم الامرين خطبا وصار مبدأ قتال اهل البغى مؤرخا
بايام على رضى الله تعالى عنه اذ كانوا منفردين فى عصره ولم يختلطوا باهل شرك فى دهره (ودفعه) اى ومنها دفعه
عليه الصلاة والسلام (لعبد الله بن جحش) بفتح جيم فسكون مهملة (يوم احد وقد ذهب سيفه) جملة حالية اعتراضية
(عسيب نخل) اى جريدة منه مما لا خوص عليه وما نبت عليه الخوص فهو سعف والخوص الاوراق (فرجع) اى
انقلب (فى يده سيفا) رواه البيهقى وفى سيرة ابن سيد الناس انه اعطى سلمة بن اسلم يوم بدر قضيبا من عراجين ابن طاب
كان فى يده فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر ابى عبيدة انتهى ونقله الواحدى باسناده (ومنه) اى
ومن هذا النوع (بركته فى درور الشياه الحوائل) بالهمز جمع الحائل وهى الشاة العديمة اللبن (باللبن الكثير كقصة
شاة ام معبد) بفتح الميم والموحدة وقصتها ما رواه ابن سعد والطبرانى عن ابى معبد الخزاعى انه صلى الله تعالى عليه وسلم
لما هاجر ومعه ابو بكر ومولاه عامر بن فهيرة وعبد الله بن الاريقط استأجره دليلا وهو على دين كفار قريش فاخذ بهم
طريق الساحل فمروا بقديد على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة تحتبى بفناء بيتها فتطعم وتسقى
من مر بها وكانوا مرملين مسنتين فطلبوا منها البنا فلم يجدوا فرأوا عندها شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال اتاذنين لى
ان احلبها قالت نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يربض الرهط فحلب فيه
ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا ثم تركه عندها وارتحلوا فجاء زوجها ابو معبد يسوق
اعنزا عجافا يتساوكن هزالا فرأى اللبن فعجب فقال انى لك هذا قالت مر بنا رجل مبارك الحديث (واعنز معاوية) بفتح
همزة وسكون عين وضم نون جمع قلة لعنز اى شاة انثى وفى اصل العز فى المصحح من اصل المؤلف معونة بفتح الميم وضم
العين وبالنون من العون والظاهر انه تصحيف فقد ذكر الطبرى فى كتاب الدلائل معاوية (ابن ثور) بفتح مثلثة وسكون
واو وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شيخ كبير ومعه ابنه بشر فدعا له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
ومسح رأسه واعطاه اعنزا عشرا فقال محمد بن بشر بن معاوية بن ثور فى ابيه

وابى الذى مسح الرسول برأسه * ودعا له بالخير والبركات

والتقدير وقصتها كما رواه ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله (وشاة انس) اى وقصتها
(وغنم حليمة مرضعته وشارفها) وهى المسنة من النوق وقيل من الابل وقيل من المعز على ما رواه
ابو يعلى والطبرانى وغيرهما بسند حسن (وشاة عبد الله بن مسعود) اى كما رواه البيهقى (وكانت) اى
تلك الشاة (لم ينز) بفتح الياء وسكون النون وضم الزاى اى لم يثب ولم يعل (عليها الفحل) اى للضراب وروى
انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح ضرع شاة حائل لا لبن لها لابن مسعود فدرت وكان ذلك سبب اسلامه
(وشاة المقداد) كما فى صحيح مسلم وكلها كانت مثل شاة ام معبد وقد درت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم
هذا وقصة شاة المقداد مختصرة ما روى عنه انه قال اقبلت انا وصاحبان لى وقد ذهب اسماعنا وابصارنا من الجهد
يعنى الجوع فعرضنا انفسنا على اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلنا احد فاتينا النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فانطلق بنا الى اهله فاذا ثلاث اعنز فقال احتلبوا هذا اللبن بيننا فكنا نحتلب فكان يشرب

كل انسان نصيبه ونرفع للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم نصيبه فيجيء من الليل فيشرب به فوقع فى نفسى ذات ليلة ان نبى الله يأتى الانصار فيتحفونه مابه حاجة الى هذه الجرعة فشربتها ثم ندمت على مافعلت خشية انه اذا جاء فلم يجده يدعو على فاهلك وجعل لايجيء النوم واما صاحباى فناما فجاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كعادته وكشف عن نصيبه فلم يجد شيأ فرفع رأسه الى السماء فقلت الآن يدعو على فقال اللهم اطعم من اطعمنى واسق من سقانى قال فاخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز ايتها اسمن اذبحها له فاذا هن حفل كلهن فعمدت الى اناء فحلبت فيه حتى علته رغوة فجئت به اليه فشرب ثم ناولنى فلما عرفت ان النبى قد روى واصبت دعوته ضحكت حتى القيت على الارض فقال احدى سوءتك يامقداد يعنى انك فعلت سوءة من الفعلات فما هى قال فقلت يارسول الله كان من امرى كذا وكذا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ماهذه الا رحمة من الله (ومن ذلك) اى من قبيل كراماته وزيادة بركاته كما رواه ابن سعد عن سالم ابن ابى الجعد مرسلا (تزويده اصحابه سقاء) بكسر اوله اى وعاء (ماء بعدان اوكأه) بالف بعد الكاف اى ربطه بالوكاء وهو خيط يشد به الوعاء (ودعا به فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه) بضم اللام المشددة اى فتحوا السقاء بحل الوكاء (فاذا به) اى فيه وفى نسخة فاذا هو فاجأهم ذلك الماء فى السقاء (لبن طيب وزبدة) بناء وحدة وفى اصل الدلجى زبده بالاضافة اى زبد اللبن (فى فيه) وفى نسخة فمه اى فى فم السقاء (من رواية حماد ابن سلمة) متعلق بقوله تزويده قال الحلبى هو الامام ابو سلمة احد الاعلام قال ابن معين اذا رأيت من يقع فيه فاتهمه على الاسلام وقد تقدم عليه الكلام (ومسح على رأس عمير بن سعد) بضم عين وفتح ميم وفى نسخة عمر بن سعد كلاهما صحابى قال الحلبى وما اعرف من جرت له القصة منهما قلت ولا يبعد ثبوت القضية عنهما ففى كل نسخة اشارة الى احدهما بل روى الزبير بن بكار فى اخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد انه عبادة لا عمير ولا عمر فتدبر (وبرك) اى دعا بالبركة (فمات وهو ابن ثمانين سنة فما شاب) اى رأسه خصوصا او شعره عموما والله تعالى اعلم (وروى مثل هذه القصص) اى الروايات المتضمنة للحكايات الدالة على عموم البركات (عن غير واحد) اى عن كثيرين من الصحابة (منهم السائب بن يزيد) وقد سبق ذكره (ومدلوك) وهو ابن سفيان الفزارى مولاهم اسلم مع مواليه علق البخارى حديثه وقيل هو مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره ابن حبان فى ثقاته فقال مدلوك ابو سفيان كان يسكن الشام اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلم فدعا له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومسح برأسه فكان رأس ابى سفيان مامسه من يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسود وسائر رأسه ابيض (وكان يوجد لعتبة بن فرقد) اى ابن يربوع السلمى له صحبة وولى الموصل لعمر وكان شريفا وشهد خيبر وابتنى بالموصل دارا ومسجدا واما ابنه عمرو فمن الاولياء ذكره الذهبى (طيب يغلب طيب نسائه) اى رائحة وفائحة (لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره) رواه البيهقى والطبرانى (وسلت الدم) اى مسحه واماطه (عن وجه عائذ) بالذال المعجمة بعد الهمزة (ابن عمرو) اى ابن هلال ابو هبيرة المزنى بايع تحت الشجرة وكان من الصالحين (وكان) اى وقد كان (جرح يوم حنين) وفى نسخة يوم احد (ودعا له فكانت) اى بعده كما فى نسخة اى بعد سلته من موضعه (له غرة) اى بياض فى وجهه من غير سوء به (كغرة الفرس) وفى اصل الدلجى ولا كغرة الفرس اى بل اعلى منها رواه الطبرانى (ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامى) بضم الجيم له وفادة (ودعا له) اى بالبركة (فهلك) اى مات (وهو ابن مائة سنة ورأسه ابيض وموضع كف النبى) وفى نسخة كف رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم ومامرت يده عليه من شعره) اى بقية شعر رأسه (اسود فكان) اى قيس بسبب تلك الغرة فى جبهته (يدعى الاغر) اى تشبيها لما فى وجهه من البياض كغرة الفرس ذكره ابن الكلبى (وروى مثل هذه الحكاية) اى من مسح الرأس وظهور اثر المسح كما رواه البيهقى (لعمرو ابن ثعلبة الجهنى) قال الحلبى هذا الآخر لا اعرفه وقال الدلجى لعله خزيمة بن سواد بن الحارث اذ قد روى ابن سعد عن وجه السعدى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح وجهه فصارت له غرة بيضاء (ومسح وجه قتادة بن ملحان) بكسر الميم وسكون اللام قال الحلبى مسح رأسه ووجهه ولعل غالب مسحه كان على وجهه ولذا اقتصر عليه (فكان لوجهه بريق) اى لمعان عظيم (حتى كان ينظر فى وجهه) بصيغة المجهول (كما ينظر فى المرآة) بكسر الميم والهمزة الممدودة رواه احمد والبيهقى (ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم) بكسر حاء مهملة وسكون ذال معجمة فتح تحتية وفى نسخة بالجيم مصغرا وهو تصحيف وضبطه التلمسانى بخاء معجمة مضمومة وراء مفتوحة وبمثناة من اسفل ساكنة قال وروى مثل ماقدمنا واخترناه قال وكذا ذكره ابو عمر وهو الذى روى حديث لا يتم بعد احتلام قال الذهبى حديثه فى مسند احمد ولابيه صحبة وذكر فى التجريد حنيفة والد حذيم ان لها صحبة ولابنه حنظلة قيل ولابن ابنه ايضا لكن قال موسى بن عقبة فيما نقله عنه ابن الجوزى وغيره ما نعلم اربعة ادركوا رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم الا هؤلاء يعنى ابا قحافة وابنه ابا بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد ويكنى ابا عتيق قال الحلبى ومحمد ابو عتيق الصحيح انه تابعى ولو قال موسى بن عقبة عبد الله بن الزبير وامه اسماء وابوها ابو بكر وابوه ابو قحافة لكان صوابا فان هؤلاء لا خلاف فى صحبتهم (وبرك عليه) اى دعا له بالبركة (فكان حنظلة يؤتى بالرجل) اللام للعهد الذهنى فهو فى حكم النكرة اى برجل من الرجال (قد ورم وجهه) بكسر الراء اى تورم وانتفخ (والشاة) اى وبالشاة (قد ورم ضرعها) بفتح اوله اى ثديها (فيوضع) وفى نسخة فيضع اى محل الورم منها (على موضع كف النبى صلى الله عليه وسلم) اى من رأسه (فيذهب الورم) اى من وجه الرجل وضرع الشاة رواه البيهقى وغيره (ونضح) بالحاء المهملة وقيل بالمعجمة وقيل بمهملة ان اعتمد وبمعجمة ان لم يعتمد رش (فى وجه زينب) اى ربيبته (بنت ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان) وفى نسخة فما كان يعرف (فى وجه امرأة من الجمال مابها) اى مثل ما كان بوجهها من الكمال رواه ابن عبد البر فى استيعابه وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى بام سلمة دخل عليها بيتها فى ظلمة فوطئ على زينب فبكت فلما كان من الليلة الاخرى دخل فى ظلمة فقال انظروا زيانبكم لئلا اطأ عليها او قال اخروا حكاه السهيلى هكذا ومن قصتها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغتسل فدخلت عليه فنضح فى وجهها بالماء فلم يزل ماء الشباب فى وجهها حتى كبرت وتوفيت يوم مات معاوية (ومسح على رأس صبى به عاهة) اى آفة من قرع ونحوه (فبرأ) اى زال مابه (واستوى شعره) اى على حاله بل احسن منه فى مآله هذا الحديث لا يعرف من رواه بهذا اللفظ الا ان ابا نعيم روى عن الاوزاعى انه انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن له مجنون فمسح وجهه ودعا له فلم يكن فى الوفد احد بعد دعوته له اعقل منه اى ببركة دعائه وكان القياس ان يقال ولا احسن منه ببركته ومسح وجهه هذا وزيد فى نسخة هنا وروى مثله فى خبر المهلب بن قبالة بفتح القاف والباء الموحدة المخففة وباللام وروى هلب بن قنافة بضم الهاء وسكون اللام وآخره موحدة وقنافة بضم القاف وفتح النون مخففة وبالفاء كذا ذكره ابو عمر وقيل وهو الصواب ولعلهما قصتان لرجلين وقال الطبرى هو المهلب بن يزيد بن عدى بن قنافة الطائى وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اقرع فمسح على رأسه فنبت شعره فسمى المهلب (وعلى غير واحد) اى ومسح على كثيرين (من الصبيان المرضى والمجانين) عطف على الصبيان (فبرؤا) بفتح الراء وبكسر فعو فوا من مرضهم وجنونهم (واتاه رجل به ادرة) بضم همزة وتفتح وسكون دال وبفتحتين اى نفخة فى خصيته (فامره ان ينضحها) بفتح الياء وكسر الضاد المعجمة اى يرشها (بماء من عين) اى ماء وفى نسخة من عين غس بفتح غين معجمة وتشديد سين مهملة (مج) اى صب من فيه (فيها) اى فى تلك العين وفى نسخة فيه اى فى الماء او فى ذلك المكان (ففعل) اى النضح (فبرأ) قال الدلجى لا اعلم من رواه (وعن طاوس) يكتب بواو ويقرأ بواوين كداود والهمز غلط فيهما وهو ابن كيسان اليمانى من ابناء الفرس وقيل اسمه ذكوان فلقب به لانه كان طاوس القراء كما قاله ابن معين روى عن ابى هريرة وابن عباس وعائشة وخلق وعنه الزهرى وسليمان التيمى وابنه عبد الله بن طاوس وجمع وهو رأس فى العلم والعمل توفى بمكة سنة ست او خمس ومائة اخرج له الائمة الستة (لم يؤت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ماجيء (باحد به مس) اى جنون اوله (فصك) بتشديد الكاف اى ضرب (فى صدره الا ذهب) اى مابه من المس (والمس الجنون) لانه يحصل بسببه كذا وقفه المصنف على طاوس ولم يعلم من رواه عنه من المخرجين (ومج) بتشديد الجيم اى صب من فمه (فى دلو) اى فيه ماء (من بئر) وسبق فى رواية القاضى من بئر زمزم (ثم صب) بفتح الصاد وبضم اى كب الدلو يعنى ماءه (فيها) فى تلك البئر (ففاح) اى سطع وانتشر (منها ريح المسك) اى مثل ريحه تشبيها بليغا وانما شبه به لانه اعلى انواع الرائحة وان كان رائحة ما مجه اتم اصناف الفائحة لان مصدرها الخاتمة والفاتحة رواه احمد عن وائل بن حجر وفى شرح التلمسانى فح اطيب من المسك هكذا رواه وصوابه فصار اطيب او فعاد اطيب ويجوز ان يكون معناه فصار المج اطيب من المسك (واخذ قبضة من تراب) بضم القاف وتفتح اى مقبوضة منه (يوم حنين) وفى نسخة يوم بدر وهو اصل التلمسانى قال وروى حنين بحاء مهملة والكل صحيح والمعنى حين وقع من بعضهم الفرار ومن باقيهم القرار (ورمى بها فى وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه) اى قبحت مأخوذة من الشوهة وهو القبح واول من تكلم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره التلمسانى (فانصرفوا يمسحون القذى) بقاف مفتوحة وذال معجمة والف مقصورة جمع قذاة وهى مايقع فى العين وغيرها من تراب وتبنة ونحوها اى يميطونها ويزيلونها (عن اعينهم) رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع (وشكا اليه ابو هريرة النسيان) اى نسيان مايسمعه من الحديث والقرآن (فامره ببسط ثوبه) اى بفتحه ونشره لديه (وغرف) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده فيه) اى تشبيها بمن اخذ شيأ والقاه فى ثوبه (ثم امره بضمه) اى بجمع ثوبه الى صدره (ففعل فما نسى شيأ) اى من امره فى عمره

(وما روى عنه فى هذا كثير) اى ما يروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا المعنى وهو الدعاء لذهاب النسيان كثير طرقه ولا يبعد ان يكون المعنى وما يروى عن ابى هريرة لاجل هذا كثير مع ان زمن صحبته يسير وهو اربع سنين (وضرب فى صدر جرير بن عبد الله) اى البجلى (ودعا له) اى بالثبات ظاهرا وباطنا ولذا خص الضرب بصدره لانه محل الرهبة والجزع (وكان) اى جرير (ذكر له) او كان صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر له (انه لا يثبت على الخيل) اى حال جريها (فصار من فرسان العرب) بضم الفاء اى شجعانهم وفى نسخة من افرس العرب (واثبتهم) اى على الخيل من ركبانهم كذا فى الصحيحين (ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) اى ابن اخى عمر بن الخطاب (وهو صغير) جملة حالية من عبد الرحمن لا من زيد كما توهم الدلجى (وكان دميما) بدال مهملة اى قبيحا وذميما لكونه هزيلا قصيرا والدمامة بالمهملة فى الخلق وبالمعجمة فى الخلق بالضم وعلى هذا ينشد

كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغضا انه لدميم

(فدعا له بالبركة ففرع) بفاء وراء مفتوحتين فمهملة اى طال وعلا وغلب (الرجال) وفى نسخة الناس (طولا وتماما) رواه الزبير بن بكار عن ابراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزبيرى عن ابيه

(فصــــل)

(ومن ذلك) اى من قبيل هذا النوع المكنون (ما اطلع عليه) بضم همز وسكون مهملة وفى نسخة بتشديدها مضمومة اى ما الهم اليه (من الغيوب) اى الامور المغيبة فى الحال (وما يكون) اى سيكون فى الاستقبال (والاحاديث فى هذا الباب) اى فى هذا النوع من انواع الكتاب (بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره) بصيغة المفعول فيهما ويجوز فتح الياء وكسر الزاى والغمر الماء الكثير فى البحر الكبير اى لا يحاط غايته ولا تفنى نهايته (وهذه الجملة) اى الآتية وفى نسخة وهذه المعجزة (من جملة معجزاته المعلومة على القطع) اى على الوجه القطعى والطريق اليقينى (الواصل الينا خبرها على التواتر) اى لدينا (لكثرة رواتها) اى مع اختلاف مبانيها الدالة (واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب) اى على اطلاعه صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض المغيبات عنا (حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهرى) بكسر الفاء المعروف بالطرطوشى (اجازة وقراءة) وفى نسخة وقرأته (على غيره) اى رواية (قال ابو بكر) احترازا عن غيره (ثنا ابو على التسترى) بضم التاء الاولى وفتح الثانية بينهما سين مهملة لا معجمة كما فى لسان العامة وهو احد رواة سنن ابى داود (ثنا ابو عمر الهاشمى ثنا اللؤلؤى) بهمزتين وقد تبدل الاولى راوى سنن ابى داود (ثنا ابو داود) وهو حافظ العصر صاحب السنن وانما اسند المصنف هنا من حديث ابى داود عن حذيفة ورواه عنه مع رواية الشيخين لما فى روايته له من طريق آخر من الزيادة كما سيأتى (ثنا عثمان ابن ابى شيبة) روى عنه الشيخان وغيرهما (ثنا جرير) بفتح الجيم فكسر الراء روى عنه احمد واسحق وابن معين وجماعة وله مصنفات (عن الاعمش) وهو سليمان بن مهران (عن ابى وائل) هو شقيق بن سلمة الاسدى الكوفى مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام لكن لم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان من العلماء العاملين (عن حذيفة) اى ابن اليمان (قال قام فينا) اى خطيبا او واعظا او معناه خطبنا (مقاما) بفتح الميم فى مكان او قياما (فما ترك) وفى نسخة ما ترك (شيأ) اى مهما (يكون) اى يحدث من القدم (فى مقامه ذلك) ظرف لما ترك (الى قيام الساعة الا حدثه) وفى نسخة حدث به اى حدث بوجوده (حفظه) ماذكره (من حفظه) اى جميعه (ونسيه من نسيه) اى بعضه او كله (قد علمه) متعلق بيكون اى عرف هذا الخبر (اصحابى هؤلاء) اى من الصحابة الحاضرين او الموجودين قال الدلجى لم ار هذه الزيادة من مختصات رواية ابى داود لان لفظه قد علمه اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم (وانه) اى الشان (ليكون منه) اى ليحدث ويقع مما اخبرنا به (الشئ) اى الذى قد نسيته فأراه موجودا فى الاعيان (فاعرفه) اى انه مما اخبرنا به (واذكره) اى اتذكره بعد ما نسيته (كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه) اى كما اذا غاب وجه الرجل عن الرجل فينساه (ثم اذا رآه عرفه) اى بعد نسيانه اياه قال الدلجى الى هنا رواية الشيخين وزاد ابو داود بسند آخر من طريق قبيصة بن ذؤيب عن ابيه عن حذيفة وان كان صنيعه يقتضى اتصاله به (ثم قال) اى حذيفة كما فى اكثر النسخ (ما ادرى انسى اصحابى) اى حقيقة (ام تناسوه) اى تكلفوا نسيانه لقلة اهتمامهم به لقيامهم بما هو اهم منه ولما اراد الله من اختصاص كل منهم ببعض ما استفادوا عنه (والله ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد فتنة) اى اميرها يقودها الى المحاربة ويجرها الى المخاصمة بالطرق الباطلة او محدث بدعة كعلماء المبتدعة من الخوارج والروافض والمعتزلة يحدث من زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم (الى ان تنقضى الدنيا يبلغ من معه) اى مع قائد الفتنة (ثلثمائة فصاعدا) اى فاكثر والجملة صفة قائد (الا قد سماه) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك القائد (لنا) اى لاجلنا (باسمه واسم ابيه وقبيلته) اى التى

ثوبه (وقال ابو ذر) اى على ما رواه احمد والطبرانى بسند صحيح وابو على وابن منيع عن ابى الدرداء عنه انه قال (لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مات عنا (وما يحرك طائر جناحيه فى السماء الا ذكرنا) بتشديد الكاف اى افهمنا (منه) من ذلك الطائر او تحريكه (علما) اى حكما اجماليا او تفصيليا (وقد خرج اهل الصحيح) اى من التزم صحة ما رواه كالشيخين وابن حبان وابن خزيمة والحاكم فى كتبهم المعروفة (والائمة) كمالك واحمد وبقية اصحاب الكتب الستة وغيرهم ممن لم يلتزموا فى كتبهم الصحة (ما اعلم به) مفعول خرج اى ما اخبر به (اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور) اى الغلبة (على اعدائه) وفى نسخة على اعدائهم (وفتح مكة) تخصيص بعد تعميم وهذا مما رواه الشيخان وغيرهما (وبيت المقدس) كما رواه البخارى عن عوف بن مالك (واليمن والشام والعراق) كما فى الصحيحين عن سفيان ابن ابى زهير (وظهور الامن حتى تظعن) بسكون المعجمة وفتح المهملة اى ترحل (المرأة من الحيرة) بمهملة مكسورة مدينة بقرب الكوفة واخرى عند نيسابور (الى مكة لا تخاف الا الله) على ما رواه البخارى عن عدى ابن ابى حاتم (وان المدينة) اى السكينة (ستغزى) بالغين والزاى على بناء المفعول وهو من الغزو اى ستحارب وتقاتل وفى رواية بمهملتين قال الحافظ المزى الرواية فى الحديث بالعين المهملة والراء يعنى من العرى اى تصير عراء والمعنى ستخرب ليس فيها احد فقد رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بلفظ يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها الا العوافى وهذا لم يقع بعد كما اختاره النووى وغيره وانما يقع قرب الساعة وقال التلمسانى وقع هذا فى زمن يزيد بن معوية ندب عسكرا من الشام الى المدينة فنهبها والوقعة معروفة بالحرة وهى ارض بظاهر المدينة ذات حجارات سود وقتل فيها كثير من ابناء المهاجرين والانصار وكانت فى ذى الحجة سنة ثلاث وستين وعقيبها هلك يزيد (وتفتح خيبر على يدى على فى غد يومه) كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد بلفظ لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا عليا وكان ارمد فبصق فى عينيه فبرأ وفتح الله على يديه (وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها) اى يعطون من بهجتها من كثرة المال وسعة الجاه كما رواه الشيخان من طرق (وقسمتهم) اى ومن تقسيمهم فيما بينهم (كنوز كسرى) بكسر الكاف ويفتح اى ملك فارس (وقيصر) اى وكنوزه وهو ملك الروم كما فى الصحيحين من طرق عن ابى هريرة وغيره (وما يحدث بينهم) اى بين امته (من الفتن) بكسر ففتح جمع فتنة وفى نسخة الفتون بالضم مصدر فتن بمعنى الافتتان (والاختلاف والاهواء) على ما رواه الشيخان من طرق ولعل المراد بالاختلاف ظهور التنافس فى الملك واختلاف امر الامراء وبالاهواء ظهور المعتزلة والغلاة من اهل البدعة (وسلوك سبيل من قبلهم) اى وسلوكهم على نهج من تقدمهم من الامم فقد رواه الشيخان عن ابى سعيد بلفظ لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل اليهود والنصارى قال فمن (وافتراقهم) اى اختلافهم (على ثلاث وسبعين فرقة) اى طائفة كما رواه احمد وابو داود والترمذى والحاكم عن ابى هريرة قيل واصولهم ثمانية معتزلة عشرون فرقة وشيعة اثنتان وعشرون فرقة وخوارج على سبع فرق ومرجئة على خمس فرق ونجارية ثلاث فرق وجبرية محضة فرقة واحدة ومشبهة فرقة واحدة وطرقهم مختلفة (الناجية منها) اى من تلك الفرق (واحدة) اى فرقة واحدة كما فى نسخة صحيحة وهم الذين قال فيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هم الذين على ما انا عليه واصحابى وهم اهل السنة والجماعة من الفقهاء كالائمة الاربعة والمحدثين والمتكلمين من الاشاعرة والماتريدية لخلو مذاهبهم من البدعة (وانه) اى الشان وفى نسخة وانها اى القصة وفى نسخة صحيحة وانهم (ستكون لهم) اى لامته (انماط) بفتح الهمزة جمع نمط وهو ضرب فراش ويغشى عليه الهودج ايضا وهذا فى الصحيحين عن جابر وفى الترمذى عن على (ويغدو) اى يصبح او يمر (احدهم فى حلة ويروح) اى يمسى او يرجع (فى اخرى ويوضع بين يديه صحفة) اى اناء كالقصعة المبسوطة (وترفع) اى من بين يديه (اخرى) اى صحفة اخرى (ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة) وفيه ايماء الى ان الدنيا تبسط عليهم بالسعة (ثم قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مخاطبا لاصحابه الكرام (آخر الحديث) اى فى آخر الكلام (وانتم اليوم خير منهم يومئذ) قالوا والعاطفة رد لقولهم نحن يومئذ خير من اليوم ظنا منهم انهم يصرفون الدنيا فى طرق العقبى فالمعنى ليس الامر كما تظنون بل وانتم اليوم خير لان ما قل وكفى خير مما كثر والهى وفيه تنبيه على ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر (وانهم اذا مشوا المطيطاء) بضم الميم وفتح الطائين بينهما ياء ساكنة والكلمة ممدودة وتقصر وهى مشية فيها مد اليدين والتبختر والخيلاء ومنه قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى وفى نسخة المطيطيا بزيادة ياء بعد طاء مكسورة او مفتوحة (وخدمتهم بنات فارس والروم) اى بسبيهم لهن (رد الله بأسهم) اى شدة عداوتهم بكثرة محاربتهم (بينهم) اى لطغيانهم بكثرة المال وسعة الجاه والاقبال (وسلط) اى

الله (شرارهم على خيارهم) لان الغالب غلبة اهل الشر فى الشوكة والدولة الدنيوية والحديث رواه الترمذى عن ابن عمر كما قاله الدلجى واما ما ذكره الحلبى من ان الحديث رواه الذهبى فى ميزانه من ترجمة محمد بن خليل الحنفى الكرمانى ولفظه وروى عن ابن المبارك عن ابن سوقة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث ثم قال لا يصح فلا يعارض ما تقدم فان عدم صحته يحمل على روايته مع انه لا يلزم من عدم الصحة نفى الثبوت بطريق الحسن وهو كاف فى الحجة هذا وقد ثبت انهم بعد ان فتحوا بلاد فارس والروم وغنموا اموالهم وسبوا ذراريهم واستخدموهم سلط الله على عثمان شرارا فقتلوه وعلى على جماعة حتى قتله اشقاهم وهلم جرا الى ان قتل زياد بامر يزيد وشرار اعوانهم الحسين واصحابه خيار زمانهم وقد سلط بنو امية سبعين سنة على بنى هاشم ففعلوا ما فعلوا (وقتالهم الترك) كما فى الصحيحين بلفظ لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اقواما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كان وجوههم المجان المطرقة والظاهر ان المراد بهم التتار ولعل القضية متأخرة او وقعت وليس انسابها معرفة (والخزر) اى وقتالهم الخزر بضم معجمة وسكون زاى فراء طائفة من الترك جمع اخزر والخزر بفتحتين ضيق العين وصغرها وكذا ضبط الاصل ايضا فى كثير من النسخ واقتصر عليه الشمنى وفى حديث حذيفة كانى بهم خنس الانوف خزر العيون فالعطف تفسيرى (والروم) وهم طائفة معروفة وقد سبق فى الصحيح قتالهم مع قيصر فلا وجه لقول الدلجى لا ادرى من روى حديث الطائفتين (وذهاب كسرى) اى ذهاب ملكه بذهابه (وفارس) اى وذهاب قومه اى من ارض العراق وغيره (حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر) اى ملك الروم من الشام ونحوه (حتى لا قيصر بعده) رواه الشيخان بدون فارس وذكر الحارث عن ابن محيريز مرفوعا فارس نطحة او نطحتان ثم لا فارس بعد هذا ابدا وقد وقع ما اخبر به من زوال ملكهما من اقليمهما فلم يبق من كسرى وقومه طارفة عين بدعوته صلى الله تعالى عليه وسلم ان يمزق كل ممزق وقيصر اعنى به هرقل قد انهزم من الشام فى خلافة عمر رضى الله عنه تعالى الى اقصى بلاده فافتتح المسلمون بلادهما فلله الحمد والمنة واخذ السهيلى من هذا ان لا ولاية للروم على الشام الى يوم القيامة انتهى واراد بالروم كفارهم من الفرنج والنصارى ثم قيل التقدير ولا مثل كسرى ولا مثل قيصر لانه علم ولا تدخل عليه لا الا اذا كان اول بالنكرة (وذكر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الروم ذات قرون) اى كلما هلك قرن خلفه قرن الى آخر الدهر قال الفارسى معناه ان هلك منهم رئيس خلفه آخر وليسوا كالفرس لانهم مزقوا وقد ورد فى هذا المعنى حديث وكانه تفسير لهذا قال عليه السلام فارس نطحة او نطحتان ثم لا فارس بعد هذا ابدا والروم ذات قرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن اهل صخر وبحر هيهات آخر الدهر انتهى (وبذهاب الامثل فالامثل) اى الافضل فالافضل (من الناس) اى من الصحابة والتابعين واتباعهم ومن بعدهم والفاء مؤذنة بترتيب التفاضل فاثبتت الامثلية للاول ثم للثانى وهكذا حتى تبقى حثالة لا يبالهم الله بالة (وتقارب الزمان) كما فى حديث الترمذى لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فيكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة اى العرفية والساعة الضرمة بالنار والمراد به آخر الزمان واقتراب الساعة لان الشئ اذا قل وقصر تقارب اطرافه والظاهر انه اريد به زمن عيسى فانه لكثرة الخيرات تستقصر الاوقات للاستلذاذ بالمسرات او زمن الدجال فانه لكثرة اهتمام الناس بما يدهمهم من همومهم لا يدرون كيف تنقضى ايامهم او اريد به تسارع الازمنة فيتقارب زمانهم فى المنحة او المحنة او اريد به قلة البركة فى اعمالهم مع كثرة الحركة فى احوالهم (وقبض العلم) اى بقبض العلماء لحديث ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا كما رواه احمد والشيخان والترمذى وابن ماجه عن ابى هريرة (وظهور الفتن والهرج) بفتح الهاء فسكون الراء الجيم قيل لغة حبشية ففى الصحيحين من حديث ابى هريرة يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل القتل (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى حديث الشيخين عن ام المؤمنين زينب (ويل) اى هلاك عظيم (للعرب من شر قد اقترب) ولعل المراد به فتنة عثمان فى محنة المحاصرة وفتنة على مع معاوية وفتنة الحسين مع يزيد وهلم جرا من المزيد ويفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد (وانه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (زويت له الارض) اى جمعت وضمت (فارى) بصيغة المفعول وفى نسخة فرأى (مشارقها ومغاربها) ولفظ مسلم عن ثوبان ان الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها اى جمعها لى وطواها بتقريب بعيدها الى قريبها حتى اطلعت على ما فيها جميعها (وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها) وهذه الجملة من تتمة حديث مسلم عن ثوبان ولفظه وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها والمعنى زويت لى جملة الارض مرة

واحدة وستفتحها امتى جزأ فجزأ حتى تملك جميع اجزائها (ولذلك) اى ولاجل تقييدها بمشارقها ومغاربها (كان امتدت) بتشديد الدال اى ثبتت امته وانتشرت ملته وفى نسخة وكذلك كان بكاف التشبيه والمعنى وكذا وقع ثم استأنف للبيان امتدت (فى المشارق والمغارب ما بين ارض الهند) بدل او بيان للمشارق والمغارب (اقصى المشرق) بيان لارض الهند او بدل منه (الى بحر طنجة) بفتح طاء وسكون نون وفتح جيم بلدة عظيمة بساحل بحر المغرب (حيث لا عمارة) بكسر اوله (وراءه) اى فيما وراء ذلك المكان (وذلك) اى ما ملكته امته (ما لم تملكه امة من الامم ولم يمتد فى الجنوب) بفتح الجيم اى فى الجهة الغربية اذا توجهت للقبلة وهو ريح يخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل اى الى مطلع الثريا (ولا فى الشمال) بكسر اوله وهو الجهة الشرقية اذا توجهت للقبلة (مثل ذلك) اى مثل امتداد جهتى المشرق والمغرب ولعل فى اتيانهما بلفظ الجمع ايماء الى ما هنالك وكذلك الى ظهور كثرة العلماء منهما بالنسبة الى غيرهما وان علماء المشرق اكثر واظهر من علماء المغرب فتدبر (وقوله) اى كما رواه مسلم عن سعد ابن ابى وقاص مرفوعا (لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق) اى على طريق الحق ومنهج الصدق وسبيل الطاعة من الجهاد وتعليم العلوم للعباد (حتى تقوم الساعة) اى الى قرب القيامة (ذهب ابن المدينى) هو الامام ابو الحسن على بن عبد الله المدينى الحافظ يروى عن ابيه وحماد بن زيد وخلق وعنه البخارى وابو داود والبغوى وابو يعلى قال شيخه عبد الرحمن ابن مهدى على ابن المدينى اعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة بحديث ابن عيينة تلوموننى على حب على ابن المدينى والله لا نعلم منه اكثر مما يتعلم منى وكذا قال يحيى القطان فيه وقال البخارى ما استصغرت نفسى الا بين يدى على قال النسائى كان الله خلقه لهذا الشأن توفى بسامرا هذا والمدينى نسبة الى المدينة المشرفة قاله ابن الاثير وقال ان اصل المدينى منها ثم انتقل الى البصرة وقال ان الاكثر فيمن ينسب الى المدينة مدنى ثم قال واما المدينى فنسبة الى اماكن وساق سبعة واما الجوهرى فقال المدنى نسبة الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم واما المدينى فنسبة الى المدينة التى بناها المنصور وهذا وهو بفتح الميم وكسر الدال وسكون الياء لا بصيغة التصغير كما توهمه بعض معاصرينا من العلماء (الى انهم) اى اهل الغرب (العرب لانهم المختصون بالسقى بالغرب) بغين معجمة فسكون راء (وهى الدلو) اى العظيمة وفى نسخة وهو الدلو (وغيره) اى غير ابن المدينى (يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب) اى بدل الغرب فارتفعت الشبهة فى مبناه (كذا فى الحديث بمعناه) لكن فيه انه لا يعلم من رواه نعم يروى عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكون بالمغرب مدينة يقال لها فاس اقوم اهل المغرب قبلة واكثرهم صلاة وهم على الحق مستمسكون لا يضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم ما يكرهون الى يوم القيامة (وفى حديث آخر من رواية ابى امامة) كما رواه احمد والطبرانى عنه مرفوعا (لا تزال طائفة من امتى) اى امة الاجابة (ظاهرين على الحق) اى مستعلين عليه غير مختفين لديه (قاهرين لعدوهم) اى غالبين عليهم من قهره غلبه واللام للتقوية (حتى يأتيهم امر الله) اى بفنائهم او خفائهم (وهم كذلك) اى لا يثبتون على ما هنالك (قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال وضبطه بضم الميم وفتح الدال المشددة ولعل مثل هذا الحديث حمل ابن المدينى على تأويل ما تقدم وقال غيره المراد باهل الغرب اهل الشام لانه غرب الحجاز بدلالة روايته وهم بالشام لكن لا منع من الجمع بان يوجد فى كل منهما جمع يقومون بامر الحق من اظهار العلم وافشاء شعار الدين والاجتهاد فى باب الجهاد مع الكفار والملحدين ويؤيده ما رواه مسلم عن جابر بن سمرة مرفوعا لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة (واخبر) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بملك بنى امية) فيما رواه الترمذى والحاكم عن الحسن بن على ورواه البيهقى عن سعيد بن المسيب مرسلا وفى سنده على ابن زيد بن جدعان وهو ضعيف وعن ابى هريرة وفى سنده الزنجى وهو غير معروف ذاتا وحالا والمراد ببنى امية بنو مروان بن الحكم ابن ابى العاص ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف واول خلفائهم وافضلهم عثمان بن عفان ثم معاوية ابن ابى سفيان وهو اول الملوك بقى تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر ثم ابنه يزيد ثلاث سنين واشهر ثم معاوية ابن يزيد ومات بعد اربعين يوما ثم مروان بن الحكم ومات بعد سبعة اشهر ثم عبد الملك بن مروان ومات فى شوال سنة ست وثمانين ثم بويع ابنه الوليد وكان مدته تسع سنين ثم بويع اخوه سليمان بن عبد الملك وكانت ولايته سنتين ثم بويع عمر بن عبد العزيز بن مروان وولايته سنتان ثم بويع هشام بن عبد الملك بن مروان ومات سنة خمس وعشرين ومائة ثم بويع الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقتل سنة ست وعشرين ومائة ثم بويع يزيد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المسمى بالناقص وكانت ولايته خمسة اشهر ثم بويع ابرهيم بن الوليد بن عبد الملك فخلع نفسه ومدته سبعون يوما ثم بويع مروان بن محمد بن مروان بن الحكم سنة سبع وعشرين ومائة وقيل سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو آخرهم

ومجموعهم اربعة عشر ماعدا عثمان رضى الله تعالى عنه (وولاية معاوية) اى ابن ابى سفيان وهو منهم لكن خص
لانه متميز عنهم باشياء منها قوله (ووصاه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقى عنه بلفظ ما حملنى
على الخلافة الا قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا معاوية ان ملكت وفى رواية اذا وليت فأحسن وضعفه
البيهقى ثم قال غيره ان له شواهد منها حديث سعيد بن العاص ان معاوية اخذ الاداوة وتبع النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال له يا معاوية ان وليت امرا فاتق الله واعدل ومنها حديث راشد بن سعد عنه سمعت رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت ان تفسدهم يقول ابو الدرداء كلمة سمعها
معاوية منه صلى الله تعالى عليه وسلم فنفعه الله بها (واتخاذ بنى امية مال الله دولا) بضم ففتح جمع دولة بضم
فسكون وقد يفتح اوله اى متداولة متناوبة فيهما من غير استحقاق لها والحديث رواه الترمذى والحاكم عن الحسن
ابن على ورواه البيهقى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بلفظ بنوا ابى العاص اربعين رجلا اتخذوا دين الله دغلا
وعباد الله خولا ومال الله دولا وعن ابى سعيد الخدرى اذا بلغوا ثلاثين الحديث (وخروج ولد العباس) اى ابن عبد
المطلب وفى نسخة وخروج بنى العباس اى ظهورهم فى غلبة امورهم (بالرايات السود) اى الاعلام الملونة بالسواد
تفاؤلا بغلبتهم على العباد (وملكهم) بضم الميم اى تملكهم (اضعاف ما ملكوا) اى ملك غيرهم من ملوك البلاد
فقد رواه احمد والبيهقى باسانيد ضعيفة انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال تظهر الرايات السود لبنى العباس حتى
ينزلوا بالشام ويقتل الله على ايديهم كل جبار وعدو لهم فى اسناده عبد القدوس وهو ضعيف وفى روايات تخرج
الرايات السود من خراسان لا يردها شئ حتى تنصب بايلياء وهى بيت المقدس فى اسناده رشد بن سعيد وهو ضعيف
واما اولاده الخلفاء واحفادهم الامراء فاولهم ابو العباس السفاح بويع سنة اثنتين وثلاثين ومائة ثم ابو جعفر
المنصور ثم المهدى بن المنصور ثم الهادى موسى بن الهادى ثم الرشيد ابو جعفر هارون بن المهدى ومات بطوس
ثم الامين محمد بن الرشيد وقتل ثم المأمون بن الرشيد ثم المعتصم بالله وهو محمد بن هارون ثم الواثق واسمه هارون
ابو جعفر ثم المتوكل ابو الفضل جعفر بن محمد المعتصم ثم المنتصر ابو جعفر محمد بن المتوكل ثم المستعين بالله احمد
ابن محمد بن المعتصم وخلع نفسه ثم المعتز بالله بن المتوكل على الله ثم المهدى بالله ابو عبد الله بن الواثق ثم المعتمد
ابو العباس ابن المتوكل ثم المعتضد احمد بن احمد الواثق ابن المتوكل ثم المكتفى على بن المعتضد ثم المقتدر جعفر بن المعتضد
ثم القاهر محمد بن المعتضد وخلع نفسه عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وقد ارتكب امورا قبيحة لم يسمع بمثلها فى الاسلام
قال بعضهم صليت فى جامع المنصور ببغداد فاذا انا بانسان عليه جبة عتابية قد ذهب وجهها وبقيت بطانتها
وبعض قطن فيها وهو يقول ايها الناس تصدقوا على فانى كنت بالامس اميرا وصرت اليوم فقيرا فسألت عنه فقيل
لى انه القاهر بالله وكانت له حربة يأخذها بيده ولا يضعها حتى يقتل انسانا ثم الراضى محمد بن جعفر ثم المتقى بمداخيه
وهو ابو اسحق ابراهيم بن المقتدر بالله ثم الفضل وهو المطيع لله بن المقتدر بالله وخلع نفسه ثم الطائع عبد الكريم
ابن الفضل بن المطيع القادر ثم القادر بالله ثم ولده القائم بامر الله ثم ابنه المقتدى بامر الله ثم ابنه المستظهر بالله
ثم ابنه المسترشد بالله ثم ابنه المستكفى بالله وكان خلفاء بنى العباس ثلاثين وكلهم ببغداد الى ان استولى عليهم الزمان
سنة ست وخمسين وستمائة ولله الامر من قبل ومن بعد (وخروج المهدى) بفتح الميم وتشديد التحتية قال الحلبى
واسمه محمد بن عبد الله من ولد فاطمة من ولد الحسن كما فى احاديث انتهى واصل احاديثه فى ابى داود فى سننه وقيل
من اولاد الحسين وقيل من ذريتهما وليس المراد به احد الائمة الاثنى عشرية كما اعتقد الشيعة وانه مخفى فى المكان
وسيظهر فى آخر الزمان ولا احد المشايخ الذى انتهت اليه الطائفة المهدوية القائلة بانه جاء ومضى وان من لا يعتقد
ذلك فهو ضال وقد افرد شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى رسالة مفردة فى معرفة المهدى فعليك بها وينبغى
ان لا يتوهم ان المهدى هذا من بنى العباس ولذا ذكر الدلجى احاديث ما يوهم انه هو ثم دفعه بان المراد غيره
فقال رواه احمد والبيهقى باسانيد ثابتة بقوية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تقتتل عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم ولد
خليفة لا يصير الى واحد منهم ثم تقبل الرايات السود من خراسان فيقتلونكم مقتلة لم تروا مثلها ثم يجيء خليفة الله
المهدى فاذا كان كذلك فأتوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله وفى اسناده مجهول وفيه ابو اسماء وهو ضعيف
وفى رواية اخرى يخرج رجل من اهل بيتى عند انقطاع امن الزمان وظهور الفتن يقال له السفاح يكون عطاؤه
حثيا فى سنده عطية العوفى وهو ضعيف قال التلمسانى وعلامة وقته خسوف القمر اول ليلة من رمضان
او ثالثه او السابع والعشرين وهى علامة لم تكن منذ خلق الله السموات والارض (وما ينال اهل بيته)
اى وما يصيبهم من المحن كقضية الحسين وبقية ائمة اهل البيت (وتقتيلهم وتشريدهم) اى تطريدهم كما اخبره

فيما رواه الحاكم من حديث ابى سعيد ان اهل بيتى سيلقون بعدى من امتى قتلا وتشريدا وضعفه الذهبى (وقتل على)
كما رواه احمد عن عمار بن ياسر والطبرانى عن على وصهيب وجابر بن سمرة (وان اشقاها) اى اشقى الطائفة او الثلاثة
حيث تيسر له ما قصده فان من العصمة ان لا تقتدر بخلاف من قصد قتل معاوية وابن العاص فكان اشقاهم بل اشقى
الآخرين لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال يا على أتدرى من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة
أتدرى من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك ولما جرح هذا الشقى عليا ادخل عليه فقال اطيبوا طعامه
وألينوا فراشه فان اعش فانا ولى دمى عفوا وقصاصا وان مت فالحقوه بى اخاصمه عند رب العالمين فلما مات على اخرج
من السجن وقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه وكحل عينيه بمسمار محمى وجعل يقرأ اقرأ باسم ربك الذى خلق الى
آخر السورة وان عينيه لتسيلان ثم امر به فقطعوا لسانه ثم جعلوه فى قوصرة واحرقوه بالنار (الذى يخضب) بكسر
الضاد اى يصبغ (هذه من هذه اى لحيته من راسه) يعنى بدمها قال الاسنوى فى المهمات تبعا للنووى فى تهذيبه
ان الاشقى هو عبد الرحمن بن ملجم بميم مضمومة فلام ساكنة فجيم مفتوحة او مكسورة (وانه) اى عليا (قسيم النار)
اى والجنة كما قيل (على حبه جنه * قسيم النار والجنه) فهو من باب الاكتفاء ويشير اليه قوله (يدخل اولياؤه الجنة
واعداؤه النار) والمعنى ان الناس فريقان فريق معه وهم مهتدون وفريق عليه فهم ضالون اعداء له فيكون سببا
لدخولهما الجنة والنار وبلا تمه ما ضبط فى نسخة يدخل بصيغة المعلوم من باب الافعال لكن الحديث لا يعرف من
رواه الا انه قد جاء ما يقوى معناه (فكان) اى على (فيمن) وفى نسخة ممن (عاداه الخوارج) وهم المحكمية خرجوا عليه
عند التحكيم وكانوا اثنى عشر الفا اصحاب صلاة وصيام قال فيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحقر احدكم صلاته
فى جنب صلاتهم وصومه فى جنب صومهم لا يتجاوز قرآنهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية على
ما جاء فى طرق (والناصبة) بالموحدة الذين يتدينون ببغض على رضى الله تعالى عنه وقد نصبوا له الحرب وقد روى
مسلم تكون امتى فرقتين فيخرج من بينهما مارقة يلى قتلها اولاهم بالحق وهم الذين قتلهم على بالنهروان وكانوا
اربعة آلاف ولم يقتل من المسلمين سوى تسعة (وطائفة ممن ينسب) بالياء والتاء وروى ينتسب (اليه) اى الى حب على
كرم الله وجهه (من الروافض كفروه) اى لتركه فى زعمهم الكاذب الخلافة لغيره وهى حقه فكانه رضى بالباطل
وسكت عن الحق مع قدرته عليه (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (يقتل عثمان وهو يقرأ فى المصحف) بضم الميم
ويكسر ويفتح ورواه الترمذى عن ابن عمر ولفظه ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنته فقال يقتل هذا
مظلوما لعثمان وحسنه (وان الله) بفتح الهمزة وكسرها (عسى ان يلبسه) بضم اوله (قميصا) اى خلعة الخلافة
والتلبس بها (وانهم) اى اهل الفتنة (يريدون خلعه) اى عزله عنها فامتنع من انخلاعها لقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم كما رواه الترمذى وحسنه عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا عثمان
انه لعل الله ان يقمصك قميصا فان ارادوك على خلعه فلا تخلعه لهم فقتلوه ظلما وعدوانا فاهدر الله بدمه سبعين الفا
قتلوا بصفين وغيرها (وانه) اى الشان (سيقطر دمه) بضم الطاء وفى نسخة بصيغة المجهول اى سيقع قطرات دمه
(على قوله تعالى فسيكفيكهم الله) كما رواه الحاكم عن ابن عباس قال الذهبى انه موضوع لكن نقل المحب الطبرى
فى الرياض ان اكثرهم روى ان قطرة من دمه او قطرات سقطت على قوله تعالى فسيكفيكهم الله فى المصحف ونقل
عن حذيفة قال اول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال والذى نفسى بيده لا يموت احد وفى قلبه مثقال حبة
من حب قتلة عثمان الا تبع الدجال ان ادركه وان لم يدركه آمن به فى قبره اخرجه السلفى الحافظ (وان الفتن لا تظهر
ما دام عمر حيا) كما رواه البيهقى فهو سد باب الفتنة كما اخبر به حذيفة (وبمحاربة الزبير لعلى) كما رواه البيهقى فى دلائل
النبوة من طرق انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بمحاربة الزبير لعلى وهو ظالم له وذكره به على يوم الجمل فقال بلى
والله لقد نسيته منذ سمعته منه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا اقاتلك فرجع يشق الصفوف راكبا
فعرض له ابنه عبد الله فقال ما لك فقال ذكرنى على حديثا سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
انك ستقاتله وانت ظالم له فقال له ابنه انما جئت لتصلح بين الناس لا لتقاتله فقال قد حلفت لا اقاتله قال اعتق غلامك
وقف حتى تصلح بينهم ففعل فلما اختلف الامر ذهب (وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه) اى واخبر صلى الله
تعالى عليه وسلم بنباحها وهو بضم نون وتكسر فموحدة اى صياحها والحوأب بمهملة ثم همزة مفتوحتين موضع
بين البصرة ومكة نزلته عائشة لما توجهت للصلح بين على ومعاوية فلم تقدر اتفاقا فكانت وقعة الجمل (وانه يقتل
حولها) اى حول بعض الازواج وهى عائشة رضى الله تعالى عنها (قتلى كثير) اى جمع كثير من المقتولين قيل قتل
يومئذ نحو من ثلاثين الفا وفى نسخة كثيرة نظرا الى الجماعة (وتنجو بعد ما كادت) اى الى الهلاك كما رواه البزار بسند

صحيح عن ابن عباس (فنبحت) بفتح الباء وكسرها اى كلاب ذلك الموضع (على عائشة عند خروجها) اى توجهها من مكة (الى البصرة) كما رواه احمد وكذا البيهقى بلفظ لما اتت الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت ما اظننى الا راجعة انى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا ايتكن تنبح عليها كلاب الحوأب ترجع لعل الله ان يصلح بك بين الناس (وان عمارا) وهو ابن ياسر (تقتله الفئة الباغية) رواه الشيخان ولفظ مسلم قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية وزاد وقاتله فى النار (فقتله) اى عمارا (اصحاب معاوية) اى بصفين ودفنه على رضى الله تعالى عنه فى ثيابه وقد نيف على سبعين سنة فكانوا هم البغاة على على بدلالة هذا الحديث ونحوه وقد ورد اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وقد كان مع على رضى الله تعالى عنه واما تأويل معاوية او ابن العاص بان الباغى على وهو قتله حيث حمله على ما ادى الى قتله فجوابه ما نقل عن على كرم الله وجهه انه يلزم منه ان النبى صلى الله عليه وسلم قاتل حمزة عمه والحاصل انه لا يعدل عن حقيقة العبارة الى مجاز الاشارة الا بدليل ظاهر من عقل او نقل يصرفه عن ظاهره نعم غاية العذر عنهم انهم اجتهدوا واخطأوا فالمراد بالباغية الخارجة المتجاوزة لا الطالبة كما ظنه بعض الطائفة (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك) اى مشقة وهلاك فى الآخرة بقتله ظلما (وويل لك من الناس) اى فى الدنيا فلقد حاصره الحجاج بمكة ورمى البيت بالمنجنيق فهدم ركنه الشامى (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام على ما رواه الشيخان (فى قزمان) اى فى حقه وهو بضم القاف وسكون الزاى ذكره الحلبى رجل من المنافقين قاتل قتالا شديدا (وقد ابلى مع المسلمين) بفتح الهمزة واللام جملة حالية ابانت شجاعته ومحاربته لغير الله بدليل قوله عليه الصلاة والسلام (انه من اهل النار) فقتل نفسه اى فى خيبر كما ذكره البخارى وصوبه المصنف واقره النووى ومسلم فى حنين والخطيب تبعا لاصحاب السير فى احد واقره النووى ولعل الاشخاص متعددة فكل ذكره فى قضية (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (فى جماعة فيهم) اى فى حق جماعة من جملتهم (ابوهريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا فى النار) اى يكون فى موته فى نار الدنيا الا انه يدخل فى نار العقبى كما توهم الدلجى على ما سيأتى فعامله موتا وهو ابهام او تورية وايهام (فكان بعضهم) اى تلك الجماعة (يسأل عن بعض) اى عن حياته ومماته كما رواه البيهقى عن ابن حكيم الضبى اذا لقيت اباهريرة سالنى عن سمرة فاذا اخبرته بحياته وصحته فرح وقال كنا عشرة فى بيت فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آخركم موتا فى النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيرى وغيره وفى رواية فلم يبق عنه وكان اذا اراد احد ان يغيظ اباهريرة قال مات سمرة فيصعق ويغشى عليه ثم مات ابوهريرة رضى الله تعالى عنه قبل سمرة (فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف) بكسر الراء فيهما اى اصابه خلل فى بدنه وخبل فى عقله (فاصطلى بالنار) اى استدفأ بها (فاحترق فيها) وفى تاريخ ابن عساكر عن ابن سيرين ان سمرة اصابه كزاز هو داء من البرودة او برد شديد لا يكاد يدفأ منه فامر بقدر عظيمة فملئت ماء واوقد تحتها واتخذ فوقها مجلسا فكان يصل اليه بخارها فيدفأ فلم يلبث ان سقط به فاحترق ويوافقه ما رواه البيهقى عن بعض اهل العلم انه مات فى الحريق تصديقا لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اغرب الدلجى حيث استدل به بانه يدخل النار فى الآخرة ثم يخرج منها ثم قال ويحتمل انه يورد النار بقتل زياد وابن زياد بحضرته خلقا كثيرا ثم ينجى منها بايمانه بشهادة حديث البيهقى عن ابن سيرين كان سمرة عظيم الامانة صدوق الحديث يحب الاسلام واهله قال عبد الله بن صبيح لابن سيرين بهذا وبصحبته رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نرجو له بعد تحقيق قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه الخبر انتهى ولا يخفى ان هذا الحديث ما يقتضى دخوله فى النار ثم نجاته منها بل الظاهر نجاته منها ابدا وان احتراقه فى الدنيا يكون سبب خلاصه عنها فى العقبى على تقدير وقوع ذنب يستحقها والا فهو موجب زيادة درجة عالية فى الجنة وغرفها ثم حضوره مجلس زياد وابن زياد حين قتلهما خلقا كثيرا لا يدل على استحقاق عذاب ولا استيجاب عتاب اذ لم يعرف انه كان راضيا بفعلهما وربما كان مكرها فى حضوره عندهما هذا وللبيهقى انه استجمر فغفل عنه اهله حتى اخذته النار ولا يخفى امكان الجمع بين هذا وما تقدم والله تعالى اعلم واما حديث البيهقى عن اوس بن خالد كنت اذا قدمت على ابى محذورة سألنى عن سمرة واذا قدمت على سمرة سألنى عن ابى محذورة فسألت ابا محذورة عن سؤالهما اياى فقال كنت انا وسمرة وابوهريرة فى بيت النبى عليه الصلاة والسلام فجاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال آخركم موتا فى النار فمات ابوهريرة رضى الله تعالى عنه ثم ابو محذورة ثم سمرة فلا يخلو من الاشكال لما سبق من معارضته فى المقال والله تعالى اعلم بالحال (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (فى حنظلة) اى ابن ابى عامر الانصارى (الغسيل) اى مغسول الملائكة (سلوا زوجته عنه) اى عن حاله قبل موته (فانى رأيت الملائكة تغسله)

اى بعد قتله شهيدا باحد مع ان الشهيد لا يغسل (فسألوها فقالت انه خرج جنبا) حين غسلت احد شقى رأسه وسمع الهيعة وكان قد ابتنى بها تلك الليلة (واعجله الحال عن الغسل) اى عن تمامه لمبادرته الى القتال ومسارعته للامتثال (قال ابو سعيد) اى الخدرى (ووجدنا رأسه يقطر ماء وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (الخلافة فى قريش) رواه احمد والترمذى ولعل المراد به ان الخلافة على استحقاقها فى طائفة من قريش وهم الخلفاء الاربعة فيكون اخبارا عن الغيب المطابق للواقع بعده واما اذا اريد به الحكم بان الخلافة منحصرة فيهم وان شرط صحة الخلافة ان يكون الخليفة واحدا منهم كما ذكره الدلجى فلا يلائم سياقه فى هذا الباب كما لا يخفى على اولى الالباب ويؤيد ما قدمناه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البخارى عن معاوية (ولن يزال هذا الامر) اى امر الخلافة (فى قريش ما اقاموا الدين) يعنى فاذا لم يقيموا امر الدين على ما ينبغى انتقل الامر عنهم الى غيرهم فكان كما اخبرهم زاد البخارى فى رواية ولا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه اى فى الدنيا او فى العقبى قال النووى انعقد الاجماع فى زمن الصحابة ومن بعدهم على ان الخلافة مختصة بقريش لا تجوز لغيرهم ولا عبرة بمن خالف فيه من اهل البدعة (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (يكون) اى سيوجد (فى ثقيف) بفتح فكسر هو ابو قبيلة من هوازن (كذاب ومبير) بضم فكسر اى مهلك من اباره اهلك مأخوذ من البوار وهو الهلاك ومنه قوله تعالى وكنتم قوما بورا اى هلكى (فرأوهما الحجاج والمختار) اى فرأى السلف ان احدهما الحجاج وهو بفتح الحاء كليب بن يوسف والآخر المختار ابن ابى عبيد وان الثانى هو الكذاب والاول هو المبير فهما لف ونشر مشوش ففى حديث اسماء بنت ابى بكر من طريق مسلم وغيره انها قالت مشافهة للحجاج حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى ثقيف كذابا ومبيرا فاما الكذاب فقد رأيناه واما المبير فلا اخالك الا اياه وقال الترمذى فى جامعه ويقال الكذاب المختار والمبير الحجاج ثم ذكر بسنده الى هشام بن حسان قال احصوا ما قتل الحجاج صبرا فبلغ مائة وعشرين الفا انتهى واما المختار فهو الكذاب حيث زعم ان جبريل اتاه بوحى الكتاب فقد رواه البيهقى عن رفاعة بن شداد قال دخلت على المختار يوما فقال دخلت وقد قام جبريل من هذا الكرسى فاهويت الى السيف فذكرت حديثا حدثنيه عمرو بن الحمق الخزاعى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا امن الرجل رجلا على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيامة فكففت عنه قال النووى فى شرح مسلم واتفق العلماء على ان المراد بالكذاب المختار ابن ابى عبيد وبالمبير الحجاج بن يوسف انتهى وكان المختار واليا على الكوفة ولقبه كيسان واليه ينسب الكيسانية كان خارجيا ثم صار زيديا ثم صار شيعيا وكان يدعو الى محمد بن الحنفية ومحمد يتبرأ منه وكان ارسل ابن الاشتر بعسكر الى ابن زياد لقتال الحسين فقتله وقتل كل من كان فى قتل الحسين ممن قدر عليه وكان غرضه فى ذلك صرف وجوه الناس اليه والتوصل به الى تحصيل الامارة لديه فكان يظهر الخير ويضمر الشر ولما ولى مصعب بن الزبير البصرة من جهة عبد الله بن الزبير قاتل المختار وقتله (وان) وفى نسخة صحيحة وبان (مسيلمة) بضم الميم وفتح السين ثم كسر اللام (يعقره الله) بكسر القاف اى يهلكه او يقتله او يهلكه قتلا فقتله وحشى بن حرب فى قتال اهل الردة زمن ابى بكر رواه الشيخان بلفظ ولئن توليت ليعقرنك الله (وان فاطمة) اى بنته الزهراء (اول اهله) اى اهل بيته كما فى نسخة (لحوقا به) اى موتا ووصولا اليه ففى الصحيح عن الزبيرى عن عروة عن عائشة مكثت فاطمة بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ستة اشهر (وانذر بالردة) اى وحذر صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه وخوفهم وعرفهم بانها ستكون كما فى حديث الشيخين لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وفى حديث مسلم لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من امتى بالمشركين وحتى تعبد قبائل من امتى الاوثان فوقعت الردة فى خلافة ابى بكر ارتدت عامة العرب الا اهل مكة والمدينة والبحرين وكفى الله امرهم بالصديق صاحب مقام التحقيق (وان) وفى نسخة وبان (الخلافة) اى الحقيقية الحقية (بعده ثلاثون سنة ثم تكون) اى تصير الخلافة (ملكا) اى سلطنة بالغلبة فقد روى احمد والترمذى وابو يعلى وابن حبان عن سفينة بلفظ الخلافة بعدى فى امتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك (فكانت) اى الخلافة (كذلك) اى ثلاثين سنة (بمدة الحسن بن على) اى بمضى مدة خلافته وهى ستة اشهر تقريبا وفيه دلالة على ان معاوية لم يحصل له ولاية الخلافة ولو بعد فراغ الحسن له بالامارة ويشير اليه ما رواه البخارى فى تاريخه والحاكم فى مستدركه عن ابى هريرة بلفظ الخلافة بالمدينة والملك بالشام ثم اعلم ان خلافة ابى بكر كانت سنتين وثلاثة اشهر وعشرين يوما وخلافة عمر عشر سنين وستة اشهر واربعة ايام وخلافة عثمان احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما وخلافة على اربع سنين وعشرة اشهر او تسعة وتمامها خلافة الحسن (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (ان هذا الامر) اى امر الله هذه الامة (بدأ) بهمزة اى ابتدأ او بالف اى ظهر (نبوة ورحمة) اى نبوة مقرونة

بالرحمة العامة (ثم يكون) اى الامر (رحمة وخلافة) اى رحمة فى ضمن الخلافة (ثم يكون) اى الامر (ملكا) قال
التلمسانى وفى اصل المؤلف ثم ملكا (عضوضا) بفتح العين اى سلطنة خالية عن الرحمة والشفقة على الرعية فكانهم
يعضون بالنواجذ فيه عضا حرصا على الملك وبعض بعضهم بعضا حثا على الهلك وفيه ايماء الى ما قال عارف بهذا
الباب الدنيا جيفة وطالبها الكلاب وفى النهاية ثم يكون ملك عضوض اى يصيب الرعية عسف وظلم فكانهم
يعضون فيه عضا باسنانهم اى يتحملون فيه محنة شديدة فى شانهم وفى رواية وسترون بعدى ملكا عضوضا وفى اخرى
ثم يكون ملوك عضوض قيل وهو جمع عض بالكسر اى شرير خبيث (ثم يكون) اى الامر (عتوا) بضمتين فتشديد
اى تكبرا (وجبروتا) بفتحتين فعلوت من الجبر بمعنى القهر مبالغة اى تجبرا وقهرا (وفسادا فى الامة) اى فى امر دينهم
ودنياهم هذا ولفظ البيهقى ان الله بدأ هذا الامر نبوة ورحمة وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عتوا
وجبرية وفسادا فى الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون ابدا حتى يلقوا الله تعالى
وقد ابتدأ هذا الفساد من بدء امارة يزيد وولاية زياد وهلم جرا فى الزيادة الى يومنا هذا فيما بين سلاطين البلاد والله
رؤف بالعباد (واخبر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بشان اويس) اى ابن عامر (القرنى) بفتحتين اى منسوب
الى بطن من مراد قبيلة باليمن وغلط الجوهرى فى نسبته الى قرن المنازل روى انه كان به بياض فدعا الله فاذهبه
الا قدر دينار اودرهم وله ام كان بها بارا ولو اقسم على الله لأبره وقال من لقيه فليستغفر وعن عمر مرفوعا يأتى
عليكم اويس بن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم قرن كان به برص فبرئ منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر لو
اقسم على الله لأبره فان استطعت ان يستغفر لك فافعل قال الارزنجانى فى شرح المشارق الامداد جمع مدد والمراد
هنا القافلة قال وكان عمر اذا اتى عليه امداد اليمن يسألهم أفيكم اويس بن عامر فلما كانت السنة التى توفى فيها عمر قام على
على ابى قبيس فنادى باعلى صوته يا اهل الحجيج من اليمن أفيكم اويس فقام شيخ طويل اللحية فقال انا لا ادرى من اويس
ولكن ابن اخى يقال له اويس وهو اخمل ذكرا واهون امرا من ان نرفعه اليك وانه ليرعى ابلا حقيرا بين اظهرنا فقال له
عمر اين ابن اخيك قال بازاء عرفات فركب عمر وعلى سراعا الى عرفات فاذا هو قائم يصلى والابل حوله ترعى فسلما عليه
وقالا من الرجل قال عبد الله قالا قد علمنا ان اهل السموات والارض كلهم عبيد الله فما اسمك الذى سمتك به امك قال
يا هذان ما تريدان قالا وصف لنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اويسا القرنى واخبرنا ان تحت منكبه الايسر لمعة
بيضاء فاوضحها لنا فان كانت بك فانت هو فاوضح منكبه فاذا اللمعة فاشتدا يقبلانه وقالا نشهد انك اويس
القرنى فاستغفر لنا غفر الله لك قال ما اخص باستغفارى نفسى ولا احدا من ولد آدم ولكنه فى المؤمنين والمؤمنات
والمسلمين والمسلمات يا هذان قد اشهر الله لكما حالى وعرفكما امرى فمن انتما قال على اما هذا فعمر امير المؤمنين
واما انا فعلى بن ابى طالب فاستوى اويس قائما وترحب بهما فقال له عمر مكانك يرحمك الله حتى ادخل مكة فآتيك
بنفقة من عطائى وفضل كسوة من كسوتى فقال يا امير المؤمنين ما اصنع بالنفقة والكسوة اما ترى على ازارا ورداء
من صوف متى اخرقهما وقد اخذت من رعايتى اربعة دراهم متى آكلها يا امير المؤمنين ان بينك وبينه عقبة كؤودا
ولا يجاوزها الا كل ضامر مخف به فاخف يرحمك الله فلما سمع عمر ذلك ضرب بدرته الارض ثم نادى باعلى صوته
الا ليت عمر لم تلده امه الا من يأخذها بما فيها ولها ثم قال يا امير المؤمنين خذ انت ههنا حتى اخذ عنها فولى عمر ناحية
مكة وساق اويس ابله فوافى القوم وخلا عن الرعاية واقبل على العبادة حتى لقى الله تعالى وروى الحاكم فى مستدركه
عن على كرم الله وجهه مرفوعا خير التابعين اويس ولا ينافيه قول احمد وغيره ان خيرهم سعيد بن المسيب
لان مرادهم فى العلوم الشرعية لا فى اكبرية الدرجة العلية قال الحلبى وقد قتل مع على بصفين فى وقعتها وقال ابن
حبان واختلفوا فى محل موته فمنهم من يزعم انه مات على جبل ابى قبيس بمكة ومنهم من يزعم انه مات بدمشق
ويحكون فى موته قصصا تشبه المعجزات التى رويت عنه وقد كان بعض اصحابنا ينكر كونه فى الدنيا ثم ساق بسنده
الى شعبة قال سألت عمرو بن مرة وابا اسحق عن اويس القرنى فلم يعرفاه اقول ولعلهما لم يعرفاه لعدم كونه من رواة
الحديث اذ لم يروشيأ او كان غلب عليه حب الخمول والعزلة والخلوة وكره الصحبة والخلطة وقد علم كل اناس مشربهم
وعرف كل طائفة مذهبهم (وبامراء) اى وبان امراء (يؤخرون الصلاة عن وقتها) فقد روى مسلم من طرق عن ابى ذر
ولفظه كيف انت اذا كنت عليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تأمرنى قال صل الصلاة لوقتها فان ادركتها
معهم فصل فانها لك نافلة زاد فى رواية اخرى والا كنت قد احرزت صلاتك قال النووى اى عن وقتها المختار لا عن
جميع وقتها وروى يميتون الصلاة وهو بمعنى يؤخرون قال وقد وقع هذا فى زمن بنى امية (وسيكون فى امتى) وفى اصل
الدلجى فى امته (ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة) رواه احمد والطبرانى والبزار منهم مسيلمة الحنفى والاسود العنسى بالنون

والمختار ابن ابى عبيد الثقفى وسجاح بفتح السين فجيم زعمت انها نبية فى زمن مسيلمة (وفى حديث آخر ثلاثون دجالا)
وفى نسخة رجلا (كذابا احدهم) وفى نسخة وهى الاولى آخرهم (الدجال الكذاب) اى الاعور الذى يقتله عيسى
ابن مريم كما رواه الشيخان عن ابى هريرة ولفظهما ان بين يدى الساعة ثلاثين رجلا كذابا (كلهم يكذب) وفى نسخة
يكذبون (على الله ورسوله) قال الحلبى وفى الصحيح قريب من ثلاثين وقد جاء تعيين عددهم فى حديث آخر انهم
سبعة وعشرون دجالا فيهم اربع نسوة والدجل تمويه الشئ وتغطيته والمموه الدجال وهو الكذاب ايضا لانه يدجل
الحق بالباطل (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (يوشك) اى يقرب (ان يكثر فيكم العجم) اى ضد العرب
لا الفرس فقط (يأكلون فيئكم) بفتح الفاء وسكون الياء مهموزا اى اموالكم (ويضربون رقابكم) اى يريقون
دماءكم او يبالغون فى ايذائكم وقد وقع فى دولة الترك من بعدهم رواه البزار والطبرانى بسند صحيح (ولا تقوم الساعة
حتى يسوق الناس بعصاه) اى يسترعيهم مسخرين له كراعى غنم يسوقها بعصاه وهو كناية عن طاعة الناس له
واستيلائه عليهم ولم يرد نفس العصا الا ان فى ذكرها دليلا على خشونته وعسفه بهم فى اطاعته (رجل) قال القرطبى
فى تذكرته لعله الجهجاه (من قحطان) وهو ابو اليمن رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولفظهما
لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام فيما رواه
الشيخان (خيركم قرنى) ولفظهما خير امتى وفى رواية خير الناس قرنى وهم الصحابة (ثم الذين يلونهم) وهم التابعون
(ثم الذين يلونهم) وهم الاتباع وثم تفيد التنزل فى الرتبة الى ان يرتفع الاشتراك فى الخيرية فيستقيم قوله (ثم يأتى بعد ذلك
قوم) وفى تغيير العبارة ايماء الى ما اشرنا اليه وفى رواية لهما ثم ان بعدكم قوما (يشهدون ولا يستشهدون) بصيغة
المجهول اى يبادرون بتأدية الشهادة قبل ان يطلب منهم اداؤها فانها لا تقبل واما حديث خير الشهود من يأتى
بالشهادة قبل ان يسألها فمعناه ان يظهر عند غير القاضى ان عنده الشهادة حيث جهل او شك صاحب الشهادة
انها عنده ام لا او هل يظهر الشهادة ام يخفيها وقيل يشهدون بالزور قال الحلبى وقيل معناه يحلفون ولا يستحلفون
كما قال فى رواية اخرى يسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه كذبا شهادته واليمين تسمى شهادة ومنه قوله تعالى
فشهادة احدهم (ويخونون ولا يؤتمنون) بفتح الميم (وينذرون) بضم المعجمة وتكسر (ولا يوفون) اى بنذرهم
وفى رواية ولا يفون من وفى يفى (ويظهر فيهم السمن) بكسر ففتح وفى حديث يكون فى آخر الزمان قوم يتسمنون
وفى رواية ويل للمتسمنات يوم القيامة وفى رواية ويخلف قوم يحبون السمانة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم
لمالك بن الصيف أليس فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال له فانت الحبر السمين فقال ما انزل الله على
بشر من شئ (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه) رواه البخارى ولفظه
قال الزبير اتينا انسا فشكونا اليه الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته
من نبيكم وفى رواية اشر منه وهو لغة كاخير فى خير قال بعض الحفاظ الا والذى بعده شر منه فيما يتعلق بالدين قال
الحلبى والذى فهم الحسن غير ذلك حيث سئل الحسن فقيل له ما بال زمن عمر بن عبد العزيز بعد زمن الحجاج فقال
لا بد للناس من تنفيس يعنى ان الله تعالى ينفس عباده وقتا ما ويكشف البلاء عنهم حينا ما قلت وهو ما ينافى
ما سبق من التنزل فى امر الدين كما هو مشاهد فى نظر ارباب اليقين فان كلما يبعد عن النور تبقى الظلمة فى الظهور فالبعد
عن الحضرة يفيد هذا الترتيب فى الحالة ويشير اليه صدر الحديث خير القرون قرنى ثم وثم فى الجملة بل جاء فى حديث
رواه احمد والبخارى والنسائى عن انس مرفوعا لا يأتى عليكم عام ولا يوم الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم
(وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين (هلاك امتى على يدى اغيلمة) تصغير تحقير لاغلمة جمع غلام يعنى
صبيان (من قريش) وفى رواية اعوذ بالله من امارة الصبيان وقال ان اطعتموهم اذلتكم وان عصيتموهم اهلكتكم
اذ هم صغار الاسنان (وقال ابو هريرة راويه) اى راوى هذا الحديث (لو شئت سميتهم لكم) اى ابينتهم وقلت لكم
انهم (بنو فلان وبنو فلان) لكنى ما شاء تسميتهم صريحا خوف الفساد والفتنة الان فى العبارة اشارة بالكناية
والمراد يزيد بن معاوية فانه بعث الى المدينة السكينة مسلم بن عقبة فاباحها ثلاثة ايام فقتل من خيار اهلها
كثيرا فيهم ثلاثة من الصحابة وازيلت بكارة الف عذراء وبعده بنو مروان بن الحكم بن العاص فلقد صدر عنهم ما اوجب
ان النبى صلى الله عليه وسلم تبرأ منهم كما رواه الشيخان انه قال ان آل ابى فلان ليسوا لى باولياء ولكن لهم رحم
سأبلها ببلالها فالمكنى هو الحكم بن العاص وبنوه فانهم آله فكنى عنهم بعض رواة هذا الحديث حذرا منهم اذ
كانوا ولاة الامر واصحاب الشر هذا وقد قال القرطبى هم والله تعالى اعلم يزيد بن معاوية وعبد الله بن زياد ومن
جرى مجراهم من احداث ملوك بنى امية (واخبر) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بظهور القدرية) كما رواه الترمذى

وابوداود والحاكم انه قال القدرية مجوس هذه الامة اشارة الى مدح امته وذمهم جعلهم مجوسا حيث شابه مذهبهم
مشربهم فالمجوس اثبتوا الهين زعموا ان الخير من فعل النور وسموه يزدان والشر من فعل الظلمة وسموه اهرمن
وقد قال الله تعالى وجعل الظلمات والنور اى خلقهما واما القدرية فزعموا خالقين خالق الخير وهو الله وخالق الشر
وهو الانسان وقد قال تعالى الله خالق كل شئ وهو ما ينافى ان ينسب اليه الفعل خلقا اى ايجادا او النساء عملا واكتسابا
(والرافضة) بالالف بمعنى الرفضة اى واخبر بظهور الطائفة الرافضة اى التاركة لحب جل الصحابة وقد رواه البيهقى
من طرق كلها ضعيفة الا انها يتقوى بعضها ببعض ويعضدها ما رواه البزار بلفظ يكون فى امتى قوم فى آخر
الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام اى بالكلية لانهم يستحلون سب الصحابة و يكفرون اهل السنة والجماعة
او المعنى يتركون كمال الاسلام و جماله ان لم يصدر منهم ما ينافى احكام الايمان وفى رواية يلفظونه اى يرمونه فاقتلوهم
فانهم مشركون اى مشابهون لهم حيث لم يعملوا بالكتاب والسنة (وسب آخر هذه الامة اولها) اى واخبر بظهور
هذا الامر من الرافضة وقد رواه ابو القاسم البغوى عن عائشة مرفوعا بلفظ لاتذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها
اولها والترمذى من حديث طويل عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولعن هذه الامة اولها فارتقبوا عند ذلك
ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات تتتابع كنظام قطع سلكه والتتابع بالياء التحتية هو الوقوع فى الشر
كما انه بالموحدة يستعمل فى الخير هذا وقد ظهر لعن السلف على لسان الروافض والخوارج جميعا ولعل مذمة الرافضة
فى بعض الاحاديث وردت بالمعنى اللغوى الشامل لكل من الطائفتين وان كان العرف خصها باعتبار الغلبة
(وقلة الانصار) اى واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بقلتهم والاظهر ان المراد بهم طائفة معروفة من الصحابة
وقد يتوسع و يراد بهم ذريتهم ايضا ولا يبعد ان يراد بهم انصار الدين ومعاونيهم حتى يشمل المهاجرين وغيرهم
وقد رواه البخارى عن ابن عباس خرج علينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه فجلس على
المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الناس يكثرون و يقل الانصار اى بعدى (حتى يكونوا كالملح
فى الطعام) كناية عن غاية قلتهم فيما بين اهل الاسلام وتمام الكلام فمن ولى منكم شيأ يضر فيه قوما و ينفع آخرين
فليقبل من محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم (فلم يزل امرهم يتبدد) اى يتفرق (حتى لم يبق لهم جماعة وانهم) اى واخبر
انهم (سيلقون بعده اثرة) بفتحتين وبكسر فسكون وحكى بضم فسكون اى ايثار الناس انفسهم عليهم فيما هم اولى به
من العطايا ومناصب القضايا ففى الصحيحين بلفظ انكم سترون بعدى اثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض قال
اليعمرى كانت هذه الاثرة زمن معاوية (واخبر بشأن الخوارج) اى على على بالنهروان وكانوا اربعة آلاف
فقتلهم على فتلا ذريعا ولم يقتل ممن معه الا تسعة (وصفتهم) اى و بيان حالهم وافعالهم حيث قال فرقة يحسنون
القول و يسيئون الفعل او العمل يدعون الى كتاب الله وليسوا منه فى شئ يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون اليه حتى يرتد الى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم
(والمخدج) بضم الميم وسكون المعجمة وفتح الدال المخففة و بالجيم اى الناقص وكان ناقص اليد واسمه نافع وفى نسخة
مشددة اى بناقص الخلق (الذى فيهم) اى بان احدى ثدييه مثل ثدى المرأة (وان سيماهم التحليق) اى علامتهم
المبالغة فى حلق شعورهم وقيل جلوسهم حلقا حلقا (و يرى) بصيغة المجهول وقال الدلجى بصيغة الخطاب العام
(رعاء الغنم) وفى اصل الدلجى رعاء الشاء وهو نائب الفاعل او المفعول الاول والثانى قوله (رؤس الناس) اى رؤساءهم
(والعراة الحفاة) وفى نسخة والحفاة العراة (يتبارون) بفتح الراء اى يتفاخرون (فى البنيان) اى فى اطالة بيوتهم
وتحسينها وتزيينها فقد روى الشيخان معناه ببعض مبناه فلمسلم وان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان
وللبخارى واذا تطاول رعاء الابل البهم فى البنيان وله ايضا واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذلك من اشراطها
ولهما وان ترى الحفاة العراة الصم البكم ملوك الارض وفيه اشارة الى ان ارباب الجهالة والقلة والذلة يغلبون
على اهل العلم والغنى والعزة (وان تلد الامة ربتها) اى سيدتها فان ولد الامة من سيدها كسيدها لانه سبب لعتقها
فهى بنتها فبالاولى ابنها قال الحلبى وفى رواية ربها وفى رواية بعلها اى تلد مثل سيدها ومالكها ومتصرفها اراد به
كثرة السبى والسرارى فى اوقات السعة او فى ازمنة الفتنة او كناية عن كثرة العقوق وقلة تأدية الحقوق (وان قريشا)
اى واخبر بان كفار قريش بالخصوص (والاحزاب) اى وسائر طوائف الكفار (لا يغزونه ابدا) واعله بعد غزوة
الخندق فعن سليمان بن صرد انه عليه الصلاة والسلام قال حين اجلى الاحزاب عنه الآن نغزوهم ولا يغزونا
نحن نسير اليهم (وانه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (هو يغزوهم) اى يبدأهم بالمحاربة كما وقع له ولاصحابه بفتح مكة
واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتحها لاتغزى قريش بعده اى لا يكفرون فيغزون وقوله فى رواية اخرى

لاتغزى هذه بعد اليوم الى يوم القيامة اى لاتعود مكة دار كفر يغزى عليه واما ما قيل من ان المعنى لا يغزوها كفار
ابدا فان المسلمين قد غزوها مرات فيرده قصة القرامطة وكذا حديث يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة
يقلعها حجرا حجرا (واخبر بالموتان) بضم الميم وتفتح اى بالوباء (الذى يكون بعد فتح بيت المقدس) كما رواه البخارى عن
عوف بن مالك قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدى
الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتانا يأخذ فيكم كقعاص الغنم القعاص بضم القاف داء يأخذ الغنم
لا يلبثها ان تموت ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى من العرب بيت الا
دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الاصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية اى راية تحت كل غاية اثنا عشر الفا
انتهى وكان هذا الموتان فى خلافة عمر بعمواس من قرى بيت المقدس وبها كان عسكره وهو اول طاعون
وقع فى الاسلام مات به سبعون الفا فى ثلاثة ايام وبنوا الاصفر هم الروم لان جدهم المنسوبون اليه كان اصفر
وهو روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام (وما وعد من سكنى البصرة) بفتح الموحدة وحكى ضمها الا انه
لا يجوز فى النسبة اتفاقا فقد روى ابو داود عن انس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له يا انس ان الناس يمصرون
امصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان انت مررت بها او دخلتها فاياك وسباخها وكلاءها بتشديد اللام اى
ساحلها وسوقها وباب امرائها وعليك بضواحيها اى نواحيها الظاهرة بها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف
وقوم يبيتون و يصبحون قردة وخنازير ولعل هذه الامور وردت معنوية او ترد بعد ذلك صورية هذا وقد بنى البصرة
عقبة بن غزوان فى خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنها الناس سنة ثمانى عشرة لم يعبد الصنم قط على ارضها (وانهم
يغزون فى البحر كالملوك على الاسرة) كما فى الصحيحين بلفظ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل على ام حرام
بنت ملحان من خالات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها
يوما فاطعمته ثم جلست تفلى رأسه فنام ثم استيقظ يضحك فقالت م تضحك قال ناس من امتى عرضوا على غزاة
فى سبيل الله يركبون ثبج) اى وسطه ومعظمه وقيل ظهره (هذا البحر ملوكا على الاسرة او كالملوك على الاسرة فقالت
ادع الله تعالى ان يجعلنى منهم فدعا لها ثم نام ثم استيقظ يضحك فقالت م تضحك فقال كالاول فقالت ادع الله تعالى
ان يجعلنى منهم فقال انت من الاولين فركبت البحر فى زمن معاوية فصرعت عن دابتها بعد خروجها منه فهلكت
والاسرة جمع سرير وهو بساط الملك (وان) اى واخبر بان (الايمان لو كان منوطا) اى معلقا (بالثريا لناله رجال
من ابناء فارس) وهم المشهورون الآن باسم العجم ولفظ الشيخين عن ابى هريرة كنا عند النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فلما نزلت وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قالوا من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان
الفارسى ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء وجمع اسم الاشارة مع ان المشار اليه واحد لارادة
الجنس ولو ههنا لمجرد الفرض والتقدير مبالغة لحدة فطنتهم وقوة فطرتهم واراد بالآخرين التابعين اللاحقين بالصحابة
السابقين واعلاهم فى هذا المقام الافخم هو الامام الاعظم والله تعالى اعلم (وهاجت ريح) اى هبت بشدة
(فى غزاته) اى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغزاته فى بعض غزواته وهى غزوة تبوك من ارض الشام على
ما ذكره الدلجى او غزوة بنى المصطلق كما قرره الحلبى وهو اولى بالاعتماد (فقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (هاجت
لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك) اى موت المنافق على وفاق ما اخبره هنالك وهذا المنافق هو رفاعة
ابن زيد بن التابوت احد بنى قينقاع وكان من عظماء اليهود وكهف المنافقين كذا قاله ابو اسحق على ما ذكره
الحلبى (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه الطبرانى عن رافع بن خديج (لقوم من جلسائه) وهم ابو هريرة
الدوسى وفرات بن حيان العجلى والرجال بن عنفوة اليمامى وهو المراد من قوله (ضرس احدكم)
اى واحد منكم لا كل واحد منكم (فى النار اعظم من احد) اى هيئة وصورة فى هذا تلويح بان يموت احدهم كافرا
لحديث ضرس الكافر فى النار مثل احد رواه مسلم وغيره (قال ابو هريرة فذهب القوم يعنى) اى يريد بقوله ذهبوا
(ماتوا فبقيت انا ورجل فقتل) اى ذلك الرجل (مرتدا يوم اليمامة) ناحية شرقى الحجاز معروفة (واعلم) اى اخبر
صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابو داود والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى (بالذى غل) اى خان فاخذ من الغنيمة قبل
القسمة (خرزا من خرز يهود) بفتح الخاء المعجمة والراء فزاى وهى الجواهر وما ينتظم من نحوها والمراد بها فصوص
من الحجارة (فوجدت) اى تلك الخرز (فى رحله) اى بعد موته فعن زيد بن خالد الجهنى قال توفى رجل يوم خيبر فذكروا
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان صاحبكم قد غل فى سبيل الله قال ففتشنا متاعه فوجدنا خرزات
من خرزات يهود ما تساوى درهمين (وبالذى) اى واعلم صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان عن ابى هريرة

بالذى (غل الشملة وحيث هى) اى وبالمكان الذى هى فيه وهى كساء يشتمل به الرجل ولفظهما اهدى رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحلا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه سهم عائر اى لايدرى راميه فقتله فقالوا هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى اخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ذكره الدلجى وقال الحلبى الذى غل الشملة هذا كركرة قال النووى يقال بكسر الكافين وبفتحهما جعله فى المبهمات وكذا هو فى سنن ابن ماجه فى الجهاد (وناقته) ضبط بالرفع فى النسخ ولعل التقدير وكذا ناقته اى قضيتها او وحيث هى وناقته كما فى اصل التلمسانى والظاهر جرها اى واعلم صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقى بناقته ومكانها (حين ضلت) اى ضاعت وفقدت (وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها) اى برسنها او زمامها وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين قفل من غزوة بنى المصطلق اخذتهم ريح كادت ان تدفن الراكب وهى التى اخبر انها هاجت لموت منافق وضلت ناقته عليه الصلاة والسلام فى تلك الليلة فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته الا يخبره الذى يأتيه بالوحى فاتاه جبريل عليه السلام واخبره بقول المنافق وبمكان الناقة واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه بهما وقال ما ازعم انى اعلم الغيب ولكن الله اخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى وهى فى الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق (وبشأن كتاب حاطب) بكسر الطاء وهو ابن ابى بلتعة وكان مكتوبه بالخفية (الى اهل مكة) وهم سهيل بن عمرو وعكرمة ابن ابى جهل وصفوان ابن ابى لهيعة من مسلمة الفتح ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده وقيل كتب ان محمدا قد نفر فاما اليكم واما الى غيركم فعليكم الحذر ذكرهما السهيلى ولا منع من الجمع فتدبر ومن فضائل حاطب على ما فى نظم الدر انه عليه السلام حين بعثه الى المقوقس قال له ان كان صاحبك نبيا فلم يدع على قومه حين اخرجوه من بلده فقال له حاطب منعه الذى منع عيسى من الدعاء على من رام صلبه فاسكته بذلك واخجله هنالك (وبقصة عمير) وفى نسخة بقضية عمير وهو بالتصغير ابن وهب بن خلف (مع صفوان) اى ابن امية بن خلف (حين ساره) بتشديد الراء اى خافت صفوان بقتله صلى الله تعالى عليه وسلم (وشارطه) اى جعل له جعلا (على قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فخاب سعيهما وضاع كيدهما (فلما جاء عمير للنبى) وفى نسخة الى النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر) اى الذى جاء بصدده (والسر) اى المخفى عن غيره (اسلم) اى عمير وكذا اسلم صفوان بعد حنين ذكره الحلبى والحديث رواه ابن اسحق والبيهقى والطبرانى (واخبر بالمال الذى تركه عمه العباس عند ام الفضل) اى زوجته وهى لبابة بنت الحارث اول امرأة اسلمت بعد خديجة وقيل بل هى فاطمة بنت الخطاب وفى نسخة ام الفضيل بالتصغير وهو غلط محض بل لم يعلم فى الصحابيات من يقال لها ام الفضيل بالتصغير وكان ذلك (بعد ان كتمه) اى العباس ذلك الخبر عن الغير (فقال) اى العباس (ما علمه غيرى وغيرها) اى وما هذا الا باعلام الله سبحانه اياك (فاسلم) اى فصار سبب اسلامه بعد ان فدى نفسه فقيل له لم لم تسلم قبل الفداء ليبقى لك ما افتديت به فقال لم اكن لاحرم المؤمنين مما طمعوا من مالى اقول ولعله اخر اسلامه بعد ان تحقق حاله لئلا يظن به انه انما اسلم لئلا يدفع ماله والحديث رواه احمد عن ابن عباس والحاكم وصححه والبيهقى عن الزهرى وغيره مرسلا (واعلم انه) وفى نسخة بانه اى النبى عليه السلام (سيقتل) اى بيده (ابى بن خلف) كما رواه البيهقى عن عروة وسعيد بن المسيب مرسلا وسبق انه عليه السلام جرحه باحد فى عنقه فمات بسرف (وفى عتبة) وفى نسخة عتيبة وهى الصواب كما تقدم (ابن ابى لهب) اى واعلم صلى الله تعالى عليه وسلم فى شأنه (انه يأكله كلب من كلاب الله) وفى نسخة يأكله كلب الله وابعد الدلجى فى تقديره هنا حيث قال وقال فى عتبة لعدم دلالة عليه وللزوم كسر همزة انه مع ان الرواية بالفتح (وعن مصارع اهل بدر) اى واعلم كما فى مسلم عن مواضع هلاك كفار قريش ممن قتل بها بقوله هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان (فكان كما قال) اى كما اخبره فى الحال (وقال) اى النبى عليه السلام كما روى الشيخان وغيرهما من طرق (فى الحسن) اى ابن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما (ان ابنى هذا سيد) اى كريم حليم (وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين) وفى رواية ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين اى جماعتين كثيرتين من اشياعه واتباع معاوية وقد بلغت كل فئة اربعين الفا قال الحسن البصرى فما ولى ما اهريق بسببه محجمة دم وقال هشيم لما اسلم الامر لمعاوية قال له معاوية قم فتكلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان اكيس الكيس التقى وان اعجز العجز الفجور الا وان هذا الامر الذى اختلفت فيه انا ومعاوية حق لامرئ كان احق به منى او حق لى تركته لمعاوية ارادة

اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر ونزل وفى رواية خطب معاوية ثم قال قم يا حسن فكلم الناس فتشهد ثم قال ايها الناس ان الله هداكم باولنا وحقن دماءكم باخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول وان الله قال لنبيه عليه الصلاة والسلام قل ان ادرى أقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين وفى شرح السنة قد خرج مصداق هذا الحديث فى الحسن بترك الامر حين صارت الخلافة اليه وكان احق بها واهلها فسلمها الى معاوية وترك الملك والدنيا ورعا ورغبة فيما عند الله واشفاقا على الامة من الفتنة لا من القلة والذلة اذ كان معه يومئذ اربعون الفا قد بايعوه على الموت فاصلح الله به بين الفرقتين اهل الشام فرقة معاوية واهل العراق فرقة الحسن (ولسعد) اى وقال كما رواه الشيخان لسعد ابن ابى وقاص فى مرضه بمكة وقد قال له سعد اخلف عن اصحابى (لعلك تخلف) بفتح اللام المشددة اى يؤخر موتك (حتى ينتفع بك اقوام) اى من الابرار (ويستضر) وفى نسخة بصيغة المجهول اى ويتضرر (بك آخرون) اى اقوام من الفجار زيد فى رواية اللهم امض لاصحابى هجرتهم ولا تردهم على اعقابهم لكن البائس سعد ابن خولة يرثى له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان مات بمكة وذلك لكراهتهم الموت بارض هاجروا منها حذرا من ردهم على اعقابهم بموته فيها (واخبر) اى فيما رواه الشيخان عن انس (بقتل اهل مؤتة) بضم ميم فهمزة ساكنة ويبدل (يوم قتلوا) اى امراء غزوها فقال اخذ الراية زيد بن حارثة فاصيب ثم جعفر ابن ابى طالب فاصيب ثم عبد الله بن رواحة فاصيب ثم خالد بن الوليد من غير امرة ففتح الله على يديه (وبينهم) اى والحال ان بينه عليه الصلاة والسلام وبين اهل مؤتة وامراءهم الكرام (مسيرة شهر او ازيد) اى بل اكثر ويؤيده ما فى نسخة بالواو فأو بمعنى الواو او بمعنى بل ولعل الدلجى حمل او على الشك من الراوى فقال بل اقل من شهر لانها من ارض البلقاء آخر حوران الشام الى جهة مدينة الاسلام (وبموت النجاشى) بفتح النون ويكسر وتخفيف آخره ويشدد لقب لكل من ملك الحبشة واسم هذا اصحمة وكان ممن آمن واخبر عليه الصلاة والسلام بموته كما رواه الشيخان عن ابى هريرة (يوم مات) اى سنة تسع من الهجرة وهو بارضه وصلى عليه صلاة الغائب عن اصحابه وقد احضرت جنازته لديه (واخبر فيروز) بكسر الفاء وتفتح وسكون الياء وبضم الراء غير منصرف للعجمة والعلمية اى واخبره صلى الله عليه وسلم كما رواه البيهقى (حين ورد عليه) وفى نسخة اذ ورد عليه اى حين وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رسولا من كسرى) اى ملك فارس وهو وزيره (بموت كسرى ذلك اليوم) اى فى يوم ورود فيروز او فى يوم موت كسرى (فلما حقق فيروز القصة) اى ما قصه عليه من موته فى وقته (اسلم) ففاز فيروز فوزا عظيما (واخبر اباذر) كما رواه احمد (بتطريده) اى باخراجه من المدينة الى الربذة (كما كان) اى كما وقع فى زمان عثمان بن عفان وفى اصل الدلجى فكان كما كان اى فكان اخباره بتطريده كما كان ثم لا ينافيه ما فى دلائل النبوة للبيهقى من ان امرأته ام ذر قالت والله ما سيره عثمان الى الربذة ولكن قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغ البناء سلعا فاخرج فلما بلغه وجاوز خرج ابوذر الى الشام وذكر رجوعه ثم خروجه الى الربذة وموته بها اذ يمكن حمل كلامها على ان تسييره عثمان لم يكن قهرا عليه اذ كان امكنه ان يمتنع منه الا انه وافق حكمه امره صلى الله تعالى عليه وسلم بخروجه اختيارا فاختار خروجه من غير ان يكون هناك اكراه واجبار والا فالامر باخراجه محقق بلا شبهة لقوله (ووجده فى المسجد) اى مسجد المدينة (نائما فقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (له) اى لابى ذر (كيف بك اذا اخرجت منه) اى من هذا المسجد وما حواليه (قال اسكن المسجد الحرام) اى وما حوله من الحرم (قال فاذا اخرجت منه الحديث) اى بطوله قيل كان اخرجه عثمان الى الشام لانه كان اذا مر به عثمان يقرأ قوله تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم ثم رضى عليه فرده الى المدينة ثم اخرجه الى الربذة قرية خربة فسكنها الى ان مات (وبعيشه وحده وبموته وحده) اى واخبران اباذر يعيش وحيدا ويموت فريدا فكان كما اخبره عليه الصلاة والسلام على ما رواه احمد وابن راهويه وابن ابى اسامة والبيهقى واللفظ له قالت ام ذر لما حضرت اباذر الوفاة بكيت فقال وما يبكيك فقلت ومالى لا ابكى وانت تموت بفلاة من الارض وليس عندى ما يسع كفنا لى ولا لك قال فابشرى ولا تبكى فانى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لنفر انا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المسلمين وليس من اولئك النفر احد الا وقد مات فى قرية وجماعة فانا ذلك الرجل فابصرى الطريق فبينما انا وهو كذلك اذا انا برجال على رحالهم كانهم الرخم فألحت بثوبى فاسرعوا حتى دخلوا عليه فقال لهم كما قال ثم قال انتم تسمعون انه لو كان عندى ثوب يسعنى كفنا لى او لامرأتى لكفنت فيه انى انشدكم الله ثم انشدكم الله ان لا يكفننى رجل منكم كان اميرا او عريفا او بريدا او نقيبا وليس منهم احد الا قارف ما قال الا فتى من الانصار قال انا اكفنك يا عم فى ردائى هذا وثوبين فى عيبتى من غزل امى قال فكفنى فكفنه وقاموا

فدفنوه وعن ابن مسعود قال لما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى غزوة تبوك تخلف ابوذر بتلوم بعيره فقالوا يارسول الله تخلف ابوذر فقال دعوه ان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم قال فلما ابطأ عليه بعيره اخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج ماشيا يتبع اثر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى شدة الحر وحده فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دمعت عيناه وقال يرحم الله اباذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده فكان كذلك لما مات رضى الله تعالى عنه بالربذة لم يكن معه الا امرأته وغلامه فلما غسلاه وكفناه وضعاه على قارعة الطريق ينتظران من يعين على دفنه اذا اقبل عبدالله بن مسعود فى رهط من اهل العراق فلما رآهم الغلام قام اليهم وقال هذا ابوذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعينونا على دفنه فنزل ابن مسعود وجعل يبكى رافعا صوته ويقول صدق رسول الله فى قوله (واخبران اسرع ازواجه به لحوقا) اى وصولا اليه بعد موته (اطولهن يدا فكانت زينب) اى بنت جحش (اسرعهن لحوقا به لطول يدها بالصدقة) رواه مسلم ولفظه عن ام المؤمنين عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسرعكن لحوقا بى اطولكن يدا فكن يتطاولن ايتهن اطول يدا فكانت زينب اطولنا يدا لانها كانت تعمل بيدها وتصدق ورواه الشعبى مرسلا فقال قلن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اينا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فى الصدقة وللبخارى عن عائشة اجتمع زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم فقلن له اينا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فاخذنا قصبة نذرعها وكانت سودة بنت زمعة اطولنا ذراعا فتوفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت اسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها فى الصدقة وكانت تحب الصدقة قال الدلجى وهو مخالف لحديث مسلم والشعبى مع منافاة ما افاده قولها ان طول يدها كان بالصدقة من انه طول معنى لما افاده قولها كانت اطولنا ذراعا من انه طول حسا انتهى ولا منافاة لظنها اولا ان المراد بالطول هو الحسى فتبين لها بعدها ان المقصود هو الطول المعنوى كما هو المعتبر عند ارباب النظر مع ما فى العبارة من حسن الاشارة الى ان التلويح ابلغ من التصريح وان فى التعمية حسن التورية عند الفصيح ثم يمكن الجمع بين ما ورد فى الصحيحين ان تكون احداهما اسرع حقيقيا والاخرى اضافيا ولعل الاسرع منهما هى الاكثر منهما مبادرة الى الصدقة وهذا مما الهمنى الله من التحقيق والله ولى التوفيق ثم رأيت الحلبى قال زينب هذه هى بنت جحش توفيت سنة عشرين اواحدى وعشرين لا زينب بنت خزيمة التى تدعى ام المساكين لانها توفيت فى آخر ربيع الاول على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة (واخبر بقتل الحسين) اى ابن على رضى الله تعالى عنهما (بالطف) بفتح الطاء وتشديد الفاء مكان بناحية الكوفة على شط نهر الفرات واشتهر الآن بكربلاء كانه مركب من الكرب والبلاء وحذفت الباء الاولى تخفيفا والاكتفاء بحسب الايماء واستشهد وهو ابن خمس وخمسين سنة ووجد به ثلاث وثلاثون طعنة وثلاث وثلاثون ضربة وكان جميع من حضر معه من اهل بيته وشيعته سبعة وثمانين منهم على بن الحسين الاكبر وكان يرتجز ويقول

انا على بن الحسين بن على ✻ نحن وبيت الله اولى بالنبى ✻ تالله لا يحكم فينا ابن الدعى

وقتل من ولد اخيه عبدالله بن الحسن والقاسم بن الحسن ومن اخوانه العباس بن على وعبيدالله بن على وجعفر بن على وعثمان بن على ومحمد بن على وهو اصغرهم ومن ولد جعفر بن ابى طالب محمد بن عبدالله بن جعفر وعون بن عبدالله ابن جعفر ومن ولد عقيل بن ابى طالب عبدالله بن عقيل وعبدالرحمن بن عقيل وجعفر بن عقيل وقتل معه من الانصار اربعة والباقى من سائر العرب ودفنوا بعد قتلهم بيوم وذكر ابوالربيع ابن سبع فى مناقب الحسين عن يعقوب ابن سفيان قال كنت فى ضيعتى نصلينا العتمة ثم جلسنا فى البيت ونحن جماعة فذكروا الحسين بن على فقال رجل ما من احد اعان على قتل الحسين الا اصابه عذاب قبل ان يموت وكان فى البيت شيخ كبير فقال انا ممن شهدها وما اصابنى امر اكرهه الى ساعتى هذه فطفئ السراج فقام لاصلاحه ففارت النار فاخذته فجعل يبادر بنفسه الى الفرات ينغمس فيه فاخذته النار حتى مات قلت بل جمع له بين الاحراق والاغراق (واخرج بيده تربة) اى قبضة من التراب (وقال فيها مضجعه) بفتح الميم والجيم وبكسر اى مقتله او مدفنه رواه البيهقى من طرق ولفظ حديثه عن عائشة ان جبريل كان عند النبى صلى الله عليه وسلم فدخل حسين فقال جبريل من هذا فقال ابنى فقال ستقتله امتك وان شئت اخبرتك بالارض التى يقتل فيها فاشار بيده الى الطف من العراق فاخذ تربة حمراء فاراه اياها (وقال) اى النبى عليه السلام كما رواه ابن عدى والبيهقى (فى زيد بن صوحان) بضم اول المهملتين اختلف فى صحبته (يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده فى الجهاد) ولفظ البيهقى عن على قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض اعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان وفى اسناده هذيل بن بلال ضعفه البيهقى وفى الحديث ايماء الى

جواز تعلق الروح بالاجزاء من غير تمام الاعضاء كما حققه العلماء (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام والتحية والثناء (فى الذين كانوا معه) اى كما سبق ذكرهم من الشيخين وعثمان وغيرهم رضى الله تعالى عنهم (على حراء) اى وقد تحرك بهم كما مر فى الانباء والمعنى قال فى حقهم وعلو شأنهم مخاطبا للجبل (اثبت) اى مع الثابتين من الاعلام (فانما عليك نبى وصديق وشهيد) وفى نسخة باو فى الموضعين فهى للتنويع ولفظ مسلم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان على حراء هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحرك فقال اهدأ فما عليك الا نبى اوصديق اوشهيد زاد بعضهم سعدا مكان على (فقتل على وعمر وعثمان) كذا فى النسخ ولعل تقديم على لثبوت شهادته بصريح الخبر وفى اصل الدلجى فقتل عمر وعثمان وعلى (وطلحة والزبير وطعن سعد) اى وجرح وحصلت له الشهادة بسبب الجراحة وبشهادة الحديث وقال التلمسانى اى اصابه طاعون وهو شهادة لكل مسلم انتهى لا كما قال الدلجى ولم تنله الشهادة كما لا يخفى على اهل الافادة (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه البيهقى (لسراقة) بضم السين وهو ابن مالك بن جعشم بضمتين (كيف بك) اى كيف حالك (اذا لبست سوارى كسرى) تثنية السوار بكسر السين وتضم وجمعه اسورة وجمع الجمع اساور وهو ما يلبس فى اليد وفيه تنبيه على هلكه وزوال ماله وملكه مع كمال شوكته وقوته منتقلا الى اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وائمة امته (فلما اتى عمر بهما) اى جيئ بسواريه (البسهما اياه) اى سراقة اظهارا لتحقق ما صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا (وقال) اى عمر (الحمد لله الذى سلبهما كسرى) اى ملك العجم (والبسهما سراقة) اى واحدا من بدو العرب ولعل فى تقديم المفعول الثانى ايماء الى الاهتمام بذكرهما وما يعقبه من ذكرهما فاندفع اعتراض الدلجى ولو قال البسهما اياه لكان اولى (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه ابو نعيم فى الدلائل عن جرير بن عبدالله والخطيب فى تاريخه (تبنى) اى ستبنى (مدينة بين دجلة) بكسر الدال وتفتح نهر مشهور بالعراق (ودجيل) بالتصغير بالاهواز عليه مدن كثيرة مخرجه من اصفهان (وقطربل) بضم قاف وسكون مهملة فضم راء وموحدة فلام مشددة ممنوعا من الصرف موضع بالعراق (والصراة) بمهملة مفتوحة نهر بالعراق وفى بعض الاصول بالهاء بدل الصاد ذكره الشمنى قال الحلبى والهراة كذا فى الاصل وهو بفتح الهاء بلد معروف وفى القاموس الهراة بلد بخراسان وقرية بفارس والنسبة هروى محركة (تجبى اليها) بضم التاء وسكون الجيم وفتح الموحدة اى تجمع وتجلب الى تلك المدينة (خزائن الارض) لانها صارت دار الملك (يخسف بها) اى يستحق ان يخسف بها لكثرة ظلم اهلها ولان بناءها اسس على شفا جرف هار (يعنى) اى يريد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بها) اى بتلك المدينة (بغداد) من بيان لغاتها وقد بناها ابو جعفر الدوانيقى ثانى خلفاء بنى العباس لكن قال احمد بن حنبل لم يحدث به اى بحديث بغداد ثقة ومداره على عمار بن سيف وهو مغفل وقال الذهبى فى ميزانه حديثه منكر (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه) رواه احمد ورواه البيهقى عن سعيد بن المسيب مرسلا وحسنه قال وولد لاخى ام سلمة من امها غلام فسموه الوليد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسموا باسماء فراعنتكم فسموه عبدالله فانه سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد بن عبد الملك ثم رأينا انه ابن اخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك لفتنة الناس اذ خرجوا عليه لامور اقترفها فقتلوه فانفتحت به الفتن على الامة كذا ذكره الدلجى وقال الحديث فى مسند احمد من حديث سعيد بن المسيب عن عمر رضى الله تعالى عنه وسعيد اختلف فى سماعه من عمر وقد ذهب احمد الى انه سمع منه وقد ذكر هذا الحديث ابن الجوزى فى موضوعاته من طريق احمد ثم نقل عن ابن حبان انه خبر باطل الى آخر كلامه (وقال) اى كما فى الصحيحين (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة) وهى الاسلام او الخلافة فوقع كما اخبر فى حرب صفين فان صفوان بن عمرو قال كان اهل الشام ستين الفا فقتل منهم عشرون الفا واهل العراق مائة وعشرون الفا فقتل منهم اربعون الفا (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لعمر) اى ابن الخطاب كما رواه البيهقى وشيخه الحاكم عن الحسن بن محمد مرسلا (فى سهيل بن عمرو) اى فى شأنه وقد قال له عمر يارسول الله دعنى انزع ثنيته فلا يقوم خطيبا فى قومه فقال دعها (عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان) اى الامر (كذلك) اى مثل ما اخبر عنه هنالك (فانه قام بمكة) اى عند الكعبة (مقام ابى بكر) اى فى مرتبته وثبات حالته فى المدينة (يوم بلغهم موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بتخفيف اللام اى وصلهم خبر موته صلى الله تعالى عليه وسلم (وخطب بنحو خطبته) اى بمثل خطبة الصديق فى المدينة يومئذ (وثبتهم) بتشديد الموحدة اى حملهم على الثبات فى الدين (وقوى بصائرهم) بتشديد الواو اى وصار سببا لتقوية كشف بصائرهم فى اليقين فقال من كان محمد الهه فان محمدا قد مات والله حى لا يموت وكانت خطبة ابى بكر من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت

الا ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه زاد عليه باثبات الايات البينة الدالة على موته صلى الله تعالى عليه وسلم لزيادة كماله فى الرتبة قال البيهقى ثم الحق فى ايام عمر بالشام مرابطا فى سبيل الله حتى مات بها فى طاعون عمواس (وقال لخالد) اى ابن الوليد (حين وجهه) بتشديد الجيم اى ارسله (لاكيدر) بالتصغير ملك كندة اختلف فى اسلامه وصحبته (انك تجده بصيد البقر) اى بقر الوحش قال الخطيب كان نصرانيا ثم اسلم وقيل بل مات نصرانيا وجمع بينهما بانه اسلم ثم ارتد قال ابن منده وابو نعيم الاصبهانى فى كتابيهما معرفة الصحابة ان اكيدر هذا اسلم واهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حلة سيراء فوهبها لعمر قال ابن الاثير اما الهدية والمصالحة فصحيحان واما الاسلام فغلطا فيه فانه لم يسلم بلا خلاف بين اهل السير وكان اكيدر نصرانيا فلما صالحه عليه الصلاة والسلام عاد الى حصنه وبقى فيه ثم ان خالدا حاصره زمن ابى بكر فقتله مشركا نصرانيا لنقض العهد قال وذكر البلادرى ان اكيدر لما قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعاد الى دومة بضم الدال ويقال دومة الجندل موضع بين مكة و برك الغماد والحجاز والشام فلما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتدا كيدر ومنع ما قبله فلما سار خالد من العراق الى الشام قتله (فوجدت هذه الامور كلها فى حياته وبعد موته) اى وقعت هذه الاخبار المذكورة جميعها الا ان منها ما وقع فى حياته ومنها ما وقع او سيقع بعد مماته (كما قاله عليه الصلاة والسلام) اى على نهج ما اخبر به عنه فى ذلك المقام من المعنى المرام (الى) اى منضمة او منتهية الى (ما اخبر به جلساءه من اسرارهم) اى خفيات احوالهم (وبواطنهم) اى مكنونات احوالهم كقوله لرجل وصف له بالعبادة هل حدثت نفسك انه ليس فى القوم خير منك قال نعم وفى رواية ومواطنهم اى ومشاهدهم وفى اصل التلمسانى ومواصلتهم اى مواصلة الناس من اهل الاسلام ونقل ما يصنعون الى اخوانهم الكفرة (واطلع عليه) اى والى ما انكشف عليه (من اسرار المنافقين) اى فيما بينهم (وكفرهم) اى من جهة بواطنهم كما ظهر منهم فى غزوة تبوك وهم سائرون بين يديه انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاعلمهم به فقالوا الا ما كنا فى شئ من امرك بل كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر فوبخهم الله وكذبهم بقوله تعالى قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون (وقولهم فيه) اى ومن تكلمهم فى حقه عليه الصلاة والسلام (وفى المؤمنين) اى من اصحابه الكرام كما وقع لرئيس المنافقين عبد الله ابن ابى حين قال لاصحابه وقد استقبله نفر من اصحاب النبى عليه الصلاة والسلام انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابى بكر فقال مرحبا بسيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفارق فى دين الله ثم اخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاثنوا عليه فنزلت فيهم واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون الايات (حتى ان) مخففة (كان بعضهم) اى المنافقين (ليقول لصاحبه) اى رفيقه اذا طعن فى الاسلام واهله (اسكت) اى من نحو هذا الكلام (فوالله لو لم يكن عنده من يخبره) اى شئ من الاشياء (لاخبرته حجارة البطحاء) اى صغار الحصى كما وقع يوم فتح مكة حين دخل النبى عليه الصلاة والسلام فى البيت وامر بلالا ان يؤذن فقال عتاب بن اسيد لقد اكرم الله اسيدا انه لم يسمع هذا فقال الحارث ابن هشام اما والله لو اعلم انه حق لاتبعته وفى رواية اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا فقال ابو سفيان لا اقول شيأ لو تكلمت لاخبرته عنى هذه الحصباء فلما خرج قال لهم لقد علمت الذى قلتم واخبرهم فقال عتاب والحارث نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك (واعلامه) اى ومن اخباره عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين عن عائشة (بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم) اى من يهود (وكونه) اى ومن كون سحره (فى مشط) بضم الميم وسكون المعجمة وتثلث وبضمهما ما يمشط به (ومشاقة) وفى نسخة صحيحة ومشاطة وكلاهما بضم اولهما بمعنى وهو ما يسقط من الشعر عند امتشاطه (فى جف طلع نخلة) بضم الجيم وتشديد الفاء اى وعائه فى غشائه الذى يكون فوقه ويروى جب بالموحدة وهما بمعنى وهو داخلها وقوله (ذكر) بفتحتين صفة طلع او نخلة على ان التاء للوحدة كالنخلة وليس بفعل ماض معلوم او مجهول كما يتوهم من اقوال الدلجى (وانه) اى السحر فيما ذكر (القى فى بئر ذروان) بفتح الذال المعجمة وسكون الراء وهى بالمدينة بستان لبنى زريق ويقال له بئر ذى اروان كذا فى مسلم وكلاهما صحيح وما فى مسلم اصح وادعى ابن قتيبة انه الصحيح ذكره النووى واما بالواو قبل الراء فموضع بين قديد والجحفة (فكان) اى فوقع الامر (كما قال) اى من خبر السحر (ووجد على تلك الصفة) اى الهيئة من كونه فى مشط ومشاطة (واعلامه) اى ومن اخباره (قريشا) كما رواه البيهقى عن الزهرى (باكل الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة تاكل

الخشب (ما فى صحيفتهم التى تظاهروا) اى تعاونوا وتناصروا (بها على بنى هاشم وقطعوا بها رحمهم) اى قرابتهم ممن بينهم وبينهم نسب يجمعهم (وانها) اى وبان الارضة (ابقت فيها كل اسم لله) وقد روى ابن ابى الدنيا فى سيرته مرسلا انها لم تترك فيها اسما لله الا لحسته وبقى فيها ما كان من شرك او ظلم او قطيعة رحم وقد ذكر الروايتين ابو الفتح اليعمرى فى سيرته ولعل القضية متعددة او وقع وهم لبعض فى قلب الرواية والمذكور فى الاصل هو الانسب بالدراية فان لله الاسماء الحسنى باقية على صفحات الدهر بالنعت الاسنى ثم رايت الحلبى اختار ان كونها لحست اسم الله اقوى وان كان فيه ابن لهيعة وهو مرسل والاخر ذكره ابن هشام انتهى ولا يخفى ان التعارض اذا وقع فيجمع مهما امكن والا فيرجح والا فيحمل على التعدد اذا تصور بان يقال علقت واحدة فى الكعبة واخرى عندهم والله تعالى اعلم (فوجدوها) اى الصحيفة (كما قال) اى من اكل بعض ما فيها وابقاء باقيها (ووصفه) عطف على اعلامه اى ونعته عليه الصلاة والسلام (لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه فى خبر الاسراء) اى فى صبيحة ليلة اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى منتهيا الى السماء (ونعته اياه) اى بيت المقدس لهم على ما مر (نعت من عرفه) اى كنعت من عرفه حق معرفته (واعلامهم) اى واعلامه اياهم (بعيرهم) بكسر العين اى بقافلة ابلهم (التى مر عليها فى طريقه) اى حين رجع من مسيره الى مقام تحقيقه (وانذارهم) اى اعلامهم (بوقت وصولها) وان جملا اورق يقدمها فى يوم كذا قبل ان تغيب الشمس فى مغربها (فكان) اى فوقع ذلك (كله كما قال) اى كما اخبره صلى الله تعالى عليه وسلم (الى ما) اى مع ما (اخبر به من الحوادث التى تكون) اى ستوجد ويأتى امرها (ولم تات بعد) بضم الدال اى ولم تقع عقب زمن اخباره بل ستأتى بعد ازمان متباعدة عن آثاره (منها) اى من الحوادث التى تكون (ما ظهرت مقدماتها) بكسر الدال المشددة وتفتح وفى نسخة مقدماته (كقوله) اى فيما رواه ابو داود (عمران بيت المقدس) بضم العين اى كثرة عمارته باستيلاء الكفار على امارته (خراب يثرب) اى سبب خراب المدينة المشرفة وضعف جماعته (وخراب يثرب خروج الملحمة) اى علامة ظهور الحرب والفتنة (وخروج الملحمة فتح القسطنطينية) بضم القاف والطاء الاولى وتفتح وبكسر الطاء الثانية بعدها ياء ساكنة فنون وتاء تانيث كذا فى النسخ المصححة وفى رواية السجزى بزيادة مشددة وهى دار ملك الروم ثم كل سابقة مما ذكر علامة متعقبة للاحقة وفى حاشية الحجازى وقسطنطينية ويروى بلام التعريف وفيها ست لغات فتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة ومع تشديدها ومع حذفها وحذف النون والقاف مضمومة بكل حال ثم اختلفوا هل افتتحت ام لا فقيل كان ذلك فى زمن عمر او عثمان وقيل لا بل انما ستفتح مع قيام الدجال والله تعالى اعلم بالحال (ومن اشراط الساعة) اى والى ما اخبر به من علاماتها المتقدمة كما فى الصحيحين ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل والزنى وشرب الخمر وتقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد (وآيات حلولها) اى علاماته المؤذنة بوقوعها او حصولها الحديث مسلم لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوفات خسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم (وذكر النشر والحشر) اى ومن ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم اياهما فى اشراط الساعة فالمراد بهما ما يقع قبل القيامة من التفرقة والجمع كما حكى النووى عن العلماء من ان آخر اشراطها فى الدنيا قبل النفخة الاولى نفخة الصعق اى الموت بدليل ذكره مع آيات حلولها ولقوله عليه الصلاة والسلام ويحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل معهم كما فى حديث مسلم يحشر الناس اى احياء الى الشام على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسى معهم حيث امسوا واما ما بعد بعثهم من القبور فعلى خلاف هذه الصفة من ركوب الابل والتعاقب عليها بل هو على ما ورد من كونهم حفاة عراة غرلا كما بدأكم تعودون هذا ووقع فى اصل الدلجى والنشر بعد الحشر وفسره بالبعث وهو اعادة ما افناه ولا يخفى انه لا يناسب المقام مع انه لغة غير مطابق للمرام فالصواب ما قدمناه فى الاصل من النسخ المصححة المشيرة الى ان الحشر بعد النشر فى علامات الساعة بخلاف يوم القيامة فان الحشر قبل النشر لانه يجمع الخلق اولا ثم يفرق بينهم كما اخبر عنه سبحانه وتعالى بقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير (واخبار الابرار) جمع بر او بار أى وذكر اخبارهم بما يسرهم مجملا وتفصيلا لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا عن الله سبحانه وتعالى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (والفجار) جمع فاجر من فاسق وكافر واخبارهم اى بما يسوءهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الفجار يوم القيامة يبعثون فجارا الا من اتقى الله وصدق (والجنة والنار) اى ومن ذكرهما (وعرصات القيامة) اى وذكر

موافقهما من الميزان والحوض والصراط وغيرها وكان الانسب تأخير الجنة والنار عن عرصات القيامة هذا وان اردت تفصيل ذلك فى الجملة فعليك بكتاب شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى المسمى بالبدور السافرة فى احوال الآخرة (وبحسب هذا الفصل) بسكون السين والباء زائدة كما فى قولهم بحسبك درهم اى حسبك والمعنى كفى هذا الفصل من كماله فى الفضل (ان يكون ديوانا مفردا) اى دفترا منفردا (يشتمل على اجزاء وحده) اى متوحدا غير منضم الى غيره (وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التى ذكرناها كفاية) اى غنية لمن له دراية (واكثرها فى الصحيح) اى رواية (وعند الائمة) اى من كتب اصحاب السنة (والله ولى التوفيق) اى بالهداية فى البداية والنهاية

(فصل)

(فى عصمة الله تعالى له) اى فى وقايته وحمايته (من الناس وكفايته من آذاه) اى وكفاية الله اياه شر من آذاه ممن عاداه ويروى وكفايته من آذاه (قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) اى يمنعك منهم و يكفيك عنهم (وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) اى بمرأى منا ومرعى فى حفظنا وجمع العين مناسبة لضميرها او مبالغة فى تعبيرها (وقال أليس الله بكاف عبده) وفى انكار النفى مبالغة فى اثبات الكفاية (قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين) فالمراد بعبده الفرد الاكمل او المعهود الافضل و يؤيده ان المشركين كانوا يقولون له انا نخاف ان يعتريك آلهتنا بسوء لعيبك اياها وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى العزى ليكسرها فقال له سادنها انى احذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شئ فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه اى مما لا يقدر على نفع وضر فى نفسه (وقيل) اى فى معنى الآية (غير هذا) اى القول بقصر الكفاية على محمد بل كافيه ولا كافى غيره فتكون الاضافة للجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائى أليس الله بكاف عباده بصيغة الجمع (وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) وقد سبق معناهما وما يتعلق بمبناهما وقد قال الله تعالى ايضا فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم اى بالاقوال والاحوال (اخبرنا القاضى الشهيد ابو على الصدفى) بفتحتين وهو ابن سكرة (بقراءتى عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافرى) بفتح الميم و تضم وكسر الفاء هو الاشبيلى وهو المعروف بابن العربى سمع نصر بن ابراهيم المقدسى وطبقته وروى عنه جماعة توفى بفاس سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وهو على دابته بباب فاس وقد كان سقى سما فمات شهيدا مظلوما (قالا) اى كلاهما (ثنا ابو الحسين) بالتصغير وهو الصواب (الصيرفى) وهو المبارك بن عبد الجبار (ثنا ابو يعلى البغدادى) وهو المعروف بابن زوج الحرة (ثنا ابو على السنجى) بكسر السين والجيم بينهما نون ساكنة (ثنا ابو العباس المروزى ثنا ابو عيسى الحافظ) اى الترمذى كما فى نسخة وهو صاحب الجامع (ثنا عبد بن حميد) بالتاء غير وتقدم ان هذا من غير اضافة (ثنا مسلم بن ابراهيم) اى الازدى سمع ابن المبارك وغيره روى عنه البخارى وابو داود والدارمى (ثنا الحارث ابن عبيد) هو ابو قدامة الايادى البصرى روى عن ثابت البنانى اخرج له مسلم واستشهد به البخارى (عن سعيد الجريرى) بضم الجيم وفتح الراء روى عن ابى الطفيل و يزيد بن الشخير وعنه شعبة و يزيد بن هارون (عن عبد الله ابن شقيق) هو العقيلى البصرى يروى عن عمر وابى ذر وابى بكرة وعنه قتادة وايوب قال احمد ثقة يحمل عن على رضى الله تعالى عنه (عن عائشة) قال الحلبى اخرجه الترمذى فى التفسير عن الحارث بن عبيد عن سعيد الجريرى عن عبد الله ابن شقيق قال ولم يذكروا عائشة (قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس) بصيغة المجهول اى يحفظ من الاعداء (حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس) اى يحرسك من قتلهم اياك (فاخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه من القبة) هى بيت صغير من الخيام مستدير من بيوت العرب (فقال لهم ايها الناس انصرفوا) الى رحالكم وكونوا على حالكم (فقد عصمنى ربى عز وجل) اى فقد تكفل بعصمتى ومحافظتى من كيد اعدائى من غير واسطة لى (وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل) بفتح الياء وكسر القاف اى يستريح (تحتها) من القيلولة وهى نوم نصف النهار ومنه قوله تعالى او هم قائلون ومنه شعر الهاتف بمكة فى حديث الهجرة الى المدينة

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتى ام معبد

اى نزلا فيها عند القائلة وهى وقت الاستراحة من الظهيرة (فاتاه اعرابى) اى بدوى (فاخترط سيفه) اى سله من غمده ومرجع الضمير اما هو عليه السلام واما الاعرابى (ثم قال من يمنعك منى فقال الله) اى الله يمنعنى منك (فارعدت) وفى نسخة صحيحة فرعدت بالبناء للمفعول فيهما وفى نسخة فارتعدت و يروى فذعرت بذال معجمة من الذعر وهو

الفزع لكن لا يلائم اسناده الى قوله (يد الاعرابى) اى اصابته رعدة وحركة مضطربة من الخوف (وسقط سيفه) وفى اصل الدلجى وسقط السيف من يده (وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه) اى دماؤه ونحوه (فنزلت الآية) اى آية والله يعصمك من الناس وما رواه من الزيادة فغير معروف عند ارباب الدراية (وقد رويت هذه القصة) اى مثلها (فى الصحيح) اى للبخارى وغيره (وان غورث بن الحارث) فوعل آخره مثلثة و يهمل اوله ويعجم مكبرا ومصغرا كما فى الرواية الاخرى وتقدم انه اسلم وصحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى انه دعثور فعلول كبهلول وعينه مهملة ذكره التلمسانى (صاحب هذه القصة وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت) وفى نسخة وهى الاولى وقد حكى (مثل هذه الحكاية انها) وفى نسخة وانها (جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه) جملة حالية (لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر) بصيغة المجهول والمعلوم (مثله) اى مثل قوله من يمنعك او مثل ما حكى من انه اخترط سيفه الخ فرده الله خاسئا (وقد روى) اى كما فى سيرة ابن اسحق الكبرى موصولا عن جابر بن عبد الله (انه وقع له) اى للنبى عليه الصلاة والسلام (مثلها فى غزوة غطفان) بفتحتين قبيلة (بذى امر) بفتحتين موضع معروف من ديارهم و يقال لها غزوة نجد ايضا وولى المدينة حينئذ عبد الله ابن ام مكتوم استعمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليها حين خرج اليها محاربا لهم (مع رجل اسمه دعثور) بالضم (ابن الحارث) اى الغطفانى والظاهر ان الخبرين واحد و يؤيده قول الذهبى فى تجريده الاشبه انه غورث بن الحارث وقال الحجازى ويروى غويرث (وان الرجل) اى المشار اليه (اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه) من الاغراء اى الزموه وحثوه على فعله هذا وفى نسخة اغووه اى اضلوه (وكان) اى الرجل (سيدهم) اى رئيسهم (واشجعهم) جملة معترضة (قالوا له اين ما كنت تقول) اى من دعوى القدرة واظهار الشجاعة (وقد امكنك) اى والحال انك قد تمكنت من الفتك فيه (فقال انى نظرت الى رجل ابيض طويل دفع فى صدرى فوقعت لظهرى) وفى نسخة الى ظهرى (وسقط السيف) اى من يدى (فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم) اى قصدوا ان يمدوها فتكا واهلاكا (فكف ايديهم عنكم) اى فمنعها الله ان تمد اليكم (الآية) تمامها واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وفى رواية ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه بعسفان قد صلوا الظهر جميعا فندموا ان لا كانوا اكبوا عليه وهموا ان يوقعوا بهم فعلا اذا قاموا الى صلاة العصر فنزلت صلاة الخوف وقيل اتى صلى الله تعالى عليه وسلم بنى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم دية مؤمنين قتلهما عمرو بن امية خطأ ظنهما كافرين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس نطعمك ونقرضك فاجلس فى صفة فهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله يده فاخبره جبريل فخرجوا من عندهم سالمين (وفى رواية الخطابى ان غورث بن الحارث) وفى نسخة غويرث مصغرا واختاره الحلبى وتبعه الحجازى وروى الخطابى ان غورث او غويرث بن الحارث المحاربى على الشك أهو بالعين المهملة او المعجمة ولم يشك فى التصغير والمشهور ما ذكره الحافظ المزى ان غورث بالمعجمة غير مصغر كما اورده المصنف فيما تقدم والله سبحانه وتعالى اعلم (المحاربى) بضم الميم وكسر الراء والموحدة (اراد ان يفتك) بكسر التاء الفوقية و تضم وحكى الفتح ايضا اى يأخذ على غرة وغفلة باطشا (بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بقتله فجأة (فلم يشعر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به (الا وهو قائم على رأسه منتضيا) بالضاد المعجمة والتحتية اى سالا (سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه) اى انقلب او سقط ومن ابتدائية او بمعنى على وفى اصل الدلجى فاكب لوجهه اى عليه (من زلخة) بضم زاى وتشديد لام مفتوحة فخاء معجمة وقيل مشددة (زلخها) بضم اوله وكسر ثانيه مخففة اى من اجل زلخة (بين كتفيه وندر) اى خرج وسقط (سيفه من يده والزلخة وجع الظهر) اى بحيث لا يتحرك من شدته و يروى بتخفيف اللام من الزلخ وهو الزلق (وقيل فى قصته) اى قصة غورث (غير هذا) اى ما ذكر من نوع آخر وهو ما روى انه اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عليه السلام متقلد بسيفه قال ابن هشام وكان محلى بفضة فقال يا محمد ارنى سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف و ينظر مرة الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومرة الى السيف فقال من يمنعك منى يا محمد قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشام السيف ومضى فانزل الله هذه الآية (وذكر) بصيغة المجهول اى وذكر بعضهم وفى اصل الدلجى ذكر بصيغة الفاعل اى ذكر الخطابى (ان فيه) اى فى غورث (نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية) اى كما سبقت (وقيل كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف قريشا) اى من ان يقتلوه او يخذلوه (فلما نزلت هذه الآية) اى ونحوها من قوله تعالى والله يعصمك من الناس

وما اخترنا من الجمع بينهما اولى مما قال الدلجي اى هذه الآية او والله يعصمك (استلقى) جواب لما اى رقد على قفاه اوكناية عن استراح من اذى من آذاه (ثم قال من شاء فليخذلنى) اومن شاء فلينصرنى فان ربى لا يخذلنى فالامر للتهديد نحو قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر او المعنى فليخذلنى اى فليقتلنى فانه لا يقدر على ذلك فالامر للتعجيز (وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب) وهى العوراء اخت ابى سفيان ابن حرب زوجة ابى لهب عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بنت هشام اخت ابى جهل (تضع العضاه) بكسر العين وفى آخر الكلمة هاء وقفا ووصلا وهى اشجار عظام ذات شوك ولعل التقدير ترمى شوكها وقد تصحف على الحلبى حيث ضبط بفتح الغين والضاد المعجمتين وهو مخالف لما فى الاصول المعتمدة والحواشى المعتبرة (وهى جمرة) جملة حالية ولعل المراد تشبيه الشوك بالجمرة حال حدتها فان الجمر هى النار المتوقدة ثم اعلم ان بعضهم ذكر فى معناه انه شجر لجمره حرارة شديدة وقد قال اهل التفسير انها كانت تضع الشوك ولذا سميت حمالة الحطب على احد الاقوال ولعلها كانت تضع الشوك مرة والجمر اخرى اوكانت تجمع بينهما والله تعالى اعلم (على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشى عليها (فكأنما يطأها كثيبا اهيل) بفتح فسكون فتحتية فلام وروى بميم وهما بمعنى اى رملا سائلا حيث لم يتضرر بها (وذكر ابن اسحق عنها) اى عن حمالة الحطب ورواه ابو يعلى والبيهقى وابن ابى حاتم عن اسماء بنت ابى بكر رضى الله تعالى عنهما (انها) اى حمالة الحطب (لما بلغها نزول تبت يدا ابى لهب) وزيد فى نسخة وتب (وذكرها) اى وبلغ ذكر الله اياها (بما ذكرها الله مع زوجها من الذم) اى بقوله وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد (اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ومعه ابو بكر وفى يدها فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء بعدها راء حجر ملء الكف (فلما وقفت عليهما) اى قريبا من مكانهما (لم تر) جواب لما اى ما رأت (الا ابا بكر واخذ الله ببصرها) اى صرفه وحجبه (عن نبيه عليه الصلاة والسلام فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغنى انه يهجونى) اى يذمنى (والله لو وجدته) اى حاضرا او لو صادفته (لضربت بهذا الفهر فاه) اى فمه فرجعت خائبة خاسئة (وعن الحكم ابن ابى العاص) والد مروان بن الحكم عم عثمان بن عفان اسلم يوم الفتح وقد روى ابو نعيم فى الدلائل والطبرانى بسند جيد عنه (قال تواعدنا) اى اجتمعنا وتمالأنا معشرا من الكفار (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على قتل النبى المختار واستمر هذا الاصرار (حتى اذا رأيناه) اى فى موضع (سمعنا صوتا خلفنا) اى صوتا عظيما من ورائنا (ما ظننا انه بقى بتهامة) اى بارضها والمراد بها هنا مكة (احد) اى حيا هكذا فى الاصول بقى ووقع فى اصل الدلجى لم يبق فتكلف بل تعسف حيث قال الظن وان الم به حرف النفى فليس بمنفى بل المنفى ظنناهو البقاء اى ظننا انه لم يبق بتهامة احد هذا وتهامة اولها من ذات عرق الى البحر (فوقعنا) اى سقطنا (مغشيا علينا) اى من فزع ما سمعنا وهول ما ظننا (فما افقنا) اى ما انتبهنا (حتى قضى صلاته) اى فرغ عليه الصلاة والسلام منها (ورجع الى اهله) اى مضى كما فى نسخة (ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا) اى قاصدين له (حتى اذا رأيناه) اى خاليا فى مكان (جاءت الصفا والمروة) اى حضرتا او نصوريتا بصورتهما (فحالتا بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم ابن حذيفة) بالرفع هو عبد الله بن حذيفة بن غانم العدوى اسلم عام الفتح وصحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان مقدما فى قريش معظما وكانت فيه وفى بنيه شدة وقد ادرك بنيان الكعبة حين بناها ابن الزبير فعمل فيها ثم قال قد عملت فى الكعبة مرتين مرة فى الجاهلية بقوة غلام يافع وفى الاسلام بقوة شيخ فان وهو صاحب الانبجانية (ليلة) اى من الليالى حال غفلة (قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالنصب على نزع الخافض وهو على كما فى نسخة صحيحة (فجئنا منزله) اى لنتفحص حاله (فسمعنا له) اى صوتا وفى نسخة فسمعناله اى لصوته (فافتتح) اى ابتدأ القراءة (وقرأ الحاقة) اى الساعة الواجب وقوعها الثابت مجيئها وتحقق الامور فيها وتعرف حقيقتها (ما الحاقة) خبر المبتدأ اى اى شىء هى فوضع المظهر موضع المضمر تفخيما لشأنها وتعظيما لهوالها (الى فهل ترى لهم من باقية) اى ما ترى لهم من بقية او بقاء او نفس باقية وما بينهما علوم من القرآن وتفسيره مما لا يحتاج الى البيان (فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال) عمر (انج) امر من نجا ينجو (وفرا) وفى نسخة ففرا اى ذهبا كلاهما (هاربين) اى شاردين وفيه مبالغة لا تخفى (فكانت) اى القضية وقال الدلجى اى المواعدة او قراءة الحاقة (من مقدمات اسلام عمر) اى مقتضياته وكذا من اسلام ابى جهم على ما تقدم (ومنه) اى ومن قبيل اخذ بصر الاعداء محافظة لسيد الاحباء (العبرة المشهورة) بكسر العين وهى ما يعتبر من القضية العامة (والكفاية التامة عندما اخافته قريش) اى خوفوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (واجتمعت) وفى نسخة واجمعت اى عزمت (على قتله وبيتوه) بتشديد التحتية اى دبروه ليلة ليقتلوه غيلة على غرة وغفلة (فخرج عليهم من بيته) كما رواه ابن اسحق والبيهقى عنه عليه السلام

(فقام)

(فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم) اى حجبها عن رؤيته (وذر التراب) بذال معجمة فراء مشددة اى نثره وفرقه (على رؤسهم) قال الحلبى وكانوا مائة وفى نسخة بتخفيف الراء فهمزة وهو تصحيف وتحريف (وخلص منهم) اى نجا وتخلص من غير ان يصيبه شىء وفى رواية انه خرج من ظهر البيت طأطأت له جارية اسمها مارية خادمته عليه السلام حتى تسور الجدار الذى للبيت من ظهره (وحمايته) اى ومنه حفظه بحجبه (عن رؤيتهم) اى له ولابى بكر (فى الغار) متعلق باحد المصدرين وقال الدلجى حال والتقدير وهما فى الغار وهو تكلف بل تعسف (بما هيأ الله) اى قدره (له من الآيات) اى من خوارق العادات (ومن العنكبوت) عطف بيان لبعض ما قبله (الذى نسج عليه) اى على باب الغار وهو غار ثور جبل بيمنة مكة (حتى قال امية بن خلف) وهو ممن مات كافرا (حين قالوا) اى اصحابه (ندخل الغار) بصيغة الاخبار على تقدير الاستفهام وروى ادخل فعل امر اى رجاء ان يكون فيه مخفيا (ما اربكم فيه) بفتح الهمزة والراء وهو مقول امية اى اى شىء حاجتكم الداعية لدخولكم فى الغار (وعليه من نسج العنكبوت ما ارى) بضم الهمزة وفتحها اى شىء اظن (انه قبل ان يوجد محمد) اى كائن او موجود على باب الغار وفى نسخة انه الامن قبل ان يولد محمد وفى نسخة ما اربكم بدل ما اربكم اى اى شىء اوقعكم فى الريبة وشبه المظنة انه فى الغار والحال الخ (ووقفت) بالفاء وروى بالعين اى سقطت (حمامتان على فم الغار) وهو نقب فى الكهف (فقالت قريش) اى كلهم او بعضهم (لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام) اى لكمال نفرته عن الانام (وقصته) اى ومن ذلك قصته عليه السلام كما رواه الشيخان عن البراء (مع سراقة بن مالك بن جعشم) بضم جيم وشين معجمة (حين الهجرة) بكسر الهاء وقال التلمسانى بفتح وبكسر (وقد جعلت قريش فيه) اى فى حق النبى (وفى ابى بكر) اى فى اخذهما (الجعائل) جمع جعيلة او جعالة بالفتح وهى الاجرة على شىء فعلا او قولا والجعل بالضم الاسم وبالفتح المصدر قد بر وقد عين السهيلى ذلك فقال بذلت قريش مائة ناقة لمن يردعليهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (فانذر به) على بناء المفعول اى فاعلم سراقة بتوجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مهاجرا الى المدينة (فركب فرسه واتبعه) بتشديد الفوقية اى تبعه رجاء ان يلحقه (حتى اذا قرب) بضم الراء اى دنا (منه دعا عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لما رأى عليه من آثار الشر وتوهم الضر (فساخت) بالخاء المعجمة اى غاصت وغابت فى الارض وانخسفت (قوائم فرسه فخر عنها) اى فسقط او فنزل عنها (واستقسم بالازلام) جمع زلم بفتحتين او بضم ففتح وهى سهام لا ريش بها ولا نصل كان يكتب على احدها افعل وعلى الاخر لا تفعل وغيرهما مغفل وكان محلها داخل الكعبة عند السدنة كما فى تفسير قوله تعالى وان تستقسموا بالازلام وكان بعضهم يضعها فى متاعه وجعبته فاذا عرض له مهم اخرج منها سهما فان خرج له افعل فعل او لا تفعل انفعل وان خرج المغفل اعاد العمل وقيل كان المكتوب على الواحد امرنى ربى وعلى الثانى نهانى ربى والثالث غفل لا شىء عليه وقيل ان الازلام حصى بيض كانوا يضربون بها ذلك والاول اعرف واصل معنى استقسم ضرب بها لاخراج ما قسم الله له من امره ونهيه وطلب معرفة تميزه بكونه ان خرج له ما يحب فعله او خرج له ما يكره كف عنه وهذا كله بناء على زعمه (فخرج له ما يكره) اى من الفال وعلى كل قال مع هذا ما التفت عن تلك الحال (ثم ركب فرسه ودنا حتى سمع قراءة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو) اى النبى (لا يلتفت) اى اليه او مطلقا (وابو بكر يلتفت) اى الى سراقة او الى جوانبه او الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتينا) بصيغة المجهول اى لحقنا من طلبنا او لحقونا او اتانا البلاء وجاءنا العناء (فقال لا تحزن ان الله معنا) اى ناصرنا ومعيننا او معية خاصة من قرب الرب الينا وفيه ايماء الى ما ورد من ان الله يتجلى للناس عامة ولابى بكر خاصة (فساخت) اى قوائم فرسه (ثانية) اى مرة اخرى (الى ركبتيها وخر عنها فزجرها) اى صاح عليها ونهرها (فنهضت) اى قامت ووثبت (ولقوائمها مثل الدخان) بتخفيف الخاء وتشدد اى من آثار الغبار المرتفع (فناداهم) اى النبى والصديق وعامر بن فهيرة مولى ابى بكر (بالامان) اى بطلبه (فكتب له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امانا) اى امر بكتابته لقوله (كتبه ابن فهيرة) بضم الفاء وفتح الهاء وسكون الياء كان اسود وهو ممن عذب فى الله قتل يوم بئر معونة والتمس ليدفن فلم يوجد فرأوا ان الملائكة دفنته وهو قديم الاسلام اسلم قبل ان يدخل عليه السلام دار الارقم ابن ابى الارقم ثم ما تقدم هو فى الصحيح قال التلمسانى اشتراه ابو بكر من الطفيل بن عبد الله بعد ما اسلم فاعتقه وكان يرعى الغنم فى جبل ثور ثم يروح بها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابى بكر فى الغار وكان رفيقهما الى المدينة حين هاجرا وشهد بدرا واحدا وقتله عامر بن الطفيل يوم بئر معونة يروى عنه انه قال حين طعنت ابن فهيرة رأيت نورا خرج من الطعنة (وقيل ابو بكر) اى ونقل فى السيرة انه كتبه ابو بكر وجمع بان عامرا كتبه اولا فلم يرض سراقة الا بكتابة ابى بكر لسيادته المعروفة فى قريش وان عامرا مولاه قال الحلبى وكتابه عليه السلام نيف وار بعون نفرا ومنهم الخلفاء الاربعة

واكثرهم ملازمة الكتابته عليه السلام زيد بن ثابت ثم معاوية ابن ابي سفيان بعد الفتح ذكر ذلك غير واحد من الحفاظ انتهى وقيل معاوية لم يكتب الوحي وانما كتب غيره والله تعالى اعلم (واخبرهم) اي سراقة (بالاخبار) اي اخبار الاغيار من كفار قريش وما جعلوه من الجعائل فيهما (وامره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يترك احدا) اي ممن يلقاه من ورائه (يلحق بهم) بل يدفعه عن اتصاله اليهم ويلحق بالرفع وهو حال وفي نسخة بالنصب ووجهه اسقاطان وابقاء عملها وهو قليل ومعناه هنا بعيد جدا (فانصرف) اي سراقة (يقول للناس) اي المقبلين لطلبهم (كفيتم) بصيغة المجهول (ماهاهنا) اي ما يتصور وجوده في جهتها والمعنى ليس احد ممن تطلبونه ههنا واغرب التلمساني في قوله امنتم من خوفكم وعصيتم مما هنا (وقيل بل قال لهما) اي سراقة (ارا كما دعوتما علي) اي بالمضرة (فادعوا لي) اي بالمنفعة (فنجا) اي بعد ما دعواله (ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي فكان من مقدمات اسلامه (وفي خبر آخر) غير معروف عند اهل الاثر (ان راعيا عرف خبرهما) اي من انهما توجها الى صوب المدينة ونحوها (فخرج) اي من مكانه (يشتد) اي يعدو عدوا سريعا (يعلم) اي حال كونه يريد ان يعلم وفي نسخة ليعلم (قريشا) اي باحوالهما (فلما ورد مكة ضرب) بصيغة المفعول اي ضرب بعض حجبه (على قلبه) وحبس على خاطره (فما يدري ما يصنع) اي من كمال الذهول والغفلة والدهشة والوحشة (وانسي ما خرج له) اي لاجله وفي نسخة اليه اي الى حصوله (حتى رجع الى موضعه وجاء فيما ذكر ابن اسحق) في المغازي (وغيره) كابي نعيم في الدلائل عن ابن عباس انه اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ابو جهل بصخرة وهو) اي والحال انه عليه الصلاة والسلام (ساجد وقريش ينظرون) اي اليه كما في نسخة (ليطرحها عليه) وحلف لئن رآه ليدمغنه (فلزقت) بكسر الزاي اي لصقت كما في رواية (بيده ويبست) بكسر الموحدة اي جفت (يداه الى عنقه) اي مغلولتين اليه وممنوعتين من الحركة لديه في طرحها عليه (واقبل يرجع) اي وشرع راجعا (القهقرى) بفتح القافين مقصورا هو الرجوع الى الوراء فقوله (الى خلفه) تأكيد لما قبله او تجريد لمعناه من اصله (ثم سأله) اي ابو جهل (ان يدعوله ففعل) اي دعا له ولم يؤاخذه كرما وشفقة وحلما ولما كان بينهما قرابة ورحما مما يقتضي لطفا ورحما (فانطلقت يداه) اي عقب ما دعا الله تعالى (وكان) اي ابو جهل (قد تواعد مع قريش بذلك) اي بطرح صخرة عليه (وحلف) اي عندهم (لئن رآه) اي ساجدا كما في نسخة (ليدمغنه) اي ليصيبن دماغه وليهلكنه (فسألوه عن شأنه) اي عن رجوعه بعد ظهور طغيانه (فذكر انه عرض لي) وفي نسخة له اي ظهر (دونه) اي بين يديه او حواليه (فحل) اي من الابل او نحوه (ما رأيت مثله) اي عظمة وهيبة (قط) اي ابدا (هم) وفي نسخة فهم (بي) اي قصدني (ان يأكلني فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذاك جبريل) اي تمثل له بصورة الفحل (لو دنا) اي قرب مني (لاخذه) اي اخذ عزيز مقتدر (وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة) وهو ابو جهل ابن هشام بن المغيرة او احد اقاربه (اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره) اي محا قوة نظره (فلم يره) اي النبي صلى الله عليه وسلم كما في نسخة (وسمع قوله فرجع الى اصحابه) اي وهو اعمى (فلم يرهم حتى نادوه) اي فعرف مكانهم ثم رآهم او استمر على عماه (وذكر) اي السمرقندي (ان في هاتين القصتين) اي قصة ابي جهل والتي بعدها وروي القضيتين (نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الآيتين) وفي نسخة الى قوله مقمحون والاقماح رفع الرأس وغض البصر وقد روى ابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس بلفظ ان ناسا من قريش قاموا ليأخذوه فاذا ايديهم مجموعة الى اعناقهم واذاهم عمي لا يبصرون فقالوا ننشدك الله والرحم فدعا حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت يس الى قوله لا يؤمنون (ومن ذلك ما ذكر ابن اسحق) اي وغيره كما في نسخة صحيحة كالكلبي في تفسيره (في قصته اذ خرج الى بني قريظة) وقال الحجازي وغيره الذي ذكره ابن اسحق وغيره من اهل السير ان ذلك كان من بني النضير وهو سبب غزوهم لا من بني قريظة فان سببهم غزوة الخندق ثم قريظة والنضير اخوان هما ابنا الخزرج من ذرية هارون اخي موسى عليه السلام بالتصغير قال الحلبي والصواب ان يقول بني النضير كما في سيرة ابن سيد الناس (في اصحابه) وفي نسخة في نفر من اصحابه اي مع جماعة منهم الخلفاء الاربعة فيهم (فجلس الى جدار بعض آطامهم) بمد الهمزة اي ابنيتهم المرتفعة كالحصون فتعاقدوا بينهم انكم لن تجدوه على مثل هذه الحالة من يعلو على مثل هذا الجدار ويرسل عليه ما يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به وانه ينقض ما بيننا وبينه من العهد واما نقض بني قريظة فسببه غزوة الخندق لانهم ظاهروا قريشا على النبي صلى الله عليه وسلم ونقضوا العهد وسيأتي من عند السمرقندي انه خرج الى بني النضير فذكر القصة فهذه هي الصواب (فانبعث) اي فقام واسرع اشقاهم (عمرو بن جحاش) بفتح الجيم وتشديد الحاء او بكسر وتخفيف والشين معجمة قتل كافرا (احدهم) وفي نسخة منهم اي احد منهم (ليطرح عليه رحى) بالقصر ويمد (فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي بعد اخبار جبريل بذلك كما سيأتي (فانصرف الى المدينة) اي وتبعه

اصحابه (واعلمهم) اي بعد انصرافه او قبله (بقصتهم) اي تمالئهم على قتله (وقد قيل ان هذه الآية) وفي نسخة ان قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية) اي بتمامها (في هذه القصة) اي قصة بني النضير (نزلت وحكى السمرقندي انه) اي النبي عليه السلام (خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين) اي في دية الاثنين من قبيلة بني كلاب بكسر اوله (اللذين قتل) اي قتلهما كما في رواية (عمرو بن امية) اي الضمري وفي نسخة الكلابي الذي قتله عمرو بن امية فالمراد به الجنس اذ صرح ابو الفتح اليعمري في السيرة انهما من بني عامر وقتلهما عمرو على ظن انهما كافران بعد قتل اصحابه ببئر معونة ورجوعه الى المدينة عتيقة العامر بن الطفيل العامري وذلك للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقده اذ كان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف على يده صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يعلم به عمرو بن امية (فقال) اي له كما في نسخة صحيحة (حيي) بالتصغير (ابن اخطب) بالخاء المعجمة وهو والد صفية ام المؤمنين (اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك) اي نضيفك مع اصحابك (ونعطيك ما سألتنا) اي من الاستعانة في الدية (فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر) بالواو والهمزة وهو افصح اي تشاور (حيي معهم) اي مع يهود (على قتله فاعلمه جبريل بذلك فقام) اي وحده (كانه يريد حاجته) اي قضاء حاجته واستمر على مشيته (حتى دخل المدينة) فلما استلبث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه قاموا في طلبه ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بحصونهم فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم ثم قال لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر وهذه القصة بعينها هي الاولى وكان هذه عند القاضي قضية اخرى والله تعالى اعلم بما هو اولى واحرى هذا وحيي والد صفية ام المؤمنين يهودي قتل على كفره مع بني قريظة صبرا (وذكر اهل التفسير الحديث) اي السابق المروي (عن ابي هريرة) وفي نسخة ومعنى الحديث عن ابي هريرة وفي اصل الدلجي وعن ابي هريرة والحديث في صحيح مسلم وسنن النسائي (ان ابا جهل وعد قريشا) اي وحلف عندهم وعهد (لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته) وفي نسخة على رقبته اي ليضعن رجله فوق رقبته صلى الله تعالى عليه وسلم واللام جواب قسم محذوف اي والله لا موطئة للقسم كما توهم الدلجي (فلما صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي تلبس بالصلاة (اعلموه) اي اخبروا ابا جهل (فاقبل) اي على قصد اذيته من وضع الرجل على رقبته (فلما قرب منه ولى) اي ادبر (هاربا) اي فارا (ناكصا على عقبيه) اي راجعا الى خلفه مخالفا لخلفه (متقيا بيديه) اي متحفظا بهما الشيء ظهر عليه متوجها اليه (فسئل) اي عن سبب رجوعه وانقلابه (فقال لما دنوت منه) اي قربت (اشرفت) اي اطلعت (على خندق) اي واد او حفير (مملوء نارا كدت) اي قاربت (اهوي) بكسر الواو اي اسقط (فيه وابصرت هولا عظيما) اي امرا شديدا يهول ويفزع (وخفق اجنحة) اي وابصرت ضرب اجنحة وتحريكها (قد ملأت) اي الاجنحة لكثرتها (الارض) اي جميعها (فقال عليه السلام تلك) اي اصحاب تلك الاجنحة (الملائكة) اي لا الطيور (لو دنا) اي ابو جهل مني حينئذ (لاختطفته) اي اخذته الملائكة سرعة (عضوا عضوا) اي بان وقع كل عضو وجزء منه في يد ملك او جمع منهم (ثم انزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلا) اي حقا (ان الانسان ليطغى ان رآه) اي لاجل ان علم نفسه (استغنى) عن ربه (الى آخر السورة وروي بصيغة المجهول وفي نسخة وروى والحديث لابي نعيم في الدلائل (ان شيبة) وفي نسخة ان رجلا يعرف بشيبة (ابن عثمان الحجبي) بفتح الحاء والجيم منسوب الى الحجبة جمع الحاجب بمعنى البواب فانه كان من سدنة الكعبة المشرفة وفي نسخة الجمحي بالجيم المضمومة وفتح الميم لخاء وهي غلط كما صرح به الحلبي (ادركه) اي لحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم حنين) وهو واد بقرب ذي المجاز او ماء بقرب الطائف من الحجاز (وكان حمزة قد قتل اباه وعمه) جملة معترضة مشيرة الى الباعث على القضية من اخذ الثأر كما في عادة الجاهلية (فقال) اي عثمان (اليوم ادرك ثأري) بمثلثة وهمزة ويجوز تخفيفها اي دم حميمي من ابي وعمي بانتقامي فيه (من محمد) اي بان اقتله بدل حمزة فانه ابن اخيه وهذا يرد قول من قال انه اسلم يوم الفتح ولعله اظهر اسلامه ولم يحقق مرامه ثم ان التلمساني ضبط الثار بالتاء المثناة الفوقية وهو تصحيف وتحريف (فلما اختلط الناس) اي اشتغلوا فيما بينهم من الحرب (اتاه) اي عثمان (من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه) اي فيقتله (قال فلما دنوت منه ارتفع الي) اي لدي (شواظ) بضم اوله ويكسر اي لهب (من نار اسرع من البرق فوليت هاربا) اي حذرا منه (واحس بي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فدعاني) اي بخفية (فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي) جملة حالية (فما رفعها) اي يده (عني الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن) اي اقرب الى العدو (فقاتل فتقدمت امامه اضرب) اي الناس (بسيفي واقيه بنفسي) اي واحفظه بدفع الناس عنه ووقايته منهم بتقديمه نفسي (ولو لقيت ابي) اي والدي فرضا (تلك الساعة لاوقعت به) اي بابي

وقتاله (دونه) اى دون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مجاوزا عنه اومدافعا منه واعلم ان فى السيرة لابى الفتح
اليعمرى عن ابن سعد ان طلحة ابن ابى طلحة وهو كبش الكتيبة صاحب اللواء قتله على ثم حمل اللواء
عثمان ابن ابى طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره وبدا سحره اى رئته وفى التجريد
والتذهيب للذهبى فى ترجمة شيبة ابن ابى طلحة ان عليا قتل اباه يوم احد ذكره الحلبى ففى نسبة قتلهما الى حمزة نوع
مسامحة (وعن فضالة بن عمرو) بفتح الفاء اى ابن الملوح الليثى وفى نسخة عمير بالتصغير عوض عمرو بالواو وهو
الموافق لما ذكره الذهبى فى الصحابة على ما حرره الحلبى والحديث رواه ابن اسحق وابن سيد الناس (اردت قتل النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة) وفى رواية زاد رسول الله
(قلت نعم قال ما كنت) وفى رواية ماذا (تحدث به نفسك قلت لا شئ) وفى رواية زاد كنت اذكر الله تعالى (فضحك
واستغفر لى) اى قال غفر الله لك ما خطر ببالك او اراد به استحقاق الغفران بتوفيق الايمان وفى رواية فضحك النبى ثم قال
استغفر الله (ووضع يده على صدرى فسكن قلبى) اى واطمأن بمعرفة ربى (فوالله ما رفعها) اى يده عن صدرى
(حتى ما خلق الله شيأ احب الى منه ومن مشهور ذلك) اى مما ذكر من عصمة الله سبحانه وتعالى له على ما رواه ابن اسحق
والبيهقى بلا اسناد وابو نعيم فى الدلائل مسندا الى عروة (خبر عامر بن الطفيل) اى ابن مالك العامرى سيد بنى عامر
فى الجاهلية كذا قال الذهبى فى تجريد الصحابة وقال روى عنه ابو ذبابة ذكره المستغفرى واجمع اهل النقل على
ان عامرا مات كافرا وقد اخذته غدة وكان يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية قال الحلبى ولا اشك فيما قاله
الذهبى فى قصته لما فى صحيح البخارى بنحو من اللفظ الذى ذكره (واربد) بفتح فسكون ففتح (ابن قيس) هو لبيد
ابن ربيعة لامه ولبيد صحابى وكان اربد شاعرا ايضا بعث الله عليه صاعقة فاحرقته كافرا بالله سبحانه وتعالى وفيه نزل
قوله تعالى فيرسل الصواعق الآية (وفدا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى متفقين على قتله (وكان عامر
قال له) اى لاربد (انا اشغل عنك وجه محمد) اى بالكلام معه (فاضربه انت) اى من خلفه (فلم يره فعل شيأ) اى مما قاله
(فلما كلمه فى ذلك) اى بالمعاتبة عن تقصيره هنالك (قال له والله ما هممت) اى ما عزمت (ان اضربه الا وجدتك
بينى وبينه افاضربك) الهمزة الاولى استفهام انكارى والثانية للمتكلم وهو اربد والمخاطب هو عامر قال البرقى
فى غريب الموطأ وفد عامر واربد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدعواه ان يجعل الامر بعده الى عامر
ويدخلان فى دينه فابى عليه الصلاة والسلام فقال له اكون على اهل الوبر وانت على اهل المدر فابى عليه الصلاة
والسلام فخرجا من عنده (ومن عصمته تعالى له) وفى نسخة ومن عصمته له تعالى وهو خطأ فاحش (ان كثيرا من
اليهود) اى من احبارهم ورهبانهم (والكهنة) اى ممن يزعم انه يخبر عن الكوائن المستقبلة (انذروا به) اى اعلموا
الناس بقرب نوره وخوفوهم بظهوره فان الانذار اعلام بتخويف (وعينوه لقريش) اى وبينوه لهم خصوصا
من جهة نسبه وحسبه وعلامة ولادته وامارة سيادته وسعادته (واخبروهم بسطوته بهم) اى بغلبته عليهم وشوكته
لديهم (وحضوهم) اى حثوهم وحرضوهم (على قتله) اى قبل ظهور نصره (فعصمه الله تعالى) اى من كيد كل عدو
ومكره (حتى بلغ) بتخفيف اللام اى وجد وتم (فيه امره) وفى نسخة حتى بلغ عنه امره بتشديد اللام ونصب
امره (ومن ذلك نصره بالرعب) بسكون العين ويضم اى بالخوف فى قلب اعدائه (مسيرة شهر) اى من كل جانب له
(كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما رواه الشيخان

(فصـــل)

(ومن معجزاته الباهرة) اى آياته الظاهرة (ما جمعه الله له من المعارف) اى الجزئية (والعلوم) اى الكلية والمدركات
الظنية واليقينية او الاسرار الباطنية والانوار الظاهرية (وخصه) اى وما خصه به (من الاطلاع على جميع مصالح
الدنيا والدين) اى ما يتم به اصلاح الامور الدنيوية والاخروية واستشكل بانه صلى الله تعالى عليه وسلم وجد الانصار
يلقحون النخل فقال لو تركتموه فتركوه فلم يخرج شيأ او اخرج شيصا فقال انتم اعلم بامر دنياكم واجيب بانه انما كان
ظنا منه لا وحيا وقال الشيخ سيدى محمد السنوسى اراد انه يحملهم على خرق العوائد فى ذلك الى باب التوكل
وما هنالك فلم يمتثلوا فقال انتم اعرف بدنياكم ولو امتثلوا وتحملوا فى سنة او سنتين لكفوا امر هذه المحنة انتهى وهو
فى غاية من اللطافة (ومعرفته) بالرفع عطفا على ما والاقرب جره بالعطف على الاطلاع (بامور شرائعه) اى احكامه
المتعلقة بالعبادات والمعاملات (وقوانين دينه) اى من القواعد الكلية المندرج تحتها الفروع الجزئية (وسياسة
عباده) اى الجامعة بين صلاح معاش الخلق ومعادهم (ومصالح امته) اى المتعلقة بامر زادهم فى حق عبادهم
وزهادهم (وما) اى ومعرفته بما (كان فى الامم قبله) اى من احوالهم وما جرى لهم من نجاة وهلاك فى مآلهم

(وقصص الانبياء والرسل) اى من دعاة الخلق الى دين الحق (والجبابرة) اى من الكفرة والفجرة المتكبرة (والقرون
الماضية) اى فى الازمنة الخالية (من لدن آدم) بضم الدال وسكون النون وبسكون الدال وكسر النون ويروى من
زمن اى من ابتداء زمن آدم (الى زمنه) اى زمن الخاتم سيد العالم صلى الله عليهما وسلم (وحفظ شرائعهم وكتبهم)
اى مما قذفه الله فى قلبه فروى قلبه عن ربه (ووعى سيرهم) بسكون العين اى واحاطة انواع سيرتهم واصناف
طريقتهم مع اتحاد جنس ملتهم (وسرد انبائهم) اى وذكر اخبارهم متتابعا (وايام الله فيهم) اى وقائعه الكائنة فيهم
من الهلاك والنجاة (وصفات اعيانهم) اى افاضلهم كذا قاله التلمسانى والاظهر ان المراد بهم جماعة معينة من المؤمنين
كذى القرنين والخضر ولقمان ومن الكافرين كفرعون وقارون وهامان (واختلاف آرائهم) جمع رأى بمعنى
اهوائهم كعبادة قوم ابراهيم الاوثان وقوم موسى العجل وقول النصارى بالاقانيم الثلاثة من العلم والحياة وروح
القدس وتعبيرهم عنها بالاب والام والابن (والمعرفة بمددهم) بضم الميم جمع مدة اى ايام مكثهم فى الدنيا جملة
(واعمارهم) اى على اختلافها قلة وكثرة (وحكم حكمائهم) بكسر الحاء وفتح الكاف اى والمعرفة بما صدر من انواع
الحكمة عن اصناف حكمائهم (ومحاجة كل امة) اى مجادلتهم ومغالبتهم (من الكفرة) اى بما يناسبهم فى الدعوة
كابطال الاصنام بان ليس لها منفعة ولا قدرة لها على مضرة وكمحاجة نصارى نجران فى دعواهم ان عيسى ابن الله
فدعاهم الى المباهلة فابوا وبذلوا له الجزية (ومعارضة كل فرقة من الكتابين) اى من اهل الكتابين وهما التوراة
والانجيل (بما فى كتبهم) كمعارضة يهود فى دعواهم ان من زنى منهم محصنا عقوبته التحميم والتجبيه اى بسود
وجوههما ويحملان على دابة يخالف بين وجوههما بجعل ظهر احدهما الى ظهر الآخر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
انشدكم بالله ما تجدون فى التوراة على من زنى قال حبرهم اذ نشدتنا فعليه الرجم فامر صلى الله تعالى عليه وسلم بهما
فرجما عند باب مسجده فى بنى غنم بن مالك بن النجار (واعلامهم باسرارها) اى واعلامه اهل الكتاب باسرار كتبهم
(ومخبآت علومهم) اى مخفيات اخبارهم وفى نسخة علومها (واخبارهم) اى واعلامه اياهم (بما كتموه
من ذلك) كنعته صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة والانجيل (وغيروه) اى بذكر اضداده وبتصحيفه او تحريفه
لمبناه او معناه (الى الاحتواء) اى مع احتوائه واشتمال علومه فى بنائه (على لغات العرب) اى مع كثرتها
واختلاف مادتها وبنيتها وهيئتها فى تأديتها من متداولاتها (وغريب الفاظ فرقها) بكسر الفاء وفتح
الراء اى غرائب معانى طوائف العرب من شواذها ونوادرها (والاحاطة بضروب فصاحتها) اى بانواع فصاحتها
فى مفرداتها ومركباتها حيث خاطب كل فرقة بلغاتها كما فى مخاطبته لاقيال حضرموت فى محاوراتها (والحفظ
لايامها) اى وقائع العرب فى الحرب فى اوقاتها (وامثالها) اى كلماتها التى يضربون المثل بها كقولهم الصيف
ضيعت اللبن ونحوها ومنه قوله عليه الصلاة والسلام حمى الوطيس اى اشتد حمى تنور الحرب (وحكمها) اى
والحكميات الواردة فى لسانها مع اللطافة فى شأن بيانها وسلطان برهانها (ومعانى اشعارها) كقوله صلى الله تعالى عليه
وسلم اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد الا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
وكانشاده نحو قوله ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * وقوله * ويأتيك بالاخبار من لم تزود
وامثالها (والتخصيص بجوامع كلمها) اى مما مبانيها يسيرة ومعانيها كثيرة وقد جمعت اربعين حديثا مما اشتمل كل
على كلمتين فقط (الى المعرفة) اى منضمة الى المعرفة (بضرب الامثال الصحيحة) اى من الكلمات البديعة المشيرة الى
المرادات الصريحة (والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض) اى الخفى بالنسبة الى الجاهل (والتبيين للمشكل)
لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم مبينا المنازل (الى) اى مع (تمهيد قواعد الشرع) اى مما شرع لنا من طريق الاصل
والفرع (الذى لا تناقض فيه) اى فيما ارسل الينا وفى نسخة فيها اى فى قواعده لدينا (ولا تخاذل) اى ولا تعارض
فيما انزل علينا اى لا كثيرا ولا يسيرا كما قال الله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (مع اشتمال
شريعته) اى المتضمنة لمكارم الافعال (على محاسن الاخلاق) اى فى طريقته (ومحامد الآداب) اى المورثة لجامع
الاحوال فى حقيقته (وكل شئ مستحسن مفصل) بالصاد اى مبين ومعين وفى نسخة بالمعجمة اى مفضل على غيره كما يشير
الى هذا المرام قوله عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (لم ينكر منه) اى من شرعه ولو هو (ملحد) اى
جائر لكنه (ذو عقل سليم) اى وطبع قويم (شيأ) اى اصلا (الا من جهة الخذلان) وهو عدم توفيق العرفان فينكره من
غير البرهان بل على جهة العدوان وطريق الطغيان (بل كل جاحد له) اى منكر لما ذكر (وكافر من الجاهلية به اذا سمع
ما يدعو اليه صوبه) اى فيما ظهر لديه (واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه) اى كما سبق من كلام المغيرة وابى جهل
وابى طالب (ثم ما احل لهم من الطيبات) اى مما حرم على غيرهم منها كلحم كل ذى ظفر وشحم البقر (وحرم عليهم من

الخبائث) كالميتة والدم ولحم الخنزير مما احل لغيرهم كالخمر (وصان) اى وما حفظ (به انفسهم) اى دماءهم
(واعراضهم) بفتح الهمزة جمع عرض (واموالهم من المعاقبات والحدود) اى المرتبة على اسبابها كالقصاص وحد
القذف والسرقة (عاجلا) اى فى الدنيا (والتخويف) وفى اصل الدلجى والتحريق (بالنار آجلا) اى فى العقبى
(مما لا يعلم ولا يقوم به) اى يعمل كله (ولا بعضه الا من مارس الدرس) اى من درس الكتب الالهية (والعكوف
على الكتب) اى القيام والاطلاع على كتب العلماء الربانية (ومثافنة بعض هذا) بالمثلثة والفاء والنون اى
متابعة بعض ماذكر (الى الاحتواء) اى مع اشتمال شريعته (على ضروب العلم وفنون المعارف كالطب) بكسر الطاء
وتثلث (والعبارة) بكسر العين اى التعبير للرؤيا (والفرائض) اى المتعلقة بالارث (والحساب) اى كمية الاعداد
(والنسب) بفتحتين اى معرفة الانساب (وغير ذلك من العلوم) اى انواعها الآتى بعضها (مما اتخذ اهل هذه المعارف
كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها) قال الدلجى اى فى شريعته والظاهر فى هذه المعارف (قدوة) بضم القاف
وكسرها وتفتح اى مقتدى (واصولا) اى قواعد كلية (فى علمهم) اى فى اساس علومهم (كقوله عليه الصلاة
والسلام) على ما رواه ابن ماجه عن انس (الرؤيا لاول عابر) اى معبر ذى رأى ثاقب عالم بالعبارة على وجه الاشارة
اذا اصاب وكان يحسن تعبيرها فاذا اعتبر شروطها وعبرها وقعت وكان ابن سيرين يقول انى اعتبرت الحديث والمعنى
انه يعبرها به كما يعبرها بالقرآن فيعبر الغراب مثلا برجل فاسق والمرأة بالضلع اخذا من تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم
له فاسقا وتسميتها ضلعا (وهى) اى الرؤيا (على رجل طائر) كما رواه ابو داود والترمذى وصححه اى قدر جار وقضاء ماض
وحكم نافذ من خير او شر او نفع او ضر وقال ابن قتيبة اراد انها غير مستقرة يقال للشئ اذا لم يستقر هو على رجل
طائر وعلى قرن ظبى وقال ابن الاثير هو من قولهم اقتسموا دارا فطار سهم فلان ناحية كذا يعنى ان الرؤيا هى التى
يعبرها المعبر الاول فكانها سقطت ووقعت حيث عبرت كما يسقط الذى يكون على رجل الطائر بادنى حركة انتهى
والحاصل ان هذا تمثيل وتصوير لجعلها على قدر قدره الله تعالى لصاحبها بشئ متعلق برجل طائر يسقط بادنى حركة
فاذا عبرها اول عابر فكانها كانت على رجله فسقطت وكل حركة جرت لك من شئ فهو طائر ومنه قوله تعالى وكل
انسان الزمناه طائره فى عنقه اى حركاته فى عباداته ومعاملاته فى ذمته غير منفكة عنه (وقوله) اى كما رواه الشيخان
وغيرهما هذا وقد قيل الرؤيا امثال يضربها ملك الرؤيا والله يعلم بها من يشاء روى ان امرأة اتت النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فقالت رأيت كان جائزة بيتى قد انكسرت فقال عليه الصلاة والسلام يرد الله غائبك فرجع زوجها
ثم غاب فرأت مثل ذلك فاتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلم تجده ووجدت ابا بكر رضى الله تعالى عنه فاخبرته
فقال يموت زوجك فذكرت ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هل قصتها على احد قالت نعم قال هو
كما قيل لك (الرؤيا ثلاث) اى ثلاثة انواع (رؤيا حق) بالاضافة اى ثابت موافق وصدق مطابق كرؤية الانبياء
والاصفياء فانها تخرج على وجهها او على نحو ما اول بها (ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه) فيراها فى منامه فهى اضغاث
احلام وخيالات منام (ورؤيا تحزين) بالجر وفى نسخة بالرفع (من الشيطان) بان يرى فى منامه ما يكون سببا لحزنه
كما فى حديث مسلم جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رأيت فى المنام كان رأسى قطع فضحك النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم وقال اذا الم الشيطان باحدكم فى منامه فلا يحدث به الناس وفى رواية اذا رأى فى منامه ما يحبه
فليحمد الله واذا رأى ما يكره فليتعوذ من شرها ولا يحدث بها احدا فانها لا تضره (وقوله) اى فيما رواه الشيخان
عن ابى هريرة مرفوعا (اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب) وفى رواية اذا اقترب والمراد اقتراب الساعة
ويؤيده حديث فى آخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب وقيل المراد قصر الايام والليالى على الحقيقة وقيل تقارب
الليل والنهار من الاعتدال لقول العابرين ان اصدق الازمان لوقوع العبارة وقت انفتاق الانوار والازهار ووقت
ادراك الثمار حين يستوى الليل والنهار وفى بعض الاخبار اصدق الرؤيا بالاسحار رواه احمد والترمذى وابن حبان
والبيهقى عن ابى سعيد هذا وكان الانسب للمصنف ان يرتب كل ما يتعلق بعلم من العلوم المذكورة على وفق ما قدمه
من المعارف المسطورة لكنه رحمه الله شوش النشر وقدم الرؤيا على الطب ثم قال (وقوله) كما رواه الدارقطنى
فى العلل عن انس وضعفه وابن السنى وابو نعيم فى الطب عن على وعن ابى سعيد وعن الزهرى مرسلا (اصل كل داء
البردة) بفتحتين وقد تسكن الراء اى التخمة وثقل الطعام على المعدة وسميت بردة لانها تبرد المعدة فلا يستمرئ الطعام
فى العادة وعلاجه اولا بالقئ وثانيا بالاسهال (وما روى عنه) اى عن النبى عليه الصلاة والسلام (فى حديث
ابى هريرة) كما رواه الطبرانى فى الاوسط (من قوله المعدة) بفتح فكسر وقيل بكسر فسكون (حوض البدن) لجمعها
الطعام كجمع الحوض الماء (والعروق اليها واردة) اى تتصاعد اليها بمنافع الطعام نفعا لابدان الانام (وان) وصلية

(كان هذا) اى الحديث (حديثا) وفى نسخة وان كان هذا الحديث (لا نصححه) اى لا نحكم بصحته بل ولا بثبوته
(لضعفه) اى لضعف سنده عند بعضهم (وكونه موضوعا) اى عند غيرهم (تكلم عليه الدارقطنى) اى ضعفه والله
سبحانه وتعالى اعلم (وقوله) كما رواه الترمذى عن ابن عباس (خير ما تداويتم به السعوط) بفتح فضم ما يجعل فى الانف
من الدواء (واللدود) ما يسقاه المريض فى احد شقى فمه (والحجامة) بكسر اوله (والمشى) بفتح فكسر فشدة المسهل
ويقال بفتح ميم فسكون شين فتخفيف وسمى به لحمله صاحبه على كثرة المشى الى الخلاء (وخير الحجامة) اى وقوله عليه
الصلاة والسلام كما رواه الحاكم عن ابن عباس وصححه خير الحجامة (يوم سبع عشرة) اى من كل شهر (وتسع عشرة)
بسكون الشين وتكسر (واحدى وعشرين) زاد ابو داود عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا كان شفاء من كل داء
هذا والتأنيث باعتبار مضاف مقدر اى يوم ليلة سبع عشرة مراعاة للاسبق منهما فان ليلة الشهر منه وقيل سبق الليل
فى الوجود ايضا وفى قوله تعالى نسلخ منه النهار ايماء الى ذلك وانه اصل هنالك وابعد الدلجى فى قوله بحذفه المميز
كما فى حديث من صام رمضان فاتبعه ستا من شوال فكانما صام الدهر كله فان لفظ اليوم مميز مستغنى عن مميز آخر
واما قوله تعالى ذرعها سبعون ذراعا فلمجرد التأكيد (وفى العود) اى وفى قوله كما رواه البخارى عن ام قيس فى العود
(الهندى) قيل هو القسط البحرى وقيل عود التبخر قاله ابن الاثير (سبعة اشفية) قيل المراد بها الكثير (منها ذات
الجنب) كما فى حديث وخص بالذكر لانه اصعب داء قلما يحصل فيه شفاء (وقوله) اى كما رواه احمد والترمذى وابن
ماجه والحاكم عن المقدام بن معدى كرب (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الى قوله فان كان لابد) اى بحسب ابن آدم
اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة (فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس) والنفس بفتحتين بمعنى التنفس
وفى الاصول المذكور لطعامه وشرابه ولنفسه بالاضافة (وقوله) اى فى علم النسب كما رواه احمد والترمذى (وقد سئل
عن سبأ) بكسر الهمزة وبفتحها ويبدل الهاء الفا كما قرئ بها فى قوله تعالى لقد كان لسبأ فى مساكنهم آية (أرجل هو
ام امرأة ام ارض فقال رجل) اى هو ابو قبيلة سميت به مدينة بلقيس باليمن ومن ثم قيل اسم مدينة (ولد عشرة) اى
ولد له عشرة اولاد وهو بمكة (تيامن منهم ستة) اى اخذوا نحو اليمن فتولدوا ونزلوا فيه واكثر قبائله منهم وهم
كندة والاشعرون والازد ومذحج وانمار وحمير الذين منهم خثعم وبجيلة وفى الحديث الايمان يمان والحكمة يمانية
لان الايمان بدا من مكة لانها من تهامة وتهامة من اليمن (وتشاءم اربعة) اى اخذوا نحو الشام وهو من العريش
الى الفرات وهم عاملة ولخم وجذام وغسان (الحديث بطوله) اى مما يدل على طول باعه فى هذا الفن (وكذلك جوابه
فى نسب قضاعة) بضم القاف (وغير ذلك) اى من سائر النسب (مما اضطربت العرب) بصيغة الفاعل او المفعول ورجحه
التلمسانى اى اضطربت واختلفت والتجأت او التجت (على شغلها بالنسب) اى مع كمال اشتغالهم بعلم النسب
(الى سؤاله) اى سؤالهم اياه (عما اختلفوا فيه من ذلك) ومن ذلك ما رواه احمد وابو يعلى والبزار والطبرانى عن عمرو
ابن مرة الجهنى قال صلى الله تعالى عليه وسلم من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال اقعد فقلت ممن نحن قال انتم
من قضاعة بن مالك بن حمير (وقوله) اى كما رواه البزار وقال العسقلانى انه منكر (حمير) بكسر فسكون ففتح ممنوعا قبيلة
معروفة من اليمن (رأس العرب) اى اساسها واصلها (ونابها) اى عمدة اهل كلامها لشرفهم فانهم ولد معد بن عدنان
من ولد اسماعيل بن خليل الرحمن (ومذحج) بالذال المعجمة والحاء المهملة والجيم كمجلس على ما فى القاموس وقيل
بفتح وهو قبيلة فعبارة الدلجى بالدال المهملة (هامتها) بتخفيف الميم وهى وسط الرأس اى اشرفها او رأسها
(وغلصمتها) بفتح الغين المعجمة ثم لام ساكنة رأس الحلقوم وهو الموضع الناتئ فى الحلق وهو اشارة الى تمكنهم
فى الشرف وعلوهم واصالتهم وعظمهم (والازد) بالزاى الساكنة قبيلة من اليمن (كاهلها) بكسر الهاء مقدم الظهر
ما بين كتفيه وهو محل الحمل اى عمدتها (وجمجمتها) بجيمين مضمومتين عظم الرأس المشتمل على الدماغ اى سادتها وقيل
جماجم العرب هى القبائل التى تجمع البطون فكاهل مضر تميم (وهمدان) بفتح فسكون فدال مهملة قبيلة معروفة
(غاربها) بكسر الراء ما بين السنام والعنق (وذروتها) بكسر الذال وضمها او بفتح وسكون الراء اى اعلاها والحاصل
انه صلى الله تعالى عليه وسلم بين ما لهذه القبائل من الفضائل وهذا من علم الانساب (وقوله) اى فى علم الحساب
كما رواه الشيخان عن ابى بكرة (ان الزمان قد استدار) اى رجعت اشهره الى ما كانت من حرمة وغيرها وبطل نسئ
الجاهلية من تأخيرهم حرمة شهر الى آخر وكانت حجة الوداع التى ذكر فى خطبتها هذا الحديث فى السنة التى استدار
فيها (كهيئته) اى ترتيبه وصفته (يوم خلق الله السموات والارض وقوله) اى فى معرفة المساحة كما رواه الشيخان
عن ابن عمرو (فى الحوض) اى الكوثر (زواياه سواء) اى مربع تربيعا مستويا لا يزيد طوله على عرضه (وقوله) اى فى
معرفة جمع العدد كما رواه ابو داود (فى حديث الذكر) اى الاذكار حيث قال تسبح عشرا وتحمد عشرا وتكبر عشرا وتلك

ثلاثون (وان الحسنة بعشر امثالها فتلك) اى الكلمات المذكورة دبر الصلوات المزبورة بمجموعها (مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة فى الميزان وقوله) اى فيما رواه الطبرانى باسناد ضعيف عن ابى رافع (وهو بموضع) اى فى موضع ليس به حمام وفى اصل التلمسانى ومر بدل وهو وعلى كل فالجملة حال (نعم موضع الحمام هذا) وهذا من علم الهندسة ومعرفة المساحة فكان اولى بعد ذكر الحوض لما بينهما من المناسبة (وقوله) كما رواه الترمذى عن ابى هريرة وصححه (ما بين المشرق والمغرب قبلة) اى لاهل المدينة ونحوهم ممن هو فى جنوب به او شماله قال التلمسانى هذا فى طيبة ولكل مدينة بين مشرقها ومغربها الان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جعل جميع ما يقع بين المشرق والمغرب قبلة ومساحة الكعبة لا تفى بما بينهما وانما تفى جهتها فهو حجة العامة فى عدم اشتراط اصابة عين الكعبة للنائى عنها وهذا من جملة علوم الهندسة المتعلقة بمعرفة القبلة وظاهره ان القبلة هى الجهة لا عين الكعبة والا فلا وجه للخصوصية فهو حجة للحنفية على الشافعية (وقوله) اى فى معرفة الفرس (لعيينة) بالتصغير وهو ابن حصين الفزارى من المؤلفة قلوبهم شهد حنينا والطائف قال الذهبى وكان احمق مطاعا دخل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واساء الادب فصبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على جفوته واعرابيته وقد ارتد ثم امر فمن عليه الصديق ثم لم يزل مظهر الاسلام وكان يتبعه عشرة آلاف قناة انتهى وقال غيره اسلم يوم الفتح وقيل قبله وقال الواقدى انه عمى فى خلافة عثمان (اوللاقرع) اى ابن حابس التميمى وفد بعد الفتح وشهد مع خالد بن الوليد حرب اهل العراق وكان على مقدمته واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره الى خراسان فاصيب هو والجيش بجوزجان وكان من المؤلفة (انا افرس) مأخوذ من الفراسة اى انا اعرف (بالخيل منك) وفى نهاية غريب الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرض الخيل وعنده عيينة فقال له انا اعلم بالخيل منك فقال له وانا افرس منك (وقوله) اى كما رواه الترمذى عن زيد بن ثابت (لكاتبه) اى لاحد من كتابه او لكاتبه الاخص به وهو زيد وقيل معاوية وفى ابى داود عن ابن عباس قال السجل كان كاتبا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق فى كلام الحلبى ان كتابه بلغوا ثلاثا واربعين الا ان ابن ابى سرح ارتد ثم رجع ومات ساجدا لله واما ابن خطل فقتل يوم الفتح وهو متعلق باستار الكعبة لقوله عليه الصلاة والسلام من قتل ابن خطل فهو فى الجنة واختلف فى قاتله (ضع القلم) اى اذا فرغت (على اذنك) اى فوقها (فانه) اى وضعه هذا (اذكر) اى اكثر تذكرا قال الحلبى لانه يقتضى التؤدة وعدم العجلة (للممل) بضم الميم الاول وكسر الثانى وتشديد اللام اى للمملى كما فى نسخة من امللت وامليت وبهما ورد القرآن وليملل الذى عليه الحق فهى تملى عليه (هذا) اى ما ذكر مما جمع له صلى الله تعالى عليه وسلم من المعارف والعلوم (مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يكتب) والاظهر ان الاشارة الى ما سبق من تعليم بعض كتابه ما يتعلق بعلم الخط وآدابه واما عدم كتابته فلحديث انا امة لا نكتب ولا نحسب ذكره الدلجى وفيه ان نفى الشئ عن الجنس لا يوجب انتفاءه عن جميع افراده بدليل انه كان فيهم من يكتب فالاولى هو الاستدلال بقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (ولكنه) اى مع كونه اميا (اوتى علم كل شئ) اى لديها (حتى قد وردت آثار) اى اخبار (بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها) اى من تطويلها وتدويرها (كقوله لا تمد) وفى نسخة لا تمدوا اى لا تطولوا (بسم الله الرحمن الرحيم) اى سينه من غير تبيين سنه مخافة ان يظن باءه ممدودة فيقرأ باالباء والميم من غير سين بينهما لما روى الدارمى عن زيد بن انس اذا كتبت فبين السين فى بسم الله الرحمن الرحيم (رواه ابن شعبان) وهو ابو اسحق المصرى المالكى له ترجمة فى الميزان قال فيها وهاه ابن حزم ولا ادرى لماذا انتهى ومات سنة خمس وخمسين وثلاثمائة (من طريق ابن عباس وقوله) اى كما فى مسند الفردوس (فى الحديث الآخر الذى يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه الصلاة والسلام فقال له ألق الدواة) بفتح الهمزة وكسر اللام امر من الاق الدواة اذا جعل لها ليقة واصلح لها مدادها وهو بمعنى مجرده لاق على ما فى القاموس فقول الجوهرى وألاق لغة اى قليلة لا ردية (وحرف القلم) بتشديد الراء المكسورة امر من التحريف اى اجعل طرف شقه الايمن ازيد من الطرف الآخر قليلا لانه اسرع فى الكتابة وابدع فى اللطافة (وانصب الباء) اى طولها (وفرق السين) اى سنانها (ولا تعور الميم) اى لا تطمسها بل بين وسطها وهو بتشديد الواو بعد العين المهملة واما ما فى اصل الدلجى بالقاف بعد كونه عينا فاصلح فى نسخة قرئت على المصنف وعليها خطه خطأ فاحش وتصحيف وتحريف لما فى القاموس قار الشئ قطعه من وسطه خرقا مستديرا كقوره (وحسن الله) اى جميع حروفه (ومد الرحمن) اى اكثر حروفه من الحاء والميم والنون او آخرها وهو الاولى (وجود الرحيم) اى حروفه لا سيما الميم وقد روى الديلمى عن انس اذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن اى مد الحمد لله الرحمن مدا وقيل خص الرحمن بالمد لعموم الرحمة الشاملة للدنيا والآخرة وخص الرحيم بالتجويد لانه يخص اصحاب التوحيد (وهذا) اى ما ذكر مما شهد

بان

بان مما اوتيه من المعارف معرفة حروف الخط (وان لم تصح الرواية) اى من احد رواة الحديث واصحاب الدراية (انه عليه الصلاة والسلام كتب) اى بيده (فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة) اى لحكمة تقتضى هنالك كما قدمنا ذلك قال الدلجى ولا يبعد ايضا وان كان يحرم عليه التوصل اليهما معرفة ان يقعا منه فى وقت معجزة له وكرامة بشهادة ما فى صحيح البخارى فاخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله وفيه فى عمرة القضاء انه قال لعلى امح رسول الله قال لا والله لا امحوك ابدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله انتهى ولا يخفى ان لفظ كتب وقع مجازا لا شك فيه على ما قاله الحلبى وقال ابو الوليد الباجى حقيقة وهو فى هذا القول شاذ منفرد عن الجماعة والمسألة شهيرة وملخصها ان اللفظة صحيحة مبنى وهى مجاز معنى لانها ليست بصحيحة اصلا كما توهم عبارة المصنف هذا ووقع فى سيرة ابى الفتح اليعمرى ما لفظه وقد روى البخارى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتب ذلك بيده قال الحلبى قوله بيده لم ارها فى صحيح البخارى والله سبحانه وتعالى اعلم ثم اعلم ان المراد بالقراءة القراءة بالنظر لا مطلق القراءة فالمعنى منع الكتابة والقراءة من الكتابة وقد ابعد التلمسانى فى جعل القراءة معطوفة على العلم اى رزق العلم والقراءة ومنع الكتابة انتهى وبعده لا يخفى فى اعراب المبنى واغراب المعنى (واما علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معانى اشعارها) اى خصوصا (فامر مشهور وقد نبهنا على بعضه) اى بعض ما ورد عنه فى لغات العرب لا فى اشعارهم (اول الكتاب) وفى نسخة فى اول الكتاب اى على ما سبق من غرائب مبانيها وبيان معانيها ومنها قوله عليه الصلاة والسلام وقد انشده كعب بن زهير فى لاميته قوله (قنوآء فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى الخدين تسهيل) فقال لاصحابه ما الحرتان فقالوا العينان فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الاذنان وما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم هو المعروف عند العرب الاول فى الحرتين ومنها ما انشده كعب بن مالك فى قصيدته العينية وفيها قوله

مجالدنا عن جذمنا كل فخمة * مدربة فيها القوانس تلمع

فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيصلح ان يقول مجالدنا عن ديننا فقال كعب نعم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو احسن فقال كعب مجالدنا عن ديننا على ما قاله نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (وكذلك حفظ كثير من لغات الامم) اى مما عدا العرب (كقوله فى الحديث سنه سنه) بفتح السين وتخفيف النون وتشدد فهاء ساكنة فيهما وفى رواية سناه سناه وفى اخرى سنا سنا بفتح مهملتها وكسرها رواية القابسى وشدد نونها وخففها ابو ذر وغيره قال ابن قرقول كلها بفتح السين وتشديد النون الا عند ابى ذر فانه خفف النون والا القابسى فانه كسر السين وقال ابن الاثير فى النهاية قيل سنا بالحبشية حسن وهى لغة وتخفف نونها وتشدد وفى رواية سنه وفى اخرى سناه بالتشديد والتخفيف فيهما وقال الهروى فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ الخميصة بيده ثم البسها ام خالد وقال لها ابلى واخلقى ثلاث مرات ثم نظر الى علم فيها اخضر واصفر فجعل يقول يا ام خالد سنا سنا بالحبشية حسن وهى لغة انتهى وام خالد هذه هى ابنة خالد بن سعيد التى ولدت بارض الحبشة وهى امرأة الزبير بن العوام وهى التى كساها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى صغيرة وابوها اول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم ومات باجنادين شهيدا استعمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على صنعاء اليمن فلما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اراد ابو بكر رضى الله تعالى عنه ان يستعمله قال له لا اعمل لاحد بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وهى) اى معنى هذه الكلمة (حسنة بالحبشية) اى باللغة المنسوبة الى الحبشة ولا يبعد ان تكون عربية وحذف الحاء للايماء الى قصد الرمزية وقال عكرمة السنا الحسن ولا يبعد ان يطلق السنا بمعنى النور ويراد به الحسن والظهور (وقوله) اى كما رواه الشيخان وغيرهما من طرق (ويكثر الهرج) بهاء مفتوحة فراء ساكنة فجيم (وهو القتل بها) اى بالحبشة وقد سئل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال القتل ونص عليه كثير من ائمة اللغة فهو من توافق اللغتين واما قول ابن قرقول الهرج باسكان الراء فسره فى الحديث بالقتل بلغة الحبش فقوله بلغة الحبش من بعض الرواة والا فهى كما عرفت عربية صحيحة (وقوله فى حديث ابى هريرة اشكنب درد) بفتح الهمزة وسكون الشين وتفتح والكاف ساكنة فنون وفتح الباء وتكسر وتضم وتسكن فدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء ساكنة وفى نسخة الاولى منهما معجمة وفى اخرى دردم بميم فى آخره (اى وجع البطن بالفارسية) فان اشكنب هو البطن ودرد معناه الوجع ولعل اصلها اشكم بدردم بكسر الهمزة وفتح الكاف بعد ميم وباتصال الباء بدردم بالمهملتين وميم المتكلم فيكون فيه نوع تقريب او لفظ غريب هذا والحديث رواه ابن ماجه وفى سنده داود بن علية والكلام فيه معروف قال الذهبى فى ميزانه روى جماعة عن داود بن علية عن مجاهد عن ابى هريرة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا ابا هريرة

اشكنب دردقلت لا الحديث اخرجه احمد فى مسنده والاصح ماروا المحاربى عن ليث عن مجاهد مرسلا فقوله لا يدل على استفهام مقدر او ملفوظ ان تكن الشين مفتوحة فانه اغة ويدل ايضا على بطلان نسخة زيادة الميم لكنه فيه اشكال وهو انه لا يظهر وجه خطاب ابى هريرة بهذه الكلمة اللهم الا ان يحمل على المزاح والمطايبة فى المخاطبة ثم رأيت التلمسانى ذكر الحديث ولفظه قال ابو هريرة دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مضطجع على بطنه فقلت له ما هذا يا رسول الله فقال أشكنب دردم ثم فسره صلى الله تعالى عليه وسلم وتمام الحديث وعليك بالصلاة فانها شفاء من كل سقم ونقل الانطاكى من اكمال ابن ماكولا عن ابى الدرداء قال رأنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا نائم مضطجع على بطنى فضربنى برجله فذكر الحديث قال وهو مخالف لما تقدم قلت ولا منع من الجمع والله تعالى اعلم هذا وحديث العنب دو دو يعنى ثنتين ثنتين والتمر يك يعنى واحدة مشهور على السنة العامة ولا اصل له عند الخاصة (الى غير ذلك) اى مع غير ما ذكر من المعارف السنية والعوارف البهية (مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به) اى بكله (ولا ببعضه) اى عادة (الا من مارس الدرس) اى داوم المدارسة ولازم المدرسة (والعكوف على الكتب) اى المواظبة على مطالعة الكتب المطولة (ومثافنة اهلها) بالمثلثة والفاء والنون اى مجالسة اهل العلوم وفى نسخة بالقاف والموحدة بمعنى المباحثة (عمره) بالنصب اى فى جميع ايام عمره من غير ضياع دهره (وهو) اى والحال انه عليه الصلاة والسلام (رجل) معروف وموصوف (كما قال تعالى) فى حقه عند قوله فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى (امى) اى منسوب الى امه يعنى كما ولدته (لم يكتب) اى بيده (ولم يقرأ) اى بنظره او مطلقا قبل بعثه (ولا عرف) اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم (بصحبة من هذه صفته) اى بمصاحبة اهل الدراسة والقراءة والكتابة (ولا نشأ) اى ولا انتشأ ولا تربى (بين قوم لهم علم) اى دراية (ولا قراءة) اى رواية (بشئ من هذه الامور) اى التى يمكن بمدارستها الاتصاف بممارستها (ولا عرف هو قبل) اى قبل بعثته ودعوى نبوته (بشئ منها) اى من امور القراءة والدراسة والكتابة ويروى ولا عرف هو قبل شيأ (قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله) اى قبل نزول القرآن (من كتاب) اى من الكتب الالهية وغيرها (ولا تخطه بيمينك) اى ولا تكتبه من قبل ايضا وقوله بيمينك اى بيدك تأكيد كما فى قولهم رأيت بعينى وسمعت باذنى (الآية) تمامها اذا لارتاب المبطلون اى لو كنت قارئا كاتبا لشك اهل الباطل المتعلق بغير الطائل اذ لا كل كاتب وقارئ قادر ان يأتى بهذا الكتاب الذى عجز عن الاتيان باقصر سورة منه جميع ارباب الالباب والحاصل ان صدور هذا النور وظهور هذه الامور على يد الامى اظهر معجزة وابهر كرامة وابعد شبهة مما لو ظهر على يد القارئ الكاتب لا سيما وقد كان يحصل الارتياب لاهل الكتاب لكونه النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل هذا والجمهور على انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكتب وقيل كتب مرة واحدة وهو قول الباجى وصوبه بعضهم فانه لا يقدح فى المعجزة كونه كتب مرة واحدة بل يكون معجزة ثانية قال القرطبى فى مختصره قوله فى البخارى فاخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب فكتب ظاهر قوى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده وقد انكره قوم تمسكا بقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية ولا نكرة فيه فان الخط المنفى عنه الخط المكتسب من التعلم وهذا خط خارق للعادة اجراه الله تعالى على انامل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم مع بقائه انه لا يحسن الكتابة المكتسبة وهذا زيادة فى صحة نبوته انتهى ولا يخفى ان فى قوله وما كنت تتلو من قبله اى من قبل نزول القرآن وحصول النبوة والرسالة اشارة الى انه كان ممنوعا من القراءة والكتابة وهو لا ينافى ان يعطيهما الله تعالى له بعد تحقق رسالته زيادة فى الكرامة (انما كانت غاية معارف العرب النسب) اى علم النسب لكل قبيلة الى حدها من ابيها وجدها (واخبار اوائلها) اى وقائع سلفها من هزلها وجدها وتنعمها وكدها (والشعر) اوزانها وقوافيها (والبيان) اى النثر فى الخطب وامثالها وما يتعلق بما فيها حتى كاد ان يكون بيانهم فى شعرهم ونثرهم سحرا وشاع وذاع فيما بينهم ذكرا وفكرا وبلغوا غاية البلاغة ووصلوا نهاية الفصاحة نظما ونثرا (وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك) اى عمرا (والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه) اى عصرا (وهذا الفن) اى النوع من العلم بجميع افنانه واغصانه فى جميع احيانه وازمانه (نقطة من بحر علمه) اى ونكتة من نهر فهمه وشكاة من شطر كماله (صلى الله تعالى عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد) اى انكار المائل عن الحق والمعاند (بشئ مما ذكرناه) اى من المطالب والمقاصد (ولا وجد الكفرة حيلة) اى مكيدة يتشبثون بها فى عقيدة (فى دفع ما قصصناه) وفى نسخة ما نصصناه اى حكيناه وبيناه (الا قولهم اساطير الاولين) اى هو يعنى القرآن اقاصيص السابقين كما حكى الله عنهم بقوله وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا وقد تولى الله سبحانه وتعالى جوابهم بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (وانما

يعلمه بشر) اى من الاعجام او الاروام (فرد الله قولهم) اى مقولهم هذا الا كما قال الدلجى هو اساطير الاولين وانما يعلمه بشر (بقوله لسان الذى يلحدون) وفى قراءة بفتح الياء والحاء اى يميلون (اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان) بكسر العين اى المعاينة والمشاهدة (فان الذى نسبوا تعليمه اليه اما سلمان) اى الفارسى كما فى نسخة صحيحة وسماه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سلمان الخير (او العبد الرومى) وهو غلام حويطب بن عبد العزى اسلم وكان ذا كتب (وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول كثير من القرآن وظهور ما لا يتعد من الآيات) اى القرآنية او المعجزات البرهانية والعلامات الفرقانية فلا يتصور انه كان يعلمه سلمان (واما الرومى فكان اسلم وكان يقرأ على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فى اسمه) اى كما سيأتى من انه يعيش او بلعام او جبر او يسار (وقيل بل كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس عنده) اى اليه ويقبل عليه لما كان يلمح قابلية الهداية لديه (عند المروة وكلاهما اعجمى اللسان) اى وضعيف البيان (وهم الفصحاء اللد) بضم اللام وتشديد الدال جمع الالد وهو شديد الخصومة (والخطباء اللسن) بضم فسكون جمع السن وقيل جمع لسن بفتح فكسر وهو المنطلق اللسان فى ميدان النطق والبيان (قد عجزوا) بفتح الجيم وتكسر (عن معارضة ما اتى به) اى اظهره (والاتيان بمثله) بل عن الاتيان باقصر سورة من نحوه (بل عن فهم وصفه) وفى نسخة رصفه بالراء والظاهر انه تصحيف وقيل معناه الاتقان (وصورة تأليفه) اى تركيبه (ونظمه) اى سلكه فهم اذا عجزوا عن هذا كله (فكيف باعجمى الكن) افعل للمبالغة من اللكنة وهى بالضم العجمة فى اللسان والعى فى النطق والبيان وابعد الدلجى فى تعبيره اى ابكم (وقد كان سلمان او بلعام الرومى) بالموحدة المفتوحة وسكون اللام ويقال بلعم (او يعيش) بفتح التحتية الاولى وكسر العين قال الذهبى فى تجريده يعيش غلام ابن المغيرة قال عكرمة هو الذى نزل فيه يقولون انما يعلمه بشر وقال الحلبى يعيش رأيتهم قد ذكروه فى الصحابة (او جبر) بفتح جيم وسكون موحدة هو غلام للفاكه بن المغيرة اسلم وقد روى ان مولاه كان يضربه ويقول له انت تعلم محمدا فيقول له لا والله بل هو يعلمنى ويهدينى قال الحلبى ما رأيت له ذكرا فى الصحابة وكذا فى قوله (او يسار) بفتح التحتية (على اختلافهم فى اسمه) اى اختلاف العلماء فى تعيينه او اختلاف السفهاء فى نسبته من كمال تحيرهم فى تبيينه (بين اظهرهم) اى كانوا كلهم فيما بينهم عارفين باخبارهم (يكلمونهم) وفى نسخة يكلمونه (مدى اعمارهم) بفتح الميم والدال مقصورا اى مدتها (فهل حكى عن واحد منهم) كسلمان والرومى (شئ) اى صدور شئ ما (من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم) اى من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة (وهل عرف واحد منهم) اى وهم عندهم (بمعرفة شئ من ذلك) اى مما جاء به عليه الصلاة والسلام (وما منع) اى وعلى الفرض والتقدير اى شئ منع (العدو) اى اعداءه من المنكرين وروى المغرور (حينئذ على كثرة عدده) بفتح العين اى اعدادهم (وقوة جده) بضم دال وهمزة فسكون واو فموحدة اى جده وتعبه فى كده (وقوة جسده ان يجلس الى هذا) اى من (ودؤوب طلبه) ... وفى نسخة عليه (ايضا) اى على زعمه سلمان او غيره واخطأ الدلجى بقوله اى ما جاء به عليه السلام (فيأخذ عنه) وفى نسخة عليه (ايضا) اى على زعمه (ما يعارض به) اى ما جاء به عليه السلام (ويتعلم منه ما يحتج به على شغبه) بسكون الغين المعجمة وتفتح على لسان العامة اى على تهيج شره وخصامه كذا فى اصل الدلجى وهو ظاهر جدا وفى النسخ على شيعته فعلى للعلة اى لاجل متابعيه ومتابعيه (كفعل النضر بن الحارث) تقدم انه قتل كافرا (بما كان يمخرق) من المخرقة بالخاء المعجمة وهى كلمة مولدة كما ذكره الجوهرى اى يزخرف (به من اخبار كتبه) اى مما لا يجدى نفعا له ولا غيره (ولا غاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قومه) اى غيبة يمكن فيها من تعلمه (ولا كثرت اختلافاته) تردداته (الى بلاد اهل الكتاب) وفى نسخة الكتب اى كالمدينة ونحوها من بلاد قومه (فيقال) بالنصب (انه استمد منهم) اى استفاد عنهم (بل لم يزل) اى من اول عمره الى آخر امره (بين اظهرهم) اى بينهم (يرعى) اى الغنم (فى صغره وشبابه) وقال الدلجى يرعى من المراعاة وهى الملاحظة والمحافظة وهو بعيد جدا (على عادة انبيائهم) اى انبياء سلفهم وفى اصل الدلجى ابنائهم باصلاح انبيائهم وكذا فى نسخة صحيحة وهو ظاهر جدا (ثم لم يخرج عن) وفى نسخة من (بلادهم الا فى سفرة) اى واحدة (او سفرتين) اى مرة مع عمه ابى طالب فرده من الطريق باشارة بحيرا واخرى فى تجارته لزوجته خديجة ومعه غلامها ميسرة والترديد باو نظرا الى ان الخرجة الاولى هل تسمى سفرة اولا فاندفع قول الحلبى وهاتان السفرتان ذكرهما جماعة وكان ينبغى ان يقول الا فى سفرتين على انه قد يقال المعنى بل سفرتين (لم يطل فيهما) ويروى فيهما (مكثه) بضم الميم وتفتح اى اقامته ولبثه (مدة يحتمل) بصيغة المعلوم او المجهول (فيها تعليم القليل) اى اليسير (فكيف الكثير) اى فكيف يحتمل فيها تعليم الكثير والاستفهام للانكار (بل كان فى سفره فى صحبة قومه ورفاقة عشيرته) بفتح الراء (لم يغب عنهم ولا خالف حاله

بالنصب او الرفع والمعنى وما اختلاف حاله (مدة مقامه بمكة من تعليم) اى عن معلم عربى ومن بيان لحاله لا مزيدة كما قاله الدلجى وفى نسخة ومن تعلم وهو الاظهر (واختلاف الى حبر) بفتح الحاء وتكسر اى عالم يهودى واغرب الدلجى بقوله بكسر المهملة افصح من فتحها نعم كذلك فى معنى المداد الا انه ليس ههنا المراد (او قس) بفتح القاف وبكسر وضمه خطأ فسين مشددة اى عالم نصرانى وكذا القسيس (او منجم) اى متعلق بعلم النجوم (او كاهن) اى ممن يزعم انه يخبر عن كائن (بل لو كان بعد) بضم الدال اى بعد مكثه وتصور تعلمه (هذا كله) اسم كان وفى اصل الدلجى بل لو كان هذا كله بعد وهو ظاهر جدا وفى نسخة صحيحة بل لو كان هذا بعد كله (الكان مجيء ما اتى به فى) وفى نسخة من (معجز القرآن) بل من معجزاته (قاطعا لكل عذر ومدحضا) اى مزيلا ودافعا (لكل حجة) اى داحضة وفى نسخة صحيحة لكل شبهة (ومجليا) بضم ميم وسكون جيم وتخفيف لام فتحتية مخففة وفى نسخة بفتح الجيم وكسر اللام المشددة لا كما قال الحلبى باسكان الخاء والمعنى كاشفا وموضحا (لكل امر) اى مما يلوح عليه مخايل ريبته

(فصل)

(ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام) اى خصوصياته فى حالاته (وكراماته وباهر آياته) اى غالب معجزاته (انباؤه) بفتح الهمزة اى اخباره الواقعة له (مع الملائكة والجن وامداد الله) اى اعانته (له بالملائكة) اى المقربين كما فى وقعة بدر وحنين (وطاعة الجن له) بجن نصيبين (ورؤية كثير من اصحابه لهم) اى للملائكة والجن وهذا اجمالى يتبين لك بعد تفاصيل احواله (قال تعالى وان تظاهرا) بتشديد الظاء وتخفيفها والخطاب لعائشة وحفصة اى وان تتعاونا (عليه) اى على النبى بما يسوءه لديه من الافراط فى الغيرة لكثرة ميلهما اليه (فان الله هو مولاه) اى ناصره (وجبريل) بكسر الجيم وفتحها (الآية) اى وصالح المؤمنين كابى بكر وعمر والملائكة اى بقيتهم بعد ذلك اى بعد نصره سبحانه وتعالى ظهير اى مظاهرون له (وقال تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا) اى بانى معكم معينا لهم (وقال اذ تستغيثون ربكم) اى بمناجاتكم ومناداتكم يا غياث المستغيثين اغثنا اعنا على اعدائنا وعن عمر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى الكفار الفا واصحابه ثلاثمائة اى فى بدر فرفع يديه مستقبلا يقول اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبى الله حسبك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (فاستجاب لكم) اى ربكم (انى ممدكم) اى بانى معاونكم (الآيتين) اى بالف من الملائكة مردفين بكسر الدال اى متتابعين وبفتحها اى يردف بعضهم بعض وكان الظاهر ان يقول الآية ولعله اراد الاشارة بالآيتين من السورتين اى الانفال والبقرة وهى قوله تعالى اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فيكون الايماء الى القصتين من بدر واحد حيث وقع الوعد فى الثانى مقيدا بشرط الصبر ولما فقد فقد المدد والنصر ولا يبعد ان يراد بالآيتين قوله اذ يوحى وقوله اذ تستغيثون بل هو الاظهر فتدبر (وقال واذ صرفنا) اى املنا ووجهنا (اليك نفرا من الجن) اى جن نصيبين (يستمعون القرآن الآية) اى فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين الايات هذا وقد ورد انه لما حرست السماء نهضوا فوافوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بوادى النخلة منصرفه يقرأ فى صلاة الصبح فاستمعوا قرآنه واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن فثابت ايضا كما بينته فى محله وسيأتى ايضا تقرير بعضه (حدثنا سفيان بن العاصى) كذا بالياء والاظهر انه بلا ياء فانه معتل العين لا اللام كما قدمنا (الفقيه) سبق ذكره (بسماعى عليه) اى فى حضورى لديه (حدثنا ابو الليث السمرقندى) اى من ائمة الحنفية (ثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء وبسكن (حدثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم وتفتح (ثنا ابن سفيان) وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه (ثنا مسلم) اى القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح (ثنا عبيد الله) مصغرا (ابن معاذ) بضم الميم قال ابو داود كان يحفظ عشرة آلاف حديث روى عنه مسلم وغيره (ثنا ابى) ابو معاذ بن معاذ التميمى العنبرى الحافظ قاضى البصرة قال احمد اليه المنتهى فى التثبت بالبصرة (ثنا شعبة) امام جليل فى الحديث (عن سليمان الشيبانى) اخرج له الائمة الستة (سمع زر بن حبيش) بالتصغير وزر بكسر الزاى وتشديد الراء هو ابو مريم الاسدى عاش مائة وعشرين سنة وكان من اكابر القراء المشهورين من اصحاب ابن مسعود وسمع عمر وعليا وعنه عاصم ابن ابى النجود وخلق (عن عبد الله) اى ابن مسعود (قال) اى الله سبحانه وتعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) اى ابن مسعود (رأى) اى النبى صلى الله عليه وسلم (جبريل فى صورته) اى اصل خلقته (له ستمائة جناح) يدل على كمال عظمته كما يشير الى مزيته قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير وهذا الموقوف اخرجه البخارى

ومسلم والترمذى والنسائى قال التلمسانى قيل رآه فى صورته مرتين خاصة وما عداهما لم يره هو وغيره من الملائكة الا فى صورة الادميين ليأنس بهم ومن تمام الحديث له ستمائة جناح مثل الزبرجد الاخضر فغشى عليه (والخبر) اى الحديث والاثر (فى محادثته) اى مكالمته عليه الصلاة والسلام (مع جبريل واسرافيل وغيرهم) بصيغة الجمع لتعظيمهما او لان اقل الجمع اثنان وفى نسخة وغيرهما (من الملائكة) كعزرائيل وملك الجبال ومالك خازن النار (وما شاهده من كثرتهم) كحديث اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك اما راكع او ساجد (وعظم صور بعضهم) كعزرائيل واسرافيل وسائر حملة العرش (ليلة الاسراء مشهور) اى رواه الائمة كخبر يا محمد هذا ملك الجبال يسلم عليك قال التلمسانى وروى ابن عباس مرفوعا انه رأى ليلة المعراج فى ملائكة الله تعالى رجالا على افراس بلق شاكى السلاح طول كل واحد مسيرة الف سنة وكذلك طول كل فرس يذهبون متتابعين لا يرى اولهم ولا آخرهم قال فقلت يا جبريل من هؤلاء قال ألم تسمع قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو ثم قال انا اهبط واصعد واراهم هكذا يمرون لا ادرى من اين يجيئون ولا اين يذهبون ذكره النسفى فى زهر الرياض قاله الانطاكى (وقد رآهم) اى الملائكة وفى اصل الدلجى رآه اى جبريل (بحضرته) اى بحضوره عليه السلام وهى بفتح فسكون وقال التلمسانى ان الحاء مثلثة ويقال ايضا بسكون الضاد وفتحها (جماعة من اصحابه) اى الكرام (فى مواطن مختلفة) اى متفاوتة الايام (فرأى اصحابه) اى بعضهم (جبريل عليه السلام فى صورة رجل يسأله عن الاسلام) وفى نسخة زيادة والايمان والحديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق متعددة والمعنى فى صورة رجل غير معروف كما فى اصل الحديث المذكور فقول الدلجى كدحية ليس فى محله وان تبع بتوشيح شرحه (ورأى ابن عباس واسامة) اى ابن زيد كما فى نسخة وهو ابن حارثة (وغيرهما عنده) اى بحضرته (جبريل فى صورة دحية) بكسر الدال وتفتح وهو ابن خليفة الكلبى المشهور بالحسن الصورى وقد اسلم قديما وشهد المشاهد كلها بعد بدر وارسله عليه السلام بكتاب معه الى عظيم بصرى ليدفعه الى هرقل واما رؤية ابن عباس له فرواها الترمذى ولفظه ابن عباس رأى جبريل مرتين واما رؤية اسامة له فرواها الشيخان عنه وفيهما ان ام سلمة رأته واما غيرهما كعائشة فروى رؤيتها البيهقى وقال التلمسانى وحارثة بن النعمان رأى جبريل مرتين واقرأه جبريل عليه السلام وجرير بن عبد الله البجلى مسحه ملك وحنظلة ابن ابى عامر غسلته الملائكة وحسان بن ثابت ايده الله بجبريل لمنافحته عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسعد بن معاذ نزل لجنازته سبعون الف ملك ما نزلوا من قبل قط (ورأى سعد) اى ابن ابى وقاص كما فى الصحيحين (على يمينه ويساره جبريل وميكائيل) لف ونشر مرتب على ما هو الظاهر المتبادر (فى صورة رجلين عليهما ثياب بيض) بالوصف وتجوز الاضافة قال الحلبى فى مسلم يعنى جبريل وميكائيل ولم يسميا فى البخارى فكونهما جبريل وميكائيل لم يقله سعد وانما الراوى عنه قاله عنه او من دونه ذكر ذلك والله تعالى اعلم قلت ولفظ مسلم رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل (ومثله) اى ومثل ما روى سعد (عن غير واحد) اى صدر عن كثير من الصحابة (وسمع بعضهم زجر الملائكة) بفتح الزاى وسكون الجيم اى حثهم وحملهم على السرعة (خيلها يوم بدر) اى كما رواه عن عمر (وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار) اى فى بدر (ولا يرون الضارب) كما رواه البيهقى عن سهل بن حنيف وابى واقد الليثى وقال ابو داود المازنى على ما فى رواية ابن اسحق انى لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه اذ وقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفى فعرفت انه قتله غيرى (ورأى ابو سفيان ابن الحارث) بن عبد المطلب وهو ابن عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يومئذ) اى يوم بدر (رجالا بيضا) بكسر الباء جمع ابيض ولم يضم الباء محافظة على الياء (على خيل بلق) بضم فسكون جمع ابلق والبلق محركة سواد وبياض كالبلقة بالضم (بين السماء والارض) وفى نسخة لا يقوم لها شيء اى لا يطيق ولا يقاوم لتلك الرجال شيء اى مما خلق الله تعالى فان ملكا واحدا كاف فى اهلاك اهل الدنيا جميعا فقد اهلك جبريل مدائن قوم لوط بريشة من جناحه وثمود بصيحة من صياحه هذا وقد روى البيهقى عن سهيل بن عمرو انه هو الذى رآهم لكن لا منع من الجمع بعد تحقق السمع (وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين) كما رواه ابن سعد عن قتادة وفى مسلم انها كانت تسلم عليه (وارى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حمزة جبريل فى الكعبة فخر) اى سقط حمزة (مغشيا عليه) اى من عظمته وهيبته وحديثه هذا رواه البيهقى عن مسلم بن يسار مرسلا (ورأى ابن مسعود الجن) كما رواه البيهقى عنه (ليلة الجن) اى ليلة امر النبى عليه الصلاة والسلام ان ينذرهم (وسمع) اى ابن مسعود (كلامهم وشبههم) اى فى الخلق والنطق (برجال الزط) بضم الزاى وتشديد الطاء قوم من السودان او الهنود طوال قال الحلبى وفى حديث مسلم عنه انه لم يكن مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن لكن ذكر ابن سيد الناس فى سيرته

ما لفظه ان الحديث المشهور عن عبد الله بن مسعود من طرق متظافرة يشهد بعضها البعض ويشيد بعضها بعضا قال ولم تنفرد طريق ابن زيد الا بما فيها من التوضى بنبيذ التمر انتهى وقد جاء الحديث الذى ذكره من غير طريق ابن زيد وهو فى ابن ماجه من حديث ابن عباس وفيه الوضوء بنبيذ التمر لكن فى السند عبد الله بن لهيعة والعمل على تضعيف حديثه وهو مرسل صحابى والعمل على قبوله خلافا لبعض الناس اى من الشافعى واتباعه هذا وقد ورد من طرق عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خطب ذات ليلة ثم قال ليقم من لم يكن فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقام عبد الله بن مسعود فحمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع نفسه فقال ابن مسعود خرجنا من مكة فخط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حولى خطا وقال لا تخرج عن هذا الخط فانك ان خرجت عنه لم تلقنى الى يوم القيامة ثم ذهب يدعو الجن الى الايمان ويقرأ القرءان حتى طلع الفجر ثم رجع بعد طلوع الفجر وقال لى هل معك ماء اتوضأ به قلت لا الا نبيذ التمر فى اداوة فقال تمرة طيبة وماء طهور واخذه وتوضأ به وصلى الفجر وقد روى ابو داود والترمذى وابن ماجه والدارقطنى عن ابن مسعود نحوه وكذا الطحاوى وغيره وقد اثبت البخارى كون ابن مسعود مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باثنى عشر وجها فلا يلتفت الى قول الدلجى واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن فضعيف ففى صحيح مسلم انه لم يكن معه فانا نقول رواية البخارى اصح وارجح والقاعدة ان الاثبات مقدم على النفى عند الاثبات مع ان ليلة الجن كانت ست مرات او المراد بنفى كونه معه انه لم يحضر مجالس المحاورات والله اعلم بالحالات (وذكر ابن سعد) وهو مصنف الطبقات الكبرى والصغرى ومصنف التاريخ ويعرف بكاتب الواقدى سمع ابن عيينة وابن معين وحدث عنه ابن ابى الدنيا وغيره مات سنة ثلاثين ومائتين (ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد) اى وكان صاحب الراية (اخذ الراية ملك على صورته فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له) اى ظنا منه انه هو (تقدم) الى جهة العدو (يا مصعب فقال له الملك) اى مرة فى جوابه (لست بمصعب فعلم) بصيغة الفاعل او المفعول اى فعرف (انه ملك) لكن روى ابن ابى شيبة فى مصنفه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم احد أقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله الم يقتل مصعب قال بلى لكن قام مكانه وتسمى باسمه انتهى وفيه احتمال انه عرفه من اول الوهلة وانه لم يعرفه حتى عرفه ثم كان يقول له مصعب من قبيل تجاهل العارف او تنزيل المجهول منزلة المعلوم او تسمية له باسمه او على تقدير مضاف نحو نائبه والله تعالى اعلم (وقد ذكر غير واحد من المصنفين) كالبيهقى وابن ماكولا فى اكماله (عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس) يروى انا جالس (مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرد عليه) اى السلام (وقال نغمة الجن) بفتح النون اى هذه حركته وصوته وفى نسخة نغمة جنى (من انت) اى منهم (قال انا هامة) بتخفيف الميم وفى بعض الروايات الهام (ابن الهيم) بكسر فسكون تحتية وفى نسخة صحيحة بفتح هاء وكسر تحتية مشددة او مخففة (ابن لاقس) بكسر القاف او لاقيس بزيادة تحتية (ابن ابليس) كان اسمه عزازيل قال التلمسانى وهو ابو الجن كما ان آدم ابو البشر وقد ذكره البغوى فى تفسيره عن مجاهد قال من ذرية ابليس لاقيس بالياء (فذكر انه لقى نوحا ومن بعده) اى من الانبياء وغيرهم (فى حديث طويل) قال بعضهم انه موضوع كما ذكره الحلبى (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القرءآن) قال الحلبى وفى الميزان فى حديثه المذكور انه عليه السلام علمه المرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت والمعوذتين وقل هو الله احد الحديث بطوله ذكر الانطاكى وغيره انه قال بينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يمشى فى بعض جبال مكة او عرفات اذ اقبل شيخ اعرج بيده عصا يتوكأ عليها فقال السلام عليك يا محمد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مشية الجن ونغمتهم قال نعم من اى الجن انت قال انا الهام بن الهيم بن لاقيس فقال له النبى صلى الله عليه وسلم كم اتى عليك قال انا كنت يوم قتل قابيل هابيل غلاما اطوف فى الاكام وافسد اطايب الطعام وامنع من الاستعصام وآمر بقطيعة الارحام فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بئس صفة الشاب المؤمل والشيخ المرجو قال مهلا يا محمد دعنى عنك من اللوم انما جئتك تائبا وكانت توبتى فى زمن نوح عليه الصلاة والسلام وعلى يديه ولقد كنت معه فى السفينة وعاتبته فى دعائه على قومه حتى بكى وابكانى وقال والله اصبحت من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقد كنت مع هود حين دعا على قومه فاهلكهم الله بالريح العقيم فعاتبته فى دعائه على قومه حتى بكى وابكانى وقال والله اصبحت من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقد كنت مع صالح فى مسجده حين دعا على قومه فاخذتهم الصيحة فعاتبته فى دعائه على قومه حتى بكى وابكانى وقال والله اصبحت من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقد كنت مع ابراهيم يوم قذف فى النار واسعى بين منجنيقه واطفاء نيرانه حتى جعلها الله عليه بردا وسلاما وان موسى بن عمران اوصانى ان بقيت الى ان يبعث عيسى ابن مريم ان اقرئه منه

السلام فلقيت عيسى فاقرأته السلام وقال لى عيسى ابن مريم ان بقيت الى ان تلقى محمدا فاقرئه منى السلام فجئت اقرأ عليك السلام فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على عيسى السلام ما دامت السموات والارض وعليك يا هام فانك قد اديت الامانة فما حاجتك قال ان موسى علمنى التوراة وعيسى علمنى الانجيل واحب ان تعلمنى شيأ من القرءآن فاقرأه فى صلاتى فعلمه عشر سور من القرءان فلم ير بعد انتهى لكن قال ابن نصر هذا الحديث موضوع وقاله ابن الجوزى ايضا وقال العقيلى لا اصل له والله تعالى اعلم (وذكر الواقدى) وكذا روى النسائى والبيهقى عن ابى الطفيل (قتل خالد) اى ابن الوليد (عند هدمه العزى) تأنيث الاعز سمرة كانت لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتا (للسوداء التى خرجت له) اى لخالد من الشجرة بعد قطعها (ناشرة) اى مفرقة (شعرها عريانة) اى واضعة يدها على رأسها داعية بالويل (فجزلها) بجيم وزاى مخففة وتشدد للمبالغة اى قطعها نصفين (بسيفه) وهو يقول يا عزى كفرانك لا غفرانك انى رأيت الله قد اهانك ويروى فجدلها بتشديد الدال اى فصرعها وفى رواية فخزلها بالخاء المعجمة والزاى المخففة اى فقطعها (واعلم) اى خالد (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال) اى له كما فى نسخة (تلك العزى) زيد فى رواية لن تعبد ابدا وفى رواية تلك شيطانة (وقال عليه السلام) كما فى الصحيحين عن ابى هريرة (ان شيطانا) من شطن اذا بعد لبعده عن الخير او من شاط اذا هلك لاهلاكه فى الشر (تفلت) بتشديد اللام اى تخلص بغتة (البارحة) اى فى الليلة الماضية (ليقطع على صلاتى) والمعنى تعرض لى بغتة ليغلبنى فى اداء صلاتى غفلة (فامكننى الله منه) اى اقدرنى الله عليه (فاخذته فاردت ان اربطه) بكسر الموحدة وتضم (الى سارية من سوارى المسجد) اى منضما الى اسطوانة من اسطوانات مسجد المدينة (حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخى سليمان رب اغفر لى) اى ما صدر عنى فى امر دينى وهو بدل من دعوة اخى (وهب لى) اى من الدنيا (ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) اى لا يتسهل لغيرى فى حياتى او بعد مماتى مبالغة فى زيادة خارقة للعادة (فرده الله خاسئا) اى خائبا وهذا صريح فى ان هذا الشيطان احد الجن الموثقة بالقيود لدلالة تفلت عليه ولاشارة التنكير اليه فلا وجه لقول الحلبى هذا الشيطان يحتمل ان يكون ابليس وانه جاء ليلقى فى وجهه عليه السلام شهابا من نار فاخذه ويحتمل ان يكون غيره والذى ظهر لى انهما قصة واحدة انتهى كلامه وقال القاضى يفهم منه ان مثل هذا مما اخص به سليمان عليه السلام دون غيره من الانبياء واستجيبت دعوته فى ذلك ولذلك امتنع نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من اخذه اما تواضعا او تأدبا او تسليما لدعوة سليمان عليه السلام قلت والتسليم اولى واسلم واما ما نقل عن الحجاج انه قال لقد كان حسودا فصريح فى كفره وقال ابن عطية وهذا من فسقه وقال ابن عرفة كان بعضهم يقول هذا من جهله والله سبحانه وتعالى اعلم بحاله وما له (وهذا باب واسع) اى لا يمكن استقصاؤه ولا يتصور استيعابه

(فصل)

(ومن دلائل نبوته) اى دلالات بعثته من اول حالته (وعلامات رسالته) وبخط القاضى وعلامة رسالته (ما ترادفت به الاخبار) اى تتابعت وتواترت الآثار (عن الرهبان والاحبار) اى من زهاد النصارى وعبادهم وعلماء اليهود وقوادهم كخبر الراهب بحيرا وكان فى زمنه اعلم النصارى وقد سافر به عمه ابو طالب فى اشياخ من قريش الى الشام فوافوا ببصرى من ديار الشام فنزل من صومعته وكان قبل ذلك لا ينزل لمن نزل به الحديث وقد تقدم وكخبر حبر بنى عبد الاشهل من اليهود اذ اتى نادى قومه فذكر البعث والحساب والميزان والجنة والنار وذلك قبل مبعثه عليه السلام فقالوا ويحك هذا كائن وان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار ويجزون باعمالهم قال نعم ولوددت ان حظى من تلك النار ان توقدوا اعظم تنور ثم تقذفونى فيه وتطبقوه على وانى انجو به من النار غدا فقيل له ما علامة ذلك قال نبى يبعثه الله من هذه البلاد واشار بيده الى مكة قالوا ومتى فرمى بطرفه الى اصغر القوم فقال ان يعش هذا يدركه فلما بعث آمنا به وصدقناه وكفر هو به فقلنا له ألست الذى قلت ما قلت واخبرتنا فقال ليس به (وعلماء اهل الكتب) اى من غيرهم وفى نسخة الكتاب على قصد الجنس وفى اصل الدلجى وعلماء اهل الزمان فهو من باب عطف العام على الخاص (من صفته وصفة امته) كخبر عبد الله بن سلام قال فى التوراة صفة محمد عليه الصلاة والسلام وعيسى ابن مريم يدفن معه وخبر كعب الاحبار قال نجد فى التوراة محمد رسول الله عبدى المختار الى ان قال مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحامدون يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء الحديث وقد سبق (واسمه) اى محمد فى التوراة واحمد فى الانجيل وقال وهب بن منبه فى الزبور يا داود سيأتى من بعدك نبى يسمى احمد ومحمدا صادقا سيدا لا اغضب عليه ابدا ولا يعصينى ابدا وقد غفرت له قبل ان يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تأخر وامته مرحومة واعطيتهم من النوافل مثل ما اعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التى افترضت على الانبياء والرسل

حتى يأتوا يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء (وعلاماته) اى كما فى الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والنعلين والهراوة ونحو ذلك (وذكر الخاتم الذى بين كتفيه) كما هو فى كتب اهل الكتاب وقد بينت فى شرح الشمائل هذا الباب (وما وجد فى ذلك من اشعار الموحدين) وفى اصل الدلجى وما وجد من ذلك فى اشعار الموحدين اى القائلين بالوحدة الالهية (المتقدمين) اى فى زمن الجاهلية (من شعر تبع) بضم التاء وتشديد الموحدة احد ملوك اليمن وشعره هذا بعد منصرفه من المدينة وكان قد نازل اهلها الاوس والخزرج واليهود فكانوا يقاتلونه نهارا ويضيفونه ليلا واستمر ثلاث ليال فاستحيى فارسل ليصالحهم فخرج اليه من الاوس احيحة بن الجلاح ومن يهود بنيامين القرظى فقال له احيحة ايها الملك نحن قومك وقال بنيامين ايها الملك هذه بلدة لا تقدر ان تدخلها قال ولم قال لانها منزل نبى يبعثه الله من قريش فانشده شعرا منه

الى الى نصيحة كى ازدجر * عن قرية محجورة بمحمد

قال التلمسانى وهو ابو كريب الذى كسا البيت ولم يسبقه اليه احد ومن شعره المتواتر عنه قوله

شهدت على احمد انه * رسول من الله بارى النسم

فلو مدّ عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

فى ابيات كتبها واودعها الى اهله فكانوا يتوارثونها كابرا عن كابر الى ان هاجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فادوها اليه ويقال كان الكتاب والابيات عند ابى ايوب الانصارى رضى الله تعالى عنه (والاوس بن حارثة) والحارثة بحاء مهملة ابن لام الطائى وهو ممن يوحد الله تعالى من اهل الفترة (وكعب بن لوى) بضم لام وفتح همزة وتبدل وتشديد تحتية وهو سابع اجداده عليه الصلاة والسلام واما ما فى نسخة لوى بن كعب فخطأ (وسفيان بن مجاشع) اى واشعارهم فيه صلى الله تعالى عليه وسلم لكنها غير مشهورة (وقس بن ساعدة) بضم القاف وتشديد السين اسقف نجران وكان من حكماء العرب ومن شعره

الحمد لله الذى * لم يخلق الخلق عبث

لم يخلنا منه سدى * من بعد عيش واكترث

ارسل فينا احمدا * خير نبى قد بعث

صلى عليه الله ما * حج له ركب وحث

وقد رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعكاظ وغيره ومن ثم عده ابن شاهين وغيره فى الصحابة (وما ذكر) عطف على ما وجد اى وما نقل (عن سيف بن ذى يزن) بفتح الياء والزاى مصروفا ويمنع وهو من ملوك حمير ومن كان شريفا من اهل اليمن يقال له ذو يزن وقد ذكره الذهبى فى الصحابة وقال ما لفظه سيف بن ذى يزن اهدى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حلة وهو مشهور انتهى وقال الدلجى خبره انه قال لجده عبد المطلب بن هاشم وقد وفد عليه ومن معه من قومه ليهنوه بنصرته على الحبشة انى مفض اليك من سر علمى ما لو غيرك لم ابح به اذ قد رأيتك معدنه فاكتمه حتى يأذن الله فيه انى اجد فى علمنا الذى ادخرناه لانفسنا وحجبناه عن غيرنا خبرا عظيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة قال فما هو قال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة فقال ايها الملك لقد اتيت بخبر ما آب به وافد ثم قال ايها الملك ابن لى ما ازداد به سرورا قال سيف هذا حينه الذى يولد فيه او قد ولد اسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه وقد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداءه ويضرب بهم الناس عن العرض ويفتح بهم كرائم اهل الارض يعبد الرحمن ويدحض الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال ايها الملك قد اوضحت بعض الايضاح قال سيف والله انك لجده فهل احسست بشئ مما ذكرت لك قال نعم انه كان لى ابن كنت به معجبا وعليه شفيقا وانى زوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب فجاءت بغلام سميته محمدا مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه قال له سيف فاحتفظ به واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله تعالى لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك عن معك فلست آمن عليك ان يحسد لك او ابناؤهم ولولا انى اعلم انى اموت قبل مبعثه لجعلت يثرب دار ملكى فانها مهاجره واهلها انصاره وبها قبره ولولا خوفى عليه لاعلنت على حداثة سنه امره ولاوطأت على انوف العرب كعبه وقد صرفت ذلك اليك من غير تقصير منى معك واذا حال الحول فائتنى بخبره وما يكون من امره فمات سيف قبل الحول وقد ذكره الذهبى فى الصحابة مع ايمانه به فى حياته ولم يره فالحق انه مخضرم والله تعالى اعلم (وغيرهم) اى كالراهب الذى قال لسلمان الفارسى اذ قال له بمن توصينى اكون عنده بعدك اعبد الله اى بنى والله ما اعلم احدا

على ما كنا عليه اوصيك ان تكون عنده ولكن قد اظلك زمان نبى يبعث من الحرم مهاجره بين حرتين فى ارض سبخة ذات نخل فيه علامات لا تخفى بين كتفيه خاتم النبوة يأكل الهدية دون الصدقة فان استطعت ان تخلص اليه فافعل (وما عرف) بتشديد الراء على بناء الفاعل لا المفعول كما وهم الدلجى اى وما علم (به من امره) اى بعضه (زيد ابن عمرو بن نفيل) بالتصغير قال الحلبى زيد هذا والد سعيد احد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب وكان زيد يتعبد فى المقبرة قبل النبوة على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويتطلب احكامه الكرام ويوحد الله ويعيب على قريش ذبائحهم على الانصاب ولا يأكل مما ذبح على النصب وكان اذا دخل الكعبة قال لبيك حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم جاء ذكره فى احاديث وتوفى قبل النبوة فرثاه ورقة بن نوفل بابيات معناها انه خلص نفسه من جهنم بتوحيده واجتنابه عبدة الاوثان وفى صحيح البخارى فى كتاب المناقب ذكره وبعض مناقبه قال الدلجى ذكر زيد عن راهب بالجزيرة اذ قال له وقد سأله عن دين ابراهيم عليه السلام ان كل من رأيت يعنى من الاحبار والرهبان فى ضلال انك تسأل عن دين هو دين الله ودين ملائكته وقد خرج فى ارضك نبى او هو خارج يدعو اليه ارجع اليه فصدقه واتبعه فلقيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يبعث بلدح فقال له اى عم مالى ارى قومك قد انفوك قال اما والله ان ذلك لغير نائرة منى اليهم ولكنى اراهم على ضلالة فخرجت ابتغى هذا الدين ثم اخبره بما عرف به راهب الجزيرة من امره صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال فرجعت فلم اختبر شيأ بعد فقدم صلى الله تعالى عليه وسلم له سفرة فيها لحم فقال انا لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه ثم مات قبل ان يبعث فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث يوم القيامة امة وحده كما رواه النسائى هذا وعد ابن منده له ولغيره ممن رآه عليه السلام واجتمع به قبل البعثة من الصحابة الكرام توسع فى الكلام اذ لم يجتمع به صلى الله تعالى عليه وسلم بعدها مؤمنا (وورقة بن نوفل) اى وما عرف به من امره ورقة بن نوفل بن اسد عن رهبان كثيرين وقد اخبرته خديجة بنت خويلد بن اسد بما اخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب وانه رأى ملكين يظلانه فقال ان كان هذا حقا فمحمد نبى هذه الامة وقد عرفت ان لها نبيا ينتظر وهذا زمانه ثم انه كان يستبطئ الامر حتى قال شعرا

تبكرام انت العشية رائح * وفى الصدر من اضمارك الحزن فادح

لفرقة قوم لا احب فراقهم * كأنك عنهم بعد يومين نازح

فاخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه اذا غاب ناصح

فذلك الذى وجهت يا خير حرة * بغور وبالنجدين حيث الصحاصح

الى سوق بصرى والركاب التى غدت * وهن من الاحمال قعص دوالح

يخبرنا عن كل خير بعلمه * وللحق ابواب لهن مفاتح

بان ابن عبد الله احمد مرسل * الى كل من ضمت عليه الاباطح

وظنى به ان سوف يبعث صادقا * كما بعث العبدان هود وصالح

وموسى وابراهيم حتى يرى له * بهاء ويبدو من الذكر واضح

ويتبعها حيا لؤى جماعة * شبابهمو والاشيبون الجحاجح

فان ابق حتى يدرك الناس دهره * فانى به مستبشر الود فارح

والا فانى يا خديجة فاعلمى * عن ارضك فى الارض العريضة سائح

وهذه شواهد صدق بايمانه مع ما ذكر بعضهم بانه صحابى بل هو اول الصحابة من انه اجتمع به بعد الرسالة اذ صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتاه بعد مجئ جبريل اليه واخباره له عن ربه بانه رسول هذه الامة بعد انزال اقرأ باسم ربك الذى خلق عليه وبعد قول ورقة له ابشر فانا اشهد انك الذى بشر به ابن مريم وانك على ناموس عيسى وانك نبى مرسل وقد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه فى الجنة وعليه ثياب خضر وفى مستدرك الحاكم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تسبوا ورقة فانى رأيته فى الجنة وعليه جبة او جبتان واما ما نقله الذهبى عن ابن منده انه قال الاظهر انه مات بعد النبوة قبل الرسالة فواهى جدا او يرده ما فى صحيح البخارى عنه صريحا (وعضكلان) بفتح العين والكاف وتضمان واقتصر عليه بعضهم (الحميرى) بكسر الحاء وفتح الياء نسبة الى حمير ابى قبيلة من اليمن ومنهم كانت الملوك فى الدهر الاول اى وما عرف به من امره من الرهبان لكنى لم ار من ذكره فى معرض البيان (وعلماء اليهود) وفى نسخة وعلماء يهود اى من كتبهم او من اخبارهم عن احبارهم كقول عالم منهم كان بمكة يتجر فى نادى من قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال الله اكبر اما اذا اخطأكم خبره فانظروا واحفظوا ما اقول لكم

ولد في هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فتفرقوا متعجبين من قوله فسأل كل اهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فاخبروا اليهودي به فقال اذهبوا بي انظره فدخلوا به على امه فرأى العلامة فخر مغشيا عليه ثم افاق فقالوا ويلك ما لك فقال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل أفرحتم به يا معشر قريش ليسطون بكم سطوة يطير خبرها في المشرق والمغرب (وشامول) بشين معجمة ثم ميم وفي آخره لام لا كاف كما في اصل الدلجي (عالمهم صاحب تبع) وهو الذي مر بالمدينة ومعه رهبان فقالوا ان هذه مهاجر نبي آخر الزمان وانا لن نبرح منها لعلنا ندركه او ابناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها وتوالدوا بها فيقال الانصار من ذريتهم (من صفته وخبره) بيان لما عرف به زيد ومن ذكر من بعده (وما الفي) بضم همزة فكسر فاء واما القاف كما في نسخة فهو تصحيف والمعنى ما وجد (من ذلك) اي مما دل على ما ذكر من صفته وخبره (في التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء) اي علماء هذه الامة (وبينوه) ففي التوراة ان الله تعالى قال لابراهيم عليه السلام ان هاجر تلد ويكون من ولدها من يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخشوع وقال لموسى عليه السلام اني مقيم لهم نبيا من بني اخوتهم مثلك واجري قولي في فيه يقول لهم ما آمرهم والرجل الذي لا يقبل قول النبي الذي يتكلم باسمي فانا انتقم منه وفي الانجيل قال عيسى عليه السلام اني اطلب الى ربي فارقليطا يكون معكم الى الابد وفيه على لسانه فارقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي اي بالنبوة هو الذي يعلمكم ويمنحكم جميع الاشياء ويذكركم ما قلته واني قد اخبرتكم بهذا قبل ان يكون حتى اذا كان تؤمنوا به وفارقليط معناه كاشف الخفيات وفيه اقول لكم الآن حقا انطلاقي عنكم خير لكم فان لم انطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم الفارقليط وان انطلقت ارسلته به اليكم فاذا جاء يفيد العالم ويؤنبهم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبر اذن روح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر لجميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه (ونقله عنهما) اي عن التوراة والانجيل وفي اصل الدلجي عنهم فان صح نسخة فالضمير الى العلماء لكنه لا يلائم قوله (ثقات ممن اسلم) وفي نسخة ثقات من اسلم بالاضافة (منهم) اي من علماء اليهود والنصارى (مثل ابن سلام) هو الحبر عبد الله بن سلام من علماء اليهود واخباره شهيرة كثيرة (وابني سعية) بفتح فسكون فتحتية او فنون والمعروف انهما اثنان ففي بعض النسخ وبني سعية من غير الف لعله سهو او محمول على ان اقل الجمع اثنان واما قول الحلبي فيحتمل ان القاضي رأى معهما اسد بن عبيد فظنه اخاهما فهو من الظن السوء به ثم قوله ويحتمل انه وقف على انهم ثلاثة ظن حسن وتوجيه مستحسن هذا وفي دلائل النبوة للبيهقي وسيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحق قال اسيد وثعلبة ابني سعية واسيد بن عبيد نفر من هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير يعني نسبهم فوق ذلك وهم بنو اعم القوم اسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا قدم علينا قبل البعثة بسنتين حبر من يهود الشام يقال له ابن الهيبان فاقام عندنا فكنا نستسقي به فحضرته الوفاة فجئناه فقال يا معشر يهود ما ترونه اخرجني من الرخاء الى ارض البؤس قالوا انت اعلم قال انما خرجت اتوقع مبعث نبي قد اظل زمانه ومهاجره هذه البلاد فاتبعوه فلا يسبقكم اليه احد فانه يبعث بسفك دماء من خالفه وسبي ذراريهم ثم مات فلما فتحت خيبر قال اولئك النفر الثلاثة وكانوا شبانا احداثا يا معشر يهود والله انه للذي كان يذكر لكم ابن الهيبان قالوا ما هو به قالوا بلى ثم نزلوا فاسلموا وادخلوا اموالهم واولادهم واهليهم في الحصن فردها عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وبنيامين) سمي اخي يوسف (ومخيريق) بالتصغير وخاؤه معجمة قال السهيلي انه اسلم واوصى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال المصنف اوصى بسبعة حوائط قال الحلبي قاتل يوم احد حتى قتل وقال الواقدي كان حبرا عالما فآمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من بني النضير انتهى وقد صرح غير واحد من الحفاظ بانه اسلم (وكعب) اي كعب الاحبار (واشباههم ممن اسلم من علماء اليهود) اي ولو بعد موته عليه الصلاة والسلام مثل كعب فانه تابعي مخضرم ولم ير النبي عليه الصلاة والسلام وانما اسلم في زمن عمر رضي الله تعالى عنه (وبحيرا) بفتح باء وكسر حاء فراء ممدودا ومقصورا ممن شهد له بالرسالة قبل دعوى النبوة فهو من الصحابة ان لم يشترط الاجتماع بعد البعثة (ونسطور) بفتح النون وسكون السين وفي نسخة نصطور وفي نسخة بنون في آخره بدل الراء (الحبشة) قيده بهم احترازا من نسطور الشام وهو الذي جرى له ما جرى مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في متجره لخديجة في رحلته الثانية الى الشام (وضغاطر) بفتح اوله وكسر الطاء وهو الاسقف الرومي اسلم على يد دحية الكلبي وقت الرسالة فقتلوه فهو تابعي مخضرم وذكره الذهبي في تجريد الصحابة (وصاحب بصرى) بضم موحدة وسكون مهملة مقصورا والمراد به عظيم بصرى كما في البخاري (واسقف الشام) بضم همزة وقاف وتشديد فاء ولعله نسطوره المحترز عنه فيما تقدم (والجارود) اي ابن

العلاء وفد في قومه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذي بعثك بالحق نبيا لقد وجدت وصفك في الانجيل وبشر بك ابن البتول فطول التحية لك والشكر لمن اكرمك لا اثر بعد عين ولا شك بعد يقين مد يدك فانا اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله ثم آمن قومه (وسلمان) اي الفارسي (والنجاشي) وهو اصحمة (ونصارى الحبشة واساقف نجران) بفتح الهمزة وكسر القاف وتخفيف الفاء جمع اسقف اي علمائهم ورؤسائهم ونجران بفتح نون وسكون جيم موضع باليمن فتح سنة عشر كذا في القاموس وقال الذهبي في تجريد الصحابة ما لفظه اسقف نجران قال ابو موسى لا ادري اسلم ام لا ولم يذكره غيره نقله الحلبي (وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك) اي بصحة نبوته وعموم رسالته (هرقل) بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف وفي نسخة بسكون الراء وفتح القاف وفي اخرى بفتح الهاء والقاف (وصاحب رومة) كذا في اكثر النسخ وقال الحلبي صوابه رومية بتخفيف الياء كما في الصحيح وهي مدينة رياسة الروم وعلمهم (عالما النصارى ورئيساهم) كما في البخاري ثم هرقل كتب الى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم وسار هرقل الى حمص فلم يرم حمص حتى جاءه كتاب من صاحبه يوافقه على خروج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه نبي ويروى النصرانية ورئيساها (ومقوقس) بضم الميم وكسر القاف الثانية (صاحب مصر) اي ملك القبط قال الذهبي في تجريد الصحابة المقوقس صاحب الاسكندرية اهدى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مدخل له في الصحابة ذكره ابن منده وابو نعيم وما زال نصرانيا ومنه اخذت مصر واسمه جريج انتهى وسماه الدارقطني جريج بن مينا انتهى واثبته ابو عمرو في الصحابة ثم امر بان يضرب عليه وقال يغلب على الظن انه لم يسلم وكانت شبهته في اثباته في الصحابة رواية رواها ابن اسحق عن الزهري عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة قال اخبرني المقوقس انه اهدى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدحا من قوارير وكان يشرب فيه قال الحلبي فائدة لهم شخص آخر معدود في الصحابة يقال له المقوقس في معجم ابن قانع قال الذهبي لعله الاول (والشيخ صاحبه) وهذا لا يعرف اسمه (وابن صوريا) بضم الصاد وكسر الراء ممدودا ومقصورا قال الحلبي اسمه عبد الله ذكر السهيلي عن النقاش انه اسلم وقال الدلجي اسلم ثم ارتد الى دينه والله تعالى اعلم (وابن اخطب) هو حيي ابو صفية ام المؤمنين (واخوه) هو ابو ياسر بن اخطب قتلا كافرين صبرا مع اسرى بني قريظة (وكعب ابن اسد) صاحب عقد بني قريظة وعهدهم موادع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم نقض العهد فقاتلهم النبي عليه السلام فغلبهم فقتل مقاتلتهم وسبى ذريتهم فقتلوا صبرا ومعهم كعب بن اسد وكانوا ستمائة او سبعمائة او ثمانمائة او تسعمائة (والزبير) بفتح الزاي وكسر الباء (ابن باطيا) بكسر الطاء قال الدلجي وفي نسخة باطا بلا تحتية وقال الحلبي وفي غير هذا المؤلف باطا بلا مد ولا همزة وهو اي الزبير والد عبد الرحمن بن الزبير الذي تزوج امرأة رفاعة القرظي الحديث كما في البخاري وقال ابن منده وابو نعيم هو عبد الرحمن بن الزبير بن زيد بن امية الاوسي (وغيرهم) اي وقد اعترف بثبوت نبوته وحقية رسالته هؤلاء وغيرهم (من علماء اليهود ممن حمله الحسد) وهو ارادة زوال نعمة الغير (والنفاسة) بفتح النون من نفست عليه الشيء نفاسة اذا لم تره يستأهله انفة (على البقاء) اي بقائه على الكفر في الدنيا (والشقاء) اي تعبه بالعذاب في العقبى وفي نسخة الشقاوة وفي اصل الدلجي وبعض النسخ على البقاء على الشقاء اي المداومة على الشقاوة (والاخبار في هذا) اي فيما ذكر من دلالات نبوته وعلامات رسالته (كثيرة لا تنحصر) اي بحيث لا تحصى ولا تستقصى (وقد قرع) بفتح القاف وتشديد الراء اي ضرب عليه السلام بشدة وابلغ بحدة (اسماع يهود) وفي نسخة اليهود (والنصارى بما ذكر) اي اخبر النبي عليه الصلاة والسلام (انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه) كقوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل الآية وفي الانجيل ايضا جد في امري واسمع واطع يا ابن الطاهرة البتول اني خلقتك من غير فحل الى آخر ما تقدم وفي التوراة ايضا قال موسى رب اني اجد في التوراة امة خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال اني اجد فيها امة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال اجد امة اناجيلهم في صدورهم يقرؤنها وكان من قبلهم يقرؤن في كتبهم نظرا ولا يحفظونها فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد الحديث وفي الزبور يا داود يأتي بعدك نبي يسمى احمد ومحمدا صادقا سيدا امته مرحومة افترضت عليهم ان يتطهروا لكل صلاة كما افترضت على الانبياء وامرتهم بالغسل من الجنابة كما امرت الانبياء وامرتهم بالحج والجهاد يا داود اني فضلت محمدا وامته على الامم كلها اعطيتهم ستا لم اعطها غيرهم لا اواخذهم بالخطأ والنسيان وكل ذنب فعلوه عمدا اذا استغفروني منه غفرته لهم وما قدموه لآخرتهم طيبة به انفسهم عجلته لهم اضعافا مضاعفة ولهم في المذخور عندي اضعاف مضاعفة واعطيتهم على المصائب اذا صبروا وقالوا انا لله وانا اليه راجعون الصلاة

والهدى والرحمة الى جنات النعيم فان دعوتى استجيبت لهم فاما ان يروه عاجلا او اصرف عنهم سوأ او ادخره لهم فى الآخرة (واحتج) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عليهم) حيث انكروا نعته ونعت امته (بما انطوت) اى اشتملت (عليه من ذلك) اى النوع (صحفهم) اى كتبهم (وذمهم) اى النبى عليه السلام (بتحريف ذلك) اى بتغيير مبناه او تغيير معناه (وكتمانه) اى بعدم تبيانه (وليهم السنتهم) اى فتلها وصرفها (ببيان امره) اى وتبيان ذكره (ودعوتهم) بالتاء وفى نسخة ودعواهم (المباهلة) بالنصب على نزع الخافض والمعنى وقرع اسماع نصارى نجران بما امره ربه به من دعواهم الى المباهلة اى الملاعنة الكاملة (على الكاذب) اى فى المعاملة فابوا حذرا من العقوبة وبذلوا له الجزية كما مرت القصة (فمامنهم) اى من اليهود والنصارى (الامن فر) اى هرب وفى نسخة صحيحة نفر اى اعرض (عن معارضته وابدآء) بكسر الهمزتين والمد وفى نسخة وابدى بصيغة الماضى اى اظهر (ما الزمهم من كتبهم اظهاره) كآية الرجم وغيره (ولووجدوا) اى فى كتبهم (خلاف قوله لكان اظهاره) اى المسارعة اليه فى مقام الجدال (اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال) اى طرح المقاتلة بين الرجال (وقد قال لهم) اى لليهود حين قالوا عند ما قرع سمعهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فرد الله عليهم بقوله تعالى (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) فبهتوا ولن يقدروا ان يأتوا فثبت انه سالم تحرم الا عليهم بظلمهم وبغيهم وهو امر له بمحاجتهم ومدافعتهم بما فى كتابهم تبكيتا وتوبيخا لهم (الى ما انذر به) اى مع ما اعلم بظهوره ووجود نوره (الكهان) اوبما خوفوه من حلول البأس والنقم بمن خالف وما اسلم (مثل شافع بن كليب) بالتصغير وفى نسخة بسين مهملة وهو من كهان العرب الا انه غير معروف النسب (وشق) بكسر اوله وتشديد ثانيه من كهانهم لم يكن له سوى عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة فكانه شق انسان (وسطيح) بفتح فكسر كاهن بنى ذؤيب من غسان بفتح معجمة وتشديد مهملة لم يكن فى بدنه عظم سوى رأسه بل جسد ملقى لا جوارح له لا يقدر على جلوس اذا غضب انتفخ فجلس وزعم الكلبى انه عاش ثلاثمائة سنة وانه خرج مع الازد ايام سيل العرم ومات فى ايام شيرويه بن هرمز والنبى صلى الله عليه وسلم بمكة وهو الذى اول رؤيا الموبذان ان ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها بما حاصله ان ملكه يزول بظهور النبى عليه الصلاة والسلام وقد فتح بلاده فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه على يد الصحابة الكرام (وسواد بن قارب) بكسر الراء ازدى كان كاهنهم فى الجاهلية اخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان رئيه اخبره ان الله يبعث نبيا فانهض اليه على ما سيأتى مفصلا (وخنافر) بضم الخاء المعجمة وكسر الفاء كاهن بنى حمير اسلم على يد معاذ ولم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تابعى مخضرم (وافعى نجران) بفتح همزة وسكون فاء فعين مهملة مقصورا كاهنهم فى الجاهلية وهذا هو الظاهر المتبادر من السياق واللحاق وقال الحلبى ما ادرى ما اراد القاضى احية ام شخص اسمه افعى (وجذل بن جذل) بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة فيهما (الكندى) بكسر الكاف قبيلة وهو كاهنهم فيها (وابن خلصة) بفتح الخاء المعجمة واللام (الدوسى) بفتح الدال (وسعدى) بضم السين وفتح الدال مقصورا (بنت كريز) بالتصغير وفى آخره زاى وفى نسخة صحيحة سعدا بن بنت كرز وفى اصل الدلجى سعد بن كرز (وفاطمة بنت النعمان) ويروى نعمان وهو بضم النون الاولى ولم تعرف لهم ترجمة (ومن لا يعد كثرة) اى ممن اخبر بظهوره وطلوع نوره (الى) اى مع (ماظهر على السنة الاصنام من نبوته) اى من بيان حصول نبوته (وحلول وقت رسالته) كقول باجر صنم مازن الطائى وهو مازن السادن وقد عتر له عتيرة يا مازن انهض واقبل * تسمع كلاما تجهل * هذا نبى مرسل * جاء بحق منزل * آمن به كى تعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل * فقلت هذا والله لعجب ثم عترت له بعد ايام اخرى فقال يا مازن اسمع تسر * ظهر خير بطن شر * وهو نبى من مضر * بدين الله الكبر * فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر سقر * فقلت هذا والله لعجب وخير يراد وقدم علينا رجل من الحجاز فقلنا ما وراءك فقال ظهر رجل من تهامة يقول اجيبوا داعى الله اسمه احمد فقلت هذا والله نبأ ما سمعت منه فكسرته ورحلت اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فشرح لى الاسلام فاسلمت وكقول صنم عمرو بن جبلة يا عصام يا عصام جاء الاسلام وذهب الاصنام وقول صنم طارق من بنى هند بن حرام يا طارق يا طارق بعث النبى الصادق (وسمع) بصيغة المجهول اى وما سمع (من هواتف الجن) كذا فى اصل الدلجى وفى النسخ الجان وهو غير ظاهر فانه ابو الجن ولعله لغة والهاتف هو الصائح بالشئ الداعى اليه كسماع ذباب بن الحارث هاتفا منهم يا ذباب يا ذباب اسمع العجب العجاب بعث محمد بالكتاب يدعو بمكة فلا يجاب وكسماع ابن مرة الغطفانى جاء حق فسطع ودمر باطل فانقمع وكسماع خالد بن بطيح جاء الحق القائم والخير الدائم وكسماع سواد بن

قارب من رئيه وهو نائم ليلا قم فافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث نبى من لؤى بن غالب ثم قال شعر

عجبت للجن واجناسها * وشدها العيس باحلاسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما مؤمنوا الجن كارجاسها
فانهض الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى راسها

ثم نبهنى وافزعنى وقال يا سواد ان الله بعث نبيا فانهض اليه تهتد وترشد ثم نبهنى فى الليلة الثانية وقال

عجبت للجن وطلابها * وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ليس قداماها كاذنابها
فانهض الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى نابها

ثم نبهنى فى الثالثة وقال

عجبت للجن واخبارها * وشدها العيس باكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ليس ذووا الشر كاخيارها
فانهض الى الصفوة من هاشم * ما مؤمنوا الجن ككفارها

فوقع فى قلبى حب الاسلام فاتيته عليه الصلاة والسلام بالمدينة فلما رآنى قال مرحبا بك يا سواد قد علمنا ما جاء بك فقلت له قد قلت شعرا فاسمعه منى ثم انى انشدت

اتانى رئيى ليلة بعد هجعة * ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * اتاك نبى من لؤى بن غالب
فشمرت عن ساقى الازار ووسطت * بى الذعلب الوجناء عقد السباسب
فاشهد ان الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين شفاعة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
فكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال افلحت يا سواد (ومن ذبائح النصب) جمع نصيب بمعنى منصوب للعبادة اى وما سمع منها كسماع عمر رضى الله تعالى عنه من عجل رأى رجلا يذبحه لنصب يقول يا آل ذريح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله (واجواف الصور) اى وما سمع من اجوافها كما مر عن مازن السادن وغيره (وما وجد من اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا فى الحجارة والقبور) مفعول ثان لوجد او حال من ضميره (بالخط القديم ما) اى الذى (اكثره مشهور) اى كما هو فى كتب السير وغيرها مسطور (واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور) اى فى كتب العلماء الاخيار بنقل الثقة فى الاخبار

(فصـــل)

(ومن ذلك) اى مما يدل على نبوته ورسالته (ما ظهر من الآيات) اى خوارق العادات (عند مولده) اى قرب ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم (وما حكته امه) اى آمنة بنت وهب انها اتيت فقيل لها قد حملت بسيد هذه الامة فاذا خرج فقولى اعيذه بالواحد من شر كل حاسد (ومن حضره) اى وما حكاه من حضر مولده (من العجائب) اى مما سيأتى قريبا (وكونه) بالرفع اى وجوده (رافعا رأسه) اى للدعاء (عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السماء) كما رواه البيهقى عن الزهرى مرسلا (وما رأته) اى امه (من النور الذى خرج معه عند ولادته) حتى رؤيت منه قصور بصرى كما رواه احمد والبيهقى عن العرباض وابى امامة (وما رأته اذ ذاك) اى وقت ولادته (ام عثمان ابن ابى العاص) اى الثقفى (من تدلى النجوم) اى نزولها ودنوها منه تبركا بحضرته (وظهور النور) اى الذى سطع منه باشعته (عند ولادته حتى ما تنظر) اى ام عثمان (الا النور) وفى رواية الا النور كما رواه البيهقى والطبرانى عن ابنها عنها (وقول الشفاء) بكسر اوله ممدودا ومقصورا والاول هو المفهوم من القاموس حيث قال الشفاء الدواء وسموا شفاء وقد صرح بالمد ايضا فى اسماء الاسانيد وقال الحلبى الشفاء بكسر الشين المعجمة وبالفاء مقصور فيما اعلمه انتهى والتحقيق ان الشفاء مصدر فى الاصل ثم نقلته العرب علما للمؤنث واما قول الدلجى بمعجمة مفتوحة ففاء مشددة فالظاهر انه تصحيف وتحريف (ام عبد الرحمن بن عوف) قال الذهبى وهى بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرات (لما سقط عليه الصلاة والسلام على يدى) بالتثنية وفى نسخة بالافراد على ارادة الجنس (واستهل) بتشديد اللام اى رفع صوته بان عطس

وقال الحمد لله بدليل قولها (سمعت قائلا يقول رحمك الله) وقال الحلبي اى صاح وقال الدلجي عطس لاصاح من غير ان يذكر الحمد لله فالجمع اولى كما لا يخفى والمناسب لعلو شانه وظهور برهانه ان لا يكون اول كلامه عبثا فى مرامه بل يكون ذكرا ملائما للمقامه على طبق ما ورد عن آدم عليه السلام من انه عطس عند وصول روحه الى بعض اعضائه الكرام (واضاء لى ما بين المشرق والمغرب) اى مما يتنور بنوره من معمورة العالم وتحقيق هذا المبحث قد تقدم ويشير اليه قولها (حتى نظرت الى قصور الروم) اى بارض الشام رواه ابو نعيم فى الدلائل عن ابنها عبد الرحمن بن عوف عنها (وما نعرفت به حليمة) اى السعدية (وزوجها) المسمى بالحارث وذكر ابن اسحق بسنده انه اسلم (ظئراه) بكسر اوله وسكون همزة تثنية الظئر وهى المرضعة وقد يطلق على ابى الرضاعة ايضا كما هنا وقد يقال انه للتغليب (من بركته ودرور لبنها) اى نزوله بكثرة (له) اى لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم ولولدها رضيعه بعد ان لم يكن لها لبن يغنيه (ولبن شارفها) بكسر الراء اى درور لبن ناقتها المسنة (وخصب غنمها) بكسر الخاء المعجمة روى ابن اسحق وابن حبان والطبرانى وابو يعلى والحاكم والبيهقى بسند جيد عن عبد الله بن جعفر عنها انها قالت اخذته وتركته المراضع ليتمه فجئت به رحلى فاقبل عليه ثدياى فشرب حتى روى وشرب اخوه حتى روى وقام زوجى الى شارفنا فوجدها حافلا فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة وقال والله انى لاراك قد اخذت نسمة مباركة الم ترى ما بتنا به الليلة من الخير والبركة قالت وكانت اتانى قمراء قد اذمت بالركب فلما رجعنا الى بلادنا سبقت حتى ما يتعلق بها حمار فتقول صواحبى هذه اتانك التى خرجت عليها معنا فاقول والله انها لهى فقلن والله ان لها لشانا فقدمنا ارض بنى سعد به وما اعلم ارضا اجدب منها وان غنمى لتسرح ثم تروح شباعا لبنا فنحلبها وما حولنا ارض تبض لها شاة بقطرة لبن وان اغنامهم لتسرح ثم تروح جياعا فيقولون لرعيانهم اسرحوا مع غنم ابن ابى ذؤيب فيسرحون فتروح جياعا ما فيها قطرة لبن وتروح غنمى شباعا لبنا فنحلبها فلم يزل الله يرينا البركة ونتعرفها حتى بلغ سنتيه (وسرعة شبابه) اى وما نعرف ظئراه من سرعة شبابه بالنسبة الى جنابه (وحسن نشأته) اى نمائه وبهائه فى كبر جثته قبل تكامل هيئته قالت والله ما بلغ سنتيه حتى صار غلاما جفرا فقدمنا به على امه ونحن اضن شىء به لما رأينا فيه من البركة بسببه ثم قلنا لها دعينا نرجع به حذرا عليه من وباء مكة فما زلنا بها حتى قالت نعم (وما جرى من العجائب) وهى ما عظم وقوعه وخفى سببه (ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه البيهقى وابن ابى الدنيا وابن السكن عن مخزوم بن شاهين (من ارتجاج ايوان كسرى) اى اضطرابه جدا وتحركه شديدا مع احكام بنائه من غير خلل نشأ به والايوان بالكسر الصفة العظيمة واصله اووان فاعل كديوان وسبق ان كسرى بكسر اوله ويفتح معرب خسرو ولقب ملوك الفرس كقيصر لقب ملوك الروم وتبع لملوك اليمن والنجاشى لملوك الحبشة (وسقوط شرفاته) بضم الشين المعجمة والراء وتفتح وحكى سكونها جمع شرفة بضم فسكون وهو جمع قلة وضعت موضع كثرة لانهن اربع عشرة ولعل الحكمة فى عدولها عن الكثرة الى القلة تحقير لها لخراب ما لها هذا وقد ملك منهم ملوك بعددها عشرة فى اربع سنين واربعة الى خلافة عثمان وفتح المسلمين (وغيض بحيرة طبرية) بفتحتين مدينة معروفة فى الشام بناحية الاردن ذات حصن بينها وبين بيت المقدس نحو مرحلتين وهى من الارض المقدسة والبحيرة مصغرة مع انها عظيمة وغيضها انتقاصها هذا والمعروف ان الغائضة هى بحيرة ساوة من قرى بلاد فارس قال الحلبى اللهم الا ان يريد عند خروج يأجوج ومأجوج فان اوائلهم يشربون ماءها ويجىء آخرهم فيقول لقد كان بها ماء انتهى وبعده عن السياق من السباق واللحاق لا يخفى وفى نسخة صحيحة بدل طبرية ساوة والله تعالى اعلم (وخمود نار فارس) اى انطفائها وقت غيض بحيرتها فكانهما طفئت بمائها (وكان لها الف عام لم تخمد) بفتح التاء وضم الميم وتفتح فانه ورد من باب نصر ينصر وباب علم يعلم (وانه) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما انه (كان اذا اكل مع عمه ابى طالب وآله) اى واهل بيته (وهو صغير) جملة حالية معترضة (شبعوا) بكسر الباء (ورووا) بضم الواو (واذا) وفى نسخة فاذا (غاب) اى عنهم (فاكلوا فى غيبته لم يشبعوا) بفتح الباء وزيد فى نسخة ولم يرووا بفتح الواو ولعل النسخة الاولى مبنية على الاكتفاء او على تغليب شبع الطعام على رى الماء (وكان سائر ولد ابى طالب) بفتحتين وبضم فسكون اى بقية اولاده او جميعهم (يصبحون) اى يدخلون فى الصباح (شعثا) بضم اوله جمع اشعث اى مغبرة شعورهم مغبرة وجوههم متغيرة الوانهم بقرينة المقابلة بقوله (ويصبح صلى الله تعالى عليه وسلم صقيلا) اى صافى اللون (دهينا) اى مدهون الشعر بريق الوجه (كحيلا) اى كانه مكحول العينين هذا واولاده عقيل وطالب وجعفر وعلى وام هانئ وجمانة وام طالب فاسلموا كلهم الا طالبا مات كافرا ويقال ان الجن اختطفته ثم اعلم انه قال الحلبى استعمل القاضى رحمه الله سائر بمعنى جميع والشيخ ابو عمرو بن الصلاح انكر كون سائر بمعنى جميع وقال ان ذلك مردود عند اهل اللغة

معدود فى غلط العامة واشباههم من الخاصة قال الازهرى فى تهذيبه اهل اللغة اتفقوا على ان سائر بمعنى الباقى وقال الحريرى فى درة الغواص فى اوهام الخواص ومن اوهامهم الفاضحة واغلاطهم الواضحة انهم يستعملون سائر بمعنى الجميع وهو فى كلام العرب بمعنى الباقى واستدل بقصة غيلان لما اسلم على عشر نسوة وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم امسك اربعا وفارق سائرهن انتهى وقال ابن الصلاح ولا التفات الى قول صاحب الصحاح سائر الناس جميعهم فانه ممن لا يقبل ما ينفرد به وقد حكم عليه بالغلط وهذا من وجهين احدهما تفسير ذلك بالجميع وثانيهما انه ذكره فى سير وحقه ان يذكر فى سار وقال النووى وهى لغة صحيحة ذكرها غير الجوهرى ولم ينفرد بها وافقه عليها الجواليقى فى اول شرح ادب الكاتب الى آخر كلام النووى فى تهذيبه انتهى كلام الحلبى وتبعه الدلجى فى تفسيره السائر بالجميع وقال صاحب القاموس السائر الباقى لا الجميع كما توهم جماعات اوقد يستعمل له فقد ضاف اعرابى قوما فامروا الجارية بتطييبه فقال بطنى عطرى وسائرى ذرى انتهى ولا يخفى انه يحتمل كلام الاعرابى ان يكون السائر بمعنى الباقى بل هو المتبادر على ما هو الظاهر والتحقيق ان السائر بمعنى الباقى حقيقة وبمعنى الجميع مجازا وانه مأخوذ من السؤر مهموزا وهو البقية الملائمة لمعنى الباقى بخلاف السور معتلا وهو سور البلد المناسب لمعنى الجميع وبهذا يرتفع الخلاف لمن ينظر بعين الانصاف ويظهر فساد ما فى كلام ابن الصلاح من المناقضة ونوع من المعارضة (قالت ام ايمن) وهى بركة بنت محصن (حاضنته) اى مربيته ومرضعته ايضا على ما قيل وهى مولاة له صلى الله تعالى عليه وسلم حبشية اعتقها ابو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسلمت قديما وابنها ايمن بن عبيد الحبشى ثم تزوجها زيد بن حارثة زارها ابو بكر وعمر رضى الله عنهما واختلف فى زمن وفاتها (ما رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم اشتكى) اى بلسانه (جوعا ولا عطشا صغيرا) اى حال كونه صغيرا (ولا كبيرا) اذ كان ربه يطعمه ويسقيه بمعنى يخلق قوتهما فيه وحديثها رواه ابن سعد وابو نعيم فى الدلائل (ومن ذلك حراسة السماء) بكسر الحاء اى حفظها من بلوغ الجن اليها (بالشهب) اى بالنجوم رجوما لئلا يكون لهم هجوما (وقطع رصد الشياطين) اى ترصدهم وانتظارهم ظهور شىء اليهم ونزول خبر عليهم (ومنعهم استراق السمع) اى بالكلية فانهم كانوا لا يسمعون الا القول الحق من ملائكة السماء فيلقونه الى اوليائهم فيكذبون معه ما شاؤا من انبائهم فمنعوا منه بظهور نوره صلى الله تعالى عليه وسلم فلما بعث اشتد الامر بهم وكثر الحرس عليهم كما قال تعالى حكاية عنهم وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا الآيات (وما نشأ) بالهمز اى ومن ذلك ما ترنى (عليه) وجبل اليه (من بغض الاصنام) كما فى حديث البيهقى عن زيد بن حارثة قال كان صنم يتمسح به المشركون اذا طافوا بالبيت فطفت به قبل البعثة فلما مررت بالصنم تمسحت به فقيل لى لا تمسه ثم طفنا فقلت فى نفسى لامسنه حتى انظر ما يقول فمسحته فقال الم تنه قال زيد فوالذى اكرمه بالذى اكرمه ما التمس صنما قط (والعفة) اى وما نشأ من النفرة (عن امور الجاهلية) اى معايبها (وما خصه الله به من ذلك) اى من الاعمال الرضية والاحوال الزكية (وحماه) اى وحفظه قبل بعثته من الصفات الرديئة والسمات الدنيئة (حتى فى ستره) بفتح السين اى تستره من التعرى وهو كشف العورة (فى الخبر المشهور عند بناء الكعبة) كما رواه الشيخان عن جابر والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنه (اذ) اى حين (اخذ ازاره) اى بامر عمه العباس (ليجعله على عاتقه) وهو ما بين المنكب والعنق (ليحمل عليه الحجارة) اى ولم تظهر عليه الامارة (وتعرى) اى وانكشفت عورته (فسقط الى الارض) اى مائلا اليها وطمحت عيناه الى السماء (حتى رد) اى بنفسه (ازاره عليه فقال له عمه ما بالك) وفى نسخة ما لك اى ما حالك (فقال انى نهيت عن التعرى) وفى رواية وكنت وابن اخى نحمل الحجارة على رقابنا وازرنا تحتها فاذا غشينا الناس ائتزرنا فبينا انا امشى ومحمد امامى خر لوجهه وهو ينظر الى السماء فقلت ما شأنك فاخذ ازاره وقال انى نهيت ان امشى عريانا قال فكنت اكتمها الناس مخافة ان يقولوا مجنون (ومن ذلك اظلال الله تعالى له بالغمام فى سفره) اى على ما مر فى حديث بحيرا الراهب كما رواه الترمذى والبيهقى (وفى رواية) اى لابن سعد عن نفيسة بنت منيه (ان خديجة رضى الله تعالى عنها ونساءها رأينه لما) بتشديد الميم اى حين (قدم وملكان يظلانه فذكرت) اى خديجة (ذلك) اى خبر الاظلال (لميسرة) اى غلامها قال الحلبى لا اعلم له ذكرا فى الصحابة وكان توفى قبل النبوة والافلو ادركها لاسلم انتهى وفيه بحث لا يخفى والله تعالى اعلم (فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه فى سفره) اى من اول امره الى آخره (وقد روى ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها) كما رواه الواقدى وابن سعد وابن عساكر فى تاريخه عن ابن عباس (وروى ذلك) اى تظليل الغمامة له (عن اخيه من الرضاعة) وفى رواية عن اخته بالفوقية وهى اصح كما فى سيرة ابى الفتح اليعمرى من ان حليمة بعد رجوعها من مكة كانت لا تدعه ان يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه يوما فى الظهيرة فخرجت تطلبه حتى وجدته

مع اخته فقالت فى هذا الحر فقالت اخته يا امه ما وجد اخى حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت الحديث قال الحلبى فهذا صريح ان يكون ما فى الاصل غلط تصحف على الكاتب اللهم الا ان يروى ان اخاه من الرضاعة رأى ذلك ايضا والله تعالى اعلم (ومن ذلك انه نزل فى بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشب ما حولها) اى كثر عشبه وهو الكلأ مادام رطبا والمعنى انه نبت فيه عشب كثير (واينعت) بتقديم التحتية على النون (هى) اى الشجرة والمعنى ادرك ثمارها ونضجت ومنه قوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وينعه اى نضجه (فاشرقت) بالقاف اى اضاءت بحسن صفاتها كاشراق الشمس بضيائها ويروى بالفاء اى علت وارتفعت (وتدلت) بتشديد اللام وفى اصل الدلجى بلامين اى استرسلت ونزلت (عليه اغصانها بمحضر من رآه) قال الدلجى لم ادر من رواه (وميل فىء الشجرة) اى ظلها (اليه فى الخبر الآخر) اى المتقدم عن بحيرا الراهب (حتى اظلته وما ذكر) اى ومن ذلك ما ذكره الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول عن عبد الرحمن بن قيس وهو مطعون عن عبد الملك بن عبد الله بن الوليد وهو مجهول عن ذكوان (من انه كان لا ظل لشخصه فى شمس ولا قمر لانه كان نورا) اى بنفسه والنور لا ظل له لعدم جرمه وهذا معنى ما فى النوادر ولفظها لم يكن له ظل فى شمس ولا قمر ونقله الحلبى عن ابن سبع ايضا (وان الذباب) اى ومن ذلك ما ذكر من ان الذباب (كان لا يقع على جسده ولا ثيابه) قال الدلجى لا علم لى بمن رواه انتهى وقال الحلبى نقل ايضا بعض مشايخى فيما قرأته عليه بالقاهرة عن ابن سبع انه لم يقع على ثيابه ذباب قط قلت فعلى جسده بالاولى كما لا يخفى (ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحى اليه) اى بنزول القرآن عليه كما فى الصحيحين ولفظ البخارى ثم حبب اليه الخلاء اى العزلة عن الملا (ثم اعلامه بموته ودنو اجله) كما رواه الشيخان وغيرهما (وان قبره بالمدينة) وفى نسخة فى المدينة (وفى بيته) كما رواه ابو نعيم فى الدلائل عن معقل بن يسار ولفظه المدينة مهاجرى ومضجعى من الارض وروى البيهقى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ان قبره يكون فى بيته (وان بين بيته ومنبره) وفى نسخة صحيحة وبين منبره (روضة من رياض الجنة) كما سيأتى ما فيه من الاحاديث الواردة (وتخيير الله له عند موته) اى بين الدنيا والآخرة كما رواه البيهقى فى الدلائل عن عائشة بلفظ كنا نتحدث ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة فسمعته فى مرضه الذى مات فيه يقول مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فظننا انه كان يخير وفى رواية قالت لما نزلت به ورأسه على فخذى غشى عليه ثم افاق فاشخص بصره الى سقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى وهى آخر كلمة تكلم بها وفى رواية ان جبريل قال له ان ربك يقرئك السلام ورحمة الله ويقول ان شئت شفيتك وكفيتك وان شئت توفيتك وغفرت لك قال ذلك الى ربى يصنع بى ما يشاء (وما اشتمل) اى ومن ذلك ما احتوى (عليه حديث الوفاة) كما رواه الشافعى فى سننه والعدنى فى مسنده والبيهقى فى دلائله (من كراماته وتشريفه) اى بخدمة الملائكة له وعموم رسالته اليهم وارسال جبريل اليه يقول ان الله يقرئك السلام ورحمة الله وفى رواية قال يا محمد ان الله ارسلنى اليك اكراما وتفضيلا وخاصة لك ليسألك عما هو اعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال اجدنى مغموما مكروبا (وصلاة الملائكة) اى ومن ذلك صلاة الملائكة (على جسده) اى بعد خروج روحه الشريفة (ما رويناه) بصيغة الفاعل ويحتمل المفعول (فى بعضها) اى فى بعض الروايات والاسانيد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وان الملائكة يدخلون قبلكم من حيث يرونكم ولا ترونهم فيصلون على صلاة الجنازة بتحريم وتكبير وتسليم ثم صلى عليه اصحابه كذلك كما رواه يحيى بن يحيى فى الموطأ بلاغا قال اخبرنا مالك انه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفى يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وصلى عليه الناس افذاذا لا يؤمهم احد ورواه الشافعى فى الام بلفظ فقد صلى الناس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرادى لا يؤمهم احد وذلك لعظم امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتنافسهم فى ان لا يتولى الامامة فى الصلاة عليه واحد من الائمة صلوا عليه مرة بعد مرة اقول الاظهر انهم صلوا عليه فى محله ولا كان يسع ذلك المحل اماما لقومه كله فصلوا فرادى لادراك فضله وتكرار الصلاة عليه من خصوصيات حكمه هذا ومن زعم ان المراد بالصلاة هنا الدعاء فقد عدل عن الحقيقة من غير قرينة صارفة (واستئذان ملك الموت عليه) اى ومن طلب اذن ملك الموت فى الدخول عليه لقبض روحه (ولم يستأذن على غيره قبله) اى من الانبياء والاصفياء فضلا عما بعده من العلماء والاولياء وروى ان جبريل قال ان ملك الموت بالباب يستأذن عليك ولم يستأذن على احد قبلك ولا بعدك فقال ائذن له فقال السلام عليك يا محمد ان الله امرنى ان اطيعك فيما امرتنى به ان اقبض نفسك قبضتها وان اتركها تركتها (ونداؤهم الذى سمعوه ان لا تنزعوا) بكسر الزاى غيبا وخطابا اى لا تخلعوا (القميص عنه) اى عن بدنه (عند غسله) بضم الغين او فتحه وذلك حين قالوا ما ندرى انجرده من ثيابه ام نغسله بها فالقى عليهم النوم فما منهم رجل الا وذقنه فى صدره ثم سمعوا قائلا لا يدرون من

هو غسلوه وعليه ثيابه فغسلوه وعليه قميص يصبون الماء فوقه ورواه ابو داود والبيهقى وصححه واستشهد له بما رواه عن شيخه ابى عبد الله الحاكم من طريق بريدة قال اخذوا فى غسله فاذاهم بمناد من داخل لا تخرجوا عنه قميصه (وما روى من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته) اذ سمعوا قائلا لا يرون شخصه يقول السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته ان فى الله خلفا من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركا من كل فائت فبالله ثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب رواه البيهقى فى دلائل النبوة نقله الدلجى وقال الحلبى حديث تعزية الخضر رواه الشافعى من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن جده على بن الحسين رضى الله عنه قال لما مرض النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث وفى آخره قال على أتدرون من هذا هذا الخضر وهذا مرسل وقد رواه الشافعى ايضا فى الام باسناد ضعيف الا انه لم يقل الخضر بل سمعوا قائلا يقول وانما ذكره اصحاب الشافعى قاله النووى فى شرح المهذب وقال بعض مشايخى اخرجه الحاكم فى المستدرك من رواية انس وفيه فقال ابو بكر وعلى هذا الخضر لكن فى اسناده عباد بن عبد الصمد وهو ضعيف وقد اخرجه الشافعى ايضا فى غير الام وفيه فقال أتدرون من هذا هذا الخضر ورواه الطحاوى عن المزنى عنه فى السنن المشهورة (الى ما ظهر على اصحابه من كراماته) اى الظاهرة (وبركاته) اى الوافرة (فى حياته وموته) اى بعد مماته (كاستسقاء عمر بعمه) اى العباس كما رواه البخارى (وتبرك غير واحد) اى كثيرين من الصحابة والتابعين (بذريته) كالحسنين وزين العابدين وصالحى اولادهم رضى الله تعالى عنهم اجمعين وارضاهم

(فصل)

(قال القاضى ابو الفضل رحمه الله قد اتينا) اى اوردنا (فى هذا الباب) اى الرابع من ابواب الكتاب (على نكت) بضم ففتح اى لطائف وشرائف (من معجزاته واضحة) صفة نكت وقال الدلجى حال مما قبله (وجمل من علامات نبوته مقنعة) نعت جمل وهو بضم ميم وسكون قاف وكسر نون وفتح عين وقال الدلجى حال من جمل اى تغنى من عرف حقيقتها (فى واحد) خبر مقدم (منها) اى من النكت والجمل (الكفاية والغنية) بضم فسكون اى الاكتفاء والاغتناء فى باب الاعتناء (وتركنا الكثير) اى من الانباء (سوى ما ذكرنا) اى من النكت والجمل (واقتصرنا من الاحاديث الطوال) بكسر الطاء اى الطويلة الاذيال (على عين الغرض) اى نفس المراد (وفص المقصد) اى زبدة المقصود والفص للخاتم بفتح الفاء وبثلث والصاد مشددة والمقصد بفتح الصاد وتكسر قال الحلبى بكسر الصاد وجد بخط النووى (ومن كثير الاحاديث) اى واقتصرنا وقد ابعد الحلبى فى تقديره واتينا (وغريبها) اى مما انفرد رواتها (على ما صح) اى سنده (واشتهر) اى نقله عند اهله (الا يسيرا) اى شيأ قليلا (من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة) اى من نقاد الامة وحفاظ السنة بحيث انه خرج عن حيز الغرابة (وحذفنا الاسناد فى جمهورها) اى اكثرها (طلبا للاختصار) اى حذرا من الاكثار الممل للنظار (وبحسب هذا الباب) بسكون السين وزيادة الباء اى ويكفى هذا الباب الرابع الموضوع فى المعجزات (لو تقصى) بتاء وقاف مفتوحتين فصاد مشددة مكسورة اى لو استقصى وضبطه الدلجى بالفاء اى لو تتبع (ان يكون ديوانا) اى دفترا او مصنفا على حدة (جامعا) اى محيطا وحاويا (يشتمل على مجلدات عدة) بكسر فتشديد اى كثيرة وقال الدلجى وحسب مبتدأ خبره ان يكون ديوانا وجواب لو محذوف اى لامكن (ومعجزات نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (اظهر) اى اكثر وابهر (من سائر معجزات الرسل) الاظهر من معجزات سائر الرسل (بوجهين) اى نظرا الى الكمية والكيفية كما يشير اليه قوله (احدهما كثرتها) اى مع شهرتها اذ الكثرة لا تستلزم الشهرة (وانه لم يؤت نبى معجزة الا وعند نبينا مثلها) اى شبهها ونظيرها (او ما هو ابلغ منها) اى دلالة كانشقاق القمر والاسراء ونحوهما واما معجزة القرآن المجيد كما مثل به الدلجى فهذا ليس محلها (وقد نبه الناس على ذلك) اى على هذا المعنى على وجه الاستقصاء منها انه تعالى خلق آدم بيده فقد شرح صدر نبينا بنفسه وانه رفع ادريس مكانا عليا فقد رفعه فى المعراج دنو الدنيا وغير ذلك مما يطول بيانها وقد سبق بعضها وسيأتى شئ منها (فان اردت فتأمل فصول هذا الباب) اى من معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (ومعجزات من تقدم من الانبياء) اى وقابل بين واحدة مع ما يناسبها من الانباء (تقف على ذلك) اى المعنى (ان شاء الله تعالى واما كونها) اى معجزاته (كثيرة فهذا القرآن) اى ظاهر كثرته (وكله معجز) اى والحال ان جميعه باعتبار كله وجزئه معجز (واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين) بل عند اكثر المدققين حيث قالوا اعجازه بالفصاحة والبلاغة (سورة انا اعطيناك الكوثر) اى اقصر سورة نحوها (او آية قدرها) لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله وفى حكم السورة قدرها الا اقلها (وذهب بعضهم) اى ممن قال بالصرفة (الى ان كل آية منه) اى من القرآن (كيف كانت) اى وجدت طويلة او قصيرة (معجزة) خبران (وزاد آخرون) اى على ما ذكر (ان كل جملة منتظمة منه) اى من القرآن وفى اصل الدلجى

منتظمة منه (معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين) ويؤيده ظاهر قوله تعالى فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين
ولعل الاعجاز اولا كان بعشر سور ثم بسورة ثم بحديث كما هو اسلوب التدريج على وجه الترقى (والحق) اى الثابت
عند الجمهور (ماذكرناه اولا لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله) وفى نسخة من مثله (فهو) اى اتيان نحو سورة
(اقل ما تحداهم) اى طلب معارضتهم (به مع ما ينصر هذا) اى يؤيده ويقويه (من نظر) اى نظر اعتبار وتفكر
واستبصار (وتحقيق) اى مشتمل على تدقيق (يطول بسطه) اى والقصد وسطه (واذا كان هذا) اى اكثر ما تحداهم
به اقل (ففى القرءآن من الكلمات) اى الاسمية والفعلية والحرفية (نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف) بتشديد
التحتية وتخفيفها اى وبعض زيادة وجمع بينه وبين نحو مبالغة فى الملاحظة لقصد المحافظة (على عدد بعضهم) اى ممن
عد كلماته (وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر) اى الى آخرها (عشر كلمات فيجزأ القرءآن) بتشديد الزاى فهمز مبنيا
للمفعول وفى نسخة فيتجزأ بالهمز وفى اخرى بالالف وفى اصل الدلجى فتجزى القرءآن بصيغة المصدر المضاف (على
نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر) اى كلماتها العشر (ازيد) بالنصب وعلى اصل الدلجى وبعض النسخ بالرفع اى اكثر
(من سبعة الاف جزء) اى حصة (كل واحد منها معجز فى نفسه) اى مع قطع النظر عما قبله وما بعده وما فيه من اخبار
الله تعالى عن نبأ ما قبله وما بعده (ثم اعجازه كما تقدم) اى فى محله (بوجهين) اى من طرق الاعجاز (طريق بلاغته) اى
باشتماله على لطائف الاعجاز (وطريق نظمه) اى بسلوكه بين الاطناب والايجاز (فصار فى كل جزء من هذا العدد) اى من
السبعة آلاف (معجزتان) اى باعتبار الطريقين (فتضاعف العدد من هذا الوجه) اى الذى له جهتان فيصير اربعة
عشر الفا (ثم فيه) اى فى القرءآن من حيث مجموعه (وجوه اعجاز اخر) بضم ففتح (من الاخبار بعلوم الغيب) اى
عما تقدم او تأخر (فقد يكون فى السورة الواحدة) اى حقيقة اوحكما (من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب)
كقصة موسى وهارون وفرعون وهامان وقارون (كل خبر منها بنفسه) اى بانفراده (معجز) اى مستقل فى بابه
(فتضاعف العدد) اى فتزايد المبلغ المضاعف (كرة اخرى) اى فى الجملة لا فى نحو كل سورة فلا يصير ثمانية وعشرين الفا
على ما جزم به الدلجى (ثم وجوه الاعجاز الاخر التى ذكرناها) قال الدلجى وهى الغيبية وفيه انها مما سبق ذكره
(توجب التضعيف) اى الى ما لا يكاد يحصى ولا يستقصى (هذا) اى التضعيف الوافر (فى حق القرءآن) هو الظاهر
(فلا يكاد يأخذ العد) اى العدد كما فى نسخة (معجزاته) اى لكثرتها (ولا يحوى) اى ولا يكاد يشمل (الحصر براهينه)
لعظمتها (ثم الاحاديث الواردة) اى الصريحة (والاخبار الصادرة) اى الصحيحة (عنه عليه الصلاة والسلام فى هذه
الابواب) اى المذكورة فيها من المعجزات وخوارق العادات والاخبار عن المغيبات (وعن ما دل على امره) اى
ظهور امره وحكمه (مما اشرنا الى جمله) بضم ففتح اى الى جمل من مفصله (يبلغ نحوا من هذا) اى التضعيف
(الوجه الثانى) اى من وجهى كون معجزاته اظهر من معجزات غيره (وضوح معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى
ظهورها وانتشارها واشتهارها (فان معجزات الرسل كانت) اى واردة على ايديهم (بقدر همم اهل زمانهم) اى حالا
ومقدارا فى شأنهم (وبحسب هذا الفن) بفتح السين (الذى قد سما فيه قرنه) اى علا وارتفع اهل عصره شهرة بمعرفة
ذلك الفن فى دهره كما بينه بقوله (فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة
تشبه ما يدعون قدرتهم عليه) اى وما يزعمون مهارتهم لديه ويوجهون هممهم اليه (فجاءهم منها) اى على يد موسى
(ما خرق عادتهم) اى من انقلاب العصا حية تسعى واليد السمراء بيضاء من غير سوء (ولم يكن) اى ذلك المعجز (فى قدرتهم)
اى فى نطاق قواهم وقدرهم (وابطل سحرهم) وما اظهروه من التخييل عند مكرهم (وكذلك زمن عيسى عليه السلام
اغنى) افعل تفضيل من الغاية اى انهى (ما كان) اى علم اهله (الطب) بكسر الطاء ويثلث وهو علاج الامراض
الظاهرة وفى نسخة اعنى بالعين المهملة بمعنى اعجز وفى اخرى بالغين المعجمة والنون اى اوفى وفى اخرى بالمهملة والنون
اى اقصد وكلها صحيحة على ما لا يخفى (واوفر ما كان اهله) اى اكثر ما كان اهل قرنه فى تتبعه (فجاءهم) اى على يد
عيسى (امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه) اى شيأ لم يظنوا وجوده لديه وامره مفوضا اليه (من احياء الميت)
ويروى الموتى وفى نسخة الميتة (وابراء الاكمه) اى الذى ولد ممسوح العين ذكره الدلجى قال الحلبى الاكمه هو الذى
يولد اعمى ويقال الاعشى وقد قال البخارى فى الصحيح ان الاكمه من يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل انتهى وهو تفسير
للاعشى على ما لا يخفى (والابرص) من فى بدنه بياض من المرض المعروف (دون معالجة ولا طب) اى بمداواة بل كان
يأتيه من اطاق الاتيان لديه ومن لم يطق ذهب اليه عليه الصلاة والسلام فربما اجتمع عنده الالوف من المرضى
وذوى العاهات فيداويهم بالدعوات والآيات (وهكذا سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام) اى كانت
بقدر علم اهل زمانهم من الانام (ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها)

اى من الجزئيات والكليات (اربعة) اى من انواع المدركات واصناف الملكات (البلاغة) اى المقرونة بالفصاحة
(والشعر) اى النظم المقابل للنثر (والخبر) بفتحتين اى الاخبار بانساب العرب وايامها من وقائعها ومعرفة تاريخها
وتفصيل ما جرى فيها من ضروب خروجها وفنون رجوعها (والكهانة) بكسر الكاف وتفتح وهى مزاولة الخبر عن
الكائنات واظهارها وادعاء معرفة اسرارها (فانزل) بصيغة المجهول اى فانزل الله تعالى كما فى نسخة وفى اخرى
زيادة عليه (القرءآن الخارق لهذه الاربعة فصول) اى المتقدمة وهى البلاغة والشعر والخبر والكهانة (من
الفصاحة) اى من اجل فصاحة القرءآن (والايجاز) اى وايجاز الفرقان (والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم)
بفتح النون والميم اى نوعه ونهجه (ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذى لم يهتدوا) اى فصحاؤهم وبلغاؤهم
وخطباؤهم وشعراؤهم (فى المنظوم) اى من كلامهم (الى طريقه) اى فى مرامه (ولا علموا فى اساليب الاوزان)
اى نظما ونثرا وفى اصل الدلجى فى اساليب الكلام والافنان من النثر المسجع والنظم المرصع (منهجه) اى طريقته
السهلة الممتنعة (ومن الاخبار) بكسر الهمزة (عن الكوائن والحوادث) اى الكائنات والمحدثات من الاعيان
والاكوان (والاسرار) اى فى البواطن (والمخبئات) اى فى الظواهر والضمائر (فتوجد على ما كانت) اى ذاتا وصفة
(ويعترف المخبر) بفتح الباء اى من اخبر (عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان) اى ولو كان ذلك المعترف المخبر (اعدى
العدو) اى بكونه من اهل الكفر والنكر (فابطل) اى القرءآن او النبى او الله سبحانه وتعالى (الكهانة التى تصدق
مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها) بتشديد المثلثة اى اقتلعها (من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم) بفتح الصاد اى
جعلها معدة لحفظ السماء من استراق الشياطين السمع من الانباء حيث ترميهم بشهب منفصلة من نارها لا انفسها
لثبوتها فى مقارها كقبس اخذ من نار وهى ثابتة لم تنقص مما لها من مقدار (وجاء) اى فى القرءآن (من الاخبار)
بفتح الهمزة (عن القرون السالفة) اى السابقة (وانباء الانبياء والامم البائدة) اى الهالكة ومنه حديث الحور
العين نحن الخالدات فلا نبيد ابدا (والحوادث الماضية) اى الواقعات المتقدمة من المنفعة والمضرة (ما) اى شئ
او الذى (يعجز من تفرغ لهذا العلم) اى فى صرف جميع عمره (عن بعضه) اى عن معرفة بعض امره (على الوجوه التى
بسطناها) اى اوضحناها (وبينا المعجز فيها) اى مع ما وشحناها ورشحناها (ثم بقيت هذه المعجزة) المتعلقة بالفصاحة
والبلاغة والاخبار عن الكوائن الحادثة الجامعة (لهذه الوجوه) اى المذكورة المسطورة المضمومة (الى الفصول
الاخر) اى المتقدمة (التى ذكرناها فى معجزات القرءآن) اى فيما مضى من البيان (ثابتة الى يوم القيامة) اى حال كونها
مستمرة دائمة (بينة الحجة) اى ظاهرة الدلالة فى الاعجاز مع غاية الايجاز (لكل امة تأتى) اى بعد جماعة تنقضى
(لا تخفى وجوه ذلك) اى المعجز المتقدم (على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه الى) اى منضما الى (ما اخبر به من الغيوب)
بضم الغين وكسرها اى المغيبات (على هذا) وفى نسخة على هذه (السبيل) فان السبيل يذكر ويؤنث ومنه قوله تعالى
وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر (فلا يمر عصر ولا زمن) اى ولا ينقضى قرن ودهر (الا ويظهر فيه صدقه) اى زيادة
صدقه او موجب تصديقه (بظهور مخبره) بضم الميم وفتح الموحدة (على ما اخبر) اى على طبقه ووفقه واغرب الدلجى
بقوله على ما اخبر من وجوه الفصاحة والايجاز والبلاغة (فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان) فيستمر الايقان ويتقوى
العرفان (وليس الخبر كالعيان) بكسر اوله اذ غاية افادة الخبر غالبا الظنية ونهاية افادة المعاينة يقينية (وللمشاهدة
زيادة فى اليقين) اى المستفاد مثلا من المتواتر استدلالا (والنفس اشد طمأنينة) اى سكونا (الى عين اليقين) اى الذى
تفيده المعاينة (منها) اى من الطمأنينة (الى علم اليقين) اى المستفاد بالتواتر استدلالا (وان كان كل) اى من علم
اليقين وعين اليقين (عندها) اى عند النفس (حقا) اى ثابتا وصدقا لكن عين اليقين اسكن لها على ازدياد طمأنينتها
واعون لها على عدم ترددها ووسوستها ومن ثم لما قيل للخليل اولم تؤمن اى بعلم الوحى المقدر والاستدلال بالخبر
المكرر قال بلى اى ربى ولكن ليطمئن قلبى بمصاحبة علم العيان لعلم البرهان ومن ههنا قيل علمان خير من علم واحد
(وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم) بل اندرس بعضها حال حياتهم كما اشار اليه بقوله (وعدمت)
بصيغة المجهول اى وانعدمت (بعدم ذواتها) اى بعدم وجودها وتحقق صفاتها وفى اصل الدلجى بعدم ذواتهم اى
وجودا فى الدنيا والاقرب ان الانبياء فى البرزخ احياء فالجملة تأكيد لما قبلها وعلى الاول تأسيس وهو اولى فى محلها
(ومعجزة نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تبيد) اى لا تفنى ابدا (ولا تنقطع) اى ولا تنقضى سرمدا (وآياته) اى
علاماته الدالة على صدقه (تتجدد) اى يوما فيوما (ولا تضمحل) بتشديد اللام اى ولا تزول اصلا (ولهذا) اى المعنى
الاعلى (اشار عليه الصلاة والسلام بقوله) اى الذى هو غاية المرام فى هذا المقام المندرج (فيما حدثنا القاضى الشهيد
ابو على) اى الحافظ ابن سكرة (حدثنا القاضى ابو الوليد) وهو الباجى (حدثنا ابو ذر) اى الهروى (ثنا ابو محمد) اى ابن

حمويه السرخسي (وابو اسحق) اي المستملي (وابو الهيثم) اي الكشميهني (قالوا) اي كلهم (حدثنا الفربري) بكسر الفاء وفتح (ثنا البخاري) اي صاحب الجامع (ثنا عبد العزيز بن عبد الله) اي العامري الاويسي الفقيه عن مالك ونافع مولى ابن عمر (ثنا الليث) اي ابن سعد (عن سعيد عن ابيه) اي ابي سعيد المقبري روى ان عمر جعله على حفر القبور فسمي به توفي سنة مائة (عن ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) والحديث كما ترى رواه البخاري وقد اخرجه مسلم والنسائي ايضا (قال ما من الانبياء نبي) هو اعم من رسول (الا اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر) اي ليس نبي منهم الا اعطاه الله من المعجزات شيأ الجأ من شاهده الى الايمان به فخص كل نبي بما اثبت دعواه من خوارق العادة التي اعطاه اياه في زمانه وبعد انقراضه اختفى شانه ولم يبق سلطانه ولم يلمع برهانه كقلب العصا لموسى حية تسعى (وانما كان الذي اوتيت) اي بخصوص ما انعم علي (وحيا اوحاه الله الي) اي معجزا في اعلى طبقات البلاغة واقصى غايات الفصاحة كريم الفائدة عميم العائدة على السابقين واللاحقين من هذه الامة قرنا بعد قرن على مرور الازمنة ولذا رتب عليه قوله (فارجو) اي بسبب بقائه وظهور ضيائه (اني اكثرهم) وفي اصل الدلجي ان اكون اكثرهم (تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث) اي المذكور (عند بعضهم وهو) اي هذا المعنى المسطور هو (الظاهر) اي المتبادر (والصحيح) اي الصريح (ان شاء الله تعالى) اي فلا يعدل عما قدمناه (وذهب غير واحد) اي كثيرون (من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا) اي وتأويل غاية معجزة نبينا (عليه الصلاة والسلام الى معنى آخر) اي غير ما افاده منطوقا (من ظهورها بكونها) اي من قوة معجزة نبينا بسبب كونها (وحيا) اي خفيا (وكلاما) اي جليا (لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه) بالحاء المهملة من الحيلة (ولا التشبيه) اي من حيث انه لا يتصور فيه التمويه (فان غيرها) اي غير معجزة نبينا (من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها) اي قصدوا لابطالها (باشياء طمعوا في التخييل بها) اي بتلك الاشياء (على الضعفاء) اي ليتوصلوا بذلك الى ابطال معجزات الانبياء (كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم) اي في معارضة معجزة موسى بالقاء العصا (وشبه هذا) بالرفع اي وشبيه هذا الذي فعله سحرة فرعون (مما يخيله الساحر) اي جنسه على الضعيف في دينه واهن يقينه (او يتحيل فيه) اي يطلب الحيلة في دفعه انه صدق او في اثباته انه حق (والقرآن كلام) اي لله تعالى كما في اصل الدلجي كلام الله تعالى والاظهر انه اريد به هنا انه مطلق كلام اي اعجاز القرآن واقع في كلام (ليس للحيلة ولا للسحر ولا للتخييل فيه) اي في الكلام (عمل) اي مما يوجب التمويه (فكان) اي القرآن (من هذا الوجه عندهم) اي عند ارباب هذا المعنى (اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه) اي مما يكدر المعجزة وينافيه (والتأويل الاول) اي الذي هو المعول (اخلص) اي اظهر واوضح (وارضى) عند النفوس الخلص (وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض) اي بصيغة المفعول مخففا وقال الحلبي مشددا اي يغطى (الجفن) بفتح الجيم وسكون الفاء اي غطاء العين (عليه) و يروى عنه (ويغضى) بصيغة المجهول من الاغضاء بمعنى الاغماض وفي اصل الدلجي بالفاء وهو تصحيف وتحريف كما لا يخفى والتحقيق انه لا منع من الجمع وان بناء الثاني على التدقيق والله ولي التوفيق وعلى كل تقدير ظهر الوجهان في ثبوت المعجزة للقرآن (ووجه ثالث) اي وهنا وجه آخر وفي نسخة صحيحة وجه بدون عاطفة والمعنى وجه ثالث في كون القرآن معجزا خارقا للعادة (على مذهب من قال بالصرفة) بفتح الصاد وقيل بكسرها وهو مذهب بعض المعتزلة والشيعة حيث قالوا صرف الله هممهم عن الاتيان باقصر سورة منه مع تمكنهم عنه (وان المعارضة) اي بمثله في الجملة (كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها) اي بسلب دواعيهم لا بسلب قدرتهم كما ذكره الدلجي فانه مذهب آخر كما سيأتي (او على احد مذهبي اهل السنة من الاتيان بمثله من جنس مقدورهم) اي من جنس كلامهم الذي لهم القدرة عليه (ولكن لم يكن ذلك) اي الاتيان بمثله بعد من تمكنهم منه (قبل ولا يكون بعد) اي قبل التحدي ولا بعده كما ذكره الدلجي والاظهر ان المراد بقوله قبل الزمان السابق وبقوله ولا يكون بعد الزمان اللاحق الى يوم القيامة ويؤيده قوله (لان الله لم يقدرهم) اي على الاتيان بمثله قبله (ولا يقدرهم عليه) اي بعده (وبين المذهبين فرق بين) بتشديد التحتية المكسورة اي ظاهر لتمكنهم على المذهب الاول منه الا انهم صرفوا عنه وعدم تمكنهم منه على الثاني مع كونه من جنس مقدورهم (وعليهما) اي وعلى المذهبين (جميعا) اي جميعهما (فترك العرب) وفي نسخة بغير الفاء اي ترك معارضتهم الاتيان (بما في مقدورهم) اي في الجملة (او ما هو من جنس مقدورهم) اي في الصورة (ورضاهم بالبلاء) اي العناء في ابدانهم (والجلاء) اي عن اوطانهم وهو بفتح الجيم الخروج من البلد (والسباء) بكسر السين ممدودا اي والسبي كما في نسخة اي اسر اطفالهم ونسائهم واعيانهم (والاذلال) اي لانفسهم في بعض الاحوال (وتغيير الحال) اي بمخالفتهم من الخير

الى الشر (وسلب النفوس) اي في حال القتال (والاموال) اي بذلها في فك رقابهم من الاغلال (والتقريع) اي قهرا (والتوبيخ) اي زجرا (والتعجيز) اي بالاذلال (والتهديد) اي بعظائم النكال (والوعيد) اي بوخائم الوبال (ابين آية) خبر لقوله ترك والمعنى اظهر علامة واظهر دلالة (للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته) اي والاعراض والامتناع عن معارضة نحوه (وانهم) بكسر الهمزة ويجوز فتحها (منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم) وفي نسخة مقدرتهم بضم الدال وتفتح اي قدرتهم (والى هذا) اي المذهب الثاني (ذهب الامام ابو المعالي) اي عبد الملك ابن ابي محمد (الجويني) بالتصغير النيسابوري وهو الملقب بامام الحرمين افصح الشافعية وله اليد الباسطة في الطول من علم الكلام والاصول توفي سنة ثمان وسبعين واربعمائة (وغيره) اي من علماء اهل السنة والجماعة (قال) اي ابو المعالي (وهذا عندنا ابلغ من خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها كقلب العصا حية ونحوها) كاخراج اليد البيضاء واحياء الموتى وغيرهما (فانه قد يسبق الى بال الناظر) اي قلب المتأمل (بدارا) بكسر الباء اي مبادرة ومسارعة من اول وهلة قبل التأمل في حقيقة امره وخفية سره (ان ذلك) اي ما ذكر من قلب العصا حية ونحوها (من اختصاص صاحب ذلك بمزيد معرفة في ذلك الفن وفضل علم) اي في ذلك النوع كما توهم فرعون حيث قال انه لكبيركم الذي علمكم السحر (الى ان يرد ذلك) اي السابق الى بال الناظر مما ذكر من وهم الخاطر (صحيح النظر) اي فيتحقق الفهم ويضمحل الوهم ويتبين للقلب الحي ان قلب العصا حية ونحوها مما لا يدخل تحت طوق البشر اذ هو فعل فاعل القوى والقدر (واما التحدي للخلائق) اي طلب المعارضة منهم باعتبار السابق واللاحق (المئين) وفي نسخة مئين جمع مائة وفي نسخة في المئين (من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله) اي على وفق مرامهم (فلم يأتوا) اي الخلائق بتمامهم كما اخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها) اي بترك المناقضة (الا ان منع الله الخلق عنها) اي عن المعارضة لاحد الوجوه الثلاثة في بيان المعجزة (بمثابة ما لو قال نبي) اي وقد طلب منه آية وعلامة دالة على صدق دعواه للنبوة (آيتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم) وفي نسخة مع مقدرتهم (عليه وارتفاع الزمانة عنهم) اي عن بعضهم للاستواء في حال عجزهم ولا يبعد ان تكون الواو بمعنى او التنويعية (فلو كان ذلك) اي الذي قال ذلك النبي (وعجزهم الله عن القيام) اي في ذلك المقام (لكان ذلك من ابهر آية واظهر دلالة) اي في اقامة البرهان وابانة التحقيق (وبالله التوفيق) ونظيره قوله تعالى لزكريا آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا (وقد غاب عن بعض العلماء) اي خفي عليه (وجه ظهور آيته) اي معجزته التي هي القرآن (على سائر آيات الانبياء) اي في باقي الازمان ولم يدر ان بقاءها معلومة لكل واحد في كل اوان متلوة بكل مكان (حتى احتاج للعذر عن ذلك) اي الذي زعمه من عدم ظهورها هنالك (بدقة افهام العرب وذكاء البابها) اي شدة فطانة فهومهم وحدة علومهم (ووفور عقولهم) اي وكثرة تعقلهم وتأملهم (وانهم ادركوا المعجزة فيه) اي في القرآن (بفطنتهم) اي ما الجأهم الى الاعتراف بكونه من معجزتهم (وجاءهم من ذلك) اي مما ادركوا فيه هنالك (بحسب ادراكهم) بفتح السين اي بمقتضى ادراكاتهم لغاية فصاحته ونهاية بلاغته (وغيرهم) مبتدأ اي وغير العرب (من القبط) اي قوم فرعون (وبني اسرائيل) اي قوم موسى (وغيرهم) اي ممن بعدهم ما عدا العرب (لم يكونوا بهذه السبيل) اي بهذه الطريقة من دقة الفهم وذكاء الفطنة (بل كانوا من الغباوة) بفتح الغين المعجمة وهي عدم الفطنة وكمال الجهالة (وقلة الفطنة) اي في بعض القضية (بحيث جوز عليهم) اي على عقولهم (فرعون انه ربهم) كما قال الله تعالى حكاية عنه انا ربكم الاعلى وقد قال عز وعلا فاستخف قومه فاطاعوه واضل فرعون قومه وما هدى (وجوز عليهم السامري) وكان من عظماء بني اسرائيل واسمه موسى بن ظفر (ذلك) اي كون ظهور ربهم (في العجل فعبدوه بعد ايمانهم) اي بموجبات ايقانهم (وعبدوا) اي طائفة من بني اسرائيل (المسيح) اي عيسى بن مريم (مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه) اي اليهود (وما صلبوه ولكن شبه لهم) اي كما اخبر الله عنهم والمعنى صلبوا من القي عليه الشبه بعد قتله كما قال تعالى وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه (فجاءتهم) اي اليهود (من الآيات الظاهرات البينة) اي الواضحة (للابصار) اي المنفتحة (بقدر غلظ افهامهم) اي وغلظ اوهامهم (ما) فاعل جاء وفي نسخة مما (لا يشكون فيه ومع هذا) اي المجيء بالامور الظاهرة والاحوال الواضحة (قالوا) وفي نسخة فقالوا اي خطابا لنبيهم كما حكى الله عنهم بقوله تعالى واذ قلتم يا موسى (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) اي معاينة ظاهرة (ولم يصبروا على المن والسلوى) اي على اكلهما وجعلوا الترنجبين من الحلوى والسماني من طير الشوى طعاما واحدا وقالوا لن نصبر على طعام واحد (واستبدلوا الذي هو ادنى) اي اقرب الى الدناءة وادون في المقدار والمرتبة كالبقل والقثاء والفوم والعدس (بالذي هو خير) اي في المرتبة واللذة

وعدم الحاجة الى الكد والمشقة واقرب الى الحيلة (والعرب على جاهليتها) اى على حالتها التى كانت عليها قبل ظهور النبوة من الجهل بامور الشريعة واحوال الديانة (اكثرها يعترف بالصانع) بل جميعها كما هو ظاهر قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولذا جاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكلمة التوحيد وهو ان يقولوا لا اله الا الله لا بان يقولوا الله موجود لان هذا مما اجمع عليه اهل الملل والنحل ولا يلزم من قول بعضهم حيث قالوا وما يهلكنا الا الدهر ان الدهر خالقهم اذ لم يقل به احد منهم بل ارادوا به ان طول الزمان ودورة الدوران يقتضى ان يحيى بعضنا ويموت بعضنا فنسبوا بعض الافعال الى الدهر كما قد يتفوهون به اهل العصر وقد قال تعالى انا الدهر اى خالقه او المتصرف فيه (وانما كانت) اى العرب (تتقرب بالاصنام الى الله تعالى زلفى) اى تقربا كما قال تعالى حكاية عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله (ومنهم من آمن بالله وحده) اى وسفه من عبد غيره (من قبل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من قبل ارساله (بدليل عقله وصفاء لبه) اى آمن بتوحيد ربه كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وكذا ورقة بن نوفل الا انه ادرك البعثة وآمن به وتشرف بالصحبة (ولما جاءهم) اى العرب (الرسول بكتاب الله) وهو القرآن الكريم والفرقان القديم (فهموا حكمته) اى لحدة فطنتهم وشدة معرفتهم (وتبينوا بفضل ادراكهم) اى بزيادة قابليتهم واهليتهم (لاول وهلة معجزته فآمنوا به) اى بعضهم اولا وجلهم آخرا (وازدادوا كل يوم ايمانا) اى واكتسبوا يوما فيوما احسانا وايقانا (ورفضوا الدنيا) اى تركوها (كلها) اى مالها وجمالها (فى صحبته) اى وبيمن همته وبركة متابعته (وهجروا ديارهم واموالهم) اى وفارقوهما باختيارهم (وقتلوا آباءهم وابناءهم) اى وسائر اقاربهم واحباءهم (فى نصرته) اى فى نصرة دينه وقوة يقينه (وانى) اى واورد ذلك البعض من العلماء (فى معنى هذا) اى المبنى من عبارات البلغاء واعتبارات الفصحاء واشارات العقلاء (بما يلوح له رونق) اى بما يلمع له ضياء ويلمح له صفاء (ويعجب منه) بصيغة المفعول اى ويبرق من اثره وظهور امره (زبرج) بكسر الزاى والراء بينهما موحدة ساكنة وفى اخره جيم اى زينة من ذهب او جوهر او وشى (لو احتيج اليه) اى الى كلامه (وحقق) اى امر فى مرامه (لكنا) بروى فقد (قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وظهورها) اى ووضوح امرها (ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها) مثل معقولات المعانى بمحسوسات المبانى وقصد الاستغناء عن هذا الاستعلاء ونحن نقول لا منع من الجمع فان الآيات والمعجزات لكل منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع ورضى الله تعالى عنهم اجمعين (وبالله استعين) اى فى كل وقت وحين (وهو حسبنا) اى كافينا ووافينا وشافينا (ونعم الوكيل) اى اعتمادا واستنادا معاشا ومعادا باطنا وظاهرا واولا وآخرا والصلاة والسلام على خاتم الانبياء وعلى آله وصحبه نجوم الاقتداء والاهتداء وعلى اتباعهم من العلماء والاولياء والحمد لله الذى هدانا لهذا واغنانا عما سواه وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله اللهم اختم لنا بالخيرات اعمالنا وبالمبرات آجالنا وبالمسرات احوالنا واغفر لنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات انك قريب مجيب الدعوات آمين آمين آمين يارب العالمين ويا ارحم الراحمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وقد تم نصف الكتاب بعون الملك الوهاب ويتلوه القسم الثانى الذى ليس له ثان فى هذا الباب عند ارباب الالباب والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب حرره

مصنفه الجانى فى اوائل جمادى الثانى
من شهور عام عشرة بعد الالف
السابع من عالم المبانى
رحمه الله تعالى رحمة
واسعة بمنه
امين
م